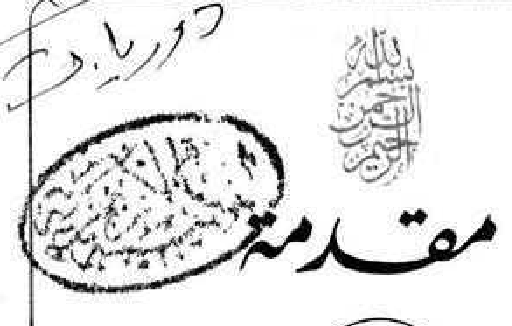




الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

* الجزء الأول *
* السنة الستون *
* المحرم ١٤٠٨ هـ *
* سبتمبر ١٩٨٧ م *



مقدمة



قبل الهجرة

للعرب - قبل الإسلام - نُظُم استحكمتْ - في إطارها علاقاتهم الاجتماعية والسياسية والدفاعية - فيما بينهم - على سواء.

هذه النظم كانت - في واقعها - التزامات ينبغي للقبيلة أن تمارسها في علانية لا تحفظ فيها، ولا دَخَلَ في تطبيقها، وإلا عدت القبيلة من أحط القبائل شأنا وأدناها مروءة.

ثم إن هذه النظم سواء منها ما عُمِلَ به داخل القبيلة، أو تناول علاقاتها الخارجية بالقبائل الأخرى، هي - في ذاتها وحال ممارستها - تشكل سلطان القبيلة وعزتها، وتأخذ بأسباب القوة في حكمها داخلياً،فلا « حق » لفرد في القبيلة لا يسلم بـ « واجب » اعتناق هذه النظم عن طواعية وتقدير، وللقبيلة - في هذا الشأن - عقوبتها الرادعة لمن تسول له نفسه العبث بنظامها.

←

مقدمة قبـــل الهجـــــرة

والدارس لهذه النظم يجدها ألواناً : فمنها عام ارتبطت به العرب جميعاً ، ومنها خاص ، هو - في مجموعِهِ - النظم الداخلية التي تستقر بها أحوال القبيلة ، ويتَّزن عليها كيانُها ، وهذه النظم الأخيرة قد تختلف - في مجموعها - من قبيلة إلى أخرى - تبعاً لما تراه القبيلة عوناً لها في الحفاظ على ذاتها من جهة ، وعنواناً لها من جهة أخرى فيما تميزت به في المجتمع العربي .

ومن هنا زادت النظم الداخلية لقريش عن غيرها ، حتى إن بعضها أثّر - فيما بعد - في علاقاتها الخارجية ، وبدا ذلك واضحاً في ثلاث :[1]

أ) التَّحَمُّس : وهو نظام - في وثنيتها - تشددت في تطبيقه على نفسها فتميزت به على غيرها من العرب ، وترتب عليه اختصاصها بأوضاع في نُسُكِها : حَجاً وغيره ، وقد أثّر هذا النظام في علاقاتها الخارجية باشتراطها ألا تُنْكِحَ بناتها لعربي - في غير قريش - إلا أن يرتضي - عن طيب خاطر - أن يكون ولده من زوجته أَحْمَسِياً ، ولذلك عرف أن « أحماس العرب أمهاتهم من قريش » ومن هنا انتشر التحمس في : كنانة وجَدِيلةِ قيسٍ ، وهم : فَهْمُ وعَدْوان ، وبنو عامر بن صعصعة ، مع أنهم - أصلاً - ليسوا من قريش[2] ، وتبتعد مواطنهم عن أرضها .

ب) السقاية : فقد أوجبت قريش - على نفسها - أن تقوم بتوفير أكبر قسط من الراحة للحجيج ، فأنشأت - قبل حفر زمزم - حياضاً من الأدم[3] وضعتها في فناء الكعبة ، وكانت تَنقُل إليها الماء العذب والتمر والزبيب .

جـ) الرفادة ، وكانت طعاماً تعده قريش للحجيج معتقدين أن الحاج ضيف الله ، فهم أحق بإكرامه .

وما من شك في أن أثر هذه النظم في غير قريش كان حميداً إلى مدى بعيد ، وجعل لقريش شرفاً كانت العرب تلتمسه ، في كل آن وبخاصة في الحج .

كذلك نقصر الحديث على أهم نظم ثلاثة عامة خارجية منتشرة بين القبائل جميعا ، تعترف بها العرب - فيما بينها - حقاً مقدساً لهم ، تلك هي :
الحِلْف ، والجِوار ، والإيلاف .

---

(١) اقتصرنا على ثلاث ، رغبة في الاختصار بما يناسب المقال .
(٢) راجع لسان العرب مادة ح م س ومجلة الأزهر المجلد ٥٦ ص ١٩٩٠
(٣) الجِلْد .

في قيود تلك النظم وغيرها من داخلية وخارجية جاهد ـ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعانى ، وإنها لترينا إلى أي مدى كانت تكبل الدعوة وكم استدعت من جهد ليشق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ طريقه بينها ، ثم يستعلي بها على خير وجه كريم ينتفع به ـ فيما بعد ـ أتباعه عليه الصلاة والسلام .

★★ ★★

الحلْف :

وهو عهد يكون بين قبيلة وأخرى ، أو قبيلة تفرعت عن قبيلة[٤] ، أو فرد وآخر ـ توافرت فيه الكفاءة بين الطرفين .

قال الليث :

حَالفَ فلان فلاناً فهو حليفه ، وبينهما حِلْف ، لأنهما تحالفا بالأَيْمَان أن يكون أمرُهما واحداً بالوفاء .

وقال ابن الأثير :

أصل الحِلف : المعاقدة والمعاهدة على التناصر والتساعد والاتفاق كانوا يتعاهدون ويتعاقدون على النُّصْرَة والإعانة ، وأن يأخذ كل واحد منهم بالآخر[٥] .

فيحلفون لذلك ويتعاقدون أي يؤكدون الأَيْمان مستوثقين، يقسمون في ذلك بالله ، وبأوثانهم ، وبشتى ما يقدسون ، قال الجاهلي :

حـلفتُ بالمـلْـح والرمــاد وبالـــ ـنــار وبـــالله نُسْـلِمُ الْحَلقــةْ
حتـى يَـظَـلَّ الجَـوَادُ مُنْـعَفِــراً وَيَخْضِــبَ النَّبْــلُ غُـرَّةَ الدَّرَقَــةْ[٦]

وقال :

حــلفْتُ لهُمْ بـالْمِـلْـحِ والْجَمْـعُ شُهَّـدٌ
وبالنَّــارِ واللاَّتِ التي هي أَعْظَــمُ

وربما دَنَوْا من النار وهم يَحلفون حتى تكاد تَحمِشُهم أو تكاد تحرقهم ويهولون بها على من يستخف بحقوقها[٧] .

★★ ★★

←

(٤) كما حدث للأوس والخزرج ، وهما بنو أب واحد هو : حارثة بن ثعلبة بن عمرو ، فقد صارت كل منهما قبيلة وتوافرت لكلٍّ خصائصُها .

(٥) انظر مادة (ح ل ف) في كل من « لسان العرب » ، و« النهاية » لابن الأثير .

(٦) يقسم ألا يسلم للأعداء حلقة القوم أي جماعتهم حتى يقتل جواده ويَكسِرَ نَبْلُ العدو تُرْسَه ، يريد ـ والله أعلم ـ حتى يَفْنَوْا .

(٧) راجع د / علي أحمد الخطيب ـ وثنية العرب وأثرها في الأدب الجاهلي ٢/ ٢٢٠ .

قبل الهجرة

ويتم الحلف ويسري مفعوله على « تناصر مطلق » وتعاون تام بين الحليفين فيتعاضدون ولو على عُدوان .

أو يتحالفون على « تناصر في الحق ونصر المظلوم وصلة الأرحام » وندر ما كان كذلك - في الجاهلية كـ « حلف المُطَيَّبين » .

فأما الأول فما كان أكثرَ وقوعه حتى إنه حَدث داخل بطون قريش كلها - عدا بني هاشم وبني المطلب - ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم - وشذ من ولد عبد المطلب أبو لهب - لعنه الله - فانضم إلى قريش ، وكانت المقاطعة الاجتماعية والاقتصادية التي ألجأت المسلمين وبني هاشم والمطلب إلى الشِّعْب ، وقد حرصت قريش يومئذ على تدوينها كتابة . فكان من نصوصها :

ألا يكلموا بني هاشم ولا يُجالسوهم ولا يُناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يُسْلِموا رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وتمادَوْا على العمل بما فيها ثلاث سنين[8] .

وكان تنفيذ هذا الحلف وراء أَمْرِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإذْنِه للمؤمنين جميعاً - من غير بني هاشم والمطلب - بالهجرة الثانية إلى الحبشة ، فقد كان هذا الحلف - يعني فصله - عليه الصلاة والسلام - عنهم ، أو ما يشبه الفصل فيقع هؤلاء المؤمنون لقمة سائغة بيد كفار مكة ، فيتفرغون لتصفيتهم ، فكان أذنه - صلى الله عليه وسلم - لهم بالهجرة حيث المَلِكُ الصالح والعبد الصالح النجاشي ملك الحبشة رضي الله عنه .

وفاتت - بذلك - على كفار مكة فرصة التخلص من هؤلاء المؤمنين أو فتنتهم عن دينهم . فكان نصر الله - سبحانه - لرسوله - عليه الصلاة والسلام . وقريش تظن أنها في أوج انتصارها بعزل هؤلاء عن هؤلاء .

لقد وَقَّعَتْ - في الحقيقة - صك فشلها ، فإن هذه الهجرة بالذات كانت أولى العلامات في طريق عالمية الدعوة ، ودخولها مجالاً سياسياً دولياً يتولى الدفاع عنها ، ويعلم المتابع - لهذه الهجرة - محاولةَ قريش واستماتتها في استرداد المهاجرين ، ثم بَوْءَ محاولاتها بالفشل .

---

(٨) راجع للإمام يوسف بن عبد البر النمري - الدرر في اختصار المغازي والسير ص ٥٥ ، ٥٦ . نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط . دار التحرير .

وهذه حقيقة تاريخية مستمرة لا تتخلف أبدا .
لكن القوة غاشمة والغباء شامل .

وإذا كان هذا الحلف لوناً من « التناصر المطلق » فإن التاريخ يسجل لعَمارات من قريش [9] ـ في عهدها الجاهلي ـ حلفاً إنسانياً كريما هو حلف « المطيبين » مضمونه التناصر على الحق ونصر المظلوم وصلة الأرحام » [10] .

وعهود رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جميعاً من هذا اللون ، وورد ـ في الإسلام ـ النهي عن الأول ، قال ابن الأثير :

« فما كان منه في الجاهلية على الفتن والقتال بين القبائل والغارات (وهو الأول) فذلك الذي ورد النهى عنه في الإسلام بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا حلف في الإسلام [11] .

وما كان منه ـ في الجاهلية ـ على نصر المظلوم وصلة الأرحام كحلف المطيبين وما جرى مجراه ، فذلك الذي قال فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : لم يزده الإسلام إلا شدة » [12] .

ووقع الحلف بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والأنصار ـ وكانوا نيفاً وسبعين ـ في العقبة الأخيرة ـ على نصرة الحق وأهله .

قالت الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ لنفسك ولربك ما أحببت ! فقال عليه الصلاة والسلام :

« أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً .
ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم ..الخ » [13]
ونصوصه صريحة في وجوب حماية الإسلام والمسلمين داخل المدينة .

والدارس للسيرة النبوية ـ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ـ في ضوء هذه العهود يعلم أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يسمح لمسلمي مكة بالهجرة إلى المدينة إلا بعد

←

(٩) القبيلة والعشيرة بمعنىً ، فَهُمْ بَنُو اب واحد وتنقسم ـ في داخلها ـ إلى العَمارة ـ بفتح العين وكسرها ـ ثم البطن ثم الفخذ . راجع اللسان .
(١٠) انظر بمراجع السيرة الشريفة حلف الفضول ، وانظر المادة باللسان .
(١١) رواه البخاري ومسلم .
(١٢) انظر اللسان . والحديث في أبي داود ـ فرائض ، والترمذي ، والدارمي في السير ، ورواه الإمام أحمد ٢٠٧/٢ ، ٨٣/٤ الميمنية .
(١٣) الخضرى ـ نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص ١٠٥ ط ٥ مطبعة الآداب ١٣٢٨ .

وقوع هذا الحلف الذي نص ـ صراحة ـ على حمايتهم ، فإذا أضفنا إلى ذلك ما فعله ـ عليه الصلاة والسلام ـ بشأن هجرة المؤمنين إلى الحبشة ـ علمنا كم كان اهتمامه ، عليه الصلاة والسلام ـ بسلامة المؤمنين ، وإنقاذهم من براثن العذاب ، وتأمين سلامتهم من بعد .
وصدق الله العظيم ـ إذ يقول عنه :
« بالمؤمنين رءوف رحيم » [١٤]

ووقعت عهود كثيرة بينه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبين غير المؤمنين كان « التناصر على الحق » مبناها لحمة وسدى [١٥]

★★ ★★

ونحن ـ بصدد دراسة الحلف في العهد الجاهلي ـ بشطريه : الجماعي والفردي . نعطي أمثلة سريعة عنه تتضح بها الدراسة وتلقى ضوءاً على لون من التكتلات عمت ظلماتها هذه الجزيرة :

تحالفت قبيلتا : أسد وغطفان ، وأسد وطيء ، وأسد وفزازة .[١٦]

وفي هذه السياسة من « أسد » ما يوضح ما تبغي من قوة . وما تريده من ربط أكثر من قبيلة في عجلة سياستها لفرض سلطانها .

ولقد صارت « ثقيف » فرقتين بهذه الأحلاف ، فقد تضامت عماراتها جميعا عدا ـ بني مالك ـ في حلف وسَمَّوا : "الأحلاف".

وحدث ذلك في قريش نفسها ، فكان الأحلاف منها : عبد الدار وسهم ومخزوم وعديّ بن كَعْب ، وجُمَح[١٧]

---

(١٤) التوبة ـ الآية قبل الأخيرة .
(١٥) راجع الدكتور محمد حميد الله ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص ٢٩ وما بعدها . دار الارشاد للطباعة والنشر ـ بيروت ط ٣ ـ ١٣٨٩ ـ ونور اليقين ص ١٤١ .
(١٦) ، (١٧) انظر اللسان مادة الحلف .

ولكثرة تعداد كل عمارة منها أطلق بعض المؤرخين عليها لفظ « القبائل » فقال : (والأحلاف - في قريش - خمس قبائل) مع أنهم جميعاً من « فهر » الذي هو قريش[١٨] .

ولما اختلفت كلمةُ وَلَدَيْ حارثة بن ثعلبة بن عمرو : الأوس والخزرج ، ووقعت بينهما الحروب حتى تفانى رؤساؤهم حالف الأوسُ يهودَ بنى قريظة ، وحالف الخزرج يهود بني النضير وبني قينقاع ، وكانت فرصة لليهود تاجروا فيها بالسلاح بيعاً لكلا الفريقين ، وسعى الأوسُ لإقامة حلف بينهم وبين قريش ليقوم شيء من التعادل مقابل الخزرج الذين حالفوا فرقتين ، وارسلوا من أجل ذلك : إياس بن معاذ وابا الحيسر انس بن رافع مع وفد يلتمس ذلك الحلف من قريش فلم يتم لهم[١٩] .

ولنترك هذه الأحلاف الجماعية لنلم باللون الفردي وهو قائم بدوره على «التناصر» أيضا - فنجد من امثلته :

تحالف العباس بن عبد المطلب - رضى الله عنه - قبل إسلامه مع عتبة بن جحدم أحد بني الحارث بن فهر [٢٠] .

وحلف حمزة أخيه - رضى الله عنه - قبل إسلامه أيضا مع ابي مرثد الغنوى وابنه : مرثد بن ابي مرثد [٢١]

وحلف الأخنس بن شريق بن عمرو الثقفي مع بني زهرة [٢٢] .

وحلف نُفَيل بن عبد العزي - جد عمر بن الخطاب رضى الله عنه - مع عبد ياليل بن ناشب الليثي الكناني .

وحلف الخطاب ولده مع خَوْلَى بن ابي خولى الجعفي ، وحلفه أيضا - أي الخطاب بن نفيل - مع عامر بن ربيعة بن كعب[٢٣] .

←

---

(١٨) د /علي احمد الخطيب - عمر بن الخطاب : حياته ، علمه ، أدبه ص (١٨) عالم الكتب - بيروت ط ١ ـ ١٤٠٦ .

(١٩) نور اليقين ص ١٠٠ ، وانظر اللسان مادة حلف ، والدرر ص ٧٠ .

(٢٠) مسند احمد ١/٣٥٢ الحديث رقم ٣٣١٠ .

(٢١) انظر الدرر ص ٨٤ .

(٢٢) ابن هشام - السيرة النبوية - قسم أول ص ٣١٥ تحقيق مصطفى السقا ط ٢ / ١٣٧٥ .

(٢٣) عمر بن الخطاب : حياته علمه أدبه ص ٢٠ .

والامثلة ـ على اي النوعين ـ كثيرة مبثوثة في التاريخ والادب تريك لوناً من السعى على التناصر في مجتمع لا يامن بعضه بعضاً .. هذا إلى ما فيها من استجماع القوة للغارة على الضعيف قبيلة او فرداً ، فكانت تمثل ضرباً من القهر ينوء به الضعفاء .

★★ ★★

ويعترى الحلف ـ لأمر ما ـ ما يفسده ، فيدعو طرفاه أو أحدهما إلى نقضه ، هذا النقض الذي يسمونه : « خُلْعا » .

وفي اللسان : « تخالع القوم ، نقضوا الحلف والعهد بينهم » . وخذ ما شئت ـ بعدها ـ من خصومة فقتال .

قال ابن الأثير :

فإذا أرادوا ان يتبرءوا من إنسان قد حالفوه أظهروا ذلك للناس ، وسَمَّوْا ذلك الفعل .. « خلعاً » والمتبرا منه خليعاً [٢٤][٢٥] .

وليس بعيداً أن يكون وراء الخلع شيء من قواعد الحلف ففي « السيرة الحلبية » :

« من قاعدتهم ان الأصيل لا يقتل بالحليف » وهى قاعدة تجعل الظلم ظلمات .

يتبع



---

(٢٤) راجع المادة باللسان .

(٢٥) ينبغي الفصل هنا بين « الخليع » بسبب نقض العهد ، وهو الذي معنا ـ في الدراسة و « خليع » آخر بسبب جناية يرتكبها فتخلعه القبيلة وتطرده من بين صفوفها ، جاء في اللسان . والخليع : الرجل يجنى الجنايات يؤخذ بها أولياؤه فيتبرءون منه ومن جناياته ، ويقولون : إنا خلعنا فلاناً فلا نأخذ احداً بجناية تُجْنَى عليه ، ولا نؤاخذ بجنايته التي يجنيها . اهـ . وفي صحيح البخاري ـ باب الديات ـ من هذا القبيل قوله : « وقد كانت هذيل خلعوا خليعاً لهم في الجاهلية » .

قال ابن حجر : خلعه قومه ، أي حكموا بأنه مفسد فتبرءوا منه ، قال : ولم يكن ذلك في الجاهلية يختص بالحليف ، بل كانوا ربما خلعوا الواحد من القبيلة ولو كان من صميمها إذا صدرت منه جناية تقتضي ذلك ، انظر فتح الباري !

مع فضيلة الإمام الأكبر

الهجرة كانت تجاوزا للعوامل القهر

إلى المسلمين في عيد الأضحى المبارك

بيان من الأزهر الشريف





الهجرة

كانت تجاوزًا لعوامل القهر

وتحولاً إلى مواقع النصر

هاهم سادة مكة قد ضاقت صدورهم ، واحتبست انفاسهم ، وهم يطالعون كل يوم الجديد والعديد ممن دخلوا فى الإسلام من اهل مكة وممن حولها من وفود الحج .

وها هى اخبار هذا النبى محمد - ﷺ - وبعثته داعياً إلى الله على بصيرة من وحيه ، قد ذاعت وشاعت بالرغم مما بذله هؤلاء السادة اعداء النبى من جهد لطمس معالمها ، وإطفاء نورها ، والصد عنها بالوعد والوعيد .

وها هو الرسول ﷺ - مثابر على إبلاغ رسالته ، باذل نفسه وكل جهده للتعريف بدين الله ، تال ما اوحاه إليه ربه فى كل مجتمع وناد .

وحين أعرض أولئك السادة ومن تبعهم عن الاستجابة لدعوة الإسلام وصدوا عنها فى مكة كان الله قد شرح صدور قوم آخرين فى يثرب ، فآمنوا برسالة محمد ﷺ وأسلموا لله رب العالمين ، وكثر عددهم وتعاهدوا على حماية الدعوة الإسلامية والتمكين لها ، ولما تهيأت أرض النصر ، كانت الهجرة تجاوزاً لعوامل القهر التى تعرضت لها الدعوة إلى مواقع النصر التى أذن الله أن تكون لها مقراً ومنهاً منطلقاً ، وبداية لعهد استقرت فيه القيم الإسلامية العليا ، وانتصرت فيه كلمة الله .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

« كان النبى ﷺ بمكة فأمر بالهجرة إلى المدينة ، وأنزل الله عليه : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً ﴾ .

فكان هذا إيذاناً بالهجرة ، وكانت المدينة هى المدخل الصدق لرسول الله ﷺ ولدعوته ، فقد أيده الله فيها بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، وجعلهم أمناء على وحيه الكريم يبلغونه للناس ، فكانوا الأوفياء الأمناء .

لقد فتح بالهجرة باب الأمل والعمل ..



لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق "شيخ الأزهر"

الأمل فى أن يسود الإسلام دنيا الناس كافة ، باعتباره الدين الخاتم ، الظاهر على الأديان التى سبقته المصحح لسيرها حتى تلتقى جميعاً على توحيد الله وتحتكم إلى شريعته ذلك قول الله فى القرآن :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ وقوله عز من قائل : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ .

فرسالة الإسلام تقرر المساواة بين الناس جميعاً لأنها موجهة إليهم ، وتقرر العدل وتقيمه . والأمل فى إقامة مجتمع يدين بالإسلام ، ينتظم جميع الأجناس والأقوام على اختلاف ألوانهم وألسنتهم ، ينسق بين شعوب البشرية ويحفظ خصائصها النقية ويعقد الإخاء بينها ، مترابطة بروابط المودة وأواصر الرحم والقرابة ، ووحدة الغاية وسمو الأهداف ، وقد كانت هذه الآمال حقيقة ظاهرة فى مجتمع الهجرة فى المدينة ، فقد ألف الإسلام بين قلوب المسلمين فى المدينة كما قال الله سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وقد ابتدأ عمل الرسول ﷺ لإيجاد هذا المجتمع المتساند المتعاطف بوضع روابط تربط إخاء الأمة الإسلامية الناشئة ، بحيث تكون وحدة تحتوى العناصر المختلفة الأنساب والأوطان ، ويصير مجتمعاً مؤتلفا فى شعوره ، تنمحى فيه الفوارق وتنجاب مسببات الفرقة ، فكانت المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرة ، كما كانت بين كل صنف منهم فانعقدت الألفة وتكاملت الوحدة وارتبطت القلوب المؤمنة بالمودة وبالإيثار ، بدلاً من الأثرة ، فلم يكن هذا التآلف قلبياً فحسب ، بل شمل جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحربية ، حيث وضعت الهجرة أسس إقامة المجتمع الجديد الرشيد .

وكانت الهجرة باب العمل الدءوب المثمر لنشر الدعوة الإسلامية واتساع آفاقها وتأصيل قواعد الإدارة والسياسة والتشريع والقضاء على هدى وبصيرة من قواعد الإسلام وآدابه وعدله ، وأقيمت الصلاة وفرضت الزكاة والصوم والحج وتحدد الحلال والحرام ، وحراسة المجتمع من العاديات وانعقدت له سماته المميزة له عما سواه ، فكانت لهذا المجتمع عاداته وأعرافه التى تميزه ، كما فرضت له عباداته وشعائره وشعاراته التى يستقل بها ، ولم يعد فيه مكان لظلم أو لظالم ، حيث كان الجميع يتسابقون إلى السماحة والتسامح وقضاء الحقوق ، فكان قضاء الرسول ﷺ بينهم إذا ترافعوا ←

إليه فى أمر من أمورهم أشبه بالفتوى ، يلتزم بها من ظهر أن الحق لديه ، يؤديه إلى مستحقيه دون مطل أو لحن فى القول ، تضيع به الحقوق أو تتأخر .

نعم ؛ أسست الهجرة مجتمعاً اعتصم بأحكام الإسلام ، وتحلى بأخلاق القرآن ، ورعى أواصر الإخاء والوحدة بين المؤمنين والعدل والمساواة بين الناس أجمعين ، كانت هجرة إلى السمو الإنسانى وإلى الحضارة التى تبنى الإنسان عميق الصلة بربه ، صادق الأخوة مع بنى البشر جميعاً .

فما أحوج المسلمين اليوم ـ وقد أظلتهم هذه الذكرى ـ إلى أن يستمعوا إلى آثار هذا الحدث الخطير فى حياة أمتهم وينصتوا إلى قول الرسول ﷺ فى الحديث الذى رواه عنه عبد الله بن عمرو بن العاص : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .

فكف الأذى عن الناس .. أذى اللسان واليد ، وهجر المنهيات أى المحرمات نزولاً على حكم الله من أخلاق الإسلام ، وما أحوج أمة الإسلام ـ شعوباً وحكاماً وحكومات ـ اليوم إلى الهجرة إلى الله بالعمل فيهجروا ما نهى الله عنه من الخلاف والفرقة والشقاق .﴿ وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ وأن يعودوا إلى أواصر الإسلام ودعائمه التى عليها قام مجتمع الهجرة من التراحم والتواصل والإخاء الوثيق والتعاون على البر والتقوى ، إذ أن هذا كله من عهدة الإيمان الذى التزم به المسلمون ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ .

لم تعد الهجرة المكانية من فروض الدين ، وإنما صارت الهجرة المستمرة هى هجرة المحرمات والبعد عن المنكرات والمفسدات كما وجهنا الرسول ﷺ فى قوله : « والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » إذ مؤدى هذه القاعدة الشرعية أن ثواب الهجرة يكون لمن أعرض بقلبه وجوارحه عن كل ما نهى الله عنه من الآثام الظاهرة والباطنة .

ولعل من أهم صور هذه الهجرة فى عصرنا مما ينبغى هجره والدعوة إلى نبذه ، والحذر منه هذه المشاكلة والتشبه بأمم أخرى تختلف عنا فى الدين والعادات والأعراف ، ففى الإقدام على هذا تذويب لشخصية الأمة المسلمة ، ولا يقال إنها فى أمور ظاهرية ، لأن الخطورة تكمن فى الظواهر التى تجر ـ حتما ـ إلى مشابهة ومشاكلة فى أمور كثيرة تصرف عن حقائق الإسلام إلى أباطيل خصومه وفى هذا التقليد إضعاف لشخص المسلم وإزهاق لميزاته ومميزاته .

فمن الهجرة المطلوبة الآن : أن نهجر تقاليد غيرنا فيما ينافى المروءة والغيرة على حرمات الله ، وفيما يحض على الخروج على أوامر الله .

ولنأخذ من الهجرة الصدق مع الله ومع رسول الله ، ولنكن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ولنحذر من يدعون إلى الانفلات من القيم والمبادىء القيمة التى جاء بها القرآن وجرت بها سنة رسول الله ﷺ فإنه لاصلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

فانبذوا الشقاق فقد انهك الأمة وجعلها نهباً لأعدائها ، وخذوا حذركم مما يراد بكم ومما يوجه إليكم من دسائس ووساوس فرقت جمعكم وأوقعت الحروب بينكم ولن ينجيكم إلا الاعتصام بالإسلام . ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾ .

لا يدخل اليأس إلى القلوب ولتكن منكم فئة داعية إلى رأب الصدع وجمع الكلمة حتى تتغلب على الأهواء وترتفع فوق هذه المصاعب والمتاعب التى جرتها الفتنة القائمة والحروب المستعرة فى الشرق والغرب بين المسلمين .

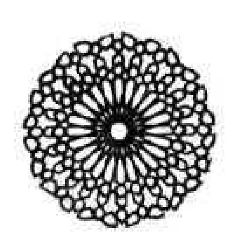
لا يكن امركم عليكم غمة فلن تحل قضاياكم إلا على أرضكم وبجهدكم ، فاسمعوا وأطيعوا أوامر الله وأقدموا على هذه النيران وحاصروها واخمدوها قبل أن تأتى على الأخضر واليابس .

فى ذكرى الهجرة الشريفة أهنىء المسلمين جميعاً .. وتهنئة خاصة خالصة بالعام الجديد .. إلى أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء المسلمين فى كافة أقطارهم . وأدعوهم باسم الأزهر أن يتجاوزوا عن كل ما وقع وأن يسارعوا إلى رأب الصدع لتقوم الوحدة وإلى وقف الحرب بين إيران والعراق وغيرها من الحروب بين المسلمين ، وأن يؤيدوا ويمدوا يد العون للمعتدى عليهم من شعوب الإسلام فى أفغانستان وفلسطين ولبنان وتشاد .

وباسم الأزهر الشريف : طلابه وعلماءه أدعو علماء المسلمين فى كل اقطار الأرض أن ينصحوا وأن يفصحوا عن كلمة الله وأن يجهروا بها وأن يعملوا على وحدة الصف فالإسلام واحد وإن انتحل الناس المذاهب لأنها فى جملتها مذاهب فقه واجتهاد ، لا مذاهب جدل وعناد ، ولا تثيروا ما اندثر من قضايا الفكر ، فكفى ما ترتب عليها فيما مضى فلا تذكوا النيران بإلقاء المواد القابلة للاشتعال . ﴿ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ .

ومرة أخرى أوجه النداء ، ونحن فى مستهل الشهر الحرام ، شهر المحرم .. إلى المتحاربين من المسلمين لاسيما إيران والعراق أن ألقوا السلاح واحقنوا الدماء .. وانزلوا عند حكم الحكماء ، فإن التحكيم عند الاختلاف شرع الله الذى نؤمن به جميعاً .

أسأل الله أن يجعل هلال شهر المحرم بشيراً بالسلام والوئام بين بنى الإسلام .



إلى المسلمين في عيد الأضحى المبارك

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله
وبعد ..
فإن عيد الأضحى أحد عيدين شرعهما الله على لسان رسوله محمد ﷺ على ما رواه أبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (أمرْتُ بيومِ الأضحى عيداً جعله الله لهذه الأمة) ..

والأعياد في حياة الأمم رمز لأحداث مجيدة ، تعيد إلى الأذهان مناسبات جليلة القدر عظيمة الأجر ..

واهتمام الأمة بعيدها واحتفاؤها به هو بمثابة التعبير عن سرورها وتقديرها للمناسبة التي من أجلها اتخذ هذا اليوم عيداً ..

وتنفرد الأعياد في الإسلام بأنها ليست من اختيار الناس ولكنها تشريع من الله سبحانه تتويجاً لعبادة فرضها الله ، ورمزاً لمكافأة ربانية ، وابتهاجاً بأداء طاعة تتجدد كل عام . تراب صدع النفوس ، وتحيي مواتها ، وتضعها على طريق الله المستقيم .

ثم هي في معالمها ومراسمها تربط الأمة بماضيها العزيز الكريم ، وأصلة الفروع بالأصول ، مذكرة بمثل من إيمان راسخ لسلفنا الصالح .

إن الأعياد الإسلامية ليست محل عبث وإفساد ، بل باعث على الخير والرشاد ، تحفز إلى التآلف والتعاطف والتعاون على البر والتقوى ، في مسرة دون مضرة ، فلا يمتنع أو يحرم فيها اللهو البريء من العبث بحرمات الله وحقوق الناس ، كما لا يمتنع فيها اللعب النافع المفيد .

وعيد الأضحى يوم اختصه الله بسمات من البر والإحسان ، وصلة الفقراء وذوي الحاجات من الأهل والأقربين والجيران ، ففي الحديث الشريف الذي أخرجه أصحاب

لصاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق "شيخ الأزهر"

السنن وصححه الترمذى:(يوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام وهى أيام أكل وشرب) ..

ومن ثم ينبغى أن تصفو النفوس ، وينتشر البشر والتسامح والتقارب ..

ولقد شرع الله لنا فى هذا اليوم سنة الأضحية سمة من سمات البر والتكافل بين أفراد المجتمع ، ووسيلة إلى التهادى بين الأقارب والجيران . تغيض بها الأحقاد ، وتفيض القلوب بشراً ومودة ، والأضحية فى يومنا هذا سنة مؤكدة على كل قادر عن نفسه ، وعمن يعولهم ، ومن الأئمة من رآها واجبة على المستطيع وبقدر أستطاعته ومن تطوع خيراً فهو خير له .

وتمتد أيام الأضحى إلى اليوم الرابع لهذا العيد السعيد .. هذا العيد يأتى فى أيام مباركة ، أتم الله فيها الدين حيث نزل قول الله سبحانه : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .. إذ قد كملت فى هذا اليوم شعائر الحج ومناسكه ولذكر الله اكبر ..

فهلا تذاكرنا معانى هذه الشعائر ومبانيها ، وتعلمنا من شعيرة الأضحية التضحية بالأهواء والأغواء واستعدنا الصفاء والنقاء للأمة الإسلامية ، تلك الأمة التى أعزها الله بالإسلام ، وأقام بنيانها على الطهر والعدل والتقوى ، فأرست قواعد الحرية الزكية وأسس المساواة السوية ، وزمام الأمن الذى ينعم الناس فى ظله بكوامن الأمل وبثمرات العمل .

هلا تذاكرنا أننا قد أظلتنا الأشهر الحرم ، فأوقفنا الظلم وبددنا هذه الظلمات التى تحيط بنا ، وحررنا أنفسنا من الظلم والظلمات :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ ..

ومع هذا النهى عن الظلم والتظالم قتل المسلم أخاه ، واشتعلت الحروب واشتدت الكروب فى محيط الأمة ، لا دفاعاً عن الدين ، ولا طلباً لإصلاح ، وإنما بغياً وعدوانا واستعلاء فى الأرض وعوناً على نشر أفكار وعادات تتنافى مع حقائق الإسلام واصوله وفروعه .

ها هو العناد يستبد بطائفة من الأمة فأعرضت عن كل نصح إحياء لعصبية عرقية ، واذكاء للخلافات المذهبية ، فامتد النزاع والخصام وشاع واحتدم التمزق والفرقة ، مع أن الإسلام هو نسبنا وهو حسبنا .

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ ..

←

فيوقفوا هذه الخلافات والحروب التى اشتدت وامتدت ، وكلما خبت زادها المفسدون فى الأرض اشتعالاً حتى أحرقت الأخضر واليابس وأكلت البشر والوبر ..

هلا نذكر اليوم ما كان بالأمس على عرفات من اجتماع المسلمين من كل لون ولغة يبتهلون إلى الله تلبية وتضرعاً وخشية ، لم يعرف أحد

منهم وهو فى هذا الموقف إلا أنه مسلم ينتسب إلى أمة الإسلام وليس إلى أرض ولا إلى ملك أو مذهب ألا ما أحوج المسلمين اليوم إلى أن يتذاكروا أن أحداثاً تتناوشهم من كل جانب وأن قضاياهم تفصل فيها أمم أخرى ..

ألا ما أحوج المسلمين فى كل مكان أن يذكروا اليوم هذه المآسى التى تحيط بهم وأن يأخذوا على أيدى العابثين بمصائر الأمة :

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ ..

لقد انعقد مؤتمر المسلمين العام أمس ،على عرفات .. بدعوة من الله العلى الأعلى ، وتجاور الفرقاء والغرباء ، فهل يذكر هؤلاء وأولئك هذا الموقف العظيم وهذا المؤتمر الكريم الذى كانوا فيه بدعوة من الرحمن الرحيم وعلى مائدة الكريم ذى الفضل العظيم فتتآثر به قلوبهم ، وتنير أفئدتهم ، فتطرد الشتات والفرقة وتنهى هذه الخلافات التى تتفجر دون سند ولا سبب مشروع .

باسم الأزهر الشريف

أهنىء أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء المسلمين بعيد الأضحى المبارك وأدعو الله سبحانه أن يوفقهم لجمع الكلمة وتوحيد الصفوف ووقف الحروب والخلافات ..

وأدعو علماء الأمة إلى أن يعملوا جاهدين على نبذ الخلافات المذهبية فإن مذاهب الإسلام كلها من رسول الله ﷺ ملتمس .

ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

وليذكر المسئولون جميعاً أن الآخرين قد وحدوا صفوفهم على باطل أمرهم يظاهر بعضهم بعضاً مع أنه لا توجد بينهم وشيجة المودة فى حين قد تفرقنا نحن المسلمين ، مع أن الله وصفنا بالأخوة فقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وحذرنا من الشقاق والنزاع فقال : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ ..

فى عيد الأضحى المبارك أهنىء المسلمين جميعاً فى أرجاء الأرض

وتهنئة خالصة خاصة إلى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ـ رئيس جمهورية مصر العربية ـ وأسأل الله أن يجرى على يديه ما نأمله من إصلاح وصلاح .. وللشعب المصرى أن يمنحه الله الهداية والاستقامة .

(جاد الحق على جاد الحق)
شيخ الأزهر

بيان من الأزهر الشريف

فى أحداث الحرم المكى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد

فقد تواترت الأنباء عن سقوط مئات من الحجاج في رحاب المسجد الحرام في أحداث عنف دموية أثارها الحجاج الإيرانيون الذين قاموا بمظاهرات سياسية في مكة واشتبكوا في معارك عنيفة مع جموع الحجاج ومع قوات الأمن السعودية . وقد أوضح البيان الرسمي السعودى أنه قد قتل في هذه الأحداث ٤٠٢ أشخاص وأصيب ٦٤٩ شخصا . وأسفرت الحوادث عدا هذا عن إحراق وتدمير عشرات السيارات وغير هذا من الممتلكات . وهذه الحوادث والاعتداءات والمظاهرات في هذه الأماكن الحرام قد حرمها الله سبحانه . ففي سورة المائدة قول الله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا .. ﴾

وقول الله سبحانه : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

وفى سورة العنكبوت قول الله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ .

وفى سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا .. ﴾ .

وغير هذا آيات كثيرة في القرآن الكريم حرمت القتل والقتال في الحرم ..

وقد نهى رسول الله ﷺ نهياً مؤكداً عن هذا حين فتح مكة حفظاً لحرمة البيت الحرام وشرف مكة وحرمتها . وأوضح أنها لم تحل له إلا ساعة من نهار حيث خطب فقال : « أيها

← بيان من الأزهر الشريف

الناس - إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض فهى حرام كحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة فلا يحل لامرىء يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر أن يسفك دماً أو يعضد شجرة (يقطعها) فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فقولوا له :

إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أحلت لى ساعة من زمان وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليعلم الشاهد فيكم الغائب » ..

أيها المسلمون في جميع بقاع الأرض : إن الأمر خطير وإن عدواناً أثيماً قد وقع على الحرم الشريف الذى جعله الله مثابة للناس وأمناً . وأن على المسئولين في الدول الإسلامية أن يقوموا بواجباتهم نحو حماية الحرم وأن يؤيدوا ويؤكدوا ذلك ويتخذوا الإجراءات المناسبة .

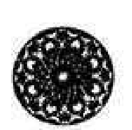
إن إيران قد كشفت عن سوء النية باستهانتها بالمقدسات الإسلامية عندما تثير الشغب والقتل والقتال فى أرض حرمها الله وجعلها حرماً آمناً ، فالأمر صار عداء للمسلمين جميعاً ولم تعد حرباً مع العراق ، فقد داست كل الحرمات والمقدسات . إنها فتنة موجهة إلى الأمة الإسلامية في أشرف بقاعها ، وفى موسم إسلامي يفد إليه الناس من كل بقاع الأرض فأخمدوا هذه الفتنة . ولا تأخذكم فى الله لومة لائم واعلموا أنكم مسئولون عن حماية حرمات الإسلام وحرمه ..

وعلى هؤلاء الذين أيدوا الثورة في إيران أن يراجعوا أنفسهم ، بعد أن كشفت بفعلتها المحرمة وبانتهاكها للمقدسات عن أنها غير ملتزمة بأوامر الله فى كتابه الكريم ، وأن الأزهر الشريف ليعلن رفض ما أحدثه الإيرانيون في مكة ويحمل حكومة إيران وقادتها عواقب انتهاكهم للحرم المكى وإثارتهم الشغب والقتل والقتال في مكة ، البلد الحرام فى شهر حرام وفي موسم الطاعة لأداء فريضة هى ركن من أركان الإسلام ويدعو المسلمين جميعاً شعوباً وحكومات إلى موقف حازم تجاه هذه الأحداث .

فاجمعوا أمركم فإن الأمر جد وإن الإسلام والمسلمين يتعرضون لمؤامرة تقودها هذه الفئة الباغية على حرمات الله ...

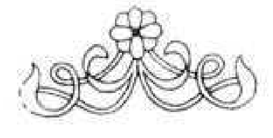
أيهـا المسلمـون :

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

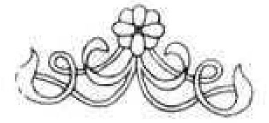


دراسات إسلامية

بالهجرة قامت دولة الإسلام



الترابط بين الأسرة والأمة



خطورة الصراع الديني في افريقيا



إن الله العلى القدير مذ عزل العبرانيين عن الوحى الإلهى وغضب عليهم واقصى عنهم النبوة أولى قيادة العالم جنساً جديداً قوامه أمة تقدس الحق وتصون آياته وترفع فى الأرض راياته تلك هى أمة الإسلام قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[1] .

فهم مُصْطَفَوْن من بين الأمم ، وهم الأمة المسئولة عن الميراث الدينى الخاتم الذى آل إليها ، فتبعاتها أمام الله جسيمة إزاء هذا الاختيار الأعلى وأمام الكتاب الضخم الذى اختتم الله به الوحى ووكل إليها درسه ونشره وكُلِّفَتْ أن تحيا به وتحيا له ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ الزخرف ـ ٤٤ .

ومن هنا تم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد الهجرة إليها . دعائم لابد منها لقيام دولة الإسلام التى تحتضن هذه الأمة الربانية فكان تحقيق الشئون الآتية :ـ

١ ـ صلة أفراد هذه الدولة بالله .

٢ ـ صلة أفراد هذه الدولة بعضهم بالبعض الآخر .

٣ ـ صلة أفرادها بالأجانب عنها ممن لا يدينون دينها .

٤ ـ إعلاء العصبية القبلية بين أفرادها عامة وبين قبيلتى الأوس والخزرج خاصة إلى أسمى صلة إنسانية .

٥ ـ تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة .

٦ ـ توجيه المسلمين إلى القتال للدفاع عن انفسهم أولاً ثم لإزاحة قوى الشر التى تمنع وصول دعوة الحق ـ دعوة الإسلام ـ إلى العالمين .

٧ ـ وضع أساس النظام الاقتصادى الذى يقوم عليه كيان الدولة الجديدة[2] .

---

(١) سورة فاطر اية ٣٢ .

(٢) انظر كتاب سيرة الرسول تأليف الدكتور محمد لطيب النجار تنشره مكتبة الجامعة الأزهرية .

للمستشار/ محمد عزت الطهطاوى

أولا : صلة أفراد هذه الدولة بالله :

وتحقيقا لهذا الأمر بادر رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ وصل إلى المدينة إلى بناء مسجده لتظهر فيه شعائر الإسلام وبخاصة الصلوات الخمس .. هذه الشعائر التى طالما حوربت من الكفار والمشركين وهى التى تربط المسلمين بربهم وتنقى القلوب من أدران الأرض ودسائس الحياة الدنيا وقد شارك عليه الصلاة والسلام أصحابه فى حمل الأحجار واللبنات على كواهلهم مما ضاعف من حماس المشتغلين بالبناء ، وقد تمت إقامة المسجد فى حدود البساطة فكان فراشه الرمال والحصباء وسقفه الجريد وأعمدته جذوع النخل(٣) .

هذا البناء المتواضع البالغ حد البساطة هو الذى ربى جيل المسلمين الأول فكانوا ملائكة البشر ومؤدبى الملوك والأباطرة والجبابرة وسادة الدنيا والآخرة مما يشير إلى أن مكانة المسجد فى المجتمع الإسلامى تجعله مصدر التوجيه الروحى والمادى .

وقد ارتبطت بفريضة الصلاة وصفوفها أخلاق وتقاليد هى لباب الإسلام ، ومع ذلك فلم تكن الصلاة وقفا على المسجد وحده فالأرض كلها مسجد والمسلم اينما أدركته الصلاة أقامها وأداها قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾(٤) .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ ﴾(٥) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل »(٦) .

فلا قيمة لحضارة تذهل عن الإله الواحد وتجهل اليوم الآخر ولا تذكر بالله رب العالمين .

ثانيا : صلة أفراد الدولة بعضهم بالبعض الآخر :

هذه الصلة أقامها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإخاء الكامل بين المهاجرين والأنصار سكان المدينة فذابت نعرات الجاهلية ولم تظهر إلا حمية الإسلام ، وترتب على ذلك أن سقطت فوارق النسب واللون ورقعة الميلاد فلا يتقدم أحد أو يتأخر إلا بتقواه ومروءته ، وكانت عواطف الإيثار ←

(٣) كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب تأليف شهاب الدين أحمد النويرى ـ السفر السادس عشر .

(٤) سورة العنكبوت آية ٤٥ .

(٥) سورة التوبة آية ١٨ .

(٦) من حديث رواه الإمام البخارى باب التيمم الجزء الأول .

والمواساة والمؤانسة تمتزج فى هذه الأخوة وتملأ مجتمع المدينة بأروع الأمثال وكيف لا ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأخ الأكبر لهذه الجماعة والقدوة الفذة لها .

قال تعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٧) .

وقد ظلت عقود الإخاء مقدمة على حقوق القرابة فى توارث التركات إلى موقعة بدر حتى نزل قول الله تعالى : ﴿ وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٨) ، فألغى التوارث بعقد الأخوة ورجع إلى ذوى الأرحام(٩) .

ثالثا : صلة أمة الإسلام بالأجانب عنها ممن لا يدينون بدينها :

وفى معالجة هذه الصلة سن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمره تعالى قوانين السماح والتجاوز اللذين لم يُعْهَدَا فى هذا الزمان فى عالم ملىء بالتعصب والتغالى فلم يقرر الإسلام سياسة الإبعاد والنفى والمصادرة .

فمثلا اشتملت معاهدته صلى الله عليه وسلم مع اليهود على :-

١ - أن حرية الدين مكفولة .

٢ - وأن اليهود يتفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين فلا يوالون أحدا من مشركى مكة ولا يسدون العون لهم .

٣ - اتفاق المسلمين واليهود على نصرة المظلوم وحماية الجار ورعاية الحقوق الخاصة والعامة .

٤ - اشتراك الفريقين فى الدفاع عن المدينة إذا هاجمها عدو .

٥ - قررت حرية الخروج من المدينة لمن يريد تركها ، والقعود فيها لمن يحفظ حرمتها (١٠) .

رابعا : إعلاء العصبية القبلية بين قبيلتى الأنصار فى المدينة وكذلك بين جميع المسلمين :

فلقد كان منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إعلاء تلك العصبية هو تهذيبها وتوجيهها إلى الناحية الصالحة المستقيمة فحول ذلك التيار القومى الذى كان يغذيها فى الجاهلية إلى غاية سامية هى نصرة الحق ولو حارب المرء فى هذا السبيل أهله وبنيه فصارت عزة إسلامية وأخوة دينية وأصبح التنافس القبلى البغيض تنافسا رشيدا يسعى إلى التعمير لا إلى التدمير ويهدف إلى الإنشاء والبناء لا إلى الهدم والإفناء وصار التسابق بين افراد القبيلتين وكذلك بين جميع المسلمين تسابقا فى سبيل الله لإعلاء كلمة الحق ورفع راية الإسلام .

(٧) سورة الأنفال آية ٦٣ .
(٨) سورة الأنفال آية ٧٥ .
(٩) كتاب فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى .
(١٠) المرجع السابق .

خامسا : تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام فى مكة :

لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان يتوجه فى صلاته هو والمسلمون إلى بيت المقدس واستمر على ذلك ستة عشر شهراً ، لكنه كان يتوق إلى التوجه إلى بيت الله الحرام بمكة لأن البيت الحرام أو الكعبة كانت اقدم القبلتين فهى قبلة أبى الأنبياء إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ومفخرة العرب حيث كانت مثابة للناس وأمنا ومزاراً ومطافاً قال الله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾(١١) .

وبتحويل القبلة إلى بيت الله الحرام برزت الشخصية المستقلة لأمة الإسلام بعيداً عن اليهودية وما انبثقت عنها من نصرانية وبات واضحاً اتصال المسلمين بدين أبيهم إبراهيم فإسماعيل عليهما الصلاة والسلام فساعد ذلك على تأليف القلوب نحو الإسلام رويداً رويداً حتى أشرقت به جزيرة العرب ثم نفذ ضياؤه بعد ذلك إلى سائر الأرجاء العالمية تحقيقاً لعالميته فى دنيا الناس .

سادسا : توجيه المسلمين إلى القتال :

بعد أن وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أساس المجتمع الجديد لأمة الإسلام كما بينا أنفا رأى ضرورة إحاطة ذلك الأساس بما يقويه ويدعمه ويمنع عنه العوادى وأذى المتربصين من الأعداء والحاقدين وقد تجلى ذلك فى :ـ

١ ـ **الدفاع عن النفس ورد الظلم والعدوان** ، وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾(١٢) .

٢ ـ **الدفاع عن دعوة الإسلام إذا حاول اعداؤها** :

(أ) فتنة من آمن .

(ب) أو صد من أراد الدخول فى الإسلام .

(جـ) أو منع الداعى من تبليغ دعوته .

قال الله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾(١٣) .

٣ ـ **تقرير حرية العقيدة والبعد عن الأغراض والأهواء** ، كى يكتمل لها الجو الملائم فينضوى تحت لوائها من يشاء دون خوف من اضطهاد أو فتنة وفى ذلك يقول الحق تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾(١٤) .

←

(١١) سورة البقرة آية ١٤٤ .

(١٢) سورة الحج الآيات ٣٩ ـ ٤٠ .

(١٣) سورة البقرة الآيات ١٩٠ ـ ١٩١ .

(١٤) سورة البقرة آية ١٩٣ .

ثم يأمر الله المسلمين بالجنوح للسلم متى جنح له أعداؤهم وأظهروا رغبتهم فيه ، لأن الغرض هو تأمين الدعوة ، والسلام كفيل بذلك وفي هذا يقول الله عزوجل : ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾(١٥) ، بل ذهب الإسلام إلى أبعد من ذلك فإن من اعتزل الفتنة من المشركين وترك قتال المسلمين ولقيهم بالسلام فلا سبيل للمسلمين إليه قال الله تعالى : ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴾(١٦) .

أما إذا لم يكن ميلهم للسلام حقيقياً بل كانوا مخادعين ومذبذبين فعلا فعلى المسلمين أن يقاتلوهم حتى يستأصلوا الشر ويقطعوا دابر الفتنة وفي ذلك يقول الله سبحانه : ﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّواْ إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّواْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً ﴾(١٧) .

٤ ـ عندما تعدى القتال قريشا ومن جاراهم وحالفهم من يهود المدينة إلى باقى العرب الذين اتحدت قبائلهم لحرب المسلمين أمر الله المسلمين بقتال المشركين من كافة القبائل فقال سبحانه : ﴿ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾(١٨) .

٥ ـ لما أظهر يهود المدينة ومن حولها روح الشر والعدوان ولم يلتزموا بالعهود والمواثيق التى أبرمها معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم عليه الصلاة والسلام هو والمسلمون وحاقت الهزيمة باليهود جزاء سوء صنيعهم وتحالفهم مع المشركين حيث كتب الله على فريق منهم الجلاء وقضى على الفريق الآخر بالهلاك والفناء قال الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً ﴾(١٩) .

التعايش السلمى سمة ظاهرة بين المسلمين ومن خالفهم فى العقيدة :

وفيما عدا ما أشرنا إليه سابقا فإن سماحة الإسلام تتسع للمخالفين له فى الدين بل والإحسان والبر معهم ماداموا هادئين مسالمين وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ لاَّ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُواْ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُواْ عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٢٠) .

(١٥) سورة الأنفال الآيات ٦١ ـ ٦٢ .
(١٦) سورة النساء آية ٩٠ .
(١٧) سورة النساء آية ٩١ .
(١٨) سورة التوبة آية ٣٦ .
(١٩) سورة الأحزاب آية ٢٦ .
(٢٠) سورة الممتحنة الآيات ٨ ـ ٩ .

سابعا : وضع أساس النظام الاقتصادى لمجتمع المدينة الجديد :

إن أساس ذلك النظام الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله - سبحانه - هو القضاء على الفقر ، والتعاطف الكامل بين الأغنياء والفقراء بقصد التعاون والتضامن وفى سبيل ذلك :-

١ - دعا كل إنسان إلى أن يأكل من كسب يمينه وعرق جبينه ما استطاع إلى ذلك سبيلا وفى هذا ما فيه من احترام للنفس وحفظها من الذلة والمهانة وضن بماء الوجه أن يراق أمام الطغاة واللئام وفى هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاما قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده »[٢١] كما ورد عنه أنه قال كان زكريا (عليه السلام) نجاراً[٢٢] وقد أوردت كتب السيرة النبوية المطهرة أنه عليه الصلاة والسلام كان يشتغل بالتجارة قبل تكليفه بالرسالة .

٢ - جعل للفقراء حقاً معلوما فى أموال الأغنياء وذلك بأن جعل الزكاة ركنا من أركان الإسلام وأوجب أداءها على كل مسلم مستطيع توافرت فيه شروطها قال الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[٢٣] ، وقال سبحانه ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٢٤] ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أوعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم ، ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليماً »[٢٥] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإسلام جعل الإحسان إلى الفقراء والمساكين كفارة للخطايا والذنوب .

(أ) **فكفارة اليمين** ، إذا ماحنث فيها الإنسان هى إطعام الفقراء والمساكين قال تعالى ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾[٢٦] .

(ب) وكفارة الظهار تكون بالإحسان إلى الفقراء والمساكين قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ﴾[٢٧] وتلك من خير الإحسان إن لم تكن قمته .

(جـ) وكفارة الإفطار العمد فى نهار رمضان فقد روى مالك وابن جريج ، عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة : « أن

(٢١) أخرجه البخارى .
(٢٢) رواه مسلم .
(٢٣) سورة التوبة آية ١٠٣ .
(٢٤) سورة التوبة آية ٦٠ .
(٢٥) رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير عن علىٍّ كرم الله وجهه .
(٢٦) سورة المائدة آية ٨٩ .
(٢٧) سورة المجادلة آية ٢ .

رجلاً افطر فى رمضان فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكفر بعتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكينا » .

٣ ـ نهى الإسلام المسلمين عن اكتناز المال ودعا ، إلى تداوله واستثماره بالطرق المشروعة التى سنها الإسلام حتى يزداد نماء وبركة ويزداد انتفاع صاحبه وانتفـاع الجماعة المسلمة به من إنفاق على النفس والأسرة واستخراج الزكاة عنه وقد توعد الكانزين للمال بالعذاب الشديد فالمال قوام الحياة ، والحضارة والرفاهية ظل المال يتبعانه اينما كان قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٢٨] .

٤ ـ قضى على الربا فى معاملات الناس بعضهم بعضا :

قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَابَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٢٩] ، وبتقرير الإسلام تحريم الفائدة الربوية على رأس المال أبرأ المجتمع الإسلامى من هذا الداء الوبيل الذى يعزى إليه سبب الأزمات الاقتصادية فى العالم ولا أدل على ذلك مما أعلنه صندوق النقد الدولى طبقا لما بثته وكالة الأنباء الكويتية من مكتبها فى واشنطون يوم ١٩٨٦/٥/٢٥ من دراسة عميقة قام بها ذلك الصندوق للنظام المصرفى العالمى إثر اتساع موجة الكساد وما نتج عنها من ارتفاع ديون عشرات من دول العالم المتقدم ومن الدول النامية وبعد إعداد تقرير اقتصادى نشر أخيرا يتضمن الإعلان عن إفلاس ٣٣ مصرفا أمريكيا فى النصف الأول من عام ١٩٨٥ وحده[٣٠] .

فلقد جاء فى الخبر أن نظام الفائدة المصرفية المفتوحة على أساس العقيدة الإسلامية التى تقوم على تحريم الربا يكون أكثر استيعابا للصدمات المالية وبهذا يثبت انه اكثر استقرارا لأن نظام المشاركة المطبق حسب شريعة الإسلام يبدى كفاءته الواضحة من الناحية الاقتصادية البحتة بعكس الحال فى ظل النظام المصرفى الربوى فإن أى هبوط فى قيمة الموجودات فى مواجهة قيمة اسمية ثابتة للالتزامات سوف يوجد حالة من عدم التوازن بين الموجودات الحقيقية والالتزامات القانونية مما يمكن أن يزعزع استقرار النظام المصرفى وركزت الدراسة التى أصدرها صندوق النقد الدولى بصورة خاصة على تحريم الإسلام لمعدل الفائدة فى حين يجيز ويحلل معدل الربح وقالت إنه فيما يحرم الإسلام بوضوح معدل

(٢٨) سورة التوبة آية ٣٤ .
(٢٩) سورة البقرة آية ٢٧٨ .
(٣٠) مجلة منار الإسلام ـ ذى القعدة ١٤٠٦هـ ـ يوليو ١٩٨٦م .

الفائدة لا يكتفى بذلك ولكنه يشجع التجارة والأرباح التى تجنى من ورائها بينما نجد أن هناك تصلبا فى النظام الربوى يمنع التكيف الفورى (انتهى ماجاء فى تلك الدراسة) .

وبعـــد :

فهذه هى دولة الإسلام التى أراد الله فارسى قواعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم إثر هجرته إلى المدينة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ، لم تفقد تلك الدولة ، ولن تفقد أبداً ، تلك الأسس الربانية التى قامت بها ، فلازال بين ظهرانينا كتاب ربنا عز وجل وسنة رسوله ومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم ، وما على المسلمين إلا أن يجنحوا إلى الله ـ تعالى ـ فتستقبلهم رحمته ، ويعود إليهم مجد سلف ، وعزة أضاعوها ولعل الإنسانية فى يومها القريب أشد حاجة إلى الإسلام من أمسها البعيد لأنه يبنى حاضر الناس على الحق والخير تلك هى طبيعة الصدق فى عقائده والعدالة فى وصاياه قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[٣١] .

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

« تصويب »

سقط من افتتاحية العدد الماضى .. « ذى الحجة » ١٤٠٧ السطر الأول من المقال . وهو :

النعمة قَدَرٌ ومن مقادير النعمة ماهو فَذٌّ كريم

(٣١) سورة الأنعام آية ١١٥ .



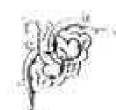


نزل القرآن بلسان عربي مبين ، وقد يسّره الله للذكر ، بحيث يشرق نوره فى العقول ، ويسرى إشعاعه فى القلوب متى قرىء أو سمع ، وقد كان المسلمون فى الصدر الأول يفهمونه عن وعى بأساليب العربيّة ، إلا ما خفى من كلمات على بعض دون بعض ، فكانت مجال السؤال المتطلّع ، والرد المسعف ، ولكنّ الزمن توالى بأحداثه السياسية وموجاته الثقافية ، وهزاته الفلسفية ، ففاء الناس إلى كتاب اللّه يستشيرونه فى ما ادلهّم من المعاضل .

ووجدت العقول المتباينة فى نصوص القرآن ما زيّن لها أن تسير فى تأويله قدر ما تستطيع .

وطبيعى أن تتفق التأويلات وتختلف ، وأن يتسع مجال النقاش حول مالم يكن موضع الاتفاق من هذا التأويل ، وأن تصدر كتب التفسير مثقلة بالآراء المتضاربة ، والأقوال المتعارضة . حتى يتحول الشرح إلى موسوعات نظرية تبعد عن النص الكريم أكثر مما تقترب .

وإذا كنا الآن بعد خمسة عشر قرناً من نزول القرآن نشكو هذا الركام الهائل من الأقوال المحتشدة فى مجلدات التفسير ذات العدد الكبير ، فإن هذه الشكوى نفسها كانت موضع ترديد فى القرون الأولى منذ ازدهرت الثقافة فى العصر العباسى ، إذ امتلأت كتب التفسير بآراء المعتزلة والمرجئة وأصحاب الجدل من ذوى الديانات المختلفة ، بحيث تضخم التفسير تضخماً شكا منه ذوو الغيرة على النصوص الواضحة من كتاب الله أن تختلط بأقوال لا تكاد تمت إليها بسبب ، وأنت تقرأ فى هذا العهد شكوى الإمام ابن قتيبة من احتجاب النّص المبين فى ستور زائفة مما حملت عليه حملاً بمختلف التأويل ، فهو



للدكتور/ محمد رجب البيومى

يقول فى مقدمة كتابه (غريب القرآن)[1] :

« وغرضنا الذى امتثلناه فى كتابنا هذا ، أن نختصر ونكمل ، وأن نوضح ونجمل ، وألا نستشهد على اللفظ المبتذل ، ولا نكثر الدلالة على الحرف المستعمل ، وألا نحشو كتابنا بالنحو وبالأحاديث والأسانيد »

وإذن فحشو التفسير بالنحو والأحاديث والأسانيد كان مدعاة طول ، تغيب معه بعض الحقائق فى عصر ابن قتيبة فإذا أضيف إلى هذه العلوم مسائل الفلسفة والطبيعة وعلم الكلام كما نرى فى شروح متداولة ، فإن العناء كبير ، ولعل الاكتفاء بكتب الغريب فى هذا العصر كانت رداً عملياً على الإسهاب المطيل فى غير طائل ، فقد حظى هذا العهد بكتب كثيرة ، تحمل مضمون (غريب القرآن) كتبها الكسائى . والنضر بن شميل ، وقطرب ، والفراء وأبو عبيدة والأخفش الأوسط . وأبو عبيد القاسم ، وغيرهم من أئمة اللغة والدين ، وكلها تقتصر على توضيح المعنى المراد من اللفظ فحسب ، ليصل القارىء إلى الجوهر الخالص من كلام الله دون أن يخوض ركاماً من النقول والحشود ، وقد كان فى طوق إمام كابن قتيبة أن يمتد بالتفسير فى كتاب الغريب حتى يشمل تأويل المشكل ، ولكنه اختص تأويل مشكل القرآن بكتاب مستقل ، لينجو التفسير المباشر للفظ من لجاج الجدل المستحر ، فيكون للخلافات المذهبية مجالها النظرى بعيداً عن كتب التفسير ، وليت ذوى المذاهب الفكرية ممن تصدوا لكتاب الله قد دونوا نقاشهم الجدلى فى كتب خاصة ، لا تحمل عنوان التفسير ولكنهم شاءوا غير ما نشاء .

ومن العجب أن الوعاظ وذوى النهج التأثيرى من ذوى الفهم المباشر لكتاب الله ، لم يخرجوا بعد ابن قتيبة تفسيراً يقتصر على الهداية الخالصة ويعمد إلى جلاء النص وحده دون إضافات تتعلق بالمذاهب والآراء ، إذ كان هم المفسر أن يعقب وأن يناقش وأن يدفع ، وكل نقاش يستلزم عرض ما قيل أولاً ، ثم الوقوف موقف التأييد أو التفنيد بأدلة تذكر فى مجال الترجيح ، فإذا أضيفت إلى هذا الجدل مسائل البلاغة ، ومعضلات النحو ، وتخريج القراءات الشاذة ، فقد لم السَّيل .

ولقد شعر الأقدمون بضرورة الحاجة إلى تفسير مباشر يقتصر على المعنى المراد ، ولكن هذه التفاسير الموجزة لم يتح لها التداول المطّرد ، بل زاحمتها التفاسير المسهبة حتى باعدت بينها وبين الانتشار ، إذ وقر لدى طلاب البحث القرآنى أن دارسه لابد أن يحيط بأقوال السابقين ، ليمتلىء صدره بكل ما قيل ، فعليه إذ تعرض لتفسير الآية

←

(١) غريب القرآن : صـ ٢ .

الواحدة أن يجمع كل ما دار حولها من مسائل العلوم المختلفة وإلا ما كان مفسراً ذا إطلاع وتمكن ، لذلك نرى حشود التفسير تترامى عهداً وراء عهد ، وهى فى اتجاهاتها المختلفة من فقهية وبلاغية ونحوية وكلامية وحكمية تنحو منحى الحشد المتراكم ، والرد على المخالف ، وكل فى ميدانه الخاص يصول كما يشاء .

لذلك بعثت الضرورة بعض الفضلاء إلى اختصار المطّولات من كتب التفسير ، ليصل القارىء إلى المعنى المباشر من النص القرآنى سافراً دون حجاب ، وفى هذا العمل سداد صائب ، لأن من حق ذوى الاطلاع المحدود أن يجدوا أمامهم كتباً واضحة تسير إلى المراد فى سبيل لا تملؤه العواثير ، وقد طبع فى هذه الأيام كتاب جليل يحمل اسم « المفسر الميسر » وقد قيل إنه مختصر لتفسير الإمام الطبرى قام به عالم اندلسى يسمى (ابن صمادح الأندلسى) وقد أعيانى أن أجد له ترجمة ما أو تحديداً يبين عصره ، ويلم بشذور من حياته العملية والعلمية ، وناشر الكتاب قد سكت عنه سكوتاً تاماً فى المقدمة التى صدر بها التفسير ، ولكنه لخص هدف الكتاب تفسيراً شافياً حين قال عنه[٢] .

« ووقع الاختيار على (مختصر من تفسير الطبرى) الذى وضعه ابن صمادح الأندلسى ، والذى استغنى فيه عن كثير مما يشق على جمهرة المسلمين ، ولا يلزم إلا أولى العلم والمتخصصين ، مثل القراءات والأحكام والإعراب واللغات والاشتقاقات والأخبار والروايات وما إليها . واقتصر فيها على أبرز الروايات المعتمدة عن أئمة التفسير واختيار أقربها إلى معرفة الناس من الخواص والمتوسطين ، كما اقتصر على تفسير اللفظة غير الجارية على الألسنة ولا المتعارفة بين أكثرهم ، وآثر فى مجموعه الإيجاز غير المخل ، حتى يكون سهل التداول ميسور المنفعة ، قريب المأخذ ينتفع به العامة والخاصة » .

ومن المسلّم به أن هذا التفسير الموجز قد أدى دوره فى عصره ، ولبى حاجة من يريدون التفسير الكاشف دون ستور ، ولا زالت هذه الحاجة قائمة فى هذا العصر ، لذلك طبعته دار الشروق فى احْتفاء كبير .

تفسير الجلالين

لابد أن عدداً من التفاسير الموجزة قد تواكب على مر العصور إلا أن تفسير الجلالين مع تأخره الزمنى نسبياً كان من أشيع هذه التفاسير تداولاً بين أيدى القارئين ، والحق أنه يهدى القارىء إلى المعنى المراد من أقرب طريق ، ولكن قارىء زمن السيوطى كان ملماً بالقواعد النحوية لأنه طالب علم حيث لم تكن المخطوطات تتداول على نطاق واسع إلا بين أيدى الطلاب ومن يشدون جانباً من الثقافة ، أما فى عصر الطباعة فالمطبوعات تتداول بين الناس جميعاً ، من عرفوا القواعد النحوية ومن لا يعرفون ، لذلك قام الجلالان المحلى

(٢) مقدمة الكتاب ـ دار الشروق .

والسيوطى بإعراب موجز وبإيضاح ألفاظ كثيرة غير عربية ونسبتها إلى أممها ، وتعيين قراءات مختلفة لقراء شتى ، وهذا الجهد العلمى الآن لا يهضمه القارىء المتعجل ، ولعل إيجاز هذا التفسير كان الدافع لكتابة الحواشى المختلفة عليه ، وأظهر ما لدينا من هذه الحواشى حاشيتا الجمل والصاوى والأول مغرق فى مسائل الجدل المتشعب ، والثانى أوجز منه وأخصر ، ولكن اهتمامهما بالشرح والتعليق يؤكد أنهما يريان أن الجلالين قد تركا فراغاً يجب أن يملأ ، وقد نسيا أن الإيجاز متعمد من الجلال المحلى الذى بدأ بالتفسير حتى لقى ربه فى منتصف الطريق فقام السيوطى بالتكملة ملزماً بخطته فى الإيجاز ، وهو أقدر القادرين على البسط الممتد الفسيح ، لو أنه رأى فى الاختصار نفعاً محققا يرضى حاجة الكثيرين ، وقد تعددت طبعات هذا التفسير تعدداً ذاهب المدى فى البلاد الإسلامية ، فأدى دوره الميسر ، وإن اشتمل على أشياء تاريخية لم يقم الدليل الثابت على صحتها ، ولم يكن النص عليها مطلوباً لأحد ، كحديثه عن كتب السحر التى تنسب إلى سليمان عليه السلام دون تحقيق ، ووصفه للألواح فى سورة الأعراف بأنها من سدر الجنة أو من الزبرجد والزمرد ، وتفسيره هم يوسف عليه السلام حين راودته امرأة العزيز بما يستبعد ، وهى أقوال تتردد فى التفاسير الطوال على بطلانها الظاهر ولا محل لرصدها فى تفسير موجز ، ولتفسير الجلالين بعد حديث طويل ليس هذا مكانه .

فى العصر الحديث

كثرت التفاسير الموجزة فى هذا العصر بحيث تستعصى على الحصر ، فللمدارس أجزاء من التفسير مستقلة ، تخدم الناشئة إيجازاً وتبويباً ، ولغير الطلاب من جمهرة القارئين تفاسير شتى نذكر منها ماقام به الأستاذ حسنين مخلوف والأستاذ عبد الجليل عيسى وابن الخطيب والأستاذ محمد فريد وجدى ، ولجنة التفسير فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وكان الأستاذ محمد فريد وجدى رحمه الله أسبق هؤلاء جميعاً إلى التفسير الميسر ، وقد ذكر فى المقدمة أنه فى نشأته الأولى حاول أن يقرأ القرآن قراءة فهم وتدبر ، فأعوزه أن يجد من التفاسير ما يبلغه أمنيته من أقرب طريق ، لأن المطولات لا يتسع وقته لتلاوتها مع اشتغاله بفروع أخرى من مسائل النظر العلمى ، والمختصرات قد توجهت إلى النواحى القاعدية فى العلوم ، والأستاذ رحمه الله ينشد تفسيراً واضحاً يوفى الألفاظ العربية حقها من البيان ☚

←

دون تعرض للقواعد العلمية ، فشرع يكتب تفسيراً لنفسه ، ولم يكن بادىء ذى بدء يقصد تداوله . ولكنه بعد إتمام ما كتب رأى أن حاجة القراء ماسة إليه لأن كثيراً منهم لا يصبرون على الكتب القديمة . لأمور ذاتية ترجع إلى طريقتها . فبدأ بطبعه ، ولاقاه القراء بترحيب زائد إذ سدّ فراغاً كبيراً ، وأذكر أن دار الشعب قد طبعت منه عشرات الآلاف فى سنين متوالية طارت بين أيدى المسلمين شرقاً وغرباً ، وقد كان من منهجه أن يذكر معانى الألفاظ فى أعلى الصحيفة ، ثم يسرد المعنى الكلى للآية الكريمة عقب ذلك ، بحيث يستطيع القارىء المتواضع أن يواصل القراءة فى اطراد متصل يهدف إلى إيضاح المراد فى تسلسل صاف ، وقد اختار الأستاذ ما رآه أصح الأقوال ، دون تعرض إلى زيادات قليلة الغناء وإذا كانت الأعمال بالنيات فإن نية الأستاذ الحسنة قد أسعدته بالتوفيق والنجاح .

المنتخب فى التفسير

وكتاب المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ليس عمل فرد واحد كابن صمادح الأندلسى ولا فردين كالجلالين المحلى والسيوطى ، ولكنه تأليف لجنة مختارة من أفاضل العلماء ، وهى لجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ، وقد رأت أن يكون التفسير بأسلوب عصرى سهل واضح العبارة . وجيز لا يخل ولا يمل بعيد عن الخلافات المذهبية والمصطلحات الفنية حتى يكون ـ كما قالت اللجنة ـ على حالة مرضية لترجمة معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية التى يرجى للمتكلمين بها أن يطلعوا على ما فى القرآن الكريم من العقائد والمبادىء فيتسنى للرسالة المحمدية أن تكون كافة للناس على اختلاف السنتهم وألوانهم ، واللجنة بهذا العمل تسد الطريق ـ كما قالت ـ أمام كثير من الترجمات الزائفة المغرضة المحشوة بالأباطيل التى تعمدها بعض المستشرقين .

إذن فللتفسير المنتخب رسالتان ، رسالة داخلية تؤدى الوجه الواضح الموجز للقارىء العربى .

ورسالة خارجية هى تقديم معانى الكتاب للمترجم الأمين الذى يود أن ينقل رسالة الإسلام إلى السنة شتى ، ولهذا الاعتبار الأخير ، جاء التفسير المنتخب معطياً للمعنى الإجمالى فحسب ، وتفسير الأستاذ محمد فريد وجدى ومَن حاذاه يشرح المفردات أولاً ثم يعطى المعانى الإجمالية ويخيل إلى أن هذا أصوب بالنظر إلى القارىء العربى ، وذلك أيسر

بالنظر إلى قارىء المعانى القرآنية المترجمة .

وفى التفسير المنتخب ميزة رائعة هى تقديم السورة القرآنية الكريمة بملخص دقيق لأغراضها الجامعة ، فيقرأ المطلع إلمامة وافية بالأغراض تصور الدائرة الخاصة بالسورة فى إيجاز ، ففى سورة « العلق » مثلاً وهى على المشهور أول سورة نزلت تجىء هذه المقدمة .

« فى هذه السورة دعوة إلى القراءة والتعليم وأن من قدر على خلق الإنسان من أصل ضعيف قادر على أن يعلمه الكتابة يضبط بها العلوم ويعلمه ما لم يعلم فهو سبحانه مفيض العلم ، وتنبه السورة إلى أن الثراء والقوة قد يدفعان الناس إلى مجاوزة حدود الله ، ولكن مصير الكل إلى الله فى النهاية وتوجه الحديث لكل من يصلح للخطاب منذرة الطغاة الصادين عن الخير مهددة لهم بأخذهم بالنواصى إلى النار ، فلا ينفعهم الأنصار ، وتختتم السورة بدعوة الممتثلين إلى مخالفة المعاندين المكذبين ، والتقرب بالطاعة لرب العالمين » ويجىء بعد ذلك شرح الآيات آية آية .

والطبعة التى انقل عنها هى الطبعة الحادية عشرة (سبتمبر سنة ١٩٨٥) ولهذا الذيوع الممتد معناه الكبير فى زيادة التداول للكتاب وامتداده الدائم إذ يكاد يطبع كل عام !

هذا عرض موجز للتفسير الموجز الميسر ، وهو عمل له ضرورته ، وقد أعان على إيضاح الكتاب المبين وتيسيره للذكر والتدبر ومتابعة حلقاته مما يفيد .

محمد رجب البيومى



من كبار المستشرقين: توماس أرنولد

يبرز فى ذهنى كلما اتجهت إلى دراسات المستشرقين الانجليز ثلاثة من كبارهم ، هم : السير توماس أرنولد ، والفريد جيوم ، وا . ج . آربرى ، ولكل منهم ميزة خاصة وإسهام بارز فى درس التراث الإسلامى وقد مات آربرى ـ فيما ذكر لى الدكتور مارتن لينجس ـ مدير المتحف البريطانى وهو الآن الدكتور سراج الدين ـ مات على دين الإسلام . وله ترجمة قرآنية وبحوث إسلامية عديدة ، وأدع ذكره الآن وآمل أن أكتب عنه بعد .

أما جيوم فقد عاش ومات ملحدا ، وكتابته عن الإسلام مسمومة بها مغالطات كثيرة متعمدة ، ويقال : إن كتابه « الإسلام » كتب بإيعاز يهودى صهيونى ردا على بحوث إسلامية لم يسترح إليها اليهود . وهناك مستشرقون انجليز كبار منهم المستشرق الاسكوتلاندى « مونتوجو مرى وات » صاحب عظمة الإسلام ، و « محمد فى مكة » ، و « محمد فى المدينة » و « الخلافة » ، ومنهم « كنيث كرانج » صاحب كتاب « نداء المئذنة » والذى أشرف على مجلة « العالم الإسلامى » نحو ثمانية أعوام (١٩٥٢ ـ ٦٠) ، ومنهم كثيرون بارزون ، وقد جمع د . آربرى تراجم لعشرة منهم ـ أو ربما أربعة عشر ـ فى كتاب غير كبير . سمى بعضهم باسم الرواد ، وبعضهم باسم الأتباع ووضع نفسه فى آخر القائمة واختار لقب الحوارى أو التلميذ .

وتوماس أرنولد من الرواد الأوائل فى كل ما عمل . وقد عاش بين سنتى ١٨٦٤ و ١٩٣٠ .

وهو قد تخرج فى جامعة كامبريدج ـ وألم بعدد من اللغات الشرقية ، وأجاد اللغة العربية والأوردية والفارسية ، ومعظم اللغات الأوروبية ـ من الفرنسية والأسبانية والألمانية والهولاندية .. وغيرها ، وقد أتعب مترجمى كتبه إذ اضطرهم إلى التجول بين هذه اللغات واللجوء إلى دارسيها .

وفى مجلة الجمعية الآسيوية الملكية ترجمة ضافية له كتبها « د . يوفا » ، واعتمد عليها من كتبوا عنه بعد ذلك ، فلم يزد عليها أحد شيئا إلا ما كان من درس كتبه وتحليل آرائه ، وقد ظهر تفوقه ونبوغه منذ فجر شبابه ، ولكن هذه الدراسة لها دلالتها على ما لمدارس الاستشراق من فضل على عقول أبنائها ، وليس أرنولد أول نابغة تخرج فيها ، وإنى

للأستاذ الدكتور
عبد الجليل شلبي

أوثره بالذكر لما له من أثر باق فى تاريخ الإسلام ، ولما اتصفت به بحوثه من دقة وعمق واعتدال وسعة اطلاع ولست بمستطيع أن أعرض الثبت الضافى من البحوث والكتب والتعليقات التى تركها مع أن حياته لم تكن طويلة .

عمل آرنولد ـ وهو فى الثانية والعشرين من عمره أستاذا للدراسات الفلسفية فى جامعة « عليكرة » بالهند فمكث بها نحو عشرة أعوام ، ثم انتقل إلى « لاهور » فمكث نحو ستة أعوام ثم عمل أمينا مساعدا فى مكتبة « ديوان الهند » فى لندن . ومن تلاميذه فى الهند ـ باكستان الآن ـ الشاعر « محمد إقبال » .

وفى سنة ١٩٠٤ تبوأ كرسى الأستاذية فى قسم الدراسات العربية فى مدرسة اللغات الشرقية فى لندن ، وهو أول من تبوأ هذا الكرسى ، ثم كان عميدا لمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية وظل فى هذا المنصب حتى تبوأه بعده الفريد جيوم ، وأثناء عمادته لهذه المدرسة (الكلية) زار الجامعة المصرية ، والقى بها محاضرات فى التاريخ الإسلامى ، وتوثقت صلته بتلميذه الوفى المخلص الدكتور حسن إبراهيم الذى كان قد تلقى عنه فى انجلترا طوال خمسة أعوام واستفاد منه كثيرا ، وبصديقه ومحبه الدكتور عبد الوهاب عزام الذى كان على صلة به أثناء إقامته فى لندن ، وقد أبدى فى كل مراحل تدريسه ودراسته ميلا بالغا إلى العرب وتقديرا وحبا للدين الإسلامى ، وأثناء اقامته القصيرة فى مصر آثر أن يرتدى الملابس الأزهرية وقال : إنى حين ألبس هذا الزى أشعر أننى أستاذ ، أما حين أرتدُّ إلى الملابس الأوروبية فأشعر أننى تلميذ . وقد لبس هذا الزى قبله كل من ماسينيون وجولد زيهر ـ ولكن هذين كانا يتلقيان دروسا فى الجامع الأزهر ، أما هو فكان أستاذا فى الجامعة المصرية ولم يكن ثم ما يدعوه إلى ارتداء ملابس الأزهريين .

وأهم آثاره الفكرية ـ ومعظم آثاره إسلامية ـ هو كتابه « الدعوة إلى الإسلام » « preaching of islam » كتبه بالانجليزية وترجم إلى الأردية والعربية ، وبعض اللغات الأوروبية ، أخرج هذا الكتاب وهو فى الهند ، وكان الباعث الأول على إخراجه هو بيان أن الإسلام انتشر بنفسه ومبادئه ، ولم يفرض نفسه على الناس بالقوة والسيف ، ولذا ذهب يعرض فى هذا الكتاب خطوات انتشار الإسلام بدءا من حياة رسول الله ﷺ ثم بذل جهدا كبيرا فى عرضه سير الإسلام فى البلاد التى لم تصلها فتوح المسلمين ، فى غرب افريقية وجنوبها ثم فى شرقها وأواسطها ، وفى شرق آسيا وجنوبها وفى استراليا والصين إلخ ، وترك اقاليم صغيرة مثل أرمينيا ، وبعض القبائل التى كانت فى شرق روسيا ـ

وهى القبائل التى استأصلها ستالين نهائيا بعد الحرب الثانية ، وقد رجا العالم الكبير أن يأتى بعده من يسد هذه الفجوات ، ويمد ما فى كتابته من إيجاز فى بعض المواقف ، ولكن إلى الآن وبعد ما يقرب من ستين عاما لم يفعل أحد شيئا ، ولم يزد أحد على ما كتبه حرفا .

كتاب « الدعوة إلى الإسلام » فريد فى نوعه لم يسبقه أحد إلى منهجه وطريقته ، ولم يكتب أحد بعده مثله أو ما هو قريب منه ، وكما قال المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام : لم يكتب مثله مسلم ولا غير مسلم ، ومن أجله بذل جهودا جبارة حتى أنه تعلم اللغة الهولندية خصيصا ليقرأ السجلات التى تبين انتشار الإسلام فى جزيرة جاوة وما حولها ، وأقرر بدورى أننى عندما كتبت عن « التبشير والإسلام » كان أهم ما اعتمدت عليه هذا الكتاب فى ترجمته العربية وكتاب « تاريخ الإرساليات التبشيرية » لمؤرخ التبشير الكبير « استيفن نيل » - فى لغته الانجليزية ، وقدرت لكل من الكاتبين دقة بحثه وشموله ، إلا أن « نيل » كان قاسيا على الإسلام بغير علم بقدر ما كان أرنولد منصفا له بعلم .

يدافع أرنولد عن الإسلام بحجج تاريخية منطقية ، وقد عناه فى المقام الأول موقف الإسلام من النصرانية وأيضا من اليهودية - وقد كان أول احتكاك بين المسلمين والنصارى فى عهد عمر ، وبعد انتصار المسلمين على الروم فى غزوة تبوك ، وقد « أعطى عمر أهل ايليا ، أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم ، لا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شىء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم .. إلخ » .

وقد اعطى خالد بن الوليد حين دخل دمشق عهداً مثل هذا فرح به البطريرك ورجال الدين النصرانى ورأوا أن العرب خير لهم من الروم فاندمجوا بهم آمنين ، وحين اضطر القائد العام للمسلمين أبو عبيدة بن الجراح أن ينسحب من دمشق وما حولها لمواجهة هجوم رومى أمر برد الجزية التى كانت جمعت ، وقال للناس أخذناها منكم للدفاع عنكم ، ولكننا الآن لا نستطيع الدفاع عنكم ، فلاحق لنا فى أموالكم .. فكانوا دهشين وقالوا : ردكم الله إلينا ، أعدتم إلينا أموالنا وهى فى أيديكم ، ولو كانت فى يد الرومان - أبناء ديننا ما ردوا إلينا منها شيئا .

وفى النصف الثانى من القرن الثانى عشر كتب القديس ميخائيل الأكبر يقول : إنه بعد أن خبرت الكنيسة الشرقية حكم الإسلام خمسة قرون ، وبعد أن رأت من اضطهادات هرقل كذا وكذا ، ولما أن رأى الله شرور الروم الذين نهبوا الكنائس وسلبوا الأديرة ، وأنزلوا بنا العذاب فى غير رحمة .. أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم .. وليس كسبا هينا أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم ، وإذ نجد

البقية ص ٩٣



للأستاذ
محمد حافظ سليمان

« بناء الفرد أولاً » .

لقد اهتم الإسلام بالإنسان منذ أشرقت الأرض بنور الوحي المنزل على النبي الأمي المرسل ، فقد منح الفرد ـ ذكراً كان أو أنثى ـ عنايته فصحح له الاعتقاد ووضح المنهاج وحارب الوثنية والإلحاد ، وبهذه الرعاية البالغة عرف العبد ربه وحاسب نفسه وأضحى يمشي سويا على صراط مستقيم .

والله يقول : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ « سورة الزخرف ـ ٤٣ ـ » .

والله عز وجل يقول ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَاإِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ « سورة الأنعام ـ ١٠٦ » .

ولقد جاء القرآن كاملاً لا يقبل النقص ولا الزيادة فلا تبديل لكلمات الله ، لكيلا يتبدل الناس : وهو منهاج الحياة المتكامل للأفراد والجماعات ومن أعرض عنه فقد ضل سواء السبيل ، لأن القرآن فيه حياة ونور للقلب وللعقل وللروح ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ والله يقول : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ « سورة الأنعام ـ ١٢٢ » .

والله ـ عز وجل ـ يريد من المسلم أن يكون إنسانا بجسده ، ملكاً بروحه وسريرته

←

وسيرته ، وكلفه بأن يقرأ آيات الله فى الأكوان وأن يتلو آيات الله في القرآن ليستدل بهما على أن للكون صانعا واحداً يقول للشىء كن فيكون ليقتنع بأن الإسلام يقول للعقل اسبح كما شئت ولكن احذر الغرق لأن الإنسان إذا تبصر بعقله وتدبر بفكره فى أطوار حياته وفى أمور نفسه وتذكر أصل خلقه آمن بربه ولكنه قد ينسى فيضل أو يجحد فيزل ، لذلك أرشده ربه إلى الانتفاع بعقله واحترام فطرته السليمة التى فطره الله عليها . والله يقول :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ « سورة الأنعام ـ ١ »

والله يذكر عبده بشىء من نعم الله عليه فيقول : ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَباً وَقَضْباً . وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً وَحَدَائِقَ غُلْباً وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ « سورة عبس ـ ٢٤ ـ ٣١ » .

وبهذا التوجيه الإلهى يستطيع الإنسان أن يعرف نفسه عن طريق عقله وقد جاءت الرسالات الإلهية تساند العقل وترشده إلى أن عقيدة الإسلام ليست معقدة ولكنها واضحة تدعو العقل إلى توحيد الله الذى يقول للإنسان ﴿ يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ مَاغَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِى أَىِّ صُورَةٍ مَّاشَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ « سورة الانفطار ـ ٦ ـ ٨ »

والإسلام يريد من العاقل المسلم أن يتفقه فى دينه ، لأن الفقه فى الدين فرض على كل مسلم وذلك لأن التفقه فى الدين يصحح العبادات والمعتقدات ، فما عبد الله بشىء افضل من فقه في الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شىء عماد وعماد الدين الفقه .

ذلك لأن علوم الدين هى علوم التربية والتكوين لمن شاء أن يستقيم وقد بين الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ فضل العلم والمعارف الإنسانية فقال رضى الله عنه :

من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن تعلم الفقه نبل مقداره ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن تعلم الحساب جزل رأيه ، ومن تعلم اللغة رق طبعه ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه . وذلك لأن كل عز لا يوطده علم فهو مذلة ، وكل علم لا يؤيده عقل فهو مضلة ، وإن المال ظل زائل وعارية مسترجعة ، فليس فى كثرته فضيلة ولو كانت كثرته فضيلة لخص الله به ، من اصطفاه لرسالته واختاره لنبوته والله يقول ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ وبالعقل والعلم والأخلاق يكتمل بناء شخصية الإنسان ، وأما التوحيد فإن كل آية فى القرآن متضمنة التوحيد شاهدة به ، داعية إليه ففى القرآن خبر عن الله وأسمائه وصفاته وافعاله ، وذاك التوحيد العلمى الخبرى ، ومن التوحيد والسلوك المستقيم تكون قيمة المرء الأخلاقية ، فضلاً عن صلته بربه القوى العلى والتى تتأكد وتتجدد بكلمة « الله اكبر » أما القوة فهى تكمن فى قول المؤمن لاإله إلا الله محمد رسول الله ، والمؤمن السوى هو الذى يراقب ربه سراً وعلانية فى كل قول أو فعل والمسلم القوى هو الذى يأمر بالمعروف وينهى

عن المنكر ، يأمر نفسه وغيره بذلك وعن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يا أبا ذر « لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق . » (رواه ابن حبان) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « كرم المؤمن دينه ، ومروءته عقله وحسبه خلقه » (رواه ابن حبان والبيهقى والحاكم) .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « مامن شيء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وإن الله يبغض الفاحش البذيء » (رواه الترمذى) .

وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : سألت النبى ﷺ عن البر والإثم فقال : « البر حسن الخلق والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » « رواه مسلم » إن الإيمان بالله عصمة من النقائص والخبائث والدنايا والخطايا والله يقول : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ « سورة هود ـ ١١٤ »

وينظر الإسلام إلى الفرد على أنه لبنة فى بناء الأسرة ، والأسرة جزء من الأمة : وعلاقة الأسرة بالأمة هى علاقة الجزء بالكل ، لأن الأمة هى مجموع الأسر فيها ، فهى المجتمع الصغير الذى يبنى المجتمع الكبير .

ثانيا : « بناء الأسرة فى المجتمع الإسلامى »

يقوم بناء الأسرة فى المجتمع الإسلامى على القواعد السليمة ليؤسس البنيان على تقوى من الله ورضوان ولتحيا حياة طيبة آمنة مستقرة مطمئنة فى مجتمع إنسانى فاضل كريم .

ويبدأ بناء الأسرة بالزواج الذى شرعه الله لتقوية الروابط بين الزوجين ولابد فى الزواج الشرعى من الإيجاب والقبول والرضا فى قيام هذا العقد الأبدى الدائم ، فلا إكراه فى الزواج ، أى لا تزوج المرأة بغير رضاها ، وقد أباح الإسلام الرؤية ليعرف الحقيقة فلا خداع ولاغش فى الزواج « فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » (من حديث رواه المغيرة بن شعبة » ولا يتم شرعاً العقد فى السرّ ، منعا للريب والشبهات ولابد من الإعلان والشهود ، فلا غموض فيه ، ولابد كذلك من نية التأبيد لأن نكاح المتعة والمؤقت باطل حيث لا استقرار فيه ، والمهر يؤديه الزوج للزوجة بحسب ما يتفق عليه بينهما ، ولكن الإسلام ييسره ولا يبين ذلك إلا رضاهما لأن أمامهما مسئولية البيت وأعباء الأسرة ، أما العقود « العرفية » التى وفدت إلينا من غير البلاد الإسلامية وقلدها أقوام من المعجبين بهم والمتخذيهم أولياء فهى نزعات يأباها الإسلام ويمقتها الذوق السليم لما فيها من عبث بالحقوق الزوجية والمواريث ، فى زمن أصبحت فيه الوثيقة ضرورية للنسب وللميراث وللنفقة الخ والله يقول ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ « سورة النحل ٧٢ » .

والزواج سنة المرسلين والله يقول : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً ﴾ « سورة الرعد ـ ٣٨ » وعباد الرحمن يدعون ربهم راجين منه أن يهب لهم قرة أعين من أزواجهم وذرياتهم ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾ « سورة الفرقان ـ ٧٤ » .

والإسلام يكره للمسلم أن يتسرع بزواج امرأة يخدعه بريقها الظاهرى لكيلا يقع فى شرك خضراء الدمن وهى المرأة الحسناء فى المنبت السوء ، ولا يخفى أن العرق دساس ، فليس الزواج سلعة أو صفقة تجارية ، ومن المآسى ما يحدث من الزواج على غير علم من أسرة الفتاة وأهلها ، ومن الأمور المحزنة ما يعرفه الناس عن الزواج بالمنحرفين لثرائهم أمثال تجار المخدرات والسكارى والشاردين من الهدى العصاة وغيرهم ، وقد حذر الرسول من هذا وتوعد بسوء العاقبة وبخيبة الأمل ، من يتزوج امرأة غير ذات دين ومن الناس من لايبالى بحسن اختيار الأزواج والزوجات فيجرون وراء المال ، وفى هؤلاء وأمثالهم يقول رسول الله ﷺ : « من تزوج إمرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرا ، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه ، أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه » الطبرانى . والإسلام لا يمنع المؤمنة الصالحة التى يرغب الزواج بها أن يكون لها مال وجمال وجاه بجوار الأخلاق الفاضلة والسلوك المستقيم وحسن البيئة وطيب العنصر وما إلى ذلك .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » (رواه البخارى ومسلم) وتربت يداك قول ينفر الذى يتهافتون على المال وحده عند الزواج بفتى أو بفتاة . وعن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » . (رواه ابن ماجة) .

وعلى الزوج المهر والنفقة . والزوج رئيس البيت ومدبر شئونه . ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ . . ﴾ ولكن المسئولية فى الإسلام لم يفلت منها مكلف رشيد ذكرا كان أو أنثى .

عن ابن عمر رضى الله عنه « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته » (رواه البخارى ومسلم)

ولكن الإسلام يفرض على الزوج حسن المعاشرة وطيب المعاملة والرسول الكريم ﷺ يقول فى هذا المعنى فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « أكمل

المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم » (رواه الترمذى) وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « إن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله » (رواه الترمذى والحاكم) وعن عائشة أيضا رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » (رواه ابن حبان فى صحيحه) .

الإنفاق على الأسرة واجب

عن أبى أمامة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من أنفق على نفسه نفقة يستعف بها فهى صدقة ومن أنفق على امرأته وولده وأهل بيته فهى صدقة » (رواه الطبرانى) .

وعن الحسن رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته . » (رواه ابن حبان فى صحيحه) .

تربية الأولاد ضرورة

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة » (رواه ابن ماجه) .

الأولاد زينة الحياة الدنيا : ولكن نحن اليوم نرى شكوى مكررة من الشباب ومن المسئول ؟

إن التربية الإسلامية ضرورة اجتماعية وفريضة دينية ، وذلك لأن البيت هو المدرسة الأولى المؤثرة بحنوها وعطفها ورعايتها وعنايتها وتوجيهها وتربيتها ورحم الله القائل :

« وينشأ ناشىء الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه »

لهذا ألزم الإسلام الآباء بتقديم القدوة الحسنة للأبناء وإلا فلنستمع إلى قول الله تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَالاَ تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُواْ مَالاَ تَفْعَلُونَ ﴾ . (سورة الصف : ٢ ـ ٣)

إن واجب الآباء أن يحسنوا تربية الأبناء بالسلوك الطيب الذى يقلدونه والخلق الحسن الذى يتبعونه ويجدونه فيهم ، وبغير الأخلاق الكريمة والصفات النبيلة وطاعة الله ورسوله ـ بغير ذلك يحدث التفكك الأسرى . بعصيان الرحمن وطاعة الشيطان ، (جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ يشكو عقوق ابنه ، فوجه عمر رضى الله عنه إلى الولد لوما قاسيا عنيفا فقال الغلام : مهلا ياأمير المؤمنين : أليس للولد حق على أبيه ؟ فقال عمر نعم .. أن ينتقى أمك ، وأن يحسن اسمك ويعلمك الكتاب : (القرآن الكريم) ، قال الغلام : إن أبى لم يفعل ذلك : فأنا أمى كانت لمجوسى وقد سمانى جعلا (جعرانا) ولم يعلمنى شيئاً من القرآن ، فالتفت عمر إلى الرجل وقال له : لقد أسأت إلى ابنك قبل أن يسىء إليك) لأن الإسلام لا يعرف إنحرافاً للشباب ولا للشيب ولا يعرف أقلاماً محمومة ، وأقلاماً مسمومة تشارك الوالدين فى التوجيه والتكوين على الرغم من التقدم العلمى الذى عجز عن صنع الإنسان السوى ، الذى من أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب التى جاءت بالهداية والرشد ،

وحاربت الفساد في جميع صوره وأشكاله .. وحذرت من أخلاء السوء والله يقول : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ (سورة الزخرف ـ ٦٧) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » . (رواه ابن ماجة) . عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن » (رواه الترمذى) . وعلى الوالد أن يحسن إلى أولاده فلا يتركهم لرفقاء السوء لأن آثارهم ضارة فهم يجرون على الشباب الهموم والسموم كتعاطى المخدرات مثلاً وهى التي يصدرها أعداء الأمة إلى ديار الإسلام للفتك بالأجسام والعقول والأموال وليعلم أبناؤنا أن الصديق الوفى التقى الأبى يأخذ بيد صديقه إلى الفلاح والنجاح والسعادة ، والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف والمرء على دين خليله فلينظر أحدكم إلى من يخالل ، وعدوى السيئات سريعة وخطيرة فلنحذرها ، وأما الأم فلن تكون سعيدة إلا بفضائل أبنائها إذا كانت تبغي السعادة وما عليها إلا أن تغرس في نفوس الناشئة المثل العليا لأن الأم مدرسة تربى وتعلم وتوجه وتراقب .

الترابط بين الأسرة والأمة

« شخصية الأمة المحمدية »

الأمة المحمدية أمة واحدة كما وصفها القرآن الكريم فقال ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ (سورة الأنبياء ـ ٩٢)

ولها شخصية قوية لا شرقية ولا غربية ..

والأمة الإسلامية هى مجموعة الأسر ، والأسرة إذا صلحت صلحت الأمة والفرد هو البداية ، والأسرة هى الوسط ، ثم الأمة ، وهى المجتمع الذى تكونه الأسر والإسلام يجمع لبنات بناء أمة الإسلام من عناصر المؤمنين والمؤمنات ، لأن المؤمنين إخوة ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ (سورة الحجرات ـ ١٠) .

وبالثقة المتبادلة ـ بين الأفراد فى الأسرة المتماسكة المسلمة وبالثقة بين الأسرة والأمة التى يريدها الإسلام ـ بهذه الثقة يبنى المجتمع المتعاون ، لأن الثقة تجعل الأجزاء متماسكة والتماسك يجعل الأمة مترابطة متعاونة فأما التفرق فيجعل الأمة الواحدة متنافرة متنازعة متباغضة والله يحذر المؤمنين من التنازع فيقول : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا ﴾ ويقول جل جلاله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ (سورة آل عمران ـ ١٠٢ ـ ١٠٤) وهذه النصائح الإلهية تحذر من التنازع والتمزق وتأمر بالوحدة للنهوض بالأمة والتقدم والرقى .

ثم ما هو مقياس

الرقي والتقدم؟

قالوا إنه « الأخلاق » لأن الأمة أو الأسرة التي لا خلاق لها جثة هامدة راكدة تتحرك حولها الجراثيم المؤذية الضارة ، ولكن الأمة الحية القوية يتألق نجمها ويسطع نورها ، وتقوى مناعتها ضد الهوام فلا تؤتى من ضعف خلقي ، لأن الإيمان نور يضيء جوانب النفس ويبعث فيها القوة والمنعة والعزة والعفة ، وقد يقال إن الأخلاق قد تتغير ، ولكل زمن أخلاق ينشدها وواجبات يفرضها ! وأقول إن أخلاق الأمة المحمدية لا ينبغي لها أن تتغير لأنها جاءت من عند الله تعالى فلا تبديل لكلمات الله ، والرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وهو القدوة الحسنة المثالية كان خلقه القرآن قد أدبه به ربه فأحسن تأديبه وأدب به هو أصحابه فأحسن تأديبهم وبدون خلق الإسلام يحدث التغيير إلى تدهور في كل الشئون ، والله يقول : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ (سورة طه ـ ١٢٤ ـ ١٢٧) ونحن الأمة التي أراد الله لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس وقد أمر الله المؤمنين باتباع سيد المرسلين فقال ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ وحرم عليهم مخالفته والله يقول في كتابه الكريم : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ . (سورة الأنفال ـ ٢٤ ـ)

فليس للأفراد ولا للأسر ولا للأمة أن يفعلوا ما يريدون حسب ماتهوى الأنفس بدون قيود ولا حدود ، ولكن الله أوجب عليهم أن يهتدوا بهديه فقال : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدىً فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (سورة البقرة ـ ٣٨ ـ) ، وقال : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى ﴾ سورة طه ـ ١٢٣ ـ والتربية الدينية تغرس في النفوس القوة بعقيدة راسخة وبإيمان سليم وخلق قويم ، وكان الواجب أن تنال العناية التامة في جميع المجالات والاتجاهات ، لأن الجو قد أضحى مغموراً بتيارات من الأمور المتناقضة والمذاهب الوافدة التي تنشر الرذيلة في أشكال وألوان كثيرة والصخرة التي تتحطم عندها أمواج الشر التي تتدافع هي العقيدة الإسلامية الصامدة الراسخة . ولن يغني شيء عن التربية الدينية مهما تفلسف المتفلسفون ، وقلد المقلدون ، لأن الله الذي خلق النفوس شرع لها ما يصلحها ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ وبتربية النفوس يتكون مجتمع الفضائل والكمال الإنساني فلا ضعف ولا فساد ولا انحلال ولا استغلال ، ولا نفاق ولا رياء ولا شر ولا شقاء ، ومن شاء أن يعرف كيف تكون التربية الإسلامية رجالاً وتصنع أبطالاً فليقرأ سيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال الله فيهم ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلا ﴾ (سورة الأحزاب ٢٣ ـ)

سيادة المهندس وزير الصناعة

سدد الله خطاك

كتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى السيد المهندس وزير الصناعة بشأن ما انتشر من كلمات تحملها صدور الشبان والفتيات تدرجت إلى فحش سافر ، فتلقى سيادته كتاب الإمام وأردفه بالعمل الواجب . نسأل الله ـ سبحانه ـ لسيادته كل التوفيق .

وكتب إلى فضيلة الإمام بالرسالة التالية :

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق .

شيخ الأزهر

تحية طيبة وبعد :

فقداطلعت ـ بكل الاهتمام ـ على تأشيرة فضيلتكم على كتاب مجمع البحوث الإسلامية المؤرخ في ١١ من ذى القعدة ١٤٠٧ هـ الموافق ١٩٨٧/٧/٧ م بشأن انتشار ظاهرة كتابة كلمات وألفاظ غير لائقة على قمصان و « فانلات » الشباب ، واهتمام سيادتكم بضرورة حسم هذا التجاوز حفاظاً على القيم والأخلاق الحميدة .

وأتشرف بإفادتكم أنه على الفور تم اتخاذ كافة الإجراءات وتكليف أجهزة الرقابة الصناعية لتقصي حقيقة هذا الموضوع ، حيث تبين أن شركات القطاع العام لا تقوم بالطبع على القمصان أو « الفانلات » ، واتخاذ كافة الإجراءات لعدم تكراره ، والعمل على سحب أية كميات من السوق المحلية .

ومع خالص شكري وتقديري لفضيلتكم

أرجو أن تتفضلوا بقبول فائق الاحترام

والله المستعان

١٩٨٧/٧/٢٠

وزير الصناعة

توقيع

(مهندس محمد محمود عبد الوهاب)

خطــورة الصراع الديني في أفـريقيـا

للدكتور عبد الله نجيب محمد

يدور الآن صراع قاس ومرير في القارة الافريقية بين مختلف الأديان وليست النصرانية ولا الإسلام بالأديان الجديدة على افريقيا، ولكن الموقف الذى يواجهانه اليوم جديد في عمقه وعرضه، فهما يعرضان على المجتمعات الأفريقية بنشاط جديد، وتدور حولهما عواصف من النقد والتحليل باقلام مختلفة الاتجاهات والثقافات، ويحاول الافريقيون اليوم أن يحكموا من جديد ـ وهم في حالة من التوتر والقلق ـ على العقيدتين اللتين كان لهما أكبر الأثر في حياة الإنسان الأفريقي، ويحاولون أيضا صياغة الأسس التى يجب أن تقوم عليها حضارة المجتمعات الأفريقية الحديثة وثقافتها النامية.

ونتيجة هذا الصراع هامة وخطيرة، لأنها أبلغ في الدلالة على النتائج النهائية التى يمكن أن يسفر عنها هذا الصراع المحلى في ظاهره، العالمى في حقيقته، الظاهر حينا والمستتر أحيانا حيث يواجه الإسلام والثقافة الإسلامية الثقافة الغربية بشقيها الرأسمالى والشيوعى، وقد أعد الغرب من أجل النصر في هذا الصراع عدته، وخطط له، وحدد له الأهداف والغايات، وجهز الوسائل الكفيلة بإحراز النصر، والتى من بينها: وقف زحف الإسلام بالفصل بشتى الوسائل بين المسلمين وغيرهم، والقضاء على الثقافة الإسلامية بالقضاء على نفوذ اللغة العربية واستبدالها بلغات محلية أو أوروبية.

يحدث ذلك أمام أعيننا في كل بقعة من بقاع القارة، وأوضح الأمثلة ما نراه في

←

خطورة الصراع الديني الدائر في أفريقيا

جنوب السودان ، والمحاولات المستميتة التى تقوم بها منظمة « الإنيانيا » المتطرفة ، والتى يؤيدها الغرب وأثيوبيا (الحبشة) وتهدف إلى فصل الجنوب عن الشمال ، ونراه أيضاً فى أثيوبيا ذاتها ، التى حرمت تدريس العربية فى « اريتريا » والمناطق الأخرى ذات الكثافة الإسلامية الخاضعة لها ، وتفرض عليهم تعلّم « الأمهرية » وحدها دون العربية ودون لغاتهم الوطنية ، ونراه أيضاً فى شرق القارة فى « كينيا » ، و « تنزانيا » ، و « رواندا » ، و « بورندى » وفى غربها ووسطها : فى « نيجيريا والسنغال والكونغو وغانا والكاميرون » وغيرها ، وقد صنع الغرب حزاما من الإرساليات التبشيرية (رغم اختلاف مذاهبها) يمتد من شرق القارة إلى غربها ، مارا بجنوب السودان ، والغرض من هذا الحزام مقابلته بالحزام الإسلامى الشمالى الذى ينطلق منه دعاة المسلمين إلى الوسط والجنوب ، لمنع تسربهم إلى الجنوب من هذا الخط .

والإسلام فى هذا الصراع ، لا يقف جامدا مكتوف الأيدى ، بل إن له ميراثا ضخما يمتد إلى ثلاثة عشر قرنا أو تزيد من الاتصال والإندماج والتأثير فى الحياة والثقافة الافريقية ، وهو اليوم يقوم بدور جديد فى أفريقيا ، حيث ينطلق من ذلك النطاق العريض الممتد من « داكار » وجمهوريات « السنغال » ، و « مالى » ، و « غينيا » إلى المناطق الجنوبية فى كل أفريقيا الغربية ، وخصوصا « نيجيريا » ومخترقا جمهوريات « تشاد » ، و « الكونغو » إلى « كينيا » ، و « أثيوبيا » ، و « تنزانيا » ، و « موزمبيق » ، وسواحل القارة بطولها على المحيط الهندى إلى آخر نقطة فى جنوب القارة فى مدينة « دربان » الجميلة و « كيب تاون » .

من هذا الحزام العريض ينطلق الدعاة المسلمون من التجار والمعلمين ، بل والناس العاديين ، منادين بأن الإسلام هو دين العالمين ، دين الوحدة والتوحيد ، دين الأخوة الشاملة المفتوحة لجميع الأجناس والشعوب على اختلاف طبائعها وألوانها ، دين العدالة والمساواة أمام الله والقانون ، ولقد احتفظ المسلمون دائما بحقيقة الإسلام الحية فى التوحيد ، وأصروا فى كل البقاع على التعلق به فى حياتهم وشرائعهم ، مقاومين بذلك كل الإغراءات ونفوذ الإرساليات التبشيرية ، وكل دعاوى الغرب العلمانية أو الشيوعية ، ولذلك نرى أمرا عجبا ، وهو التجدد المستمر لاعجاب الأفريقيين بالإسلام وسلوك المسلمين برغم ذلك يقول كثير من المثقفين الأفريقيين : إننا سوف نحكم - من جديد - على الإسلام على أساس قدرته على تطوير نفسه لمقابلة الاحتياجات العصرية وفى المساعدة فى تطوير الشخصية الأفريقية ، وهم أشد ارتيابا فى النصرانية لارتباطها الطويل والدائم بالاستعمار والعنصرية .

يتواجه الدينان على أرض القارة : النصرانية مسلحة بإمكانات هائلة ، والاسلام بقوته الذاتية وقليل من دعاته المخلصين ، ويتوقع الكثيرون أن يحظى الإسلام بمكاسب ضخمة فى السنوات القليلة القادمة ، ويعلل بعضهم ذلك بأسباب عديدة ، من بينها أن

الأفريقيين يشعرون ـ عند الاتصال بدعاة المسلمين ـ بإنسانيتهم وحرارة عواطفهم، وصدق إخوتهم ومشاعرهم، وذلك على النقيض من المبشرين بالنصرانية الذين يتعالون على الناس، وينظرون إلى الأفريقيين وكأنهم من عنصر أقل منهم، ويعتقدون أنهم يمثلون مدنية وحضارة راقية يجب أن يحطموا بها عقائد الأفريقيين وتقاليدهم دفعة واحدة.

أشار فلاح ثرى من قبيلة « الكيكويو » إلى قمة تل من التلال السوداء فى « كينيا » قائلاً لأحد المبشرين: « هل ترى الإرسالية التى هناك؟ إنهم يديرون ملجأ للأيتام، ومدرسة للتجارة ومستشفى، وكل ذلك لصالحنا، ولكن هل تعلم أننى لم أر قط أى قسيس أبيض منهم فى أى اجتماع أو قداس بقريتنا؟ إذا كانت هذه هى النصرانية فإننا نستطيع الاستغناء عنها ».

ومما قاله أيضا أحد كبار القسس من مدينة « بانتون » فى جنوب أفريقيا، فى اجتماع سرى فى « جوهانسبرج »: « يزداد الأمر صعوبة يوما بعد يوم فى أن اقنع الناس بالتزام عقيدتهم النصرانية، إنهم يريدون أن يعرفوا حتى متى يمكن أن يظلوا مسيحيين فى حين تعاملهم الدولة وكأنهم ليسوا بشرا، إن سلالة المستوطنين البيض (الأفريقانيين) يرون أنفسهم ـ كتقليد توارثوه ـ كأنهم يعيدون تمثيل الدور الوارد فى الإنجيل عن شعب الله المختار وأهل الميعاد، حيث فرض الرب ـ كما يدّعون ـ على الرجل الأسود أن يصقل الخشب ويجلب المياه خدمة للرجل الأبيض، بل إنهم يقولون: إن التفرقة العنصرية حق لهم طبقا للكتاب المقدس، ويزعمون أنه « لو كان الرب قد أراد المساواة بين الأجناس لقال ذلك فى الإنجيل ».

من هذا ندرك أن التفرقة العنصرية الوحشية باسم النصرانية هى أكثر أجنحة النصارى كشفا وقابلية للانثلام والسخرية، حتى أصبحت رمزا عليها، ولهذا بدأت بين النصارى الأفريقيين حركة « أفرقة » للدين النصرانى، فتعددت الكنائس الانفصالية حتى بلغت خمسة آلاف كنيسة، وعملت فى معظمها على إعادة تفسير الإنجيل، وعملت أيضا على زيادة ارتباطها بالتقاليد الأفريقية القديمة من رقص وطبول وطقوس مما أصبح الأفريقيون ينظرون إليه كتعبيرات تربوية عن الروح الأفريقية.

والطرف الثالث فى هذا الصراع، هو تلك الحركات الدينية التى تحاول الرجوع تماما إلى ما يسمى « الدين الطبيعى الأفريقى » وهناك الكثير والعديد من المفكرين يتجهون هذا الاتجاه، ويرون إنها الدين الوحيد المناسب للروح الأفريقية، المتغلغل فى تربتها.

يلوح من كل هذا أن كثيرا من الأفريقيين مصرون على أن يتجهوا فى دينهم اتجاها خاصا بهم، وتجتاز أفريقيا الآن ثورة روحية تغاير بوضوح الأثر القديم، وتعيش فى قلق بالغ بحثا عن ذاتها وشخصيتها، وبرغم انسحاب الآلهة والأرواح القديمة والسحر إلى حد كبير من حياتهم، إلا أنهم لازالوا فى حيرة وتردد، وهم فى بحثهم عن ذاتيتهم يتابعون الاتجاهات الدينية المتسمة بالطابع الأفريقى

خطورة الصراع الديني الدائر في أفريقيا

الخالص ، ويتساءل كثير من الصفوة الأفريقية : ما الأساس الدينى والأخلاقى الذى يجب بناء المجتمعات الأفريقية عليه ؟

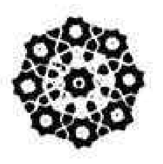
وبعضهم يتساءل : هل الشيوعية بديل روحى عن الارتباطات الدينية القديمة ؟

وفى الإجابة عن هذه الأسئلة ، يجمع المثقفون الأفريقيون على أن الشيوعية ليست لها جاذبية روحية لدى الأفريقيين وقد رفض العديد من مفكريهم مرارا وبشدة الشيوعية كطريقة للحياة الأفريقية ، وسبب ذلك كما - يوضحون - أن جوهر الأساس الاجتماعى فى أفريقيا هو التضامن العائلى لا النزاع الطبقى ، والإيمان بكائن أعظم هو على حد تعبيرهم « إله المسلمين » أو « رب النصارى » أو « الرب الشامل الكامل » .

إن أهم الظواهر قاطبة فى مستقبل هذا الصراع هو شعور الصفوة الأفريقية بقيم الحضارة الأفريقية الأصلية ، وأن ما بدا كحماس للبشارة النصرانية وأسلوب الحياة الغربية قد تحول الآن إلى معاداة للغربية .

أما الإسلام فهو يحاول أن يشق طريقه بقوة واقتدار وحيوية مع سماحة ويسر وليونة وسط هذا القلق والحيرة ، لا يقف الإسلام على رأس الأفريقيين صارخا بأن عليهم أن يختاروا وبسرعة ، ولكنه يقف هادئا هاديا متأنيا ، يستقبل الحيارى فيضمهم إلى رحابه المتسعة ، ويشملهم بسكينته الحانية ويمد لهم يد المعونة فى سماحة ويسر جديرة بدين الله - دين العالمين .

د . عبد الله نجيب محمد
جامعة القاهرة



سياسى موفق وداعية ناجح

"السير أحمد وبللو"

رئيس وزراء شمال نيجيريا الأسبق

بقلم فضيلة الأستاذ
الشيخ عبد الحكم عبد القوى حسن

كان الحاج احمدو بللو غيورا على الإسلام والمسلمين فى نيجيريا وفى خارج نيجيريا على سواء . وقد منحه الله مقدرة فائقة على الجهاد فى سبيله والصبر على مواصلة الدعوة الإسلامية فكان رحمه الله مثلا اعلى للمسلمين فى نيجيريا وغرب افريقيا فقد كان من الدعاة الذين لا يرجون إلا رحمة الله ورضاه . ورغم مشاغله السياسية بصفته رئيسا لوزراء شمال نيجيريا كان يدعو للإسلام بجد واجتهاد ونفس تتمنى لكل الناس ان يكونوا مسلمين وقد اسلم على يديه عدد كبير . وقبل استشهاده بشهور قلائل وبفضل جده واجتهاده دخل دين الله مايقرب من مائتى الف من الوثنيين وغيرهم فى سنة واحدة وكساهم الحاج احمدو بللو وزودهم بنسخ من القرآن الكريم واحضر لهم المعلمين ليعلموهم امور دينهم .

كانت رغبة الحاج احمدو بللو أن يوثق الدعوة الإسلامية ويرفع مستواها ويوحد كلمة المسلمين وكان يرى أن الجامعة العربية يجب أن تأخذ طريقا أشمل من ذلك فتكون جامعة الدول الإسلامية لتشمل الدول الإسلامية والعربية فى وقت واحد ، لأنه كان لا يعترف بالحدود التى تفصل الدول الإسلامية عن بعضها ويعتبر نفسه مواطنا فى كل بلد إسلامى . ولا عجب فى ذلك فهو سليل المجاهد الإسلامى الكبير الشيخ عثمان بن فوديو الملقب بأمير المؤمنين والذى قام بنشر الإسلام فى معظم أنحاء نيجيريا ولا زال هذا

←

اللقب موجوداً فى (سوكوتو) يتوارثه أحفاده من حكام ولاية (سوكوتو) فى شمال نيجيريا .

كان الحاج أحمدو بللو ودوداً شفوقاً على كل عربى وكل مسلم ، هذا كان شعوره وهذه كانت روحه الطيبة . وقد عرفت عنه ذلك عن قرب فقد كان لى شرف العمل بالتدريس ونشر الثقافة العربية فى شمال نيجيريا بعد الاستقلال مباشرة وكنت وزملائى نلقى كل رعاية واحترام من كل النيجيريين على اختلاف طبقاتهم ، وقد مكثنا هناك مدة طويلة أدينا فيها واجبنا وقمنا به خير قيام فقد كنا نشعر بالمسئولية نحو هذا الشعب المسلم فى شمال نيجيريا . وكنا نشعر بالحب المتبادل بيننا وبين الطلاب الذين نعلمهم وبيننا وبين المواطنين وهم متدينون جداً ويحافظون على الصلاة والصوم ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن تجد فيهم من يتهاون فى صلاته أو صيامه .

كان كل شىء على مايرام إلى يوم ٢٤ من رمضان ١٣٨٥هـ الموافق ١٥ من يناير ١٩٦٦م وحدثت الفاجعة الكبرى التى اهتز لها كيان العالم الإسلامى فى كل بقاع الأرض واستشهد الحاج احمدو بللو على يد ضابط صغير فى الجيش النيجيرى من الإقليم الشرقى يدعى (شوكوما) وثارت القلاقل وبدأت المشاكل بمقتل الشهيد البطل السير أحمدو بللو وكان قتله صدمة مروعة للعالم العربى والعالم الإسلامى وقد نعته مجلة الأزهر وجميع الصحف الإسلامية عوض الله عنه الإسلام خيراً .

مولده ونشأته

ولد الحاج أحمدو بللو فى مدينة (رباح - Raba وتبعد عشرين ميلاً (٣٢ كيلو مترا) أعلى نهر النيجر على ضفته الشمالية وذلك فى عام ١٩٠٩ وكان أبوه وقتها حاكم مدينة (رباح) ، وكان غنياً يملك مزارع كبيرة وأحد الثمانية والأربعين الذين كانوا يحكمون مقاطعة (سوكوتو) .

ذهب الحاج أحمدو بللو إلى المدرسة فى مدينة (سوكوتو) ودرس خمس سنوات وكان ترتيبه الأول فى نهايتها .

والتحق بكلية المعلمين فى (كاتسينا) Katsina Teachers College ١٩٢٦م وهى أرقى المعاهد فى شمال نيجيريا ، وكانت متخصصة فى تدريب المدرسين ولازالت كذلك ، وكان معظم أساتذتها أوربيين والدراسة فيها باللغة الانجليزية حتى الآن ولكن حكومة شمال نيجيريا فرضت تعليم الدراسات الإسلامية بعد الاستقلال وذلك بفضل جهود السير أحمدو بللو وفرضت الحكومة ذلك أيضا فى المدارس الثانوية وكليات الحكومة حتى أصبح يوجد مدرس أو أكثر بكل مدرسة ثانوية أو كلية معلمين أو كلية حكومية يدرسون للطلاب اللغة العربية والدراسات الإسلامية فى تلك المعاهد .

ولما أتم الحاج أحمدو بللو الدراسة فى كلية تدريب المعلمين (بكاتسينا) عاد إلى (سوكوتو) وقد عين مدرساً للغة الانجليزية والهندسة فى المدرسة التى تعلم فيها أولاً .

وفى عام ١٩٣٤م عينه السلطان رئيساً للمركز فى مدينة (رباح) - مسقط رأسه - الذى خلا بوفاة ابن عمه ، فكان أصغر رئيس لأحد المراكز الثمانية والأربعين التى تتبع مقاطعة سوكوتو . وقد عمل بجد واجتهاد فى مدينة رباح لرفع مستواها فشق الطرق وبنى المدارس لتعليم القراءة والكتابة ، وكان يتولى بنفسه التدريس لعدم وجود المدرسين فى هذا الوقت مما جعل كل المواطنين هناك يحبونه ويثقون به .

وفى عام ١٩٣٨م ترك رباح Raba إلى مدينة جوسو Gusau فقد عينه السلطان أبو بكر فى وظيفة جديدة هناك وكلفه بالإشراف على أربعة عشر مركزاً تمتد أراضيها على طول الحدود الشرقية . وقد أعلنت الحرب العالمية الثانية بعد تعيينه بسنة واحدة وعين ضابطاً للحرب فى (سوكوتو) .

وفى عام ١٩٤٨ سافر إلى لندن لدراسة نظم الحكم المحلى وعقب عودته رشح نفسه لعضوية المجلس الشعبى حين مات وزير سوكوتو فنجح وأصبح العضو الثانى الذى يمثل سوكوتو .

وفى عام ١٩٤٩ سافر إلى (لاجوس) عاصمة نيجيريا الاتحادية وتعرف على السياسيين البارزين ومنهم الدكتور نامدى أزيكوى .

واجتمع مع زعماء شمال نيجيريا فى مدينة (كادونا) للمشاورات لتعديل الدستور النيجيرى وكان الحاج أحمدو بللو من المندوبين المختارين للاشتراك فى تعديل الدستور ، وكان يمثل دائماً الشمال فى مجلس النواب الاتحادى أو أى مجلس اخر .

وفى عام ١٩٥٣ تقلد وزارتى تطوير المجتمع والحكومة المحلية وفى أول أكتوبر عام ١٩٥٤ أصبح رئيساً لوزراء الإقليم الشمالى واستمر فى هذا المنصب حتى مات شهيداً فى ٢٤ من رمضان ١٣٨٥هـ الموافق ١٥ من يناير ١٩٦٦م .

مؤلفاته : ألف كتاب حياتى باللغة الانجليزية .

من ألقابه : (الحاج) وهو لقب شائع محبب إلى نفوس النيجيريين عموماً و(السُرْدَوْنا) : وهو لقب خاص بسكوتو ومعناه : قائد الحرس أو حامل السيف الشجاع وفارس الامبراطورية البريطانية Knite of British Empire وهو لقب تمنحه بريطانيا للمشاهير وزعماء البلاد وكان أحد الأوائل الذين منحوا هذا اللقب واختصاره K.B.E. ولقب Sirسير وهو يعادل لقب « بك » سابقا فى مصر وتمنحه بريطانيا كذلك للزعماء الوطنيين المشهورين فى بلادهم .

الحاج أحمدو بللو واسرائيل

كان الحاج أحمدو بللو قد زار البلاد

←

العربية واستطاع أن يفهم مشكلة فلسطين مع الصهيونية العالمية ، وعاد إلى وطنه ليقف ضد إسرائيل ويرفع لواء العداء لمحاربتها فى نيجيريا وفى كل أفريقيا فكان ـ رحمه الله ـ شوكة فى جنب إسرائيل والصهيونية العالمية . ودخل الشهيد الراحل معركة مع زعماء الأقاليم الأخرى فى نيجيريا الذين حاولوا أن يتفاهموا مع إسرائيل بشأن افتتاح قنصليات لها فى أقاليمهم وقد كسب المعركة فى محاربة هذا الاتجاه وأصبح علماً من الأعلام الأفريقيين الذين يحاربون الاستعمار الحقيقى الذى يتسرب عن طريق إسرائيل والصهيونية العالمية . وكان موقفه من إسرائيل ينبع عن عقيدة واقتناع ذاتى وليس مجاملة للعرب وإنما كان غيرة على الإسلام والمسلمين .

ففى مؤتمر صحفى عقد فى (كادونا) عاصمة نيجيريا الشمالية سأله أحد الصحفيين الأجانب عن حجم العلاقات بين بلاده وإسرائيل .

فأجاب بغضب : « ماهى إسرائيل ؟ » واستطرد بعد فترة من الصمت بقوله : « بالنسبة لتفكيرى فإسرائيل غير موجودة ، وهى لن توجد أبدا ، وأنا لا أعرف ماهى » .

وحدث أن سئل فى مطار لاجوس عاصمة نيجيريا عن تصريح إسرائيلى بعقد اتفاق اقتصادى بين نيجيريا وإسرائيل فأجاب بعنف : « إن إسرائيل بالنسبة لنا غير موجودة . ولن تكون موجودة أبدا » .

ولذلك كنت تجد العرب والمسلمين هناك يرددون عبارته الشهيرة باللغة الانجليزية والتى كان يذكرها دائما إذا سأله أحد عن إسرائيل . Israel does not exisr .

وحدث ذات مرة أن آبا إيبان كان مسافراً ونزلت الطائرة فى مطار كانو للتزود بالوقود وبناء على إلحاحه اتصل المطار برئيس الوزراء الحاج أحمدو بللو ليسمح لآبا إيبان بالتجول بضع دقائق فى المدينة . فرفض الطلب قائلاً : إذا نزل أبا إيبان إلى المدينة فسيمزقه الشعب النيجيرى إربا إربا وسأكون أنا أول من يشترك فى عملية تمزيقه .

رحم الله الشهيد رحمة واسعة .

من خطابه فى المؤتمر الاسلامى

المنعقد بمكة المكرمة

سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م

إخوانى الأعزاء :

كل منا له مشكلات فى بلاده . وأنا شخصياً لا أعرف الكثير عن مشكلات إخواننا الآخرين غير أنى أعلم على التحديد وبدقة مشكلات بلادى وأعمل جاهداً مع إخوانى المسلمين هناك على حلها والتى من أجلها أطلب العون من كل من يستطيع العون والمساعدة حتى نتمكن من نشر الإسلام ورفع مستوى المسلمين فى بلادى النامية .

بلادنا نيجيريا مازال ينقصها الكثير ولم

تزل فى طريقها إلى التطور . ومع هذا فهى تحتل موقعاً جغرافياً وتاريخياً على جانب كبير من الأهمية .

ولعل نقطة الضعف فى نيجيريا هى أنها دولة حديثة الاستقلال ، وإن السكان خليط من أجناس مختلفة العقيدة والثقافة . وبالرغم من أن المسلمين يكونون غالبية السكان فإن مستوى الثقافة والتعليم الحديث بينهم منخفض إلى حد كبير إذا ماقارناهم بالأقليات الأخرى ، وعلى الخصوص النصارى الذين يتفوقون فى هذا المضمار على المسلمين كثيراً بفضل المساعدات التى يتلقونها من الخارج وكلنا يعلم هذه الحقيقة ، وكلنا يعلم كذلك أنهم لا يألون جهداً فى التمكين لدينهم ونشر رسالتهم . وحمداً لله وشكراً فقد تأذن سبحانه وتعالى أن يحفظ كلمته ويحمى دينه . ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[1] .

يوجد فى نيجيريا كما فى غيرها من الأقطار الأفريقية كثير من الوثنيين . وهناك صراع شديد بين دعاة الإسلام ومبشرى النصرانية كل يعمل جاهداً لكسب هؤلاء الوثنيين إلى عقيدته .

والإسلام وحى السماء إلى البشر ونور الله إلى الخلق لا يحتاج منا إلا أن نرفع مشكاته حتى يسير الحائرون من الوثنيين إلى نوره وهديه . وفى نيجيريا أعمل وبعض الإخوة المسلمين بنشاط وجد فى حقل الدعوة والهداية بين هؤلاء الوثنيين وصادفنا والحمدلله نجاحاً كبيراً وأقبل الكثير منهم على الإسلام يدخلون فى دين الله أفواجاً كل يوم وفى كل جزء من أجزاء بلادنا ونحن نشكر الله كثيراً فبعونه وتوفيقه ، وبرغم المشاغل الأخرى التى أرادها لنا سبحانه فقد أتت مجهوداتنا ثمارها واعتنق الإسلام من هؤلاء الوثنيين (١٧٦٩٣٠) فى الفترة من ديسمبر ١٩٦٣م إلى مارس ١٩٦٥م .



(١) سورة التوبة الآيتان ٣٢ ، ٣٣ .

الدولة الإسلامية

الحقوق الاجتماعية

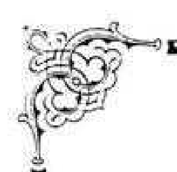
عرفت الدولة الإسلامية فكرة « الحقوق الاجتماعية » قبل أن تعرفها الدول الحديثة بأكثر من ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، فقد تحدث علماء المسلمين وأفاضوا فى كتاباتهم عن « التكافل الاجتماعى » ، الصورة الإسلامية الأصيلة للحقوق الاجتماعية ، كما طبق التكافل الاجتماعى منذ فجر الإسلام وخلال كل عصور الإسلام بشكل عملى يعد مفخرة للمجتمعات الإسلامية .

بين الحقوق الاجتماعية والتكافل الاجتماعى

أدت الحريات الاقتصادية المطلقة غير المنضبطة ، التى عرفتها أوروبا بقيام الثورة الصناعية فى نهاية القرن الثامن عشر - إلى تفاوت كبير بين الطبقات ، فظهرت الأفكار الاشتراكية التى طالبت بتحقيق العدالة الاجتماعية ، ونادت بتدخل الدولة لتنظيم علاقات العمل بين الرأسماليين والعمال ، وبتقديم الإعانات المادية للطبقات الاجتماعية القادرة .

ولقد اشتملت الدساتير المعاصرة ، منذ مطلع القرن العشرين ، على نصوص تقرر الكثير أو القليل مما أطلق عليه « الحقوق الاجتماعية » : كحماية الأسرة والنشء ، وتحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية للعمال ، وتقرير الإعانات الاجتماعية فى حالات العجز والمرض والشيخوخة ، والرعاية الصحية .

بيد أن الحقوق الاجتماعية المذكورة - كما قرر علماء القانون الدستورى - ليست لها أية قيمة قانونية ، إذ لا تمثل سوى وعد من



للعقيد أ.ح
د. فوزى محمد طايل

الدولة لا يستطيع أى فرد من الأفراد الاستناد إليه للحصول على حقوقه عن طريق القضاء . فعدم الوفاء بالحقوق الاجتماعية لا يمكن أن يعتبر سنداً قانونياً كافياً فى دعوى قضائية ضد الدولة ، إذ أن هذه الحقوق غير محدودة المضمون .

وفى المقابل نجد أن الإسلام قد أتى « بالحقوق الاجتماعية » جميعها ، وزاد عليها وعمق مفهومها ، وحدد مضمونها ، وجعل لها أبعاداً لم يصل إليها أى تشريع وضعى معاصر ، علاوة على أن « التكافل الاجتماعى » فى الإسلام ـ بخلاف الحقوق الاجتماعية التى عرفتها الإنسانية حديثاً ـ له قيمة قانونية ، وتحميه دعاوى قضائية ، ويمكن للفرد فى المجتمع الإسلامى التمتع به ، والحصول عليه رضاء أو قضاء .

مضمون التكافل الاجتماعى

ومشروعيته ومقوماته

لعل خير ما يعبر فى إيجاز عن معنى التكافل الاجتماعى حديث الرسول ﷺ الذى (رواه البخارى) : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وقوله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (متفق عليه) .

فالتكافل الاجتماعى هو أرقى مراتب العلاقة بين أفراد المجتمع الواحد ، إذ يحس كل فرد فيه بواجبه نحو الآخرين فيؤديه طواعية واختيارا حفاظاً على تماسك المجتمع ، وحرصاً على ألا يعتوره المرض والانهيار ، فتتحقق المصلحة العامة ، وتحفظ المصالح الخاصة من الضياع بفضل ما يسود المجتمع من شعور عام بأن لكل فرد فيه حقوقاً يجب على المجتمع أداؤها إليه دون تقصير أو إهمال ، فيتحول العدل الاجتماعى من مجرد مبدأ نظرى إلى واقع عملى . ولقد صور رسول الله ﷺ المجتمع الإسلامى فى صورة بليغة فيما (رواه البخارى) : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

والتكافل الاجتماعى فرض من الفروض الكفائية ، على السلطة العامة فى الدولة الإسلامية مراعاة القيام به وإلا أثم المجتمع كله حكاما ومحكومين . فالدولة وكل فرد من أفراد المجتمع مسئولون جميعاً عن أى فرد فى المجتمع يمرض ، أو يجوع ، أو يعرى ، أو يعجز عن العمل ، فلا يجد ما يعينه على القيام بلوازم الحياة .

إذا كانت « الحقوق الاجتماعية » ـ كما عرفتها المجتمعات المتقدمة حديثاً ـ تقوم أساساً على أمور مادية من أجل توفير « حد

←

ادنى » لمعيشة الطبقات غير القادرة ف المجنمع فإن « التكافل الاجتماعى » يقوم على دعامتين :

أولاهما : مادية تتمثل فى محاربة الفقر وتوفير « حد الكفاية » لكل فرد فى المجتمع حتى يذوق العيش الكريم وتحفظ عليه كرامته .

وثانيتهما : معنوية تتمثل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والعمل على نظافة مظهر المجتمع ، بإبراز الفضائل ، وستر الجرائم ، وإفشاء السلام ، وتكوين الرأى العام الفاضل المنزه عن الدعايات الكاذبة المغرضة أو الغش والخداع .

الصورة المادية للتكافل الاجتماعى.

« محاربة الفقر ».

الفقر ظاهرة ممقوتة فى الإسلام ، وهو مرض اجتماعى يستعاذ به كما يستعاذ من الأمراض الجسمية ، فمن دعائه ﷺ : « اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر » (رواه البيهقى) .

والتكافل الاجتماعى يهدف إلى مد يد المعونة فى حاجة المحتاج ، وتفريج كربة المكروب ، وإغاثة الغارم والمنكوب ، وإشباع الجائع ، وإقالة عثرة العاجز ، كل ذلك محاربة للفقر للقضاء عليه .

إن الفقير الذى لا يجد حاجته من طعام أو كساء أو مسكن ، فلا ينال بذلك حظاً من نعم الله تعالى ومن فضله على عباده ، لن يمكنه ـ بكل تأكيد ـ أن يقوم بالتكاليف الدينية ، وبالواجبات الاجتماعية بالشكل الذى ينبغى أن يقوم به .

لقد حصر التشريع الإسلامى الفئات التى تستحق العون المادى حتى يسهل توجيهه إليها ، فيقضى بذلك على الفقر والعوز ، كما حدد الأسلوب الذى يتم به رفع آثار الفقر والفاقة فالزكاة والصدقات وما إليها يتم بها مساعدة الفقراء ، والمساكين ، والمرضى ، والمقعدين ، والشيوخ ، والمشردين ، واللقطاء ، واليتامى ، والأسرى . هذا فضلاً عن أن التشريع الإسلامى قد أمر بالعون المادى لفئات أخرى ـ رغم قدرتها المادية ـ تخفيفاً عن هذه الفئات وإشعاراً لها بتضامن المجتمع معها فيما ألم بها من كارثة أو ما نزل بها من مكروه : كالتعاون فى تحمل الدين عن الغارمين ، وغوث الملهوف ، ومساعدة الغريب الذى انقطع عن ماله ولو كان غنيا .

والتكافل الاجتماعى لا يختص به المواطن المسلم دون غيره ، بل هو شامل لكل مواطنى الدولة الإسلامية . فقد روى الإمام أبو يوسف فى كتابه « الخراج » : « أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر برجل يهودى مسن وهو يسأل على الأبواب ، فذهب به إلى منزله ، فرضخ له بشىء ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال له : انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ، ثم خذلناه عند الهرم ، إنما الصدقات للفقراء والمساكين ،

والفقراء هم المسلمون ، وهذا من المساكين من اهل الكتاب . وأمر بأن توضع عنه الجزية وينفق عليه من مال الدولة » .

إن مشكلة الفقر هى مشكلة « سوء تنظيم » اقتصادى ، وانعدام « عدالة » فى توزيع الثروات والدخل القومى ، لذا فقد عنى التشريع الإسلامى بوضع الضوابط التى تقضى على التفاوت الصارخ بين الثروات ، بتقريره لنظام كامل دقيق للمواريث والوصايا ، والأوقاف يتم من خلاله تجزئة الثروات ، ونقلها من يد إلى يد ، ليس فقط داخل الأسرة الواحدة ، وإنما يتم النقل بهذا النظام من أسرة إلى أسرة فتتسع قاعدة من يملكون الثروة . كما قرر الإسلام نظاماً للزكاة والصدقات وما إليها لا يؤدى إلى إفقار الغنى كى تتقارب الطبقات ، وإنما يهدف إلى رفع مستوى الفقير ، بل وإغنائه ، فيتمكن من امتلاك نفس نوع المال الذى يمتلكه الغنى ، فيشعر بالعزة والكرامة ، ويزول من نفسه الحقد والحسد ، ولا يلبث أن يشارك فى بناء المجتمع وتنميته دون ما شعور بظلم أو غبن .

الصورة المعنوية للتكافل الاجتماعى.

« الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » :

تختص الدولة الإسلامية ، دون سائر النظم السياسية قديمها وحديثها ، بالصورة المعنوية للتكافل الاجتماعى ، وجماعها : « أمر بالمعروف ونهى عن المنكر » ، وتفصيلها : إسداء النصيحة ونظافة المظهر العام للمجتمع ، وإفشاء السلام . وتكوين الرأى العام الفاضل .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية لقول الله تعالى :
﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة / ٧١) . ولقول رسول الله ﷺ : « كلا ، والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتقصرنه على الحق قصراً ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض أو ليلعنكم كما لعنهم (يقصد اليهود) (رواه الترمذى وابو داود) .

كما أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض عين على القادرين عليه ، الواقفين على حدود الله ، وقد جعله الله شأنا من شئون المؤمنين والبسه ثوب الولاية . ورتب عليه الفلاح ، وجعل جزاءه رحمة الله ومغفرته وثوابه ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران / ١٠٤) ويقول سبحانه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ . (التوبة / ٧١) .

وتعد النصيحة اظهر صور الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بل إنها تعتبر جوهره . وقد عبر رسول الله ﷺ عن ذلك بقوله :

←

« الدين النصيحة . قالوا : لمن يا رسول الله .. قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » (رواه مسلم) .

لقد حث الإسلام على نظافة مظهر المجتمع بإبراز الفضائل وستر الجرائم ، والمجتمع الفاضل لا يثير بالجريمة أو يغرى بها كما يحدث فى الإعلان عنها بشتى وسائل الإعلام ، فإن كان ولابد ، فليعلن عنها على وضع ينفر منها مع ذكر الجزاء الذى لحق بمرتكبيها بعد انتهاء المحاكمة العادلة ، فالإسلام حريص ، يفضل سرية التحقيقات ، وسرية إجراء المحاكمة ، لا إعلان الحكم حتى لا يساء إلى برىء فالأحكام الشرعية تقرر ، « درء الحدود بالشبهات » والمتهم برىء حتى تثبت إدانته ، وبذلك لا يساء إلى المسلمين فى كرامتهم ولا أعراضهم ، وحتى لا تكون الجريمة مادة للتسلية يلوكها الناس على ألسنتهم فيفسد الجو الخلقى للمجتمع ، ويصبح الشر ظاهرا ظهورا يغرى على مقارفته فيشيع الفساد وتعم الفاحشة .

لعل من أهم آثار التكافل الاجتماعى فى صورته الأدبية تكوين رأى عام فاضل مبنى على أسس قوية ، منزه عن كل شائبة أو ضلالة أو اتباع أعمى .

ولما كانت وسائل الإعلام ، التى أصبحت تصل إلى الأفراد فى كل مكان وفى كل زمان ، عاملاً هاماً من عوامل تكوين الرأى العام وتوجيهه ، لذا وجب أن تهتم الدولة الإسلامية بها اهتماما يضمن ألا يصدر عنها إلا كل ما يرفع من الذوق العام ، ومن المستوى الثقافى والحضارى ، ويبرز الفضيلة ويحض عليها ، ويوجه سلوك الأفراد الوجهة المحمودة ، ويرفع من الروح المعنوية للشعب ، ويزيل أسباب التفكك والانحلال فى المجتمع . بعرضها لموضوعات شيقة فيها من الترويح المباح ما فيها ، وفيها من التوجيه غير المباشر ما فيها .

ضمانات التكافل الاجتماعى :

إن أول ضمانة من ضمانات التكافل الاجتماعى فى الدولة الإسلامية هى ما يمتلكه الفرد المسلم الحق من ضمير واع بمسئولياته تجاه ربه وتجاه عقيدته وتجاه مجتمعه .

فالتكافل الاجتماعى المنبعث من النفس ابتداء أنفع للمجتمع وأكبر تأثيراً وأجدى من ذلك الذى يفرض بقوة القانون من غير اعتماد على الإيمان والعقيدة .

بيد أن النظام السياسى الإسلامى لم يقف عند حد الضمانات الدينية والاخلاقية للتكافل الاجتماعى بل قرر ضمانات تشريعية « قانونية » تحميها دعاوى قضائية . فالزكاة تجمعها السلطة العامة فى الدولة عن طيب خاطر ، وقهراً إذا لم يضع المسلم طواعية لحكم الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ • لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (المعارج / ٢٤) وقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾

(التوبة / ١٠٣) . وهذا الأمر الأخير هو أمر عام لولى أمر المسلمين ، وليس أمراً خاصاً إلى رسول الله ﷺ كما فهمه بعض ما نعى الزكاة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام .

يقول الإمام ابن كثير فى تفسيره : « فقد رد عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد أبو بكر الصديق وسائر الصحابة وقاتلوهم حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ » .

وقد اتبع التشريع الإسلامى أسلوبا مماثلاً فى تحديد نفقة الزوجة والأبناء والأقارب غير القادرين ، فأصبح لمستحق هذه الأمور أن يستوفى حقه ممن هو مستحق عليه رضاء أو قضاء .

الوسائل المادية لتحقيق التكافل الاجتماعى. الحقوق الاجتماعية:

أولا : حق العمل وحقوق العمال :

يقضى المبدأ العام الإسلامى أن يسد الفرد حاجته وحاجة من يعول عن طريق العمل الذى يختاره ، وعلى الدولة الإسلامية مسئولية القضاء على البطالة المستترة ، كما أن على الدولة أن تيسر السبيل لكل فرد فيها أن يجد العمل المناسب لقدراته الجسمية والعقلية .

ولا نقصد بذلك أن تقوم الدولة بإيجاد وظيفة لكل فرد فيها ليعمل فى الجهاز الإدارى للدولة ، أو حتى فى أجهزة أخرى إنتاجية تابعة للحكومة ، فهذا أمر غير معقول وغير مقبول إنما السبيل إلى ما ذكرناه أن تشجع الدولة الأفراد والمجموعات على إقامة المشروعات الاستثمارية النافعة ، وأن تيسر لهم هذا السبيل ، وأن تحمى المشروعات الصغيرة حتى لا تقضى المشروعات الكبيرة عليها ، وعلى الدولة أن تتولى تدريب كل فرد وتأهيله التأهيل المهنى المناسب لقدراته ، فتعد العامل الزراعى والعامل الصناعى ومن إليهم ممن يعتمدون على سواعدهم فى العمل ، وتزودهم بالخبرة الفنية العلمية المناسبة ، وتتعهد المهندسين ، والمحاسبين ، والأطباء ، ومن إليهم ممن يعتمدون على العمل الذهنى بجانب الجهد الجسمانى ، تتعهدهم بالرعاية وتيسر لهم سبل المعرفة والتزود بأحدث ما وصل إليه العلم والتطبيق العلمى العملى .

كما أن على الدولة أن ترعى علماءها ومفكريها فى شتى المجالات ، وأن تدرب القيادات فى مختلف الميادين .

وعلى الدولة الإسلامية أن تخصص جزءا من مال الزكاة ، أو من غيرها من الموارد المالية للدولة ، يمكن به مساعدة من لا يجد المال كى يبدأ المشروع المناسب لقدراته وتأهيله ، فيعود ذلك بالنفع عليه ، إذ يسد حاجة نفسه وينفق على أسرته وعلى من يعول من أقاربه المحتاجين ، ويفتح أبواب عمل لآخرين ، ويعود بالنفع والخير على المجتمع الذى سيوفر له بعمله حظاً مما يحتاج إليه من سلع أو خدمات .

يتبع

د . فوزى محمد طايل

الفتاوى

« حكم صلاة الجمعة فى المساجد المقامة تحت عمارات

س : من السيد ع . أ . شاهين . جاردن سيتى . القاهرة .

اثير فى هذه الأيام أن صلاة الجمعة فى المساجد التى يقيمها بعض المسلمين تحت العمارات لا تصح ولما كانت هذه المساجد تقام فيها صلوات الجمعة من سنوات طويلة ومازالت تقام مساجد جديدة فنرجو بيان الحكم فى صحة صلاة الجمعة بتلك المساجد . علماً بأن بعضها مما تدعو إليه الحاجة . خصوصاً فى الأحياء والمدن الجديدة التى لا يراعى فى تخطيطها أحياناً مكان للمسجد .. وما يتصل بهذا الموضوع من بناء مؤسسات علاجية أو تحفيظ للقرآن أو مشاغل لأبناء المسلمين وبناتهم فوق هذه المساجد ، فما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فنفيد بأن من خصائص الأمة الإسلامية أن جعل الله لها الأرض كلها مسجداً ، فقد روى البخارى ومسلم عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى » وجاء فيه « وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل أدركته الصلاة فليصلها حيث كان » فكل مكان فى الأرض صالح للسجود والصلاة فيه يسمى مسجداً ، غير أن هناك بعض أماكن يطلق عليها اسم المساجد لها أحكام تميزها عن غيرها كما يطلق عليها اسم بيوت الله . قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ سورة البقرة : ١١٤ وقال ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً ﴾ سورة الجن : ١٨ وقال ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ سورة النور ٣٦ .

ومن الأحكام الخاصة بهذه المساجد :
أفضلية الصلاة فيها لأنها خير بقاع الأرض ، وصيانتها من النجاسة وكل ما يخل بحرمتها ، وتحيتها بالصلاة عند دخولها ،

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين

تجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

وحرمة مكث الجنب فيها ، والحث على التردد عليها والاعتكاف فيها ، وغير ذلك من الأحكام التى ألفت فيها كتب خاصة كما فعل الزركشى .

وعندما فرضت صلاة الجمعة كان أنسب مكان تقام فيه هو المسجد ، ونظراً لكثرة الذين كانوا يشهدون صلاة العيد كان النبى ﷺ يقيمها فى مكان فسيح يسعهم .

وجمهور أئمة الفقه لا يشترطون لصحة صلاة الجمعة أن تكون فى مسجد والإمام مالك هو الذى شرط ذلك ، بل شرط أن تكون فى المسجد الجامع وإذا كانت إقامتها فى المسجد أفضل عند الجمهور فإن المسجدية تثبت للبقعة من الأرض إذا عينها مالكها للصلاة ؛ سواء كان التعيين بالقول أم بجعل البناء على صورة تدل عرفا على أن هذا مسجد ، أم بإقامة الصلاة فى هذه البقعة جاء فى (تفسير القرطبى ج ٢ ص ٧٨) ما نصه : أجمعت الأمة على أن البقعة إذا عينت للصلاة بالقول خرجت من جملة الأملاك المختصة بربها - مالكها - وصارت عامة لجميع المسلمين . فلو بنى رجل فى داره مسجدا وحجزه عن الناس واختص به لنفسه لبقى على ملكه ولم يخرج إلى حد المسجدية ، ولو أباحه للناس كلهم كان حكمه حكم سائر المساجد العامة وخرج من اختصاص الأملاك » أ . هـ .

وبناء على ما تقدم نقول : إن المساجد المقامة تحت العمارات قد خصصها أصحابها للصلاة وأباحوها لجميع الناس ، وأذن ولى الأمر بذلك وبهذا تثبت لها كل أحكام المساجد التى سبقت الإشارة إليها .

وإذا كثر المصلون ولم يسعهم مسجد واحد جاز تعدد الجمعة بإقامتها فى عدة مساجد وصحت كلها مادام التعدد لحاجة .

هذا والمبانى فوق المسجد إما أن تكون بعد تمام المسجدية على النحو المتقدم ، وإما أن تكون قبل ذلك ، فإن كانت بعد تمام المسجدية فيرى كثير من الفقهاء أنها ممنوعة حتى لو كانت لصالح المسجد .

وإن كانت قبل تمام المسجدية فإن بنيت لصالحه أعطيت حكمه بمجرد تمام المسجدية .

وإن بنيت لغير صالحه كالسكن والتعليم والعلاج وغيرها فلا يسرى عليها حكم المسجد ، ولا تخرج عن ملك صاحبها مع وجوب الحفاظ على حرمة المسجد ومراعاة شعور المصلين والمترددين عليه للعبادة والله تعالى أعلم .

راجع : الفقه على المذاهب الأربعة ص ٢٩١ ، والفتاوى الإسلامية مجلد ١١ ص ٣٩٦٤ - فتوى للشيخ عبد المجيد سليم بتاريخ ١٩٤٤/١١/٣٠ .

رئيس لجنة الفتوى بالأزهر
عبد الله عبد الخالق المشد



الفتاوى

س : من السيد / م . ج . سليم ـ كفر الشيخ .

يملك رجل قطعة أرض من الاصلاح الزراعى منذ فترة طويلة ، على أن يسدد ثمنها على أقساط سنوية ، ونظراً لمرضه فقد وكل ابنه الأكبر فى زراعة الأرض وسداد الأقساط وفعلاً قام الابن بالإشراف على الأرض وسدد الأقساط وزوج أخوته الذين هم أصغر منه وعلمهم .. وقد صدر عقد الملكية باسم الوالد ..

فما حكم الشرع فى توزيع هذه الأرض ؟ وما حكم الابن الأكبر الذى قام بجميع الأعمال المذكورة ؟

ج : ما دامت الأرض كانت فى حيازة والد الورثة ، ثم أسند العمل فيها إلى ابنه الأكبر ووكله فى ذلك ثم مات الأب ، وقام الابن الأكبر بالإنفاق من ريعها على إخوته وأخواته ونفسه وأولاده ، كما قام بسداد ما عليها من أقساط من ريعها أيضاً .

فإن الأرض المذكورة توزع على الورثة جميعاً حسب الفريضة الشرعية فى توزيع الميراث .. وينبغى على الورثة أن يقدروا مبلغاً من المال لأخيهم الأكبر نظير عمله ، يتفق عليه فيما بينهم بما يحقق العدالة أمام لجنة تحكيم من أهل المعرفة بالقرية .

س : من السيد / ع . رمضان ـ مصر الجديدة .

توفيت امرأة عن أخت شقيقة ، ابن أخ شقيق ، بنت أخ شقيق ، ابن أخت فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للأخت الشقيقة النصف فرضاً ، لانفرادها ولعدم من يعصبها .. والباقى لابن الأخ الشقيق تعصيباً .

ولا شيء لبنت الأخ ولا لابن الأخت لأنهما من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

س : من الحاج / م . ع . زغلول ـ حلوان .

توفى رجل عن زوجة ، بنت ، أولاد عم شقيق ذكور وإناث ، أولاد أخت شقيقة . ما الحكم ؟

ج : للزوجة الثمن فرضاً لوجود الوارث ، وللبنت النصف فرضاً لعدم من يعصبها ، والباقى للذكور من أولاد العم الشقيق تعصيباً يقسم بينهم بالتساوى ..

ولا شيء للإناث من أولاد العم الشقيق ، ولا لأولاد الأخت الشقيقة ، لأنهم من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

والله أعلم .

عبد الحميد السيد شاهين

من أعـــلام الأزهـــر

العـــلامـــة
محمود خليل الخطيب
شاعـــر الرســـول "صلى الله عليه وسلم"

للأستاذ/ أحمد عزت البرادعى

• عالم أزهرى جليل ، وفقيه إسلامى كبير ، ولواء من ألوية الحق والإيمان ، وعبقرية ناصعة حلقت فى سماء العلم وطافت فى ميدان الأدب والمعرفة فاخرجت للناس علما نافعا يزهو فى كل آن .

مولده ونشأته :

حَدَّث - رحمه الله - عن نفسه فى كتابه « إتحاف الأخيار بأصح الأدعية والأذكار » أنه الشيخ محمد بن الشيخ خليل بن الشيخ محمد الخطيب ينتهى نسبه إلى الدوحة المباركة المطهرة .. إلى رسول الله ﷺ .

ولد فى قرية (نِبيدة) بمركز (أخميم) محافظة (سوهاج) فى ٩ من مارس ١٩٠٩ م وطلب العلم بمعهد أسيوط الدينى عام



١٣٤٠ هـ ، ونال العالمية من الأزهر سنة ١٣٥٠ هـ والتخصص فى اللغة العربية عام

←

١٣٥٤ هـ ثم أخذ مكانه مدرسا بمعهد طنطا الدينى فى نفس العام .. وعاش بطنطا حتى وافته المنية فلحق بالرفيق الأعلى فى ٢١ من فبراير ١٩٨٦ م عن سبعة وسبعين عاما حيث استضافه مثواه بمسجده بمدينة طنطا طيب الله ثراه وغفر له ونفعنا به وبعلمه . آمين .

مؤلفاته

أثرى فضيلته المكتبة الإسلامية بما ينيف على ستين كتابا فى الفقه والأدب والحديث والشعر والقصص[١] فى مقدمتها :

(١) اتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام ﷺ .

(٢) عقيدة الخطيب .

(٣) ديوان الخطيب .

(٤) شرح حكم ابن عطاء الله السكندرى .

(٥) غاية المطالب بشرح ديوان أبى طالب ، جمعه الشيخ ـ رحمه الله ـ من مختلف أمهات الكتب على مدى أكثر من عشر سنوات ، وقام بشرحه .

(٦) إتحاف الأبرار ببعض ما للذكر من أسرار .

(٧) الفية الخطيب فى الصرف .

(٨) روضات الخطيب فى مدح الحبيب سيدنا محمد ﷺ .

(٩) رباعيات الخطيب .

(١٠) أراجيز الخطيب .

تلاميذه

لهذا العالم الجليل أفذاذ تلقوا العلم على يديه ، وصاروا من اعلام هذا العصر ، من أمثال : الدكتور الحسينى أبو فرحة عميد كلية أصول الدين ـ بالقاهرة .

والعلامة توفيق محمد مبع المدرس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض،والدكتور إبراهيم الدسوقى خميس أستاذ التفسير بكلية البنات بالسعودية والدكتور حامد إسماعيل الميرغنى رئيس قسم الشريعة الإسلامية بجامعة صنعاء باليمن الشقيق ، وغيرهم كثير من علماء هذا العصر وعباقرته .

كان ـ رحمه الله ـ ملتزما بكتاب الله وسنة

(١)يذكرنى الشيخ رحمه الله ، وقد دوّن علم البلاغة شعرا وهو طالب فى السنة الثانية الثانوية بفضيلة شيخنا الجليل الشيخ حسنين مخلوف المفتى الأسبق ـ أطال الله بقاءه ـ الذى الف وهو طالب فى السنة الثانية الابتدائية كتابه فى الرفق بالحيوان ، ونشرته مجلة الأزهر هدية ... د . على الخطيب

رسوله ـ ﷺ ـ[٢] وكان الصوفى ـ فى نظره : « من صفا من الكدر ، وامتلأ من العِبَر ، وانقطع لله بعيدا عن البشر إلا فيما ينفعهم فمن لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ومن هنا كان دارسا لأحوال مجتمعه واعيا كل الوعى بشتى شئونه وتمثل ذلك كله فى شعره دراسة ونقدا فقال يحارب مرض « الوساطة » :

إنْ رمتَ امرا فاعتمدْ
عليه جداً واجتهدْ

مَنْ جَدَّ فى أمْرٍ وَجَدْ
ومَنْ له زَرْعٌ حَصَدْ

ترجو النفوس الساقطة
نوالَهُ بالواسطة

وَمَنْ مكانُهُ ارتفع
لنفسه عنها رَفَعْ

ومن إليها قَدْ رَكَنْ
اصاب عقلَهُ الوهن

●●●●

وأى شعب ذا سلك
بغير ما شك هلك

ونصح ـ رحمه الله ـ فى شعره بما تقابل به الواسطة فقال :

إنى أرَاها تَجِبُ
لذى حقوق تُغْصَبُ

أعِنْهُ يَحْمَدْ صُنْعَكَا
من غير شَكٍ رَبُّكا

فمن يُعِنْ اخاهُ
اعانه مَوْلاهُ

وَطَوَّفَ شعرُهُ ـ رحمه الله ـ فى كل واد داعيا لكل خلق كريم مُشَهِّرا بالفساد ، فقال لبعض الشباب :

منك استغاثَ المَسْرحُ
والسينَمَا ، هل تنجح ؟

عن الهوى لا تبرح
بالله كيف تربح ؟

وللعاقل منهم نصيب من توجيهه فيقول :

ياطالب « الحليله »
عليك بالاصيله

من امها مؤدبه
فى بيتها محجبه

اياك والجميله
فى منبت الرذيله

إن ولدتْ فنسلُهَا
سبيله سبيلها

وهذه للمجتمع
اضر ما فيه وقع

---

(٢) اذكر انه رحمه الله ـ عمل على شرح الجامع الصحيح للإمام الترمذى ، ولست ادرى ما تم فيه ، فلعل من تلاميذه ومحبيه من يلقى الضوء بتفصيل على تراث الشيخ ـ رحمه الله . د . على الخطيب

وفى أراجيزه يندد ببعض أشياخ الطرق الذين أساءوا إلى الإسلام، ويرفع من شأن الصالحين منهم، فيقول :

مشايخ الطريق
ضلوا عن الطريق

فى أشهر الحصاد
يأتون كالجراد

وإن منهم طائفه
على الصلاح عاكفه

وشعره فى رسول الله ﷺ كثير يتناول جوانب حياته - عليه الصلاة والسلام كما يتناول معجزاته، ويلم بخصائصه - ﷺ - عن حب ورجاء .

فعن مولده ﷺ - يقول :

ياعيد ميلاد النبى الهادى
العيد أنت لسائر الأعياد

سطع الهدى لما سطعت على الورى
والبشر عم حواضرا وبوادى

واهتز بيت الله والأملاك - من
جذل إليك - روائح وغوادى

ويقارن بين معجزاته ﷺ وقلوب العباد فيسوقها حية نابضة مفعمة بالتأثير فيقول :

أشكى[3] البعير، وقد شكا من ربه[4]
والجذع حن له حنين وداد

ما بالُنا حنَّ الجمادُ لِبُعْدِه
أفلا نَحِنُّ له حنينَ جمادِ

ومن رقائقه فى المديح :

ياخير خلق الله سرك قد سرى
فى الخلق مسرى الروح فى الأجساد

إن جاء قبلك آدم وسواه من
رسل فأنت ختامهم و « البادى »

والله ليس بمؤمن من لم يكن
بهداك فوق النفس والأولاد

ويكون ما يهواه تابع شِرْعةٍ
لك سنها الرب الكريم الهادى

ثم يناجيه - عليه الصلاة والسلام :

ياواصلا للقاطعين ومعطيا
للحارمين وعافيا من عاد

إن جاء غيرى بالصلاح وسيلة
فوسيلتى مدحى لكم ووداى

إنى لحبك قد دُعيت (محمداً)
وكذا دَعَوْتُ (محمداً) أولادى

---

(٣) أزال شكواه .

(٤) صاحبه .

فلنا الأمان بمن نُسَمِّى باسمه
في هذه الدنيا ويوم تنادى

شعرى عليك وقفتُ ياعلم الهدى
فله بعزك عِزَّةُ الأوتاد

ثم يتجه إلى مولانا الأجل وربنا الكريم :

ياذا العطاء دَقِيقُهُ وجَليلُهُ
يامصدر الإيجاد والإمداد

انت الكريم ونرتجيك تكرما
زاداً فقد جئنا بغير الزاد

أنت الرحيمُ ومن احق برحمة
ممن على النفس الضعيفة عاد

إن كان لا يرجوك إلا مصلح
فمن الذى يرجو أخو الإفساد

أعطيتنا الإيمان قبل سؤالنا
فاستبقه ذُخْراً ليوم معاد

وسحائب الرحمات امطر دائما
جدث النبى الهاشمى الهادى

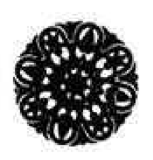
وعليه صَلِّ مباركا ومسلما
مقدار علمك سائر الآباد

وعلى صحابته الكرام وآله
والسالكين بهم سبيل رشاد

ورضاك فامنحنا وَحَسِّنْ حالنا
ولـ (ذَاتِكَ) اجعلنا من الشُّهَّاد

وأدم لنا التوفيق وارفع ذكرنا
واختم لنا بالخير والاسعاد

أحمد عزت البرادعى



من العلوم الكونية

الإعجاز العلمى في القرآن الكريم

العمق الثامن عشر في

(١٩)

يستخدم القرآن الكريم كلمة (صيحة) فى ثلاث عشرة آية للتعبير عن ظاهرة موجية عاتية قد تسبب الموت الفجائى للبشر ، ولم يعرف لها الناس مثيلاً إلا فى عصر العلم عندما تم تفجير القنبلة الذرية فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، إذ انبعثت عنها موجات عاتية من التضاغط والتخلخل أماتت الناس عن كثب .

وهناك بطبيعة الحال صور عديدة للصيحة ، منها مثلاً صدمة الصوت القاتلة .. الناجمة عن ارتطام نيزك بالأرض ، أو صدمة الفزع الفجائى كما يحدث عند انقضاض الصواعق بأصواتها المخيفة ، ويكون استخدام لفظ (الصيحة) فى مثل تلك الحالات العمق الثامن عشر من أعماق الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم .

الآيات الكريمة

١ ـ ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ ـ هود (٦٧) ـ .

٢ ـ ﴿ ..... وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ ـ هود (٩٤) ـ ، ومعنى جاثمين : راقدين لا حراك بهم .

٣ ـ ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾ ـ الحجر (٧٣) ـ ، أى استحوذ عليهم صوت شديد الإزعاج عند شروق الشمس .

٤ ـ ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾ ـ الحجر (٨٣) ـ .

★ ماورد بهذا المقال من تفسير هو اجتهاد كاتبه ومسئوليته وحده ، ومن حق أى متخصص نقده نقداً علمياً نزيها . « مجلة الأزهر » .

أ.د. محمد جمال الدين الفندى

٥ - ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ - المؤمنون (٤١) - ، أى أهلكتهم الصيحة هلاكا جديراً بالظالمين لطغيانهم وكفرهم .

٦ - ﴿ فَكُلاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا . . . . ﴾ - العنكبوت (٤٠) - ، إن تلك الأمم التى كذبت رسلها أهلكها الله بكفرها بأن سلط عليهم ظواهر الطبيعة القاسية المهلكة مثل الرياح العاصفة التى ترمى بالحصى ، ومثل الصيحة ومثل الزلازل التى تخسف الأرض ، ومثل الطوفان الذى يغرق البلاد .

٧ - ﴿ إن كَانَتْ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ - يس (٢٩) - ، أى فإذا هم ميتون لاحراك لهم .

٨ - ﴿ مَايَنظُرُونَ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ - يس (٤٩) - ، أى تقضى عليهم الصيحة الواحدة وهم يتنازعون فى أمور الدنيا ، وقد غفلوا عن الآخرة .

٩ - ﴿ إن كَانَتْ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ - يس (٥٣) - ومعنى الصيحة هنا الدعوة العظمى إلى الخروج يوم الدين .

١٠ - ﴿ وَمَايَنظُرُ هَؤُلاَءِ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّالَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ - ص (١٥) - ، أى صيحة لا حاجة إلى تكرارها لشدتها .

١١ - ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ - ق (٤٢) - .

١٢ - ﴿ إنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ - القمر (٣١) - ، أى كانوا كالشجر اليابس الذى يجمعه من يريد اتخاذ حظيرة له .

١٣ - ﴿ . . . . يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ﴾ - المنافقون (٤) - .

بعض حقائق العلم

لقد ثبت علمياً أن عدداً وفيراً من ضحايا قنبلتى « هيروشيما » و« ناجازاكى » فى أواخر الحرب العالمية الماضية كان بسبب موجة التضاغط الصارمة التى صحبت انفجار كل قنبلة . وتنجم عن انقضاض الصواعق ظواهر مماثلة بسبب الحرارات العالية التى تولدها الصاعقة فى عمود الهواء الذى تنبعث فيه فيتمدد فجأة .

وهناك صيحات خفيفة جداً نسبيا تسبب الإقلاق ينجم عن تكرارها ارتفاع ضغط الدم والأمراض العصبية .

←

وفى هذا العصر ـ عصر الآلة ـ ظهر عدو جديد للإنسان هو الضوضاء التى تحدثها الآلات ، والضجيج الذى يحدثه الناس بأصوات مزعجة ، وأزيز المحركات فى الجو وعلى الأرض . ولقد نجم عن كل ذلك إقلاق تعمل الدولة على الحد منه .

وكان الناس فى الماضى لا يعانون من الضوضاء والأصوات العالية غير المتجانسة لعدم توافرها باستثناء أصوات بعض الحيوانات أو ضجيج الجماعات . ومن رقة الإسلام وحرصه على عدم إقلاق الناس انه يستنكر مثل تلك الاصوات فيقول مثلاً :

١ ـ ﴿ . . . وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ ـ لقمان (١٩) ـ .

٢ ـ ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَرْفَعُواْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ ـ الحجرات (٢) ـ .

٣ ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى . . . ﴾ ـ الحجرات (٣) ـ .

٤ ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ـ الحجرات (٤) ـ .

وفى عصرنا الحالى لا تنتج اغلب الضوضاء من أصوات الكائنات الحية مثل الإنسان أو الحيوان ، بقدر ماتنتج من أصوات الآلات ، ومكبرات الصوت ، وآلات التنبيه . وهناك مراكز خاصة بأبحاث الضوضاء والإقلاق ، تجرى فيها التجارب المختلفة على الناس تثار فيها الضوضاء بطرق صناعية ، وتعمل أجهزة خاصة على تسجيل التأثيرات الحيوية المتباينة النوع والشدة على أعضاء الجسم المختلفة ، كما توجد غرف خاصة من أجل الاختبار .. وترسل الإشارات الكهربائية التى تبين المعلومات المطلوب الحصول عليها بواسطة أسلاك خاصة تتصل بأعضاء الجسم ، وعلى راسها الجمجمة . وتظهر التسجيلات بكل جلاء ووضوح على خرائط خاصة معدة لهذا الغرض .

ومن التجارب التى تجرى فى هذا المجال متابعة نشاط الفرد فى اليوم التالى لتعْريضه للإقلاق حيث يكون غالبا فى حاجة إلى مزيد من الراحة أو النوم .

والراديو والتليفزيون ومكبرات الصوت كلها مصادر إقلاق فى هذا العصر وإن اختلفت شدتها ودرجات أصواتها . ومن الواجب أن يكون لدى أصحابها الوعى الكافى لكى لا تتلف أعصاب من ينشدون الهدوء والراحة كالمرضى ، والدارسين ،... إذ تعتبر الضوضاء نوعاً من أنواع الصيحات المتكررة والمألوفة التى تلوث البيئة الطبيعية تماما كما تلوثها الأتربة وسحب الدخان المختلفة .

وإذا أصيب إنسان بمس من صاعقة أو بصيحتها وجبت المبادرة بعمل التنفس الصناعى له لمدة طويلة فقد تعود إليه الحياة كما دلت على ذلك التجارب . ونحن نعيش عصر العلم وواجب المسلمين أن يتلمسوا حل ما استجد من المشاكل والمسائل الاجتماعية

البقية ص ٨٤

الشعر والشعراء

إشراف: د حسن جاد

من وحي الهجرة

وارحمتاه — إخاء

تبارك الله

من وحي الهجرة

دعهم وما دبروا فالحق منتصر ... وانهض فصاحِبُك الصدّيقُ ينتظرُ

دعهم فتدبيرُهم واهٍ وندوتهمُ ... مالها كمال الكفر مندثر

دعهم يغطون في نوم وقد سكنت ... كل الجوارح لا حِسٌّ ولا بصر

أغشاهم الله فانهارت قوائمهم ... اصابها الضّعفُ والخذلان والخَوَر

حتى إذا ما ضياء الشمس أيقظهم ... جُنّوا على صفحات البيد وانتشروا

يمشّطون دروب البيد ما علموا ... ان النبى بظل الله مستتر

تحلقوا حول باب الغار في فرح ... حيث استقر على اعتابه الأثر

هنا « محمد » نال القوم بغيتهم ... تمكنوا منه ، ضَلَّ القومُ بل خسروا

أيُخنَق الفجرُ والاكوانُ ضارعة ... أيُطفأ النور والأيامُ تنتظر ؟!

ايترك الحق يبغى كل طاغية ... بارضه ويسود الشر والشرر ؟!

حاشا وربّك والدنيا بقبضته ... والخلق والأمر والأرزاق والقدر

قد اشرقت في رحاب الغار بارقة ... من الأمان فلا خوف ولا خطر

◆◆◆

ياداعى الله إن القلب في فزع ... مما يراه ومما يصنع البشر

تَغَرَّبَتْ في دروب التيه خُطوتُنا ... وطال فيه عذاب مُثقل عسر

ياداعى الله أرضُ الله قد عمرت ... بمن أساءوا ومن خانوا ومن غدروا

كانما القوم في وجدانهم عطب ... لا يعقلون وفى ابصارهم قصر

للأستاذ/ رشاد محمد يوسف

تغافلوا عن حمى الإسلام وانشغلوا — وقد احاطت به الاخطار والنذر

نسوا صراط الهدى فانساق خطوهمُ — خلف المضلين لا وعي ولا حذر

وطال ترحالهم في التيه واختلطت — على عيونهم الابعادُ والصور

اىّ الاحاديث انقاها إذا سمعوا — واى لون حقيقي إذا نظروا

عقولهم اصبحت سوقا منوعة — فلا انتماء ولا فِكْرٌ ولا فِكَرُ

وفكرهم وهو من وحي السماء غدا — مضّيعَ النبر لا لحن ولاوتر

على الموائد ايتام وما وجدوا — ولاة امر على احوالهم سهروا

◆◆◆

خلف الظهور كتاب الله مغترب — لا طبقوا حكمه يوما ولا اعتبروا

ولا استناروا بنور الحق او حفظوا — محارم الله او ثاروا او انتصروا

تنازعوا الامر فانحلت اواصرهم — وللعداوة والبغضاء قد نفروا

كانما حادثات الدهر قد فرغت — للمسلمين بما يدمي ويعتصر

القدس والشام والافغان في كرب — والمسلمون "ملايينا" قد انتشروا

عزوا وهم قلة ، واليوم أبْصِرهُم — نهب الضياع وقد زادوا وقد كثروا

يامسلمون كفى نوما وتفرقة — وحولنا النار لا تبقى ولا تذر

يامسلمون وما للامر قائمة — والارض في خطر والعدل يُحتضر

اعيذ قومي من خُلْف يُفرّقهم — وهم على فطرة التوحيد قد فطروا

◆◆◆

ادركْ خطانا رسولَ الله إنّ لنا — وعدا من الله في القرآن يُدّخر

تلوح في ساعة العسرى بشائره — وينصر الله من للحق ينتصر

من الظلام إلى النور

أحمد بلقاج آيه وارهام

نَرُومُ الدُّنَى أَمَانَا ... وَنَخْسُو الْخَنَا دِنَانَا
وَإِنْ نَفْحَةٌ أَطَلَّتْ ... مَسَخْنَا بِهَا الزَّمَانَا
أَيَغْدُو اللَّظَى نَعِيماً ... وَيَغْشَى الْعَمَى دِمَانَا؟!
وَكَأْسُ الضَّلَالِ نَارٌ ... بِهَا طَيْشُنَا سَقَانَا
وَبُؤْسُ الْحَشَا قُبُورٌ ... تُوَارَتْ بِهَا مُنَانَا
كَأَنَّ الصَّدَى سِيَاطٌ ... وَرَيْبَ الدُّجَى خُطَانَا

*

فَمَنْ يَمْتَطِي فُسُوقاً ... إِذَا مَا الرَّدَى تَدَانَى؟!
تَدَلَّى الْخَنَا فَأَمْسَى ... لِبَغْضِ الْوَرَى لِصَانَا
فَهَلْ تُرْتَجَى حَيَاةٌ ... وَمَوْجُ الْخَنَا غَزَانَا ؟
وَهَلْ لِلنُّهَى سُيُوفٌ ... تَقُدُّ الَّذِي غَزَانَا ؟

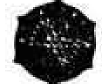
*

ضِيَاءُ الرَّشَادِ دَرْبٌ ... لِمَنْ لِلإِلَهِ دَانَا
أَلَا فَامْتَشِقْ صَلَاةً ... فَبَحْرُ التُّقَى حِمَانَا
وَقَطِّعْ وَتِينَ حُوبٍ ... فَوَحْيُ السَّمَاءِ بَانَا
وَلَاتَصْطَبِغْ بِقَفْرٍ ... فَحَقْلُ السَّنَا دَعَانَا
فَلَا ازْهَرَتْ نُفُوسٌ ... غَدَا زَرْعُهَا هَوَانَا
وَلَا أَبْصَرَتْ حُرُوفٌ ... تَسُوقُ الْقَذَى بَيَانَا
فَدِينُ الْهُدَى حَيَاةٌ ... بِهَا أَشْرَقَتْ رُبَانَا
وَهَذَا الْكِتَابُ نُورٌ ... بِهِ رَبُّنَا حَبَانَا

إخاء

شعر: محيى الدين عطية

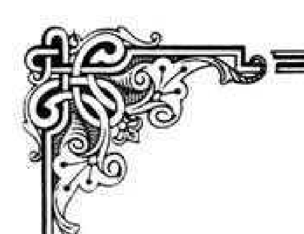
أتدرى أَيْنَ سُكْنَاهُ	أخوكَ وأَيْنَ مَسْعَاهُ
وَهَلْ عَيْنَاكَ تُقْلِتُهُ	إذا فاتَتْكَ عَيْنَاهُ
أخوكَ يَعيشُ كالتَّاريـ	ـخِ فى جَنْبَيْكَ مَسْراهُ
بلا لُغَةٍ، تُصافِحُهُ	وَتَدْمَعُ حينَ تَلْقاهُ
كَأَنَّ النَّهْرَ مَفْطورٌ	عَلى تَقْبيلِ مَجْراهُ
لَئِنْ ضاقَتْ بِهِ الدُّنْيا	فَصَدْرُكَ أَنْتَ مَأواهُ
وَتَسْخُو دونَما مَنٍّ	تُخَفِّفُ عَنْهُ بَلْواهُ
وَتَرْفَعُ دونَهُ حِمْلاً	إذا كَلَّتْ ذِراعاهُ
وَتُسْدِلُ حَوْلَهُ سِتْراً	إذا الشَّيْطانُ أَغْواهُ
تَرَى أُخْراكَ مُثْمِرَةً	فَقَدْ أَخْصَبَتْ دُنْياهُ





واحسرتاه

تَجَرَّعْ يامديد العمر صابا ... وقَضِّ بقية العمر اكتئابا !
وَعِشْ مستوحشا فى الأهل نِسْياً ... وَذُقْ فى آخر الأجل اغترابا
تغافل ياكليل الجسم واخضع ... فقد يجد السلامة من تغابى !
وحين يزورك ابنٌ بعد هجر ... فلا توسعه لوما أو عتابا !!
وطِلْبتك التمسها فى انكسار ... عساها - بعد لأى - أن تجابا !
فمالك حيلة تجديك نفعا ... وطيب العيش قد صار انتهابا !
ولذ بالصمت مُنْتَبذاً بركن ... لتَجْتَرَّ الذى عفَّى وغابا
وأطيافا لأترابٍ تَوَلَّوْا ... تباعا عنك والتحفوا الترابا
وأنت بقيت فى الدنيا غريبا ... ترى فى عيشك العجب العجابا !
وحكمتك التى قد لَقَّنَتْها ... لك الأيام ، لا تُرضِى الرغابا
فدعها فى زوايا الفكر تذوى ... وبادر - بالمداهنة الشبابا
وقل للعابث المهذار مَرْحَى ... فتحت إلى رفيع المجد بابا
وقولك عبقرى فيه رأى ... حكيم للحقيقة قد أصابا
سيصغى عند ذلك فى انتشاء ... ويلتمس المزيد المستطابا !!
وأحلام الشباب لها وميض ... بعقل المرء يغتال الصوابا
فليس يرى بدرب العيش شوكا ... ولا صخرا يعوق ولا ضبابا



للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

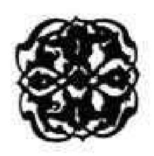
بل الدنيا له انقادت وأحنت — وصيرت النجوم له ركابا
فلا يَثنِيه نصحك عن مرام — وان كان الخيال أو السرابا
ألم تصبح كليل الفكر نِضْواً — قعيدا لا تحابى أو تُحَابَى ؟!
ولست رفيق عربدة ولهو — وأنك لم تعد جَلْداً مهابا
وعيشك قد غدا فى الناس جِمْلا — وإن كانوا الأقارب والصحابا !
ومالُك صار - يامسكين - خصما — وقد أغرى الثعالب والذئابا
فموتك رحمة لك .. لا تَخَفْه — ألا ترضى من السفر الإيابا
فلحدك فى مضيق القبر أحنى — وأفسح من مدى الدنيا رحابا
ألا سُحْقاً وتَثْرِيبا لعصر — يسام شيوخه الغُرُّ العذابا !!

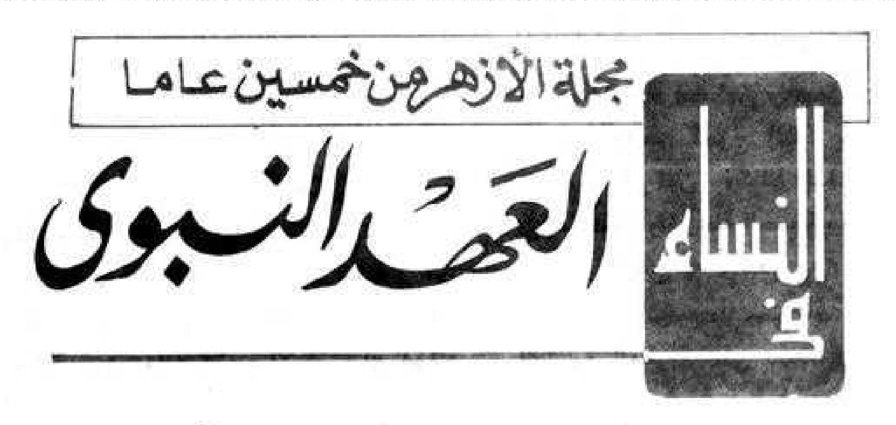


تبارك الله

للشاعرة: علية الجعار

تجلت قدرة الخلاق فينا — تذكرنا به إمّا نسينا
فهذا الجسم من لحم وعظم — وروح كان عند الخلق طينا
وفى الأرحام من ماء مهين — يد الرحمن سوته جنينا
وينمو عمره طورا فطورا — ويذوى عمره حينا فحينا
وقد جئنا جميعا من تراب — إليه سوف نمضى عائدينا
وفى الإنسان آيات تبدت — إلى الإيمان تهدى الحائرينا
تبارك من بنا يهدى إليه — تعالى الله رب العالمينا





لفضيلة الأستاذ طه محمد الساكت

إعداد: عبد الفتاح حسين الزيات

هذه صفحة من تاريخ النساء في صدر الإسلام نعرضها على نسائنا في هذا العصر علهن يجدن فيها عظة ينتفعن بها أو حكمة يهتدين بنورها، متى أصغين القلب، وألقين السمع وقام أولياؤهن بما فرض الله عليهم من التعليم والإرشاد.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾..

قال الأستاذ :ـ

عن أبي سعيد الخُدرى رضى الله عنه قال : «قالت النساءُ للنبي ﷺ : غَلَبَنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوماً من نفسك ؛ فوعدهن يوماً لقيهن فيه ، فوعظهن وأمرهن ؛ فكان فيما قال لهن : ما منكن امرأة تُقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابا من النار . فقالت امرأة : واثنين ؟ فقال : واثنين ».. رواه الشيخان .

* * *

قالت النساء : في رواية مسلم أنهن كن من نساء الأنصار ، والقائلة إحداهن ، ولعلها كانت أكبرهن سناً أو شأناً ، ولرضاهن كلهن نسب القول إليهن .

غلبنا عليك الرجال : زاحمونا عليك فلم يكادوا يتركون لنا وقتاً معك ، تعلمنا فيه مما علمك الله[1] .

←

---

(١) نستعين في شرح الحديث إجمالاً وتفصيلاً برواياته المختلفة ، قصداً إلى الجمع والافادة وخير ما فَسّرَ الواردَ ، الواردُ .

ولدها : الولد يشمل الذكر والأنثى ، والصغير والكبير ، والمفرد والجمع .

إلا كان : أى هذا التقديم المفهوم من « تقدم » وفى رواية « إلا كانوا » أى هؤلاء الثلاثة ، وفى رواية ثالثة « إلا كن » أى هؤلاء الأنفس ، أو النسمات .

فقالت امرأة : هى أم سليم الأنصارية والدة أنس خادم رسول الله ﷺ ، وقيل أم مُبشر ، وقيل أم أيمن ، ولا مانع أن تكون كلٌ سألت ، فيروى القول عن كلٍ .

* * *

لم تكن حياة النساء في العصر الأول كحياتهن فى هذا العصر ، مضطربة حائرة ، أو متبذلة سافرة ؛ بل كانت إلى الفطرة أقرب ، وإلى الطهر أدنى . ولم يكن يمنعهن الحياء الذى يتحلين به ، والحياء من الإيمان ، أن يتفقهن فى الدين ، ويسألن رسول الله ﷺ وأصحابه عما جهلن منه ؛ ولم تكن رعايتهن البالغة بحقوق الزوج والبيت والولد ، لتحول بينهن وبين المنافسة في الهدى والخير ، والمسارعة إلى المثوبة والبر ، ابتغاء رضوان الله ورسوله ﷺ .

قلن يوماً لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، غلبنا عليك الرجال ، فاستأثروا بك ، وذهبوا بحديثك ، فاختر لنا يوماً من تلقاء نفسك نأتيك فيه ، فتعظنا بمواعظ الله ، وتعلمنا مما علمك الله ؛ فقال : موعدكن بيت فلانة يوم كذا وكذا فاجتمعن فيه .

اجتمعن فى الموعد المضروب ، حتى جاء رسول الله ﷺ فحدثهن وعلمهن ، وتخير من الحديث ما هن أحوج إليه ، وما هو أمس بهن ، وأزكى لهن . وكذلك الداعى إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة يحدث كل أحد بما هو أصلح له وأجدر به .

واقتصر أبو سعيد رضى الله عنه على تلك البشارة العظيمة التى سنذكرها بعدُ ، ولم يبين لنا ماذا أمرهن به فى هذا اليوم ؟ إما لعنايته بهذه البشارة وجليل شأنها عند الناس ولا سيما النساء ، وإما لأنه لم يبلغه ما وجه إليهن النبى ﷺ من أمر . ومن يتتبع عظاته للنساء صلوات الله عليه يطمئن إلى أنه أمرهن ، فيما أمرهن ، بالصدقة جبراً لنقصهن ، وتطهيراً لقلوبهن ، وتكفيراً لسيئاتهن . على أن أبا سعيد نفسه هو الذى روى عنه الشيخان أن النبى ﷺ خرج فى أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء ، فقال : يا معشر النساء تصدقن ، فإنى أُريتكن أكثر أهل النار ، فقلن وبمَ يا رسول الله ؟ قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير [٢] ؛ ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن ! قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال : أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ قلن بلى ؛ قال فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تصلِ ولم تصم ؟ قلن بلى ؛ قال فذلك من نقصان دينها . وفى رواية لمسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال : تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم ؛ لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن

(٢) المعاشر والمخالط ولا سيما الزوج .

العشير ؛ فجعلن يتصدقن من حليهن يلقين فى ثوب بلال من اقرطتهن [٣] وخواتمهن .

ولا يعيب المرأة أن يكون النقص فى أصل تكوينها وخلقتها ، لأنها لايد لها فيه ، وإنما هو لحكمة عالية أرادها العليم الحكيم ، ليكتب على الرجل ولايتها ورعايتها ، وبذل الجهد فى إكرامها والإحسان إليها ؛ ومن أجل ذلك لم يحملها مالا طاقة لها به ، بل نهاها أن تتعاطى مالا تحسنه من كل مالا يتفق مع جبلتها وتكوينها . وقلما وليت أمراً ليس من شأنها إلا باءت هى وأنصارها بخسران مقيم ، وخزى اليم ! على انها إذا تأملت فى هذا النقص وجدته من نعم الله عليها ، ورحمته بها إذ رفع عنها إصرا لا تقوم به ، ووزرا لا تحمله ، وقد يعوضها الله بصالح الأعمال ما تسبق به كثيراً من الرجال .

بقى الكلام على البشارة التى بشرهن بها النبى ﷺ ، وهى أن من أصيبت فى ثلاثة من أولادها فصبرت عند الصدمة الأولى واحتسبت راضية بقضاء الله وقدره ، فقد ضمن الله لها الجنة ، ووقاها عذاب النار .

واشترط بعض العلماء أن يكونوا صغاراً لم يبلغوا الحلم ، اخذاً مما رواه البخارى عن انس رضى الله عنه ؛ قال : قال النبى ﷺ « ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاثة لم يبلغوا الحنث [٤] إلا ادخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » لأن الرحمة بالصغير أعظم ، والمحبة له أكثر ؛ ولكن لا يخفى أن المصيبة فى الكبير اقطع ، والفجيعة فيه أفظع ، والآمال به أعلق ، فإن لم يفق الصغير فى المثوبة فلا أقل من أن يساويه .

طمعت النساء فى فضل الله ، فسألن الرسول ﷺ ، وما أكثر تساؤلهن فى مثل هذا المقام ، أيكون هذا الفضل لمن أصيبت فى اثنين ؟ فأجابهن صلوات الله عليه بأنه ثابت كذلك لمن فجعت فى اثنين . بل أخرج الطبرانى فى الأوسط من حديث جابر بن سمُرة مرفوعاً « من دفن ثلاثة فصبر عليهم واحتسب وجبت له الجنة ، فقالت أم أيمن : أو اثنين ؟ فقال : واثنين ، فقالت : وواحداً ؟ فسكت ، ثم قال وواحداً » . ولا عجب فى هذا عند من يعلم أن لا حرج على فضل الله عز وجل ، وكيف ؟ وقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله تعالى ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة » . ففى هذا بشارة شاملة لكل من أصيب فى عزيز لديه ، من ابن بار أو أب رحيم ، أو أخ كريم ، فقابل المصاب بالصبر والتسليم ، والرضا بقضاء العليم الحكيم !

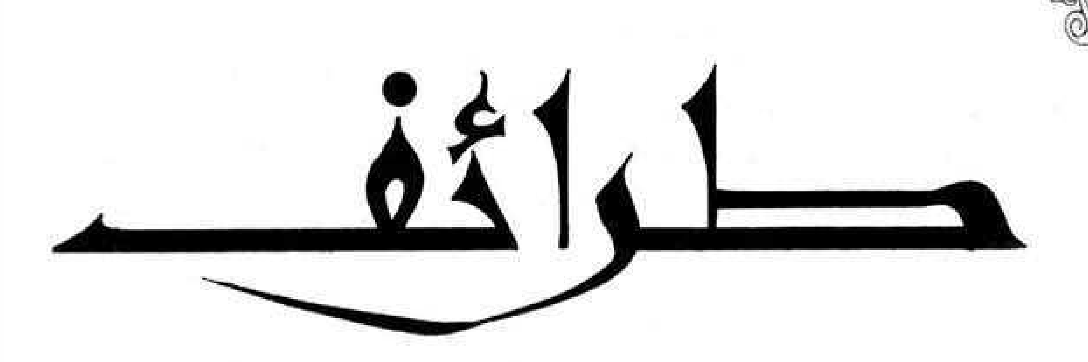
ودلت الأحاديث المتواترة على أن الرجل والمرأة فى هذه البشارة سواء ، وإنما قال ﷺ : « ما منكن امرأة » الخ لأن العظة كانت خاصة بالنساء .

* * *

البقية ص ٩٦

---

(٣) القرط : ما يعلق فى شحمة الاذن ، ذهباً كان او غيره ، وجمعه قراط كرماح والاقرطة جمع الجمع .
(٤) الذنب ، والمراد لم يكلفوا فيكتب عليهم الحنث .



على أى شىء

جاء إلى سفيان بن عيينة ابن اخيه ؛ فقال :

جئتك خاطباً ابنتك ؛ فقال له عمه : كفء كريم ثم قال : اجلس فجلس .

قال يا بُنى : اقرا عشر آيات من كتاب الله تعالى فلم يستطع الشاب .

قال : أرو عشرة أحاديث ، فلم يستطع الشاب .

قال : أنشد عشرة أبيات من الشعر ، فلم يستطع .

فقال له سفيان : لا قرآن ولا حديث ولا شعر فعلى أى شىء أضع ابنتى عندك ؟

ثم قال له : لا أخيبنك ، وأمر لهُ بأربعة آلاف درهم .

« أمهات »

يقال : أم القِرى للنار ، وأم النجوم للمجرّة ، وأم خِتور للدنيا وهى من كنى الضبع ، وأم الطعام للحنطة ، وأم عامر للضبع ، وأم عوف للجرادة ، وأم طلحة للقملة ، وأم ملدم للحمى ، مأخوذة من اللدم وهو ضرب الوجه حتى يحمر ، وأم الخل للخمر ، وأم عبيد للمغارة ، وأم شملة للشمس لأنها تشمل الخلق بطلوعها ، وأم جابر للسنبلة ، وأم الندامة للعجلة ، وأم الفضائل للعلم ، وأم الرذائل للجهل .

« فضل العلم »

أخو العلم حى خالد بعد موته
وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى
يُظَنُّ من الأحياء وهو عديم

« تقدير العلماء »

دخل عروة بن الزبير بستاناً لعبد الملك بن

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

مواقف

مروان ..

فقال عروة : ما أحسن هذا البستان !!!

فقال له عبد الملك : أنت والله أحسن منه هذا يؤتى اكله كل عام ، وأنت تؤتى اكلك كل يوم .

« لم لحنت ؟ »

دخل الشعبى على الحجاج فقال له : كم عطاءك ؟

قال : الفين .

قال : ويحك ؛ كم عطاؤك ؟

قال : الفان .

قال : فلم لحنت فيما لا يلحن فيه مثلك ؟

قال : لحن الأمير فاعرب انا عليه فاكون كالمقرع له بلحنه والمستطيل عليه بفضل القول قبله .

فاعجبه ذلك منه ووهبه مالا .

« حقا »

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن
إذا لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة
وقد شبعت فيها بطون البهائم

« سياسة الدنيا وسياسة الدين »

قال ابو العباس محمد بن يزيد : قسم كسرى ايامه فقال :

يصلح يوم الريح للنوم ، ويوم الغيم للصيد ، ويوم المطر للشرب واللهو ، ويوم الشمس لقضاء الحوائج .

قال الحسين بن خالويه : ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم ، ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[1] . ولكن نبينا ـ ﷺ ـ قد جزا

(١) الروم ٧ .

طرائف ومواقف

نهاره ثلاثة اجزاء : جُزْءٌ لله ، وجزء لأهله ، وجزء لنفسه ، ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس ، فكان يستعين بالخاصة على العامة وكان يقول : ابلغونى حاجة من لا يستطيع إبلاغى ، فإنه من ابلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع إبلاغها امنه الله - تعالى - يوم الفزع الأكبر ..

« زهر الآداب »

« دعاء »

أرجوك يارب فى الدارين ترحمنا
بجاه من بيده سبح الحجر
يارب أعظم لنا أجراً ومغفرة
فإن جودك بحر ليس ينحصر

الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم "بقية"

والاقتصادية والصحية و ... وأن يجتهدوا فى تفسير ما أثاره القرآن الكريم من قضايا العلم فى ظل الثابت من حقائقه ، مثل حقيقة أن الصيحة تحدث وقد تكون قاتلة ، وأن الحد من الضوضاء واجب ، حتى يلمس الناس عن يقين وبينة إن القرآن الكريم معجزة كل العصور ، لا يقف إعجازه عند عصر معين ولا يحد بثقافة بالذات .

إن موجات الضغط الجوى الناجمة عن الصيحات العظيمة مثل ما يحدث عند انفجار بركان ، أو سقوط ينزك جبار يَرُج الأرض ، أو الانفجارات الذرية أو النووية ، كلها إنما تنتشر فى الهواء بسرعة عظيمة مثل سرعة انتشار الصوت وانتقاله ، فتصل إلى نحو ٣٢٠ مترا فى الثانية .

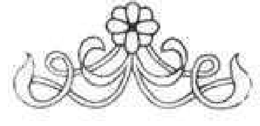
وإن جميع الدراسات والتفاصيل التى تهم الدول منذ تفجير الأسلحة الذرية أو النووية تدور حول الحد من آثارها وأضرارها قدر المستطاع .

وقد تبين أن موجات التضاغط تراوحت مدة ذبذبتها بين دقيقة واحدة ودقيقتين ، مما يلقى الضوء على التفسير العلمى لكلمة (صيحة) . أما مستوى الطاقة الجبارة المنبعثة فهو يسمح بالقتل وبالتدمير والتخريب مالم يتم التفجير على بعد مناسب تحت سطح الأرض .

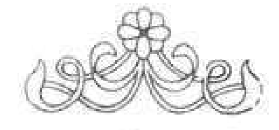
والله تعالى أعلم
وللحديث بقية

اللغة والأدب والنقد

مع لا الناهية فى القرآن الكريم



حول زوجات الرسول
صلى الله عليه وسلم



هل هو التجني على الشيخ المرصفي

مع لا الناهية في القرآن الكريم

« لا » تستعمل استعمالات كثيرة وهي تتردد بين النفي والنهي وقد تأتي زائدة ، وسوف نحصر دراستنا هذه في « لا » الناهية وهي التي لطلب الترك ، ويعبر عنها « بلا » الناهية ، وتختص بالدخول على المضارع وتقتضي جزمه واستقباله . □

قال سيبويه[1] « ولا » في النهي وذلك قولك : لا تفعل فإنما هو بمنزلة لم ، وهذا النهي قد يكون موجهاً ـ في الغالب للمخاطب أو الغائب كما ورد في القرآن الكريم قال المبرد[2] (فأما حرف النهي فهو « لا » وقد يقع على فعل الشاهد والغائب ، وذلك قولك : لا يقم زيد ، ولا تقم يا رجل ، ولا تقومي يا امرأة ، وتقول لا يقم زيد ولا يقعد عبد الله إن عطفت نهيا على نهي . وإن شئت قلت : لا يقم زيد ، ويقعد عبد الله وهو بإعادة « لا » أوضح ، وذلك لأنك إذا قلت : لا يقم زيد ، ولا يقعد عبد الله تبين لك أنك قد نهيت كل واحد منهما على حياله . وإذا قلت : ويقعد عبد الله بغير « لا » فهذا وجه) وقال الرضي[3] (و« لا » المطلوب بها الترك وهي تجزم بخلاف « لا » في النفي . و« لا » النهي تجيء للمخاطب والغائب على السواء ولا تختص بالغائب كاللام . وقد جاء في المتكلم قليلاً كلام الأمر وذلك قولهم لا أرينك هاهنا ، لأن المنهي في الحقيقة ها هنا هو المخاطب أي لا تكن هنا حتى لا أراك) .

ومفهوم النهي هو الترك وهذا حقيقي فيما إذا صدر الأمر به من الأعلى للأدنى فإذا صدر من الأدنى لم يكن نهياً وإنما يصير دعاء ، قال سيبويه[1] : واعلم أن « لا » في الدعاء بمنزلتها في الأمر والنهي ، وذلك قولك : لا يقطع الله يمينك ، واعلم أن الطلب من النهي بمنزلته من الأمر ، يجري على لفظِهِ كما

---

(١) الكتاب ١ : ٤٠٨ بتصرف

(٢) المقتضب ٢ : ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٣) الكافية : ٢ : ٢٥٢

د. عبد العزيز على صالح رضوان

جرى على لفظِهِ ، ألا ترى أنك لا تقول : نهيتُ من فوقى لكن طلبت إليه وذلك قولك : لا يقطع الله يد فلان ولا يصنع الله لعمرو فالمخرج واحد والمعنى مختلف .

وينجزم الفعل فى جواب النهى كما ينجزم فى جواب الأمر فلو قيل على هذا « لا تدنُ من الأسد يأكلْك كان محالا ، لأنه إذا قال لا تدنُ فإنما هو أمر بالتباعد فيكون : تباعد ، فَتَبَاعُدُهُ منه لا يكون سبباً لأكله إياه ، ولكن إذا رفع الجواب « يأكُلك » جاز فيكون المعنى : لا تدنُ من الأسد ثم قال إنه مما يأكلك .

استعمالات لا الناهية

لا لنهى المتكلم : وهذا نادر لأن أمر الشخص ونهيه لنفسه غير مألوف ومخالف للواقع وقد جاء فى قراءة شاذة فى قوله تعالى ﴿ وَلاَ نَكْتُمْ شَهادَةَ اللَّهِ ﴾[٤] فقد قرأ الحسن والشعبى بجزم نكتم ، نهيا أنفسهما عن كتمان الشهادة ولا ناهية للمتكلم ، ودخول لا الناهية على المتكلم قليل ومثله قول الوليد بن عقبة (أو الفرزدق) يعرض بمعاوية ، والبيت من « الطويل » :

إذا ما خرجنَا من دمشقَ فلا نَعُدْ
لها أبداً مادَام فيها الجَرَاضِمُ

وقول النابغة ؛ وهو من « البسيط » :

لا أعرفَنْ رَبْرَباً حُوراً مدامِعُها
مردفاتٍ على أعقاب أكوار

وهذا النوع مما أقيم فيه السبب مقام المسبب والأصل لا تكن هناك فأراك لأن المنهى فى الحقيقة هو المخاطب حتى قال الرضى : وقد جاء فى المتكلم قليلاً ومثله فى الأمر قوله ﴿ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾[٥]

وأما جزمها الفعل المبنى للمفعول فكثير كقولك : لا أُخْرَجْ ولا نُخْرَجْ ، لأن المنهى عنه غير المتكلم وهو الفاعل المحذوف النائب عنه ضمير المتكلم ، والأصل لا يخرجنى ولا يخرجنا أحد فلما حذف الفاعل بنى الفعل للمجهول ومن ذلك قول زهير بن أبى سلمى ، من « البسيط » :

ياحَارِ لا أُرْمَيَنْ منكم بداهية
لم يلقَها سوقةٌ قبلى ولا ملكُ[٦]

لا الناهية : تستعمل فى الدعاء إذا كان الكلام بها صادراً من الأدنى للأعلى فالإنسان يدعو ربه راجياً منه أن يجنبه صفة ذميمة أو وضعاً مهينا ولا يسمى الطلب بها عندئذ نَهْياً ، وإنما يسمى دعاء ورجاء . وقد جاء ذلك كثيراً قال سيبويه[٧] : (واعلم أن لام

←

(٤) سورة المائدة ١٠٦ وراجع البحر ٤ : ٤٤ ومختصر الشواذ لابن خالويه ٣٥ .

(٥) سورة التوبة ١٢٣ والمعنى واغلظوا عليهم ليجدوا ذلك .

(٦) الشاهد : لا أرمين حيث جزم محلاً بلا الناهية وهو للمتكلم مبنى للمجهول . راجع ابن يعيش ٢ : ٢٢ ، الهمع ١ : ١٦٤ الديوان ١٨٠ .

(٧) الكتاب ١ : ٤٠٨ .

مع " لا " الناهية

الأمر و « لا » فى الدعاء بمنزلتهما فى الأمر والنهى ، وذلك قولك : لا يقطع الله يمينك ، وليَجْزك اللهُ خيراً) وقال المبرد[8] (والدعاء يجرى مجرى الأمر والنهى . وإنما سمى هذا أمراً ونهياً ، وقيل للآخر طلب للمعنى أما اللفظ فواحد ، وذلك قولك فى الطلب اللهم اغفر لى ، ولا يقطع الله يد زيد .. فإنما تقول :

سألت الله ولا تقل أمرت الله) وقد جاءت للدعاء فى مواضع كثيرة منها الآيات التالية قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَالَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾[9] ومثله قول مالك بن الريب من « الطويل » :

يقُولُون : لَاتَبْعِدْ وَهُمْ يدفنوننى
وأين مكان البعد إلا مكـانيا

وقـول رجل من بكـر بن وائل من « الوافر » :

فـلا تشلل يـدٌ فتكَتْ بعَمْـرو
فإنك لن تذل ولن تُضَاما (وافر)

ومثل ذلك الآيات ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا[10] ﴾ ﴿ وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[11] ـ رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ[12] ـ رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ[13] ـ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ[14] ـ رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا[15] ـ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا[16]) وهذا كله من باب الاستعطاف وأن يجنبهم الله أن يكونوا من هؤلاء الذين غضب الله عليهم فظلموا أنفسهم أولاً وظلموا غيرهم أو أن يجعلهم من الكافرين الذين كفروا بنعم الله فعبدوا غيره مع أنه المستحق للعبادة ثم رجوا ربهم أن ينزع الغل على المؤمنين من قلوبهم فلا يجعل فيها موجدة عليهم ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً

---

(٨) المقتضب ٢ : ٤٢

(٩) سورة البقرة ٢٨٦ وهذا على إضمار القول : اى قولوا فى دعائكم لا تؤاخذنا ... الخ

(١٠)سورة آل عمران ٨ ويحتمل أن يكون هذا من جملة القول السابق وكأنهم لما رأوا انقسام الناس إلى زائغ ومتذكر مؤمن دعوا الله الا يزيغ قلوبهم بعد هدايتهم ويحتمل ان يكون تعالى علمهم هذا الدعاء والتقدير عليه قولوا ربنا . والإزاغة هنا الضلالة . القراءات : قرأ الجمهور « لاتُزِغْ قُلُوبَنَا » وقرأ الصديق وابو قائلة والجراح « لاتَزِغْ قلوُبنا» . وقرأ بعضهم « لايَزِغْ قُلُوبَنَا » جعله من زاغ وأسنده إلى القلوب وظاهره نهى القلوب عن الزيغ وإنما هو من باب لا اريتك ههنا اى لا تزغنا فتزيغ قلوبنا راجع البحر ٣ : ٣٨٦ العكبرى ١ : ١٢٤

(١١) سورة آل عمران ١٩٤ .

(١٢) سورة الأعراف ٤٧

(١٣) سورة يونس ٨٥ .

(١٤) سورة المؤمنون ٩٤ طلب الا يجعله فى القوم الظالمين على إطلاقه ليشمل الدنيا والآخرة .

(١٥) سورة الممتحنة ٥ ـ وقال ابن عباس لا تسلطهم علينا فيسبوننا ويعذبوننا .

(١٦) سورة الحشر ١٠ ـ وقد دعوا الله أن ينزع الغل من قلوبهم فلا تحمل موجدة على مؤمن .

وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (١٧) ﴾ فقد دعا ربه أن يرزقه ولداً يرثه ثم رد أمره إلى الله فقال : « وأنت خير الوارثين » أى إن لم ترزقنى من يرثنى فأنت خير وارث ومثله قوله تعالى : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً (١٨) ﴾ أى لا تذر أحداً من الكافرين فهذا دعاء عليهم بالإهلاك الشامل .

ومنه دعاء هارون ورجاؤه لأخيه موسى عليهما السلام فى قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٩) ﴾ فقد سأل أخاه أن يترك ما يسر المرتدين من قومه بما هم أنْ يفعله به فيكون ملوماً من موسى ومن قومه ، وبدأ أولاً بسؤال أخيه ألا يشمت به الأعداء لأن ما يوجب الشماتة هو فعل مكروه ظاهر لهم فيشمتوا به فبدأ بالأوكد ثم سأله ألا يجعله ولا يعتقده واحداً من الظالمين ، إذ جعله معهم واعتقاده من جملتهم هو فعل قلبى وليس ظاهرا لبنى إسرائيل ، أو يكون المعنى ولا تجعلنى فى موجدتك على قريناً لهم مصاحباً لهم فى ظلمهم .

استعمالات لا الناهية فى النهى :

إذا أريد بـ « لا » النهى تتنوع أدائها له حسب المقام الذى أريد بها اقتحامه فقد يكون النهى (مباشراً) موجهاً إلى من أريد نهيه عن شىء وقد يكون (غير مباشر) كما أنه قد يكون (عاماً) أو مراداً به العموم حتى وإن وجه على سبيل الخصوص ، وقد يكون (خاصاً) وهى فى هذه الحالة قسمان : إما أن يراد به الخصوص أو يراد به العموم ، وتتضح هذه الأمور بدراستنا لأساليب النهى التى سيقت من أجلها « لا » الناهية :

١ ـ لا الناهية : تستعمل للنهى عن قربان الشىء وهو أبلغ من النهى عن فعله فقوله

←

(١٧) سورة الأنبياء ٨٩ ـ أى لا تذرنى وحيداً بلا وارث .

(١٨) سورة نوح ٢٦ .

(١٩) سورة الأعراف ١٥٠ ـ وقد قرا ابن محيصن « تَشْمِتْ بِىَ الأَعْدَاء » وقرا مجاهد « تَشْمَتْ بى الأعداء » وخرج ابن جنى قراءة مجاهد على أن يكون الفعل لازماً والمعنى فلا تشمت أنت بى فتشمت بى الأعداء فحذف الفعل ـ وجاز هذا كما قال « الله يستهزىء بهم » ثم عاد فأضمر فعلاً نصب به الأعداء كقراءة الجماعة « فَلَا تُشْمِتْ بِىَ الأَعْدَاء » وهذا خروج عن الظاهر وتكلف فى الإعراب يجب الا نخرج عليه القرآن لأنه قد روى تعدى شمت لغة فلا يتكلف لزومها مع نصب الأعداء . أما قوله « الله يستهزىء بهم » فهو فى مقابلة « إنما نحن مستهزئون » فقال : الله يستهزىء بهم ـ وكقوله « ويمكرون ويمكر الله » ولا يجوز ابتداء من غير مقابلة . وقراه حميد بن قيس « تَشْمِتْ بِى الأَعْدَاء » فجعله لازما أيضاً والظاهر أنه نهى للأعداء عن الشماتة به ويدخل فى باب نهى المتكلم فهو من باب « لا أرينك هاهنا » والمراد نهيه أخاه : أى لا تحل بى مكروها فيشمتوا فالنهى فى اللفظ للأعداء وفى المعنى لغيرهم وهو موسى عليه السلام ـ البحر ٤ : ٣٩٦ العكبرى ١ : ٢٨٥ .

تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى [٢٠] ﴾ أبلغ فى النهى من قول القائل لا تصلوا وأنتم سكارى لأنه سبحانه وتعالى بقوله (لا تقربوا) بالغ أشد المبالغة فى النهى عن أن يصلى المؤمن وهو سكران ، ولذا فالخطاب موجه إلى المؤمنين الصالحين ؛ لأن السكران إذا عدم التمييز بسكره ليس بمخاطب ، لكنه مخاطب إذا صحا بامتثال ما يجب عليه وبتكفير ما ضاع فى وقت سكره من الأحكام التى تقرر تكليفه إياها قبل السكر . وهذه الآية محكمة عند الجمهور .

وذهب ابن عباس إلى أنها منسوخة بآية المائدة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . المائدة ٩٠

والصحيح أن هذه الآية لم تنزل فى إباحة الخمر فلا تكون منسوخة ولا أباح بعد إنزالها مجامعة الصلاة مع السُّكْر لأن فى ذلك تخليطا فى الصلاة التى هى رأس العبادة بسبب شرب الخمر ولقد وجب تخليص الصلاة من شوائب الكفر التى توقعها على غير وجهها لذا أمر الله تعالى بإتيانها على وجهها دون ما يفسدها ليجمع لهم بين إخلاص عبادة الحق ومكارم الأخلاق وفى هذا غاية الامتثال لأمر الله بترك مالم يحرم قبل تحريمه وفى ذلك نهى عن السُّكْر عامة ؛ لأن الصلاة فرضت عليهم بأوقات محددة وأوقات السُّكْر ليست محفوظة عندهم ولا بمقدرة ، لأن السكر قد يقع بالقليل وبالكثير ولذا وجب ترك الشرب احتياطا حفاظاً على ما فرض عليهم من الصلاة ـ ومنه قوله

---

(٢٠) سورة النساء ٤٣ ـ وقيل لا تقربوا مواضع الصلاة فحذف المضاف والصحيح أنه لا حذف والمعنى على ما أوردناه ـ وجملة « وأنتم سكارى » حال من واو الجماعة فى « تقربوا » الواقع فاعلاً . سكارى : جمع سكران ، ويجوز ضم سينها وفتحها وقرىء أيضا « سُكْرَىَ » بضم السين وفتحها .

« سكارى » بضم السين قراءة الجمهور واختلفوا أهو جمع تكسير أم اسم جمع ، ومذهب سيبويه أنه جمع تكسير قال « الكتاب ٢ : ٢١٢ » وقد يكسرون بعض هذا على فعالى وذلك قول بعضهم سُكَارَى وعُجَالَى بضم الفاء ومنهم من يقول « عَجَالى » وقال ابن الباذش اسم جمع وهو القياس ، وحكى السيرافى فيه القولين ، ورجح أنه تكسير وهو الصحيح .

« سَكَارَى » بفتح السين قرأت فرقة فهو كندامى وهو جمع تكسير . وليست فى المتواتر وقرأ النخعى « سَكْرَىَ » فاحتمل أن يكون صفة لمؤنث كامرأة سكرى ولجماعة نحو أنتم جماعة سَكْرَىَ ، وقال ابن جنى جمع سكران على سكرى كقولهم هلكى وميدى جمع هالك ومائد وقرأ الأعمش « سُكْرَىَ » بضم السين على وزن حبلى ويخرج على أنه صفة لجماعة أى وأنتم جماعة سكرى . وهو شاذ .

تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا[21] ﴾ ومن ذلك قوله تعالى :

ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا [22] ﴾ فى النهى عن القربان منعهم من دخوله والطواف به بحج أو بعمرة أو غير ذلك كما كانوا يفعلون فى الجاهلية وهذا النهى من حيث المعنى متعلق بالمسلمين أى لا يتركونهم يقربون المسجد الحرام والظاهر أن النهى مختص بالمشركين وبالمسجد الحرام .. وهذا مذهب أبى حنيفة وأباح دخول اليهود والنصارى المسجد الحرام وغيره . وقال الزمخشرى إن معنى « فلا يقربوا المسجد الحرام » فلا يحجوا ولا يعتمروا ويدل عليه قول « علىّ » حين نادى ببراءة « لا يحج بعد عامنا هذا مشرك » ولا يمنعون من دخول المسجد الحرام وسائر المساجد عند أبى حنيفة . وقال الشافعى هى عامة فى الكفار خاصة فى المسجد الحرام فأباح دخول اليهود والنصارى والوثنيين فى سائر المساجد . وقاس مالك جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم على المشركين وقاس سائر المساجد على المسجد الحرام ، ومنع من دخول الجميع فى جميع المساجد . وقال عطاء المراد بالمسجد الحرام : الحرم وإن على المسلمين الا يمكنوهم من دخوله . وقوله تعالى ﴿ فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاءَ فِى الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى

←

---

(٢١) سورة البقرة ١٨٧ ـ والفاء عاطفة على محذوف أى تنبهوا فلا تقربوها ـ والنهى عن القربان للحدود ابلغ من النهى عن الالتباس بها وهذا كما قال ﷺ أن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه » والرتع حول الحمى وقربانه واحد . وقيل معنى لا تقربوها لا تتعرضوا لها بالتغيير كقوله ولا تقربوا مال اليتيم .

وجاء هنا « فلا تقربوها » وفى موضع آخر « فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله ـ ومن يعص الله ويتعد حدوده » لأنه غلب هنا جهة النهى وما كان منهيا عن فعله كان النهى عن قربانه ابلغ ـ واما « فلا تعتدوها » فقد جاء عقب بيان عدة الطلاق وذكر أحكام العدة الإيلاء والحيض فناسب أن ينهى عن التعدى وهو مجاوزة الحد الذى حده الله فيها وكذا « ومن يعص الله » جاء بعد بيان أحكام المواريث وذكر الأنصباء والنظر فى أحوال الأيتام وبيان عدد ما يحل من الزوجات فناسب ان يذكر عقيب ذلك كله التعدى وهو مجاوزة ما شرعه الله من هذه الأحكام إلى مالم يشرعه . البحر ٢ : ٥٤ العكبرى ١ : ٨٣ .

(٢٢) سورة التوبة ٢٨ ـ وقال الجمهور : والمشرك من اتخذ مع الله إلها اخر وعلى ان اهل الكتاب ليسوا بمشركين ، ومن العلماء من اطلق عليهم مشركين لقوله تعالى « إن الله لا يغفر ان يشرك به » اى يكفر به .

القراءات : « نَجَسٌ » قرا الجمهور بفتح النون والجيم وهو مصدر نَجَسَ نَجَساً اى قذر قذراً والظاهر الحكم عليهم بانهم ذوو نجس .

وقرا ابو حَيْدة « نِجْسٌ » بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف اى جنس نجس أو ضرب نجس وهو اسم فاعل من نجس فخففوه بعد الاتباع مثل كبد وكرش . وقرا ابن السميفع « انجاس » فاحتمل ان يكون جمع نجس المصدر كما قالوا أصناف ، واحتمل ان يكون جمع نجس اسم فاعل .

يَطْهُرْنَ [٢٣]﴾ « لا تقربوهن » كناية عن الجماع ومؤكد لقوله « فاعتزلوا النساء فى المحيض » وظاهر الاعتزال والقربان إنهما لا يتماسان ولكن بينت السنة انه اعتزال وقربان خاص وقوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ [٢٤]﴾ اى اتركوا ظاهرها وباطنها فظاهرها الزنا وباطنها اتخاذ الأخدان .

وقيل ظاهره ما نَصَّ الله على تحريمه بقوله ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ ٱللَّاتِى أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ ٱللَّاتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ ٱللَّاتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً [٢٥]﴾

والباطن الزنا ، وقيل ظاهره عمل الجوارح وباطنه عمل القلب من الكيد والحسد والعجب وسوء الاعتقاد وغير ذلك من معاصى القلب . والظاهر أن ما ذكروه يدخل فى هذا العموم . ومنه قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ [٢٦]﴾ وهذا نهى عن القرب الذى يعم جميع وجوه التصرف وفيه سد للذريعة ، ولما كان اليتيم ضعيفاً عن أن يدفع عن ماله لصغره ، نص على النهى عن قربان ماله . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَآ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً [٢٧]﴾ وهذا نهى عن قربان الزنا واستلزم ذلك النهى عن الزنا ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ [٢٨]﴾ نهاهما عن القربان وهو أبلغ من أن يقع النهى عن الأكل لأنه نهى عن القربان فكيف يكون الأكل منها والمعنى لا تقرباها بالأكل لأن الإباحة وقعت فى الأكل . وفى نهى الله آدم وزوجه عن قربان الشجرة دليل على أن سكناهما فى الجنة لا تدوم لأن المخلد لا يؤمر ولا ينهى ولا يمنع من شىء . .

---

(٢٣) سورة البقرة ٢٢٢ ـ وقرأ حمزة والكسائى وعاصم فى رواية ابى بكر والمفضل عنه « يَطَّهَّرْنَ » بتشديد الطاء والهاء واصله يتطهرن . وقرا الباقون من السبعة « يَطْهُرْنَ » مضارع طهر . وفى مصحف أنس ـ تفسيراً ـ « ولا تقربوا النساء فى محيضهن واعتزلوهن حتى يطهرن » ورجح الفارسى يطهرن بالتخفيف إذ هو ثلاثى مضاد طمث ، ورجح الطبرى ـ التشديد وقال هى بمعنى يغتسلن لإجماع الجميع على انه حرام على الرجل ان يقرب امراته بعد انقطاع الدم حتى تطهر وإنما الخلاف فى الطهر ما هو . وقراءة التشديد معناها حتى يغتسلن . وقراءة التخفيف معناها ينقطع دمهن قاله الزمخشرى وقال ابن عطية كل واحد من القراءتين يحتمل ان يراد به الاغتسال بالماء وان يراد انقطاع الدم وزوال أثره . راجع البحر : ٢ : ١٦٨ العكبرى ١ : ٩٤ .

(٢٤) سورة الأنعام ١٥١ والفواحش جمع فاحشة وهى كل ما حرم الله فعله من المعاصى « ماظهر منها ومابطن » بدل من الفواحش بدل اشتمال ومنها فى موضع الحال من ضمير الفاعل . البحر ٤ : ٢١٢ : ٢٥٢ العكبرى ١ : ٢٦٥ ، ٢٧٢ .

(٢٥) سورة النساء ٢٣ .

(٢٦) سورة الأنعام ١٥٢ والإسراء ٣٤ ، وراجع البحر ٤ : ٦/٢٥٢ : ٣٤ .

(٢٧) سورة الإسراء ٣٢ .

(٢٨) سورة البقرة ٣٥ والأعراف ١٩ .

من كبار المستشرقين
"توماس أرنولد"

أنفسنا فى أمن وسلام . ثم يقول : ولما رأت البلاد المجاورة لدمشق صلحها الرائع مع العرب أسرعت تنسج على منوالها ، فعقدت عدة معاهدات أصبحت بها تابعة للعرب ، وظفرت بالأمن والاطمئنان .

ويعارض أرنولد فقهاء المسلمين المتأخرين فى فهمهم « نظام الجزية » واعتبارها ضريبة على الرأس ، لأن هناك من الشواهد ما يدل على أن العرب الفاتحين أبقوا على النظام المالى الذى وجدوه سائدا فى البلاد من قبل . وقد أَعْفَوْا منها قبيلة الجراجمة لأنها سالمت المسلمين وتعهدت أن تكون عونا لهم كما أَعْفَوْا منها من دخل فى خدمة الجيش الإسلامى ، وقد شغل النصارى وظائف كبيرة فى الدولة الإسلامية وتوسع الخليفة معاوية فى الحاقهم بخدمته وحذا حذوه خلفاؤه ونجد الأمر كذلك فى عهد أبى جعفر المنصور العباسى والمعتصم بن الرشيد حتى فى العهد التركى العثمانى .. كل ذلك ينفى وجود أى تعصب فى الإسلام .

وأرنولد حريص على ذكر التسامح الإسلامى فى كل بلد يتحدث عنه ، وذلك ردا على من يتهمون الإسلام بالتعصب ، ومن الأدلة القوية لديه أن كنائس النصارى باقية فى جميع البلاد التى فتحها المسلمون ، ولو كان ثم تعصب ضدهم ما بقيت كنيسة واحدة ، وإنما كان التعصب ضد المسلمين ، فالبلاد التى غلب عليها النصارى أسبانيا وصقلية وبلاد البلقان واليونان .. مُحِيَتْ منها المساجد نهائيا ، وكان الرجل لا يقف فى صقلية بجانب مسجد إلا وهو يرى المسجد الآخر ، ومع هذا التحامل على المسلمين فى البلاد الأوروبية لم يتحرش المسلمون بالنصارى فى البلاد الشرقية .

والحديث عن كتاب « دعوة الإسلام » يستدعى مقالات مطولة ، ولكنى أدعه لأذكر أن أرنولد هو صاحب فكرة إنشاء التراث ـ ومنها تراث الإسلام وتراث مصر . وكانت هذه آخر أعماله وقد أعد موضوعات « تراث الإسلام » وكون الجماعة التى تقوم عليها سنة ١٩٢٩ ، وقبل أن تقدم للطبع وافته منيته ، فاضطلع بهذا العبء الفريد جيوم ، وبعد أكثر من أربعين عاما قام المستشرق الألمانى « جوزيف شاخت » بإخراج سلسلة « تراث الإسلام » على نسق أختها السابقة . وقد ناله المصير المحزن نفسه ، فبعد إعداد موادها واختيار الأعضاء الذين يسهمون فى إخراجها ، وقبل تقديمها إلى المطبعة فارق هو الحياة الدنيا إلى لقاء ربه ، ولكن السلسلة ظهرت وترجم منها إلى الآن ثلاثة اجزاء ، ولا يستغنى الباحث الإسلامى عن أى منهما ، بل لابد منهما معا .

وآثار أرنولد الفكرية من التأليف والتعليق والترجمة والنشر والموازنة بين الأديان وتحقيق المخطوطات .. كل ذلك مما لا يتسع له هذا الحديث ، وهو بهذا جدير بالمحبة من كل منصف .

د / عبد الجليل عبده شلبى



على هامش النقد

حول زوجات الرسول

صلى الله عليه وسلم

فى أخبار ٢٠ من رمضان ١٤٠٧ هـ الموافق ١٨ من مايو ١٩٨٧ م كتبت مقالاً دار حول السيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها ، سلكت فيه سبيل التعريف والتنويه حتى اصحح هفوات يقع فيها كتاب السيرة فى هذه الأيام ، وفى مقدمة من اعنى بالرد عليهم وإسداء الصواب إليهم الدكتورة بنت الشاطىء ، لانها فى مقام أستاذ الثقافة الإسلامية ولا سيما تاريخ امهات المؤمنين ، والسيرة النبوية بوجه عام ، ولها تحقيقات رائدة ، حسبك منها « الغفران » لأبى العلاء المعرى ، فالقارىء - دارسا أو محققاً أو متأدباً - يجد جهداً مشكوراً ، وعملاً مذكوراً ، وريادة هادفة تعد نموذجاً للتحقيق القائم على العلم والتمحيص لذلك تجدنى فى « حديث رمضان » الذى تقدمه كل عام فى شهر الصوم اقرؤه وانظر فى صحته او الخطأ فيه ، لأن القراء يرون فيها حاملة العلم وفاحصة التاريخ ، ودامغة الحجة ، وانا لا اسام ما تقدمه من عام إلى عام ، وقد أكتب إليها مبيناً مازل فيه قلمها ، لأنه يعنينى فى المقام الأول الا يخدش اسلوبها الجميل خطأ أو هفوة .

وفى مقالى هذا أسير على الدرب ، وأبين بعض أخطاء وقعت فيها فى « حديث رمضان » بجريدة الأهرام ، وقد أرسلت مقالة للقائم بالفكر الدينى ولم يشأ أن ينشر ما سقته من نقد وليس هو الحريص على مكانة الدكتورة بنت الشاطىء حين يمنع نشر ما يهدى إليها من عيوب أو شبه العيوب حتى نحصل مما تهدف إليه على التوجيه السليم ، والرأى السديد والحقيقة الناصعة وسأذكر المؤاخذات ، ومع كل مؤاخذة ما يقابلها من الصحة مدعومة بالتوثيق والمراجع المعتمدة وسأترك ما نشرته جريدة الأخبار ، وإليك ما نحن بصدده :

فى ١٣/٥/١٩٨٧ - حديث رمضان ، الإسلام فى موازين القوى ، جند الإسلام والتعبئة ليوم بدر . بالعمود الثانى فى المقال : مشى هشام بن عمرو إلى زهير بن أبى أمية المخزومى أخو أم سلمة - أمها عاتكة بنت عبد المطلب الهاشمية ، والمراد بالمشى هنا هو السعى لنقض الصحيفة الظالمة التى منعت



للأستاذ / السيد حسن قرون

قريشا من التعامل مع بنى هاشم بيعاً وشراء ونكاحاً .

أين الخطأ ؟

الخطأ فى نسبة أم سلمة إلى « عاتكة الهاشمية » لأن عاتكة الهاشمية أم أخويها لأبيها أبى أمية المخزومى وهما زهير وعبد الله ، وليست أما لأم سلمة .

ومن العجيب أن أم سلمة اسم أمها عاتكة أيضاً ، ولكنها من « كنانة » .

راجع الطبقات الكبرى لابن سعد فى حديثه عن زوجات الرسول ـ ﷺ .

وفى موضع آخر من المقال نفسه كتبت فذهب هشام إلى المطعم بن عدى فقال له : « يامطعم ، قد رضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف ، يعنى بنى عبد المطلب وبنى هاشم وأنت شاهد على ذلك ؟ » .

أين الخطأ ؟

فسرت البطنين بقولها : « يعنى بنى عبد المطلب وبنى هاشم » ـ والصواب : بنى المطلب وبنى هاشم ، والمطلب : عم عبد المطلب جد النبى محمد ﷺ .

وعبد المطلب اسمه « شيبة الحمد » فلما أحضره عمه من يثرب وهو يافع قال الناس « عبد المطلب » ولم يعرفوا أنه ابن أخيه هاشم ، وجرى « عبد المطلب » اسما له ولم يفترق المطلب وهاشم فى جاهلية ولا فى إسلام . ولهما أخوان : عبد شمس ومنه أمية وإخوته ، ونوفل ومن ذريته : المطعم بن عدى .

وفى ١٥/٥/١٩٨٧ ـ حديث رمضان فى موازين القوى . البدريون . جاء فى المقال للدكتورة بنت الشاطىء قولها : من الأنصار النقيبان : « سعد بن معاذ » الأوسى ، « وسعد بن عبادة » الخزرجى فى أصحاب العالية تجعل ذلك فى مقابلة البدريين من المهاجرين .

أين الخطأ ؟

الخطأ فى أنها جعلت سعد بن عبادة ممن حضر غزوة بدر مع أنه لم يحضرها ، ولكن التعبير بذكرهما راق لها فكان « النقيبان سعد بن معاذ .. وسعد بن عبادة » يمثلان القبيلتين ، ونحن نحب أن نقول : السعدين أو السعدان الأوسى والخزرجى ، ولكن بدراً لم تجمع بينهما .

يقول ابن سعد فى ترجمة سعد بن عبادة : « وشهد سعد العقبة مع السبعين من الأنصار ـ فى روايتهم جميعاً ـ وكان أحد النقباء الاثنى عشر فكان سيداً جواداً ، ولم يشهد بدراً ، وكان يتهيأ للخروج إلى بدر ويأتى دور الأنصار يحضهم على الخروج فنهش قبل أن يخرج فأقام ، فقال رسول الله ﷺ : لئن كان سعد لم يشهدها لقد كان عليها حريصاً .. » ثم يقول : « ولم يذكره أحد ممن يروى المغازى فى تسمية من شهد بدراً » ولكن الدكتورة بنت الشاطىء عز عليها الا يكون من اهل بدر فألحقته بهم ، ولكنا نرد هذا القول بما ذكرنا .

وفى ١٩٨٧/٥/١٧ ـ حديث رمضان ـ الإسلام فى موازين القوى ـ المشركون فى معسكر قريش يوم بدر ـ جاء فى المقال : « فكان أن خرج عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشى الأموى من صف المشركين يختال ، ثم نادى مناديهم : يامحمد أخرج إلينا أكفاءنا ، فأخرج إليهم حمزة بن عبد المطلب ، وابنى عميه : على بن أبى طالب ، وعتبة بن الحارث بن عبد المطلب رضى الله عنهم .. » .

فى هذا الخبر ثلاثة أخطاء :

جعل عتبة بن ربيعة بن عبد شمس من بنى أمية ، وأمية لم يلده وإن جمعهما « عبد شمس » .

وفى ذكر عقبة بن الحارث تجد الخطأين ، فالرجل اسمه « عبيدة » وهو من بنى المطلب لا بنى هاشم ، وقد يكون فى ذكر الحارث ما مال بالدكتورة نحو الخطأ ، لأن لعبد المطلب ولداً هو الحارث وهو أكبر بنيه .. فلنضع عبيدة فى نسبه ، وهو رجل لا يخفى مكانه فقد بارز فى بدر واستشهد .

وانا حين اعمل على توضيح المواقف ، وإحقاق الحق ، وتمحيص الأخبار اساعد على إحياء التراث فى صورته الجميلة النبيلة الصادقة ، والله المعين .

السيد حسن قرون

مجلة الأزهر من خمسين عاما "بقية"

هذه صحيفة تصور لنا على الرغم من إيجازها مكانة المرأة فى الإسلام ، وحدبه عليها ، وعنايته بتعليمها وإرشادها ، وحمايته لها من وخامة الابتذال والاختلاط ، وما يجران عليها من وبال وبلاء . ثم تبين لنا كيف استجابت المرأة فى الصدر الأول لدعوة الإسلام وتادبت بادبه ؟ فلم تعْدُ طورها ولم تجاوز حدها ، ولم تفكر يوماً أن تزاحم الرجل فيما كتب الله عليه من حقوق واعباء ، وإن عملت على أن تكون معه فى الخير العام على سواء .

ولا نريد هنا أن نبين منة الإسلام على المرأة فيما فرض لها من حقوق وواجبات ، وفيما انقذها من طغيان

وإنما الذى نريد ونرجو من المرأة فى عصرنا الحاضر أن تقرأ ، ولو على سبيل التسلية ، تاريخها فى الإسلام ، وعنايته بها ؛ فعسى إن فعلت أن تذكر نعمة الله عليها ، فتخفف من غلوائها ، وتقصد فى غيها ، وتتبين أنها كانت مخدوعة بمفاتن المدنية الحديثة وأثامها وشرورها !

وحينذاك تضع اكرم اللبنات واقواها فى بناء أمتها وعزها ، وسعادتها وارتقائها ..

هل هو التجنى على

الشيخ حسين المرصفى ؟

د. إبراهيم عوضين

استطاع الشيخ حسين المرصفى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر أن يجتذب انظار الدارسين وعقولهم بما اجتمع إليه من موهبة الفنان واستيعاب العالم ، وتمكن اللبيب الأريب حتى اجلس على عرش النقد الحديث ، واقر له الجميع بمكانه الريادى فى التطوير الأدبى المتمثل فى التوجيهات الفعالة الصاقلة للموهبة الفنية عند شعراء العصر امثال البارودى وشوقى .

ولكن بعض الدارسين الذين تناولوا الشيخ فيما بعد بالدراسة والتقويم ساءهم أن يسلم الأمر هكذا له من غير ان يكون هناك ما يؤخذ عليه أو يزحزحه عن مكان الريادة ، فحرصوا على افتعال المواقف والآراء التى تحقق لهم مرادهم ، سواء كان ذلك منهم عن قصد الإساءة إلى الشيخ ، أو عن قصد إبراز جهدهم النقدى وإمكاناتهم العلمية ، وسعة آفاقهم على حساب الأعلام .

وممن كتب عن الشيخ حسين المرصفى الأستاذ الدكتور محمد مندور صاحب الباع الطويل فى النقد الأدبى الحديث .

ولكن الدكتور مندور قدم الشيخ فى صورة مشوهة ، لا أدرى أكان ذلك منه عن قصد التشويه ، أم كان ذلك ناشئا عن العجلة فى تصيد خطأ للشيخ يحسب لدارسه وناقده ؟!

تناقض واضح

فى مقال للدكتور مندور عن الشيخ حسين المرصفى والوسيلة الأدبية(★) ذكر أن الشيخ سبق الدارسين والنقاد فى العصر الحديث إلى الوحدة العضوية فى القصيدة . ثم عاد فنقض ما قرر فى قوله :-

(★) نشر في مجلة (المجلة) العدد التاسع والعشرون مايو سنة ١٩٥٩ ص ٤٠ ، ٤١ .

« ... ومع ذلك فنحن لا نستطيع أن نزعم أن الشيخ حسين المرصفى قد جدد أصول النقد الأدبى على نحو ما فعل صاحبا (الديوان) ، وصاحب (الغربال) فيما بعد ، فالشيخ حسين نفسه لا يزال يقرر أن البيت مثلا وحدة شعرية مستقلة بذاتها ، حيث يقول فى مستهل حديثه عن الشعر : إنه كلام مفصل قطعا قطعا متساوية فى الوزن ، متحدة فى الحرف الأخير من كل قطعة ، وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتا ، ويسمى الحرف الأخير الذى تتفق فيه رويا وقافية ، وينفرد كل بيت بإفادته فى تركيبه حتى كأنه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده ، وإذا أفرد كان تاما فى بابه ، فى مدح أو تشبيب أو رثاء ، فيحرص الشاعر على إعطاء ذلك البيت ما يستقل فى إفادته ، ثم يستأنف البيت الأخير كلاما آخر كذلك ، ويستطرد للخروج من فن إلى فن ، ومن مقصود إلى مقصود ، بأن يوطىء المقصود الأول ومعانيه إلى أن يناسب المقصود الثانى ، ويبعد الكلام عن التنافر كما يستطرد من التشبيب إلى المدح ، ومن وصف البيداء والطلول إلى وصف الركاب أو الخيل أو الطيف ، ومن وصف الممدوح إلى وصف قومه وعساكره ، ومن التفجع والعزاء فى الرثاء إلى التأثر وأمثال ذلك .

ثم يعلق الدكتور مندور على ذلك بقوله :ـ

« ومن البين أن مثل هذا المنهج النقدى لا يخرج فى شىء عن منهج النقد التقليدى عند العرب ، وهو يعتبر اليوم قديما باليا بالنسبة إلينا ، بعد أن اتسعت آفاقنا النقدية ، وأصبحنا نبحث عن فلسفة الأدب وأهدافه ومصادره ووظائفه فى الحياة وفى خصائصه الجمالية ومبادئه الفنية وأصالته المتميزة .

موطـن التناقـض

وعلى الرغم من أن الدكتور مندور بذلك يومىء إلى أن الشيخ المرصفى وقع فى تناقض حين قال بالوحدة العضوية فى القصيدة ، وسار فى دراسته على أن البيت فى القصيدة ذو كيان مستقل ..

على الرغم من ذلك .. أرى أن الدكتور مندور هو الذى وقع فى التناقض فى قراءة الشيخ المرصفى أو فى تقويمه ، فالشيخ المرصفى ـ فى الفقرة التى أوردها الدكتور مندور ـ قدم وصفا للشعر عند العرب فى العصور السابقة ، وأبرز منهجهم فيه ، ولم يقدم رؤيته هو للشعر .

ولكن الدكتور جعل ذلك رأيا للشيخ فى الشعر يحسب عليه ، ويؤخذ به ، وينتقض بسببه ما ذكره تصريحا عن احتفاله بالوحدة العضوية للقصيدة .

ويبدو أن العجلة أذهلته عن التدقيق فى عبارة المرصفى فلم يميز بين رأيه فى الشعر ، ووصفه لرأى العرب فى الشعر .. أو أن الغرض دفعه إلى أن يحكم « بالكفر على ناقل الكفر » !

فلو كان هذا الذى نقله الدكتور مندور من كلام المرصفى يتضمن رأيه النقدى فى التعريف بالشعر لما كان هناك داع لأن يقول الشيخ :

« وتسمى كل قطعة من هذه القطعات (عندهم) بيتا .. » .

فكلمة (عندهم) هذه مفتاح كاشف ينبه إلى أن الشيخ لا يقوم رأيه هو ، وإنما يصف لتلاميذه منهاج الشعراء العرب السابقين الذين يرجع إليهم الضمير فيها ، حتى لا يغيب عن الناقد مفهوم الشعر عند العرب ، فيزن شعرهم بموازينهم ، لا بموازين العصر .

وليست كلمة (عندهم) فى عبارة الشيخ وحدها هى التى تشير إلى مقصوده هذا ، بل إن سياق العبارة كله يومىء إلى ذلك !

فالشيخ يقرر لتلاميذه أن الناقد الحقيق بهذا اللقب لابد له من موازين مختلفة تمثل أطوار الأدب فى بيئاته المتعددة ليزن نتاج كل بيئة بما يلائمه من الموازين النقدية .

وليس هو الذى يحمل ميزانا واحدا ليقيس به الأعمال الأدبية كلها مهما تباين أصحابها ، ومهما اختلفت البيئات ، وتباعدت الأزمان ..

والشيخ اقرارا لمنهجه الموضوعى فى النقد - يضع بين يدي تلاميذه مفهوم الشعر عند السابقين من الشعراء العرب وناقديهم ، بعد أن تعددت المفاهيم ، وأوشك الجديد منها أن يطغى على القديم ، مما يخشى معه وقوع الناقدين فى خطأ الخلط والاضطراب !

وليس أدل على ذلك من اعتراض الشيخ على تعريف العروضيين للشعر وقولهم : إنه الكلام الموزون المقفى ، وذلك قوله :

« وقول العروضيين فى الشعر إنه الكلام الموزون المقفى .. ليس بحد لهذا الشعر باعتبار ما فيه من الاعراب ، والبلاغة ، والوزن ، والقوالب الخاصة . فلا جرم أن حدهم ذلك لا يصلح (عندنا) ، فلابد من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثية ، فنقول : إن الشعر هو الكلام البليغ المبنى على الاستعارة والأوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة فى الوزن والروى مستقل كل جزء منها فى غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجارى على أساليب العرب المخصوصة به .

ويبدو أن الدكتور مندور لم يتنبه إلى قيمة كلمة (عندنا) فى قول الشيخ هنا : « إن حدهم ذلك لا يصلح عندنا » كما لم يتنبه إلى قيمة كلمة (عندهم) فى عبارته السابقة ، ولذلك نراه ينقل اعتراض الشيخ المرصفى على تعريف العروضيين للشعر ليدلل به على انه فطن إلى خاصية أساسية تميز الأدب عامة والشعر خاصة عن غيره من الكتابات ، وهى التصوير البيانى ، بدلا من التعريف الجاد .

ولو التفت الدكتور إلى القيمة البيانية لكلمة (عندهم) و (عندنا) لخلص نفسه من كل ذلك الاضطراب ، ولاجتنب الوقوع فى هذا التناقض ، ولما أصيب بتلك الحيرة ، التى نقلتها عبارته لقارئه فلا يدرى إن كان الدكتور لم يلتفت إلى الكلمتين فى تعبير الشيخ المرصفى عن غير قصد منه ، أو عن قصد .

وكم كنا نود الا تقف دقة الدكتور ومذهبه النقدى دون إغفال قيمة هاتين الكلمتين او التغافل عنهما ، حتى يتم له تقديم الشيخ المرصفى فى صورته الواضحة الجليلة خالصة من الشوائب حفاظا على مكانة الدكتور النقدية فى نفوس من تتلمذوا عليه ، أو تلقوا عنه !

الدكتور / ابراهيم عوضين
وكيل كلية اللغة العربية بالمنصورة

نظرات فى القوة الذاتية للإعلام فى بلاد المسلمين

بداية .. ينبغي الا نغض من شان انفسنا ، فتعلو الصرخات والتحذيرات من ضعف الإعلام كاداة من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية للدول ، أو كأداة من أدوات التنمية فى بلاد المسلمين ، أو من ضعف القائمين بالاتصال والعاملين فى وسائل الإعلام واجهزته فى بلاد المسلمين ، أو من المحتوى الإعلامى لإعلامنا .. فليس ما ينشر فى صحافتنا العربية والإسلامية كله شر ، وليس ما يذاع عبر الأثير من برامج ومواد إذاعية و« تليفزيونية » كله شر ، وليس العاملون فى مجال الإعلام فى بلاد المسلمين جميعاً غير أكفاء ..

هذه الحقائق لابد أن تكون واضحة أمامنا ونحن نتأمل قوة الإعلام فى بلاد المسلمين .

ولابد للباحث المنصف أن يبحث عن مواطن القوة ويستثمرها ويقويها ويبرزها ويلفت النظر إليها ويضعها تحت بصر المسئولين فى بلاد المسلمين .

ولابد للباحث المنصف أن يتفحص مواطن الخلل فى إعلامنا وأن يشخص الداء بروح محايدة ونفس خالية من الشكوك والظنون والتجريح ..

من أجل ذلك نطرح تلك النظرات فى إعلامنا الإسلامى لنعرف قوتنا الحقيقية فى مواجهة القوة الذاتية للإعلام المضاد لإعلامنا الإسلامى حتى ندعو إلى الله على بصيرة .

« الخريطة الاعلامية للعالم العربى »

١ ـ خريطة الإرسال اذاعى فى الدول العربية والاسلامية

توجد فى العالم العربى نحو ١٩٨ محطة إرسال رئيسية وإضافية موزعة على نحو « ١٥ » خمس عشرة دولة عربية بما فيها منطقة الصحراء المغربية كذلك يوجد نحو « ٢٥٦ » محطة إرسال « تليفزيونى » فى نحو « ١٢ » اثنتى عشرة دولة عربية .

١ ـ بمصر « ٢٨ » ثمان وعشرون محطة إرسال تليفزيونى بلغت حالياً « ٣٥ » خمسا وثلاثين محطة [١].

---

(١) حسب الخطة الإعلامية لعام ١٩٨٤/٨٣ .

بقلم :
حسن على العنيبسى

٢ ـ وبالجزائر « ١٨ » ثمانى عشرة محطة إرسال تليفزيونى بلغت عشرين محطة فى عام ١٩٨٤

٣ ـ السعودية « ١٢ » اثنتى عشرة محطة إرسال تليفزيونى بلغت « ٢٢ » اثنتين وعشرين محطة حسب إحصائية عام ١٩٨٤/٨٣ .

٤ ـ لبنان « ١١ » إحدى عشرة محطة إرسال تليفزيونى .

٥ ـ الكويت « ٨ » ثمانى محطات إرسال تليفزيونى .

٦ ـ اليمن الجنوبية « ٧ » سبع محطات إرسال تليفزيونى .

٧ ـ الأردن « ٦ » ست محطات إرسال تليفزيونى .

٨ ـ العراق « ٥ » خمس محطات إرسال تليفزيونى .

٩ ـ السودان « ٤ » أربع محطات إرسال تليفزيونى .

١٠ ـ قطر « ٤ » أربع محطات إرسال تليفزيوني (٢)

● ترى لو اجتمعت كل هذه القنوات الإعلامية على كلمة واحدة ألم تكن تكون رأياً عاماً لا يقف أمامه كيد عدو فضلاً عما فيه من تقوية وحدة الصف فى جبهة يعسر إرضاخها .

٢ ـ خريطة الصحافة فى العالم العربى

● فى العالم العربى نحو ١١٣٦ صحيفة يومية تطبع مليونى نسخة مثلاً : فى لبنان ٣٧ « سبعة وثلاثون » صحيفة ، السودان ٢٢ « اثنتان وعشرون » صحيفة ، مصر ١٤ « أربع عشرة » صحيفة ، المغرب ١١ « إحدى عشرة » صحيفة ، السعودية ٧ « سبع » صحف ، الكويت ٤ « أربع » صحف ، اليمن الجنوبية ٣ « ثلاث » صحف ، الصومال ٢ « ثنتان » . ولو اجتمعت هذه الصحف تحت « استراتيجية » إعلامية موحدة تتكامل فيما بينها ، لأزالت عن الوجود العربى كل العوائق التى تحول بينه وبين أمانيه ولنجحت كل قضاياه ، فإن العالم المعادى لوحدة المسلمين والعرب لا يستطيع مواجهة أكثر من مائة مليون عربى على قلب واحد وكلمة واحدة وليذكر إخواننا العرب هذا الأثر ، فإنه بقدر ما يعطيهم من فخر بقدر ما يطالبهم بالمسئولية :

إذا عز العرب عز الإسلام .

---

(٢) راجع تقرير اليونسكو « الحق فى الاتصال لسنة ١٩٨٥ » .

٣ ـ أما وسائل المواصلات بين الدول الإسلامية

● فهى ما تزال أبهظ وأغلى الأجور فى العالم فتجد أجور المسافات بين دولة ما وأخرى مسلمة تزيد بكثير عن مثيلتها بين دولتين غير مسلمتين .. !! ناهيك عن الحدود المفتوحة والحدود المغلقة بين الدول الإسلامية ، وما قد يترتب على اتصال فرد بإحدى الدول من بلاء ، قد يدخل فى نطاق الخيانة العظمى !! وهذا الوضع من التمزيق هو عين الرضا لأعداء المسلمين والإسلام .

● كذلك فإن عواصم النصرانية : « لندن وباريس وواشنطن » وما تبعها من إعلان مرتبط بمصالحها فى أوربا الغربية يشكل المصدر الأساسى لـ « ٨٠٪ » من الأخبار ، وإن العالم بمجريات الأمور ليكتشف :

كم من خبر مدسوس ، أو مبتور ، أو كاذب تتلقاها صحافة العالم العربى والإسلامى وتنشره لأنه من « رويتر » أو « فرانس برس » وهى فى الوقت نفسه تجهل ما ينبغى أن تتعاون فيه مع دولة إسلامية مجاورة .

٤ ـ وبالنسبة للبرامج الاذاعية

راديو ـ تليفزيون

فإن نحو ١٢ دولة إسلامية تتصدر التوجيه فى عالمنا الإسلامى تستورد ٥٠٪ من برامجها من الخارج وتقوم ببث وإذاعة هذه البرامج المستوردة عبر أجهزتها الإعلامية[٣] .

كما يوجد نحو عشر دول إسلامية تستورد ٦٠٪[٤] من برامجها من الخارج وتقوم ببث هذه المواد من خلال أجهزتها . كذلك يوجد نحو تسع دول إسلامية تستورد ٧٠٪ تقريباً من برامجها من الخارج ولا تنتجها محلياً وأربع دول إسلامية تستورد نحو ٨٠٪ وأكثر أى معظم المضمون الإعلامى من برامجها المذاعة وهى كلها من الخارج . وهذه الدول ليس من بينها دولة واحدة مسيحية .

اما المصدر الرئيسى للبرامج والمسلسلات فى بلادنا الإسلامية فهو للأسف من الولايات المتحدة الأمريكية حيث تبيع لهذه الدول نحواً من (١٠٠) ألف ساعة إلى (٢٠٠) ألف ساعة سنوياً !! وينبغى أن تعلم أن ما تصدره الولايات المتحدة وتبيعه لبلادنا الإسلامية يحمل قيماً واتجاهات ومفاهيم غريبة عن مجتمعنا الإسلامى ، ناهيك عن السم الذى تبثه فى هذه المسلسلات وتلك الأفلام فيتشربه شبابنا وأطفالنا !!

ويقلده مخرجو (الأفلام) ببلادنا الإسلامية فيزيدون الطين بلة .. والويل لنا إذا لم نفتح أعيننا جيداً ونحدد ما نقبله وما نرفضه ..!!

وترجع خطورة استيراد المضمون الإعلامى الترفيهى من مسلسلات أو (افلام) اساساً

(٣) راجع لد . جيهان رشتى : التحديات والغزوات الإعلامية المعاصرة ـ بتصرف ـ بحث غير منشور ص ٧

(٤) نفس المصدر .

إلى ما فيها من إشباع « رغبات » وليس إشباع « حاجات » المشاهدين فى الدول التى يصدر إليها ، ثم إن هذا المضمون الإعلامى المستورد لا يتفق غالباً مع احتياجات مجتمعاتنا الإسلامية ، واستطيع أن أجزم أنه يضر بمسيرة عمليات التنمية فى بلادنا الإسلامية .. ويسبب مشكلات اجتماعية خطيرة .. وبهذا يحقق للبلاد المصدرة وكل الدوائر المعادية للإسلام استمرار السيطرة والهيمنة والنفوذ على شتى بلاد المسلمين فى العالم ..

فمثلاً من أخطر تأثيرات استيراد المسلسلات والأفلام الأمريكية والإنجليزية والفرنسية أنها تنمى وتطور الحوافز الاستهلاكية[٥] بين الشعوب الإسلامية وتعمل على خلق مجتمعات استهلاكية محضة تبنى حياتها على استخدام المصنوعات الأجنبية فتتعثر الصناعات الوطنية ويتدهور الاقتصاد الوطنى ..!!

ومع انتشار الرغبات الاستهلاكية للمواد الأجنبية وتفضيلها دائماً يتدهور الدخل القومى ، وتبدأ الجريمة والفساد فى الانتشار فى المجتمعات الإسلامية ، فضلاً عن طمس الهوية الإسلامية وطغيان الثقافات اللاأخلاقية على ثقافتنا القيمة الأصيلة وفى ذلك ما فيه من خطر على كيان المسلمين عامة ، وبث روح التهاون والازدراء على كل ما هو وطنى مهما تحسن إنتاجه مما يتسبب فى ضياع الملايين من الأرصدة أدراج الرياح .

القوة الحقيقية للإعلام فيما يعكسه من أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية

قلنا فى بداية هذه الدراسة إن الإعلام لا ينطلق من فراغ ، وإن الإعلام لا يستطيع أن يحول الهزيمة إلى نصر .. لأنه يستمد قوته من الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .. وكلما كانت الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية قوية كلما كان الإعلام قوياً ، وأكثر قابلية للتصديق وأكثر قدرة على المناورة ، وأكثر قدرة على انتزاع زمام المبادرة ..

ولمعرفة حجم القوة التى يعكسها الإعلام فى بلاد المسلمين لابد من معرفة الأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى بلاد المسلمين،لأن هذه الأوضاع اتخذتها الدعايات المضادة للإسلام وسيلة لمحاربة الإسلام فقالوا : إن « الإسلام تخلف » بدليل أن كل بلاد المسلمين تقع فى عداد الدول الفقيرة وتحت حزام الفقر وقليل منها ، يقع فى عداد الدول النامية ونادراً ما نجد دولة مسلمة فى عداد الدول المتقدمة .

الأحوال الاقتصادية والاجتماعية فى بلاد المسلمين

إنه على الرغم من استيلاء غير المسلمين على معظم وسائل الإعلام ، فإن ما بين أيدينا

←

(٥) ومن المواد الإعلامية الخطيرة التى تنمى الحوافز الاستهلاكية بشكل خطير الاعلان التليفزيونى وقد ثبت من بحوث الاعلام أن الاعلان هو المضمون الاعلامى الاكثر تأثيرا وهو الوحيد الذى يرتبط فيه القول بالسلوك

منها لا بأس به ، وقد عرضنا لبعض من هذه الوسائل فى دول إسلامية ، ولكن هذا البعض يظل عديم القيمة قليل الفائدة ، طالما أنه يسير فى اتجاهات متعارضة . بلا هدف واحد ، ولا تصحبه « استراتيجية » إسلامية عربية شاملة فى مواجهة طوفان الإعلام والأخبار والمعلومات القادم من الغرب .

سوف يظل ما بين أيدينا قليل التأثير ، ضعيف القابلية للتصديق ، قليل الانتشار طالما تتصارع فيما بينها الدول التى يعنيها الأمر .

وبالنظرة الموضوعية لأحوال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وأحوال الدوائر المعادية للإسلام تكتمل الصورة واضعها بين يدى المسئولين عن الدعوة والإعلام الإسلامى راجياً أن تكون لبنة لاتخاذ خطوات فعالة لرفع كلمة الله وتبليغها على أحسن وجه ..

ومن واقع الأرقام التى ذكرناها فى خريطة الإعلام فى العالم ، وفى الإعلام العربى نجد ان الأمر جد خطير .

ولقد ذكرت هذه الأرقام وتلك الإحصائيات ـ فى البداية ـ لنكون على علم بما يدور حولنا ، ولنعرف ـ أيضاً ـ حجم قدراتنا وإمكاناتنا لنعمل ونجتهد ونجد والله المستعان .

أغنياء ... وفقراء ... ومعدمون

● صنفت الجمعية العامة للأمم المتحدة دول العالم عام ١٩٧١ إلى ثلاث فئات :

دول متقدمة .. ودول نامية فقيرة ، ودول معدمة أو تحت حزام الفقر .

● فأما الفئة الأولى ـ أى المتقدمة ـ فتشكل (٢٥٪) من مجموع سكان العالم ، وتتمثل فى سبع وثلاثين (٣٧) دولة ، تعدادها (١١٠٠) مليون نسمة ، يندر أن يكون من أبنائها مسلمون .

● وأما الفئتان الثانية والثالثة فهى تشكل النسبة الباقية من سكان العالم ، أى (٧٥٪) ومجموع هذه الدول حسب التصنيف المتقدم تسع وثمانون (٨٩) دولة ، تعدادها (٣٠٠٠)[٦] مليون نسمة ، والنسبة الغالبة ـ فى هؤلاء ـ هى للأسف مسلمون برغم الثروات الطبيعية التى فى باطن الأرض تحت أقدامهم ، تلك الثروات التى لا يملك أدنى أدناها شعوب الفئة الأولى .

● وفى عام ١٩٧٧ حددت الجمعية العامة للأمم المتحدة الدول الواقعة تحت حزام الفقر ـ المعدمة ـ بست وثلاثين (٣٦) دولة تقريبا ، وفى الجدول التالى أسماء هذه الدول[٧] .

---

(٦) راجع مجلة صحة العالم ، عدد يونيو ١٩٨٢ .

(٧) افقر دول العالم حسب بيانات الجمعية العامة للأمم المتحدة لعام ١٩٧٧

الدولة المعدمة			
أ - أفريقيا			ب - آسيا
١ - تشاد	١٠ - الحبشة	١٧ - بوتسوانا	١ - افغانستان
٢ - غينيا	١١ - غينيا بساو	١٨ - ليسوتو	٢ - بنجلاديش
٣ - مالى	١٢ - جزر القمر	١٩ - رواند	٣ - بهوتان
٤ - النيجر	١٣ - افريقيا الوسطى	٢٠ - جيبوتى	٤ - اليمن الشمالية
٥ - الصومال	١٤ - الراس الأخضر	٢١ - اوغندا	٥ - اليمن الجنوبية
٦ - السودان	١٥ - بوروندى	٢٢ - غينيا الاستوائية	٦ - المالديف
٧ - جامبيا	١٦ - بنين	٢٣ - ساو تومى	٧ - نيبال
٨ - تنزانيا		٢٤ - سيشل	٨ - لاوس
٩ - فولتا العليا			٩ - اوقيا نوسيا
			١٠ - تونجا
			١١ - هايتى
			١٢ - ساوموا الغربية

الجدول التالى يبين نسبة الفقر بين السكان فى بعض الدول الافريقية والآسيوية حيث تعيش غالبية المسلمين(*)

افريقيا	السنة	دخل الفرد بالدولار فى العام باسعار عام ١٩٧٠	نسبة الفقر
١ - شمال نيجيريا	١٩٧٠ - ٧١ م	—	٥١٪
٢ - الصومال	١٩٧٦	٦٥	٧٠٪
٣ - غانا	١٩٧٠	٥٧ - ٧١	اكثر من ٥٠٪
٤ - سيراليون	١٩٧٧	٨٠	٥٥٪
٥ - تنزانيا	١٩٦٩	٤٣	٦٥٪
٦ - كينيا	١٩٧٤ - ٧٥ م	٥١	٤٠٪
٧ - مصر	١٩٧٤ - ٧٥ م	٨٧	٢٨٪

←

(★) عن كتاب الحرمان والتخلف فى ديار المسلمين للدكتور نبيل صبحى الطويل ص ٣٠ .

آسيا	السنة	دخل الفرد بالدولار في العام بأسعار عام ١٩٧١	نسبة الفقر
٨ ـ اندونيسيا	١٩٧٧	٣٨	٨٠٪
٩ ـ ماليزيا	١٩٧٠	١١٥	٥٥٪
١٠ ـ بنجلاديش	١٩٧٥	٤٦	٧٤٪
١١ ـ الهند	١٩٧٥	٥١	٥٦٪
١٢ ـ الفيلبين	١٩٧٠	٨٩	٥٩٪
١٣ ـ إيران	٧٥ ـ ١٩٧٦ م	٩٢	٣٨٪

والجدول ـ كما نرى ـ غني بالدرس والبيان . فهذه الدول فيما عدا دولة أو دولتين ـ يقطنها أغلبية ساحقة من المسلمين لا تكاد تمثل طوائف الأديان الأخرى بجانبها نسبة تذكر .

ولقد كانت إسرائيل خلف الأحداث في الوقت المناسب عندما هدد الجفاف أثيوبيا فلم تترك يهود (الفلاشا) لزحف الجفاف ، بل زحفت سياستها لتتلقاهم بعيدا عن الصحراء ..

وكان درسا لمن يعي أو يريد نهوضا .

تراكم الديون الخارجية العامة لبعض دول العالم الإسلامي(*)

الدولة	عام ١٩٧٠		عام ١٩٨٠	
	المبلغ بالملايين بالدولار الامريكي	النسبة المئوية من اجمالي الناتج القومي	المبلغ بالملايين بالدولار الأمريكي	النسبة المئوية من اجمالي الناتج القومي
١ ـ افغانستان	٤٥٤	—	١٠٩٤	—
٢ ـ باكستان	٣٠٥٩	٣٠,٥٪	٨٨٧٥	٣٤,٧٪
٣ ـ السودان[٨]	٣٠٨	١٥,٣٪	٣٠٩٧	٣٧,٢٪
٤ ـ اليمن الجنوبية	١	—	٤٩٩	—

(★) راجع الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ـ مصدر سابق ـ ص ٤٨ .
(٨) بلغت ديون السودان عام ١٩٨٢ (٧٨٠٠) مليون دولار .

الدولة	عام ١٩٧٠		عام ١٩٨٠	
	المبلغ بالملايين بالدولار الأمريكى	النسبة المئوية من اجمالى الناتج القومى	المبلغ بالملايين بالدولار الأمريكى	النسبة المئوية من اجمالى الناتج القومى
٥ - اندونيسيا[٩]	٢٤٤٣	٢٧,١٪	١٤٩٤٠	٢٢,٥٪
٦ - موريتانيا	٢٧	١٦,٨٪	٧١٤	١٣٩,٧٪
٧ - مصر[١٠]	١٦٤٤	٢٣,٨٪	١٣٠٥٤	٥١,٧٪
٨ - المغرب	٧١١	١٨٪	٧٠٩٨	٣٨,٦٪
٩ - نيجيريا	٤٧٨	٦,٤٪	٤٩٩٧	٥,٥٪
١٠ - تونس	٥٤١	٣٨,٢٪	٢٩٥٥	٣٣,٩٪
١١ - سوريا[١١]	٢٣٢	١٢,٨٪	٢٤٩٣	٢٠,١٪
١٢ - تركيا	١٨٥٤	١٤,٤٪	١٣٢١٦	٢٢,٤٪
١٣ - السنغال	٩٨	١١,٦٪	٩٠٦	٣٤,٩٪

وبعد :

فقد حاولت - قدر المستطاع - أن أدع الأرقام وحدها تتحدث دون تدخل بتحليل أو توجيه ، وما من شك فى أن القراءة فى أحوال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية أمر يثير القلق والحزن ، ويدعونا للتفكير فى مصائر هذه الشعوب !!

والسؤال : أين الخلل .. ؟

لقد حبانا الله سبحانه موارد طبيعية ثرية : انهاراً .. أراضى زراعية ، شمسا ساطعة فى معظم بلاد المسلمين طوال العام ، مواد خام اولية ، مواد زراعية يمكن أن تصنع ! « بترول »ومشتقاته .. !! ، عقولا وقوى بشرية متخصصة فى أدق شئون الحياة .. خبراء فى كل مجال تستعين بهم الدول الكبرى ذاتها ..

هل بعد كل هذا خير ؟

وهل بعد كل هذه النعم من الله سبحانه وتعالى نشكو الفاقة والجهل والمرض ؟

ماهكذا تكون أمة القرآن ! وما هكذا عهدنا أمة يعتبر العمل فيها عبادة ، والعلم من الإيمان .

لقد انعكس الحال الاقتصادى السىء ، والاجتماعى المتخلف على وسائل الإعلام فى بلاد المسلمين فأصبحت هذه الوسائل هزيلة ، ضعيفة لا تدفع شبهة ، ولا ترد فرية ولا تصنع شيئا ذا بال !!

حسن على العنيبى

---

(٩) بلغت ديون اندونيسيا عام ١٩٨٢ (٢٥,٠٠٠) مليون دولار .

(١٠) صارت ديون مصر عام ١٩٨٢ نحو (١٩,٠٠٠) مليون دولار وحسب آخر احصائية لديون مصر عام ١٩٨٦ (٤٦,٠٠٠) مليون دولار مدنية وعسكرية .

(١١) بلغت ديون سوريا عام ١٩٨١ (٣٩٠٠) مليون دولار .

أنباء وآراء

○ تخريج خمسين عالما وداعية من عشر محافظات .

طالب الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف الأمة العربية والإسلامية بضرورة الالتفاف حول دعوة الرئيس محمد حسنى مبارك لعقد قمة إسلامية طارئة لحماية المقدسات الإسلامية بالأرض الحرام وقال : إن الإسلام لا يعرف التعصب أو الأحقاد كما أشار الوزير فى كلمته إلى إنه سيتم تخريج خمسين عالماً وداعية من عشر محافظات فى الدفعة الأولى لمعهد التدريب الراقى بالوزارة

معرض للخرائط الإسلامية

يقام فى العاصمة البريطانية لندن معرض للخرائط الإسلامية القديمة ، يضم المعرض أكثر من مائتين وخمسين خريطة أصلية تمثل أجزاء متعددة من المملكة الإسلامية القديمة كتركيا ، وشمال أفريقيا ، والعراق ، وإيران ، وسوريا ، وفلسطين ، ومصر ، والسودان . وقد ألقى الدكتور مقبل أحمد الأستاذ فى جامعة « ليقادت » الإسلامية فى الهند ، محاضرة عن الجغرافيا الإسلامية القديمة . تعرض فيها لأصول هذا العلم وتأثير ما توصل إليه العرب من اكتشافات على الجغرافيين الغربيين .

وقال : إن العرب قبل الإسلام عرفوا مواقع القمر والنجوم ، وقد بدأ عهد الجغرافيا الإسلامية فى عهد الخليفة العباسى المأمون بتأسيسه دار الحكمة . وقد تولت إحدى المكتبات فى لندن مشروع إعادة طبع خريطة العالم الإسلامي للإدريسى على ورق فاخر وحديث وعرضها للبيع .

الاقتصاد الإسلامى

عقدت فى ماليزيا مؤخراً ندوة « لتقييم نتائج الابحاث وتدريس الاقتصاديات الإسلامية فى ظل الضوائق المالية » . وحضرها ستة وثلاثون باحثاً إسلامياً من مختلف الدول الإسلامية وقد اصدر المشتركون فى الندوة : توصية بإنشاء لجنة تنسيق للأبحاث وتدريس الاقتصاديات الإسلامية ، واوصوا بضرورة قيام المعاهد الاقتصادية الإسلامية بإعداد كتيبات فى مختلف الموضوعات لمختلف مستويات الطلاب .

واوصت الندوة التى اقيمت فى الجامعة الإسلامية الدولية بأن تقوم المعاهد الإسلامية الاقتصادية بإعداد قائمة بالأعمال الأساسية غير المترجمة فى الشريعة الإسلامية . وتتم ترجمتها إلى الإنجليزية والفرنسية . كما اوصت الندوة بأن يقوم مركز ابحاث الاقتصاد الإسلامي

إعداد : د. أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ : صفوت عبد الجواد

فى جدة بإعداد برامج تدريبية لمعلمى الاقتصاد الإسلامي ، وكبار مسئولى الحكومات ، ومديرى المصارف والمؤسسات المالية فى مجال الاقتصاد الإسلامي .

معهد العلوم الإسلامية

احتفل المعهد الصينى للعلوم الإسلامية فى العاصمة الصينية « بكين » بتخريج أول دفعة من طلبة العلوم الإسلامية لهذا المعهد الذى تصل مدة الدراسة فيه إلى خمس سنوات . وقد تأسس هذا المعهد فى عام ١٩٥٥ وأوقفت السلطات الصينية الدراسة فيه خلال فترة الثورة الثقافية التى امتدت من عام ١٩٦٦ حتى عام ١٩٧٦ ثم استأنف المعهد نشاطه . وبدأ فى قبول الطلاب فى عام ١٩٨٢ م .

ندوة عن الإمام مسلم فى المغرب

بدأت فى مدينة الرباط بالمغرب ندوة إسلامية كبرى عن « الإمام مسلم » بمناسبة مرور اثنى عشر قرناً على مولد هذا الإمام الكبير . ويشارك فى هذه الندوة عدد كبير من علماء الإسلام فى الدول الإسلامية . وصرح عبد العزيز التويجرى مدير مساعد المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة « الايسيسكو » التى تنظم الندوة بأن هناك أربعة موضوعات رئيسية ناقشتها الندوة وهي : حياة الإمام مسلم وعصره ، ومنهج مسلم فى علم الحديث والنقد ، ودراسة مصنفات الإمام مسلم وعصره واخيراً الإمام مسلم فى المغرب الإسلامي .

الشريعة الإسلامية فى مصر

أعلن الدكتور محمد محجوب وزير الأوقاف : أن المرحلة القادمة ستشهد تعديل بعض مواد القانون المدنى لتتمشى مع الشريعة الإسلامية ، وان المرحلة الحالية لن تشهد إصدار قانون واحد يخالف الشريعة . وقال : إن سبب تخلف المسلمين يرجع إلى انشغالهم بالفرعيات وترك جوهر الإسلام ، وتضييع الوقت فى أمور لا تستحق العناء . واكد الوزير : أن الدولة بجميع أجهزتها تؤيد شعار « الإسلام هو الحل » الذى يطالب به الشباب ، وتعمل على تحقيقه بشتى الوسائل .

مصحف وسجادة فى كل حجرة بالفنادق الكبرى

وافق حمدى الشامى وكيل أول وزارة السياحة على وضع مصحف وسجادة صلاة ، وعلامة تدل على القبلة فى كل حجرة بالفنادق الكبرى والأماكن السياحية ، جاء ذلك استجابة لما أبداه « لاشين ابو شنب » و « محمود نافع » عضوا لجنة الثقافة والإعلام والسياحة فى مجلس الشعب ، خلال

زيارة اللجنة لبعض الأماكن السياحية والثقافية بكل من الأسكندرية ومطروح ورشيد .

« بنك إسلامى فى كل قرية »

تم إعداد خطة لإنشاء فرع للمعاملات الإسلامية بكل بنك ، من بنوك القرى فى جميع محافظات الجمهورية . وسيستغرق تنفيذ هذه الخطة الجديدة عامين ، صرح بذلك المهندس « عادل عزى » رئيس مجلس إدارة البنك الرئيسي للتنمية والائتمان الزراعى .

وقال : إن هذه الفروع الجديدة سيكون التعامل فيها بنظام المعاملات الإسلامية بدلاً من المعاملات الربوية التقليدية . ووفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية .

متحف الحضارة الإسلامية

وافقت هيئة الآثار المصرية على إقامة متحف للتاريخ والحضارة الإسلامية بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر . صرح بذلك الدكتور فتحى عفيفى رئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة الأزهر.

وأضاف إن الهدف من المتحف تنمية حاسة البحث العلمى عند الطلاب والباحثين الذين يرجعون فى بحوثهم إلى المراجع والبحوث الأجنبية والتى تحتوى أحيانا على معلومات خاطئة عن الحضارة الإسلامية .

○ تعيين ٦٠ ألف خريج مدرسين بالتعليم الأزهرى .

تبدأ وزارة القوى العاملة والتدريب خلال الفترة الحالية توزيع الدفعات الاستثنائية من خريجي الجامعات والمعاهد العليا : دفعات ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٩٨٦ .. الذين تقرر تعيينهم لسد العجز فى وظائف التدريس بوزارة التعليم والمعاهد الأزهرية وذلك حتى يمكنهم تسلم أعمالهم قبل بدء العام الدراسى الحالى ويبلغ عدد هذه الدفعات نحو ٦٠ الف

الإمام الغزالى حجة الإسلام ..

أذاع « راديو » لندن صباح ١٥ من ذى الحجة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧/٨/٩ م فى الساعة الخامسة والربع بتوقيت « جرينتش » السابعة والربع بتوقيت القاهرة فى باب « لكل سؤال جواب » ـ إجابة الأستاذ « نقولا زيادة » على أحد أسئلة المستمعين .

كان المستمع يسأل عن جانب فى حياة حجة الإسلام الإمام الغزالى .



عرض: الأستاذ
عبد الفتاح السيد عبد السلام

فضيلة الدكتور / محمد سيد طنطاوى

الصحوة الاسلامية واقع ملموس

ليس من شك فى أن الصحوة الإسلامية اليوم قد أصبحت واقعاً ملموساً فى مشارق الأرض وفى مغاربها ومن الأدلة على ذلك أننا نرى الذين يعتنقون الإسلام من الكثرة بحيث لا نستطيع إحصاءهم.

وهؤلاء الذين دخلوا فى الإسلام بعد دراسات مستفيضة لتعاليمه جماعة من العلماء ولكى نستثمر هذه الصحوة لصالح الإسلام والمسلمين علينا جميعاً أن نكون قدوة طيبة لغيرنا من أصحاب الديانات الأخرى. فإن القدوة الطيبة كثيراً ما تجعل الغير يقتنع اقتناعاً عقلياً وعاطفياً بأن دين الإسلام هو الدين الصحيح، بدليل أن أتباعه يمثلون الفضيلة وهى تتحرك على الأرض.

كذلك مما يعين على استثمار هذه الصحوة لصالح الإسلام والمسلمين أن يكون المسلمون فى قمة السلوك الإنسانى الرشيد وعلى قسط وافر من العلم النافع الذي يسابق علوم غيرهم، وأن تكون عندهم وسائل الحياة التى تتعلق بمعاشهم وشرابهم ودوائهم وسائر شئون حياتهم، فإن عدم الحاجة إلى الغير يجعل هذا الغير يحترم المسلمين، ويعلم أن غناهم عنه إنما هو نابع من تعاليم دينهم أما الاحتياج إلى الغير فى النواحى العسكرية أو الاقتصادية أو غيرهما فكثيراً ما يكون سبباً فى انصراف الناس عنه.

الأستاذ / محمد الصالح بن عزيز

أطفالنا فى خطر التبشير

من المؤكد أن غاية المبشرين فى بلدان العالم الإسلامى - العربى منه بالخصوص - ليست إدخال المسلمين فى النصرانية بقدر ماهى إبعادهم عن دينهم وتركهم لا إلى

النصرانية ولا إلى الإسلام .. فقد جاء على لسان الراهب « زويمر » فى المؤتمر الذى انعقد بجبل الزيتون بلبنان إن مهمة التبشير هى إخراج المسلم من الإسلام ليس من الضرورى أن يكون نصرانياً لأن هذا شرف لا يستحقه المسلم .. إننا نريده شبحاً لا صلة له بالله ولا يهتم بعظائم الأمور ، ويحب الكسل والراحة ويسعى للحصول على الشهوات حتى تصبح هذه الشهوات هدفه وغايته .

إنها نفس الغاية ، ونفس المقولة التى رددها « جلادستون » فى مجلس العموم البريطانى حين رفع المصحف وقال : « مادام هذا الكتاب فى أيدى المسلمين يتدارسونه ويقبلون على العناية به فلن تقوم لنا قائمة فلابد من العمل على انتزاع هذا الكتاب من عقولهم وقلوبهم » .

وقد أيقن المبشرون أن أيسر طريق وأقصره هو السيطرة على عقول الناشئة الذين سيكونون رجال الغد ، وخططوا لذلك فى دهاء وذكاء فحققوا لهم أهدافاً لا يستهان بها .

فمن هذه الأهداف التى حققوها :
إعداد الأم للقيام بهذا الدور .

لاشك أن المرأة المسلمة هى وحدة المجتمع الإسلامى ، لذلك لابد من إعداد الأم إعداداً يؤهلها لأن تقوم بمهمة التبشير على الوجه المطلوب ، وسخروا - أى المبشرين - لهذا العمل جهوداً جبارة وأموالاً طائلة لإنشاء مدارس للبنات فى العالم الإسلامى تخضع فى برامجها لسلطة التبشير لإرضاخ الفتاة - التى ستصبح أماً - لبرامج تعليمية لا تؤصل فى نفسها روح العقيدة بل تنفرها منها - ويفرحون أشد الفرح إذا اجتمع فى مدارسهم بنات من أسر معروفة لأن نفوذ هؤلاء فى بيوتهن أعظم .

السيطرة على مدارس التعليم :

يقول المبشر « هنرى جب » إن التعليم فى مدارس الإرساليات النصرانية إنما هو واسطة إلى غاية فقط.هذه الغاية هى قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً نصارى وشعوباً نصرانية وهكذا استطاع المبشرون السيطرة على مدارس المسلمين لوضع الناشئين تحت تأثير التعليم النصرانى وإبعادهم قدر الإمكان عن تأثير التعليم الإسلامى مبتدئين بدور الحضانة ورياض الأطفال .

توجيه لَعِب الأطفال :

لقد أدرك المنصرون أن اللعب ميل من أقوى الميول وأكثرها قيمة فى التربية الاجتماعية والرياضية والخلقية ، وأنه وسيلة لا يستهان بها لإكساب الطفل بعض الاتجاهات والمفاهيم والقيم ، لذلك لم يهملوا هذا الجانب المهم من تفكيرهم وتخطيطاتهم ، فملأوا أسواقنا بأنواع من اللعب التى تحول

هذا النشاط إلى مضيعة للوقت ، ولا تساهم بشيء فى تنمية قدرات الطفل وذكائه وتفكيره الابتكارى والتى لا تزيد أطفالنا إلا إيماناً بتفوق العقل الغربى النصرانى علينا وتؤصل فى نفوسهم روح التبعية والانهزامية .

التبشير فى التليفزيون :

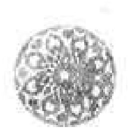
أريد أن أذكر بأن ثلاثة أرباع البرامج التليفزيونية فى الوطن الإسلامى يتم إعدادها علـى أعـين الصليبيـين والشيـوعيـين والصهيونيين ، وأما برامج الأطفال منها فكلها مستوردة من أمريكا أو أوروبا مما يؤكد أن ما يبث حاليا فى تليفزيون البلاد الإسلامية للأطفال هو جزء من الحملة التنصيرية على أوطاننا لتدمير ثقافة الطفل المسلم وتدمير شخصيته .

فضيلة الشيخ : عطية صقر

الحج مؤتمر إسلامى عالمى

إن المسلمين فى مؤتمر الحج يملكون من عوامل الوحدة ما يعلو على كل العوامل ، فربهم جميعاً واحد ودينهم واحد وقبلتهم واحدة وغايتهم واحدة ، وزيهم واحد ، ولسانهم فى تأدية المشاعر واحد . وهم بهذه العوامل كشخص واحد ينبغى أن يكونوا كما قال النبى ﷺ « مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » رواه البخارى ومسلم .

إن العدو أحرص ما يكون على تفتيت وحدة الأمة الإسلامية ، واشد ما يحرص عليه فى هذا الميدان هو صرف المسلمين عن تعاليم دينهم وعرقلة كل جهد يبذل فى سبيل اجتماعهم وتعاونهم ، والحج أحد المظاهر التى يخشى العدو بأسها ، إنه يتميز غيظاً عندما يرى هذه الاجتماعات الإسلامية وبخاصة إذا كانت فى مستوياتها العالية التى ترفرف عليها روح الدين ويدفع إليها الشعور بالمسئولية نحو الجماعة الإسلامية ، إذ فيها قضاء على مخططات الاستعمار ويقظة لألاعيب المستغلين . إن مؤتمراً يدعو إليه الله سبحانه أو يخطط الرسول ﷺ له وينعقد فى مهبط الوحى ومشرق النبوة لخليق بأن يكون له دوره الإيجابى الفعال فى معركة السلام والرخاء للمسلمين خاصة وللإنسانية عامة ، وإن ملايين المسلمين ينتظرون بأمل قوى ما تسفر عنه هذه الاجتماعات وتلك المؤتمرات من خير لهم وللناس جميعاً .






فهرس العدد

its coming later cannot be a future event. Besides the word (comforter) should be considered in its original context and the meaning given to be it by the different schools of Christendom. The Muslims abide closely to the text of the Holy Quran indicated above, and believe that the term (comforter) by necessity refers to the Prophet Muhammad.

In Conclusion, the Holy Quran in its clearest terms asserts that Jesus Christ was a true servant and messenger (apostle) of Allah. Muslims hold Jesus Christ in the highest reverence. He was the produce of a virgin birth; he was endowed with the power to perform many miracles, and he was sent to preach the true worship of God and to announce the coming of Prophet Muhammad after him.

REFERENCES

1. Pickthall, Muhammad Marmaduke, The Meaning of the Glorious Qur'an, Mentor, New York, N.Y., 1961.

2. The New Testament, John 17 : 3, Mark 17 : 29, Luke 11 : 20; John 5 : 3 , John 12 : 47; Matthew 2 , 38, 39.

3. Sale, George, Translation of the Qu'ran, F. Warne & Co., London, P. 38.

4. Chadwick, John W., Old and New Unitarian Belief, George H. Ellis, Boston, Mass., 1894.



The issue of the death and crucifixtion of Jesus Christ remains a matter of discrepancy between Islam and Christianity. The doctrines of Islam maintain that Jesus Christ was not put to death nor was he crucified. This is evident in the Quranic text.

> "And because of their saying: "We slew the Messiah Jesus, son of Mary, Allah's messenger." They slew him not, nor crucified him, but it appeared to unto them; and behold! those who disagree concerning it are in doubt thereof; they have no knowledge thereof save pursuit of a conjecture; they slew him not for certain. But Allah took him up unto Himself. Allah is ever Mighty, Wise."
>
> (Surat Al Nissa, 157, 158)

The Christian doctrine believes very rigidly that Jesus Christ was put to death on the cross by his enemies, and that Jesus Christ died thus to redeem all the sins of mankind. The sign of the cross remains a very popular emblem among Christian to denote the act of crucifixtion.

One of the missions of Jesus Christ was to bring news of the coming of a final Prophet after him. This is held very precisely by Islamic teachings according to the Holy Quran:

> "And when Jesus son of Mary said : O Children of Israel ! Behold! I am the Messenger of Allah unto you, confirming that which was (revealed) before me in the Torah, and bringing good tidings of a messenger who cometh after me, whose name is the Praised One (translation of the Arabic Ahmad, one of Prophet Muhammad's names). But when he hath come unto them with clear proofs, they say: This is mere magic."
>
> (Surat El Saff, LXI,)

The New Testment also relates of the coming of a "Comforter" to follow after the ministry of Jesus Christ. The christian church, however, twists the interpretation of this statement of the promised "Comforter" as being the Holy Spirit. This view cannot be successfully maintained, since the Holy Spirit was already present during the ministry of Jesus Christ and

→

(The term "Father" as used by Jesus Christ is one who nourishes, sustains, and assumes responsibility).

After centuries of dogmatic decree that Jesus Christ was the Son of God, modern Christendom is sure no longer just who he was. Since a large segment of the so called Christian world believes practically that "God is dead," where does that leave Jesus Christ ? Jews and Muslims have held throughout history that Jesus Christ could not have been the Son of God. But, whereas Judaism does not accept the mission of Jesus, Islam accords him the exalted position of prophet of Allah to his people. Nevertheless, this question of sonship stands as a barrier between Christians and Muslims, being the cause for each labelling the other infidel: Christians because only an unbeliever would deny Christ's sonship; Muslims because only an unbeliever would associate anything with the One God (Allah).

The Prophethood of Jesus Christ ordained him by the will of Allah to achieve miracles. He could heal the blind, cure the leper and bring back the dead to life. He caused provisions for his disciples to come miraculously from heavens.

> "Then will God say: "O Jesus the son of Mary ! recount My favour. To thee and to thy mother behold ! I strengthened thee with the holy spirit, so that thou didst speak to the people in childhood and in maturity. Behold ! I taught thee the Book and Wisdom, The Law and the Gospel. And behold ! thou makest out of clay, as it were, the figure of a bird, by My leave, and thou breathest into it, and it becometh a bird by My leave, and thou healest those born blind, and the lepers, by My leave. And behold ! thou bringest forth the dead by My leave. And behold ! I did restrain the Children of Israel from (violence to) thee when thou didst show them the Clear Signs, and the unbelievers among them said: "This is nothing but evident magic."
>
> (Surat Al Maida, V, 110)

Miraculous was his virgin birth and his speech while an infant in the cradle. Islam indicates these supernatural deeds precisely in the Holy Quran as a proof of the prophethood of Jesus Christ. The Christian church, however, ascribes these miracles to the alleged claim of his divinity.

sound reasoning that if the four men were divinely inspired, then why are there so many very serious discrepancies and deletions in their individual accounts of the life of Jesus Christ ? Furthermore the "four Gospels" were written 30 - 70 years after the ministry of Jesus Christ, and represent only a fraction of the so called original "Gospels" written at that time, the others being rejected and unaccepted by the Christian church.

The Holy Quran condemns the Trinity and indicates that Jesus Christ never claimed divinity, and that he has always taught the worship of One Almighly God.

> "And when Allah saith (namely, unto Jesus on the Day of Judgement): O Jesus, son of Mary ! Didst thou say unto mankind : Take me and my mother for two gods beside Allah ? He saith: (God) be glorified ! It was not mine to utter that to which I had no right. If I used to say it, then Thou knowest it. Thou knowest what is in my mind, and I know not what is in Thy mind. Behold, Thou, only Thou art the knower of Things Hidden. I speak unto them only that which Thou commandest me, (saying): Worship Allah, my Lord and your Lord. I was a witness of them while I dwelt among them, and when Thou tookest me Thou wast the Watcher over them. Thou art Witness over all things".
>
> (Surat Al Maida, V, 11 , 117)

According to the verses quoted above from the Holy Quran, Muslims believe that Jesus Christ has disavowed any claim to divinity and that he never preached such doctrine to his disciples when he was among them. The narrative of Jesus Christ as reported in the "four Gospels" although considered unauthentic for the greater part by Muslims, still contain statements conforming with fact that Jesus Christ never claimed divinity and preached the worship of "One Almighty God". These statements appear in the New Testment in several places.

[I do nothing of myself (John 8 : 28)].

[The Lord our Lord is one Lord (Mark 17 : 27)].

[My God, my God, why hast Thou forsaken me. (Matt. 27. 4)].

[Father into Thy hands I commend my spirit (Luke 23 : 4)].

The Christian church maintains that Jesus Christ was the only begotton "Son of God" and that he was "God himself", since the doctrine of the Trinity consider God as the Son, as the Father, and as the Holy Ghost all at the same time. This doctrine is an unauthentic assumption an unauthorized addition to the New Testment. The Catholic faith goes further to attribute Divinity to Mary as the "Mother of God". The Islamic understanding from the Holy Quran totally rejects these concepts and refutes the idea that Jesus Christ was the "son of God". The Holy Quran declares and emphasizes that he was a human being, a Messenger and an Apostle.

> "The Messiah, son of Mary, was no other than a messenger (apostle), messengers (the like of whom) had passed away before him. And his mother was a saintly woman. And they both used to eat (earthly) food. See how they are turned away !"
>
> (Surat Al Maida, V, 75)

From time to time, there have arisen "heretics" in the Christian Church, who refuted the doctrine of Jesus's divinity. Long before Prophet Muhammad (prayers and peace be upon him) was born, certain sects of Christians - the Corinthians, the Basilidians and the Carpocratians - believed that Jesus was not crucified, but one of his followers, looking very much like him, was put on the cross. The Corinthians and Basilidians in addition asserted that Jesus was a mere man. The early Christians who did not accept Jesus as God were harshly suppressed by the Church hierarchy. At the present time Christian sects such as the Unitarians, Christadelphians and Jehovah's Wintnesses rejet the doctrines of divinity of Jesus and Trinity.

The virgin birth of Jesus Christ without a father was not any more supernatural than the creation of Adam. Allah created him from dust and said unto him "Be" and he was. Allah then bestowed upon Jesus Christ guidance and light in the Gospel which confirmed that which was previously revealed in the Torah. The Muslims believe firmly that Jesus Christ was given the Gospel, however, they do not recognize the present "four Gospels" preached by the Christian Church as the authentic utterances of Jesus Christ. The Christian Church admits that the "four Gospels" were scribed by four different men, but they believe that they were divinely inspired. This understanding is rejected by Islam and present the

from clay the likeness of a bird, and I breathe into it and it is a bird, by God's leave. I heal him who was born blind, and the leper, and I raise the dead, by God's leave. And I announce unto you what ye eat and what ye store up in your houses. Behold ! Herein verily is a portent for you, if ye would believe. And (I come) confirming that which was forbidden unto you. I come unto you with a sign from your Lord, so keep your duty to God and obey me, God is my Lord, so worship Him. That is a straight path."

(Surat Al-Imran, III, 45 - 51)

The birth of Jesus Christ was miraculous and supernatural. Mary retired into a state of privacy for prayer and devotion. The Holy Spirit (the Archangel Gabriel) appeared to her as a man bringing her the news of the word of Allah, the news of a son, that was the will of Allah. She conceived and retired to a distant place to give birth to Jesus Christ which she brought to her people. They accused her of profanity and unchastity. In replay, she pointed to the infant, where upon they said that they could not converse with an infant in the cradle. According to the text of the Holy Quran, the infant answered.

"He spoke: Behold ! I am the servant of Allah He hath given me the Scripture and hath appointed me a Prophet. He hath made me blessed wheresoever I may be, and hath enjoined upon me prayer and alms-giving so long as I remain alive. And (hath made me) dutiful toward my mother, and hath not made me arrogant, unblest. Peace be on me the day I was born, and the day I die, and the Day I shall be raised alive !"
"Such (was) Jesus the son of Mary: (it is) a statement of truth, about which. They (vainly) dispute."
"It is not befitting To (the majesty of) Allah That He should beget a son. Glory be to Him ! When He determines a matter, He only says to it, "Be", and it is."
"Verily Allah is my Lord and your Lord; Him Therefore serve ye: this is a way that is straight."

(Surat Maryam, XIX, 30 - 3).

JESUS CHRIST IN ISLAM

AND CHRISTIANITY

By :
Saad Moustafa Moustafa M . D .

The name Jesus Christ son of the Virgin Mary (Al-Maseih Issa ibn Mariam) is very popular to both Christianity and Islam. The significance, however, that is attached to the person is basically and radically different in the two religions. Muslim doctrines as stated in the Holy Quran consider Jesus Christ as a Prophet of Allah and attribute all respect, reverence, belief for prophethood as they rank other prophets as Ibrahim, Issac, Moses, etc. and Muhammad. The Christian church, on the other hand regards Jesus Christ as the "son of God", attribute him with Divinity and worship him as such.

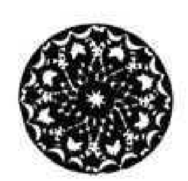
The Islamic Quranic concepts indicate that Jesus Christ never claimed to be God, that he was the subject of Allah as the Prophet to bani Israil, that he was not put to death nor was he crusified, and that he prophicied the coming of Muhammad as the last of the Prophets. The Holy Quran describes the miraculous birth of Jesus Christ by the Virgin Mary, who was chosen and purified by Allah and raised her to the highest supreme rank above all women of mankind to be the Mother of Jesus Christ. The Holy Quran states:

> "Behold! The angels said: O Mary ! God giveth thee glad tidings of a Word from Him, whose name is the Messiah, Jesus son of Mary, illustrious in this world and the Hereafter, one of the company of those nearest to God. He will speak unto mankind in his cradle and his manhood, and he is among the righteous ones. She said: My Lord ! How can I have a child when no mortal hath touched me ? He said: So (it will be). God createth what He will. If He decreeth a thing, he hath only to say 'Be!' and it is. And He will teach him the Scripture and wisdom, the Torah and the Gospel, and will make him a messenger unto the children of Israel, (saying): Behold ! I come unto you with a sign from your Lord, I fashion for you

his brilliant inspiration accepted and witnessed that Allah is One with no associates, and that Muhammad was the Messenger Prophet of Islam, and Bearer of the Holy Revelation, the Glorious Quran, the words of Allah, the Light and redemption to mankind. His acceptance was with no hesitation nor doubt; he realized in the doctrines of the new religion, the Reality, the Truth and the golden dictum of certainty and absoluteness. With this solid belief, Abu Bakre lived in very close company with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) as the first companion, and the first adult to witness that "There is no God but Allah, and that Muhammad is the Messenger of Allah". Abu Bakre absorbed assimilated and stored the elements of Faith, adopted the practices, realized the concepts, adhered to the teachings, and developed the mannerism of the profound pious muslim. His very strong faithful friendship and companionship to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) adorned him with reverence and profundity in knowledge and ability; and matured his inborn qualities to prominent distinction and excellence.

From the moment of his Islam, Abu Bakre became active and took the initiative to call for the words of Allah; amidst his friends from Quraysh he spoke of the new religion with knowledge, certainty and true faith. He called them to listen to the reason and logic of Reality. They listened to the eachoes fo Truth within themseleves, and answered the call to enlist in the early lines of the faithful. Such men as Osman ibn Affan, Abdel-Rahman ibn Oaf, Talha ibn Ubied Allah, Saad ibn Abu Waqqas, Al-Zubair ibn Al-Awam, Abu-Ubaidah ibn Al-Garrah, and several others. These were the pioneers of Islam, the very early companions, the vanguards and precursors of the very early Islamic community.

The life of Abu Bakre as companion and close friend to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) continued in genuine truthfulness to the faith he believed in and to the man who carried the Message of that Faith.



him). At Al-Madinah, Abu Bakre married Habibah bent Kharijah; and Asmaa bent Umays, who gave birth to Muhammad.

Abu Bakre was of slim statues, whitish complexion, prominent forehead, sunken eyes and characteristic facial features. He was an example of honesty, good manners, kindness, patience, leniancy and competence. He was gifted with natural instinct, inherent wisdom and a self determined resolution in decision. His impartial correct character impeded his ego and prohibited the self desires. He was talented with an enduring sagacity of discrimination between the right of truth and the wrong of falseness. He was never known to have indulged in intoxicants, nor to have practiced idol worship; through his outright character, he refuted the idea of defiling his personality by such uncouth practices.

Abu Bakre lived in Macca in the same district where Khadija bent Khuwaylid dwelled and where rich merchants had their residence. The trade convoys of those merchants travelled north to Syria during the summer, and south to Yemen during the winter. When Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) married Khadija and moved to stay at her house; friendly relations between him and Abu Bakre developed to become very intimate. Both men had a great deal in common to share regarding their aptitude, predilections, character, and the shade of life they lived. Some chroniclers relate that the two men were very close friends before Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) received the Holy Revelation. Other authors are of the opinion that faithful friendship developed between the two men only after Abu Bakre accepted Islam; and that their relations before that was limited to neighbourhood, sharing similar characters and trends of thoughts. Abu Bakre was two years and few months younger than the Prophet and therefore was of the same age group.

When Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) received the Divine Commission to carry the Message of Islam and was commanded by the Holy Revelation to call for that message; he recognized in Abu Bakre the suitable character to accept what the Message of Islam brought to mankind. Muhammad confronted Abu Bakre with the initial words of the Holy Revelation, the belief in the Oneness of the Creator, and that he Muhammad was commissioned by Allah to be the Apostle and Messenger of Islam, and the bearer of the Revelation of the Holy Quran. Abu Bakre with

Divine guidance. Who is Abu Bakre; who was the friend and companion of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him); the first Caliph, the champion, the victor, and the towering administrator.

All chroniclers bow in servile respect and humbleness when they attempt to document the annals of that unique exceptional greatness. Abu Bakre was friend and companion of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) for twenty three years since the descent of the Holy Revelation, and certainly knew each other, closely as friends of the same age group living in Macca, members of the tribe of Quraysh. During that lengthy period, Abu Bakre absorbed the reality of belief, formulated the elements of truth and faith deepened his inborn wisdom from his closeness to prophethood, and gained complete realization of virtue by his maind, heart and soul. The portrayal of the biography of the great master, the Imam of Muslims and the first Caliph will attempted in a series of forth coming articles. May Allah provide this humble undertaking with endowment and support expedient with the prominence of distinction, and eminence of greatness of the man.

Abu Bakre belongs to the tribe of Taym ibn Murrah ibn Kaab, one of the clans of Quraysh. He meets with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) in retrograde at the seventh grandfather Murrah. His real name is Abdullah ibn Abi Quhafa. Abi Quhafa his father is Osman ibn Amer. His mother is Salma bint Sakher ibn Amer, she was called Um Al-Khair (mother of abundance). The origin of his popular cognomen Abu Bakre is not known, however, it was certainly his most popular name throughout his lifetime. His early childhood and youth is very poorly documented and devoid of any rich or important events. The clan of Taym was responsible for the collection of rewards, fines, and monetary penalization. At the start of his youth, Abu Bakre occupied himself in the trade of cloth, which prospered to make him popular and successful; and Abu Bakre soon became famous as one of the opulent cloth merchants in Macca.

Abu Bakre married four times during his life, the first was Qutaylah bent Abd-Al-Uzza, who gave birth to a son Abd-Allah and a daughter Asmaa; the second was Um Ruman bent Amer ibn Uwaymer, who gave birth to a son Abd-Al-Rahman, and a daughter Aisha (who later became the wife of the Prophet Muhammad, prayers and peace from Allah upon

→

Prophet (prayers and peace from Allah upon him). It was therefore evident that Abu Bakre assumed responsibility to confront an avalanche of matters of very gross difficulty that threatened to split the unity of the Muslims.

The reign of Abu Bakre lasted for two years three months and ten days: from the time of his succession immediately after the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) till the hour of his own death. During that short period of time, Abu Bakre administered the affairs of the Muslim Ummah, dominated difficulties, overcomed critical situations, and crossed the ocean from impending collapse and total frailty of the Islamic creed to the grandeur of supremacy and stability. It was the character and wisdom of Abu Bakre and his genuine understanding of Islam that provided him with the profound ability of such unique and outstanding excellence in government. Abu Bakre was the first man to embrace Islam, he remained a very close companion to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). He learned, stored, developed and multiplied through his instinctive wisdom to gain the climax of understanding and perception of the reality, essence and universality of Islamic teachings. When he assumed authority, he optimized his true knowledge of Islam to become the essential elements of his policy and administration of the affiars of Muslims. This optimization of Islamic thought in government decision-making was very natural for Abu Bakre, for he was the prime graduate of Islam with proof of excellence.

Abu Bakre, an Imam to Muslims as part of the function of his office, rigorously implemented Islamic teachings, practices and jurisprudence with the full preservation of human rights and freedom as dictated by the Holy Revelation and the Honourable Sunnah. Besides that, there were two essential pivots of thought that dominated and directed the political strategy of Abu Bakre; these were the Unity and Universality of Islam. The psychological built-up of character, and intrinsic perception together with the full mastery of the potentialities of Islamic teachings constituted the genuine substance of the man that was proclaimed successor to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The man that was commissioned to govern the wholesome affairs of Muslims during the most sensitive endangered precarious period of early Islamic history. The true honesty of Abu Bakre, his deep confident unfaltering faith, and his strict adherence to the teachings of Islam in all processes of human life; certainly made him gain

ABU BAKRE AL -SIDDIQ

THE FIRST COMPANION

By :

Dr . Anas Moustafa El -Naggar M . D ., Ph . D

In the name of Allah, most Gracious, and most Merciful.

The succession of Abu Bakre Al-Siddiq as the first Caliph was settled after a fervent debate between the Muhagereen and the Ansars at the roofing of Bani-Saidah immediately after the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was ascertained. The following day witnessed the public proclamation of the succession of Abu Bakre as the first Caliph at the mosque when he was sworn allegiance and given fealty by unanimous consensus by everbody present.

The burden of responsibility falling on the shoulders of that man was certainly the most sensitive and of gross magnitude. Abu Bakre was entrusted to govern and manage the nation of Islam at the pinnacle of criticality. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) has died, the era of prophethood had ended, and the Holy Revelation had been completed. Islam was well secure in the hearts of the companions, but very juvenile and immature in the minds of the Arab tribes at large. Islam had propagated throughout the Arab peninsula encompassing all tribes that dwelled within the geographic territories from the northern borders to Yemen in the South, and from the Persian gulf east to the Red Sea west. Only individuals groups of Jewish and Christian faith remained in sporadic places mainly in the northern borders of Syria, and in Yemen in the south. Some Arab tribes in Yamama in the East, and in Yeman in the South renounced Islam, and reverted to oppose the teachings of the Holy Revelation, some of their leaders claiming prophethood. Other tribes refused to pay the Zakat to the new administration that assumed authority at Al-Madinah after the death of the

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 60, PART I

MUHARAM, 1408 HIJRAH

CONTENTS

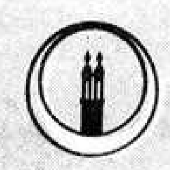
Preparation of Prints: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE



ENGLISH SECTION





الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان

إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

* الجزء الثانى *
* السنة الستون *
* صفر ١٤٠٨ هـ *
* أكتوبر ١٩٨٧ م *

بسم الله الرحمن الرحيم

صدق الله ورسوله وصدقنا

نزل القرآن الكريم ، هذا الكتاب العزيز ، ومايشك مؤمن فى أنه من عندالله ، ولا فى وجوب الإيمان بما حقَّ من حق وابطل من باطل .

وحسبنا ذلك .

هذا الكتاب الذى يقص الحق ، ويهدى إلى الرشد حدثنا ، ولايزال ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرسله الله - عزوجل - إلى الناس كافة : عربهم وعجمهم ، أحمرهم وأسودهم ، فانزل أمره الإلهى إلى هذا الرسول الأمين بهذا البلاغ :

﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيكُمْ جمِيعًا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِى وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِىِّ الأُمِّىِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ١٥٨ الأعراف .

ومضمون رسالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى العقيدة واضح أشد الوضوح فى قوله تعالى :

﴿ يأيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ٢١ البقرة .

﴿ وَاعْبُدوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ١٧ العنكبوت .

وشهد ـ سبحانه ـ بعموم هذه الرسالة فقال :

﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً ﴾ ٧٩ النساء .

وهى رحمة بخلقه أجمعين قبل أن تكون عذابا للجاحدين ، قال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ ٢٨ سبأ .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلعَالَمِينَ ﴾ ١٠٧ الأنبياء .

والنصوص ـ فى الآيات الكريمة ـ صريحة فى عموم رسالته ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، فليست بخاصة للعرب ، وإن القرآن الكريم لينص على بعثته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لليهود والنصارى ، أى أهل الكتاب ، كما ينص على بعثته للعرب والناس أجمعين .

فقال ـ فيما يخص أهل الكتاب :

﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ١٩ المائدة .

والآية صريحة فى إرسال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليهم ، على فترة طالت من الزمن لم يبعث فيها رسول لكيلا يقولوا : ما جاءنا من بشير ولا نذير ، فها قد جاءكم محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ بشيرا ونذيراً .

وهذا البشير النذير ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يعلم من أمرهم مايُخْفُونَ ولا يكشفون :

﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ ١٥ المائدة .

فقد آمن بالله ورسوله من آمن ، وكفر من كفر ، ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ١٠٣ يوسف .

فلم يخص الكتاب العزيز العرب بالذكر بل خاطب الوثنيين جميعا فى العرب وغيرهم وخاطب ماطرأ على الوحدانية فى اليهود والنصارى ليخلص للوحدانية بيانها الصريح دون شائبة أو تأويل .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ ٦٥ المائدة .

فرسالته ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى عمومها مقررة ، بل إنها لتشمل الثقلين جميعاً بنص الكتاب العزيز ، وإنما يعتقد ذلك من آمن بالقرآن العزيز،فإن التقط أحدهم من الكتاب العزيز حديثه عن العرب مُغْفِلاً ماعداه مركزاً على فكر مُسَبَّق فذلك قصور فى الدراسة . والله أعلم بما كان من خلف ذلك .

ولو أن الأمر ـ كما يقول صاحب السياسة العربية للأحزاب المصرية[1] :
« لقد أتم الله ـ سبحانه وتعالى ـ نعمته على العرب حتى رضى لهم الإسلام دينا ، وحتى اكمل لهم هذا الدين .

والذين يذهبون إلى غير ذلك واهمون ، والذين يذهبون إلى أن الخطاب القرآنى باللغة العربية موجه إلى عموم الناس وإلى البشرية جمعاء لا يدركون أبداً أنهم بذلك يضعون المولى ـ سبحانه وتعالى ـ الموضع الذى لايليق » .... الخ .

نقول : لو أن الأمر كما يريد هذا الكاتب لما اكدت السنةُ الصحيحةُ أمرَه ، ولكان للناس على الله الحجة ، تعالى الله عما يقول علواً كبيراً .
قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :
«اعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى :
نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ؛ فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » رواه البخارى فى كتاب التيمم .

وفى رواية مسلم :
« كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أحمر وأسود » .
مسلم ـ كتاب المساجد .
فالحديث مما اتفق عليه .

وكانت تلك عقيدة أصحابه صلى الله عليه وسلم ، وَبَدَا ذلك في خطاب أبي ذر ـ رضى الله عنه ـ لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ يقول له : يا نبى الله ، إنا كنا أهل جاهلية وعبادة للأوثان فبعثك الله رحمة للعالمين .. الخ،مسند أحمد ٥/٢٦٥ .
وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « إن الرسالة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي » .. الترمذي ـ كتاب الرؤيا .

←

(١) انظر الأهرام ص ١٢ فى ٢٣ من المحرم ١٤٠٨ ـ ١٩٨٧/٩/١٦ .

وكيف نتصور أن تعدل رحمة الله بآخر رسالة فيجعلها في العرب وحدهم ويترك الناس أجمعين . أفليس - في ذلك - حجة للناس على الله .
تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً .

●●● ●●●

وفي ضوء قوله تعالى :
﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ المائدة ٦٧ .

نجده - صلى الله عليه وسلم - دعا اليهود والنصارى وغيرهم من المجوس وبقية الوثنيين فأرسل كتبه ورسله إليهم ، وأمر ذلك معروف مشهور ، كما كَلَّفَ الكتابُ العزيز المؤمنين من بعده بحمل الرسالة إلى الناس ودعائهم إياهم إلى الإيمان بالله وحده . أوَ كان-عليه الصلاة والسلام-يفعل ما فعل لو أن الرسالة خاصة ؟!

فلننظر - في ضوء الحق - كيف تكون الرسالة خاصة ، قال تعالى :
﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ . إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الأعراف ١٣٨ ، ١٣٩ .

لقد نهى موسى - عليه الصلاة والسلام - قومه ، ولم ينه العاكفين على الأصنام ، فلم يكونوا قومه . ذلك أنها رسالة خاصة .

والأناجيل المتداولة تذكر أن المسيح - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - إنما جاء لخراف بني إسرائيل ، ويذكر بعضها أمر امرأة غير إسرائيلية طلبت شيئاً فلم يستجب لها .
والله به أعلم . إنها أيضا رسالة خاصة ..
ليس للرسول - فيها - أن يترك قومه إلى غيرهم كما يشاء .

●●● ●●●

ثم نسأل الكاتب :
إذا كان الأمر كما تقول ، فما حكمك على ما فعله الخلفاء الراشدون وَجَنَّدُوا له الدعاة المجاهدين

ضد الصادين عن الإسلام وما فعله مَنْ بعدهم من صالحي أمراء المسلمين ؟ هل كانوا على حق ، أم كانوا آثمين ؟!

لقد طَوَّفَتْ أجنادُهم طباق الأرض لترسل الدعوة إلى المستضعفين ولتخذل جبابرة مسيطرين ؟! فهل خرجوا على الإسلام ؟

●●● ●●●

ثم هل يجوز لنا نحن البشر أن نجعل حكمة الله كحكمة البشر ؟
وهل تَصَوَّرتَ لتكون الرسالة عامة أن ينزل القرآن الكريم بكل لغات الأرض ؟
ثم من حدثك : أن الأوثان بأرض العرب كانت عربية ؟
إن هذا لعجيب ، ولدى دكتور "جواد علي" في موسوعته ما يرشد إلى أصول هذه الأوثان ، ومثلك جدّ خبير !!

ثم حدثنا : لماذا لم يرفض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بين صفوف المؤمنين : سلمان الفارسي ، وصهيبا الرومي ، وبلالاً الحبشي ، وزنيرة الرومية وأسماء . وغيرهم .. ولماذا كلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من صحابته من يتعلم العبرية ؟ .. ألم يرد ذلك في الصحيح .
قال زيد بن ثابت - رضي الله عنه :
« أمرني رسول الله ﷺ فتعلَّمتُ له كتاب يهود ، وقال ﷺ : إني والله ما آمَنُ يهودَ على كتابي ، فتعلَّمته ، فلم يمر بي إلا نصف شهر حتى حذقته ، فكنت أكتب له إذا كَتَبَ وأقرأ له إذا كُتِبَ إليه » . أبو داود ٢/٢٨٦ .

وفي الكتاب العزيز قوله سبحانه : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ الأنعام ١٩ .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

« نَضَّرَ الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » رواه الترمذي ٥/٣٤ .

فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

ألا هل بلغت اللهم فاشهد

د. علي أحمد الخطيب

حبس المدين

فى الفقه الإسلامى

فى لسان العرب لابن منظور :
أن الحَبس ، والمحبسة ، والمحبس اسم موضع .
وحبسه ، يحبسه ، حبسا ، فهو محبوس وحبيس ، واحتبسه ، وحبسه ، امسكه ـ عن وجهه او وجهته ، والحبس ضد التخلية .
وحبسه ، ضبطه ، واحتبسه ، اتخذه حبيسا .
وقد جاءت مادة ـ حبس ـ فى غير موضع من ايات القرآن الكريم :
من هذا ماجاء فى الشهادة فى الوصية فى السفر فى قوله تعالى[1] : ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ .. ﴾ وقوله[2] : ﴿ .. وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ .. ﴾

وفى الحديث الشريف[3] ـ كما جاء فى كتب السنة والسيرة عن يوم الحديبية ، عن ناقة الرسول ﷺ (حبسها حابس الفيل) أى منعها عن المسير تجاه مكة ، مامنع فيل أبرهة من دخول البيت الحرام ، حين جاء بجيشه لهدمه .

والسجن ـ بكسر السين المشددة ـ الحبس ، والسجن ـ بفتح السين المشددة ، المصدر يقال : سجنه يسجنه ، سجنا ـ بفتح السين ـ أى حبسه .

وقد جاءت هذه المادة ، بهذا المعنى ، فى آيات عديدة من القرآن الكريم ، وعلى الأخص فى سورة يوسف قوله تعالى[4] : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ وقوله[5] : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ وفى

---

(١) من الآية ١٠٦ من سورة المائدة .
(٢) من الآية ٨ من سورة هود .
(٣) رواه البخارى .
(٤) من الآية ٣٥ من سورة يوسف .
(٥) من الآية ٣٦ من سورة يوسف .

غير هذا من آيات هذه السورة[٦] وردت هذه المادة بذات المعنى . كما جاءت مادة - امسك ، بمعنى - حبس - فى القرآن الكريم ، من هذا قوله تعالى[٧] : ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ، فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ .

وقال عبد الله بن مسعود (ليس شىء احوج إلى طول سجن من اللسان)[٨] .

وبذلك يكون : السجن - بالكسر - المحبس ، وبالفتح ، مصدر سجنه سجنا ، والسجان ، صاحب السجن ، والسجن ، أو الحبس ، باعتبارهما ، اسم موضع ، للعقاب ، قديم ، فقد سجن نبى الله يوسف ، عليه السلام وقد كان معاصرا لأحد فراعنة مصر ، وفى السجن تعرف على صاحبيه اللذين قص الله قصتهما فى القرآن الكريم فى سورة يوسف .

وتروى كتب التاريخ[٩] أن السجن عند الأقدمين كان على أخشن ما يتصوره العقل فقد اتخذ على هيئة سراديب تحت سطح الأرض ، أو قلعة حصينة ، أو مكانا مخوفا ، موحشا ، تعافه النفس ، ويهابه الرائى ، لا تمييز فيه بين السجناء ، فالقاتل والمزور والخائن للوطن والعالم الذى جهر بكلمة حق أو دعا إلى الرأفة بالشعب وترقية أحواله دينيا أو علميا أو سياسيا ، كل أولئك سواء فى السجن .

ومن هذه المعانى لمادتى الحبس والسجن ، نرى : أنه لا فرق بينهما فى الاستعمال فى اللغة العربية ، وكذلك لا مفارقة بينهما فى اصطلاح الفقه الإسلامى ، وأن التفرقة بينهما فى المدلول الآن ، جاءت اصطلاحا ، وافداً إلينا أو مستورداً ضمن ما أخذنا عن الغير من مصطلحات فى التقنين وفى الفقه القانونى ، بل وفى القضاء .

والعقوبة فى شريعة الإسلام جاءت : إما مقدرة من الشارع وسميت - حدا : وذلك كعقوبات السرقة والزنا والقذف وشرب الخمر .

وإما غير مقدرة نوعا ولا كما ، وإنما ترك أمر تحديد نوعها وقدرها لأولياء أمور المسلمين ، تختلف فى الزمان والمكان والوقائع ، لكن سند التشريع العام وارد فى القرآن الكريم وفى سنة رسول الله ﷺ ، قولاً وفعلاً وقد سميت العقوبات غير المقدرة فى أدلة

---

(٦) الآيات ٢٥، ٣٢، ٣٣، ٣٩، ٤١، ٤٢، ١٠٠ سورة يوسف .
(٧) من الآية ١٥ من سورة النساء .
(٨) غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول جـ٥ ص ١٨٢ ط دار الفكر ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
(٩) دائرة المعارف جـ٥ مادة سجن - لفريد وجدى .

الشرع باسم التعزير ، ويستحقها الجانى فى كل كبيرة أو جناية أو فعل أثمته قواعد شريعة الإسلام وأصولها العامة ، دون أن تحدد عقوبته ، نحو شهادة الزور وخلف الوعد وخيانة الأمانة .

وعقوبة التعزير هذه اتخذت صوراً فى الفقه الإسلامى ، فقد تكون بالحبس أو بالضرب أو باللوم والتوبيخ أو بالتغريم بأخذ مال من الجانى ، على خلاف بين الفقهاء فى التعزير بأخذ المال .

السند التشريعى لعقوبة الحبس :

إن مصادر الأحكام التى استقام عليها فقه الإسلام أربعة : القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، قولاً وفعلاً وتقريراً ، والإجماع ، والقياس ، لم يختلف فى ذلك فقهاء المسلمين ، فيما عدا داود الظاهرى وأصحابه منهم ابن حزم الذين أنكروا العمل بالقياس ، ولا يعتد بخلافهم فى هذا المصدر ، حتى إذا قلنا إن مشروعية تقرير الحبس عقوبة ثابتة بالكتاب وبالسنة وبالإجماع ، كان قولاً له ركائزه من النصوص التشريعية فى الإسلام .

ففى القرآن الكريم ، قد ترددت كلمة السجن ، كموضع ، والسجن ، كفعل وعقوبة ، دون نكير فى القرآن على اتخاذه أو فعله ، وأنكر الإسلام ماقد يصاحب السجن من تجاوز يمتد إلى إهدار كرامة السجين وإنسانيته . وفيه - مع هذا - قول الله سبحانه[10] : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ .

فقد ذهب كثير من المفسرين والفقهاء[11] إلى أن (أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ) مقصود منها تقرير عقوبة السجن ضمن الجزاءات التى سوغ الله إنزالها بالفاسدين المفسدين .

أما السنة : فقد قال الخصاف[12] الحنفى : أن الأصل فى هذا الباب وغيره ماروى عن النبي ﷺ أنه قال[13] (لىُّ الواجد يحل عرضه وعقوبته) وفى بعض الأخبار : مطل الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته ، والعقوبة هى الحبس .

وكذا روى عن السلف .

روى بهز بن حكيم عن أنس عن جده أن النبى ﷺ : حبس رجلا فى تهمة دم .

وروى سلامة بن مسكين عن الحسن ، أن

---

(١٠) من الآية ٣٣ سورة المائدة .

(١١) يراجع تفسير ابن كثير فى الآية السابقة .

(١٢) كتاب أدب القاضى للخصاف مع شرحه لأبى بكر أحمد بن على الرازى المعروف بالجصاص المتوفى عام ٣٧٠هـ ط ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ط دار نشر الثقافة بالفجالة بالقاهرة تحت عنوان : باب الحبس فى الديون وغيره ص ١٣٤ .

(١٣) قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى التلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير جـ١٠ هامش تكملة المجموع شرح المهذب ص ٢٢٨ رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقى من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه وعلقه البخارى ، ولكن لفظه عند الطبرانى فى الأوسط (لى الواجد يحل عرضه وعقوبته) وقال : لا يروى عن الشريد إلا بهذا الإسناد ، تفرد به ابن أبى دليلة .

ناسا من الحجاز اقتتلوا ، فقتل بينهم قتيل فبعث إليهم رسول الله ﷺ من حبسهم .

وروى إسماعيل بن رجاء عن أبى مجلز أن النبى ﷺ حبس رجلاً من جهينة أعتق شخصا له فى مملوك حتى باع فيه غنيمة له[١٤] .

وفى فتح القدير[١٥] للكمال بن الهمام الحنفى على الهداية :

والحبس مشروع بالكتاب لأنه المراد بالنفى المذكور بقوله تعالى : ﴿ .. أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ .. ﴾[١٦] .

وبالسنة ـ على ماسلف ـ أنه ﷺ حبس رجلا فى تهمة ، وذكر الخصاف : أن ناسا من أهل الحجاز اقتتلوا ، فقتلوا بينهم قتيلا ، فبعث اليهم رسول الله حبسهم ، ولم يكن فى عهده ﷺ ، وأبى بكر ـ سجن ـ إنما كان يحبس فى المسجد أو الدهليز حتى اشترى عمر رضى الله عنه داراً بمكة بأربعة آلاف درهم ، واتخذها محبساً ، وقيل بل لم يكن فى زمن عمر ولا عثمان أيضاً إلى زمن على رضى الله عنه ـ لكن ثبت عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه كان له سجن ، وأنه سجن الحطيئة على الهجو ، وقال له اندفعت تغنى بأعراض المسلمين ، يعنى أنه يهجو الناس ويقدح فى اعراضهم ، وكان هجاؤه مقذعاً حتى لقد هجا نفسه ، حين نظر فى بئر فرأى وجهه ، وكان قميئاً ، دميماً فقال عن نفسه :

أرى لى وجهاً قبح الله شكله
فقبح من وجه وقبح حامله

بل ولقد قال فى زوجته :

اطوف ماأطوف ثم آوى
إلى بيت قعيدته لكاع

ولم يكف عن الهجاء بعد إسلامه ، فسجنه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهدده بقطع لسانه فاعتذر إليه حتى عفا عنه وذلك بأبيات منها :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر[١٧]

ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله ياعمر .

فعفا عنه عمر ومنحه ثلاثة آلاف درهم ، يعول بها أسرته ، على ألا يهجو أحداً ، ولكنه عاد إلى الهجاء بعد وفاة عمر وامتدت حياته حتى مات فى خلافة معاوية .

وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على مشروعية الحبس .

الديون المالية واهتمام الاسلام بالوفاء بها

إن الإسلام أمر بالعمل المستقيم ، ورغب فيه ، لأنه وسيلة الحصول على المال ، الذى به قوام الحياة وقد ورد ذكر المال فى آيات القرآن

←

---

(١٤) كتاب ادب القاضى للخصاف السابق ذكره .

(١٥) جـ٥ ص ٤٧٦ ط المطبعة الأميرية ببولاق مصر سنة ١٣١٦هـ مع حاشيتى العناية وسعدى حلبى .

(١٦) من الآية ٣٣ سورة المائدة .

(١٧) أفراخ : أطفال ، ذى مرخ : اسم مكان كان يعيش فيه بأسرته . زغب الحواصل : المراد صغار كالطير التى يغطيها الزغب وهو الريش الصغير قبل أن تقوى على الطيران .

الكريم ، فى نحو نيف وتسعين موضعاً ، فى أغراض شتى ، سواء فى الأمر بكسبه والمحافظة عليه ، وإخراج زكاته ، أو التحذير من اكتنازه ، وحبسه عن التداول والتحذير كذلك من فتنته ، واتخاذه وسيلة للبطش ، وللإعراض عن الحق ، ومن أكله بالباطل .

ولقد خص القرآن الديون بالذكر ، فكان الأمر بكتابتها . وبالاشهاد عليها ، فى آية المداينة ، قوله تعالى[18] : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ .

وأيا ما كان اختلاف الفقهاء فى تكييف هذا الأمر وحكمه ، هل هو : للوجوب أو للندب والاستحباب احتياطاً للأموال فإن هذا الأمر دليل العناية بالديون لأنها أثر لازم للتعامل ، بل وللتكامل بين الأمة ، ولم يقتصر الأمر على الدعوة إلى تسجيله كتابة ، بل عنى القرآن بأداء الديون وإبراء ذمة المدين ، حتى بعد وفاته نجد هذا فى آيات المواريث[19] ، فقد اختتمت أولاها[20] بقوله تعالى : ﴿ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ . . ﴾ والثانية[21] بقوله تعالى : ﴿ . . مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ .

ومن هنا : كان قضاء الديون التى علقت بذمة المتوفى ، حال الحياة ، حقا ، حتما مقضيا قبل الوراثة بل إن بعض الفقهاء قدم الوفاء بالديون المتعلقة بأعيان التركة ببعضها على حق تجهيز المتوفى ونفقات دفنه ، على ماسنشير إليه فيما بعد .

ترتيب اقتضاء الحقوق والديون من التركة

ولقد بلغت عناية الفقهاء الإسلاميين بالديون ، أن تحدثوا فى ترتيب الوفاء بها من التركة عند وفاة المدين واختلفوا فى هذا ، بعد أن قسموها إلى ديون لله تعالى ، كالزكاة والنذور والكفارات وزكاة الفطر ، وديون للناس أيا كان سببها ، وديون صحة ، وديون مرض .

فذهب فقه مذهب الإمام أبى حنيفة إلى أن الديون التى هى حقوق لله تعالى ولا مطالب لها من الناس كدين الزكاة ، والنذور ، تسقط بالموت ، فى حق الدنيا ، لا فى حق الإثم بالترك ، ولا يلزم الورثة أداؤها من التركة ، مالم يوص فإذا أوصى بها قبل الوفاة ، فتؤدى من ثلث التركة ، بعد نفقات تجهيزه وقضاء ديون الناس .

أما الديون التى هى حقوق للناس ، ولها مطالب منهم ، فما كان دينا عينيا ، أى متعلقا حال حياة المدين بعين من الأعيان ، كدين الرهن ، يبدأ بأدائه من تركته بعد موته ، ويقدم على مايكفى لتجهيزه إلى دفنه ، ومابقى من التركة بعد أداء الديون العينية يؤدى منه مايكفى لتجهيز المتوفى ، ثم مابقى تؤدى منه

(١٨) الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .

(١٩) هى الآيات ١١ و١٢ والأخيرة من سورة النساء ولم تعرض هذه للديون والوصايا .

(٢٠) الآية ١١ سورة النساء .

(٢١) الآية ١٢ سورة النساء .

الديون المرسلة أى ديونه التى لحقت بذمته فقط حال حياته ، دون تعلق بعين من أعيان أمواله ، على أن يقدم فى الوفاء دين الصحة منها على دين المرض[٢٢] .

ونص فقه الإمام مالك على أنه يخرج من تركة الميت ، كل الديون المتعلقة بأعيان التركة ولو استغرقتها جميعا كالشىء المرهون فيه دين ، لتعلق حق المرتهن بذاته ثم مؤنة تجهيزه بالمعروف بما يناسب حاله ومؤنة تجهيز من كانت تلزمه نفقته ثم تقضى ديونه التى لآدمى ، سواء كانت بضامن ، أم لا .

وفقه المالكية ، بهذا المضمون قريب إلى فقه مذهب الحنفيين ، وهو أن ديون العباد مقدمة على الديون المتعلقة بحقوق الله سبحانه وتعالى ، وفقط يختلفون عنه فى أمرين :

أحدهما : فى اعتبار هذه الحقوق ديونا تثبت من غير وصية .

والأمر الآخر : أنها لا تحتسب فى الثلث ، وتقدم على الوصايا والمواريث ، ولكن المالكية مع هذا لا يجيزون أداء هذه الديون ، إلا إذا أشهد المتوفى على نفسه ، وهو حى ، أنها واجبة فى ذمته ، وهذا الإشهاد للإعلام لا للايصاء[٢٣] .

وبهذا يبين التقارب فى هذا الموضع بين المالكية والحنفية مع الاختلاف فى جوهر الأداء . والأساس لهذا الرأى هو القاعدة التى قررت : أن الحق الذى له مطالب من العباد أولى بالأداء ، لأن الله يعفو ويرحم .

وفقه الإمام الشافعى يقرر فى الحقوق التى تقتضى من التركة بما فيها الديون : إنه يبدأ من تركة الميت بمؤنة تجهيزه ثم تقضى ديونه ، مقدماً منها دين الله تعالى كزكاة ، نصابها قائم ، لم يهلك ، ولم يستهلك قبل وفاته بمعنى أن المال الذى وجبت فيه الزكاة لازال قائماً بحاله ، لتعلق الزكاة به ، كتعلق حق المرتهن بالعين المرهونة بل إنه أقوى من هذا .

أما إن كان المال الذى وجبت فيه الزكاة قد استهلك أو هلك ، فقد انتقل الدين إلى الذمة ، وصار كالكفارات غير المعينة ، فى مال معين ، وهنا يفصل الشافعيون ولهم فى هذا مقال وترجيح[٢٤] .

وفقه الإمام أحمد بن حنبل أنه : يبدأ مما بقى من التركة بعد تجهيز المتوفى بأداء الديون العينية ، ثم بأداء الديون المرسلة ، وهذه جميعها فى مرتبة واحدة فلا يقدم منها ماهو حق الله على ماهو حق للناس ولا يقدم دين الصحة على دين المرض ، وقالوا : يجب الإسراع فى قضاء دينه سواء كان لله تعالى أو لآدمى ، لما روى الشافعى وأحمد عن أبى هريرة مرفوعا : (نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه)[٢٥] .

←

---

(٢٢) جـ٥ ص ٧٤٠ ، ٧٤١ وما بعدهما من الدر المختار للحصكفى وحاشية رد المحتار لابن عابدين فى كتاب الفرائض .

(٢٣) باب الفرائض بحاشية الدسوقى على شرح الدردير لمختصر خليل ج ٤ ص ٥٣٦ ومابعدها .

(٢٤) حواشى تحفة المحتاج شرح المنهاج جـ٦ ص ٣٨٢ ومابعدها فى كتاب الفرائض ط مصطفى محمد .

(٢٥) الروض المربع للبهوتى بشرح زاد المستقنع للحجاوى ص ١٤٠ ط دار المعارف بالقاهرة وشرح قانون المواريث رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ . للمرحوم فضيلة الشيخ عبد الوهاب خلاف .

من هذا نستبين كيف أن فقهاء المسلمين قد أعطوا اهمية قصوى لإبراء الذمة من الديون .

ونجد هذا واضحا فيما روى من أن رسول الله ﷺ[٢٦] ، لم يكن يصلى على ميت مدين ، وأنه حين قدمت جنازة أحد المسلمين ، وعلم الرسول ﷺ أنه مدين ، توقف عن الصلاة عليه ، وطلب إلى الحاضرين الصلاة عليه فلما تكفل أحد الصحابة بدين هذا الميت ، صلى عليه ، هذا فى شأن الموتى ، أما شأن المدينين الأحياء ، فقد الزمت النصوص الشرعية ، هؤلاء بالوفاء بما استدانوا ، بل جاءت أوامر الشارع بالوفاء بالعهود والعقود والأمانات ففى القرآن الكريم قول الله تعالى[٢٧] :

﴿ . . فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ وقوله : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾

وقوله : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾[٢٨] وقوله تعالى[٢٩] : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ . . ﴾ .

ومما يدل على عناية الإسلام بالمداينات ، وحثه على قضاء الديون أنه عدَّ الغارمين من مصارف الزكاة ، داعياً الموسرين الذين يزكون أموالهم ، أن يدفعوا بعض هذه الزكاة إلى من لحقته الديون ، جاء هذا بيِّنا فى قوله تعالى[٣٠] : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ . واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

اختص الله سبحانه هذه المصارف ـ ومنها الغارمون ـ أى المدينين ـ بالصدقات وهذا يشير إلى اهمية سداد الديون فى شريعة الإسلام ، وأنه ليس مجرد خلق محمود .

ويوضح هذا أيضا ماحدث به أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه : قال : (أصيب رجل فى ثمار ابتاعها فى عهد رسول الله ﷺ ، فكثر دينه ، فقال رسول الله ﷺ تصدقوا عليه ، فتصدق الناس عليه ، فلم يبلغ ذلك وفاء دينه ، فقال رسول الله ﷺ لغرمائه : خذوا ماوجدتم وليس لكم إلا ذلك[٣١] .

وفى السنة الشريفة وصف رسول الله ﷺ . المدين الموسر ، الذى يقعد عن الوفاء بدينه

(٢٦) الترغيب والترهيب جـ٢ ص ٤٠٧ ويراجع المغنى لابن قدامة مع الشرح الكبير جـ٥ ص ٨٢ ومابعدها .
(٢٧) من الآيتين ١٧٨ ، ٢٨٣ من سورة البقرة .
(٢٨) من الآية ٥٨ سورة النساء .
(٢٩) أول سورة المائدة .
(٣٠) من الآية ٦٠ سورة التوبة .
(٣١) المحلى لابن حزم جـ٨ ص ١٧٠ وفى هامشه أن الحديث فى صحيح مسلم جـ١ ص ٤٥٨ مع تقديم وتأخير .

مطلا بأنه ظالم فقال[٣٢] : (لىّ الواجد يحل عرضه وعقوبته) وفى خبر آخر : (مطل الغنى ظلم يحل عرضه وعقوبته) .

والمطل[٣٣] : المد ، يقال مطل الحبل وغيره ، يمطله مطلا ، فأمطل ، ومطل الحديدة يمطلها مطلا ، ضربها ومدها وسبكها ، والمطال صانع ذلك .

وفى نطاق هذا المعنى لهذه المادة يكون معنى / (مطل الغنى ظلم ..) أى مده المديونية ، ونكوصه عن السداد فى الأجل ، مع الغنى واليسار والقدرة ظلم ، لا يبيحه الإسلام .

وفى معنى الحديث : (لىّ الواجد يحل عرضه وعقوبته) جاء فى سنن[٣٤] ابن ماجه (عرضه) يعنى شكايته (عقوبته) يعنى سجنه .

وفى حاشية السندى[٣٥] فى ذات الموضع : أن قوله (لى الواجد) بفتح اللام وتشديد الياء أو مطله ، ـ والواجد بالجيم ـ القادر على الأداء ، أى الذى يجد مايؤدى ، يحل عرضه للدائن بأن يقول ظلمنى وعقوبته الحبس والتعزير .

وفى لسان[٣٦] العرب فى الحديث قال : إن عرض الرجل حسبه ، وقيل نفسه ، وقيل خليقته المحمودة ، وقيل مايمدح به ويذم .

وفى الحديث : إن أعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، قال ابن الأثير : هو جمع العرض المذكور على اختلاف القول فيه .

ويقال : فلان كريم العرض ، أى كريم الحسب ، وأعـراض الناس أعـرافهم ، وأحسابهم ، وأنفسهم ، وفلان ذو عرض إذا كان حسيبا .

وفى الحديث : (لى الواجد يحل عقوبته وعرضه) أى لصاحب الدين أن يذم عرضه ، ويصفه بسوء القضاء ، لأنه ظالم له ، بعد ماكان محرماً منه ، وقيل : عرضه : يغلظ له ، وعقوبته الحبس .

وقيل معناه : أنه يحل له شكايته منه ، وقيل معناه أن يقول : ياظالم أنصفنى لأنه إذا مطله وهو غنى فقد ظلمه .

ولعل أقرب المعانى وأوضحها لهذا الحديث ماجاء فى سنن ابن ماجه من تفسير كلمة (عرضه) بالشكاية ، فهى بهذا ليست من العرض ـ بكسر العين ، وإنما من العرض ـ بفتح العين أى الشكوى ، وكلمة عقوبته بالسجن .

←

---

(٣٢) سنن ابن ماجه ، باب حبس المدين فى الدين والملازمة ص ٨٠ جـ٢ مع حاشية السندى ط أولى بالمطبعة التازية بالقاهرة .

(٣٣) لسان العرب لابن منظور مادة مطل .

(٣٤ ، ٣٥) الموضع السابق ص ٨٠ جـ٢ .

(٣٦) مـــادة عـــرض .

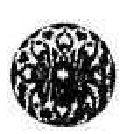
ويصبح معنى الحديث ـ والله أعلم ـ أن مطل المدين القادر على السداد يحل للدائن شكواه إلى الحاكم ليعاقبه بالحبس .

قال صاحب العناية[٣٧] شرح الهداية تأييداً لمشروعية حبس المدين ، إذا مطل مع القدرة : ولأن القاضى نصب لإيصال الحقوق إلى مستحقيها ، فإن امتنع المطلوب من أداء حق الطالب ، لم يكن للقاضى بد من أن يجبره على الأداء ، ولا خلاف فى أنه لا جبر بالضرب ، فيكون الحبس أولى .

ولعل هذا الذى يحمله هذا الحديث الشريف ، وماقاله صاحب العناية ، من ضرورة تنفيذ القضاء أو إيصال الحق لأهله هو ماصرح به عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى كتابه المشهور إلى أبى موسى الأشعرى الذى بنى عليه العلماء ـ كما قال ابن القيم ـ أصول الحكم والشهادة والحاكم والمفتى حين قال فى افتتاحه .

(أما بعد : فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلى إليك ـ فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له إذ أن مراد عمر بهذا : التحريض على تنفيذ الحق إذا فهمه الحاكم ، ولا ينفع تكلم به ، إن لم يكن له قوة تنفيذه فهو تحريض منه على العلم بالحق ، والقوة على تنفيذه[٣٨] .

جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهـــر



(٣٧) جـ ٥ ص ٤٧٦ مع شرح فتح القدير ط ١٣١٦هـ المطبعة الأميرية ببولاق مصر .
(٣٨) أعلام الموقعين لابن القيم جـ ١ ص ٧١ وما بعدها ط إدارة الطباعة المنيرية .

يد الله مع الجماعة

لفضيلة الأستاذ الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

قال الله تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا . . . ﴾ الآيتان ٩ ، ١٠ من سورة الحجرات .

البيـــان ●

بعث الله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولا يتحقق ذلك إلا بالوحدة وعدم التفرق ، امتثالاً لقوله تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ الآية ١٢٩ من آل عمران .

وقد استمع المسلمون إلى نصيحة الله تعالى فعزوا وعز بهم الإسلام ، ولا يليق بهم وهم الدعاة إلى الحق ، المنوط بهم تبليغ الرسالة إلى أهل الأرض جميعاً - لا يليق بهم - أن يتفرقوا شيعاً وأحزاباً ، يقاتل بعضهم بعضاً ، فإن فى ذلك ضعفاً لهم ، وسبباً لتربص الأعداء بهم ، ونيلهم منهم ، واستلابهم حريتهم .

لقد آخى النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، وجعل منهم أمة واحدة ، وكان الأنصار يؤثرون المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ليكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً .

فإذا وسوس الشيطان بين فريقين منهم ، وحرض بعضهم على بعض حتى اقتتلوا ، وجبت المسارعة إلى الإصلاح بينهم حتى لا يتسع الخرق على الراقع ، كما كان النبى

←

(●) تأسف مجلة الأزهر - إذ تأخر هذا المقال عن ترتيبه . ولكنه مستقل الموضوع ..

ﷺ يصنع مع أصحابه ، وعلى كلا الطرفين أن ينقاد إلى الصلح حفاظا على الوحدة بين المسلمين .

روى المعتمر بن سليمان عن أنس بن مالك قال : « قلت يارسول الله ، لو أتيت عبد الله بن أُبَيّ - يعنى ابن سلول - أس المنافقين - فانطلق إليه النبى ﷺ فركب حمارا ، وانطلق المسلمون يمشون ، وهى أرض سبخة ، فلما أتاه النبى ﷺ قال : إليك عنى فقد آذانى نَتْنُ حمارك ، فقال رجل من الأنصار : والله لَحِمارُ رسول الله ﷺ أطيب ريحا منك ، فغضب لعبد الله رجلٌ من قومه ، وغضب لكل واحد منهما أصحابه ، فكان بينهم حرب بالجريد والأيدى والنعال ، فبلغنا أنه أنزل فيهم هذه الآية »[1] ، وعلى أساسها أصلح النبى ﷺ بينهم . وقال مجاهد : نزلت فى الأوس والخزرج .

قال مجاهد : « تقاتل حيان من الأنصار بالعصى والنعال فنزلت » فَنَفَّذ الرسول ما أمرت به الآية من الصلح بين الفريقين .

أقول : ولعل مارواه مجاهد هو ما رواه المعتمر عن أنس بن مالك ، فإن الذين تقاتلوا من أجل كلام عبد الله بن أبى للرسول كانوا من الأوس والخزرج .

كيف يكون الاصلاح بينهما ؟

والإصلاح بين الفئتين يكون بالعدل وعدم التحيز إلى فئة على حساب الأخرى ومن ألوان الصلح التنازل عن حق الإمارة ، فقد بويع الحَسَنُ بن على رضى الله عنهما بعد قتل أبيه ، ثم تنازل عن حقه فى الإمارة والخلافة حقنا لدماء المسلمين ، وجمعا لكلمتهم .

وقد أخبر النبى ﷺ بذلك فى طفولة الحسن ، روى الإمام البخارى بسنده عن أبى بكرة « أن رسول الله ﷺ خطب يوما ومعه على المنبر الحسنُ بن علىٍّ ، فجعل ينظر إليه مرة وإلى الناس أخرى ويقول « إن ابنى هذا سيِّدٌ ، ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » فكان كما قال ﷺ ، فقد أصلح الله به بين أهل الشام وأهل العراق ، بعد الحروب المدمِّرة التى كانت بين أبيه وبين معاوية ﴿ **فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله** ﴾ الآية فإن تطاولت إحداهما على الأخرى وقاتلتها ولم تستجب للصلح العادل ، فهى باغية عليها ، فيجب على المسلمين قتالها حتى ترجع إلى حكم الله فى كتابه وسنة رسوله ، فإن رجعت وفاءت إلى حكم الله ، فكفوا عن قتالها ، وأصلحوا بينهما بالعدل إن الله يحب العادلين .

مايستنبط من الآية والسنة

(١) استدل البخارى وغيره بالآية على أن المؤمن لا يخرج من إيمانه بالمعصية وإن عظمت ، لا كما يقول الخوارج وفريق من المعتزلة ونحوهم ، والآية صريحة فى ذلك فإنها سمتهم (المؤمنين) مع قتالهم ، وكما صرح به الحديث السابق « ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » .

---

(١) رواه الإمام أحمد بسنده عن معتمر ، ورواه البخارى فى الصلح عن مُسَدَّد ، ورواه مسلم فى المغازى بسنده عن محمد بن عبد الأعلى - كلاهما عن المعتمر بن سليمان عن أبيه .

(٢) فى هذه الآية حجة على وجوب قتال الفئة الباغية على الإمام أو على سواه من المسلمين ، كما أنها حجة على من منع قتال المؤمنين مطلقا ، محتجا بقوله ﷺ : « قتال المؤمن كفر » ولو كان قتال المؤمن الباغي كفراً لكان أمر الله بقتاله أمراً بما يكفره ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، كما أن هذا القول مخالف لقوله ﷺ « خذوا على أيدى سفهائكم » .

ولو كان قتال المؤمن محرماً على الإطلاق لما قاتل أبو بكر الصديق وصحابة الرسول من امتنعوا عن اداء الزكاة ، مع تمسكهم بالإيمان بعد وفاة رسول الله ﷺ وقد أمر الصديق أن لايتبع فارٌ ولايجهز على جريح منهم ، ولم تحل أموالهم بخلاف الواجب فى الكفار .

وعلى هذا يحمل حديث « قتال المؤمن كفر » على قتال غير البغاة من المؤمنين .

(٣) إذا كان كل من الفريقين باغيا على الآخر فى قتاله إياه ، فالواجب فى ذلك السعى بينهما بالصلح ، فإن لم يصطلحا وأقاما على البغى قوتلا جميعا ، وإذا كان الباغى أحدهما قوتل حتى يكف ويتوب ، فإن فعل أصلح بين الفريقين بالقسط والعدل ، فإن التحم القتال بينهما لشبهة دخلت عليهما ، وكلاهما عند نفسه محق ، فالواجب إزالة الشبهة بينهما بالحجة والبرهان ، فإن لم يستجيبا بعد وضوح الحق قوتلا كما يقاتل الفئتان الباغيتان .

وقد كان القتال بين الإمام على ومن معه ومعاوية ومن معه لشبهة قامت بينهما فالإمام على يطلب البيعة من أهل الشام وعلى رأسهم معاوية ، ومعاوية يطلب الأخذ بثأر عثمان ممن يوجدون فى معسكر علىّ قبل بيعته ، فكان على يقول : ادخلوا فى البيعة واطلبوا الحق تصلوا إليه ، وكان معاوية ومن معه يقولون : لا تستحق البيعة وقتلة عثمان معك تراهم صباحا ومساء .

ولو أن عليا قتل الذين قتلوا عثمان قبل تمام البيعة لتعصبت لهم قبائل ، وصارت حربا أخرى ، فانتظر بهم أن يستوثق الأمر وتنعقد البيعة ، ويقع الطلب من الأولياء فى مجلس الحكم ، فيجرى القضاء بالحق والمسلمون يد واحدة .

ومما يدل على أن عليا كان على الحق قوله ﷺ « ويح عمار تقتله الفئة الباغية » وكان عمار مع على رضى الله عنهما ، والذين قتلوه من أهل الشام مع معاوية ، وإن كانوا يغالطون ويقولون قتله من أخرجه .

ومما يدل على أن عليا صاحب الحق قوله ﷺ فى شأن الخوارج : « يخرجون على خير فرقة » وقد خرجوا على فرقة على ، وقوله أيضا « تقتلهم أولى الطائفتين إلى الحق » وكان الذى قتلهم على بن أبى طالب ومن كان معه .

ولا خلاف بين الأمة فى انه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا ادى ذلك إلى إثارة الفتنة أو تشتيت الكلمة .

والكلام فى هذا الموضوع طويل ، وباب التأويل فيه واسع ، ولهذا ثبت كلا الفريقين على رأيهما ، حتى قتل الإمام على غيلة ، ولما بويع ابنه الحسن ـ رضى الله عنهما ـ تنازل عن بيعته إلى معاوية حقنا لدماء المسلمين ، ولهذا قال فيه جده المصطفى ـ ﷺ ـ « إن ابنى هذا سيد ، ولعل الله تعالى أن يصلح به

←

بين فئتين عظيمتين من المسلمين » كما تقدم ذكره والواجب على المسلمين أن لا يدخلوا حكاما بين الفريقين بأكثر مما قلناه ، فقد كان فى كل منهما أصحاب رسول الله - ﷺ - وقد عرفت شبهة الفريقين ، والله تعالى أعلم . ذلك ، لكثرة ما استحدث من آلات التخريب

بقية مايستنبط من الآية والسنة

(٤) ويستنبط من قوله تعالى : ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ ﴾

الا يطالبوا بما جرى بينهما من دم ولا ما أنفق من مال ، ففى طلب ذلك منهم تنفير لهم عن الصلح ، واستشراء فى البغى ، وهذا أصل فى المصلحة .

ويقول العلماء : إن من حكم الله فى حرب الصحابة تعريفهم بقتال أهل التأويل وأحكامه ، إذ كانت أحكام قتال أهل الشرك قد عرفت قولاً وفعلاً من رسول الله ﷺ .

(٥) إذا خرج على الإمام العدل فئةٌ باغية ولا حجة لها ، قاتلهم الإمام ، وعليه أن يدعوهم قبل القتال إلى الطاعة والدخول فى الجماعة ، فإن أبوا الصلح قوتلوا ، ولا يقتل أسيرهم ولا يتبع مدبرهم ولا يقتل جريحهم ، ولا تسبى نساؤهم وذراريهم وأموالهم وإذا قتل العادل الباغى أو الباغى العادل - وهو قريبه - لم يتوارثا ، ولا يرث قاتل عمداً بأى حال ، وقيل إن العادل يرث الباغى قياساً على القصاص .

(٦) ما استهلكه البغاة والخوارج من دم أو مال ثم تابوا لم يؤاخذوا به ، وقال أبو حنيفة : يضمنون لأنه إتلاف بعدوان فيضمنون ، وللشافعى قولان :

والمعول عليه عند المالكية أن الصحابة فى حروبهم لم يتبعوا مدبرا ، ولا أجهزوا على جريح ولا قتلوا أسيراً ، ولا ضمنوا نفسا ولا مالاً وهم القدوة ، قال ابن عمر : قال النبى ﷺ « ياعبد الله ، أتدرى كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الأمة ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، فقال : لا يجهز على جريحها ، ولا يقتل أسيرها ، ولا يطلب هاربُها ، ولا يقسم فيئها » .

(٧) قال القرطبى : لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوعا به ، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه ، وأرادوا الله عز وجل ، وهم كلهم لنا أئمة ، وقد تعبدنا الله بالكف عما شجر بينهم ، وألا تذكرهم إلا بأحسن الذكر لحرمة الصحبة ، ونهى النبى ﷺ عن سبهم ، وذكر أن الله غفر لهم وأخبر بالرضا عنهم[٢]

هذا ما ماقد ورد من الأخبار من طرق مختلفة عن النبى ﷺ « أن طلحة شهيد يمشى على الأرض » فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصيانا ، لم يكن بالقتل فيه شهيداً ، وكذلك لو كان الذى خرج إليه خطأ فى التأويل ، وتقصيراً فى الواجب عليه ، لأن الشهادة

البقية صفحة ٢٢٩

(٢) قال تعالى فى سورة التوبة ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه . . . ﴾ من الآية ١٠٠ .

وقال فى سورة الفتح ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة . . ﴾ من الآية ١٨ .



الرسالات السماوية

بين التطور والتجديد

للأستاذ الدكتور
محمد شامة

خلق الله الإنسان ليكون خليفة له فى الارض، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(١).

لذا ميزه الله بالعقل على سائر الكائنات الحية، ليستعين به فى الانتفاع بما سخره الله له، إذ ان الله سخر له ما فى السموات وما فى الارض، وكثيراً مما يسبح بينهما.. يقول الله تعالى:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ. وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾(٢)

ويقول:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى الْأَرْضِ ﴾(٣).

ويقول:

﴿ اللهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِىَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٤)

ولكى تكون له الحرية فى التفكير والسلوك لم يجبره على سلوك طريقة معينة، بل ترك له الخيار فى ان يسلك ما يشاء فى الانتفاع بما أعطاه الله، وكان من الطبيعى أن يعجز هذا العقل عن الوصول إلى كنه الوجود، وإلى معرفة ما يحدث له بعد الموت، بل قد ثبت عجزه

←

(١) البقرة ٣٠.
(٢) إبراهيم ٣٢، ٣٣.
(٣) الحج ٦٥.
(٤) الجاثية ١٢، ١٣.

عن التوصّل إلى نظام ثابت للحياة يحفظه من الدمار ويساعده على بناء مجتمع سليم متماسك .

ومن هنا ارسل الله له رسلا ليبينوا له ما عجز عقله عن ادراكه ، وليوضحوا له ما خفى عليه من احداث ما بعد الموت ، فكان لكل قوم رسول .

يقول تعالى :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[5]

ويقول :

﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾[6]

ويقول :

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾[7]

ويقول :

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[8]

ويقول :

﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[9]

ويقول :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ. إِلَّا الَّذِى فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾[10]

ويلاحظ فى هذه الآيات أن كل رسول كان يبعث إلى قومه ، فهل كانت الرسالات واحدة باعتبار أنها من مصدر واحد وهو الله ؟ أم أنها كانت متعددة باعتبار تعدد الأقوام واختلاف درجة حضارتهم ، وتنوع تقاليدهم وعاداتهم ؟

يرى بعض الباحثين أن الجنس البشرى مر بمراحل فى تطوره ثم يعقد مقارنة بينه وبين تطور نمو الطفل فيقول : « إن الجنس البشرى بدأ كما يبدأ الطفل ، أقرب إلى البدائية والبساطة ، ثم نما الجنس البشرى ، ونمت أفكاره فوصل إلى ما يمكن أن يسمى مرحلة الصبا البشرية ثم نما مرة أخرى فوصل إلى مرحلة يمكن أن تعد مرحلة شباب البشر ، ويستنتجون من هذه النظرية أن الرسالات كانت مختلفة ، إذ أن كل رسالة كانت تناسب كل طور من الأطوار .

سيطر هذا الراى على جمهور العلماء قديما وحديثا حتى أصبح من المسلمات التى لا تنقض وكثيرا ما يستشهد المحدثون على

---

(٥) الأعراف ٥٩ .
(٦) الأعراف ٨٠ .
(٧) الأعراف ٨٥ .
(٨) الأعراف ٧٣ .
(٩) الأعراف ٦٥ .
(١٠) الزخرف ٢٦ .

هذا الرأى بنص للإمام محمد عبده فى رسالة التوحيد يقول فيه :

إن الأديان خاطبت الحس يوم كانت الإنسانية فى دور الطفولة لا يعرف الإنسان فيها إلا ما يقع تحت حسه ، ولا يتناول بذهنه من المعانى ما لايقرب من لمسه ، فلما سار ركب الإنسانية ، وجربت ، وكسبت ، وتخالفت ، واتفقت ، وتقلبت فى السعادة والشقاء أياما وأياما ، ونما بها الوجدان ، وبددت العواطف ، جاء دين يتحدث عن الزهادة ، وعن الصفاء وملكوت الله ، ولكن الإنسانية فى صراعها لم تستطع أن تعيش على الإيثار ، ولم يطل مقامها فى الصفاء ، فراحت تتعارك ، وحلت القطيعة محل التراحم ، والتخاصم مكان المسالمة ، فجاء دين ينظم الشئون كلها ويرعى الحس والعاطفة ، ويدرس القلب والعقل ، وينظم للناس شئون دنياهم وآخرتهم وهذا هو الإسلام .

ويرى أصحاب نظرية التطور فى الرسالات السماوية ـ طبقا لما عليه الجنس البشرى من درجة التطور ـ أن كل مرحلة لها سمات خاصة تتفق مع درجة حضارة من أرسلت إليهم الرسالة ، وعليه فقد قسموا الرسالات السماوية إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : وهو ما كان فى مرحلة الطفولة البشرية وتبدو ملامحه فى

[١] : أن الدعوة كانت محدودة بقوم الرسول ، وأن كل رسول كان يبعث إلى قومه فقط .

[٢] : أن ما تضمنته من مبادىء ، كان فى حدود ضيقة ، دون تنظيمات وتفريعات فى جوانب الحياة المختلفة ، اللهم إلا ما كان من مرض اجتماعى تفشى فى المجتمع حتى أصبح ظاهرة عامة فكانت الدعوة تنهى عنه وتحاربه .

[٣] : أنه لم يكن للدعوة فى تلك المرحلة كتب واضحة ، إنما هى بضع نصائح ، وقد توجد بعض ألواح أو صحف عامة .

[٤] : أننا لم نعرف لأديان هذه المرحلة تواريخ ، إذ لم يحدد ـ مثلا ـ العصر الذى أرسل فيه نوح ، أو هود ، أو إبراهيم .. الخ

القسم الثانى : وهو ما كان فى مرحلة « صبا البشرية » وكانت ملامحه أكثر تعقيدا وشمولا .. وتبدو مظاهره فيما يلى :-

[١] : دخلت الدعوة بعض التفاصيل والتشريعات ، ففى سفر التثنية : « بخطيئة لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء ، كل إنسان بخطيئته يقتل »[١١]

« إذا كانت خصومة بين أناس ، وتقدموا إلى القضاء ليقضى القضاة بينهم فليبرروا البار ، وليحكموا على المذنب »[١٢] .

« إذا سكن أخوة معا ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصير امرأة الميت إلى خارج لرجل اجنبى ، أخو زوجها يتزوجها ، والبكر الذى يلده يقوم باسم أخيه الميت ، لئلا يمحى اسمه من إسرائيل »[١٣]

(١١) ٢٤ : ١٦ .
(١٢) ٢٥ : ١ .
(١٣) ٢٥ : ٥ ـ ٦ .

[٢] : أصبح للدعوة كتاب هو التوراة أو الإنجيل ، ولكن معانيهما فقط هى الموحى بها ، وصاغها البشر فى عبارات ، وقد أصابها التحريف والضياع .

[٣] : وجدت فى هذه المرحلة تواريخ ولكنها غير دقيقة .

القسم الثالث : وهو ما كان فى مرحلة « شباب الجنس البشرى » فله ملامح خاصة وضحها هؤلاء العلماء فيما يلى :ـ

[١] : اتضحت وحدانية الله وحطمت الأصنامْ ، وفتح بالإسلام عهد جديد لا يقبل الشرك بأى صورة من صوره ، فالإسلام « عقيدة تامة » لا تسمح لعارض من عوارض الشرك والمشابهة ، ولا تجعل لله مثيلا فى الحس ولا فى الضمير ، بل له المثل الأعلى وليس كمثله شىء .

[٢] : أصبحت الدعوة عامة لكل البشرية ، وأصبح محمد ﷺ رسولا للعالمين يقول تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(١٤)

[٣] : ختمت الرسالات بدعوة محمد ﷺ ، والدليل على ذلك واضح للغاية أيضاً ، فقد مرت القرون تلو القرون بعد محمد ﷺ ، ولم يأت من يدعى الرسالة منذ طلع على العالم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .

[٤] : ديانة الإسلام شاملة لأمور الدين والدنيا وضحت لنا ما يجب لله تعالى ، وصورت لنا جنته وناره ، وأبرزت معالم الخير والشر وراحت إلى أمور الدنيا تتحدى تفكير العالم بنظم رائعة فى الميراث والسياسة والاقتصاد والبيع والشراء والوصية والهبة والسلم والحرب ، وكل حاجات الإنسان .

هذا هو مجمل رأى القائلين بنظرية التطور فى الرسالات السماوية ، وهى غير سليمة ، إذ أنها ظهرت فى الأوساط الفكرية متأثرة بنظرية « داروين » التى لم تسلم من النقد والتجريح ، ولذا لا يجوز أن يسلم بها علماء المسلمين ، لأن رأيهم ـ بناء عليها ـ فى تطور الرسالات السماوية :

- يتنافى مع الواقع .
- ويحمل فى طياته نسبة العجز إلى الله سبحانه وتعالى .
- كما أنه يوحى بأن رسالة محمد ﷺ ليست خاتمة الرسالات .

أما أنه يتنافى مع الواقع ، فإن من ينظر إلى عملية التطور يرى أنها ذات شقين :

الأول : تطور فى أساليب الحياة المادية ، إذ انتقلت حياة الإنسان من بدائية لم يستعمل فيها إلا أدوات بسيطة كانت من الحجر فى بادىء الأمر ثم تطورت إلى مادة ثانية ، وثالثة ، .. الخ . كما انتقل معظم الناس من سكن الكهوف والمغارات إلى البيوت البسيطة ، ثم إلى العمارات الشاهقة فناطحات السحاب بكل ما فيها من آلات تعمل بالطاقة على اختلاف مصادرها ، كذلك تطورت وسائل المواصلات حتى بلغت السفن الفضائية .

(١٤) سبأ ٢٨ .

فإذا كان هذا هو مقصدهم بالتطور ، فالإسلام لن يكون هو خاتم الرسالات ، لأن البشرية قطعت فى هذا السبيل منذ ظهور الإسلام حتى الآن أضعافا مضاعفة لا يمكن مقارنتها بما قطعته بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام أو بينهما وبين محمد ﷺ ، الأمر الذى حتم - بناء على رأيهم - أن تأتى رسالة محمد ﷺ لأن مرحلة موسى وعيسى عليهما السلام كانت قد انتهت .

الشق الثانى : من التطور هو تطور عقلية الإنسان ، ومن المشاهد أن التطور فى هذا الجانب ليس تطورا بالمعنى الذى يقصدونه من التطور ، ذلك أنه لا فرق بين عقلية إنسان يعيش فى القرن العشرين ، وآخر عاش فيما قبل الميلاد ، إلا فى زيادة كمية المعلومات التى حصل عليها ابن القرن العشرين نتيجة التجارب البشرية .

أما التطور فى ذات العقل فلا دليل عليه ، بل هناك شواهد فى حياتنا المعاصرة تنفى هذا ، إذ لو قارنا بين أخوين شقيقين ، أحدهما أخذ قسطا كبيراً من الثقافة المحلية والعالمية حتى وصل إلى درجة مرموقة فى مجال الفكر العالمى والآخر ظل مقيما فى بيئته لم يذهب إلى مدرسة ، ولم يتعلم إلا حرفة الآباء والأجداد فالأول على رأى من يقول ، بنظرية التطور يمثل مرحلة « شباب الجنس البشرى » والثانى يمثل مرحلة « الصبا » وربما مرحلة « طفولة الجنس البشرى » وهذا لا يقبله عقل ، فالاثنان فى درجة واحدة من القوة الكامنة فى العقل وقد يكون الذى حرم من التعليم اكثر ذكاء من الذى تعلم - غاية الأمر أن الذى تعلم اتيحت له فرصة اظهار ما كمن فى عقله من قوة على الفهم والإدراك وكان ذلك نتيجة ما حصله من معلومات .

فلو اعتبر القائلون بنظرية التطور هذه الظاهرة تطورا ، للزم على هذا ، التسليم بأن درجة التطور فى القرن العشرين فاقت - بمراحل عديدة - درجة التطور فى القرن السابع الميلادى ، حين نزلت رسالة الإسلام على محمد ﷺ ، الأمر الذى يتطلب رسالة جديدة .

وعليه فليس هناك تطور فى العقل البشرى ، بل زيادة فى المعلومات ، ورسالة الإسلام جاءت لتخاطب العقل ، ايا كانت درجة معلوماته عن الحياة وما فيها ، وعن الكون وما يحتوى عليه من أسرار .

أضف إلى ذلك أن عملية التطور تسير فى الحياة الإنسانية فى خط متعرج ، فبينما يكون بعض المجتمعات قد قطع شوطا كبيراً على طريق التقدم ، يكون هناك بعض آخر لازال فى أول الطريق ، وثالث فى منتصفه .. وهكذا ، لأن عوامل التقدم والرقى ليست متاحة للجميع بنسب متساوية ، وهذا ما نشاهده اليوم فى المجتمع الدولى ، إذا اصطلح على تقسيمه إلى دول متقدمة ، واخرى نامية ، بل إن درجة التقدم متفاوتة داخل المعسكر المتقدم ، وخطوات النمو مختلفة فى دائرة مجموعة الدول النامية .

وما لنا نذهب بعيدا ، فنحن نرى داخل المجتمع الواحد - سواء كان فى جانب المتقدمين ، أو فى جانب المتخلفين حضاريا - تفاوتا كبيرا بين الأفراد والأسر ، فبينما يكون التمدن ، والتحضر واضحا لدى أسرة ما ، أو

فرد فى أسرة يلاحظ بجوارها أسرة أخرى ، أو فرد داخل الأسرة المتحضرة ، لازال فى أول طريق التحضر حسب المفهوم المصطلح عليه فى مجال تحديد معنى التحضر .

فإذا طبقنا نظرية التطور التى يقول بها بعض العلماء على واقع الجنس البشرى ، فإننا نجد جزءا منها تطور حتى وصل إلى مرحلة « الشباب » وجزءا آخر وصل إلى مرحلة « الصبا » بينما نرى جزءا ثالثا لازال فى مرحلة « الطفولة » فهو يعيش عيشة بدائية أو ما يقرب من البدائية .

وعليه ، فيختلف ـ بناء على رأيهم ـ وضع كل منهم بالنسبة للرسالة التى ينبغى عليهم الايمان بها ، إذ يلتزم من لازال فى مرحلة « الطفولة » بالرسالة التى تخاطب الحس وهى فى نظرهم (رسالة موسى) عليه السلام ، ويكلف من هم فى دور «الصبا» برسالة عيسى عليه السلام ولا يكلف برسالة محمد ﷺ إلا من بلغ مرحلة «الشباب» فيكون هذا أشبه بالفصول الدراسية فى المرحلة التعليمية ، حيث لا يقوى من التلاميذ على فهم مواد السنة الأعلى إلا من درس مواد السنوات التى قبلها ، وتهيأ ذهنيا لدراسة مواد السنوات العليا وفهمها .

وهذا تصور خاطىء ، إذ لو سلمنا معهم بهذا ، لقسم المجتمع الواحد إلى فئات بل لقسمت الأسرة الواحدة إلى مجموعات ، وهذا امر يثير سخرية اقل الناس ثقافة وإدراكا لمفهوم رسالة الإسلام ، لأن الرسالة التى نزلت على محمد ﷺ خاطبت جميع الناس على اختلاف مستوياتهم الثقافية ، وتفاوت درجاتهم الحضارية ، إذ يفهم الرجل العادى القرآن الكريم ويدرك ما هو مطلوب منه فى مجال العبادات والمعاملات ، كما يجد فيه أغزر الناس علما ، وأوسعهم ثقافة فى مجال العلوم الفلسفية ما لم يجده فى دهاليز الفلسفة وأضابير الحكمة من معطيات علمية فى مجال الحياة وآفاق الكون ، فهو كتاب يجد فيه كل إنسان مبتغاه ، ويحصل منه على متعته الذهنية والروحية ، مهما كانت درجة هذا الإنسان فى سلم الحضارة البشرية .

والقول بأن الرسالات السماوية خاطبت كل مرحلة على قدر طاقتها العقلية يحمل فى طياته نسبة العجز إلى الله سبحانه وتعالى ، ذلك أننا فى عالمنا البشرى نصف الكاتب الذى يتمتع بأسلوب تفهمه قطاعات عريضة من الناس مختلفة فى الثقافة ومتفاوتة فى الرقى الحضارى ، بأنه بارع فى كتابته ، لأنه استطاع أن يضع أفكاره فى أسلوب لا يعجز عن فهمه أنصاف المثقفين ، ولا يَمَلّ من قراءته العلماء المتخصصون !! .. فإذا كان هذا شأن الإنسان المخلوق ، أفلا يستطيع الخالق أن يصوغ أوامره ونواهيه فى أسلوب يمكن أن يخاطب به كل الناس ، مهما اختلفت درجة حضاراتهم ؟!!

بلى !!! لقد جاء القرآن الكريم بأسلوب يفهمه البدائى فى كهفه ومغارته ، كما يدرك أسراره العالم فى حلقاته العلمية ، ومدرجاته الدراسية ، فهو لجميع الناس : أحمرهم ، وأسودهم ، وأبيضهم ، سواء كانوا فى مجاهل الكرة الأرضية أو فى بروجها وناطحات السحاب .

يتبع

الحسد المحمود

للدكتور
محمود محمد رسلان

اخرج الإمام احمد بسنده إلى ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها »[1] .

هذا الحديث الشريف يعد قاعدة من قواعد إصلاح المجتمع حيث يستل من نفوس أبنائه إحدى الصفات الذميمة التى تستشرى بينهم ، أعنى : صفة الحسد ، فينفرهم منها ، ويبغضهم فيها ، وفى نفس الوقت يرغبهم فى أمر آخر يعود عليهم بالنفع والفائدة ، فيحثهم على التشبه بمن أعطاه الله المال ، فهو يجمعه من حلال ، وينفقه فى موضعه الذى شرع من أجله كذلك على المسلم ، أن يتشبه بمن أعطاه الله الحكمة فيتعلمها ويعمل بها ، فيعيش المجتمع بعيداً عن القلاقل والاضطرابات النفسية .

إذاً فما الحسد ؟ وهل هناك حسد مذموم وآخر محمود ؟

ورد فى اللغة : حسده حسدا ، بمعنى تمنى أن تتحول إليه نعمته ، أو ان يُسْلَبهَا . ويقال : حسده النعمة وحسده عليها . وتقول العرب : حسدنى الله إذا كنت أحسدك : أى عاقبنى الله على حسدى إياك[2] .

والحسد المذموم هو : تمنى زوال نعمة الله عن أخيك المسلم ، وسواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أو لا ، وهذا النوع هو الذى وَرَدَ ذمه فى القرآن الكريم حيث يقول العزيز الحكيم﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾[3] .

وإنما كان مذموما ، لأن فيه اعتراضا على

---

(١) ورواه البخارى فى كتاب العلم باب الاغتباط فى العلم والحكمة .
(٢) المعجم الوسيط مادة : حسده .
(٣) النساء : ٥٤ .

الحق سبحانه ، وأنه أنعم على من لا يستحق .

والآية تفيد أن اليهود حسدوا النبي ﷺ على ما رزقه الله من النبوة العظيمة ، وقد منعهم من تصديقهم إياه حَسَدُهم له لكونه من العرب ، وليس من بنى إسرائيل .

اخرج الطبراني بسنده عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ .. ﴾الآية ، قال : قال الله تعالى : ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً ﴾[٤] اى فقد جعلنا فى اسباط بنى إسرائيل الذين هم من ذرية إبراهيم النبوة ، وانزلنا عليهم الكتب ، وحكموا فيهم بالسنن وهى الحكمة ، وجعلنا منهم الملوك ، ومع هذا فمنهم من آمن به اى بهذا الإيتاء ، وهذا الإنعام ، ومنهم ومن جنسهم أى من بنى إسرائيل[٥] ، فقد اختلفوا عليهم فكيف بك يامحمد ، ولست من بنى إسرائيل ، وقال مجاهد : فمنهم من آمن به اى بمحمد ﷺ ، ومنهم من صد عنه فالكفرة منهم أشد تكذيبا لك ، وأبعد عما جئتهم به من الهدى ، والحق المبين ، ولهذا قال متوعدا لهم : ﴿ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً ﴾ اى وكفى بالنار عقوبة لهم على كفرهم ، وعنادهم ، ومخالفتهم كتب الله ورسله[٦] .

والحسد على هذا المعنى مذموم ، وصاحبه مغموم ، وهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، وقال الحسن : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد ، نَفَس دائم ، وحزن لازم ، وعبرة لا تنفد ، وقال ابن مسعود رضى الله عنه :

لا تعادوا نعم الله . قيل له : ومن يعادى نعم الله ؟ قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، يقول الله فى بعض الكتب : الحسود عدو نعمتى متسخط لقضائى غير راض بقسمتى[٧] .

قال منصور الفقيه :

الا قل لمن ظل لى حاسدا
أتدرى على من أسأت الأدب
أسأت على الله فى حكمه
إذا أنت لم ترض لى ما وهب

ويقال : الحسد أول ذنب عُصى الله به فى السماء ، وأول ذنب عُصى به فى الأرض ، فأما فى السماء فحسد إبليس لآدم ، وأما فى الأرض فحسد قابيل لهابيل .

وقيل : إذا سرك أن تسلم من الحاسد فعمِّ عليه أمرك ، ولقد أحسن من قال :

اصبر على حسد الحسو
د فإنَّ صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها
إن لم تجد ما تأكله

---

(٤) النساء : ٥٤ .
(٥) اى من بنى إسرائيل من لم يؤمن بهذا الإيتاء .
(٦) راجع تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥١٤ ، والقرطبى فى هذه الآية .
(٧) تفسير القرطبى جـ ١ ص ١٨٢١ .
(٨) أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ، باب قول رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به .

وهذا بعض ما يفهم من النهى فى الحديث ، الشريف : « لاحسد ... »الخ .

وأما الحسد المحمود : فهو ما جاء فى هذا الحديث ، وفى الحديث الشريف الآخر : « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل ، وآناء النهار »[8] .

والحسد هنا هو الغبطة ، ومن ثم ترجم له البخارى باب الاغتباط فى العلم والحكمة .

وحقيقتها : أن تتمنى أن يكون لك ما لأخيك المسلم من الخير والنعمة ، ولايزول عنه خيره ، وقد يجوز أن يسمى هذا منافسة[9] ومنه قوله تعالى :

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[10] .

وهذا الحديث مع ما صدرت به هذه الكلمة يعلمنا الحسد المشروع أى الغبطة ، فمن أعطاه الله المال فعرف مصرفه ، ووضعه فى موضعه ، وأعطى كل ذى حق حقه ، فهو الذى يغبطه الناس ويقتدون به ، والتعبير « فسلطه على هلكته .. » أى إهلاكه ، بأن افناه كله فى الخير .

أما من أعطى المال ، فأنفقه على ملذاته وشهواته ، ومنع منه إعطاء كل ذى حق حقه ، ووضعه فى غير موضعه ، فهو المذموم حقا ، ولا ينبغى تقليده ، ولا الاقتداء به ، لأن هذا هو الإسراف الذى نهى الله عنه فى قوله سبحانه : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[11] وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[12] .

والشق الثانى من الحديث وهو : « ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها » .

فما الحكمة ؟

قال ابن عباس : المعرفة بالقرآن .

وقيل الحكمة : القرآن .

وعن مجاهد قال : الحكمة : الإصابة فى القول .

وقيل : الحكمة : خشية الله ، فإن خشية الله رأس كل حكمة :

وقيل : الحكمة : الفهم .

وقيل : الحكمة : العقل .

قال الإمام مالك : إنه ليقع فى قلبى أن الحكمة هى الفقه فى دين الله ، وأمر يدخله الله فى القلوب من رحمته ، وفضله ، والدليل الذى يوضح ذلك أنك تجد الرجل عاقلا فى أمر الدنيا ، إذا نظر فيها ، وتجد آخر ضعيفا فى أمر دنياه عالما بأمر دينه بصيرا به يؤتيه الله إياه ، ويحرمه هذا .

فالحكمة : الفقه فى دين الله .

وقيل الحكمة النبوة « من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه .[13] » .

فما أصل الحكمة ؟ الحكمة : ما يمتنع به المرء من السفه ، ومن ثم قيل : للعلم حكمة ، لأنه يمتنع به من السفه .

فما السفه ؟ إنه كل فعل قبيح وقال تعالى ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[14]

---

(٩) القرطبى جـ ١ ص ١٨٢١ .

(١٠) المطففين : ٢٦ .

(١١) الأعراف : ٣١ .

(١٢) الإسراء : ٢٧ .

(١٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٢٢ .

(١٤) البقرة : ٢٦٩ .

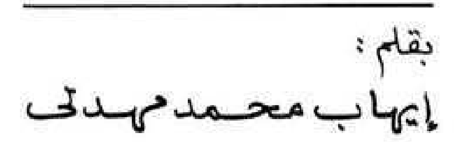


نتطرق فى عالمنا العربى والإسلامى إلى الحديث عن الاستشراق والمستشرقين ، بيد أننا نادرا ما نعرض لفحص أعمالهم ، فإذا عرضنا لكتاباتهم فإننا نستشهد بقدامى المستشرقين أمثال المجرى : جولدزهير ، والألمانى : نولدكة ، والفرنسى : ماسينيون ، والانجليزى : هاملتون جبّ . أما المستشرقون الجدد المعاصرون فإننا لا نعرفهم ، أو نعرف منهم من يقول : إنه صديقنا ندعوه إلى ديارنا ليحدثنا عن أنفسنا إذا مدحنا مجّدناه ، وإذا نقدنا لعنّاه أو تجاهلناه ، وفى كلتا الحالتين بعدنا عن الاعتدال وبعدنا أكثر عن الموضوعية .

إذا نظرنا للاستشراق الهولندى كما يعرفه بعض العرب ، فيمكننا الزعم بأننا لا نعرفه حق المعرفة مع أنه يهمنا كل الأهمية . فهذه الدولة الأوروبية الصغيرة ـ التى تشبه فى حجمها حجم القزم الصغير مقارنة بجيرانها العماليق أنجبت نخبة من المستشرقين . نعم : تعرف هولندا الاستشراق منذ قرون طويلة وله فيها تقاليد عريقة .

إن البلاد الواطئة كما تعرف رسميا ، لا شعبيا تتكون من أقليات دينية . ففيها الكاثوليك الذين يمثلون أكثر من ثلث السكان ، وبها البروتستنت الذين يمثلون ثلثاً آخر من أهل البلاد ، وعندها من لايؤمن بالأديان والعقائد السماوية ويسمونهم (الإنسانيين) وهم الثلث الأخير من الشعب .

أثّر الاختلاط الدينى والثقافى المتعايش فى هولندا على نفسية شعبها المشهور بتسامحه وميله للحرية الفكرية والعقلية ، وأثّر موقع البلاد وحجمها على تكوينها العقلى . فيوجد فى



هولندا أثر فرنسى تلمسه فى فنونها ، ويوجد أثر انجلو ـ سكسونى تراه فى ثقافة الشعب بمختلف طبقاته . وتراه فى معاهد العلم جنبا إلى جنب مع أثر الجار الألمانى . غير أن هذه المؤثرات الخارجية لا تعنى عدم وجود خصوصية هولندية .

إن غرضى فى هذه المقالة ليس تتبع الاستشراق الهولندى منذ نشأته حتى شكله الحاضر ، فهذا عمل متروك للمؤرخين ، وقد عرض الأستاذ بروخمان لنشأة الاستشراق فى هولندا فى مقالة مكتوبة باللغة العربية وأحاول أن أعرض هنا لبعض أعلام الاستشراق المعاصر فى هولندا عن طريق القراءة فى كتاباتهم التى تمثل خلاصة نتاجهم الفكرى .

أسس الاستشراق الهولندى الحديث رجل زار بلادنا الإسلامية وحكم فى جزء من امبراطورية هولندا الإسلامية بأندونيسيا : إنه : سنوك هورخورنيه (توفى سنة ١٩٣٦) الذى زار مكة المكرمة فى نهاية القرن التاسع عشر تحت اسم عبد الغفار ، وادعى اعتناقه للدين الإسلامى وتسامح معه أهل مكة فأسكنوه وآووه حتى إنهم زوجوه من سيدة مكية انجب منها ولدا . وتمخضت رحلته عن كتاب وضعه عن مكة المكرمة وصف فيه حياة المكيين فى فترة إقامته . عاش سنوك بجوار الكعبة .. وقرأ على يد شيوخها المخلصين الذين لم تنتابهم ريبة فى سلوكه .. لم يفضح أمره مسلم ، وإنما كشف أمره قنصل فرنسا بجدة . وكان دافع قنصل فرنسا ليس تنبيه العرب كما يُتصور ! إنه الخوف من توغل قوة أوروبية غير قوة بلاده فى الأراضى المقدسة . ولكن كان هناك من لا يزال يعتقد فى حسن إسلام سنوك هورخورنيه . فقد ذكر سفير هولندا السابق للسعودية السيد : فان درمولن فى مذكراته أن السعوديين قد أخبروه عن هولندى زار مكة تحت اسم عبد الغفار وحاولوا إقناعه بأنه كان مسلما حقا وفعلا .

وَفَنَّدَ فان در مولن هذا الادعاء الذى يُعْتَقَدُ فيه حتى من بعض الهولنديين ، ومنهم كاتبو سيرته ومترجمو أعماله للغة الانجليزية . فقد عاش سنوك منطويا على نفسه وتمسك طوال حياته بالتقاليد المحافظة فى بلاد متحررة اخلاقيا ، ولم يسمح لأحد بمعرفة شيء عن عقيدته وديانته . لكن ماذا قال سنوك عن الإسلام ورسول الإسلام ؟

كتب سنوك سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام مستخدما المنهج النفسانى الفرويدى ، بل يمكن مقارنة دراسته لرسول الإسلام صلواتِ الله وسلامه عليه بدراسة فرويد لرسول اليهود سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ، وكما حاول فرويد إثبات أن موسى كان مصريا وليس يهوديا حقيقيا،حاول

سنوك أن يشكك فى حقيقة رسول الإسلام عن طريق إثبات أن رسالة الإسلام مأخوذة من اليهود والنصارى ، اقرأ هذه الفقرة وتذكر أن ناقل الكفر ليس بكافر « كان الرسول شخصية قلقة ذا طبيعة لا تعرف البشاشة ، وقد وعى صغيرا بتفوقه الروحى ودفعه تفكيره فى مآسيه الشخصية وتجاربه (الحياتية) المريرة إلى التأمل فى معنى الحياة والغرض منها . وأقام رسول الله علاقات مع النصارى واليهود منذ مراهقته وقد أخبروه عن يوم القيامة والجنة الموعودة للمؤمنين وجهنم التى يُقذف اليها الملحدون . وعلم محمد عن الرسل والأنبياء ، وتساءل : لماذا لم يظهر رسول من العرب .. وأخيرا قرر أن يكون هو رسول العرب » ويضيف سنوك فى فقرة أخرى « كان محمد مصابا بالوهم ولتأثره باليهود والنصارى بدأ يرتل « اقرأ » .. إن مفهوم محمد للوحى « ميكانيكى » والرب والملائكة يتحدثون للإنسان بطريق مباشر .. لم يدع محمد لدين عالمى , وإنما لدين للعرب واليهود » .

أما فى كتابه عن مكة المكرمة فنقرأ أن « الوهابية ليست إلا هرطقة دينية لا تمت للإسلام بصلة » .

سنوك سياسيا :

عمل سنوك هورخورنيه كمستشار لحكومته للشئون الإسلامية وعمل بأندونيسيا أكثر من عشرين عاما . وألف كتابا عن هذه الفترة . وقد كافأته حكومته بتعيينه أستاذا للغة العربية بجامعة ليدن ويشبهه الأستاذ بروخمان بـ « لورنس العرب » فقد تعاون كلاهما مع حكومته ثم سرعان ما انقلب عليها ، وأخذ فى مهاجمتها ، غير أننى بعد اطلاعى على كتاباته وجدت أنه شديد التأثر بالفكر السياسى الألمانى وبخاصة بفكر النمساوى ميترنخ . فإذا كان ميترنخ قد عمل على تحييد الثورة الفرنسية وأفكارها باعتبار أن هذه هى الوسيلة الأنجع لمحاربة الفكر الليبرالى[1] فإن سنوك قد دعا إلى التفريق بين الإسلام كـ « دين » بمعنى عبادات ، والإسلام كـ « مبدأ » سياسى بمعنى « الجهاد » . وقد دعا إلى الحياد تجاه العبادات والعداء نحو الجهاد ، كما طالب بتشكيل جيش من المتعصبين الدينيين ليقوم

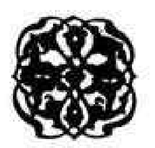
(١) ضد مجدد .

بمهاجمة ومحاربة عادات وتقاليد الشعب ذات الجذور الهندوكية والبوذية لأن هذا العمل سيؤدى إلى إبعاد العامة عن الدين الذى سيظهر حينئذ وكأنه دعوة بربرية كما سيؤدى ذلك إلى توسيع الهوة بين الدين كعبادات وكمبدأ . وفى ذلك إضعاف للإسلام كدين وعقيدة معا .

بعد ما ذكرناه لا أعتقد أن القارىء سيتشكك فى عدم إسلام هذا المستشرق الهولندى الذى يعتبره الغرب أحد أعظم المستشرقين فى التاريخ .

ومن أنجب تلاميذه اثنان خدما الإسلام خدمة جليلة ـ بقصد أو بدون قصد ـ أولهما البروفسير فنسنك الذى بدا عمله الضخم فى « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » وقد عاونه فى ذلك بعض المستشرقين والعلامة المصرى ـ الذى لم نكرمه ، الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى[٢] ، ويشبه هذا المعجم كتاب « الكاشف » الذى كتبه الخراسانى . إلا أن فنسنك وكان متخصصا فى الفلسفة الإسلامية ارتكب ما اعتبره المسلمون إلحادا فقد عين عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وفى إحدى الجلسات وأثناء مناقشة دارت بين الأعضاء عن الإسلام جاهر فنسنك برأى أستاذه سنوك عن الوحى وقال : إن رسول الإسلام لم يتلق وحيا سماويا وإنه كتب القرآن بنفسه فعاقبه المجمع بالطرد وعلقت إحدى الصحف على ذلك بقولها : إذا كان المثل يقول « إن اللورد عالم بالقراءة والكتابة بقوة القانون فإن هذا متعالم عالم بقوة القانون » .

عاصر فنسنك أستاذا آخر هو كريمر وكان أستاذا للغة التركية والفارسية ، وكان شديد التأثر بالحركة الأحمدية القديانية التى كفرها عامة المسلمين ، وقد ترجم القرآن الكريم إلى اللغة الهولندية واتبع فى ترجمته ألفاظ الإنجيل ، وكان يعتقد أنه يمكن الفصل فى الإسلام بين الدين كـ « دعوة » والدين كـ « معتقد » .



---

(٢) قامت مجلة الأزهر بواجبها نحو هذا العالم الجليل واستكتبت كريمته السيدة : الأستاذ عفاف محمد فؤاد مقالاً عنه نشر بمجلة الأزهر السنة (٥٧) العدد الخامس جمادى الأولى ١٤٠٥ ص ٧١٩ .

حفظ الله السودان

أجل .. قبل أن يضيع السودان ..

فالمؤامرة على هذا الشعب الشقيق ليست وليدة اليوم .. بل بدات احداثها منذ حوالى قرن .. ونصف قرن .

وقد كانت الثورة المهدية ابعد نظراً تجاه هذه المؤامرة ، كما فاضت منشورات هذه الثورة بالتحذير منها منذ الايام الاولى لهذه الثورة .

تقول مجلة العروة الوثقى :[1]

إن السودانيين لم تلتئم جراحهم من ظلم « جوردون »[2] أيام كان حاكماً عليهم وقد رسخ في قلوبهم انه أعدى أعداء الديانة الإسلامية . فقد طلب وهو فيهم قسسا من السويس لتنصيرهم والقضاء على عقيدتهم ..

فالجنرال « جوردون » كان مبشراً قبل أن يكون حاكماً ، وكان في أعماق أعماقه « كاهناً » قبل أن يكون والياً ..

وعندما لقى مصرعه على أيدى « الأنصار »[3] فقدت الملكة فكتوريا صوابها وكما يقول « الن مورهيد »[4] : لقد هرعت إلى بيت سكرتيرها وهى ترتجف وتنتحب بعد أن علمت بمصرع « شهيد المسيحية البطل » والقائد الفذ الذي لم يقهر ... !!!

وقد حذر « الإمام المهدى » الخديوي توفيق من الركون إلى أعداء الله ، والاستعانة بهم في سفك دماء أمة محمد لأنه من كان يؤمن بالله .. فلا ينبغى أن يأمن لكافر .. ومن رسخ في قلبه أنه « مؤمن » اطمأن إلى نصر الله وتأييده ضد كل عدو فاجر[5] ..

* * *

إن بلاد السودان .. أو سودان وادى النيل يحتل في حدوده الإدارية ما يقرب من مليون ميل مربع ، وهو فوق ذلك يعادل في مساحته ثمانى دول أوروبية هى السويد والنرويج والدنمارك والجزر البريطانية وإيطاليا وأسبانيا وفرنسا والبرتغال .

كما تقع على حدوده الجنوبية أوغندا ، وزائير ، وكينيا ، وشرقا أثيوبيا ، واريتريا ،

---

(١) مجلة العروة الوثقى كان يصدرها السيدان جمال الدين ومحمد عبده في باريس .

(٢) الجنرال الإنجليزى « جوردون » كان حاكماً على السودان باسم مصر في عهد الخديوى إسماعيل .

(٣) الأنصار اتباع المهدى .

(٤) في كتاب « النيل الابيض » ص ٢٧٥ الطبعة العربية .

(٥) انظر الجزء الثانى من منشورات الإمام المهدي .

لفضيلة الأستاذ الدكتور

عبد الودود شلبي

الأمين العام للدعوة بالأزهر

وغربا تشاد وأفريقيا الوسطى ، وشمالاً جمهورية مصر كما يشترك في الشمال الغربي مع ليبيا[٦] .

والميزة الرئيسية لموقع السودان انه يمثل أكبر عمق إسلامي في أفريقيا كذلك يمثل اكبر وحدة عربية إسلامية حافظت على لغتها العربية وعقيدتها الإسلامية[٧] ...

هذا الموقع المتميز للسودان يجعله واقعاً تحت تأثير مختلف الثقافات والتيارات التى تهب على القارة الأفريقية من شتى المنافذ والاتجاهات كما تجعل منه في الوقت نفسه مصدر اشعاع وحضارة إذا توافرت له الأسباب والإمكانات .

ومنذ تفجرت الثورة المهدية ادركت بريطانيا أن استقرارها وتحكمها فى منطقة الشرق الأوسط ووسط أفريقيا يتوقف على القضاء على الكيان السودانى واستقلاله .[٨] فبدأت تفرض سيطرتها على السودان وبخاصة المناطق الجنوبية لتكون عازلاً بين مستعمراتها في وسط وشرق افريقيا من ناحية ، والعالم الإسلامى والعربي من ناحية أخرى ... !!!

وتنفيذاً لوصية الجنرال المبشر « جوردون » فتحت بريطانيا الطريق أمام التبشير النصرانى ليبدأ عمله في الجنوب ـ ولأول مرة ـ بين القبائل الوثنية الزنجية واستمراراً في هذه السياسة التخريبية انشأت « الفرقة الاستوائية » لتحل محل الجنود المسلمين الذين كانوا في نظرها بعثة تبشيرية إسلامية .... !!!

ومحاولة فصل الجنوب عن الشمال لم تكن إلا حلقة او خطوة في سبيل تنفيذ هذه المؤامرة[٩] ..

* * *

لقد اعتمدت عصابات « التبشير » في دعوتها إلى كراهية المسلمين والعرب على اكذوبتين :

اما الأولى فالربط بين الإسلام والرق .

واما الثانية فالربط بين الإسلام والتفرقة بسبب اللون والعرق .

وكما يقول « جاك مندلسون » إن هذه أوقح أكذوبة يروج لها المُنَصِّر او المبشر ، لأن هذه التفرقة « بدعة » سيئة لم تعرف إلا بين

(٦) معالم تاريخ السودان . الشاطر عبد الجليل البوصيلي ـ القاهرة ـ ١٩٥٥ م .

(٧) دراسات في الجغرافيا البشرية للسودان . د . عبد العزيز كامل ـ القاهرة ١٩٧٢ م .

(٨) النيل الابيض ـ الن مورهيد ـ ص ٢٢٤ .

(٩) دراسات في الجغرافيا البشرية للسودان . دكتور عبد العزيز كامل .

المبشرين أو المُتَنصِّرين وأسيادهم في بلاد الغرب ، كما أن هذه التفرقة لا تزال تمارس حتى يومنا هذا في الكنائس وفي دور العبادة ، وفي اختيار القساوسة والكهنة ، وهذه التفرقة هي إلى يومنا هذا « الإنجيل المقدس » الذي يبشر به هؤلاء الذين يقولون دائماً .. غير الحقيقة ..

وما يقوم به البابا « جون بول » هذه الأيام من إدانة التفرقة والوقوف إلى جانب قضايا الشعوب المظلومة .. إنما هي محاولة ساذجة لنقل « الجبل » الذي تحطمت فوق صخوره الكنيسة ! ومحاولة لإحياء موعظة « الجبل »[10] التي دفنها المبشرون في أغوار سحيقة .. !!!

* * *

وتعتبر مأساة الكاهن الهندي[11] « متى دي كاسترو » نموذجاً صارخاً لهذه التفرقة .

وتتلخص هذه القصة ـ كما ترويها وثائق التنصير ـ في أن « متى دي كاسترو » كان شاباً هندوكيا من ولاية جوا (التي كانت آنذاك مستعمرة برتغالية) وقد تحول إلى النصرانية .

لكن أسقف جوا (البرتغالي الكاثوليكي) رفض رسامته كاهناً ... فما لبث أن نجح في شق طريقه إلى روما ، وبعد سنوات من الدراسة تمت رسامته كاهناً في عام ١٦٣٠ ، وأعيد إلى الهند ليعمل في التنصير بين شعبه . بيد أن أعداءه أقاموا الكثير من العقبات في وجهه ، مما اضطره في عام ١٦٣٦ أن يعود ثانية إلى روما بطريق البر .

وهناك تمت رسامته مطرانا وأعيد ثانية إلى الهند ، إلا أن مصاعبه تضاعفت منذ لحظة وصوله ، فقد رفض أسقف جوا الاعتراف به مطرانا .

وأخيراً لم يجد « متى » أمامه مفراً من العودة إلى روما مرة ثالثة ليعرض قضيته بنفسه ، وبعد مجهود عقيم بذل في إقناعه بالذهاب إلى الحبشة ، فإنه عاد إلى الهند مرة ثالثة في عام ١٦٥١ ، وهو ينفث تهديداً ووعيداً ضد البرتغاليين وجميع اليسوعيين ... ولما بدأ « متى » في إرسال الشكاوى المتلاحقة إلى روما ضد البرتغاليين وما كان عليه أمر الكنيسة في جوا ، تبين من بحثها أن جزءاً من اتهاماته كان صحيحاً .

إلا أنه رؤى من الحكمة التخلص من المصدر الأساسي للقلاقل (وهو متى) ولذلك جرد من لقبه في عام ١٦٥٨ ، وأعفى من وظيفته ، إلى أن توفي عام ١٦٧٧ ..

ولم يتم رسم المطران الهندى الكاثوليكي التالي إلا عام ١٩٢٣ .. أي بعد حوالى ٣٠٠ عام من بدء تلك المأساة الدينية الساخرة .

* * *

ولقد فطن القادة والمثقفون في أفريقيا إلى خداع حركة التبشير ، ولذلك انتهزوا كل فرصة للتعبير عن سخطهم وكراهيتهم ، فنراهم يقولون : « حينما يكون للرجل الأبيض

(١٠) موعظة الجبل إحدى المواعظ الشهيرة في التراث النصراني .. انظر انجيل متى .. الاصحاح الخامس .

(١١) نقلاً عن كتاب « حقيقة التبشير » للسيد اللواء أحمد عبد الوهاب مكتبة وهبة .

اليد العليا ، فإن المبشرين يتقبلون برضاء غريب هذه التفرقة العنصرية .

(وفى حديث مع أحد المبشرين) أشار فلاح ثرى من « كيكويو »[١٢] إلى قمة تل من التلال السوداء بكينيا قائلاً : هل ترى الإرسالية التى هناك ؟ انهم يديرون ملجأ للأيتام ومدرسة للتجارة ومستشفى ، وكان هذا لصالحنا نحن الكيكويين .

ولكن هل تعلم أننى لم أر قط أى قسيس أبيض منهم في اجتماع أو قداس بقريتنا ؟ إذا كانت هذه هى المسيحية فإننا نستطيع الاستغناء عنها ...

ولقد دار حوار بين أحد المبشرين وشاب نيجيري نصراني مثقف ، اشتغل بالتدريس لبضع سنين في مدارس الإرساليات ، وكان في بلده واعظاً مرخصاً له وشغل عدة منابر للوعظ ، وسافر إلى الولايات المتحدة للدراسة الجامعية ، ثم عاد إلى نيجيريا ، وكان السؤال الذى طرحه المبشر هو :

ماذا ترى مستقبل المسيحية كالتزام ديني لنخبة أفريقيا الناهضة ؟

فكان جواب الشاب النيجيري :

« فى المستقبل القريب جداً سوف تخسر المسيحية نهائياً في افريقيا انها تخسر فعلاً . هل تظن أننى عائد إلى أفريقيا لأظل مسيحياً ؟ كلا .. » ..

وحينما ضغط عليه المبشر « ليشرح لماذا يظن أن للمسيحية مثل هذا المستقبل الضئيل في أفريقيا ، فإنه انتقد المبشرين وقادة الكنيسة الأفريقية قائلاً :

« إن المبشرين البيض الذين جاءوا إلى أفريقيا للتبشير بالإنجيل ، لم ينصروا شعبهم بعد . يجب عليهم أن يروا الرمد الذي في عيونهم قبل عيون جيرانهم .

أنا لا أستطيع أن أفهم لماذا يجب أن تكون هناك تفرقة عنصرية في الكنيسة .

إن الكنيسة مشروع تجارى ، ففى الوقت الذى نرى فيه المبشرين البيض من المتخمين من الفقراء .. نرى عكس ذلك فى القساوسة السود الذين يعيشون عالة تحت أقدام هؤلاء المبشرين البيض .. !

لقد كانت الملكة « اليزابيث » الأولى تاجرة رق ، وكانت شريكة لأكبر تاجر رقيق في عصرها واسمه « جون هوبكنز » ، وكانت السفينة التى تحمل المخطوفين من أفريقيا اسمها « يسوع » له المجد !!! وكان القسس ورجال الكنيسة يتقاضون ضريبة عن كل « راس » ولم يكونوا يسمحون بإبحار السفن المحملة بالرقيق قبل التسليم والتسلم من يد النخاس الأبيض الذي يدفع هذه الضريبة قبل الإبحار من الشط ..[١٣] .

والشيء المخزى .. ان منظمة الوحدة الأفريقية التى تجعل من « اديس ابابا » مقراً لها رسمت في مقر هذه المنظمة او في مدخله صورة رجل افريقي يجره رجل عربي إلى حظائر الرق .. !! يحدث هذا في الوقت الذي تشترك فيه دول عربية كثيرة في هذه المنظمة ، ويشاهد وزراؤها ورؤساؤها هذه الصورة البغيضة دون تدخل من اى احد .. ودون كشف هذا الزور

حتى لا يبقى لاصقاً بالعرب والمسلمين إلى الأبد

يتبع

---

(١٢) قبيلة في كينيا . (١٣) انظر كتابنا حتى لا نخدع . فصل « الجذور » او قصة الرق على مدى العصور .

بيع المرابحة
في ضوء التطبيق المصرفي الحديث

ظهر(*) في الآونة الأخيرة، جدل فكري واسع حول الصيغة الحديثة لبيع المرابحة الذي تجريه المصارف الإسلامية، وهذا الجدل جعل بعض المترددين على هذه المصارف يتشكك في مشروعية هذا البيع، بل ويرتاب في مسيرة المصارف الإسلامية كلها، خصوصاً بعد أن ظهرت بعض الدراسات التي تنص صراحة على أن البيع بهذه الصيغة أمر في غاية التلفيق وهو عمل غير جائز شرعاً[1] وقد تفضل أحد الفقهاء المعاصرين بتقديم دراسة تفصيلية وفقهية حول هذا البيع، رد فيها على الشبهات والاعتراضات التي أثارها المعترضون[2]. وفي هذه الدراسة الموجزة نتناول بيع المرابحة في الفقه الإسلامي والتطبيق المصرفي الحديث لهذا البيع.

وبادىء ذي بدء نود أن نشير بصورة مختصرة إلى تاريخ إنشاء صيغة بيع المرابحة كما تجريه المصارف الإسلامية ـ بيع المرابحة للآمر بالشراء ـ فقد ظهر هذا المصطلح للمرة الأولى في دراسة علمية تقدم بها الدكتور سامي حسن حمود إلى كلية الحقوق جامعة القاهرة عام ١٩٧٦، للحصول على درجة الدكتوراه، وكانت بعنوان الأعمال المصرفية بما يتفق والشريعة الإسلامية وبمجرد طبع هذه الرسالة، نقلها البعض بعد إضافة بعض التعديلات ثم اعتمدت عليها الموسوعة العلمية والعملية للبنوك الإسلامية، وتناقلتها

★ ورد هذا الموضوع لمجلة الأزهر، ويسر المجلة أن يكون عُرْضَةً للبحث من مختص.. مجلة الأزهر.

(١) انظر د. رفيق المصري تعليق وتحليل كتاب بيع المرابحة للآمر بالشراء كما تجريه البنوك الإسلامية، مجلة الأمة القطرية العدد ٦١ لسنة ١٩٨٥.

(٢) د. يوسف القرضاوي، بيع المرابحة للآمر بالشراء كما تجريه المصارف الإسلامية ـ دار القلم بالكويت.



بقلم : مجدى عبد الفتاح سليمان

المصارف الإسلامية وأصبحت دستوراً يرجع إليه عند تنفيذ هذا البيع .

بيع المرابحة فى الفقه الاسلامى

المتأمل فى كتب الفقه يجد أن جمهور الفقهاء أجمع على إجازة بيع المرابحة من غير خلاف :

فالإمام ابن قدامة صاحب كتاب المغنى قال :[3] : « بيع المرابحة جائز لا خلاف فى صحته ولا نعلم فيه عند أحد كراهة » .

وقال الإمام ابن رشد[4] : « أجمع جمهور الفقهاء على أن البيع صنفان مساومة ومرابحة » .

وقال الإمام الطبرى فى كتابه اختلاف الفقهاء[5] : « وأجمعوا أن بيع المرابحة جائز وذهب الإمام الزيلعى فى (تبين الحقائق شرح كنز الدقائق) ، إلى أن بيع المرابحة جائز شرعاً لاجتماع شرائط البيع »[6] .

والإمام الرملى صاحب نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج قال[7] : « ويصح بيع المرابحة من غير كراهة » .

ويؤكد الإمام ابن تيمية فى مجموع فتاويه على أن البيع بتخيير الثمن جائز سواء كان مرابحة أو مواضعة أو تولية أو شركة[8] وقد ورد فى كتاب (الإفصاح عن معانى الصحاح) لابن هبيرة : « أن بيع المرابحة صحيح وقد أجمع الفقهاء على هذا »[9] .

وجاء فى كتاب الميزان للإمام الشعرانى : « اتفقوا على جواز بيع المرابحة بصورتها المشهورة »[10] .

ما بيع المرابحة؟

عرفه الإمام السمرقندى صاحب تحفة الفقهاء[11] : « بأنه تمليك المبيع بمثل الثمن الأول وزيادة ربح » .

وعرفه الإمام ابن قدامة[12] : « بأنه البيع برأس المال وربح معلوم ويشترط علمهما برأس المال » .

وقال صاحب الهداية : « المرابحة نقل ما ملكه بالعقد الأول بالثمن الأول مع زيادة

←

(٣) الإمام ابن قدامة : المغنى ، حـ ٤ ص ١٩٩ مكتبة ابن تيمية .

(٤) انظر الإمام ابن رشد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، جـ ٢ ص ١٨٧ المكتبة التجارية الكبرى .

(٥) الإمام الطبرى ، اختلاف الفقهاء ، ص ٥١ طبعة دار الكتب العلمية بيروت .

(٦) الإمام الزيلعى ، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق ، جـ ٤ ص ٧٣ طبعة دار المعرفة .

(٧) انظر الإمام الرملى « نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج » ، جـ ٤ ص ١١١ طبعة الحلبى .

(٨) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جـ ٣٠ ص ١٠٠ ، مكتبة ابن تيمية .

(٩) انظر الوزير ابن هبيرة ، الإفصاح عن معانى الصحاح ، جـ ١ ص ٣٥٩ المؤسسة السعيدية .

(١٠) الإمام الشعرانى ، الميزان ، جـ ٢ ص ٧٠ ، المطبعة الشرفية بمصر ١٣٠٦ هـ .

(١١) انظر الإمام السمرقندى ، تحفة الفقهاء ، جـ ٢ ص ١٠٦ دار الكتب العلمية .

(١٢) الإمام ابن قدامة ، مرجع سابق جـ ٤ ص ١٩٩ .

ربح وعرفه الإمام الشيرازى فقال[١٣] : « وهو أن يبين رأس المال وقدر الربح بأن يقول ثمنها مائة وقد بعتكها براس مالها وربح درهم فى كل عشرة » .

والإمام ابن جُزَىّ يعرفها بقوله[١٤] : « فأما المرابحة فهو أن يُعَرِّف صاحب السلعة المشترى بكم اشتراها ويأخذ منه ربحاً إما على الجملة مثل أن يقول اشتريتها بعشرة وتربحنى ديناراً أو دينارين ، وإما على التفصيل وهو أن يقول تربحنى درهماً لكل دينار أو غير ذلك .

والمتأمل لتعريفات الفقهاء لبيع المرابحة يجد أنهم متفقون على شرطين أساسيين :

الأول : بيان الثمن وما يدخل فيه ويلحق به .

والثانى : زيادة أو إضافة ربح معلوم على هذا الثمن .

الاستدلال على مشروعية بيع المرابحة

استدل جمهور الفقهاء على جواز بيع المرابحة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والإجماع .

من القرآن الكريم :

قوله تعالى فى سورة الجمعة الآية ١٠ : ﴿ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ ﴾ .

وقوله تعالى فى سورة البقرة الآية ٢٧٥ : ﴿ وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ .

وفى قوله تعالى فى سورة البقرة الآية ١٩٨ : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ .

وقد علق الإمام الكاسانى ـ الملقب بملك العلماء ـ على هذه الآية فقال : « والمرابحة ابتغاء للفضل من البيع نصاً[١٥] .

وقال الإمام الرملى[١٦] ويصح بيع المرابحة من غير كراهة لعموم قوله تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ ﴾ .

من السنة الشريفة :

استدل صاحب الهداية على جواز بيع المرابحة فقال[١٧] : « وقد صح أن النبى ﷺ لما أراد الهجرة ابتاع أبو بكر رضى الله عنه بعيرين فقال له النبى ﷺ ولى أحدهما ، فقال هو لك بغير شىء . فقال عليه الصلاة والسلام « أما بغير ثمن فلا » .

واستدل صاحب المهذب بما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه إنه كان لا يرى بأساً « بده يازده وده داوزده » .. قال صاحب

---

(١٣) الإمام الشيرازى ، المهذب ، جـ ١ ص ٢٨٢ طبعة الحلبى .
(١٤) انظر الإمام ابن جزى ، قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية ـ عالم الفكر ، ص ٢٧٥ .
(١٥) الإمام الكاسانى ، بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ، جـ ٧ ص ٣١٩٣ طبعة زكريا على يوسف .
(١٦) الإمام الرملى ، مرجع سابق ، ص ١١١ جـ ٤ .
(١٧) انظر الهداية جـ ٥ مطبوع مع فتح القدير ـ طبعة دار صادر بيروت .

النظم المستعذب[١٨] « ده » عشرة بالفارسية و« يازده » أحد عشر ، « وده دوا زده » اثنا عشر « اى لا يرى بأساً ان يبيع ما اشتراه بعشرة بأحد عشر وباثنى عشر .

الحكمة من بيع المرابحة

الحكمة هى الحاجة الماسة ، وقد قال الفقهاء : لأن من لا يهتدى إلى التجارة يحتاج أن يعتمد على فعل الذكى المهتدى فيها ، ويطيب نفسه بالزيادة على ما اشتراه ولهذا كان مبناها على الأمانة والاحتراز عن الخيانة وشبهتها .

شروط بيع المرابحة

— أن يكون الثمن الأول معلوماً للمشترى الثانى ، فإن لم يكن معلوماً فالبيع فاسد
— أن يكون الربح معلوماً ، لأنه بعض الثمن والعلم بالثمن شرط صحة البياعات
— أن يكون رأس المال من ذوات الأمثال كالمكيلات والموزونات والعدديات .
— الا يكون الثمن فى العقد الأول مقابلاً بجنسه من أموال الربا .
— أن يكون العقد الأول صحيحاً

وقد فصل الفقهاء أحكام بيع المرابحة فبينوا رأس المال وما يلحق به وما يجب بيانه من المرابحة وما لايجب .

بيع المرابحة والتطبيق المصرفى الحديث

الصيغة الحديثة لبيع المرابحة هى بعنوان « بيع المرابحة للآمر بالشراء » وهى الصيغة التى اشرنا إليها فى صدر هذه الدراسة والتى طرحها الدكتور سامى حمود فى رسالته العلمية كإطار إسلامى لتوسيع نطاق مجال الاستثمار المصرفى الإسلامى ، وقد أوضح هذه الصيغة فقال : « الطبيب الذى يريد شراء أجهزة طبية لعيادته الجديدة يتقدم إلى المصرف طالباً منه شراء الأجهزة المطلوبة بالوصف الذى يحدده الطبيب ، وعلى اساس الوعد منه بشراء تلك الأجهزة اللازمة له مرابحة ، وهى ليست من قبيل بيع الإنسان ما ليس عنده لأن المصرف لا يعرض أن يبيع شيئاً ولكنه يتلقى أمراً بالشراء وهو لا يبيع حتى يملك ما هو مطلوب ويعرضه على المشترى الآمر ليرى ما إذا كان مطابقاً لما وصف[١٩] .

وقد وجه إلى هذه الصيغة العديد من الاعتراضات لدرجة أن قال احد الباحثين : إن هذه الصيغة بعيدة عن بيع المرابحة المعروف فى الفقه الإسلامى وهذه الصيغة تقوم أساساً على التزام المشترى بالوفاء بوعده وشراء ما أمر به وحسب الربح المتفق عليه .

بينما توجد صيغة أخرى تطبقها بعض المصارف الإسلامية القائمة على أساس إعطاء الخيار للآمر بالشراء فى أن يشترى السلعة أم لا ويعطى الخيار أيضاً للمصرف فى البيع أو عدمه .

(١٨) انظر الشيخ محمد بن احمد الركبى ، النظم المستعذب فى شرح غريب المهذب مطبوع بذيل المهذب ، مرجع سابق ، جـ ١ ص ٣٨٢
(١٩) د . سامى حمود ، تطوير الأعمال المصرفية بما يتفق والشريعة الإسلامية .

والواقع أن بيع المرابحة بصورتيه المذكورتين لم يسلم من النقد إذ أن هذين النموذجين لا يتفقان مع بيع المرابحة ـ كما يقول د . حسن عبد الله الأمين ـ لا لغة ولا اصطلاحاً[٢٠] .

وقد صرح أحد الباحثين[٢١] بأن صيغة بيع المرابحة الحديثة غير جائزة إلا إذا كان المصرف مالكا للسلعة وعند ذلك يتم البيع ولا حاجة للوعد وقد قدم الأستاذ عبد الرحيم محمود حمدى دراسة بعنوان (أشكال وأساليب الاستثمار الإسلامية) من واقع تجربة بنك فيصل الإسلامى السودانى ، ركز فيها على بعض المشاكل منها :

ـ عدم التزام الآمر بالشراء بشراء البضاعة حتى بعد أن يقوم البنك باستيرادها وما قد يصحب ذلك من صعوبات وتعقيدات قانونية .

ـ عدم مواكبة الإجراءات والسياسات الممارسة حالياً فى مجال التجارة لمفهوم التعامل الإسلامى .

ـ معاملة هامش المرابحة الذى يأخذه البنك مقابل الاستيراد فى إطار هوامش الارباح القانونية التى تحددها الدولة للتجارة فى السلع المختلفة .

ومن وجهة نظرنا إن اعتماد المصارف الإسلامية على صيغة بيع المرابحة للآمر بالشراء قد جلب الكثير من الانتقادات والمتاعب لهذه البنوك ، بالإضافة إلى بعض المشاكل الفنية التى يتم اكتشافها اثناء التطبيق ، من هنا فقد طالبنا فى دراسة لنا بتصحيح المسار والتخلى عن بيع المرابحة بصيغته المستحدثة ، والعودة إلى تطبيق بيع المرابحة بصورته المشهورة فى كتب الفقه الإسلامى والتى أجازها جمهور الفقهاء بدون كراهة حتى إذا كانت هناك كراهة فهى كما يقول الفقهاء كراهة تنزيه لا كراهة تحريم .

والواقع أن تطبيق بيع المرابحة بصورته المشهورة فى كتب الفقه يحتاج إلى كثير من الإجراءات نذكر منها :

- **إن الأمر يحتاج إلى تعديل فى قانون البنوك رقم ١٦٣ لسنة ١٩٥٧ والذى تحظر بعض مواده على البنك التجارى القيام ببعض العمليات مثل التعامل فى المنقول أو العقار بالبيع أو الشراء ، ولما كان بيع المرابحة هو بيع يقتضى تملك البائع للسلع ، فإن هذا الحظر يقف مانعاً لتطبيق هذا البيع بصيغته الإسلامية الأصيلة .**
- **إن الأمر يحتاج إلى إنشاء إدارة فنية متخصصة لمتابعة أسواق السلع ومعرفة درجة الطلب عليها ومعرفة أسعارها حتى إذا حضر احد المتعاملين مع البنك ويرغب فى شراء سلعة فيكون التعاقد معه فوراً من خلال ما تضعه الإدارة الفنية من شروط لتنفيذ هذا البيع .**

---

(٢٠) انظر د . حسن عبد الله الأمين ، الاستثمار اللاربوى فى نطاق عقد المرابحة ـ مجلة المسلم المعاصر العدد ٣٥ لسنة ١٤٠٣ هـ .

(٢١) د . رفيق المصرى ، مرجع سابق ص ٢٥ .

التربية العسكرية في الإسلام

للواء/أ/ح
محمد جمال الدين محفوظ

بعد حياة عسكرية طويلة حافلة بالخبرة في القيادة والحرب قال القائد العسكرى المشهور المشير مارشال الامريكي في كتابه (الجنود في مواجهة النيران) :
« إذا رغبنا في الحصول على الجندى الصالح للقتال ، فيجب ان تتجه انظارنا إلى مهد الطفل عندما تنشئه امه ليكون رجلاً . ».

● ينفرد الإسلام بأن التربية العسكرية ـ على قيم الطاعة والنظام والانضباط والقيادة وتحمل المشاق ووعى الأمن وغيرها ـ تبدأ مبكراً جداً منذ مرحلة بناء الشخصية ، فالإسلام لا ينتظر حتى يشب الفتى ويدخل الجيش فيعلمه هذه القيم ويغرسها فيه . وقد تناولنا من منهج الإسلام في التربية العسكرية عناصر العلم ، والحرية والكرامة الإنسانية ، وتربية النفس ، والانضباط الذاتى ، والقيادة والطاعة .

٧ ـ التعاون ووحدة الصف والهدف :

● التعاون أساس العمل المتكامل ، وعلى قدر تعاون الأفراد يكون رقى الأمم ونهضتها وتكون ايضاً قوة جيشها ، ولقد حث القرآن الكريم على التعاون : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة ٢) .

● وحذر ايضاً من التنازع لانه يبعد ما بين النفوس ، ويذهب بروح التناصر فيكون أبعد اثراً وأشد تنكيلاً بالأمة وبالجيش مما يفعله العدو ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال ٤٦) .

● وحرص الإسلام الحرص كله على أن يحرر الأمة من أغلال العبودية والضعف ، ومن ضلال التمزق والتفرق ، فقال الرسول

ﷺ : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » (رواه ابن ماجة) .

وفى هذا النص النبوى الكريم تصوير للمساواة الفاضلة بين أبناء الأمة الواحدة ، وإشعار لهم بأنهم متكافلون متكاملون ، ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ويقول الرسول ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » (رواه البخارى) .. وفيه أيضاً تصوير لتضامن هذه الأمة ، فكل فرد فيها صالح بإيمانه وإخلاصه لأداء الواجب ، وحفظ الأمانة ، ومقياس التقديم والتفضيل هو التقوى والعمل الصالح لقول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات ١٣) .

● وفى الحديث أيضاً تصوير لتكتل الأمة المؤمنة ضد أعدائها ووجوب تجميعها لصيانة مقدساتها وحرماتها وحماية ديارها وذمارها ، فهى تأتلف بكل وحداتها وطاقاتها لدرء أى خطر يهددها أو يهدد جانباً منها ، لأنها فى وحدتها كالبناء الواحد ، إذا أصيب منه ركن اختلت بقية الأركان ، ومن هنا قال الرسول ﷺ ويصور الأمة فى تضامنها وتعاونها : « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » (رواه مسلم وأحمد) ..

ثم تتمثل الوحدة والتضامن والتعاون والتماسك فى أرفع صورها في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (الصف ٤) .

٨ ـ تقدير المسئولية والإخلاص فى العمل :

● وعنى الإسلام بتربية المسلم على تقدير المسئولية والإخلاص فى العمل ، وقد جاء العمل الصالح في القرآن الكريم مقروناً بالإيمان حتى تتكرر فيه عبارة ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ عشرات المرات ، مما يوحى فى قوة ووضوح بأن الإنسان لا يكفيه أن يعرف أمراً أو يضع فكرة فى رأسه ، بل يجب عليه أن يعمل بما تقتضيه هذه الفكرة فى جد وإقدام ، وقدرة الله وتوفيقه معه بقدر يقينه وإخلاصه .

● ويقول النبى ﷺ : « ليس الإيمان بالتحلى أو بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدَّقه العمل » (رواه أبو نُعَيم والديلمى) أى ليس الإيمان بالكلام الحلو الذى تظهره بلسانك فقط أو بتمنى حصول الأمر المرغوب فيه ، ولكن يجب أن تكون هناك معرفة القلب العميقة لهذا القول وتصديقه بالعمل الطيب الصالح ، وإلا اتسعت مسافة الخلف بين المعرفة والتصرف ، وبين القول والعمل فيحق وعيد الله : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف ٢ ـ ٣) .

● وفى الحديث الشريف : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (رواه الخمسة) تجسيد لمسئولية الإنسان عن عمله ورعاية من هم تحت رعايته ، ويدعو الرسول - ﷺ - إلى

الصدق والإخلاص فى العمل حين يقول : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » (رواه أبو يعلى) ، وامتدح الله الصادقين والأوفياء فى قوله : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ .. ﴾ (الأحزاب ٢٣) وقوله : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ (الإسراء ٣٤) وقوله : ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (الفتح ١٠) .

● ويدعو عليه الصلاة والسلام إلى أن يكون العمل خالصاً لوجه الله وابتغاء مرضاته ، وليس ابتغاء ثناء الناس فيقول : « إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه » (رواه النسائى والطبرانى) .

---

٩ - التربية البدنية والرياضية :

● وحث الإسلام على تعلم السباحة والرماية وركوب الخيل مُسْرَجَةً ومعراة ، والسباق فى الجرى ، والسباق بين الفرسان على الخيل أو الإبل ، والمصارعة ورفع الأثقال ، إلى غير ذلك من ألوان التربية البدنية والرياضية التى تبنى الجسم السليم .

● ويمدح الإسلام المؤمن القوى ويعتبره أفضل عند الله من المؤمن الضعيف فيقول الرسول ﷺ : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » (رواه مسلم) ويقول فى حديث آخر : « إن لبدنك عليك حقاً » (رواه البخارى) .

---

١٠ - التدريب على الرماية وأساليب القتال :

● وحث الإسلام على التدريب على استخدام أسلحة الرمى وأساليب القتال ، وإتقانه والمداومة عليه ، وهذا بعض ما يفهم من قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال ٦٠) .

● ومن ذلك قوله ﷺ : « ألا إن القوة الرمى » وكررها ثلاثا (رواه مسلم) .. « إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه المحتسب فى عمله الخير ، والرامى به . والممد به ، فارموا واركبوا وإن ترموا أحب إلىّ من أن تركبوا » (رواه الخمسة) .. « كل ما يلهو به المرء المسلم باطل إلا رميه بقوسه وتأديب فرسه ، وملاعبة أهله » .. (رواه الخمسة) .

● وكان عليه الصلاة والسلام يشارك أصحابه فى التدريب تشجيعاً لهم ؛ فقد خرج عليه الصلاة السلام مع نفر من « أَسْلَمَ » ينتضلون بالسوق (أى يتسابقون فى الرمى) فقال : « ارموا بنى إسماعيل ، فإن أباكم كان راميا ، ارموا وأنا مع بنى فلان » .. فأمسك أحد الفريقين فقال : مالكم لا ترمون ؟ فقالوا : كيف نرمى وأنت معهم ؟ فقال :

« ارموا وأنا معكم جميعاً » (رواه البخارى وغيره عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه) ، (والمراد بالمعية : معية القصد إلى الخير) .

يوجب روضة من رياض الجنة

● وحث عليه الصلاة والسلام على التدريب على ركوب الخيل وعلى فنون الحرب بها فقال : « الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، الأجر والغنيمة » (متفق عليه عن ابن عمر رضى الله عنهما) ، كما رغب فى اقتناء الخيل والعناية بها ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من احتبس فرسا فى سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده ، فإن شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة » (رواه البخارى) .

● وحذر الرسول ﷺ من الانقطاع عن التدريب وعدّه من المعاصى فقال : « من تعلم القرآن ونسيه فليس منا ، ومن تعلم الرمى ونسيه فليس منا » (رواه أحمد ومسلم) وقال أيضاً : « من ترك الرمى بعدما علمه فإنما هى نعمة جحدها » (رواه أبو داود) ، وقال : « من علم الرمى ثم تركه فليس منا أو فقد عصى » (رواه أحمد ومسلم) ، وقد كان من أثر ذلك أن بعض المسلمين كان يتدرب حتى فى يوم العيد ..

١١ - الحذر ودرجة الاستعداد العالية :

● وعنى الإسلام أشد العناية باتخاذ الحيطة والحذر والتأهب والاستعداد لحرمان العدو من المفاجأة ، فقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ (النساء ٧١) ..

ولعل أبلغ ما يؤكد ذلك ما ورد في القرآن الكريم بشأن الصلاة في الحرب ، فقد أمر الله تعالى بأدائها فى وقتها ، وأمر بأن تصلى طائفة مع الرسول ﷺ بينما تكون الطائفة الأخرى فى موقف الحراسة ، حتى إذا فرغت الطائفة الأولى اتخذ كل من الفريقين حالة الآخر ، قال تعالى :

﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ (النساء ١٠٢) ...

فهل هناك أدل على عناية الإسلام بالحذر والتأهب من أنه يأمر المسلمين به حتى فى الصلاة التى يؤدونها لله ، ويكونون فيها بين يديه ؟

● ثم تجسد الآية الكريمة عواقب الغفلة وترك الحذر والأضرار البالغة التى يتعرض لها المسلمون من جرائها : « .. فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً » .

ويبين الرسول ﷺ فضل القائم بالحراسة فيقول : « عينان لا تمسهما النار يوم القيامة » : [عين بكت من خشية الله ، وعين

باتت تحرس فى سبيل الله] (رواه الترمذى) .

● ويقرر الرسول ﷺ المعيار الصحيح لدرجة الاستعداد لدى المجاهدين فى أنها « القدرة على العمل الفورى فى مواجهة المواقف المفاجئة » فيقول عليه الصلاة والسلام : « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله كلما سمع هيعة (اى صيحة خطر) طار إليها » (رواه مسلم وغيره) .

● ونستطيع أن ندرك هذا المعيار ودرجة إحكامه حين نلاحظ ما يلى :

(١) كلمة « ممسك » فى عبارة (رجل ممسك بعنان فرسه) تعنى درجة أعلى فى الاستعداد من مجرد ركوب الفرس أو الوقوف بجانبه ، فهى تفيد « استمرار » حالة الإمساك بعنان الفرس ، وذلك دليل على الاستعداد الكامل والمستمر للانطلاق بمجرد الإنذار ، فالفارس والحالة هذه إذا جاءته الإشارة بالانطلاق أو إذا رأى خطراً ، لن يكون بحاجة إلى الإتيان بأى تصرف ولا حتى مد يديه إلى عنان فرسه ليمسك به لأنه ممسك به فعلاً ، اى ان كل ما سوف يفعله هو أن ينطلق على الفور .

(٢) كلمة « طار » فى عبارة (كلما سمع هيعة طار إليها) ذات مدلول يختلف كثيراً عن كلمة اندفع أو تقدم أو أسرع ، وتعبر عن أسرع شكل من أشكال الحركة على الإطلاق ، فأنت إذا طلبت من إنسان أن يتحرك بأقصى سرعة فإنك تقول له : طر .

(٣) كلمة « خير الناس » فى بداية الحديث تنطوى على تكريم للمجاهد الذي يقف في أعلى حالات اليقظة ، وهو تكريم يستحقه لقاء العناء والجهد البدنى والعصبى الذى يبذله لكى يكون على تلك الحال من التأهب والاستعداد ، هذا بالإضافة إلى الفضل الذي يرجع إليه فى إنذاره لأمته وتنبيهها إلى الخطر حتى لا تؤخذ على غرة .

وتنطوى تلك الكلمة أيضاً على معنى تربوى عظيم هو تحريض المجاهدين جميعاً على أن يكونوا فى أعلى درجات الاستعداد للعمل الفورى لدفع الخطر عن أمتهم حتى يَحْظَوْا بوصف « خير الناس » .

---

١٢ - وعى الأمن :

● من الضرورات الحيوية لأمن الأمة وسلامتها ، الحفاظ على الأسرار وكتمان ما يستفيد منه العدو ، من أجل ذلك فإن الإسلام يعد الأسرار أمانة من الأمانات التى على المسلمين أن يحافظوا عليها فقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾ (الأنفال ٢٧) .

وقال الرسول ﷺ : « إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهو أمانة » (رواه ابو داود والترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه) ..

وقال أيضاً : « إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة ، ولا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يكره » (رواه ابن المبارك والحاكم وصححه) ، وقال : « ألا لا إيمان لمن

لا أمانة له ، ولا دين لمن عهد له » (رواه احمد) .

● وحذر عليه الصلاة والسلام من المغامرة بالحديث أو التعجل بالقول وحث على ضرورة الحذر والتدبر قبل الكلام ، عن بلال بن الحارث المزنى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أحدكم ليتكلم الكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغته فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة ، وإن أحدكم ليتكلم الكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، فيكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه » (رواه الترمذى وقال : حسن صحيح) ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فيلقل خيراً أو ليصمت » (متفق عليه) وقال : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » (رواه الترمذى) .

● كما نهى عليه الصلاة والسلام عن إطلاق الكلام فى قوله : « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » (رواه مسلم) وحث ﷺ على سرية الأعمال والخطط فى قوله : « استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان » ، (اخرجه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى شعب الإيمان).

● وقد عنى المسلمون بغرس وعى الأمن وكتمان الأسرار فى ابنائهم منذ الصغر .

● قال انس بن مالك : « اتى علىّ رسولُ الله ﷺ وأنا العب مع الغلمان فسلم علينا ، فبعثنى في حاجة ، فأبطأت على أمى ، فلما جئت قالت : ما حبسك ؟ (اى اخرك) فقلت : بعثنى رسول الله ﷺ لحاجة ، قالت : ما حاجته ؟ قلت : إنها سر ، قالت : لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدا » (رواه مسلم) .

● وقال العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله : « إنى أرى هذا الرجل (يعنى عمر بن الخطاب) يقدمك على الأشياخ (يعنى كبار الصحابة) فاحفظ عنى خمساً : لا تفشين له سراً ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا يجربن عليك كذبا ، ولا تعصين له أمرا ، ولا يطلعن منك على خيانة » (الإحياء جـ ٢ص ١٥٨) .

١٣ ـ الثبات فى الميدان :

وحث الإسلام المسلمين على الثبات في الميدان والإخلاص في الحرب فقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الأنفال ٤٥) . ونهى الإسلام عن الفرار من الصفوف وعده من الكبائر قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ . وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (الأنفال ١٥) .

وحرص المسلمون على تربية أولادهم على الثبات والشجاعة ، ومن ذلك أن على بن أبى طالب رضى الله عنه أعطى الراية لابنه محمد وقال له :

« تزول الجبال ولا تزول ، واعلم أن النصر من عند الله سبحانه » ..

(للبحث صلة)

الإبراهيمية

فى دعوة جديدة

لفضيلة الشيخ
زكريا أحمد سنور
الواعظ بأسيوط

كانت الإبراهيمية بين العرب قبل ظهور الإسلام عقيدة تدعى « الحنيفية » فقد كان بين العرب اناس مستنيرون فطنوا إلى سوء حالتهم الدينية ، وحاولوا الارتقاء من الوثنية إلى اعتقادات أرقى منها ودعوا إلى دين التوحيد وإلى إحياء ملة إبراهيم ونبذ عبادة الأوثان والتخلص من عبادات الجاهلية ، وكانوا يعتقدون فى البعث وبوجود إله واحد يحاسب ويجازى الناس على أعمالهم من خير وشر ، ويطلق على هذه الحركة « التحنف » وعلى أصحابها « الحنفاء » .

مبادىء الإبراهيمية من القرآن

قد ورد لفظ الحنيف فى القرآن الكريم ففى سورة آل عمران الآية ٦٧ يقول الله تبارك وتعالى ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وقال تعالى فى نفس السورة الآية ٩٥ ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

أصحاب هذه الدعوة قديما

١ ـ كعب بن لؤى بن غالب : وهو أحد أجداد الرسول ﷺ ، وأحد الذين تزعموا الدعوة إلى الحنيفية فكان يجمع قريش ويطلب منهم

←

التفكير فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ويذكرهم بالموت وأهواله واليوم الموعود وأحواله ويبشرهم بظهور نبى ، ومنهم أيضاً :

٢ ـ قس بن ساعدة الإيادى : وكان من أشهر قضاة العرب وخطبائهم وقد سمعه الرسول ﷺ يخطب بسوق عكاظ على جمل له يحث العرب على نبذ رذائل الجاهلية ويبشرهم ببعث رسول « وقد قيل عنه أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : يرحم الله قساً إنى لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة واحدة » .

٣ ـ أبو قيس صرمة بن أبى أنس : وهو من بنى النجار ، دخل بيتاً له فاتخذه مسجدا وقال : أعبد رب إبراهيم فلما قدم الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة أسلم وحسن إسلامه .

٤ ـ خالد بن سنان بن غيث ـ وهو من بنى عبس بن بغيض وذكر المؤرخ ابن قتيبة أن الرسول ﷺ قال عنه : « ذلك نبى اضاعه قومه » كما ذكر أيضاً : أن ابنته قدمت على رسول الله ﷺ فسمعته يقرأ : « قل هو الله أحد » فقالت : كان أبى يقول : ذا ، أى يقول : إنه يؤمن بالله وحده ، لأنه يقول نص الآية .

٥ ـ زيد بن نفيل : الذى سب آلهة قريش وعاب الأصنام ودعا أهل مكة إلى التوحيد وعبادة الله وكان يقول لقومه « ما حجر نظيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ياقوم التمسوا لأنفسكم دينا فانكم والله ما أنتم على شئ » .

ميدان الإبراهيمية

فالحنفاء هم من احتفظوا بدين إبراهيم فى الجاهلية فلم يشركوا بربهم أحدا ولم يعتنقوا اليهودية ولا المسيحية كما نبذوا الوثنية ، وقد كان العرب جميعاً قبل عهود الوثنية فى عهد « عمرو بن لُحَىّ الخزاعى » يدينون بدين التوحيد الذى بشر به إبراهيم واستمر ذلك حتى منتصف القرن الثالث الميلادى تقريباً .

ولم ينتظم الحنفاء فى طائفة ولم يرتبطوا برباط واحد ولم يشتركوا فى عبادة واحدة معينة ، ونحن نرى أن هؤلاء الحنفاء أو المتعبدين على ملة إبراهيم لم يكونوا عدداً قليلاً بل كانوا كثرة محسوسة وإلا ما كانوا أحد معالم الجاهلية .

ولم يكن للحنفاء سلطة سياسية تمكنهم من أن يصارعوا التعاليم والعادات القديمة والطقوس الدينية والشعائر الوثنية التى كانت قد تشابكت مع حياة العرب ولا يمكن القضاء عليها إلا بهدم الوثنية من أساسها ، وهذا ما نجح الإسلام فيما بعد فى تحقيقه فأوجد مجتمعاً إسلامياً نقياً متماسكاً .

الحنفاء والمستشرقون

عد بعض المستشرقين الحنفاء شيعة من شيع النصارى واستدلوا على ذلك بما ورد فى المصادر القديمة من اعتناق بعض من نبذوا الوثنية الدين المسيحى مثل « ورقة بن نوفل »

غير أن القرآن الكريم قد نص نصاً صريحاً على أن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، وليس بين أيدينا موسوعات توضح أمر النصرانية فى ورقة بن نوفل ، كذلك ليس هناك دليل على اعتناق ورقة عقيدة التثليث ، فاعتبار بعض المستشرقين أن الحنفاء كانوا نصارى تَخَطٍّ لمنطق العلم وحكم بلا دليل .

عبادة الحنفاء

كانت عبادة الحنفاء ضرباً من التحنث لا نعلم له تفصيلاً ، ويبدو أن « الخلوة » و« الزهد » و« الانقطاع » عن المجتمع زمناً كان سلوك العبادة عندهم . ثم جاء الإسلام فبت هذه الشرائع جميعاً إلا ما أراد الله ـ سبحانه ـ أن يستبقيه فى الإسلام منها مُخَلَّصاً مما أحيط به من وثنية كالحج فى شريعة إبراهيم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

الابراهيمية الحديثة

دعوة غامضة يتزعمها للأسف « جارودى » الذى ظن به المسلمون خيراً ، ينادى بها ويقيم لها مراكز فى فرنسا ، وغموضها الذى لا يستطيع « جارودى » رده ظاهر فى أن الابراهيمية نفسها فى عصر الحنفاء الذى مضى عليه أكثر من الف وخمسمائة عام ـ كانت مجهولة التفصيل لا نعلم لها شريعة مفصلة ، ولا عبادة مقومة ، ولا كتاباً محفوظاً ، لذلك كان لقاؤها بنظرية المستشرقين الذين ادعوا أن الحنفاء كانوا على النصرانية . فما قامت هذه الإبراهيمية الحديثة إلا للنيل من الإسلام ورسول الإسلام رغبة فى « تذويب » هذا الدين الحنيف فى غيره من الديانتين اليهودية والنصرانية وبخاصة إذا اعتمدت على ما جاء فى العهدين عنها .

ولو أن « جارودى » أسلم عن يقين دارس للقرآن والسنة لكان مُقِرًّا بأن شريعة الإسلام قد نسخت ما قبلها من الشرائع، وبالتالى ما فكر أبداً فى أن ينزلق هذا المنزلق الخطير .

فأما الوفاق بين الأديان فإنه لن يتم حتى تكون العقيدة هى « الوحدانية » كما جاء بها القرآن فمن زاغ عنها فهو هالك .

وهى « وحدانية » ليس فيها غموض الفلسفة ولا تأويل الكهنوت ، ولو أن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ حَيا ما وسعه إلا اتباع محمد ﷺ وممارسة منهاجه .

وحدة الأديان كما يقرها القرآن الكريم

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ للهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ

فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ آل عمران (٢٠) .

وهذا هو تلخيص للمراحل الكثيرة المتعاقبة التى مر بها أرباب الأديان السابقة والتى تدخلت فيها الأهواء والخلافات الباغية حتى أنستهم الحقائق التى جاء بها رسلهم ونزلت بها كتبهم فاختلفوا اختلافاً عقائدياً أصلياً لا مجرد اختلاف فرعى فى حكم شرعى ، ولو انهم اتفقوا حول ما جاء به الرسل من حقائق الدين لما اختلفوا ولأجمعوا أمرهم على الإسلام لله فى كل أمر والانقياد لحكمه .

وفى نفس السورة يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ . قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ . كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ الآيات (٨٣ ـ ٨٦) . فهذه الآيات تقرر حقيقتين :

أولاهما : أن دين الله يتلخص فى إسلام النفس له والانقياد لحكمه .

والثانية : تنبنى عليها وهى انه لا يمكن التفريق ـ فى العقيدة ـ بين ما أمر الله به على لسان نبى وما أمر به على لسان نبى آخر فإن منطق الإسلام لله يعنى الاذعان له ويأبى هذا التفريق ولذلك جاءت الآية الأولى تقرر الحقيقة الأولى وهى وجوب الاذعان والإسلام لله وجاءت الآية الثانية تقرر وجوب أن يكون هذا الإذعان إيمانا بجميع الرسالات الإلهية التى جاء بها أنبياء الله إجمالاً ، ثم ختمت الآية الثالثة بتقرير الحقيقة الأولى بأسلوب نفى القبول عمن ابتغى غيرها تأكيدا لما استفيد من الآية الأولى . وبذلك تقرر أن الإسلام إنما هو إسلام الوجه لله والانقياد التام له . وهذه عقيدة النبوة جميعها منذ خلقها الله . ونص الكتاب العزيز ما جاء على لسان كل نبى من إقراره بالإسلام .

فأما الشريعة فهى منهج خاص ، لكل نبى شريعته قال تعالى ـ لرسول الكريم : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ المائدة (٤٨) .

وفى الآيتين التاليتين يقول الحق ـ عز وجل ـ لرسوله ﷺ :

﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ . أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ . أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة (٤٩ ـ ٥٠) .

وهذه الآيات الكريمة تبين فى وضوح ان لرسالة محمد ﷺ شريعة تخصها . كما ان لكل نبى شريعة تخصه . ومقتضى ذلك ان الشريعة اللاحقة ناسخة للسابقة فكانت دعوة الإبراهيمية الحديثة لا دينية مطلقاً فلا هى لإبراهيم عليه السلام ولا هى للتوحيد ثم هى من بعد ضلال وكيد للإسلام .

زكريا أحمد نور

من أعـلام الأزهـر

علي يوسف
شيخ الصحافة المصرية

تعرض الدكتور عبد اللطيف حمزة فى الجزء الرابع من كتابه « ادب المقالة الصحفية فى مصر » إلى موازنة سياسية بين الزعيم مصطفى كامل رئيس الحزب الوطنى ومحرر اللواء ، والزعيم على يوسف رئيس حزب الإصلاح على المبادىء الدستورية ومحرر المؤيد فقال ص « ١٥٣ » :

هذا هو الزعيم الشاب مصطفى كامل يثير الخواطر ، ويهيج المشاعر ، ويقذف فى وجوه الإنجليز بين حين وحين بكلماته القوارص ، ويكسب إلى جانبه الرأى العام فى مصر ، بل الرأى العام فى اوربا كلها إلى جانبه .

وهذا هو الزعيم الآخر السيد على يوسف يعمد إلى هذه القضايا السياسية التى يخلقها الاحتلال فيبسطها لقرائه فى المؤيد ، ويأخذ فى مناقشتها تارة ، وتحليلها تارة ، ويبنى برهانه على طائفةٍ من الدلائل المحسوسة والقرائن الملموسة . والحجج العقلية والمنطقية التى لا تقبل الرد . ولا تحتمل الإنكار .

بهذه الطريقة وتلك طفق زعيما مصر فى ذلك الوقت يعالجان المسائل الهامة ، والقضايا التى تشغل بال الرأى العام هذا بعنفه وشدته ، وذاك بعقله ورويته ، حتى لكأن أحدهما وهو مصطفى كامل قلب مصر النابض ، وكأن الثانى وهو على يوسف عقلها المفكر ، وليس للأمة غنًى بأحدهما عن الآخر .

هذه موازنة صادقة بين زعيمين اشتهر أحدهما شهرةً طبقت المشرق والمغرب ، وخفت صدى الآخر حتى ما يكاد يسمع به أحد ، وهو فى مكانته الصحافية ومنزلته السياسية لا يقل شأناً عن صاحبه ، فبماذا ـ ليت شعرى ـ نعلّل هذا الجحود .

لقد كان من حظ مصطفى كامل أن يترك تلاميذ تشيد بفضله السياسى وهو فضل غير منكور ، فكثرت المؤلفات عنه ، ودبجت القصائد والخطب والمقالات فى تأبينه ، وكان من قدر على يوسف أن يبقى وحده فى الميدان ، بعد أن اعتزل عمله فى المؤيد فيتفرق حواريوه ، ثم يحين يومه فتبكيه الاقلام حيناً

للدكتور/ محمد رجب البيومى

من الدهر ، ويعفى على أثره النسيان فلا يكاد يذكره أحد !

إنها لعجيبة العجائب فى دنيا الجحود ، أن يهجر حديث زعيم جليل الخطر ، ولم يك ذلك الهجر سهواً غير مقصود ، ولكنه يقع عن عمد ، إذ لا يرحب مؤلفو التاريخ ومزوقوه ومزخرفوه بأن يبسطوا الحديث عن شيخ أزهرى يدافع عن دينه فى صحيفة رنانة كانت أولى الصحف المصرية فى عهدها على الإطلاق ، إنما يكون الترحيب بذوى النباهة ممن يجذبون الأنظار فى شتى المناسبات ! فليت شعرى كيف يهمل « على يوسف » صاحب المؤيد ، ويذكر فارس نمر صاحب المقطم ، والأول لسان مصر ، والثانى لسان الاحتلال !

وقد يظن قارئو هذا الجيل ، ممن لم يقفوا على تاريخ الأمس ، أن الدكتور عبد اللطيف حمزة قد بالغ بعض الشىء حين عقد الموازنة الصادقة بين على يوسف ومصطفى كامل ، ولكن عبد اللطيف حمزة رحمه الله ليس وحده هو الذى تحدث عن منزلة صاحب المؤيد ، إنما تحدث عنه أعلام الفكر والسياسة فى عصره بمثل ما تحدث به الدكتور عبد اللطيف حمزة ، ولابد فى هذا المجال من عدة استشهادات تؤكد مكانة الزعيم الكبير ، لتتضافر الآراء المجمعة على فضله متساندة



متماسكة ، وهى بوضوحها الساطع لا تحتاج إلى تعقيب .

يقول - أولا - المفكر القانونى الضليع أحمد فتحى زغلول باشا[1]

« ماعرفت الإقدام أنفذ فى قلب الزمان مثلما عرفته فى « على يوسف » ولا أدركت بالحس إلى اى شأو تبلغ الهمة بصاحبها مثلما شهدت ذلك فيه .

رجل رمت به الأيام فى معترك الحياة وهو وحيد ، والجو أقتم ، وظلمات الحوادث تتكاثف على الأمة ، والله يعلم كيف تتكشف تلك الغمة ، ساورته الشدائد وهو فى « مؤيّده » وشب بنفسه واختطّ فى الحياة

←

---

(١) من خطبة فتحى زغلول فى تأبين على يوسف بمجموعة الآثار الفتحية .

طريقه بذاته ، لا معين له من طارف أو تليد ، ولا ناصر له من أب أو قريب أو نسيب ، ولو أنه كان من أولئك الذين يطويهم الزمان فى ثناياه لما اجتمعنا اليوم لتأبينه ، لكنه كان رجـلاً استعصت نفسه الكبيرة على الزمان فقهرته ، وكبرت همته عـلى الحوادث ، فأخضعها ، واستقبل الشدائد ، بعزم وثبات يخدمها فكر صحيح ونظر ثاقب ، رام الصحافة فكان شيخها ، وتطلع إلى مجالسة الملوك والأمراء فتربع فيها ، واشتاقت نفسه إلى المعالى فاغترف منها ما اشتهى ، لكنه ما اكتفى وما كان ليكتفى وله هذه النفس التواقة إلى نيل مالم ينل أحد من قبل .

هل سمعتم أن الأحساب عرض يكتسب ؟ هل علمتم أن الشئون الذاتية مما يطمع فيها أحد ، ما علمنا ولا سمعنا ، ولكنها قوة الإرادة تعلو على الأحساب ، ورأينا صدق النية يتخطى الأنساب ، فتعلمنا ما كنا نسمعه من الحكماء من أن مراد النفس أكبر منها على الدوام ، وأن قدرة الإنسان فى الوجود لا حد لها .

هذا بعض ما قاله أحمد فتحى زغلول مصوراً بـعض ما قاسى هذا العصامى النابغة من مصاعب مرهقة تقف سداً منيعاً أمام ناشىء أزهرى لا يملك من أدوات الكفاح غير إرادته الحازمة ، وفكره المتوثب ، وقلمه الصوال ، وقد استطاع بهذه المواهب أن يقود الرأى العام فى مصر بما يكتب يومياً فى صفحات المؤيد ، وقد كان نفاذ بيانه وسطوة حجته من السطوع بحيث هيأ الاحتلال نفراً من الوصوليين ليناوشوه يومياً فيما يصدرون من صحف يرعاها لورد كرومر ، ويمدها بشتى المساعدات فهـو محـاط بشتى العداوات ، لأنه من ناحية الاحتلال خصمه الألد ، ومن ناحية الشباب الوطنى كان كما قال الأستاذ عبد العزيز البشرى عنه[٢] معتدلاً لا يرى العنف سبيلاً إلى استرداد حقوق البلاد ، بل إن هذا العنف مما يرديها فى أخطار لم تكن لها فى الحساب ، وكان طوعاً لهذا لا يرى أن يتحدث فى الشئون العامة غير الشيوخ المجربين ، وهذا وهذا مما لا يرضى الشباب المشتعل حماسة لحق الوطن ، ولا تنس أن العامة من وراء هؤلاء .

هذا بعض ما قاله الأستاذ البشرى عن دقة موقف « على يوسف » ولكنه مع ذلك أوضح تأثيره الخارق فى النفوس حين تتأزم أحداث السياسة بمصر والعالم الإسلامى ، أوضح الأستاذ البشرى هذا التأثير الجبار فى قوله عن الشيخ على يوسف « ومع هذا كله ففى يوم الجلى ، يوم تحدث الأحداث القومية ، ينفض الناس قلوبهم حتى يتساقط عنها كل ما علق بها من الحقد على الشيخ على يوسف ، ويتلعون[*] أعناقهم نحو المؤيد ، شاخصة أبصارهم مرهفة آذانهم ، معلقة فى انتظار ما يقول الشيخ أنفاسهم ، فإذا النمر الجبار يثب على فريسته من عدوان العادين

(٢) المختار للبشرى جـ ١ ص ٢٥٥ ط ثانية .
تَلِعَ ـ بزنة عجب منه تلعت عنقه طالت ، ويأتى فى مشتقاتها معنى : مد عنقه متطاولا .

وثبته ، فلا يزال يوسعها تمزيقاً بمخلبه ، وضغما بأنيبه حتى ما يدعها إلا عظاماً وجلوداً » .

والقارىء يتنقل فيما سقناه من أقوال عبد اللطيف حمزة ، وأحمد فتحى زغلول وعبد العزيز البشرى متسائلاً كيف يجوز فى منطق أصحاب الدراسات الصحافية أن يغفل تاريخ هذا الرجل ، بل كيف يجوز فى منطق مؤرخى هذه الحقبة من تاريخ مصر أن يتجاهل موضع زعيم خطير مثله ، له حزبه السياسي ، وصحيفته الرنانة ، وقلمه الصوال . لقد نشر الخديوى عباس حلمى مذكراته السياسية متحدثا عن قادة مصر فى عهده من الزعماء والوزراء والكتاب وعن رءوس الاحتلال الانجليزى ممن يجثمون على إدارة الأمور فى مصر ، وكان لابد أن يتحدث عن « على يوسف » لأن صاحب المؤيد قد سالم الخديوى وآزره فى وجه المعتمد البريطانى ، بل إنه جمع القلوب حوله حينا من الدهر باعتباره الحاكم الشرعى الصامد أمام كرومر ، أجل ، لقد تحدث عن « على يوسف » حديثاً منصفا لا يجنح إلى التزيد أو الانتقاص ، بل يضعه الموضع الصحيح كما يراه من زاويته الخاصة وبمقارنة ما كتبه الخديوى عباس بما سطره مؤرخو « على يوسف » نجد أن أوجه الاتفاق تتعدد وتتكاثر بحيث تقبع نقاط الخلاف فى حيز ضئيل ، ولعلنا نجد المجال يحتم علينا فى نطاق هذه الشهادات التاريخية الخاصة بعلى يوسف أن نلحقها ببعض ما قال عباس الثانى عن صاحبه حين نشر مذكراته السياسية بجريدة المصرى ، فذكر عنه أنه « كان يبدو أحياناً بمظهر المدافع عن الإسلام أكثر مما يبدو بمظهر المحرك للشعور الوطنى ، وكان الغرض من ذلك أن تجتمع كل القوى المتشتتة حول فكرة عامة ، وكان الغرض من ذلك أيضا خلق عاطفة التماسك والترابط عند الجماهير وهى العاطفة التى لا يتم بدونها عمل ، وهكذا أفلح على يوسف فى بعث الإحساس فى قلوب مواطنيه بشخصيتهم القومية ، لفرط ما استمع إلى الحديث عن علاقات مصر ، وعن ماضيها وحقوقها ، ولفرط ما ناقش معاونيه الأعلام فى السياسة العامة وعلاقاتها بالموقف الراهن ، وكان استحضاره للعصور الغابرة التى كان حسن الإلمام بها يتيح له إيقاظ الذكريات المجيدة فيبعث فى نفوس قرائه الإيمان بالمستقبل .

والحق أن الشيخ على يوسف لم يكن يوماً رجلاً تركياً ، وإذا كان فى بعض الأحيان قد أيد الخليفة فإنه لم يكن يعنى سلطان القسطنطينية وإنما كان يعنى زعيم الإسلام ، فهو ذلك الرجل الذى قاد الرجال وأدرك معنى الأمة ، ومعنى الإخلاص كان مصريا قبل كل شىء ، وقد نجح ـ أيما كانت شخصيته وآراؤه ـ فى أن يستميل الرأى العام ويجمعه ويعلمه التفكير »[٣]

←

(٣) من مذكرات الخديوى عباس نقلا عن كتاب « أدب المقالة الصحفية فى مصر جـ ٤ للدكتور عبد اللطيف حمزة ص ١٠٣ .

هذه شذور « مختارة مما كان الخديوى قد كتبه فى مذكراته ، وإذا كانت من ناحية أولى تدل على تأثير الرجل الكبير وقوة رسالته فى أمته ، فإنها من ناحية ثانية تدعو إلى نقاش هادىء يوضح وجهة نظر الخديوى فى اتجاه على يوسف ، إذ حكم بأنه كان مصريا قبل كل شىء ، وهو حكمٌ قد يدل على أن مصرية الرجل وحدها كانت هدفه الأول والأخير ، والحقيقة أن الرجل كان داعية إسلاميا لكل بلاد الحنيف ، لأن مفهوم المصرية لا يتعارض مع مفهوم الإسلام فى شىء فمصر وطن إسلامى صغيرٌ يندرج فى وطن أكبر ، هو الإسلام ، واعتزاز على يوسف بتركيا إنما كان لكونها ممثلة الإسلام لا لصلة شخصيته بالخليفة القائم بها ، وكذلك اهتمامه بمسلمى الهند والصين واليابان وإيران والافغان وأندونسيا وتونس والجزائر ومراكش وليبيا وبلاد العرب والشام والعراق ، لأن هموم هذه الدول جميعها قد وجدت متسعا فسيحاً على صفحات المؤيد كما وجدت كتابا إسلاميين يتجهون هذا الاتجاه وفى طليعتهم محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبى وعبد القادر المغربى وشكيب أرسلان وعبد الحميد الزهراوى ومحب الدين الخطيب وهم جميعا ثمار « يانعة » نضجت فى دوحة جمال الدين الأفغانى ! ولم تظهر حنكة على يوسف السياسية على وجهها الرائع كما ظهرت فى علاقته بالأستاذ الإمام محمد عبده مقارنة بعلاقته الصميمة مع الخديوى عباس ، لأن صداقة صاحب المؤيد للخديوى لم تكن صداقة التابع المتسقط لرغبات صاحب الأمر ، ولو كانت كذلك ما احتفلت المؤيد بمقالات الأستاذ الإمام وشيعته فى الرأى ، والعداوة بين المفتى والخديوى يومئذ سافرة واضحة لا تعرف النقاب ، ويخيل إلى أن الشيخ « على يوسف » قد فكر كثيراً فى موقفه الشائك ، فرأى من ناحية أولى أن الإمام الكبير عالم العصر ، ومفتى الإسلام ، ورافع راية الاجتهاد . وله صيحاته المدوية التى توقظ النائمين ، مهما أرقت ذوى الأغراض من محاربى الإصلاح ، كما أنه من ناحية ثانية يدرك أن المؤيد يخدم الخديوى حين يثنى على محامده ، ولن يكون للمؤيد صوته المسموع إذا خسر الأقلام النابهة التى يتقدمها قلم الأستاذ الإمام ، وقد روى الأستاذ السيد محمد رشيد رضا فى تاريخ الإمام ما ينطق بأن على يوسف اتخذ لنفسه موقفاً وسطا بين الخديوى عباس ومحمد عبده ، فظل وفيا للإمام موالياً له ولرجال حزبه من أمثال حسن عاصم وسعد زغلول ، وكان يخبرهم بجميع أسرار الخديوى وما لا يرضى من أعماله ويستشيرهم فيها وذلك ـ كما يقول السيد رشيد رضا ـ[٤] ليقينه أنه لا يصل إلى سموه شىء من مكاشفته لخصومه إذ كان فى صميم مشاعره يحاول التوفيق بين الفريقين قدر المستطاع ، وهو فى ذلك أشد حزماً من مصطفى كامل حين كان يجاهر فى

(٤) تاريخ الإمام جـ ١

معاداته لمحمد عبده حتى أنه خالفه فى تفسير بعض الآيات القرآنية ، وإذا كان لمصطفى كامل رحمه الله أن يخالف الإمام فى منحاه السياسي فما أظن أن فى مقدرة مثله أن يصحح للإمام آراءه فى تفسير بعض آيات الكتاب ، ولا أعنى بذلك أن محمد عبده منزهٌ عن الخطأ فى التأويل ، ولكن أقول : إنه أستاذ فى منحاه ولن يعارضه غير من درس وقرأ وتعمق واجتهد حتى ارتقى فى التفسير مرتقاه ، هذا وقد كان الإمام يكتب فى الصفحة الأولى من المؤيد مقالات لا يوقعها باسمه الصريح ، وكانت الجريدة تعلن أنها بقلم حكيم كبير من حكماء الإسلام ، وقد طارت شهرة المؤيد بما نشر للشيخ محمد عبده من مقالات نقدية للمسيو هانوتو وزير الخارجية الفرنسية حين هاجم الإسلام هجوماً ضارياً يتجرأ على إنكار الحقائق وترويج الأراجيف ، فانبرى الإمام على صفحات المؤيد يفند كل ما ألصقه هانوتو من أراجيف لا تجد لها سنداً صحيحاً فى عالم البحث النزيه وقد وصلت أعداد المؤيد إلى هانوتو وعقب على رد الإمام بما يدل على أنه وقع فى حيرة من أمره ، واضطر المؤيد إلى أن يفرد مقالات هانوتو مشفوعة بردود الإمام فى كتاب خاص تتناقله الأيدى إذ كثر الطلب الخاص بأعداد المؤيد التى نشرت مقالات الإمام مع أنها نفدت ليومها دون أن تغطى مساحة القراء فى شتى ممالك الإسلام ، فلا سبيل إذن غير الغوث بكتاب جامع يروى الغليل ، وإذا كانت بعض الجرائد قد اتجهت إلى مهاجمة الإمام بتشجيع الخديوى فإن صاحب المؤيد لم يسمح لنفسه أن يهوى إلى هذا المنحدر ، مع شدة الإلحاح عليه منطقيا ، إذ كان للرجل استقلاله القوى الذى يحميه من التهافت أمام الإغراء وأقول : مع شدة الإلحاح عليه منطقيا ، لأن كل الدلائل تنطق بأن الخديوى الذى سخر الغرباء عنه فى تشويه مكانة الإمام لابد أنه بذل قصارى ما يستطيع ليحمل صديقه على ما اعتزم من حرب الإمام ، فما وجد أذناً تسمع ! وللمؤيد صوته بين الناس فليحرص عليه دون عناد .

على أن الصحافة المعادية للمؤيد لم تترك لعلى يوسف مدى للراحة الهنيئة ، بل طفقت تهاجمه بلواذع الهجاء ولم يكن لأكثر القائمين بالكتابة حينئذ قانون خلقى يمنع التخرص والإنحدار ، بل كان الإيغال فى التوقح مبعث الفوز والغلبة لدى قوم لا يرتفعون إلى مستوى الشرفاء ، وقد صبر الرجل طويلاً عما قيل عن رقة حاله فى مبدئه ، وعن ضآلة ثقافته الأزهرية ، وكلا المأخذين طائش لا يبلغ شيئاً من مراد أعدائه ، لأن رقة حال الطالب الأزهرى الناشىء بإحدى قرى الصّعيد ، هى مدعاة فخر لكل عصامى اعتمد على نفسه حتى قهر الصّعاب متسلحاً بالعزيمة القادرة ، والإرادة الحاكمة ، أما ضآلة الثقافة الأزهرية فإذا كان المراد بها قراءة ما تعورف من حواشى العلوم فى البلاغة والمنطق والأصول فكثير من زملاء الشيخ قد بلغوا الحد الأعلى فى هذه القراءة دون أن يقودوا زمام الرأى العام بما ينشرون من آثار ، أما إذا كان المراد بالثقافة الأزهرية ثقافة الإسلام التى تفهم مبادئه الخلقية وتعاليمه الإنسانية ، فقد أظهرت آثار على يوسف أنه على حظ عظيم من

←

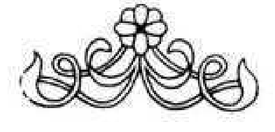
هذه الثقافة ، وليست قلة السنوات فى الانتساب إلى الأزهر بمانعة من تحصيل المعارف الصحيحة ، والأقوال المأثورة فى كتب التراث ، ونحن نعرف من أرباب الثقافة الإسلامية من لم يتصلوا بالأزهر يوماً ، وقد قرءوا كتب الأزهر ، وتعلموا على أيدى علمائه فأصبحوا من أعلام الإسلام ، وما مصطفى صادق الرافعي ومحمد أحمد الغمراوى وعباس محمود العقاد إلا طلبة مخلصون فى حقل الدراسة الإسلامية ، نطقت مؤلفاتهم بعلمهم المحيط ، واتجاههم السديد أفيكون على يوسف بعيداً عن هذه الثقافة لأنه لم يمكث فى الأزهر حتى ينال أرقى شهاداته ، وقد كان المنفلوطى والزيات وسعد وغيرهم من أقطاب البيان ولم يواصلوا التعليم الأزهرى لآخر غايته لقد أحس على يوسف بموهبته الأدبية وهو طالبٌ يافعٌ لم يبلغ العشرين ، إذ نظم ديواناً شعريا يحمل بواكير أدبه سماه « نسمات السحر » ونكلفه شططا حين نطلب منه أن يبدع فى هذا المضمار كما أبدع البارودى وصبرى وشوقى ومطران من شعراء عصره ، لأن الرجل لم يخلق شاعراً ، وإنما حاول مجتهداً حتى إذا لمس قصوره الفنى فى هذا الميدان اتجه إلى النثر ، وكان ذا طموح وثاب فلم يكتف بالمقالات الأدبية التى كان ينشرها فى مجلة « القاهرة الحرة » بل سمت به همته إلى أن يصدر صحيفة « الآداب » فى سن الخامسة والعشرين مشتركاً مع صديقه « أحمد ماضى » حيث كان ذا ثراء عاونه على إصدار المجلة ولك أن تعجب للناشر الناشىء حين تجده فى باكورة عمله الصحفى يخوض معارك فكرية تنحو منحى الإصلاح التعليمى والأدبى ، فخص التربية والتعليم بمقالات متتابعة تصور ضرورة الاهتمام بتعليم النشء على أحدث أساليب التربية الحديثة فى أوربا منادياً بضرورة التوسع فى التعليم الشامل المستوعب لا أن نكتفى ببعض القشور التى تهيء للوظيفة الحكومية المتواضعة كما يريد كرومر ، أما معركة اللغة الفصحى فقد كانت صفحات مجلة الآداب ميداناً للدعوة إليها ، حيث وجد من أدوات الاستعمار من يدعو للعامية كى تحل مكانها ، وقد تكون هذه القضية مما ذاع لدينا الآن بعد أن كتبت البحوث الخاصة بتتبع مسارها التاريخى ، ولكن ثبات على يوسف ونظرائه فى وجه العاصفة بما يملكون من أدلة فكرية ، وما يفضحون من نيات مستترة قد كان عاملا حاسماً فى إخفاق من يدعون إلى العامية كى يقطعوا أواصر الأخوة بين الناطقين بالضاد فى الدول العربية ، ومن وراء ذلك التنكر لحضارة العرب وثقافة الإسلام ، ومن هنا كانت مجلة الآداب من أوائل الصحف التى واجهت الحضارة الأوربية لتبين جانبيها المختلفين ، الجانب المادى والجانب الفكرى ، أما الجانب المادى المتمثل فى الارتقاء الصناعى والاكتشاف العلمى فلا يوجد من يدعو إلى مجانبته، وأما الجانب الفكرى فلابد أن يمزج بما لدينا من تراث مماثل حتى تقوم ثقافتنا على أصولها الممتدة فى صحف التراث مضافا إليها مالا يتعارض معها فى الاتجاه .. وإذا نجحت مجلة الآداب فى إثارة هذه المنازع فقد وفقت إلى حد بعيد .

د . محمد رجب البيومى

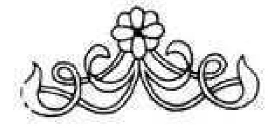
الشعر والشعراء

إشراف : د حسن جاد

القارئ



شجرة جرداء بين أشجار خضراء



ياليل لاتحزن



للشاعر: محيى الدين عطيه

شُعاعٌ مِنَ الفَجْرِ فى نَاظِرَيْهِ ... عَلىٰ مُصْحَفٍ قامَ فى رَاحَتَيْهِ
تُغَنِّىٰ، بِصَوْتٍ نَدِىٍّ رَخيمٍ ... وَدَمْعُ الخُشوعِ عَلىٰ وَجْنَتَيْهِ
تغنَّى، فقَالَتْ لَهُ نَجْمَتَانِ ... إذا شِئْتَ قُمْنَا عَلىٰ دَفَّتَيْهِ
تَغَنَّى، وَانْصَتَتِ الكَائِنَاتُ ... كَأنَّ اجْتِماعَ الْقُلُوبِ لَدَيْهِ
تَدَاعَتْ إلَيْهِ جُمُوعُ الْيَمَامِ ... غَمَرْنَ الطَّرِيقَ عَلىٰ جَانِبَيْهِ
وَوَشْوَشَ قَطْرُ النَّدىٰ زَهْرَةً ... فَمَالَتْ عَلىٰ الغُصْنِ تُصْغِى إلَيْهِ
وَقَالَتْ: كَأنِّى ارىٰ يَا رِفَاقُ ... مَزَامِيرَ دَاوُودَ فِى شَفَتَيْهِ
وَوَدَّعَ «طَهٰ» إلىٰ «الأنبِيَاءِ» ... وسِرْبُ الْمَلائِكِ فى عَقِبَيْهِ
فَلَمَّا تَوَلَّتْ فُلُولُ الظَّلَامِ ... أَطَلَّتْ عَرُوسُ السَّمَاءِ عَلَيْهِ
وَأَلْقَتْ لَهُ مِنْ خِلَالِ السَّتَائِـ ... ـرِ خَيْطاً مِنَ التِّبْرِ بَيْنَ يَدَيْهِ



شجرة جرداء بين أشجار خضراء

للأستاذ محمد عبد الخالق ندا

وجرداء نابية فى الشجر ... وقفت أُسرِّحُ فيها النظرْ
عليها الكآبة قد خيمتْ ... ولاح عليها الأسى والضجر
يمر النسيم بها عابثا ... فلاحِسَّ يبدو بها أو خبر
وتنصرف الطير عنها ازوراراً ... فلا ظل يعطفها أو ثمر
وهل يألف الطير إلا الحياة ... ونوراً لطلعتها قد بهر
يغرد ما شاء فى نشوة ... ويهتف للحسن انى ظهر

●● ●●

سُلِبْتِ الحياةَ وسِحْرَ الحياة ... فماذا وقوفُكِ بين الشجر ؟
وسيان عندك لفحُ الهجير ... وخفقُ النسيم إذا ما خطر
إذا ما تجهم وجهُ الزمان ... نبا الأُنسُ عنك وولى السَّمَر
وَذَكَّرْتِنى بمصير الحياة ... وان الحياة مجال العبر
لزمتِ السكوتَ وياطالما ... سرى منك وَحْىٌ يُثير الفكر
وكل حياة إلى غاية ... يحول الوجود ويفنى العُمُر

يا ليل الأحزان

قدرٌ علينا ان نسير على الجراحْ	قدرٌ علينا ان نسير ونبتَسمْ
الطائر المشتاق مكتوف الجناحْ	يمشي على قلبٍ ينوء بما كتمْ
تلهو به .. وبحزنه .. هُوجُ الرياحْ	يا غربة العمر المضاع بهجرهمْ
مالوا عن الشدو الجميل إلى الصياحْ	يا طائر الإخلاص يا حلو النغمْ
ضاقت بأُلْفَتِنا صدورهُمُ الفساحْ	نحيا بلا ماوى حياةً كالعدمْ
يا حلمنا بالبيت والصدر المتاحْ	صدرى بلا صدرٍ له .. لم يلتئمْ
الريحُ تعوى قَصْدُها كبحُ الجماحْ	أنَأَى .. بلا قلبٍ لقلبى يبتسمْ
ويدى بلا اخرى تشاركها الكفاحْ	وتشد إصرار الغريق المعتصمْ
ياوجه من اهوى اينكشف الوشاحْ ؟	ياوجه من اهوى أتنزاح الغُمَمْ ؟؟
ياغربة العمر المضاع بكل ساحْ	احبابُنا : احبابُنا .. فدع الندمْ
ها نحن ننزع من حشايانا الرماحْ	لتكون اقلاماً تشيد بذكرهمْ
ياحُزْنُ مهلاً وارْتوِ .. فدمى مباحْ	فإذا شَرِقْتَ ... دمى عليك سيضطرمْ !!
إن كان من اهوى بتعذيبى استراحْ	هاتِ اسقنى كأسَ العذابِ ولا تلُمْ
هاتِ اسقنى فالذكر لى كاسٌ وراحْ	إنَّا رضينا .. هل سيرضى من ظَلَمْ ؟؟

للشاعر الدكتور أحمد عامر

يـاأيها الحـزنُ النبيـلُ بـلا نُـواحْ	إنّـا عـلى درب الـوفـاء لنـا قلـمْ
كى تُسعـدَ الدنيـا اغاريـدى الفصاحْ	وأنـا انـوءُ بمـا حملـتُ وأنفصـمْ
فـإذا سقطـتُ فمـأتمى بـين الإقـاحْ	بـين الطيـور البـاكيـات عـلى القممْ
يـاأيها الليـلُ الطـويـلُ بـلا صبـاحْ	مـالى أراك عـلى الكـآبـة والسَّأمْ
ياليـلُ لا تحـزنْ .. إذا غـاب الـرواحْ	فـاللـه ملجـانـا إذا الخطب ادلهـمْ
ولـعـلَّ فجـرَ اللـه يُشرق بـالفـلاحْ	أو أن مـوعـدَهُ القيـامـةُ إن تَقُـمْ
يـومـاً سنلقى اللـه يُنعم بـالسمـاحْ	يـارب يـا رحمـنُ يـاربَّ النِّـعـمْ
يدُكَ الـرحيمـةُ إذْ تمرُّ على الجـراحْ	تـغـدو شفـاهـاً بـالمحبـة تبتسـمْ
فـارفقْ بهـذا الكـون قَـلَّ بـه الصـلاحْ	وتسـاقطـتْ فيـه النفـوس بـلا قِيَمْ
وارفقْ بهـذا الليـل .. أنْجُمُـهُ المِـلاحْ	مصلـوبـةٌ تبكـى عـلى تلـك الأمـمْ
يـاأيها الليـلُ الطـويـلُ عـلى البطـاحْ	إنّـا سنلقـى اللـه فى سـاحِ الكـرمْ

المرأة المسلمة
وأدوات تجميلها*

قامت عليك قيامة الأشرار ... حين ائتزرت بعفة ووقارِ
ونبذت كُلَّ تبرُّج وتأوُّدٍ ... وأبيت أن تمضى مع التيارِ
وَتَخِذْت تقوى الله خير مفازةٍ ... وغدوت فى منأى عن الأوزارِ
والدُّرة العصماء - طىَّ محارةٍ ... غيرُ التى - تُزْجَى بغير محارِ
وحُلاك نِعْمَ تَزَيُّنٍ بفضائلٍ ... فاضتْ عليكِ بهالة الأنوارِ
فالقلب بالإخلاص لله - انتشى ... دقاتهُ .. تَتْرَى .. بذكر البارى
والصدق للشفتين خيرُ تجمُّلٍ ... هذا طلاء ثابتُ الآثار
وبهاء صوتِك فى تلاوة مصحفٍ ... بتضرع بأوائل الأسحار
والبرُّ والإحسان لليد حلية ... خير وأبقى من بريق سوار
أما القوام فالاستقامة درعه ... بتريّض نأءٍ عن الأنظار
والعين فى الإشفاق كُحْلُ لحاظها ... تأسى لمن بات فى أكدار
وعليك من ألق الهدايةِ رونق ... هذا الرواء لصفوة الأخيار

●● ●●

ماذاك صنعُ زخارف العطار ... بل تلك صبغة قادرٍ غفار

---

* جاءت تلك القصيدة منسوبة إلى السيدة سهام إسماعيل حجى ، وقد كتبت على ورق غير متماسك يصعب معه التحديد فنأمل أن يكون الاسم صحيحا .. مجلة الأزهر .

نظرات في ديوان

أعاصير وأنسام

شعر الأستاذ
محمد عبد الرحمن صان الدين

بقلم: الشاعرة جليله رضا

في بادىء الامر، استطيع أن اقول، إن ميزة هذه المجموعة الشعرية التى بين يدىّ، هى فى كونها مؤمنة بالكلمة الخلاقة، والكلمة الطيبة تؤتى اكلها بإذن ربها تعالى كل حين.

ثم بعد ذلك اتقدم بالاعتذار للقارىء عن اتساع الموضوع وضيق المجال .. فهذا هو ديوان الشاعر الصوفى الوجدانى الفيلسوف صان الدين، الذى يتمسك بتراثه الفنى، مع البساطة والسهولة فى التعبير.

وكيف اتحدث بحرية، عن ديوان يحمل فى طياته الأعاصير الغاضبة، فى نفس الوقت الذى يسرى فيه الإيمان كانسام ملأى بالدفء والامن والسلام؟

هى إذن مجموعة شعرية متنوعة المضمون متحدة المصدر وكأنها الوان طيف يعكسها منشور من بلور، هى قصائد مختلفة المضمون، تناول فيها الشاعر الكثير من الأغراض الاجتماعية، بنظرة فاحصة ناقدة، واستخدم فيها شعره أحسن استخدام، فى الدفاع عن الإنسانية المعذبة .. بعيداً عن القوالب المكررة المحفوظة، التى تجنى على الصور النفسية، والانطلاقة العفوية التلقائية الفنية ..

بيد أن كل هذه القصائد المنوعة، مصدرها كما قلت، هو (الإيمان) كالنهر يروى فى طريقه مختلف السهول والأودية ..

اجل، أروع وأغلى ما فى هذه المجموعة هى القصائد الدينية بلا شك.

نظرات في ديوان

والحق أقول إن هذا الديوان بطبعه ونشره وتوزيعه ، سوف يؤدى دوره المنشود ، فى مرحلة تاريخية حرجة .

فإن العناية بالأجيال الجديدة الحاضرة ، تحتاج إلى تعاون ، وتدارس ، وتقويم ، ولكن كل ذلك يتعين أن يُقدَّم على شكل مائدة ، مليئة بأنواع الفاكهة والثمار ..

لقد قطع الشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين شوطا طويلا فى ميدان الشعر ، فأصبحت لديه القدرة على التعبير ، كما تميز بسلامة المعنى .

وإن جانبا كبيرا من قوة هذه التجارب الشعرية ، يبدو ضرورة تربط ما بين الدين والحياة .

ولقد خرج الشاعر مرارا من دنيا المادة ، إلى دنيا الروح ، محلقا فى آفاق الإيمان ..
ومن ثم فسوف يسهم هذا الديوان « أعاصير وأنسام » فى ترديد صوت الإسلام عاليا ..

وسوف يكشف للشباب أبعاد الحياة ، ويرسم لهم منطلقا تأمن فيه خطاهم من عثرات الوهم والضلال :

إذن فمن جذور الإيمان تغذى هذا الديوان ، كما تقدَّم ، ومن رحيقه الشهى نمت أشعاره وتفتَّحت .
ومهما كان الأمر ، فإن هذا الديوان « أعاصير وأنسام » للشاعر صان الدين ، يعتبر إحدى الظواهر الأدبية التى تعكس معانى الحياة ، بما فيها من مثل وقيم .
إنه مرحلة واثبة متوثبة ، من أحاسيس ووجدان شاعر كبير ، مختفٍ وراء الأضواء منذ حين ..

مرحلة من تفكيره الإنسانى ، ومن تعبيره الفنى .. وهو طاقة عارمة ، قيمتها فى كونها تدرى أين اتجاهها ، وتقدر معنى انطلاقتها الذاتية الخالصة .. بوعى وتبصُّر ..

ولقد نجح الشاعر فى بعض قصائده نجاحا بعيدا ، فى نقل التجربة وعرضها ، فى صياغة متقنة جيدة ، استمدها من ثقافته العميقة المستوعبة لتراثنا الأدبى والدينى .. وبرغم حرص الشاعر على القافية الواحدة ، فلم تحرم قصائده من التدفق والانسياب وقد حرص أيضاً على الا يتجه إلى التعابير الرمزية الغامضة ، التى قد لا تساعده على ابراز مضمون ، أو بلورة معنى ، فلم يستعملها إلا للتحلية ، أو لتغذية الصورة ، وتطويرها ، وتنميتها .. وليكثر من وهج المعنى الذى يريد أن ينقله إلى وجدان القارىء ، بعمق وصدق .

ولكم يسعدنى اليوم أن اقدم إلى القراء ديوان هذا الشاعر الكبير ، فقد رأيت فيه ضياء ، يستنير به القارىء فى ارتياده طريق الشعر ..

فى وقت نبذ البعض من الشعراء ، باسم التحرر حينا ، والتطور أحيانا ، كل نظام وترتيب وقاعدة ، لشعرنا العربى الأصيل .. فى عروضه وأوزانه وقوافيه ، وقطعوا بذلك

أسباب الاتصال بالقارىء ، فى وقت ظنوا فيه أنهم قد فرضوا عليه هذا المولود المشوّه .

اجل .. يسعدنى ان اتكلّم عن هذا الديوان ، فقد احسست عندما انتهيتُ من قراءته ، أننى امام شاعر يمسك بزمام الشعر ، إلى حيث يمضى به إلى غايته ، بأستاذية وتمكُّن ..

وسرنى ايضاً ان اتتبع بحور شعره ، فرايته يميل إلى البعض ، فيكثر منها شان كل شاعر صادق ، ويقتصر عليها .. وليس من شك فى أن ديوان « اعاصير وانسام » يحمل من اسمه المعنى الكبير ، ففيه الثورة ، وفيه اللين ، وفيه العنف ، وفيه التسامح ..

وقبل كل ذلك فيه صدق التجربة الشعورية العميقة .. إنه شعر إنسان قوى كل القوة ، فى تفهمه للدين .. ضعيف كل الضعف ، أمام القدرة الإلهية ..

فهى إذن مرحلة نضج كامل ، وتوفر فى الموهبة ..

ولما كان شاعرنا مرهفا شديد الحساسية ، لذلك نراه نادرا ما يختلس من دنياه ابتسامة إنسان متفائل ، برغم قوة إيمانه بقضاء الله سبحانه فإذا ابتسم .. ففى قلبه دموع ، وإذا طرق موضوعا طريفا ، اختلطت عليه الجدية وسبقته إلى التأمل والتروى ، والتفكير الفلسفى العميق .

ولذلك يشيع دائماً من بين سطور قصائده ، وميض خاطف من الالم والمرارة ، حتى ليقف به ذلك الألم البادى عن استيعاب مفاتن الوجود ، وجمال الطبيعة ، فيخيل إليه ان كل شىء يحمل مثله اعباء الحياة ، وأن الطيور حزينة كفّتْ عن الغناء ، لفساد العالم وما فيه من موبقات .. ولنستمع إليه فى قصيدة « صمت الطيور » وهو يسالها عن السبب بعد توقفها عن التغريد :

لِـمَ لا تغنـى ياطيـور
لِمَ لا تطيرى فى البكور ؟
إنى أراك قد انطويت
فـلا رفيـق ولا ظهـور
وركنت للصمت الحزين
وأنّة القلـب الكسيـــر

ويمضى الشاعر فى تساؤله وكأنه امام أطفال صغار يستمعون إليه :

إنى عهدتك تصدحين
بكـل ألـوان السرور
وترفرفين على الخمائل
والجـداول والجسـور
وتغازلين مـع الصباح
البكـر فتّــان الزهـور
وتبـادلـين الشمس فى
سبحاتها كأس الحبور
حتى يـواريها المسـاء
وراء مسـدول الستور
فـإذا احتـواك العــش
نمت كنومة الطفل الغرير
ماذا دهاك فصرت دا
مية المدامع والشعور

وأرجوك أيها القارىء أن تعيد قراءة هذه

الأبيات السابقة ، فهل وجدت فى بيت فيها قافية غريبة قلقة وهل عثرت فى بيت منها على جملة دخيلة عليه ..

كلا ...

إن صاحبها يحرك مشاعرك متنقلا بك من معنى إلى معنى ، فى خفة ويسر ، حتى يصل بك إلى ما تجيب به الطيور :

ياغافلا عمّا استجد
وذاهلا عمّا يدور
الروض صوّح أيْكُهُ
والماء غاض من الغدير
والجو قد ملكته
أسراب الجوارح والصقور
فلجأت التمس السكينة
والأمان .. إلى القبور
وقنعت فى عيشى بظلّ
شاحب بين الصخور
حتى يوافينى الحمام
والفظ النفس الأخير

وهكذا ـ كعادته دائماً ـ يعمّق الشاعر مدلول قصيدته ، ويضيف إلى المعانى التى يريدها ، اشياء أخرى ذات قيمة معنوية كبيرة .

وفى مرحلة من عمر شاعرنا نراه ، كما يقول ، قد ثار على الحياة ، ثار على دنياه بما فيها من مآس وآلام ، وما تحوى من غدر ونفاق وخداع ، فيمزق فى عنف قلبه عندما يمزق اشعاره المدونة ، مقسما الا ينظم الشعر بعد يومه ذاك ..

ولكن .. تمر الأعوام ويشعر بالفراغ ، يشعر بالضياع ، يشعر بتفاهة العيش بغير شعر ، إن الحياة ثقيلة الأعباء ، فكيف يحياها إن لم تغنّ الروح على شعاع الرجاء .. ويتساءل كيف يعيش بلا خيال يلوّن لياليه الطوال ، وأيامه الجرداء ؟

كيف يستاف بواسم الزهر دون أن يقتحم فى جرأة روضه اليانع ، ليرطب روحه بالأنداء ، كيف يتلقى روعة الجمال دون تعبير .

وأخيراً .. يمسك بالقلم ويبدأ من جديد رحلة الأنغام ، وينظم قصيدة « سأشدو » :

أأفصح أم أموت بما أعانى
وأمضى بين تيار الزمان
وفى قلبى اناشيد عذاب
وفى الوجدان أبكار المعانى
وأطمر تحت أنقاض الليالى
عديم الذكر مجهول المكان
كأنى لم أكن يوما سويا
ولم أخطر بهاتيك المغانى
أأسكت يارفاقى أم أغنىّ
على الدنيا بأعذب ما شجانى

والقصيدة طويلة يلخص الشاعر ابياتها الرائعة فى هذا البيت الأخير ..

أنا فى دوحة الدنيا هزار
وهل يحيا الهزار بلا اغان ؟!

أما فى قصيدة « أزف الرحيل » فالشاعر يتعجل قلمه ، ويأمره بإخراج ما بصدره من كنوز ونغم ، قبل أن يخفت ضوء السراج وترتعش خطى شمسه الغاربة ، ويفوت

الأوان ، وينتهى العمر .. فيقول :

اعنّى أيها الجسم العليل
اعنّى أيها الفكر الكليل
وكن طوع الأنامل مستجيبا
لفكرى أيها القلم الكسول
لأخرج مابقلبى من كنوز
وانغام فقد أزف الرحيل !

ويمضى فى قصيدته ، فتجده قد وصف الحياة وكأنها ملأى بتفاهات وشعوذة ، وغيلان وغابات ، واشباح مقطبة الجبين ، ومتاهات عقول ، ثم يهتف اخيراً :

سأرحل يابنى الدنيا وإنى
لتلك الرحلة الكبرى عجول
هناك على الحقيقة سوف أحيا
حياة لم يدنّسها جهول

★★★★

ولقد يسأل القارىء : لماذا كل هذا الحزن والشجن فى قصائد الشاعر فأجيبه ؟

لولاهما « الحزن والشجن » ماكان اليوم هناك شاعر يدعى : محمد عبد الرحمن صان الدين !! .. صاحب ديوان « أعاصير وأنسام » فمرحى بهما ..

اجل . لقد تأثر صان الدين بالظروف المحيطة به ، وبالأسباب التى تصله بالحياة ، ولا مجال لذكرها .. فقد تكلم عنها باستيفاء الزميل الشاعر أحمد مصطفى حافظ . ولذلك بدا على شعر صان الدين إحساس بالغربة والاغتراب ، إحساس بالقلق واليأس والمعاناة ، واختفت كل معالم الاستقرار ، والقدرة على الاستمتاع بالحياة ..

وفى اعتقادى أن هذه شواهد قوية ، على شاعريته الموهوبة ، العاجزة عن إخفاء الألم والتبسم فى وجه الأحداث .

وإذا أحببنا أن نعرف شيئاً عن اخلاق شاعرنا صان الدين ، يكفى أن نقرأ له هذين البيتين من قصيدة طويلة تسمى « الحارس اليقظان » :

رقيب ضمن ذاتى لا يحور
وقاضٍ لا يميل ولا يجور
وسلطان تحكّم فى كيانى
بقسطاس يقال له : الضمير

★★★★

ومن روائع شعره قصيدة « حلم شاعر » ، يتمنى فيها الشاعر أن يعيش فى الريف بعيداً عن المدينة ، ويصف كيف ستكون حياته :

ياحبذا العيش الوديع بواحة
شجراء قد ناءت عن العمران
فى عزلة ما شاهدتها أعين
أبدا ولا خطرت بها قدمان
وتردد الأطيار فى افنانها
لحن الصفاء فينتشى وجدانى
وأظل يومى هانئا متنقلا
مابين ظل وارف وأغان
حتى إذا ولج النهار بغمده
وغزت جيوش الليل كل مكان
آوى إلى كوخى وئيدا وادعا
فيضمنى بترفق وحنان

←

نظرات في ديوان

ثم ينهي الشاعر قصيدته ـ كعادته ـ بالموت ! حيث يطفىء الردى سراج الشاعر وتحيك الأشجار من أوراقها كفنا له ، ويهتف العابرون :

والكائنات هناك تهتف : ههنا
مثوى غريب من بني الإنسان

والقصيدة فيها من الحرارة والتصوير الصادق ، وعمق المعنى ، مايجعلنا نتوقف أمامها ، لنستوعب جمالها ، وربما أحببتها بالذات .. لأنها تذكّرني بقصيدتي : « الجنة العذراء » ، وهي بنفس المعنى تقريبا مع اختلاف الأسلوب ، حيث منها أقول :

لو جاد دهري لاستكنت سعيدة
في قرية مجهولة الأسماء
سأعيش بنت الشمس في أحضانها
أقضي البقية لي مع البسطاء
كم أشتهي عند الظهيرة جلسة
في ظل حقل واسع الأرجاء
الظهر مستند إلى صفصافة
تهب الشذا والظل للغرباء
والطير لحني والجداول معزفي
والأرض فرشي والسماء غطائي
والجبن و« البتّاو » داخل صرةٍ
وعلى مدى كفيّ « قُلّة » ماء ..

****

وديوان « أعاصير وأنسام » يحتوي على أكثر من خمسين قصيدة مقسمة إلى عدة أقسام ...

« الوجدانيات » .. ومنها قصائد « أنغام الحياة » و« حكمة طائر » وغيرهما .

ثم « السبحات » .. ومنها قصائد « مراقي السمو » و« الصلوات » و« غرور الإنسان » .

و « أقباس » ومنها قصائد « الإسلام في افغانستان » و « حديقة الذكرى العطرة » .

و« اجتماعيات » .. وتزينها قصيدة « الأزهر الشريف » ،حيث تكلم الشاعر في حكمة بالغة عن حسناته الكثار .. وإنها للفتة طيبة من شاعرنا أن يفي الأزهر ـ الذي نشأ وتعلم فيه ـ حقه من الشكر والامتنان فيقول :

مازلت بعد الألف غضّا يافعا
مازلت روضا للمعارف يانعا
قد كنت في كل العصور حديقة
للروح والعقل الأريب ومرتعا
يامعقل الفصحى التي بلسانها
نزل الكتاب مفصلا ومجمعا
كم حاكم دانت لسطوته الرقاب
اتى يخبُّ إلى شيوخك خاضعا
يستلهم ، الرأى المسدد منهم
ويعود منبسط السريرة وادعا
كم جاهل وأفاك في أسماله
يمشي على الأقدام غرّا جائعا
فضممته مترفّقا وغذوته
حتى غدا بالعلم .. نجما لامعا

وأما في قصيدة « يارباه » فما أعذب هذه الأبيات ، وما أروع البيت الأخير :

مددت إليك ياربّاه كفّا
يجلّلها من القلب الخشوعُ

أتحـرقنى بنـارك يـاإلهـى
وضعفى عند بابك لى شفيع
أيعظُم يارحيم لديك ذنب
وعفـوك بحـره جمٌّ وسيـع
فمن بالعفو والغفران يحظى
إذا ما فاز بالخلد المطيع ؟

★★★★

وكنت احب أن أعرض للقارىء الكريم بعض الأبيات من قصائد « أشواق مغترب » و« أيها العمر » وعذرى ضيق المجال كما سبق وقلت ..

بيد أنى لا أستطيع الكف عن السرد أمام إغراء قصيدة : « أنت منى ولكن » !

ففيها نستطيع ، أخيراً ، أن ندرك موقف الشاعر من المرأة : .. وننقب فى أعماقه ، ونزين صوره ، ونضىء جوانبه .. إنه صراخ رجل ثائر على أوضاعها ، يريد لها الكمال ، ويؤلمه عجزه ..

صراخ رجل أقسم ، منذ عرف الله ، ألا يجذبه سحرها الأنثوى ، وألا يصيب قلبه سهامُ لحظها الفتاك ! ..

ويسألها فى تهكم واستنكار ، اين هذا الضعف الذى اشتهرت به ، وهى بقوتها تروض أغلظ الرجال .. بقوله :

هل انت ياحواء مخلوق يُعد من الضعاف ؟
أم أن أعتى الناس فى طفل أناملك اللطاف ؟!

ولكنه يخاف ظنها السوء به ، فيفسرُ موقفه مستدركاً :

لا تحسبى حواء أنى عنك مشغول الجنان
هل أنت إلا قطعة منِّى استقلت عن كيانى ؟
لكننى أبغيك ياحـواء عاليـة المكـان .

★★★★

لا . لا أحبك سلعة معروضة للمشترينا
أو دمية تُطلى لتحلو فى عيون الناظرينا !

★★★★

ويشرح الشاعر رغبته فى أن يراها سيدة البيت .. هكذا أراد الله ، وهذا هو دورها فى الحياة :

البيت ياحواء عشٌ أنت فيه الروح تسرى
وحنانك الفياض بين رياضه الزهراء يجرى

★★★★

ويضرب لها مثلا بالنحلة قائلاً ، فى بلاغة وحكمة :

إنى رأيت مليكة النحل الحكيمة فى الخليَّه
قبعت جلالتها تدبّر أمر هاتيك الرعية
لا تشتكى مللا وضيقاً فى الغداة أوالعشيـة
وهى التى بجناحها ..تطوى المسافات القصيَّه

★★★★

ثم يتجه بها إلى الله حيث يتجه دائماً إليه عز وجل :

ورأيت أن الله زوّد كل جنس فى الخليقه
بخصائص فطريّة ليشق فى الدنيا طريقه
كل معدّ فى الحياة لدوره .. وهى الحقيقة

★★★★

ولقد أسهبت فى شرح هذه القصيدة لما فيها من جمال فنّى ظاهر ..

وبعد : إن : « أعاصير وأنسام » ديوان لشاعر : يصلىّ فى غير كلفة ، ويعبد الله فى غير تظاهر .. شاعر : لا يعرف التهريج والالتواء ، يكتب عن فن ودراية ، وعلم ومعرفة .

شاعر : يجمع بين براءة الطفل ، وقلب الفنان ، وعقل الفيلسوف .

شاعر : يحملنا على التغلغل فى أعماق أنفسنا ، لكى نعيش فى سماحة وحب وصفاء .

فلنقرأ إذن ديوانه فى شوق ولهفة واستيعاب .. أما هو ـ الشاعر الحالم الرقيق المتأمل ـ فلندعه كما هو .. فى قلب دنياه الغريبة .. تجتاحه حينا الأعاصير ، وتبل جراحه الأنسام .. يستلهم ، وينظم ، ويكتب ، ويعيش ـ كما يقول هو فى إحدى قصائده :

إننى أحيا غريبا وسط أقرانى وقومى
ذاهل عنهم بحسىّ حاضر فيهم بجسمى

★★★★

ولا خوف عليه ولا حرج :
فالله معه فى كل آن ...

الشاعرة جليلة رضا

تصويب وتنبيه

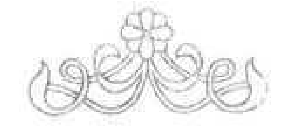
فى عدد « المحرم » ١٤٠٨ :

ص ٨ سطر ١٣ « الأصيل لا يقتل بالحليف » صحته « الصريح لا يقتل بالحليف » ص ٦٣ عنوان « محمود خليل الخطيب » صحته « محمد خليل الخطيب »

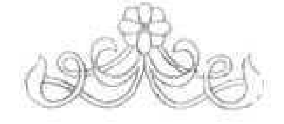
وفيما يخص العلامة محمد خليل الخطيب كتب ـ إلى المجلة ـ احد ابناء بلدته كلمة مختصرة عن حياته مطولة عن مؤلفاته سننشرها فى اقرب فرصة إتماما لأعمال الشيخ رحمه الله .

العلوم الكونية

الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم



العنكبوت



مايأتى . فى هذا الباب . من تفسير لآي القرآن الكريم فهو مسئولية كاتبه ..

الإعجاز العلمى في القرآن الكريم

العمق التاسع عشر من أعماق الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

تقديم :

يتضمن هذا العمق من أعماق الإعجاز العلمى فى كتاب الله العزيز بعض ما جاء فيه خاصاً بموضوع الطب الوقائى كما نعرفه اليوم ممثلاً فى حماية الناس من الآفات والعلل التى تنتشر بينهم عن طريق :

(١) المأكل والمشرب .

(٢) القلق والانفعالات النفسية القاتلة فى حالتى السرور والحزن .

﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ . . .

الحديد(٢٣) ، فليس من الدين أن يحزن المرء حزناً مفرطاً ، ولا أن يفرح فرحاً مبطراً ، ومن صور الإسراف كذلك الإسراف فى الأكل والشرب ، والإسراف فى الشهوات الحلال منها والحرام :

﴿ . . . وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ـ الأعراف (٣١) .

والمعروف طبياً أن الانفعالات النفسية الحالية هى أساس أمراض القلب القاتلة مثل الذبحة ، والجلطة ، والسكتة .. كما أن الافراط فى الأكل والشرب يؤدى إلى تصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم .. وهكذا يتضح أن رسالة الإسلام إنما تشتمل ضمن ما تشتمل على الدعوة إلى ما يقى الناس شرور تلك الأمراض الخطيرة . وهذه ناحية من نواحى الطب الوقائى الذى اشتمل عليه القرآن الكريم مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ـ الأنبياء (١٠٧)

والرحمة هنا رحمة عامة شاملة .

تحريم الخمر

يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ المائدة (٩٠) .

فالخمر أم الخبائث ، تجرىء شاربها على ارتكاب الجرائم والإثم والعدوان ، لأنها

لا تسكر فقط ولكن أيضاً تخدر الضمير والوجدان وتميت القلب . وينجم عن شرب الخمر حالة من الحزن والكآبة . وأضرار بالكبد مثل التليف . وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ .. وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ - الأعراف (١٥٧) .

والإسلام حين قرر تحريم الخمر وعقوبة شاربها ، لم يفعل ذلك لأنها سائل يشرب ، ولكن أخذ فى الاعتبار الأثر الذى تحدثه فى شاربها وسلبه صفة التكريم التى منحها الله إياها . وهكذا تدخل سائر المخدرات تحت قائمة الخمور . وفى بعض الشعوب التى لا تدين بدين الإسلام تقتل الخمور أكثر مما يقتل السل مثلاً .

وذلك هو نفس الحال مع المخدرات التى تذهب بأموال متعاطيها إلى خزائن صانعيها !

والحق أنه لما كان المعروف والمألوف لدى الناس جميعاً أن المخدرات لها من المضار الصحية والعقلية والروحية والاقتصادية والأدبية ما يفوق بمراحل ما للخمور من آثار كان من الطبيعى أن يحرمها الإسلام . ولو لم يرد فيها نص . وقد أجمع على ذلك علماء المسلمين الذين ظهرت فى عهدهم تلك السموم وتفنن المجرمون فى صنعها .

وأعجب العجب أن الأطباء ذهبوا حديثاً إلى أن الآثار السيئة لتعاطى الخمر أو المخدرات قد تظهر أيضاً فى الأبناء والأحفاد .

ويعنى ذلك بوضوح عدم اقتصار أضرارها على أجسام متعاطيها وحدهم ، وإنما يصيب الضرر أيضاً الأبرياء من ذرياتهم ! وهكذا نرى أن تحريمها إنما يكون عمقاً من أعماق الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم ظهر بوضوح فى عصر العلم .

أطعمة
حرمها القرآن الكريم

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز :

﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . الأنعام (١٤٥) ،

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ .. المائدة (٣) ..

والمراد على التوالى تحريم الميتة ، وهى التى تفارق الحياة من غير ذبح شرعى ، والدم الذى يسيل ، ولحم الخنزير ، وما ذكر عليه عند ذبحه اسم غير الله تعالى ، والتى تموت خنقاً ، أو التى ضربت حتى ماتت ، أو التى سقطت من علو فماتت . وكل ما يموت بسبب نطح غيره له ، أو بسبب أكل حيوان مفترس

منه ، أما ما تدركونه حياً فتذبحونه فإنه يحل لكم بالذبح إن لم يكن من المحرمات ومن المحرمات . كذلك ما يذبح قرباناً للأصنام .

والمعروف أن الحيوان قد يموت بسبب الشيخوخة ، أو نتيجة لإصابته بمرض أو وباء ، أو بسبب تسممه من مصدر غذاء أكل منه . وعلى هذا النحو يحتوى لحمه على مواد ضارة تؤذى آكلها ، كما تتراكم فى دمه الأوبئة . وتزداد الطينة بلة بفساد لحمه وتحلله .

والدم يقوم بوظائف حيوية عديدة أهمها تخليص أنسجة الجسم من المواد السامة وتوصيل الغذاء لها . ويعتبر الدم أصلح أجزاء الجسد صلاحية لنمو الجراثيم وتكاثرها ، ولذلك فهو أسرع وأنجح وسائل العدوى بالأمراض وخاصة بين الإنسان والحيوان الذى يأكل منه . وينظر الأطباء إلى الدم على إنه أهم مخازن الجراثيم التى يزيد من خطرها عندما يستعمل الدم كغذاء صعوبة التعرف على أغلب الميكروبات والجراثيم التى فى الدم ، وأيضا أحتوائه على الفضلات السامة التى تنتشر فى أجسام الحيوانات المريضة . وهذا كله إنما يكشف لنا عن مدى الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم عندما ينص على تحريم أكل الدم ، ولا عجب فى ذلك فهناك شعوب تأكله وتصنع منه بعض ألوان التغذية الشهية !! وهذا أيضا يرينا الحكمة فى وجوب ذبح الحيوان ليصفى دمه قبل طهيه وأكله .

أما لحم الخنزير فهو لحم حيوان جامع لكل معانى القبح والرجس والنجاسة يأكل الفضلات ويعيش على القاذورات والنفايات . ولذلك فهو مستودع للطفيليات التى تصيب الإنسان ، وفيروسات الكلب والحمى الصفراء وديدان الجهاز الهضمى ، المفلطحة والاسطوانية .. ومنها(الأنتديوم كولاى) ومصدرها الوحيد هو الخنزير . ومثل الوشائع المعوية والكبدية ، ومنها ما يؤدى إلى الوفاة .

وهناك دودة لحم الخنزير الشريطية التى تعيش طورها البالغ فى أمعاء الإنسان . ومنها ما قد يصل طوله أربعة امتار أو أكثر . وللدودة رأس صغير جداً وعنق قصير تنمو منه زوائد أو (اسلات) تروح متباعدة لتنمو متكاثرة . وتحدث العدوى عن طريق التلوث ببراز المرضى والمصابين خصوصا فى الأماكن الرطبة .

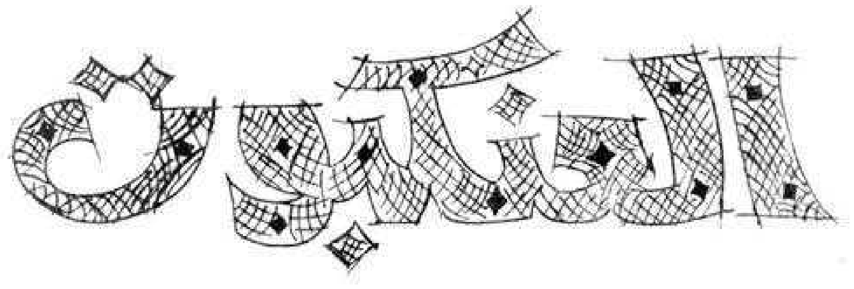
مرض التريكينا

عندما يأكل الإنسان لحم الخنزير المصاب بالديدان الشعرية تخرج الديدان من حويصلاتها وتضع يرقاتها فى أى جزء من عضلات الجسم باستثناء عضلة القلب ، وتسبب اعراضا مرضية خطيرة كثيراً ما تؤدى إلى الوفاة خلال عدة أسابيع .

دهن الخنزير

يختلف دهن الخنزير اختلافاً كبيراً عن سائر الدهون والزيوت النباتية بحيث يوجد شك كبير فى صلاحيته للغذاء ، خصوصا وأنه عسر الهضم . وهو من أهم أسباب تكوين حصى المرارة ، وتصلب الشرايين ، وامراض القلب ، وجدير بالذكر هنا أن أكل لحم الخنزير لا يسلم من أكل دهن الخنزير بالتبعية . البقية صـ ٢٣٦





العنكبوت

د/ كارم السيد غنيم

ورد ذكر العنكبوت فى القرآن مرتين فى آية واحدة هى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

(العنكبوت / ٤١)

تقول لجنة المنتخب فى تفسير هذه الآية :

« شأن المبطلين فى الضعف والوهن والاعتماد على غير معتمد كشان العنكبوت فى اتخاذها بيتاً تحتمى فيه ، وبيتها أوهى البيوت وأبعد عن الصلاحية للاحتماء ، ولو كان المبطلون أهل علم وفطنة لما فعلوا ذلك .

وجاء فى التعليق على هذا التفسير فى الكتاب ذاته :

بيوت العنكبوت التى تبنيها لسكناها ، وللقبض على فريستها دقيقة الصنع لأنها مكونة من خيوط على درجة عظيمة من الرقة تفوق رقة الحرير ، وهذا مما يجعل نسيجها أضعف بيت يتخذه أى حيوان مأوى له .

وأما الإمام ابن كثير فيقترب مما أوردناه فى السطور السابقة .

وهكذا مجمل ما ذكر فى تفسير القرطبى أيضاً ، وما ألمح إليه « الجلالين » .

ويقول صاحب التفسير الواضح فى معرض تفسيره لآية العنكبوت :

« ولعل السر فى جعل المثل حول اتخاذ العنكبوت بيتا ولم يقل نسيجاً ، أن البيت يكون للظل والوقاية من حر الشمس وزمهرير البرد ، ومنع العدوان ، إلى غير ذلك من المنافع ولكن بيت العنكبوت لا يفيد شيئاً ولا يقى خطرا ، فكذلك معبوداتهم لا تنفع شيئاً ، ولا تدفع ضرراً ، على أن نسيج العنكبوت من

←

حيث كونه بيتاً لا يفيد ، فكذلك الأصنام من حيث كونها آلهة لا ينفع ولا تضر ، حقا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » .

ويأتى بعد ذلك الصابونى ليعرض آراء بعض المفسرين ، كما أوردنا نفراً منهم سابقاً ، ثم يقول فى هذا المثل المضروب : شبه الله الكافرين فى عبادتهم للأصنام بالعنكبوت فى بنائها بيتاً ضعيفاً واهياً يتهاوى من هبة نسيم أو من نفخة فم ، وهذا تشبيه تمثيلى ، لأن وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد .

ويذهب البعض إلى أن المقصود بالوهن المذكور فى الآية القرآنية الكريمة ربما يكون مرجعه إلى ضعف البنية الاجتماعية فى هذه البيوت ، فإنك لا تجد هناك ترابطاً أسرياً أو حفاظاً ورعاية للأجيال حتى تشب عن طوقها كما هو الحال فى الحيوانات الراقية ثم كما هو الحال فى الإنسان ، فمن أنثى تطيح برأس زوجها ، ومن صغار تهجر موطن أهلها ، إلى غير ذلك من مظاهر التفكك وعدم الترابط .

العنكبوت فى كتب التراث :

وأما العنكبوت فى كتب التراث فلقد ورد عنه فى كتاب الجاحظ « ١٥٠ ـ ٢٥٥ هـ » « الحيوان »[١] .. ومن أجناس العنكبوت جنس ردىء التدبير لأنه ينسج ستره على وجه الأرض والصخور ، ويجعله على ظهر الأرض خارجاً ، وتكون الأطراف داخلة ، فإذا وقع عليه شىء مما يغتذيه من شكل الذباب وما أشبه ذلك ، أخذه . وأما الدقيق الصنعة ، فإنه يصعد بيته ويمد الشعرة ناحية القرون والأوتاد ، ثم يُسْدِى من الوسط[٢] ، ثم يهىء اللحمة[٣] ويهىء مصيدته فى الوسط ، فإذا وقع عليها ذباب وتحرك ماهنالك ، ارتبط ونشبت به ، فيتركه على حاله ، حتى إذا وثق بوهنه وضعفه ، غله[٤] وأدخله إلى خزانته ، وإن كان جائعاً مص من رطوبته[٥] ورمى به ، فإذا فرغ رم[٦] ما تشعث من نسجه ، وأكثر ما يقع على تلك المصيدة من الصيد عند غيبوبة الشمس . وإنما تنسج الأنثى فأما الذكر فإنه ينقض ويفسد ، وولد العنكبوت أعجب من الفروج ، الذى يظهر إلى الدنيا كاسبا[٧]

(١) الجاحظ « أبو عثمان عمرو بن بحر » : الحيوان . هذبه واختصره عبد السلام محمد هارون . مكتبة الخانجى بالقاهرة ـ دار الرفاعى بالرياض . ط ٢ ، ١٩٨٣ م .

(٢) يُسْدِى : أى يصنع السداة ، وهى الخطوط الأساسية .

(٣) اللحمة : ما يداخل به بين خيوط السداة .

(٤) غله : أوثقه وقيده .

(٥) رطوبته : المقصود سوائل الجسم الداخلية وأنسجته الضعيفة القوام .

(٦) رم : أصلح وأعاد ما تمزق من نسيج البيت أثناء عملية القنص .

(٧) كاسبا : يكسب قوته بنفسه .

محتالاً مكتفياً . وولد العنكبوت يقوم على النسيج ساعة يولد ، والذى ينسج به لا يخرج من جوفه ، بل من خارج جسده .
وقال الخدانى :

كأن قفا هارون إذْ قام مُدْبِراً
قفا عنكبوت سُلَّ من دبرها غزْلُ

فالنحل والعنكبوت ودودة القز ، تختلف فى جهات ما يقال إنه يخرج منها .

ومن العناكب جنس يصيد الذباب صيد الفهود ، وهى الذى يسمى « الليث » ، وله ت عيون وإذا رأى الذباب لطىء بالأرض[8] وسكن أطرافه ، وإذا وثب لم يخطىء . وهو من آفات الذبان ، ولا يصيد إلا ذبان الناس[9] .

والعناكب ضروب ، فمنها هذا الذى يقال له الليث ، ومنها أجناس طوال الأرجل ، والواحدة منها إذا مشت على جلد الإنسان تبثر[10] . ويقال إن العنكبوت الطويلة الأرجل إنما اتخذت بيتا وأعدت فيه المصايد والحبائل والخيوط التى تلتف على ما يدخل بيتها من أصناف الذبان وصغار الزنابير لأنها حين علمت أنها لابد لها من قوت وعرفت ضعف قوائمها ، وأنها تعجز عما يقوى عليه الليث ، احتالت بتلك الحيل[11] . ومنها جنس ردىء مشنوء الصورة[12] غليظ الأرجل ، كثيراً ما يكون فى المكان الترب من الصناديق والقماطر والأسفاط .

وفى عجائب المخلوقات يجمع الإمام القزوينى « ٦٠٠ ـ ٦٨٢ هـ »[13] أصنافا أكثر فى معرض حديثه عن العنكبوت قال :

والعنكبوت أصنافه كثيرة ، لكل صنف فعل عجيب ، منها الطويلة الأرجل ، فإنها لما عرفت ضعف قوائمها وأنها تعجز عن الصيد أعدت للصيد مصايد وحبالاً من الخيوط ، فعمدت إلى فرجة بين حائطين متقاربين وتلقى لعابها[14] الذى هو خيطها ليلصق به ثم يعدو إلى الجانب الآخر ويحكم الخيط فى الطرف الآخر ، وهكذا ثانياً وثالثاً ، وهذا هو السدى ، ثم يحكم لحمته حتى يتم النسج ، وكل ذلك على تناسب هندسى حتى يصح النسج ، ثم يقعد فى زاوية مترصدا فيها فإذا وقع فيها شىء من الذباب أو البق بادر إلى أخذه .

ومنها صنف آخر قصار الأرجل يسمى « الفهد » ، فإنه يصيد الذباب على شبه صيد الفهد ، وذلك أنه يكمن فى زاوية فإذا طارت

---

(٨) لطىء : التصق بها .
(٩) الذبان : يقصد الذباب المنزلى ، وهو شائع فى البيوت والمساكن والأماكن الآهلة بالسكان .
(١٠) تبثر : ظهرت به البثور .
(١١) احتالت بتلك الحيل : للعنكبوت حيل وخطط للإيقاع بفريسته .
(١٢) مشنوء الصورة : كريه بغيض .
(١٣) القزوينى « زكريا بن محمد بن محمد » : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات . مكتبة ومطبعة البابى الحلبى بمصر . ط ٥ . ١٩٨٠ م .
(١٤) ليس هو اللعاب كما نعرفه ، وربما يكون مقصد المؤلف أنها تفرز سائلاً يخرج من جسدها من جهة الرأس ـ وهذا يجانب الصواب أيضاً .

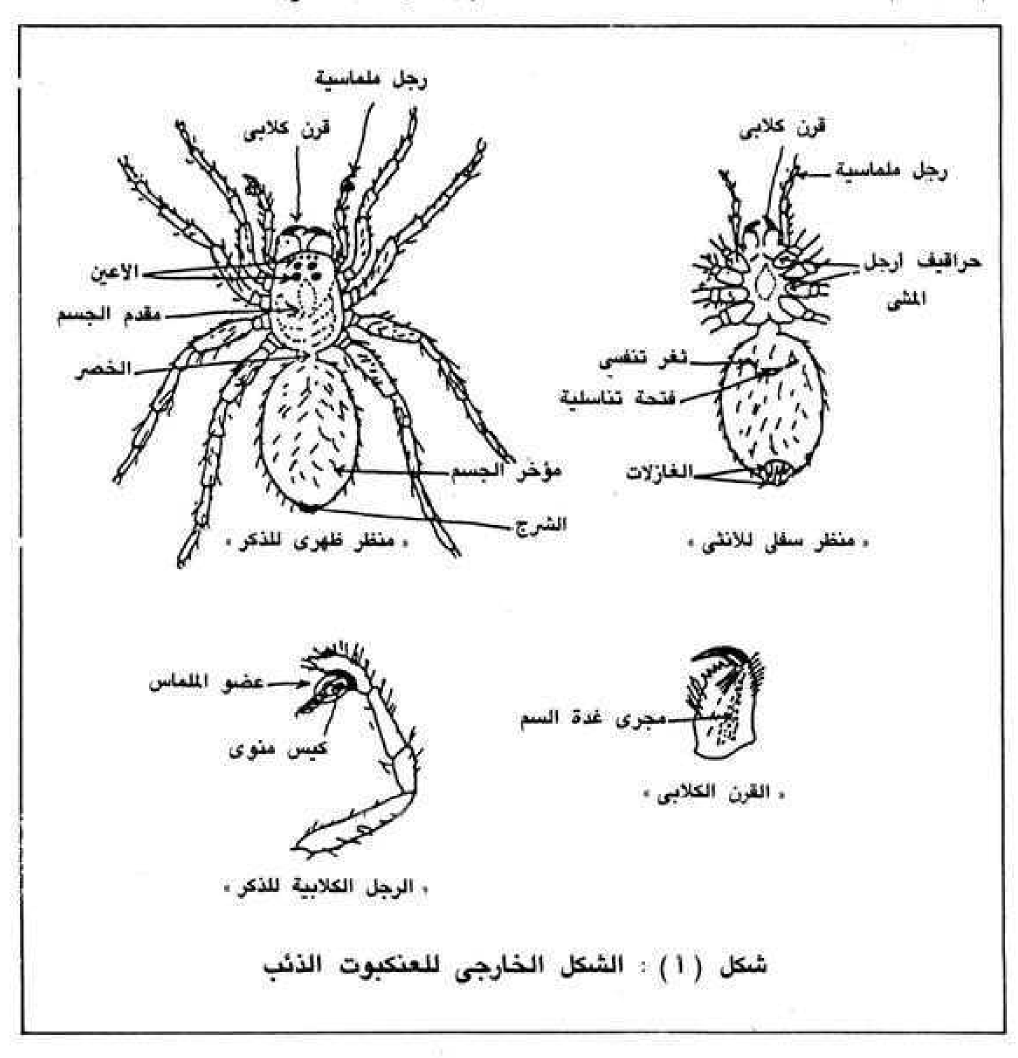
العنكبوت

ذبابة بقربه وثب إليها ، وربما مد خيطا من السقف وعلق نفسه فيه منكسا ، فإذا طار ذباب بقربه رمى بنفسه إليه وأخذه .

ومنها صنف آخر يقال له « الليث » ، وله ست عيون ، فإذا رأى الذبابة لطىء بالأرض ثم وثب ولم تخطىء وثبته ، وهو آفة الذباب .

ومنها صنف يقال له « الراتيلا » ، إذا مشى على الإنسان يموت الإنسان من لعابه ويسمى عقرب الثعبان لأنه يقتل الثعبان .

ومنها صنف دقيق الصنعة ، يهىء نسجه ويصعد بيته ، فإذا وقعت فى مصيدته ذبابة يضرب فيها فيمشى إليها ويمص رطوبتها ، والذباب يطن من الألم إلى أن يموت ، ويحملها إلى خزانته للذخيرة .



شكل (١) : الشكل الخارجي للعنكبوت الذئب

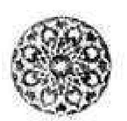
وأما الدميرى « ٧٤٢ ـ ٨٠٨ هـ » فى كتابه « حياة الحيوان الكبرى »[١٥] ، فيلقى الضوء على جوانب أخرى فيقول : العنكبوت دويبة تنسج فى الهواء ، وجمعها عناكب ، والذكر : عنكب ، وكنيته أبو خيثمة وأبو قشعم . والأنثى : أم قشعم . ووزنه : فَعْلَلُوت . وهى قصار الأجل كبار العيون ، للواحد ثمانية أرجل وست عيون ..

ومنها نوع يضرب إلى الحمرة له زغب وله فى رأسه أربع إبر ينهش بها ، ولا ينسج بل يحفر بيته فى الأرض ويخرج فى الليل كسائر الهوام .

ومنها « الرتيلاء » ، ويسمى عقرب الحيات لأنه يقتل الحيات والأفاعى . وقيل إن الرتيلات ستة انواع ، وقيل ثمانية ، وكلها من أصناف العنكبوت . وذكر حذاق الأطباء أن أعظم هذه الأنواع شرا : المصرية .

ومنها نوع له زغب ، وأهل مصر يسمونه « أبا صوفة » .

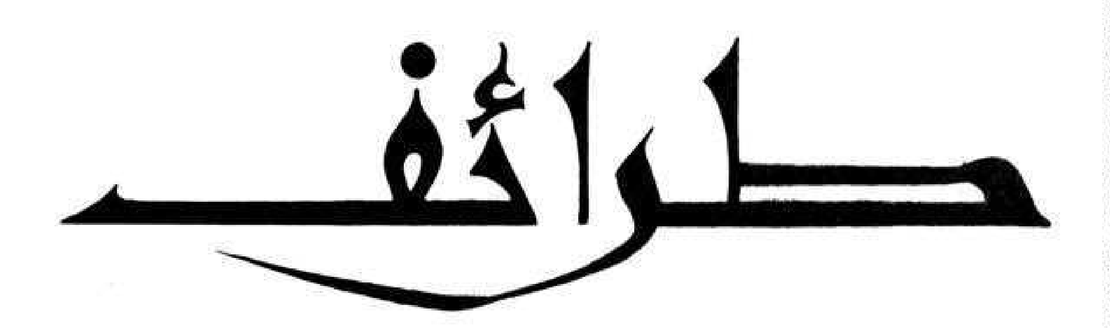
وذكر الدميرى نقلاً عن الجاحظ من سلوك التزاوج فى العناكب أن الذكر إذا أراد الأنثى جذب بعض خيوط نسجها من الوسط فإذا فعل ذلك فعلت الأنثى مثله ، فلا يزالان يتدانيان حتى يتشابكا ، فيصير بطن الذكر قبالة بطن الأنثى . وهذا النوع من العناكب حكيم ، ومن حكمته أنه يمد السدى ثم يعمل اللحمة ويبتدىء من الوسط ويهىء موضعا لما يصيده من مكان آخر كالخزانة ، فإذا وقع شىء فيما نسجه وتحرك ، عمد إليه وشبك عليه حتى يضعفه ، فإذا علم ضعفه ، حمله وذهب به إلى خزانته ، فإذا خرق الصيد من النسج شيئاً عاد إليه ورمه . والذى ينسجه لا يخرجه من جوفه بل من خارج جلده . وفمه مشقوق بالطول . وهذا النوع ينسج بيته دائماً مثلث الشكل ، وتكون سعة بيته بحيث يغيب فيه شخصه . ولم نجد ابن سينا فى الشفاء[١٦] يشير إلى العنكبوت أو نوعه المسمى « راتيلا » على الرغم من إشارة القزوينى إليه . ولقد ورد فى الكتب سالفة الذكر نتف متفرقة من أحكام قتل العنكبوت وفوائده الطبية وحكايات خاصة به وأشعار تشير إليه .



---

(١٥) الدميرى « كمال الدين محمد بن موسى » : حياة الحيوان الكبرى . مكتبة ومطبعة البابى الحلبى بمصر . ط ٥ ، ١٩٧٨ م .

(١٦) ابن سينا « الشيخ الرئيس » الشفاء ـ قسم الطبيعيات ـ الفن الثامن « الحيوان » تحقيق د / عبد الحليم منتصر ، سعيد زايد ، عبد الله إسماعيل ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر بالقاهرة ط ١/ ١٩٧٠ م



« شاهد .. ومشهود »

اخرج ابن عساكر ـ رضى الله عنه ـ بسنده :

أن الحسين بن على ـ رضى الله عنه ـ كان يجلس فى مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ ، ويجتمع الناس حوله ، ويتكلم بما يشفى غليل السائلين ، ويقطع حجج القائلين .

من ذلك ماروى الواحدى فى تفسيره :

أن رَجُلا قال : دخلت مسجد المدينة ؛ فإذا انا برجل يُحَدِّث عن رسول الله ـ ﷺ ـ والناس حوله .

فقلت له : اخبرنى عن شاهد ومشهود ؟

فقال : نعم ، أما الشاهد فيوم الجمعة ، وأما المشهود فيوم النحر .

فجزته إلى غلام كأن وجهه الدينار وهو يُحدث عن رسول الله ـ ﷺ ـ .

فقلت له : اخبرنى عن شاهد ومشهود ؟

فقال : نعم ، أما الشاهد فمحمد ـ ﷺ ـ .

وأما المشهود فيوم القيامة ، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ .

فسألت عن الأول فقالوا : ابن عباس وسألت عن الثانى فقالوا : الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ .

« لن يصلح العطار »

كان لأعرابى امرأة عجوز تقايض على العطور والألوان بالخبز وقوت بيتها الضرورى فقال فيها زوجها :

عجوز ترجو أن تكون فتية
وقد غارت العينان واحدودب الظهر
تدس إلى العطار سلعة أهلها
ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر

« متى ينتظر البلاء ؟ »

إذا ساد القبيلَ فَاسِقُهُم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأُكْرِم الرجل اتقاء شره .

« حقـــا »

يـامنقذ الإنسـان من ظلماتـه
ومنبـه الأذهـان كى تتفهمـا

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

مواقف

ومعلم الخير العباد ومالهم
عهد بأمي يجيء معلما
كانت شعوب الأرض جرحى كلها
من سوء ما اجترحت وكنت المرهما
تالله لا منجى لشعب من أذى
إلا إذا بحصون شرعتك احتمى

« بشرى الصابرين »

مات عبد الله بن مطرف ، فخرج أبوه مطرف على قومه فى ثياب حسنة ، وقد أدهن ، فغضبوا .

وقالوا : يموت عبد الله وتخرج فى مثل هذه مدهنا !!

قال : فأستكين لها !!

وقد وعدنى ربى - تبارك وتعالى - عليها خصالا كل خصلة منها أحب إلىّ من الدنيا كلها ، قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ .

« جودة الخط »

سئل بعض الكتاب عن الخطِّ متى يستحق أن يوصف بالجودة ؟

قال : إذا اعتدلت أقسامه ، وطالت أَلِفُهُ ولَامُه ، واستقامت سطوره وضاهى صعوده حدوره ، وتفتحت عيونه ولم تشتبه راؤه ونُونه ، وأشرف قرطاسه ، وأظلمت أنفاسه ، ولم تختلف أجناسه ، وأسرع إلى العيون تصوره ، وإلى العقول تثمره ، وقدرت فصوله واندمجت أصوله وتناسب دقيقه وجليله ، وخرج من نمط الوراقين وبعد عن تصنع المحدرين وقام لصاحبه مقام النسبة والحلية .

« دعاء »

اللهم اقذف فى قلبى رجاءك ، واقطع رجائى عمن سواك ، حتى لا أرجو أحداً غيرك .

هل كان عند العرب فقه قبل الإسلام ؟

من أوليات عناصر المدنية التماسك الاجتماعى المتمثل فى التكاتف على حفظ كيان المجتمع والتحلل من الانانية والفردية .

والحياة القبلية للعرب قبل الإسلام لا تتوافر فيها هذه البواعث التى تبعث على الخلق والإبتكار والإبداع لأنها لكثرة حروبها وعدم طمانينتها على وجودها صارت وسيلة الدفاع عن النفس لديهم مسيطرة على تفكيرهم وافتقدوا « الفقه » بالمعنى المعروف وكانت لديهم مجموعة من التقاليد والاعراف والقوانين القبلية التى لم تكن فى مجموعها كفيلة بترابط امة وتنظيمها على اعلى مستوى .

قال الأستاذ رحمه الله :

كل من يدرس الحالة الاجتماعية للعرب قبل الإسلام ، يستطيع أن يخرج منها ـ مهما كان متعصباً لهم ، ومتشيعاً لمجدهم ـ بحقائق ملموسة ، وقضايا مسلمة ، لا سبيل إلى إنكارها ، أو المكابرة فيها .

فقد كانوا ينقسمون إلى قسمين : بدو وحضر ، وكان البدو هم الأغلبية الغالبة منهم ، وكان الجهل فيهم فاشياً ، والأمية منهم متمكنة ، حتى ليقول ابن خلدون عنهم فى مقدمته : « وهم أبعد الناس عن العلوم ، لأن العلوم ذات ملكات محتاجة إلى التعليم ، فاندرجت فى جملة الصنائع ، والعرب أبعد الناس عنها ، فصارت العلوم لذلك حضرية ، وبعد العرب عنها ، وعن سوقها » .

وحتى ليروى البلاذرى فى كتابه « فتوح البلدان » أن الإسلام جاء وليس فى قريش إلا سبعة عشر رجلاً ، كلهم يكتب ، وعدّ منهم : عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب . وعثمان بن عفان ، وأبا عبيدة ، وطلحة ،

وغيرهم ؛ وليس في نسائهم إلا بضعة منهن ، كن يكتبن ، مثل حفصة ، وأم كلثوم[1] زوجي النبي صلى الله عليه وسلم ، والشفاء بنت عبد الله العدوية . وإذا كان هذا هو شأن قريش في الأمية ، مع أنها أرقى القبائل في الحجاز ، فما بالك بالقبائل الأخرى .

نعم ، قد وجد إلى جانب ابن خلدون والبلاذرى من يقول عن العرب : إنهم أتم الناس عقولاً وأحلاماً ، وأطلقهم السنة ، وأوفرهم أفهاماً ، وإن ذلك استتبع لهم كل فضيلة ، وأورثهم كل منقبة جليلة[2] . ومن يقول : إن العرب أفضل الأمم ، وحكمتها أشرف الحكم[3] . إلا أن الظاهر مما وصل إلينا من علومهم يدلنا على أن ما كان عندهم من هذه العلوم لا يتجاوز مبادىء أولية ، ومعلومات تجريبية ، لا أثر فيها للأصول الفنية ، ولا للطرق الاصطلاحية ، ولا للبحوث المنظمة ، ولا يصح أن تسمى علماً إلا من باب التسامح والتوسع في العبارة ؛ فإن معظم ما كان عندهم هو معرفة الأنساب والأنواء والأخبار والنجوم والقيافة والعيافة ، ومعرفة شيء من الطب ، مبنية في غالب أمرها ـ كما يقول ابن خلدون وغيره ـ على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص ، متوارثة عن مشايخ الحى وعجائزه ، وليست مبنية على قانون طبيعى ، ولا على موافقة المزاج ، ولم تكن مدونة في كتب أو مؤلفات ، وإنما هي من نوع ما يحسن أهل البادية من طريق التجربة .

وإننا لا نقصد من إيراد هذه الإلمامة الوجيزة عن الحالة العلمية عند العرب قبل الإسلام سوى أن نشير إلى أن ذلك قد استتبع بطبيعة الأمر التأثير فيما يصح أن يسمى « النظام القانوني او التشريعي عند العرب في الجاهلية » ؛ فلم يكن لديهم من هذا النوع شريعة محدودة ، ولا قواعد ثابتة ، ولا طرق منظمة ، ولا حكومة تنفيذية ، تحكم بمقتضى قانون مدون ، أو تسير على أنظمة معروفة ، أو تستطيع أن تنصر المظلوم ، وتردع الظالم ؛ وكل ما كان لهم من هذا القبيل ، إنما هو نوع من النظم والضوابط التي استمدوها من العرف والعادات والتقاليد

←

(١) كذا وليس من زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ من تحمل هذا الاسم ـ رضى الله تعالى عنهن
وبالرجوع إلى اعلام الصحابيات اللواتي ذكرهن الاستيعاب لابن عبد البر جزء ٢ جوامع السير لابن حزم ، السمط الثمين في أمهات المؤمنين للمحب الطبري وابن الاثير في « أسد الغابة » ، وجدنا سبعاً يحملن هذا الاسم ليس فيهن زوجة او خطيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن وجدنا للسيدة أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد زوجها أبى سلمة ـ ابنة تحمل هذا الاسم وكانت ربيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلعل الشبهة جاءت من هنا عند البلاذرى رحمه الله ـ الخطيب .

(٢) الالوسى في بلوغ الارب .

(٣) ابن رشيق في العمدة

واقتبسوها من التجارب والديانات التى كانت منتشرة فى بلاد العرب وقتذاك .

فقد كان الذى يتولى فض منازعاتهم ، ويقوم بالفصل فى خصوماتهم ، شيخ القبيلة الذى كان يراعى فى اختياره كبر السن ، وكثرة التجارب ، والشجاعة ، وسداد الرأى ؛ أو الحكم ، وكان ينتخب فى الغالب ممن عرفوا بالشرف ، والصدق والأمانة ، وأصالة الرأى ، والنزاهة فى الحكم ؛ ولم يكونوا مقيدين فى تحاكمهم إلى شيخ القبيلة أو الحكم بالخضوع لرأيه ، والنزول عند حكمه ، بل كان فى مكنتهم أن يتمردوا على ذلك ، ولا شىء يلحقهم من ورائه إلا غضب القبيلة ، كما كانوا يرفعون منازعاتهم أحياناً إلى الكاهن ، لاعتقادهم أنه يستطيع إظهار الحق ، بوساطة تابع له من الجن يطلعه على كل شىء ، أو إلى العراف ، لاعتقادهم أنه يعرف الأمور عن طريق الفراسة والقرائن .

وقد جاء فى بعض النقول الصحيحة أنهم كانوا يعرفون بعض مناسك الحج ، ويصومون يوم عاشوراء ، ويتحنثون فى رمضان بالصوم ، ويغتسلون من الجنابة ، ويختتنون .

وورد فى بعض المصادر التاريخية ما يفيد أنه قد وجد بمكة قبيل الإسلام شىء من الرقى فى الأنظمة القضائية والحكومية ، بتوزيع عدة من الوظائف بين قبائل قريش ، وبوضع اتفاقات تضمن السلم بينهم ، وذلك كالحجابة والرفادة والسقاية واللواء والندوة والأشناق ، وحلف الفضول[4] وأن المدينة كانت خيراً من مكة فى هذا الرقى النسبى ، لاختلاط العرب فيها باليهود وبالنصارى واقتباسهم الكثير من الأحكام .

وكانت لهم ضوابط مأثورة ، كقولهم فى القصاص : القتل أنفى للقتل ، والدية على العاقلة فى الخطأ . وكقولهم فى التقاضى : البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ؛ وكان عقاب القاتل عندهم ، إما القتل ، أو الدية ، وعقاب السارق قطع يده[5] ، وعقاب القاذف قطع لسانه ، وكانت لهم طرق فى الإثبات ، يعتمدون فيها على القيافة والفراسة والقرعة وشهادة الشهود ؛ وكان من وسائلهم فى ذلك أيضاً القسامة ، فكان إذا وجد قتيل فى مكان ، ولم يعرف قاتله حلف خمسون رجلاً من أهل هذا المكان ـ يختارهم ولى الدم ـ بالله

(٤) الحجابة : تولى حراسة الكعبة وفتح بابها لمن يقصدها .
الرفادة : تقديم الطعام لهم فى مواسم الحج .
السقاية : تقديم الشراب لهم فى مواسم الحج .
اللواء : حق إعلان الحرب ، وحمل رايتها .
الندوة : ما يتشاورون فيها فى مهام الأمور .
الأشناق : ما عهد به إلى أبى بكر فى الجاهلية من الديات والمغارم .
حلف الفضول : ما كان من اجتماع بعض قبائل قريش ، وتحالفهم على الا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد إلا كانوا معه ، حتى يأخذوا له بحقه . ويؤدوا إليه مظلمته من أنفسهم ومن غيرهم .

(٥) لم يثبت أن ذلك عام ـ راجع المحبر لابن حبيب البغدادى ـ الخطيب .

أنهم ما قتلوه ، ولا علموا له من قاتل ، ثم يغرمون الدية .

وكانوا يعرفون نظام الصلح على المال ، ويسمونه الدية ، وكان هذا المال يختلف قلة وكثرة ، تبعاً لاختلاف القتيل ضعة ورفعة ، وتبعاً لاختلاف عادات القبائل وتقاليدها .

وكان الزواج عندهم على أنواع مختلفة ، فكان الرجل منهم يشترك مع عدد من الرجال في امرأة واحدة ، وكان يتخذ من الزوجات ما يشاء دون قيد أو شرط ، وكان من أنكحتهم المعروفة : المقت والمتعة ، والشغار ، والاستبضاع . والأخدان . والبغايا[٦] والجمع بين الأختين ، والنكاح المعروف بأن يخطب الرجل المرأة من وليها ، ثم يصدقها ويتزوجها ، كما حدث في خطبة السيدة خديجة رضي الله عنها لتزويجها من النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان الطلاق شائعاً عندهم ، وكانت ألفاظه مُنَوَّعة ، فكان منها لفظ « الظهار » ، ولفظ « الإيلاء » وغيرهما ، وكان أغلبهم لا يقف في الطلاق عند حد ، فكلما طلق امرأته راجعها قبل انقضاء عدتها ، لأنه إن راجعها بعد انتهاء عدتها ، لا يتزوجها مرة أخرى إلا برضاها .

وكان نظام الإرث عندهم على ثلاثة أنواع :

إرث القرابة ، وهو لا يشمل الأولاد الصغار ، ولا النساء ، وإنما يشمل الرجال القادرين على القتال ، والدفاع عن الحوزة .

وإرث التبني ، وذلك أن يتبنى الشخص ولد غيره ، ويكون لهذا الأجنبي أن يرث الرجل كأولاده من صلبه .

وإرث الحلف والعهد ، وهو أن يقول الرجل للآخر : « دمي دمك ، وهدَمي هدمك ، وترثني وأرثك ، وتطلب بي ، وأطلب بك » ، فإذا تم الاتفاق بينهما ، وتعاهدا على ذلك ، ومات أحدهما ، كان للآخر ما اشترطه .

وكان الربا مألوفاً بينهم ، فكان الأجل إذا حل في الدين ، خَيرِ الدائنُ المدين ، بين الأداء ، وبين تضعيف الدين ، قائلاً له : « أد ، أو أرْب » ، فإذا أدى ما عليه ، برئت ذمته ، وإن عجز عن الأداء ، أمهله سنة أخرى ، وضاعف له الدين .

←

---

(٦) المقت : ان يستحل اكبر اولاد المتوفى زوجة ابيه . فيتزوجها إن اعجبته ، أو يزوجها لمن يشاء بعد قبض مهرها إن كره زواجها . او يعْضُلها عن الزواج حتى تفتدى نفسها بمال .

المتعة : ان يتزوج المراة لمدة معينة بكذا من البدل .

الشغار : أن يزوج الرجل بنته أو أخته او امته على ان يزوجه الآخر ابنته او اخته او امته ولا صداق بينهما فيكون بضع كل منهما مهراً للأخرى .

الاستبضاع : أن يقول الرجل لامراته بعد الطهر من حيضها : ارسلي إلى فلان واستبضعي منه ، ثم يعتزلها حتى تحمل من ذلك الرجل الجديد .

الأخدان : ان يجتمع اقل من عشرة رجال ويدخلوا على المراة الواحدة كُلٌّ يصيبها فإذا حملت دعتهم إليها واسندت الطفل إلى من تحب منهم فلا يستطيع أن يرفض إسناده إليه .

البغايا : هن اللاتي كن ينصبن على ابوابهن الرايات ليعرفهن من يريد الدخول إليهن . وكن إذا وضعن حملهن نادين القافة لتلحق الطفل بأشبه الناس به فإذا أسنده القائف إلى شخص كان عليه ان يعترف به .

كذلك كانت أسباب الملكية عندهم ، لا تعدو القهر والميراث والوصية والهبة ، والتبايع المقترن بالمقامرة والغَرر .

* * *

جاء الإسلام ، فوجد هذه الأحكام على أوضاعها المختلفة ، فأقر البعض ، وعدل البعض ، ونسخ البعض الآخر ، فقد أخرج مسلم والنسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم ، أقر القسامة على ما كانت عليه في الجاهلية ، وقضى بها بين ناس من الأنصار في قتيل ادعوه على يهود خيبر ، وأقر الدية في جوهرها بعد أن هذب قواعدها ، وسوى فيها بين الغني والفقير ، والشريف والوضيع . وعدل أحكام الجاهلية في الحج والزواج والطلاق والمهر والخلع والإيلاء ، ووضع للإرث تشريعاً جديداً ، وأعطى الورثة أنصبة معينة ، وورّث النساء والأولاد ، وبين موانع الإرث ، وألغى نظام التبني المعروف في الجاهلية وحرم الربا ، وألغى البيع بإلقاء الحجر والملامسة والمنابذة ، وهكذا أدخل الإسلام على أحكام الجاهلية من التعديل والإلغاء ما كفل نظام المجتمع ، وأصلح شأن العرب .

* * *

لعلنا بعد هذا البيان الوافي ، نستطيع أن ندلي بالفكرة محررة ، وأن نبدي الرأي سديداً ، ذلك أنه لا يمكن بأية حال أن يطلق اسم « فقه » بمعناه الإسلامي على أي شيء من تلك الضوابط والأنظمة التي كان العرب يتبعونها قبل الإسلام ، في شئونهم ومعاملاتهم وأحوالهم الشخصية والعامة ، لأن الفقه في نظر الإسلام قد خص بالعلم بالأحكام الشرعية المأخوذة من أدلتها التفصيلية المعروفة ، وأنظمة العرب إنما كانت مستمدة من الأعراف والعادات والتقاليد الموجودة بين قبائلهم ، والبعيدة كل البعد عن النصوص والأدلة الإسلامية ، فلا يصح أن تسمى فقها بهذا الاعتبار .

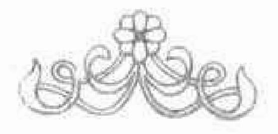
كذلك لا يمكن أن نعتبر مجرد وجود لفظ « فقه » في لغة العرب دليلاً على وجود فقه عندهم ، لأنهم ما كانوا يعنون به إلا المعنى القاموسي الذي هو الفهم ، أما المعنى الفني الاصطلاحي ، فقد يكون من البداهة أنه ما كان يخطر لهم على بال .

وهناك اعتبار ثالث ، لو أننا أخذنا به لكان في مقدورنا أن نقول بوجود فقه عند العرب قبل الإسلام ، وهذا الاعتبار هو أن نريد من الفقه مجموعة النظم والأحكام والقواعد والتشريعات التي تتفق أية جماعة من الجماعات على التزامها ، والرجوع إليها ، والتعامل بمقتضاها ، أيا كان المصدر الذي أخذت منه ، والأصل الذي بنيت عليه ، سواء أكان ذلك راجعاً إلى دين سماوي ، أو تشريع وضعي ، أو تفاق اصطلاحي مبني على العرف والتقاليد والعادات ، أم كان راجعاً إلى غير ذلك .

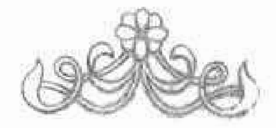
وهذا القدر كان موجوداً عند العرب في الجاهلية ، كما هو موجود في كل جماعة أخرى بالغة ما بلغت من الرقي أو الانحطاط .

اللغة والأدب والنقد

مع لا الناهية في القرآن الكريم



مسئولية الشعراء في الإعلام الإسلامي



مدخل إلى الأدب الإسلامي



مع لا الناهية في القرآن الكريم

٢

٢ ـ لا الناهيــــة : لنهى الكون عن صفة من الصفات وهو أبلغ من النهى عن تلك الصفة لأنه نوع من الإلهاب والتهييج لزيادة الثبات والطمأنينة ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**[١] ﴾ الخطاب للرسول ﷺ وهو فى المعنى لأمته ودل لفظ (الممترين) على وجودهم ، وقيل لكل سامع ونهى للرسول عن أن يكون من الممترين والنهى عن كونه منهم ابلغ من النهى عن نفس الفعل لأن قولك لا تكن ظالماً أبلغ من قولك لا تظلم فهذا نهى عن الالتباس بالظلم وقولك لا تكن ظالماً نهى عن الكون بهذه الصفة ، ولذلك كثر النهى عن الكون والمعنى لا تظلم فى كل أكوانك أى لا يمر بك وقت تكون فيه ظالماً ، وأكد الكون بنون التوكيد مبالغة في النهى . والمعنى لا تكونن من الذين يشكون في الحق لأن ما جاء من الله تعالى لا يمكن أن يقع فيه شك ولا جدال إذ هو الحق المحض الذى لا يمكن أن يلحق فيه ريب . وقيل لا تكونن من الممترين فى أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ولا يريبك جحود أكثرهم وكفرهم . ومثلها قوله تعالى ﴿ **فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ** ﴾[٢] . وقوله : ﴿ **فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾[٣] فالنهى فى اللفظ عن الموت وهو فى المعنى عن غير ذلك أى لا تفارقوا الإسلام حتى تموتوا عليه ، والاستثناء من جميع الأحوال ، أى لا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام ، وقد تضمن هذا

---

(١) سورة البقرة ١٤٧ والأنعام ١١٤ ويونس ٩٤ وآل عمران ٦٠ بلفظ (فلا تكونن) .

الامتراء : التوقف عن الشيء والشك فيه ، وامره اسهل من امر المكذب ، وقال الراغب الامتراء استخراج الراى للشك العارض ، وقال : فلا تكن من الممترين ولم يكن ممتريا ليكون فيه ذم من شك فيما انزل الله . راجع فى ذلك البحر المحيط ١ : ٤٣٦ ـ ٤٣٧ / ٢ : ٤٧٩ / ٤ : ٢٠٩/٥ : ١٩١ .

(٢) سورة هود ١٧ ، ١٠٩ والسجدة ٢٣ بلفظ (فلا تكن) وبكسر ميم (مرية) قرأ الجمهور وهو لغة أهل الحجاز ويضمها قرأ السلمى وأبو رجاء والسدوسى والحسن وهى لغة أسد وتميم . راجع البحر ٥ : ٢٦٥ ، ٧ : ٢٠٥ .

(٣) سورة البقرة ١٣٢ ، آل عمران ١٠٢ بلفظ (ولا تكونن) ، وراجع البحر ١ : ٤٠٠ والعكبرى ١ : ٦٤ ، والكشاف ١ : ٩٥ .



للدكتور عبد العزيز صالح رضوان

الكلام إيجازاً بليغاً ووعظاً وتذكيراً لأن الموت آت لا محالة فعلى الإنسان أن يداوم على الطاعة حتى لا يأتيه الموت إلا وهو عليها .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾(٤) وهذا الخطاب ليس للرسول ﷺ وذلك أنه تعالى قال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فهذا وَعْدٌ كلى أنه لا يقع في الوجود إلا ما شاء الله ـ أيها السامع ـ الذى لا يعلم أن ما وقع في الوجود بمشيئة الله فلا تكونن ـ أيها السامع ـ من الجاهلين بأن ما شاء الله ايقاعه واقع . ومثله قوله ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٥) . والحق أنه نهى عن مُوَالَاة المشركين . وقيل الخطاب لرسول الله ﷺ لفظاً والمراد أمته وهو الظاهر لقوله تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ والعصمة تنافى مكان الشرك ومنه قوله ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾(٦) لأنه بعد أمره بالذكر أكد ذلك بالنهى عن أن يكون من الغافلين أى التزم الذكر ولا تغفل طرفة عين ومعلوم أنه ﷺ تستحيل عليه الغفلة لعصمته فالخطاب له عليه الصلاة والسلام والمراد أمته وقوله : ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴾(٧) فهذا نهى والنهى عن الشىء لا يدل على تلبس المنهى عنه .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾(٨) لايشق على نفسك مكرهم لأنه لاحق بهم لابك فالله يعصمك منهم ، وأجاز الزمخشرى أن يكون التقدير : فى أمر ضيق من مكرهم . ومثله قوله : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ ﴾(٩) لا معينا لهم على ماهم فيه من الكفر . ومن ذلك قوله تعالى ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾(١٠) . أمرهم بإيفاء الكيل وهو الواجب ونهاهم عن الإخسار وهو التطفيف ، ولم يذكر الزيادة على الواجب ، لأن النفوس قد تشح بذلك فمن فعله فقد

←

---

(٤) سورة الأنعام ٣٥ وراجع البحر ٤ : ١١٦ .

(٥) سورة الأنعام ١٤ ويونس ١٠٥ ، والقصص ٨٧ . راجع البحر ٤ : ٨٦ .

(٦) سورة الأعراف ٢٠٥ . وراجع البحر ٤ : ٤٥٣ .

(٧) سورة الحجر ٥٥ .

(٨) سورة النحل ١٢٧ (بلفظ ولاتك) والنمل ٧٠ وقراءة الجمهور (ضَيْق) بفتح الضاد وقراءة ابن كثير (ضِيق) بكسرها ورويت عن نافع وهما مصدران كالقيل والقول عند بعض اللغويين . وقال أبو عبيدة بفتح الضاد مخفف من ضَيِّق بتشديد الياء مثل لين فى لين وعليه جاز تقدير الزمخشرى . وقال أبو على الفارسى الصواب أن يكون الضيق لغة فى المصدر لأنه إن كان مخففا من ضيق لزم أن تقام الصفة مقام الموصوف إذا تخصص الموصوف وليس هذا موضع ذلك . والصفة إنما تقوم مقام الموصوف إذا تخصص الموصوف من نفس الصفة كما تقول رأيت ضاحكا فإنما تخصص بها الإنسان ، ولو قلت رأيت بارداً لم يحسن وضيق لا يخصص الموصوف . البحر ٥ : ٥٥٠ ، ٧ : ٩٤ ، ٩٥ .

(٩) سورة القصص ٨٦ .

(١٠) سورة الشعراء ١٨١ وراجع البحر ٧ : ٣٨ .

أحسن ومن تركه فلا حرج ومنه قوله ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(١١) اىْ اليهود والنصارى كما قال قتادة ، والصحيح أن « المشركين » يشمل كل من أشرك فيدخل فيهم أهل الكتاب وغيرهم .

ومثله قوله تعالى ﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴾(١٢) اى اركب معنا فتنجو ولا تكن مع الكافرين فتهلك ، وإنما ناداه ظنا منه أنه مؤمن ولولا ذلك ما أحب نجاته أو ظنا منه أنه يؤمن إن كان كافراً لما شاهد من الأهوال العظيمة وأنه يقبل الإيمان ويكون قوله اركب معنا كالدلالة على أنه طلب منه الإيمان وتأكد بقوله ولا تكن مع الكافرين اى اركب مع المؤمنين إذ لا يركب إلا مؤمن لقوله (ومن آمن) .

٣ ـ **لا الناهية** : قد يتوجه النهى إلى النبى صلى الله عليه وسلم وليس هو المقصود بالنهى لأنه معصوم عن ملابسة هذه الأفعال وإنما النهى متوجه إليه والمقصود به أمته .

وقد وردت من ذلك آيات كثيرة منها قوله تعالى ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾(١٣) فالخطاب موجه لكل فرد فى الأمة على حدة أو للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ، أو أن النبى صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بما لهم فأكد ماكان عليه وثبت التزامه ونظير هذا النهى فى الأمر ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾(١٤) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . . . ﴾الآية(١٥) ومنها فى النهى قوله تعالى : ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ مَنسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ﴾(١٦) اى اثبت ثباتا لا يطمعون أن يجذبوك ، ومثله ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴾(١٧) وهذا النهى لهم عن المنازعة من باب (لا أرينك ههنا) ومثلها قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ ﴾(١٨) يعنى كفار مكة فإنهم كانوا استمعوا إليه ورغبوا أن يرجع إلى دين آبائهم ويملكونه عليهم ويجمعون له مالا عظيماً فنهاه الله تعالى عن طاعتهم حتى يظهر لهم أنه لا رغبة له فى شىء من ذلك لكن رغبته فى الدعاء إلى الله والإيمان به ، وقوله : ﴿ فَلَا

---

(١١) سورة الروم ٣١ (منيبين) حال .
(١٢) سورة هود ٤٢ .
(١٣) سورة آل عمران ١٩٦ .
(١٤) سورة الفاتحة ٦ .
(١٥) سورة النساء ١٣٦ .
(١٦) سورة الحج ٦٧ ينازعنك بتشديد النون وقرىء بتخفيفها وقرأ أبو مجلز فلايَنْزِعُنَّك بمعنى فلا يقلعنك فيحملونك من دينك إلى أديانهم واتباعهم فى أمر الذبائح التى كانت سببا فى النزول حيث قال الكفار (عجبا لكم تأكلون ماذبحتم وهو من قتلكم ولا تأكلون ماقتل الله) راجع البحر ٦ : ٣٨٥ ـ ٣٨٦ مختصر الشواذ لابن خالويه ٩٦ .
(١٧) سورة القصص ٨٧ .
(١٨) سورة الفرقان ٢ . راجع البحر ٦ : ٥٠٦ .

تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً آخَرَ ﴾[19] ﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[20] ﴿ فَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾[21] ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾[22] ﴿ فَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً آخَرَ ﴾[23] .

٤ ـ **لا الناهية** قد يتوجه النهى بها فى اللفظ إلى شىء ، ويكون المراد منه نهى المخاطب على طريق المجاز من باب ذكر المسبب وإرادة السبب ويتدرج تحت هذا النوع عدة أساليب منها قوله وتعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ﴾[24] ـ ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾[25] ـ ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[26] ـ ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾[27] .

٥ ـ **لا الناهية** أتت فى بعض الآيات والقراءات محتملة أن تكون ناهية باعتبار وأن تكون نافية ، ومع كونها نافية إلا أن النفى مراد به النهى أيضاً . وجاء ذلك فى مواضع كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[28] فقوله « فلا تجعلوا » إن كان فى جواب الأمر « اعبدوا » أو فى جواب الترجى « لعلكم » فالفعل منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد فاء السببية و« لا » تكون نافية مراد بها النهى . وتحتمل أن تكون ناهية ويكون المعنى : هو الذى جعل لكم هذه الآيات العظيمة فلا تجعلوا له أندادا . وتجعلوا بمعنى تُصَيِّرُوا فهو متعد إلى مفعولين . وجملة « وأنتم تعلمون » حال ، ومفعول تعلمون محذوف ، والتقدير : تعلمون بطلان ذلك ، أو

---

(١٩) سورة الشعراء ٢١٣ والخطاب فى الحقيقة لكل سامع لأنه تعالى قد علم أن ذلك لا يمكن أن يكون من الرسول عليه الصلاة والسلام ولذا قال المفسرون (قل يامحمد لمن كفر لا تدع مع الله إلها آخر . راجع الكشاف ٣ : ١٢٩ البحر ٧ : ٤٦ .

(٢٠) سورة القلم ٨ ، البحر ٨ : ٣٠٩ والكشاف ٤ : ١٢٧ .

(٢١) سورة يونس ١٠٦ ، راجع البحر ٥ : ١٩٦ .

(٢٢) سورة إبراهيم ٤٢ والخطاب (لاتحسبن) للسامع الذى يمكن منه حسبان مثل هذا لجهله بصفات الله وليس موجها للرسول عليه الصلاة والسلام لأنه مستحيل ذلك فى حقه .

(٢٣) سورة الإسراء ٣٩ والخطاب فى (لاتجعل) للسامع غير الرسول ، وقال الطبرى وغيره الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد جميع الخلق . راجع البحر ٦ : ٢٢ .

(٢٤) سورة الأعراف ٢٧ ـ لا يستهوينكم ويغلب عليكم وهو نهى فى اللفظ للشيطان والمعنى لا تتبعوا الشيطان فيفتنكم .

(٢٥) سورة الزخرف ٦٢ ـ حذرهم من إغواء الشيطان .

(٢٦) سورة النمل ١٨ .

(٢٧) سورة طه ١٦ .

(٢٨) سورة البقرة ٢١ ـ ٢٢ ـ وراجع الكشاف ١ : ٤٧ العكبرى ١ : ٢٤ والبحر ١ : ٦٩ ـ ١٠٠ والأنداد جمع ند ونديد وهو النظير والمثل .

مع "لا" الناهية

وأنتم من أهل العلم والمعرفة والتوبيخ به أكد وتحتمل تأويلات كثيرة ، ومنه قوله تعالى ﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ﴾[29] تضار فيه عدة قراءات فقد قرىء بالرفع ﴿ تُضَارُّ ﴾[30] على الإخبار فلا نافية مراد بها النهى والصيغة على هذا تحتمل وجهين :

الأول : أن يكون الفعل مبنياً للفاعل وتقديره « تضارِر » بكسر الراء الأولى والمفعول على هذا محذوف تقديره « لا تضارر والدة والدا بسبب ولدها » .

الثانى : أن يكون الفعل مبنيا للمجهول وأدغم لكون الحرفين مثلين ، ورفع لأن لفظة الخبر ومعناه النهى . وهذه القراءة مناسبة لما قبلها فلا نافية .

وقرىء « تُضَارَّ »[31] بفتح الراء على النهى فهو مجزوم ، وحرك بالفتح لالتقاء الساكنين لخفة الفتح لتجانس الألف والفتحة قبلها ، وعلى هذه القراءة يجوز أن يكون الفعل مبنيا للفاعل أو المفعول بناء على ما ورد فى قراءة الرفع .

وقرىء « تُضَارِّ »[32] بكسر الراء فتكون لا ناهية وهو أيضاً محتمل للبناءين ويوضح ذلك أنه قرىء « لا تُضَارِرْ ـ لا تُضَارَرْ » بالجزم وفتح الراء الأولى وكسرها .

وقرأ أبو جعفر (تُضَارْ) بالسكون مع التشديد على نية الوقف .

وقرىء (تُضَارْ)[33] شذوذاً والوجه فيه أن يكون حذف الراء الثانية فراراً من التشديد فى الحرف المكرر ، وجاز الجمع بين الساكنين ـ إما لأنه أجرى الوصل مجرى الوقف أو لأن مادة الألف تجرى مجرى الحركة ثم نوى الوقف وهو من ضاره يضيره .

ومنه قوله تعالى ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[34] نهوا عن أن يولوا الكافرين لِقرابة بينهم أو صداقة تربطهم قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب . وقد تكرر هذا فى القرآن الكريم ويكفى قوله تعالى ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ ورسولَهُ .. ﴾ الآية فالمحبة فى الله والبغض فى الله أصل عظيم من أصول الدين .

ومنه ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ ﴾[35]

---

(٢٩) سورة البقرة ٢٣٣ ـ وراجع فى ذلك الكشاف ١ : ١٤١ العكبرى ١ : ٩٧ البحر ٢ : ٢١٤ ـ ٢١٥ .
(٣٠) وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو ويعقوب وأبان من عاصم .
(٣١) وهذه قراءة باقى السبعة .
(٣٢) وهى قراءة الحسن .
(٣٣) رويت عن الأعرج .
(٣٤) سورة آل عمران ٢٨ (يَتَّخِذْ) قرأ الجمهور بجزم يتخذ فلا ناهية . وقرأ الضبى برفع يتخذ فلا نافية مراد بها النهى ، راجع البحر ٢ : ٤٢٢ العكبرى ١ : ١٣٠ الكشاف ١ : ١٨٣ .
(٣٥) سورة المائدة ١٠٦ وراجع (لا) لنهى المتكلم ص٢ من هذا البحث والبحر ٤ : ٤٤ .

﴿ وَاتَّقُوا فِتنة لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾[٣٦]

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ﴾[٣٧] وهذا نهى بليغ مع تقبيح لأمرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بأَنَفَة وحَمِيَة . ومنه قوله ﴿ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾[٣٨] ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾[٣٩] - ﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾[٤٠] - ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ ﴾[٤١] .

وفى هذه الآية عدة بحوث نفردها بالتحليل :

الوَلِىُّ من هو ؟ : يرى أبو حنيفة وأصحابه اندراج من يرث من الرجال والنساء والصبيان فى الولى على قَدْر مواريثهم لأن الولى عندهم هو الوارث هنا .

←

---

(٣٦) الأنفال ٢٥ .

(٣٧) سورة التوبة ١٢٠ - (ولا يرغبوا) لا ناهية ويرغبوا مجزوم بها ، وقيل نافية ويرغبوا معطوف على (أن يتخلفوا) قال الكرمانى) : وهذا نفى معناه النهى . البحر ٥ : ١١٢ .

(٣٨) سورة يونس ٨٨ .

(٣٩) سورة الأنعام ١٥١ .

(٤٠) سورة يوسف ٦٠ .

(فلا يُسْرِفُ) برفع الفعل وهى قراءة أبى مسلم العجلى مولى صاحب الدولة وهو خبر ومعناه النهى وقد يأتى الأمر والنهى بلفظ الخبر ، نقلها ابن عطية وقال فى القراءة نظر (فلا تسرفوا فى القتل) وهى قراءة أُبىّ والضمير فى (انه كان منصورا) فيه ستة أوجه :

أحدهما : انه عائد على الولى لتناسق الضمائر ونصره إياه بأن أوجب له القصاص فلا يستزاد على ذلك أو نصره بمعونة السلطان وبإظهار المؤمنين على استيفاء الحق .

الثانى : قيل يعود على المقتول نصره الله حيث أوجب القصاص بقتله فى الدنيا ونصره بالثواب فى الآخرة وهو أرجح لأنه المظلوم ولفظة النصر تقارن الظلم .

الثالث : الضمير يعود على القتل .

الرابع : الضمير يعود على الدم .

الخامس : يعود على الحق .

السادس : قال أبو عبيدة : يعود على القاتل لأنه إذا قتل فى الدنيا وخلص بذلك من عذاب الآخرة فقد نصر . وهذا ضعيف بعيد القصد . راجع البحر ٦ : ٣٣ - ٣٤ العكبرى ٢ : ٩١ .

(٤١) سورة الإسراء ٣٣ - ومظلوما حال من الضمير المستتر فى (قتل) وقوله (فلا يُسْرِفْ) قرأ الجمهور بالياء وبالجزم فلا ناهية (فلا تُسْرِفْ) بتاء الخطاب وجزم الفعل وهى نَهى أيضاً وقرأ بها الأخوان وزيد ابن على وحذيفة وابن وثاب والأعمش ومجاهد بخلاف وجماعة ، وفى نسخة لتفسير ابن عطية - وابن عامر . والظاهر أنه على خطاب الولى فالضمير فى (تسرف) له أو المقتص أو المبتدىء بالقتل أى لا تسرف بتعاطى القتل . وقيل التقدير يقال له لا تسرف وقال الطبرى : الخطاب للرسول ﷺ والأئمة بعده أى (فلا تقتلوا غير القاتل)

وقال مالك : ليس للنساء شيء من القصاص وإنما القصاص للرجال .

وعن ابن المسيب والحسن وقتادة والحكم : ليس للنساء شيء من العفو والدم وللسلطان التسلط على القاتل في الاقتصاص منه أو حجة يثبت بها عليه . قاله الزمخشري .

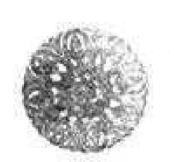
السلطان ما هو ؟ : قال ابن عباس والضحاك : السلطان الحجة والملك الذى جعل إليه من التخيير في قبول الدم أو العفو نقله ابن عطية . وقال قتادة السلطان : القود ، وفي « كتاب التحرير » السلطان : القوة والولاية .

وقال ابن عباس : البينة في طلب القَوَد . وقال الحسن : القَوَد ، وقال مجاهد الحجة . وقال ابن زيد : الولى أى وَالٍ ينصبه في حقه .

والظاهر عود الضمير في (فلا يسرف في القتل) على الولىّ ، وقال أبو عبد الله الرازى السلطنة مجملة يفسرها ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى . . . ﴾ الآية ، ويدل عليه انه مخير بين القصاص والدية ، وقوله عليه الصلاة والسلام يوم الفتح : من قتل قتيلا فأهله بين خيرتين إن أحبوا قتلها وإن احبوا أخذوا الدية[٤٢] فمعنى (فلا يسرف في القتل) لا يقوم على استيفاء القتل ويكتفى بأخذ الدية أو يميل إلى العفو .

الإسراف :

الاسراف المنهى عنه أن يقتل غير القاتل ، قاله ابن عباس والحسن . أو أن يَقْتل اثنين بواحد إلا إذا اجتمع الاثنان على قتله ، قاله ابن جبير . أو أن يقتل أشرفَ من الذى قُتِل . قال ابن زيد : أو يُمَثِّل بالمقتول قاله قتادة . أو يتولى هو قتل القاتل دون السلطان ذكره الزجاج ومعنى (في) السببية فهى بمعنى الباء أى فلا يصير مسرفا بسبب إقدامه على القتل ، ويكون معناه الترغيب في العفو كما قال تعالى : ﴿ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ والظاهر أن النهى ـ والله أعلم ـ عما كانت الجاهلية تفعله من قتل الجماعة بالواحد أو ما يفعله أَخَذَةُ الثأر اليوم من قتل غير القاتل ومكافأة الذى يقتل على قتله والله أعلم . ا . هـ



(٤٢) الحديث وارد في الصحيح ...



للأستاذ/ عاطف شحاته زهران

يعنى الإعلام الإسلامي بتزويد الجماهير بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامي المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأقوال الأئمة الفقهاء والمحدثين بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة بواسطة « قائم بالاتصال » لديه خلفية واسعة ومتعمقة فى موضوع الرسالة التى يتناولها وذلك بغية تكوين رأى عام صائب يعى الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها فى معتقداته وعباداته ومعاملاته ..

ومن هذا المنطلق يمكن للشعراء أن يؤدوا دورا جيداً فى تعميق العقيدة وغرس الأخلاق الكريمة التى دعا إليها الإسلام .

وقبل اكتشاف الوسائل الإعلامية الحديثة حَظَا الشعر بمنزلة عالية بين وسائل الإعلام الأخرى وحتى بعد اختراع أجهزة البث الصوتى والمرئى وتقدم الطباعة لم يتنح الشعر عن منزلته كثيرا إذ تفرد هذه القنوات مساحات للشعراء ليعبروا إلى جمهور أوسع من خلالها فالشاعر كما يقول الرافعى : « يبدع أمة كاملة .. إن لم يخلقها فإنما يخلق افكارها الجميلة وحكمتها الخالدة وآدابها العالية وسياستها الموفقة »[1]

وحين ذم الله الشعراء استثنى من بينهم طائفة هم :

﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُواْ الله كَثِيراً وَانْتَصَرُواْ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾[2]

فمادام هناك شعراء فسق ينشرون الضلال ويشيعون الباطل ، فلابد من ألسنة حق تدفع باطلهم وتدحض أضاليلهم وتشيع فى الناس روح الايمان والسكينة والحق ، وتذكر الناس بما هم عنه لاهون وتشحذ عزائمهم لمواجهة الخطوب . فالقرآن حارب الأغراض القبيحة التى خاض فيها الشعراء ولم يحارب الشعر جملة وَقَبله من ذوى الإيمان والعمل الصالح ،

(١) مصطفى صادق الرافعى ، وحى القلم جـ ٢ ص ٢٥٣ .
(٢) الشعراء ٢٢٧ .

ممن غلب عليهم ذكر الله ، ثم وظفوا أشعارهم لنصرة الظالمين والدفاع عن الحنيفية السمحاء ، ونأوا بأنفسهم عن الخوض في الباطل الذين يقول فيهم الزمخشري :

« إذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه ، والحكمة والموعظة الحسنة ، ومدح الرسول - ﷺ - والصحابة وصلحاء الأمة وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بمنقصة ، وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم »(٣)

تأثير الشعر في النفوس

لقد سمع الرسول - ﷺ - الشعر من بعض قائليه واستجاد بعضه واستزاد منه ، وكان في أصحابه شعراء كحسان وكعب بن مالك وغيرهما - رضي الله عنهما .

وكان الإمام أحمد يحفظ شيئاً منه ، وسمعه أصحابه ينشده وقال له أحدهم : ياأبا عبد الله هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار أي شيء تقول فيها ؟ فقال : مثل أي شيء ؟

قال : يقولون :(٤)

إذا ما قال لي ربي
أما استحييت تعصيني !
وتخفي الذنب من خلقي
وبالعصيان تأتيني ؟!

فقال : أعد علي فأعدت عليه ، فقام ودخل بيته ورد الباب ، فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يقول :

إذا ما قال لي ربي
أما استحييت تعصيني

وهذا رجل آخر تأثر ببيت من الشعر فَرَوَّعَهُ وَأَقَضَّ مضجعه وغير مسار حياته ، وانتقل - بفضل الله وهدايته - من الضلالة إلى الهدى .

« قال محمد بن مسروق البغدادي : خرجت ليلة في أيام جهالتي وأنا نشوان وكنت أغني هذا البيت :

بطور سيناء كرم ما مررت به
الا تعجبت ممن يشرب الماء

فسمعت قائلا يقول :

وفي جهنم ماء ما تجرعه خلق
وأبقى له في الجوف أمعاء

فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة »(٥)

ونظم كثير من الأئمة والفقهاء الشعر وتأثروا به وأثروا في تلامذتهم وهذه مقولات الشافعي - رضي الله عنه - تتردد على كثير من الألسنة لما لها من وقع على النفوس .

ويرجع تأثر الناس بالشعر لما فطروا عليه من حب للجمال .

« والشعر جمال كله ، وبإمكانه أن يزيد الحق والصواب نضرة وزهاء ورونقا ووضوحا أو أن يخفي ما يشين صفحة الباطل والخطأ

(٣) تفسير الكشاف جـ ٢ ص ٤٤١ .
(٤) ابن الجوزي تلبيس إبليس ص ٢١٨ .
(٥) إحياء علوم الدين للغزالي جـ ٢ ص ٢٠٩ .

والوهم من خروق ونتوء واعوجاج فينطلى عيبه بالتزويق »[٦]

الشعراء ومسئوليتهم

يصل صوت الشاعر إلى المتلقين من خلال الأغراض العديدة التى يصب فيها أفكاره بما فيها من حلو ومر وسمين وغث ولقد ترددت - أحيانا - أشعار كلها غواية وأهواء وتزيين باطل وشهوات ، وذلك يحتم على الشعراء الإسلاميين أن ينهضوا برسالتهم ليصلوا ما بينهم وبين آبائهم فى عصور الإسلام الزاهرة .

« وما يزال الدور الرئيسى للشعر فى الإعلام الإسلامى يدعو الشعراء إلى صب مضامين الثقافة الإسلامية فى قصائدهم ومسرحياتهم وكافة أعمالهم الشعرية ، وتلك مسئوليتهم المعاصرة والمتصلة[٧] » فقد نظر الشعراء المسلمون إلى انفسهم كأصحاب رسالة إعلامية تهدف إلى تعميق الثقافة والقيم الإسلامية بين المسلمين والتأثير عليهم على نحو ما تفعله أجهزة الإعلام فى عصرنا الحاضر .

ومازلنا نتناقل ما قالوه ونستشهد به فى المواقف المختلفة .

والشاعر المسلم يعيش فى كيان متكامل - هو المجتمع الإسلامى كله - لا ينفصل عنه ، يعايش أفراحه وأتراحه ، وعليه أن يكون الصوت المترجم عنه والناصح بما ينبغى أن يكون ، غير ساكت ولا متخلف عن أداء دوره المرتقب والمأمول وهو لا ينسى ولا ينبغى أن ينسى ذلك وهو كما ينطق بالحكمة والموعظة والنصيحة خالصة لله فى عباده - يتحدث بآمال الأمة وآلامها .

« فالأدب الإسلامى - والشعر من أهم فنونه - يجب أن يستوعب الحياة بكل ما فيها ويتناول شتى قضاياها ومظاهرها ومشاكلها وفق التصور الإسلامى الصحيح لهذه الحياة ، ولا يزيف حقيقة أو يخلق وهما فاسدا أو يحابى ضلالا أو يزين نفاقا

نبض الأمة

إن الظروف التى تمر بها الأمة تفرض على الشعراء أن يقولوا كلمتهم ، ويحملوا أسلحتهم ..

الكلمة المؤثرة المدوية يطلقونها تصبح أغنيات ينشدها المجاهد فى ساحات الوغى ، والعامل أمام الاته ، والمعلم فى تلامذته والواعظ فى مسجده والفلاح فى حقله فتقوى عزائمهم وتلهب مشاعرهم وتدفعهم لعمل ما فيه خير الأمة وتقدمها .

وفى هذه الظروف علت أصوات أثيمة تدعو الأمة إلى كل غريب عنها فكان الشعراء الإسلاميون من أقوى الناس إحساسا بالمأساة ، وأعلاهم صوتا لتصوير واقع الأمة أملا فى التغلب على التحديات التى تواجهها ، شغلتهم قضايا الأمة فصوروا مشاعرهم نحوها وقدموا لنا الصورة منظومة بحس مرهف وقلوب تقطر دما ولم لا ؟ وهم نبض الأمة .

←

---

(٦) د . محمود عمارة . الخطابة فى موكب الدعوة ص ٧٩ .

(٧) د . محمد سيد محمد . المسئولية الإعلامية فى الإسلام ص ١٤٧ .

ونختار هنا مثالين يدلان على ما يمكن أن يقوم به الشاعر المسلم من دور فى خدمة الأمة وابراز قضاياها .

المقال الأول عن المجاعات فى أفريقيا ، والثانى عن مأساة المجاهدين الأفغان .

الجفاف فى أفريقيا

شغلتنا الأنباء العالمية والمحلية بالمجاعات والتصحر فى أفريقيا وتجاوب الشعراء فصوروا عمق المأساة .

من هؤلاء الشاعر (محمد بن بدى) الذى أطلق قصيدته (الجفاف فى أفريقيا) فى صورة صادقة فقال :

فى قعر فيفاء لا ماء ولا شجر
ولا غذاء ولا إبل ولا غنم
أنى نظرت فأكوام .. مبعثرة
كأن عادا هنا أو هاهنا إرم
شلو بقايا وعيدان مكسرة
تنعى النبات وموج الرمل يلتطم

المأساة الأفغانية

اهتز المسلمون جميعا للمأساة الأفغانية ولم يكن بوسع الشعراء المسلمين السكوت عنها فأطلقوا قرائحهم حاثين على الاباء والإقبال بالنفس والنفيس لحماية عزة الأوطان فسجلوا صور المعاناة التى يعيشها الأفغان مجاهدين ولاجئين ، ونقلوا بقصائدهم الناس جميعا إلى هناك حيث الجوع والتشريد والإبادة الوحشية .

وهذه « رسالة من طفل أفغانى » يعبر فيها عن خواطره وتساؤلاته المرة الموجهة لأبيه ولكل مسلم ، وينظمها الشاعر (عبد الرحمن العشماوى) وتبدأ تلك التساؤلات الحرى :[10]

نُسْبَى ونُطْرَدُ ياأبى ونُبَادُ
فإلى متى يتطاول الأوغاد ؟
وإلى متى تُدْمِى الجراحُ قلوبَنا
وإلى متى تتقرح الأكباد ؟
نصحو على عزف الرصاص كأننا
زرع وغارات العدو حصاد
ونبيت يجلدنا الشتاء بسوطه
جلدا فما يغشى العيونَ رقاد

ومازال الشعراء يقولون ويترجمون عن مشاعرهم تجاه آمال الأمة وآلامها فلن يستطيع الشاعر أن يعزل نفسه عما حوله .. إنه يطلق صيحاته أملا فى أن تجد صدى لدى سامعيها وصدق إقبال إذ يقول :[11]

إذا الشعر فى الكون شب الحياة
وولد فى الناس بعثا وقوة
تسامى وأدى رسالاته
وكان امتدادا لارث النبوة

رعى الله الأمة وهدى ولاتها لما فيه خيرها .. آمين .

---

(٩) مجلة الأمة عدد ذى القعدة ١٤٠٦ هـ ص ٥٩ .

(١٠) المجلة العربية . رمضان ١٤٠٧ هـ ص ٥٦ .

(١١) عن حديث للشاعر عمر بهاء الأميرى لمجلة منار الإسلام عدد جمادى الآخرة ١٤٠٧ هـ ص ١٠٥

لا تكون إلا بقتل فى طاعة ، فوجب حمل أمرهم على مابيناه .

ومما يدل على ذلك ماصح من أخبار على بأن قاتل الزبير فى النار ، وقوله « سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « بشر قاتل ابن صفية بالنار » وإذا كان كذلك فقد ثبت أن طلحة والزبير غير عاصيين بالقتال ، لأنه لو كان كذلك لم يقل النبى ﷺ فى طلحة: شهيد ، ولم يخبر أن قاتل الزبير فى النار ، وكذلك من قعد غير مخطىء فى التأويل ، بل صواب أراهم الله بالاجتهاد[٣] ، وإذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم والبراءة منهم .

وسئل بعضهم عن الدماء التى أريقت فيما بينهم فقال : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » وسئل آخر عنها أيضاً فقال : تلك دماء قد طهر الله منها يدى فلا أخضب بها لسانى - يريد التحرز من الوقوع فى خطأ ، والحكم على بعضهم بما لا يكون مصيبا فيه - ثم قال القرطبى : وقد سئل الحسن البصرى عن قتالهم فقال : قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا ، وعلموا وجهلنا ، واجتمعوا فاتبعنا ، واختلفوا فوقفنا - قال المحاسبى : فنحن نقول كما قال الحسن ، ونعلم أن القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا ، ونتبع ما اجتمعوا عليه ، ونقف عند ما اختلفوا فيه ، ولا نبتدع رأياً منا ، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل ، إذا كانوا غير متهمين فى الدين ، ونسأل الله التوفيق ، انتهى ماقاله القرطبى عن ذويه بتصرف يسير .

(١٠) ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

إنما المؤمنون إخوة فى الدين ، والأخوة فيه أقوى من الأخوة فى النسب ، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين ، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب ، وفى حديث أخرجه الصحيحان يقول النبى ﷺ « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى هاهنا » - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - « بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » صدق رسول الله ﷺ وقد أمر الله فى الآية بالإصلاح بين الأخوين المسلمين إذا تخاصما ، سواء كان فردين أو فريقين ، فالإصلاح بينهما واجب ليسود السلام مجتمع المسلمين .

وقد دلت هذه الآية والتى قبلها على أن البغى لا يزيل اسم الإيمان ، لأن الله قد سماهم إخوة مؤمنين ، مع كونهم باغين أو متقاتلين .

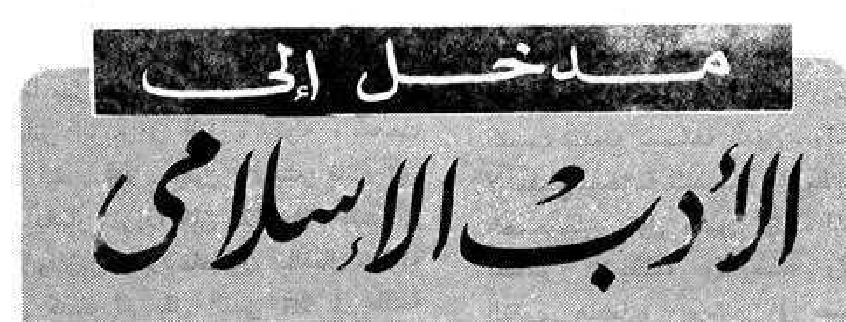
وقد سئل الإمام على رضى الله عنه عمن قاتلوه : أمشركون هم ؟ قال لا - من الشرك فرّوا ، فقيل له أمنافقون هم ؟ قال لا ، لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا ، فقيل له فما حالهم ؟ قال إخواننا بغوا علينا

وقد ختم الله الآية بالحث على وجوب تقواه ابتغاء رحمته فقال :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ والله تعالى أعلم .

---

(٣) يريد أن من قعد عن القتال فلم يكن مع على ولا معاوية ، فهو غير مخطىء لأنه عن اجتهاد .



مدخل إلى الأدب الإسلامي

للدكتور: نجيب الكيلاني

يعتبر هذا الكتاب من سلسلة كتاب الأمة رقم ١٤ مساهمة طيبة في تحقيق الوعي الحضاري والثقافي، ودعوة للمسلم ليتبوأ المكانة التي خصه الله بها، ودعوة لأن تكون الحركة الأدبية الإسلامية حركة جادة في مواجهة وسائل الإعلام التي لا تنتظر أن يسعى إليها الإنسان فأسرعت تسعى إليه وتطارده حتى النوم، ودعوة للتخلص من روح العفوية وتحكم الرؤية الفردية حتى لا تستغرقنا القضايا المحلية وتحول دون مشاركتنا في الأفكار والآداب العالمية؛ فرسالة الإسلام أساساً رسالة عالمية.

ولقد عرض المؤلف عدة نقاط هامة يجب أن يضعها الكاتب الإسلامي نصب عينيه عند شروعه في كتابة الأدب الإسلامي.

أولا: مفهوم الأدب الاسلامي

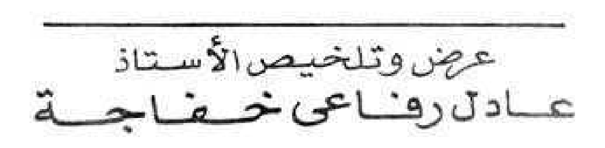
يوضح المؤلف أن البناء النفسي للشعوب الإسلامية، وطبيعة تكوينها ومثلها الدينية هي السياج الواقي الذي يحفظها من شر الأفكار الفاسدة التي تعتبر أن (الإبداع هو الغموض).

فالأدب الإسلامي أدب الوضوح الذي لا يجنح إلى الإبهام المضلل أو اليأس المدمر، فالوضوح هو شاطىء الأمان الذي يأوي إليه الحائرون والتائهون في بيداء الحياة المحرقة.

فالأدب الإسلامي في مفهومه الشامل هو التعبير الفني الجميل المؤثر النابع من نفس مؤمنة وفق الأسس العقائدية للمسلم، وهو أدب باعث على المتعة والمنفعة، محرك للوجدان والفكر محفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط طيب مفيد.

ثانيا: الأدب الاسلامي مصطلح لكل العصور

إن القيم الإسلامية الكبرى تفرض



عرض وتلخيص الأستاذ
عادل رفاعى خفاجة

سلطانها على كل العصور لأنها مرتبطة بمنهج الإسلام .

فالإسلام أعطى هذه الكائنات من روحه ، ودمه والأدب الإسلامى أحد هذه الكائنات ، لذا فعلاقته بالإسلام علاقة عضوية وثيقة لا يمكن فصمها إلا فى عصور الجهل والمحن السياسية والاستعمارية . وذلك يرجع إلى أن الإسلام ليس فلسفة تجريدية ، ولا منهجاً فضولياً يُسمح له بالولوج إلى جهة ويُمنع من الدخول إلى جهة أخرى ، بل هو صيغة متكاملة تغطى جوانب الحياة كلها ، كما أن الإسلام ليس مجرد نظرية تقف فى استعلاء على ربوة منعزلة وتنتظر من يتوسل إليها بالقرابين ، لكنه واقع معاش ، فيه عظمة العصمة الإلهية والاستجابة الصحيحة لواقع الحياة الإنسانية ، وهو منهج إعلامنا فى مواجهة الإعلام الصليبي والشيوعي والماركسي والوجودي المدمر ، وهو سلاح العصر ، وهو أولاً وأخيراً الحامل (لمضمون) العقيدة التى نحيا لها وبها ونستشهد فى سبيلها .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ..

« سورة إبراهيم ٢٤ ، ٢٥ »

فالأدب الإسلامى إذن إفراز طبيعي لمجتمع مسلم والذين يعارضون هذا التصور يهدرون الأصول والوقائع التاريخية ويجعلون الفنون منقطعة الصلة بتربتها وبيئتها وينابيعها الفكرية والدينية .

لذا وجب على الأدباء الإسلاميين أن ينطلقوا نحو غايتهم لتأصيل القيم الجمالية والمضامين الفكرية الأصيلة ، لأن التجربة هى ساحة الامتحان الحقيقي ، والنجاح الحق يفرض وجوده ويفسح للأديب الإسلامى مكاناً لائقاً فى دنيا الكلمة ويجعله شريكاً ـ بل رائداً ـ فى بناء الإنسان والمجتمع الجديد . والأدب الإسلامى وثيق الصلة بمجالات التشريع والسياسة والاقتصاد والتعليم والإعلام وقيام هذا الأدب بمهامه يعتبر أمراً حيوياً لتجنب العثرات ، واستمرار المسيرة والتمهيد لغد أفضل ، وبدون الأدب الإسلامى تكون قد أهملنا سلاحاً فعالاً من أهم أسلحة المعركة .

ثالثا : البطل فى الأدب الاسلامى

البطل فى الآداب الأوروبية بل وفى آداب الشرق التى تقلد وتعيش عالة على التراث العلمى والتكنولوجى والفكرى للغرب ، بطل يائس يتغنى ببأسه ، بطل متمرد رافض ، بطل منطو منعزل ، بطل هارب إلى الحانات ،

←

بطل غارق حتى أذنيه في الوهم بطل بلا قضية .

أما البطل - إسلامياً - فهو القدوة أو النموذج أو المثال الحى ، الذى تتجسد فيه القيم الإسلامية ، هذه ناحية هامة ، لكنها لا تغلق الباب أمام « نماذج » الضعف البشرى ؛ أو البطولة الناقصة التى تحتاج إلى تجربة ومعاناة وهى فى طريقها إلى النمو والاكتمال وهذا دور هام لابد أن يحتفى به الأدب الإسلامى ، والبطل في الأدب الإسلامى ليس حكراً على طبقة اجتماعية دون أخرى فالإسلام مجتمع متجانس ، أساس التفاضل فيه ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

والتقوى ليست صلاة وصوماً وعبادة فحسب ولكنها جهاد في سبيل الله وكفاح من أجل لقمة العيش ودأب على تحصيل العلم ، وبراعة في الصناعة ، وصدق في القول والعمل ... الخ .

إنها ملتقى لكل القيم والمبادىء والآداب التى جاء بها الإسلام الحنيف ، شخصية البطل إذن قد تكون « بلال بن رباح » أو « أبا بكر الصديق » أو « سلمان الفارسى » أو « حمزة بن عبد المطلب » وقد تكون سمية زوجة ياسر أو غيرها من النساء ، إن البطل تجسيد لفكرة يرى الكاتب إبرازها ، لتؤدى دوراً تمتزج فيه المنفعة بالمتعة لدى المتلقى فيتفاعل معها ويتأثر بها ومن ثم تتولد لدى ذلك المتلقى قناعات بعينها ، قد تدفعه إلى إتخاذ موقف ، وهذا التأثير قد ينمو ويتسع أكثر مما فى شخصية البطل ، وهذا راجع إلى عاملين أساسيين هما : -

١ - قدرة الكاتب على الوفاء بمقتضيات الفن والفكر بحيث لايحد من رؤية المتلقى .

٢ - إندماج المتلقى مع العمل الأدبى وتقبله برضا صادق .

ولا شك أن اكتمال هذه الدائرة يحقق الهدف الأسمى للأدب ، والأمر لا يقف عند تصوير الشخصية كما هى (بأسلوب فوتو غرافى) إنه يضيف إلى تلك الشخصية لمسات وظلالا وسمات جديدة . وهكذا نرى أن شخصية البطل كائن حى جديد تكاملت لديه المواصفات والأسباب التى تجعله قادراً على أداء دوره . أما الآداب الغربية فقد استطاعت أن تضفى على الشخصيات المنطوية العليلة المتمردة بطولة وبريقاً ، فأفسدت فكر وأذواق الأجيال لأنها أفسدت معنى البطولة ، ودور الأدب الإسلامى أن يضع الأمور فى حجمها الصحيح وأن ينفى الزيف عن شخصيات البطولة بحيث تصبح عامل بناء لا هدم ، وهذا يعنى العودة بالأدب الإنسانى إلى رسالته الصحيحة .

رابعا : الأدب الاسلامى والالتزام

الالتزام بمعناه الإسلامى الواسع هو « الطاعة » والطاعة الحقيقية قناعة إيمانية وفرح فى قلب المؤمن وسلوك مطابق لحقيقة العقيدة وكل ما يتعلق بها .

الالتزام إذن عمل ، يبدأ بالنية الصادقة والعزم الذى لا يتزعزع ، وينطلق من ممارسات واقعية في مختلف جنبات الحياة

والمؤمن الحقيقي صاحب موقف ، وفي هذا الموقف لا يكون الإنسان وحيداً لكنه يستند فى موقفه إلى رحمة الله وعونه وهدايته .

فالطاعة هى المخرج من صحراء الخوف والآلام والتمزق والضلال ، يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً .. كتاب الله وسنتى » .. صدق رسول الله ..

والالتزام ليس نقيض الحرية بمعناها الأصيل ، فحرية المسلم في هذا الإطار حق القوى والضعيف والحاكم والمحكوم والغنى والفقير والمالك والأجير ﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللهِ الَّذِى آتَاكُمْ ﴾ (النور : ٣٣) .

إن إهدار منهج الله ، إهدار للحرية والأدب الإسلامى وسيلة لحمل هذه المعانى والقيم ، والتبشير بها بين البشر ، يترنم بها فى قصيدة جميلة أو يرويها في قصة او يمزجها فى مسرحية ، والالتزام بذلك جزء من طبيعة هذا الدين وطريقة من طرائقه في التواصل بين الإسلام وبين بنى البشر جميعاً .

و« الالتزام » الذى قدمه الله لبنى البشر تكريماً لهم وحماية لكرامتهم غير « الإلزام » الذي يساق إليه الناس سوقاً بالسياط ، ذلك لأن « الالتزام » ـ بمعناه الواسع ـ هو الطاعة ، والإلزام هو الجحيم الذى صنعته حماقة الإنسان على الأرض .

خامسا : الأدب الاسلامى وعلم الجمال

الفن الصحيح هو الذى يهيء اللقاء الكامل بين الجمال والحق ، فالجمال حقيقة في هذا الكون ، والحق هو ذروة الجمال ، ومن هنا يلتقيان في القمة التى تلتقى عندها كل حقائق الوجود ..

والجمال محرك للفكر كى يجول إلى ما هو أبعد من المظاهر الحسية التى كتب عليها الزوال ؛ فالجمال سبب من أسباب الإيمان وعنصر من عناصره .

إن هناك من يرى أن الدين يبحث عن الحقيقة وأن الفن يبحث عن الجمال ، أليس في الحقيقة التى يقصدها الدين أجمل الجمال ، بل الجمال كله ، ثم ألا يبحث الفن أيضاً فى إبراز الحقيقة ، وإذا كان الأدب أساساً هو التعبير الجميل فإن الفكرة هى عماد العمل الأدبى ولها هى الأخرى جمالها لأن العمل الأدبى كل لا يتجزأ والجمال ينسحب على الشكل والمضمون معاً ، وفى الصدق الفنى جمال ، يقول حسان بن ثابت :

وإن أشعر بيت أنت قائله
بيت يقال إذا أنشدته صدقاً

والإسلام الذى أمر المؤمنين أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد وعلمهم أن الله جميل يحب الجمال ، لم يتنكر يوماً للجمال الذى هو من صنع الله وإبداعه .

سادسا : الأدب الاسلامي والمجتمع

يتوهم البعض أن الأدب الإسلامي يتقوقع في أحضان الماضي وهناك فئة حسنة النية من الكتاب الإسلاميين حسبوا أن الأدب الإسلامي لا يكون بهذه الصفة إلا إذا ترددت كلمة « إسلامي ، إسلام » صراحة في ثناياه ، إن الأدب من خلال التصور الإسلامي يرتبط أشد الارتباط بالمجتمع ، بالإنسان ومشاكله وعلاقاته المتطورة وبطبيعة الحياة التي تخضع دائماً للكثير من المستحدثات وبخاصة في هذا العصر الذي نعيش فيه .

لقد وضع الإسلام المرأة في الإطار الصحيح الذي تسعد به وينعكس على المجتمع بالخير والفلاح ، كما أوضح لها حقوقها المختلفة في الزواج والطلاق والميراث والتعليم وغير ذلك من الأمور ، فما موقف الأدب الإسلامي حيال هذه القضية ؟

الأدب الإسلامي يستطيع أن يتناول المرأة من شتى جوانب حياتها ، بشرط ألا ينزع بالقارىء أو المتلقي منازع الفتنة والإثارة والإغراء بارتكاب الموبقات ، والواقع أن هذا الكلام يبدو مقبولاً في إجماله ، لكن الصعوبة تأتي عند التطبيق ، ومن ثم فهي تتراوح في إمكانية النجاح من كاتب لآخر .

تبقى علاقة الأديب المسلم بمجتمعه :

الحد الفاصل بين الأدب الراقي والأدب التجاري غاية في الدقة ، فالأديب العظيم يستطيع أن يؤثر في مجتمعه وأن يكتسب رضاه دون أن يخضع لإرادة المجتمع . والمسئولية المقدسة في عنق الأديب المسلم تجعله يهدف أول ما يهدف إلى تحقيق السعادة والتوازن النفسي لدى الأفراد والنظر إلى سوءات الحياة الاجتماعية نظرة الطبيب لمريضه ، حيث تقتضي هذه العلاقة الحب والفهم والولوج إلى القلوب لتحقيق الثقة والأمل ومن ثم يتولد الموقف الإيجابي الذي يتحول إلى ممارسة وتغيير للأفضل .

سابعا : الابداع والتربية

نظرت المدارس الفكرية إلى (المبدع) والإبداع من زوايا مختلفة ولا نستطيع أن نخطىء هذه المدرسة أو تلك بصورة كاملة كما لا نستطيع أن نؤيد إحداها تأييداً مطلقاً ، لأن العوامل المؤثرة في الشخصية ـ ومنها شخصية المبدع بالذات ـ شاملة ومتنوعة ، فهناك العوامل الوراثية التي لا يمكن أن نتجاهلها علمياً ، وهناك العوامل المكتسبة من ثقافة وقيم دينية واجتماعية ، وكون القدرات الإبداعية قابلة للتطور لا ينفي المؤثرات الوراثية أو المكتسبة .

والأديب المسلم يعايش عقيدة وفكراً وسلوكاً من نوع خاص ، وهي تؤثر في مكوناته النفسية والعقلية وفي مقدراته الإبداعية . إن صور الحياة الهائجة المائجة المضطربة

تنعكس على فكر المؤمن ونفسه فتحرك عواطفه ووجدانه وتثير فكره ، فيبدع صوراً أدبية جميلة تتسم بالحيوية والصدق ويعصمه استقراره العقائدى من الزيف والانحراف . وعطاء المؤمن الحق حينما يبدع ، ما هو إلا ثمر طيب لشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ومن ثم فإن الأدب الإسلامى وفق هذا التصور يمكن أن ينحو بالتربية المنحى السليم المؤثر ، إن الأدب الإسلامى لا يستسلم لوهم الغرور حينما يعتقد أن الإبداع الفنى أو الأدبى هو الوسيلة المثلى للتربية ، فالتربية الصحيحة تترعرع في ظل القدوة الحسنة أولاً ، وتنمو في إطار الأسرة المسلمة والمدرسة والمسجد ، وما الفن والأدب إلا وسيلة من الوسائل المكملة أو المدعمة لعملية التربية السليمة متى استقام له الطريق وسار فى ركب الدعوة الإلهية التى تنشد السعادة والخير للجميع ، ولا قيمة لإبداع يثير التمزق والتشتت فى الشخصية أو يورثها مزيداً من العلل والاسقام .. فسبحان الله مبدع الكائنات ..

ثامنا : الأدب الاسلامى وعلم النفس

لقد كانت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم عامرة بالتجارب الغنية بالشروح والتوجيهات النفسية العميقة ، واستطاع علماء المسلمين في العصور اللاحقة أن يستخدموا تراث الإسلام وتجارب الأقدمين فى إثراء الدراسة والبحث حول النفس الإنسانية وإن لم يقوموا ببناء هياكل معرفية للنفس على نمط علم النفس الحديث .

ويجب أن نشير إلى أن المفهوم الإسلامى للنفس الإنسانية من خلال القرآن الكريم ونصوص الأحاديث النبوية وأعمال الرسول ﷺ تفى بالغرض فى تحقيق تكامل صحيح للتصور الإسلامى ، ولو واصل العلماء المسلمون سيرتهم لبلغوا درجة عظمى من الفهم فى هذا المجال ولتجنبوا الكثير من التخبطات والمزالق التى وقع فيها « فرويد » وغيره من العلماء المحدثين .

تاسعا : الأخطار التى تهدد الأدب الاسلامى

يمكننا أن نوجز أن أهم الأخطار التى تهدد الأدب الإسلامى هى تلك المذاهب وتلك النظريات التى تفتقد إلى روح الإسلام بل وتسير فى تيار مضاد له وما تحويه من مصطلحات مطاطة لا تورث إلا ضياع اليقين ولا تنتج إلا أدب اليأس والانتحار الذى لا ينطق إلا بخيبة الأمل وإنعدام المعنى في الحياة . وضياع المثل العليا وتضييع الفارق بين الوهم والحقيقة .

عاشرا : مصطلحات جديدة للأدب الاسلامى

لذا وجب علينا أن نبحث عن مصطلحات جديدة لها ارتباط وثيق بتراثنا ، وبالتجارب الأدبية والتاريخية التى مرت بنا وبالعقيدة التى نؤمن بها ، بدلاً من العيش فى ظل المصطلحات الأجنبية المستوردة التى كان لها

←

أعمق الأثر في انحراف مسيرتنا الأدبية الإسلامية .

ولن تتضح ملامح الأدب الإسلامي أو تستكمل إلا بالاهتمام بهذا الجانب الحيوي . جانب المصطلحات الخاصة بأدبنا الإسلامي .

وبعـــد : ـ

فلقد طرح الكتاب تصوراً للأدب الإسلامي وسط زوابع لاتجاهات مختلفة لآداب تنطلق عن مصادر مختلفة ندر منها الكريم الهادف .

ولست أقول إن الكاتب قد وضع الأساس لكل شيء في ميدان الأدب الإسلامي لكنه أنار الطريق ورفع منار الإشارة إليه والإشادة به ، وإنه إزاء ما حقق من جهد ينبغي عليه المزيد لا سيما وكثير من الدارسين المسلمين أنفسهم يستريبون في نجاح هذا المنهج . لكن المؤلف وأمثاله يمكنهم التأصيل والتوضيح أكثر فأكثر حتى لا يبقى في نفس مستريب شيء .

والله نسأل أن يلهمنا رشدنا . إنه نعم المسئول

عادل رفاعي خفاجة

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم - بقية

عسل النحل

عسل النحل غذاء كامل يفيد الجسم ويعطيه الحيوية . وهو إلى جانب ذلك مسكن ، يشفي الإمساك ، ومطهر للجروح وللحروق ، ويحول دون فساد الدم ، ويشفي تضخم الكبد والطحال ، وحالات الصرع والكآبة ، كما يمكن استخدامه بنجاح في علاج أمراض البرد والزكام خصوصا عندما يضاف إليه عصير الليمون . ويشفي السعال ويطرد البلغم . ويفيد في تسمم الحمل ، وعلاج بعض الأورام الخبيثة ، ويحول دون تسوس الأسنان .

لهذا كله فإن من ألوان الإعجاز العلمي في كتاب الله العزيز أن نقرأ فيه قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . ﴾ النحل (٦٨) و(٦٩) .

أي إن في عسل النحل الشفاء من كثير من العلل والأمراض مما كشف عنه العلم في هذا العصر .

ويتركب عسل النحل من قدر كبير من الجلوكوز والليفولون ، وهو أسهل أنواع السكر هضما . ويعطى الجلوكوز عن طريق الفم أو بالحقن للمرضى ، وفي حالات العمليات الجراحية ، ومرض الصفراء . وفي عسل النحل نسب عالية من الفيتامينات .

وللحديث بقية

أنباء وآراء

إعداد : د. أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ : صفوت عبد الجواد

رسالة النبى صلى الله عليه وسلم إلى هرقل

نشرت الصحف الأردنية مؤخراً تقريراً رسمياً عن احتفاظ الملك حسين عاهل الأردن بأصل الرسالة التى وجهها سيدنا محمد ﷺ إلى هرقل عظيم الروم والتى دعا فيها إلى الإسلام وإلى عبادة الله الواحد الأحد مثلما فعل مع بقية الحكام الذين كانوا موجودين فى عهد النبوة .

الملك الحسن يدعو إلى التمسك بتعاليم الإسلام

دعا الملك الحسن الثانى عاهل المغرب أبناء الشعب المغربى إلى التمسك بتعاليم الإسلام والسنة . جاء ذلك بمناسبة الذكرى الخامسة والثلاثين لثورة الملك والشعب فى سنة ١٩٥٣ .

جائزة الحسن الثانى لحفظ القرآن

تقرر تخصيص جائزة لحفظ القرآن الكريم باسم « جائزة الحسن الثانى لحفظ القرآن الكريم » .. تمنح الجائزة للفائز فى المسابقة التى ستقام تحت رعاية الملك الحسن الثانى عاهل المغرب ويشارك فيها متسابقون من مختلف انحاء العالم الإسلامى .

إعداد النشء المسلم

ناقش المؤتمر الإسلامى الحادى والعشرون الذى عقد مؤخراً بالجزائر وشارك فيه عدد كبير من علماء المسلمين من جميع أنحاء العالم الإسلامى ـ عدداً من القضايا منها : كيفية إعداد النشء المسلم والأجيال القادمة من الشباب لبناء المجتمعات والحياة الروحية فى الإسلام .. ومفهوم القرآن والسنة ومجالات الحياة الروحية عبر التاريخ . ومعنى التصوف وتطوره ومفهوم الفكر والتربية الروحية عند علماء التصوف ، ودور الصوفية فى المجتمعات الإسلامية ، واتجاهات الصوفية فى المغرب والحضارة الحديثة .

قبول الحاصلين على دبلوم المعلمين الأزهرى بكلية التربية

● تقرر قبول الطلاب الحاصلين على دبلوم المعلمين الأزهرى بكلية تربية الأزهر عن طريق تنسيق الأزهر بشرط حصول الطالب

←

على ٧٠٪ على الأقل من مجموع الدرجات ويشترط تفرغ الطالب للدراسة أو حصوله على اجازة دراسية إذا كان موظفاً وان يجتاز بنجاح الاختبار الشخصى الذى تجريه الكلية للتأكد من صلاحية الطالب لمهنة التدريس بعد التخرج وتعهد الطالب بالعمل بالتدريس فى المعاهد الأزهرية أو مدارس وزارة التربية والتعليم لمدة خمس سنوات .

صرح بهذا حامد حبيب مدير شئون الطلاب وأضاف إنه بالنسبة للطلاب الحاصلين على شهادة التخصص فى القراءات فسوف يقبلون بكلية الدراسات الإسلامية والعربية .

الحفناوى يحاضر عن الايدز فى بون

● ألقى الدكتور / محمد حسن الحفناوى أستاذ الأمراض التناسلية والجلدية بطب عين شمس محاضرة عن مرض الإيدز فى بون بألمانيا الغربية أمام أعضاء مؤتمر قضايا الطب المعاصر الذى يعقد سنوياً لتبادل الرأى فى إحدى المشاكل الطبية وطرق علاجها ويحضره وفود من مختلف دول العالم .

مؤتمر إسلامى بألمانيا

أوصى المؤتمر السنوى التاسع الذى عقده المسلمون بألمانيا الغربية بأن تقوم الحكومات الإسلامية بتزويد الشباب المسلم بالخارج بالمكتبات الإسلامية والدعاة بخاصة من الأزهر الشريف وكان المؤتمر قد انعقد فى مركز « ميونيخ » بألمانيا بعنوان « الصحوة الإسلامية ، وسائل ترشيدها ودور الشباب » وتناول الحرب العراقية الإيرانية والأزمة اللبنانية والغزو السوفيتى لأفغانستان والقضية الفلسطينية .

مركز للإعلام عن الإسلام

بدأ مواطنان سويديان من المهتمين بشئون الإسلام فى تأسيس مركز للإعلام عن الإسلام يهدف إلى نشر المعلومات العامة الصحيحة عن الدين الإسلامى والشعوب الإسلامية تقاليدَ وثقافةً وحضارة . وذلك بعد أن لاحظا أن وسائل الإعلام الأوربية والسويدية على وجه الخصوص تعالج الموضوعات المتعلقة بشئون الإسلام بشكل غير موضوعى ويحتوى على كثير من المغالطات بشكل متعمد ، أو لنقص المعلومات الصحيحة . ويقف خلف هذه المبادرة أحد المتخصصين فى شئون الإسلام وهو الدكتور « جان سامو يلسون » الذى حصل على « الدكتوراه » فى شئون الدين الإسلامى ، والثانية هى السيدة « أوسا برانلوند » التى تعمل فى دائرة الهجرة فى السويد حيث تتصل خلال عملها بالعديد من الجاليات الإسلامية ويقول الدكتور « سامو يلسون » إن هدف المركز هو نشر المعلومات عن الإسلام عن طريق الندوات والمحاضرات والبحوث الموجهة إلى كافة المواطنين فى السويد وبخاصة فى الشركات والمؤسسات والمدارس . وناشد الدكتور سامو يلسون الدول الإسلامية تزويد المركز الناشىء بالنشرات والصور والأفلام .

مجلة الأزهر :

يصل حسن النية بكثير من المسلمين إلى تصديق هذه الأنباء، ويستبشرون بها خيراً حيث لا خير وراءها، وما قامت هذه المؤسسات يوما لخدمة الإسلام ، ولا لتقديم المعلومات الصحيحة عنه ، وعادة ما يكون خلفها عديد من المؤسسات المُوجِّهة التى تتصل بفئات معروفة فى البلاد العربية تعتضد بها وتثير بها الشبه والنزعات الإقليمية والأمانى الخبيثة ، فهى مؤسسات متهمة حتى تثبت براءتها ، وليس العكس ، ولئن صدقت حماسة هذين للإسلام فما يمنعهما أن يسلما، الخطيب .

جائزة عالمية لمصرى فى الكيمياء

● منحت أكاديمية العالم الثالث للعلوم بإيطاليا الدكتور / سعد محمد حسن الأستاذ بكلية العلوم بجامعة عين شمس جائزة أحسن عالم كيمياء على مستوى دول العالم الثالث تبلغ قيمة الجائزة عشرة آلاف دولار و« ميدالية » . والأكاديمية تقدم أربع جوائز كل عام لأحسن عالم فى مجال الطبيعة والرياضيات والبيولوجى والكيمياء .

مركز إسلامى بسويسرا

أعلنت رابطة العالم الإسلامى مؤخراً عن افتتاح مركز إسلامى فى مدينة لوزان « بسويسرا يضم قاعة كبيرة لأداء الصلاة ، ومدرسة لتعليم الأطفال المسلمين اللغة العربية ، وتعاليم الدين الإسلامى وإقامة الصلاة .

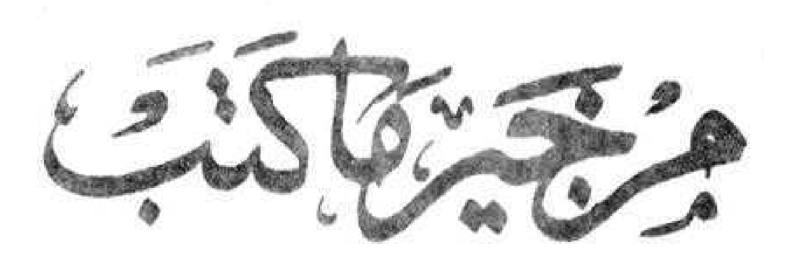
ومن المقرر أن يسعى المسلمون فى « لوزان » إلى توفير ميزانية المركز من خلال التبرعات التى سيقدمها المسلمون هناك .

ليتنا سكتنا .. ليتنا لم نُكَذِّبْ

تقرير « هيئة مدققى الحسابات بالجماعة الأوربية » اذاعت لندن فى نشرتى الخامسة والسادسة مساء « ١٠ » المحرم سنة ١٤٠٨ قالت :

تعرضت اللجنة الأوربية للمساعدات الغذائية من أجل « تخفيف المجاعة وسوء التغذية » بالدول النامية لانتقادات فى تقرير أعدته « هيئة تدقيق الحسابات بالجماعة الأوربية » وجاء فى التقرير الذى نقلت عنه صحيفة « التايمز » الصادرة فى لندن اليوم ١٩٨٧/٩/٣ أن مجموعة من الكوارث قد عملت على عرقلة البرنامج وجاء فى التقرير أن اغذية ملوثة وعاطبة أرسلت إلى دول كما وقعت حالات احتيال وتأخير لفترات طويلة .

وقد تأخرت إمدادات طارئة من الغلال إلى « مورشيوس » عقب وقوع أعاصير هناك لأكثر من عام واكتشف أن شحنة من زيوت الطعام المرسلة إلى تونس كانت تحتوى على آثار لمواد « البروكسايد » و« الغائط » . ومن بين اثنتين وعشرين دولة زارتها هيئة مدققى الحسابات تلقت اربع عشرة دولة شحنات من نوعيات سيئة .



الدكتور : أحمد عمر هاشم

صيانة المسلم لشخصيته من الشبهات

إن واجب المسلم أن يصون شخصيته من الشبهات وأن يصون حياته عن مظان السوء ، لئلا يتسرب الشك إلى سمعته ، وليس لأحد أن ينظر إلى سلوكه بمنظاره الذاتى الأبيض فيرى أنه فوق الشكوك والشبهات ، فها هو ذا رسول الله - ﷺ - وهو النبى المعصوم - حين جاءت زوجه صفية بنت حيى تزوره حين اعتكافه ثم قامت فقام معها يودعها فمر بهما رجلان من الأنصار ورأياه واقفا معها ، فقال : على رسلكما إنها صفية بنت حيى ، فقالا : سبحان الله يارسول الله : وهل نظن بك إلا خيراً .

فقال : « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، وقد خشيت أن يقذف فى قلوبكما شراً ...» .

وليس البعد عن الشبهات مقصوراً على أمر الرجل مع المرأة فحسب وإنما يشمل الأمور الأخرى التى تكون فيها ريبة . كما جاء فى الحديث : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » .

الدكتور / عبد الحليم عويس

« التليفزيون » والتحديات الحضارية المستقبلية

لقد تقدم هذا الجهاز الخطير على كل وسائل الإعلام ، ولم تعد الصحافة بإزائه (صاحبة الجلالة) كما كان يقال عنها ، وعن طريق الأقمار الصناعية استطاع « التليفزيون » أن يكون عالمياً ، وفي القريب العاجل سوف يتيسر البث المباشر من المحطات الأرضية دون الاستعانة بالأقمار الصناعية بحيث تعبر الذبذبات (الكهرومغناطيسية) المحيطات والقفار متسللة إلى بيوتنا من حيث لا نحتسب ، ولربما تحقق البث من مكان مجهول الهوية كشكل من أشكال الإذاعات السرية . وفى ضوء هذا الخطر العالمى لابد أن نتحرك كأمة للدفاع عن قيمنا وعقيدتنا إذا ما أردنا أن نبقى أمة متميزة في هذا العالم الذي أصبح كقرية صغيرة لا يسودها الهدوء بقدر ما تتطاحن فيها الأفكار والتصورات . ومما يزيد الأمر خطورة وجود كثير من البلاد العربية قرب أماكن ذات ثقافات وحضارات مضادة محاربة . ولنا أن نتوقع أن يستفيد أعداء الإسلام من هذه المواقع بإرسال موجات موجهة أو على الأقل تقوية محطات الإرسال .

عرض : الأستاذ
عبد الفتاح السيد عبد السلام

الدكتور فاروق عبد السلام

النصر فى الإسلام

النصر فى الإسلام من الله أولاً وأخيراً ، ونصر المسلم بالذات رهن بطاعته لله سبحانه وتعالى وهزيمته رهن بمعصيته لله سبحانه وتعالى ، وهذه من الأساسيات والبدهيات فى دين الله ، ومع ذلك يجادل فيها البعض ويحوطها نفر من الناس بالتدليس ، فأصحاب التيار العلمانى يقولون بأن الهزيمة والنصر لا علاقة لهما بطاعة الله أو عصيانه سبحانه وتعالى وأن أهم عوامل النصر فى اعتقادهم هى إنجازات العلم والعلوم العسكرية الحديثة ، والحقيقة أن الله يحاسب المسلم ويربيه بعدله الإلهى فلا ينصره إذا عصاه وخرج على شرعه ، ولا بد للمهزوم من منتصر عليه ، ولأن المنتصر على المسلم فى هذه الحالة غير مسلم ومتفوق اليوم علمياً ، يقولون : إن العامل الوحيد للنصر هو التفوق العلمى وليس الطاعة ، ولا يقولون : إن سبب هزيمة المسلم عدم الطاعة حتى ولو كان هو المتفوق علمياً . فانظر كيف يكون التلبيس وسوء التخريج .

الدكتور / عبد الناصر توفيق العطار

أهمية الصناعة فى الإسلام

صلاح المسلمين اليوم فى صحوتين : صحوة فكرية إسلامية ، لا تقف عند التمسك بالمظاهر والشكليات ، وإنما تدرس دينها بعمق وبرفق ، وتدعو إلى سبيل ربها بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتواجه معارضيها بالحجة والبرهان .

وصحوة صناعية تأخذ بكل ما اكتشف من سنن الله فى الكون وبما وصل إليه العلم من مخترعات ، لتستغل مواردها أفضل استغلال ، وتعد ما استطاعت من قوة تحفظ به كيانها وترهب به عدو الله وعدوها .

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن للصناعة أهميتها الكبرى للحفاظ على الدين والدولة فقال سبحانه : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

« الآية ٢٥ من سورة الحديد »

فالله عز وجل أيد رسله بالمعجزات ، وأنزل معهم ما يقوم به الدين والدولة ، فأنزل الكتاب تبيانا للدين ، ومكن أتباعهم من الحكم فى الأرض لتقوم دولة العدل ، وأنزل الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، فعلى هذا الحديد تقوم الصناعات الحربية لحماية الدين والدولة ، وتقوم الصناعات السلمية لعمارة الأرض . فمن جاهد من المؤمنين لإقامة الدين والدولة على هذا النحو ، فهو من المجاهدين الذين ينصرون الله ورسله بالغيب ، أى ينصرون دينه ولا يكذبون رسالات رسله ، والله عز وجل قوى فى أخذه ، وهو سبحانه عزيز أى منيع لا يغلبه أحد .

فهـــرس العـــدد

Witness. This is a focal concept of matrimony in Islamic understanding which is neglected and overlooked by many Muslims; and completely unrealized nor understood by non-Muslims. The call is addressed to all mankind to be dutiful to Allah, practice devout submission and belief. The Holy Quran states.

> "O mankind ! reverence your Guardian Lord who created you from a single soul, created of like nature his mate, and from them twain scattered like seeds countless men and women. Reverence Allah through Whom ye demand your mutual rights and reverence the wombs that bore you. Verily, Allah ever watches over you"
> (Surat Al-Nisaa, IV, 1)

The Islamic provisions of marriage apply equally to both female and male partners; while the responsibility of financial support is a duty of the male partner. Certain requirements are encouraged to ensure permanence of marriage. Such requirements are suitable age, suitable social and economic status, free consent with no familial or socital pressures, honourable intentions, unselfish guardianship, judicious discretion and general compatibility. Both partners in matrimony must have the real intentions to maitain a strong binding relationship, which should be free from the causal and temporary responsibilities. Islamic jurisdiction forbids all marriages of transient or temporary nature, such as trial marriages, or term marriages. The most vital aspect of matrimony in Islamic thought is the concept of the Divine Witness, this is directly related to the seriousness of intention from the very start, and the triumph of faith induced performance on the part of the both wife and husband throughout their life.

The stability of marriage is achieved by the realistic honest understanding of our purpose in life, we must shun chauvinism and adhere to unselfishness. We must be honest, realistic, spiritually clean, and responsible. We must develop and educate ourseleves how to understand, maintain and perform an orderly justified controled purified sexuality. We must commit ourseleves to religious criteria with exactness of true honest intentions. Life is too precious to waste, it is the pace-maker of human salvation. Let us not fall into the dark abyss of dehumanization of our supreme species.

ordinances of Allah. It is the most wholesome completely integrated, highly confined human intimacy and relationship which is authorized and supervised by Allah. Marriage is a sign of Allah's blessing and bountiful mercy as is clearly stated in the Holy Quran.

> "And among His signs is this, that He created for you mates from among yourselves, that ye may dwell in tranquility with them. And He has put love and mercy between your hearts. Verily in that are signs for those who reflect".
> (Surat Al-Rum, XXX, 21)

The verses in the Holy Quran dealing with the legislative side of marriage are not dry theoretical stipulations that fail implementation; they are the most justified applicable codes for a refined optimized system that is designed to meet the wholesome requirements of itimate human relationship in marriage. It is an institution of reciprocal responsibilities and also rights, with total personal individual freedom of personality, liberation of body and soul, and fulfillment of purpose. It is a unique human relationship between woman and man that nourishes and propagates the energy of life of mankind in the highest order of moral exhortation and virtueous energizing practice for the continuity of the human race.

When Muslim negotiate a marriage contract, they should have every intention to make it the root of unity and family structure, and permanent solid relationship of harmony between both partners and between each partner and Allah. This will entail mutual compromises, expectations of rights, commitment to obligations and devoteness. These are decreed by the doctrines of the religion which through the spirit of faith, piety, honour and sanctimony, become highly respected dedications . It is the strong bond of the highest order, the challenge to life, to human functions, to the society, and to the dignified survival of the human race. It is a union of a highly optimized responsible devotion. All these values and purposes of marriage with all their trajectories take up special meaning and assume greater dimensions of objective when they relate and become associated with the understanding that Allah supervenes as Divine

→

the life and death of mankind. Faith is the balm of the mind, the panacea of the heart, the nourisher of the soul, and the sole arbitrator of human conduct and behaviour. The whole spectrum of life, of death and after death of mankind is totally centered and justified in association with the belief and worship of the Divine Reality. With this recognition, all functions of one's life must be directly related, originating and optimized to conform with the doctrines of faith and belief. Matrimony with all that it entails is among the most important and vital of these functions.

Throughout history, religion has been misunderstood and abused as means of exploitation, suppression, prejudice and persecution. Religion has been utilized as a source of power, domination; and a tool for human debasement, with the result that religion itself has suffered. Most certainly, religious doctrines never dictate that; and that mankind has failed to gear with the right approach of understanding of religious teachings. There are several religious creeds each claiming superiority and authenticity of truth. Each is supposed to have come from God for the right guidance and virtue of mankind. The real root and purpose of faith and religious belief is to weld mankind into one universal order of fraternity and love under the belief in One Universal God.

In Islamic thought, the wholesome issue of matrimony from its very beginning to its very end is an embodiment that is totally centered around and oriented directly to one's belief in Allah. In Islam, marriage as a human institution is not defined in terms of physical attraction, everlasting bodily glamour and copulation, material benefits, social grading, or secular contracitng. It is a very solomn, highly respected and orgnaized relationship, sanctioned and consecrated by religion, embracing within its dimensions the propagation of purity, virtue and stability in the structure of the human society, peace, mercy, profound love, spiritual elevation and magnanimity. In Islamic thought, marriage is essentially considered a contract to which Allah Himself is the First Witness and also First Party. It originates in the Name of Allah, it is sanctioned in the Name of Allah, and in full obedience, submission, and compliance with the

biological norms; the whole structural and psychological build up will become stagnant, disintegrated and depleted of its purpose.

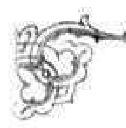
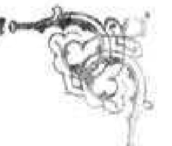
The institution of matrimany integrating within its confines reciprocal passions of tolerance and understanding, respect and fidelity; maternity and nurturing; selective and self commanded objective sexuality, intimacy, chastity and religious sanctification, is firmly bound to our deepest sources of energy of life, emotion, psychological stability and individual identity of purpose. Human relationships interacting with the multifaceted mechanisms of marriage are the driving force and inherent motivation of life; and the healthy confident sexuality is the cohessive impulse. The very basic character and behaviour of woman and man will be deeply affected at the very roots by how matrimonial life is conceptualized, managed, refined, expressed and propagated. When matrimony is denounced, devalued, dishonoured, perverted, purposely rendered unproductive and childless; the whole quality of human life declines, and our social fabric lattice deteriorates, and the future posterity will come into a void of barren life and nothingness to be lost in the shreds of psychological obsessions with repugnant revolt and discontent to all values and beliefs. The unique mental faculty and rationalization endowed to mankind will be muffled and stupified.

The whole issue of marriage as a human organization cannot be examined only in terms of economy, physiology, social psychology, and sexuality. The philosophy of marriage as a vital human requirement must be conceptualized by cognitive intelligent honesty and unselfishness, and must embrace and encompass with realism and rational acceptance the true essentials and fundamentals of the natural inborn instincts and proclivities of both woman and man. It must be coherent with both the spiritual and carnal constitution of mankind in order to maintain the delicate equilibrium of stability and to conform with values and virtues. The spiritual education of mankind is through religous beliefs and intellectual elevation and wisdom. The need for religous understanding, for faith and for the utilization of profound qualities of religious teachings and doctrines is of paramount necessity to

→

faculty, and capacity for rationalization; should understand and recognise the real purpose of sexuality, and should maintain its reality in hunour, value, respect, organization and meticulous discipline. Sexuality in the life of mankind should be highly optimized, selective and justified; it should be an intimate confident, highly respected sanctioned and sanctified relationship. It is the inherent energy for the continuity of human life which should be maintained very organized, legitimized and with distinguished chastity.

In contemporary times, the whole institution of matrimony is collapsing and losing its original concepts and purpose. Matrimony today does not stand for procreative love, family structure, and anabolic constructive organization embracing mutual compassion, religous soleminization, sexual refinement, chastity, and social order. It is instead being blatantly denounced and described as an unnecessary repressive commitment. This subversive attitude has developed into a contagious stereotype frame of mind and disposition that afflicted the more affluent western societies; and the virulence of defilement is championed by other communities. The mass culture and media are deliberately affirming the new ideas of disorder, celebrate women who denounce matrimony and family life, contemplate means to legalise perverted sexual fantasies and administering amenities to indulge in pornography and cheap disorderly uncontrolled lewd sex practices. The whole design objecive of sexuality in the human species is becoming utterly disrupted, defiled and depleted of its most fundamental values and projections in life. These pathologically malignant practices are encouraged as a release and liberation from what is misinterpreted as the unnecessary repressive commitment of matrimony and orderly family constitution. Such societies are destroying the cultural preconditions and nutrient media for profound love, family unity, maternity, nurturing and stable absorbing passionately resposive sexuality. Such cultural essentials are the bonds of a healthy community, the prerequisites of personal identity and fulfillment, the tranquility and durable reliability of the emotional and psychic pool in which the progeny of mankind can find preserved secuity. Without devoted sincere matrimony, maternity, confident and selected sexual stability, chastity of relationship, acceptance with pride and dignity of our

MATRIMONY IN ISLAM

By :
Saad Moustafa Moustafa M . D .

The real genuine concepts and purpose of matrimony are very poorly understood at present times and certianly more so in the more affluent, materialistic and industrialised communities. Human societies which deviate from the honest practice of religious teachings suffer the brunt of failing matrimonies and distortions of family life. The discussion presented in the present treatise aims essentially to orient and reinstate the rationality of mankind to achieve and fulfill the prupose of his creation. The orderly and healthy propagation of the human race through matrimony and family constitution is a vital process.

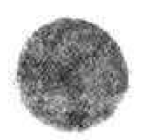
The institution of matrimony has long been established and organised in the history of mankind. It is a commitment to life itself, to society, and to the dignified meaningful survival of the human race. The married partners should achieve in the marriage commitment a state of mutual fulfillment, self realization, passionate love, mental peace, compassion and unselfishness. The capacity and function of each partner is very different, yet by necessity very complementary and reciprocal. The biological differences of female and male and the resulting natural sexual'ty involved in marriage is certainly not the ultimat achievement in that relationship. Sex differentiation and sexuality is created in biological species including mankind for the prime single reason of propagation and survival of the species. Mankind as the highest, most honoured, most complex, most organized and most gifted in lieu of his unique mental




←

Qaswaa, and she remained his favourite camel. Abd-Allah and Asmaa returned to Macca, and the party started on their long journey to Yathrib. At the end of twelve days, they arrived at the dwellings of Bani Amer at Quba at the outskirts of the city of Yathrib. From then on Yathrib became known as the "City of Light" Al-Madina Al-Munawara.

The prestige, honour and distinction, the standing dignity and prominent eminence of status, which Abu Bakre had attributed by his compansionship to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) on the journey of Hijrah were certainly qualities that Abu Bakre deserved to the fullest. Abu Bakre was referred to in the Holy Revelation as one of the two in the cave. The companionship of Abu Bakre with the Prophet during the process of the Hijrah came about by Divine selection. This is an indication of the acclaimed notability of Abu Bakre among the compansions, and the esteem and love the Prophet holds for the man.



Thawr. Abu Bakre had instructed Amir ibn Fuhayrah the shepherd whom Abu Bakre had bought as a slave and then set free; to follow with the flock of sheep to cover up the tracks of the camels. When they reached the cave, Abu Bakre sent his son Abd-Allah home with the camels, telling him to listen to what was being said in Macca and bring them word of it. Amir ibn Fuhayrah was to pasture the sheep as usual during the day and to come to the cave at night to supply them with milk and to cover up the tracks of Abd Allah. All this very meticulous and precise planning and strategy was arranged by Abu Bakre. With depth of wisdom, inherent foresight, and the enlightment of faith and piety; Abu Bakre organised a master plan for the secret departure of the Prophet from Macca with Abu Bakre as the only compansion on that long perilous route of the historical Hijrah from Macca to Yathrib (Al-Madinah).

The following night, Abd Allah came to the cave with his sister Asmaa, who brought food. The news was that Quraysh had offered a reward of a hundred camels to anyone who could find Muhammad and Abu Bakre, for it was assumed that Abu Bakre was with the Prophet, since he also had disappeared. On the third day, the silence of their mountain sanctuary was broken by the sound of men's voices approaching the mountain side to reach the cave. The Prophet looked at Abu Bakre and said "Grieve not, for verily Allah is with us. What thinkest thou of two when Allah is their third". The men stood at the opening of the cave and decided in agreement that no one could have possibly entered the cave. At the cave opening a spider had woven its web and a pair of rock doves were nesting in silence over an acacia tree. These things had not been there that morning.

At the expected time, Abd Allah and his sister Asmaa came, and also Amir ibn Fuhayrah without the the flock of sheep, accompanied by a Bedouin to whom Abu Bakre had entrusted the two camels he had chosen as mounts for their journey. The Bedouin guide Abd Allah ibn Urayqit was not a believer, but could be trusted to keep their secret. Abu Bakre took Amir behind him on his mount, the Bedouin guide mounted his own camel, and the Prophet mounted the better camel which Abu Bakre had offered as a gift, but for which the Prophet insisted to pay its price; the occasion was a solemn one, it was the Prophet's Hijrah. The camel's name was

→

←

with the Prophet, hearing the Holy Revelation, understanding it, and spreading the words of Allah to people at large inspite of the grave consequences. He offered to the cause of Islam, in money, time, energy, sincerity and resolution all he could afford. He optimized his efforts by approaching the more lenient members of Quraysh in order to alleviate the oppressive tyrany imposed on the Muslim community in Macca by the move militant groups of Quraysh.

The call to the faith of Allah had spread among the people with greater intensity as time went on. Some members of the tribes of Aws and Khazraj from Yathrib (Al-Madinah) adopted Islam and gave their allegiance to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and committed themseleves to his protection and suppport of the new faith. The Prophet ordered his companions to emigrate to Yathrib and live among friends and brothers in Islam. Abu Bakre went to meet the Prophet and to seek permission to go to Yathrib; the Prophet answered "Do not be in a hurry, perhaps Allah may provide you with a companion". The conspiracy of Quraysh to kill the Porphet was revealed to him by Gibriel "the Archangel", and told him of the Divine instructions. The Prophet went straight to the house of Abu Bakre with the information that Allah has ordered him to emigrate to Yathrib. Abu Bakre was exalted and thrilled to be the companion of the Prophet on route of the Hijrah both men made their plans. The Prophet returned to his house and instructed Ali ibn Abi Taleb to stay behind in Macca to give back to their owners all the goods, valuables, and money which had been deposited by people of Quraysh in the possession of Muhammad for safe keeping; the Prophet had never ceased to be known as Al-Amin even among the disbelievers of Quraysh. He also told Ali of the conspiracy arranged by Quraysh, and both men agreed that Ali would occupy the Prophet's bed for that night. The Prophet entrusted to safety by the grace of Allah, left his house, passed through the midst of those who were there to kill him. Allah enshrouded them so that they could not see him as he walked away. The Prophet went to the house of Abu Bakre who had very carefully planned their immediate departure.

Two camels were saddled and ready, the Prophet mounted one, and Abu Bakre and his son Abd-Allah mounted the other. they made for a cave in Mount

was far stronger and everlasting than any. Abu Bakre publicly relinquished the protection of Ibn Al-Dughunnah and was again subjected to the distressing oppression of Quraysh.

The life of Abu Bakre with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was one of continuous unfailing support and honest belief. The incidence of the "Night Journey" to Jerusalim, and "Ascension" was real proof of such support. When the Prophet went to the Kabaa and related the events of the "Night Journey", he became the target of mockery and ridicule. Every child of Quraysh knew that a caravan takes a month to go from Macca to Jerusalim and a month to return; and now Muhammad claimed to have gone there and back in one night. A group of men from Quraysh went to Abu Bakre to tell him of the unbelievable claim of his friend "The Prophet". When Abu Bakre was assured that the Prophet was publicly relating the incident, he said "If so he says, then it is true, he tells me that tidings come to him in Revelation from Heavens to earth in any moment of the day or night, and I know him to be speaking truth; how can I disbelieve him in a less important matter". The affirmation in the words of Abu Bakre reflect his deep-seated belief and indelible faith; it also restituted the belief of those Muslims who for a moment found it difficult to believe the story of the "Night Journey". When the Prophet was alone with Abu Bakre and others of the companions, he told them of the "Ascension" through the Seven Heavens, telling them only part of what he had seen, the rest to be recounted later over the years as knowledge and wisdom of the secrets of life, death and the Hereafter.

Abu Bakre spent the major part of his time in the close company of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him); the minor part was occupied in attending to his trade with the skill and knowledge of the experienced expert. He continued his dynamism with agility and perseverance to help the distressed Muslims, and to summon his friends to embrace the new faith; and believe that there is no god but Allah, and that Muhammad was the Messenger of Allah, and the bearer of the Holy Revelation. The pagans of Quraysh intensified their oppression of Muslims; the Prophet and the close companions including Abu Bakre were gruesomely intimidated and badly harassed. With patience and indurance, Abu Bakre remained in Macca

wealth to relieve the oppressed from atrocious despotism, and free them into liberty to understand and embrace the faith of Islam - a faith in which he so very firmly believed, and with honest devotion was an instrument of its propagation.

Abu Bakre remained in Macca with the Prophet at the time when the leaders of Quraysh were escalating their fierce oppression against the small Muslim community. It was becoming difficult for those who had no official protection. After Abu Bakre accepted and declared his Islam, his influence with the pagans of Quraysh decreased to nothing and was aggravated by his being responsible for the many conversions. Because of that and his zeal to support the Muslim faith, he suffered part of the grave distress as did the Prophet and other Muslims. The time came when he felt he had no alternative but to emigrate and join the Muslims in Ethiopia. Having obtained permission of the Prophet, he set out, but before reaching the coast of the Red Sea, he was met by Ibn Al-Dughunnah, the chief of a group of confenderate tribes not far from Macca, allies of Quraysh. This chief had known Abu Bakre well in the days of affluence and influence; now Abu Bakre had the appearance of a wondering hermit. When questioned, Abu Bakre explained to Ibn Al=Dughunnah that he was ill-treated and driven out by his people; and that he will seek to travel over the face of the earth to worship God in freedom of will. Ibn Al-Dughnnah offered to protect Abu Bakre, took him back to Macca, and at the Kaaba declared to the leaders of Quraysh that Abu Bakre was in his protection, and that no body should approach him except with good intentions. Days passed and Abu Bakre was left unmolested; he was in the habit of offering his prayers and reciting the Quran in his deep voice in a place near his house. In the true piety of his character, tears rolled down his cheeks, and a large number of children, Mawalis, and women stood behind him in prayer to listn to him. The pagans of Quraysh would not accept that to continue, being afraid of the influence of the Quran and Abu Bakre on those who heard him. They appealed to Ibn Al-Dughunnah to ask Abu Bakre to pray and make his recitations of the Quran in his house. When confronted with that, he felt that his freedom of faith and worship was controlled. He realized that the protection of Ibn Al-Dughunnah or any other person was not fitting to his status of faith, belief and piety and that the protection of God

ABU BAKRE AL -SIDDIQ

HIS LIFE WITH THE PROPHET

PART I

By :

Dr . Anas Moustafa El -Naggar M . D ., Ph . D

Abu Bakre lived commited in total dedication to his faith with complete deep seated understanding of the theistic philosphy of Islamic thought and the Divine splendor that the Holy Revelation brings forth for the atonement and restitution of mankind. With such belief, Abu Bakre instituted a very coherent and intimate friendship with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), a friendship that was based on complete belief in the Holy Revelation and in the Prophet as Messenger of Allah. Through this resolute self-determined belief, Abu Bakre gained the cognomen "Al-Siddiq". Through this conviction, he conducted himself and his whole life in the service of his belief.

In full support to the cause of Islam, Abu Bakre was very dynamic in soliciting his friends from Quraysh and urging them to embrace the new faith. He was indelibe to defend the helpless Muslims from the physical torture, horrors of affliction imposed upon them by their masters from Quraysh. For that justification, he spent considerable amounts of money to free the captives from the blind derisive injustice in the bonds of slavery inflicted upon them by the pagans of Quraysh. For that purpose, Abu Bakre spent what approximates to about thirty five thousand Dirhams. He freed seven Mawalis (wards of tribes) and slaves from captivity whom he bought with his own money. Among them were Bilal ibn Rabah, the "Muazin" of the Prophet, Zanira, the blind woman from Syria, Al-Nahdiya and Amir ibn Fuhayrah. Abu Bakre spent his

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 60 Part II

Safar, 1408 Hijrah

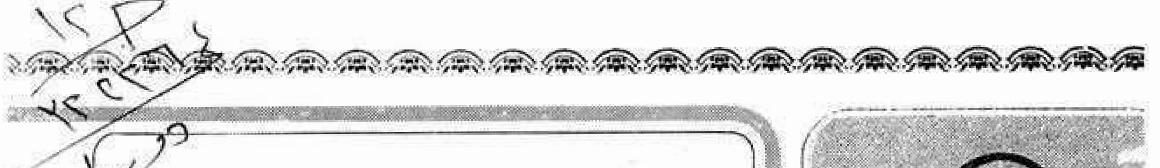
CONTENTS

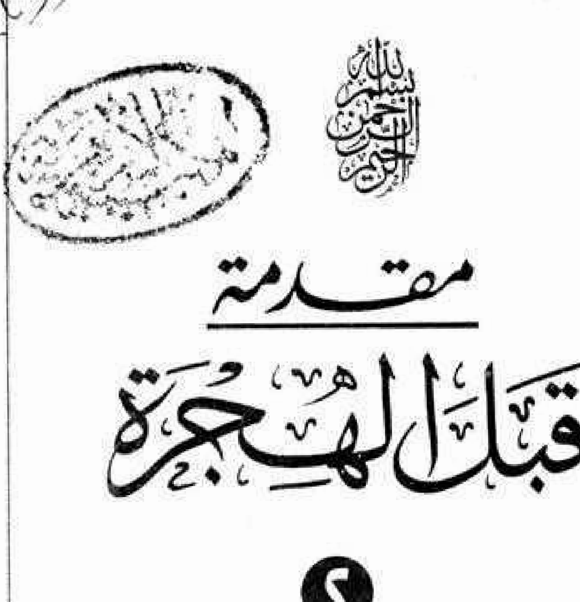
Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION





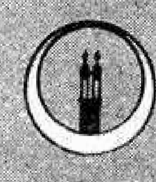
مقدمة
قبل الهجرة
٢

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه .

في مقالنا - بمُفتَتَح العام الهجرى - قدمنا دراسة عن « الحِلْفِ » وتناولناه سياسة داخلية وخارجية للقبيلة ، ولمسنا تفاعله - إيجابا وسلبا - مع رسول الله - ﷺ - ورأينا كيف تناوله - عليه الصلاة والسلام - على أعلى مستوى من قمة السياسة حتى انفصل به - في قوة منيعة - تحمى المسلمين بالمدينة ، فَعَلَ ذلك .وهو محاط بأعدائه مما يشهد له - عليه الصلاة والسلام - بتفوق منقطع النظير .

وكان - مع ما استجمع من القوة - على سياسة عادلة منصفة تُسالم قريشا ما سالمت قريش ، فإن لج بها شيطان الهوى فعلى نفسها جَنَتْ .

←



الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥١٦

* الجزء الثالث *
* السنة الستون *
* ربيع اول ١٤٠٨ هـ *
* نوفمبر ١٩٨٧ *

ولنعرض لسياسة « الجوار » !

وهى أحد عناصر السياسة التى صاحبت الدعوة فى مكة إلى قبيل هجرته ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكانت عماداً للدين وحَنَقاً على المشركين زادهم سخطا بما غَلَّ من أيديهم عن رسول الله ـ ﷺ ـ والكثير من صحابته رضوان الله عليهم .

و « الجوار » : عهد يلتزم به أحد طرفين غير متكافئين من حيث القوة والمَنَعَة ـ بحماية الطرف الآخر .

إنه « تَعَهُّدُ » الطرف الأقوى بكل ما له من نفوذ وسلطان ببسط الحماية والأمن على الطرف المستجير فيمنع عنه الأذى وأسبابه .

وبدهيا أنه لا يقوم ضد طرف ثالث أقوى من المجير فالمجير لا يجير على من هو أقوى منه

وفى اللسان :

« جَاوَرَ بنى فلان ، وجاور فيهم مجاورة وجِواراً : تَحَرَّم بجوارهم » .

أى صار ذا حرمة فلا يصل إليه مُعتدٍ ، وفيه ـ أيضاً :

« واستجاره : سأله أن يُجيره » « والجار : الذى أجرتَهُ من أن يظلمه أحد » .

ويطلق « الجار » على « المُجير » و « المستجير » قال :

« والجار الجُنُب : ألا يكون له مناسبا(1) فيجئ إليه ، ويسأله أن يُجيره ، أى يمنعه ، فينزل معه ،(2) فهذا الجار الجُنُب له حرمة نزوله فى جواره وَمَنَعَتِهِ وركونه إلى أمانه وعهده »

● ● ●

و « المجير » أو « الطرف الأقوى » يمكن أن يكون فرداً يجير فرداً مثله ، من نفس القبيلة أو من خارجها .

ويمكن أن يكون « جماعة » تجير فرداً ، أو تجير جماعة ، أو « قبيلة » تجير قبيلة .

ونلاحظ فيه أمرين يفصلان بينه وبين « الحِلْف » :

فهو « تعهد » يلتزم فيه الأقوى بالحماية للطرف الآخر ، فلا أَيْمَانَ فيه من كلا الطرفين ، هذا أوّلا .

ثم عدم استواء الطرفين ـ فيه ـ من حيث التكافؤ ثانيا .

● ● ●

ولسنا نشك فى أن ميراث القرون لتلك السياسة جعلت للجوار « إلزامات » يرعاها الطرفان :

فأخبار الأدب الجاهلى تؤكد على وجوب التزام الطرفين بصيانة كل منهما لحرمة الآخر ،

---

(1) يعنى : لا تناسب بينهما فى القوة والمنعة ، فأحدهما أقوى من الآخر ، فالضعيف هو الجار الجنب .. الخطيب

(2) أى يقيم .

وبخاصة « نسائه » ؛ فمن الفتنة العاصفة أن يمارس واحدُ من شباب القبيلة المستجيرة غزلا أو مداعبة لامرأة أو فتاة من القبيلة المُجِيرة .

كذلك على « المستجير » أن يحترم تقاليد القبيلة التى أجارته فلا يسخر من مقدساتها ، وعليه أن يكون أمينا عليها فلا يعين عليها عدوا ، أو يتدخل فى شئونها فيما لا ترضاه ، أو يعرضها لمشاكل ـ وهى المضيفة ـ فى غنى عنها .

هذا الجوار هو ـ باختصار ـ ما نسميه ـ بلغة العصر : « اللجوء السياسى » وهو يعطى حق « الإقامة » و « الحماية » مادام قائما ، فإن رَفَعَ « المُجِير » أو رَدَّ « المستجير » هذا الجوار انتهى كل حق فيه .

وأقوى ما يكون « الجوار » إذا صدر من « سيد العشيرة » فإنه إذا أجار أحدا لم يَخْفِرُوه[3] .

وفى حدود ما بين يدىّ من مراجع لم أجد « جواراً » صدر لحماية « خليع » ، أعنى به « الرجل يجنى الجنايات يُؤخذ بها أولياؤه فيتبرءون منه ومن جناياته ويقولون[4]: « إنا خلعنا فلانا فلا نأخذ أحداً بجناية تُجْنَى عليه ، ولا نُؤَاخَذُ بجنايته التى يجنيها »[5] .

وهذا الخلع إذاً هو عين « إسقاط الجنسية » عن مواطن بلغة العصر ؛ فكما لا يتمتع الفرد بعدها بأى حق قبل الدولة ، فكذلك الخلع لا يتمتع بعده الفرد بحقٍ ما قبل القبيلة ؛ فإن الخلع إذا صدر من أولياء الرجل ، وهم خاصته ، فإن براءة القبيلة منه أولى .

●●●

وأخبار الجوار ـ فى الجاهلية ـ كثيرة ، تَعِي منها مصادرُنا ما امتد إلى عصر امرىء القيس الملك الضليل :

فقد أجارتْ خُماعَةُ بنت عوف بن مُحَلِّم الشيبانى مردان بن زنباع العبسى[6] .

وأجار المُعَلَّى الطائى ـ أَحَدُ بنى تيم ـ من جديلة ـ امرأ القيس وَوَفَى بجواره فمدحه بقوله :

كأنِّيَ إذْ نَزَلْتُ على المعلى نزلتُ على الشوامخ من شمام
أقر حَشَى امرىء القيس بن حجر بنوتيم مصابيح الظلام[7]

وأجار عُصَيْمَةُ بن خالد بن سنان المنقرى بنى عامر بن صعصعة وتحدى ـ من أجلهم ـ النعمان بن المنذر وثبت له فانصرف عنهم ، ثم كساهم عصيمة وبَلَّغهم مأمنهم ، وقال

(٣) أى لم تنقض له القبيلة عهداً ، بل تلزم نفسها بحماية المستجير .
(٤) إعلانا يقصد به أن يعرفه العرب أجمعون .
(٥) راجع عدد المحرم ١٤٠٨ ص ٨ حاشية ٢٥ .
(٦) راجع لابن حبيب البغدادى ـ المحبر ص ٣٤٩ ط . دار الآفاق الجديدة .
(٧) نفس المرجع ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

منعنا من النعمان سادةَ عامرٍ بأسيافنا فى الموقف المتهيَّب[8] .

وأجار العاص بن وائل القرشى (عيصا الراهب) من أهل الشام « ذكره ابن كثير » .

ويشتد الوفاء بقوم فيحفظون المستجير حتى إن بعضهم قَتَلَ ـ من أجل ذلك ـ أخاه :

جاور رجل ومعه امرأة له « أوْفَى بن مطر المازنى ، فأعجبت المرأة قيسا أخاه ـ فجعل لا يصل إليها مع زوجها ؛ فقتله غيلة ، فبلغ ذلك أوفى فقتل قيسا أخاه بجاره ـ وقال :

إنى ـ ابنةَ العمرى ـ لا ثوب فاجر لَبِسْتُ ولا من غدرة أتقنَّعُ

سعيتُ على قيسٍ بذمة جاره لأمنع عرضى ، إن عرضى ممنع

ويروى البيت الأول فى « تاج العروس » :

وإنى ـ بحمد الله ـ لا ثوب غادر لبستُ ولا من خزيةٍ أتقنَّعُ[9]

وَأَسْلَمَ عميرُ بن سُلْمَى الحنفى « قريناً » أخاه فى حادثة مشابهة تماماً ـ إلى ولى الدم رَجُلٍ من بنى عامر بن كلاب ، وكان أخا القتيل ، فقتل قريناً بأخيه[10] .

وفى الناس غدر :

فقد استجار امرؤ القيس بعامر بن جوين الطائى ، فسنحت له فرصة فقبل زوجة امرىء القيس ، فأخبرت زوجها فترك جوار الخائن وارتحل يطلب جوار « أبى حنبل جارية بن مرّ الطائى فَوَفَّى له »[11] .

وأصابت الناسَ سَنَةٌ ـ أى قحط شديد ـ فاستجار الأكابر من بنى تيم الله بن ثعلبة ، وهم : مالك وعامر وحليحة ـ بـ« بدر بن حمراء الضبى » فوفى لهم حتى أَحْيَوْا ورجعوا مواطنهم ، وجاور بعضهم « مساورا » فجعل يفجر بنسائهم[12] .

وبعد :

هذا هو « الجوار » على ما كان عليه فى الجاهلية ..

يكون أشرف مايكون إذا تم على مستوى خلقى رفيع ، يأمن به الخائف على رَحْب ، وسَعَةٍ تُغْنِيهِ فتسد حاجته وتصون عرضه وتلم شعثه !

أو يهتبله[13] لئيم يقع منه موقع الذئب من الفريسة فيفجر بالجار ويؤذيه فى حرمِهِ أو فيما ملكت يداه .

وعلى « واقِعِهِ » هذا تعامل مع الإسلام إيجاباً تارة ، وسلباً أخرى ، فإلى ظلاله فى العدد القادم ـ إن شاء الله .

د. على أحمد الخطيب

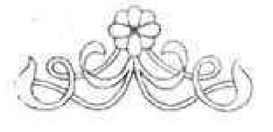
(8) نفس المرجع ص ٣٥٤ .
(9 ـ 10) نفس المرجع ص ٣٤٨ ، ٣٥١ .
(11 ـ 12) نفس المرجع ص ٣٥٣ ، ٣٥٥ .
(13) يغتنمه .

مع الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

حبس المدين في الفقه الاسلامي



تكلمي يا منارة الأزهر "نقد ورد"



حبس المدين فى الفقه الإسلامى

(٢)

حبس المدين فى الدين :

وبعد ان وضحت ، منزلة المال ، ومدى حرص الإسلام على سداد الديون ، حتى عد (الغارمين) من مصارف الزكوات والصدقات ، وان المطل فى سداد الدين يحل للدائن شكاية المدين ، وتقديمه إلى المحاكمة ، كما ثبتت مشروعية الحكم قضاء بحبس المدين المماطل ، متى كان قادراً ، بعد هذا ناتى إلى اقوال فقهاء المسلمين فى بيان سبب الحبس ، وشروط وجوبه ، ومدته . دون تعرض لماهية الحبس وما يمنع منه المحبوس ، وما يجوز له ، لان هذا الصق بالسجن وتنظيمه ، وان تعرض له الفقهاء فى هذه المواضع ايضاً .

أما سبب وجوب الحبس ، فهو الدين قل أو كثر .

ففى الفقه[1] الحنفى : وإذا ثبت الحق للمدعى أمره القاضى بدفع ما عليه ، فإن أبى حبسه فى الثمن والقرض والمهر المعجل وما التزمه بالكفالة ، ولا يحبسه فى غير هذا من الديون ، إذا قال إنى فقير إلا إذا أثبت الدائن أن له مالا فيحبسه القاضى ، فإن لم يظهر له مال خلى سبيله ، بعد قضاء مدة الحبس ، لأنه استحق النظرة إلى الميسرة .

ويشترط فى الدين أن يكون حالاً ، فلا حبس فى الدين المؤجل ، لأن الحبس لدفع

(١) بدائع الصنائع للكاسانى جـ ٧ ص ١٧٣ والبحر الرائق لابن نجيم جـ ٦ ص ٢٨٢ ومابعدها . وفتح القدير والعناية على الهداية جـ ٥ ص ٤٧١ ومابعدها ، وكتاب أدب القاضى للخصاف ص ١٣٤ ومابعدها . والدر المختار وحاشية رد المحتار لابن عابدين جـ ٤ ص ٤٨٥ وما بعدها .

الظلم المتحقق بتأخير قضاء الدين ، وهذا لم يوجد من المديون ، لأن صاحب الدين قد أخر اقتضاء حقه بالتأجيل . ويشترط فى المديون القدرة على قضاء الدين ، فإذا كان معسراً لا يحبس لقوله[2] تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ ، ولأن الحبس لدفع الظلم وقد شرع وسيلة إلى قضاء الدين ، لا لذاته .

ويشترط كذلك ، مطل المدين . وهو تأخير قضاء الدين لقوله عليه الصلاة والسلام : (مطل[3] الغنى ظلم) فيحبس دفعاً للظلم ، لقضاء الدين بواسطة الحبس ، وقوله عليه الصلاة والسلام : (لَيُّ الواجد يحل عرضه وعقوبته) والحبس عقوبة لا تكون إلا عند المطل فى السداد .

ويشترط أيضاً ألا يكون المدين أحد أصول الدائن ، فلا يحبس الوالد ولا الوالدة ولا الجد ولا الجدة فى دين لأولادهم أو أحفادهم وأسباطهم ، لأن الحبس لهؤلاء ليس من الإحسان والمصاحبة فى الدنيا بالمعروف ، المأمور بهما بالنسبة للوالدين فى القرآن الكريم فى قوله[4] سبحانه : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ وقوله[5] ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ إلا إذا امتنع الوالد أو الوالدة من الإنفاق على ولده الذى وجبت عليه نفقته فإنه يحبس تعزيراً ، لا حبساً فى نظير الدين .

لكن الولد يحبس بدين أى من والديه ، وكذلك ديون سائر الأقارب ، أيا كان الدائن أو المدين ، ويستوى فى الحبس فى الدين الرجل والمرأة ، لأن موجب الحبس لا يختلف بالذكورة والأنوثة . ولا يكون الحبس فى الدين إلا بطلب الدائن ، فما لم يطلب حبس مدينه ، لا يحبسه القاضى ، لأن الدين حقه ، والحبس وسيلة لاقتضائه ، ووسيلة حق الإنسان حقه ، وحق المرء إنما يستحق بطلبه مدة الحبس .

لم يرد نص شرعى بتقدير مدة للحبس فى الدين ولا فى التعزير وقد اختلف النقل فى الفقه الحنفى عن أئمة المذهب . فقد روى محمد بن الحسن عن أبى حنيفة أن الحبس

←

---

(٢) من الآية ٢٨٠ سورة البقرة .
(٣) أخرجه البخارى فى أول كتاب الإحالة وفى كتاب الاستقراض وأخرجه مسلم فى كتاب البيوع ولفظه عن أبى هريرة : (مطل الغنى ظلم ، فإذا اتبع أحدكم على ملىء فليتبع) جـ٢ رقم ٤٧ زاد المسلم ، فيما اتفق عليه البخارى ومسلم ص ١٠ .
(٤) من الآية ٢٣ سورة الإسراء .
(٥) من الآية ١٥ سورة لقمان .

شهران أو ثلاثة أشهر واختار الطحاوى ـ أن مدة الحبس لا تقل عن شهر ، ولا غاية لأقصى المدة وروى الحسن عن أبى حنيفة : أربعة أشهر إلى ستة ، وصحح صاحب الهداية أن تقدير المدة مفوض إلى القاضى ، لاختلاف أحوال الأشخاص .[٦]

وقد تحدث الفقه المالكى فى مشروعية الحبس فى الديون ، تحت قاعدة ما يشرع من الحبس وما لا يشرع فقال يحبس الممتنع عن دفع الحق ، إلجاء إليه ، ويحبس من أشكل أمره فى العسر واليسر ، اختبار الحالة ، فإذا ظهر حاله حكم بموجبه ، عسراً ويسراً ، ولا يجوز الحبس ، إذا كان للمدين مال ، وأمكن للحاكم استيفاء الدين منه .[٧]

وفى الفقه الشافعى : أن الحبس فى الديون ، لا يكون إلا للمدين الموسر القادر عند مطله ، ويحبس أيضاً المدين لاستظهار اليسار ، إذا كان موضع الشك ، فإذا أخفى المدين ماله ، حبسه القاضى حتى يظهره لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لَيُّ الواجد يُحِلُّ عِرْضَهُ وعقوبته) .[٨]

وفى فقه الإمام أحمد بن حنبل قال الخرقى فى مختصره : ومن وجب عليه حق ، فذكر أنه معسر به ، حبس إلى أن يأتى ببينة تشهد بعسرته ، ونقل ابن قدامة فى المغنى فى هذا الموضع عن ابن المنذر قوله ـ أكثر من تحفظ عنه من علماء الأمصار وقضاتهم يرون الحبس فى الدين ، منهم مالك والشافعى وأبو عبيد والنعمان وسوار وعبيد الله بن الحسن وروى عن شريح والشعبى ، وكان عمر بن عبد العزيز يقول : يقسم ماله بين الغرماء ولا يحبس ، وبه قال عبد الله بن جعفر والليث بن سعد .[٩]

وقد أنكر بعض فقهاء المذهب الحنبلى مشروعية الحبس فى الديون وقال إنه من الأمور المحدثة وأن أول من حبس على الدين شريح القاضى .[١٠]

ومن هذا الرأى الظاهرية ، فقد قال ابن حزم : ومن ثبت للناس عليه حقوق من مال أو مما يوجب غرم مال ، ببينة عدل ، أو بإقرار منه صحيح ، بيع عليه كل ما يوجد له

---

(٦) فتح القدير على الهداية جـ ٥ ص ٤٧٤ و٤٧٥ .
(٧) الفروق للقرافى جـ ٤ فى قاعدة الفروق ٢٣٦ ص ٧٩ و٨٠ وتهذيب الفروق فى الفرض ٢٣٨ على هامشه ص ١٢٣ وما بعدها وتبصرة الحكام لابن فرحون جـ ١ ص ٣١٨ وما بعدها على هامش فتاوى الشيخ عليش ط مصطفى الحلبى سنة ١٣٧٨ هـ ١٩٥٨ م .
(٨) فتح العزيز شرح الوجيز للرافعى جـ ١٠ من تكملة المجموع شرح المهذب ، مع التلخيص الخبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير للحافظ بن حجر العسقلانى ص ٢٢٨ وفيه تخريج حديث (لى الواجد ..) .
(٩) المغنى لابن قدامة جـ ٤ ص ٥٠٢ و٥٠٣ مع الشرح الكبير على متن المقنع ط المنار طبعة ثانية سنة ١٣٤٧ هـ .
(١٠) كتاب الفروع وتصحيحه جـ ٦٤٩ جـ ٢ فى باب التفليس .

وأنصف الغرماء ، ولا يحل أن يسجن أصلاً .[11]

بينما يرى الفقه الزيدى أن الحبس فى الدين مشروع ، مستدلاً بما نقل أن عليا كرم الله وجهه قال : إنما الحبس حتى يتبين للإمام ، فما حبس بعد ذلك فهو جور ، وهذا يدل على جواز حبس من عليه الدين ، إذا كان متهماً بكتم الوفاء ، كما استدل بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حبس رجلاً فى تهمة ساعة من نهار وأخرجه .

وسنداً على هذا قال الزيدية : إن الإمام يحبس فى الدين ، فإذا ثبت إفلاس المدين أطلقه وأوصاه بالدفع إلى غرمائه عند استفادته مالاً .[12]

ويكاد فقه المذاهب التى أجازت الحبس فى الدين تلتقى على شروط لحبس المدين فى الدين جماعها ، ما تقدم عن الفقه الحنفى .

الملازمة :

نص فقهاء المذهب الحنفى على أنه[13] : لا يمنع الغرماء من ملازمة المدين ، بعد الحبس ، لقوله عليه الصلاة والسلام : (لصاحب الحق اليد واللسان) أراد باليد الملازمة . وباللسان التقاضى ، وأحسن ما قيل فى الملازمة ماروى عن محمد بن الحسن أنه قال : يلازمه فى قيامه وقعوده ، ولا يمنعه من الدخول على أهله ولا من الغداء ولا من العشاء ولا من الوضوء ولا من الخلاء ، وله أن يلازمه بنفسه وإخوانه وولده ومن أحب ، والرأى فى ذلك للدائن ، ولا يلازمه ليلاً إلا إذا كان المدين يكتسب ليلاً ، فقد قال الفقيه أبو جعفر : يلازمه فى الليالى ، ولو أبى المديون ملازمة الغريم له ، وقال : أجلس مع الدائن . له ذلك وملازمة المرأة أن تلازمها امرأة ، فإن لم توجد حبسها فى بيت مع امرأة ، وجلس هو على الباب أو المرأة فى بيت نفسها والدائن على بابها ، وعن محمد : المرأة يلازمها الرجال بالنهار فى موضع لا يخاف عليها الفساد ولا يخلون بها ، وبالليل يلازمها النساء ، وفى الواقعات : حق للدائن أن يلازمها ويجلس معها ويقبض على ثيابها لأن هذا ليس بحرام .[14]

وللدائن ملازمة المدين المقر بالدين دون إذن القاضى ، أما غير المقر فلا تكون الملازمة إلا بإذن القاضى . وفى ملازمة المدين روى ابن ماجه بسنده[15] عن الهرماسى بن حبيب عن

←

---

(١١) المحلى لابن حزم فى المسألة ١٢٧٥ كتاب المداينات والتفليس ص ١٦٨ وما بعدها جـ ٨ ط الطباعة المنيرية سنة ١٣٥ هـ .

(١٢) الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير جـ ٣ ص ٤٤٥ وما بعدها فى باب القضاء .

(١٣) الهداية وفتح القدير جـ ٧ ص ٣٢٩ و ٣٣٠ وص ٧٦ ، ١٧٧ من كتاب أدب القاضى للخصاف وشرحه للجصاص ط دار نشر الثقافة بالفجالة سنة ١٩٨٠ م

(١٤) البحر الرائق لابن نجيم المصرى الحنفى جـ ٦ ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ مع حاشية منحة الخالق لابن عابدين والدر المختار وحاشيته رد المحتار لابن عابدين جـ ٤ ص ٤٩٧ والهداية وفتح القدير والعناية فى الموضع السابق .

(١٥) جـ ٢ ص ٨٠ بحاشية السندى .

أبيه عن جده قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بغريم لى فقال : ألزمه . ثم ولى آخر النهار . فقال : ما فعل أسيرك ياأخا بنى تميم .؟.

وقد نقل ابن هبيرة الحنبلى فى الإفصاح[١٦] أنه لا يحال بين المدين وغرمائه بعد خروجه من السجن عند أبى حنيفة بل يلازمونه ولايمنعونه من التصرف والسفر ويأخذون فضل كسبه بالحصص وفى الروض النضير[١٧] : قال أبو حنيفة وهو أحد وجهين للشافعى ، وحكاه فى شرح الإبانة عن السادة : أن للدائن ملازمة المدين ، لحديث زياد بن حبيب فى أمره صلى الله عليه وسلم بملازمة الغريم . قالوا : فيسير معه حيث سار ويجلس حيث جلس غير مانع له من الاكتساب وقد أورد طعناً على هذا الحديث وارجعه إلى حديث هرماس السابق وطعن عليه أيضاً .

منع المدين من السفر :

جاء فى مختصر الخرقى الحنبلى ما نصه[١٨] : (ومن أراد سفرا وعليه حق ، يستحق قبل مدة سفره ، فلصاحب الحق منعه) وقال ابن قدامة فى المغنى[١٩] تعليقاً على هذا النص : وجملة ذلك . أن من عليه الدين ، إذا أراد السفر وأراد غريمه منعه ، نظرنا : فإن كان محل الدين ، يحل قبل قدومه من السفر ، مثل أن يكون سفره إلى الحج ولا يقدم إلا فى صفر ، ودينه يحل فى المحرم ، أو ذى الحجة ، فله منعه من السفر، لأن عليه ضرراً فى تأخير حقه عن محله ، فإن اقام ضميناً ، مليئاً ، أو دفع رهناً يفى بالدين عند المحل ، فله السفر لأن الضرر يزول بذلك ، أما إذا كان الدين لا يحل ، إلا بعد محل السفر ، مثل أن يكون محله فى ربيع وقدومه فى صفر ، نظرنا :

فإن كان سفره إلى الجهاد ، فله منعه إلا بضمين ، أو رهن . لأنه سفر يتعرض فيه للشهادة ، وذهاب النفس فلا يأمن فوات الحق ، وإن كان السفر لغير الجهاد ، فظاهر كلام الخرقى : أنه ليس له منعه من السفر ، وهو أحد الروايتين عن أحمد ، لأن هذا السفر ليس بأمارة على منع الحق فى محله ، فلم يملك منعه منه . كالسفر القصير ، وكالسعى إلى الجمعة .

وفقه الإمام الشافعى[٢٠] : انه ليس للدائن منع المدين من السفر ، ولا مطالبته بكفيل ، إذا كان الدين مؤجلاً بحال سواء كان الدين يحل قبل سفره ، أو بعده ، أو إلى

---

(١٦) الإفصاح جـ ١ ص ٢٤٣ وتصحيح الفروع جـ ٢ ص ٦٤٩ .
(١٧) جـ ٣ ص ٤٤٧ و٤٤٨ .
(١٨) جـ ٤ ص ٥٠٦ و٥٠٧ مع الشرح الكبير .
(١٩) المرجع السابق ذات الموضع .
(٢٠) شرح فتح القدير للرافعى على الوجيز جـ ١٠ على هامش تكملة المجموع ص ٢١٥ وحاشية الشروانى على تحفة المحتاج جـ ٥ ص ١٤٣ من حواشى تحفة المحتاج طبعة مصطفى محمد بالقاهرة .

الجهاد ، أو إلى غيره ، لأنه لا يملك المطالبة بالدين فلم يملك منعه من السفر ، ولا المطالبة بكفيل ، كالسفر الآمن القصير ، وله السفر فى صحبته ، ليطالبه عند حلوله بشرط أن لا يلازمه ملازمة الغريم ، لأن فيه إضراراً به .

ولصاحب الدين الحال ، ولو ذمياً ، منع المدين الموسر بالطلب من السفر المخوف ، وغيره بأن يشغله عنه برفعه إلى الحاكم ، ومطالبته حتى يوفيه دينه .

نعم : إن استناب من يوفيه من ماله الحاضر ، فليس له منعه .

وخلاصة ما تقدم : أن فقه الأئمة أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد والفقه الزيدى يجيز الحبس فى الدين ، سواء لاستظهار يسار المدين ، واستبانة حالته المالية وقدرته على الوفاء ، أو لمطله ونكوصه عن سداد دينه مع ظهور قدرته بالشروط المسطورة فى النقول السابقة عن فقه هؤلاء الأئمة وذلك إذا كان الدين حالاً .

أما إذا كان الدين مؤجلاً فهم متفقون على الا حبس قبل حلول أجل الدين .

ولكن اختلفت كلمتهم فى : هل للدائن أن يمنع مدينه من السفر ، إذا كان الدين مؤجلاً أم لا ؟

ففى الفقه[٢١] الحنفى ، أنه لا يمنع من السفر قبل حلول الأجل ، سواء بعد محله أو قرب ، لأنه لا يملك مطالبته قبل حلول الأجل ، ولا يمكنه منعه ولكن له أن يخرج معه ، حتى إذا حل الأجل ، منعه من المضى فى سفره إلى أن يوفيه دينه .

والفقه المالكى يجيز[٢٢] للدائن أن يمنع مدينه من السفر حتى يقضيه دينه ، بشروط هى :

أولاً : أن يكون السفر طويلاً ، بحيث يحل أجل الدين فى غيبة المدين ، أما إذا كان أمد الدين بعيداً لا يحل فى غيبة المدين ، فليس للدائن منعه من السفر .

ثانياً : أن يكون المدين موسراً ، أما إذا ثبت إعساره فأنه ليس له منعه من السفر .

ثالثاً : الا يوكل المدين عنه من يقوم بسداد الدين ، فإذا وكل من يسدد عند حلوله أو ضمنه موسر فليس له منعه من السفر .

ويبدو من هذه الشروط ، أنها متقاربة مع ما قال به فقه الإمام أحمد فيما نقلناه آنفاً عن المغنى لابن قدامة إذ قد اشترط : أن يكون السفر طويلاً ، يحل الدين قبل فراغه ، أو أن يكون السفر مخوفاً ولو كان قصيراً أما إذا كان السفر مأموناً ، لكنه قصير ، يحل الدين بعده ، فليس له منعه وألا يكون للدين رهن ، يفى به أو كفيل موسر فإن كان ذلك ، فليس له منعه من السفر .

الديون التى يجوز اقتضاؤها بطريق الحبس :

الحبس لاقتضاء الدين جائز فى كل دين ، لكن بعض الفقهاء فرقوا بين نوعين من

←

(٢١) بدائع الصنائع للكاسانى جـ ٧ ص ١٧٣ والدر المختار للحصكفى وحاشية رد المحتار لابن عابدين جـ ٤ ص ٩٣ الحبس من كتاب القضاء .

(٢٢) شرح أقرب المسالك المعروف بالشرح الصغير للدردير ، جـ ٢ ص ١٢٦ فى باب الفلس وأحكامه ط مطبعة صبيح بالقاهرة وجـ ٣ حاشية الدسوقى على الشرح الكبير للدردير ص ٣٠١ فى ذات الموضع .

الديون ، من حيث الحبس قبل إقامة الدليل على ملائمة المدين وقدرته على الوفاء . فقالوا[٢٣] : إنه إذا ثبت الحق عند القاضى ، وطلب الدائن حبس المدين ، وأمره القاضى بدفع ما عليه ، فإن امتنع ، حبسه فى كل دين لزمه بدلاً عن مال حصل فى يده كثمن البيع ، أو التزمه بعقد كالكفالة والمهر ، لأن إقدامه على التعاقد التزام باختياره ، فيدل على يساره .

أما فى غير هذا النوع من الديون ، فإذا قال إنى فقير ، لا يحبسه القاضى إلا إذا أثبت الدائن أن له مالاً بمعنى : أن القول قول المدين فى اليسار والإعسار فى هذا النوع ، وبذلك يكون عبء إثبات اليسار على الدائن وقال أبو بكر أحمد بن على الرازى المعروف بالجصاص فى شرح أدب القاضى للخصاف : ولا فرق بين هذا الدين الذى ثبت من جهة المعاوضة أو القرض أو الغصب ، وبين الذى يلزمه من مهر المرأة والكفالة عند أصحابنا والذى قاله الخصاف من الفرق بين المهر والكفالة وبين الدين الذى ثبت من هذه الوجوه التى ذكرنا ، لا يعرف عن أصحابنا ، وذلك أن الزوج وإن لم يحصل له بدل مال وكذلك الكفيل إذا لم يحصل له ، فإن دخولهما فى هذا العقد والتزامهما هذا الدين اعتراف منهما بقدرتهما على قضاء مالزمهما ، فصار كسائر الديون ، فى باب وجوب الحبس إذ الظاهر أنه قادر على القضاء حتى يظهر لنا خلافه .[٢٤]

ومما يتوافق مع هذا ما قال به الطحاوى[٢٥] فى مختصره : ومن وجب عليه دين بإقرار أو بينه أو بنكول ، حبس به القاضى إذا سأل ذلك خصمه ، ثم سأل عنه ، فإن كان موسراً لم يطلقه حتى يقضيه ، وإن كان معسراً خلى سبيله ، وسواء كان ذلك الدين ، من قرض أو من ثمن مبيع ، أو صداق امرأة ، أو من سوى ذلك .

وإطلاق الدين الذى يحبس المدين للوفاء به ، حسبما جاء فى عبارة الطحاوى فى مختصره هو ما تشير إليه أقوال فقهاء باقى المذاهب ، على نحو ما تقدم فى النقول عن كتبهم ، ما دام الدين قد ثبت فى ذمة المدين بإقراره ، أو ببينة أقامها الدائن ، أو بنكول المدين عن اليمين التى وجهت إليه فى أصل هذا الحق .

قاعدة إثبات يسار المدين أو إعساره :

قال ابن هبيرة فى الإفصاح عن معانى[٢٦] الصحاح : اتفقوا على أن البينة تسمع على الإعسار بعد الحبس ، ثم اختلفوا هل تسمع قبله .؟

فقال الشافعى ومالك وأحمد : تسمع قبله . وقال أبو حنيفة فى ظاهر مذهبه :

---

(٢٣) فتح القدير والعناية على الهداية جـ ٥ ص ٤٧٢ ط أولى أميرية سنة ١٣١٦ هـ .

(٢٤) ص ١٣٦ من شرح أدب القاضى ط دار النشر والثقافة بالفجالة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

(٢٥) ص ٣٣٥ ط دار الكتاب العربى بالقاهرة سنة ١٣٧٠ هـ .

(٢٦) ص ٢٤٣ جـ ١ آخر باب الحجر على المفلس .

لا تسمع ، إلا بعده ، وروى البزدوى فى شرح المبسوط فى كتاب الكفالة : إن أخبر الحاكم واحد ثقة أنه مفلس قبل الحبس لم يحبسه لأنه لم تثبت جنايته ، والحبس عقوبة لا يستحقها إلا الجانى .

فالحبس لتبين[٢٧] حال المدين ، واستظهار أمر يساره أو إعساره ، جائز باتفاق الفقهاء متى طلب الدائن ، فإذا قال المدين إنه فقير ، فإن أثبت غريمه يساره استمر حبسه ، حتى يؤدى دينه ، وإن لم يثبت يساره ، بل ثبت إعساره خلى سبيله ولم يمنع الدائن من ملازمته .

ويزيد فقه مالك أن المدين[٢٨] إذا ادعى الأعسار ، وأقام الدليل على ذلك ، يحلف أيضاً : أنه لا مال له لا ظاهراً ولا باطناً ، لأن شهادة الشهود ، بالعدم ، هى على نفى العلم ويحلف هو على البت .

وبهذا الذى قال به الفقه المالكى ، قال فقه الإمام[٢٩] أحمد : أن المدين إذا ادعى الإعسار وأقام البينة على ذلك حلف أنه معسر ، وخلى سبيله .

ويمكن أن نستخلص من تلك النقول ، أنه إذا اختلف الدائن والمدين فى يسار هذا الأخير أو إعساره ، جاز حبس المدين الذى ادعى الإعسار ، حتى يثبت عسره ، أو يحضر ضامناً أو رهناً بما عليه من الدين ، وأن للمدين أن يقدم الدليل على إعساره ، وأنه لا يكتفى بهذه البينة منه ، بل يحلف معها على أنه ليس له مال لا ظاهراً ولا باطناً وقد نقل ابن رشد الحفيد المالكى فى كتابه بداية[٣٠] المجتهد فى ختام أحكام التفليس أن فقهاء الأمصار مجمعون على أن المدين إذا ادعى الفلس ، ولم يعلم صدقه ، أنه يحبس حتى يتبين صدقه ، أو يقر له بذلك صاحب الدين فإذا كان ذلك خلى سبيله .

وحكى عن أبى حنيفة : أن لغرمائه أن يدوروا معه حيث دار .

ثم قال :

وإنما صار الكل إلى القول بالحبس فى الديون ، وإن كان لم يأت فى ذلك أثر صحيح ، لأن ذلك أمر ضرورى فى استيفاء الناس حقوقهم بعضهم من بعض ، وهذا دليل على القول بالقياس ، الذى يقتضى المصلحة وهو الذى يسمى بالقياس المرسل .

وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم : حبس رجلاً فى تهمة . خرجه ـ فيما أحسب ـ أبو داود . هذا ولا يغيبن عن البال أن حبس المدين غير مسقط للدين الذى حبس من أجل الإيفاء به ، وهذا أمر متفق عليه فى فقه المذاهب التى اتخذت الحبس ، وسيلة من وسائل التنفيذ فى الديون[٣١] .

وبعــد :

فلعل مواجهة فقهاء المسلمين لهذه الطرق

البقية ص ٣٨٣

(٢٧) أدب القاضى للخصاف وشرحه للجصاص ص ١٣٧ .
(٢٨) القوانين الفقهية لابن جزى ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ تحقيق المرحوم عبد العزيز سيد الأهل ط بيروت ١٩٧٤ فى الحكم على المديان .
(٢٩) كتاب العدة شرح العمدة فى أحكام الدين ص ٢٤٠ و٢٤١ ط المطبعة السلفية بالقاهرة تحقيق محب الدين الخطيب .
(٣٠) جـ ٢ ص ١٧٧ .
(٣١) المراجع السابقة جميعها فى ذات الموضع .



تكلمي يا منارة الأزهر

فكرت كثيراً أن أجعل عنوان هذا المقال « وا ازهراه » ثم رددت نفسي ، فهذا نوع من الألفاظ لم يعد أحد يكتب به اليوم . مع أنه لفظ لا يغني عنه غيره . ففي نبراته الاستصراخ وطلب الغوث والافتقاد والحزن واللهفة والمناشدة . ولا تستطيع لفظة واحدة في عربية اليوم أن تموج بكل هذه المعاني . فقد أصبح العالمون بأسرار اللغة قلة نادرة . وأصبحنا نحن الذين نكتب والذين أحببنا لغتنا وأعجبنا بها نرد أنفسنا في كثير من الأحيان إلى ألفاظ ليست هي التي نريد كتابتها . وليست هي التي تعبر عما يجيش بنفوسنا وما يتردد في جوانحنا .

كنت أريد أن أصيح بالأزهر القديم : أين أنت . أين أيام كنت فيها منارة الدين والدنيا جميعاً . لقد طحنك الطاغوت فيما طحن من القيم العليا ومن الخلق الأسنى ومن كل معنى كريم فى حياتنا .

كان الأزهر الشريف منارة الأجيال في العالم أجمع . وحسبك أن كرسى الأزهر المتواضع القابع بجانب أحد أعمدته نشأت عنه كلمة كرسى الأستاذ فى جميع أنحاء العالم وفى كل جامعات المعمورة كم هو جليل وأصيل هذا الكرسى ليس ذا زينة هو ولا هو بصاحب حلى ، ولكنه كان فى تجرده وإخباته شامخاً عالى الذروة رفيع المكان أشبه بالشيخ الزاهد يعطي ولا يأخذ ويهب ولا يستوهب ويغدق ولا يسترفد .

محاه الطاغية وحطم منارة الأزهر ليجعل منه جامعة تشبهها جامعات العالم أجمع .

كان لا يدخل إلى الأزهر إلا من حفظ القرآن الكريم . وكان حفظ القرآن الكريم حصناً للدين أن يعبث به العابثون وحصناً للغة العربية أن يستهين بها الماجن والهازل ومن لا صنعة له .

وها نحن أولاء نجنى الثمار المرة الغضة التي خلفها غياب الأزهر ولم يعد في ساحته الشريفة إلاقلة من العلماء الذين أخذوا عنه في أيام ازدهاره وتفرده .

وخلت منابر المساجد من المشايخ الأجلاء إلاقلة لا تغني وانفرد الجهال بالمنابر وراحوا



بقلم: ثروت أباظة

يفسرون الدين على هواهم . وينشئون في شريعته السمحة الغراء ما تأباه الشريعة وما ينفر منه الدين كل نفور .

وها هم أولاء بضعة منهم اتخذوا الإرهاب صناعة ويريدون أن يتخذوا الدين ـ وهو الدين ـ حجة لإرهابهم وفجورهم وأطماعهم الدنيوية الحقيرة ، جل دين الله أن يبيح لهم ما يمكرون .

وهم أجهل خلق الله بالدين وزعماؤهم يغريهم المال أن يتنكروا للآخرة .. ويميلوا بأطماعهم عن سبيل الرشاد . فهم ينتهزون الفرصة المتاحة من غياب العلماء الأجلاء فيفتكون بعقول شباب غرير ملأوا عقله الخاوي بالجهالة والإجرام وجعلوا منه فئة إرهابية تدمر المجتمع تدميراً ..

وأصرخ بالأزهر الشريف . أو بما بقى من الأزهر الشريف أن يعلن رأيه فى هذا الذي يجرى فى أرض مصر . ولكن الذي بقى من الأزهر الشريف يأبى أن يسمع . وكأننى ماتكلمت أو كأننى لا أكتب هذا الذي أكتبه فى أكبر جريدة ناطقة باللغة العربية في العالم أجمع .

وشيخ الأزهر رجل جليل له مكانته وهيبته . شريف هو حين يتكلم ، له في نفوسنا جميعاً كل توقير وتعظيم . وهو إمامنا ونحن نرضاه لديننا إماما . فما باله لا يقول رأى الدين ـ وهو الإمام الأكبر ـ فى هذا الذى يجرى من الإرهاب ، وهذا الذي يحاوله الصبية المخابيل من جعل الدين شعاراً لما يرتكبون من اعتداء على حياة الأبرياء وعلى سلامة مصر وأمن أرضها واطمئنان النفس والمال فى ربوعها .

إنني أقدم بكل الإجلال والإكبار بين يدى إمامنا الأكبر قصة سمعتها عن أحد الأئمة المصابيح .

كان الشيخ سليمان العبد على خلاف مع الإمام محمد عبده ، وكان الخلاف بينهما فى أمور فقهية . وكان الخديوي عباس يضيق كل الضيق بالإمام محمد عبده ، فحين مات أرسل أحد رجال القصر إلى الشيخ سليمان العبد . وكان الشيخ في ذلك اليوم يصارع حمى شديدة الوطأة واستقبل مندوب الخديوي وهو في فراش مرضه وقال مندوب الملك :

ــ إن مولانا الخديوي أرسلني لأسأل عن صحتك .

وتعجب الشيخ سليمان وقال :

ــ شكر الله له .

وصمت المندوب بعض الحين ثم قال :

ــ أخيراً مات الزنديق .

ــ أى زنديق تقصد ؟

ــ الشيخ محمد عبده .

وانتفض الشيخ جالساً كالأسد :

ــ كيف تجرؤ أن تقول هذا عن شيخ عالم جليل ؟

وتخاذل المندوب وقال :

— لا أعتذر إليك ولكن مولانا قد أرسلني لأرجوك الا تسير في جنازته ..

ونزل الشيخ سليمان من فراشه وهو يقول :

— الآن وضح الأمر فكم مرضت قبل اليوم فما عادنى من القصر عائد ولاسأل الخديوي عن مرضى . فهو اليوم يرسلك لتمنعنى أن أسير في جنازة الشيخ الإمام لا للسؤال عن صحتى . إنى مريض كما ترى ولم أكن أنوى أن اشيع جنازة الشيخ ، أما وقد جئت بهذا الأمر الخديوي فإني ذاهب .

وقال المندوب فى استحياء :

— ألم تكن تعارضه يا مولانا ؟

وزأر الشيخ :

— وماذا تفهم أنت فى شأن الفقه الذي أناقش فيه الشيخ محمد عبده وماذا يفهم الخديوي ومن سمح له أو لك أن تتكلما فى شئون الدين والفقه والشريعة الإسلامية وأنتم أجهل الناس بها .

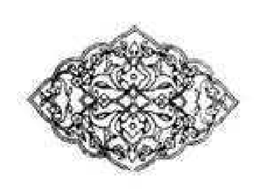
وصاح الشيخ بخادمه :

— جهز البغلة يابني ..

وعلى مشهد من مندوب الخديوي نزل الشيخ سليمان العبد إلى بغلته وركبها وهو لا يكاد يقيم جسمه عليها . ولم يكتف بذلك وإنما مر بجميع المشايخ الذين يعرفهم يلح عليهم أن يصحبوه ليشيعوا جنازة الإمام محمد عبده وكان الشيخ سليمان العبد يسكن فى الحلمية بجوار السيدة زينب وكانت جنازة الشيخ محمد عبده فى عين شمس قريباً من مصر الجديدة اليوم .

بين يدى مولانا الإمام الأكبر أضع هذه القصة وأقدمها أيضاً إلى كل المشايخ الأجلاء الذين يعرفون عظمة الأزهر وسموقه ، أضعها بين أيديهم ثم أنحني إجلالاً . ثم اصمت ..

ثروت اباظـــة



رد الإمام الأكبر

السيد الأستاذ الأديب الكبير :

(ثروت أباظة)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعـــد :

فقد طالعت كلمتك - « تكلمي يا منارة الأزهر » - في (الأهرام) الأحد ١٣ من شهر المحرم ١٤٠٨ هـ ٦ من سبتمبر ١٩٨٧ وفيها - وبأسلوب الدر المنثور - تناجي الأزهر الشريف في ماضيه الحافل بكل جليل من العمل والأمل : « يعطى ولا يأخذ ، ويهب ولا يستوهب . ويغدق ولا يسترفد » وتستصرخ فيه أن يستعيد شبابه ويجدد إهابه ، ويصطفى النجباء ، ويتحصن بكتاب الله ، وهو بهذا مازال : (كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها) ..

وليس يغيب عن فطنة الأديب الكبير أن كل مخلوق ترتاده العلل ، وتحل به أوبرحابه عاديات الزمن ، حتى إذا ما صمد لما نزل ، وانقشعت السحب التي قد تحجب ضوء الشمس وتخفي وجه القمر ، كانت العبرة بالحقيقة والجوهر ، إذ لابد للسحب أن ينقشع قتامها ، وللشمس أن ترسل نورها ، وللقمر أن يبدى رواءه وضياءه ، فضلاً من الله ونعمة .

وهذا هو الأزهر الشريف .. يخطو في الألف الثانية من حياته المزدهرة المديدة إن شاء الله .. يستلهم ماضيه المشرف ويتسامى إلى حاضر زاهر ، ومستقبل أرحب ينتشر بعلمائه وطلابه في طول مصر وعرضها ، قراها ومدنها .. ينادون هذا الشعب الوفى العريق أن (حى على الفلاح) يذكرونه بريادته وقيادته لأمته الإسلامية ، ويوفد إلى شعوبها علماءه يحيون بينها ما اندثر من أخلاق وتعاليم الإسلام ويعلمون من أبنائها وبناتها أجيالاً تحمل الرسالة وتؤدي الأمانة .

* **الأستاذ الأديب الكبير ..**

ما أحسب أنه قد غاب عنك (وأنت الأديب الأريب) أن آلافاً من العلماء الأزهريين ، يقومون بالنصح والإرشاد ، في المجال المتاح لهم : (المساجد) وغيرها - مما يباح لهم ارتياده ، أو يتاح من المجتمعات « وهو قليل » وأن أغلالاً قد كبلوا بها وما تزال بقاياها قوانين مهددة نافذة ،

←

وقد حجبت عنهم الكثير من المواقع التى تفرخ فيها الفتن والأفكار الوافدة أو الموفدة ، وأن ما مرت به البلاد بل وكل الشعوب الإسلامية من أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية ، قد أقام في مواجهة مهامهم صعابا وعوائق ،

وأن مصطلحات قد دخلت في لغة التخاطب والإعلام بوسائله المتنوعة : تثير ولا تنير ، وأن الغلبة الآن لهؤلاء الذين يقلون عند الفزع ويكثرون عند الطمع .

وعلماء الأزهر ـ بحمد الله ـ ليسوا من هذا الفريق ، بل هم على قدر ما آتاهم الله من فضل وعلم وحكمة ، يواجهون الأزمات بالصبر والروية بالحكمة والموعظة الحسنة .

وإذا كنت بهذا الأدب الفطن تتلمس كلمة الأزهر الشريف فيما وقع في بلادنا في هذه الآونة من إخلال بأمنه وبأمان المواطنين ، فإن كلمة الأزهر فياضة مقدامة غير هيابة في المجال المتاح للعلماء (المساجد) فهم مع الناس أئمة وهداة ، ولكن صوت المسجد قد خفت ، فلم يعد يتجاوز الحضور فيه ، ولقد نصحوا لله وللرسـول ولأئمة المسلمـين وعامتهم ، وأشاروا إلى أصل الداء وإلى الدواء .. ولكن :

ألم يقل الأزهر الشريف بلسان علمائه :

إن تنشئة الشباب فى فراغ من أصول الإسلام وفروعه وآدابه وأخلاقه ؟؟

ألم يقولوا : أعيدوا المساجد إلى المدارس والجامعات وعلموا الطلاب والطالبات فى بيوتهم وفي مدارسهم وجامعاتهم شيئاً من القرآن الكريم وعلومه والسنة وعلومها وما تقوم عليه أمور دينهم وتصلح به دنياهم ...

وبالجملة الثقافة الإسلامية المستنيرة ؟

ولقد قدمت اللجنة العليا الدعوة إلى المسئولين في مجال الثقافة الإسلاميـة بالجامعات والمعاهد العليا مشروعاً كاملاً لم ير النور بعد ، بالإضافة إلى ما قدمت في هذا الشأن ، ونصحت به المجالس القومية المتخصصة

الم يقولوا : إن الصحافة على اختلاف مستوياتها ونوعياتها واتجاهاتها قد أغفلت أنها أداة تثقيف وتعليم ، وأن من واجبها أن تفسح حيزاً يومياً يقرؤه الصغار والكبار يتناول فيه العلماء والكتاب قضايا الساعة الحادة والجادة ويرشدون فيها الضال ، ويهدون الحائر دون توغل في مسالك التيه الذي تمتلىء به الصحف من تشكيك في العقيدة وتعرض للإسلام بأقبح الفكر وأشده فساداً وضلالاً وإضلالاً ، وما حجبت صحيفة شيئاً من ذلك تقديراً لعقيدة الإسلام وشريعته وحفاظاً على مشاعر الشعب وتدينه ، ثم مِنْ نشر قضايا هتك الأعراض وإذاعة الفضائح والجرائم والسوءات والسيئات حتى شكا أبناؤنا المهاجرون مما ينشر في هذا الصدد وغيره مما يضر ولا يسر .. ومما يسىء إلى سمعة مصر والمصريين بين العالمين ..

وبالمقابل ضنت الصحف إلا بحيز ضئيل كل يوم جمعة لا يكاد يتسع للجديد المفيد من الثقافة الإسلامية التى تواجه حوادث الساعة ، و لا أظن الأستاذ الأديب الكبير

ثروت أباظة يبتغى أن يصرخ العلماء ويصخبوا مع مَنْ تصايحوا لمجرد رفع الصوت بأعلى نبراته ، وعندئذ تضل الأفهام ، وتزل الأقدام بعد ثبوتها ، ما أظنه يبتغى ذلك ، لأن علماء الأزهر لهم ميدانهم الواقعي بين الجماهير ، يثبتون الفزع ، ويؤمنون الخائف ويصلحون ذات البين .

وإذا كان صوت العلماء في المساجد قد احتبس بين جدرانها .. فليس ذلك ذنبهم .. أو قصوراً منهم ، أو أمراً يدعو للإقلال من جهدهم وجهادهم ، وإنما العيب عيب وسائل الإعلام التى تغافلت أو أغفلت هذه الجهود ، وتشاغلت بنشر وإذاعة تفاصيل أحداث تسيء إلى سمعة هذا الشعب بين أمته الإسلامية .

ولقد توقفت بعض الأجهزة عن قيامها بواجباتها المنوطة بها من مثل لجان التوعية في الأقاليم ، وتاهت بين ما تاه فى حياتنا من نظم وقرارات ، وصارت كمياه مواجهة الحرائق التي جفت مواردها ، فهى عنوان دون كيان .. لكن : ليطمئن الأديب الكبير إلى أن الأزهر الشريف قائم بمهامه بالإمكانات المتاحة له .

على أنه ينبغى أن نسمى الأشياء بمسمياتها ، وأن نكف عن نسبة الإرهاب إلى الإسلام ، ولا نسمى هؤلاء المنحرفين بالمتدينين ، أو نقول : إنه تطرف ديني إسلامي ، والصحيح أن نصمهم بأفعالهم كغيرهم من الأشقياء المطاردين كحوادث (خُط المنيا الأخير وعصابته) .. وأن نتروى قبل أن نتهم ، فقد حكم أحد السادة الكتاب بأن العلماء - ومنهم كبارهم - قتلة بالنوايا وما عاتبه أحد ، ولا عاب عليه أحد ، هذا الحكم الذي سيسأل عنه من الله العدل ، الذى لا تخفى عليه خافية . وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ثم هل يعلم الأستاذ الأديب الكبير : أن علماء اجلاء من الأزهر يكتبون في قضايا الساعة ، فلا تنشر مقالاتهم !!! وهل يعلم أن كلمة الأزهر الشريف في المناسبات الهامة يشار إليها ملخصة وتضيق بعض الصحف عن نشرها بذاتها ؟

وإذا كانت المدافع هى التي تتحدث فهل يجدى الصراخ ؟

أم يكون الفكر الجاد والمواجهة الحاسمة من الجهات المعنية هو الذي يجب أن يتعاون عليه الجميع ، ويقوم كل من موقعه بما يدخل فى اختصاصه وإمكاناته ..

ثم إنه يجب أن تنشط الهيئات المتخصصة ووسائل الإعلام لتترابط وتتزامل ولا تتناحر ، وتثابر وتبذل الجهود التي تثمر الحق والمعرفة فقد أهملت في حياتنا قنوات تجلب الخير وتزدهر بها البلاد أمنا وأماناً وعدالة .

ولقد قام الأزهر .. ويقوم بواجبه فى المجال الذي مُكِّن منه .. وسيظل بتوفيق الله وعونه أميناً على مهامه واعياً لها .. حريصاً على أمن هذا الشعب وأمانه واستقراره دءوبا على العمل الجاد النافع دون ملل أو كلل يستكمل ما نقص ويحمل طلابه وعلماءه على الاسترشاد بماضيه تمكيناً لحاضره واستعداداً لمستقبل عامر بالعمل والأمل فى نصرة الإسلام ، وإقامة شريعته وحفظ كتابه والحفاظ عليه وإن تغافلت وسائل الإعلام عن

←

جهوده وجهاده فإنه يبتغى وجه الله وصالح الوطن .

* **الأديب الكبير الأستاذ ثروت اباظة :**

إن الإسلام سلم وسلام .. ﴿ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى ﴾ .. ولكنه هداية : ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .. وسنة لرسول الله ﷺ الذي قال الله فى شأن سلوكه في الدعوة : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ .. ووجهه ومن يحملون كتاب الله من بعده إلى الإقناع بالحجة وبالكلمة الطيبة الهادئة الهادفة ذلك قول الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ..

وقول الله تعالى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ ..

ومن ثم فلا ينبغى لمسلم يؤمن بهذا الكتاب وبما جاء به رسول الله ﷺ أن يُفزع الناس ، أو يقدم على العدوان ، وما كان لمسلم بل وما كان لإنسان : أى إنسان يتسم بطبيعة الإنسان الذي استخلفه الله فى أرضه ليعمرها وتزدهر به الحياة أن يفسد فى الأرض ويملأها رعبا ، ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد .

إنه لا يرضى أحد هذا العدوان على أمن وأمان الوطن ، فمن يفعل هذه الآثام أو يشارك فيها ، أو يعاون فى تدبيرها أو تبريرها معتد على الإسلام ، وخارج على حدود الله ، ومن يؤويه أو يؤازره مشارك فيما ارتكب من آثام وأوزار ، مجاف لأحكام الإسلام الذي كرم الإنسان وحرم العدوان ، وجعل المسلمين للناس إماما ، وأسوة في العدالة والرحمة .

وفى سنة رسول الله ﷺ : (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) قال رجل .. يا رسول الله : انصره إذا كان مظلوماً ، أرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال :

(تحجزه - أوتمنعه - من الظلم فإن ذلك نَصْرَهُ) .. وهذا حكم موجه إلى كافة الناس أن يأخذوا على يد الظلمة المفسدين في الأرض .. والله من ورائهم محيط .

* **الأديب الكبير الأستاذ : ثروت اباظة**

لعله قد استبان أن الأزهر فى مكانه ومقامه يجهر بكلمة الله ، ويتفحص الحوادث والوقائع ، ويطب لها وينصح ، وأن منارته تتحدث - ولا تزال - بأجلى بيان ، داعية إلى الله على بصيرة من كتابه وسنة رسوله ، ترسل النور ضياء هادياً ، لا هديراً صاخباً ، ولا نذيراً مؤيسا أو منفراً ، وإنما علماً نافعاً ، وعملاً مثمراً ، وصبراً ومصابرة ومثابرة ، وطلبا للإجادة والإفادة .

ولكن كما قال القائل :

فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد ..

وفقكم الله وأثابكم .. ونفع بكم وبقلمكم ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

شيـخ الأزهـر
(جاد الحق على جاد الحق)
١٥ من المحرم ١٤٠٨ هـ
٨ من سبتمبر ١٩٨٧ م

رجـــال القـــراءات

الإمام نافع

فضيلة الشيخ ابراهيم عطوة عوض

قبل ان نمضى - فى هذه السلسلة - أوَدُّ أن أحيط القارىء بامور لها صلتها الوثيقة بفن القراءات :

فالقراءات : علم يعرف به اتفاق الناقلين لكتاب الله ، واختلافهم فى - اللغة والإعراب - والحذف والإثبات - والتحريك والإسكان - والفصل والاتصال - ، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع .

وفائدة معرفة علم القراءات صيانة القرآن من التحريف والتغيير ، مع مافيه من فوائد كثيرة ، عليها الأحكام تبنى ، ولم تزل العلماء تستنبط من كل حرف[1] يقرأ به قارىء « معنى » لا يوجد فى قراءة الآخر ذلك المعنى . فالقراءات حجة الفقهاء فى الاستنباط . ومحجتهم[2] فى الاهتداء إلى سواء الصراط ، مع ما فى ذلك من التسهيل على الأمة ، وإظهار شرفها ، وإعظام أجرها .

من حيث إنهم يفرغون جهدهم فى تحقيق ذلك وضبطه حتى مقادير « المدَّات » إلى غير ذلك .

والقراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول . ولا مدخل للقياس فيها ، ولا مجال للرأى . بل كل من عند الله تعالى .

ولقد قرر أهل الأداء ، وأئمة الإقراء ، والأصوليون ، والفقهاء أن جمع[3] القراءات فى محافل الأفراح والأتراح حرام . حيث إن

←

(١) أى من كل قراءة .

(٢) أى طريقهم .

(٣) أى أن يقرأ القارىء بأكثر من قراءة .

ذلك لم يكن على عهد رسول الله - ﷺ - وصحابته والتابعين إنما ظهر هذا الجمع في أثناء المئة الخامسة من الهجرة . عصر الدانى والأهوازى وغيرهما . وإنما جاز الجمع حال التلقى والتعليم فقط . وفعلوا ذلك تيسيراً وتسهيلاً . فواجب العلماء المنع والإنكار على من قرأ بالجمع في المحافل والإذاعة وإذا أسندت القراءةلأحد الائمة ، كأن قلنا : (قرأ نافع كذا) سميت (قراءة) ، وإذا أسندت إلى من نقل عن الإمام بتلقيه عنه عُدَّت (رواية) ، وإذا أسندت إلى الآخذ عن الراوى سميت (طريقا) .

والوجه المقروء به على نوعين :

وجه رواية مثاله : صلة ميم الجمع مضمومة بواو في نحو (عليهم وإليهم) قبل متحرك عن (قالون) ، وقبل همز القطع عن (ورش) نحو (عليهم ولا الضالين) و(ءأنذرتهمو أم لم) وهذا الوجه لازم .

ووجه دراية : والقارىء فيه مخير إلا حال التلقى فيجمل الإتيان بذلك . وذلك كالوجوه السبعة في قوله تعالى : (نستعين) .

الإمام نافع : هو إمام دار الهجرة في القراءات : نافع بن عبد الرحمن بن أبى نُعَيم ، يكنى « أبا رُوَيْم » ، أو « أبا الحسن » ، أصله من أصبهان ، وكان أسود اللون حالكاً ، فصيحاً عالماً بالقراءات ووجوهها . وكان إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك ، لأن النبى - ﷺ - تكلم في فيه في المنام[4] رواه أحمد بن المصرى عن الشيبانى . قال لى رجل ممن قرأ على نافع : فذكره . وإلى ذلك أشار في الحرز بقوله :

فأما الكريم السر في الطيب نافع .

ولكن قال الذهبى : « هذه الحكاية لا تثبت من جهة جهالة راويها »[5] .

وقال المسيبى[6] لنافع : ما أصبح وجهك ، وأحسن خلقك !! قال : كيف لا ، وقد صافحنى رسول الله - ﷺ - وقرأت عليه القرآن ؟!

ويروى مما رأيته في كامل الهذلى[7] : أن الرشيد سأله أن يصلى به - لما قدم المدينة - التراويح . وله بكل ليلة مائة دينار ، فشاور مالكاً - رحمة الله عليهما - فقال له : إن الله تعالى يعطيك المائة من فضله وأنت إمام . فربما كان يجرى على لسانك شىء ، لأن القرآن معجز ، وأنت محترم . فلا تعاود في ذلك لاعتماد الناس عليك فتسير به الركاب فتسقط .

وقال الليث بن سعد[8] قدمت المدينة ونافع إمام الناس في القراءة ، لا ينازع .

ولما قال نافع : السنة الجهر بـ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ . لم يعد مالك أن سلم : وقال : كل علم يسأل عنه أهله ، وكان إمام المسجد النبوى .

---

(٤) انظر في هذا الخبر كذلك « النشر » ١/١١٢ حيث رواه ابن الجزرى على لسان نافع نفسه .

(٥) الأصل : رواية .

(٦) المسيبى : إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن المسيب ، بن أبى السائب المخزومى .

(٧) مخطوط بخزانة الأزهر - قراءات .

(٨) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى أبو الحارث ، إمام أهل مصر في عصره حديثا وفقها - وأصله خراسانى ، ومولده في قلشنده ، ووفاته في القاهرة ، وكان من الكرماء الأجواد ، (٩٤ - ١٧٥هـ) - (الأعلام ٦/١١٥) .

وعن الإمام مالك : قراءة نافع سنة . ومثله للشافعي ، وابن وهب[9] ، وزاد : فكيف برجل قرأ عليه مالك ؟! .

ولد نافع سنة سبعين ، وتوفى سنة تسع وستين ومائة ، فى أواخر ايام المهدى . وقُدِّمَ - فى الأداء - عند جماعة : كالدانى فى التيسير » ، والشاطبى فى « الحرز » ، وكابن مجاهد فى كتاب السبعة[10] لشرفه ، وقيل لشرف محله[11] ، وهذا إنما يتمشى على القول بتفضيل المدينة ، وإلا فابن كثير المكى أولى بالتقديم ، على القول بتفضيل مكة عليها ، وبه بدأ أبو العز[12] .

قال :

ومسألة التفضيل بين المحلين معروفة مشهورة ، فالله تعالى - بوجاهة وجهه الكريم ، وبنبيه العظيم - عليه افضل الصلاة وأتم التسليم ، يمن علينا بالعود إليهما ، على أحسن حال .

رجال نافع الذين تلقى منهم القراءات المتصلة أسانيدهم برسول الله ﷺ

قرأ نافع [13] - رضى الله عنه - على سبعين من التابعين يعتبر كل منهم أستاذاً له - منهم :

أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنى وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، ومسلم بن جندب ، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، وصالح بن خوات ، وشيبة بن نصاح ، ويزيد بن رومان .

وقرأ أبو جعفر والأعرج على عبد الله بن عباس ، وأبى هريرة ، وعبد الله بن عياش بن أبى ربيعة المخزومى .

وقرأ مسلم ، وشيبة ، وابن رومان على عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة أيضاً .

وسمع شيبة القراءة على ابن عمر بن الخطاب .

وقرأ صالح على أبى هريرة .

وقرأ الزهرى على سعيد بن المسيب .

وقرأ سعيد على ابن عباس وأبى هريرة .

وقرأ ابن عباس ، وأبو هريرة ، وابن عياش على أبىّ بن كعب .

وقرأ ابن عباس أيضاً على زيد بن ثابت .

وقرأ أبىّ ، وزيد ، وعُمَرُ - رضى الله عنهم - على رسول الله - ﷺ - .

من رواة نافع

من المعلوم أن لأئمة القراءات رواة كثيرين . اختير منهم لكل إمام راويان - فمن رواة نافع :

١ - أبو موسى عيسى قالون بن مينا المدنى النحوى الزرقى ، مولى الزهريين . وكان أصم يلقم أذنه فم القارىء ، وقيل إنه كان لا يسمع البوق . وإذا قرىء عليه القرآن يسمعه .

---

(٩) عبد الله بن وهب بن مسلم الفهرى بالولاء ، المصرى أبو محمد فقيه الأئمة ، من أصحاب الإمام مالك . جمع بين الفقه والحديث . وله كتب كان حافظا ثقة مجتهداً . مولده ووفاته بمصر (١٢٥ - ١٩٧هـ) ، (الأعلام ٤/٢٨٩) .

(١٠) كتاب السبعة تحقيق د . شوقى ضيف . ط المعارف .

(١١) يريد : موضع إقامته وسكناه ، وهو المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام .

(١٢) يريد : ابا العز القلانسى ، صاحب الإرشاد والكفاية ، الذى جعل ابن كثير أول القراء .

(١٣) راجع للإمام الدانى - التيسير فى القراءات السبع . ط اسطنبول لجمعية المستشرقين الألمانية ص ٥ وللإمام ابن الجزرى - النشر فى القراءات العشر . ط دمشق .

واختص بنافع كثيراً حتى قيل : إنه ربيبه . وهو الذى لقبه (بقالون) لجودة قراءته ، وهى لغة الروم .

قال الجعبرى : وخاطبه بالرومى لأنه من سبى الروم .

وكان « قالون » قارىء المدينة ونحويها ، ومولده سنة عشرين ومائة ، وتوفى سنة خمس ومائتين فيما ذكره الجعبرى . وقال الذهبى : سنة عشرين ومائتين ، عن نيف وثمانين سنة . وقد غلط من زعم أنه مات سنة خمس ومائتين .

والثانى من رواة نافع : أبو سعيد عثمان المشهور بالمصرى القبطى . الملقب بـ(ورش) ، لقبه به نافع أيضاً لشدة بياضه ، وقيل لحسن قراءته . وكان ورش أشقر ، أزرق العينين ، سميناً ، مربوعاً ، رحل إلى المدينة فقرأ على نافع أربع خَتْمات[١٤] فى شهر واحد . سنة خمس وخمسين ومائة ، ورجع إلى مصر فانفرد برياسة الإقراء ، مع براعته فى العربية والتجويد مع حسن الصوت ، وجودة القراءة ، بحيث لا يمله سامعه . حتى قيل : إنه كان إذا قرأ على نافع أغشى على كثير من الجلساء .

وولد بمصر سنة إحدى عشرة ومائة ، وهذا هو القول المقدم ، قاله الأهوازى . وقيل عشرون ، وقيل سنة عشر . وتوفى بها سنة سبع وتسعين ومائة .

. طرق قالون

فأما قالون فمن طريقين :

الأولى : طريق أبى جعفر محمد بن هارون ، الربعى ، البغدادى ، المعروف بأبى نشيط . وكان ثقة ضابطاً محققاً ، وتوفى سنة ثمان وخمسين ومائتين .

الثانية : طريق أبى الحسن أحمد بن يزيد الحلوانى ، وكان إماماً فى القراءات ، ضابطاً متقناً ، ثقة . وتوفى سنة خمسين ومائتين .

فأما أبو نشيط فمن طريقين :

إحداهما : طريق أبى الحسين أحمد بن عثمان بن جعفر بن بويان[١٥] البغدادي القطانى الحربى . وكان ثقة كبيراً ، ضابطاً . ولد سنة ستين ومائتين . وتوفى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة .

وثانيتهما : طريق أبى الحسن على بن سعيد بن الحسن بن ذؤابة ، البغدادى القزاز . وكان مقرئاً ثقة ، متقناً ، محققاً ، ضابطاً ، وتوفى قبيل الأربعين وثلاثمائة .

وأما الحلوانى فمن طريقين :

إحداهما : طريق أبى الحسن ابن العباس بن أبى مهران . الْجَمَّال ـ بالجيم ـ وكان ثقة ، مقرئاً حاذقاً ، وتوفى سنة تسع وثمانين ومائتين .

وثانيتهما : طريق جعفر بن محمد بن الهيثم ، البغدادى . وكان ثقة ، محققاً ، ضابطاً ، متقناً ، وتوفى ، فى حدود سنة أربعين ومائتين .

وأما ابن بُويان فمن سبع طرق :

الأولى : طريق إبراهيم بن عمر عنه ، من طريق « الشاطبية » كالتيسير .

---

(١٤) اسم المرة من ختم : ختمة .

(١٥) بضم الموحدة ، وواو ساكنة ، وياء آخر الحروف .

الثانية : طريق الحسن بن محمد بن الحباب عنه ، من طريق « الهداية » و« الكافى » .

الثالثة : طريق أبى بكر أحمد بن نصر بن مهران عنه ، من « الغاية » له . [أى لابن مهران] و« الكامل » للهذلى .

الرابعة : طريق أبى الحسن على بن العلاف عنه ، من « المستنير » لابن سوار .

الخامسة : طريق إبراهيم الطبرى عنه . من « المستنير » من طريقين .

السادسة : طريق أبى بكر الشذائى(١٦) ، مقرىء البصرة عنه ، من طريقى : الخيازى ، من « الكامل » ، والكارزينى من ثلاث طرق : من « تلخيص أبى معشر » ، ومن « مبهج سبط الخياط » ، ومن طريق أبى الكرم .

فهذه أربع طرق للشذائى .

السابعة : طريق أبى أحمد الفرضى عنه ، من سبع طرق ..

ومنها أيضاً ابن هاشم من « الكامل » ... الخ .

فجملة الطرق عن قالون . تسع وأربعون طريقاً . ذكرها جميعها ، وبين سِنِى حياة ووفاة رجالها . الإمام شهاب الدين أبو العباس القسطلانى فى كتابه (لطائف الإشارات)(١٧) .

طــرق ورش

وأما ورش فمن طريقين أيضاً :

الأولى : طريق أبى يعقوب يوسف بن عمــربن يســار المــدنى . ثم المصرى المعروف بالأزرق وهو الذى خلف « ورشا » فى القراءة والإقراء بمصر . ولازمه مدة طويلة ، حتى قرأ عليه عشرين ختمة . وتوفى فى حدود سنة تسعين ومائتين .

والثانية : طريق أبى بكر محمد بن عبد الرحيم بن شبيب بن يزيد بن خالد الأصبهانى ، وكان إماما فى رواية ورش ، ضابطا لها ، مع الثقة والعدالة . وهو أول من أدخل قراءة ورش العراق ـ وأخذها أهل العراق عنه ، حتى صاروا لا يعرفون رواية ورش إلا من طريقه . ولذا نسبت إليه دون أحد من شيوخه . فإنه قرأ على أصحاب ورش وأصحاب أصحابه . وتوفى الأصبهانى سنة ست وتسعين ومائتين ببغداد .

فأما الأزرق فمن طريقين :

الأولى : طريق أبى الحسن إسماعيل بن عبد الله بن عمر النحاس المصرى ، وكان شيخ مصر فى رواية ورش . ضابطا ، محققاً ، ثقة . وتوفى فيما قاله الذهبى ، سنة بضع وثمانين ومائتين(١٨) .

وثانيتهما : طريق أبى بكر عبد الله بن مالك بن عبد الله ين يوسف بن سيف التجيبى المصرى عنه . وكان إماما فى القراءة ثقة انتهت إليه مشيخة الإقراء بمصر بعد الأزرق . وعَمِّر زمانا . وتوفى يوم الجمعة ، سلخ جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثمائة بمصر .

وأما الأصبهانى فمن طريقين أيضا :

إحداهما : طريق أبى القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد بن الهيثم البغدادى ، وكان ضابطا مشهوراً .

←

(١٦) بفتح الشين والذال المخففة .

(١٧) مخطوط رقم ١٣٠٩ مكتبة الظاهرية بدمشق .

(١٨) عن الذهبى ـ معرفة القراء الكبار .

قال الذهبي : أحد من عني بالقراءات وتبحر فيها ، وتصدر الإقراء دهرا . وتوفي قبيل الخمسين وثلاثمائة .

وثانيتهما : طريق المُطوعي : الحسن بن سعيد عنه ، عن أصحابه عنه ، وهو السابق في قراءة الأعمش .

فأما النحاس عن الأزرق ، فمن ثماني طرق عنه .

الأولى : طريق أحمد بن أسامة عنه من طريقين : « الشاطبية » و« التيسير » .

الثانية : طريق الخياط عنه ، قرأ بها الشاطبي على النَّفَزِي .

الثالثة : طريق أبي بكر أحمد بن محمد بن أبي الرجاء المصري . قرأ بها الداني على خلف بن إبراهيم عنه .

الرابعة : طريق أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد بن هلال عنه . من ثلاث طرق :

أولاها : طريق أبي غانم المظفر بن أحمد بن حمدان من ثلاث طرق من « الهداية » للمهدي ، ومن كتاب « المجتبى » للطرسوسي ، ومن كتاب « الكامل » للهذلي .

وثانيتها : طريق أبي حفص عمر بن محمد بن عراك ، عن ابن هلال أيضاً من « الكامل » أيضاً .

وثالثتها : طريق الشعراني عن ابن هلال من « الكامل » أيضاً .

الخامسة : طريق الخولاني عنه ، أي عن النحاس من أربع طرق :

طريق الداني ، قرأ بها عَلَى أبي الفتح ، ومن « كتاب التجريد » لابن الفحام . « وتلخيص العبارات » لابن بَلِّيمَةَ ، ومن « الكامل » للهذلي .

السادسة : عن النحاس : طريق أبي نصر الموصلي ، من طريقي أبي معشر ، والكامل للهذلي .

السابعة عنه : طريق أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأهناسي من طريقين من « الكامل » .

الثامنة عنه : طريق ابن شنبون ، من طريقين . من « الكامل » فتحصل للنحاس تسع عشرة طريقاً . الخ ..

وقرأ قالون وورش على إمام المدينة نافع بن عبد الرحمن فهذه مائة وأربع وأربعون طريقاً عن نافع . ذكرناها مختصرة . فمن أرادها فعليه بأمهات كتب التراجم .

هذا وقد أثنى عليه أكابر العلماء ثناء عظيماً .

فقال سعيد بن منصور سمعت مالكا يقول : قراءة أهل المدينة سنة . قيل له : قراءة نافع . قال : نعم .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبي : أي القراءة أحب إليك ؟ قال قراءة أهل المدينة . فإن لم يكن فقراءة عاصم .

وقال مالك : نافع إمام الناس في القراءة .

وروى أبو خليد الدمشقي – واسمه عتبة – عن الليث بن سعد أنه أَمَّ المدينة سنة عشر ، فوجد نافعاً إمام الناس في القراءة لا ينازع .

قال الأصمعي : عن فلان قال : أدركت المدينة سنة مئة ونافع رئيس في القراءة .

قال الأصمعي : قال لي نافع أصلي من أصبهان .

وقال اسحاق المسيبى : قال نافع : قرأت على هؤلاء ، فنظرت إلى ما اجتمع عليه اثنان منهم فأخذته . وما شذ فيه واحد تركته حتى ألفت هذه القراءة .

وقال الأصمعي : سألت نافعاً عن « الذئب » و « البئر » فقال : إن كانت العرب تهمزها فاهمزها .

وروى الحلوانى عن قالون : أن نافعاً كان لا يهمز همزاً شديداً ، ويمد ويحقق القراءة ولا يشدد . ويقرب بين الممدود وغير الممدود .

وقال عبيد بن ميمون التبان : قال لى هارون بن المسيب : قراءة من تُقْرِئُ ؟ قلت : قراءة نافع ، قال : فعلى من قرأ نافع ؟ قال : على الأعرج ، وقال الأعرج : قرأت على أبى هريرة - رضى الله عنه .

وروى أن نافعا كان صاحب دعابة وطيب أخلاق وَثَّقَهُ يحيى بن معين ، ولينه أحمد بن حنبل ، قال النسائى : ليس به بأس ، وقال أبو حاتم : صدوق[19] .

روى محمد بن إسحاق عن أبيه قال : لما حضرت نافعاً الوفاة ، قال له أبناؤه : أوصنا قال : (اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) .

ومات سنة تسع وستين ومئة . رحمه الله تعالى .

إبراهيم عطوه عوض

غرة صفر ١٤٠٨ هـ

٢٤/٩/١٩٨٧ م

مصارد البحث

١ ــ الإمام الشاطبى ـ ت ٥٩١ هـ ـ حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع .

٢ ــ الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى ـ ت ٤٤٤ هـ ـ كتاب التيسير فى القراءات السبع لجمعية المستشرقين الألمانية . طبع اسطنبول سنة ١٩٣٠ م .

٣ ــ الإمام مكى بن أبى طالب القيروانى ـ ت ٤٣٧ هـ ـ الإبانة عن معانى القراءات . الكشف عن وجوه القراءات وعللها . ج ١و٢ ط ـ دمشق .

٤ ــ أبو شامة ـ ت ٦٦٥ هـ . إبراز المعانى .

٥ ــ الجعبرى ـ ت ٧٣٢ هـ . كنز المعانى ـ مخطوط .

٦ ــ الإمام شمس الدين الذهبى ـ ت ٧٤٨ هـ ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ـ ط ـ مؤسسة الرسالة ببيروت .

٧ ــ الإمام شمس الدين بن الجزرى ـ ت ٨٣٣ هـ ـ « النشر فى القراءات العشر » غاية النهاية فى طبقات القراء ـ جـ ٢ ـ وتقريب النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ـ تحقيق الشيخ ـ إبراهيم عطوه عوض ، وتحبير التيسير منجد المقرئين وارشاد الطالبين لابن الجزرى .

٨ ــ الإمام شهاب الدين القسطلانى ـ لطائف الإشارات ـ مخطوط بمكتبة الظاهرية ـ بدمشق .

---

(١٩) هذه الاحكام ليست فى القراءة ، ولكنها تتعلق بروايته فى « الحديث » .

حدث كبير في تاريخ البشرية



لا جدال في ان ميلاد رسول الله محمد ﷺ كان اكبر حدث في تاريخ البشرية واشهر حركة للإصلاح الاجتماعي اذنت بفجر جديد اشرقت انواره على الإنسانية فكشفت عنها ضلالات الجهل وظلمات الوثنية وحررت القلوب والعقول من قيود الخرافات والأوهام .

كيف كان العالم قبل ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول العلامة « جول لابوم » كان العالم قبل مولد هذا النبى ﷺ مملوءاً بالاضطرابات والفتن والقلاقل ففى انكلترا كان الأنجلو ينازعون السكسون ، وفى فرنسا كان أولاد « كلوفيس » أول ملك على فرنسا متخاصمين متحاربين ، أما فى إيطاليا فكان اسم الرومان قد فقد هيبته وكانت روما وهى رأس ذلك التمثال المتهشم تترنح وتضطرب كلما ألمت بها طائفة من ذكريات عظمتها الراحلة أما فى أفريقيا فكان اليونانيون والرومانيون وهم أخلاط من عساكر وتجار وحكام دائبين على امتصاص دم « مصر » ساعين فى جعلها كالجثة الهامدة لا حس فيها ولا حركة(١) .

ويقول « ج . هـ . رنيسون » صاحب كتاب « العواطف كأساس للحضارة » : إن النظم التى خلفتها المسيحية كانت تعمل على الفرقة والانهيار بدلاً من الاتحاد والنظام ، وكانت الحضارة كشجرة ضخمة متفرقة امتد ظلها إلى العالم كله ولكنها كانت واقفة تترنح وقد تسرب إليها العطب حتى الباب وفى غمرات هذا الفساد ولد الرجل الذى وحد العالم جميعاً(٢) ﷺ .

ويقول المستشرق الأمريكى « ادوارد دروس » عن تلك الفترة الجاهلية « كانت الأديان السماوية التى جاء بها موسى وعيسى

---

(١) من مقال جذور الفكر الاجتماعي في الوجود الإسلامي للأستاذ عمر بهاء الدين الأميري بمجلة منار الإسلام ربيع الأول سنة ١٤٠٧ هـ .

(٢) يقصد بذلك الرجل النبي محمد ﷺ .

للمستشار: محمد عزت الطهطاوى

وغيرهما من الأنبياء قد فقدت نقاءها وفضيلتها الأصلية لما عبثت بها أيدى العابثين فحرفوا ولوثوا معتقداتهم بخزعبلات ما أنزل الله بها من سلطان حتى أصبح الناس بهذا لا يفرقون بين الفضيلة والرذيلة وبين الحق والباطل[٣] .

ولم يكن الحال ببلاد العرب خيرا منه فى أنحاء العالم فكانت البشرية فى أمس الحاجة إلى دعوة إلهية جديدة تتمثل فى أهدافها كرامة الإنسان وتعيد إليه صوابه وتتيح له حياة يصوغ فيها فكره وحضارته .

ميلاد النبى محمد صلى الله عليه وسلم كان بشارة بهذه الدعوة الإلهية الجديدة

ففى فجر الاثنين من الأسبوع الثانى لشهر ربيع الأول من عام الفيل الموافق ابريل سنة ٥٧١ م ولد رسول الله ﷺ من أبوين قرشيين فى الذروة من الجاه والنسب والشرف فأبوه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وكان عبد المطلب سيد قريش وشيخها ويرتفع نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

وأمه السيدة آمنة بنت وهب ابنة سيد بنى زهرة شرفا ومجداً وقد حدثت فيما يروى عنها قالت : « أتيت حين حملت به فقيل لى إنك حملت بسيد هذه الأمة » وأمرت بأن تعيذه عند ولادته وأن تسميه محمداً وذكر صاحب كتاب نهاية الأرب فى روايته أن هذا الآتى أمرها أن تعيذه بالواحد من شر كل حاسد[٤] .

وفى رواية أخرى أن عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله ﷺ هو الذى سماه محمداً لرؤيا كان قد رآها فى منامه وكانت : كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره ولها طرف فى السماء وطرف فى الأرض وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ثم عادت كأنها شجرة على ورقة منها نور وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض فلذلك سماه محمداً[٥] .

اصطفاء الله للنبى صلى الله عليه وسلم

روى جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « أتانى جبريل فقال : يامحمد

(٣) من مقال صاحب الخلق العظيم للشيخ محمد حافظ سليمان ـ منبر الإسلام ربيع الأول سنة ١٤٠٧ هـ .
(٤) أنظر للنويرى ـ نهاية الأرب ـ ط دار الكتب ١٣٧٤ ، ولابن هشام السيرة النبوية جزء أول ط الكليات الأزهرية .
(٥) أنظر لأبي القاسم السهيلي ـ الروض الأنف ط الجمالية ١٣٣٢ هـ .

إن الله بعثني فطفت شرق الأرض وغربها وسهلها وجبالها فلم أجد حياً خيراً من مضر ، ثم أمرني فطفت في مضر فلم أجد حياً خيراً من كنانة ، ثم طفت في كنانة فلم أجد حياً خيراً من قريش ثم أمرني فطفت في قريش فلم أجد حياً خيراً من بني هاشم ثم أمرني أن أختار من أنفسهم فلم أجد نفساً خيراً من نفسك[٦] .

وفي هذا المعنى قال رسول الله ﷺ « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم »[٧] .

أهل الكتاب كانوا على حظ من العلم عنه صلى الله عليه وسلم وعن وقت ميلاده

حدث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : سكن يهودي بمكة يبيع بها تجارات فلما كانت ليلة ولد رسول الله ﷺ قال في مجلس قريش : هل كان فيكم من مولود هذه الليلة ؟ قالوا : لا نعلمه قال : انظروا يامعشر قريش وأحصوا ما أقول لكم ، ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة هو أحمد وبه شامة بين كتفيه فيها شعرات ، فتصدع القوم من مجالسهم وهم يعجبون من حديثه فلما صاروا في منازلهم ذكروه لأهاليهم فقيل لبعضهم ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام وسمى محمداً ، فأتوا اليهودي في منزله فقالوا : علمت أنه ولد فينا غلام . فقال : أبعد خبري أم قبله ؟ فقالوا : قبله واسمه محمد ، قال فاذهبوا بنا إليه فخرجوا حتى أوفوا أمه فأخرجته إليهم فرأى الشامة في ظهره فغشي على اليهودي ثم أفاق ، فقالوا : مالك ويلك ، فقال : ذهبت النبوة من بني إسرائيل وخرج الكتاب من أيديهم ، فازت العرب بالنبوة ، أفرحتم يامعشر قريش ، أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج نبؤها من المشرق إلى المغرب[٨] .

ونقل النويري في كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب في السفر السادس عشر ما ذكره الصحابي الجليل شاعر الرسول حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه قال : إني لغلام يفع ابن سبع سنين أو ثماني سنين أعقل كل ما سمعت وإذا بيهودي من يثرب يصرخ ذات غداة : يامعشر اليهود ، فلما اجتمعوا قالوا مالك ويلك ؟ قال : وقد طلع نجم أحمد الذي يولد به هذه الليلة ، وفي رواية أخرى قال : هذا كوكب أحمد قد طلع ، هذا كوكب لا يطلع إلا بالنبوة ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد[٩] انتهى كلامه .

---

(٦) رواه الحكيم الترمذي .

(٧) رواه مسلم والترمذي هكذا ورد بكتاب التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول المجلد الثالث تأليف الشيخ منصور على ناصف دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان الطبعة الثالثة سنة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م .

(٨) كتاب في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين لكاتب هذا المقال نقلاً عن سيرة ابن كثير ـ رضي الله عنه ـ

(٩) كتاب السيرة النبوية لابن هشام السابق الإشارة إليه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت يهود بنى قريظة وبنى النضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبى ﷺ عندهم قبل أن يبعث وأن دار هجرته بالمدينة فلما ولد رسول الله ﷺ قالت : أحبار يهود ولد « أحمد » الليلة هذا الكوكب قد طلع ، فلما تنبأ قالوا تنبأ أحمد قد طلع الكوكب ، كانوا يعرفون ذلك ويقرون به فما منعهم إلا الحسد والبغى(١٠) .

وهذه إرهاصات تعطى فى مجملها صورة عما ماج فى الجزيرة من أخبار عن النبى المرتقب صلوات الله وسلامه عليه وفى هذا المعنى قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١١) وقال جل وعلا : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(١٢) .

أحمد اسم من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم

نطق به الكتاب العزيز : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾(١٣) وورد فى صحيح السنة قال رسول الله ﷺ : « لى خمسة أسماء : أنا محمد وأحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب »(١٤) بمعنى أنه لا نبى بعده .

تكليفه صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله

إذا كانت أقدار النفوس لا يعلمها إلا بارئها إلا أن العرب فى جاهليتهم كانوا يرمقون رسول الله ﷺ قبل البعثة بالإكبار والإجلال ويحترمون فى سيرته شارات الرجولة الكاملة إلا انهم لم يتخيلوا قط أن مستقبل الحياة على هذه الأرض قد ارتبط بمستقبله وأن الحكمة وكلمات الوحى ستتفجر من فمه الطهور وقد كان ، ففى سن الأربعين فَجَأَةُ الوحى وكلف من قبل السماء بدعوة الناس إلى الإسلام دين الله تعالى قال جل وعلا : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(١٥) وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾(١٦) ومكث الوحى ينزل عليه ثلاثا وعشرين سنة ، وفى نزول القرآن على هذه الوتيرة مقصود للشارع الحكيم فإن الزمن جزء من علاج النفوس

←

(١٠) كتاب هداية الحيارى للامام ابن القيم طبعة دبى سنة ١٤٠٧ ـ ١٩٧٨ م

(١١) سورة البقرة ١٠١ .

(١٢) سورة البقرة ١٤٦ .

(١٣) سورة الصف ٦ .

(١٤) رواه البخارى ـ الجزء الرابع دار الشعب سنة ١٣٧٨ هـ وكذلك رواه مسلم فى كتاب الفضائل دار الشعب سنة ١٣٩٣ هـ ـ سنة ١٩٧٣ م .

(١٥) سورة الأعراف ١٥٨ .

(١٦) سورة آل عمران ١٩ .

وسياسة الأمم وتقرير الأحكام ، وفى هذه الفترة مارس الدعوة إلى الله دون كلل أو ملل وصمد أمام طواغيت الشرك والطغيان فاضطهدوه هو ومن آمن معه حتى وصل الأمر بهم إلى أن خططوا لقتله 'حضاء على دعوته فأذن الله له فى ترك مكة والهجرة منها إلى المدينة حيث وجد فيها هو وأصحابه الأنصار والأتباع ، الطمأنينة والاستقرار فحارب بهم كل من يقف أمام الدعوة إلى الإسلام ومن صد عنها من صناديد الشرك وعبدة الأوثان وقضى على مؤامرات اليهود المجاورين للمدينة وأجلاهم عنها ثم تم له النصر بفتح مكة واستسلم سادتها وأتباعها وطهر الكعبة مما كان فيها من أصنام كانت قريش تعبدها وتقدسها من دون الله فأمر بتحطيمها ، وعندئذ علت فى جنبات مكة دعوة التوحيد « الله اكبر الله اكبر لا إله إلا الله » وبايعه الناس فيها على الإسلام وعلى السمع والطاعة لله ولرسوله .

وبشيوع هذه الأنباء فى أرجاء الجزيرة العربية انطلقت أفواج الوافدين صوب المدينة تبايع الرسول ﷺ على أن تخلع رداء الجاهلية وتدخل فى دين الإسلام قال الله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾[١٧] .

وفاته صلى الله عليه وسلم

ولم يمض إلا قليل بعد حجة الوداع التى بين فيها رسول الله ﷺ شعائر الحج فى الإسلام حتى قضى ولقى ربه راضيا مرضيا بعد أن بلغ رسالة ربه وأدى الأمانة ونصح الأمة فى أن تسلك من بعده النهج القويم فيعضوا بالنواجذ على كتاب الله وسنة رسوله فقال : (إن الشيطان قد يئس أن يُعبَدَ بأرضكم ولكن رَضِىَ أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أمركم فاحذروا ، إنى تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا : كتاب الله وسنة نبيه[١٨] وكانت وفاته فى شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة[١٩] .

صحابة الرسول يستأنفون مسيرة الدعوة بعده

بعد وفاة رسول الله ﷺ حمل لواء الدعوة إلى الإسلام أصحابه الكرام البررة وقد علموا

(١٧) سورة النصر .
(١٨) الحديث رواه الحاكم ومالك فى الموطأ .
(١٩) كتاب سيرة الرسول تاليف الدكتور محمد الطيب النجار .

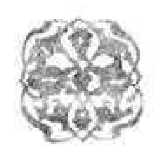
أن الإسلام نشأ عزيزا لا يقبل الذل ، زاحفا لا يقبل الردة وإذ كانوا عظماء بعظمة الإسلام ، أجلاء بجلال الإيمان مضوا ينشرون التوحيد بين العالمين ، ويقيمون العدل فى الأرض ، ويحاربون الأوهام والعوج فأقاموا للإسلام دولة كبرى ذات حكومة مهيبة تُعَدُّ الأولى فى ذلك الزمان قال الله تعالى ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾(٢٠)

وبعد

فإن الإسلام الذى نادى به رسول الله ﷺ حق ناطق يجادل عن نفسه ويستعلن بما فيه ويرفض أن يتوارى أو يصمت وهو كامن فى كتابه الكريم وسنة نبيه دون تغيير أو تحريف أو تبديل ولن يضير هذا الحق محاولات معنتة من أعدائه تخطط للقضاء عليه ، حاولها - ولا يزال يحاولها - أعداء الحق من خصومه التقليديين واتباعهم من ذوى نعمتهم ورقيق ثقافتهم ، ولن يفلحوا .

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾(٢١) .

محمد عزت الطهطاوى



---

(٢٠) سورة الفتح ٢٩ .

(٢١) سورة التوبة ٣٢ .

القدوة العليا

كرم رسول الله صلى الله عليه وسلم

صور من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته فى الكرم والعطاء

لقد بعث الله النبى - ﷺ - رحمة للعالمين ، وجعله قدوة عليا لأمته ، يهتدون بهديه ، ويمشون على نهجه ، ويستنون بسنته ، امتثالا لأمر الحق جل وعلا : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً ﴾ - الأحزاب ٢١ -

وحين امتدح الله نبيه - ﷺ - لم يمتدحه بعلو النسب أو عظم الجاه أو غير ذلك مما جرت عادة الناس أن يمتدحوا به ، ولكن امتدحه بحسن الخلق ، فقال له مزكيا - وما أعظمها من تزكية - ﴿ وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ - القلم ٤ - وأخبر النبى - ﷺ - عن ذلك - فيما يرويه أبو هريرة رضى الله عنه - « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » - جمع الجوامع حديث رقم ٣١٤٠ -

والنبى - ﷺ - كان قمة شماء فى كل خلق نبيل ، وحسبنا أن نقدم هنا صورا من حياته وتوجيهاته فى صفة من أعظم الصفات التى تجمع شمل الأمة ، وتقوى الروابط بينها ، وتقيم دعائم المجتمع على هدى ونور وحب ، وهى صفة الكرم التى توشك أن يفقدها الناس ، بعد أن زحفت المادة بثقلها ، وران زيفها على القلوب فأعماها ، فلم تعد تدرك فى دنياها إلا الحرص الزائد والأنانية البغيضة ، والأثرة والاستغلال واقتناص المغانم من أى مكان وبأية وسيلة ، وضاع فى طريق ذلك كثير من المبادىء والقيم التى شيدها الإسلام ودعا إليها رسوله الكريم ..

كان النبى - ﷺ - كريما مضيافا ، وكان فى كرمه كالريح المرسلة لا يقف دون جودها شىء ، وكان يحض على إكرام الضيف ، وكان هو قدوة طيبة فى ذلك ، واعتبر إكرام الضيف من علامات الإيمان فقال فى الحديث

للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلى القرنى

المشهور : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه »[1] .

ولا يقف كرمه عند حد إكرام الضيف ، ولكنه كان يدعو إلى العطاء ومحاربة شح النفس ما وسعه إلى ذلك سبيل .

ونتصفح معا كتاب « أسد الغابة » لابن الأثير ، وهو من أعظم كتب تراجم الصحابة الأجلاء الذين عايشوا النبى - ﷺ - وعرفوا أخلاقه عن قرب ، وانتفعوا بتوجيهاته الكريمة وإرشاداته الحكيمة ، لنقرأ بعض هذه الشواهد .

روى ابن الأثير فى ترجمة خالد بن صخر قال : ركب رسول الله - ﷺ - إلى قباء ، إلى بنى عمرو بن عوف ، وكان يشهد الجنائز ويعود المرضى ويُدعى فيجيب ، فرأى شيئاً من جِصَنَةِ الأموال ولم يكن رآه فيما مضى . فقال : لا عليكم إذا نزلتم لعيدكم - يعنى الجمعة - أن تثبتوا حتى أكلمكم . فلما صلى رسول الله - ﷺ - الجمعة صلى فى مقامه ذلك ركعتين ، ثم لم ير مصليا لهما قبل ولا بعد ، وتواثبت الأنصار من نواحى المسجد حتى أحدقوا بالمنبر . فخطب رسول الله - ﷺ - فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، يامعشر الأنصار كنتم إذ ذاك تحملون الكَلّ وتكفلون اليتيم وتصنعون المعروف حتى إذا جاءكم الله بالإسلام إذا أنتم تحصنون الأموال ، وفيما يأكل ابن آدم أجر ، وفيما يأكل الطير أجر ، قال : فانصرفوا فما منهم رجل إلا هدم فى حائطه ثلمة أو ثلمتين - أسد الغابة جـ ٢ ، ص ٩٩ - ط دار الشعب -

إن النبى - ﷺ - لم ينكر المحافظة ، ولكنه أنكر ما يجر أصحاب النفوس الحريصة إلى الاسترسال مع الأثرة والحرص الشديد ، الذى قد يدفع إلى المنع والشح .

وكأنه استنكر الجديد الطارىء من السلوك الذى يتنافى مع دين يدعو إلى الأمانة ويحض على العطاء ويدعو إلى البر والوفاء ، فما بالهم فى الجاهلية كانوا لا يحصنون وفى الإسلام يحصنون ؟ فهل يكونون آمنين فى جاهليتهم ولا يكونون أكثر أمانا فى ظل هذا الدين الذى أذهب الله به كل خوف من النفوس ؟

إكرام الضيف حق له :

ثم إننا نجد النبى - ﷺ - يحث على البذل ليحطم داعية الشح فى النفوس فيقول - فيما يرويه ابن الأثير فى ترجمة خالد بن يزيد : ثلاث من كن فيه فقد وقى شح نفسه : من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى فى النائبة » - أسد الغابة جـ ٢ ص ١١٣ .

ويجعل إكرام الضيف حقا واجبا وتبعة لازمة ، فيقول : المقدام بن معد يكرب راويا عن رسول الله - ﷺ - : ليلة الضيف حق على كل مسلم ، فإن أصبح بفنائه محروما فهو عليه دين ، فإن شاء اقتضى وإن شاء ترك ٦/٢٦٣ .

لقد جعل النبى - ﷺ - من حق الضيف أن يقاضى مضيفه إن قصر فى واجبه ، فأى مجتمع أحق بالتكافل من هذا ؟ وأى دين يدعو إلى التكامل أفضل من هذا ؟

وليقس من أراد على ذلك أى مجتمع آخر من تلك المجتمعات التى تفخر بالتقدم فى الوقت الذى تحرم فيه الضيافة ، وتحتم على الضيف أن تكون لديه دعوة سابقة ، وإذا اضطرته الظروف إلى طرق باب صديق لم يجد عنده زادا يكفيه أو مكانا يؤويه ، فما بالك لو كان غير صديق ؟

مضرب المثل والجود :

وكان النبى - ﷺ - مضرب المثل فى الجود ، وكلمة خديجة - رضى الله عنها - لا تزال فى أسماع الزمن شهادة صدق فى حق هذا الرسول الكريم حين قالت له : والله لن يخزيك الله أبدا ، أنك لتحمل الكَلَّ وتقرى الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الدهر .

وحين جاءته الرسالة زادته كرما على كرم وأضافت إليه جوداً فوق جود .

لقد أعطى صفوان بن أمية يوم حنين عطاء جعله يقول : والله ما طابت بهذا إلا نفس نبى ، وقال : أعطانى رسول الله - ﷺ - يوم حنين وإنه لأبغض الناس إلىّ ، فمازال يعطينى حتى إنه لأحب الناس إلى ١ / ٢٤ .

إنه عطاء الإحسان الذى يستل سخائم النفوس ، وليس عطاء السياسة التى قد يتنبه لها المعطي فيزداد طمعا وشرها ، ويزداد مع ذلك عداوة وحقدا .

لقد نبه النبى - ﷺ - على أثر البر والعطاء وفعل الخير ، وعلَّم أصحابه أنّ تَعَوُّدَ ذلك يعُود على صاحبه بالخير قبل أن يعود على غيره ، وهذه كلمته - ﷺ - التى تبقى مع الزمن وتصدقها التجارب والشواهد : صنائع المعروف تقى مصارع السوء ... - جمع الجوامع حديث ١٠٧ وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير برقم ٨٠١٤ -

إكرام الوفود :

وكان النبى - ﷺ - يكرم الوفود التى تأتيه ، فينزلها منازلها ، ويقريها ويعطيها ، فما ينصرف أفرادها إلا وقد أثنوا عليه بما هو أهله .

جاء فى ترجمة عرس بن عامر أنه وفد هو وأخوه عمرو بن عامر على النبى - ﷺ - فأعطاهما مسكنهما من « المصنعة » و « قرار » - هما موضعان - أسد الغابة جـ ٤ ص ٢٠ .

وحدّث ضرار بن القعقاع قال : وفد أبى إلى النبى - ﷺ - وأنا معه ومعنا رجال كثير ، فأمر رسول الله - ﷺ - لكل رجل منا ببردين - ٣ / ٥٤ .

وحدث الطيب بن عبد الله الدارى قال : قدمنا على رسول الله - ﷺ - ونحن ستة نفر فأسلمنا وسألناه أن يعطينا أرضا من الشام فأعطانا وكتب لنا - ٣ / ١٠٠ .

وحدث علقمة بن سفيان قال : كتب فى الوفد الذين وفدوا على رسول الله - ﷺ - من ثقيف فضرب لنا قبتين عند دار المغيرة ، فكان

بلال يأتينا بفطورنا فى رمضان ونحن مسفرون جداً ـ ٤/ ٨٤ .

وبدهى أن بلالا كان يحمل لهما الطعام من عند رسول الله ـ ﷺ ـ يؤيده ذلك الخبر : حدث سعيد بن ربيعة الثقفى قال : كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصمنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ ما بقى من رمضان بفطورنا وسحورنا من عند رسول الله ـ ﷺ ـ أسد الغابة جـ ٢ ص ٣٨٦ .

وكان النبى ـ ﷺ ـ يفرح بالوفُود ويستبشر ، لما فى ذلك من انتشار الإسلام وظهور الدين وانطلاق الدعوة . قال عبد الله بن أنيس العامرى : قدمت على النبى ـ ﷺ ـ أبشره بإسلام قومى فقال : أنت الوافد المبارك ، فلما أصبح صبحته بنو عامر فأسلموا ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : يأبى الله ـ عز وجل ـ لبنى عامر إلا خيرا ـ قالها ثلاث مرات ـ ٣/ ١٨١ .

ولم يكن النبى ـ ﷺ ـ يقنع بإطعام الوافد وإيوائه حال إقامته ولكنه كان يكسوه ، ولعل الكساء فيه معنى لطيف من معانى البركة التى يكتسبها المكسو حين يلامس جسده ثوب أهداه إليه النبى ـ ﷺ ـ ومن هنا يجب الحرص عليه .

جاء فى ترجمة عوف بن القعقاع قال : وفد أبى إلى النبى ـ ﷺ ـ وأنا معه غُلَيِّم ، فأمر لكل رجل ببردين ، وأمر لى ببردة ، فلما انصرفنا باع كل رجل منهم أحد برديه ، فأتيت النبى ـ ﷺ ـ فى بردين ، فنظر إلى وقال : من أين لك هذه ؟ قلت : اشتريتها من فلان . قال : أنت كنت أحق به إذ ضيَّع ما أعطاه رسول الله ـ أسد الغابة جـ ٤ ص ٣١١ .

وحقا ذلك فإن ما أعطاه الرسول ـ ﷺ ـ لا يعوض بثمن ، لما فيه من الخير والبركة ، وقد عرف أصحابه ذلك ، فكانوا يحرصون على آثاره حرصا شديداً ، ويتنافسون فى اقتنائها تبركا بها وتفاؤلا باصطحابها . كان خالد بن الوليد يقاتل عدوه وهو يحرص على قلنسوة بها شعرات من ناصية رسول الله ـ ﷺ ـ يتبرك بها ـ بمشيئة الله ـ فلا يزال منصورا . ويروى هذا الأثر عن خالد فيقول : اعتمرنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فى عمرة اعترها ، فحلق شعره ، فاستبق الناس إلى شعره فسبقت إلى الناصية فما وجهته فى وجهة إلا وفتح له ـ ٢/ ١١١ .

ويحدث الرواة أن النبى ـ ﷺ ـ حين أنشده كعب بن زهير قصيدته المشهورة : « بانت سعاد .. » واعتذر له فيها عما فرط منه ، وامتدحه وأصحابه ، خلع عليه بردة ، مازالت عنده يعتز بها ، وورثها أبناؤه من بعده وبقيت عندهم حتى قيل إن معاوية اشتراها منهم بمال جزيل ، ومازال الخلفاء يتوارثونها ويلبسونها فى المواسم ، حتى أشار إلى ذلك « البلاذرى » فى مدحه للمستعين بالله :

ولو أن برد المصطفى إذ لبسته
يَظُن لظن البرد أنك صاحبه
وقال وقد أعطيته ولبسته
نعم هذه أعطافه ومناكبه ..

ذكر ذلك المرحوم محمود مصطفى فى كتابه الأدب العربى وتاريخه ٢/٣٤٦ .

الطمع فى عطاء النبى :

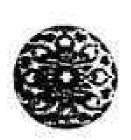
ولقد كانت الوفود تطمع فى عطائه وتستزيد منه ، وهذا حكيم بن حزام يقول : سألت رسول الله - ﷺ - فأعطانى ، ثم سألته فأعطانى ، ثم قال : ياحكيم ، إن هذا المال خضرة حلوة ، من أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى - قال حكيم : يارسول الله ، والذى بعثك بالحق لا أرزؤك ولا أحدا بعدك شيئاً . فكان أبو بكر - رضى الله عنه - يدعوه إلى عطائه فيأبى أن يأخذه ، ودعاه عمر - رضى الله عنه - فأبى ، فقال عمر : يامعشر المسلمين أشهدكم أنى أدعو حكيما إلى عطائه فيأبى أن يأخذه - فما سأل أحدا شيئا إلى أن فارق الدنيا - أسد الغابة ٢/٤٥ .

لقد كان النبى - ﷺ - يعطى ويوجه لأنه كان يريد أن يربى النفوس ويبنى الرجال ويرسى القواعد السليمة التى تقوم عليها دولة الإسلام .

ومن صور الطمع فى عطائه ، ما يقصه عمر بن مطعم أنه بينما هو يسير مع رسول الله - ﷺ - مقْفَلَه من حنين علقه الأعراب يسألونه ، فاضطروه إلى سَمُرَه فاستلبت رداءه وهو على راحلته ، فوقف فقال : ردوا على ردائى ، أتخشون على البخل ، فلو كان عدد العضاه نعما لقسمتها بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا - ٤/٢٧٢ .

صلى الله على صاحب هذه السيرة العطرة والتوجيهات الحكيمة التى نتذاكرها فى ذكرى مولده الكريم الذى فتح الله به آذانا صما وعيونا عميا وقلوبا غلفا ، ونشر به على الإنسانية اريج الرحمة والأمن والسلام . وإن فى ذكراه لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد .

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى





للأستاذ / محمد الليثى على محمد

خرج رسول الله (ﷺ) مع أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) فى طريقهما إلى المدينة حين أمر الرسول بالهجرة إليها ، ولم يكن الطريق من مكة إلى يثرب غريبا عليه فقد قطعه قبل ذلك أكثر من مرة مع أمه ثم مع عمه حين عرفه بُحَيْرا الراهب ثم فى تجارة للسيدة خديجة مع غلامها ميسرة ، ولكنه فى الهجرة سلك طريقا آخر بساحل البحر ليأمن أن تدركه قريش حين تطارده فحفظه الله كما حفظه فى الغار .

وعلى مشارف المدينة ومن فوق حصن من حصون اليهود صاح رجل منهم . كان يعلم أن أهل المدينة ينتظرون مقدم الرسول ـ « يابنى[1] قيلة هذا صاحبكم قد أقبل » فخرج الأنصار سراعا بسلاحهم يهرعون لاستقباله .

ونزل أول ما نزل بقباء حيث أقام فى بنى عَمرو بن عوف بضع ليال أسس فيها مسجد قباء حيث صلى فيه لأول مرة فى أمن وأمان .

ثم تحول إلى المدينة ليجد فيها فريقين من الناس ، فريق يستقبله بالبشر والترحاب فى موكب خرج فيه الرجال والنساء والصبيان والولائد .

وفريق آخر لم يسعد بمقدمه ، فما كاد يذاع خبر مقدمه صلى الله عليه وسلم بقباء

←

(١) يريد الأوس والخزرج فقد كانت قيلة جدتهم الكبرى .

حتى هرع يهود بنى النضير وبنى قينقاع وبنى قريظة بعضهم إلى بعض يقول قائلهم:

قاتل الله بنى قيلة والله إنهم لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبى .

كذلك لم يسعد وقتئذ عبد الله بن أُبَى ابن سلول فقد كان يطمع أن يكون ملكا ولكنه رأى الناس قد انفضوا من حوله وانصرفوا عنه واقبلوا على رسول الله ﷺ .

وفى المدينة أقبل الانصار يتنافسون على استضافة القادمين الكريمين يقولون : يارسول الله هلم إلى القوة والمنعة والثروة . كل دار تدعوه إلى المقام عندهم فقال كما فى حديث البراء عن أبى بكر (رضى الله عنه): أنزل على أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك .

وأشرقت المدينة بحلوله فيها وسرى السرور إلى القلوب ، قال أنس بن مالك : كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله (ﷺ) المدينة أضاء منزله كل شىء .

ويروى البخارى عن البراء بن عازب قال : فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم برسول الله (ﷺ) .

ويقول أنس ـ فى رواية لابن خيثمة والدارمى : شهدت يوم دخول النبى المدينة فلم ار يوماً أحسن منه ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه المدينة .

وبركت ناقة الرسول (ﷺ) بمحلة من محلات بنى النجار أمام دار أبى أيوب الأنصارى حيث أقام سبعة أشهر على الأرجح . وكان يصلى حيث ادركته الصلاة إلى أنْ بنى مسجده ومساكنه فانتقل إليها .

وتلاحق المهاجرون من مكة ولم يبق بها إلا مفتون أو محبوس أو ضعيف كما لم تبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها فيما عدا حىّ من الأوس أقاموا على شركهم .

المسجد:

بنى المسجد ليكون مكانا للصلاة والعلم والمشورة ومقراً لنشر الدعوة ومقصداً للراغبين فى استقصاء حقائقها سواء أكانوا من أهل الكتاب أم من غيرهم . فهو ديوان الأمة يسوس أمورها رسول الله (ﷺ) راعى رسالة السماء وقائد جماعة الله باسم الله عز وجل .

أهل الكتاب:

لم يكن بالمدينة من أهل الكتاب سوى اليهود وقد خافوا أن يجمع الإسلام بين الأوس والخزرج فلا تكون لهم طاقة بهم وبرغم علمهم بأن النبي محمد (ﷺ) هو الموصوف عندهم فى التوراة إلا أن غرور بعضهم قد دفعهم إلى تكذيبه ومحاولة النيل منه ثم نقض عهوده فيما بعد . وبرغم أن حِبْرَهم عبد الله بن سلام كبرّ عندما علم بقدوم النبى (ﷺ) وأمر أهل بيته فأسلموا وخاطب اليهود قائلا :

يامعشر يهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة باسمه وصفته فإنى أشهد أنه رسول الله وأومن به وأصدقه وأعرفه .. فلما سمعوا ذلك جحدوه وأنكروه

فقال لرسول الله (ﷺ) الم أخبرك يارسول الله انهم قوم بهت ، أهل غدر وكذب وفجور .

وثيقتان:

وبحكمة القائد المحنك وحتى يـأمن المسلمون غدر اليهود ولكى يخيم على المدينة جو من الأمن والاستقرار بعد معاناة السنين فى مكة حيث كان المسلمون هدفا للاضطهاد والسخرية والتعذيب فقد عمد الرسول (ﷺ) ـ وهو من علمه الله مالم يكن يعلم ـ إلى أن يسجل وثيقتين تبدأ بهما الحياة الجديدة الآمنة المستقرةحتى يتفرغ لما بعد الهجرة من مهام جسام وحتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

وثيقة المؤاخاة :

كانت الوثيقة الأولى عقد المؤاخاه بين المهاجرين والأنصار .

أما الثانية فكانت كتابه (ﷺ) بين المهاجرين والأنصار لموادعة يهود .

أمَّا عن الوثيقة الأولى فإننا إذا رجعنا قليلا إلى مكة نجد أن الرسول (ﷺ) عندما أمر المسلمين بالهجرة إلى المدينة قال لهم : إن الله عز وجل ـ قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها ، وقد سجل الله تعالى حب الأنصار للمهاجرين بقوله تعالى﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . الحشر

وبدات وقائع المؤاخاة حين اجتمع جماعة من المسلمين نصفهم من الأنصار ونصفهم من المهاجرين فى دار أنس بن مالك (رضى الله عنه) وقال لهم رسول الله (ﷺ) : إنى محدثكم بحديث فاحفظوه وَعُوهُ وحدثوا به من بعدكم : إن الله تعالى اصطفى من خلقه خلقاً ثم تلا ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ وإنى أصطفى منكم من أحب أن أصطفيه وآخـى بينكم كما آخى الله تعالى بين الملائكة : قم ياأبا بكر .. فلما قدم إليه قال النبى « إن لك عندى يداً الله يجزيك بها ولو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن ، أخوة الإسلام أفضل . وقال (تآخَوْا فى الله أخوين أخوين) ثم أخذ بيد على وقال : هذا أخى ثم آخى بين أبى بكر وخارجة بن زيد ثم قال : أُدْنُ ياعمر قد كنت شديد البأس علينا ياأبا حفص فدعوت الله أن يُقر بك الدين أو بأبى جهل ففعل الله ذلك بك وكنت أحبهما إلى الله ثم آخى بينه وبين عتبان بن مالك وكان جعفر بن أبى طالب غائبا فى الحبشة فآخى بينه وبين معاذ بن جبل .

وسارت عملية المؤاخاة على ذلك المنوال حتى تمت بين المهاجرين والأنصار جميعا مؤاخاة على الحق والمواساة وعلى التوارث يعين كل واحد منهم أخاه على المعروف ويعاضده وينصره،وهى أعلى مراتب الأخوة فهى التزام ومواعدة على تقديم الخير والالتزام بالوفاء به وكانت هذه المؤاخاة كما ذكر السهيلى:ليذهب عن المهاجرين وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم البعض.

ولعل سائلا يسأل لماذا لم تتم كذلك مؤاخاة بين المهاجرى وأخيه المهاجرى ؟

قلت:ذلك لأن المهاجرين كانت تربطهم فى الأصل أخوة الإسلام وأخوة الدار وقرابة

←

النسب فأغنتهم هذه الأخوة عن أية أخوة أخرى تعقد بينهم .

هذا وقد رد الله توارث المهاجرين والأنصار بعد بدر وبعد أن اجتمع الشمل وذهبت الوحشة وعز الإسلام ، رد التوارث إلى ذوى الأرحام،وهو الأصل العام فى التوارث وذلك دون عقد الأخوة وفى ذلك يقول الله تعالى ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ وصدق الشاعر[٢] إذ يقول من قصيدته المؤاخاة فى الإسلام .

غرس الأخوة أصله من يثرب
هى جنة المأوى وغارسها النبى
بعث النبى بها الجماعة موكبا
فإذا الملائك فى صفوف الموكب
وسقى الأخوة كوثرا من نوره
فالظامىء الحيران من لم يشرب

●●●●

قال النبى لقد بنيت إخاءكم
ووصيتى : أن تحفظوا بنيانى
فإذا تفرقتم تبدد عقدكم
كتفرق الحصباء فى الميدان

وثيقة الموادعة :

أما الوثيقة الثانية فكانت الكتاب الذى كتبه رسول الله (ﷺ) بين المهاجرين والأنصار لموادعة يهود وهم الطائفة الثانية التى كانت بالمدينة ، وهو كتاب صاغه الرسول (ﷺ) فى عبارات واضحة وصياغة محكمة لا تدع مجالا للجهل بأحكام الموادعة وحتى لا يحتج أحد بأنه ليس طرفا فى أحكامها بحيث صار الكتاب متضمنا معاهدة تعد نموذجا لما يجب أن تكون عليه المعاهدات فلا يختلف فى تفسير بنودها اثنان حصرت التطبيق على القبائل والبطون والموالى من كل طائفة: المسلمين واليهود وكررت الأحكام عند ذكر من يخضعون لأحكامها وكلها أحكام تضمن تآلف الأمة فى المدينة ووحدة سكانها وحكم المعتدى والخارج على نصوصها ، كل ذلك ليبدأ الرسول عهداً جديداً للدعوة يرسم فيه الطريق السوى لتبليغ الرسالة فى باقى أجزاء الجزيرة العربية وخارجها بعد أن صار بهذه الوثيقة صاحب الكلمة العليا بالمدينة ، وكان يرجو أن يهدى الله اليهود إلى الإسلام ، ولكن الحوار والجدل بينه وبين أحبارهم ظل مشبوب الأوار ، ولكن الوثيقة جعلت الأمر مستقرا إلى حين ، وحتى لا يؤلب اليهود غيرهم أو يتحالفوا مع قريش ضد الدعوة .

تضمنت الوثيقة أحكاما تكمل عقد الأخوة فيما بين المسلمين،وأحكاما تبين حقوق الأقلية اليهودية وواجباتها الأمر الذى لازالت الدول تتجاهله فيما بين شعوبها ؛ لذلك تضمنت الوثيقة ما لليهود فأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم وجاء بالكتاب :

(٢) الشاعر "دل محمد" من باكستان ترجمة الصاوى شعلان .

الوثيقة :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد النبى رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم .

إنهم أمة واحدة من دون الناس : المهاجرون من قريش على رَبْعتهم[٣] يتعاقلون بينهم وهم يَفْدون عانيَهم[٤] بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين [وهكذا ينصرف هذا الحكم بألفاظه فيما بين بطون بنى ساعدة وبنى الحرث وبنى جُشم وبنى النجار وبنى عمرو بن عوف وبنى النبيت وبنى الأوس الجميع على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين] ثم استطردت الوثيقة تحدد التزامات المؤمنين فيما بينهم .

وإن المؤمنين لا يتركون مُفرَحاً[٥] بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل ، وأنه لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وإن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بَغَى منهم أو ابتغى دسيعة[٦] ظلم أو إثماً أو عدواناً أو فساداً بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم .

ولا يَقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن ، وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس .

وبعد أن سجل الكتاب ما يعتبر تنظيماً لمعاني الأخوة ودستوراً للعلاقات الإنسانية سجل حقوق الأقلية فجاء بالكتاب :

وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وإن سِلْمَ المؤمنين واحدة لا يُسالِمُ مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم ، وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا ، وأن المؤمنين يُبِيء[٧] بعضهم عن بعض بما نال دماؤهم في سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه .

وأن لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن .

وأنه من اعتبط[٨] مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود[٩] به إلا أن يرضى ولى المقتول بالعقل،وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه .

وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً[١٠] او يُؤويه ، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد (ﷺ) .

وإن اليهود يُنفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يُوتِغُ إلا نفسه وأهل بيته [وهكذا ينصرف

←

---

(٣) على ما كانوا عليه . (٤) اسيرهم . (٥) محتاجا . (٦) عطية . (٧) بعضهم لبعض أولياء فى الدماء (يكف) .
(٨) قتل بغير سبب . (٩) قصاص (١٠) جانياً .

هذا الحكم من المعاهدة على يهود بنى النجار ويهود بنى الحرث وبنى ساعدة وبنى جُشَم وبنى الأوس وبنى ثعلبة لجميعهم مثل ماليهود بنى عوف] ثم تضمنت الصحيفة :

وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وأن لبنى الشُطَيْبَة مثل ماليهود بنى عوف ، وأن البر دون الإثم ، وأن موالى ثعلبة كأنفسهم ، وأن بطانة يهود كأنفسهم ، وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد (ﷺ) ، وأنه لا ينحجز على ثار جرح ، وأنه من فَتَكَ فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم ، وأن الله على ابر هذا .

وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم ، وإنه لا يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين .

وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وإنه لا تُجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يُخَافُ فساده فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد رسول الله (ﷺ)[11] وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره .

وأنه لاتُجار قريش ولا من نَصَرها ، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب .

وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين .

على كل أناس حِصَّتهم من جانبهم الذي قبلهم .

وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البرّ المحض من أهل هذه الصحيفة ، وأن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره .

وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وآثم ، وأن الله جارٌ لمن بَرَّ واتقى ومحمد رسول الله (ﷺ)[13] .

وهكذا تنتهى الوثيقة مكررة بعض احكامها عند كل حالة من حالات القوم تكراراً مؤكداً لا يدع شبهة أو ذريعة لخارج على أحكامها في التهرب من التزامات أو عاقبة نقضها .

ومضت قافلة الحياة فى مدينة دعا رسول الله(ﷺ) أن يبارك لأهلها فى مدهم وصاعهم مِثْلَيْ ما بارك لأهل مكة مع البركة بركتين وبعد أن حَرَّمَ ما بين لَابَتَيْها أن يُقْطَع عضاها أو يقتل صيدها لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كان النبى (ﷺ) له شفيعاً يوم القيامة ، ولا يريدها أحد بسوء إلا أذا به الله بالنار ذوب الرصاص أو ذوب الملح فى الماء .

---

(١١) تحكيم الرسول بما انزله الله .

(١٢) يهلك .

(١٣) راجع للدكتور محمد حميد الله ـ مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة .

حفظ الله السودان



للدكتور/ عبد الودود شلبى
الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية

لقد بدات المؤامرة على السودان منذ وقع فى قبضة « التبشير » الذى خططت له بريطانيا بدهائها المعروف ضد الإسلام والشرق وكان « جوردون » فى مقدمة (جنرالاتها) الذين فرضوا على مصر لتنفيذ هذه المؤامرة بعد احتلال بريطانيا لمصر .

لم يكن الهدف هو جنوب السودان ... إن المؤامرة أخطر من ذلك بكثير جداً ... الهدف هو السودان ومصر . كما أن الهدف هو مطاردة الإسلام واجتثاث جذوره فى كل قطر .

إن كلمة « أنيانيا » تعنى فى لغة « الدنكا » سم الأفعى وقد اختارت الكنائس لحركة لمخربين فى جنوب السودان هذا الاسم ، لم عد هناك « أنيانيا » ANYANYA واحدة ... بناك « أنيانيات » ANYANYAS كثيرة .

أنيانيا رقم واحد ، وأنيانيا رقم اثنين ، أنيانيا رقم ثلاثة ، وأنيانيا رقم أربعة .

فى جنوب السودان توجد منظمتان تحملان هذا الاسم . أما الأنيانياتان الثالثة والرابعة فاتجهت إحداهما إلى (دارفور وبلاد النوبة) .. وتسللت الرابعة إلى شمال السودان) من الخرطوم إلى حلفا ..!

فالقس « فيليب عباس » ، وهو « نوبى » وقع فى الفخ .. وسرى السم فى جسمه فبدأ يتحرك فى بلاد دارفور والنوبة من جهة الغرب ..

منذ أشهر لوحظت فتاة تخرج من إحدى الكنائس فى مدينة الأسكندرية .. لقد لفت شكلُها نظر ضابط بحرى مسلم .. وحين سألها عن جنسيتها قالت : من النوبة .. فأعاد عليها السؤال بشكل أخر :

- أمن نوبة مصر .. أم من نوبة السودان ..؟

قالت بصوت فظ أجش النوبة فقط !!

هذه الإجابة العابرة قد لا يدرك خفاياها

أحد .. ولكنها تعنى الانفصال عن كل من السودان ومصر.

وتعنى التآمر والتخطيط لتنفيذه فى أقرب وقت ، وفى أحسن الفروض فهى ظاهرة تدل على مدى ما رسخ فى قلب هذه الفتاة من الكراهية والحقد ..

إن البابا جون بول الثانى يطوف العالم الإسلامي شرقاً وغرباً وأول ما يفعله بعد هبوطه من الطائرة أن يخر ساجداً ليقبل الأرض داعياً إلى السلام والحب ..!!!

إن السذج فى العالم الإسلامي أكثر من تسعة وتسعين فى المائة .. فهذا المنظر يثير فى القلوب نشوة خاطفة ويخطف أبصار الأكثرين من أبناء الإسلام والعروبة .

هل منكم من يحفظ قصيدة « الديك والثعلب » ؟!!

ولا بأس من إعادتها هنا للعظة والعبرة ..

ظهـر الثعلب يـومـاً فى ثيـاب الـواعظينـا
ومشى فى الأرض يهدى ويسـب المـاكـرينـا
ويقـول الحمـد لـله إلـه الـعـالمينـا
يـاعبـاد الله تـوبـوا فهـو كهف التـائبينـا
واطلبوا الديـك يؤذن لصـلاة الصبح فينـا
فـأتى الديـك رسـول من إمـام المـاكـرينـا
عـرض الأمـرَ عليـه وهـو يرجـو أن يلينـا
فأجاب الـديك عـذراً يـاأضـل المهتـدينـا
مخطىء من ظن يـوماً أن للثـعـلـب دينـاً !!

فهل يوجد بين مسلمى اليوم .. من يملك حصافة هذا الديك ؟ أو حتى بعد نظره فى التفرقة بين العدو والصديق ..!!!

●●●

لقد اختير « جنوب السودان » كراس حربة ، فكم عدد المسلمين والمسيحيين فى هذه المنطقة ؟

إن عدد المسلمين يبلغ أضعاف أضعاف أي دين آخر .. أما الباقى فوثنيون يعبدون « الطوطم » والطبيعة والساحر !!

ولكن المسلمين فقدوا قيمتهم بأيديهم... ومكنوا عدوهم من رقابهم وإلا فبماذا تفسر استبدال إسرائيل خمسة آلاف مسلم وعربى بطيار يهودى واحد ..!!!

●●●

وأذكر فى أول مؤتمر لمجمع البحوث الإسلامية - وكان ذلك فى شهر شوال ١٣٨٣ هـ - مارس ١٩٦٤ م - أن التقيت بزعيم سياسي سوداني .. لقد وجدته منهمكاً فى السياسة .. حائراً بين دروبها الملتوية المظلمة . عازفاً على نغمة التقدم والرجعية ..

كان لقاؤنا عابراً فى مدخل إدارة الأزهر وكان مما قلته وأذكره بالضبط :

- أعتقد أن « جهاد الوقت » بالنسبة للسودان إنما هو فى حشد كل الطاقات لمواجهة الخطر التنصيرى الذى بدأ شره يستفحل ...

لقد أشاح الرجل بوجهه عنى بدون قصد ! ثم هُرِعَ مسرعاً إلى داخل المؤتمر ليلقى بحثاً عن « عوامل انتشار الإسلام فى العالم » الذى لما يولد بعد !!!

وقد شارك معظم الساسة فى هذا التساهل ..!!

قبل أن يضيع السودان ..

أي والله .. قبل أن يضيع ونضيع .. من هول ما سوف يتعرض له السودان في المستقبل .

لقد تم التغلغل الكنسي في السودان عبر ثلاث مراحل تاريخية . لكل مرحلة منها سماتها ومميزاتها . إذ أن الهيئات الكنسية تتطور وتتغير وتتكيف مع الأوضاع بسرعة مذهلة لتحقيق أغراضها وتوطيد أقدامها ونفوذها[1] .

المرحلة الأولى :

بدأت في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي . وقد مهد لذلك الحكم التركي حيث استغلت السياسة التبشيرية ظروف تدهور الخلافة العثمانية وضعف دولة محمد علي بمصر ووقوعها تحت تأثير الدول الأوربية . فسعت لإيجاد موضع قدم لها في السودان تحت حماية الحكام والمكتشفين الأوروبيين الذين استعانت بهم الخديوية في مصر لإدارة السودان (صمويل . بيكر . جسي . سلاطين باشا . غردون ، الخ ...) .

وقد استمرت هذه المرحلة حتى قيام الثورة المهدية في عام ١٨٨١ ، وفي عام ١٨٨٥ وبعد فتح الخرطوم تم إبعاد كل التأثيرات الكنسية عن السودان .

المرحلة الثانية :

ظل السودان خالياً من التأثيرات الكنسية حتى مطلع هذا القرن وبدأت مرحلة جديدة بعد ما أعيد إخضاع السودان للسياسة الانجليزية المصرية وتحت إدارة السردار كتشنر وونجت باشا ، اللذين رفضا في بادىء الأمر السماح بالتبشير في شمال السودان . خوفاً من ردود الفعل في دولة حديثة العهد بثورة إسلامية . ولكنهما ما لبثا أن تنازلا عن ذلك وعلى الأخص بعد مجيء الأب ليوقلاين قويني (LIOVELLYN H. GGWYN-NE) ممثل الكنيسة الإنجليزية في عام ١٩٠٠ ويعتبر قويني مؤسس العمل التبشيري الحديث في السودان .

المرحلة الثالثة :

تزامنت هذه المرحلة مع تأثيرات الحرب العالمية الثانية وظهور الوعي القومي الحديث في السودان . حيث أحدثت حركة الحرب تغييراً نوعياً في حركة المجتمع السوداني بظهور الإذاعة وانخراط أبناء المناطق المتخلفة في الجيش وتدفقهم على الخرطوم . كما تنوعت في إطار هذه المرحلة استراتيجية التبشير مع التطور الدستوري للبلاد ابتداء من ظروف الحكم الذاتي والاستقلال مروراً بمحاولات الحكومات الوطنية المتعاقبة في البناء والإصلاح .

ويمكن القول إن المرحلة الأولى (١٨٤٨ - ١٨٨٥) كانت مرحلة الاستكشاف وإجراء الدراسات والتعرف على المنطقة وشعوبها وبذر البذور ووضع الأولويات والمرحلة الثانية (١٩٠٠ - ١٩٣٩) كانت مرحلة البناء ←

---

(١) نقلاً عن كتاب « التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة » حسن مكي .. ص ٢ وما بعدها ..

المتواصل لتحقيق الأهداف المرسومة والتى عبر عنها ترمنجهام (*) أسقف الكنيسة الانجليزية فى الأربعينيات حيث قال :

(With the development of the christian church in the South, we in the Sudan are faced with the iminent meeting of a Sudanese christianity and a Sudanese Islam. That the church of the South freed as it is from a race proplem, though there being a white settlement, will be a favourably pleased when it becomes the official religion of the South.

It is our task in the north to prepare for the day. We shall seek :

1- To establish christian centres in all border lands areas where Islam is in contact with Paganism .
2- To establish christian centres in the lands of intrenched Islam so that christianity of the South will have Points of contacts when it flows northwards.

وترجمة ذلك أنه بتطور الكنيسة المسيحية فى الجنوب . فإننا مواجهون باللقاء المرتقب بين المسيحية السودانية والإسلام السوداني . إذ بتحرر كنيسة الجنوب من عقدة العرق - بالرغم من وجود استيطان أبيض - فإنها ستشعر بغبطة عندما تصبح الديانة الرسمية للجنوب . وإنه لمن واجبنا فى الشمال الإعداد لذلك اليوم وسنسعى :

١ - لتأسيس مراكز مسيحية فى كل مناطق الأراضي الحدودية التى يتصل فيها الإسلام بالوثنية .
٢ - تأسيس مراكز مسيحية فى ديار الإسلام حتى تصير للمسيحية فى الجنوب نقاط ارتكاز حينما تندفع فى اتجاه الشمال .

وقد عرفت هذه السياسة بسياسة (طرد الإسلام) عن مناطق السودان غير المسلمة . وربط النصرانية الزاحفة من الجنوب بالنصرانية المراد ترسيخها فى مناطق الغرب والشمال .

اما المرحلة الثالثة فقد تميزت بالتركيز على العمل فى الخرطوم لأنها قبلة للجماعات غير المسلمة بفعل ظروف الحرب وانتشار المواصلات وطلباً للعمل . وقد تم تغيير نوعى فى أسلوب العمل المسيحى إذ ظهرت بيوت الضيافة وأندية الجنوبيين . كما توسعت الكنيسة فى العمل الاجتماعى والتعليمى بقصد اجتذاب أكبر عدد من الجنوبيين وأبناء النوبة ولا تزال هذه الاستراتيجية نافذة حتى يومنا هذا .

— يتبع —

(X) Spencer Trimingham. TheChristian Approach to Islam. Oxford U.P.

الرسالات السماوية
بين التطور والتجديد



للأستاذ الدكتور/ محمد شامة

يرى القائلون بنظرية التطور في الأديان السماوية، انها تركزت في منطقة الشرق الأوسط نتيجة التطور الإنساني، ويستدلون على ذلك بأن هذه المنطقة شهدت أرقى حضارات العالم منذ أقدم العصور، وكانت حضارتها أدبية وعلمية، فهيأت شعوبها لتلقى الرسالات.

ويشير هذا التحليل إلى أن الشعوب تسير في خط مستقيم في بناء حضارتها وتقدمها على طريق الرقى والارتقاء، ولكن الواقع يؤكد خلاف ذلك، فالمعروف أن هناك شعوباً تقدمت في حضارتها فترة، ثم انتكست فعادت إلى الوراء خطوات، قد تصل إلى حد أن ينكر بعض الباحثين على الأجيال التي عاشت عصور الانتكاسة ادعاءهم بأنهم أحفاد من بنوا هذه الحضارة المسجلة في آثارهم ومتاحفهم.

وهناك أكثر من دليل على ذلك، إذ تكفى نظرة واحدة إلى واقع أحفاد الفراعنة والآشوريين، والفينيقيين، فحضارة هذه الشعوب لا ينكرها أحد، لأن آثارها لازالت تنطق بأنها كانت على درجة كبيرة من التقدم والرقي، لكن أحفادهم المعاصرين لا يملكون من وسائل الرقي والتقدم ما يجعلهم في مستوى أجدادهم في الحضارة ولا حتى في مستوى يقرب منهم.

أفلا يدل ذلك على أن ربط تطور الأديان السماوية بمسألة التقدم والرقي في المجتمعات الإنسانية أمر لا يستقيم فهمه؛ لأنه يترتب

←

عليه أن تتذبذب درجة الرسالات السماوية صعوداً وهبوطاً ، مع صعود ونزول درجة الحضارة في الشعوب !

واستدلال أصحاب نظرية التطور على صحة رأيهم بأن الدعوة في عصر « طفولة » الجنس البشري ، كانت محدودة ، ليس فيها تفاصيل ، وأنه لم يكتب لها كتب ، بل اقتصرت على بعض النصائح ، ولم يعرف لها تاريخ محدد ، وأنها كانت خاصة بقوم دون آخرين ، استدلال غير صحيح ، لأن ما نزل على محمد ﷺ ، هو الذي نزل على نوح عليه السلام ـ وهو من رسل عصر « الطفولة البشرية » كما يقول هؤلاء العلماء ـ يقول تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾[1] ، ويقول : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ﴾[2] .

فالدعوة بأن الرسالة كانت محدودة دون تنظيمات وتفاصيل يدحضها ما جاء في القرآن الكريم بياناً لما بلغه الرسل لأقوامهم ، بأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، ويفعلوا الخيرات ويعملوا الصالحات ، فلا يظلمون في معاملاتهم مع الآخرين ، ولا يسرفون فيما أباح الله الاستمتاع به ، كما ينبغي عليهم أن يوفوا الكيل والميزان ، وأن يحكموا بين الناس بالقسط ، وغير ذلك من الأوامر والنواهي والوصايا التي أنبأنا الله بها في القرآن الكريم ليذكر الناس بما كان عليه الأولون ، مع رسلهم ، لعل هذه التذكرة تحملهم على الإيمان برسالة محمد ﷺ .

ولم يكن القصد تسجيل كل ما حدث من الرسل السابقين مع قومهم ، ولا الأخبار بكل ما بلغوه عن الله لهم ، لأن القرآن الكريم ليس سجلاً تاريخياً يخبرنا بما حدث من قبل ، بل هو هداية وعلاج للأمراض البشرية ، فلم يذكر فيه من أخبار السابقين إلا ما يقتضى المقام ذكره . فالقول بأن الدعوات السابقة كانت محدودة لعبادة الله دون تنظيمات وتفاصيل : لا دليل عليه ، وبالتالي فلا يصلح دليلاً على صحة نظرية تطور الرسالات السماوية .

أما ما يدعيه هؤلاء العلماء من أنه لم يكن لدعوات عصر « طفولة » الجنس البشري كتب واضحة ، وإنما هي بضع نصائح ، فلا يصلح دليلاً لنظرية تطور الرسالات السماوية ، لاحتمال أن يكون عدم وجود كتب راجعاً إلى فقدانها ، أو إلى عدم تطور الكتابة عند من حملوها ، ولا يمكن أن يكون دليلاً على أن عقلية الإنسان في تلك العصور كانت بدائية ، بدليل أننا نجد آثاراً يرجع عهدها إلى آلاف السنين قبل الميلاد ، ومع ذلك تدل على ما كان يتمتع به الإنسان في ذلك العصر من ذكاء وفطنة ، وقدرة فكرية على الإبداع في مجالات قد يعجز ابن القرن العشرين عن فهمها والوقوف على أسرار تكوينها ..

فرسالة الله لكل الناس سواء ارتقوا في حضارتهم ، أم تخلفوا عن اللحاق بركب التقدم ، وسواء كانوا يعيشون عيشة بدائية ، أم كانوا ينعمون بما أبدعته عقولهم في

---

(١) سورة النساء ١٦٣ .

(٢) سورة الشورى ١٣ .

مجالات الحياة المختلفة ، فدين الله للناس جميعاً .

ويحاول علماء الأديان الذين يرون أن الأديان السماوية تطورت بتطور العقل البشري ، الاستدلال على صحة رأيهم ، فيقولون : إن عدم ذكر تاريخ محدد لظهور الرسالات في فترة « طفولة » الجنس البشري من العلامات البارزة التي تؤكد صحة هذه النظرية .

وهذا كلام فيه مغالطة ، ذلك أن الإسلام الذي جاء ـ على حسب قولهم ـ بعد أن اكتمل عقل البشرية ، فوصل إلى أعلى درجات التطور ، ليس فيه تحديد زمن معين لأى حادثة وردت فيه ، لأن الوحى السماوى لا يرتبط بزمن معين ولا بعصر محدد ، وإنما جاء لهداية الناس ، وتقويم سلوكهم ، ولا علاقة لهذه الهداية بالتاريخ ، فلا تحتاج إلى تسجيل الزمن ، لأنه ليس جزءاً من العملية التربوية الإلهية ، فهو الإنسان في أى زمن ، وفى أى مكان ، وعلى أية درجة من درجات التقدم والحضارة ، فالقول بأن عدم تحديد زمن الرسالات السماوية السابقة دليل على تخلف المجتمعات التى نزلت فيها ، لا يصلح دليلاً على تطور الرسالات السماوية ، لأنه لا حاجة للإنسان في مجال الدعوة إلى الله إلى تحديد سلسلة الرسالات زمنياً ، بمعنى لسنا بحاجة إلى أن يحدد لنا إن كان هود قبل إبراهيم أم بعده ، أم كانت رسالة نوح في عهد زيد من الملوك أم عمرو ، لأن هذه الأمور لا تؤثر على عملية انتشار الدعوة إلى الله ، بل قد تكون من العوامل المعوقة لها ، لأن الآراء كثيرة ومتشعبة في تحديد الزمن التاريخي للحوادث البشرية ، فلو حدد القرآن الكريم زمن الرسالات السماوية لتعرضت معطياته التاريخية لنقاش لا طائل من ورائه ، وخلافات لا تؤدى في مجال الدعوة إلى فائدة ، ولهذا أهملها القرآن الكريم تجنباً للخلاف ، ولأنه لا فائدة من ذكرها في عملية الإقناع بدعوة الإسلام .

وآخر دليل ذكره القائلون بنظرية تطور الرسالات السماوية في تحديد معالم رسالات عصر « طفولة » الجنس البشرى ، هو أن الدعوة في تلك العصور ـ وكذلك فى عصور « صبا » الجنس البشرى ـ كانت محدودة بقوم الرسول ﷺ ، فلم تتعداهم إلى غيرهم . وهذا أمر يحتاج إلى وقفة ، ذلك أن هذا التحديد لم يكن مبعثه تطور الإنسان ، وإنما اقتضته ظروف حياة الجنس البشري ، فالمواصلات كانت بدائية وبالتالي كانت الاتصالات بين أقطار الأرض صعبة ، ولهذا بعث كل نبي إلى قومه ، لأنه لا يستطيع أن يبلغ الرسالة لأقطار الأرض المختلفة ، نظراً لصعوبة التنقل ، والدليل على ذلك أن الله أمر موسى وأخاه هارون أن يذهبا إلى فرعون ويبلغاه وحى الله ، يقول تعالى : ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۝ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[٣] فكانت دعوة موسى لفرعون بعبادة الله دليلاً على أنه لم يبعث لقومه فقط ، لأن فرعون لم يكن من قومه . كذلك آمن السحرة بما جاء به موسى مع أنهم لم يكونوا من قومه ، يقول تعالى : ﴿ فَأُلْقِيَ

(٣) سورة طه ٤٣ ـ ٤٤ .

السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾[٤] .

كما كان يوسف عليه السلام يعلم من كان معه في السجن شرع الله ، وهم لم يكونوا من قومه ، يقول تعالى حكاية عما كان يقوم به يوسف داخل السجن من الدعوة إلى الله : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٥] .

فدعوة موسى لفرعون ، ومحاولة يوسف هداية من معه في السجن دليل على أن دين الله للناس جميعاً ، فما كان حصر دعوة الرسل السابقين على أقوامهم إلا لظروف الاتصالات التي كانت تحول بين النبي وبين دعوة غير قومه . ولهذا عندما كانت ترفع هذه الحواجز كان الرسول يدعو غير قومه .

وعليه فالإسلام لكل الناس ، لأن سهولة المواصلات جعلت فى الإمكان دعوة القاصى والداني إلى الدخول فيه .

ويدعى القائلون بنظرية التطور فى الأديان السماوية ، أن معالم المرحلة الثانية ، وهى ما أطلقوا عليها : مرحلة « صبا البشرية » تبدو في ظهور بعض التفصيلات والتفريعات في التشريع . واستدلوا على ذلك بما ورد فى الكتاب المقدس المتداول من مسائل تحدد أحكام بعض ما يرتكبه الإنسان من أخطاء وتبين طريقة التقاضي عند التخاصم ، وغير ذلك من التفاصيل التي وردت في الكتاب المقدس المتداول في كثير من مجالات النشاط الإنساني .

ويفهم من هذا أن مثل هذه التفاصيل والتفاريع لم تكن موجودة في الرسالات التي سبقت رسالة موسى ، عليه السلام ، وهو ادعاء لا يستند إلى دليل ، ذلك أن الباحث عندما يتوصل إلى حكم فيه تمييز بين طرفين ، فلا بد أن تكون عناصر الطرفين موجودة أمامه ، بحيث تكون واضحة المعالم وضوحاً يبرز الجزئيات التى ترتكز عليها المقارنة في الوصول إلى النتيجة ، فإذا تصورنا هذا المبدأ الأساسي في عملية البحث في موضوعات حديثنا ، فإن المنطق يقتضي أن يكون تحت أيدينا نماذج صحيحة للتشريعات التى نزلت على الرسل قبل موسى عليه السلام ، ويثبت لدينا بالدليل القاطع أنها وحى الله ، بمعنى أنه لم يدخله تحريف ولا تغيير ولا تبديل .

فهل تحت أيدينا نصوص التشريعات السماوية التي سبقت تشريع موسى عليه السلام ؟ وهل يمكن لأى باحث أن يصل بأية طريقة ـ غير ما ورد في القرآن الكريم ـ إلى تصور معالم الحركات الفكرية لتلك العصور ، بحيث يسلم العقل البشري ـ طبقاً للقواعد المتعارف عليها في مجال البحث العلمي ـ أنها

---

(٤) سورة الشعراء ٤٦ ـ ٤٨ .

(٥) سورة يوسف ٣٩ ـ ٤٠ .

من المعالم الأصيلة للتشريع في تلك الحقب ، ويتأكد أنه لم يصل إليها أيدى المولعين بتغيير آثار السابقين ، وتبديدها ؟

لا يوجد أحد على وجه الأرض يستطيع أن يجيب بـ « نعـم » لأنه ليس من الممكن عقلاً ولا واقعاً ، أن يعثر الإنسان على نصوص الوحى الذى نزل على الأنبياء الذين أرسلوا في عصر ما يطلق عليه أصحاب نظرية التطور فى الأديان السماوية : عصر « طفولة الجنس البشري » .

وعليه فأحد عنصري المقارنة مفقود ، فكيف يقال : إن المرحلة الثانية من مراحل الأديان السماوية ـ حسب رأيهم ـ تتميز بظهور بعض التفصيلات والتفريعات في التشريع ؟

ومن أدراكم أن التشريع فيما تسمونه المرحلة الأولى كان مجملاً ؟

وعلى أى شيء اعتمدتم فى ذلك ، ولم يوجد مرجع يمكن الرجوع إليه على الإطلاق ؟ لا يوجد مرجع يمكن أن تستقى منه معلومات صحيحة ، عن الدين في تلك الفترة سوى القرآن الكريم ، فماذا قال عنها ؟

لم يتحدث القرآن الكريم عن أديان تلك الفترة بالتفصيل ، لأنه ليس كتاباً تسجل فيه حوادث السابقين ، وما جاء فيه عن أخبارهم ، إنما سيق للعظة والعبرة حسب ما تقتضيه ظروف الحدث الذي أراد الله سبحانه وتعالى أن يذكر الناس به ، حتى لا يضلوا كما ضل من سبقهم ، وجاء ذكر الاستشهاد فيه بأخبار السابقين على موسى عليه السلام فيما يتعلق بمسألة العقيدة دون غيرها ، لأن ذلك نزل فى مكة ، حيث كان نشاط الدعوة مركزاً على إقناع الناس بوحدانية الله ، دون غيرها من التشريعات التي نزلت فيما بعد الهجرة إلى المدينة ، فعدم ذكر تشريعات هؤلاء الرسل كان لسببين : ـ

الأول : أن المقام كان يقتضى الاستشهاد بما يساعد على الاقتناع بوحدانية الله ولا ينفع في هذا المقام ، إلا ما يتعلق بالعقيدة دون التشريع .

الثاني : أن التشريع لا يحتاج إلى سرد ما يدعمه من تشريعات السابقين ، لأنه يأتي فى مرحلة تلى مرحلة الاقتناع ، ومادام الإنسان قد اقتنع بالأساس الذي يقوم عليه الدين ، فمن الضرورى أن يتقبل كل ما يشرعه له من آمن بربوبيته وألوهيته ، وهو الله سبحانه وتعالى .

وهذه قاعدة توجد في جميع المجتمعات البشرية على اختلاف العصور والأقطار التزمها القرآن الكريم لأنه للناس جميعاً .

ويدعى أصحاب نظرية التطور فى الأديان السماوية أن المرحلة الثانية ، وهى ما أطلقوا عليها مرحلة : « صبا البشرية » تتميز عن سابقتها بنزول كتب على رسلها مثل : التوراة والانجيل ، زاعمين أن معانيهما فقط هى الموحى بها تلك المعاني التى صاغها البشر فى تراكيب وعبارات لغوية .

وهذا الزعم ينطوى على عدة أخطاء : ـ

أولها : « الجزم بأن الكتب المقدسة لم تظهر إلا في هذه المرحلة ، أما ما سبقها ، فلم يخرج الوحى ، فيها عن كونه بضعة نصائح متناثرة لم يجمعها كتاب أو دونت في بعض الأحوال فى ألواح وصحف عامة .

وهذه دعوى تحتاج إلى دليل ، ولا يوجد من بين المصادر التي يعتمد عليها الباحثون في هذا المجال ما ينفي وجود كتب سماوية في المرحلة السابقة ، كما لم ينص القرآن الكريم على عدم وجود مثل هذه الكتب[6] أو على عدم إنزال كتب على الرسل الذين اصطفاهم الله في هذه المرحلة ، فالاعتماد على أن القرآن الكريم ، لم يصرح بوجود كتب لهؤلاء الرسل كدليل للجزم بعدم وجودها غير مسلم علمياً ، إذ يجوز عدم الإشارة إلى ذلك في القرآن الكريم راجعاً :

ـ إلى أن مقام سرد الأحداث لا يتطلب ذلك .
ـ إدراك أن تناثرها جعل الحديث عنها لا فائدة فيه في مجال محاورة الرسل لأقوامهم في مجال إقناعهم بوحدانية الله .

ثانيها : الادعاء بأن ما أنزل من التوراة والإنجيل هو معناهما فقط ، وتولى الأتباع صياغة هذه المعاني ادعاء خطير ، ذلك أنه قد يترتب عليه عدم صحة تحريفهما ، لأن التحريف لا يتصور إلا لوحى مصوغ بأسلوب إلهى ، أما تغيير ما يصوغه البشر فلا يسمى تحريفاً بالمعنى المفهوم الذي أشار إلي القرآن الكريم فى أكثر من آية ، منها قوله تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[7] ، فالتعبير بـ « كلام الله » يدل على أن ما حرفوه كان كلاماً مصوغاً فى أسلوب لغوى وليس « معنى » ، إذ لو كان التحريف واقعاً على المعنى لما عبر بـ« كلام الله » بل بأحكام الله ، لأن الذي يغير في هذه الحالة لا يغير كلاماً ، وإنما يغير مفهوماً أراده الله سبحانه وتعالى .

ثالثها : من المعروف أن كلا من التوراة والإنجيل قد كتبا بعد نزول الوحى على كل من موسى وعيسى عليهما السلام بزمن معين .

فهل تناقل الناس معانى الوحى من وقت نزوله حتى كتابته بمعناه ، أى بدون أسلوب يدل على ما فيه من أحكام ؟

وكيف بلغه الرسل ؟ بألفاظ أم بغير ألفاظ ؟

إن كان بألفاظ فقد أصبحت صياغة مقدسة لا يجوز تحريفها وإن كان بغير ألفاظ فهو مستحيل ، لأن المعاني والأفكار لا تخرج عن دائرة القوى المفكرة إلا فى ثوب ألفاظ ، بل إن تصورها في الذهن مرتبط بالألفاظ التي تدل عليها فالقول بأن الوحى نزل بالمعنى وصاغه البشر كلام لا يقبل .

فلو قيل : إنه بالمعنى وعبر عنه النبي الموحى إليه بلفظه لكان ذلك الهاماً ، ولم يقل أحد أن الشرائع نزلت كلها على الرسل بطريق الإلهام .

يتبـــع

(٦) ينص القرآن الكريم على وجود كتب سابقة على التوراة والإنجيل فى آخر سورة الأعلى ـ قال تعالى : ﴿ إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ﴾ واقتران الصحف فى الآية دليل ـ فى ذاته ـ على كتاب لإبراهيم مثل كتاب لموسى على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام .

(٧) سورة البقرة الآية ٧٥ .

ولنا - في ذلك - كلمة

للأستاذ الدكتور / رئيس التحرير

في هذا البحث لأخي الدكتور محمد شامة دراسة متأنية أصيلة تنشرها مجلة الأزهر على حلقات ثلاث ، وسيادته يقرر - وحق ما قرره - « أن الرسالات السابقة على الإسلام كانت محدودة في إطار قومها » ، ثم يتناول بالتفنيد القضية القائلة بتطور الأديان السماوية مقابل تطور البشرية من عصر الطفولة إلى الصبا إلى اكتمال العقل البشري ، وقد أصاب وأجاد فإنه يترتب على « تطور الأديان السماوية » هذا التطور المدعي ، أن تتذبذب درجة الرسالات السماوية صعودا وهبوطا مع صعود ونزول درجة الحضارة في الشعوب ! ، كما قال سيادته .

وحق ما يقول ، فلم تحدثنا آية من الكتاب العزيز ، ولا حديث صحيح - فيما أعلم - بهذا التطور - في العقلية العامة للبشرية .

لكن لدى سيادة الدكتور إضافات تحتاج إلى نقاش :

لقد أضاف أخي د/شامة إلى قضية « محدودية الرسالة السابقة على الإسلام » أن « هذا التحديد لم يكن مبعثه تطور الإنسان وإنما اقتضته ظروف حياة الجنس البشري ، فالمواصلات كانت بدائية ، وبالتالي كانت الاتصالات بين أقطار الأرض صعبة ، ولهذا بعث كل نبي إلى قومه لأنه لا يستطيع أن يبلغ الرسالة لأقطار الأرض المختلفة نظرا لصعوبة التنقل » .

وأدرج سيادته فيما عده « استدلالا غير صحيح » ، القولَ عن الرسالات التي كانت قبل الإسلام بـ « أنها كانت خاصة بقوم دون آخرين » وذلك في أوائل هذا الجزء من مقاله ، فصار القول بأنها كانت خاصة بقوم دون آخرين غير صحيح .

ولنا في ذلك كلمة

واستدل سيادته على ذلك بدعوة موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ فقال : « **فكانت دعوة موسى لفرعون بعبادة الله دليلا على أنه لم يبعث لقومه فقط ؛ لأن فرعون لم يكن من قومه ، كذلك آمن السحرة بما جاء به موسى مع أنهم لم يكونوا من قومه يقول تعالى** : ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وهارون ﴾ .

ويعنى ذلك ـ بالتحديد ـ أن أخى د/شامة سبق إلى ذهنه ـ والله أعلم ـ أن قوم النبى هم عشيرته وقبيلته التى منها نشأ وفيها نما .

وهنا أذكر أخى شامة بما ورد فى « المصباح المنير » فى المادة : « قوم » حيث يقول الفيومى ـ رحمه الله : « **وقوم الرجل أقرباؤه الذين يجتمعون معه فى جد واحد ، وقد يقيم الرجل بين الأجانب فيسميهم قومه مجازا للمجاورة** » اهـ .

وهذا ينطبق على ما جاء فى القرآن الكريم ، فـ « قوم النبى » حيث « يقيم » حين الرسالة و « لسانه » لسان من أقام فيهم ، سواء كان لسانا أصيلا فيه ، أم مكتسبا من الجوار ، وسواء كانوا قبيلته وعشيرته ، أم كانوا من غيرهم .

وإذا كان فيما أقول خطأ فهو خطئى وحدى ، والله الهادى إلى الصواب :

وهذا نبى الله « لوط » ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، بعث إلى « قومه » الذين جاور فيهم ولم يبعث إلى قومه الذين كانوا له عشيرة وقبيلة :

هاجر « لوط » مع « إبراهيم » ـ عليهما السلام من العراق ونزحا بـ « أَهْلَيْهِمَا » جنوبا إلى الشاطىء الغربى للفرات ـ فى مرحلة هجرة أولى ، ثم إلى فلسطين ، ثم انفصل « لوط » عن « إبراهيم » فنزل « لوط » بدائرة الأردن بين قوم ليسوا له بعشيرة ولا قبيلة ، وفى هؤلاء بعث ، وفيهم أرسل[1] ، وهجرته هذه ألمح إليها الكتاب العزيز فى قوله تعالى عن إبراهيم ـ عليه السلام :

﴿ فآمن له لوط وقال إنى مهاجر إلى ربى ﴾[2] وهاجر لوط مع عمه إبراهيم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، ولم يكن حتى ذاك رسولا ، فلما استقر بدائرة الأردن ومضى ما مضى من وقت أرسل فيهم وذكرهم الله ـ سبحانه ـ بقوله :

﴿ كذبت قوم لوط المرسلين ﴾[3] فسماهم الكتاب العزيز « قومه » وليسوا هم أهله ولا عشيرته ، وهؤلاء هم الذين حلت بهم العقوبة .

---

(١) راجع تفسير ابن كثير ٢/ ٢٣٠ ط إحياء الكتب العربية ، وللشيخ عبد الوهاب النجار ـ قصص الأنبياء .

(٢) سورة العنكبوت ٢٦ .

(٣) سورة الشعراء ١٦٠ .

وفيما يخص رسالة « لوط » إلى هؤلاء القوم يلفت النظر قول هؤلاء القوم للوط ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يالوطُ لَتَكُونَنَّ من الْمُخْرَجِينَ ﴾[٤] ولم يقولوا له ما قاله قوم نوح ـ وكانوا أهله وعشيرته : ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ من الْمَرْجُومِينَ ﴾[٥] .

وعندى أنه لا يفسر الفارق بين اللفظين إلا شعور قوم لوط ـ حسب تفكيرهم ـ بأنَّ نَفْى « لوط » عن بلادهم أسلم من قتله حتى لا يقع بينهم وبين عشيرته وقبيلته حرب أو مشاكل إذا هم قتلوه ، عكس الوضع القائم فى « نوح » والله أعلم .. فذلك ما أراه .

كذلك هذا نبى الله إسماعيل أرسل فى غير أهله وعشيرته ، فلم تكن « جُرْهُم » الثانية قبيلة لأبيه ، وفى الحديث الصحيح الذى رواه الإمام البخارى تفصيل لذلك نقتصر على اقتطاف موضوعنا منه الذى يرويه ابن عباس قال :

قال رسول الله ﷺ :

« يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم ـ أو قال : « لو لم تغرف من الماء ـ لكانت زمزم عينا معينا . قال : فشربتْ وأرضعت ولدها فقال لها الْمَلَكُ : لا تخافوا الضَّيْعَةَ فإن هاهنا بيتُ اللهِ يبنى هذا الغلامُ وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله ..

فكانت كذلك حتى مَرَّت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريـق « كَدَاء » فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ، لَعَهْدُنا بهذا الوادى وما فيه ماء فأرسلوا جَرِيًا أو جَرِيَّيْنِ فإذا هم بالماء .. وأم إسماعيل عند الماء فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت : نعم ، ولكن لاحق لكم فى الماء !! قالوا : نعم .. فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم .. وشب الغلام [أى إسماعيل] وتعلم العربية منهم وَأَنْفَسَهُم وأَعْجَبَهُم حين شب ، فلما أدرك زوّجوه امرأة منهم . وماتت أم إسماعيل » والحديث واضح فى بيان :

أن القوم ليسوا أصْلا بأهله ولا عشيرته .

وأن لسانه العربى مكتسب منهم .

ومع ذلك بعث فيهم ، فهم القوم الذين أقام فيهم .

والأمر ذلك فى يوسف ـ على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، فدعوته للمصريين دعوة لقومه الذين شب فيهم قال تعالى مخاطبا أهلِ مصر :

﴿ ولَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُف مِن قَبْلُ بالبيناتِ

←

---

(٤) سورة الشعراء ١٦٧ .
(٥) سورة الشعراء ١١٦ .

← ولنا في ذلك كلمة

﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾[6] .

فهم قومه لا محالة . أما أهله وعشيرته : أبوه وإخوته فما منهم إلا مؤمن .

وعلى ذلك :

فموسى أرسل إلى قومه ، وكان قومه المصريين وبنى إسرائيل .

كذلك ، فإن الرسالة الخاصة - وهى ما كانت قبل الإسلام . تعنى القوم الذين أراد الله - سبحانه - إرسال الرسول إليهم ، ولو جاورهم آخرون ، أو اشتد اتصالهم بهم ، فالقول بعوائق الاتصال الذى تكرر فى الدراسات الحديثة من أخى د/شامة وغيره مردود ، ونأخذ ذلك من الكتاب العزيز أيضا .

فعيسى - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - يقول لقومه - بنى إسرائيل : ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم﴾[7] وفى الكتاب العزيز ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[8] فاقتصرت رسالته الشرعية على بنى إسرائيل وانظر شأن ذلك فى أمر « الكنعانية » معه عليه الصلاة والسلام فيما أورده « إنجيل متى » المتداول[9] .

والقرآن الكريم يعطينا آيات فاصلة فى هذا الموضوع ، قال تعالى :

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ . إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

هاهو موسى يمر على وثنيين لا يفصله عنهم فاصل يراهم وقومه ، ويطلب إليه قومه أن يقيم لهم وثنا مثلهم فينهى قومه عن الوثن ولا ينهى الآخرين العاكفين عليه .

وأمر ذلك واضح ، ثم إن « الاتصال » حين كان محمد - ﷺ - لا تختلف وسائله فى قليل ولا كثير عما كان عليه الحال عند عيسى - عليه الصلاة والسلام .

---

(٦) سورة غافر ٣٤ .
(٧) سورة الصف ٦ .
(٨) سورة آل عمران ٤٩ .
(٩) متى ١٥ : ٢١ - ٢٤ .

إن الله ـ وحده سبحانه ـ هو الذى أراد أن تكون الرسالة الخاتمة على يدى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عامة .

وكذلك أراد سبحانه أن يكون ما قبلها من رسالات خاصة .

هى إرادته سبحانه .. وليس أمر مواصلات سهلة أو صعبة ؛ فإن صعوبة الانتقال فى عصر رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هى نفس صعوبة الانتقال فيما غَبَرَ من زمن ..

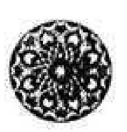
وإلا فأية سهولة كانت عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم .. إلا بتأويل بعيد ؟

وقول أخى د/شامة فى صدر هذا المقال :

« ما نزل على محمد ـ ﷺ ـ هو الذى نزل على نوح ـ عليه السلام » .

مقبول جداً ـ إن كان مقصورا على العقيدة ، فأما الشريعة ، فلا يا أخى ، قال تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(١٠) .

والله أعلم



(١٠) سورة المائدة ٤٨ .

الفتاوى

س : من السيد / م . كامل .. الزمالك

تقدم لأختى شاب يسارى ، ونحن أسرة مسلمة متدينة . فما رأى الدين فى هذا الزواج

وهى متمسكة به رغم أنها تعلم باتجاهه ، وحجتها فى ذلك فصل دينه وعقيدته عن تصرفاته كإنسان يمكن أن يحافظ عليها .. فما رأيكم إذا صممت على الإرتباط به وما علاقتى بها عند ذلك ؟

ج : الاتجاه اليسارى لشخص مسلم معناه أنه لا يؤمن بوجود الله ، وبالتالى لا يؤمن بكتب الله ولا برسله ولا باليوم الآخر .. فإذا ثبت ذلك لشخص مسلم فهو مرتد عن دينه فى نظر الإسلام . ولو كان يقرأ القرآن وجميع الكتب السماوية .. وحكم المرتد أنه لا يجوز أن يتزوج بمسلمة .. وإذا كان متزوجاً تطلق منه زوجته ولا تحل له ، ولا يرث ولا يورث ، ويكون ما كسبه من مال سابق لورثته المسلمين ، وما كسبه من أموال بعد الردة يكون ملكاً للدولة .. واتجاه هذا الشخص وأمثاله يكون عقيدة ودينا وليس سياسياً فقط .

فأما عن علاقتك بها فلا تقطعها فلعل الله أن يردها عن غيها[1] .

س : من السيدة / س . ج . خفاجى . مصر الجديدة

طلقت من زوجى بحكم من المحكمة للضرر طلقة بائنة بعد عشرة طويلة فما هى حقوقى الشرعية وهل من حقى الذهب الذى آل إلىّ من زوجى وأهله وأهلى خلال الزوجية كهدايا فى المناسبات كالولادة وغيرها أم من حق أولادى أم زوجى السابق (مطلقى) ؟ وهل من حقى المنقولات المدونة فى القائمة على الزوج نظير

مقدم المهر وهل من حقى رؤية أولادى ؟

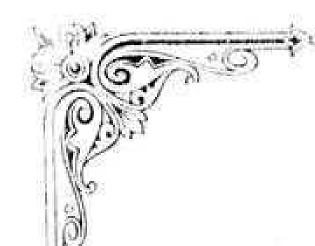
ج : مادام الطلاق كان للضرر فللمطلقة حق فى مؤخر الصداق والنفقة الشرعية ونفقة المتعة حسب القانون .

أما بخصوص الهدايا التى آلت إليك من زوجك ومن أهلك وأهله أثناء الزوجية من ذهب وغيره فهى من حقك وليس لزوجك ولا لأولادك حق فيها ، وكذلك المنقولات المدونة فى القائمة فهى ملك خالص لك . ولك الحق فى رؤية أولادك متى شئت .

س : من السيد ع . م . أحمد المحامى

ما حكم شهادات الاستثمار حرف (ج) ؟

ج : شهادات الاستثمار حرف (ج) جائزه



إعداد : عبد الحميد السيد شاهين
تجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

شرعا ، لأنها لا تعطى فائدة ، بل تمنح مكافآت وجوائز .

س : من السيد ص . م . فراج . شبرا مصر

قلت : إن شربت الدخان (تكون) زوجتى طالق ـ وكان ذلك قبل الدخول ولم أقصد الطلاق ـ ثم صمت ثلاثة أيام . فما الحكم ؟

ج : هذا طلاق معلق ، ومادام لم يقصد به الطلاق فلا يقع به الطلاق .

س : من السيد / م . أ . إبراهيم . مصر القديمة

قلت لزوجتى أنتِ طالق . طالق . طالق . (ثلاث) فى مجلس واحد ، منذ أسبوع فما الحكم ؟

ج : يقع بهذا الطلاق طلقة واحدة رجعية مادام فى مجلس واحد ، ما لم يكن مسبوقا بطلاق يحرم الرجعة .. وللزوج أن يراجع زوجته مادامت فى العدة .

س : من السيد / أ . عمر . المرج

توفى رجل سنة ١٩٧٠ م عن زوجة ، ابن ، بنت ، بنت بنت . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لبنت البنت المتوفاة قبل والدها ، بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية المعمول به فى مصر من أول اغسطس لسنة ١٩٤٦ م .. فتقسم التركة اثنين وثلاثين جزءا منها :

سبعة اجزاء وصية واجبة لبنت البنت دون أن يشاركها أحد . والباقى وهو خمسة وعشرون جزءا هو الميراث : للزوجة منه الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث . والباقى للأبن والبنت الأحياء تعصيبا يقسم بينهما للذكر ضعف الأنثى .

من السيد / م . م . راشد . عين شمس

توفى رجل عن : أبناء أعمام أشقاء ذكور ، بنات إخوه أشقاء ، فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : التركة كلها لأبناء الأعمام الأشقاء تعصيباً تقسم بينهم بالتساوى كأنهم أبناء رجل واحد ، ولا شىء لبنات الإخوة مطلقاً لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .. والله أعلم .

عبد الحميد السيد شاهين

الـدكتـور

محمد عبد الله ماضي

■ لكل عصر من العصور أعلامه ومفكريه وأفذاذه الذين تركوا آثار فكرهم وعلمهم على خريطة فكر هذا العصر وعلمه وأدبه فاستحقوا من أجل هذا أن يتوقف التاريخ ليذكر عنهم ولهم جزاء ما قدموا .

ومن هؤلاء راحلنا الكريم وعالمنا الجليل وشيخنا المفضال الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى الذي كان بخلقه وعلمه وتواضعه مثلاً كريماً يحتذى . رحمه الله .

مع مسار حياته :

ولد الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى في السابع من فبراير عام ١٩٠٣ بقرية « اسمانيا » إحدى قرى مركز شبراخيت بمحافظة البحيرة . عاش طفولته فى أسرة اشتهرت بالعلم والتدين .. كريمة فى حسبها ونسبها وكان والده - رحمهما الله - رأساً لأكبر العائلات في تلك القرية .

وبدأ الراحل الكريم تعليمه بكتاب القرية - كما كان الحال بالنسبة لأطفال قرى مصر فى تلك الآونة - فحفظ القرآن الكريم ليستطيع الالتحاق بالأزهر الشريف بالمرحلة الإبتدائية فقد كان حفظه شرطاً للدخول فى الأزهر فالتحق بمعهد الأسكندرية ، وفى هذه الفترة كان يوجد بالقطر المصرى كله خمسة معاهد ازهرية هى : معهد الأسكندرية ، ومعهد طنطا ، ومعهد الزقازيق ، ومعهد دسوق ، ومعهد دمياط ، وأنهى الراحل الكريم تعليمه الإبتدائى والثانوى بمعهد الأسكندرية ثم انتقل إلى القاهرة حيث منارة الإسلام الجامع والجامعة : الأزهـر الشريف .

وحصل على العالمية عام ١٩٢٧م ثم التحق بالدراسات العليا وتخرج فى قسم التخصص عام ١٩٣٠ شعبة البلاغة وكانت مدة الدراسة ثلاث سنوات .

وفى تلك الفترة كان مدير[1] « البحيرة » فى الثلاثينيات « عبد السلام الشاذلى باشا » رحمه الله قد فكر فى أن يقوم بمشروع يخلد به ذكرى الإمام الراحل محمد عبده باعتباره - أى الإمام محمد عبده - من أبناء مديرية البحيرة فقرر مجلس مديرية البحيرة برئاسة عبد السلام الشاذلى باشا رحمه الله أن يوفد اثنين من علماء الأزهر الشريف من أبناء مديرية البحيرة إلى المانيا ليدرسا بجامعة

---

(١) كان تقسيم مصر في ذلك الوقت مديريات ، وكانت القاهرة والأسكندرية كل منهما « محافظة » .

للأستاذ صفوت عبد الجواد

هامبورج ، ورفع الأمر لإدارة الأزهر فوقع الاختيار على فضيلة الشيخ محمد عبد الله ماضى ، وفضيلة الشيخ محمد البهى ، وكلا الراحلين من « اسمانيا » نفس القرية ، بل كان بينهما صلة قرابة ، وتم إيفادهما إلى جامعة هامبورج ، وانكب الدكتور ماضى على دراسة التاريخ الإسلامى وحصل على درجة « الدكتوراه » بينما عكف الدكتور محمد البهى على دراسة الفلسفة وكان ذلك عام ١٩٣٦ . ومما هو جدير بالذكر أن الدكتور ماضى قام بدراسة اللغة الألمانية وحصل على دبلوم في الدراسات الألمانية لتتيسر له الدراسة والبحث بجامعة هامبورج وكان ذلك عام ١٩٣٤ أى قبل حصوله على درجة الدكتوراه بعامين .

وعاد الشيخان إلى أرض الوطن وإلى الأزهر الشريف ، وعين الدكتور محمد عبد الله ماضى أستاذاً بكلية أصول الدين فتخرج على يديه أجيال من العلماء والمفكرين وظل يؤدى عمله حتى عام ١٩٥٢ حيث عين سكرتيراً عاماً للأزهر الشريف والمعاهد الدينية .

وفي هذه الفترة تزوج الدكتور ماضى من سيدة فاضلة كريمة وهى ابنة أمين بك هندى عضو مجلس الشيوخ في ذاك الوقت عن دائرة كفر شكر ، وكان خال زوجته عبد المجيد بك محيى الدين - رحمهم الله .

وفي عام ١٩٥٨ عين الدكتور ماضى مديراً عاماً للمعاهد الأزهرية حتى إذا تولى مشيخة الأزهر فضيلة الإمام الراحل الشيخ محمود



شلتوت - رحمه الله - وقع اختياره على الدكتور محمد عبد الله ماضى ليكون وكيلاً للأزهر الشريف وكان ذلك في يناير عام ١٩٦٠ فقضى بوكالة الأزهر عشر سنوات ..

من نشاطه العلمى :

بدأ الدكتور ماضى - رحمه الله - يسهم بدور كبير فى الأحاديث الدينية بالإذاعة ، وكان فى المناسبات الدينية يسهم بقلمه فى الصحف والمجلات ، وكان من المفروض أن يتقاعد معاشاً في فبراير عام ١٩٦٨ لبلوغه سن الخامسة والستين ، لكن صدر قرار

جمهورى بمد خدمته حتى فبراير ١٩٦٩ ثم تلاه قرار مماثل بمد خدمته حتى عام ١٩٧٠ ثم ترك منصبه كوكيل للأزهر فى عام ١٩٧٠ بعد أن أمضى فيه عشر سنوات ..

● كان - رحمه الله - عضواً بمجمع البحوث الإسلامية وظل عضواً بالمجمع حتى وافاه الأجل . كذلك اختير عضواً بمجلس جامعة الأزهر .

وفى أثناء خدمته بذل الكثير من الجهد وحمل مسئوليات كبيرة بعد صدور قانون تطوير الأزهر فإن تنفيذ هذا القانون جعل القائمين على الأمر من العلماء يتحملون جهداً كبيراً .

وقد شارك رحمه الله في العديد من اللجان فعلى سبيل المثال لا الحصر :

ساهم فى دراسات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية وكان قد عين عضواً فيها .

وكان عضواً بالمجلس الأعلى لدراسة الوثائق التاريخية .

وعضواً باللجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية .

وشارك لمدة تزيد على عشر سنوات فى لجنة اختيار المقرئين للقرآن الكريم بالإذاعة المصرية ، وكان يختبر القراء قراءة وصوتاً وتجويداً .

كذلك شارك فى العديد من المؤتمرات على سبيل المثال :



مؤتمر العلوم التاريخية بباريس عام ١٩٥٠ .

ومثل الأزهر في المؤتمر الثقافي العربي الخامس في مدينة الرباط عاصمة المغرب عام ١٩٦٠ .

واشترك معه فى أعمال هذا المؤتمر صديق عمره الوفى الأستاذ عبد الفتاح صقر الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر - الأسبق - الذى تفضل مشكوراً ، فأعاننى فى جمع الكثير عن حياة الراحل الكريم فجزاه الله عنا خير الجزاء .

ومن أشهر مؤلفات الدكتور عبد الله ماضى :

« ١ » كتاب « قيام الدولة الزيدية وظهور المذهب الزيدي باليمن » .

« ٢ » « النهضات الحديثة فى جزيرة العرب » وهو مؤلف من جزئين مضافاً إلى ذلك مجموعات من البحوث التاريخية والدينية والاجتماعية .

وقد حصل المغفور له الدكتور محمد

عبد الله ماضى على وسام الجمهورية من الطبقة الأولى بمناسبة تقاعده عام ١٩٧٠ . كذلك حصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٨٣ .

كان - رحمه الله - أبا لولد وابنتين أما الابن فقد تخرج فى كلية الهندسة وهو المهندس عبد الله محمد عبد الله ماضى ، ولما كريمتاه فقد تخرجتا فى كلية الآداب .

يقول عنه الأستاذ عبد الفتاح صقر الأمين العام الأسبق للمجلس الأعلى للأزهر : لقد عرفت الراحل الكريم في الخمسينيات بعد شغله وظيفة السكرتير العام بالأزهر وتوطدت صلتى به ولم نفترق إلا يوم مماته فعرفت فيه الخلق الفاضل ونقاء القلب ، وكان عف اللسان وكان بحق علما من أعلام الأزهر ، وقد تزاملنا فى أداء العمرة لبيت الله مرتين ، كان معنا فى أولاهما الإمام الراحل الشيخ عبد الحليم محمود وكان يشغل حينذاك منصب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، كما كان فى رفقتنا الشيخ عبد الحكيم سرور ، وكانت شركة مصر للطيران وقتذاك كلما اشترت طائرة جديدة تجعل أولى رحلاتها لبيت الله الحرام طلباً لبركة الله ، وكنا ضمن من وجهت إليهم الدعوة لأداء العمرة ، ومن المصادفات الحسنة من الله تعالى أن هذا اليوم كان آخر يوم لى في العمل الحكومي فكان هذا فألا حسنا .

رحم الله الراحل الكريم الذي لبى نداء ربه فى الخامس من أكتوبر عام ١٩٨٧ .

ولايفوتنى أن اتقدم بشكرى للأستاذ عبد الفتاح صقر وكذلك لأسرة الراحل الكريم لما قدموه لى من عون صادق لإلقاء الضوء على حياة الراحل الكريم الدكتور محمد عبد الله ماضى عضو مجمع البحوث الإسلامية والوكيل الأسبق للأزهر .

صفوت عبد الجواد

« تصـــويب »

فى عدد شهر صفر ١٤٠٨ وفى باب « مجلة الأزهر من خمسين عاما » ص ٢١٢ سقط سهوا من المقال اسم كاتبه وهو فضيلة الشيخ فكرى ياسين لذا لزم التنويه .

الإعجاز العلمى في القرآن الكريم (٢١)

العمق العشرون من أعماق الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

العمق العشرون من أعماق الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم :

يتصل هذا العمق بحقيقة يعوزها المزيد من البحث والدراسة لكشفها .

فحواها أن كل ماف الكون ، كتاب الله المنظور ، إنما وجد بقدر موزون لا يقع تحت طائل الصدفة التى ينادى بها المكابرون ويتغنى بها الكافرون ، أى أن توزيع المادة على كل المقاييس فى أجرام السماء وفى الأرض هو توزيع يخضع للقانون الطبيعى الذى صلح به الوجود ، واستقامت عليه عمارة الكون ، وأينعت به الحياة على الأرض ، وحتى على غيرها من أجرام السماء التى خضعت لظروف طبيعية على غرار ظروف الأرض الطبيعية بمشيئة الله الخالق العليم .

ومن المشاهد والثابت علمياً أن نشوء الحياة وازدهارها على الأرض لم يكن لمجرد الصدفة ولكن تمشياً مع قوانين البيئة الصالحة التى وفرها الله تعالى على الأرض :

١ ـ ﴿ .. وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾ .

الفرقان (٢)

جانب من آيات التقدير :

تبصرنا العلوم بحقيقة أن كل المواد (فى عالمنا المادى) إنما تتبع ـ بحكم تكوينها ونظام تركيبها ، ومايجرى لها أو يسرى عليها من تغيرات ـ نظماً دقيقة محكمة ، وتسير تبعاً لقوانين ثابتة لا تتبدل ولا تتغير بتبدل الزمان أو المكان :

٢ ـ ﴿ .. فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً ﴾ .

فاطر (٤٣)

فمثلاً : **الثابت علمياً أن كل المواد تتالف ـ على اختلاف خصائصها وتباين صفاتها وتعدد أشكالها ـ وتتركب من عناصر محدودة العدد من المادة [قرابة مائة عنصر او اكثر بقليل]** . وهى تتدرج فى خواصها الطبيعية والكيميائية ، وفى أوزانها وأثقالها وصلابتها من أجسام صلبة إلى أخرى سائلة ثم إلى غازية . **كما انها تبدأ بالعنصر الأول ـ رقم (١) ـ ، وهو الايدروجين وتنتهى بالعناصر المشعة الثقيلة** : وبطبيعة الحال تتبع هذه العناصر فى سلم اتحادها لتكون المركبات المختلفة وتخضع لقوانين ثابتة لا تحيد عنها .

للدكتور/ محمد جمال الدين الفندى

وبالمثل يتكون عالم الأحياء (النبات والحيوان) من أنواع وأسر وعشائر .. تتدرج صفاتها فى سلم الترقى من الأحياء ذات الخلية الواحدة كالجراثيم ، إلى كائنات لها أعضاء مختلفة يقوم كل عضو منها بوظيفة معينة من وظائف الحياة ، وتنتهى بالإنسان وهو أرقى الأحياء على الأرض وأكملها خلقاً :

٣ ـ ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ .

التين (٤)

وخلق الله تعالى الأرض فى المجموعة الشمسية على بعدٍ مناسب من الشمس والقمر لتأخذ قسطاً مناسباً من الحرارة والضوء :

٤ ـ ﴿ .. وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ .

الأنعام (٩٦)

ويرتبط توزيع ضوء الشمس وحرارتها على سطح الأرض ارتباطاً وثيقاً بإرسال الرياح ، وإثارة السحب ، ونزول المطر ، ونمو النباتات ، وازدهار الكائنات .

كذلك جعل الخالق من سير الشمس الظاهرى والقمر نظاماً دقيقاً ثابتاً يعرف به الناس مواقيت معاملاتهم وعباداتهم .. كل ذلك لم يتم لمجرد الصدفة التى تعجز ولا شك عن إيجاد أى نظام عام وتعجز عن تثبيته إن وجد . ولكن الذي يقيم النظام العام الشامل المتعدد الخدمات ويبقيه ثابتاً هو خالق الكون وحده سبحانه وتعالى .

ومن أعجب العجب أن الأرض وحدها دون سائر أفراد المجموعة الشمسية هى الكوكب الذى جمع قدراً وفيراً من الماء منذ النشأة الأولى . ويوجد الماء على الأرض فى صوره الثلاث : الماء السائل الذى يملأ بطون البحار والمحيطات ويسرى كمياه جوفية بين طبقات قشرة الأرض اليابسة ، والماء الصلب أو الثلج الذى يتراكم فى القطبين وعلى أعالى الجبال فوق ما يعرف علمياً باسم خط (الجليد الدائم) ، ثم بخار الماء الذى يختلط بالهواء وتدفعه الرياح إلى مناطق إثارة السحب فيتحول (ويتكاثف) إلى نقط من الماء أو إلى بلورات من الثلج تتساقط على هيئة مطر هو أساس الماء العذب على الأرض ومصدره الوحيد :

٥ ـ ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً ﴾ .

الروم (٤٨)

٦ ـ ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ .

الواقعة (٦٩)

والمزن هو السحاب الممطر .

٧ ـ ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

المؤمنون (١٨)

أى إن ماء الأرض كله كان بقدر معلوم لكى تؤدى الأرض وظيفتها التى خلقها الله من أجلها وهى حمل الحياة وازدهارها عليها .

←

وأعجب العجب أن الماء الذى جمعته الأرض هو ايضا بمثابة خزانات كبرى للطاقة ، تعمل على حفظ التوازن الحرارى فى الجو ، بحيث لا تحدث فروق فى درجات الحرارة بين الشتاء والصيف مثلا تفنى معها الحياة . فلو زادت معدلات درجة الحرارة فى الصيف مثلاًعن عادتها تذوب بعض ثلوج القطبين أو يتبخر مزيد من ماء البحار فتعود المعدلات الحرارية إلى أصلها .

وأعجب العجب كذلك أن للماء السائل دون سائر مواد الأرض صفة عجيبة اختصه الله بها ، وهى أن الماء الصلب ، وهو الثلج ، يطفو فوق سطح الماء السائل ، اى أنه أقل كثافة من الماء السائل . وهذه الصفة الفريدة يخالف فيها الماء سائر المواد التى تكون فى حالتها الصلبة اكبر كثافة مما هى عليه فى حالة السيولة ، أى أن صورها الصلبة لا تطفو ولكن تغوص إلى قاع صورها السائلة ..

فما الحكمة من وراء ذلك ؟

الحكمة فى غاية الأهمية لبقاء الحياة على الأرض . وذلك لأن كتل الثلج الهائم فى بحار ومحيطات الأرض هى أشبه شىء بجبال الجليد التى تنفصل من القطبين وتنساب إلى المحيطات فتطفو على سطحها وتتعرض لأشعة الشمس بصفة مباشرة فتذوب على التدريج حتى ينتهى أمرها . ولو أنها غاصت إلى قاع المحيط لتراكم الثلج فيه ثم راح يزحف بمضى الوقت حتى تتجمد محيطات الأرض وتموت بذلك الأحياء المائية ، كما ينعدم البخر والمطر فتموت أحياء اليابس ! وهذه الحقيقة العلمية هى من أروع الأمثلة لتفسير قوله تعالى :

٨ ـ ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ .

يس (٨٢)

٩ ـ ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ .

النحل (٤٠)

١٠ ـ ﴿ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

مريم (٣٥)

أى إن شأنه سبحانه وتعالى إذا قضى أمراً من الأمور لصالح قد نعلمه أو لا نعلمه ، نفذت إرادته فى الحال لا محالة بقوله ـ كن ـ :

١١ ـ ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ .

القمر (٥٠)

وتتعدد الآيات الكريمة التى تقرر حقيقة تقدير الخالق لما خلق وعنايته ورعايته بما خلق . ولا يعنى ذلك الحد من ملكوت الله عز وجل فهو المالك لخزائن لا تنضب فيها من كل شىء ، ومانيزله إلا بقدر معلوم لحكمة قد نعرفها وقد تغيب عنا نظراً لأن علمنا قاصرٌ ومحدود .

لا اسراف فى عمارة الكون :

يذهب فريق من المكابرين خطأ إلى أن ما فى الكون من مادة وإشعاع فيه إسراف ظاهر .

وهم فى ذلك إنما يقدرون الإسراف فى رأيهم بالنسبة لصالح البشر على الأرض دون سائر الموجودات الأخرى ، ومن غير حساب لسلامة عمارة الكون واكتمالها !

لقد فاتهم أن هذا الادعاء مبنى على مبلغ مالديهم من علم يتصف بالنقص والقصور وعدم الشمول . فمثلاً لفترة من الزمان اقتصرت معارفنا عن فائدة القمر ومنازله على أنها علامات فى السماء تعرف الناس المواقيت .

ثم تبين فى عصر العلم أن القمر أيضاً ينظم دوران الأرض حول محورها وبذلك لا يتغير طول اليوم الكامل عليها ، فإذا زادت سرعة الدوران حول المحور قصر طول اليوم وصحب ذلك تبريد ظاهر ، والعكس صحيح .

١٢ ـ ﴿ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ .

المزمل (٢٠)

١٣ ـ ﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾ .

الطلاق (٣)

١٤ ـ ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ﴾ .

يونس (٥)

وما من شىء مادى أو غير مادى ـ مما نعلم ومما لا نعلم ـ إلا عند الله تعالى خزائنه ومستودعاته التى لا تعد ولا تحصى ، وهو ينزل منها مايشاء بعلمه بقدر معلوم وفى زمن معين تقتضيه حكمته البالغة وعلمه بخبايا الوجود :

١٥ ـ ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَانُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ .

الحجر (٢١)

١٦ ـ ﴿ . . وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ .

الشورى (٢٧)

ولو أغدق الله الرزق على جميع عباده كما يتمنون لعم الفساد والطغيان كل أرجاء الأرض ، إلا أن الله تعالى يوسع فى الرزق لمن يشاء ويضيقه على من يشاء حسب اقتضاء حكمته وعلمه .

١٧ ـ ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ .

القمر (٤٩)

١٨ ـ ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ .

الرعد (١٧)

أى يسيل ماء المطر فى السهول والوديان بالقدر الذى يريده ويشاؤه الخالق العليم . وهى مقادير تتغير من عام إلى آخر . وقد ترتفع إلى حد الفيضانات العالية والسيول الجارفة ، أو تنخفض إلى حد الجفاف ، إلا أنها غالباً ما تكون معتدلة ، وهى ـ دائماً ـ وفق حكمته .

وفيما يتعلق بحياة الإنسان وغيره مثلاً يقول الله تعالى :

١٩ ـ ﴿ وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ الأعلى (٣) .

أى الذى قدر لكل كائن ـ وكذلك الإنسان ـ ما يصلحه فهداه إليه إما بالعقل أو بالغريزة أو تبعاً للقانون الطبيعى ..

٢٠ ـ ﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ . إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ . المرسلات (٢١ ، ٢٢)

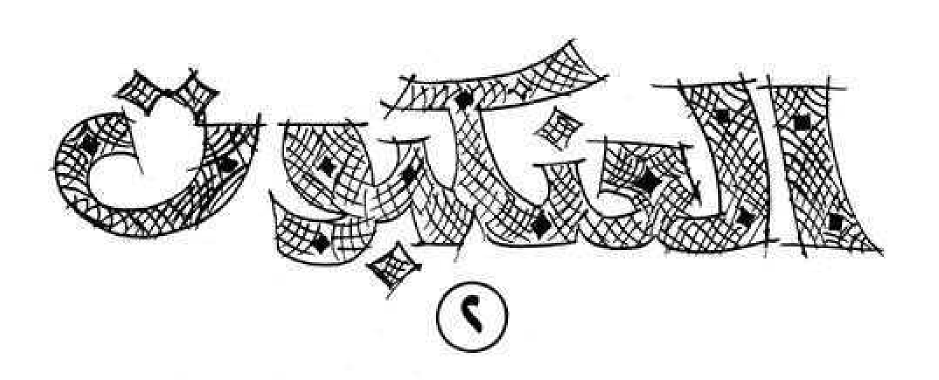
والمراد إلى وقت قد علمه الله تعالى ، وإن الماء الذى يخلق منه الإنسان إنما يصل إلى مقر يتمكن فيه وهو القرار المكين .

٢١ ـ ﴿ مِنْ أَىِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ . مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ . عبس (١٨ ، ١٩)

والمراد أن الله تعالى قدر خلق الإنسان أطواراً يمر بها الجنين فى عملية الخلق .

والله تعالى أعلم

للحديث بقية



موقع العنكبوت فى الأحياء :

لفظ « عنكبوت » فى الانجليزية « Spider » كلمة ليست ـ كما يظن بعض الناس ـ مشتقة من أصل يونانى ، بل هى من أصل ألمانى هو Spinner يعنى الكائن الذى يمكنه أن يغزل غزلاً . إلا أنه يحكى فى الأساطير أن هناك فى مملكة ليديا القديمة ، عاشت فتاة تدعى « أراكنيا » ، تعمل فى غزل الأقمشة الفاخرة . ومن فرط مهارتها فى الغزل ، أثارت غيرة « أثينا » ، إلّهة الفنون والصناعات النسائية ، وابنة كبير[1] الآلهة « زيوس » ، ولم يكن هذا غريباً ، فالآلهة يمكن أن تغار ، مثل نجوم السينما تماماً .

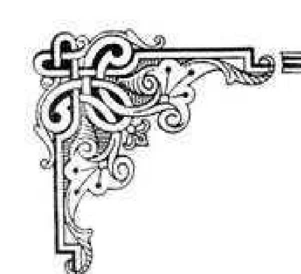
هكذا أقدمت « أثينا » على تمزيق أحد الأقمشة الرائعة التى صنعتها « أراكنيا » . وحزنت الصانعة البائسة ، فشنقت نفسها بواسطة القماش الممزق . وسواء كان السبب هو الندم أو مزيد من الانتقام فإن الآلهة الغيور حولت الثوب إلى نسيج ، والفتاة نفسها إلى عنكبوت[2] .

توصل العلماء والباحثون إلى وصف أكثر من ٣٥,٠٠٠ نوع من العناكب المختلفة الأحجام والأشكال والألوان ، يتطلب التمييز بين أغلبها استخدام الميكروسكوب ، وليست عنكبوت المنزل المعروفة ، غير واحد من هذه الأنواع ، بل أقلها تفننا وابتكاراً فى صنع نسيجها ، ولا تزال الدراسات الميدانية والبحوث تكشف المزيد من أنواع العناكب .

---

١ ـ كذا قصص هؤلاء الوثنيين .

٢ ـ إبراهيم « صنع الله » : عندما جلست العنكبوت تنتظر . دار الفتى العربى . ط ٢ ، ١٩٨٣ م .



د/ كارم السيد غنيم

تحتل العنكبوت فى عالم الحيوان رتبة « العنكبوتيات » (Araneida) وهى العناكب الأصلية[٣] وهذه الرتبة تتبع طائفة العنكبيات (Arachnida) التى تنتمى إلى شعبة الحيوانات مفصلية الأرجل (Arthro-poda) .

أما عن شكل العنكبوت فالجسم فيها مقسم إلى مقدم وإلى مؤخر ، وهذا المؤخر رخوٌ طرى وغير منقسم إلى عقل أو وحدات ، ويتصل المقدم بالمؤخر بواسطة خصر نحيل ، ولا يوجد له عجب . القرنان الكلابيان (Chelicera) غير مكلبين ويتكون كل منهما من شدفتين[٤] ويحتويان على غدد السم . الرجلان الملماسيتان « Pedipalps » غير مكلبتين ، وهما حسيتان « ومن الملاحظ أن فيهما غدداً تناسلية طرفية فى حالة الذكر ، لينقل بها الحيوانات المنوية ـ أى الخلايا التناسلية الذكرية ـ إلى الأنثى » . ويوجد فى نهاية الجسم تقريباً ثلاثة أزواج من الغازلات (Spinnerets) .

تتنفس هذه الحيوانات برئات كتبية الشكل ، أو عن طريق قصبات هوائية ، أو بواسطتهما معا . وهى حيوانات بيوضة (Oviparous) اى تضع بيضاً .

والعناكب تشمل مجموعة كبيرة منتشرة انتشاراً واسعاً ، وتظهر فى طرز كثيرة من البيئات وجميع أفرادها مفترس ، وتفترس أساساً الحشرات وتغزل أغلب العناكب بيوتاً من عدة طرز ، تعيش فيها وتقتنص فريستها ، غير أن بعضاً منها لا يبنى بيوتاً ، وإنما يتحرك بسرعة ويتصيد فريسته .

تنتشر العناكب فى معظم بلاد العالم[٥] ، فى المنازل والمزارع والحدائق وعلى السقوف وفى الأركان وشقوق الجدران وبين الأحجار . وبعض أنواعها يعيش فى المياه العذبة وعلى شواطىء البحار . العناكب التى تغزل نسيج بيوتها تخرج مادة هذا النسيج من المغازل « أو الغازلات » التى تظهر على شكل نتوءات (Projections) متحركة فى نهاية البطن وتنتهى بثقوب تخرج منها تلك المادة التى من خصائصها أن تكون سائلة وتجف بمجرد تعرضها لهواء الجو ، وتنشأ عنها خيوط تختلف تبعاً لنوع الغدة ، فالخيوط الدائرية رفيعة ولزجة وتساعد العنكبوت على الإمساك بفريستها ، أما الخيوط القطرية أو الشعاعية فسميكة دقيقة ، وهى التى تكون الهيكل الذى يدعم بيت العنكبوت .

←

٣ ـ الحسينى ودميان « د . أحمد حماد ، د . اميل شنوده » : بيولوجية الحيوان العملية . ج ٣ ، ط ٣ ، دار المعارف بمصر . ١٩٧٣ م .

٤ ـ فى المعجم : الشُذْفة : القطعة ، شذف بابه ضرب : قطع .

٥ ـ نخبة من اساتذة جامعتى القاهرة وعين شمس : علم الحيوان العام . مكتبة الانجلو المصرية . ط ٣ ، ١٩٦٤ م .

←

العنكبوت

وتلدغ العنكبوت فريستها بالطرف المدبب للقرن الكلابى « أى عن طريق مقدم الجسد » وهو عبارة عن مخلب قوى تفتح فى نهايته غدة سامة .

تختلف العناكب عن الحشرات بالرغم من أنهما ينتميان إلى شعبة واحدة فى عالم الحيوان ، وكثير من الناس يعدون العناكب من الحشرات .

وإذا كنا قد أسلفنا بعضا من صفات العنكبوت الجسدية ، فالواجب الآن إيراد بعض صفات الحشرات ، حتى تتضح المسألة .

تقع الحشرات فى طائفة الحشرات (In-secta) والجسم فيها مقسم إلى ثلاث مناطق هى الرأس والصدر والبطن .

تتركب الرأس من ست عقل مدغمة فى بعضها ، ولكن زوائد هذه العقل يظهر أغلبها واضحة ، فيوجد زوج من قرون الاستشعار « الزبانى » ، وزوج من العيون المركبة على جانبى الرأس ، وعدد من العيون البسيطة « العوينات » . كما أن أجزاء الفم من فكوك ولحى تعتبر من الزوائد الرأسية . إذا انتقلنا إلى المنطقة التى تلى الرأس إلى الخلف نجد الصدر يتكون من ثلاث عقلات ، كل واحدة يخرج منها زوج من الأرجل أى أن أرجل المشى « أو الحركة عموماً » بمكان الصدر وعددها ست ، ومن هنا سميت هذه الطائفة « سداسيات الأرجل » . كما يخرج زوج من الأجنحة من الجهة الظهرية للعقلتين الثانية والثالثة فى الصدر ، أى أن للحشرة زوجين من الأجنحة .

المنطقة الخلفية فى الجسم هى البطن ، وهى مقسمة « فى الحالة المثالية » إلى ١١ عقلة ، لا يوجد بها أرجل للحركة فى أغلب الأحوال . ومن الحشرات ما يسكن الماء ، ومنها ما يعيش تحت سطح الأرض ، ومنها ما يقطن أماكن فوق سطح الأرض ، ومنها ما يطير فى الهواء .

غزل العنكبوت :

ويتناول كلامنا فيه الجوانب الآتية :

مصانع الغزل : قلنا أن فى مؤخر بطن العنكبوت يوجد ثلاثة أزواج من المغازل ، ومن المعروف لدى علماء الأحياء أن هذه المغازل « أو المناول » تأتيها المادة الخام التى تقوم بغزلها عن طريق سبع غدد على الأقل ، وربما يصل عدد هذه الغدد فى بعض أنواع العناكب إلى ٦٠٠ ، وهى غدد منفصلة عن بعضها ، وتنتظم فى ستة أنواع « أو أنماط » أو أصناف من الغدد .

خواص الغزل : خيوط العنكبوت حريرية المادة ، رفيعة جداً حتى أن سمك شعرة واحدة من رأس الإنسان يزيد عن سمك خيط الحرير بحوالى ٤٠٠٠ مرة ، أى أننا لو غزلنا ٤٠٠٠ خيط من خيوط العنكبوت لوصلت إلى سمك شعرة واحدة من شعر رأس الإنسان[٦]

قد تبدو خيوط العنكبوت ضعيفة ، فهبة

٦ ـ صالح « د . عبد المحسن » : النساجون الأوائل .. بين الحقيقة والأسطورة . الدوحة بقطر (٩٢) ١٩٨٣ م .

ريح تمزق نسج هذا الكائن ، ولكن الدراسات دلت على أن هذه الخيوط وصلت من المرونة والشدة والمتانة لدرجة أنه إذا شددنا أحدها بقوة تمدد إلى حوالى نصف طوله الأصلى دون أن ينقطع . وباستخدام الأجهزة الحديثة توصل العلماء إلى قياس قوة الشد Tensile Strength) لهذه الخيوط فوجدها كبيرة جداً حتى أنها لا يفوقها سوى ألياف « الكوارتز » المختلطة . ولقد لوحظ أن قوة الشد هذه تختلف من خيط إلى آخر برغم أن كلها خيوط تغزلها العناكب ، وتتوقف هذه القوة على سرعة غزل الخيط نفسه ، فكلما كانت أكبر كلما كانت قدرته على تحمل الشد أكثر .

لا تبنى العنكبوت بيتها من خيوط فرادى وإنما من ضفائر « أو جدائل » ، كل واحدة منها تضم خيوطاً « أو أليافاً » قطر الخيط الواحد يصل إلى حوالى جزء فقط من المليون من « البوصة » . ويتوقف سمك الجديلة على عدد الخيوط المكونة لها . وبعض هذه الخيوط لزج لاصق ، وبعضها جاف .

بعد أن يتم غزل الخيوط وضمها معاً فى شكل ضفائر ، يرى عليه عقد أو حبات خرز ، وهذا النوع من الخيوط يفرزه العنكبوت ببطء ، وذلك نتيجة ميكانيكية دفع الخيط إلى الخارج من المغازل ، حيث يتم ذلك بهزات تشنجية عنيفة (Jerk) فيحدث أن ينتثر عليه فقاعات من سائل لزج حوله .

نسج العنكبوت :

ومن الأمور الشيقة ما يلى :

تعدد أغراضه : يمثل نسج العنكبوت (Web) أو « بيتها » أهمية كبرى فى حياته ، ذلك لأنه يستخدمه فى أغراضه الشتى التى منها إعداد وتجهيز أكياس البيض ، تجهيز المهاد والأسرة الملائمة لحضانة الذرية اللاحقة ، بناء غرف الرقاد الشتوى ، تشييد مخادع التسافد ، أو حتى موائد التهام الولائم التى هى عبارة عن فريسة أو أكثر تم اقتناصها وهى لا تزيد عن كونها ذبابة مثلاً . كما أن العنكبوت يستخدم بيته « أو خيمته » فخاً أو مصيدة للإيقاع بفريسته وإحكام القبض على جسدها ومن خيوط العنكبوت ما يسمى « حبل النجاة » .

حبل النجاة : حبل النجاة Drag line) عبارة عن خيط يستخدمه العنكبوت فى أغراض معيشية شتى ، فمثلاً إذا أراد الرحيل من مكانه ، فإنه يرحل على طول هذا الحبل المشدود ، حيث يقوم أولاً بغزله ودفعه إلى الخلف خارج غازلاته ـ كما لو كان حبلاً ملفوفاً على بكرة خيط ـ ليندفع هو نفسه إلى الأمام . ويظل هذا الحبل ممتداً مع صاحبه أينما توجه دونما انقطاع حتى فى أصعب اللحظات حينما يواجه أرزاء حياته أو أية مشكلات معيشية أثناء عمليات الصيد والقنص أو طلب الزواج، أو الهروب من الخصوم والأعداء أو حتى الهجوم على بعض الكائنات الأخرى .

بيوت العنكبوت : راقب الباحثون أنواعاً مختلفة من العناكب فوجدوا لها قدرات فائقة فى العمليات الإنشائية حين تشيد

←

العنكبوت

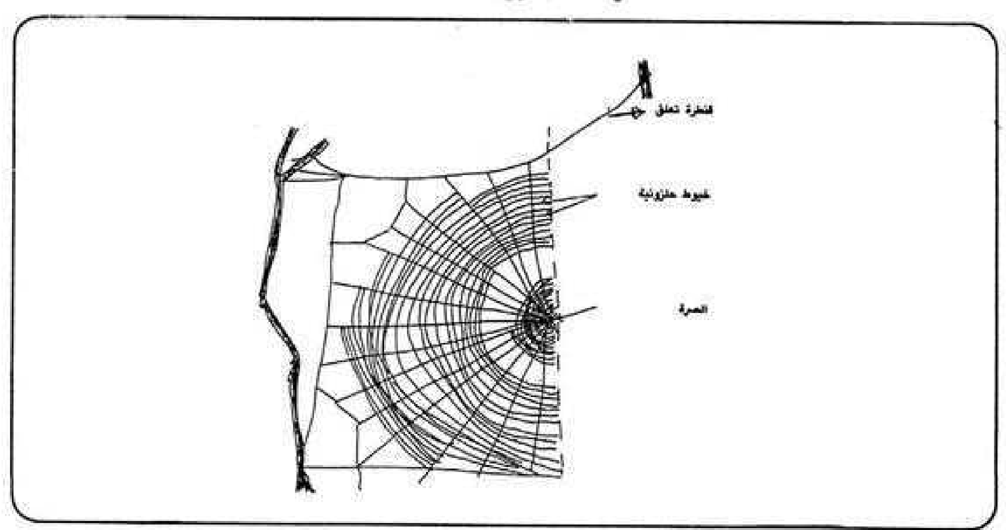
بيوتها ، منذ لحظة اختيار الموقع إلى تحديد زوايا القوائم ، إلى تجهيز « كمرات » البيت ، وما إلى ذلك من خطوات الإنشاء وإجراءاته . وإذا كنا قد أسلفنا القول بأن بيت العنكبوت متعدد الأغراض فى حياة صاحبه ، فإن من أنواع العناكب مالاً يلجأ إلى بيته فى عمليات قنص وصيد الفرائس ، ولكنه إذا أحسّ بمقدم فريسة مناسبة ترصَّد لها وباغتها بهجوم قاتل ، أو جرى ورائها واقتفى أثرها حتى يتمكن من الإمساك بها مهما راوغته وتملصت من بين يديه .

يوجد من بيوت العنكبوت أربعة أنواع « أو طُرُز »[٧] هى :

١ ـ البيوت الشبكية غير المنتظمة .
٢ ـ البيوت الشبكية الفسطاطية الشكل .
٣ ـ البيوت الشبكية القمعية الشكل .
٤ ـ البيوت الشبكية الدائرية النسج .

غالباً ما يتشكل بيت أحد أفراد العنكبوت من طراز واحد من هذه الطرز ، إلا أن من العناكب ما يشيد بيته من عدة طرز مختلطة ، يجمع بينها فى بيت واحد ، بمعنى أن بيته غير نمطى الشكل « أو الطابع » . كما أنه لوحظ انشغال العنكبوت الذكر بالنسج والتشييد والتوسعة فى بيته واستمراره فى هذه الأعمال حتى يبلغ نضجه التناسلى ، وعندها يتوقف عن النشاط المعمارى ليبدأ يزاول نشاطا آخر هو المساهمة فى إنجاب الذرية التى هى سنة الحياة .

وحتى لا يطول بنا المقال فإننا سنقتصر على بيان طراز واحد هو النوع : الدائرى من بيوت العنكبوت :



شكل (٢) : بيت شبكى دائرى

٧ ـ شوتلزوورث (د /) : قصة العناكب . مؤسسة دبلدى ، نيويورك ، ١٩٥٩ . ترجمة : د . كارم السيد غنيم ، تحت الطبع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

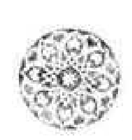
هيا الآن نرقب أحد عناكب الحدائق وهى التى تبنى بيوتها بهذا النُّوْل الدائرى ، لنرى كيف يضطلع بانجاز هذا العمل الفنى الرائع :

الخطوة الأولى : هى إنشاء قنطرة معلقة ، تُعَدُّ الدعامة الأساسية التى سيتدلى منها البيت بأكمله ، ويتم إنشاء هذه القنطرة بإحدى طريقتين : إما أن يقف العنكبوت على مكان ويرسل غزله هائماً فى الهواء فإذا ما لامس شيئاً ما التصق به ، وعندئذ يشده العنكبوت ويزوده بخيوط أخرى . وأما بواسطة غزل خيط حريرى ، وقذفه إلى شىء ما مرتفع وتثبيته به ، ثم الاتجاه إلى الناحية المقابلة لذلك المكان حيث يقوم العنكبوت هنا بإجراءات تشييد بيته كاملاً هكذا :

يقفز العنكبوت إلى مكان مرتفع يناسب المكان الأول ، ثم يثبت فيه الطرف الآخر للقنطرة ، ويُدعم هذه القنطرة بخيوط إضافيه ، ثم بعد ذلك يسقط إلى أسفل ليتلمس شيئاً كعشب على الأرض مثلاً ، فإذا ما تم له ذلك ربطه بخيط حريرى سبق للعنكبوت أن ثبت طرفه فى القنطرة قبل النزول إلى أسفل ، ثم يفرز خيوطاً أخرى إضافية لتدعيم هذا الهيكل المثلثى الشكل ، وهذا الهيكل هو الأساس الذى عليه ينسج العنكبوت نسجه الدائرى من خيوطه الحريرية التى تترابط فى جميع الاتجاهات .

تتلخص عمليات إنشاء البيت الدائرى فى إسقاط العنكبوت لحبل جديد من الهيكل البنائى الذى وضعه سابقاً ، ويتسلقه حتى منتصفه تقريباً ، وهذه هى النقطة التى تعتبر مركز البيت عموماً « أو صرَّته Hub » ، ومن هنا يمد خيوطا أو حبالاً تشبه الأسلاك الخارجة من مركز إطار الدراجة البخارية ، وإذ هى كذلك لا ينسى أن يدعم صرة البيت بأحبال إضافية بين الحين والآخر . وبعد ذلك

يقوم بمد حبالاً حلزونية حول الحبال الشعاعية الموجودة ، وتظل هكذا حتى تنتهى من إنشاء ما يسمى « السقالة الحلزونية » (Scaffolding spiral) يفرز العنكبوت أعلاها خيوطا حريرية جافة غير لزجة ، بينما يفرز الخيوط اللزجة فى أماكن أخرى كثيرة يملأ بها أركان البيت . بعد الانتهاء من بناء البيت يذهب العنكبوت صوب السقالة فيقطعها حيث لا استخدام لها بعد . وإلى هنا يكون العنكبوت قد أتم بناء بيته ، إلا أن من العناكب ما يضع لمسات تشطيب خاصة فيه ، فتغزل أشرطة متعرجة بيضاء حول البيت أو أسفل الصرة .



مجلة الأزهر من خمسين عاماً

الأمانة الأمانة

أيها المعربون

للأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقى

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع
العلم امانة ، والتاريخ امانة .. ومن الامانة تحرى الدقة فى ترجمة النصوص وبخاصة الدينية حتى لا تختلط الأمور وتفسد الحقائق . فعدم المعرفة عذر مقبول اما إدعاء المعرفة فجهل مغرور قال الأستاذ :

يقرأ القارىء فى كتاب (حياة محمد) تأليف أميل درمنغم وتعريب محمد عادل زعيتر بالصفحة ٢٥٧ مايأتى :

« وحدث مرة أن رجلا من الأنصار هرع إلى المسجد وجلس على ركبتيه وأخذ يضرب زوجته وهو ينعتها بالزانية ، فلم يقل محمد كلمة واعرض عنه ، ثم لحقه الأنصارى وكرر قوله اربع مرات ، فيروى أنه جلد لذلك . اهـ »

وإذا رجع إلى الأصل الفرنسى ص ٢٩٣ يقرأ مايأتى :

Un jour, un autre Ançari court à la mosquée, se met à genou, bat sa coulpe et crie : "Le dernier des derniers a forniquè !" Mahomet ne répond rien et se détourne .

L'homme le suit, répétant quatre fois son aveu, Etl'on dit qu'il fut en conséquenee lapidé .

وتعريب ذلك حرفياً مايأتى :

ذات يوم ، اقبل انصارى آخر إلى المسجد ، وركع ، وضرب صدره ندما ، وصاح « إن آخر الأخيرين (يريد الآخِر كما جاء فى الحديث الآتى فى الطريق الأولى) قد زنى ! » فلم يجب محمد بشىء وأعرض . فتبعه الرجل

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

مكررا أربع مرات اعترافه . ويقال إنه بناء على ذلك قد رجم .

ونص الحديث الصحيح كما جاء فى طرقه الأربع فى البخارى ثم فى صحيح مسلم هو مايأتى :

١ - ٦٨ - كتاب الطلاق ١١ - باب الطلاق فى الإغلاق والكره والسكران عن أبى هريرة قال : أتى رجل من أسلم ، رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد فناداه ، فقال يارسول الله إن الآخِر قد زنى (يريد نفسه) فأعرض عنه ، فتنحى لشق وجهه الذى أعرض قِبَله ، فقال يارسول الله إن الآخر قد زنى ، فأعرض عنه ، فتنحى لشق وجهه الذى أعرض قبله ، فقال له ذلك ، فأعرض عنه ، فتنحى له الرابعة ؛ فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه فقال : هل بك جنون ؟ قال لا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به فارجموه . وكان قد أحصن .

٢ - ٨٦ - كتاب الحدود ٢٢ - باب لا يرجم المجنون والمجنونة

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد فناداه فقال : يارسول الله إنى زنيت ، فأعرض عنه حتى ردد عليه أربع مرات ، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أبك جنون ؟ قال لا . قال : فهل أحصنت ؟ قال نعم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به فارجموه .

٣ - ٨٦ - كتاب الحدود ٢٩ - باب سؤال الإمام المقر هل أحصنت ؟

عن أبى هريرة قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من الناس وهو فى المسجد فناداه : يارسول الله إنى زنيت (يريد نفسه) ، فأعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم ، فتنحى لشق وجهه الذى أعرض قبله ، فقال : يارسول الله إنى زنيت ! فأعرض عنه ، فجاء لشق وجه النبى صلى الله عليه وسلم الذى أعرض عنه ، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أبك جنون ؟ قال لا يارسول الله . فقال : أحصنت ؟ قال نعم يارسول الله ! قال : اذهبوا فارجموه .

٤ - ٩٣ - كتاب الأحكام ١٩ - باب من حكم فى المسجد

عن أبى هريرة قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد فناداه فقال : يارسول الله إنى زنيت ، فأعرض عنه ، فلما شهد على نفسه أربعا قال : أبك جنون ؟ قال لا . قال : اذهبوا به فارجموه .

٥ - وجاء فى صحيح مسلم :

٢٩ - كتاب الحدود ٥ - باب من اعترف على نفسه بالزنا

عن أبى هريرة قال : أتى رجل من المسلمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد فناداه فقال : يارسول الله إنى زنيت ! فأعرض عنه ، فتنحى تلقاء وجهه ، فقال : يارسول الله إنى زنيت ! فأعرض عنه ، حتى ثنّى ذلك عليه أربع مرات ، فلما شهد

←

على نفسه أربع شهادات دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبك جنون ؟ فقال لا . قال : فهل أحصنت ؟ قال نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به فارجموه .

***

تُجمع هذه الطرق الخمس لهذا الحديث الصحيح على أن الرجل هو الزانى ، وأنه لما شهد على نفسه أربع شهادات وكان قد احصن ولم يكن به جنون ، أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يذهبوا به ليرجموه .

والنص الفرنسى الذى جاء به غريب اللغة والدين يتفق مع هذه النصوص فى أن الرجل هو الزانى ، وأنه اعترف على نفسه أربع مرات ، وأنه لذلك قد رجم .

وإن كان قد أغفل سؤال النبى صلى الله عليه وسلم له هل أحصن وهل به جنون ، إذ لا يرجم المجنون ولا غير المحصن .

فمن أين جاء الأستاذ المسلم العربى الناقلة إلى العربية أن الزانية هى الزوجة ، وأن الرجل أخذ يضربها وينعتها بالزانية ، وأنه جلد لا رجم ؟!

سأدلكم أنا أيها القراء كيف هوى به الجهل باللغة التى ينقل منها إلى هذه الهاوية !

جاء فى النص الفرنسى bat sa coulpe فبحث فى معجمه عن bathre sa coulpe فلم يجد لها به أثرا ، فظن أن التصحيف الذى قد سلط على اللغة العربية فى كتابات الأقدمين قد تطرق أخيرا إلى اللغة الفرنسية ، ولم يعن بالبحث عنها فى أحد المعاجم الفرنسية ، فظنها تصحيفا لكلمة Couple وبحث فى معجمه فوجد أن Couple معناها زوج فصار أمامه : (١) يضرب و(٢) زوج فلفق لها هذه الجملة « وأخذ يضرب زوجته » . ولكن Couple وإن كان معناها الزوج فليس الزوج هنا بمعنى الحليلة ، ولكن كل اثنين متشابهين يطلق عليهما زوج ، ويطلق على الرجل والمرأة معا زوج . أما الزوجة بمعنى الحليلة فما كانت ابداإحدى معانى — Couple

ثم اين نجد فى النص الفرنسى مايقابل (وهو ينعتها بالزانية) ؟ . إن ما بالنص A fariuqué le derwir de derwirs وترجمته كما جاء فى الطريق الأولى للحديث أن الآخِر قد زنى (يريد نفسه) كما تقول : إن الأبعد قد فعل كذا تريد نفسك .

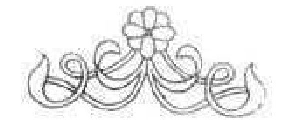
ثم إن Lapislé معناها رجم كما جاء فى الطرق الخمس للحديث ، فمن أين جاءه أن معناها جُلد ؟ فبدلاً من أن يعنى حضرة المعرب المسلم العربى بالرجوع إلى المصادر الأصلية فيراجعها على الأصل المترجم منه فيقر ماجاء مطابقا له ويشير إلى ما خالفه ويزيد ما اغفله ويوضح ما غمض وأبهم — نراه ترك هذا كله وارتكب مالم يرتكبه إلا جاهل باللغة التى ينقل منها ، وإلا جاهل بالنص الذى ينقل فيه ، وما هكذا تكون الأمانة فى التعريب . وقديما قال الشاعر الجاهلى :

إذا لم تستطع شيئا فدعه

وجاوزه إلى ما تستطيع

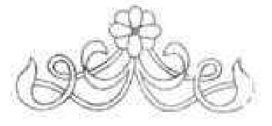
الشعر والشعراء

أرجنا به



محمد جبر

راضي عبد الله



سراقة بن مالك

أرحنا بها

بلالٌ على كل المآذن كبرا		والقى على الأسماع لحنا منورا

ونادى فهب الكون من غفوة الكرى		يعانق صبحاً بالهداية أسفرا

ارحنا بها،قال النبى،ولم يزل		صدى صوته العلوى نوراً وجوهرا

ارحنا بنور الوصل فى ساحة الرضا		وَرَدِّدْ نداءَ الله فى مسمع الورى

ارحنا بها أيقظ من التيه أمة		تطاول فيها الوهم والليل والكرى

ارحنا بها علّ القلوب وقد مضى		عليها زمان تدرك الآن ما جرى

● ● ●

فمن اركبوا التاريخ خلف ظهورهم		ومن بددوا الشملين : كسرى وقيصرا

ومن علموا الدنيا رشادا وحكمة		ومن حاربوا الطغيان حتى تكسرا

ومن انبتوا فى الأرض عدلا ورحمة		ومن البسوا الأيام ثوباً مطهراً

ومن حققوا للناس أكرم أمة		فكانت بحقٍ خيرَ من وطىء الثرى

ومن طوفوا بالنور والعلم والهدى		يشقون ليل الجهل حتى تحررا

ومن خلدوا الأمجاد علوية الخُطَا		تتيه على الدنيا كتابا ومنبرا

تراهم حيارى ضيع الخلف ريحهم		خطاهم على الدرب الطويل تعثرا

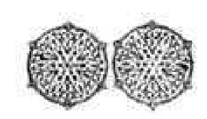
وجفت ينابيع المحبة بينهم		وأضحى صفاء النبع وردا معكرا

رشاد محمد يوسف

وعاشوا على سفح الحياة اذلة | وكانوا حداة الركب يحيون فى الذرا
كان هموم الدهر حطت بارضهم | وخيم فيها الظلمُ والبطشُ أدْهُرَا
يهوذا وشذاذ الحياة تامروا | على الأرض والإنسانِ حتى تقهقرا
وعادت اساليب اليهود خسيسة | تعيد إلى الدنيا ثقيفا وخيبرا

● ● ●

فَأذِّنْ - بلال الخير - بالخير والهدى | وصب على الأسماع مسكا وعنبرا
وأذِّنْ لتهدى الحائرين لدربهم | وتجمع شملا فى البلاد تبعثرا
وقل لعباد الله: إن صلاتهم | هى الوحدة العصماء موثوقة العُرَا
وقل لعباد الله : إن فَلاحَهم | عطاء لمن لبَّى وصلى وكبرا
افيقوا عبادَ الله فالنار حولكم | وحولكم الأحداث نابا وأظفرا
ومازالت الأصنام تعبد بينكم | يطوف بها من خان او ضل وافترى
وليس سوى الإسلام ريًّا لظامىء | وظلا لمقهور وشهدا وكوثرا
وليس سوى القرآن زادا ومسلكا | يبدل فينا العُسر عيشا مُيَسَّرًا
أجيبوا نداء الله ياخير أمة | وكونوا لدين الله حزبا وعسكرا
تطيب بانوار الصلاة حياتكم | ويغدو الثرى فينان والعيش أخضرا





مد وجزر

أحمد محمود مبارك

تُعاني الروحُ من ظمأٍ الشباب
وتخشى أن يحيدَ عن الصوابِ
فإني ظامىء والنبعُ حولى
وعذْبُ الماء يُغرى بالشرابِ
أواجهُ بالعفافِ فتونَ دنيا
تراودنى وتسعى لاقْترابى
لكى يدنوْ ضيائى من شفاها
وتُطفئهُ بمعسول الرّضابِ
واجتنبُ الهوى مهما تعالى
نداه فلا أفكِّرُ فى الجوابِ
ولكنِّى غدوتُ برغمِ طُهْرى
أخافُ اليومَ أن تطغى رغابى
فلى قلبٌ يخاتلنى ويسعى
ليهدمَ حِصْنَ أمنى واجْتنابى
فإن أوصدت دون النبعِ بابى
يُراوغنى لكى يجتازَ بابى
وقنديلى تُهدِّدهُ رياحٌ
وحول الأفْقِ جيشٌ من ضبابِ
عليمٌ أنت ياربى بما بى
فَحُلْ بينى وبين هوى انْجذابى
إلى الدرك الذى تأباه روحى
ويدفعنى إليه لظى الشبابِ
مصابٌ بالفؤاد وبالرِّغاب
فَكُنْ عونى على هذا المصابِ

باسم الله

للشاعرة: علية الجعار

إن تهتُ في دوامة العصيان

واهتز من خوف العذاب كياني

الدمع يجري من عيوني خشية

ويئن قلبي تائبا ولساني

وألوذ باسم الله أرجو عفوهُ

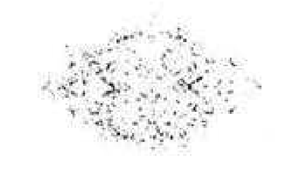
ويشد أزري عنده إيماني

فأرى الوجود تفتحت أنواره

وأحس الاطمئنان في وجداني

وأسبح الله الكريم يردنا

لطريقه ... بالعفو والغفران



راضٍ عن الله

لفضيلة الشيخ محمد زكي إبراهيم

راضٍ عن الله في سري وفي علني ... راض عن الله مهما كان من زمني

راضٍ عن الله ، إني إن رضيت بما ... يرضيه فهو سيرضيني ويرحمني

راضٍ عن الله وهو المرتجي فإذا ... ماسني الضر أرضاني وأكرمني

راضٍ عن الله إيمانا به وغِنًى ... ومن يَلُذْ بغنيٍّ الذات فهو غَنِي

راضٍ عن الله ، إني إن غضبت فلن ... أغير الأمر ، أو أرتاح من شجَني

★★★★

جرتْ عليّ مقاديرٌ واقضية ... حتى كأنِّيَ مخلوق من المحنِ !

أرحتُ نفسيَ بالتسليم مقتنعا ... بأن رحمة ربي ليس تُسلِمُني

فوضتُ أمري له ، إني وثقت به ... ربّاً رحيما بعبدٍ فيهِ مُمْتحِنِ

وبعت نفسيَ في ساح الرضا ، وبه ... خلعت نغلّ لم أضعف ولم أهِنِ

عملتُ ما اسطعتُ فليمض القضاء كما ... يمضي ، لعلّ خفيّ اللطف يمنعني

★★★★

رضاك أرجو فإن كان الرضا قدري ... فكلُ ماشئتَ يامولاي يُسعدني

أقمتني في مقام العز ممتحنا ... ومن يقم في مقام العز لم يَهنِ

سراقة بن مالك

للشاعر: محمد أمين الشيخ

الفارس الفاتك المرهوب جانبه ... سراقة ، فى ظلام الليل قد وثبا

يطير فوق جواد لا تسابقه ... هوج الرياح .. ولم يألف به تعبا

وسيفه القاطع البتار يصحبه ... وكم قتيل على حديه قد خضبا

ماذا سراقة ؟ ماذا قد ألم به ... قالوا : محمد والصديق قد ذهبا

فأوفدته قريش .. إن أتى بهما ... فإنه سينال المال والأربا

مضى سراقة مخموراً .. على ثقة ... ومن يباريه فى الأهوال إن غضبا

وأدرك الركب .. وارتاحت سرائره ... وجرد السيف كالموتور واقتربا

فهاله أن رأى رعبا يلم به ... وساخ أجْرَدُهُ فى الرمل مضطربا

ما للجواد ؟ لقد ساخت قوائمه ... وسيفه زل عما رامه ونبا

رأى نهاية مغرور تطيف به ... فصاح فى القفر مذعوراً ومنتحبا

محمد يارسول الله خذ بيدى ... إنى أسأت إليك القصد والأدبا

شاهت قريش .. وشاه المرجفون بها ... ياليتهم شاهدونى خائراً عطبا

أشار كفُّ رسول الله فاعتدلت ... قوائم المهر فوق الرمل وانتصبا

مضى سراقة نحو المصطفى دهشاً ... يقبل الكف يرجو عفوه رغبا

آمنت بالله منذ اليوم وانصرفت ... عنى الأراجيف .. والإسلام قد وجبا

خذنى لديك فإن النور يغمرنى ... وفى فؤادى يقين يملأ الرُّحَبَا

عد ياسراقةُ بالغفران .. واحكِ لهم ... ما قد رأيت .. فإن الله قد غلبا

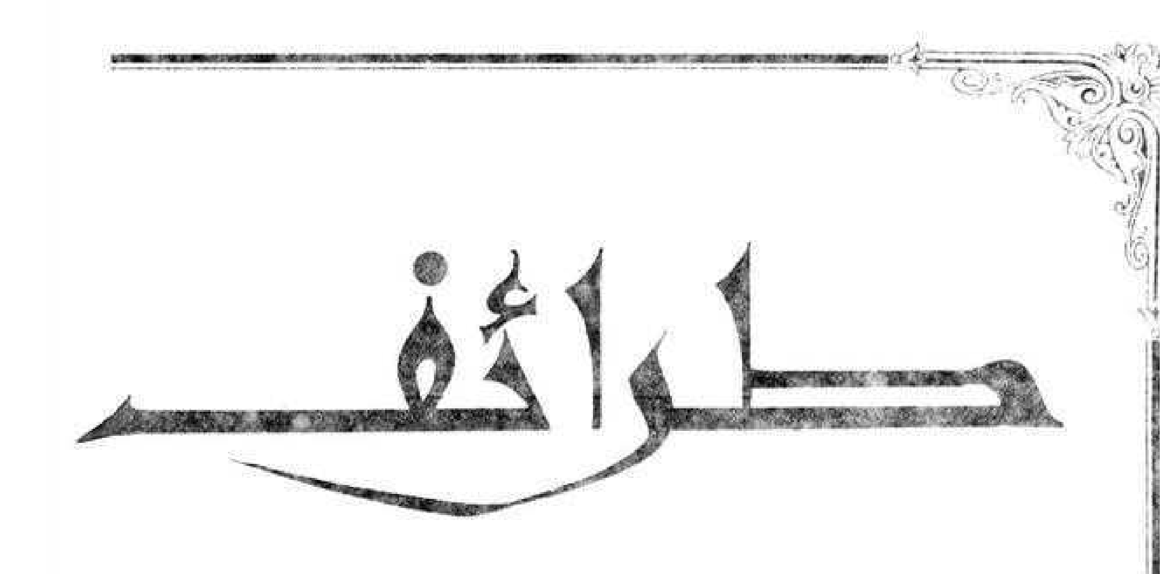
سوار كسرى مع الأيام تملكه ... فامشق حسامك للإسلام مرتقبا

وسار ركب رسول الله تشمله ... رعايةُ أشبهت فى فيضها السحبا

أعطى سراقةُ للإسلام قوته ... وفى الفتوحات قاد العصبة النجبا

وحين دانت بلاد الفرس قيل له ... هذا سِوارُكَ فلتفرح به طربا

بكى سراقة شكراناً .. وفى يده ... سِوار كسرى .. فسبحان الذى وهبا



«أهـــلا»

فى ذكرى ميلاد المصطفى – صلى الله عليه وسلم – لفضيلة المرحوم العارف بالله الشيخ محمد أحمد الطاهر الحامدى : – رحمه الله – .

اهلا بسعد الكون مصدر عزّه
اهـلا بطلعته ونـور بهائـه

أهلا بمن وهب الحياة وساقها
عفوا لميت الجهل فى صحرائه

اهلا بمن تحيا القلوب بحبه
وتموت إن طويت على بغضائه

لم أدر كيف يذوق طعم حياته
من لم يذق فى العيش طعم ولائه

« موعظـــة »

كان صالح اللخمى الدمشقى شاعراً وحكيماً ، وقد ذكر عنه انه وعظ ابنه مرة ؛ فقال :

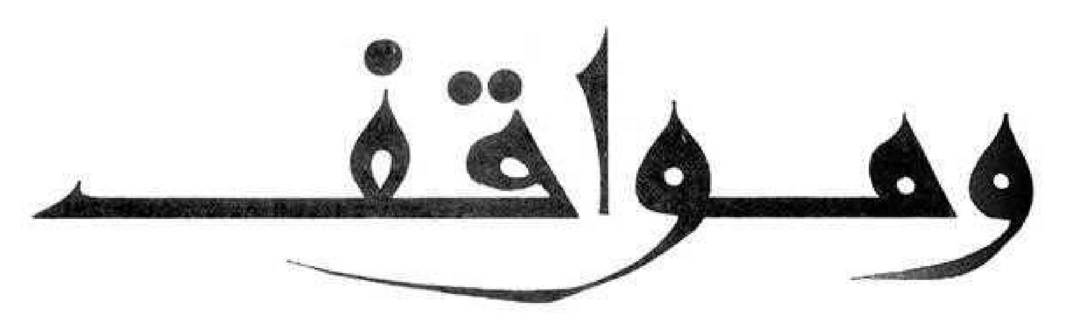
« يابنى إذا مر بك يوم وليلة وقد سلم فيهما دينك وجسمك ومالك فأكثر الشكر لله – تعالى – فكم مسلوب دينه ومَنْزُوع ملكه ومهتوك ستره ، ومقصوم ظهره فى ذلك اليوم وأنت فى عافية » .

« ماذا نجد فى القرآن الكريم ؟ »

حكى ان أم غزوان الرقاشى قالت لابنها غزوان ، وكان من الاتقياء الصالحين ، وقد راته يقرأ فى المصحف :

ياغزوان .. اما تجد فى هذا القرآن بعيرا

إعداد الأستاذ :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم



ضلّ لى فى الجاهلية ؟

فما نَهرها غزوان بل قال :

أمة الله .. أجد والله فيه وعدا حسنا ؛ ووعيداً شديداً .

« اختبارات »

يختبر الذهب بالنار ، وتختبر المرأة بالذهب ويختبر الرجل بالمرأة .

« فى العلم والعمل »

ياأيها العالم المرضى سيرته
أبشر فأنت بغير الماء ريان
وياأخا الجهل لو أمسيت فى لُجج
فأنت مابينها لاشك ظمآن
وكل كسر فإن الدين يجبره
وما لكسر قناة الدين جُبْران

« السياسة المتنوعة »

كتب معاوية - رضى الله عنه - إلى أحد عماله قائلاً :

لا ينبغى أن نسوس الناس سياسة واحدة .

ولا نلين جميعا فيمرح الناس فى المعصية .

ولا نشتد جميعا فنحمل الناس على المهالك ، ولكن تكون أنت للشدة والغلظة ، وأكون أنا للرأفة والرحمة .

« أركان السعادة »

أركان السعادة ثلاثة : أن تجد شيئا تعمله ، وشيئا تحبه ، وأملا ترجو تحقيقه أو تسعى إليه .

←

« إثنان طيبان لا يفترقان »

إثنان طيبان لا يفترقان أبداً ، وإذا افترقا حلت الكارثة الكبرى وهما معاشارة الإنسانية العليا ، ورمز الحضارة المنتصرة وقمة من قمم الكمالات والفضائل :

إذا ذُكر القرآن ذكر معه التدبر ، فالقرآن والتدبر لا يفترقان .

وإذا ذكرت الصلاة ذكر معها الخشوع ، فالصلاة والخشوع لا يفترقان .

وإذا ذكر العلم ذكر معه الإيمان .. فالعلم والإيمان لا يفترقان .

وإذا ذكر الحكم ذكر معه العدل .. فالحكم والعدل لا يفترقان .

وإذا ذكر الحق ذكر معه الخير .. فالحق والخير لا يفترقان .

وإذا ذكرت النعمة ذكر معها الشكر .. فالنعمة والشكر لا يفترقان .

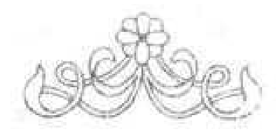
وإذا ذكرت الدنيا ذكرت معها الآخرة .. فالدنيا والآخرة لا يفترقان .

« دعـــاء »

اللهم إنا إليك محتاجون فأعطنا ، وعن الطاعة عاجزون فأقدرنا ، وهب لنا قدرة على طاعتك ، وعجزا عن معصيتك ، واستسلاما لربوبيتك ، وصبرا على أحكام إلهيتك وعزا بالانتساب إليك ، وراحة فى قلوبنا بالتوكل عليك .

اللغة والأدب والنقد

اللغة العربية أصلها ونشأتها



المديح النبوى لرسول الله صلى الله عليه وسلم

اللغة العربية

أصلها ونشأتها - تطورها وسر خلودها

لغة أية أمة تمثل شخصيتها ، وأوثق وشائجها ، فهي سجل تاريخها ، ومناط عزها ، وملاذ أجيالها المتعاقبة ، وهي عنوان نهوضها وارتقائها في الماضي والحاضر .

واللغة العربية منسوبة إلى (العرب) وهم سكان شبه الجزيرة العربية من أقدم العصور ، ويرجعون في أصلهم إلى الجنس السامي[1] نسبة إلى (سام) بن (نوح عليه السلام) ، الذي استقر هو وذريته في غرب القارة الآسيوية وجنوبها - ولغة العرب تفرعت عن اللغة (السّامية الأولى) التي كانت الأمّ لعدة لغات قديمة عرفت (بمجموعة اللغات السّامية) منها :

١ - (الكنعانية): لغة الفلسطينيين القدماء .

٢ - (الفينيقية): لغة أهل سواحل الشام .

٣ - (العبريّة): لغة الطارئين من بني إسرائيل الأقدمين على فلسطين .

٤ - (الآرامية): لغة الآراميين الذين سكنوا حوض نهر الفرات بين سورية والعراق .

٥ - (النبطية): لغة الأنباط الذين سكنوا شرقي الأردن وجزءا من شبه جزيرة سيناء .

٦ ، ٧ - (البابلية والكلدانية): وتكلم بهما أهل جنوب العراق .

٨ - (السريانية) : وهي لغة تفرعت عن الكلدانية - ومما تفرع عن السامية أيضاً (الهيروغليفية) و (الحبشية) في رأي بعض الباحثين[2]

أما (اللغة السامية) الأم فقد انقرضت وبادت من قديم ، وخلفتها تلك الفروع التي ذكرناها ، لكنها أيضاً بادت وانقرضت من بعد - إلا العربية - فبعضها باد قبل ظهور الإسلام كالكنعانية والبابلية والفينيقية ، والبعض الآخر انقرض بعد الإسلام

(١) ويقابله في أجناس البشر (الجنس الحامي) نسبة إلى (حام) بن نوح و (الجنس الآري) نسبة إلى (آرين يافث بن نوح) .

(٢) راجع لغتنا القومية للأستاذ عمر الدسوقي .

كالسريانية والنبطية، بحيث لم يبق من تلك اللغات إلا آثار مكتوبة على الأحجار أو الجلود أو البردى، لا تزال شاخصة على جدران بعض الأبنية التى سلمت من البلى، أو محفوظة فى المتاحف يرجع إليها علماء اللغات والحضارات والدارسون المتخصصون، كما هو الشأن فى «الهيروغليفية» و «اللاتينية» و «اليونانية» القديمة، وغيرها من اللغات الأثرية الميتة.

أما اللغة السامية المستثناة من الانقراض، الوحيدة من بينها، الباقية المتداولة إلى اليوم فهى (اللغة العربية) أعرق اللغات الحية وأصَلُها، وأثبتها على مر الزمان، وتوالى الخطوب، حيث يتكلم بها فى عصرنا هذا أكثر من (مائة مليون) من البشر هم العرب المحدثون، يؤازرهم فى دعمها وحبها زهاء (ألف مليون) إنسان من المسلمين الناطقين بلغات أخرى شتى فى مشارق الأرض ومغاربها مضافاً - إليهما - إقبال كثير من غير المسلمين على تعلمها ويدل على أن اللغة العربية وأخواتها التى سبق ذكرها ساميات الأصل، وأن تسميتها (بمجموعة اللغات السامية) صحيحة، أمران هما:

١ - أن الشعوب التى نطقت بهذه اللغات شعوب (سامية) الأصل كما قرر علماء الأجناس والمؤرخون[٣].

٢ - ما وجده علماء اللغات من تشابه كبير فى الخصائص اللغوية لهذه المجموعة، ومن ذلك:

أ - زيادة عدد حروفها الهجائية عن عدد حروف مجموعة (اللغات الآرية)، واشتراكها فى حروف خاصة بها، لا توجد فى غيرها من اللغات الآرية والحامية كالحاء والعين والضاد والطاء.

ب - اشتراك لغات هذه المجموعة فى بعض الخواص كعلامات التأنيث وطريقة اتصال الضمائر بالأسماء والأفعال.

جـ - اقتصارها فى الكتابة على الحروف دون حركاتها، فلا يردفون الحرف بحرف آخر يدل على الفتحة أو الضمة أو الكسرة كما فى اللغات غير السامية.

د - اشتقاق صيغ متعددة من المادة الواحدة فى كل منها.

هـ - اشتراكها فى كلمات كثيرة بمعنى واحد مع اتفاق اللفظ أو الاختلاف فى حرف واحد وهو اختلاف يسير، كسلام «وشلوم» فى العربية والعبرية، «وأنف»، «وعنب»، فهما فى السريانية بحذف النون ومثل التنوين فهو فى العربية (نون) وفى البابلية (ميم).. إلخ.

ومما لاشك فيه أن هناك أسباباً وراء بقاء

←

(٣) راجع تاريخ مصر والعالم القديم للدكتور جمال مختار، وقصة الجنس البشرى تأليف الدكتور هندريك فان لون، وترجمة الأستاذين إبراهيم زكى خورشيد واحمد الشنتناوى.

اللغة العربية دون أخواتها الساميات وأن خلودها وحفظها من الضياع والانقراض يرجع إلى تلك الأسباب ومن أهمها قبل نزول القرآن الكريم :

١ ـ اعتزال العرب القدماء بلغتهم العربية فى داخل شبه جزيرتهم وعدم اختلاطهم بغيرهم من الأمم والشعوب فسلمت من التغيير كما انه لم يطرأ عليها من الغزاة الأجانب من يفرض لغته عليها أو يزاحمها فى عرينها ، أو يقضى عليها .

٢ ـ سعة العربية وغناها بالمفردات والحروف وكثرة المترادفات فيها .

٣ ـ عذوبتها فى النطق وموسيقية ألفاظها وما أوتيت من جمال التعبير .

٤ ـ فلما نزل القرآن الكريم ضمن لها من الوحدة والقوة والعزة ما أحياها أبداً فكان سر خلودها وسبب صمودها إلى ماشاء الله .

نشأتها

هناك سؤال طرحه الباحثون فى نشأة اللغات نعرض له كتمهيد لموضوعنا وهو :

هل اللغة (توقيفية) أى اكتسبها الإنسان عن طريق وحى من الله تعالى ؟ أو هى (مواضعة) أى وضعها البشر باتفاق واصطلاح ارتضوه فيما بينهم ؟.

وفى الإجابة عن هذا السؤال انقسم العلماء فريقين فقال بعضهم بأنها توقيفية أوحى بها إلى آدم أبى البشر وعنه أخذها أولاده ثم تفرعت بعد ذلك . واحتجوا بقول الله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة : ٣١) .

ولكن الآية ليست دليلاً قاطعاً فى ذلك لاحتمال أن تكون الأسماء المرادة فى الآية : أسماء الملائكة فحسب ، ويؤيد ذلك فى الآية التالية : ﴿ قَالَ يَاآدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ ﴿ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ . . ﴾ والدليل متى تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

وذهب الأكثرون من العلماء إلى أن اللغة تواضع واصطلاح أقدر اللهُ الإنسانَ عليه تمييزاً له عن الحيوان الأعجم الذى يعبر عن أحاسيسه بأصوات محدودة لا يتعداها ـ وهذه القدرة التى حبا الله بها الإنسان هى المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (الرحمن ٢ ، ٣) أى علمه الإفصاح عما فى ضميره بكلام مرتب حسن[٤] وذلك بتيسير النطق ، وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها[٥] .

وهناك سؤال آخر يطرحه من قالوا بأن اللغة (مواضعة واصطلاح) هو : هل دلالة الألفاظ على معانيها (ذاتية) ناشئة عن محاكاة الطبيعة ؟

أو أنها (مرتجلة) ابتكرها الإنسان وعم استعمالها فثبتت واستقرت ولو لم يكن بين اللفظ ومعناه مناسبة ؟.

قال بالرأى الأول قوم واستدلوا على ذلك بأسماء الأصوات المحكية عن الطبيعة

---

(٤) راجع (المصحف المفسر) للمرحوم محمد فريد وجدى عند تفسير سورة الرحمن .

(٥) وراجع تفسير القرآن العظيم للعلامة ابن كثير عند تفسير سورة الرحمن .

والحياة كالشخير للنائم ، والقهقهة والنحنحة وفرقعة الأصابع والزفير للإنسان ، والزئير للأسد . والصهيل والحمحمة للفرس ، والنهيق للحمار ، والعواء للذئب ، والنقيق للضفدع ، وطنين الذباب ، وشقشقة العصفور ، وفحيح الحية ، وحفيف أوراق الشجر ، وخرير الماء ، وقصف الرعد ، وأزيز القدر ، وقمقعة السلاح ، وصليل السيف ، ورنين المعدن ، ومثل كلمات : الدَّق/ الدب ، والمص ، والرش والبقبقة (صوت امتلاء الجرة) ومثل ذلك كثير فى اللغة العربية يجده من يتتبعه فى مظانه[6] .

وقال بالرأى الثانى قوم لا ينكرون المحاكاة والمناسبة فى بعض اللغة وهو البعض الأقل وذلك يكاد يكون قاصراً على المحسوسات[7] .

ويقرون أن غالب مفردات اللغة مبنية على الارتجال والابتكار فإنك لو تتبعت معظم الكلمات لم تجد مناسبة بين لفظها ومعناها فأين المناسبة مثلاً بين ألفاظ : رجل - امرأة - علم - جهل - كرسى - سقف - نار - ظلمة - وردة - سمكة وبين معانيها ؟

فالارتجال والابتكار ، ثم العموم وشيوع الاستعمال هو المعول عليه فى اللغة ، والقدرة عليهما من خصائص الإنسان ومواهبه التى حباه الله إياها وفضله بها على سائر مخلوقاته .

وبعد هذا التمهيد الذى نرجو أن يكون ذا فائدة نعود إلى اللغة العربية سائلين عن نشأتها ، فنقول (بوجه عام) : لقد تفرعت لغات البشر كلها عن لغة واحدة ، هى الأم الكبرى ، وهى لغة آدم عليه السلام وهى اللغة التى توارثها عنه أولاده ، ولما كثرت ذرية آدم وتفرقوا فى الأرض واختلفت بيئاتهم الجغرافية وظروفهم المعيشية ، وأحوالهم الاجتماعية تفرعت عن لغتهم الأصلية لغات ثم تنوعت بارتجال كلمات جديدة للوفاء بمطالب حياتهم الجديدة ، واستمر التفرع والتنوع باستمرار الهجرات والانتشار فى الأرض وتباعد الأجناس البشرية بعضها عن بعض وارتقاء المجتمعات الإنسانية فى سلم الحضارة وميادين العلم والثقافة ، ولعلك لا تعجبُ إذا علمت أن عدد لغات أهل الأرض اليوم يتجاوز المئات إلى الآلاف !! وكيف تعجب وقد جعل الله تعالى هذه الظاهرة من آيات قدرته ودلائل عظمته ؟ حين قال سبحانه : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ (سورة الروم : آية ٢٢) .

ثم نقول (بوجه خاص) إن اللغة العربية - كما قررنا سابقاً - فرع ناضر من فروع اللغة (السامية القديمة) بل إنه أنضر وأقوى وأخلد فروعها على الإطلاق بدليل اندثار الفروع الأخرى وبقائه وسقوطها وصموده[8] .

ولكن اللغة العربية كغيرها من اللغات ، قد

(٦) راجع فقه اللغة للثعالبى .

(٧) راجع فقه اللغة للمرحوم الدكتور (إبراهيم نجا) مطبعة الأزهر ١٣٧٢ هـ ، ١٩٥٢ م .

(٨) تجرى الآن محاولة لإحياء اللغة العبرية المندثرة فى دولة إسرائيل لأغراض سياسية .

جرت على سنة الله تعالى فى المخلوقات من المرور بأطوار عدة ، وبمراحل متعاقبة وظروف كثيرة فى أزمنة طويلة تدرجت فيها ـ كما يتدرج الكائن الحى ـ من الطفولة إلى الشباب ومن الضعف إلى القوة ومن الحداثة إلى النضج والاكتمال ، ومن الضيق إلى السعة والانتشار .

وطفولة اللغة العربية موغلة فى القدم ، ضاربة فى مجاهل التاريخ بحيث لم يصلنا من أخبارها شيء ، ولكن الذى وصلنا منها هو نتاج مراحل النضج والسعة ، والقوة والكثرة ، والعظمة والازدهار إنها (لغة قريش) التى توحدت فيها لغات العرب جميعاً وانصهرت فى لهجتها لهجاتهم كلها .

إن الحفريات فى أنحاء شبه الجزيرة الواسعة ، ومواطنها التاريخية المتعددة والتنقيب عن الآثار المطمورة تحت رمالها الشاسعة ، وما يمكن أن يُظْهِر الحفر من نقوش وكتابات عربية عتيقة على حجر أو شجر أو جلود أنعام أو أوراق بردى ، لحرِيٌّ ـ لوتَمَّ ـ أن يكشف فى المستقبل عن كثير مما غمض علينا من نشأة اللغة العربية ، ومراحل تطورها المبكرة والافتراضات القائمة حتى الآن عن تلك النشأة والتى ذكرها الباحثون تتلخص فى الآتى :

١ ـ أن اللغة العربية (القحطانية) هى الأصل وأن أهل اليمن أول من نطق بها وأنهم أخذوا أصولها من بقايا القبائل العربية القديمة التى بادت مثل (عاد) و (جديس) ثم توسعوا فيها وطوروها ، وقد انتقلت منهم إلى غيرهم من القبائل فى سائر أنحاء شبة الجزيرة .

٢ ـ أن (يعرب بن قحطان) هو أول من نطق بالعربية ، وأن أولاده أخذوها عنه ، وعنهم أخذتها العرب ، ومنهم العرب المستعربون أو الإسْماعيليون . أما أبو (يعرب) فكان سريانياً فيما يزعمون .

٣ ـ أن إسماعيل عليه السلام هو أول من أبان بالعربية وعنه وعن ذريته أخذها سائر سكان شبة الجزيرة[٩] .. ولا يخفى ما فى الرأيين الأخيرين من ضعف ، ويبقى الرأى الأول مقبولاً فهو أقرب الآراء إلى المنطق والصواب وعليه فاللغة العربية بدأت بالقحطانيين المعروفين بالعرب العاربة ثم انتقلت منهم إلى العدنانيين المعروفين بالعرب المستعربة ثم ازدهرت على أيدى الأخيرين وبلغت ذروة الكمال فى قبيلة (قريش) العدنانية .

لكن كيف تم هذا الانتقال ؟

اتفق المؤرخون على أن نسب (عدنان يرجع إلى (إسماعيل) بن إبراهيم عليهما السلام ، وإسماعيل وافد على شبه الجزيرة فهو (مستعرب) هاجر به أبوه طفلاً وتركه فى كفالة أمه السيدة هاجر المصرية الأصل ـ على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام . كما يخبرنا بذلك القرآن الكريم فى قول الله تعالى

(٩) راجع (السيرة النبوية) لابن هشام جـ ١ ص ١ دار التوفيقية للطباعة .

حكاية عن إبراهيم : ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ (سورة إبراهيم آية : ٣٧)

وتربى إسماعيل فى جوار قبيلة (جرهم الثانية) التى أقامت قريباً من الكعبة وهى قبيلة يمانية قحطانية فنطق بكلامهم ، وصاهرهم واتخذ لغتهم لساناً له ولأولاده ، ولا يبعد أن يكون قد أدخل فيها قليلاً من لغة أمه المصرية ، ولغة أبيه السومرية ـ العراقية الذى كان يزوره بين الحين والحين .

فذرية إسماعيل نطقت بهذه اللغة الجرهمية اليمانية القحطانية المطعمة بشىء يسير من المصرية القديمة ومن السومرية القديمة وبذلك نشأت اللغة التى انتهت إلى (عدنان) وسميت (العدنانية) بعد أن نمت وتطورت بعض التطور .

وانتشر العدنانيون فى أنحاء شبه الجزيرة ، واختلطوا بالقحطانيين اختلاطاً كبيراً لاسيما بعد هجرة الأخيرين من الجنوب إلى الشمال ، والتقت اللغتان بعد أن نمت القحطانية كذلك وتطورت ، فاكتسبت كل واحدة من الأخرى بعض السمات والملامح وتبادلتا التأثير والتأثر .

ثم تقاربت اللغتان تقارباً شديداً وبخاصة فى لغة الشعر والأدب قبيل الإسلام ، ثم توحدتا تماماً فى هذا المجال بعد مجىء الإسلام بفضل القرآن الكريم فى لغة قريش خاصة .

وعلى ذلك يمكن إجمال مراحل نشأة اللغة العربية وأطوار تدرجها فى طريق النمو والرفعة والتوحد فى الآتى :

(١) ـ من العرب البائدة إلى القحطانيين .

(٢) ـ من القحطانيين إلى الإسماعيليين (العدنانيين) .

(٣) ـ من العدنانيين إلى القحطانيين .

(٤) ـ من قريش إلى العرب جميعاً .

وهذا التقارب الذى انتهى إلى التوحد بين اللغتين (القحطانية) و (العدنانية) له أسباب أجملنا الإشارة إليها . وهذا تفصيل لأهم هذه الأسباب :

(١) ـ الهجرات القحطانية من (اليمن) فى الجنوب إلى شمال شبه الجزيرة : وسطه وشرقيه وغربيه حيث يسكن العدنانيون ، ومن أشهر تلك الهجرات وأكبرها هجرة قبائل (سبأ) على أثر خراب بلادهم نتيجة انهيار سدهم العظيم (سد مأرب) بسيل (العرم) الجارف ، فتفرقوا فى نواح شتى من شبه الجزيرة وضربت العرب بتفرقهم المثل فقالوا : « تفرقوا أيدى سبأ » ولقد ورد ذكر (سبأ) وما أصابها من ذلك الحدث التاريخى وتشتتها فى البلاد فى القرآن الكريم قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ . فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾

إلى أن يقول سبحانه :
﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (سبأ ١٥ ـ ١٩) .

ومن أشهر القبائل اليمنية التى هاجرت إلى مواطن العدنانيين واختلطت بهم اختلاطاً كاملاً شاملاً : (كندة) (وطىء) اللتان استقرتا فى (نجد) و (الأوس والخزرج) اللتان استقرتا بـ (يثرب) فى (الحجاز) و (غسان) التى أقامت فى أطراف الشام شرقاً و (تنوخ) التى سكنت أطراف العراق غرباً .

(٢) ـ النشاط الاقتصادى الواسع للقحطانيين : فقد ثبت فى تاريخ دولة (المعينيين) اليمنية أنها أقامت مراكز تجارية ثابتة على طول الطريق التجارى الذى يربط اليمن بالشام مخترقاً شبه الجزيرة العربية لإمداد القوافل بالماء والطعام والرجال للحراسة[١٠] ، كما قام (السبئيون) ثم (الحِمْيَرِيُون) من بعدهم بنشاط تجارى مماثل مما هيأ فرصاً كثيرة لالتقائهم بالعدنانيين فى تلك المراكز وما حولها لتبادل التجارة والمصالح[١١] .

(٣) ـ وفود القحطانيين إلى مكة فى موسم الحج حيث يلتقون بالعدنانيين من أهلها وبسائر القبائل العدنانية الوافدة لأداء المناسك ، وهو موسم يطول فيه المقام حول البيت الحرام فيتعارف العرب ، ويتبادلون المنافع والأخذ والعطاء وتنشأ بينهم العلاقات نتيجة لتخاطبهم وتفاهمهم بعضهم مع بعض فى مختلف الشئون .

اللهجات العربية وسيادة اللهجة القرشية

ولكن مع ذلك التقارب الذى أدى إلى قيام وحدة لغوية تربط بين الشمال والجنوب قبيل ظهور الإسلام وهى مزيج من لغتيهما مع رجحان الكفة (العدنانية) على القحطانية) بفضل العوامل التى سقناها آنفاً ، فقد كان لكل قبيلة (عدنانية) أو (قحطانية) لهجة خاصة بها أى طريقة فى نطق العربية تختلف قليلاً أو كثيراً عن لهجات القبائل الأخرى ، كاستعمال (التفخيم) أو (الترقيق) فى بعض الحروف و (الإدغام) أو (الفك) فى الحروف المشددة ، و (الوصل) أو (القطع) فى همزة أول الكلمة والهمز أو التليين فى وسط الكلمة ، واستعمال بعض المترادفات دون بعض كالسكين والمدية للآلة المعروفة ، والاختلاف فى حرف من حروف الكلمة كالصقر والسقر والزقر للطائر المعروف . وأمثلة اختلاف اللهجات كثيرة تجدها فى كتب (فقه اللغة) .

(١٠) ، (١١) راجع تاريخ مصر والعالم القديم للدكتور جمال مختار .

واختلاف اللهجات عند قبائل العرب أمر طبعى لاختلاف مواطن الإقامة لهذه القبائل، وتعدد بيئاتها، وتباين مرائيها، وانعزال بعضها عن بعض فى المعيشة، ونحن نرى الآن اختلاف اللهجات واقعاً مألوفاً بين عرب مصر وعرب الشام وعرب المغرب وسائر أنحاء العالم العربى بل نراه بين أجزاء القطر الواحد، فالقطر المصرى مثلاً تختلف فيه اللهجات بين الوجهين القبلى والبحرى بل تكاد تجد لهجة خاصة فى كل محافظة ـ تعرف بها وتتميز عما سواها مع تقاربها واتصالها فلا عجب إذن أن تتعدد لهجات العرب الأقدمين فى محيط شبه الجزيرة الشاسع.

ولكن أعذب اللهجات العربية على الإطلاق كانت (لهجة قريش)[١٢] ولذلك سادت وارتضاها العرب جميعاً لغة لشعرهم وأدبهم قبيل الإسلام، ولذلك أسباب تتلخص فى الآتى:

(١) ـ فصاحة قريش وتحضرها، وخصائصها اللسانية الممتازة.

(٢) ـ صلاتها الواسعة والمباشرة بكل قبائل العرب ومما هيأ لها ذلك:

أ ـ وفود العرب إليها فى موسم الحج من كل واد وفج عميق وإقامتهم بمكة فى ضيافتها زمناً غير قليل. وقيام قريش بأمر الكعبة أكسبها الزعامة الدينية على العرب وحباها منزلة سامية ممتازة.

ب ـ رحلات قريش التجارية وتواصلها وانتظامها بين اليمن والشام، شتاءً وصيفاً مخترقة أهم أحياء شبه الجزيرة، حيث يغدو القرشيون ويروحون بينها فى أمن وطمأنينة ـ دون غيرهم ـ إكراماً لجيران بيت الله الحرام، وهذه الرحلات هى المشار إليها بقوله تعالى فى سورة قريش ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ وهذه الرحلات جعلت لقريش زعامة اقتصادية مرموقة.

ج ـ قيام الأسواق الكبرى فى رحاب قريش للتجارة والأدب وأغراض شتى. تلك الأسواق التى يغشاها العرب من كل مكان لذلك مثل سوق (عكاظ) قرب الطائف وسوق (مجنة) فى ضواحى مكة وسوق (ذى المجاز) قرب عرفات.

د ـ الحروب التى كانت تشب أحياناً بين قريش وغيرها من القبائل وما كان يسبقها ويتخللها من محالفات، وما يعقبها من مجامع صلح ومعاهدات، وهذه المجتمعات هيأت لقريش زعامة أدبية.

هـ ـ عياذ العرب جميعاً بالبيت الحرام والكعبة المشرفة فى أى وقت من أوقات العام حيث يلقون الأمن والسكينة، فكانت مكة

←

(١٢) وما اشبهها فى ذلك بلغة القاهرة بالنسبة لأهل القطر المصرى جميعا فلهجتهما ألطف وأجمل اللهجات.

حرماً آمناً وملجأ لكل خائف يقصدها الكثير من أبناء القبائل لذلك .

كل هذا هيأ لقريش فرصاً كثيرة لمخالطة العرب بكل طوائفهم ، والأستماع إليهم ، وأتاح لها أن تختار وتنتخب من لغة كل قبيلة ولهجتها ما عذب فى النطق وخف على اللسان وحسن فى السمع ، وأن تتجنب ما عدا ذلك وتنفى عن لهجتها العيوب ففازت فى النهاية بتلك اللهجة الجميلة الرائعة وكأنما هيأها الله عز وجل بهذا كله ، لتكون اللغة المختارة لإنزال القرآن الكريم بها ، فترتبط بالإسلام إرتباطاً أبدياً يحقق لها الخلود والرفعة والازدهار على مر العصور دائماً أبداً .

أهم مراجع المقال

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ المصحف المفسر : تفسير محمد فريد وجدى مطابع الشعب بالقاهرة ١٣٧٧ هـ .

٣ ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ط القاهرة ١٤٠٠ هـ .

٤ ـ السيرة النبوية لابن هشام ط المكتبة التوفيقية بالقاهرة .

٥ ـ الوسيط فى الأدب العربى : لأحمد الاسكندرى ومصطفى عنانى .

٦ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه .

٧ ـ فقه اللغة لأبى منصور الثعالبى .

٨ ـ فقه اللغة للدكتور إبراهيم محمد نجا .

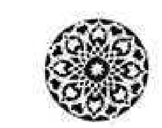
٩ ـ مميزات لغة العرب لحفنى ناصف .

١٠ ـ لغتنا القومية لعمر الدسوقى .

١١ ـ تاريخ مصر والعالم القديم لجمال الدين مختار .

١٢ ـ قصة الجنس البشرى لهندريك فان لون ترجمة إبراهيم زكى خورشيد وأحمد الشنتناوى .

□



قضايا إملائية

ولها جذور نحوية

للدكتور / عبد الرءوف محمد عثمان

اللغة العربية تتميز عن غيرها من اللغات بخصائص وميزات جعلتها حقاً خليقة بأن تكون لغة القرآن الكريم، نلمس ذلك فى قواعدها : من نحو وصرف، وفى كتابتها من قواعد إملائية وترقيمية، وفى خطوطها من زخارف وتنوع فى الرسم. بل إنك لتجد الصلة وثيقة بين النحو والإملاء، وفن الخط فحتى الفن الأخير جعلوا له قواعد من النقط أو التنقيط ليكون ميزانا لكل حرف فالنون تسع كذا نقطة، والفاء تختلف عن النون، وهكذا فى بقية الحروف. وهاهم قد جعلوا من الحروف ملوكاً، فاخترعوا حروف التاج، ولا غرو فالخط العربى من الفنون الجميلة، وله عندنا معاهد خاصة، وهو مادة لها وزنها فى كليات الفنون الجميلة، ويعنينا هنا فى هذا المقام الصلة بين النحو والإملاء لحاجة النشء من أبنائنا لهذه الصلة بله جلّ متعلمينا ممن يقعون فى أخطاء إملائية فاحشة مما لا نجد له نظيراً فى غيرنا من الأمم الأخرى فلا نجد انجليزيا يخلط بين هذه الألفاظ. god , good , goods إذ مجرد الخطأ فى الهجاء ضياع لمعنى كل واحدة.

ولا نجد فرنسياً يخلط بين Peu , Peux , Peur مع التشابه فى اللفظ والرسم.

ولنتناول هذه القضايا وهى على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ عدم التمكن من وضع الهمزة فى مواقعها المختلفة بحسب موقعها الإعرابى فإذا وضعنا أمامك هذه الكلمات الثلاث وطلبنا منك أن تجعلها فى جمل :

زعماؤنا   زعماءنا   زعمائنا.

لأدركنا من أول وهلة أن تكون الأولى مرفوعة، والثانية منصوبة، والثالثة مجرورة، ومن هنا ندرك الصلة القوية بين الرسم الإملائى وعلم النحو ومادامت الصلة قوية إلى هذا الحد فلنسمه « الإملاء النحوى » حتى يتميز بذلك عن الإملاء العثمانى وهو ما يكتب به المصاحف،

و« الإملاء العروضى » الذى يعنى بالمنطوق فقط ، فكلا الإملاءين الأخيرين يختلفان اختلافاً جوهرياً عما نحن فيه .. ووضع الهمزة ، هذا يختلف عن مكان الهمزة فالهمزة الفوقية غير الهمزة التحتية مما يجعلنا نميز بين الأعلام والإعلام والأشراف والإشراف والأصحاب والإصحاب ، فالهمزة الفوقية دلالة على الجمع والهمزة التحتية دلالة على المصدر .

٢ ـ وأداة التعريف ودخولها على الحروف الشمسية يمثل مشكلة كبيرة خاصة عند غير الناطقين بالضاد ، فكما نعلم أن الحروف الشمسية تذوب مع أداة التعريف ونقصد بأداة التعريف هنا « اللام » على خلاف فى ذلك « أل حرف تعريف أو اللام فقط » واللام هذه يتوصل إليها بالألف فتصبح « ال » كما توصلوا للألف وهى من حروف الهجاء فقالوا : لام ألف « لا » ويقصدون بذلك عدّ الألف فقط لأنها ساكنة . ولا يمكن النطق بالساكن فكانت هناك مقاصة بين الألف واللام استعين بكل منهما للنطق بالآخر .

والحروف الشمسية أربعة عشر وكذلك القمرية قسمة عادلة للغة عادلة فالشمسية هى :

(أ) النون واللام والراء وهى حروف ذلقية .

(ب) الضاد ، والشين ..[1] وهى حروف شجرية نسبة إلى الشجر بسكون الجيم The open orifice of the lips .

(جـ) السين والصاد والزاى وهى حروف أسلية نسبة إلى الأسلة Tip of Tongue .

(د) الدال والتاء والطاء وهى حروف نطعية .

(هـ)الذال والظاء والثاء وهى حروف لثوية .

أما القمرية فهى :

(أ) الواو[2] والميم والفاء والباء وهى حروف شفوية .

(ب) الهاء والغين والعين والخاء والحاء والألف[3] وهى حروف حلقية .

(جـ) الياء والواو والألف وهى حروف لينة .

(د) الكاف والقاف وهما حرفان لهويان .

وذوبان الحروف الشمسية فى لام التعريف يعطى لغتنا موسيقى فريدة قلما تجدها فى غيرها من اللغات تلك الموسيقى النابعة من إدغام اللام فى الحرف الشمسى فيعطى تنغيماً خاصا نجد حلاوته عند المهرة من المقرئين والمطربين وأصحاب الأصواتْ الرخيمة والرقيقة .

٣ ـ وتاء التأنيث فى الفعل تختلف عن تاء التأنيث فى الاسم ، فهى إذا لحقت الفعل كانت مفتوحة وإذا لحقت الاسم كانت

---

١ ـ لم تذكر الجيم هنا وهى من الحروف الشجرية لأن لها وضعاً خاصاً فى النطق مما يجعلها متنوعة فهناك الجيم القاهرية وهناك الجيم الفارسية وأيضاً فهناك جيم أبناء مصر العليا التى هى أقرب إلى الدال ، وبهذا تدخل هذه الجيم فى مجموعة الحروف النطعية لا الشجرية ، لذا يمكن أن نقول إن الجيم حرف مشترك بين الشمسية والقمرية وإن كانت إلى القمرية أقرب .

٢ ـ يلاحظ أن الواو لها وضعان فهى شفوية إذا كانت متحركة ولينة إذا كانت ساكنة .

٣ ـ الألف هنا هى الألف اليابسة والمعروفة بالهمزة ، وليست الألف اللينة .

مربوطة ، كما فى قولك نجحت فاطمة وهاتان التاءان ضعيفتان على كل من الاسم والفعل فتحذف تاء الفعل فيما إذا قلت : نجح اليوم فاطمة للفصل بين الفعل والفاعل ، بينما نجد تاء الاسم تحذف فى المنادى المرخم كما فى قول امرىء القيس :

أفاطم مهلا بعد هذا التدلل .. وإن كنت قد أزمعت صرمى فأجملى .

ومما يجب التنبيه عليه الفرق بين تاء التأنيث وتاء المفاعلة وهاء الضمير وهاء البنية ، وإليك الأمثلة على التوالى القاهرة ، المواساة ، سيارته ، التوجيه فالكلمتان الأولى والثانية منقوطتان فى الحرف الأخير منهما وليس الأمر كذلك فى الكلمتين الأخيرتين ، والخطأ فى هاء البنية كثير وشائع فنجدهم ينقطون الكلمة الأخيرة متناسين أن أصل الكلمة وهو الفعل وجه بدون نقط .

٤ ـ الخلط بين الحروف وما يناظرها من الحركات أمر جد خطير فالضمة واو قصيرة والكسرة ياء قصيرة والفتحة الف قصيرة ، فإذا أشبعت الضمة تولدت الواو وإذا أشبعت الكسرة تولدت الياء وإذا أشبعت الفتحة تولدت الألف وفى اللغات الأخرى يدللون على الحركات بحروف فالانجليزى يقول لك إنى مسافر إلى كنو « ثلاثة حروف » وتكتب هكذا Kana « أربعة حروف » فالحرف الثانى وهو A دلالة على الفتحة ، بينما العربى ينطق نفس الكلمة كانوا Kano لأن الحرف A حرف قائم بذاته فهو قد أشبع الفتحة فكانت الألف .

ويخطىء الكثيرون عندما يخاطبون المؤنث بتاء الخطاب المكسورة فيقولون قلتى بدلا من قلتِ والسر فى ذلك هو إشباع الكسرة التى أتت بالياء .

٥ ـ الخلط بين الحروف ذات الأصوات المتشابهة وهى القاف والكاف كما فى قلب وكلب ، والتاء والطاء كما فى تين وطين ، والدال والضاد كما فى درب وضرب ، والذال والزاى والظاء كما فى ذلٍّ ، وزلٍّ ، وظلٍّ .

ويأتى الخلط من جهة أن بعض هذه الحروف أحادية التركيب بينما الأخرى ثنائية فمثلاً ض = دد ، ط = ت ت ، ظ = زز .

ووضع الكلمة فى جملة هو الذى ينفى عنها الجهالة ومن هنا يأتى دور النحو فى فهم حقيقة الحرف وفى فهم المعنى المراد فلو قلت : أكلت تينا تعين المراد به وهو الفاكهة المعروفة ، ولم يسألك المملى عليه عن قصدك لأن الطين لا يؤكل .

٦ ـ التمييز بين الألف المقصورة والألف اللينة ، والألف اليائية والياء كما فى هذه الأمثلة على التوالى ندِا (من النداء) وندى (المطر والجود والبلل) ونادَى (فعل ماض) ونادِى (اسم مكان) مع ملاحظة أن العرب ربما يقصرون الممدود كما فى : لابد من صنعا وإن طال السفر . ويمدون المقصور كما فى : فلا فقر يدوم ولا غناء . وهم يكتبون (ندى) بالياء رجوعاً إلى الأصل كما يكتبون عصا بالألف لأنك تقول فى التثنية (عصوان) كما وضعوا مؤشرات على أصل الألف ياء فى الاسم والفعل الثلاثيين وهى :

١ ـ الإمالة وهى حركة بين الفتحة والكسرة نحو كفى ، الندى .

٢ ـ افتتاح الكلمة بواو نحو وعى ، الورى .

٣ ـ توسط الواو فى الكلمة نحو غوى ، الهوى .

قضايا إملائية

٤ ـ افتتاح الكلمة بهمزة نحو أبى فعل الأذى .

٥ ـ توسط الهمزة فى الكلمة نحو رأي اللأي (الثور الوحشى) .

٧ ـ هناك مشكلة الخلط بين همزة الوصل وهمزة القطع . فهمزة الوصل يجب كتابتها وإن لم ينطق بها وهى لا تكتب همزة ، فقد جيء بها لغرض وهو النطق بالساكن ، ولقد نجح النحويون في حصر هذه الهمزة بل في حصارها حتى لا تختلط بهمزة القطع فهى محصورة فى الأسماء فى عشرة هى : ابنة ، ابنم ، ابن ، اثنان ، اثنتان ، أمرأة ، أمرؤ ، اسم ، ايمن ، ايم (لغة فى أيمن) است (the anus) وهى فى الأفعال فى الأمر من الثلاثى وفى أفعال الخماسي والسداسي ومصادرها وهى فى الحرف فى (ال) التعريفية . ولم يكتفوا بهذا ، بل فرقوا بين حركاتها فمنها المكسور مثل (الْعَبْ) ومنها المضموم مثل (اكْتُب) ومنها المفتوح كما فى (ايمن) ، ولقد ميزوا في الشكل بين الهمزتين فكانت همزة القطع رأس عين كما فى هذا الشكل (أ) وكانت همزة الوصل رأس صاد هكذا (ٱ) ، والخطأ الشائع هو في جعل همزة الوصل همزة قطع ، إذْ نحن مغرمون بالهمز مع أنه ثقيل والعرب يفرون منه إلى تسهيل الهمزة فنجدهم يكتبون ايمن الله فى القسم بالهمز بينما يكتبون إبراهيم بدون همز وفى هذا إجحاف بحق الهمزتين .

٨ ـ الفرق بين واو الجماعة وواو الجمع ، الأولى فى الفعل مثل قالوا والثانية في الاسم مثل مهندسو المدينة ، ولأن واو الجماعة فى نهاية الكلمة والواو ضعيفة لا تتحمل النهاية وضعوا لها بجانبها سنداً لها ، أما واو الجمع فليست فى نهاية الكلمة وإنما نون الجمع هى نهاية الكلمة فأصل مهندسو هو مهندسون وحذفت النون للإضافة ، إذْ يثقل على اللسان والسمع أن يقال مهندسون المدينة من هنا كان الفرق بين واو الجماعة وواو الجمع .
والواو لها وضع آخر في الحذف والزيادة فنجدهم يحذفونها من (داود) و (طاوس) تخفيفاً ويزيدونها في (عَمرو) للفرق بينه وبين (عُمَرَ) الممنوع من الصرف للعلمية والعدل وعلى ذلك لو كان لفظ عمرو منوناً فإنه يكتب بدون واو حيث لا لبس إذاً لأنه يتعين في قولك رأيت عمرا أن يكون المراد هو عمرو لا عُمر لأن الثانى ممنوع من الصرف أي التنوين .

٩ ـ وهم يحذفون الألف من (ابن) إذا وقعت بين علمين ولم تقع في أول السطر كما في قولك الحسين بن علي سيد الشهداء ، لأن همزة (ابن) هى همزة وصل ووجودها بين علمين أعطاها حصانة استغنت بها عن تلك الهمزة الضعيفة ، أما إذا وقعت (ابن) فى أول الكلمة كما في ابن مالك أو فى أول السطر فإنها تكون في حاجة ماسة إلى هذه الألف حتى لا يختلط معناها بغيرها . وهم كذلك يحذفون الألف في البسملة فى لفظ اسم فيكتبون البسملة هكذا بسم الله الرحمن الرحيم بينما لا تحذف ألف اسم إذا لم تكن البسملة كاملة كما في قولك باسم الله أو باسم الشعب لأن فى البسملة كاملة تجانساً بين حذف الألف من اسم وحذف الألف من الرحمن لذا حَسُن حذف الف اسم لهذه المناسبة وهذا التجانس .. وهم أيضا قد

حذفوا الألف من اسم الإشارة (ذا) إذا ركبت مع لام البعد وكان الخطاب كما في ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[٤] حتى لا تختلط بقولهم ذالك المكونة من اسم الإشارة ولام الجر وحرف الخطاب إذ التركيب الأخير جملة مستقلة مكونة من (ذا) الإشارية وهى مبتدأ خبرها الجار والمجرور (لام) الجر و(الكاف) ومع حذفهم لها فيما سبق فقد زادوها في مائة للفرق بينها وبين فئة وحتى لا تختلط إحدى الكلمتين بالأخرى .

١٠ ـ والفصل والوصل الكلمي من أهم ما يجب مراعاته عند الكتابة ، فلأن للاستفهام الصدارة تفصل (مَن) الاستفهامية عن (من) الجارة فنقول مَنْ مِنَ الطلاب حضر ؟ بينما إذا سبقت (من) الجارة فإنه لا يكون فصل بينهما بل يكونان كلمة واحدة فتقول ممن أنت ؟ تريد من المسئول أن ينتسب فيقول لك : أنا من آل كذا .

وهم يفصلون أنْ المخففة من الثقيلة عن لا النافية احتفاظاً واعتزازاً بمكان ضمير الشأن بين أن ولا ، كما في قولنا أشهد أن لا إله إلا الله بينما يوصلون أن الناصبة للفعل ولا النافية كما تقول من دعائم الإسلام ألاَّ نتهاون في الصلاة ويجب الفصل بين أداة الشرط والفعل فخطأ كبير أن تقول إنشاء الله سأفعل كذا بل يتحتم عليك أن تقول إن شاء الله لأن وصل أداة الشرط بالفعل يوهم بالمصدر فلفظ إنشاء مصدر أنشأ كأن تقول إنشاءُ الله الخلق من العدم دليل على وحدانيته .

١١ ـ ويتجلى الفصل والوصل الكلمى في « ما » استفهامية أو موصوفة ، أما الاستفهامية فتوصل ببعض حروف الجر وهى (من) و(إلى) و (عن) و (على) و (في) و(حتى) و(الباء) و(اللام) مثل مم ؟ إلام ؟عم ؟ علام ؟ فيم ؟ حتام ؟ بمَ ؟ لمَ ؟ وتوصل كذلك بالاسم المضاف إليها نحو بمقتضام تتكلم ؟ وتحذف ألفها في جميع ما تقدم ..

أما إذا لحقتها هاء السكت فإنها تفصل عما قبلها مثل :

إلام الخلف بينكم إلى مه ؟

أما « ما » الموصوفة فتوصل بنعم إذا كسرت عينها كقوله تعالى ﴿ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ﴾ ومثلها قوله تعالى ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾[٦] فإذا سكنت العين فقد أتت على أصلها وحينئذ لابد من الفصل فتقول نعم ما يقول الأب لابنه من نصح . ولأن الأصل في الأشياء الوصل ولأن الوصل جميل فقد أجروا بئس مجرى نعم مكسورة العين فوصلوها بما الموصوفة لأن بئس لا تكسر عينها لأن عينها همزة والهمزة ثقيلة ، فلا نزيدها ثقلا بالكسر كما جاء في قوله تعالى : ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ .[٧] وقوله جل شأنه ﴿ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ ﴾[٨] .

---

٤ ـ الآية ٢ من سورة البقرة .

٥ ـ الآية ٥٨ من سورة النساء .

٦ ـ الآية ٢٧١ من سورة البقرة .

٧ ـ الآية ٩٠ من سورة البقرة .

٨ ـ الآية ٩٣ من سورة البقرة .

قضايا إملائية

١٢ ـ اللغة العربية وأختاها العبرية والسريانية تكتب من اليمين إلى الشمال ولذلك يأخذ الحرف فيها أربعة أوضاع مختلفة .
١ ـ وضع الحرف غير متصل .
٢ ـ وضع الحرف وهو متصل بما قبله
٣ ـ وضع الحرف وهو متصل بما بعده .
٤ ـ وضع الحرف في الوسط

ويكون بذلك للحرف أربعة أشكال بحسب هذه الأوضاع ويجب مراعاتها عند الكتابة وإليك أمثلة لبعض الحروف

الحرف	الوضع الأول	الوضع الثانى	الوضع الثالث	الوضع الرابع
الهاء	ه	ـه	هـ	ـهـ
الياء	ى	ى	يـ	ـيـ
العين	ع	ـع	عـ	ـعـ

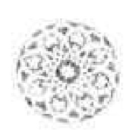
فمن الخطأ إذاً أن تكتب الزكاة هكذا الزكاهـ كما هو شائع بين بعض أبناء دول الخليج لأن هذه الهاء في غير وضعها الصحيح ، وخطأ كذلك أن تكتب سمع أو العدد هكذا سمـ ع الـ عدد لأن لكل حرف وضعاً خاصاً كما أسلفنا .

هذه بعض القضايا الإملائية التى يجب أن نعنى بها في حياتنا ، حتى تسلم لغتنا ويسلم تفكيرنا الذى هو من نتاج اللغة ، ولا عجب أن يمتد علم النحو إلى علم الإملاء فقديماً قالوا ـ عنه : إنه علم العلوم ، وقالوا ـ عن النحو أيضا : إنه العلم المستطيل وأنا مع هؤلاء وأولئك فيما قالوه أو قرروه عن علم العلوم بل والفنون .

ثبت بأهم المراجع

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ درة الغواص للحريري .
٣ ـ أمالى ابن الشجرى .
٤ ـ نتيجة الإملاء مصطفى عنانى .
٥ ـ المفرد العلم في رسم القلم .
٦ ـ قواعد الاملاء والترقيم عبد العليم إبراهيم .
٧ ـ تذكرة في أصول التحرير العربى د . عبد الرءوف عثمان .
٨ ـ الشافية ـ الجزء الثالث .

9. A guid to correct english, L.A. Hill
10. The oxford English - Arabic Dictionary of current msage
11. Le Francais, Langue uivante « A la découverte de la terre ».





زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم

للدكتور / غريب محمد على

من المعلوم لدى دارسى الأدب العربى أن الشعر ديوان العرب ، وأن فن المديح من أكبر فنون هذا الديوان إن لم يكن أكبرها على الإطلاق .

والمديح هو : فن الثناء والإطراء وإبراز مواهب الممدوح والتغنى بصفاته بل ونعته بنعوت قد لاتكون من جملة شمائله ، ولذا كان هذا الفن بابا للتكسب لدى الشعراء ومدخلاً للنفاق والرياء .

ولكن الأمر فى فن المديح النبوى يختلف كثيراً .

فالمدائح التقليدية ينتظر ناظمها الخلع والهبات والعطايا وهو إما طامع أو خائف .

أما المديح النبوى فقائله يُلمس فيه الصدق والإخلاص ، ينظم بلا هوى وينشد بلا غرض ، هدفه الانتصار للدين ومبادئه ، والتقرب إلى الله ورسوله .

وما أن يلج الباحث باب المديح النبوى حتى تستوقفه ملحوظة صغيرة هى موقفه من الشعر الذى قيل بعد وفاة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هل يعد رثاءً أم مديحا ؟

الواقع أن (ما يقال بعد الوفاة يسمى رثـاء ، ولكنه فى الرسول ﷺ يسمى مدحا)[1] ، وكأن الشعراء المادحين قد لحظوا أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ موصول الحياة ، وأنهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء ، وقد يمكن القول بأن الثناء

١) المدائح النبوية فى الأدب العربى ـ د . زكى مبارك ، ص ١٧ . ط البابى الحلبى ـ مصر سنة ١٩٣٥م .

المديح النبوى

على الميت لا يسمى رثاء إلا إذا قيل فى أعقاب الموت ... ولأن الرثاء يقصد به إعلان التحزن والتفجع على حين لا يراد بالمدائح النبوية إلا التقرب إلى الله بنشر محاسن الدين والثناء على شمائل الرسول)[2] ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وبتلك الشروط التى وضعها د . زكى مبارك لرثاء النبى ومديحه يكفينا مؤونة البحث فى تلك القضية المطروحة وبناء على هذه الشروط يمكن أن نخرج قصيدة الأعشى التى يقول فيها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا
وعادك ما عاد السليم المسهدا
نبى يرى مالا ترون وذكره
أغار ـ لعمرى ـ فى البلاد وأنجدا
له صدقات ما تغب ونائل
وليس عطاء اليوم مانعه غدا[3]

من دائرة المديح النبوى لأن الشاعر لم يرد التقرب فيها إلى الله وإنما جاء إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عسى أن يجد عنده رفدا أو عطاء ، والدليل على ذلك أن قريشا عندما تصدت له واعطته النياق الحمر قفل راجعا مثبتا عدم صدق نيته .

والحق أننا لم نجد شخصية احتفل بها الشعراء كشخصية نبينا الكريم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلقد رافقه الشعر منذ ولادته حتى وفاته راصدا صفاته ، راسما شخصيته مبرزا أخلاقه واعماله ومعجزاته ، مبينا فضله على العالمين .

وأول ما تطالعنا به المصادر فى هذا الصدد أبيات أوردها صاحب « الطبقات » تنسب إلى عبد المطلب جد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالها بعد مولد النبى ﷺ مباشرة ومطلعها :

الحمد لله الذى أعطانى
هذا الغلام الطيب الأردان[4]

ولما فصلت العير بمحمد الرضيع إلى ديار بنى سعد قالت السيدة آمنة أم النبى أبياتا تعيذه فيها من الشرور ، وتدعو الله أن تراه فتى يافعا ورجلاً حامل الحلال داعيا إليه :

أعيذه بالله ذى الجلال
من شر ما مرَّ على الجبال
حتى أراه حامل الحلال
ويفعل العرف إلى الموالى
وغيره من حشوة الرجال[5]

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم من العمر خمس سنين قدمت به حليمة إلى أمة لترده إليها فأضلها فى الناس فالتمسته فلم تجده فأتت عبد المطلب فالتمسه فلم يجده فقام عند الكعبة فقال :

لاهُمَّ أدّ راكبى محمدا
أدّه إلىّ واصطنع عندى يدا
أنت الذى جعلته لى عضدا

---

(٢) المدائح النبوية ـ ص ١٧ .
(٣) ديوان الأعشى ، ص ١٣٥ ـ ط النموذجية سنة ١٩٥٠ ، شرح وتعليق د. محمد حسين .
(٤) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ مجلد ١ ص ١٠٣ ، ط بيروت سنة ١٩٥٧م .
(٥) الطبقات الكبرى ، جـ١ ص ١١١ .

لا يبعد الدهر به فيسعدا
أنت الذى سميته محمداً(٦)

ولا تسعفنا المصادر التى بين أيدينا بشىء من الشعر قيل فى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ عودته من ديار بنى سعد إلى بعثته إلا أبياتاً تروى لورقة بن نوفل قالها ـ فى أغلب الظن ـ قبيل البعثة بقليل ، يقول ورقة :

لجت وكنت فى الذكرى لجوجاً
لهم طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف
فقد طال انتظارى ياخديجا
بما خبرتنا من قول قس
من الرهبان اكره أن يعوجا
بأن محمداً سيسود فينا
ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر فى البلاد ضياء نور
يقيم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحاربه خسارا
ويلقى من يسالمه فلوجا(٧)

وبعد بعثته كان طبيعياً أن ينقسم الناس إلى مؤيدين ومعارضين ، وأن يحمل كل فريق سلاحا ينافح به فى وجه الآخر ، وكان الشعر أحد هذه الأسلحة بل أمضاها أثراً فى النفوس ، ولا نكاد نعثر على شعر قيل فى مدحه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بعثته إلى هجرته إلا النزر القليل ، ومن ذلك ما قاله عمه أبو طالب مفتخراً بقومه عبد مناف الذين شدوا أزر محمد فى الحصار الذى ضربته قريش حولهم :

إذا اجتمعت يوما قريش لفخر
فعبد مناف سرها وحميمها
وإن فخرت يوماً فإن محمدا
هو المصطفى مَنْ سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها
علينا فلم تظفر وطاشت حلومها(٨)

وهذه الأبيات يغلب عليها طابع الفخر أكثر من المدح النبوى .

وهناك قصيدة تروى لأبى طالب يظهر فيها مدحه للرسول أكثر وهى التى يقول فيها عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

أشم من الشم البهاليل ينتمى
إلى حسب فى حومة المجد فاضل
فلا زال فى الدنيا جمالا لأهلها
وزينا لمن والاه رب المشاكل
فمن مثله فى الناس أى مؤمَّل
إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش
يوالى إلها ليس عنه بغافل
لقد علموا إن ابننا لا مكذَّبٌ
لدينا ولا يعنى بقول الأباطل(٩)

وفى هذه المرحلة نجد قصيدة الأعشى التى يقول فيها :

أجدَّك لم تسمع وصاة محمد
بنى الإله حين أوصى وأشهدا

←

(٦) الطبقات الكبرى ، جـ١ ص ١١٢ .
(٧) السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ جـ١ ص ١٠٣ ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، ط البابى الحلبى سنة ١٩٣٦م .
(٨) سيرة ابن هشام ، جـ١ ، ص ٢٨٨ .
(٩) سيرة ابن هشام ، جـ١ ، ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
ولا قيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله
وإن لم تُرْصِدْ لما كان أرصدا[10]

وهى قصيدة يشك فيها د. طه حسين شكاً رهيباً بل إنه يقطع بأنها منحولة على الأعشى يقول د. طه حسين (ولا أتردد فى القطع بأن هذه الدالية التى تروى للأعشى منحولة، نحلها قاص ضعيف الحظ من الشعر ردىء النظم مهلهل اللفظ قليل المهارة من النحل، ويكفى أن تقرأ هذه القصيدة لترى أنها اسخف ما يضاف إلى الأعشى، وانها ـ ولا سيما المدح فيها ـ إلى المتون أقرب منها إلى الشعر الجيد)[11].

ولست هنا بصدد مناقشة قضية الانتحال وما إذا كانت القصيدة للأعشى أم منحولة عليه، ولكن الذى لا شك فيه أن هناك شعراً جاهليا دخله الانتحال وما يهمنا هنا أن الأعشى سار على طريقة الجاهليين فى المدح، وأبياته وخاصة الأخيرة منها ـ كأنها منظومة دينية بث فيها بعض ما يدعو إليه الدين.

وإذا ذهبنا نتتبع ـ بلا استقصاء ـ ما قيل من مديح نبوى فى تلك المرحلة وجدنا قصيدة للنابغة الجعدى تعد من أقدم ماوصل إلينا من قصائد المديح النبوى، يقول فيها :

اتيت رسول الله إذ جاء بالهدى
ويتلو كتابا كالمجرة نيرا

اقيم على التقوى وأرضى بفعلها
وكنت من النار المخوفة أحذرا[12]

وفى تلك المرحلة لم نسمع عن احد من الصحابة فى مكة قال شعراً مدح فيه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وربما يرجع ذلك إلى سرية الدعوة، وإلى أن الصحابة (كانوا يستخفون ويستترون ليحفظوا دينهم وانفسهم وأموالهم من أذى المشركين)[13]، ولذا نراهم قد ازوروا عن قول الشعر (ولم يمدحوا به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن فى مدحهم إياه فى ذلك الحين ضرراً ينتاب المسلمين)[14] وربما يعود ذلك إلى موقف الدين من الشعر فالقرآن الكريم يقول عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِى لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مبين ﴾[15] ويقول عن الشعراء :

﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالحَاتِ وَذَكَرُوا الله

(١٠) ديوان الأعشى، ص ١٣٧، ط النموذجية سنة ١٩٥٠، شرح وتعليق د. محمد حسين.
(١١) فى الأدب الجاهلى ـ د. طه حسين ـ ط المعارف المصرية سنة ١٩٦٩م.
(١٢) الأغانى، جـ٥ ص ٩، ط وزارة الثقافة والإرشاد.
(١٣) المديح النبوى فى القرن الهجرى ـ د. على صافى حسين، ص ١٣، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٦٨م.
(١٤) المديح النبوى فى القرن الاول الهجرى، ص ١٣.
(١٥) القرآن الكريم، سورة يس، آية ٦٩.

كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَاظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾[١٦] .

ولكن ليس معنى ذلك أن الدين يحارب الشعر حرباً شعواء لا هوادة فيها وأنه يتصدى لكل نظم بكل حزم ، أبدا ، إن الدين يحارب شعر الفسق والفجور والخلاعة والمجون والهجاء وكل مايخل بالقيم والمبادىء الأخلاقية الفاضلة ، ولذا نرى فى الآية السابقة استثناء يمنع دخول الشعراء الجادين المؤمنين فى زمرة الشعراء الهائمين فى كل واد والقائلين ما لايفعلون .

ولو أننـــانظرنا إلى موقف الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الشعر لتجلى لنا أنه لم يقف بالمرصاد لمنع الشعراء من القول بل كان يشجع الشعراء المسلمين على النظم ولم يقف الأمر عند حدا لتشجيع بل تعدى ذلك إلى التذوق فلقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتذوق الشعر ويتمثله أحيانا ويشارك فيه بالتغيير والتبديل حينا آخر ومن ذلك أن أسيد بن أبى أناس عندما أنشد النبى : (وأنت الفتى تهدى معدا لدينها ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل الله يهديها فقال الشاعر : بل الله يهديها وقال لك اشهد) .[١٧] .

ومن ثم يمكن القول بأن المديح النبوى فى مكة ـ لكل هذه الأسباب ـ كان قليلاً وبالإضافة إلى قلته اتسم بالطابع البدوى والفخر القبلى وارتكز على تصورات من جانب البعض لطبيعة الدين والرسالة الجديدة وفهمها أحياناً يخالف الجانب الدينى منها .

وإذا انتقلنا مع الرسول ﷺ إلى دار الهجرة وجدنا الموقف يتغير تماماً فالمسلمون كثروا وأمنوا على أنفسهم وأصبح فى مقدورهم الدفاع عن دينهم وإن قالوا شعرا فى مدح النبى أو هجاء فى المشركين فلا خوف عليهم وأضف ذلك إلى أن الرسول ﷺ كان يحث شعراء المدينة على شحذ سلاحهم الشعرى واشهاره فى وجه المشركين لأنه أمضــىوأمض عليهم من السيف .

وفى هذه المرحلة نجد الشعر قد كثر واختلفت طبيعته عن الشعر الذى قيل قبل الهجرة ومن ثم لا يمكن استقصاء كل ما قيل فى مدح النبى انذاك وسأحاول الاقتصار على قلة قليلة من الشعراء كان لهم دورهم وأثرهم فى المديح النبوى . . فى تلك المرحلة ـ فى المدينة ـ فقد اشتهر أكثر من شاعر فى الدفاع عن الدين وفى مدح الرسول ﷺ ، وكان على رأسهم حسان بن ثابت الذى عرف بشاعر الرسول والذى « وقف قريحته وبلاغته على الإسلام يرد عنه ويمدح نبيه ، ويتغنى بوقائع المسلمين ويدعو القبائل إلى اعتناق الدين الحنيف وإذا حدث أن انهزم المسلمون فإن حسانا كان يحول الهزيمة إلى مجال للفخر بما لديه من حنكة وشاعرية »[١٨] ومن أشهر مدائحه النبوية قصيدته التى يقول فيها :

---

(١٦) القرآن الكريم ، سورة الشعراء ، آية ٢٢٤ ـ ٢٢٧ .

(١٧) اسد الغابة فى معرفة الصحابة ، مجلد ١ ، جـ٢ ص ٢٠٩ ، ط الشعب سنة ١٩٧٠م وفى هذا الموضوع انظر « الإصابة للعسقلانى » ، جـ٤ ص ٦٧ ، ط الشرقية ص ١٩٠٧م ، وانظر الطبقات ، جـ١ ص ٢٨٢ .

(١٨) فن المديح ـ احمد ابو حاقة ، ص ١١٧ ، ط دار الشرق الجديد بيروت ط أولى سنة ١٩٦٢م .

المديح النبوى

وقال الله قد أرسلت عبدا
يقول الحق إن نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوه
فقلتم ما نجيب وما نشاء
فمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء
فإن أبى ووالده وعرضى
لعرض محمد منكم وقاء[19]

ومن قصائده المعروفة الذائعة الصيت فى هذا المجال قصيدته التى يقول فيها :

إن الذوائب من فهر وأخوتهم
قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته
تقوى الإله وبالأمر الذى صدعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم
أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم
إذا تفرقت الأهواء والشيع[20]

ويلحظ على مدائح حسان أنها لم تتخلص تماما من طابع المديح الجاهلى لغة ومعنى ونسقا فهو فى القصيدة الأولى يقف على الديار ويرنو إلى الأطلال متحسرا عليها كفعل شعراء الجاهلية وفى الثانية لم يكن الرسول ﷺ محور المديح بل الأنصار قوم الشاعر وإنما جاء مدح النبى عرضا .

ومع ذلك فإننا نجد صورا جديدة يستمدها من الدين الإسلامى مبينا من خلالها فضل النبى على البرية ، وداعيا إلى اعتناق الدين ومبادئه الجليلة .

ومن الطبيعى أن يتعرض الشعراء المسلمون المدافعون عن الدين لشخصية النبى ويصفوه لأنه أساس هذا الدين وحامل رسالة السماء إلى الأرض والصابر على اللأواء والبلوى ومبدد ديجور الشرك وكاشف حلكة الطريق يقول كعب بن مالك يوم بدر :

فينا رسول الله ثم نتبعه
نور مضىء له فضل على الشهب
الحق منطقه والعدل سيرته
فمن يجبه إليه ينج من التبب[21]

وفى هذه المرحلة ركز الشعراء على شجاعة الرسول وقوة شكيمته ونضاله فى سبيل الحق ، يقول كعب بن مالك يوم غزوة الطائف :

قضينا من تهامة كل ريب
وخيبر ثم اجمعنا السيوفا
نخبرها ولو نطقت لقالت
قواطعهن دوسا أو ثقيفا
اجدهم اليس لهم نصيح
من الأقوام كان بنا عريفا
يخبرهم بأنا قد جمعنا
عناق الخيل والنجب الطروفا

---

(19) ديوان حسان بن ثابت ، ص ٩ .
(20) ديوان حسان ، ص ١١٩ ، ١٢٠ .
(21) السيرة النبوية ، جـ٣ ص ١٧٠ .

رئيسهم النبى وكان صلبا
نقى القلب مصطبرا عزوفا
رشيد الأمر ذا حكم وعلم
وحلم لم يكن نزقا خفيفا[٢٢]

لقد برز شعراء كثيرون أخلصوا القول وأجادوا النظم ومدحوا الرسول مدحاً فيه جدة ومتانة مثل العباس بن مرداس والعباس بن عبد المطلب وعبد الله بن رواحة .

ومن يقلب الصفحات الأولى من الجزء الأول من كتاب المجموعة النبهانية[٢٣] ، يبهر امام الكم الهائل من مديح الصحابة للرسول - صلى الله عليه وسلم - ، ولعل أهم ما وصفوا به النبى صفات تركزت حول الرحمة والعطف والحنان والشفقة والعدل والحلم وكلها صفات دينية بالإضافة إلى ما استمدوه من بيئتهم كالشجاعة والكرم والنخوة والحمية ، وقد مزجوا هذه الصفات الخلقية بالخلقية فى قصائدهم ومقطعاتهم .

ومما يلفت النظر فى هذه المرحلة مقطوعة تنسب إلى العباس بن عبد المطلب وقصيدة « بانت سعاد » لكعب بن زهير ، أما مقطوعة العباس فإنها تضيف شيئاً جديداً وعنصراً لم تشمل عليه مدائح الصحابة ، وهذا العنصر هو النور المحمدى أو ما يسمى بالحقيقة المحمدية ، يقول العباس مخاطبا النبى - صلى الله عليه وسلم -[٢٤] :

من قبلها طبت فى الظلال وفى
مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر
أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد
ألجم نسرا وأهلها الغرق
تنقل من صالب إلى رحم
إذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مكتتما
فى صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من
خندق علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأر
ض وضاءت بنورك الأفق
فنحن فى ذلك الضياء والنـ
ـور وسبل الرشاد نخترق

فالعباس يريد أن يقول للنبى من قبل هيئتك الجسدية التى نراها

كنت نوراً لطيفاً تنقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية : فقد كنت مع آدم فى الجنة ومع نوح فى سفينته ومع إبراهيم فى ناره حتى جئت فأشرقت الأرض بهذا النور وهانحن نتقلب فيه .

تلك هى الحقيقة المحمدية فى أبسط صورها ، وبناء على ذلك فإن العباس يعد أول من أشار إلى هذه الحقيقة والتى - فى ظنى - ليست غريبة عليه فلقد سمع الرسول يقول عن نفسه (كنت نبياً وآدم بين الماء

←

(٢٢) السيرة النبوية ، جـ٤ ، ص ١٢٤ .
(٢٣) انظر المجموعة النبهانية - يوسف بن إسماعيل النبهانى .
(٢٤) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب - ابن عبد البر - جـ١ ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، ط حيدر اباد ، الدكن - الهند سنة ١٣١٨هـ .

والطين)[٢٥] أو كما روى عنه وآدم منجدل فى الطين .

ولذلك نرى د . على صافى حسين يتراجع فى كتابه « المديح النبوى فى القرن الأول الهجرى » عما قرره فى كتابه « الأدب الصوفى فى مصر فى القرن السابع الهجرى » حيث يقول : إذا صحت نسبة هذه الأبيات إلى العباس (فإننى أقرر هنا أن نظرية تنقل النور المحمدى التى ظهرت فى القرن السابع الهجرى لأول مرة فى تاريخ الشعر العربى على ما ذكرناه فى كتابنا المسمى« بالأدب الصوفى » لم تكن فى الحقيقة حديثة الوجود ولا هى من مبتكرات السيد البدوى وإبراهيم الدسوقى وإنما هى قديمة فى ظهورها قدم ظهور الدين الإسلامى نفسه إذ أن العباس قد نظم تلك القصيدة فى حياة النبى)[٢٦] ، وقد عول المتصوفة والشيعة والمادحون النبويون على هذه النظرية أهمية كبرى .

وأما قصيدة كعب التى يقول فيها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول
متيم إثرها لم يفد مكبول
نبئت أن رسول الله أوعدنى
والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ
قرآن فيها مواعيظ وتفصيل
إن الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

فإنها قصيدة جليلة الخطر فى تاريخ المدائح النبوية على مر العصور ، وذلك لما اكتنفها من القصة التى حيكت حولها وهى أن كعباً أنشدها بين يدى الرسول معتذراً عما بدر منه وطالبا العفو من النبى - صلى الله عليه وسلم - فعفا عنه النبى وألقى عليه بردته[٢٨]

وخطرها يتمثل أيضا فى أن شعراء كثيرين أنشدوا قصائدهم مثل كعب بين يدى رسول الله ولكن مناما ، ويتمثل كذلك فى أن بعضهم كان يستعصى عليه بيت فيتمه له الرسول أو يغيره له، كما غير لكعب قوله « من سيوف الهند مسلول » إلى « من سيوف الله مسلول » .

ولعل هذين الأمرين لا يصلان إلى ما وصل إليه فن المعارضات لهذه القصيدة أو تشطيرها ، كما أنها أصبحت بمثابة قاعدة يحتذى بها كثير من الشعراء عند مديحهم النبى حيث يبدأ المادح قصيدته بالنسيب وينتقل إلى الحديث عن الديار الحجازية ووصف الرسول ، وإبداء الأسف والندم على التقصير فى حق النبى لأنه لا يستطيع أن يفيه حقه ثم يتوسل به إلى الله ويرجو أن يكون شافعاً له يوم القيامة .

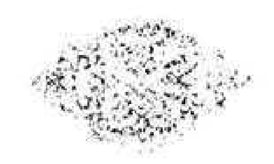
(٢٥) البدء والتاريخ ، المقدس ، جـ٥ ، ص ٢٦ .
(٢٦) المديح النبوى فى القرن الأول الهجرى ، ص ١٢٨ .
(٢٧) السيرة النبوية ، جـ٤ ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .
(٢٨) انظر السيرة النبوية ، جـ٤ ، ص ١٥٠ ، ١٥٢ .

وخلاصة القول فى مديح الصحابة للنبى أو بعبارة أدق المديح النبوى فى عهد الرسول أن هناك مديحاً تقليدياً سار على الطريقة الجاهلية مع تطعيمه بمبادىء الدين ، وآخر مباشراً يمدح فيه صاحبه النبى ويذكر صفاته بلا سابق مقدمات ، وثالث تسيطر عليه نغمة الفخر والحماسة ، ورابع يختلط بالهجاء . وخامس ظهرت فيه فكرة الحقيقة المحمدية .

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم .
٢ - ابن الأثير - أسد الغابة فى معرفة الصحابة - ط الشعب سنة ١٩٧٠م .
٣ - ابن سعد - الطبقات الكبرى - ط بيروت سنة ١٩٥٧م .
٤ - ابن عبد البر - الاستيعاب فى معرفة الأصحاب - ط حيدر اباد بالهند سنة ١٣١٨هـ .
٥ - ابن هشام - السيرة النبوية - ط البابى الحلبى سنة ١٩٣٦م .
٦ - أحمد ابو حاقة - فن المديح - ط دار الشرق الجديد بيروت سنة ١٩٦٢م .
٧ - الأعشى - ديوان الأعشى - ط النموذجية سنة ١٩٥٠م .
٨ - حسان بن ثابت - ديوان حسان - ط الهيئة المصرية العامة سنة ١٩٧٤م .
٩ - د . زكى مبارك - المدائح النبوية فى الأدب العربى - ط البابى الحلبى سنة ١٩٣٥م .
١٠ - د . طه حسين - فى الأدب الجاهلى - ط المعارف المصرية سنة ١٩٦٩م .
١١ - العسقلانى - الإصابة - ط المشرفية سنة ١٩٠٧م .
١٢ - د . على صافى حسين - المديح النبوى فى القرن الأول الهجرى - ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٦٨م .
١٣ - المقدس (ابن طاهر) - البدء والتاريخ - ط باريس سنة ١٩١٦م .
١٤ - يوسف بن إسماعيل - المجموعة النبهانية - ط الأدبية بيروت سنة ١٣٢٠هـ .

د . غريب محمد على





إجابات حاسمة إلى

الأخت الفرنسية المسلمة

تأليف الدكتور: عبد الودود شلبى

قبل الإجابة :

هذا الكتاب[1] يجىء متناغماً مع قطار الكتب التى ألفها الدكتور عبد الودود شلبى ، لينير سبيل الحائرين ، ويثبت أفئدة المهتدين ، حتى يأمنوا مزالق الباطل ، وتيه الضلال . ومن ثم كان بيانه يشى بالدقة والوضوح . وشىء من الطرافة والجدة ، يتمثل فى الحوار الذى جاء علامة مميزة لهذا الكتاب .

ولقد كان الحوار سمة قوم إتخذوا المنطق سبيلهم إلى العصمة من الخطأ .

بيد أن الدكتور عبد الودود لم يكن السائل وإنما كان المجيب ، ولا ضير عليه إذا مهد لسؤال غيره أو ساعده أو قوم السؤال تقويماً ليكون الجواب سليماً قوياً ، فهو بصدد الحديث عن العقيدة أو الإلهيات أو دعامة الرسل أو الحضارات القائمة على الديانات فيعنيه فى المقام الأول صحة السؤال وصدق الجواب .

والكتاب ـ كما يقول الدكتور عبد الودود موجه فى الأصل إلى أخت مسلمة ـ فرنسية ـ كانت تعيش فى مدينة القاهرة .. وأتاها هذاها فى زيارة آثار مصر ، وقد يؤخذ من « قصة الكتاب » أنه يوجه أيضاً إلى الأخت الانجليزية المسلمة ـ إلا أنه فى واقع الأمر موجه إلى كل من يعنيه أمر العقائد وصادق الإيمان ، ومن يرغب بنفسه عن حياة الحيوان ويرتفع إلى معزة الإنسان واحترام تطلعات

١ ـ الناشر : مؤسسة الخليج العربى ١٩٥ شارع ٢٦ يوليو ـ العجوزة .

عرض وتعليق

الأستاذ/ السيد حسن فروق

العقل . ولذا نجد المؤلف قد جمع لكتابه كل عناصر الجودة ، وكل وثائق المعرفة . معروضاً عليك فى معارض أنيقة رقيقة لا يعتمد فيها على السرد والحكاية ، وإنما يقوم على فلسفة فيها سمات الاجتماع وقيم مباحث الجمال إلى مذاهب شتى من حسن الأداء وبليغ العطاء ..

مادة الكتاب :

من عنوان الكتاب نفهم الاتجاه فهو إجابة عن طائفة من الأسئلة من الأخت الفرنسية المسلمة تحتاج إلى الرد ، ولكن طائفة من الأسئلة جاءت من الأخت الإنجليزية المسلمة تطابق أسئلة الفرنسية ، فهنا تغير اتجاه الإجابة « فبدلاً من الرد على أسئلة الأخت الفرنسية فى رسالة خاصة رأيت أن تطبع هذه الإجابة فى كتاب « يعالج » ماتريده الرسالة فكان هذا الكتاب . والأسئلة التى قدمتها السائلة الفرنسية قديمة وجديدة دارت فى خلد كل مسلم يفكر فى الأوامر والنواهى الإلهية .

فهى تدور حول مسئولية الإنسان عن عمله بمعنى : أله إرادة أم لا ؟

ومن ناحية الهداية ، الله هو الهادى فلم يعاقب فى الآخرة من لم يهده الله ؟

وسؤال عن المسلم سيء السلوك وغير المسلم وأيهما أفضل ؟

وسؤال : عن الانحراف بشرب الخمر وتعاطى المخدرات ، وعن أثر التليفزيون فى حياة المسلم ؟

وسؤال عن الصلاة على مركبة حيوانية أو غير حيوانية .

وعن استخدام الأطفال الصغار فى الأعمال وعن النظافة .

ثم أخيراً أسئلة عن الشيطان . وعن أرواح الموتى وعن الخلود فى النار ؟

تلك معظم الأسئلة وهى مصوغة فى قالب مزعج يحتاج إلى تأن ودراسة وتقديم المقنع القائم على البرهان العقلى والتأييد النقلى ، وكذلك فعل المؤلف ، فكانت إجابته فى فصول تدعوك إلى قراءة واعية ومدارسة متناهية .

وهى دراسة فى ثمانية فصول ضافية ، وتحت كل فصل أسئلة هادفة لها إجابات وافية .. لأن المؤلف حريص على أن يقدم شيئاً مفيداً يكشف الغمة ويصل إلى الهدف فى أوجز عبارة وأوضح تدليل . ألا تراه فى مقدمة الكتاب حريصاً على أن يشرح قول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ » ؟! فيقول : يشير هذا الحديث إلى ظهور الإسلام فى بيئة مشابهة للبيئة التى نشأ الإسلام فيها أول الأمر من حيث الغربة النفسية والوحشة الفكرية ، ومن حيث التسامى عن كل مغريات هذه الدنيا .

حول مستقبل الاسلام :

تناول الدكتور عبد الودود شلبى مستقبل الإسلام فى فصل عنوانه : « الواقع الإسلامى فى قفص الإتهام » وهو كتاب قائم بذاته - فى نظرى - لأنه يطلعك على واقع المسلمين فى جميع القارات .

وعن نبوءات المعاصرين حول الإسلام من أمثال « برنارد شو » المفكر البريطانى ، والمفكر الفرنسى « جارودى »[٢] وما قالوه من حاجة العالم إلى الإسلام ولا سيما أوروبا لم يجد من المسلمين إقبالاً ، فكان انتشار الإسلام بقوته الذاتية رغم الهجوم عليه كما يقول المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود ، ولكن القوة الذاتية فى حاجة إلى حماية ودعاية .

الشرق الأقصى والغرب المتحضر كلاهما ساحاته مفتوحة لمن يريد خدمة دين له هداية للبشرية حتى يتم لبنى آدم الاستخلاف فى الأرض مصحوباً بالإصلاح والفلاح وتجميل الحياة بدلاً من التناحر والتناكر .

يقول المؤلف :

ينظر الغربيون إلى المسلمين فى العصر الحاضر وينسون شيئين :

ينسون أن المسلمين فى العصر الحاضر غير مستمسكين بالإسلام وتكاد الصلة التى بينهم وبينه تكون مجرد صلة إسمية .

وينسون عظمة المسلمين وقوتهم أيام كانوا مستمسكين بالإسلام وأيام أن كانت الدنيا لهم ..

وقد دعا الإسلام إلى الاتحاد فى صور لا حصر لها وبأساليب لا حد لتنوعها ..

ومع ذلك فقد كان كل ذلك صرخة فى واد ، يقول ذلك وتقول : وله شاهد مما يحدث فى العالم الإسلامى من الحرب بين « إيران والعراق » دون استجابة لداعى القرآن الكريم : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ .

إلا أننى أرجع كل أخطاء المسلمين إلى ضعف الإيمان ولو كانوا مؤمنين حقاً لأجابوا داعى الله ففعلوا الخير وتركوا الشر وكانوا ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ .

الانسان مخير أم مسير ؟

وهذا السؤال القديم جاء على قلم الأخت (أ - ح) المسلمة الفرنسية ، فهى فى حيرة من هذا الأمر كما هى فى حيرة من الهداية من الله لقوم وإضلاله لآخرين .

والدكتور عبد الودود استجاب لها وعقد فصلاً رائعاً سماه : « أسئلة حديثة فى قضية قديمة » أورد فيه مافيه مقنع بالأدلة المنطقية والاستشهاد بالقرآن والسنة ، وبأعمال الصحابة والتابعين ، وتتبع الأمر ليجلو لها الحقيقة فأتى بآراء بعض الغربيين مثل (أ - س - بودلى) ليثبت لها مسئولية الإنسان عن فعله ، « لأن طبيعة الدين - وهى التكليف والابتلاء - لا تتحقق البتة مع

٢ - ينبغى أن ينظر إلى فكر جارودى بحذر فنشاطه الآن - فى الإسلام - مريب .. مجلة الأزهر

استعباد الإرادة وتقييدها » « لكن ما موقف العلم الإلهى إذن من هذا النوع من أعمال الناس ؟ هو الإحاطة التامة والشمول الكامل » صـ ٥٢

﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ (طه آية ٥٢)

ويوضح للسائلة المراد من حرية الإرادة والقول بأن أعمالنا لن تخرج من دائرة العلم الإلهى المحيط الشامل بجواب فيه ضرب المثل لتعى وتفهم ص ٥٣ من الكتاب .

ويستمر الدكتور عبد الودود فى الشرح والتمثيل واستخدام حادثات التاريخ إلى أن يقول : والخلاصة أن الله تعالى قبل أن يخلقك يعلم أنك ستكون مريداً مختاراً ، لأنك إنسان لا جماد .. ويعلم بالضرورة : ما تختاره بمحض إرادتك وما ستصرف إليه من خير أو شر .. وعلى هذا المقتضى يكون الثواب والعقاب ..

من هنا كانت المعتزلة ترد وتقول بالاختيار ، وأن الإنسان فى قدرته أن يفعل الخير ويفعل الشر من أجل هذا عذب العاصى وأثيب المطيع . والإيمان الصحيح على هذا ، والبحث مفيد ، لأنه يثبت العقيدة وينير الطريق ، وإن كنت ممن يقولون : اللهم إيماناً كإيمان العجائز . أو أقول مع مؤلف « إجابات حاسمة » إنه الإيمان ينبوع السعادة ، ﴿ ومن يُؤمن بالله يهدِ قلبَهُ ﴾﴿ومَنْ يُؤمن بالله فقد هُدِىَ إلى صراطٍ مستقيم ﴾ صـ ٦٥ .

أخلاقيات :

فى فصل رائد عنوانه « الإجابة الخطرة » تحدث الدكتور عبد الودود عن الأخلاق الفاضلة والأخلاق غير الفاضلة ، وبين ما يترتب على النوعين للإجابة عن سؤال الأخت الفرنسية المسلمة ..

إيهما أفضل المسلم سيء الخلق أم غير المسلم حسن الخلق ؟ مع أنها تفضل حسن الخلق لدى غير المسلم على المسلم سيء الخلق وقد استخدم فى الرد كل وسائل المعرفة الصادقة ، وجعل بناء الأمم ورفعتها مرهوناً بحسن الأخلاق وجمال السجايا .. والدكتور عبد الودود عالم فيه سمات الأديب فهو يبدأ حديثه ببيت شوقى المشهور :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

مع الذين عادوا عقولهم :

وضعهم المؤلف تحت عنوان « الخمراشيون .. التعساء » وقد تحدث عنهم إجابة لسؤال ورد فى شأنهم من سائلة المؤلف ، وفى هذا البحث تناول الخمر وحكمها فى الإسلام وقال فيها ما قال مالك فى شأنها ، وتحدث عن أشياء لم يتحدث عنها مالك وهى المخدرات بأنواعها فى عصورها المختلفة وفى عصرنا الحاضر وبين آثارها المدمرة للمال وللعقول .

وكعادة المؤلف أخذ بيدنا من العصر الجاهلى مبيناً الأثر والخطر ، وموقف الإسلام منها ، وتدرجه فى تحريمها مما يعرفه الدارسون وطلاب العلم وطلاب الثقافة وبين الآيات التى نزلت فى حكمها ، والأحاديث التى حرمتها ، ولم يكتف النبى ﷺ بتحريم شرب الخمر قليلها وكثيرها ، بل حرم الاتجار بها ..

ومن أجل ذلك لعن ﷺ فى الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وساقيها ، وبائعها ، وآكل ثمنها ، والمشترى لها . والمشتراه له ..

التليفزيون والجريمة :

من مباحث الكتاب ، لأن السائلة سألت وكان لابد من الإجابة لذلك وجه إليها الكلام قائلاً :

إنها لمصادفة عجيبة أن أبدأ الإجابة عن التليفزيون وآثاره المدمرة بعد حوار ساخن بينى وبين بعض الأقارب الذين فوجئت بتجمعهم أمام هذا الجهاز فى وقت صلاة المغرب .. إنهم يصلون .. ولكن الحوار كان بسبب تأخير الصلاة إلى حين ينتهى المسلسل صـ ١١٢ من الكتاب ..

ومن هنا أخذ يبين المساوىء التى اصابت المسلمين من جراء محاكاة الغرب ، هى موجة من موجات الغزو الصليبى . ولكن فى صورة أخرى ، هى القتل دون إراقة دم . صـ ١١٣ .

وكعادته تناول الموضوع موسعاً يسع الشرق والغرب مبيناً أثر التليفزيون وأن له تأثير الخمر وبين أثره فى الأطفال ناقلاً تجربة أجراها الباحثون مقدرة بالأرقام بالنسبة لسن الطفولة والساعات التى يقضونها امام ذلك الجهاز ، فيعمل عمله فى أعصابهم وفى عيونهم وفى ثقافاتهم .

ثم يذكر الجرائم التى كان سببها التليفزيون .

ويختم هذا البحث بطلب موجه إلى المسئولين أن يتداركوا هذا الأمر ويغلقوا منافذ هذا الشر.

عودة الى القيم والتقاليد الاسلامية :

وفى هذا البحث الذى جاء إجابة عن أسئلة للفتاة الفرنسية أفكار مضيئة تدور حول الصلاة والنظافة والوفاء ومعاملة الحيوان بالرفق والعناية به إلى غير ذلك من الفكر الإسلامى ، وأرى للقارىء أن يقرأ ويستوعب ويتأمل ففيه أحكام وقصص وتاريخ وطرائف تذكر لبيان الفرق بين المسلمين كما كانوا وبين أهل أوربا كما كانوا أيضاً .

فمن حكايات المسلمين : أن عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى (٩٩ هـ ـ ١٠١ هـ) أذاع فى إحدى رسائله إلى الولاة أن ينهوا الناس عن ركض الفرس فى غير حق . والصحابى الجليل أبو الدرداء كان له بعير قال له عند الموت : ياأيها البعير لا تخاصمنى إلى ربك فإنى لم أكن أحملك فوق طاقتك .

يقول الدكتور عبد الودود .. وأما المؤسسات الاجتماعية فقد كان للحيوان منها نصيب وحسبنا أن تجد فى ثبت الأوقاف القديمة أوقافاً خاصة بتطبيب الحيوانات المريضة ، وأوقافاً لرعى الحيوانات المسنة العاجزة .

وجرائم الحيوان فى أحكام الإسلام (حيای) أى مهدرة لا يعاقب عليها

أما الشعوب الأوروبية والشعب اليهودى فكانوا يعاقبون الحيوان . إذا جنى جناية ..

ومن أغرب قضايا محاكمة الحيوان فى العصور الوسطى محاكمة الديك الذى باض

فقد رفعت دعوى على ديك فى مدينة بال بسويسرا عام ١٧٧٤ لأنه باض وذلك فى عرف الأوروبيين يومئذ جريمة شنعاء . إذ كان من المعروف عندهم أن السحرة يبحثون عن بيضة الديك ليستخدموها فى أغراضهم الشيطانية ، وقدم الديك للمحاكمة ، ودافع محاميه عنه بقوله : كيف يكون الديك مسئولاً عن واقعة لا حيلة له فيها ؟ لكن المحكمة لم تأخذ بنظرية محامى الدفاع ، بل أصدرت حكمها بإعدام الديك ، وعللت حكمها بقولها : ليكون فى ذلك عبرة لغيره من الديكة . فأين هذا مما وضعه الإسلام من الرفق بالحيوان ؟

مزايا وعطايا :

وأنا هنا أشير إلى محتويات هذا الكتاب ولا أستطيع أن ألخصه فهو يستعصى على الناقد ، وإنما يستجيب لمن يدرسه ، ومن يدرسه يجد ما يثقفه ومايسره ، فأنا فيما بقى من بحوث الكتاب أشير ولا ألخص .. تقرأ فيه حديثاً عن الوقت والانتفاع به وموقف المسلمين منه ، وحضارة الإسلام التى دعت ملك بريطانيا إلى أن يرسل بنت شقيقه إلى عبد الرحمن الناصر خليفة الأندلس (٣٠٠ هـ - ٣٥٠ هـ) مع وفد لتتعلم ومعها هدية وكان توقيعه « من خادمكم المطيع جورج الثانى » .

وفى سنة ١٢١٣ كتب الملك « جون لاكلاند » إلى الأمير محمد الناصر الحاكم المغربى يعرض عليه ولاءه وأن يكون تابعاً له . وحديث طويل عن الحضارة الإسلامية .

وقد تحدث عن الطفولة واستخدام الأطفال تحت عنوان « جريمة المستقبل » فأعطى حكم الإسلام فى صدق وبين حقوق الآباء على الأبناء وحقوق الأبناء على الآباء .

وكان الختام حديثه عن الشيطان وأرواح الموتى بعد رحيلهم وقبل يوم الحساب وحكم الإسلام فى مصير غير المسلمين فى الآخرة ، وتحدث عن الخلود فى النار وعنوان هذا كله « النهاية المثيرة » .

وقد قدمت لك سابقاً أن الدكتور عبد الودود شلبى يكتب بلغة الأديب حين يقدم لنا علماً وفكراً ، وأحياناً يسوق لك الشعر مع الأدلة العقلية والنقلية ، ولكن الشعر لا تراه مجلوباً للتحسين والتجميل ولكن الموضع يطلبه فيجىء الشعر كأنه هو ناظمه ، ففى الكتاب شعر لمحمود حسن إسماعيل ، ولأحمد شوقى .

وقد صرح باسميها ، وذكر شعراً للبارودى ولم ينسبه حين تحدث عن الوقت ، وأول الشعر :

والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدرٍ
وإنما صفوه بين الورى لُمَعُ

وآخر الشعر قوله :

إن الحياة لثوب سوف تَخلعُهُ
وكل ثوب إذا ما رَثّ ينخلع

والأبيات من مختارت « الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه » لمؤلفيه : مصطفى عنانى وأحمد الإسكندرى .

لقد قرأت كتاب « إجابات حاسمة إلى الأخت الفرنسية المسلمة » مرة فهيا بنا نقرأه مرة ثانية لنستفيد من عطائه » ونتمتع بجمال أسلوبه وأدائه ؟

أنباء وآراء

كلمـــة الأزهـــر

فى المؤتمر العالمى الأول للإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة النبوية المنعقد فى إسلام اباد فى الفترة من ٢٤ من صفر ١٤٠٨ هـ إلى ٢٧ منه - ١٧ من اكتوبر سنة ١٩٨٧ م إلى ٢٠ منه .

للأستاذ الدكتور رءوف شلبى وكيـــل الأزهـــر

● الحمد لله رب العالمين خلق الإنسان علمه البيان ، علم الإنسان ما لم يعلم واصلى واسلم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى افتتح الله بعثته للخلق بأول سورة للعلم ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ورضى الله تبارك وتعالى عن اصحابه الميامين الذين أزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل إليه فرضى الله عنهم ورضوا عنه .

وبعـــد

أيها الأخوة العلماء

إن دين الله للبشرية كافة هو الإسلام الحنيف ، وقد أنزل الله كتابه ليهدى للتى هى أقوم وإن أعلى الغايات وأنبلها لهذه الحياة الأقوم تلك التى عبر عنها الحديث النبوى الشريف : « افضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله » والله جل شأنه يقرر ذلك فى القرآن الكريم ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ فالأساس الأصيل والغاية العليا لهذا الدين الذى نؤمن به أنه جاء ليحكم صلة البشرية كلها بمنهج الله الذى أنزله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ . وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ ولأن الرسالة الإسلامية سرمدية إلى يوم القيامة ولأن القرآن الكريم هو المعجزة

د . أحمد عبد الرحيم السايح

الباقية التى تخاطب كل عقل على مدى تطور الحياة الإنسانية .

فإن الله تبارك وتعالى أودع فى هذا القرآن من الدلائل ما يكفى للبرهنة على صدق رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى كل البشر وجميع المستويات .

وإذا كانت الدراسات التجريبية الحديثة استطاعت أن تربط بين قوانين كونية اكتشفها الإنسان ، وبين آيات فى القرآن الكريم فليس لذلك من معنى سوى أن الله تبارك وتعالى خلق الكون على نسق ينسجم مع ما أودعه الله فى القرآن الكريم ، فإن الكون خلق الله ، والقرآن الكريم كلام الله ، وحاشا ألا يكون بين خلق الله وكلامه سوى الانسجام والإلتئام للوصول إلى الغاية المثلى وهى : أن الله حق وأن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله الخاتم ، وأن البعث حق وأن الجنة حق .

فالذين يتوصلون إلى كشف سر من أسرار الكون أو قانون من قوانين الله جل جلاله فى ملكوته فليس لهم من فضل فى شىء سوى أن الله يسر لهم معرفة سر من أسرار كونه كعلامة على أن هذا القرآن المنسجم مع أسرار الكون حق ووحى الله الحق فمن لم يشهد بذلك فإن المقدمات التى توصل إليها باكتشاف هذه القوانين تكون مبتورة النتائج .

فليس العلم للعلم وحده ، ولكن العلم يجب أن يوصل إلى معرفة الله الحق ، وهذه الخاصية يؤكد عليها القرآن الكريم كثيراً وبخاصة فى الآيات التى توحى بشىء من أسرار الكون .

فعندما قال الله تعالى : ﴿ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾ كان ذلك فى سياق ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ .

وكان ذلك أيضاً مقدمة لخاتمة هامة : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ولم يكن ذلك أبداً إشارة إلى علم للطب أو علامة على طب التشريح .

وعندما قال الله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ لم يكن ذلك إشارة إلى علم « الفارماكلجى » ، « علم الصيدلية » بل كان ذلك فى سياق ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ .

وكان ذلك مقدمة لخاتمة يهتم بها القرآن الكريم كثيراً وهى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

وعندما قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ لم يكن ذلك دليلاً على قيام علم للجولوجيا بل كان

فى سياق عظمة هذا الكون المخلوق لله : ﴿ الحمدُ لله فاطرِ السموات والأرض جاعلِ الملائكة رسلاً أولى أجنحةٍ مثنى وثلاث ورباع يزيدُ فى الخلق ما يشاء إن الله على كل شىء قدير . ما يفتح الله للناس من رحمةٍ فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ﴾ ﴿ يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالقٍ غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ﴾ .

وكانت مقدمة لخاتمة مقصودة فى التوجيه الإلهى للباحثين من العلماء هى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ﴾ .

والأمثلة كثيرة : فليس المراد من الآيات القرآنية التى توجه العقل فى العمل والقواعد العلمية وقاعات الدراسات التكنولوجية الحديثة أدلة على علوم يزكى بها الإنسان نشاطه بل هو إعجاز للعقل البشرى : أن كل ما يكتشفه من أسرار الكون ما هو إلا برهان على أن القرآن الكريم يهدى للتى هى أحسن وأن محمداً صلى الله عليه وسلم بعث رحمة للعالمين ، وأن الله أرسله للناس كافة بشيراً ونذيراً .

وقد أكد الله سبحانه وتعالى هذه الحقيقة فى كثير من آيات القرآن الكريم وسوره فقال الله تعالى فى افتتاح سورة الكهف : ﴿ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ماكثين فيه أبداً . وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ﴾

ويقول الله تعالى فى افتتاح سورة إبراهيم : ﴿ الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد . الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد . الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً أولئك فى ضلال بعيد . وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم ﴾ .

إذن فالقرآن الكريم كتاب هداية وهو وحى الله الحق الخاتم الذى أنزله الله على قلب رسوله الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليكون للبشرية كلها منهج حياة يهديها دائماً فى كل تطور للمعيشة الإنسانية إلى التى هى أفضل بإطلاقها العام ليحيا من حىّ عن بينة وليهلك من هلك عن بينة ، ولا ينبغى أن تركز المؤتمرات العلمية على الإعجاز العلمى وحده بل يجب أن تربط بين هذا الإعجاز كسرّ من أسرار الكون المتلائمة مع أسرار القرآن الكريم كبراهين أودعها الله سبحانه فى الكون وفى القرآن ليعقل العلماء المتخصصون أن الغاية العليا من هذه الحياة هى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ .

وفصل الخطاب فيما أدعو إليه قول الله تبارك وتعالى :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ . سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ . أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ . ﴾

وفى ختام كلمتى أحمل إليكم تحيات مولانا فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر مع دعواته لكم بالتوفيق والسداد والنجاح الطيب لمؤتمركم من أجل خدمة الإسلام والعلم والإنسانية .

وإنى لأسأل الله تعالى أن يهدينا جميعاً إلى الطريق القويم ، وإلى اتباع سنة نبيه الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين .

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وكيـــل الأزهـــر
(ا . د رءوف شلبى)

• • •

مؤتمر الأزهر الطبى

يعقد بجامعة الأزهر المؤتمر الطبى الدولى الثانى فى الفترة من ٢٦ ـ ٢٨ ديسمبر عام ١٩٨٧ م ويتناول موضوع «الطوارىء فى الطب والجراحة».

ويشارك فى المؤتمر علماء الطب من مختلف فروع الطب سواء فى ذلك العلوم الطبية الأساسية والعلوم « الاكلينيكية » فى موضوعات حرة ، ومن الأبحاث الهامة التى وصلت إلى (أمانة) المؤتمر بحث هام عن الأمصال المضادة لمرض البلهارسيا الذى يمثل المشكلة الطبية الأولى فى ريف مصر ، وقد تقدم بالبحث عالم أمريكى .

ويتوالى تقديم البحوث حتى ٣٠ أكتوبر القادم وقد وصل عددها حتى الآن مائة وخمسين بحثا من مختلف دول العالم ومصر .

ويرأس المؤتمر أ .د . محمد نور الدين عميد كلية الطب-جامعة الأزهر-ويقوم بالأمانة العامة للمؤتمر الأستاذ الدكتور . محمد الملا مدير مستشفى الحسين الجامعى .

صرح بهذا الدكتور محمد النمر المسئول الإعلامى للمؤتمر.

←

مؤتمر عن القرآن الكريم

نظمت السفارة المصرية بموريشيس بالتعاون مع وزارة التعليم هناك مؤتمراً كبيراً للقرآن الكريم . شاركت فيه عدة جهات إسلامية . وصرح مسئول بالسفارة المصرية بأن المؤتمر شهد بحث تدريس قواعد قراءة القرآن بطريقة صحيحة . ووسائل تدريس اللغة العربية . كما تم توزيع بعض الجوائز المادية على المتسابقين .

كذلك شهد المؤتمر بعض الدراسات حول واقع الدعوة فى موريشيس ووضع المراكز الإسلامية والعمل على تأسيس مركز إسلامى يضم كل المراكز الفرعية القائمة ، والعمل على تدريس الثقافة الإسلامية للأطفال والأمهات للمحافظة على وسائل تنشئة الأجيال القادمة .

• • •

مركـــز إسلامـــى

قرر مليونير فلبينى تحويل مؤسسة « أبالا » التجارية التابعة له والواقعة فى « مانيلا » إلى مركز إسلامى كبير ، يضم قاعة للمحاضرات ، وقاعة لتحفيظ القرآن الكريم . ومن المقرر أن يقوم المركز بتسجيل جميع المراجع الإسلامية الكبرى على شرائط « الميكروفيلم » حتى يتسنى عرضها فى المكتبة بالمركز . وكان المليونير الفلبينى قد أشهر إسلامه بالفلبين مؤخرا وقام بتقديم هذه الخدمات للمسلمين الذين يعيشـون فى « مانيلا » .

• • •

رئيس العلوم الشرعية بأندونسيا يشيد بدور مصر الأزهر

اشاد الدكتور يس الخطيب رئيس العلوم الدينية بمعهد العلوم العربية بجاكرتـا بأندونسيا بدور الأزهر الشريف ومصر فى خدمة العمل الإسلامى فى أندونسيا وإرسال البعثـات إلى مختلف الولايـات والجزر الأندونيسية .

وقال الدكتور الخطيب فى تصريح له :

إن المسلمين فى أندونسيا متمسكون بعقيدتهم ويقبلون إقبالاً شديداً على تعلم اللغة العربية والعلوم الشرعية وحضور مجالس العلماء . وأن كل حركات إبعاد المسلمين عن دينهم قد باءت بالفشل ولم تنجح فى زعزعة المسلمين عن دينهم خاصة دعاة الغزو الفكرى والتنصير . وأكد أن العالم الإسلامى يشهد حالياً صحوة إسلامية تبدو معالمها فى وسائل الإعلام ، ودور العبادة.

• • •

ربط شباب المهجر بالدول الاسلامية

جاء فى التوصيات الختامية لمخيم الشباب المسلم الذى أقامته الندوة العالمية

للشباب بمدينة تطوان المغربية : ضرورة ربط أبناء الجاليات الإسلامية فى المهجر باخوانهم فى الدول الإسلامية .

قال الدكتور مانع الجهنى أمين عام الندوة : إنه سيتم وضع خطة للبدء فى تنفيذ التوصيات كما سيتم تنظيم عدد من المعسكرات فى دول المهجر للتعرف على المعوقات التى تحول دون ربط الشباب المسلم بالدولة الأم .

●●●

منهج التربية الدينية

اعتمد مؤتمر مديرى ورؤساء المعاهد والأقسام الجامعية للدراسات العربية والإسلامية الذى عقدته مؤخراً المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة مشروع المنهج الموحد للتربية الدينية الإسلامية . وسوف يرسل مشروع المنهج إلى مختلف الدول الإسلامية لتعتمد عليه فى بناء أسس منهج جديد فى تدريس التربية الدينية الإسلامية ، وأوصى المؤتمر بضرورة الأخذ فى هذا المنهج بعين الاعتبار التطورات التى يعيشها العالم فى مختلف الميادين .

●●●

مركز إسلامى لنشر الدعوة الإسلامية

بدأ تنفيذ مشروع المركز الإسلامى بتورنتو بكندا واكد رئيس المركز الإسلامى أن الهدف من إنشاء هذا المركز هو نشر الدعوة الإسلامية فى أمريكا الشمالية والتصدى للأفكار المعادية للإسلام التى تروج لها القاديانية والمؤسسات التبشيرية . وسوف يحتوى المركز على مسجد كبير على غرار مسجد المركز الإسلامى فى لندن بالإضافة إلى مدرسة إسلامية ودار للحضانة .

●●●

المفاهيم الأساسية فى العمل الإسلامى

عقد اتحاد الطلاب المسلمين فى أوروبا بالتعاون مع المركز الإسلامى فى « اخن » بألمانيا الغربية واتحاد العمال المسلمين فى أوروبا المؤتمر السنوى الثانى عشر بمدينة « كيان » بألمانيا الغربية بعنوان : المفاهيم الأساسية فى العمل الإسلامى . وقد ناقش المؤتمر مفاهيم الشورى والقيادة والجماعة والاستقلال ، والتمييز ، والانفتاح ، والتوازن والقطرية والعالمية .

شارك فى المؤتمر عدد من أساتذة وعلماء العالم الإسلامى .

●●●

أول مركز إسلامى حول موارد المياه

اختتم فى عمان الاجتماع التأسيسى للشبكة الإسلامية لتنمية مصادر المياه

←

وإدارتها تلك التى تشترك فيها إحدى عشرة دولة إسلامية وذلك لوضع الإطار الرئيسى لإنشاء اول مركز إسلامى فى العالم لتبادل المعلومات حول موارد المياه .

التفاهم بين المسلمين وغير المسلمين

شهدت العاصمة الماليزية « كوالا لمبور » مؤخرا ندوة حول تطوير التفاهم المتبادل بين المسلمين وغير المسلمين فى دول العالم الإسلامى . أشرفت على الندوة رابطة العالم الإسلامى ، ونظمها معهد الصحافة الماليزى والمؤسسة الصحفية الأسيوية فى مانيلا بالفلبين .

وقد طرحت الندوة عدة موضوعات منها : الإسلام وتحديات العصر ، والإسلام بين الأمس واليوم ، والإسلام والتطور .

أكد رئيس معهد الصحافة الماليزى : أن غالبية غير المسلمين لا يعرفون سوى القليل عن الدين الإسلامى ، ولا يتفهمون حقيقة التطلعات الإسلامية نتيجة قصور فى دور وسائل الإعلام الإسلامى . هذا وقد حضر الندوة خمسة وعشرون من كبار الصحفيين غير المسلمين من اليابان وتايوان وهونج كونج وتايلاند والفلبين وأندونسيا .

دعم وكالة الأنباء الإسلامية

ناشد الأستاذ أحمد فراج الأمين العام لمنظمة إذاعات الدول الإسلامية ومدير عام وكالة الأنباء الإسلامية الدولية جميع الدول الإسلامية للمشاركة العاجلة فى تمكين الوكالة من التغلب على الأزمة التى تواجهها وذلك حتى يمكن أن تقوم الوكالة بتحقيق الأهداف التى قامت من اجلها وهى توطيد التراث الإسلامى والحفاظ عليه وتزويد وسائل الإعلام بأهم الأخبار الإسلامية البعيدة عن أحداث الإعلام الغربى التى ترحب بالإساءة إلى كل ما هو إسلامى .

ضرورة حظر التدخين

أكد المؤتمر القومى للمحافظة على البيئة ضرورة منع التدخين فى المواصلات والتجمعات ودور التعليم ووسائل التجمع العامة حيث إن خطر التدخين ليس على المدخن فحسب . بل على كل المحيطين به .
وصرح الدكتور محمد عوض سكرتير عام المؤتمر بأن التشدد فى هذه المسالة

والتأكيد على خطورة التدخين وأثره السيء على الفرد والمجتمع بات ضرورة صحية ومادية . فضلا عن كونه ضرورة خلقية وقومية . وقال : إنه واحد من أهم عوامل تلوث البيئة التى تشكل أحد أخطر الوسائل الحديثة على صحة الإنسان المصرى فى العصر الحديث . ويذكر أن التدخين من الناحية الشرعية مكروه عند غالبية العلماء وذهب البعض إلى انه مكروه كراهية تحريم اى قد يرقى إلى درجة الحرمة .

● ● ●

تزويد القطارات بالمساجد

تم تزويد القطارات السعودية بالمساجد ليؤدى الركاب فيها الصلوات فى أوقاتها . خصص مكان بكل قطار لهذا الغرض يتسع لعشرات المصلين يرتفع منه الآذان وقت الصلاة ثم تقام صلاة الجماعة فى وقتها .

حبس المدين - بقية

فى التنفيذ بالدين . تسترعى أنظارنا الآن ، فى الفقه والقضاء لنتخذ من طرائقهم ، ما يسلم من المعوقات فى تنفيذ الأحكام القضائية ، ونستعيد بهذا قول عمر بن الخطاب فى كتابه إلى أبى موسى الأشعرى (.. فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ..) .

وقد أخذ فقهاء الإسلام من هذا وغيره أن وظيفة القضاء ، إيصال الحقوق لأربابها ولو أدى هذا إلى سلوك طريق الحبس ، بل رخص بعض الفقهاء فى ضرب المدين الموسر الذى أخفى ماله حتى يظهره ويقضى دينه ، وقالوا فى هذا : أن القاضى منصوب لإيصال كل ذى حق إلى حقه .[٣٢]

ولاشك أن سلوك طريق تنفيذ الديون بالحبس أجدى نفعاً . وأقل عثرات ، وعقبات من الطريق الذى يقرره القانون الآن ويتدخل فيه المحضرون بإجراءاتهم التى يستقلون بها .

وفى نظامنا القضائى ما يدعو إلى اتباع هذا الطريق ، للوثوق بنجاحه إذ أن المادة ٣٤٧ من المرسوم بقانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ بلائحة المحاكم الشرعية ، تقرر الحبس فى ديون النفقات وأجرة الحضانة والإرضاع والمسكن ، والعمل جار عليها للآن ، وهى وسيلة أثبتت رشدها وفاعليتها فى إيصال هذه الحقوق لأربابها .

ثم أما بعد :

فلعل رجال القانون وفقهاءه لاسيما فى كليات الحقوق ، يعمدون إلى دراسة هذا الطريق من طرق التنفيذ وغيره مما محصه فقهاء المسلمين وأصلوا قواعده وأقاموا عمده وإلى إرسائه فقها مقارناً بغيره مما ينقل عن الغرب والشرق فإن فى فقه الإسلام نظاماً قانونياً متكاملاً ..

نسأل الله الرشد والرشاد والتوفيق للعمل بما ارتضاه شرعة ومنهاجاً . والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(٣٢) كتاب أدب القاضى للخصاف وشرحه للجصاص ص ٣٤٢ فى منع المدين من السفر والعناية على الهداية جـ ٥ ص ٤٧١ و٤٧٦ والقوانين الفقهية لابن جزى ص ٣٢٦ .



الأستاذ/ أحمد بهجت:

رزق الآخرة

الدنيا دار الله تعالى .. وكل من في الدنيا ضيف على الله في داره .. ومن حق الضيف أن لا يحمل هما مع رب البيت .. لكن ماذا نقول .. أن كثيرا من الناس ينسون هذه الحقيقة وينخرطون في سباق مميت على الرزق .. وينسون في غمرة السباق أنهم ضيوف على الله .. وأن رزقهم مضمون .. وأن ليس عليهم سوى الأدب مع الله .

إذا تحقق أدب الضيف تحققت له الكرامة من رب البيت .. يقول الله تعالى في سورة طه : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾ .

إن أدب الضيف أن يكون عبداً لله .. وروح مقام العبودية هو الثقة بالله والاستسلام له .

« إذا قام العبد بالخدمة .. قام السيد بالمنة » .

إن المضيف الكريم من بنى البشر لا يدع حاجة لضيفه لا يلبيها له .. فمابالك بأكرم الأكرمين ورب العالمين .. هل يدع حاجة لعباده إلا ويلبيها لهم .

إن رزق الدنيا هو المضمون ، وهو لا يحتاج إلى عناء أو إراقة ماء الوجه .. يكفى الأخذ بالأسباب ليصل الرزق .. أما رزق الآخرة فهو الذى يحتاج إلى جهد حقيقى لتحصيله .. وهذا هو الرزق غير المضمون[1]

الأستاذ/ رشدى محمد إبراهيم:

لماذا تخلف المسلمون ؟

حينما ننظر إلى العالم الإسلامى نظرة موضوعية نجده يقع ضمن ما يعرف بالعالم الثالث أو الدول النامية .. وهى تسمية يراد بها التخفيف من حدة مصطلح « الدول المتخلفة » الذى يمثل الحقيقة فى غير مماراة .

والمتأمل يدرك أن أكثر من ٩٠٪ من أبناء الدول الإسلامية يعيشون تحت الحد الأدنى للمستوى الحضارى ، ويعانون وطأة القهر ، وتزداد الفجوة إتساعاً وعمقاً بين الشعوب الإسلامية التى تحمل شعار﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

---

١ ـ إلا لمن حد مؤمناً بالله وحده مخلصاً فى طاعته .

عـرض : الأستـاذ
عبد الفتاح السيد عبد السلام

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ وبين الحضارة المعاصرة التى تسيطر بوسائلها على روح العصر .

وهنا يبدو سؤال يطرح نفسه على الساحة .. وهو : هل الإسلام هو علة هذا التخلف الذى تسبح فى لججه الأمة الإسلامية .. ؟

وإنصافاً للحق نقرر أن المسلمين اليوم فى واد ، والإسلام بحقيقته النورانية فى واد آخر ، فالإسلام لم ينعزل عن الحياة يوماً ما .. لكن الناس انعزلوا عنه : فتصوره البعض « نسكا وعبادة » فى بيوت الله فقط ..

وظنه آخرون « اسماً ولقباً » يحملونه وكفى .

وحسبه غيرهم « دروشة وذهولاً » عن واقع الحياة ..

وخاله البعض « ميدانا لجدل » يطول أو يقصر حول موضوعات لا تمس الحياة ولا جوهر الدين ، ولا كنه الإسلام ..

ولقد نسى كل هؤلاء وأولئك أن دور الإسلام لا ينحصر فى العبادات ، ولا يتقوقع فى الشكلات الفرعية أو ساحات « الدروشة » وإنما دوره يمتد ليشمل كل أوجه النشاط الإنسانى .. فهو تشريع متكامل ، وهو بناء تام لعقيدة ، وعبادة ، وعمل ، ونظام حكم ، ومنهج حياة .

وما تخلف المسلمون عن ركب الحضارة إلا يوم أن عزلوا الإسلام بشمولية منهجه عن مسيرة حياتهم .. وأعانهم على ذلك أسباب زينها لهم أعداء الإسلام حتى يستنفدوا طاقاتهم وخيرات بلادهم ، ويجعلوا منهم سوقاً رائجة لبضاعتهم التالفة ، سواء الفكرية أم المادية .. ويسر لهم هذا .. استحكام الغفلة ، وغلبة الهوى ، والولع بتقليد المغلوب للغالب .

فهل تبقى الأمة الإسلامية هكذا تستمرىء الواقع الأليم .. أم أنه قد آن الأوان لتنفض عن نفسها ركام الغفلة ، وتخرج من جديد إلى درب الحياة حاملة الشعار الذى اختاره الله لها : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ .

الدكتور / سعيد إسماعيل على :

البعد القومى للتعليم

إذا كان التعليم « عملية » يقوم بها أفراد متخصصون ، إلا انه باعتبار موضوعه الذى يتصل بكل فروع المعرفة يصبح ملكا عاما ومركز استقطاب لأصحاب التخصصات المختلفة .

وإذا كانت كل مهنة على وجه التقريب تكاد تتوجه إلى فئة أو شريحة اجتماعية معينة ، نجد أن ساحة التعليم تكاد تتسع

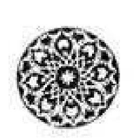
من خير كتب

لكل الفئات ومختلف الشرائح إلى الدرجة التى لا يكاد يخلو منها بيت .

لكل هذه الاعتبارات ، وغيرها كثير تجعل قضية التعليم هى قضية كل المصريين . وإذا كان التنظيم الرسمى قد اقتضى أن تكون له وزارة خاصة هى وزارة التعليم إلا أننا نظلم هذه الوزارة ونظلم التعليم نفسه ، بل ونظلم انفسنا كمصريين إذا تصورنا أن هذه الوزارة وحدها هى التى تتحمل المسئولية التاريخية تجاه « صناعة المواطن المصرى » .

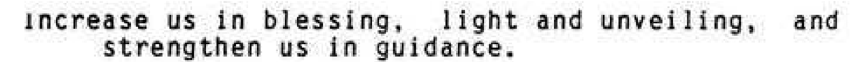
وهنا نشير إلى التليفزيون والإذاعة : لقد اثبتت مئات الدراسات والبحوث أن هذين الجهازين قد تفوقا على المدارس والجامعات فى نوع وحجم التاثير على سلوك المواطنين .. ومن هنا فإنه لا ينبغى ونحن نسعى لتطوير التعليم إغفال اجهزة الإعلام لا بمعنى أن « تغطى » وقائع التطوير واخباره ، وإنما بمعنى ان توضع هى نفسها « تحت ميكروسكوب التطوير بحثاً ودراسة وتطويراً من اجل بناء البشر » .

إننا نؤمن إيمانا راسخاً بأن التطوير الحقيقى للتعليم ينبغى أن يكون « شاملاً » و« متكاملاً » ولا يمكن أن يكون شاملاً ومتكاملاً إذا لم تمتد حركته إلى كل الأركان والزوايا ، وإلا إذا شاركت فيه كل الوزارات والهيئات التى تتناول جانباً من جوانب المواطن بالتنشئة والتربية والإعداد .



فهـرس العـدد

الموضوع	الصفحة



increase us in blessing, light and unveiling, and strengthen us in guidance.

Support us in our words and deeds, and make our provision easy for us, from where we know not!

Here we are standing at the door of Thy Favour, waiting without hardship for the Beloved to turn to us.

Swiftly, send us Your ease, oh Answerer, for You are the possessor of generosity, liberality and goodness.

Your Bounty exists without our existence, and Your Generosity pours down on us, undenied.

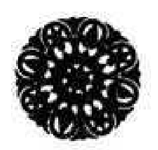
Give us success in the thankfulness which is our duty and which itself calls for increase from You without loss to us.

Free us from the prison of our bodies and raise us up to the presence of the spirits as a reward for our gratitude.

Let us see the meaning of the essence in every manifestation in order to strengthen our witnessing both in times of ease and trouble.

Annihilate us to ourselves and give us guidance and piety to You always, so that we may join the people who have inherited the presence of the secret.

Your command to things is in the word "Be/it is !" So shape things for us with firm intention and without deception, with mercy and with blessings.





SUPPLICATIONS

Collected By :
Fatimah Muhammad Sirry .

Praise is due to You, the possessor of serenity and forgiveness. My praise is part of your blessing, oh abundant Giver.

Praise is due to You, in number as great as the drops of rain, the grains of sand, the pebbles, the plants of the earth and the fish of the sea.

Praise is due to You in number as great as the ants, jinn, and men, in quantity as great as the sky, the throne, and the stars like scattered pearls.

In quantity as great as space itself, and the tablet of forms, the moist earth, and the number of all created beings on the day of gathering.

Praise is due to You, oh my Lord, as You deserve it, for I cannot praise You fittingly to the full extent to time.

Praise is due to You, on endless Giver of gifts, the One who grants opening and triumph to the people of Allah.

Praise is due to You with every breath with the body and the heart. Look kindly on a slave who is preplexed by the command.

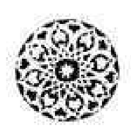
If my wrong actions weigh me down, I still have a good opinion) of You which that You will mend my broken spirit.

Oh Forgiving ! Grant a turning away (from wrong action) to us which will undo what happened in our early years. Grant us repentence.

have children; those who have, reject to breast feed them. Nurturing is no more on the agenda of most mothers, they are busy dressing, making up to become alluring and glamorous. The whole purpose and reality of Male-Female sexuality, that of procreation and productivity has been totally missed, intentionaly neglected and indeed becoming old fashioned.

The human race is sinking into the abyss of social matrimorial disruption, sexual suicide, erotic mania, obscene psychology, and violation of the most supreme and sacred function. The quality of organized selective, chastised, disciplined, highly desired productive sexual relationship of Male and Female should be totally related to the organized creedal system of the Islamic Shariah.

The Islamic creed offers to mankind a highly optimized, divinely rational and divinely intelligent system of life. This system aims at controlling and committing the behaviour and conduct of each individual to safeguard the integral health, prosperity, purity and salvation of the human race. If is the duty of every human to educate himself, gain beneficial knowledge in order to participate with goodness, virtue and sound understanding in his own life and in the life of others.



The uniqueness of female power and potency essentially lies in what the woman can offer or withhold. She can grant the man sexual purity. selectivity and affirmation. She can offer him progeny that is genetically determined to be his through her sexual honour and chastity. She can give him a way of peaceful unperturbed tranquil living which is fulfilling and productive. The man on the other hand offers much less; his masculinity as provider. and his sexuality which is very brief and inferior; however, what he can offer best is his purity, faithfulness and protection.

The power and potency of the highly developed female sexuality is manifested internally by the primary sex characters and externally by the secondary sex characters as the hair, the breasts, the body configuration and the voice. The purity, refinement, preciousness of these high grade qualities require an appropriately refined system of preservation and antidevaluation. The Islamic creedal system as a divine doctrine provides the most comprehensive practical scientific system that grants the female the full efficiency and reality of the power and potency of her sexuality. Islamic teachings also furnish the male with a similar system for chastity for his own purity. and to prevent the despoil and seduction of the female population at large. The Islamic Shariah regulates Male-Female relationship in wisdom and reality natural to their individual sexes. The unversality of these teachings submits to the natural inborn mystry of sexuality in the creation of all biological life. The concept of pairs is also found in other forms of creation of whose real identity we have little knowledge; so much so that even the constitution of matter itself is referred to in pairs of opposite energies. All parts of this expanding cosmos has been created in pairs. and all the phenomena of creation that we observe is indeed the result of mutual interactions of these pairs.

It is very disastrous that mankind with all his inborn intelligence and rationality is the only biological species that disturbs and prevents the normality of interaction of the rule of pairs. The whole philosophy, culture, mass communication, arts, garment industry, conduct, and every major or minor trend of human life; are all programmed to serve Male-Female provocative seductive sexual appeal. The most respected and honoured human quality of procreative copulation has become degraded and atrociously amputated. It has been contemptibly reduced to the evacuation of the male organ into the female receptacle. driven by the sex urge. Many women recant to

Considering the Male-Female Sexual identity, the male sexual listing is very limited to one organ and one function; and everything else is guided by culture, tradition, education, religion, imagination and several other factors. The female sexual listing as previously considered are numerous and compound; the function of intercourse is only one of the numerous components of the sexuality of the female. The sexual nature of a female is reaffirmed monthly in menestruation, and continues in the long unfolding processes of the breast, the womb, potentiality of fertility, pregnancy, childbirth, lactation and the long term nurturing of the progeny. The female sexuality is therefore unequivocally superior, more perpetual, more fundamental, much more powerful than male sexuality. Only the female can perform the functions that give sexuality its identity, its purpose, meaning and an incarnate result as a pregnancy. An educated cultured female should realize the meaning and potency of her sexuality, the unquestionable importance of the role she plays in society. That unique, highly intricate, highly developed role must be met with an appropriate system of discipline, organization, conditioning, management, scientific orderliness, and self control as dictated by moral justification. The whole complicated issue of Male-Female sexuality is fundamentally the most essential factor that controls the life force in human lives and society. It must be regulated through a creedal system of belief that meets and answers all the requirements of that complicated highly developed, creatively essential Male-Female relationship. The more sophisticated any biological or mechanical or industrial system is; the more it requires an appropriately sophisticated system of quality control and quality assurance to safeguard the hazards of its disruption. What can be more hazardous to the human race than the disruption and devaluation of Male-Female relationship. What can be more safeguarding and optimally organized than the discipline ordained and doctrined by the Creator of that Male-Female relationship.

The man must rely on th woman to receive, to bear, to breast feed, and to nurture the child. His participation in this chain of events, his access to biological immortality, the very meaning of his potency, his life's energy; all are profoundly and totally contingent on the woman's durable, love, chastity, purity of body and soul, and her sexual discipline. This Male-Female relationship must be chaste on both sides. No promiscuity is allowed for any partner in that relationship; and according to religious requirements both Male and Female should remain pure until such relationship is sanctioned and sanctified.

→

→

and woman in the built-up of human society becomes in reality the source and manifestation of that power. Differential analysis of male and female sexuality will reveal the inherent powers of female in human society; and indicate that in reality female power is certainly superior to male power and potency. The prevalent dominant concept that male-female power balance is incubent only in their roles of the sex act or in the outward appearance of musculinity and femininety is a complete misconcept that must be corrected to the proper understanding by objective unbiased education in the science of sexology.

The divisions between male and female in the most elemental sexual terms will make the balance of power and potency between them very manifest. Embryonic, infantile and adult development are very highly more complex in their organization in females that in males. The biology, biochemical pathways and hormonal mechanisms are much more rich and meticulous in female than in male. Sexual love, marriage, intercourse, conception, child bearing, infant delivery, breast feeding are in reality manifestations of female sexual development and fulfillment of female generative requirements. Although the male is needed for intercourse, he is otherwise in reality biologically unnecessary. It is the woman, who concieves, bears, delivers and suckles the child. Such functions and activities constitute the complete sexuality of the female as determined by her body, mind and spirit. Such functions comprise and constitute the role of fertility, motherhood, and the whole pool of procreation of human life, which are specifically unique for the woman. There is absolutely no biological "sexual" need for the man during pregnancy, delivery, breast feeding or nurturing. The presence of a man during such circumstances is only a matter of tradition to the framework of human societies. Again, the actual body constitution of sexuality, the female is highly superior and much more devloped than the male. A far smaller potion of the male body is directly erogenous, a far smaller portion of the male life scale is devoted to sexual activity. The male distinct sexual experience is limited only to the simple processes leading to copulation, and ends completely at that. The female body on the other hand, constitutes large areas which are erogenous, and long periods of their life scale are devoted to the biological process of ovulation, maturation, menstruation, pregnancy lactogenesis after child birth. All these are very powerful, potent and fulfilling sexual experiencies that are specific for the female; and are completely foreclosed to the male. That certainly ranks the female sexuality far more superoir to and certainly more developed than that of the male.

MALE AND FEMALE

By :
Saad Moustafa Moustafa M . D :

Male-Female relationship is one of the most vital aspects of human life; and sex in all its dimensions is the single most important motivating force in the life of mankind. Throughout history, sex education has been rejected attributed with shame, disgrace, and sin, with complete abstention in body and mind as a forbidden taboo. On the other extreme, some have considered sex as a means of satisfying carnal desires, sensuous lust, obscenity, self indulgence and licentiousness. Sex education comprises the teachings of the origins of the genders, the biology of sex differentiation, the sexuality manifestations of both male and female; and the deeper psychological patterns of love, intimacy, procreation in order to propagate and carry the human race into the future. The universality of sex relationship renders it very crucial and very sensitive to individual or community disturbances or misunderstandings of the sex relationship . This relationship is highly complex with intricate spiritual, intellectual and material infrastructure. It involves the whole integration of the elements of human continuity, starting from the sexual urge and the basic biology and biochemistry controlling it; and ending into progeny culture, family structure, and the reality and purpose of human life and death.

The outstanding principal issue that is currently being misunderstood in the human society is that of Male and Female power. Most literature of Women Libertion Movements fail to comprehend the real balance of power and potency between male and female, and assert that female power is a "social myth". This understanding in fact indicates the utter and disabling failure of perception of those who promote such literature. In reality, and in accordnce with the balance of creation, the conspicuous and calculable powers of males are counterbalanced by the inborn inevitable powers of females. The role played by man

intensity of the battle, Abu Bakre together with few other companions defended the Prophet and shieled him against any further injury. Abu Bakre knew that the leaders of Quraysh had the intention and purpose to kill the Prophet, and that the unfavourable conditions of the Muslims during the combat allowed the chance for Quraysh to accomplish their most wanted desire. The extreme bravery, genuine devotion, self sacrifice, supreme quality of love to Allah and the Messenger of Islam; that was fully and with grandeor expressed at those crucial moments by the companions prevented Quraysh from achieving their purpose. Abu Bakre was the back-bone and cohesive element with other companions in the defence process of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The Day of Uhud was over, and the Prophet was safe by the grace and mercy of Allah. After the battle of Uhud, Abu Bakre became much closer to the Prophet than ever before. This closeness resulted in more intimacy, and cultivated the unique inherent qualities and personality of Abu-Bakre by the profound faculties of prophethood. The Muslims at Al-Madinah were experiencing some celestial divine power at work, the Prophet was the element of that power, and Abu Bakre was the most intimate companion to the Prophet, directly exposed and experiencing that transcendent power.

During the sixth year of Hijrah, the Prophet announced his intenton to perform Umrah (the Lesser Hajj) to Macca. When Quraysh heard the news, they pledged that Muhammad and his compansions would not enter Macca. The Prophet camped at Al-Hudaybiyah declaring that he had come for peace, and refusing any confrontation with Quraysh, since he and his compansions came for Umrah. Both Quraysh and the Prophet exchanged envoys, and finally an agreement was reached. One article of this agreement dictated that the Prophet and his companions were to return to Al-Madinah that present year, but will be allowed to enter Macca in the year that was to follow. When the companions heard the terms of the treaty and realised that having reached the very edge of the sacred Kaaba, they must now return to Al-Madinah with nothing accomplished, it was almost more than they could endure, and remained in sullen explosive silence. Umar ibn Al-Khattab was among the most indignant and wrathful. Abu Bakre was calm and fully convinced that what the Prophet had done and agreed upon, regarding the terms of the agreement with Quraysh was a divine order to the Prophet, and that Allah shall finally bestow victory, a clear victory to His Messenger. Such an attitude of perception and understanding is characteristic of Abu Bakre, the man of uniformity and tranquil composure, the man of sagacity, brilliance of foresight and inspired rationality.

"O Prophet, say unto those captives who are in your hands: If Allah knoweth any good in your hearts; He will give you better than that which hath been taken from you, and He will forgive you. Verily Allah is forgiving, Merciful".

(Surat Al Anfal, VII, 70)

Abd Al-Rahman son of Au Bakre fought during Badre on the side of the pagans of Quraysh. Later on, he became a Muslim, he told his father that during that battle of Badre, the son avoided confrontation with the father in order not to kill him. Abu Bakre the father, said "If I saw you I would have killed you". This clearly indicates the height and supremacy of faith in the heart of the father with which no other sentiment or worldly love could compete, and the void and nothingness in the heart of the pagan son:

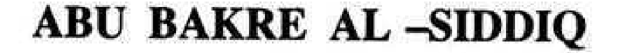
The life of Muslims at Al-Madinah required the development of new policies and strategies after the battle of Badre. It was well realized by everybody that another confrontation with the pagans of Quraysh was unquestionable; for Quraysh would not be at ease of dignity before they revenge Badre. The small Muslim community at Al-Madinah had to make preparations to optimize their safety, to protect themseleves from outside intruders and protect themseleves and their interests from the hypocrites and Jews at Al-Madinah. Abu Bakre was very active in organizing such matters, and together with Omar ibn Al-Khattab acted as counselors to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) upon his request, in precarious matters requiring deliberation.

Abu Bakre was particularly resenting the presence of the Jews amidst the growing Muslim community at Al-Madinah. They openly and with insolent contempt challenged the presence of Muslims and the propagation of Islam. Among the Jewish tribes of Qaynuqa, Qurayzah, and Bani Al-Nadhir, several embraced Islamic with sincerity and honest belief, others with hypocracy. The Jews and the hypocrites never ceased to antagonise, hate and with all efforts intrigue against Muslims. Abu Bakre made a point of exposing their hostile conduct, ard aborting their conspiring schemes.

The news of Al-Madinah were continually reaching Quraysh at Macca who were fervently preparing to avenge the defeat they had suffered at Badre. Finally, Quraysh met the Muslims at Uhud. The outcome of the battle was adverse to the Muslims, because the archers disobeyed the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and left their positions. The Prophet was injured, and during the

long time to recover. During his illness, he experienced several crises of severe delirium and excessive tremors. After his recovery, Abu Bakre became occupied in ensuring the dependability of his living and that of the members of his families. The remaining part of his activities and certainly the most important work was directed to the service of the very juvenile Muslim community at Al-Madinah. Abu Bakre committed himself to a close intimate companionship with the Prophet to learn the Revelation, to absorb the wisdom, to assimilate the teachings, and to master the lustrous doctrines of the Faith. With such adamant intentions, Abu Bakre earned the position of the most eminent companion to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him); with the authentic belief and purity of the inner self, Abu Bakre lived all his life. Nothing in the life of Abu Bakre competed with his love to Allah and His Messenger and with his self denying service in the cause of Islam. His faith throughout his life was that of the righteous, the saints, and the martyrs.

The first major confrontation the Muslims experienced was the Great Battle of Badre. There was a great disparity between the Muslims and Quraysh. The Prophet returned to the shelter with Abu Bakre, and prayed in supplication to Allah for the help that had been promised. A brief period of slumber came upon the Prophet, and when he woke up he said "Be cheerful Abu Bakre. Allah has fulfilled his promise" The presence of Angles fighting with the believers against the infidels was appreciated by everybody; but was only visible or audible to very few and in varying degrees. The forces of Quraysh were vanquished, most of them escaped. but about fifty were taken captives. The Prophet was persuaded to withdraw to the shelter with Abu Bakre and the Ansars keeping watch against the possibility that Quraysh may rally and return to fight. The decision concerning the captives was a contradictory issue between Abu Bakre and Omar ibn Al-Khattab. Abu Bakre was of the opinion that these captives should live in the hope that they may one day bear the light of Belief. Omar on the other hand was of the opinion that these captives should be killed and not left alive. The Prophet was inclined to the view of Abu Bakre, and the captives were left to live. Later on that day, a Revelation had come meaning that the Prophet should have killed the prisoners, and not kept them alive. this put the Prophet and Abu Bakre into tears because their decision concerning the captives was contrary to what the Revelation spoke. However, the decision to spare the captives had been accepted by Allah and should not now be revoked; and the Revelation continued to give the Prophet a message for the captives.


ABU BAKRE AL -SIDDIQ

HIS LIFE WITH THE PROPHET

(PART II)

By :
Dr . Anas Moustafa El –Naggar M . D ., Ph . D

During the events of the Hijrah, Abu Bakre was exemplary in his devotion and sincerety to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). In his perfection of companionship, Abu Bakre was inspired by the spiritual saturation of Faith, and his great love to the man who was the Messenger of that Faith and the teacher of its doctrines. The supreme grades of devotion, sincerety, sacrifice, and caring tenderness which Abu Bakre expressed on the route of Hijrah are beyond any description.

After the procession of Hijrah had settled at Al-Madinah, Abu Bakre made his residence at Al-Sunh in the outskirts of Al-Madinah with Kharijah ibn Zayd from Bani Al-Harith from the Khazraj. Abu Bakre sent after his family in Macca, and they all arrived at Al-Madinah. They soon engaged themselves in land cultivation sharing the crops with the land-owners. Several of the Muhagereen families including those of Abu Bakre, Omar ibn Al-Khattab, Ali ibn Abi Taleb, and others worked in land cultivation as means of sustenance. The relation between Abu-Bakre and Kharijah Ibn Zayd became intimate and developed by time. Abu Bakre married Habibah, the daughter of Kharijah; who later after Abu Bakre's death gave birth to Um-Kulthum. The family of Abu Bakre from Macca did not stay with him at Al-Sunh; they lived in a house at Al-Madinah near that of Abi Ayoub Al-Ansari where the Prophet stayed. Abu Bakre regularly visited his family at Al-Madinah, but made his main residence at Al-Sunh.

After being at Al-Madinah for sometime, most of the Muhagereen from Macca contracted a fever of very severe virulence. Abu Bakre suffered from the fever, and took a

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 60, PART III

RABIE AL-AWAL, 1408 HIJRAH

CONTENTS

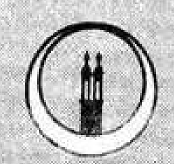
Preparation of Prints: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

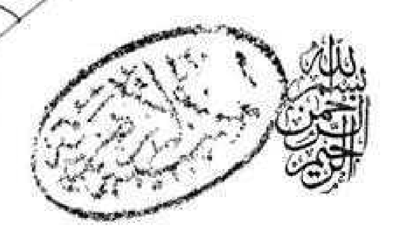
AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION







فى ظلال الجوار

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان

إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

* الجزء الرابع *
* السنة الستون *
* ربيع الآخر ١٤٠٨ *
* ديسمبر ١٩٨٧ *

تقدمتْ - لنا - معرفة بالجِوَار فى الجاهلية ودرسناه فى ضوء هذه الشذرات ، هنا وهناك ، مما ضمته مراجعنا العربية ، وجاء الإسلام - إذ جاء - والجِوَار سياسة مقررة مأخوذ بها ، تجير بها المرأةُ والرجل والجماعة والقبيلة من أرادوا على وفاء كريم فى عموم أحداثها ، وفى شذوذ من غَدْرٍ لم يكن طابعها ، ولسنا نجد لقريش - فى جاهليتها - حادثة غدر فى جِوَار ، فكان لجوارها طابع الوفاء ، وللمستجير - فيها - كريم النجدة والإخاء .

←

في ظلال الجوار

١ ـ وجاء الإسلام :

فأما حين كانت الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ سرية ؛ فإن المسلمين لم يكن لهم بالجوار حاجة ؛ إذ كانت تلك الفترة لا تمثل خصومة ما بين المسلمين ، وعلى رأسهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين الملأ من قريش ؛ بل كان القوم به مغتبطين .

يقول ابن الأثير في مقدمته لأسد الغابة :

« ... واستجاب له ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفر من الناس سرًّا حتى كثروا فظهر أمرهم . والوجوه من كفار قريش غير منكرين لما يقول ، وكان ـ إذا مرّ بهم يقولون : إن محمداً يكلم من السماء ..»

فلما قضى ـ سبحانه وتعالى ـ بإعلان الدعوة ، وأمر رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجهر بها ، ونزل قوله ـ سبحانه : ﴿ فَاصْدَعْ[1] بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ٩٤ ـ الحجر ، وقوله : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ٢١٤ ـ الشعراء .

اختلف الحال جد الاختلاف :

فكان على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يعلن التوحيد خالصاً من كل شائبة شرك ، وأن يدعو الناس جميعاً إلى عبادة الله ـ وحده ، وأن يبين حكم من آمن بالله وحده ، وحكم من أشرك به ـ سبحانه أو جحده ، عاش ـ بذلك ـ أم مات عليه .

كذلك كان على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجوب الإعلام بالشريعة والتعليم لممارسة تطبيقها .

وكان ـ في هذه الواجبات ـ تقويم[2] مباشر للوثنية ، وتسفيه لمتعبديها وبيان لمآلهم .

فكان الصدام !!

ولنا ـ فيما يناظر حال الدعوة السرية من بعض الوجوه دون جميعها ـ نَجاةُ أكثر الحنفاء في هذا العهد من أذى قومهم ، إذا تساءلنا : لماذا لم يُعَذَّبوا ؟ ولماذا لم يتكالب عليهم هذا المجتمع ؟!

نقول :

لأنهم لم يكونوا رسلاً من عند الله ـ سبحانه ـ فلم يكن لهم شأن بدعوة ، ولم يحملوا

---

(١) صدع بالأمر : تكلم به جهاراً .

(٢) تقويم : أعني بيان القيمة .

واجب الرسل ، وهو التبليغ للناس ، فعكف كل منهم على نفسه مؤثراً الصمت على ما هو عليه ، فلم يقاوم عقيدة قومه أو يسفه معتنقيها ، وَتَرَكَ مجتمَعَهُ فتركه مجتمعُهُ .

وإنما قلت : « أكثر الحنفاء » لأن بعضهم ـ على الرغم ـ من مسالمته لمجتمعه لم ينج من عذاب قومه ؛ فالخطَّابُ ـ والدُ عُمر ، رضى الله عنه ـ لم يترك زيد بن عمرو بن نُفَيْل ـ أحد الحنفاء ـ وشأنه ، بل عذبه وسخر به ، والقى به إلى فتية مكة وسفهائها فعذبوه ، ثم نفاه خارج مكة ، وضيّق عليه .

مع ـ أنه رحمه الله ـ كان مستقلاً بدينه عنهم ، هُدِىَ إليه بعد بحث وسفر ومشقة ، وَأُثِرَ عنه أنه جهر به فى الكعبة فقال :

« يا معشر قريش ، والله ، مامنكم على دين إبراهيم غيرى » رواه البخارى .

٢ ـ جهر الحليم الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالدعوة ، وبما أوجبته الدعوة ، فنادى بالتوحيد ، وأنذر الوثنيين ـ وفى مقدمتهم بنو هاشم وبنو عبد مناف عشيرته الأدنون ـ وأعلن حكم من أطاع وحكم من عصى « فلما تمسكوا بحجة التقليد لآبائهم جر ذلك إلى وصف آبائهم بالضلال ، وبيان مصيرهم إلى النار » فقامت قيامة قريش ، ورموه بالبهتان ، وأرادوا الفتك به وبمن معه .

وهنا برز أمر « الجوار » :

قال الحافظ يوسف بن عبد البر النمرى :

« فأما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَأَجاره عمُّهُ أبو طالب وَمَنَعَ منه »[٣] .

و... « قام ـ أى أبو طالب ـ فى بنى هاشم وبنى المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقيام دونه فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه إلا ما كان من أبى لهب » .

فأبو لهب ـ وحده ـ من بنى هاشم ناصب رسول الله صلى الله عليه وسلم العداء دائماً ، فأما غيره من بنى هاشم وبنى عبد المطلب فقد استجاب لأبى طالب حَمِيَّةً وعصبية .

وأسرع أبو طالب يمدحهم بأبيات رواها ابن كثير ـ رضى الله عنه ؛ قال :

إذا اجْتَمَعَتْ يوماً قريشٌ لِمَفْخَرٍ ... فعبدُ منافٍ سِرُّها وصَمِيمُهَا
وإن حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عبدِ مَنافِهَا ... ففى هاشمٍ أشرافُهَا وَقَدِيمُهَا
وإن فَخَرَتْ يوماً ؛ فإن محمداً ... هو المصطفى من سِرِّها وكريمُها

←

(٣) الحافظ ابن عبد البر النمرى/الدرر فى اختصار المغازى والسير ص ٤٣ نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

تداعتْ قريشٌ : غثُها وسمينُها	علينا فلم تظفر وطاشت حُلُومُها
وكنا قديماً لا نُقِرُّ ظُلامَةً	إذا ماثَنَوْا صُعْرَ الرِّقابِ نُقيمُها
ونحمى حماها كل يوم كريهة	ونضرب عن أحجارها من يرومها
بنا انتعش العودُ الذواءُ وإنما	بأكنافنا تَنْدَى وتَنْمى أرومها

لقد كان لهذا المديح والفخر دوره ولا نزاع ، ومع ذلك ينبغى علينا « تقويم القوة » التى يملك أبو طالب « النفوذ » فيها ، فأبو طالب ـ بلا نزاع ـ هو أقوى بنى هاشم وبنى المطلب وَجْهًا فى جواره ومنزلته .

لكن هل كان يملك أمر قريش جميعاً ؟!

لقد كانت قريش خمسة وعشرين بطناً ، عدها المسعودى ـ رضى الله عنه[4] فهل كان أبو طالب صاحب نفوذ عليها جميعاً ؟!

من المجازفة أن نقول : نعم ، لكنه ـ كما رأينا ـ لم يقف حائراً بائراً حين رأى قريشاً تتحالف ضد محمد ـ صلى الله عليه وسلم .

الواقع أن نفوذه لم يكن يتعدى بطنين منها : هما بنو هاشم وبنو المطلب وقد أجابه أكثرهم حمية لا إيماناً ، كما قلنا ..!

وحسبك من فئتين تقابلان بقية قريش ، أى تقابلان ثلاثة وعشرين بطناً ، وكان بعض هذه البطون من الكثرة والقوة بحيث أطلق عليها بعض المؤرخين لفظ « قبيلة » فقال : « قبائل قريش » .

إذاً كان نفوذ أبى طالب محدوداً .

---

(٤) هم : بنو هاشم بن عبد مناف ، بنو المطلب بن عبد مناف ، بنو الحارث بن عبد المطلب ، بنو أمية بن عبد شمس ، بنو نوفل بن عبد مناف ، بنو الحارث بن فِهْر ، بنو أسد بن عبد العُزَّى ، بنو عبد الدار بن قُصَىّ ـ وهم حَجَبَةُ الكعبة ، بنو زهرة بن كلاب ، بنو تيم بن مرة ، بنو مخزوم ، بنو يَقَظَة ، بنو مرة ، بنو عدى بن كعب ، بنو سهم ، بنو جُمَح .

وهؤلاء قريش البِطَاح ، نعنى ـ فى النهاية : أنهم المقيمون داخل مكة .

بنو مالك بن حنبل ، بنو مُعَيْط بن عامر بن لؤى ، بنو نِزَار بن عامر ، بنو سامة بن لؤى ، بنو الادرم ، وهوتيم بن غالب ، بنو محارب بن فِهر ، بنو الحارث بن عبد الله بن كنانة ، بنو عائذة وهو خُزَيْمة بن لؤى ، بنو نباتة وهو سعد بن لؤى .

وهؤلاء قريش الظواهر النازلون حول مكة .

راجع للمسعودى ـ مروج الذهب ٢/٢٧٥ ، ٢٧٦ ط ٤ مطبعة السعادة .

وكان لبعض هذه البطون من البطش والإرهاب ما يهدد خِفْيَةً بطونا فيدفعها - قهراً - إلى رفع جوارها عن بنيها ، ويتبع ذلك مباشرة تسليمهم لأذى قريش ونكالها فلا يلومها أحد .

فهذان أبو بكر وطلحة بن عُبَيْد الله لم يمنعهما قومُهما طويلاً ، فما أسرع ما أسلمهما بنوتيم بن مرة قومُهما فأخذهما نوفل بن خويلد بن العَدَوِيَّة ، وكان يدعى أسد قريش فشدهما فى حبل واحد ، ولم يمنعهما بنوتيم ، فلذلك سمى أبو بكر وطلحة القرينين ، وقال النبى ﷺ : اللهم اكفنا شر ابن العدوية . رواه البيهقى

وعمد أبو بكر إلى الهجرة ، واعتزم الحبشةَ إذ اشتد به الأذى فخرج من مكة حتى أتى « بَرْكَ الغِماد » فلقيه مالك ابن الدُّغُنَّة سيد الأحابيش فقال : إلى أين ياأبا بكر ؟

فقال - رضى الله عنه : أخرجنى قومك فأريد أن أسيح فى الأرض وأعبد ربى .

فقال ابن الدغنة : مثلك - ياأبا بكر - لا يخرج ، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتعين على نوائب الحق ، فأنا لك جَارٌ ، فَارْجِعْ واعبد ربك ببلدك فرجع ، وطاف به ابن الدغنة فى اشراف قريش يعلن جواره ، فقالوا له : مر أبابكر فليعبد ربه فى داره ، فليصل فيها ما شاء وليقرأ ما شاء ولا يؤذنا بذلك ولا يستعلن ، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا ، فرضى أبو بكر .

لكن هذا الجوار لم يستمر طويلاً ، وبدأ ابن الدغنة يشترط ويغلظ فرد عليه أبو بكر جواره ، وأبى أن يعبد الله سرا كما أرادت قريش ووافقها ابن الدغنة .

فأما طلحة - رضى الله عنه - فلم أعثر عليه بين مهاجرة الحبشة - رضوان الله عليهم - ويبدو - والله أعلم - انه وجد له مقاما بالشام إلى حين[5] .

●●●

كانت إجارةُ أبى طالب رسولَ الله ﷺ إحباطا لقريش .

كانت صداً لها يغل أيديها قهراً ، فلا تصل إلى محمد ﷺ .

ولم تكن قريش لتستطيع أن ترفض تلك الإجارة ، فقد توفرت لها مقوماتها ، ولم تكن هناك سابقة لرفض ما هو أدنى منها ، ولو أن قريشا وجدت أدنى فرصة إلى ذلك لاهتبلتها .

كذلك لم تكن لتستطيع أن تخفر أبا طالب فيها ، فهو سيد بطنين منها ، أى هو فوق سيد العشيرة بأكثر من درجة[6] ، وإذا كان سيد العشيرة لا تخفر إجارته فكيف تخفر إجارة

---

٥ - انظر ابن سعد - الطبقات ١٧٢/٣ .

٦ - القبيلة تليها العمارة فالبطن فالفخذ فالفصيلة فالعشيرة ، وليس بعد العشيرة حيّ يوصف - انظر نزهة القلوب فى تفسير غريب القرآن للإمام ابى بكر السجستانى

أبى طالب ؟ ! كذلك لم تكن لتستطيع قريش - على عنتها - أن تتقبل إجارته رسولَ الله ﷺ راضية .

وبين القهر والإحباط غلت مراجل قريش كمداً وثورة ، لقد وفرت الإجارةُ حمايةً محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - فمضى فى دعوته ، ولا مطمع فى "خلعه"، فإن إجارة القوم له ما كانت لتتم لو أمكن خلعه ، وكيف يخلع ، وأشد القوم كراهة له وحرباً عليه لا يستطيع أن يتهمه بجناية تأتى بخلعه ؟!

فلم تتلوث يده - عليه الصلاة والسلام - بدم برىء أو مجرم ، منهم أو من غيرهم .
ولم يَنَلْ لسانُهُ الشريف - صلوات الله وسلامه عليه - عِرْضاً لقرشى أو غيره .
ولم يكن لإنسان قِبَلَهُ - صلى الله عليه وسلم - مظلمة فى عَرَضٍ أو مال .
كانت الشهادة بأمانته - عليه الصلاة والسلام - راسخة فى يقينهم ، حتى لقد توازى - فى وضع مثير - كَيدُهم له وَدَفْعُ ذخائرهم أمانة لديه !!
لقد كان الطمع فى خلعه طمعاً فى محال .
الجوار - إذاً - هو العقبة دون محمد - صلى الله عليه وسلم !
وليس يدفع بمحمد - عليه الصلاة والسلام - إلى أيديهم إلا رفع هذا الجوار ، فَإِسْقَاطُهُ عنه هو السبيل - وحده - إلى الظفر به والانتصار عليه - صلى الله عليه وسلم .. وحاشا لله .
من أجل ذلك ، قامت قريش بثلاث جولات فاوضت خلالها أبا طالب ، أَخَذَ طابع العنف خلالها يتصاعد حتى القمة :
ففى الأولى رَدَّهم أبو طالب رداً جميلاً ، لكن محمداً - عليه الصلاة والسلام - استمر فى دعوته ، وإعلان صلاته بالبيت الحرام .

فكانت الثانية على التهديد بالحرب : « قد طلبنا إليك أن تَنْهىَ ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا - والله - لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه عقولنا ، وعيب آلهتنا ، فإما أن تكفه عنا أو ننازلك وإياه حتى يهلك أحد الفريقين » .
وانصرفوا ، وانتهى اللقاء بين محمد - صلى الله عليه وسلم - وعمه أبى طالب بقوله له : « اذهب ، فقل ما أحببتَ ، فوالله لا أُسْلِمُك » ،
ولم يكتف أبو طالب بذلك فأعلنها شعراً حتى تذيع فى العرب ، فإن أمر محمد - عليه الصلاة والسلام - ذاع وشاع فيهم ، وحضر منهم إلى مكة من أسلم على يديه - على الرغم مما أحاط برسول الله - ﷺ - من عنتهم :

فقد ارتحل إليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ خصيصاً أبو ذر ـ رضى الله عنه ، وهو من « غفار » فأسلم ، وشاهد ما يحدث ، وقال له النبى ـ ﷺ :

« ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى » .

وقدم ضِمَادٌ مكة ، وهو سيد من سادة « أَزْدشَنُوءة » فبايع رسول الله ﷺ على الاسلام وقال له : وَعَلَى قومِك فقال : « وعلى قومى »

وقدم مكة الطُفَيْلُ بن عمرو ، وكان سيداً مطاعاً شريفاً فى « دَوْس » ، فاجتمع برسول الله ﷺ فأسلم ، وفشا الإسلام فى قومه إذ رجع إليهم ، « وقد ذكر أبو نُعَيم فى (دلائل النبوة » إسلام من أسلم من الأعيان ، فصلا طويلاً ، واستقصى ذلك استقصاء حسناً رحمه الله وأثابه » .

ثم قدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشرون رجلاً ، وهو بمكة .. من النصارى حين ظهر خبره من أرض الحبشة ، فوجدوه فى المجلس فكلموه وسألوه ، ورجال قريش فى أنديتهم حول الكعبة .

فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله ﷺ .. تلا عليهم القرآن فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه » .

وهكذا انتشر الأمر خارج مكة فَأَسْلَمَ وثنيون وأسلمَ أهلُ كتاب ، ونزل فى هؤلاء قوله تعالى : ﴿ الذينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هم به يؤمنون ﴾ الآيات القصص ٥٢/٥٥ .

ويعنى ذلك ـ فى وضوح ـ أن عَنَتَ قريش لم يأت بنتيجة مما زادهم حقدا على حقد وسخطا على سخط ، ولم يعد الأمر خافياً على العرب ، وانهم ليرقبونه على أي كَيْفٍ يكون . .

ودفعت الحوادث أبا طالب فقال :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أُوَسَّدَ فى التراب دفينا
فامضى لأمرك ما عليك غضاضة ... أَبشِرْ ، وَقَرَّ بذاك منك عيونا

فلم تلحق أبا طالب سُبَّة .

ثم كانت الثالثة ، وفيها تمسكوا بقتله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأجمعوا أمرهم على كيد خبيث ، فانطلق نفر منهم إلى بنى عبد المطلب وبنى هاشم طمعاً فى فضهم عن مساندة أبى طالب فعرضوا عليهم دية مضاعفة لِيُسْلِمُوا محمداً ﷺ فيسقطوا بأنفسهم جوار أبى طالب ، وحتى لا يكون دمه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى قريش ، قالوا : يقتله رجل من غير قريش وتريحوننا وتريحون أنفسكم ، فأبى قومه » .

وفريق ذهب إلى أبى طالب بعرض عجيب : أن يعطوه عُمَارة بن الوليد سيداً من شبانهم يستبدله بمحمد ـ ﷺ ـ فرفض متعجباً وقال :

عجباً لكم ، تعطوننى ابنكم أَغْذُوُه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه !!
وأرسل بقصيدته اللامية التى توالت فيها الأَيْمَان بكل مقدس عندهم ، ثم أعقب أيْمَانه بقوله :

كذبتم وبيت الله نُبْزَى محمداً ولما نُطاعِنْ دونه ونناضل
ونسلمه حتى نُصَرَّع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم بالحديد إليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وحتى نرى الضِّغْنَ يركب رَدْعَهُ من الطعن فعل الأنكب المتحامل
وإنا ـ لعمر الله ـ إن جد ما ارى لَتَلْتَبِسَنْ اسيافنا بالأماثل

وحديث أبى طالب هذا ـ فى تلك القصيدة ـ قد نأى تماماً عن أي ملاينة ومداراة ، وأسفر عن وعيد وتهديد دفع بقريش إلى حافة الحرب !!
فهل كانت الحرب ممكنة ؟!
وهل كانت قريش تستطيع أن تعبىء لها ؟!
وهل فات أبو طالب أمرها ؟! ﴿

يتبع

د. على أحمد الخطيب

المصادر

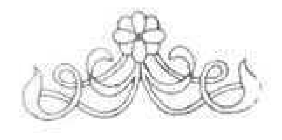
القرآن الكريم
صحيح البخارى
ابن الأثير / أسد الغابة
المسعودى / مروج الذهب
ابن عبد البر النمرى / الدرر فى المغازى والسير
ابن هشام /السيرة النبوية
الخضرى بك / نور اليقين سيرة سير المرسلين ﷺ .
ابن كثير / السيرة النبوية
الطبرى / تاريخ الرسل والملوك
ابن سعد / الطبقات
د . على احمد الخطيب/ عمر بن الخطاب : حياته . علمه . ادبه

مع الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

مطلع النور وميلاد أمة



الأزهر يتبرأ من مسابقات ملكات الجمال والاحتفال بوفاء النيل



مطلع النور

وميلاد أمة

هذه مكة تستقبل وليداً رضى به أهلها وعمهم البشر والسرور ، يتيما صاحبت ولادته إرهاصات وإشارات إلى أن أمة جديدة قد ولدت ، سيتغير بها وجه التاريخ ، وسترتفع بها الإنسانية ، وترقى ، وتزخر بالعلوم والمعارف ، بعد أن سيطرت عليها البداوة ، وفشت فيها الأخلاق الذميمة ، وتمكنت من قلوبها الخرافات والأساطير ، واستعبدتهم الأوثان وما يحيط بها من أوهام ، فدانوا بها ، وخضعوا لعادات وتقاليد وأخلاق غير مرضية ، بل كانت مردية .

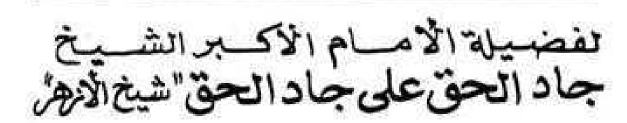
فجاءت ولادة هذا اليتيم نوراً أضاء حياتهم ، واهتدت به افئدتهم ، عاش بينهم فى طهر ونقاء وصفاء ، لم يرفث ولم يصخب ، ولم يفسق كأترابه من الشباب ، فقد طهره ربه وأدبه وصنعه على عينه .

ذلكم رسول الله محمد ﷺ ، ولدت بولادته امة تخلت بقيادته عن الفرقة والشتات والخصام والاقتتال ، إلى وحدة تقود وتسود .

جاء هذا المولود الكريم داعيا إلى الله على فترة من الرسل ، فكان دينه الإسلام دعوة للسلام والرحمة والحنان ، يشيع كل ذلك فى اقواله وأفعاله ، فهو دعوة لحنان الآباء على الأبناء ، وحث للأبناء على البر بالآباء ، حتى تكون الأسرة وحدة صالحة فى المجتمع ، يقوى بها ويشتد عوده ، وترتفع فيه دعوة الحق والعدل والتعاطف والتساند فى الملمات ، وفى العبادة كانت دعوته إليها رفقا ، فالدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، وإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ، كانت دعوته أمنا وأمانا ، محذرة محرمة للغدر والخيانة ، داعية إلى السلم والسلام والتسامح والصفاء ، فهو بأمته رءوف رحيم ، يخفف آلام المصابين ، يعود المريض ويواسى الحزين يأسو الجراح ، فهو رفيق بالإنسان ، بل وبالحيوان يقول للمسلمين ناصحا وموجها : (إذا ركبتم الدواب فأعطوها حظها من المنازل ، ولا تكونوا عليها شياطين) .

ويقول : (اتقوا الله فى البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة ، وكلوها صالحة) . عمل ﷺ قبل بعثته ، وأكل من كسبه ، فقد رعى الغنم ، واشتغل بالتجارة وسلمت نفسه مما يصاحب العمل من الشح والجشع والرغبة الجامحة فى الإثراء ، بل كان عفًا ، عدلا ، صادقاً ، أميناً .

ولقد نواصلت سيرته ومسيرته تتذكرها أمته ، فله فى كل ربيع مولد ، وعلى كل فم وقلم ذكر ، وفى كل قلب سليم مكان ، كيف



لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق "شيخ الأزهر"

لا وذكره أمر من الله سبحانه مقرونا باسمه جل وعلا ، فهذه كلمة التوحيد التامة : (اشهد ان لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله) ..

وهذه سامقات المآذن تتنادى بأذان الصلوات خمس مرات مرددة هذه الشهادة التى هى الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ ..

وهذا هو ربه كرمه وأمر بالصلاة عليه فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .. جاء بالإسلام دينا ألف به بين القبائل المتنازعة ، فكان ولادة أمة بعد الأيام المروعة ، والعادات المفزعة ، التى اتخذت من العرف دولة ، ومن الجاهلية حضارة ، ومن الضعف قوة وغلبة وعزة .

كان أمياً علّمه ربه ، واعزل إلا من حماية الله : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ .

كانت الديانات السائدة قبله تهتم بالطقوس الدينية فقط ، ولكن رسالة هذا المولود محمد ﷺ جاءت عقيدة وشريعة ، شرعت للناس ما يحقق صلتهم بخالقهم ، وما ينظم حياتهم ويحدد واجباتهم وأساس حياتهم ، جاءت بقوانين قامت عليها الدولة ، ونمت فى ظلها الأمة ، حتى امتدت واشتدت : فى غير عدوان ، بل فى رحمة ومحبة وحسن جوار ، على أساس من العدل والإحسان .

لقد استجاب لدعوته صنوف من الناس ، اختلفت منهم الصفات والطباع ، يختلفون فى الرأى ، ولكنهم عليه يجتمعون ، وتتفرق بهم السبل ، ولكنهم عند الحق يلتقون وصدق الله :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ .. نعم ..

إن ميلاد سيدنا رسول الله محمد ﷺ كان مطلع النور للعالم وكان ميلاد أمة ودولة وحضارة ، وهذه عظمته فى كمال الإسلام عقيدة وشريعة ، يطابق العمل القول ، كان صادقاً ، أميناً ، زاهداً ، متواضعاً ، نبياً ورسولاً إلى العالمين ، وعلى خلق عظيم .

فماذا أصاب أمته ، بعد أن أغفلت كتاب ربها وهدى نبيها ، وعلت نداءات الشعوبية فيما بينهم باسم القومية والعرقية ، فكانت هذه الحروب التى أهلكت البلاد والعباد .

فى ذكرى ميلادك يارسول الله :

هذه أمتك قد تفرقت ، وأعملت السيف فيما بينها ، اشتروا الدنيا بالدين ، واحتكمت إلى غير شريعتك ، فشاعت فيها الأمراض والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ، وباغتتهم الأوبئة والحشرات ، وانتزعت البركة من أرزاقهم بعد أن بخلوا بالزكوات والصدقات ،

فسلط الله عليهم جيوشا من مخلوقاته تبيد حرثهم ، بل وتهدم بيوتهم : ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ .

فى هذه الذكرى المباركة ينصح الأزهر الشريف المسلمين : حكاما ومحكومين بأن يثوبوا إلى رشدهم ويرجعوا إلى ربهم ، ويوقفوا هذه الحروب وتلك الخلافات والفتن التى فرقت جمعهم وشتتت شملهم ، وخربت ديارهم ، وقتلت أولادهم ، وليتدبروا أمر الله فى القرآن : ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ . .

إن على ولاة الأمر فى المسلمين : ملوكا ورؤساء وأمراء وعلماء أن يسعوا جادين إلى وقف هذه الحروب الدائرة على أرض المسلمين ، وأن يرتفعوا فوق الخلافات ، وأن يهبوا لتخليص البلاد الإسلامية مما حاق بها وأحاط من احتلال ودمار ، فهذه القدس وفلسطين وقد احتُبس أهلها وهوجم مسجدها .. وهذه أفغانستان تطلب الخلاص ممن استباحوا حرماتها ... وهذه الحرب بين إيران والعراق ، وقد علا صوتها وامتد لهيبها وتطاير شررها .

فهل لأولئك الذين يصرون على استباحة القتل والتخريب والتدمير ان ينزلوا عند حكم الله حتى لا تقع الواقعة وتكون ارضهم مكانا لتجربة لا يعلم مداها إلا الله ؟

إن هذه الأساطيل والقوى التى تموج بها بحار المسلمين ، ما جاءت لتنهى حربا بين المسلمين حرصا على دمائهم وسلامة ديارهم وأموالهم ، وإنما جاءت لتذكى النار ، ولتحمى مصالحها وامداداتها ، ثم لتبيع السلاح لهؤلاء المتحاربين .

اين أنتم من سلفكم ، إننا نذكر ما رواه التاريخ فى الفتنة التى وقعت بين المسلمين بعد مقتل عثمان رضى الله عنه ، وتفرق الأمة ، يقاتل بعضها بعضا على الإمارة .

فى هذا الوقت .. والنزاع على أشده .. بعث قيصر الروم إلى معاوية يعرض عليه مددا منه فى قتاله مع على بن أبى طالب ..

فماذا كان جواب معاوية .. مع حاجته إلى المدد والسند ؟

قال لقيصر كلمة نحن فى حاجة إليها الآن ..

قال : لا حاجة بنا إلى شىء مما قلت ، فإما كففت وانصرفت .. وإلا بعثت إليك بجيش أوله عندك وآخره عندى ، حتى يملك به صاحبى ما تحت قدميك ..

بهذا كان الخلاف بين الرجال المسلمين لا يستنجدون بعدوهم على أمتهم ، ولا يعرضونها للخراب والدمار ، بل كانوا رجلا واحدا إذا أحاط بالأمة السوء ، نسوا خلافاتهم .. وأماتوا ما بينهم من نزاع .

نعم :

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِى بِهِ

اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ..

فقد رفع الله ذكر رسوله محمد ﷺ الذى نحتفى بذكرى مولده ، فلنرفع ذكره بالعمل بشريعته وبالتراحم والمودة والصفاء والنقاء ، ولتضع هذه الحروب أوزارها : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ..

اللهم ـ وهذه الذكرى تظلنا ـ اجمع شمل هذه الأمة ..

واشدد على قلوب عصبة من أوليائك

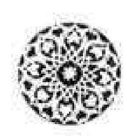
تجتمع بهم وعليهم الكلمة ، فقد غفلت الأمة عن أمرك .. فوقعوا فيما لا ملجأ ولا منجى منه إلا بك وإليك ..

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .. وحسبنا الله ونعم الوكيل ..

وصلى اللهم وسلم على صاحب الذكرى ..

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)



فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر

يعلن براءة الإسلام من الاحتفال بوفاء النيل

ومسابقـــات ملكات الجمـــال

كان للامم الغابرة عادات يرونها وحسب معتقداتهم من لوازمهم ولقد جرت بعض قبائل العرب فى الجاهلية على واد البنات إما للفقر او خشية عارهن وجاء الإسلام وقال لهم القرآن ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ ، فخشعت قلوبهم لما نزل من الحق ورفع القرآن مكانتها ، إما زوجا وبنتا واختا وكشف عن واقعها فى الحياة فى نطاق النظام العام الإسلامى ولم يكن العرب وحدهم هم الذين يئدون بناتهم بل شاركهم فى ذلك المصريون القدماء فقد روى التاريخ أن المصريين كانوا يحتفلون بيوم وفاء النيل فى شهر توت أو مسرى كل عام وقد كان هذا الحفل ينتهى بإلقاء عروس فى النيل أى فتاة من بنى الإنسان يلقون بها فى النهر وقت فيضانه ، فى أمواجه الهادرة عقيدة منهم أن النهر يرض عنهم إذا زوجوه تلك العروس فيفيض دائما ولا يغيض !!

ولما دخلت مصر فى الإسلام وارتفع فى سمائها نداؤه ودعاؤه وعلمت أن الله وحده هو واهب النيل إلى مصر وهو سبحانه الذى فجر هذا النهر حتى فاضت جنباته عيونا من الأرض وأنهارا من السماء أوقف حاكم مصر المسلم وأد البنات فيها وأجرى فيها حكم الله وتلا عليهم قوله تعالى ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ وأعلمهم بأن الله سبحانه هو صاحب النعمة ، نعمة هذا النهر الجارى بإذنه وامره فى شق الفيافى القفار واجتاز بلادا وحدودا ليروى كنانة الله فى أرضه مصر ويهبها الحياة واستبدل عروسهم التى يئدونها فى النيل بكلمة الله القاها فى مياهه التى فاضت وقال : أيها النيل إن كنت تجرى باسم الله ومن الله فإن الله مجريك وإن كنت تجرى بهذه العروس فلا تجر ، لأن الله مرسل الرياح ومجرى السحاب قال جل شأنه : ﴿ وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنْهَارًا ﴾ وقال ايضاً ﴿ وَاللهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ .

فهل يجوز بعد أن مضى على واد هذه العادة المصرية الجاهلية قرابة أربعة عشر قرنا من الزمان أن نعود إليها ونخالف حكم الله فما اثير عن مسابقات ملكات الجمال وعودة الاحتفالات بوفاء النيل .. إنها لإهانة للأنثى التى كرمها الله وحرم لمسها لغير محارمها أو زوجها ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ أيها المسئولون عن هذه الأشياء أقول لكم إن مصر لا تروج فيها ، هذه المهرجانات ولا ينبغى أن تقام فيها أيها المسئولون جميعا أوجه الرجاء والنداء ، أوقفوا هذه المهازل وهذه المهرجانات الفاسدة والله يهدى إلى الحق وإلى صراط مستقيم . إن الأزهر يعلن براءة الإسلام من هذه الآثام .



سوء الظن ينافى كمال الإيمان

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الطير

قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ الآية ١٢ من سورة الحجرات

البيان

بعد أن بين الله تعالى فى الآية السابقة تحريم السخرية والهمز واللمز والتنابز بالألقاب جاء بهذه الآية استكمالاً لحقوق الإنسان المسلم وواجباته .

وقد اشتملت هذه الآية على تحريم سوء الظن بالناس والتجسس عليهم ، وحديث السوء عنهم فى غيبتهم ، وفيما يلى تفصيل ذلك .

اجتناب سوء الظن

جاء فى الصحيحين - واللفظ للبخارى - عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تنابزوا وكونوا عباد الله إخواناً » .

والظن فى الآية وفى الحديث هو التهمة .

قال القرطبى : ومحل التحذير هو تهمة لا سبب يوجبها ، كمن يتهم بالفاحشة او بشرب الخمر مثلاً ، ولم يظهر عليه ما يقتضى ذلك ، ودليل كون الظن هنا بمعنى التهمة قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ وذلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء ويريد أن يتجسس خبر ذلك ويبحث عنه ويتبصر ويستمع ما وقع له من تلك التهمة فنهى الله والنبى ﷺ عن ذلك .

وعقب ذلك بقوله : وإن شئت قلت : والذى يميز الظنون التى يجب اجتنابها عما سواها أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح ، وأونست منه الأمانة فى الظاهر ، فظن الفساد به والخيانة محرم ، بخلاف من أشتهر عند الناس بتعاطى الريب والمجاهرة بالخبائث ، روى عن النبى ﷺ انه قال : « إن الله حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء » . .

وعقب القرطبى ذلك بما نقله عن الحسن البصرى ، وهو قوله : كنا فى زمن الظن بالناس فيه حرام ، وأنت اليوم فى زمن : اعمل واسكت وظن فى الناس ما شئت ـ هكذا نقله القرطبى عنه مطلقا من غير قيد ظهور الأمارات التى تدعو إلى سوء الظن بالناس ، ولكن الآية والحديث أطلقا النهى عن ظن السوء بالناس فى كل زمان ، فيجب حمل النهى على سوء الظن .. بدون أمارة تقتضيه فى كل زمان . صيانة لأعراض الناس ، وتأمينا لهم من سوء السمعة بدون مقتض ، وسواء اكان ذلك فى عصر النبى ﷺ أو فى أى عصر بعده .

وعلى هذا ينبغى للحاكم أن يتجسس عند ظهور بوادر تقتضى سوء الظن ، أو عند الخوف من تقصير عماله فى مصالح الأمة ، وهكذا كان يفعل عمر بن الخطاب .

قال عمر بن طلحة الوزير فى كتابه ـ العقد الفريد للملك السعيد ـ وأما أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فإنه بذل جهده فى تسديد الأمور ، وسد الثغور وسياسة الجمهور ، واعتمد بعد الله تعالى على يقظته التى فيها شفاء لما فى الصدور ، حتى قيل إن علمه بمن نأى من عماله ورعيته كعلمه بمن بات معه على مهاده ، فلم يكن له فى قطر من الاقطار ، ولا مصر من الامصار ولا ناحية من النواحى وال ولا عامل ولا أمير ، إلا وله عليه عين لا يفارقه ، فكانت أخبار الجهات كلها عنده كل صباح ومساء ، حتى أن العامل كان يتوهم فى أقرب الخلق إليه وأخصهم به أنه عين عليه ، وهكذا كان يفعل أزدشير بن بابك من ملوك الأعاجم قبل الإسلام ، انتهى بتصرف يسير .

سبب نزول الآية

قيل إنها نزلت فى رجلين من أصحاب النبى ﷺ ، اغتابا رفيقهما وأساءا الظن بغيره بدون مقتض ، وذلك أن النبى ﷺ ، كان إذا سافر ضم الرجل المحتاج إلى الرجلين الموسرين فيخدمهما ، فضم سلمان إلى رجلين ، فتقدم سلمان إلى المكان الذى نزلوا فيه ، فغلبته عيناه ، فنام ولم يهيىء لهما شيئاً ، فجاءافلم يجدا طعاماً وإداما[1] فقالا له : انطلق فاطلب لنا من النبى ﷺ طعاماً وإداما ، فذهب فقال النبى ﷺ : اذهب إلى أسامة بن زيد فقل له : « إن كان عنده فضل طعام فليعطك !! وكان أسامة خازن النبى ﷺ فذهب إليه فقال أسامة : ما عندى شىء ، فرجع إليهما فأخبرهما ، فقالا : قد كان عنده ولكنه بخل ، ثم بعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئاً ، فقالا : لو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة لغار ماؤها[2] ، ثم انطلقا يتجسسان . هل عند أسامة شىء ، فرآهما النبى ﷺ فقال : « مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما » ؟ فقالا : والله يانبى الله ما أكلنا فى يومنا هذا لحما ولا غيره ، فقال « ولكنكما ظلْتُما تأكلان لحم سلمان وأسامة » فنزلت : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ الآية ذكره الثعلبى .

---

١ ـ الإدام ما يؤكل مع الطعام من لحم وسواه .

٢ ـ أى كثيرة الماء .

الظن الواجب والظن الحرام

للظن ثلاث حالات .

« إحداها » : فى الأحكام الشرعية بدليل ظنى يقوى جانباً على الآخر .

« وثانيتها » : تجويز الشيء من غير دليل يقتضى ترجيح أحد الطرفين على الآخر ، وهذا هو الشك .

« والحالة الثالثة » : الظن فى الناس مع وجود أمارة تقتضيه ، فالظن فى الحالة الأولى مشروع وواجب العمل به ، كالظن المبنى على القياس فى الأحكام الشرعية ، وعلى خبر الواحد الصادق العدل ، وغير ذلك .

أما الظن من غير دليل ـ وهو المعبر عنه بالشك ـ فلا يصح بناء حكم عليه ، وهذا هو مجرى النهى فى الآية والحديث ، فهو الذى قال الله فيه « إن بعض الظن إثم » ، وهو شامل لكل أنواع الشك ، ومنها ما ذكر فى أسباب النزول .

«وأما الظن فى الحالة الثالثة » فهو جائز لقيام الأمارة عليه .

التجسس

التجسس هو البحث فى خفية عمّا يكتم عنك ، ومنه قيل رجل جاسوس إذا كان يبحث عن الأمور الخفية ، والمقصود من النهى عنه فى الآية أن يأخذوا ماظهر من الناس ، ولا يتتبعوا عورات المسلمين ، فلا يبحث المسلم عن عيب أخيه ليطلع عليه بعد أن ستره الله . روى أبو داود بسنده عن معاوية قال « سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم »[٣] فقال أبو الدرداء : كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ نفعه الله بها .

وعن أبى برزة الأسلمى قال قال رسول الله ﷺ « يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإن من اتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه فى بيته »[٤] .

وعن زيد بن وهب قال : أتى ابن مسعود فقيل له : هذا فلان تقطر لحيته خمراً ، فقال عبد الله : إنا قد نهينا عن التجسس ، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به[٥] .

وقال عبد الرحمن بن عوف : حرست ليلة مع عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بالمدينة ، إذ تبين لنا سراج فى بيت بابُه مجافٍ على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط ، فقال عمر : هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف ، وهم الآن شُرُبٌ فما ترى ؟ قلت أرى أنا قد أتينا مانهى الله عنه ، قال تعالى : « ولا تجسسوا » وقد تجسسنا ، فانصرف عمر وتركهم .

وقال أبو قلابة : حُدِّث عمر بن الخطاب أن أبا محجن الثقفى يشرب الخمر مع أصحاب له فى بيته ، فانطلق عمر حتى دخل عليه ،

←

(٣) سنن أبى داود - كتاب الأدب ، باب فى النهى عن التجسس ، ٥/١٩٩ رقم ٤٨٨٨ .
(٤) سنن أبى داود الكتاب السابق ، باب فى الغيبة ٥/١٩٤ رقم ٤٨٨٠ .
(٥) سنن أبى داود : الكتاب السابق ، باب فى النهى عن التجسس ٥/٢٠٠ رقم ٤٨٩٠ .

فإذا ليس عنده إلا رجل ، فقال أبو محجن : إن هذا لايحل لك ، قد نهاك الله عن التجسس ، فخرج عمر وتركه .

« ولا يغتب بعضكم بعضا »

الغيبة أن تذكر الرجل فى غيبته بما فيه من المكاره ، فإن ذكرته بما ليس فيه فهو البهتان ، ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « أتدرون ما الغيبة » ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : « ذكرك أخاك بما يكره » قيل أفرأيت إن كان فى أخى ما اقول قال « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته » .

وعرفها بعضهم بأنها ذكر العيب بظهر الغيب .

وقال الحسن الغيبة ثلاثة أوجه كلها فى كتاب الله ، الغيبة والإفك والبهتان .

فأما الغيبة فهى أن تقول فى أخيك ما هو فيه ، وأما الإفك فأن تقول فيه مابلغك عنه .

وأما البهتان فأن تقول فيه ماليس فيه ، وهذه التعاريف متقاربة متحدة المعنى .

وروى أبو هريرة أن الأسلمى ماعزا جاء إلى النبى ﷺ ، فشهد على نفسه بالزنى ، فرجمه رسول الله ﷺ ، فسمع نبى الله ﷺ رجلين من أصحابه يقول أحدهما للآخر : انظر إلى هذا ستر الله عليه ، فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب ، فسكت عنهما ثم سار ساعة ، حتى مرّ بجيفة حمار شائل برجله فقال « أين فلان وفلان » ؟ فقالا : نحن ذا يارسول الله ، قال « انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار » فقالا : يانبى الله ، ومن يأكل من هذا ؟ قال إنما نلتما من عرض أخيكما أشد من الأكل منه ، والذى نفسى بيده إنه الآن لفى أنهار الجنة ينغمس فيها »[٦] .

« أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه »

هذه الجملة تشير إلى أن غيبة المؤمن تشبه أكل لحمه ميتا ، واستعمال أكل اللحم مكان الغيبة مألوف فى كلام العرب ، قال شاعر منهم :

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم
وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا

وقد مثل الله الغيبة فى الآية بأكل الميتة ، لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه ، كما أن الحىَّ لا يعلم بغيبة من اغتابه .

وقال ابن عباس : إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة ، لأن أكل لحم الميت حرام متقذر ، وكذا الغيبة حرام فى الدين وقبيحة فى النفوس ..

وقال ﷺ « ما صام من ظل يأكل لحوم الناس »[٧].

---

(٦) الحديث أخرجه عبد الرزاق ، والبخارى فى الأدب ، وأبو يعلى ، وابن المنذر ، والبيهقى فى شعب الإيمان بسند صحيح : عن أبى هريرة . الدر المنثور للسيوطى ٦/٩٥ ، ٩٦ .

(٧) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه ـ كتاب الصيام ـ باب ما يؤمر به الصائم من قلة الكلام وتوقى الكذب جـ٣/٤ طبعة الهند : عن أنس . وعزاه الزيلعى فى نصب جـ٤/٤٨٢ إلى ابن أبى شيبة فى مسنده ، وإسحاق بن راهويه ، وهو ضعيف لضعف يزيد بن أبان الرقاشى ـ أحد رواه السند ـ انظر الميزان ٤/٤١٨ رقم ٩٦٦٩ . وانظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للألبانى رقم ٤٤٥١ .

وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إياكم وذكر الناس فإنه داء ، وعليكم بذكر الله فإنه شفاء ، وسمع على بن الحسين - رضى الله عنهما - رجلا يغتاب آخر فقال : إياك والغيبة فإنها إدام كلاب الناس - والإدام مايؤكل مع الطعام كاللحم أو العسل مع الخبز .

والغيبة تكون فى الدين والأخلاق والخلقة والحسب والنسب ، ولا خلاف بين العلماء فى أنها من الكبائر ، وأن من اغتاب أحدا فعليه أن يتوب إلى الله .

كيف تكون التوبة من الغيبة ؟

اختلف العلماء فى وجوب الاستحلال منها بطلب العفو ممن اغتابه .

فقال جماعة : ليس عليه استحلاله ، فهى خطيئة بينه وبين ربه يكفي فيها الاستغفار ، فإنه لم يأخذ من ماله شيئاً ، ولا أصاب بدنه بشىء ، فليس ذلك بمظلمة منه ، وإنما المظلمة ما يكون منه البدل والعوض فى المال والبدن .

وقالت فرقة : هى مظلمة ، وكفارتها الاستغفار لمن اغتابه إلى جانب الاستغفار لنفسه ، كأن يقول : اللهم اغفر لى ولفلان ، واحتجوا بما روى عن الحسن قال : كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته .

وقال آخرون : هى مظلمة وعليه الاستحلال منها ، واحتجوا بقول النبي ﷺ « من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء فليتحلَّله منه اليوم قبل أن لا يكون له دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » أخرجه البخاري في صحيحه عن أبى هريرة .

وأما من قال : إنها مظلمة وكفارة المظلمة أن يستغفر لصاحبها فقد ناقض نفسه ، فإن مقتضى كونها مظلمة أن لا تزول إلا بإحلال المظلوم له ، وأما قول الحسن فليس بحجة .

وفى الموضوع كلام كثير ، وحسب القارىء ما تقدم .

من لا غيبة لهم

لا تحرم غيبة الفاسق المجاهر بفسقه ، فمن نزع جلباب الحياء فلا غيبة له ، قال ﷺ « اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس » .

وروى عن الحسن أنه قال : ثلاثة ليست لهم حرمة : صاحب الهوى ، والفاسق المعلن ، والإمام الجائر ؛ والمقصود بصاحب الهوى صاحب البدع .

وكذلك ليس من الغيبة قولك للقاضى تستعين به على أخذ حقك ممن ظلمك - قولك له - فلان ظلمنى أو ضربنى أو خاننى أو نحو ذلك ، قال ﷺ « لصاحب الحق مقال »(8) وقال : « مَطْل الغنى ظلم »(9) وقال : « لَىّ

(٨) حديث « فإن لصاحب الحق مقالاً » متفق عليه . أخرجه البخارى فى كتاب الوكالة ، باب الوكالة فى قضاء الدين ج ٣/١٣٠ ط الشعب ، وانظر كتاب الاستقراض ، باب أداء الديون ج ٣/١٥٣ . وأخرجه مسلم فى كتاب المساقاة ، باب من استسلف شيئاًفقضى خيراً منه - إلخ ج ٣/١٢٢٥ رقم ١٢٠ ط الحلبي ، وهو من رواية أبى هريرة .

(٩) متفق عليه . البخارى ، كتاب الحولات ، باب إذا أحال على ملى فليس له رد ٣/١٢٣ ، وباب لصاحب الحق مقال ص ١٥٥ ، ومسلم : كتاب المساقاة ، باب تحريم مطل الغنى ج ٣/١١٩٧ رقم ٣٣ .

الواجد يحل عرضه وعقوبته »[١٠] أى مَطْل الغنى يحل عرضه وعقوبته .

ومما لا غيبة فيه الاستفتاء ، كقول هند للنبي ﷺ عن زوجها أبى سفيان : إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني أنا وولدى ، افآخذ من غير علمه فقال : « فخذى منه بالمعروف »[١١] فذكرت زوجها بالشح والظلم لها ولولدها ، ولم يرها النبى ﷺ مغتابة ، فلذلك لم يلمها على ما قالته في أبى سفيان وأفتاها .

وممن لا غيبة لهم من كان فى ذكره بالسوء نصيحة وتحذير ، كقوله ﷺ لفاطمة بنت قيس ـ وقد استفتته فى معاوية وأبى جهم بأيهما تتزوج وقد خطبها كل منهما ـ « أما معاوية فصعلوك لا مال له ، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه »[١٢] .

وقد أجمل بعض العلماء ذلك فى قوله :

لِستٌ غيبـةٌ كَرِّره وخـذهـا ... منظمـةٌ كـأمثـال الجـواهـر

تظلَّم واستِعنْ واستفت حَذِّره ... وعرِّفْ واذكرنْ فسق المجاهر

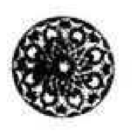
« فكرهتمـوه »

قيل فى معناه فكرهتم أكل الميتة ، فكذلك فاكرهوا غيبة الناس ، وقيل فكرهتم أن يغتابكم الناس فاكرهوا غيبة الناس .

وقال الفراء : فقد كرهتموه فلا تفعلوها وهو قريب من المعنى الأول ، وقيل لفظه خبر ومعناه أمر ، أى فاكرهوا أن تغتابوا الناس .

« واتقوا الله ان الله تواب رحيم »

أى وخافوا الله بترك الغيبة إن الله تواب رحيم يقبل التوبة من التائبين عن الغيبة وغيرها والله تعالى أعلم ..



(١٠) أخرجه البخارى تعليقا ـ كتاب الاستقراض ، باب مطل الغنى ظلم ج ٣/١٥٥ ط الشعب .
قال ابن حجر فى الفتح ٥/٦٢ ط / السلفية : وصله أحمد وإسحاق فى مسنديهما ، وأبو داود والنسائى من حديث عمرو بن الشريد بن أوس الثقفى عن أبيه بلفظه وإسناده حسن .
(١١) البخارى : البيوع ٣/١٠٣ ـ ط / الشعب .
(١٢) صحيح مسلم : كتاب الطلاق ، باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها ج ٢ /١١١٤ رقم ٣٦ .



حوار إبراهيم مع أبيه حول آلهته

لفضيلة الدكتور
محمد محمد خليفة

قال تعالى يقص ذلك الحوار :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيًّا. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً . يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيًّا . يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا . يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا . قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَاإِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا . قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا . وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا . فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا . وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ **مريم من ٤١ إلى ٥٠ والآيات مكية .**

وفى هذه الآيات يذكر الله قصة إبراهيم عليه السلام وحواره مع أبيه حول ما يعبد أبوه آزر وهذه القصة معطوفة على قصة عيسى وزكريا .

وذكر القصص وما فيها من إخبار بالغيب الذى لم يكن للعرب علم بتفصيله من معجزات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو الأمى الذى يعيش بين قوم لم يشتغلوا بالعلم ، ولم يطلعوا على كتب تاريخية تحمل أخبار الماضين وأخبار الرسل الذين أرسلوا إلى أقوامهم ،

←

حوار إبراهيم مع أبيه

ومواقف أقوامهم منهم ومن دعوتهم التى جاءوا بها ، والآثار التى ترتبت على تكذيب أولئك الرسل ، والسبب فى ذكر قصة إبراهيم عليه السلام فى القرآن العربى المنزل على الرسول العربى ، أن إبراهيم أبو العرب العدنانيين ، وهم يقرون بفضله وشرفه ، وعلو شأنه فعلى معاصرى محمد الا يرغبوا عن ملة أبيهم الأكبر إبراهيم .

فإن كانوا يقلدون آباءهم ويقولون : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون فليعلموا أن أشرف آبائهم وأعلاهم والأحرى بأن يقلد هو إبراهيم وقد ترك عبادة الأوثان ، وهذا جدال إبراهيم مع أبيه حول تلك الأوثان وعبادتها فليصيخوا وليؤمنوا بالله الذى آمن به أبوهم إبراهيم .

وإن كانوا لا يقلدون وإنما يحتكمون إلى العقول فلينظروا كما نظر إبراهيم فى الكواكب والقمر والشمس وفى كل ما يحمل الكون من دلائل تشير إلى الله الواحد الخليق بالعبادة ليصلوا من وراء النظر والتأمل والتفكر إلى الإيمان كما آمن إبراهيم .

وقد وصفه الله بوصفين فى أول آية : ﴿وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً﴾ فوصفه بالصديقية والنبوة فى هذه الآية .

والصديق : بتشديد الصاد المكسورة والدال المشددة المكسورة كذلك وهذه صيغة مبالغة من الصدق ، وهى تنبىء عن كثرة ما صدق من الغيوب من آيات الله وكتبه ورسله اى أن إبراهيم عليه السلام كان مصدقا بجميع الأنبياء وكتبهم .

وقد جمع إبراهيم بين خصائص الصديقين من حيث التصديق بالغيوب التى بيناها وخصائص الأنبياء وقوله : إنه كان صديقاً نبياً استئناف سيق لتعليل ما يستوجب ذكره اى أن الذى استوجب ذكر قصة إبراهيم انه كان صديقاً نبياً ، وجملة إنه كان صديقاً نبياً ، وقعت اعتراضا بين إبراهيم المبدل منه وبين : إذ قال : البدل ، وهذا الاعتراض يقرر ما قبله : وهو ذكر القصة وكان إبراهيم رقيقا ليناً فى حواره مع أبيه وهو يدعوه إلى الله .

وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ انه قال : أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام : إنك خليلى ، حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار فإن كلمتى سبقت لمن حسن خلقه أظله تحت عرشى ، وأسكنه حظيرة القدس وأدنيه من جوارى وإلى جانب أن إبراهيم كان صديقاً ، وبَيِّنًا شيئاً من صديقيته كان نبياً ، وللنبوة مكانة عند الله ، وحسبنا أن ندرك أن النبى أو الرسول واسطة بين الله والناس حيث يبلغ الناس ما أوحى إليه من ربه ويدعوهم إلى عبادة الواحد الأحد فهو بهذا يعد واسطة بين الله والبشر كل البشر أو بعض البشر .

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ﴾ اى اذكر إبراهيم حين بدأ حواره مع أبيه : ياأبت « والتاء فى ياأبت » عوض عن ياء الإضافة ولا يقال : ياأبتى فيجمع بين العوض والمعوض عنه وقيل أن يرسل ابراهيم عليه السلام هذا النداء نظر إلى أن عبادة عقلاء البشر يجب أن تكون لمن أنعم على الناس بالخلق والرزق ولمن لا تنام عطاياه عن كل ما خلق من إنسان أو حيوان أو طير ، فإذا عبد الإنسان من لا يستحق

العبادة كالكواكب أو القمر أو الشمس أو الصنم أو الوثن أو غير ذلك مما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر فقد ظلم عقله وكفر بمن خلقه ورزقه .

وبعد هذه النظرات والتأملات التى قادت إبراهيم إلى الإيمان برب الوجود والإيمان بوجوب دعوة الناس إلى عبادته نادى أباه وهو أولى الناس بأن ينقذه ابنه إبراهيم من الضلال المتردى فيه ، لهذا نادى فى أبيه أبوته حين قال : ياأبت ليشعره بإشفاقه وخوفه عليه من الوثنية التى ورطه فيها ضلاله .

وبعد هذا النداء لم يقرع أباه ، ولم يشتمه على اتخاذه أربابا من الحجارة يعبدها ولكنه تلطف ورق وسأله : لم تعبد ما لايسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً .

وهكذا وصف الأوثان التى يعبدها آزر بصفات كل واحدة منها تكفى لتحطيم اعتقاد آزر فيها !

الأولى : أن ذلك الوثن لا يسمع إذا ناديته أو أثنيت عليه ، أو تضرعت إليه .

الثانية : أنه لا يبصر خضوع من يخضع وخشوع من يخشع بين يديه لأنه لا يحس ولا يدرك .

الثالثة : أنه لا يغنى عنك شيئاً من الغناء أو النفع فى جلب منفعة أو دفع مضرة .

وهكذا فى أدب جميل وصف الإله الذى يعبده أبوه ، فهذا الإله الذى لا يسمع ولا يبصر ولا يفرق بين المطيع والعاصى كيف يعبد ، والإنسان بما وهب من سمع وبصر وعقل وإدراك كيف يعبد الإله الوثن الذى لا يملك شيئاً من ذلك ، وكيف يكون العابد أعظم نفعاً من المعبود الجماد وكأنه يريد أن يصل من وراء هذا إلى أن الإله الخليق بالعبادة هو الذى يسمع ويبصر ويعلم ، ويجيب نداء المضطر إذا دعاه .

وبهذا بين إبراهيم عليه السلام لأبيه : إن تلك الأرباب التى يعبدها لا منفعة فيها لعابديها إذا هم أطاعوها ، ولا مضرة تحل بهم إذا عصوها ، ولهذا لا يستحل عبادتها عاقل وهبه الله العقل الذى يميز به بين من يستحق العبادة ومن لا يستحقها .

ثم تلطف ثانيا فى دعوة أبيه إلى الحق وأرسل نداءه : ياأبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك ، ولم يشمخ إبراهيم فيصف نفسه بالإحاطة بكل العلوم ، ولكنه صور نفسه بالرفيق الذى له خبرة بالدروب والمسالك ليطلب من أبيه اتباعه حتى لا يتوه بين الشعاب المتضاربة فى هذا الوجود .

وإنه وهو يدرك الطريق المستقيم الموصل خليق بأن يتبعه من لا يدرك ذلك الطريق الموصل إلى الحقيقة .

وقد أخبر إبراهيم أباه أنه قد جاءه شىء من العلم ، ولم يأت ذلك الجانب من العلم أباه وذلك العلم الذى جاء إبراهيم هو علم الاستدلال على طريق الحق ، وإن معرفته له تجعله كالهادى وكالدليل فى مفاوز الحياة .

ثم ساق الأمر الإرشادى إلى أبيه فقال « فاتبعنى » انجك و« أهدك صراطاً سوياً » ، ثم بين له أن عبادته للأصنام كأنها عبادة للشيطان ، لأن الشيطان هو الذى سول للإنسان وأغراه بعبادتها ، فكأن الإنسان حين يعبدها يعبد الشيطان المغرى بها ولذلك نادى إبراهيم أباه ، وكرر نداء الأبوة

حوار إبراهيم مع أبيه

ليستعطفه وينصحه . وخليق بالابن إذا رأى اباه على مشارف الهاوية يوشك أن يتردى فيها أن يحذره .

وكان النداء الثالث : ياأبت لينهاه عن عبادة الشيطان « لا تعبد الشيطان » لأن الشيطان عاص لله « إن الشيطان كان للرحمن عصيا » تعليل لما استوجب نهيه عن عبادة الشيطان وكم أنعم الله على ذلك الشيطان بالكثير من النعم ، ومن بينها نعمة البقاء فى الدنيا ، ولكنه عصى أمر الله فلم يسجد لآدم كما أمره الله فهو عدو أبيك آدم وعدو الجنس البشرى كله وقد سأل الله أن ينظره إلى يوم القيامة فأنظره إلى يوم الوقت المعلوم .

وقد أقسم الشيطان : ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ .

وهذا الشيطان الذى آلى على نفسه أن يضل الإنسان وأعلن له عداوته خليق بأبناء آدم ألا يعبدوه ، بل خليق بهم أن يحذروا غوايته .

ثم ناداه للمرة الرابعة متوسلاً مستعطفا ليخوفه ما يجره عليه اتباع الشيطان وعبادته من سوء العاقبة فقال : « ياأبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا » وقد أعلن إبراهيم لأبيه خوفه عليه ليتذكر الأب أن الدافع لموقف إبراهيم فى ذلك الحوار إنما هو خوف الابن البار على أبيه ، ولم يعبر بالعذاب أو بالعقاب فيقول له : إنى أخاف أن تعذب أو تعاقب ولكنه قال : « أن يمسك » وفى التعبير بالمس حسن الأدب مع أبيه الضال أملا فى أن ينأى به عن وثنيته وقد نكر العذاب فى قوله : عذاب ، للتفخيم أما ولاية الشيطان فى قوله : فتكون للشيطان وليا ، فإما أن يكون المراد :

١ ـ أنه إذا استوجب العذاب فى النار كان مع الشيطان وولايته له هى السبب فى تلك المعية وقد بين الله ذلك فى آية أخرى فى قوله : ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا .

٢ ـ أن الله يخذله فى الآخرة فيصبح موالياً للشيطان ، ويكون فى خسار بسبب تلك الولاية .

وهكذا نادى إبراهيم أباه أربعة نداءات متوالية لشدة حبه له ورغبته فى إبعاده عن الأسباب التى تدفعه فى الآخرة إلى عذاب الله ، وقد أعلن فى آخر نداء خوفه على أبيه من ان يمسه عذاب .

وقد التزم إبراهيم عليه السلام فى حواره مع ابيه جانب الحكمة حين دعاه إلى عبادة الله ، ونبذ الأوثان ، وساق الأدلة لعله يقنع اباه ويشده من مخالب الضلال التى نشبت فيه .

وقد تجلى إصرار آزر الذي لم ينفع فيه وعظ ولم يقنعه دليل فيما قال :

« قال اراغب انت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا » .

وهكذا في جب وإنكار سأل آزر ابنه إبراهيم : اراغب انت عن آلهتى يا إبراهيم ، وقدم الخبر اراغب على المبتدأ ، وهذه الآلهة في نظر آزر خليقة بأن تعبد ، وخليقة بألا يرغب أحد أو ينصرف أو يعرض عن عبادتها ، وبهذا الأسلوب ، رد آزر ليعلن

إصراره على رأيه فى ألوهية الأوثان دون حجة يسوقها لمحاولة إقناع إبراهيم اللهم إلا إقراره بأنها آلهته التى قلد آباءه في عبادتها .

وعجيب من آزر أن ينادى إبراهيم باسمه ولا يناديه بالنبوة فيقول : يابنى كما ناداه إبراهيم أكثر من مرة بقوله : يا أبت ، وكأن غيظه من إبراهيم لرميه آلهته بأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى هو الذى حداه إلى التصريح باسمه وبعد هذا الاستفهام التعجبي الإنكارى قابل آزر إشفاق إبراهيم وخوفه عليه ووعظه ورقته بالعنف والتهديد والزجر بل السفاهة في قوله الذي حكاه القرآن : لئن لم تنته « لأرجمنك واهجرنى مليا » .

لقد زجره آزر وأقسم إن لم يقلع إبراهيم عن دعوته لعبادة آله واحد ، وعن نهيه عن عبادة أربابه التى يعبدها وعن النيل منها فليس عنده لإبراهيم غير أمرين : الرجم ، وإبعاد إبراهيم عنه ، أما الرجم ، فأصله الرمى بالرجام وهى الحجارة ، واختلفت الأقوال في تفسير الرجم فقيل :

١ ـ الرجم باللسان كالشتم ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ بالشتم ، ومنه : الشيطان الرجيم : المرمى باللعن وقيل : كل ما ورد فى القرآن من الرجم هو بمعنى الشتم .

٢ ـ الرجم باليد ، وذلك بأن اظهر أمرك للناس ليرجموك أو أرجمنك أنا بالحجارة .

٣ ـ وقيل يراد بالرجم : القتل من رجم الزانى ، ولكن لو أريد القتل لما عطف عليه آزر قوله : (واهجرنى مليا) .

٤ ـ وقد يراد بالرجم : الطرد ، وقد يدل على أنه الطرد قوله بعد ذلك : « واهجرنى مليا » وأما الهجر فقد يراد به :

١ ـ الهجر بالقول بمعنى أنه يطلب من إبراهيم الا يخاطبه فى أمر ما يعتقد .

٢ ـ الهجر بالافتراق عنه بحيث لا تضمهما دار أو بلد حتى لا يراه ولا تقع عيناه عليه .

والمليّ بتشديد الياء : المدة البعيدة أو الذهاب والهجر ، أى اهجرنى زمنا بعيداً ، أو اذهب عنى واهجرنى .

وقوله : اهجرنى ، معطوف على محذوف تقديره : فاحذرنى واهجرنى حتى لا أرجمك وفي هذا تهديد وتقريع .

(قال سلام عليك) استئناف وقع جواباً لسؤال مقدر ، كأنه قيل : فماذا قال له إبراهيم وكان الجواب : قال سلام عليك ، أى أسلم عليك سلام وداع وترك بمعنى أن رد إبراهيم كذلك يحمل الملاطفة حيث قابل التهديد والتقريع بالسلام الذي يعلن به أنه لا يشافهه بما يؤذيه بعد ذلك ، وهذا الموقف يحمل معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلَاماً ﴾ وهكذا قابل السيئة بالحسنة .

ويجوز أن يكون المعنى الذي يريده فى قوله : سلام عليك ، أن يدعو لأبيه بالسلامة وهو يلاينه بهذا أملاً في الإقلاع عن عبادة الأوثان ، وقد يؤيد هذا قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً ﴾ .

وقول إبراهيم : « سأستغفر لك ربي » يدل

حوار إبراهيم مع أبيه

على أنه على الرغم من تهديد آزر له بالرجم والطرد والإبعاد فإنه لم يزل الابن البار المشفق على الأب الساخط.

وقد كان آزر كافراً فهل يجوز الاستغفار للكافر، لعل شرع إبراهيم أباح الاستغفار للكافر، وضلال آزر يحكيه القرآن عن إبراهيم وهو يدعو ربه فيقول: ﴿ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾..

وقيل: إنه لم يستغفر له إلا لأنه وعده أن يؤمن فيما حكاه القرآن في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾.

وقيل: إن الواعد إبراهيم فلم يقل: واغفر لأبي إلا أنه وعده من قبل أن يستغفر له.

وذلك ما حكاه القرآن في قوله: ﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾.

أومعنى: «سأستغفر لك ربى»: أدعو الله أن يوفقك للتوبة، وأن يهديك إلى الإيمان، وطلب التوبة والهداية للكافر قبل الموت ليس محظورا.

وقد قيل: إن استغفار إبراهيم لأبيه كان قبل أن ينقطع رجاؤه في إيمانه، فلما تبين له أنه لا أمل في إيمانه وتبينت له عداوته لله تبرأ منه.

وقيل: إن استغفاره كان قبل ورود النهى عن الاستغفار للكافر.

وقيل: إن المنع من الاستغفار إنما يكون بعد أن يعرفوا أنهم من أصحاب الجحيم، فإذا عرفوا ذلك، فليس لهم أن يستغفروا للمشركين وذلك ما تنص عليه الآية: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾.

فحين يئس إبراهيم من إيمان أبيه وعلم إصراره على الكفر وأنهم من أصحاب الجحيم أعلن براءته منه.

وقد أخبر إبراهيم بعد أن قال: سأستغفرلك ربي، أن الله حفي به وذلك فيما حكاه القرآن: ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ والحفى: البليغ في الرد والإلطاف وهو استئناف يقع جواباً لسؤال مقدر وهو تعليل لمضمون ما قبله وهو طلب الاستغفار، والمعنى: إن إبراهيم سيستغفر ربه لأبيه، لأن الله حفي بإبراهيم وللطف الله بإبراهيم ورفقه وكثرة إنعامه عليه سيستغفره له.

كل ذلك دعاه إلى طلب الاستغفار لأبيه إن تاب عن كفره لعله يغفر له.

وقد أخبر إبراهيم أباه أنه قرر البعد عنهم استجابة لرغبة آزر حيث طلب منه أن يهجره زمناً بعيداً، وحكى الله ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾.

وفي التعبير بصيغة الجمع: (وأعتزلكم) ما يدل على أن إبراهيم لا يريد البعد عن أبيه الذي هدده فحسب ولكنه سيعتزل كذلك قومه لأنهم يشاركون أباه في عبادة تلك الآلهة ولذلك أعلن أنه سيبعد كذلك عن آلهتهم التى يعبدونها لأنها سبب خلافه مع أبيه وقومه حيث لم ينفع فيهم نصح (وما تدعون) أى

ومـا تعبدون والمـراد بالـدعاء في قـولـه وما تدعون : العبادة بدليل قوله : فلما اعتزلهم وما يعبدون (وأدعو ربى) معطوف على قوله : وأعتزلكم ، (وأدعو ربى) أى أعبد ربى فى مهجرى الجديد بعيداً عنكم .

وقد يراد بالدعاء في قوله : (وأدعو ربى) ما جاء في سورة الشعراء فيما حكاه القرآن :

﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْماً وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الْآخِرِينَ وَاجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لِأَبِى إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾

﴿ عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّى شَقِيّاً ﴾ .

وإن إبراهيم ليرجو ألا يضيع سعيه وألا تذهب عبادته بل يحقق بها رضاء ربه ، وفي ذلك الأسلوب تعريض بأولئك الأشقياء الذين يعبدون الأوثان حيث يخيب مسعاهم وجهدهم عندما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى شيئاً .

وفي التعبير بعسى ما يدل على التواضع والاعتراف بأن الإجابة والثواب إنما هما تفضل من الله ، وليس بإلزام من الله أن يثيب عبده بما يفعل ، وإنما العبرة بالخاتمة التى ينتهى بها العبد إلى ربه وقد قرر إبراهيم الهجرة إلى الشام فراراً بدينه ليعبد الله في المكان النائى ويبعد بما يعبد .

وقد عوض الله إبراهيم عن أبيه وقومه حين اعتزلهم إذ وهبه أبناء آمنوا بدعوته بل اصطفى الله منهم رسلاً وأنبياء قادوا الناس إلى الحق وأخرجوهم من الظلمات إلى النور وكافحوا على اختلاف الأزمان والأجيال الوثنية التى عاش إبراهيم حياته يندد بها لينتشل البشرية من التمرغ في باطلها .

ولكن الأنبياء الذين عوض الله إبراهيم بهم عن أبيه وقومه لم يرزق الله بهم عقب الاعتزال الذي قال الله فيه : ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيّاً ﴾ بل كانت الهبة بأولئك بعد فترة من الاعتزال ، وتلك الهبة التى قال فيها : (وهبنا له اسحاق ويعقوب) .

والمشهور أنه وهب له إسماعيل أولاً وذلك بعد أن ألقى في النار وقال الله لها : ﴿ يَا نَارُ كُونِى بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ وبعد خروجه منها هاجر وقال : ﴿ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ واستجاب الله دعاءه فوهبه إسماعيل وكان الحليم فإسماعيل جاء بعد تلك البشارة من هاجر .

وقد ذكر إسحاق ويعقوب هنا على أنهما هبة الله لإبراهيم ، ولم يذكر إسماعيل ؛ لأن الله جعل هبتهما من أعظم النعم على إبراهيم حيث قابل فراق الأب والأهل بهبة إسحاق ويعقوب ، ومن يعقوب تناسل كل أنبياء بنى اسرائيل (وكلاً جعلنا نبيا) أى كل واحد منهما : إسحاق ويعقوب ، أو كل واحد منهم : إبراهيم وإسحاق ويعقوب جعلنا نبياً (ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا) .

الرحمة : هى النبوة لذكرها بعد أن ذكر وكلاً جعلنا نبيا .

وقيل : الرحمة هى المال والولد وسعه الرزق .

← حوار إبراهيم مع أبيه

وقيل : الرحمة : الخير الديني والدنيوي .

وقيل : الرحمة كثرة الأتباع وطهارة النسل وطيب الذرية وقد كان إبراهيم وأبناؤه مفخرة على الزمن .

(وجعلنا لهم لسان صدق عليا) .

ولسان الصدق : الثناء الحسن الذي أجراه الله على ألسنة من ينتمون إليه وما أكثرهم .

وجعل الله لإبراهيم خير لسان صادق عاش على الزمن استجابة لدعاء إبراهيم : (واجعل لى لسان صدق في الآخرين) ، وأضاف اللسان إلى الصدق ووصفه بالعلو في قوله : (لسان صدق عليا) ليدلل على أن إبراهيم وأبناءه أحقاء بالثناء عليهم لكثرة مكارمهم على اختلاف العصور والدول والمذاهب .

وقد ادعى أهل الأديان جميعاً أنه لهم ومنهم ، وقد جعله الله أبا للمسلمين حيث قال : (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل) .

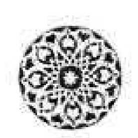
وكان لسان الصدق في الثناء على إبراهيم أن ذكر في التشهد صلاة وبركة في قول كل مسلم عبر تاريخ الإسلام الطويل إلى يوم القيامة فى تسعة تشهدات في اليوم والليلة في الفرائض يضاف إلى ذلك ما يقال في النوافل .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين .

وقد عادى إبراهيم أعداء الله في الله حين قال : فإنهم عدو لى إلا رب العالمين فكيف لا يعادى فى الله أباه ويتبرأ منه .

وحسبه بعد اعتزاله لأبيه وقومه أن يكون خليل الله وما أعظمها من نعمة ..

﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ ....



رجـال القـراءات

عبد الله بن كثير المكى



لفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوه عوض

قال الإمام الأهوازى[1] . فقال : عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروزان بن هرمز. الإمام أبو معبد المكى الدارى . إمام أهل مكة فى القراءة .

اختلف فى كنيته والصحيح ما قدمناه .

وقيل له الدارى لأنه كان عطاراً . والعطار تسمية العرب دارينا - نسبة إلى « دارين » . موضع بالبحرين يجلب منه الطيب .

وقيل لأنه كان من بنى عبد الدار بن هانى بن حبيب بن نمارة من لخم رهط تميم الدارى .

وقيل الدارى الذى لا يبرح فى داره . ولا يطلب معاشاً . قاله الأصمعى .

قال ابن الجزرى : والصحيح الأول لأنه كان من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى فى السفن إلى صنعاء فطردوا الجيش عنها .

مولده ووفاته :

ولد بمكة سنة خمس وأربعين . ولقى بها عبد الله بن الزبير ، وأبا أيوب الأنصارى ، وأنس بن مالك ، ومجاهد بن جبر ، ودرباس مولى عبد الله بن عباس . وروى عنهم .

وأخذ القراءة عرضاً[2] عن عبد الله بن السائب[3] . فيما قطع به الحافظ أبو عمرو الدانى وغيره .

←

(١) جاء فى - النشر فى القراءات العشر ص ٣٥ ، ٨٠ عنه : « الأستاذ أبو على الحسن بن على بن إبراهيم بن يزداذ بن هرمز الأهوازى مؤلف « الوجيز » و « الإيجاز » و « الإيضاح » و « الاتضاح » و « جامع المشهور والشاذ » توفى سنة ست وأربعين وأربعمائة (٤٤٦) هجرية .

(٢) المقصود بالعرض المراجعة والمقابلة تحرياً للدقة وكمال العناية بكتاب الله سبحانه وتعالى .

(٣) عبد الله بن السائب بن أبى السائب صيفى بن عابد المخزومى قارىء أهل مكة توفى سنة سبعين هجرية روى القراءة عن أبى بن كعب وعمر بن الخطاب ، وعرض عليه القرآن مجاهد بن جبر ، وعبد الله بن كثير صاحبنا فى هذا المقال . راجع غاية النهاية فى طبقات القراء .

وضعف الحافظ أبو العلاء الهمذانى هذا القول . وقال : إنه ليس بمشهور عندنا . قلت[٤] : وليس ذلك ببعيد فإنه قد أدرك غير واحد من الصحابة وروى عنهم . أ. هـ وهذا هو الغالب فإنه قد ذكر تلمذته على ابن السائب أكثر من مؤرخ فى القراء كابن الجزرى ، وابن مجاهد والذهبى .

وعرض أيضاً على مجاهد بن جبر[٥] ، ودرباس مولى ابن عباس رضى الله عنهم .

كان ـ رحمه الله ـ فصيحاً بليغاً مفوهاً أبيض اللحية طويلاً أسمر جسيماً أشهل ، يخضب بالحناء ، عليه السكينة والوقار ، لقى من الصحابة : عبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصارى وأنس بن مالك رضى الله عنهم .

قال ابن مجاهد رضى الله عنه :

ولم يزل عبد الله هو الإمام المجتمع عليه فى القراءة بمكة حتى مات سنة عشرين ومائة ، قال سفيان بن عُيَيْنَة ـ رضى الله عنه :

حضرت جنازة ابن كثير الدارى سنة عشرين ومائة .

تلامذته :

أَقْرَأ ـ رحمه الله ـ الكثير من التلاميذ .

روى القراءة عنه إسماعيل بن عبد الله القسط ، وإسماعيل بن مسلم ، وجرير بن حازم ، والحارث بن قدامة أبو قدامة ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد ، وخالد بن القاسم ، والخليل بن أحمد ، وسليمان بن المغيرة ، وشبل بن عباد ، وابنه صدقة بن عبد الله ، وطلحة بن عمرو ، وعبد الله بن زيد بن يزيد ، وعبد الملك بن جريج ، وعلى بن الحكم ، وعيسى بن عمر الثقفى ، والقاسم بن عبد الواحد ، وقزعة بن سويد ، وقرة بن خالد ، ومسلم بن خالد ، ومطرف بن معقل ، ومعروف بن مشكان أبو الوليد ، وهارون بن موسى ، ووهب بن زمعة ، ويعلى بن حكيم ، وابن أبى فديك ، وابن أبى مليكة ، وسفيان بن عسنة ، والرجال ، وأبو عمرو بن العلاء .

وليس صحيحاً أن من تلاميذ ابن كثير : عبد الله بن إدريس الأودى ـ رحمهما الله ، فقد ولد ابن إدريس هذا عام خمسة عشر أو عشرين ومائة هجرية ، أى قبل وفاة ابن كثير بخمس سنين أو فى سنة وفاته نفسها فاحتمال تلمذته عليه بعيد إن لم يكن مستحيلاً . قال أبو عبد الله الحافظ ـ رحمه الله : لم ير عبد الله بن إدريس عبد الله بن كثير ولا قرأ عليه أبداً .

وربما وقع الخلط أيضاً فيمن يشاركه الاسم ، فقد عاصره : عبد الله بن كثير القرشى ، وهو غير القارىء صاحبنا ، وثمة ابن كثير آخر ولكن اسمه : محمد بن كثير ، وهو المحدث ، وهذا المحدث هو صاحب البيت :

بُنَيَّ كثير كثيرُ الذنوب
ففى الحل والبل من كان فيه

وهذا البيت نسبه أبو طاهر بن سوار لابن كثير القارىء ، وفعل ذلك غيره أيضاً .

قال الأصمعى :

---

(٤) القائل ابن الجزرى فى غاية النهاية .

(٥) أبو الحجاج المكى أخذ عنه القراءة عرضاً عبد الله بن كثير ، مات سنة اثنتين ، أو ثلاث أو أربع ومائة . راجع المرجع السابق .

قلت ـ لأبى عمرو : [قرأت] على ابن كثير ؟ قال : نعم ، ختمت على ابن كثير بعد ما ختمت على مجاهد ، وكان ابن كثير أعلم بالعربية من مجاهد .

الرواة عن ابن كثير:

وقد أجمعوا على اختيار قراءة راويين تلقى كل منهما عن ابن كثير ، هما : أحمد البزى ، وقنبل ـ رضى الله عنهما ، وإليك تعريفاً لكل منهما وأثره فيمن بعده .

أحمد البزى:

هو الإمام أبو الحسن البزى : أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبى بزة : وقال الأهوازى : أبو بزة الذى ينسب إليه البزى . اسمه بشار فارسى . من أهل همذان . أسلم على يد السائب بن أبى السائب المخزومى . والبزة الشدة . ومعنى أبو بزة أبو شدة[6] .

كان مقرىء مكة ، ومؤذن المسجد الحرام .

مولده : ولد سنة سبعين ومائة .

قال عنه الذهبى ، وابن الجزرى :

أستاذ محقق ضابط متقن . قرأ على أبيه ، وعبد الله بن زياد ، وعكرمة بن سليمان ، ووهب بن واضح .

قال الإمام الشاطبى فى حرزه :

ومكة عبد الله فيها مقامه
هو ابن كثير كاثر القوم معتلى
روى أحمد البزى له ومحمد
على سند وهو الملقب قنبلا

وقال الشمس بن الجزرى فى طيبته :

وابن كثير مكة له بلد
بَزٌّ وقنبل له على سند

قال ـ فى إبراز المعانى فى شرح قول الإمام الشاطبى[7] .

قوله (على سند) أى بسند ، أى متلبسين بسند ، أو يكون التقدير : معتمدين على سند فى نقل القراءة عنه لأنهما لم يرياه .

وذلك لوفاة ابن كثير عام « ١٢٠ » هجرة ، وولادة البزى وقنبل بعده .

وقرأ على البزى[8] خلق كثير منهم اسحاق بن محمد الخزاعى ، والحسن بن الحباب ، وأحمد بن فرح ، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن على ، وأبو جعفر محمد بن عبد الله الهيبان ، وأبو العباس احمد بن محمد فى قول الأهوازى والرهاوى ، وأبو ربيعة محمد بن اسحاق ، ومحمد بن هارون ، وموسى بن هارون ، ومضر بن محمد الضبى ، وأبو حامد أحمد بن محمد بن موسى الخزاعى ، والعباس بن احمد البرتى ، وأبو على الحداد ، وأبو محمد الجمحى ـ ومحمد بن على الخطيب وكثير غيرهم .

رواة القراءة عن البزى:

روى عنه القراءة قنبل . وحدث عنه أبو بكر أحمد بن عميد بن أبى عاصم النبيل ، ويحيى بن محمد بن صاعد ، ومحمد بن على بن زيد الصايغ ، وأحمد بن محمد بن مقاتل . وقد سماه أبو عمر فى الروضة ـ محمد بن

←

(٦) ويقال : إن نافعاً هو أبو بزة .

(٧) صاحب إبراز المعانى من حرز الأمانى الإمام ابو شامة : عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المتوفى سنة ٦٦٥ هـ من تحقيقنا .

(٨) ويقال : إن نافعاً هو أبو بزة .

عبد الله - فأسقط اسمه وأثبت اسم أبيه ، ولعله من النساخ . أو سهو منه ، والله أعلم .

وروى حديث التكبير مرفوعاً من آخر الضحى . وقد أخرجه الحاكم أبو عبد الله في المستدرك عن أبي يحيى محمد بن عبد الله بن محمد بن المقرى - الإمام بمكة [قال] ثنا محمد بن علي بن زيد الصايغ ثنا البزى وقال : سمعت عكرمة بن سليمان يقول : قرأت : على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين . فلما بلغت (والضحى) قال : كبر عند خاتمة كل سورة . فإني قرأت على عبد الله بن كثير فلما بلغت (والضحى) قال : كبر حتى تختم . وأخبره ابن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك . وأخبره مجاهد أن ابن عباس أمره بذلك ، وأخبره ابن عباس أن أبي بن كعب أمره بذلك ، وأخبره أبي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أمره بذلك .

قال الحاكم :

« هذا صحيح الإسناد ولم يخرجه البخاري ولا مسلم ».

وفاته :

توفي البزى سنة خمسين ومائتين عن ثمانين سنة .. وكان إماماً في القراءة ، محققاً ضابطاً متقناً لها ، ثقة فيها ، انتهت إليه مشيخة الإقراء بمكة . وكان مؤذن المسجد الحرام .

قنبل:

هو محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن محمد بن سعيد بن جرجه أبو عمر المخزومي - مولاهم المكي الملقب - بقنبل - شيخ القراء بالحجاز .

مولده :

ولد سنة خمس وتسعين ومائة .

تلاميذه :

أخذ القراءة عرضاً عن أحمد بن محمد بن عون النبال . وهو الذي خلفه في القيام بها بمكة . وروى القراءة عن البزى .

روى القراءة عنه[9] عرضاً أبو ربيعة محمد بن اسحاق وهو أجل أصحابه . ومحمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن الصباح ، وإسحاق بن أحمد الخزاعي سمع منه (الحروف[10]) ، ومحمد بن حمدون ، والعباس بن الفضل - صهر الأمير - وأحمد بن محمد بن هارون بن تيرة ، وأحمد بن موسى بن مجاهد ، ومحمد بن أحمد بن شنبون ، ومحمد بن موسى الزينبي ، وعبد الله بن أحمد البلخي ، وأحمد بن الصقر بن ثوبان ، وأحمد بن محمد اليقطيني ، وعلي بن الحسين بن الرقي ، وغيرهم كثير .

واختلف في سبب تلقبه (قنبلاً) : فقيل اسمه ، وقيل لأنه من أهل بيت بمكة - يقال لهم القنابلة . وقيل لاستعماله دواء يقال له (قنبيل)[11] - معروف عند الصيادلة لداء كان به . فلما أكثر منه عرف به ، وحذفت الياء من « قنبيل » تخفيفاً ..

---

(٩) عنه : أي عن قنبل . وأثبت ابن الجزري أنه روى - أيضاً - عن البزى ، فقد روى عنهما .

(١٠) الحروف : وجوه القراءة .

(١١) القنبيل - بكسر القاف والباء وسكون النون : بذور رملياً تعلوها حمرة قابضة تقتل الديدان وتخرجها وتنفع الجرب والسعفة منفعة بينة أنظر المادة بالقاموس المحيط .

وقد أنتهت إليه رياسة بالحجاز .. ورحل الناس إليه من الأقطار ، وتولى الشرطة بمكة إذ كان لا يليها إلا رجل من أهل الفضل والخير والصلاح ليكون لما يأتيه من الحدود والأحكام على صواب فلا يضل ولا يطغى ولا يفتات على الناس .

وقال الذهبى : إن ذلك كان فى وسط عمره فحمدت سيرته ثم إنه طعن فى السن ، وشاخ وقطع الإقراء قبل موته بسبع سنين .

وقال ابن الجزرى : وقيل بعشر سنين .

وفاتـــه :

مات سنة إحدى وتسعين ومائتين عن ست وتسعين سنة .

الطرق :

وأما البزى فمن طريقين :

الأولى : طريق أبى ربيعة محمد بن إسحاق بن وهب بن سنان وكان مقرئاً جليلاً ضابطاً متقناً .

والثانية : طريق أبى على : الحسن بن الحباب بن مخلد الدقاق . وكان ضابطاً متصدراً من كبار الحذاق والمحققين . وتوفى سنة إحدى وثلاثمائة ببغداد .

أما أبو ربيعة فمن طريقين :

الأولى : طريق أبى بكر محمد بن الحسن بن محمد ابن زياد بن سند بن هارون النقاش الموصلى . كان إماماً متقناً ، محدثاً مفسراً . ألف تفسيره المسمى (شفاء الصدور) وألف فى القراءات التى اعتنى بها من صغره . ومولده سنة ست وستين ومائتين . وتوفى ثالث شوال سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة .

والثانية : طريق أبى عمر بن عبد الصمد بن الليث بن بُنان البغدادى . وكان مقرئاً زاهداً ، صالحاً ، عالى الإسناد ـ وتوفى سنة أربع وسبعين وثلاثمائة .

وأما ابن الحباب فمن طريقين :

الأولى : طريق أبى بكر أحمد بن صالح بن عمر بن إسحاق البغدادى . نزيل الرملة وكان ثقة ، ضابطاً ، مقرئاً . نزل الرملة وبها توفى بعد الخمسين وثلاثمائة .

والثانية : طريق أبى طاهر عبد الواحد بن أبى هاشم عمر بن محمد البغدادى . وكان ثقة مقرئاً ، نحوياً ، حجة ، ولم يكن بعد ابن مجاهد مثله ، وتوفى فى شوال سنة تسع وأربعين وثلاثمائة . وقد جاوز السبعين .

وقد والى تلامذته العمل وتوالى الآخذون عنهم بما يضيق عنه المقال .

طرق قنبل :

وأما قنبل فمن طريقين :

الأولى : ابن مجـاهـد من طـريقى السامرى ، وصالح عنه .

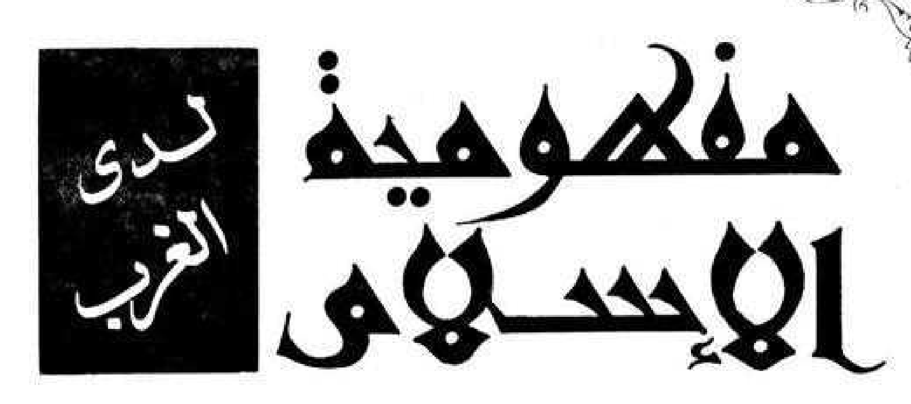
والثانية : ابن شنبوذ من طريقى أبى الفرج ، بالجيم ، والشطوى عنه هذا . وجملة الطرق عن ابن كثير ثلاث وسبعون طريقاً .

سند ابن كثير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

سبق أن قلنا : إن ابن كثير قرأ على أبى السائب وقرأ أبو السائب على أبى بن كعب ، وعمر بن الخطاب وقرأ ابن كثير أيضاً على أبى الحجاج مجاهد بن جبر المكى الذى قرأ على عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن السائب وقرأ ابن كثير على درباس وقرأ درباس على مولاه عبد الله بن عباس .

وقرأ ابن عباس على أبى بن كعب ، وعلى زيد بن ثابت .

وقرأ أبى وعمر وزيد رضى الله عنهم ـ على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .



نريد ان نسلك سبيل الحوار الفكرى الصحيح بين الإسلام والغرب . ونتخذ منه اسلوباً باعتباره وسيلة علمية للسمو بالخصومة الأدبية عن مزالق التهم .

والسمو بالخصومة الأدبية يعنى هنا : « البعد عن الانفعالات الشخصية ومؤثرات الانفعال لتبقى القضية وموضوعها في حيز الموضوعية العلمية » .

من خلال هذا المنطلق نحب ان نؤكد على حقيقة هي : « أن الحضارة الإسلامية اهم ما عرفه التاريخ من اشكال الدولة الإلهية » ـ لذلك كان الإسلام الصيغة المناسبة والمثلى في تحرير التاريخ من وطأة امبراطوريتين هما :ـ امبراطورية الفرس ، وامبراطورية الرومان .

استطاع العرب بفضل الإسلام ان يعصفوا بهما معاً . وبقى الإسلام بعدهما حقيقة يغير مجرى التاريخ .

فبالنسبة للشرق :

ايقظ الإسلام ـ أولاً ـ الشرق السامى من سباته الطويل فملك نفسه بعد رضوخه للغرب الأوروبى ألف سنة .

ولا غرو فقد كان العرب عنصراً غضاً ملتهباً بالحماسة ومتشرباً روح السمو والانتصار وبفضل الإسلام أصبح مستخفاً بالموت بدافع إيمانه الجديد .

واما بالنسبة للغرب فهناك مواقف بين الإسلام وبينه نجملها فيما يلى :ـ

(أ) مواقف الإسلام أمام الرومان منذ غزوات « تبوك واليرموك » .

(ب) فتوح العرب في صقلية ، والأندلس وجنوب فرنسا وكانت هذه الحروب قبل أن تستيقظ أوروبا إلى وعيها الثقافى الجديد .

(جـ) الاصطدام العنيف بين أوروبا المتحدة ، وبين الإسلام تحت شعار الحروب الصليبية .

وترجع اهمية هذه الحروب الصليبية مع الإسلام ، إلى أنها عنيت في المقام الأول والمقام

للأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الفيومي

الأهم بموقف أوروبا من الإسلام لبضعة قرون حتى عصرنا الحالى ، لأنها حدثت فى أثناء طفولة أوروبا فى العهد الذى كانت فيه الخصائص الثقافية ، الخاصة قد أخذت تعرض نفسها وكانت لا تزال فى طور تشكيلها .

(د) سقوط القسطنطينية فى يد الأتراك ، وبسقوطها فتح باب أوروبا على مصراعيه للسيل الإسلامى .

من هنا لم تبق عداوة أوروبا للإسلام ، قضية ذات أهمية ثقافية فحسب ، بل ذات أهمية سياسية أيضاً ، وهذا نراه فى اشتداد تلك العداوة .

والشعوب كالأفراد ، إذا اعتبرنا أن المؤثرات العنيفة ، التى تحدث فى أوائل الطفولة تظل مستمرة ظاهراً ، أو باطناً ، مدى الحياة وتظل تلك المؤثرات محفورة حفراً عميقاً فى أعماق النفس حتى إنه لا يمكن للتجارب العقلية فى الدور المتأخر من الحياة ، والمتسمة بالتفكير أكثر من اتساعها بالعاطفة ، أن تمحوها إلا بصعوبة يندر أن تزول آثارها تماماً .

هكذا كان شأن الحروب الصليبية فإنها أحدثت أثراً من أعمق الآثار وأبقاها فى نفسية الشعب الأوروبى .

من هذه التجارب التاريخية اعتبر الغرب المسيحى ، الإسلام منافساً له منافسة عدائية ، اصطبغت بصبغة « أيديولوجية » بخاصة فى العصر الوسيط . لذلك نظم الغرب غَزْوَهُ المسلح تحت **راية الحرب المقدسة وغاب عن الغرب الذى راح يبشر بالمسيحية تحت وطاة الحرب الصليبية فى الشرق ، أن المسيحية هى دين شرقى أولاً ، وأن الإسلام يرى فى المسيحية أنها دين سماوى بيد أنها ليست خاتم الأديان ، إنما هو يكملها .**

من هنا تشكلت صورة الإسلام فى الغرب ، لقرون طويلة من خلال تجارب تاريخية : تميزت تلك التجارب التاريخية ، التى جرت بين أوروبا والإسلام بأنها اصطبغت صباغاً شديداً بعداوة غريبة للإسلام ، ساقت أوروبا إلى التحزب غير العلمى فى الكتابة عن الإسلام ، إلى حد جعلهم يلوون المنهج العلمى ، بأن قاموا باستنتاجات متفق عليها من قبل ، أملاها عليهم تعصبهم ضد الإسلام ثم من بعد يبدأون البحث عن الشهود .

وأسوق نموذجاً من كتاب العرب « لفيليب حِتِّى » ينتمى هذا النموذج إلى مجموعة النماذج التى تنتمى بدورها إلى تلك الميول العرقية المعادية للعروبة والإسلام ..

لقد أثارت سرعة انتشار الإسلام آراء كثيرة حول تفسيرها من المؤرخين كنا نرى منها التفسير البعيد وكنا نرى فيها التفسير القريب والمناسب .

أما التفسير الشاذ فرأيناه فى تفسير « فيليب حتى » الذى يرى أن سرعة انتشار

الإسلام فى الشرق يرجع إلى مناسبته للعقلية السامية وما فى مستواها من الحامية والبربرية فيقول :ـ

الإسلام هو غاية الكمال دينا فى مطابقة العقلية السامية . صفحة ١٣ .

ويقول : والظاهر أن الإسلام كان له تأثير خاص فى الشعوب التى فى مستوى البربر الثقافى . فما أسرع ما استطاع العرب الساميون توثيق عُرَى الاتصال بأبناء عمهم الحاميين . وكما أن الإسلام فى أواسط آسيا عَرَّب الأقوام لغة ودينا كذلك فعل الآن فى الأقوام البربرية . وهكذا اغتنى دم المسلمين الفاتحين بامتزاجه بدماء جديدة وتسنى للغة العربية مجال واسع الانتشار . وتوطدت قدم الإسلام وأخذت تتدرج فى معارج الرقى نحو السلطة العالمية الشاملة . صفحة ٩٠ .

وإمعاناً فى معاداته للسامية والإسلام يصف العرب بقوله :ـ

هذا هو الشعب العربى نفسه الذى كان سابقاً فى شظف العيش وخشونته يفاخر بأكل « الفلهز » (وبر الإبل مطبوخاً بالدم) والذى حسب أبناؤه الأرز لأول وهلة سُمًّا كما ظنوا المرقق من الخبز رقاعاً للكتابة . صفحة ١٣٠ .

ذلك نمط ما زال يرتد فى تفسيره إلى تلك الرؤية الاستعمارية التى تدور فى مدار نظرية العرق أى تفضيل الأجناس وذلك لهدف استعمارى هو :

أن الشرق السامى لا يصلح للحياة إلا بوصاية الغرب الآرى عليه .

وأسوق نموذجاً ثانيا لجرونيباوم صاحب كتاب حضارة الإسلام ترجمة عبد العزيز جاويد . يقول فيه :

وعلى الرغم من المؤامرات الدولية ، التى كانت تحدث الفينة بعد الفينة ، فإن الإسلام كان يؤثر فى الوضع الأوروبى فى معظم الأمر بظهوره فى ثوب الخطر الدائم ثم يصف هذا الخطر بقوله :

وإن يكن خطراً سلبياً إلى حد ما ...

ثم يتابع فيقول : ولما كانت أوروبا ـ وهى أقل انطواءً على نفسها من خصمها ـ أى الإسلام ـ لم تكف عن التطلع جنوباً وشرقاً ؛ فإن وجود الإسلام ومثوله بقوة فى الأذهان ظل يبدو لأعين الأوروبيين أضخم من حقيقته على الدوام ولم يحدث البتة على مر التاريخ أن حقيقة مفردة لعبت فى ضوء العلاقات الدولية فى العصور الوسطى دوراً أكبر من الذى لعبته الدولة الإسلامية .. وجود دولة قوية غامضة (لا يمكن التكهن بحقيقتها) ، تقوم فى الجانب الآخر من ذلك البحر الذى كان العرب كلفين بتسميته البحر المتوسط . ثم يتابع فيقول :

« وكانت الامبراطورية البيزنطية خصم الإسلام اللجوج تكابد الأهوال لاضطرارها على الدوام إلى تكييف نظمها وسياستها وفق ضرورات الساعة ، وكان الخطر الإسلامى ماثلاً على الدوام فى مخيلة كل بيزنطى ، وكان مجردُ وجود الدولة الإسلامية .. يضطر بيزنطة إلى التزام خُطة التيقظ الدائم الأليم ثم يقول : ولم يبرح شعور العَداء لبيزنطة يشتد فى مناسبات عديدة حتى شارف القرن العاشر نهايته .

ثم يقول : والظاهر أن عوامل البغضاء ، والخوف والإعجاب وجاذبية المجهول كانت تعيش مجتمعة فى عالم المسيحية طوال العصور الوسطى ، وكانت الحوادث هى التى تحدد أى هذه الانفعالات هو السائد فى لحظة من اللحظات ..

وسط هذا الجو النفسى والفكرى والسياسى تشكلت صورة الإسلام فمن ذلك :

(١) محمد عند يوحنا الدمشقى :

يحدثنا يوحنا الدمشقى الذى يتناول الإسلام على أنه فرقة مسيحية مارقة ، كيف أنه حدث فى أيام الامبراطور « هرقل » أن ظهر بين العرب متنبىء اسمه (مامد) نسبة إلى كلبى وأنه اطلع على كتب العهد القديم والجديد ثم مالبث بعد أن اتصل براهب من اتباع « أريوس » أن اسس (نحلته) كذا ! وقد استطاع بالتظاهر بالتقوى (كذا ؟) ان يكتسب قلوب قومه ثم أخبرهم بعد ذلك ان كتاباً مقدساً قد انزل إليه من السماء يشتمل على تعاليمهم المقدسة وقدم إليهم الفرائض المضحكة (كذا .....؟) التى وضعها فى ذلك الكتاب قائلاً : إنها شريعتهم المقدسة .

صورة ثانية وضعها أول مؤرخ بيزنطى عالج أمر محمد صلى الله عليه وسلم هو (ثيوفاينز) المتوفى سنة ٨١٧ الذى قدر لكتابه حياة النبى أن يكون مرجعا هاماً لمن تلاه من الكتاب الغربيين . ومن سوء الحظ أن ثيوفاينز لا يبين مراجعه التى أخذ عنها وإليكم نموذجاً من مفترياته .

(فى هذه السنة عام العالم ٦١٢٢) من بدء الخليقة بقليل المقابل ٦٣٢ م توفى محمد حاكم العرب وتنبيهم بعد أن عين قريبه أبا بكر خليفة له . وفى نفس الوقت كان الخوف مستولياً على الجميع ، وعند بداية ظهوره ظن العبرانيون الضالون أنه المسيح الذى كانوا يتوقعون ظهوره لذلك انضم إليه بعض كبارهم وتقبلوا دينه وهجروا دين موسى الذى رأى الله جهرة والذين فعلوا ذلك كانت عدتهم عشرة وقد لازموه حتى لقى نهايته .

وصورة ثالثة :

وفى سنة ٢٧٣ كتب وليم الطرابلسى رسالة عن حالة العرب ومحمد النبى صلى الله عليه وسلم وشريعتهم وعقيدتهم والصورة التى صور بها محمد عليه الصلاة والسلام وإن كانت أبعد ما تكون عن شخصيته التاريخية فإن بها من العناصر الخرافية والمطاعن ما انزل بها إلى الحد الأدنى الذى لا غنى عنه لمدافع عن المسيحية فى تلك القرون يقرر وليم :

ان العرب لا يعتقدون أن جبريل نقل الإرادة الإلهية إلى النبى ثم صاغ المؤمنون ما كان ينطق به كتاباً ويستطرد وليم فيقول :ـ

إن للكاثوليك مع ذلك رأياً آخر فهم يرون انه بعد أن مات محمد اراد أنصاره أن يعالجوا العقيدة والشريعة معالجة شاملة قائمة على تعاليمه فلما تبينوا أن الرجل الذى نيط به العمل لم يرزق الكفاية اللازمة لأداء ذلك على الوجه الأكمل ، طلبوا إلى اليهود والمسيحيين الذين أسلموا أن يساعدوه : وعند ذلك رأى هؤلاء من الأفضل أن ينتقوا فقرات مناسبة من العهد القديم والجديد وأن يمزجوها بالكتاب كيفما اتفق وبذا أصبح الكتاب على قدر عظيم من الرونق والجمال المنقول من الكتب المنزلة ما بين مسيحية

ويهودية .. أما الجانب الإسلامي الأصيل ، فليس إلا تشويها وتحريفا .

وهكذا نرى أن تلك الكتابات حكمتها البغضاء وسوء الفهم الذى يكاد يكون متعمداً وما قدمناه من نصوص نراها بعيدة تماماً عن الواقع التاريخى كما تفيد تلك النصوص بأن طريقة الاستنتاج التى يتبعها أكثر المستشرقين لا تتفق أبداً والقرائن التاريخية إن نظر إليها بتجرد ، ولكنها كانت فى كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل قد أملاه عليها تعصبها لرأيها ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذى يقصدون أن يصلوا إليه مبدئياً .

المرحلة الثانية : توزيع تركة الرجل المريض :

وأخيراً اشتدت حدة النقد الهجومى على الإسلام ، مع ضعف الخلافة العثمانية ، وزوال الخوف إثر توزيع ما عرف فى المحافل الدولية « بتركة الرجل المريض » والذى ما زال مريضاً . بدأ النظر إلى الإسلام من منظور أعراف الأتراك ـ كما يتصور الغربيون : فالشارب ، والعضلات المفتولة والعنجهية . والفظاظة هى فى نظر الغربى خصائص شخصية المسلم . وكانت الروايات الغربية التى قدمتها المسارح ترادف بين شخوصها والإسلام (فموليير) على سبيل المثال يضمن مسرحيته البورجوازى النبيل عبارات « تركية » كاملة .

« وجولدونى » يستوحى شخوصه المرحة من الأجواء التركية .

« موزارت » يضع لـ « أوبراه » مقطوعات موسيقية تركية تستخدم فيها الآلات التركية مثل : الناى والمثلث والطبلة الكبيرة .. وهكذا تغلغلت عوائد الحياة التركية وأعرافها وتقاليدها فى الكثير من المجالات على أنها العوائد الإسلامية وأصبح لفظ تركى مرادفاً للفظ إسلامى ومسلم وكانت نتيجة هذا الخلط الهمجى بين المبادىء والأشخاص أن أصبح الرسول صلى الله عليه وسلم موضع حملات شائنة وتخرصات مؤداها : أنه أغرق الأرض بالدم والنار .

من هنا بدأ النظر إلى الإسلام من عدة مستويات على أنه مفهوميات متعددة :ـ

١ ـ من حيث كونه لاهوتيا أى من جهة كونه دينياً ليس مثل غيره من الديانات بل صورة محرفة من المسيحية .

٢ ـ من حيث كونه مفهوماً ثقافياً واجتماعياً ، وهذه ناشئة عن تقاليد وإحساسات الشعوب الإسلامية المختلفة .

٣ ـ ومن حيث كونه ممارسات سياسية واقتصادية ومنظمات .

٤ ـ ومن حيث كونه مرتبطا بأوضاع الدول الإسلامية وتصرفاتها وهى التى تؤلف حالياً المجتمع الإسلامى .

٥ ـ كذلك ينظر إليه من مقياس المذهبيات الإسلامية المعاصرة . بينما الإسلام هو رؤية واحدة لا تتعدد هو الدين الإلهى المنزل والأسلوب الملائم للتفكير والعمل بالإضافة إلى أنه ثقافة ونهج للتنظيم الاجتماعى مطبق بشكل ناقص .

يتبع

د/ محمد الفيومى

حفظ الله السودان



للأستاذ الدكتور
عبد الودود شلبي

وكخطوة « عملية » لتنفيذ هذا المخطط ، بدأ العمل على زرع الكنائس والمدارس على هذا النحو فى مدينة « الخرطوم » فقط .

أولاً : المدارس الكاثوليكية :

هناك نحو (٢٤) أربع وعشرين مدرسة كاثوليكية صباحية ومسائية ومعظم الطلاب والدارسين فى هذه المدارس من المسلمين من البنات والبنين .

ثانياً : مدارس الإرسالية الإنجيلية :

يوجد فى مدينة الخرطوم (٨) ثمانى مدارس تابعة لهذه الإرسالية وللغرض نفسه الذى تمارسه المدارس الكاثوليكية .

ثالثاً : مدارس الإرسالية الأسقفية :

وقد تخصصت هذه الإرسالية فى تعليم البنات فقط .. ! ومجموع المدارس التابعة لهذه الإرسالية (٧) سبع مدارس ولا تزيد نسبة المسيحيين فيها على (٢٧٪) سبعة وعشرين فى المائة ، والباقى مسلمون !

رابعاً : مدارس الكنيسة القبطية (ارثوذكس) :

تقع معظم هذه المدارس فى حى المسالمة . شرق شارع الشنقيطى الذى يعتبر مركز نشاط الأقباط . إذ فيه كنيستان هما الكنيسة القديمة مارى جرجس والجديدة مارمينا ودار رابطة الشباب القبطى والمقبرة القبطية . وهذه المدارس تعمل بالمنهج المصرى . ويطغى عنصر النصارى على معلميها . نحو ٧٠٪ من طلابها من المسيحيين وبها تتركز اكبر نسبة من المسيحيين مقارنة بغيرها من المدارس .

خامساً : مدارس الجاليات :

لبعض الجاليات المسيحية مدارسها الخاصة وهى تبدأ بالروضة وتنتهى بالثانوى العالى وأهمها :

مدارس الجالية الأرمنية واليونانية ولم يعرف لهذه المدارس تاريخ تبشيرى .

وهنالك مدارس البعثة المصرية وهى مدارس تبدأ من الروضة وتنتهى بجامعة القاهرة فرع الخرطوم وتستخدم المنهج المصرى ولا علاقة لها بالتبشير .

وتقع هذه المدارس الكنسية فى أحسن المواقع بالعاصمة وتتمتع بالكثير من الامتيازات وقد حازت هذه المواقع منذ أيام الاستعمار البريطانى حينما كان ا لتعليم من صلاحيات الكنيسة . ولم يحدث مراجعة فى امرها طيلة أيام العهد الوطنى ، وتقوم هذه المدارس اليوم بدور مزدوج . فبينما تقدم خدماتها للطبقة العليا من المجتمع ضامنة بذلك تيسير أعمالها ، تركز فى نفس الوقت على أبناء الجنوبيين والنوبة والوافدين وتمارس بين أوساطهم نشاطا تبشيريا مركزاً . وقد ساعد ضعف مستوى التعليم فى المدارس الحكومية وعدم استقراره على زيادة الإقبال على تلك المدارس مما جرأ إدارتها على اتخاذ سياسات تبشيرية لم تقتصر على أبناء الجنوب ومناطق النوبة بل تجاوزتهما إلى الأغلبية المسلمة من التلاميذ ، ولو أن التبشير وسط هؤلاء يتم بصور خفية وغير مباشرة كما أن منهج الدراسة فى هذه المدارس يقوم على وضع مادة اللغة العربية والتربية الإسلامية على الهامش ، باعتبار أن طلاب هذه المدارس يمتحنون لشهادات أجنبية تؤهلهم لدخول جامعة الخرطوم وغيرها مما يعطيهم ميزة على أقرانهم فى المدارس الحكومية . إذ أن مواصفات الشهادات الإنجليزية لم تتغير كما تغيرت الشهادة السودانية ، والتى يتطلب دخول الجامعة إحراز نسب عالية فيها[١] .

ولقد كان من أهداف المؤسسات التبشيرية تغيير الطابع الإسلامى للعاصمة فمدينة أمدرمان ـ العاصمة الوطنية ـ التى أسسها الإمام محمد أحمد المهدى عمدت الإرساليات إلى تغيير طابعها بالكنائس الكثيرة التى اقامتها فى حى « الملازمين » و« المسالمة » و« مدينة الثورة » . وذلك بالإضافة إلى عدد كبير من الأندية المسيحية والكنائس العشوائية والمدارس التبشيرية فى قلب المدينة ووسط الأحياء السكنية . واليوم فإن مسلات كنائس مارى جرجس ومرمينا والكنيسة الإنجيلية وكنيسة أمدرمان تكاد تطغى على مآذن المساجد . والغريب أن عدد الكنائس وحجمها يفوق بكثير عدد المسيحيين فى تلك المناطق .

(١) المصدر السابق ص ١٢ .

أما فى الخرطوم فيكفى أن عدد الكنائس فى الخرطوم القديمة يفوق عدد المساجد . إذ توجد أربعة مساجد هى : مسجد القوات المسلحة ومسجد الجامعة ومسجد فاروق ومسجد الخرطوم الكبير بينما نجد من الكنائس كاتدرائية القديس متى وكنيسة كمبونى والكنيسة الأسقفية فى قصر الشعب (وقد حول مقرها أخيرا لظروف أمنية وإن ظلت تكسب المكان طابعا كنسيا) وكنيسة السيدة العذراء وكنيسة القديس فرانسيس وكنيسة فيلا جليدا . وثلاث من هذه الكنائس تطل على النيل الأزرق . وليس هناك مقارنة فى فخامة مبانيها ونظافتها بالنسبة لمساجد المنطقة وكذلك الأمر فى الخرطوم بحرى تطل بعض كنائسها على النيل الأزرق وتجاور جامع بحرى الكبير وتتفوق عليه فى العلو والجمال الهندسى . وهذا يعنى أن العاصمة المثلثة صار يطغى عليها الطابع الكنسى فى عمارتها بالرغم من أن الأغلبية الساحقة من سكانها مسلمون . مما يعطى انطباعا خاطئا للوافد والزائر !

كما أن كثيرا من المؤسسات الكنسية كمدارس اللاهوت والأندية المسيحية تحتل مواقع استراتيجية هامة . فمثلاً النادى الكاثوليكى يطل مباشرة على مطار الخرطوم وهو أول مبنى خارج المطار يقع عليه نظر القادم . وقد تحصلت الكنيسة الكاثوليكية على قطعة أرض مساحتها مائة الف متر مربع بجوار المطار الجديد بالخرطوم بحرى لتقدم ذات الانطباع . كما أن هناك ظاهرة جديدة ألا وهى ظاهرة بناء الكنائس ما أمكن حتى أخذت تقوم دون تصديق فى المناطق السكنية كـ(أمبدة) جنوب و(أمبدة) شمال وفى مدينة الثورة وفى حى كوبر وحلفاية الملوك والاماب بحر أبيض والعزوزاب والتى بلغ عددها ستا وعشرين كنيسة .

وقد عمدت الكنيسة فى السنين الأخيرة إلى القيام بنشاط ضخم فى مجال التبشير وتوزيع المطبوعات وإقامة معارض الكتب المسيحية بأسعار رمزية فى الجامعات وعلى البواخر التى تقوم برحلات نيلية مجانية ترفيهية . كما عمدت إلى تجنيد أعداد كبيرة من أبناء المناطق المتخلفة كباعة كتب فى أركان ميدان الأمم المتحدة وأسواق بحرى وأمدرمان . كما يقوم هذا النفر بتوزيع هذه الكتب أحيانا بالمجان وأحيانا بأسعار رمزية على الأسر والأطفال فى مناطق الأطراف والأحياء الشعبية . وهى أنماط مختلفة من الكتب . فمنها أدب الأطفال والقصص وقصص الأنبياء كما وردت فى أناجيلهم بالإضافة إلى الكتب الفكرية التى تحارب الإسلام وتشكك فى عقائده وتسب النبى محمد « صلى الله عليه وسلم » وقد انتبهت سلطات الأمن لهذا النشاط . فقامت مؤخرا بإغلاق دار (الشبيبة المسيحية) وصادرت ما فيها من كتب تتهجم على النبى « صلى الله عليه وسلم » وتشكك فى الدين الإسلامى وتثير الشبهات حول موقفه من المرأة والرق .. الخ .

وقد وجدت بها مئات الآلاف من الكتب والغريب في الأمر أن تلك الدار كانت تعمل لسنوات دون تصديق من أي جهة في الدولة وظل يديرها عدد من الشباب الألمان[٢] .

وللكنيسة معاملة خاصة تميزها عن بقية المؤسسات الاجتماعية والدينية المماثلة فالسفر على خطوط السكة الحديد يمنح للعاملين في الكنيسة بنصف القيمة وكذلك العلاج . أما الإعفاءات الجمركية فقد شملت وكالات الإغاثة المسيحية[٣] التبشيرية ومجالس الكنائس وهيئاتها . بل إن هذه التسهيلات والإعفاءات دفعت الكنائس لإقامة شركات ومؤسسات حتى تستفيد من هذه الإعفاءات . وتستطيع الكنائس اليوم وحسب الاتفاقيات الواردة تحت المادة (١٩٠)

(١) (أ) مع مدير الجمارك إدخال ماتريد إدخاله من أثاث وعربات وناقلات ومعدات ومشتقات بترول ووسائل اتصال ومواد بناء وملابس ومأكولات عن طريق أكثر من ثلاث عشرة مؤسسة . وبالرغم من قانون الجمارك الذي يمنع بيع هذه المواد المعفاة من الجمارك إلا أن بعضها يصل الأسواق ويباع بسعر تجاري يدر عائداً طيباً على بعض المؤسسات التبشيرية فتستغله في تكثيف نشاطها التبشيري .

ماذا يعني هذا كله ؟

يعني التآمر على السودان بكل ماتمثله هذه الكلمة ... تآمر يستهدف الإسلام كعقيدة ، وتآمر يستهدف السودان لإخراجه من حظيرة الإسلام والعروبة ، تآمر رسمت خططه وخطواته لتنفيذ هذه المؤامرة بأبعادها الخطيرة .

● ● ● ●

وفي هذا الحوار الذي أجرته مجلة « الحوادث اللندنية » مع الفريق محمد سوار الذهب ـ قبل تنازله عن السلطة ـ تنكشف أبعاد هذه المؤامرة التي توضحها هذه الإجابات وهذه الأسئلة :

● س : إن البيانات والمنشورات التي صدرت عن حركة التمرد أظهرت وكأن السودان بات مستهدفاً في عروبته وانتمائه الإسلامي ، عبر دعوة التحريض على « تخليص السودان من حكم الأكثرية المسلمة في الشمال » هل لديكم إيضاحات معينة في هذا الصدد ، وما مدى خطورة هذه الدعاوى ؟ !

ـ جـ : هناك حقيقة كبرى في هذا الكلام ، من حيث التوجه العنصري الذي أظهرته طبيعة الحركة المتمردة ، وأهداف المخططين لها .

---

(٢) المصدر السابق ص ١٧ .

(٣) حدت السلطات مؤخرا من نشاط بعض هذه الوكالات في التشكيل الوزاري الأخير .

فالهدف الحقيقى لهذه الحركة ، كما تظهر التحقيقات المستمرة ، هو تغليب العنصر الأفريقى المحض ، وإبعاد العناصر العربية المسلمة كافة من السودان ، والقضاء عليها ، فكما يتصور هؤلاء السودان هو فقط العناصر ذات الأصول الأفريقية ، وهذا المنطق غير مقبول ومرفوض ، ويستحيل حتى مجرد التفكير فيه .

● س : هناك تساؤلات كثيرة عن سر توقيت إثارة هذه الدعاوى العنصرية ، فى الفترة الانتقالية الحرجة التى يمر بها السودان ، ويعتقد مراقبون أن تفجير هذه « القنابل الزمنية » مرده إلى مخاوف حقيقية لدى السودانيين غير المسلمين ، بعد بروز واضح فى توجهات السودان الإسلامية منذ تطبيق الشريعة .

فهل تعتقدون أن المحاولة الأخيرة كان مبعثها الخوف ودافعها الحصول على ضمانات ، أم أن الأهداف الحقيقية أبعد من ذلك ؟

ـ جـ : أتصور أن ماحدث فى القوات المسلحة من مقدمات حركة تمرد ، كان مجرد صدفة ، وليس من المناسب القول أن فى السودان اتجاهات تغلب عليها وتحركها المشاعر الدينية المحضة . فحتى الأحزاب التقليدية ذات التوجهات الإسلامية تتميز بسماحة سلوكها واعتدالها وإذا ما طالب السودان بتطبيق الشريعة فلأن الغالبية العظمى من أبنائه هى من المسلمين ، والسودانى معروف بتعلقه بتعاليم دينه .

ـ س : السودان من حيث خصوصيته العرقية والمذهبية يمكن اعتباره ثغراً عربياً ومسلماً ، فى موقع متقدم من القارة الأفريقية . فإذا ما استمرت الموجة العنصرية التى أشرت إليها ، وتكررت المحاولات ، هل سيعمد السودان إلى مناقشة هذه المستجدات فى إطار عربى أو إسلامى . أم أنه سيكتفى بمعالجة الأمور داخلياً ؟

ـ جـ : فى المقام الأول ، لابد من معالجة هذه المستجدات الخطيرة داخلياً وإذا سمح لهذا التيار المعادى للعروبة وللإسلام ، بأن ينجح ، فلا شك أن الخطر يتهدد الأمة الإسلامية بكاملها ، فالسودان ، كما ذكرت ، ثغر عربى وإسلامى متقدم فى قلب القارة الأفريقية ، ولا غضاضة فى أن يهتم الأخوة العرب فيشاركوننا الإحساس بخطورة الأوضاع ، فى حال استمرار هذه الهجمة العنصرية ضدنا ، واحتمال مناقشة خطورة هذه الأوضاع فى إطار الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى .

● س : البيانات الصادرة عن القوات المسلحة أظهرت أن العقيد جون غارانغ أحدث تغييراً نوعياً فى استراتيجيته ، عبر توسيعه رقعة المعارك باتجاه الشمال والغرب ، والبيانات الصادرة بعد محاولة التمرد الأخيرة فى الجيش ، اظهرت وكأن قوات غارانغ حاولت الالتحام مع تحركات « حملة المظالم » فى جبال النوبة والغرب .

←

فهل استراتيجية « الكماشة » هذه تهدف إلى الالتفاف على الخرطوم ، بهدف فرض الحلول المناسبة لها ؟

ـ جـ : الكلام صحيح عن الاستراتيجية الجديدة التى توسع رقعة العمليات العسكرية صعوداً باتجاه الشمال ، والاستنتاج فى محله ، هذه النقلة النوعية الجديدة تتمشى وتنسجم مع أهداف العقيد الدكتور جون غارانغ التى صرح عنها فى أكثر من مناسبة وهى حكم السودان بشماله وجنوبه فى إطار نظام شيوعى ، وهذا لا يحتاج إلى دليل ، وكل الأدلة موجودة فى أدبيات حركة التمرد التى يتزعمها العقيد جون غارانغ منذ قيامها ، وبالتالى فإن استراتيجية الكماشة كما تحدثت عنها هى أيضاً ذات صبغة شيوعية ، وللأسف فإن أهدافها تجد قبولاً لدى جهات سودانية منتمية إلى هذا الاتجاه .

ولابد من القول أن جهات خارجية معروفة بانتمائها العقائدى اليسارى كانت ولازالت تقف مع العقيد غارانغ ، وتمده بالأسلحة التى استخدمها فى عملياته الأخيرة .

● س : يقول مراقبون إن النقلة النوعية فى استراتيجية حركة التمرد السودانى تهدف فى المدى البعيد إلى فتح اقنية على حملة دعاوى مذهبية مشبوهة فى داخل مصر ، بحجة بروز التيار الدينى هناك ، ومطالبة هذا التيار بتطبيق الشريعة الإسلامية .

فهل تعتقدون أن استراتيجية الكماشة فى طرفيها الجنوبى والغربى تشكل خطراً على مصر أيضاً ، وتهدد موزاييكها (تنوعها) السكانى ؟

ـ جـ : بما أن السودان يمثل عمقاً حيوياً مهماً للشقيقة مصر ، فإن كل ضيم أو خطر يصيب السودان لا سمح الله ، لابد أن يقلق الأخوة فى مصر ، ويكون مدعاة لانتباههم وعنايتهم .

والمخططات بعيدة المدى للحركة العنصرية الملتحمة مع حركة التمرد فى الجنوب ، لا يستبعد أن تتربص بأى بلد عربى مسلم وأفريقى يتميز بمواصفات حضارية تعددية ، تصبح ذات خطورة إذا حاولت جهات مشبوهة النفاذ منها إلى أمن البلد ، ووحدة ترابه وسكانه .

أحيانا ، يغرق المحللون فى التشاؤم ، مع أن ماتكشفه التحقيقات أولاً بأول قد يحرض على ذلك ، ويفترض بنا وبكل بلد عربى ومسلم الحذر واليقظة والانتباه[٤] .

● ● ● ●

هذه هى أهداف المؤامرة كما يقول الفريق سوار الذهب .

---

(٤) مجلة الحوادث ـ ٢٥/١٠/١٩٨٥م .

مؤامرة ضد الإسلام ..
ومؤامرة ضد العروبة ..
مؤامرة تستهدف السودان كله شماله وجنوبه وشرقه وغربه ..

مؤامرة لن تتوقف حتى يتوقف « قلب السودان المسلم » عن النبض وحتى يقطع صلته بالإسلام والعروبة فى الشمال والشرق .. ؟!!

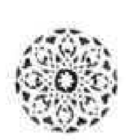
وبالرغم من « الصبغة الماركسية » التى تظهر فى منشورات حركة التمرد إلا أن الأمر ليس بهذه السهولة .. وبهذه البساطة فالأفعى الصليبية فى الغرب تجيد تغيير جلدها حسب كل حالة ، كما تجيد تغيير تكتيكها وأسلوبها حسب كل مرحلة .

« فجون جارنج » تعلم فى مدارس الكنيسة ، وحصل على الدكتوراه من أمريكا ، وأمريكا ـ كما يعرف الجميع ـ تجيد صناعة العملاء ، كما تجيد صناعة « المكياج » !!!

فلا مانع من أن يكون العميل « شيوعيا » يؤله ماركس أو بوذيا يقدس « بوذا » وكونفشيوس .

المهم أن ينفذ المخطط ، وأن يلتزم بالتعليمات التى تأتيه من قضاة « محاكم التفتيش » الذين يترصدون بالإسلام والمسلمين كل مرصد ، والذين لا يزالون أحياء فى لندن وباريس وواشنطن ..

يتبع / د . عبد الودود شلبى



أزمة الاستشراق الهولندى

الاستشراق المعاصر :

مع بداية الخمسينيات شهد ميدان الدراسات العربية والإسلامية ثورة فى المناهج والأساليب واختيار الموضوعات . وقد نجمت هذه الثورة نتيجة للتغييرات التى شهدتها البلدان الغربية من جهة كذلك لحصول الدول الإسلامية المستعمرة على استقلالها . ويمكننا أن نميز بين مدرستين ومنهجين مختلفين فى هولندا .

فهناك : أولاً : من يتبعون المنهج الدينى فى كتاباتهم ويدرسون الإسلام بنفس « منطلقات دراسة اللاهوت » وهذه المدرسة قوية فى « أوترخت » ، و « ماستريخت » وبدرجة أقل فى جامعة ليدن .

المدرسة الأخرى تدرس الإسلام والعالم العربى باستخدام مناهج التاريخ وعلم الاجتماع وهى غير لاهوتية وهى قوية فى أمستردام وليدن وسأعرض بتفصيل لكتب أساتذة من المدرستين بإيجاز أحياناً وبالتفصيل أحياناً أخرى حسب أهمية الباحث من وجهة نظرى الشخصية .

السفسطائى : نيونهوز

السفاسطة أصحاب مدرسة فلسفية يونانية قديمة ، كان عملهم الأساسى تعليم الشعب وكان منهجهم هو الجدل ، وكان باستطاعتهم دائماً أن يثبتوا القول وعكسه ، وأول وأكبر سفسطائى فى مجال الدراسات الإسلامية فى هولندا هو أستاذ علم الاجتماع بمعهد الدراسات الاجتماعية بلاهاى المدعو : (نيونهوز) . ألف هذا الأستاذ عدداً كبيراً من الكتب ، وله عشرات المقالات العلمية وهو رجل علم معاصر ملم بعدد من البلدان الإسلامية إلماماً كبيراً وبخاصة مصر وأندونيسيا ، وهو يكتب دراسات لجتماعية بدون منهج أو مُسَمًّى ولست هنا فى مجال التعقيب على كل أعماله لأننى لم أطلع عليها كلها ، وبطبيعة الحال لم أدرس كل المجتمعات التى كتب عنها دراسات وافية . لكن أراد الله فوقعت على كتاب ضخم جداً ألفه بعنوان

بقلم: إيهاب محمد مهدلى

« سوسيولجيا الشرق الأوسط » وفى المقدمة شن هجوماً شديداً على المستشرقين الذين يدرسون الشرق الأوسط باستخدام التاريخ والمناهج اللغوية وطالب بما يشبه وضع الاستشراق في كفن وتحنيطه ، ثم جاء كتاب ادوارد سعيد عن الاستشراق ، وأثار كتاب سعيد ضجة مشهودة فى الغرب أكثر من الشرق ، فقد تصدى للدفاع عن المستشرقين ـ الواجب وضعهم فى المتحف حسب كلام نيونهوز . فأخذ نيونهوز على عاتقه إتهام البروفيسير ادوارد سعيد بالجهل وأن قيمة بحثه أقل من الصفر ، هذه الزئبقية موجودة فى كتابه عن (سوسيولجى) الشرق الأوسط ، وفى المراجع التى يستخدمها وأغلبها كتب مستشرقين لغويين وتاريخيين ، وحينما يعرض للصراع العربى ـ الإسرائيلى نقرأ عجباً . فهذا الصراع الدموى الذى نعانى منه يقول عنه نيونهوز : إنه نتيجة « للتمحور العرقى » فعنده لا الدين ولا التاريخ ولا الجغرافيا ولا القومية أو حتى الصراع بين الدول الاستعمارية والمستعمرة أو أى شىء أدى إلى استمرار الصراع .. وهو رأى يمكن قياسه بالقول أن كل إنسان « أنانى » وهذا منه لا شرح ولا تفسير .

أما حينما يتحدث عن مصر ـ وهى بلادنا التى نعرفها أحسن معرفة ـ نجده يقول : « صورة نموذجية لمجتمع الاستبداد الشرقى بنظامه الهيدرولكى فى الرى والعلاقة بين الحكام والمحكومين قائمة على « الاستسلام الكامل ، الرعب الكامل ، الوحدانية الكاملة » كما قال « كارل ويتفوجول » وبطبيعة الحال فإن ما قاله هذان السيدان هو « التزوير الكامل والتناقض الكامل » .

بروخمان الجلاد :

ألف البروفيسير يان بروخمان أستاذ الأدب العربى بجامعة ليدن العديد من الكتب عن القانون الإسلامى أى الشريعة . وأتم العمل الكبير الذى بدأه فنسنك فى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى . وهو عمل سيكفل له الخلود .

منذ حوالى العام ونصف العام نشر كتاباً عن (الأدب العربى فى مصر من عصر النهضة حتى الثورة) ويغطى كتاب بروخمان فترة طويلة جداً زمنياً ، وأصل الكتاب هو المحاضرات التى ألقاها الأستاذ على طلبة قسم اللغة العربية بجامعة ليدن ، فهو محاضرات جامعية أى كتاب أكاديمى بكل ما تعنيه الكلمة من معان .

يقع الكتاب فى ٤٣٩ صفحة وبه اثنا عشر جزءاً ، ويحتوى كل جزء على ستة فصول فى المتوسط .

من يبدأ فى تقليب صفحات هذا المرجع سيدهش من التوثيق ، فالرجل قرأ كل كلمة

تقريباً عن الأدب العربى الحديث . ويوجد أسفل كل صفحة عشرة هوامش فى المتوسط .. لكن بروخمان ، وهو يكتب الكتاب وقع فيما أعْتَقِدُ انه خطأ كبير ، فقد أراد أن يكتب عن كل مدرسة أدبية على حِدَةٍ ثم يعرض بالتفصيل لما كتبه الأديب أو الشاعر أو الناقد ، ويذكر نبذة عن حياته الشخصية ويختمه بقائمة بأعمال الكاتب .. ولأنه يغطى حوالى الخمسين شاعراً وأديباً وناقداً فى مساحة محدودة فإنه تقشف كثيراً جداً فى استخدام الكلمات . وكان من الأفضل أن يكتب الكتاب فى جزءين يغطى بهما تغطية اكبر إبداعات المبدعين الفنيين .

على أية حال نجد الأستاذ بروخمان يعترف فى المقدمة بأن الكتاب سيغيظ القارىء العربى ، والسبب الذى ذكره هو اعتماده على مراجع غربية فى الكتابة .

والحقيقة أن ما أغاظنى ليس الاعتماد على الكتب الغربية . فهو متأثر جداً بكاتبين غربيين فى الموضوع أولهما كتاب اليهودى المصرى الأصل ، الصهيونى الأمريكى والأستاذ بجامعة هارفارد : نداف سفران ، المعنون (مصر : البحث عن هيئة سياسية) ، والكتاب الآخر للبريطانى السورى الأصل والأستاذ بجامعة أكسفورد ألبرت حورانى : (الفكر العربى فى عصر النهضة) .

يشذ بروخمان عن الأستاذين المذكورين بأنه لم ير أى رجل عربى له قيمة فنية أو أدبية أو حتى علمية . فعنده :

أن رفاعة الطهطاوى أبا الثقافة المصرية « لم يكن مجدداً أو منفتحاً وبالرغم من مواهبه الأدبية فإنه لم يبز أو يصل لمستوى فنى مرتفع .

أما البارودى رب السيف والقلم كما نسميه « لم يكن شاعراً يكتب من وحى أفكاره ، وإنما استقى قدامى الشعراء » .

وأمير الشعراء « شوقى » وصفه للطبيعة (مبطط) ويكتب لإثارة الشفقة لاستحثاث المشاعر ، ومع أن شعره محكم إلا أنه غير مقنع ، لم يجدد شوقى فى شىء ولم تضف مسرحياته جديداً للمسرح المصرى .

أما شاعر النيل حافظ إبراهيم فإنه « سيكون مضيعة للوقت البحث عن مشاعره الشخصية فى شعره » .

ونجيب محفوظ « لم يعد لديه ما يقوله بعد الثلاثية » .

« وطه حسين » عمله الأدبى الوحيد الذى يستحق التقدير هو الجزء الأول من الأيام .

وهكذا لم يكتب الأستاذ كلمة حق عن أى شاعر أو أديب أو ناقد

فاردنبرخ : الراعى الطيب :

البروفيسير فاردنبرخ هو أستاذ الدراسات الإسلامية فى كلية اللاهوت بجامعة أوترخت ، وهو أكبر متخصص هولندى فى شئون الإسلام لا المسلمين وإن كان يعمل كمستشار لحكومته لشئون المسلمين فى هولندا .

إن تقييم أعمال فاردنبرخ عملية شديدة

الصعوبة ، فهو أستاذ لاهوت . والمثل الأعلى للاهوتيين هو الراعى الطيب ، الراعى فى الإسلام هو الأعرابى = المنافق[1]

على أية حال ، نشر فاردنبرخ أول أعماله فى بداية الستينيات باللغة الفرنسية وكان دراسة بعنوان « الإسلام فى مرآة الغرب » وفيها يعرض لأعمال خمسة علماء غربيين أو مستشرقين هم : المجرى جولد زيهر ، والألمانى بييك ، والفرنسى ماسينيون ، والهولندى سنوك ، والبريطانى ماكدونلد .

وهى دراسة ممتازة ، وإن كان يعيبها شىء واحد هو عدم معرفة الكاتب بالإسلام من الكتب الإسلامية العربية فهو لا يعرف لغة الضاد وبالتالى فعمله كان تمجيد المستشرقين المذكورين ، ولم يقم بنقد أى منهم كما لم يذكر آراء المسلمين فيهم .

وقد قامت وزارة الخارجية الفرنسية بتمويل الدراسة وهذا شىء ذو دلالة لا تغيب عن أحد .

ومع ذلك فمن يريد أن يعرف آراء المستشرقين المذكورين فى الإسلام يتوجب عليه الرجوع إلى دراسة فاردنبرخ فيها تلخيص واف لآرائهم ودراساتهم .

بعد ذلك نشر فاردنبرخ تلخيص لكتاب الفلسطينى إبراهيم ابو لغد المعنون « العرب : إعادة استكشاف أوروبا » وإن لم يذكر ذلك صراحة وقد قامت إحدى المجلات العربية بترجمتها من الفرنسية للعربية دون انتباه للحقيقة .

ولفاردنبرخ كتاب باللغة الهولندية عن الإسلام ، ويضم الكتاب مقالات بأقلام كل المستشرقين فى هولندا ، ولا يوجد به جديد بالنسبة للمسلم ، وأهمية الكتاب تكمن فى أنه أول عمل باللغة الهولندية عن جوانب الإسلام التاريخية والجغرافية والدينية إنه أقرب للموسوعة الصغيرة ..

أما نظرية فاردنبرخ الأساسية عن الإسلام فهى مثيرة للسخرية ومع ذلك فهى تستحق الإشارة إليها :

يعتقد فاردنبرخ أن هناك إسلامين لا إسلام واحد : إسلام رسمى ، وإسلام شعبى .

الإسلام الرسمى : هو الإسلام الذى بشر به ابن تيمية .

والإسلام الشعبى : هو إسلام المتصوفة والإخوان المسلمين والشيعة والخوارج .

هذه النظرية المضحكة مبنية على كتابات الرحالة الأوروبيين للعالم الإسلامى فى القرن التاسع عشر وتدل على سوء فهم صاحبنا للإسلام فابن تيمية مجتهد وفقيه وينتمى فقهه لمذهب احمد ابن حنبل ، ولا يمثل سلطة فكرية إلا عند السلفيين .

ثم ومتى كان هناك إسلامان ؟

إنه يخلط بين الفقه والتشريع والممارسات والمنظمة الدينية وهو تفكير قريب من تفكير رجال الكنيسة الكاثوليكية فى العصور الوسطى ولا يمت للإسلام ودراسته بصلة .

---

(١) هذا ما يراه فاردنبرخ .

أزمة الاستشراق الهولاندى

الراهب : يانسن

الراهب يانسن يحاضر عن الإسلام فى جامعة ليدن وسبق له العمل بالقاهرة فى المعهد الهولندى . ومستواه شديد التواضع

وقد نشر كتابين : أولهما عن تفسير القران الكريم فى مصر . وثانيهما عن الفريضة الغائبة .

يضم الكتاب الثانى ترجمة كتاب تنظيم الجهاد للانجليزية ، وعدة مقالات كان المذكور قد نشرها سابقاً فى الصحف الهولندية .

ويعانى (يانسن) من صعوبة كبيرة فى الكتابة ولهذا يلجأ إلى أسلوب الدعاية ، وهو يجهل مصر بشكل فظيع فعنده أن حزب الأحرار هو حزب اليسار . والأثرياء فى مصر هم الضباط وغير ذلك من المضحكات .

وفى مقالته عن « الشيخ شعراوى » يقول : إن هذا العالم الجليل يشبه يوحنا المعمدان الذى كان يبشر بقدوم السيد المسيح ، والشعراوى يبشر بقدوم المسلمين للحكم .

ثم يعرض لآراء وفتاوى الشيخ شعراوى فى الجن وغير ذلك من الشواذ .

وفى دراسة أخرى عن الشيخ كشك يذكر اسم (كشك) أكثر من ثلاثمائة مرة فى ثمانى صفحات تكرار مبالغ فيه جداً وهى مثل دراسته عن الشعراوى وكتاب الفريضة الغائبة يلجأ إلى عرض النصوص . ولا يوجد بكتاباته أى تحليل وإنما نقل من الصحف المصرية وترجمه من العربية إلى الانجليزية وحتى الترجمة ليست له فقد أشار فى المقدمة إلى أن سيدة أمريكية قامت بها . أما فى كتابه عن (تفسير القرآن) فنقرأ أن تفسير سيد قطب فى ظلال القرآن ليس إلا خطباً إنشائية ، وأن القرآن عند المسلمين له نفس مكانة المسيح عند المسيحيين وهى نظرية نشرها المبشر الكندى المعروف كونتويل سميث عام ١٩٦١ معتقداً أن هذه المقارنة ستيسر له نشر المسيحية بين المسلمين عن طريق التقليل من شأن رسول الإسلام . ويختم يانسن بقوله : إن تفسير القرآن عملية « مصطنعة » .

الخلاصة :

لقد اعتدنا فى العالم العربى اعتبار المستشرقين مجرد عملاء ، لا علماء ، وفى الحالة الهولندية يمكننا أن نجد أكثر من مستشرق ادعى الإسلام وذهب إلى العالم العربى الإسلامى . وإذا كان (سنوك هورخورنيه) هو صاحب هذه البدعة فإن تلميذ تلميذه الدكتور (فريد دويونج) تبعها فى السبعينيات حيث ذهب إلى مصر ليدرس الجماعات الصوفية وادعى فى مصر : أنه مسلم واستطاع الحصول على ثقة كثير من الشيوخ الذين زودوه بمعلومات هائلة عن تنظيمات وأعضاء الفرق الصوفية ، وقد أشار فى دراساته المنشورة إلى بعض معارفه النافذين جداً فى مصر ، والأنكى أنه يقوم بنشر دراساته فى إسرائيل وهو أستاذ فى (أوترخت) ولم أتعرض لدراساته لأنه (منافق) من جهة ولأنه ذو علم هائل فيما يتعلق بالتصوف والمتصوفة فى مصر بل يمكن

البقية " ص ٤٩٣ "

الدولة الإسلامية

الحقوق الاجتماعية (٢)

للعميد : أ.ح
د. فوزى محمد طايل

العمل قيمة اقتصادية واجتماعية :

لقد كرم الإسلام العمل ورفعه إلى مصاف العبادات ، فهو فرض عين على القادر من حيث كونه عملا ، وهو فرض على الكفاية من حيث نوع العمل الذى يؤدى . فكما عبر عن ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله بعد أن عدد أنواع الأعمال والصناعات : « إن هذه الصناعات فرض على الكفاية ، فإنه لا تتم مصلحة الناس إلا بها » ، فالعمل واجب وشرف ، وهو ضرب من ضروب الجهاد(١)

وقد حرص الإسلام على ألا تعطل طاقة من الطاقات الإنتاجية فى المجتمع ، فقد روى البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « لأن يأخذ أحدكم الحبل فيأتى بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » . فالعمل فى نظر الإسلام هو الوظيفة الطبيعية لكل حى وهو سر الخلق ، والحكمة فى الوجود ، وهو إضافة مستمرة للدخل القومى ، وللقوة الاقتصادية والاجتماعية للدولة ، كما أنه معيار للتفاضل بين الناس .

وإتقان العمل سمة من سمات المسلم الحق ، إذ يقول رسول الله ﷺ : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » . (رواه البيهقى) ، وكلما زاد إتقان العمل وتنوع ، وبذل فيه العامل غاية جهده ،

←

(١) تقدم المجلة هذا الجزء من البحث على مسئولية كاتبه . ولأى متخصص فى الشريعة الشريفة إذا رأى ما يستحق النقد فواجبه أن يتقدم بنقده إلى المجلة التى ستقوم بنشره .... (التحرير) .

واستخدم منتهى علمه ، تقدم المجتمع وارتقى ، كما أن آية الرقى الاجتماعى والاقتصادى فى مجتمع هى مدى إتقان العمل .

وتمثل محاربة البطالة فى المجتمع واعتبارها سبة فى جبين العاطل ، إن كانت نتيجة تقصير منه لعدم السعى فى طلب الرزق ـ عاملا اجتماعيا إيجابيا يؤدى إلى الإقلال من الجريمة واقتراف الإثم ، وإلى القضاء على روح الكسل واللامبالاة والسلبية ، كما تؤدى إلى رفع الروح المعنوية بين أفراد المجتمع ، وإلى إحساس كل فرد بكرامته وقيمته فى المجتمع بقدر مساهمته فى رفعة شأنه وإسعاد الآخرين ، فيبرأ المجتمع من الأمراض وتزداد مصادر قوته الاجتماعية والاقتصادية .

الحقوق المتفرعة عن حق العمل

١ـ حق العامل فى الحصول على أجر:

هو أهم الحقوق المتفرعة عن حق العمل ، ولقد حض الإسلام على ضرورة تحديد الأجر فى عقد العمل ، ونهى عن استئجار الأجير حتى يعلم أجره . يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ﴾ . . (القصص / ٢٧) . وقال رسول الله ـ ﷺ ـ فيما رواه النسائى : « من استأجر أجيرا فليعلمه أجره » . كما روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : « ظلم الأجير أجره من الكبائر » . وقد نهى الإسلام عن أعمال السخرة أو تشغيل العامل بأجر لا يتناسب مع ما قام به من إنتاج فيقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ . . (الأعراف / ٨٥) ويقول جل شأنه : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (الأحقاف / ١٩) ، فإذا ما رضى العامل مرغما أن يعمل دون « أجر المثل » ، أو تضمن عقد العمل شروطا مجحفة به ، كان له أن يقتضى حقه كاملا من رب العمل ، كمن اضطر إلى بيع سلعته بأقل من ثمنها الحقيقى . وعلى القاضى ، إذا رفعت إليه الخصومة ، أن يمكن العامل من ذلك ، وأن يرد الأجر إلى أجر المثل ، وأن يلغى الشرط المجحف بالعامل .

إن معيار الاتفاق على الأجر فى العمل الإنتاجى هو قيمة ما يُنتَج من سلع او خدمات . فإذا ما علمنا أن الإسلام قد ساوى فى الأهمية بين عنصر رأس المال وعنصر العمل أيا كان النشاط الإنتاجى ، سواء أكان ذلك فى التجارة ، أم فى الصناعة ، أم فى الزراعة ، أم فى إدارة العمل لصالح صاحب رأس المال بصفة عامة . وجعل الربح مشاركة بين صاحب العمل وعماله ، لأمكننا القول بأن الإسلام قد رفع من قيمة العمل ، وكرم العامل وجعله يحصل على كامل حقوقه ، ولأدركنا مدى العدالة التى قررها الإسلام فى العلاقة بين رب العمل وعماله ، ومدى التضامن بينهم بما يضمن رفع الإنتاج . وبذا يظهر تفوق ما جاء به الإسلام على كل النظريات الحديثة فى هذا المجال .

والإسلام يكفل لكل عامل من عمال الدولة حدا أدنى من الأجر ، هو « حد الكفاية » ،

أى إشباع كل حاجات العامل من مأكل وملبس ومسكن وما إليها . روى الإمام أحمد وأبو داود أن رسول الله ﷺ قال : « من ولى لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا ، أو ليس له زوجة فليتزوج ، أو ليس له دابة فليتخذ دابة » . فالدولة احتجزت العامل عن أن يسعى على رزقه ، فكان حقا عليها أن توفر له كفايته من بيت مال المسلمين مقابل عمله الذى يعود بالخير على المجتمع الإسلامى كله .

وأيا كان نوع العمل ، وأيا كانت علاقة العمل وشروط العقد فإن للعامل أجرا إضافيا إذا هو كلف بعمل يفوق المعتاد أو المتفق عليه . قال رسول الله ﷺ فيما رواه البخارى : « ولا تكلفوهم ما لا يطيقون فإذا كلفتموهم فأعينوهم » . والإعانة هنا تكون بالأجر الإضافى أيا كان مسماه وإعطاء الأجر على العمل الإضافى هو إعانة بلا ريب .

٢- حق العامل فى الراحة والفراغ :

إن للعامل الحق فى أن تحدد له ساعات العمل ، وأن يعطى وقتا للراحة والفراغ لأداء العبادات ، والقيام بحق الزوجة ، ورعاية الأبناء ، والراحة والترويح عن النفس ، وكل ذلك يعد إعمالا لمبدأ « دفع الحرج والمشقة » ، وهو من المقررات الشرعية الإسلامية . يقول رسول الله ﷺ : « إن لنفسك عليك حقا ، وإن لجسدك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا ، وإن لعينك عليك حقا » (رواه البخارى) .

٣- حق العامل فى الحماية الاجتماعية :

للعامل الحق فى التعويض العادل عن أضرار العمل وعن أمراض المهنة ، ويقع هذا التعويض على عاتق صاحب العمل إعمالا للقاعدة الشرعية « الغرم على قدر الغنم » .

ولما كان العامل مواطنا كسائر مواطنى الدولة الإسلامية فإن له حق الرعاية الصحية وحق الحصول على نصيب كافٍ يعينه فى حالات العجز عن الكسب والشيخوخة طبقا لمبدأ التكافل الاجتماعى فإن لم يكن له من يعوله ويسد حاجته فى تلكم الحالات وقع عبء ذلك على بيت مال المسلمين .

٤- موقف الاسلام من بعض الحقوق الحديثة

المتفرعة عن حق العمل

تقرر « الدساتير » الحديثة - ضمانا لجعل شروط العمل ملائمة وحماية لحقوق العمال - حقين أساسيين هما :

حق تكوين النقابات ، للدفاع عن حقوق العمال ، ولمناقشة شروط عقود العمل مع أرباب الأعمال .

وحق الإضراب الذى يؤكد حرية العامل فى أن يعمل أو لا يعمل ، حتى لا يقع العمال تحت سيطرة وجشع أرباب الأعمال .

إن حق تكوين النقابات لا يتعارض مع المبادىء العامة الإسلامية التى تدعو إلى التعاون على البر والتقوى ، ودفع الظلم عن المظلومين ، فضلا عن كون النقابات تعد وسيلة من وسائل التكافل الاجتماعى لما تقدمه من خدمات اجتماعية وثقافية وتأهيلية لأعضائها إذا أدت أعمالها على الوجه الذى يرضى الله ورسوله .

بيد أن حق الإضراب لا يتمشى - فى رأينا - مع المبادىء العامة للإسلام ،

فلا يجوز اعتباره حقا من حقوق العمال ، إذ انه يؤدى إلى إحداث الاضطراب فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وإلى تعطل مصالح الناس والإضرار بها .

ولما كان « دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح » و « الضرر الخاص يتحمل لدفع الضرر العام » فعلى السلطة العامة الا تسمح بالإضرار بالمصلحة العامة للمجتمع ، وعليها أن تزيل المفسدة مع رد الظلم إذا كان هناك ظلم وقع على طائفة من طوائف العمال ، ويكون تدخلها كما يقول الإمام ابن القيم فى « الطرق الحكمية » : « لحمل أرباب الحرف والصناعات على العمل بأجرة المثل إذا امتنعوا عن العمل وكان فى الناس حاجة لصناعاتهم وحرفهم » .

وفى مقابل عدم جواز الإضراب فإن على السلطة العامة أن تتدخل لإقامة العدل بين هؤلاء وهؤلاء ، فتمكن العمال من الحصول على الأجر العادل ، وتلغى الشروط الجائرة فى عقد العمل فتحافظ بذلك على حقوق العمال ، وتستقيم الأمور ، ويتحقق التوازن بين الأطراف ، وينجو المجتمع من الاضطراب والفوضى .

ثانيا : الزكاة ـ تحصيلها وانفاقها فى مصارفها الشرعية

١ـ شمول تشريع الزكاة :

الزكاة تشريع مالى إسلامى شرع للحفاظ على التوازن الاقتصادى والاجتماعى فى المجتمع الإسلامى ، وأداة من أدوات التكافل الاجتماعى ، وهى الركن الثالث من أركان الإسلام لقول رسول الله ﷺ : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » (رواه البخارى) .

والزكاة تشريع شامل من حيث دافعيها ومن حيث الأموال الخاضعة لها وكما أن الزكاة واجب على القادر عليها ، فهى حق لمستحقها لقول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ . وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ . (المعارج ٢٣ ـ ٢٥) .

ولذا فإن المال إذا وجبت فيه الزكاة لا يجوز بيعه ، وإذا باعه صاحبه يكون بيعه باطلا ، لأنه بوجوب الزكاة صار غير مالك للمال كله ، فإذا باعه فقد باع ما يملك مع ما لا يملك ، والبيع على هذا الوجه يكون باطلا .

٢ـ السلطة العامة مسئولة عن جمع وتوزيع الزكاة

لم يترك الإسلام أمر الزكاة لضمائر الأفراد إن شاءوا أدوها كيف يشاءون ووقتما يشاءون وإلى من يشاءون ، وإنما أمر الله تعالى بتحصيلها فى قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ . .

(التوبة / ١٠٣) ، وحدد سبحانه أوجه إنفاقها فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ

﴿ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة / ٦٠) .

فالسلطة العامة تقوم بجمع الزكاة امتثالا لأمر الله ولقول رسول الله ﷺ : « من أداها مؤتجرا فله أجرها ، ومن أباها فإنى آخذها وشطر ماله » (رواه النسائى) ، وأن تنفقها فى الأوجه الشرعية التى حددها الله تعالى .

إن ترك الزكاة لضمائر دافعيها قد يؤدى إلى ألا يحصل الفقير على حقه إذا ضعفت الضمائر واستولى الجشع وحب المال على الناس . كما أن قيام الدولة بهذا الأمر يمنع وجود اتصال مباشر بين دافع الزكاة ومتلقيها فيكون التوزيع العادل لحصيلة الزكاة من جهة وحفظ كرامة متلقى الزكاة من جهة أخرى .

وتعد الزكاة واحداً من الموارد المالية الهامة لخزينة الدولة تستخدمها بهدف تحقيق تقدم المجتمع .

٣ـ الآثار الاجتماعية والاقتصادية للزكاة :

تعد الزكاة وسيلة من الوسائل الرئيسية التى تستخدمها الدولة الإسلامية فى إزالة الفجوات الاجتماعية بين الطبقات فيسود الأمن والأمان فى المجتمع .

إن الزكاة فى الإسلام تختلف ، فى مقدارها ، عما عرفته النظم السياسية قديمها وحديثها من عون مادى ، فهى ليست إلقاء لفضلات أموال الأغنياء للفقراء ، وإنما هى مقدار معلوم ، يمثل جزءاً من ثروة الأمة ودخلها القومى ، وهو قدر لو تعلمون كبير ، كما أن الزكاة لا تجوز شرعا إلا من أوسط مال المسلم إذ يقول الله تعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران / ٩٢) .

إن تشريع الزكاة يهدف إلى إغناء الفقير ، ووقايته نهائيا ذل المسألة ، وشر الفاقة ، وفى ذلك يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لأكررن عليهم (أى على الفقراء) الصدقة (أى الزكاة) وإن راح على أحدهم مائة من الإبل » .

إن الحد المعقول الذى يعطاه الفقير المسكين هو أن نصل به إلى الحد الذى يحوله إلى قوة إنتاجية يفيد غيره ويوفر الخير على المجتمع كله . يقول الإمام النووى فى « المجموع » : « فإن كان عادته الاحتراف أعطى ما يشترى به حرفته ، وآلات حرفته قلت قيمة ذلك أو كثرت ، ويكون قدره بحيث يصل له من ربحه ما يفى بكفايته غالبا تقريباً ، ويختلف ذلك باختلاف الحرف والبلاد والأزمان والأشخاص » .

إن الزكاة بهذا الشكل تغطى الإنفاق فى مجالات ترهق ميزانية الدولة فى وقتنا الحالى ؛ فهى حسب ما جاء فى القرآن الكريم يمكن أن تنفق فى مجالات : الشئون الاجتماعية والعمل (للفقراء والمساكين عامة ، وعلى طالبى العمل منهم بصفة خاصة) ، فنقضى بذلك على البطالة كما تغطى مرتبات موظفى بيت مال المسلمين (فهم العاملون عليها) ، ويمكن أن يعطى منها المسلمون حديثو الإسلام خارج الدولة الإسلامية ، لتأليف قلوبهم ، ولتشجيع غيرهم على الدخول فى الإسلام ، وهى تحل محل التأمين ضد الكوارث ، وتعطى لمن يعسرون أو يفلسون (وهؤلاء هم الغارمون)

وبذا ندعم الائتمان ، فتسود الثقة فى المعاملات ، الأمر الذى يساعد على التنمية الاقتصادية والانتعاش ، ويقضى على الكساد والركود .

ثالثا : نفقات الأقارب :

لعل أجدر المستويات الاجتماعية بالترابط والتماسك هو مجتمع الأسرة بمفهومها الواسع ، لذا فقد اهتم الإسلام بصلة الرحم . يقول الله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء / ٣٦) . ويقول عز من قائل : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ . (الإسراء / ٢٦) .

ولا يختلف فقهاء المسلمين حول تقرير دعوى قضائية للقريب أو لذى الرحم للمطالبة بحق النفقة ـ الذى هو حق قانونى (شرعى) ، وليس مجرد صدقة غير واجبة ـ إذا ما كان القريب أو ذو الرحم غير قادر على العمل ، أو يعمل ولا يستطيع أن يسد حاجته بما يكسب . وللقضاء الإسلامى أن يجبر القريب الموسر على الإنفاق على قريبه غير القادر . وإن القارىء لكتب الفقه ليجد تفصيل ذلك تحت عنوان (باب النفقات) . وما أظن أن التشريعات القديمة أو القوانين الوضعية فى الدول الحديثة قد اشتملت على مثل ذلك .

ومن صور العجز التى توجب الإنفاق « الصغر » ، و « المرض » الذى يقعد عن الكسب ، كذا « عدم القدرة على إتقان الصنائع » . كما أن « الأنوثة » تعد من حالات العجز فى بعض الوجوه . وعند فقهاء الحنفية : أن « لطلبة العلم » ، الذين ينصرفون لطلبه ، الحق فى النفقة بشرط أن يكونوا ناجحين . وتعد « البطالة » من صور العجز مالم يكن التعطل بسبب فساد خلقى أو إهمال أو تقصير .

والنفقة تشمل الطعام ، واللباس ، والتعليم ، والتزويج ، والحاجات الاجتماعية الأخرى حسب العرف السائد .

خلاصة هذا أن على الفرد المسلم أن يعمل ليسد حاجته وحاجات من يعول ، فإن كان عاجزاً انتقلت المسئولية إلى القريب الغنى (الأقرب فالأقرب) ، فإن لم يكن له قريب غنى كانت نفقته فى خزانة الدولة ، يقتضيها جبرا بالطريق الإدارى إذا رفض ولى الأمر التنفيذ اختيارا .

رابعا : العقوبات المالية الدينية (الكفارات ـ الدية) :

هى عقوبات تعبدية قدرها الشارع الحكيم عند ارتكاب أمر معين فيه مخالفة لأمر الله تعالى . ولا شك أن هذه العقوبات المالية الدينية تساهم فى سد الخلل الاجتماعى وتعد مصدرا من المصادر المالية للتكافل الاجتماعى .

وتنحصر الكفارات فى كفارة الأيمان ، والظهار ، وقتل الصيد أثناء الإحرام ، أو فى الأرض الحرام مطلقا ، والإفطار فى رمضان ، وحلق رأس المريض فى الحج . أما الدية

فتكون فى القتل الخطأ ، ويتحملها القاتل ، وعاقلته على حسب ما هو معلوم مقرر فى كتب الفقه .

خامسا : الوسائل الدينية التطوعية :

ليست الزكاة هى كل ما ينفقه المسلم القادر ، ولكنها تعتبر الحد الأدنى الذى يقوم القادر بإنفاقه وجوبا عليه ، ثم هناك وسائل أخرى متروكة للضمير الدينى ، وليس للسلطة العامة التدخل لإجبار من لم يقم بأدائها ، فهى محض عبادة بين العبد وربه .

هذه الوسائل تتمثل فى الصدقات غير المفروضة .

وإذا كان الإسلام قد ندب إلى الإنفاق التطوعى إلا أنه حذر من السؤال ونفر من قبول الصدقة إلا فى حالات قليلة ، وذلك فيه حفظ لكرامة المسلم ومنع له من الركون إلى الكسل وعدم السعى فى طلب الرزق .

لقد كرم الإسلام الإنسان ، لذا فقد فضل أن تكون الصدقة سرا بين المعطى والآخذ ، كما ارتفع بقدر الصدقة وجعلها تعاملا بين المعطى وربه ، وارتفع بالمتصدق فوق الشعور بالمن والمباهاة .

سادسا : الضرائب :

لم يعرف المسلمون على عهد رسول الله ﷺ اصطلاح الضريبة . بيد أن الدولة الإسلامية على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد شهدت نوعين من الضرائب هما « العشور » و « الخراج » وإن كان لفظ الضريبة لم يكن قد عرف بعد .

ومشروعية فرض الضرائب تستند إلى المصلحة المرسلة لمواجهة الإنفاق المتزايد للدولة فى أوجه غير داخلة فى مصارف الزكاة ، أو لأن الزكاة قد لا تفى بمتطلبات الإنفاق فى الدولة .

والحقيقة أنه لا تعارض بين الزكاة وبين الضريبة ، كما أن إحداهما لا تغنى عن الأخرى ، لأنهما تختلفان من حيث أساس وجوبهما ، ومن حيث أوجه إنفاقهما ، كذا فهما مختلفتان فى مصدر التشريع ، وفى الغاية ، وفى المقدار ، وفى الاستقرار والدوام .

ذلك ، وهناك من مظاهر التكافل الاجتماعى فى المجتمع الإسلامى صور أخرى ككرم الضيافة والإحسان إلى الجار ، وهما من دلائل الإيمان بالله واليوم الآخر لقول رسول الله ﷺ :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليحسن إلى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » (رواه مسلم) ، كذا الجود ، والكرم وإنفاق فضل الأموال فى سبيل الله .

وإعطاء من حضر قسمة التركة من غير الوارثين لقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ (النساء / ٨) . كل هذه أيضاً من مظاهر التكافل الاجتماعى فى المجتمع الإسلامى .

من كل ما سبق أن عرضنا له نجد أن الدولة الإسلامية تقر وتحمى الحقوق والحريات جميعا ، فتقر الحريات الاقتصادية ، وتقيم الحريات الاجتماعية ، وتحمى ممارسة الحقوق والحريات الفردية .

فما الضمانات الفعالة التى تكفل كل هذه الأمور . هذا ما سنعرض له فى مقالنا القادم بإذن الله .

العلمانية

ضياع للدين والدنيا

احب في البداية ان اقف بثبات ويقين على حقيقة الدين وكذلك على حقيقة العلم وخصائص كل منهما .. وحقوقه على النفس البشرية وكذلك حدوده التي يجب الا يتجاوزها داخل هذه النفس .. وبعد هذا التحديد نتصرف بشيء من الوضوح على الطبيعة الحقيقية للعلاقة الكامنة بينهما .

وامل ان تكون تلك البداية الصحيحة في مثل هذا البحث وانا على كل حال اطمئن إلى ان الاتفاق على المسلمات والاصول منذ البداية يسهل الاتصال في الفروع والجزئيات .

لقد وضع البعض الدين في كفة الميزان والعلم في كفته الأخرى حتى أصبح هناك خطر من أن يلتصق بأذهان الناس أن الدين والعلم جزءان أو قسمان في كيان واحد وعلى الرغم من أنه كان يجب أن يكون من بديهيات المفكر المؤمن ألا يكون الدين جزءا من شيء بل لابد أن يكون كلا يحتوي أجزاء .

الدين

إن الدين في واقع الأمر هو رمز العلاقة بين الإنسان والكون .

وإذا كان انتماء الإنسان للكون هو الأوثق والأهم والأجدى في علاقاته بالأشياء فلا شك أن تلك العلاقة التي تربط الإنسان به يجب أن تحمل معها أغلى الأماني وأعظم الطموحات التي يطلبها الإنسان من وجوده .

أقول هذا بداية لِيُفْهَمَ أن الإنسان ليس مضطرا إلى بناء هذه العلاقة بدافع الخوف من المجهول فقط ، وإنما بدافع الرغبة في الخلود .. ذلك أن هناك إحساسا عميقا في كل نفس بشرية يؤكد فكرة العودة والبقاء برغم فناء الجسد .. وأن هذا الشعور لن تُلَبِّيَ مطالبهُ اية علاقة أخرى غير تلك ، تفسر معنى حقيقيا لانتماء الإنسان للكون .. والدين هو

للدكتور: بكرى ياسين إبراهيم

الممثل لتلك العلاقة وهو حينما يحمل للإنسان تفسيراً كاملا لحقيقته فى الكون فمعنى هذا أنه يحدد له مجموعة أشياء فى مقدمتها ثلاثة :

أولها : هو المعرفة بالله ـ خالق هذا الكون ـ ومحتوى هذه المعرفة أن يتحدد لدى الإنسان من هو خالقه ؟ كيف هى صفات ذلك الخالق ؟ ماذا يريد من الإنسان على وجه التحديد ؟

ثانيها : المعرفة بالنفس البشرية ـ أى أن يتفهم الإنسان المحتوى الحقيقى لقدراته المادية والنفسية ويتحدد لديه المجال الذى يمكن أن تتحرك فيه تلك القدرات والمجالات الأخرى التى تحول طبيعته دون تجاوزها .

ثالثا : المعرفة للأشياء والمخلوقات الأخرى من حوله (شاملة معرفة الإنسان بأخيه الإنسان) ومضمون تلك المعرفة أن يتحدد لدى الإنسان فى البداية حقوقه لدى تلك الأشياء وواجباته تجاهها ـ ثم الوسيلة الشرعية التى عليه أن يستخدمها لأداء هذين الفعلين فى إطار القوانين الإلهية ، التى وضعت لتنظيم العلاقات بين المخلوقات المتعددة فى الكون الفسيح .. فلم ينفصل الدين عن الدنيا بل جعل العمل طريقا للآخرة .

والعمل فى الأرض لا يمكن أن يؤديه الإنسان فى صورة فردية تامة بل لابد من الاعتماد فيه على الآخرين وكذلك على الأشياء من حولهِ .. إذاً منشأ العلاقات بين البشر بعضهم البعض وبينهم وبين المخلوقات الأخرى ـ أمر تحتمه الضرورة (الحياتية) .

وبما أن البشر ليسوا سواسية فى أى جانب من الجوانب وبخاصة فى مدى التزامهم بالقيم الأخلاقية أو فى مدى نزوعهم إلى أحد جانبى الخير أو الشر ، إذاً كان لا يمكن للدين أن يكتفى بمجرد التوجيه أو التحديد الضيق للعمل الفردى فقط وإنما كان طبيعيا أن يتدخل لتنظيم العلاقات الاجتماعية فى أعم وأخص أشكالها .

هذا باختصار ما يخص أهم مفاهيم الدين .

العلـــــم

أما العلم فلست أدرى ماذا يعنون على وجه التحديد حينما يذكرون هذا اللفظ ؟ هل يعنون العلم كترجمة للكلمة الإنجليزية science والتى يحدد القاموس الانجليزى معناها فى الـ cavful study أى الدراسة المتأنية أو بالأحرى الدراسة المنهجية ..

أو أنهم يقصدون من وراء هذا اللفظ مجرد العلوم البحتة التى تتحدد طريقتها فى التجربة

المعملية .. على كل حال سأتصور الأمر على الوجهة الأولى لأنها الأعم والأشمل .

والواقع أن الدراسة المنهجية المتأنية الباحثة هى وسيلة دينية مفروضة على بنى الإنسان لكن لسبب ما من الأسباب التى دفعت أوروبا إلى نبذ الدين جانبا .. جعلتها بغير هذه الخاصية فى الدراسة المنهجية التى تهدف إلى ابتكار الإنسان واختراعه ومجهوده عبر الزمن .

فما كان من الأوروبيين إلا أنهم سعوا سعيا إلى إحلال العلم مكان الدين .. لذا فإنه يكون من الخطأ الكبير أن يقف الإنسان موقفا مضادا من العلم بدعوى أنه فشل فى إنقاذ الإنسان من الغرق أو فى إثبات هوية الإنسان الحقيقية فى تلك الحياة وإذا فعل الإنسان ذلك فإنما يعنى هذا أنه قد أخطأ فهم حقيقة العلم وكونه وسيلة من وسائل الدين ولكن بأى حال لن يكون العلم دينا جديدا ولنذكر هنا ما قاله يوما (سومرست موم) :

(إن أوروبا قد نبذت اليوم إلهها وأتت بإله جديد هو العلم ، ولكن العلم كائن متقلب فهو ينفى اليوم ما أثبته بالأمس ، ويثبت غداً ما نفاه اليوم ولذلك تجد عباده فى قلق دائم لا يستقرون) .

أوروبا إذاً قد صدمت فى حقيقة العلم لأنها أرادت أن تستبدل الدين به ، أرادت أن تستخدمه فيما لم يهيأ له وحاولت أن تجيب من خلاله بإلحاح على السؤال الأهم أعنى : لماذا ؟ فما استطاع العلم إلا أن يصف الظواهر ويجيب فقط عن (كيف)؟[2]

إن العلم من أهم الوسائل الدينية لعمران النفس والأرض شرط أن يستخدم فى إطار الدين ، أما إذا استخدم فى أى إطار آخر فهو لن يؤدى فى النهاية إلا إلى الانحراف .

من ثم فالعلاقة بين الدين والعلم ليست هى العلاقة بين طرفى نقيض أو بين كفتى ميزان ، فالدين كيان كبير له خصائص ثلاث والعلم وسيلة هامة لتحقيق وتثبيت هذه الخصائص .

إذاً ما العلمانية ؟

وما المعنىّ بها على وجه التحديد ؟

وهل لها فى الأصل علاقة حقيقية بالعلم ؟

وما الأسباب التى دفعت إليها فى المجتمع الأوروبى ؟

وما الأسباب التى تدفع بعض المثقفين فى المجتمع الإسلامى إلى المناداة بها شريعة جديدة للمجتمع ؟

أسئلة كثيرة سنحاول الإجابة عنها بتحديد وإخلاص .

(٢) أهم سؤالين عن شىء ما ، لبيان كنهه هما السؤال عنه بـ : لماذا ، و « كيف » انظر فلسفة البراجماتزم .

أمـا الإجـابـة عن السؤال الأول : ما العلمانية ؟ فيمكن أن تكون فى ثلاثة فروع :ـ

الأول : حقيقة لفظ علمانية .. وهو فى اللغة الانجليزية يطلق عليه secular من secular-ism (وهو بمعنى لا دينى أو فصل كل أمر فى الحياة عن الكنيسة) هكذا تجد المعنى فى كل القواميس الغربية ، وإذا نحن تساءلنا : كيف ترجمت الكلمة إلى العربية على هذا النحو الذى يربطها بالعلم ؟ يجيب صاحب المذاهب الفكرية المعاصرة قائلا : « بكل تأكيد لا علاقة للفظ sicvlurism بالعلم لكن المارونيـين المسيحيين اللبنانيين هم الذين نشروا اللفظ فى المجتمع الإسلامى على هذا النحو ، كى يغطوا حقيقته ويزينوه أمام الناس لأن المعنى الحقيقى له (اللادين) » ولو أنهم قالوه للمسلمين ابتداء لما استجاب لهم أحد .

هذه هى العلمانية من ناحية اللفظ .

أما كيف أضحى معناها من حيث المجاز فهذا ما سأحاول التوصل إليه الآن .. وقد يبدو ملاحظاً عند تحديد هذا المعنى المجازى أنه غير محصور فى شىء واحد يمكن استيعابه والاستقرار على حقيقته ..

على كل حال لقد توصلت إلى أن هذه الكلمة استخدمت مجازاً للإشارة إلى أوضاع ثلاثة :ـ

الأول : اعتبار معناها المجازى مشابها بصورة تامة لمعناها اللفظى على النحو الذى أوردناه آنفاً ..

وقد انتشر الداعون إليها على هذا النحو فى أوروبا خلال العصور الوسطى أو بعدها حيث كانت الثورة الحقيقية على الكنيسة وقد ورث دعوتهم مجموعة من مشاهير علماء النفس والاجتماع من أمثال (سيجموند فرويد) الذى قال : (إن تاريخ البشرية ثلاث مراحل أو عصور : عصر الخرافة ـ عصر التدين ـ عصر العلم) ثم حمد الشيطان على أن البشرية تخلصت من المرحلتين الأوليين إلى الأبد ودخلت المرحلة الثالثة التى يظللها فيها العلم وتتفتح لها أضواء المعرفة فتنير الطريق ؟

الثانى : وتمثله طائفة من بعض الشرقيين المتأثرين بالثقافة الغربية والدائبين على الاطلاع فى كافة نواحيها وهؤلاء استخدموا لفظ العلمانية أحيانا بمعنى التفكير الحر أو القراءة الحرة والاطلاع الحر فى كافة مجالات الحياة ... وليس فى الدين الإسلامى ، وربما فى معظم الأديان ، ما يحرم هذا الاطلاع الحر .

إنه بكل تأكيد لا يوجد ذلك ـ اللهم إلا إذا كان مثل ذلك التفكير مسبوقا بالتحرر التام من صفة المفكر الدينية حين الاطلاع ، فإن استدعاء الدين ضرورة للحكم على الأفكار الجديدة أو لحكم الأفكار الجديدة عليه ، فأما استبعاد الدين من ساحة العقل فى هذه الآونة بالذات فإنما يعنى عزلا مقدما له عن دائرة السلوك التى ستتكون حتما بصورة متناقضة مع تعدد المناحى وذلك بحكم القناعات المتعددة التى نشأت فى العقل الواحد . وأذكر

هنا فكرة (كتاب الـ [illegible] الجاهلى) لطه حسين إنها نفس الفكرة الشيطـ[illegible] التى أتحدث عنها والتى كادت أن تتسبب فى إلحاد الرجل نظراً لأنه استخدم فلسفته التى حيدت مخزونه الفكرى الإيمانى فى الوقت الذى كان استعماله ضرورة لمقابلة الأفكار الجديدة ..

أيضاً مما يعزز تصورى لانطباع العلمانية أو لإيمان البعض بالفكر الحر على هذا النحو هو أن هذا المصطلح (المفكر الحر) استخدم أيضاً فى أوروبا بمعنى المفكر الملحد ـ أى الحر من سيطرة الكنيسة .. وهكذا تجد ترجمته فى القواميس الغربية .

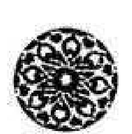
الثالث : ويشمل الجانب الأكبر من المتعصبين لفكرة العلمانية .. وهؤلاء هم الذين يرونها تتمثل فى فصل الدين عن الدولة واعتبار الدين عقيدة لا شريعة ويحسن بى هنا أن أنقل بعضاً من أفكار هذه الطائفة على لسان أحد أقطابها فى مصر وهو الدكتور فؤاد زكريا حيث يقول :

(إن الإنسان كائن متغير ومن ثم ينبغى أن تكون الأحكام التى تنظم حياته متغيرة ، وأن تغير الإنسان حقيقة أساسية لا يستطيع إنسان يحترم عقله وعلمه أن ينكرها ، وحقيقة التغير هذه تحتم أن تكون القواعد التى يخضع لها متغيرة بدورها ، وأن العقل البشرى البسيط والمباشر يأبى أن يكون هناك فى المجال البشرى ما يصلح لكل زمان ومكان ، ما دام الإنسان ذاته قد طرأت عليه تغيرات أساسية فى الزمان كما طرأت عليه تغيرات جوهرية فى المكان) .

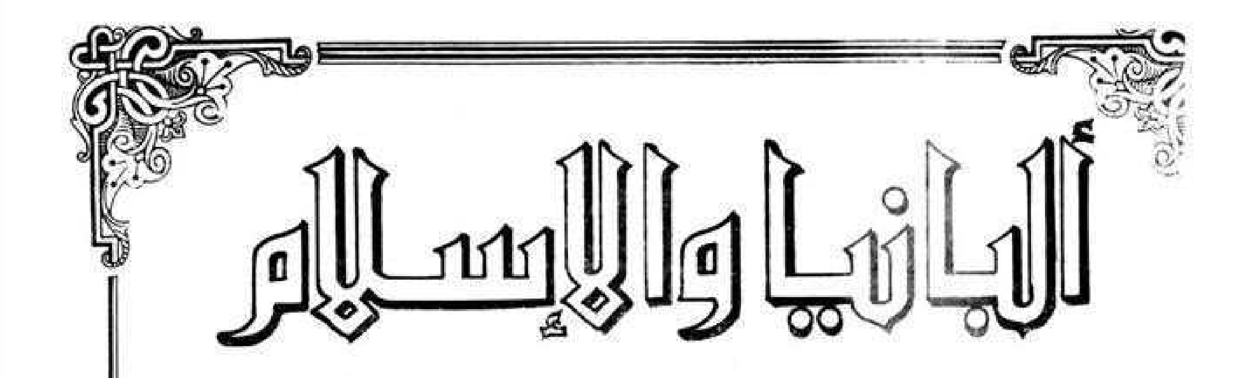
أى فعبارة « الشريعة صالحة لكل زمان ومكان » عبارة وهمية فى عالم الدكتور فؤاد زكريا .

كذلك يضيف (... أن الحكم عملية بشرية أولا وأخيراً ، وإنه إذا تم شىء آخر غير ذلك فمعناه الحجر على الإنسان والحكم عليه بالجمود الأبدى .)[٣]

إذاً تلك الطائفة تعنى إبقاء الدين ، ولكن كمجرد عقيدة فى القلب واستبعاده من دائرة المعاملات فى كافة المجالات (الحياتية) من سياسة وقانون واقتصاد واجتماع .. الخ .



(٣) فؤاد زكريا (الحقيقة والوهم فى الحركة الإسلامية المعاصرة) دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٦ ص ١١ ، ص ١٢ .



لفضيلة الأستاذ الشيخ
توفيق إسلام يحيى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

البانيا والإسلام

إن الكلام عن « البانيا والإسلام » يتطلب منا ان نذكر نبذة مختصرة عن البانيا الأصلية والحاضرة ليلم القارىء بالموضوع من اوله إلى آخره إلماما يطبع فى ذهنه صورة كاملة عن البانيا : اصلها وحاضرها ، والخدمات الجليلة التى قامت بها دفاعا عن الإسلام فى مدى اكثر من اربعة قرون إلى أن افل نجم الإسلام وانطفات انواره مع التلميح إلى من تقع عليه تبعة هذا الأفول وذلك الانطفاء رجـاء تحقق العمل على إزالة الضباب وقشع السحب لتعود انوار الإسلام تملأ جنبات البانيا وتطرد ما ران عليها من ظلمات لم تقع اكثرها بايدى ابنائها ، وإنما حصل ذلك باثر خارجى لم تتحد جهود المخلصين من الزعماء المسلمين للقضاء عليه ورده على أعقابه فى اوانه .

أصل الألبانيين .

بادىء ذى بدء أقول : هناك ثلاث كلمات يجدر بى أن أحيط القارىء الكريم علما بأصلها ومعانيها .

الكلمة الأولى « ألبان » ومعناها هذا الشعب المخصـوص . وهى فى الأصل « أربان » ولما بدأ الرومان ينتشرون فى البلقان وأخذوا يحتكون بالشعب الألبانى المقيم بها قبلهم بقرون استبدل الرومان اللام بالراء فصاروا ينطقون « ألبان » بدل « أربان » .

وبمرور الزمن ذاعت هذه الكلمة واشتهرت فى البلقان كلها .

الكلمة الثانية «.أرناؤوط» فقد اصطلح العثمانيون على إطلاقها على الشعب الألبانى وهى عندهم مشهورة بالدال المهملة ، وعند العرب بالطاء المهملة ، وهى وإن كانت شبه جمع يفرق واحدة بياء النسبة إلا أن العرب جمعوها على « أرانطة » .

الكلمة الثالثة « شكيبتار » وهى كلمة البانية الأصل مأخوذة من « شكيبته » ومعناها فى اللغة الألبانية « النسر » ومعنى « شكيبنى » « أرض النسور » و « شكيبتار » معناها « أولاد النسور » .

منشأ الألبانيين الأصلى

نشأ الألبانيون فى « آسيا الوسطى » ويحدثنا التاريخ القديم أن الشعب الألبانى كان أول الشعوب التى استوطنت البلقان فى القرون السحيقة . ويرى بعض المؤرخين أنه لا يعرف بالضبط مبدأ نزوح الشعب الألبانى إلى هذه المنطقة .

يقول فقيد العالم الإسلامى والعروبة أمير البيان « شكيب أرسلان » فى كتابه القيم « لماذا تأخر المسلمون ... ؟» : « ... ولم يزل الأرناؤوط أرناؤوطا منذ عهد لا يعرف بدؤه بين أمتين كبيرتين : « اليونان والصقالبة أى السلاف » وقول فقيد الإسلام والعروبة وهو فى الوقت نفسه رأى قدماء المؤرخين لأكبر دليل على أن الألبانيين سكنوا هذه الأصقاع واستوطنوا البلقان فى الوقت الذى كانت خالية من السكان .

غير أن المحققين من المؤرخين الأوروبيين تمكنوا أخيرا بعد اطلاعهم على اللغة الألبانية ومقارنتها باللغات الأخرى ـ تمكنوا من معرفة أصل الشعب الألبانى ، ومن اين أتى ؟ ومتى استوطن البلقان ».

تبين لهؤلاء المؤرخين أن أول شعب وصل إلى غرب أوروبا هو الشعب الكلتى « كلت » .

وأول شعب استوطن البلقان هو الشعب الألبانى واستولى على شرق أوروبا .

غير أن هؤلاء المؤرخين عجزوا عن تحديد مبدأ النزوح . فهناك اتفاق بينهم على أن الشعب الكلتى أول شعب وصل إلى غرب أوروبا ، وأن الشعب الألبانى أول شعب نزح إلى البلقان ثم عجزوا عن تحديد مبدأ هذا النزوح ، أكان نزوحه من آسيا الوسطى قبيل نزوح الشعب الكلتى أم بعيده ؟ ومتى كان ذلك على التحديد ؟

انتشر الشعب الألبانى فى البلقان حيث كان يسيطر قسم منهم على « بوسنة » و « هرسك » ، و « البانيا » الحالية ومعظم « اليونان » الحالية .

وسيطر قسم ثان منهم وهم « الماكيدونيون » جدود ـ اسكندر الأكبر ـ على المناطق الوسطى فى البلقان .

وسيطر قسم ثالث منهم على المناطق البلغارية الحالية وسواحل نهر « الطونة » .

أما القسم الرابع منهم فكانوا يسيطرون على سواحل آسيا الصغرى والأناضول[1] حتى أنقرة .

وحينما بدأت فيما بعد الشعوب الأخرى من اليونان والرومان والصقالبة تهاجر إلى البلقان سعيا وراء الرزق كانت هذه الشعوب تستولى - بحكم كثرة عددهم - على أراضى القبائل الألبانية المنتشرة فى هذه المناطق إلى أن انحصرت فى المنطقة المعروفة أيام بدء الحروب العثمانية فى البلقان فى القرن الرابع عشر وبقيت معروفة هكذا إلى اليوم برغم وقوع أجزاء منها داخل « يوغوسلافيا » أو « اليونان » لكنها معروفة - كما قلنا - ولن تنسى .

سبب كراهية الشعوب البلقانية للألبانيين

سبق أن قلنا : إن الشعب الألبانى استوطن البلقان وهى خالية من السكان فانتشرت القبائل الألبانية فى ربوعها . ولما بدأت الشعوب الأخرى من الرومان واليونان قبل الميلاد بأكثر من خمسة قرون - وبعدهم الصقالبة - تهاجر إلى البلقان سعيا وراء الرزق اصطدمت بالشعب الألبانى وأخذت - بحكم كثرة عددها - تستولى على أراضى القبائل الألبانية ، فمن هذا الوقت بدأ كره هذه الشعوب للألبانيين ، وظل هذا الكره مكنونا فى قلوب هذه الشعوب ، فإن اختفى مدة لا يلبث أن يطفو على السطح من جديد . ولكن هذا الكره أخذ يظهر بدون انقطاع بل وبدأ يرسخ فى قلوب الشعوب البلقانية منذ الحروب العثمانية وبدء انتشار الإسلام بين الألبانيين ثم تصديهم للدفاع عن الإسلام ضد هذه الشعوب أكثر من أربعة قرون ، الأمر الذى حمل هذه الشعوب على الاتصال بالدول الغربية منذ القرن التاسع عشر إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى تطالبها بتقسيم ألبانيا بينهم كما سنفهم فيما يأتى بوضوح أكثر .

بدء اتصال الألبانيين بالإسلام

بدأ العثمانيون فى آخر عهد ثانى سلاطينهم « أورخان الأول » زحفهم إلى البلقان واستولوا على عدة مدن ، وتمكنوا من احتلال « أدرنة » الواقعة فى الجزء الشرقى من أوروبا واتخذوها عاصمة لهم . سمع سكان البلقان بالدولة الجديدة وعدم صمود قوة أمامها فارتجفت قلوب أمراء البلقان وارتعدت فرائصهم خوفا على كراسيهم ، وأخذت أخبار الدين الجديد « الإسلام » تنتشر بينهم ؛ تقرع أسماعهم فتحدث زعزعة فى عقيدتهم وبخاصة الألبانيين الذين كانوا يجهلون عقيدتهم لجهل قسسهم بها - كما



---

(١) كلمة « اناضول » كلمة ألبانية أصابها شىء من التحريف . وأصلها : « هونا دولى » ومعنى « هونا » القمر ، ومعنى « دولى » طلع . وكان الشعب الألبانى فى أثناء نزوحه ينام أول الليل حتى إذا طلع القمر استيقظ واستأنف سيره . وحينما وصلوا إلى هذه المنطقة ناموا كالعادة . ولما طلع القمر ناداهم المنادى ليستيقظوا ويستأنفوا السير قائلا : « هونا دولى » أى طلع القمر ثم حرف التركيب إلى « أناضولى » .

← البـانيـا والإســلام

يقول المستشرق ارنولد فى كتابه « الدعوة إلى الإسلام » ـ اهتم الألبانيون بأخبار هذا الدين الجديد ـ الإسلام ـ وأخذوا يقارنون بينه وبين عقيدتهم التى يدينون بها فيرون الفرق شاسعا بينهما .

بدء انتشار الاسلام فى ألبانيا

يقول بعض المؤرخين : بدأ الإسلام يشق طريقه رويدا رويدا إلى قلوب الألبانيين قبل الفتح العثمانى لبلادهم . وبعد معركة « قوصووة »[2] الشهيرة سنة ١٣٨٩ م . تم اختلاط الألبانيين بالعثمانيين فرأوا بأعينهم صفات وخصالا وأخلاقا ومعاملة لا عهد لهم بها . بحثوا فى الأمر ملياً فوجدوا أن الإسلام هو مصدر هذه الصفات الكريمة ، والخصال الحميدة ، والأخلاق النبيلة ، والمعاملة الحسنة فبدأوا يقدرون الإسلام ثم يحبونه ثم يعتنقونه عن صدق ويقين ثم يتفانون فى إخلاصهم له ودفاعهم عنه بكل ما يملكون من مهج ومال .

لم يخضع المسلمون الألبانيون بعد إسلامهم للحكومة العثمانية وإنما أقاموا فى بلادهم حكومة وطنية برياسة أحد زعمائهم ، ورفضوا إعطاء ضرائب للحكومة العثمانية مع ارتباطهم بها بعلاقة الأخوة . وبعد أن استمرت هذه الحال مدة ، قرروا الاندماج فى الدولة العثمانية .

كان انتشار الإسلام فى ألبانيا طوعا لا قسرا

كثير من كتاب الغرب ومؤرخيه ومستشرقيه يدعون أن الإسلام انتشر فى شرق أوروبا وفى غيرها من البلاد بحد السيف وبالإكراه .

ممن ادعى ذلك صاحب كتاب « دليل العالم الإسلامى » المؤلف بالفرنسية ونشرت مجلة الأزهر مباحث منه ـ مترجمة ـ فى أربعة أعداد متتالية رقم ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ من المجلد الثانى الصادر سنة ١٣٥٠ هـ الموافق لسنة ١٩٣١ م .

الأمير شكيب أرسلان ينفى هذه الفرية

تكرم فقيد البيان الأمير شكيب أرسلان بإرسال نفى لهذه الفرية إلى مجلة الأزهر ونشرته فى العدد السادس من المجلد الثالث .

وإذا كان أكثر كتاب الغرب ومؤرخيه ومستشرقيه يدّعون أن الإسلام انتشر بحد

---

(٢) هلع امراء البلقان وفزعوا لما بلغتهم أخبار انتصارات العثمانيين الهائلة فى الجزء الشرقى من أوروبا فجمع ملك الصرب « لازار » بالاتفاق مع امراء البوسنه والهرسك وألبانيا والفلاخ جيوشا جرارة لردع العثمانيين فى اعتقاده . ولما التقى الجمعان فى هذه الموقعة هزم جيشُ الإسلام جيوشَ الكفر هذه هزيمة نكراء حتى إن ملك الصرب نفسه وقع فى الأسر . وأراد السلطان العثمانى(مراد الأول)إرغام الكفار على اعتناق الإسلام رداً على قيام الاسبان بتنصير المسلمين قسراً ، لكن شيخ الإسلام الذى كان يرافق السلطان منعه من ذلك متمسكا بقوله تعالى : « لا إكراه فى الدين » . وفى الاربعينات ونحن طلاب بالأزهر كانت هذه الواقعة موضوع حديث فى مجلس شرّفه المغفور له(العلامة الشيخ مصطفى صبرى شيخ إسلام تركيا)فعقب عليها بقوله : إن شيخ الإسلام أصاب شرعا وأخطأ سياسة ، إذ لو نفذ السلطان ما أراده لكانت البلقان كلها إسلامية وكفانا الله تعالى المآسى الكثيرة التى حدثت ولا تزال تحدث .

السيف وبالإكراه ، فإن هناك مستشرقين أوتوا قسطاً كبيراً من سداد الرأى وأمانة القول ينفون انتشار الإسلام بالسيف ، منهم المستشرق توماس أرنولد الذى يقول فى كتابه « الدعوة إلى الإسلام » : « ... إن الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق »[٣] .

وهناك أدلة كثيرة تنفى ادعاء بعض كتاب ومؤرخى ومستشرقى الغرب بأن الإسلام انتشر فى هذه البلاد بحد السيف ، وإنما اعتنق الألبانيون الإسلام طوعا ورغبة فى السعادة التى سمعوا أن المسلمين القريبين منهم - وهم العثمانيون - يتمتعون بها . ونكتفى بذكر دليلين يدلان دلالة قاطعة على أن الإسلام لم ينتشر فى ألبانيا بحد السيف :

أحدهما : ما سبق أن ذكرناه من أن السلطان مراد الأول بعد أن هزم جيوش الكفر هزيمة نكراء فى « قوصووة » سنة ١٣٨٩ م . أراد ارغام الكفار على الدخول فى الإسلام فمنعه شيخ الإسلام متمسكا بقوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ .

ثانيهما : حكمت الدولة العثمانية البلقان خمسة قرون ، ومع ذلك لم يسلم خلال هذه المدة الطويلة من السكان الأصليين - بعد استثناء سكان ألبانيا وسكان « بوسنة » و « هرسك » - إلا أفراد قلائل لا تزيد نسبتهم على ١٪ من مجموع سكان البلقان . ولو استخدمت الدولة العثمانية وسائل القهر لحملهم على الإسلام ولو بصورة غير مباشرة لدخلوا فيه جميعاً فى مدى هذه القرون . أما سكان ألبانيا فإنهم دخلوا فى الإسلام طائعين مختارين عن صدق ويقين ، وسرعان ما انعكست أنوار الإسلام على جميع جوارحهم فصاروا بكل صدق وإخلاص ووفاء جنود الإسلام البواسل انضموا إلى الجيش العثمانى يدافعون عن الدين الجديد بكل ما أوتوا من قوة ، وشاركوه فى جميع المعارك حتى معركة فيينا الشهيرة رغم أن أكثرهم كانوا حديثى عهد بالإسلام . ثم تولوا حماية الإسلام فى البلقان مدة أربعة قرون ، ولم تجرؤ الدول البلقانية على إعلان الحرب على الدولة العثمانية إلا بعد أن تأكدت هذه الدول من أن حكومة الاتحاد والترقى قد جرّدت الألبانيين من السلاح ، وأصبح الجيش العثمانى وحده فى الميدان فلم يستطع الصمود أمام الجيوش البلقانية من غير مساعدة الألبانيين فانكسر وانسحب من البلقان بعد حكم إسلامى دام أكثر من أربعة قرون .

خدمات الألبانيين للإسلام ولدولة الخلافـــة

سبق أن قلنا : إن الألبانيين اعتنقوا الإسلام طائعين عن صدق ويقين ، ولم يلبث أن ملأ قلوبهم بحب الله « تعالى » وحب رسوله « ﷺ » والإقدام على تنفيذ كل ما يطلبه منهم هذا الدين الجديد ، لذلك انضموا إلى الجيش العثمانى - برغم أنهم كانوا حديثى عهد

←

(٣) راجع كتاب « الدعوة إلى الإسلام » ص ٨٨ ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن وزميليه .

بالإسلام - وشاركوه فى كل المعارك . ولما تأكدت الحكومة العثمانية من صدق عزيمتهم اعتمدت عليهم فى حماية الإسلام فى البلقان فحموه بأرواحهم أربعة قرون ، ووقفوا بالمرصاد أمام كل من تحدثه نفسه أن يعتدى عليه . لذلك سكتت الدول البلقانية على مضض مدة أربعة قرون لم تستطع أن تتعرض للإسلام لأنهم كانوا يجدون الألبانيين واقفين أمامهم شاكى السلاح . ولم تنزل النكبة إلا بعد أن قامت حكومة الاتحاد والترقى بتجريد المسلمين الألبانيين من السلاح كما سنبين هذا الموضوع بشىء من التفصيل فيما بعد .

والمسلمون الألبانيون كما حموا الإسلام فى البلقان أربعة قرون كذلك خدموا دولة الخلافة الإسلامية طوال هذه القرون الأربعة ؛ لأنهم بعد أن شرح الله تعالى صدرهم للإسلام اندمجوا تحت راية الأخوة الإسلامية ، وأزالوا كل الفوارق بينهم وبين العثمانيين . حلوا حكومتهم الوطنية وانضموا إلى دولة الخلافة الإسلامية يؤزرونها ويؤيدونها بكل ما يملكون ، ويقدمون لها أنبل وأكرم وأعقل أبنائها[٤] الذين تولوا المناصب العليا فى الدولة . وكثير منهم صاهر العائلة المالكة العثمانية وكان آخرهم « داماد فريد باشا » آخر صدر أعظم فى دولة الخلافة ، وسبق أن تولى قبله الصدارة العظمى أكثر من ثلاثين ألبانيا ، كما تولى عدد غير محصور الوزارات المختلفة والقيادات العليا فى الجيش ومناصب الولايات ، ونبغ منهم علماء وأدباء وشعراء وكتّاب تفخر بهم الدولة التركية حتى الآن . والموسوعة العلمية التى ألفها فى أواخر القرن التاسع عشر العالم المحقق الألبانى « شمس الدين سامى بك » فى ستة مجلدات تعتبر بحق تراثاً علمياً يندر وجود مثله وسماها « قاموس الإعلام » . ونشيد الاستقلال بعد الانقلاب وضعه الشاعر الألبانى الشهير « محمد عاكف بك » وغيرهما كثير ، إنى وإن كنت قد شرحت بالتفصيل « ألبانيا والإسلام » من بدء الفتح العثمانى حتى الحرب البلقانية وذكرت الخدمات الكبرى التى قدمها الشعب الألبانى المسلم للإسلام ولدولة الخلافة إلا أنى لا أستطيع أن أنتقل إلى الجزء الثانى من البحث وهو « ألبانيا والإسلام » بعد الحرب البلقانية من غير أن أذكر الخدمات الجليلة التى قدمتها

---

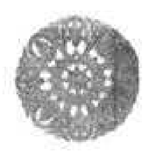
(٤) يقول توماس أرنولد فى ص ٢٠٥ من كتابه الذى سبق ذكره : « وهم - أى الألبانيون - يكونون عنصراً من أقدم العناصر وأرقاها فى أوروبا » . ولعل محرر وكالة رويتر حينما كتب بحثا عن الإسلام فى يوغوسلافيا ونشرته جريدة النور يوم ١٩/١١/١٩٨٦ م - لعل هذا المحرر لم يكن قد قرأ كتاب أرنولد لأنه قال فى بحثه : « إن معظم المسلمين اليوجسلاف ينتمون لأصل ألبانى وتمثل سلالة هذا الأصل الطبقة تحت المتوسطة فى يوغوسلافيه . كتبت على الفور لمحرر جريدة النور ردا على هذه الفرية ، كما كتبت للسيد الأستاذ « الحمزة دعبس » رئيس مجلس الإدارة ردا مفصلا . تكرم المحرر بنشر الرد الخاص به فى العدد الصادر يوم ٣١/١٢/١٩٨٦ م . وتكرم السيد الأستاذ « الحمزة دعبس » بنشر الرد المفصل فى العدد الصادر يوم ٤/٣/١٩٨٧ م فشكراً لهما .

أسرة « كبريلى » الألبانية للدولة العثمانية فى النصف الثانى من القرن السادس عشر .

فى عهد السلطان « محمد الرابـع » (١٦٤٨ ـ ١٦٨٨ م) بلغت الدولة حالة يرثى لها من قيام الثورات فى جهات متعددة ، وقيام أسطول البنادقة باحتلال « الدردنيل » حتى أشرفت الدولة على التمزق شذر مذر لولا أن قيض الله « تعالى » لها رجلا قوى الشكيمة ، سليم العقيدة ، خالص الطوية ، ذلك الرجل هو « محمد كبريلى باشا » الألبانى . كان « محمد باشا » موضع احترام الجميع لصفاته الحميدة . وبرغم أنه كان قد بلغ السبعين من عمره ، اختارته أم السلطان « محمد الرابع » صدراً أعظم ليعيد إلى الدولة نظامها ، فقبل على شرط أن يعطى سلطة مطلقة . وافقت أم السلطان على شرطه ، وعاهد « محمد كبريلى باشا » الله « تعالى » على أن يعيد إلى الدولة شبابها ونظامها وربطها ، فتمكن فى بحر خمس سنوات من إعادة النظام إلى الدولة والضرب على أيدى المفسدين . وأجبر أسطول البنادقة على الانسحاب من الدردنيل . وبعد هذه السنوات الخمس سلم الدولة قوية سليمة منظمة لأم السلطان .

أما حالة الإسلام فى ألبانيا بعد الحرب البلقانية إلى وقتنا الحاضر فتحتاج إلى شرح كثير من الحوادث التى كانت تقع خلف « الكواليس » ليلم القارىء إلماما كاملا بحقيقـة هذه الحـالة

يتبع



الفتاوى

أولاً : في زواج الشيوعي أو الشيوعية :

فتوى لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف المفتي الأسبق والعالم الكبير أطال الله في عمره [1] .

نشرنا في العدد الماضي فتوى لجنة الفتوى في الأزهر في الموضوع .. ويهمنا زيادة في الإيضاح وإلقاء مزيد من الضوء على الموضوع أن ننشر فتوى الشيخ مخلوف تذكيراً وتأكيداً على ما ذكرنا من حكم وها هي الفتوى :

س : هل يجوز تزوج المسلمة بشيوعي متمسك بمبادئ الشيوعية ؟

جـ : قلنا مراراً إن الإسلام والشيوعية لا يجتمعان في قراب واحد ، وكيف يجتمعان والإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله عز وجل لعباده ديناً .

وجاء بتوحيد الخالق في ألوهيته وربوبيته ، وبصفاته العلية وأسمائه الحسنى ، وبأنه هو العليم القدير الحكيم ، منزل الشرائع ومرسل الرسل ، ومنزل الكتب هدى ورحمة ، وتعليماً وإرشاداً ، وتهذيباً وتثقيفاً .

وهو باعث الخلائق بعد الفناء في اليوم الآخر للحساب والجزاء على ما أسلفوا من أعمال وعقائد وأفكار ..

وقد ختم رسالاته لخلقه - بمحمد ﷺ - أرسله رحمة للعالمين ، معلماً للناس وداعياً إلى الحق ، ومرشداً إلى الهدى ، ومبشراً ونذيراً يبشر من أطاع بالجزاء الأوفى والثواب

---

(1) نقلاً عن كتاب « فتاوى في الشيوعي » لشيخ الأزهر د . عبد الحليم محمود رحمه الله ، وقد أذيعت في محطة القرآن الكريم بالقاهرة في شهر مايو ١٩٧٦ . (بتصرف) .

إعداد / عبد الحميد السيد شاهين
تجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

العظيم ، وينذر من عصى وتمرد بالنذير والعذاب المهين .

وختم كتبه إلى خلقه بالقرآن العظيم ، وهو الكتاب الكريم الذى أنزله تبيانا لكل نبى ، وفرقانا بين الحق والباطل ، وهدى ونورا ، لا يضل من اعتصم بحبله ، وأقامه حجة على العالمين ..

﴿ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ، وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا . وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾

هذا هو الإسلام .

أما الشيوعية فهى فتن وضلال ، وكفر وإلحاد وفساد مجرد للألوهية ، وإنكار للربوبية ، ومعاندة للرسالة ، وعدوان على القرآن وعلى الحق كله .

وكفى إثما وضلالا قول ماركس : « إن الدين أفيون الشعوب ، ومخدر الفقراء ، والحشيش الذى تغيب به العقول كلما أوشكت على الصحو والإدراك » .. إلى غير ذلك من الكفر .

هذا إلى تقتيل المسلمين واستئصالهم فى البلاد التى يحكمها « الماركسيون » وتحريف المصاحف ، وإبادة الكتب الإسلامية ، وهدم المساجد العامرة ، لا لشىء سوى كراهية الإسلام ورسوله ، وكتابه وأمته ومساجده ، وحرمان أبنائه من تعلم دينهم ودراسة كتابهم ، وإيجاب تعلم المبادىء الماركسية على الناشئين .

فهل بعد هذا كله ـ وهو واقع ومدون فى أحاديثهم وكتبهم ، وثابت فى أعمالهم وتاريخهم ـ يشك مسلم فى أن زواج المسلمة ، المؤمنة بالله ورسوله وكتابه وأوامره ونواهيه ، وبالبعث والحساب والجزاء ، بمن يجحد كل ذلك ، ممنوع شرعا منعا لاشبهة فيه ولا خلاف .. وقد أجمع المسلمون على عدم جواز زواج المسلمة بغير المسلم ولم يخالف فى ذلك أحداً أبداً .

أما الذي يقول أنا مسلم وفى الوقت نفسه يعتنق كل عقائد الشيوعية الماركسية ، ويدعو إليها وينادى بها فى الواقع ، وإن كان فى الظاهر يحاور ويداور فهو غير مسلم قطعاً : لا يجوز نكاحه ، ولا دفنه فى مقابر المسلمين

بعد موته ، ولا صلاة الجنازة عليه إذا مات ، لأن ذلك من خصائص المسلمين وحدهم . فالحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وقوانا على الجهاد والدفاع عن دينه الحنيف بتوفيق منه .. والسلام على من اتبع الهدى ..

ثانيا : فتاوى تجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر :

س : من السيد ع . م . المطراوى . المطرية مصر .

قام أخوان شقيقان بشراء قطعة أرض من مالهما الخاص ، ثم طلب منهما والدهما إشراك أخويهما من الأب دون أختهما الشقيقة ولا أخواتهما من الأب . فهل يحق للأخت الشقيقة أو الأخوات لأب المطالبة بشىء من هذه القطعة ؟

جـ : إذا كان ما يقوله السائل صحيحا فى أن الأخوين الشقيقين قد اشتريا قطعة الأرض من مالهما الخاص وأشركا أخويهما لأب فيها ، فإن هذه القطعة تعد ملكا خالصا للأخوين الشقيقين والأخوين لأب ، ولا يحق للأخت الشقيقة والأخوات لأب المطالبة ، بأى شىء منها .

س : من السيدة / س . م . حافظ - البدرشين !

توفى أخى وترك بنتا سنها ست سنوات فى حضانة أمها ، وأريد أن أرى بنت أخى مع العلم بأن جدة البنت لأبيها مريضة ولا تعى .. فما الحكم ؟

جـ : يحق للعمة أن تطلب رؤية بنت أخيها ، لأنها محرم من محارمها الدائمة ، والواجب صلة الأرحام والعمل على توثيقها واستدامتها .

س : من السيد / م . أ.فروج .. باب الشعرية :

توفيت امرأة عن : أولاد عمين شقيقين ذكورا وإناثا ، وأولاد عم لأب . فمن يرث وما نصيبه ؟

جـ : التركة كلها للذكور من أولاد العمين الشقيقين تعصيبا تقسم بينهم بالتساوى ولاشىء للذكور من أبناء العم لأب لحجبهم

بالذكور من أبناء العمين الشقيقين لأنهما أقوى منهم ، كما لا شيء للإناث من أبناء العمين الشقيقين لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

س : من السيد / ف . ر . علوان . الإسكندرية :

يوجد جمعية خيرية إسلامية لها أنشطة متعددة فى خدمة الإسلام والمسلمين ، ومن أنشطتها بناء المدارس الإسلامية للغات خاصة بأبناء المسلمين .. فهل يجوز لهذه المدارس أن تقبل أموال الزكاة وغيرها من التبرعات من المسلمين للتوسع فى هذه المدارس خدمة لأبناء المسلمين ؟ وما الحكم ؟

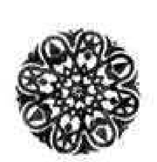
جـ : يجوز صرف جزء من الزكاة لهذه المدارس باعتبارها تقدم خدمات عامة لجماعة المسلمين أما التبرعات والصدقات فيجوز التبرع لها وقبولها .

س : من السيد / س . ع . محمد . العباسية :

هل يجب على الأب الإنفاق على ابنته إذا كانت لا تعمل بعد طلاقها من زوجها ؟ وكيف يكون الإنفاق عليها ؟

جـ : المرأة إذا طلقت من زوجها ، ولا يوجد عندها مال تملكه وجبت نفقتها على والدها شرعا . وذلك حسب استطاعة الأب يسرا أو عسراً .

والله أعلم .



من أعلام الأزهر

على يوسف

شيخ الصحافة المصرية

٢

كانت صحيفة المؤيد صحيفة رأى لا صحيفة خبر ، بمعنى أن صولتها القوية فى مصر والعالم الإسلامى ترجع أول ماترجع إلى ما ينشر فيها من المقالات التوجيهية فى الشئون المعاصرة شرقاً وغرباً ، ولها كتابها المرموقون فى عالم الفكر ، يعرفون بهدوئهم المتزن ، وعمقهم النفاذ ، وسعة محيطهم الثقافى ، وفى طليعتهم صاحب المؤيد على يوسف ، فقد رزق من سرعة البديهة وصواب النظرة ، وهدوء النفس ما جعل مقاله موضع العجب والإعجاب ، وقد ظن بعض منافسيه بدءاً أن غيره من ذوى الثقافة الأوروبية يكتب له مايطالع به القراء ، حتى ذهب بعضهم إلى المطبعة ليقرأ المسودات متأكداً من أنها بقلم صاحب المؤيد لا بخط سواه ، وهو ظن أدى إليه ما يجدونه من الإلمام بالتيارات السياسية الدولية ، والقوانين الدستورية المعاصرة على نحو يستغرب من صاحب ثقافة عربية خالصة ، والحق أن ذكاء الرجل ، وسعة حيلته ، وجودته فى انتقاء مايقرأ من شئون السياسة والتاريخ والاجتماع قد رشحه للزعامة الصحافية فى عصره ، وهو بعد صديق دائم لعلية المفكرين فى مصر يجتمعون به فى ندوة المؤيد يومياً ، وفيهم سعد زغلول وحسن عاصم ، وفتحى زغلول وقاسم أمين وإبراهيم الهلباوى وإبراهيم اللقانى ومحمد مسعود وغيرهم من أرباب النظر المحيط ، وطبيعى أن تكون أحاديثهم المتصلة مصدر نفع لهم جميعا ، أضف إلى ذلك كله تفوق المؤيد على غيره من الصحف المعاصرة لدى أصحاب الوعى الحصيف ، فاللواء جريدة وطنية مخلصة ثائرة ، ولكن ارتفاع نبرتها الحماسية يدفعها إلى التأثر بالانفعالات الشديدة دون تريث فتصبح مقالاتها أقرب إلى الهتاف منها إلى الإقناع ، والجريدة ، التى يقوم عليها الأستاذ أحمد لطفى السيد تُسالمُ الانجليز وتتجه إلى الإصلاح الداخلى وحده كما يراه أصحاب العقارات ورؤساء العائلات الثرية ، والأهرام تساير كثيرا فإذا عارضت فنوع من العتاب لا يرتفع إلى مستوى الحساب ، أما المؤيد فقد تجنب انفعال اللواء ، وتغاضى الجريدة ، ودهاء الأهرام ، ليعلن كلمة الحق فى هدوء عاقل ، يسنده فى ذلك منطق دقيق ، ووعى ثاقب ، ولم أذكر جريدة المقطم فيما

للدكتور محمد رجب البيومى

ذكرت من الصحف اليومية ، لأنها لسان الاحتلال الصارخ ، تكتب بحروف عربية لتخدم استعماراً إنجليزيا ، فهى ساقطة ساقطة بكل الموازين .

أدرك على يوسف خطر جريدته ، كما أدرك خطر مكانته ، فكانت مقالاته الهادئة موضع حيرة شديدة لقصر الدوبارة وقد اقترح أعوان كرومر عليه بضرورة مصادرتها ، فذكر أنه لا يستطيع ذلك دون جريمة حقيقية لا ملفقة ، فإذا عثر أحد هؤلاء على جريمة صادقة تنسب إلى صاحب المؤيد ، فقد جاءت الفرصة المواتية ، وكرومر على شروره المتصلة أكرم نفساً من قوم يلفقون الأراجيف ليشوهوا كرام الصحف ، وأطهار الرجال ، فليتهم يرجعون إلى الصراط القويم .

إن تاريخ مصر الحقيقى لعهد المؤيد يستمد مصادره الأولى من مقالات على يوسف فى صدر المؤيد ، حيث لم يترك الشيخ على حدثا سياسيا هاما دون أن يسلط عليه مجهر نقده الدقيق ، محيطا بجميع النواحى إحاطة من يصرف وقته الأطول فى التفكير المتصل حتى تجيء ساعة التحرير فتكون حقائق الموضوع من الوضوح بحيث يدعو بعضها بعضا دون انقطاع ، وقد قال مؤرخو على يوسف إنه كان يكتب المقال فى ندوة المؤيد وأصحابه من حوله يسامرونه ، فإذا كان الأمر كذلك فى بعض هذه المقالات فإن توفيقه الفكرى لم يجيء بهذه السهولة ، ولكنه نتيجة تأمل سابق امتد عدة ساعات !

لنأخذ مثلاً قضية التعصب الدينى التى رددها اللورد كرومر قبل حادث دنشواى وبعده ليبرر سياسته الجائرة فى هضم الحقوق الدستورية للأمة المصرية معتمداً على افتعالات موهومة هو أول من يعلم اختلاقها ، فقد فند على يوسف مزاعم الاحتلال فى كلمات متتالية فأعلن أن فى مصر من قديم الزمان أديانا يتجاور أهلوها فى المنازل ويتشاركون فى المرافق ويتنافسون فى الأعمال فلم تكن بين الأقباط والمسلمين هذه الروح الشريرة ، ولو كانت فى فطرة المسلمين تلاشت الأكثرية الأقلية فى عصور مضت ، سادت فيها الجهالة ، ولكن منطق التاريخ يدل على روح التفاهم السائدة بين الفريقين ، ثم ضرب الكاتب بعض الأمثلة فقال[1] .

« وفد على القطر المصرى منذ أول عهد المرحوم محمد على باشا الكبير وفود من كل الطوائف المسيحية غربية وشرقية من أرمن وأروام وسوريين وفرنساويين وطليان وإنجليز وامريكان ، من بروتستانت وكاثوليك وأرثوذكس وغير ذلك من علماء وتجار وصناع وعملة وهَمل متشردين فلقى الجميع فى مصر صدراً رحيباً ، كان منهم الموظفون فى كل مصلحة ، حتى تولى نوبار باشا وهو أرمنى

(١) ننقل هذه النصوص جميعها من كتاب (مقالات قصر الدوبارة) وهو يضم مجموعة من مقالات على يوسف بالمؤيد ، جُمعت فى جزء خاص .

فوق كونه نصرانياً رئاسة النظار في مصر ، وكان قائمقام الخديوى ورئيس الاحتفالات بموكب المحمل الشريف ، فهل يوجد في أمة غير الأمة المصرية المسلمة مثل هذا التساهل ، فيراس فيها احتفالاً دينياً رجل مسلم في دولة غير مسلمة ، كما كان من علمائهم الأساتذة والمعلمون ونظار المدارس والمكتشفون ، فهل الأمة التى تربى أبناءها على أيدى الأساتذة من غير دينها ، وهل الأمة التى توجد فيها مدارس الجزويت والفرير والمرسلين الأمريكان دعاة للدين في مدارسهم تعد متعصبة ، وكان التجار منهم على ما يحبون من الرحب والسعة وحسن القبول ، فضربوا في البلاد بمتاجرهم من غث وسمين ، وجيد وردىء وخالص ومغشوش حتى صارت مصر من أوسع أسواق التجارة الأوروبية ! فهل في ذلك تعصب ؟

وفي مقال آخر نقل أقوال الكبار ـ من ساكني مصر غير المسلمين ـ الدالة على روح المساواة التامة بين العنصرين ، ليقول بعد هذه الشهادات الصريحة إن اللورد كرومر يأبى رغم ذلك إلا أن يكون التعصب موجوداً ، فأوهم الأوروبيين أنه لا يقدر أن يفتح شارعاً في مدينة ، أو يشق ترعة في أرض ، أو يبنى قنطرة على مجرى ماء إلا إذا كان حول رجاله الجيش الانجليزى ولذلك طلب زيادة أجورهم لأن المصرى متعصب فتاك لا يجد حرجاً في نهب جيرانه وقتلهم لولا الحراس من الجنود البريطانيين والناس يعلمون أن هؤلاء لا عمل لهم إلا أن يناموا نهاراً وينطلقوا للعربدة في الحانات والشوارع على حالة منكرة يعرفها الجميع !! وبهذا المنطق المدعم بحقائق التاريخ ومشاهد الحاضر يخط على يوسف حججه الدامغة ، وقد كان الاحتلال يكثر من اتخاذ الشبان من الانجليز موظفين يديرون الشئون الكبرى في الوزارات المختلفة ، على حداثة أعمارهم ، وقلة تجاربهم موهما الناس أن المصريين لا يصلحون لإدارة الأعمال ، ولكن على يوسف يوالى المقالات الافتتاحية في نقض هذا الزعم الطائش ، فيرى خطأ كرومر في ادعائه تحجر العقل المصري وعدم كفاءته للمهام الرئيسية ، والأمة المصرية أكبر من أن يحكم عليها بمثل هذا اللغو ، لأن الكفاءة إنما يحكم عليها بعد الاختبار ، وبقدر ماقام به المختبر من الأعمال ، فلو فرض أن اللورد جعل مصالح الحكومة المصرية مدارس للموظفين ينتقلون في درجاتها من رتبة إلى رتبة ثم كشف الامتحان عن فشلهم لما جاز له مع ذلك أن يحكم بإخفاقهم ، فقد يكون العيب في النظم الإدارية لا في المنفذين لها ، فكيف إذا كان قد أقصى المصريين عن العمل ، ثم حكم عليهم بالإخفاق تعسفاً دون استدلال ، إن الغرض من ذلك كله هو إبعاد كل مصرى عن الوظائف العالية ليحتلها الانجليز ، فكلما وجدت وظيفة ذات مسئولية خص بها الانجليزى وضوعف مرتبها لتكون لائقة له من كل وجه ، وقد أطردت هذه السياسة في جميع المصالح ، وزحف شبان الانجليز إلى الوظائف الصغرى أيضا بعد أن ملأوا الوظائف الكبيرة ، وأُبْعِدَ المصريون عن العمل لأنهم في منطق ـ اللورد غير أكفاء ! دون تجربة تؤيد هذا الزعم الجرىء .

وفى مقال آخر يلجأ على يوسف إلى الهدوء العاقل ليصل إلى مايريد دون مجابهة غاضبة فيقول إنه لا يسوق التهم جزافا ، ولكنه يعلن أن الذين يتولون إدارة البلاد الآن من الانجليز تنقصهم تجارب كثيرة ، وخبرة كبيرة بأحوال البلاد حتى يكونوا مصلحين ، ولا يمكن أن يكون كرومر وحده عاملاً بذاته فى كل مصلحة ، لأن المراقبة العامة تشغله عن المراقبة الخاصة ، فإذا حدثت أمام هؤلاء حادثة غير منتظرة حالت قلة التجارب بينهم وبين تكييفها بحقيقتها ، فأعطوها غير حكمها ، وبنوا على حدوثها تغييراً وتبديلاً فى الإدارة يبعدان بها عن الصواب ، وكلما سأل جناب اللورد واحداً من هؤلاء الأعيان أجابه بالرأى الخطير فاتخذ قوله حجة وأمره بما يضر ولا يفيد ، وهذا هو سبب الاختباط الحاصل فى إدارة البلاد ، وسبب مايحدث من الأخطاء الخطيرة يوماً بعد يوم !

أمّا قيام الحياة النيابية وهى أهم مسألة سياسية اتفقت على وجوبها أقلام الكتاب الأحرار ، وعارضها كرومر بحجج جعل يرددها فى تقريراته السنوية مدعيا عدم تأهل الشرقيين بعامة للحكم النيابى ! هذه المسألة كانت جريدة المؤيد مسرحاً دائما لنقاشها والدعوة إليها ، وكانت تنشر الرأى المعارض لتعقب عليه بما يبطل وجهته ، وإذا شارك صفوة الكتاب فى الدعوة إلى الحياة النيابية فإن قلم على يوسف كان أعلى صليلاً فى الميدان ، حيث واجه المعتمد البريطاني بحقائق تاريخية لم يكن يرغب في ذيوعها حين ادعى أن الحكم النيابي غريب عن المسلمين فقال صاحب المؤيد إن ذلك خطأ محض ، لأن الشورى من أهم الأركان فى السياسة الإسلامية ، وقد عرفت لدى المسلمين قبل أن يعرفها الدستور الإنكليزى ، وناهيك بنظام لا يعين فيه الخليفة العام إلا بالبيعة العامة فمصر تطلب فى هذا العصر ما وضع الإسلام أساسه منذ أكثر من ألف وثلاثمائة عام .

أما كون مصر ليست أهلا للدستور ، فهذا جهل بتاريخها لأنها منحته قبل الاحتلال البريطانى ، ولم يكن سبباً من أسباب الثورة ، بل ربما كان المانع من الاضطراب لو جرى إلى غايته دون عائق ثم إن الفرس والترنسفال واليونان وبلغاريا جميعها قد نعمت بالحكم النيابى ، ومصر ليست أقل كفاءة من هذه الدول ففيها ، الرجال الأكفاء ، ولكن الاحتلال لا يعترف بهم إلا إذا احتاج إلى الاستشهاد بكفاءتهم فى موقف يسند أغراضه الذاتية ، ثم إن انجلترا قد وعدت بالدستور النيابى فى أول احتلالها فما بالها ترجع عنه الآن ، والمصريون هم المصريون ، إن المستشارين الانجليز فى الوزارات المصرية فى حيرة من أمرهم ، فهم لا يعرفون مايصلح ومايضر ، والحياة النيابية مجال لتصحيح الأخطاء ورسم الصحيح من المناهج ، أما الادعاء بأن مصر إذا نالت حكومة نيابية فستلقى بنفسها فى أحضان الدولة العلية (تركيا) فهو ادعاء يقصد به ذر الرماد فى العيون ، لأنه لا يوجد مصرى واحد يفكر فى هذا الاتجاه ، وما تطلب مصر حكومة نيابية إلا لتسير فى طريق الترقى دون تخبط .

هذه الحجج وأمثالها شذور مختارة من مقالات ممتدة تبتدىء بالمقدمات الكاشفة يليها التحليل الجوهرى عرضا لمناحى

الموضوع ، ولا سبيل إلى أن ننقل مقالاً برمته يبين منهج على يوسف فى كتابته ، ولكننا نقول إن الرجل يعرض الحقائق مستنداً إلى خبرة تاريخية ودراسة نفسية واجتماعية تكسب كلامه قوة الإقناع لدى الخاصة والعامة ، ومقاله الشهير (السياسة الضعيفة العنيفة) مثل رائع للكتابة العميقة ذات البعد الثاقب وقد بدأه بمقدمة رائعة يقول فيها :

(تستغرب القراء أن نجمع بين هذين الوصفين (العنف والضعف) لموصوف واحد ، لما يظهر من أن العنف يكون مع القوة ، وهى لا توجد مع الضعف فى شىء غير متعدد ، أما نحن فنقول إن العنف قد يكون مظهراً كبيراً من مظاهر الضعف وخصوصاً فى سياسة الأمة وحكمها ، كصفة الكبرياء للمتكبر ، فإنها لا تكون فى الشخص إلا حينما يذهب شىء من فضائله ، فيحل الكبر بهذا الفراغ ليكمل صاحبه علاء بزعمه ، وخذ الشراسة مثلاً فى بعض الناس فإنها توجد حيثما يعوز المرء شىء من مزايا حسن النظر ، وضبط النفس ، وسعة الصدر ، فتحل الشراسة محله ، ولذلك تجد أضيق الناس صدراً من يسب غيره ، وأقلهم مقدرة على الإقناع الخطابى من يصيح فى وجه محدثه ليحمله على قبول رأيه ، كذلك العنف والبطش فى حكم الأمم يحل محل حسن السياسة وقدر المسئولية قدرها فى كل عمل ، وقلما ترى سياسياً محنكا قادراً على تصريف الحوادث بالحسنى والاستنتاج منها بقدر ما تعطيه مقدماتها إلا كان عادلاً حليما بعيداً عن فعال الظالمين » .

ويمتد القول لو تتبعنا ما قال على يوسف فى شتى الأزمات السياسية على قرابة ربع قرن ، إذ له فى كل يوم مقال ناقد ، أو تعقيب هادف ، أو حوار كاشف ، وهو فى شتى مناحيه لا يخرج عن هدوئه العاقل الذى يجعله موضع التقدير مهما خولف ، وسياسة الهدوء فى الحوار السياسى تغيظ الخصم وتربكه ، لأن الانفعال الصاخب فى النقاش يترك أثراً يوحى بالخفة والتعجل ، كما يترك العنان لألفاظ طائشة قد تقع موقع الاستنكار ، أمّا العقل المتريث فيستل كل موجدة لدى المنصف حتى ليكاد يلقى السلم عن طوع ، ولعل أكبر مثل لهذا الهدوء الحاسم ما كتبه الشيخ على يوسف فى مناقشة خطاب الوداع الذى ألقاه كرومر فى احتفال رحيله ، حيث تورط المعتمد البريطانى فى آراء جائرة يعتقد صوابها ، وزاد على ذلك فشكر من الحاضرين أناساً دون أناس ، وكلهم سواء فى مجاملته ، ثم ارتفع بالأحداث إلى عهد إسماعيل ، فذكر من الوقائع ما آلم فريقاً من مكرميه إيلاماً مستتراً فى عبارات ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب ، وقد كتبت الجرائد المعاصرة نقوداً للخطاب الموجع لم تسلك مسلك المنطق العاقل بل قادتها الحماسة الخطابية إلى مايشبه الهجاء ، أما على يوسف فقد تناول الخطاب فقرة فقرة فى أدب مهذب ، بين تضاربه الواضح بين ماقاله اللورد من قبل وما اخذ يقوله الآن ، ثم ليكشف القناع عن قوارص سيقت لتغضب نفراً من المحتفلين ، وكأنه بذلك يقول لهم ها انتم أولاء قد احتفلتم بمن لم يعبأ بمشاعركم فى شىء ، وأدهى من

ذلك أن يتصدر الاحتفال الأمير حسين كامل (السلطان حسين فيما بعد) ثم يتجاهله كرومر حين ينساه فى مجال الشكر الذى أضفاه على فريق دون فريق ، ولا يقف عند التجاهل ، بل يوخزه بأطعن من السنان حين ينقد أباه إسماعيل وأخاه محمد توفيق وابن أخيه عباس حلمى ! فماذا بقى إذن للأسرة العلوية من مديح ! وقد شاء على يوسف أن يفسر الكلمات الغامضة فيما أبهمه اللورد ، ليقول للناس إنى لا أتزيد بل أفسر ، كما شاء أن يفصح عن أسباب الاطراء الذى خص به من تملقوا اللورد وحدهم ، جاعلاً إياه هجاء مقنعاً إذا قيس بميزان الوطنية الصادقة الذى يجعل شأن مصر فوق كل شأن ، وأعظم ما وفق إليه على يوسف فى نقده الباتر لخطاب الوداع أنه اكتشف بين سطوره ما يحرج كرومر أمام الوزارة البريطانية نفسها ، وكأنه بذلك يصعب مقدمه المنكفىء إلى انجلترا باعتباره قد أخفق فى سياسته ، وقد عزل لهذا الإخفاق ، لا أنه استقال لأسباب صحية كما حاول كرومر وحواريوه أن يقولوا فى تحد واستخفاف ! وقد قامت مظاهرات التأييد فى القاهرة إعجاباً برد على يوسف ، وتزاحمت على دار المؤيد عشرات الوفود ، ودوت صيحات الهتاف ، ولن يكون ذلك غير صدى رنان لإعجاب شديد ! أما ما كتبه على يوسف بصدد حرية الصحافة التى شاء اللورد فى آخر أيامه ان يطوقها بقيوده فهو أنفذ فى لبابه من كل قول ، لأن صاحب المؤيد تساءل كيف يبيح اللورد لأصحاب المقطم واضرابهم أن يسبوا السلطان والدولة العثمانية صباح مساء دون أن يكونوا موضع ملامة لأن الصحافة حرة تقول ما تشاء ، ثم لا تمتد هذه الحرية لجريدتى اللواء والمؤيد حين تنقدان السياسة الانجليزية ، وكأنهما جاءتا بموبقة آثمة تستدعى المصادرة ، وتدفع إلى غياهب الاعتقال .

ونحن نعلم أن الشيخ على يوسف قد ألف حزباً سياسياً سماه (حزب الإصلاح على المبادىء الدستورية) فكان زعيماً سياسياً يقرن بمصطفى كامل زعيم الحزب الوطنى . ومحمود سليمان زعيم حزب الأمة ، ولكن مجد على يوسف لم يتح له من طريق زعامته بل من طريق جريدته ، لأن هدوءه العاقل لم يجذب له من الأنصار كما جذبت الحماسة الدافقة عند مصطفى كامل ، ويخيل إلى أن الرجل لم يرد أن يكون زعيم جماهير قدر ما اراد ان يلفت إلى سياسة الإصـلاح الدستورى عن طريق النقاش المنطقى الذى يحدد الأهداف ويرسم الاتجاه .

لقد أصاب الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد[٢] حين وازن بين على يوسف ومصطفى كامل فى اتجاههما السياسى موازنة دقيقة قال فيها .

« لقد كان لعلى يوسف ومصطفى كامل طريقتان مختلفتان فى الكتابة الصحفية ، وفى الخطة السياسية ، وفى الدعوة الوطنية ، ولقد فرق النقاد بين الطريقتين ، فكان الفرق بينهما

←

---

(٢) رجال عرفتهم للأستاذ العقاد (كتاب الهلال) .

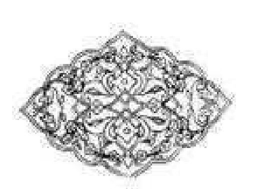
عند أناس ، أن طريقة مصطفى كامل هى طريقة التطرف والحماسة ، وأن طريقة على يوسف هى طريقة المحافظة والاعتدال ، وكان الفرق بينهما عند أناس ، هو الفرق بين التعليم القديم والتعليم الحديث ، أو هو الفرق بين الشباب والكهولة أو الفرق بين الكاتب الحصيف والخطيب المنطلق ، ولكن الواقع أن الفارق الوحيد الذى يحتوى جميع هذه الفروق ، هو شعور العصامية فى نفس الرجل الذى كان مثله الأعلى فى الحياة أن يصل بحيلته واجتهاده إلى مكانة السيد الموقر ليرعى له السادة الوارثون كرامة الرأى وكرامته ، وكان من حق هذه العصامية الناجحة عند على يوسف أن يتكلم مع ذوى الاعتبار كما يتكلم ذوو الاعتبار ، ولا يخف به القلم خفة الحديث المتعجل ، أو الحديث المستثار » .

كما قال العقاد بصدد عصامية على يوسف الصحافية :

« إن على يوسف كان يصنع صناعته الصحفية ليتعلمها الناس منه ، ولم يكن يتعلم تلك الصناعة على أساتذتها فى الشرق والغرب ، ولا على أدواتها التى تمليها عليه ، كان يسمع ولا شك بالصحافة الأوروبية ويعرف منها بالسماع أكبرها وأشهرها ، ولكنه لم يعرف من صحافة الغرب صحيفة واحدة لينهج نهجها ، ولم يكن من غايته ولا طاقته أن يعرف التيمس أو ... ليحكى هذه أو تلك فى طبعها وتحريرها ، كان عليه أن يرتجل صناعته الصحفية فى كل شىء فى التقاط الأخبار ، وفى جمع الآراء ، وفى تحرير المقالات ، وفى سياسة الجمهور ، وسياسة ولاة الأمور » .

وإذا كان على يوسف قد صار زعيم الصحافة بجهد شخصى لم يتلق أسبابه عن أحد ، فإن ذلك أكبر دال على خصوبة فكرية ناضرة ، أدت ثمارها الطيبة شهية لذيذة فكانت موضع الحظوة والإقبال .

د . محمد رجب البيومى



الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

على باب التوبة

جراحك منك

أيها الماضي الجميل



على باب التوبة

انت الحليم ومنك العفو ينتظر — مَا رَدَّ بابُك عبداً جاء يعتذرُ
فكل نفس وان طالت غوايتُها — حتما سترجعها عن غيها العِبَرُ
اطوف حول الحمى سعيا وهرولة — استغفر اللهَ مما يأثم البشر
استوهب اللهَ غفرانا ومرحمة — فكم من الإثم عند التَّوْبِ يغتفر
إن الشبابَ الذى غَنَّتْ بلابلُهُ — وَلَّى فلم يَبْقَ إلَّا ذكره العطرُ
كأنه حلم تُلتَذُّ رؤيتُه — كأنه قصص يجترُّهُ السمر
وهانذا بلا زادٍ ، بلا مددٍ — امضى ويمضى ورائى يومى العسِرُ

●●●●

بمن الوذ واهل الارض فى سفر — لا يستقر بهم بِيدٌ ولا حضر
أبِالملوك ؟ وهل دامت لهم دولٌ ؟ — طوتهم الارض تحت التُربِ فاندثروا
ام بالأُلَى شيدوا خوف البلى هرما — لم تغن عنهم حضارات ولا اثرُ
من لم يزكِّهمو دين ولا خلق — فلن يزكيهمْ يوم الردى حجرُ
ماخلَّد الدهرُ فى ارجائها بشرا — لكنمَّا اهلها قد مسَّهم خدرُ







للأستاذ / إسماعيل يحيى

اين الفرار وتلك الدار فانية ... ونحن قبل الردى بالعيش نختبرُ

إن القضاء إذا حامت جوارحه ... فكل ساعٍ على الغبراء محتضر

ماذا تبقَّى من الأوهام انسجه ... والعمر منحدرٌ يتلوه منحدرُ

ماذا أسوق لذات الله من حُججٍ ... وكل شيء لدى الديان مدخرُ

هو الذى يعلم الأسرار اجمعها ... لا شيء عن لوحِهِ المحفوظِ يُستترُ

●●●●

أيقنت أنى إلى الرحمن مُنقلِبٌ ... طال المدى أو طوى أيَّامَنَا السفرُ

فكيف ألقاه والأوزار تثقلنى ... وكيف انكر ماجاءت به النُّذُرُ

ماذا أقول لرب الكون معتذراً ... إنى إلى عفوه المأمول افتقرُ

أنت العليم ـ فهل أعصاك عن سَفهٍ ؟ ... ماكنت إلا امرأً قد خانه الحذرُ

هب لى من التوب ماتهدى به شططى ... قد يدرك الحسُّ مالايدرك البصرُ

إن كان يشفع لى ما كان من ندم ... فثم قلب ... على الأعتاب ينتظرُ



أيها الماضي الجميل

لصوتك في حِسِّ صدًى ورنينُ ** تفيض له من مُقْلَتَيَّ شئون

وللروح من ترجيع ذكرك نشوة ** وللقلب شوق عارم ، وحنين

ولي كل آن في مروجك نزهة ** ودونك احقاب خلت وقرون

كأني غريب ، من رحابك شارد ** دخيل على هذا الزمان ظعين

بجسمي انا ابن العصر ، لا بمشاعري ** فقلبي بما يحوى لديك رهين

اطوف على الأطلال مؤتنسا بها ** ففيها لحيران الفؤاد سكون

ومالي وعصر قد تكدر وِرْدُه ** ومافيه حصن للأباة حصين

إذا ما غوى طبع الزمان فإنه ** خليق بان يُقْلَى حماه قمين

فكل فعال الفاعلين معاول ** وكل شفاه القائلين تَمِين

إذا سرتُ بين الناس سرتُ محاذرا ** وكلي شعور مرهف وعيون

فكم من حراب في الفؤاد واسهم ** رماني بها عند الأمان خئون

وصرت لغدر الافعوان فريسة ** وقد كان ظني ان ذاك خدين

وايقنت اني في غياهب غابة ** بناب وظفر تغتذى وتمون

إذا كنت ذا باس يخيف وسطوة ** فانت من الفتك الغشوم مَصُون

وإن كنت شفاف الضمير موادعا ** فإنك صيد للذئاب سمين

للشاعر: محمد عبد الرحمن صان الدين

يقولون : (زَيْدٌ) طيب غير فاتك ** وليس له في الغاشيات مُعِين

فدونك ماتبغيه منه ، وَفُزْ بِهِ ** الستَ بقانون السباع تدين

أهذا هو الإنسان ، أشرف كائن ؟ ** له في محاكاة الوحوش فنون !

ولكن تصول الضاريات لتغتذى ** ويسطو أخو الإنسان وهو بطين

فَخَتْلُ الوحوش الطاويات ضرورة ** وختلك ضغن - يامَلِئ - دفين

وعصر تهاوى فيه أقدس وازع ** لَكُلُّ افتراس في حماه يهون

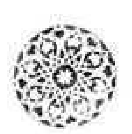
رأيت طباع الناس في كل حقبة ** من الدهر فيها حكمة ومجون

ولكن تساميها ، وفلُّ شرورها ** بوازع أديان السماء يكون

وهل يستقيم العيش دون عقيدة ** لها في تعاليم الخبير معين ؟

فَسُقْيًا لماض كان يحكم ناسَهُ ** تقاليدُ أخلاق الكرام ، ودين

****



جراحك منك

شعر / أحمد محمود مبارك

قصورُ الوهم تعلو .. ثم تعلو　　وتـرمقُـهـا الحقيقـةُ بـازدراءِ

وتسكُنـهـا تظنُّ بـهـا امـانـاً　　ولا تـدرى بـأنَّـكَ فى الـعـراءِ

فتقـذفُـكَ الـريـاحُ بكـلِّ شرٍّ　　وتـذروك العواصفُ فى الفضـاءِ

وحـين تُفيـقُ . لاتلقى قصـورا　　وتُبصرهـا هبـاء فى هبـاءِ

تُـعيـدُ الكَـرَّةَ الحمقـاء دومـاً　　بـرمـلِ الـوهمِ تُسـرعُ فى البنـاءِ

****

غـريبُ انت تشكـو من عَنـاءٍ　　وتأمُلُ فى الخلاصِ وفى الشفاءِ

وتجـرعُ من شرابٍ انت تـدرى　　بمـا يحـويـه من سقمٍ وداءِ

اتَنْسِجُ من خيوطِ الليل ثوبـاً　　وترجو النورَ من غَلَسِ الرداءِ ؟!

جراحُكَ منـكَ . لا تأمُلْ خلاصـاً　　وانـتَ اسيرُ غَـىٍّ واشتـهـاءِ

اتُطفِىء ، جذوةَ التقوى وتغفـو　　كسيحَ العزمِ مشلولَ الرجـاءِ ؟!

فلن يمحـو ظـلامَ الإثم ضـوء　　إذا لم تَسْـعَ انتَ إلى الضياءِ

****

العلوم الكونية

مشاكل المعدة فى مصر

من مفاهيم تلوث البيئة

مشاكل المعدة

في مصر

لعله من الجدير بالذكر أن ننوه ببيان أن « أمراض الجهاز الهضمي والكبد المصرية » قد تختلف ـ بشكل واضح ـ عن نفس الأمراض في البلاد الغربية ؛ لذلك كانت طرق علاجها لا يستطيع تقديرها و« تقييمها » تقديراً وتقييماً صحيحين إلا الطبيب المصرى .

كذلك من الجدير بالذكر ـ أيضاً ـ إيضاح بعض الأعراض لهذه الأمراض التى نسمعها يومياً من هذا الصنف من المرضى ، وهى أعراض أصبحت شائعة بين الناس ، وتبدو فى :

آلام فم المعدة ، الميل للقىء ، الحموضة ، حرقان الصدر .

ويلاحظ أن البعض يتناول المشروبات الغازية مدعياً أنها تهضم ، ويكثر من استعمال « المهضمات » والأدوية الفوّارة المهضمة حتى أصبح من الصعب أن تجدها متوافرة فى الصيدليات لكثرة الإقبال عليها دون إرشاد الطبيب .

كثرة انتشار ما ذكرنا من أعراض ، إلى كثرة احتياجنا إلى الأدوية ، ثم كثرة استمرار هذه الأعراض، والقلق الذي ينتاب المرضى خوفاً من الإصابة بمرض أشد كالقرحة أو السرطان .. وقد نفاجأ بخلو المعدة من أى مرض عضوى عندما نقوم بعمل منظار للمعدة ... كل ذلك لا يفسره إلا وجود (المتهم الأساسي) في هذه الحال ، وهو نظامنا الغذائى في مصر .

المعدة تحمى نفسها من عصاراتها الهاضمة

لقد أنعم الله علينا بنعمة الصحة ، وإن في خلقه لحكمة وإبداع ودقة لا يمكن أن تكون إلا من عنده ـ تعالى .

ففى المعدة « الحامض » و« العصارات » التى تقوم بتحليل الطعام وسيولته وهضمه ، وهذه العصارة القادرة على هذه القوة لا تؤذى المعدة ولا تهضم .ارها ، وذلك لعدة عوامل مثل وجود المخاط والغشاء المخاطى المبطن للمعدة .

ثم إعداد الخالق ـ جل وعلا ـ للمعدة ذاتها حيث لا تقوم بإفراز أى حامض إلا بعد تناول الطعام .

للأستاذ الدكتور
علي مؤنس

هذا إلى مقدرة المعدة على عدم إرجاع محتوياتها إلى المرىء

هذه الخواص الهامة هى الدعامة التى بواسطتها تحمى المعدة نفسها مما بها من « عصارات هاضمة » ذات قدرة على هضم أى شيء يدخل المعدة .

طعامنا المصرى أو الشرقى ماذا يفعل بنا ؟

طعامنا الذي يتكون من « المسبك » و« المقلى » و« المحمّر » و« البهارات » و« الشطة » ... كل ذلك يفسد خواص المعدة في حماية نفسها من عصاراتها حيث يؤدى ذلك إلى ارتجاع عصارات الأمعاء و« البنكرياس » والمرارة إلى المعدة ، كما يساعد على ارتجاع سوائل المعدة إلى المرىء ، كذلك يحدث التهاباً بالغشاء المخاطى المبطن للمعدة ؛ فإذا مجموع ذلك وحصيلته :

التهاب .. حموضة .. حرقان الصدر .. ميل للقيء .

بل قد يكون القيء راحة للمعدة .

طريقة تناولنا للطعام

لقد اعتدنا ملء المعدة بكثرة الطعام .

وتناول أى شيء بين الوجبات ..

ولعل ذلك هو العامل الهام في اضطراب المعدة ، والهضم وكثرة إفراز الحامض طوال اليوم .

وللعرب حكمة خالدة في هذا المقام حيث يقولون :

نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع » .

عاداتنا المصرية لها بالغ الأهمية في كثرة أمراض المعدة في مصر

كثير منا يتناول « الاسبرين » وأدوية « الروماتيزم » وغيرهما من أدوية ، وكم من مريض يأتينى فأفاجأ باستمراره على علاج لسنوات كثيرة .

وتلك ظاهرة فريدة لا يتميز به إلا شعب مصر .

ولا ننسى التدخين :

فإن له أضراراً كثيرة ، بل خطيرة ، وبرغم ذلك نجد المدخنين يستمرون عليه برغم علمهم بما في ذلك من أضرار ومخاطر .

فأما « الاسبرين » وأدوية « الروماتيزم » وغيرهما من المسكنات فإنها تخدش المخاط ، وتلهب الغشاء المخاطى المبطن للمعدة ، وتساعد على نزيف المعدة الملتهبة أو القرحة المعوية ..

وأما « التدخين » فقد أثبت العلم أنه يزيد من حامض المعدة ويلهبها ، ويساعد على زيادة عدد الخلايا المفرزة للحامض ، كما يساعد على إرجاع سوائل الأمعاء والبنكرياس والمرارة إلى المعدة ، وإرجاع سوائل المعدة لأسفل المرىء مما يؤدى إلى التهاب المعدة وأسفل المرىء .

من هنا نرى :

أن أمراض المعدة عندنا لها أسبابها الخاصة ..

وهذه الأسباب تكمن في طعامنا وشرابنا ، والأدوية التى نأخذها يومياً ، والتدخين الذى نراه في المجالس والأندية وغيرهما ، ويتعدى ضرره المدخنين إلى غيرهم .

ولقد تمكنت بعض البلاد الأوروبية من السيطرة على ضرر المدخنين بفرض أماكن خاصة بهم ، وسن تشريع بإيقاع غرامة على المخالف ، وَطُبِّقَ القانونُ بصرامة أكسبته الاحترام والحَسْم .

●● ●● ●●

إن أمراض المعدة : من التهاب .. وتقرحات والتهاب أسفل المرىء .. والتهاب الاثنى عشر ، وعدم شفاء قرحة الاثنى عشر .. وتكرار هذه الأمراض .. أو عدم شفائها على الرغم من العلاج المستمر ـ كل ذلك كامن مباشرة في عاداتنا السيئة : طعاماً وشراباً ... الخ ..

●● ●● ●●

التشخيص السليم :

والتشخيص السليم لما نشكوه من أعراض يرتكز أساساً على الفحص العام للمريض ، وقد تؤدى الأشعة دوراً هاماً ولكنه قد تضاءل بعد استخدام مناظير الألياف الضوئية للمعدة والمرىء والاثنى عشر ، وقد يمكن التشخيص بأخذ عينات من المعدة وتحليلها ، ونلجأ ـ فى بعض الحالات ـ إلى تحليل عصارة المعدة للوقوف على « نسبة الحامض » الموجود بها ؛ لأنه ليس ضرورياً أن تكون هذه « الأضرار » نتيجة زيادة الحامض بالمعدة ؛ فقد تختلف أمراض المعدة عن أمراض الاثنى عشر ، فإن أمراض الاثنى عشر من التهاب وتقرحات ...

وقرحة الاثنى عشر لابد تعتمد على زيادة حامض المعدة ، وعلاجها هو نفس علاج حامض المعدة .

وهى أمراض تعتبر نتيجة مباشرة لما يضعف مقاومة الغشاء المخاطى المبطن للمعدة سواء كان الحامض طبيعياً ، أو ازداد لأمر ما مما ذكرنا ، وفى بعض الأحيان يحدث نقص في نسبة حامض المعدة ..

وخلاصة القول :

إنه عند علاج أمراض المعدة عندنا ـ في مصر ـ ينبغى أن نضع فى الاعتبار :

اننا ـ أولاً ـ السبب المباشر والحقيقي في ظهور هذه الأمراض .

وأن العلاج يجب أن يبدأ ـ قبل كل شىء ـ بدراسة واضحة للأسباب التى نسلكها في حياتنا العادية ، وذلك قبل أن نبدأ بعلاج الأدوية الذى يقلل أو يمنع حامض المعدة .

وقد يكون من الضرورى العلم بأن الأعشاب الطبية ذات دور فعّال حقيقي فى العلاج ، فـ « العرقسوس » ـ مثلاً ـ قد يكون علاجاً مقوياً للغشاء المخاطى المبطن للمعدة واقياً لها من الطعام والشراب ، معالجاً لها من أى ضرر بشرط هام هو الابتعاد عن المسببات التى أوردناها بالمقال والموجودة في حياتنا العامة ..



د. كارم السيد غنيم

التلوث « أو التلويث » يعنى فى اللغة الدَّنَس « أو التدنيس » ، ويقول ابن منظور فى لسان العرب فى مادة الدنس « دنس » الدَّنَس فى الثياب : لطخ الوسخ ، ونحوه حتى فى الأخلاق ، والجمع « أدناس » . وقد دَنِس يَدْنَسُ دَنَساً ، فهو دَنِس : توسخ ، وتدنَّس : اتَّسخ ودَنَّسَهُ غيره تدنيسا .

المعنى العام للتلوث :

التلوث فى معناه العام هو : كل تغير كمى أو كيفى فى مكونات البيئة الحية وغير الحية لا يمكن للأنظمة البيئية أن تستوعبه بدون اختلال توازنها .

وعلى ذلك فإن الإنسان قبل هجوم الثورة الصناعية لم يتعرض لمشكلة التلوث لأن كل مخلفات نشاطاته كانت مما تستطيع الدورات الطبيعية للأنظمة البيئية أن تستوعبه وتجريه فى سلاسل تحولاتها .

أما التلوث كتغير كمى فيكون بزيادة نسبة بعض المكونات الطبيعية للبيئة ، كزيادة « ثانى أكسيد الكربون » عن نسبته المعتادة نتيجة للحرائق الهائلة التى ماتزال تطرأ على مناطق الغابات والأعشاب أو زيادة درجة حرارة المياه فى منطقة ما من جراء ما تلقيه فيها بعض المصانع من مياه حارة ، وقد يكون بإضافة كم قليل من مادة فى موقع حساس كما هو الحال بالنسبة لتسرب البترول إلى مياه

البحر نتيجة لعطب في ناقلات البترول أو الحوادث أو خلافه .

وينتج التغير الكمى من إضافة مواد تكون سامة أو قاتلة حتى فى تركيزاتها الطبيعية كالزئبق وأكاسيد الكربون والمواد المشعة .

وأما التلوث كتغير كيفي فينتج من إضافة مركبات صناعية غريبة على الأنظمة البيئية الطبيعية حيث لم يسبق لها إن كانت فى دوراتها وسلاسلها ، حيث تتراكم فى الماء أو الهواء أو الغذاء أو التربة ، وأبرز أمثلة هذه المواد مبيدات الآفات الزراعية ومبيدات الأعشاب .

وقد ثبت أن أخطر المبيدات هى التى يدخل فى تركيبها الكلور مثل مركب ال د . د . ت وغيره .

طبيعة التلوث بين الأقدمين والمحدثين :

يقول الله تعالى ﴿ كُلُواْ وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ .

والعيث : شدة الفساد ، ومعناه تطغوا ، وفى الآية ٤١ من سورة الروم ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ اى ظهرت البلايا والنكبات فى بر الأرض وبحرها بسبب معاصى الناس وذنوبهم .

قال البيضاوى - رحمه الله - « أنوار التنزيل » : المراد بالفساد الجدب وكثرة الحرق والغرق ومحق البركات ، وكثرة المضارّ بشئون الناس أو بكسبهم إياه ، وكذلك قال ابن كثير : أى بأن ينقص فى الزرع والثمار بسبب المعاصى ، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة .

●●

وبعد ..

فإن معنى الفساد يتسع ليشمل الفساد المادى المتمثل فى تغيير الإنسان لظواهر البيئة ومحتويات الكون وتحويلها إلى الحالة السيئة وذلك بتدخله الأحمق فى ميزان الطبيعة الذى خلقه الله سبحانه بحكمة ودقة وعظمة بما يصلح لمعيشة كافة مخلوقاته ، ويتضمن هذا المعنى للفساد ما يحدث من الإنسان من تلوث لجزئيات الكون ماء وتربة وغذاء ، حين يقول الله : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ .. فإن إخلال التوازن البيئى نوع من الفساد المذكور فى الآية ، والتلوث مظهر من مظاهر هذا الإخلال .

إن المقصود بتلوث الماء تدنيس مجارى الماء والآبار والأنهار والبحار والأمطار والمياه الجوفية ، مما يجعل ماءها غير صالح للإنسان أو الحيوان أو النبات أو الكائنات التى تعيش فى البحار والمحيطات .

والمقصود بتلوث الهواء هو نفث الغازات والدخان والأبخرة أى المواد فى صورها المختلفة صلبة وغازية وسائلة ، وذلك فى الهواء المحيط بالكائنات مما يؤدى إلى تغيير تركيبه الطبيعى ، وهذا يؤدى فى النهاية إلى عدم ملاءمة العيش الذى أراده الله لمخلوقاته ، فتنجم بذلك أضرار فسيولوجية واقتصادية وحيوية فتفتك بالإنسان والحيوانات والنباتات وغيرها من الكائنات أو حتى الموجودات الأخرى . ومن المنذر بالخطر الجسيم أن تيار التلوث إلى أماكن لم يكن

يتوقع أحد أن يصل إليها فوجدوا أن هناك نسبة كبيرة من الرصاص فى الجليد فى جزيرة « جرينلاند » تزيد عن نسبتها منذ عشرات السنين ، وتعجَّب الباحثون من أين جاء هذا التلوث ، والجزيرة خالية من السكان تقريباً وخالية بذلك من السيارات والمصانع ، وتقع بعيدة عن مناطق العمران هناك فى المنطقة المتجمدة الشمالية .

إن الرياح هى المسئولة عن نقل هذا التلوث من مكان إلى مكان ، فالأبخرة والدخان والغازات الناتجة من المصانع التى تنفثها المداخن فى أوروبا تنقلها الرياح إلى بلاد نائية فى الشرق مثل السويد وشمال غرب روسيا .

والمقصود بتلوث التربة هو إفساد صفاتها وخصائصها وإتلاف التراكيب الطبيعية التى أودعها الله باطنها لتلائم الإنبات أو الاحتفاظ بمياه الأمطار فى جوفها طاهراً نقياً .

وبصفة عامة فإن ما يلوث الهواء قد يلوث الماء ويلوث التربة ، ذلك أن نظم الماء والهواء والتربة ترتبط ارتباطا وثيقاً ببعضها البعض .

د . كارم السيد غنيم

أزمة الاستشراق "بقية"

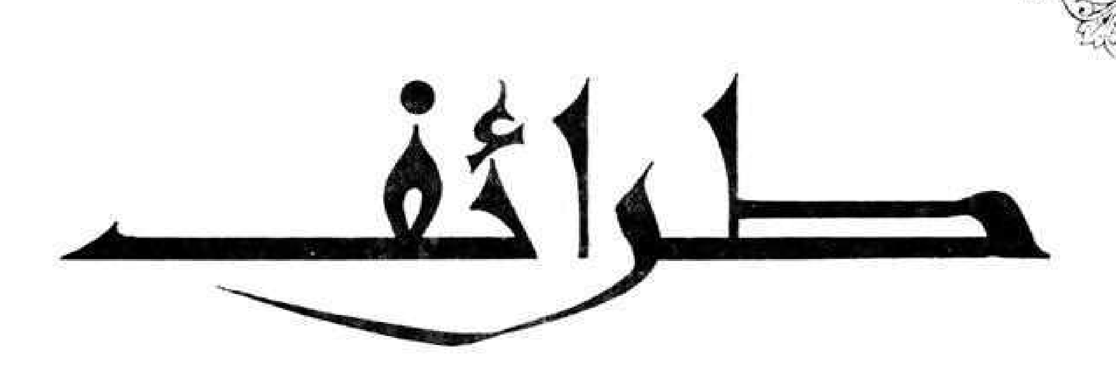
إعتباره المستشرق الوحيد الذى يقوم بأبحاث جدية فى هولندا ، فأما الآخرون فمن عرضنا لهم نجد أنهم ليسوا إلا مترجمين أو موظفى أرشيف أما (فريد دويونج) فعنده المنهج التركيبى العلمى الحقيقى الذى نود أن يصل به إلى فهم الإسلام والكتابة عنه كتابة علمية منصفة .

فى الحالة الهولندية ، لا نستطيع أن نتحدث عن استشراق من النوع الذى تحدث عنه الأستاذ أدوارد سعيد ، استشراق خلق الشرق .

كما لا نجد فى هولندا الاستشراق الذى تحدث عنه الأستاذ محمد البهى ؛ فالمستشرق البروتستنتى الهولندى لا يتحدث عن الحركات الإصلاحية ، والكاثوليكى واليهودى يتهجمان على الإسلام بشكل أوتوماتيكى .

الاستشراق الهولندى المعاصر منه بخاصة ينحونحو التوثيق لا البحث الموثق ويعانى من أزمة كبرى فى استخدام مناهج البحث .

المستشرق الهولندى يترجم من العربية إلى الانجليزية أو إلى لغته ، ولكنه لا يقدم رؤية جديدة أو تفسيراً للنصوص التى يتعامل معها . وإلى أن يجد مستشرقو هولندا لغة ومنهجاً لا نستطيع الآن أن نتحدث عن أزمتهم وليس عن إنتاجهم .



طرائف

« من هو أكرم الناس ؟ »

قال معاوية يوما لجلسائه : من أكرم الناس أباً وأماً وجداً وجدة ، وعماً وعمة ، وخالاً وخالة ؟

قالوا : أمير المؤمنين أعلم فأمسك بيد الحسين ـ رضي الله عنه ـ وقال : هذا أبوه علي بن أبي طالب ، وأمه فاطمة بنت محمد وجده رسول الله ـ ﷺ ـ وجدته خديجة ، وعمه جعفر ، وعمته هالة بنت أبي طالب ، وخاله القاسم بن محمد ، وخالته زينب بنت رسول الله ﷺ .

« الاختلاط »

للأستاذ محمد حسن النجمي :

زعم السفور والاختلاط وسيلة
للمجد قوم في المجانة اغرقوا
كذبوا ، متى كان التعرض للخنا
شيئاً تعزُّ به الشعوب وتسبق

« النفس الرفيعة »

قال معاوية :

إني لأرفع نفسي أن يكون ذنب أعظم من عفوي ، وجهل أكثر من حلمي ، أو عورة لا يواريها ستري ، أو إساءة أكثر من إحساني .

قالوا

- لا تدعوا حظكم من العزلة فإن العزلة لكم عبادة .
- للفقر نور مادمت تستره ، فإذا أظهرته ذهب نوره .
- أضر الأشياء صحبة عالم غافل ، أو صوفي جاهل .



● من لم يستعن بالله على نفسه صرعته .

● من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه .

● من تزين بزائل فهو مغرور .

● إن استطعت ان تعرف ولا تعرف ، وان تسال ولا تسال وان تمشى ولا يُمش إليك فافعل .

● اليقين داع إلى قصر الأمل ، وقصر الأمل يدعو إلى الزهد ، والزهد يورث الحكمة والحكمة تورث النظر في العواقب .

« حقـــا »

دخل الهرمزان احد قواد الفرس مستسلما على امير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقال ياعمر : كنا وإياكم في الجاهلية على بُعْدٍ من الله ـ جل وعلا ـ فغلبناكم لانه لم يكن معنا ولا معكم ، فلما كان الله معكم غلبتمونا .

فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ : إنما غلبتمونا باجتماعكم وتفرقنا ، أى ولما جمع الله ـ تعالى ـ بالإسلام بين قلوبنا غلبناكم .

« من الغنـــى ؟ »

قال رجل لإبراهيم بن ادهم ، ياابا إسحاق ، كنت اريد ان تقبل منى هذه الجبة كسوة .

فقال له إبراهيم : إن كنت غنيا قبلتها منك ؛ وإن كنت فقيرا لم اقبلها منك .

قال الرجل : فإنى غنى .

قال إبراهيم بن ادهم : وكم مالك ؟

قال الرجل : الفا دينار .

قال إبراهيم : فانت تود انها اربعة الاف .

قال الرجل : نعم .

فقال إبراهيم : فانت تود انها اربعة آلاف ؟

قال نعم .

فقال إبراهيم : فانت فقير ! لا اقبلها منك !

« دعـــاء »

إلهى منك تكون النعمة ، وعليك ثوابها وانت تعين على شكرها ، وعليك ثوابه .

من عيون مجلة الأزهر

من روائع الماضى

الحياة وأطوارها

وإثبات الحياة البرزخية

لصاحب الفضيلة
الشيخ إبراهيم الجبالى

■ **أطوار الحياة ، وعلاقة كل طور بالآخر ، واختصاصه بميزات لا تقبل الانعكاس هى حكمة الخالق جل وعلا ، وإنها الأدعى إلى نظرة تزيد المؤمن إيماناً ، وتعمق - داخل فؤاده - الإحساس بحكمة الخالق جل علاه ذاك ما يعرض له فضيلة الشيخ ابراهيم الجبالى - رحمه الله قال :**

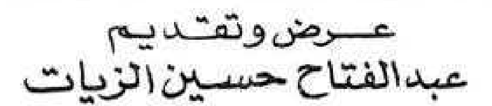
الحياة واطوارها
وإثبات الحياة البرزخية

كلنا نحب الحياة ونتعلق بها ونحرص عليها ،وهى جديرة بذلك ، ولكن هل فهمنا معنى الحياة واستوعبنا أطوارها ؟ إن الكثير من الناس يقصر الحياة على هذا الطور الظاهر الذى أوله الولادة وآخره القبر ، ولكن الحقيقة أن الحياة مظهر كمالى للموجود بحسب ما يليق به ، وأنها فى الإنسان لها أربعة أطوار تتدرج من أدنى إلى أعلى بحسب ترتبها فى الحصول والتحقق : طوران شاهدناهما ، وطوران أخبرتنا بهما النبوة الصادقة :

الأول : الحياة الجنينية : حياة الطفل فى بطن أمه . هذا طور من أطوار الحياة وهو أقصرها مدة وأضيقها مجالا وأخفاها أثراً وأضعفها احتمالا ، فإنك تعد مدته بآحاد الشهور ، وتجد مجاله لا يتجاوز شبراً فى شبر وهو بطن الأم ، وأثر الحى فيه لا يكاد يحسه أحد ، اللهم إلا حاملته فى بعض أحيان حركته أو من يتصل بها فى أواخر شهوره ، وقوة الحى فيه أضعف من أن يتحمل صدمة خفيفة فتقضى عليه اللكزة لساعته .

وبعد فهو دور من أدوار الحياة وطور من أطوارها يغتبط به الحى ويحرص عليه ويجزع لمفارقته ، حتى إنه يستهل صارخاً إذا انتقل إلى ما يليه مع أنه انتقل إلى أفسح وأوسع وأرغد وأكمل ، ولكنه عبد لما ألف ورق لما عهد .

الطور الثانى - حياة عالمنا هذا الفانى : هو ذلك الطور الظاهر لنا المستولى على مشاعرنا ، هو الطور الذى اغتر به المغترون وانخدع به الكافرون فقالوا : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ .. ﴿ وَقَالُوا مَاهِيَ إِلَّا



حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾

وهو طور أرقى مما قبله فى كل شىء ، فبينما تعد فى مدة الأول بآحاد الشهور إذا بك تعد فى مدة هذا بعشرات السنين ، وبينما كان مجال الحى فى الأول شبراً فى شبر تجد مداه فى هذا ذلك الفضاء المادى الأرضى الفسيح ، وبينما كان اثر الحى فى الأول لا يكاد يحسه إلا حاملته أو من اتصل بها إذا بآثاره ههنا تملأ الكون ـ من أنهار يشقها ، وأشجار يغرسها ، واستعمار واستثمار ، وتحليل وتركيب ، حتى عـد بحق خليفة الله فى أرضه ، لقب حسدته عليه الملائكة ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) ثم بينما كانت قوة الحى فى الأول من الضعف بحيث تقضى عليه لكزة اليد أووخزة الأصبع إذا به فى هذا الدور قد أصبح يقارع الخطوب والخطوب تقارعه ، ويصارع الدهر والدهر يصارعه ، فتارة غلب وتارة غُلب ، وطورا سلم وطورا هزم .

طوران من أطوار الحياة يشتركان فى معنى الحياة ويتجاوران بل يتلاصقان ، فمنتهى أحدهما مبدأ الآخر ، ومع ذلك يتباعدان فى أحكامهما تباعدا شديدا ، حتى إن ما يشترط لصلاح أحدهما تراه مفسدا للآخر ، فإنك لو عرضت الجنين قبل ولادته للهواء لفسدت حياته ، ولو أعدت الوليد عقب ولادته لبطن أمه لمات لساعته . فانظر كيف تجاورا وتـلاصقا مـع تناقضهمـا فى الأحكـام والمقتضيات ، وقد اقتضت إرادة الحكيم العليم أن نرى هذين الطورين من أطوار الحياة متجاورين متناقضين لتتسع مداركنا لفهم معنى الحياة فهما أوسع مما يبدو لصغار العقول وقصار النظر فى فهمهما من قصرها على هذا الدور الظاهر ، فأرانا جل شأنه الحياة فى مظهرين متقاربين متباعدين لنعلم أن الحياة أوسع معنى من قصورها على حال واحدة ، فنفهم من أطوارها ما تحدثنا به النبوة الصادقـة وذلك هـو « الطوران الآتيان » .

الطور الثالث من أطوار الحياة ـ وهو الأول من الطورين اللذين أخبرتنا بهما النبوة ـ هو الحياة البرزخية ، هو الطور الذى يبتدىء بالقبر وينتهى بالحشر ، هو الطور الداخل فى عبارة ما بعد الموت ، ونسبته إلى الطور الثانى كنسبة الثانى إلى الأول ، فإذا عددت فى مدة الأول بآحاد الشهور وفى مدة الثانى بعشرات السنين ، فعد فى مدة الثالث بآلاف الأجيال والقرون ، وإذا كان مدى الأول شبراً فى شبر ومدى الثانى هذا الفضاء المادى الأرضى ، فمدى الثالث ملأ أعلى روحانى سماوى ، وإذا كان اثر الحى فى الأول لا تحسه إلا حاملته وأثر الثانى تلك الشئون المادية التى شرحناها

من روائع الماضي

لك ، فأثره فى الثالث يتجلى باتصاله بأرواح الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين والملائكة المقربين فيتجلى له من أسرار العلم الروحانية العلوية ما يحقر أمامه تلك الشئون المادية الأرضية ، وإذا كانت قوة الحى فى الأول بحيث تقضى عليه لكزة يد أو وخزة أصبع ، وقوته فى الطور الثانى بحيث يصارع الدهر والدهر يصارعه فتارة غلب وتارة غلب ، فقد أصبح فى الطور الثالث فى مأمن من الدهر وغوائله ، حتى يأتى أمر الله يوم ينفخ فى الصور .

لهذا الطور حكمه وأثره على نسق ما بين الطور الأول والثانى ، ألا ترى أنك إذا عرضت على واحد فى هذه الحياة الدنيا أن يعود إلى بطن أمه عد ذلك مجوناً أو سخفاً ولا يكاد يصدق أنك تخيره تخييراً صحيحاً مع أنه قد بكى عليه يوم فارقه ، فكذلك لو عرضت على المؤمن أن يعود من طوره الثالث إلى طوره الثانى الذى حزن يوم فارقه لكان بمثابة أن تعرض عليه وهو فى هذه الحياة أن يعود إلى بطن الأم وقذرها وحبسها .

نعم : فالدنيا سجن المؤمن ، أما الكافر والعياذ بالله فيتمنى لو لم يحى حياته الأولى التى كانت عليه وبالا ظهر أثره فى الطور الثالث . هذا الطور ثابت بالقرآن الكريم وبالسنة الصحيحة ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وقال جل من قائل : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ ما كان قولهم عنهم إنهم أموات أي لن يبعثوا ، فما كان هذا على بال المؤمنين فى شأن الشهداء ، وإنما هو ظن أنهم أموات عقب استشهادهم ، فكان فى الآية رد هذا الزعم وإثبات أنهم أحياء الآن ، ولكنها حياة ليست من جنس الحياة التى تحسونها وتشعرون بها ، وإنما هى حياة على معنى آخر أخبرتنا بها النبوة فنصدق بها وإن لم نحسها ولم نشعر بها ، وكفانا فى اتساع عقولنا لفهم معنى الحياة على وجه أوسع ما شهدناه من تنوعها وتفننها فى الطورين السابقين . هذا الطور غير مقصور على الشهداء ، وإنما اختصهم الله بالنص عليهم لاختصاصهم بالقرب منه تعالى ومزيد البهجة والكرامة ، وإلا فلا يعقل أن يكون الأنبياء وهم المتبوعون محرومين من حياة استمتع بها الشهداء التابعون . لا لا ، بل قد دلت الآية الكريمة على ثبوت هذه الحياة حتى للكافرين ، يقول الله جل شأنه : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ فما كان قوله : النار يعرضون عليها غدواً وعشيا حكاية عن نار يوم القيامة ، فما كان فى القيامة غدو ولا عشى ولا شروق ولا غروب ، والمتعاطفان متغايران ، وقد حكى عن الأول بكلمة النار يعرضون عليها ، وعن الثانى بكلمة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب ، والعرض غدوا وعشياً غير الادخال المستمر . وهل يتصور أن تكون هذه الحياة ثابتة للشهداء وبالأولى للأنبياء ، ثم هى ثابتة

بالنص القرآني للكافرين ويكون المحروم منها هم سائر المؤمنين ؟ أفلا يصح أن تكون هذه الآيات سنداً متيناً لما ورد في السنة من مثل « القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة » ؟! أولا يصح أن تؤيد مثل ما روى في قصة بدر أنه بعد أن قتل صناديد قريش وردوا في القليب : قليب بدر جاء صلى الله عليه وسلم وأخذ يناديهم بأسمائهم : يا فلان بن فلان يا فلان بن فلان إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ، فقال قائل : أو تخاطبهم يا رسول الله أو يسمعون ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم - أو لايصح أن يسند ما ذكر من الآيات ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم : « حياتي خير لكم ومماتي خير لكم : حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، ومماتي خير لكم تعرض على أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت غير ذلك استغفرت لكم » .

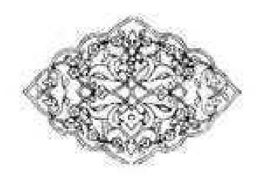
إن الحياة البرزخية وعذاب القبر ونعيمه واستدعاء ذلك للحياة أمر لا ينبغي أن يشك فيه مؤمن ، وإذاً فالميت بعد موته له حياة وله شعور ، ويصح أن يكون له استغفار ودعاء . كما في الحديث السابق ، فما المانع من أن يتوسل به إلى الله كما يتوسل بالحي ، ومبلغ تأثير العبد في الوجود لا يعدو أن يجرى الله بعض الشئون عن طريقه ، وإلا فالله هو المتفرد بالإيجاد والمتوحد بالتصريف لا رب غيره ولا معبود سواه ، وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير .

وبعد فهب أن ما ذكر لا يكفي دليلاً صحيحاً وبرهاناً صريحاً على ما رأيت من وضوح الأمر فيه إلى هذا الحد ، أفلا يكفي لأن يكون تأويلاً مقبولاً فيخرج صاحبه عن أن يكون مشركاً في نظر من لا يقول بمقالته والله يقول : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ أما أن الأجدر بالمسلمين - وخصوصاً أولى العلم والرأي - أن يتلمسوا أسباب التوفيق ما وجدوا إليها سبيلاً ، وينبذوا الكلام وتوسيعه في أمور ليست مما يجب على المسلم في تصحيح عقيدته التى ينجو بها يوم الفزع الأكبر أن يجزم فيه بنفى او إثبات ، فلو أن مسلماً صحت عقيدته فيما يجب لله ولرسله وعرف ما يجب عليه وما يحرم ثم لم يجزم في أمر التوسل والاستغاثة بحكم لما قيل له إنك مشرك .

فالواجب الجزم بأن الله هو المنفرد بالإيجاد والإعدام وإنه ربط العالم بنظام عرفنا منه ما عرفنا وجهلنا ما جهلنا ، ولكن مهما عرفنا ومهما جهلنا فإنا لا نعدو ذلك الحكم الجازم وهو انه جل شانه هو وحده المهيمن على العالم المتصرف فيه المسيطر عليه ، وان ارتباط بعض اجزائه ببعض في حصول شيء بعد شيء إن هو إلا تسبب وربط باختياره تعالى ، ولو شاء لعكس القضية فجعل من النار ريا ومن الماء

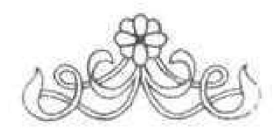
إحراقاً . وإن في خرق النظم في بعض الأحوال لتأييد رسله أو لحكمة أخرى لأكبر شهادة على أنه الفاعل المختار لا رب غيره ولا معبود سواه .

الطور الرابع ـ هو الحياة الآخرة ، هو الحياة الحقيقية ، هو المعبر عنه بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ هو طور له أول ولا آخر له ، هو طور النعيم المقيم والسعادة الدائمة ، هو طور الوجود الذى لا نهاية له ، هو الذى يرى المؤمنون فيه من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ثم يقول الله تعالى فيه للمؤمنين : « الا أمنحكم ما هو أعظم من ذلك » فيقولون : « وأي شيء أعظم من ذلك » فيقول : أحل عليكم رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبدا » هو الذي يكون للمؤمنين فيه أن يروا ربهم كما يرون القمر ليلة البدر لا يمارون فيه ولا يشكون ، فيلحقهم بذلك من الغبطة والابتهاج ما يتقاصر أمامه نعيم الجنان مهما كان عظيماً . نسأل الله أن يمنحنا سعادته ويجعلنا من أهل نعيمه .

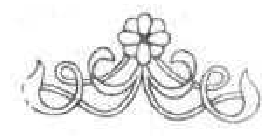


اللغة والأدب والنقد

حول المحل الإعرابي والإعراب المحلي



بكاء الديار ورثاء الممالك والأمصار



رؤية جديدة في صيغتي المدح والذم

حول المحل الإعرابي والإعراب المحلي

الإعراب من خصائص اللغات السامية وأخص هذه اللغات لغتنا الخالدة التي يهواها الناس جميعاً ، حتى غير المسلمين وغير العرب ، وما لها من موسيقى ساحرة وعبارات أخاذة . ومفردات يعجز العقل عن حصرها أو عدها . وإذا كان هناك ما يسمى فى اللغات الأخرى باسم التحليل « Analysis » فإن هذا التحليل لا يرقى إلى ما يسمى عندنا بالإعراب .

فإذا أردنا أن نحلل هذه الجملة وهى باللغة الفرنسية والمعروف عن هذه اللغة أنها لغة تحليلية قاعدية فهى تشبه اللغة العربية لغة الإعراب من هذه الوجهة فنجد أنهم عندما يقولون : محمد يأكل التفاح ، يقولون بلغتهم :

. Mohammad mange La Pomme

وعند تحليل هذه الجملة نجدهم يحللونها إلى الفاظ بدلالات موضوعة عن هذه الألفاظ فمحمد فى الجملة فاعل « Sujet » ويأكل فى الجملة فعل « Verbe Present » والتفاح مفعول به مباشر « Complement d, objet direct » .

ومع أن كلاً من الفاعل والمفعول اسمان فهما مختلفان من حيث الدلالة فمحمد « nom propre » والتفاح « Nom Commun » فإذا أردنا أن نعرب هذه الجملة نفسها : محمد مبتدأ مرفوع بالضمة ، وجملة يأكل التفاح بأكملها خبر لهذا المبتدأ فى محل رفع ، وكل من المبتدأ والخبر يكمل الآخر ويرتبط به ، فجملة الخبر وهى جملة فعلية ترتبط بالجملة الاسمية « محمد يأكل التفاح » برباط قوى هو الضمير فى يأكل مما يجعلنا نقول : إن الجملة فى اللغة العربية جملة متماسكة يأخذ بعضها بحجز بعض مع التفاوت فى هذا التماسك ، ومن هنا كان المحل الإعرابى أو عدمه للجملة ، ولقد كان النحاة منصفين وموفقين حقاً حينما جعلوا الجمل ذات المحل الإعرابى سبعة وكذلك الجمل التى لا محل لها من الإعراب .

والجمل التى لها محل من الإعراب « Principal clause » ضابطها أن تقع الجملة

بقلم: د. عبد الرءوف محمد عثمان

موقع الاسم المفرد فتأخذ محله الإعرابى رفعاً أو نصباً أو جراً ، وقد تقع الجملة موقع الفعل المجزوم فتكون فى محل جزم ، وهذه الجمل تختص بأن لها وضعا متميزاً أو رئاسياً فى الكلام بخلاف الجمل التى لا محل لها من الإعراب والتى سيأتى الحديث عنها فإنها لا تأخذ هذا الوضع وإنما تكون فى الغالب منقطعة أو موضحة لما قبلها أو مفسرة لأخرى وها هى الجمل ذات المحل :

أولاً : الجملة التى تقع خبراً عن المبتدأ مثل الكريم يعيش محبوباً ، والبخيل عيشه نكد فجملة الخبر فى المثال الأول فعلية وجملة الخبر فى المثال الثانى اسمية ، وكلتاهما فى محل رفع ، وكذلك الجملة التى تقع خبراً لناسخ مثل قوله تعالى ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾[1] .

ثانياً : إذا وقعت الجملة مفعولاً به مثل : أقول دائماً : « إن دعوة المظلوم لا ترد » فالجملة هى مقول القول وهى فى محل نصب .

ثالثاً : إذا وقعت الجملة حالاً كقولك تغدو الطيور وهى خماص وتروح وهى بطان فالواوان الأولى والثالثة هما « واوا » الحال وما بعدهما فى محل نصب حال أما الواو التالية لخماص فهى واو العطف .

رابعاً : إذا وقعت الجملة مضافاً إليه : مثل تحلو الجلسة حيث يجلس الأحبة وكقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾[2] وكقوله أيضاً ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾[3] فالظروف الثلاثة « حيث » و« إذْ » و« يوم » مضافة وما بعدها من الجمل مضاف إليها فى محل جر .

خامساً : جملة جواب الشرط الجازم بشرط اقترانها بإحدى الأداتين الفاء أو إذا الفجائية فهاتان الأداتان هما بمثابة الرابط الذى يربط بين طرفى فعل الشرط وجوابه بحيث يكونان وكأنهما جملة واحدة كأن تقول : من يجتهد فإن النجاح حليفه ومثل الفاسق إن دعوته للصلاة إذا هو ينفر منك .

سادساً : إذا وقعت الجملة نعتاً مثل : يؤثر فى المصلين خطيب **حجته قوية** ، إن لهذا الخطيب حججا **تؤثر فى السامعين** ، وكم لهذا الخطيب من حجج **تقنع السامعين** فالجملة فى الأولى فى محل رفع نعت « خطيب » والجملة فى الثانية فى محل نصب نعت « حججا » ، والجملة فى الثالثة فى محل جر نعت « حجج » .

سابعاً : إذا وقعت الجملة تابعة لجملة لها محل من الإعراب ، فتأخذ حكمها بحق الجوار ، فإذا قلنا الأزهر يصنع الرجال

←

(١) الآية ٣٠ من سورة الكهف .
(٢) الآية ٨٦ من سورة الأعراف
(٣) الآية ١١٩ من سورة المائدة .

ويرى الأجيال كانت الجملة الثانية وهى معطوف على جملة الخبر لها نفس المحل ، فالأولى فى محل رفع لأنها خبر عن المبتدأ والجملة الثانية كذلك لأنها معطوفة عليها .

●● ●● ●●

أما الجمل التى لا محل لها من الإعراب « Subordinate Clause » فضابطها أنها لا يقع المفرد موقعها وهى :

أولاً : الجملة الابتدائية : وهى التى تقع فى أول الكلام أو فى أثنائه منقطعة عما قبلها فالأولى مثل المؤمن مرآة أخيه والثانية مثل لا تستسلم للغضب : إنه يعصف بالعقل .

ثانياً : الجملة التى تقع صلة للموصول : مثل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾(٤)

ثالثاً: جملة جواب الشرط غير الجازم : نحو لو قصدتنى فى محنتك لساعدتك . ويدخل تحت هذا جملة جواب الشرط الجازم إذا كانت غير مقترنة بالفاء أو إذا الفجائية مثل من قدم الإحسان لقى الإحسان ومن يقدم على الجميل يلق الجميل .

رابعاً : الجملة الاعتراضية : وهى التى تقع بين أجزاء الجملة أو بين جملتين مرتبطتين مثل أنا - رعاك الله - لا أنسى صنيعك ، هاجر رسول الله - ﷺ - ومعه صديقه أبو بكر .

خامساً : جملة جواب القسم : مثل والله إن الصبر يقهر الصعاب وكقول الشاعر لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها .. ولكن أخلاق الرجال تضيق .

سادساً : الجملة المفسرة : وهى التى تفسر حقيقة شىء قبلها وهى على ثلاثة أنواع فقد تكون مصدره بأنْ مثل أوحيت إليه أن قدر موقفى ، وقد تكون مصدرة بأىْ مثل نظرت إليه شزرا أى احتقرته وقد لا تصدر بأيهما مثل : نصحتك : لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد .

سابعاً : الجملة التالية لجملة لا محل لها من الإعراب : كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ . إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾(٥) وكقولهم العمل شرف ، والعمل حق ، والعمل واجب ، وكقولك : والله إن الدين قوة روحية وإنه لمعين للقيم والمثل الكريمة .

●● ●● ●●

هذا هو المحل الإعرابى بشقيه ، أما الإعراب المحلى فهو واحد من مظاهر الاعراب الأربعة وهى الإعراب الظاهرى ، والإعراب التقديرى ، والإعراب النيابى ، والاعراب المحلى .

وإليك بياناً موجزاً عن كل مظهر من هذه المظاهر الإعرابية :

أولاً : الإعراب الظاهرى وهو الأصل فى الإعراب حيث تظهر فيه حركات الإعراب على آخر الكلمات وأنئذ يمكن النطق بالحركة . ويتجلى هذا الإعراب فى المواضع الآتية :

١ - الاسم الصحيح الآخر فى حالات الرفع والنصب والجر مثل :

(٤) الآية ١٦٩ من سورة آل عمران .

(٥) الآية ٣٠ من سورة الكهف .

الرجل القوى يواجه الشدائد فى ثقة وقوة .

ب ـ الاسم المنقوص فى حالة النصب لخفة الفتحة على الياء مثل :

إن الساعى فى الخير كفاعله .

جـ ـ المضارع الصحيح الآخر فى حالات الرفع والنصب والجزم مثل :

يحاول الاستعمار الحديث أن يغير أقنعته ليخدع الشعوب ولكنها لم تنخدع به .

د ـ المضارع المعتل الآخر بالواو أو الياء فى حالة النصب مثل ؛

لن تبنى الأمم حياتها . وتدنو من أهدافها بغير العمل .

ثانيا : الإعراب التقديرى : وهو ما لم تذكر فيه العلامة على آخر المعرب لسبب من هذه الأسباب الثلاثة : التعذر ـ الثقل ـ الاشتغال .

فالتعذر يتمثل فى صورتين أولاهما فى الاسم المقصور فيقال جاء مصطفى ورأيت مصطفى وكنت مع مصطفى فتقدر الحركات الثلاث على الألف لأن الألف لا تقبل الحركة بحال ولذلك يشبهون بها الإنسان الجامد غير المرن .

والصورة الثانية تتمثل فى المضارع المعتل بالألف فتقدر عليه الضمة والفتحة فقط نحو يخشى محمد ربه ولن يخشى أحدا غيره .

والثقل : يتمثل فى صورتين أولاهما : فى الاسم المنقوص فتقدر عليه الضمة والكسرة فقط فيقال هذا القاضى وذهبت إلى القاضى .

والصورة الثانية : فى المضارع المعتل بالواو أو الياء فتقدر عليه الضمة فقط للثقل نحو يرمى الجمار محمد ويدعو الله فى حجه .

والاشتغال : له ثلاث صور الأولى فى الاسم المضاف إلى ياء المتكلم فيقال هذا أبى ورايت أبى وذهبت إلى أبى فعلامة رفع (أ ب) فى المثال الأول ضمة مقدرة لاشتغال المحل بالكسرة التى تناسب ياء المتكلم ، وعلامة نصبه فى المثال الثانى فتحة مقدرة للاشتغال المذكور انفا ، وعلامة جره فى المثال الأخير كسرة مقدرة لنفس الاشتغال .

الصورة الثانية : فى الاسم المحكى نحو من (زيدا) ؟ لمن قال : رأيت زيدا فعلامة رفع زيداً فى هذا السؤال ضمة مقدرة لاشتغال المحل بحركة الحكاية .

والصورة الثالثة : كما فى الاسم المجرور بحرف الجر الزائد كخبر ليس نحو ليس خالد بشاعر فشاعر هنا خبر منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد .

ثالثا :الإعراب النيابى : وهذه النيابة على أربعة أنواع تضم تحتها سبع حالات :

أ ـ نيابة حرف عن حركة : كما فى الأسماء الستة وجمع المذكر السالم والمثنى .

ب ـ نيابة حركة عن حركة : كما فى جمع المؤنث السالم والممنوع من الصرف .

جـ ـ نيابة حرف أو حذفه عن حركة : كما فى الأفعال الخمسة فهى ترفع بثبوت النون وتنصب وتجزم بحذفها .

د ـ نيابة حذف حرف عن حركة : كما فى الفعل المعتل الآخر مطلقاً ، اى سواء اكان آخر المضارع الفا أم واوا أم ياء فإنه يجزم بحذفها جميعاً .

رابعاً : الإعراب المحلى[6] : وهو بيت القصيد بل هو ما يعنينا فى هذا المقام ويأتى هذا الإعراب فى ثلاث صور :

١ ـ المبنيات : ويراد به[7] هنا مجىء الكلمة المبنية فى الجملة فى موقع لو كانت غير مبنية لتأثر لفظها بالعامل وظهرت عليه علامة الإعراب ، ولأجل أنها مبنية كان تأثرها فى المحل لا فى اللفظ بعكس الكلمة المعربة التى تتأثر لفظا ومحلا . فإذا قلنا (هذا كتابى) كان اسم الإشارة فى محل رفع لأنه مبتدأ ، وإذا قلنا (اشتريت هذا الكتاب) كان اسم الإشارة نفسه فى محل نصب لأنه مفعول به وأخيراً إذا قلنا (أخذت الكتاب من هذا) كان اسم الإشارة فى محل جر ، فلو أنك استبدلت اسم الإشارة فى الأمثلة الثلاثة باسم معرب لظهرت علامات الإعراب فتقول الكتابُ كتابى ، واشتريت كتاب النحو ، وأخذت الكتاب من محمدٍ .

٢ ـ فى الأسماء المعربة المجرورة بحرف التعدية : كقولك مررت بزيد فإنه فى محل نصب على المفعولية ، وكذلك فى الأسماء المجرورة بالإضافة اللفظية نحو أعجبنى ضرب زيد فإنه فى محل رفع على الفاعلية لأنك تقول أعجبنى أن يضرب زيد .

٣ ـ فى الجمل التى لها محل من الإعراب نحو محمد أبوه مهندس فجملة (أبوه مهندس) فى محل رفع خبر عن المبتدأ وهو محمد .

يمكننا إذاً بعد هذا العرض أن نصل إلى النتائج الآتية :

١ ـ المحل الإعرابى وعدمه من خواص الجمل وإن شئت فقل إن الجملة أصل له أما الإعراب المحلى فيكثر ويغلب فى المفرد وأكثر ما يظهر فى المبنيات وإذاً فالمفرد أصل له .

٢ ـ يمكن تداخل كل من المحل الإعرابى والإعراب المحلى كما فى المثال الذى أسلفنا وهو محمد أبوه مهندس فجملة (أبوه مهندس) وقعت خبراً عن محمد ومادامت وقعت خبراً فلها محل إعرابى وهى أيضاً فى محل رفع ولو كان الخبر هنا مفردا لظهرت عليه حركة الإعراب وهو الرفع .

٣ ـ عدم الاستغناء عن الإعراب المحلى وأخيه التقديرى فبهما يتم العقد فى مظاهره الأربعة السابقة . ولقد قامت حملة مسعورة فى السنين الخوالى تنادى بإلغاء هذين الإعرابين المحلى والتقديرى ، وباءت تلك الحملة بالفشل وبقى الإعراب بمظاهره كلها شامخا يتحدى أى عدوان أو اعتداء عليه . ونحن نقول لهؤلاء وأولئك ماردده علماؤنا من قبل : أين البديل عن الإعراب المحلى ؟ وكيف يستوى أو يتساوى وضع اسم الإشارة فى الأمثلة الثلاثة الآتية :

حضر هؤلاءِ الرجالُ

رأيت هؤلاءِ الرجالَ

كنت مع هؤلاءِ الرجالِ

" البقية ص ٥٢٤ "

(٦) ذكرنا مظاهر الإعراب الأربعة حتى يكتمل العقد ، وتسهل المقارنة بينها ، ويظهر الفرق بينها فى جلاء ووضوح .

(٧) أى يراد بالإعراب المحلى .





بكاء الديار ورثاء الممالك والأمصار

للأستاذ : السيد حسن قرون

فى الشعر العربى قصائد رائعة يانعة القطوف ، بارعة تاسر العقول والقلوب ، لما حوته من هواجس واحاسيس اناس صاغوا ما ادخروه من صبابة وغرام ، وغضب وآلام فى تلك القصائد العظام ، ونحن نقرا ذلك الشعر فنشعر بمعانيه ، وتنقلنا إلى عصورهم فنبكى كما بكوا ونذرف الدموع كما ذرفوا ، وكاننا نسابقهم فى ميادين البكاء ، وكأن ما نسمعه اليوم من انين وحنين فى الأغانى من ميراثهم الذى لا ينسى ، وآثارهم التى نحافظ عليها جيلاً بعد جيل .

وحين نستعرض ذلك الشعر يظهر لنا منه نوعان لكل منهما خصائصه ومعالمه والسمات التى تميزه :

النوع الأول : هو ما نسميه « بكاء الديار » والآخر هو « رثاء الممالك والأمصار »

وبكاء الديار مهما كان حاراً متوهجاً فإنه آخر الأمر ممتع ولذيذ ، وللناس إقبال عليه ، تقرؤه وتستسيغ قراءته ، وتستعذب مرارته ، فهو منهل الأدباء ومسلاة القراء ونزهة المؤرخين وسمر أصحاب الأخبار ، ويسرك أن تعرف منشأه وأسراره وأصحابه وصوره وأنماطه ، والذين اشتهروا به وصار سمة لهم وعلامة على حياتهم ومقدرتهم على الإبداع والإمتاع .

نود أن نعرف كثيراً مما كان لهم مع حياتهم من لقاء وافتراق واقتراب وابتعاد وصدى ذلك كله فى أشعارهم ، وقد فعل الرواة ماأردنا وإليه قصدنا ، فجمعوا كثيراً من آثارهم وأخبارهم وقوافيهم مما كان سحراً ملأ ليالى الناس بالجمال والمتعة وحب الحياة .

أما النوع الثانى : وإن كان من نوع البكاء ، ولكنا عرفناه بأنه (رثاء الممالك

←

والأمصار) هذا الشعر يبكى مدينة سقطت فى يد جبار ظالم ، أو دولة ثَلّ العَدُوُّ عرشَ ملكها فتغيرت هويتها وضاعت مكانة من تركوها أو عاشوا فيها أرقاء وسجناء ، وقع ذلك فى القديم « البصرة فى يد الزنج » والأندلس فى يد الفرنجة ، وفى الحديث كانت نكبة فلسطين .

رثاء تلك الممالك والدول والمدن يحتوى عناصر الحماسة ومرارة الهزيمة وضرورة الانطلاق لأخذ الثأر ، فحين نقرؤه نجد انفسنا على أهبة الاستعداد لخوض المعارك وركوب الأخطار والشوق إلى رد ما أخذ ، ولا يهمنا من هذا الشعر جانبه الممتع ، إنما يهمنا منه تصوير ما كان وما يجب أن يكون .

والعظة بما كان حتى لا نقع فى اجترار الأحزان عقب الهزيمة فى الميدان . وحين نستجيب لهذا الشعر فإننا لا نردده ولا نحفظه . ونكتفى بتسجيله للعظة والاعتبار أو للدراسة لمعرفة أنواع القصيد .

بعد هذا التمهيد القسرى أدعوك معى للوقوف على ما أجملت من النوعين بالبسط والتوضيح ونبدأ ببكاء الديار :

وهى سمة شعرنا فى العصر الجاهلى الذى كان الأساس لصورة القصيدة العربية التى فرضت قواعدها على جميع العصور حتى زمن التجديد وحب الاختلاف والمفارقة . فأذكر لك أن هذا البكاء كان طبيعياً ويسير وفق مطالب الفطرة تجده فى الشعر الجاهلى . كما تجده فى الشعر الإسلامى وقد اشتهر جماعة فى العصر الجاهلى بالحب والصبابة فصاغوا مشاعرهم شعراً ملتهباً يسيل عطفاً ولطفاً ، ويشف عن موهبة شاعرية تريك الحنين ماثلاً والدمع مترقرقاً والدار شاخصة .

وفى العصر الإسلامى ولا سيما عهد بنى أمية ظهر كوكبة من الشعراء بزوا الأولين وأتعبوا المتأخرين .

لقد تركوا شعراً عاطفياً صادقاً يقطر حسناً وحلاوة ، وامتازوا عن سابقيهم ولاحقيهم بأنهم جعلوا شعر الغزل منشوداً لذاته فلم يعد مقدمة لقصيدة مدح أو فخر أو صلح ، وإنما خصوه بالدواوين والقصائد الطوال .

والفضل فى ذلك كله لعبقرية المكان ، لقد صنعت البادية ذلك الشعر الرقيق الأنيق الذى يحب ويطلب . كان أهلها عند قولهم من أجدب انتجع ، ومتى ينتجعون ؟ حين ترسل السماء خيرها على الأرض ، فينتقلون أسرا وعشائر طلباً للكلأ ، وتنصب الخيام ، ويعرف الجار جاره ، وفى تلك الجماعات صغار وصغيرات وفتيان وفتيات يتم التعارف بينهم وتنمو الروابط بين جوانحهم ، ثم ينتهى الربيع ويجف النبات وتعود كل أسرة إلى موطنها ، ويحس الشعراء الذين عشقوا بفقد من أحبوا فيكون التعبير شعراً رائقاً يصور العواطف ولواعج الأسى ، ولفحات الذكرى ، وتذكر الديار مصورة بما كان فيها من أنس وسرور . ومن ثم تصدر الغزل قصائد الشعراء فى العصر الجاهلى ، وكانت له السطوة والعزة فى العصر الإسلامى وقد اشتهر من شعراء الجاهلية ببكاء الديار المرقشان : الأكبر

والأصغر ، وابن خذام الذى ذكره أمير شعراء العصر الجاهلى امرؤ القيس فقال :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا
نبكى الديار كما بكى ابن خذام

أما فى العصر الإسلامى فقد قدم الحجاز حاضره وباديه شعراء صنفهم مؤرخو الأدب صنفين :

أصحاب الغزل الصريح وأصحاب الغزل العفيف .

وقد ظهر الأول نتيجة لحياة الترف التى رضيت الغناء لها مسلكاً ، فقد حيل بين أبناء المهاجرين السادة وأبناء الأنصار وبين الحياة السياسية وأغدقوا عليهم الأموال وحسنوا لهم دواعى التنعم ، فوجدوا فى الغناء مأربهم وفى اللهو بغيتهم فاستجاب شعراء القرى لتلك الحياة فنظموا الشعر الشائق الرائق فعرفنا عمر بن أبى ربيعة القرشى والأحوص الأنصارى ومن جرى على هذا الطريق مثل ـ الحارث بن خالد المخزومى ، وعبيد الله بن قيس الرقيات .

وبجانب ذلك كان الغزل العفيف وكان موطنه البادية قالوا : إن الرجال رحلوا إلى البلاد المفتوحة يشتركون فى الجهاد وتركوا الصبية والصبايا تجمعهم المراعى والحياة المتشابهة . فحين كبرو وكبرن منعوا الاختلاط وحن كل أليف لأليفه فكان ذلك الشعر الذى نسميه « الشعر العفيف » أو الشعر العذرى نسبة إلى الحب العذرى ، وله قبائله المعروفة : عذرة ، وخزاعة ، وعامر وإن كانت غيرها من القبائل تقول ما تقول تلك القبائل .

واشتهر من هذا النوع : جميل بثينة ، وكثير عزة ، وقيس بن ذريح ، ومجنون ليلى ، وابن الدمينة وذو الرمة وغيرهم ممن ملأوا الحواضر والأندية ، وكان متاعاً لذوى القصور ولذوى الخيام ..

فماذا قال الشعراء فى الجاهلية ؟ وماذا قال الشعراء فى الإسلام ؟!

من المعلوم أنى لا أستطيع أن أقدم نماذج لكل العصور ولكل الشعراء ولكنى أقدم ما يعطينا صورة عما تحدثنا عنه على مدى الأجيال التى سبق ذكرها .

وما من شك فى أن امرأ القيس يجىء فى المقدمة فهو من أوائل الذين بكوا الديار كما بكى ابن خذام . يقول فى مطلع معلقته :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمأل

ها هوذا قد بكى الدار وعين حدودها وموقعها ورسمها ، وهذه الدار تعرضت للرياح بعد تركها كانت له فيها أيام لها ذكرى فصلها فى المعلقة . أعجب هذا المطلع الشعراء والنقاد فقالوا فى كل أثر أدبى يعجبهم « أجمل من قفا نبك » وهم يعنون القصيدة كلها . الا تراهم يقولون :

جمع فى شطر واحد أشياء عدت من أولياته وابتكاراته وابتداعاته ؛ فقد وقف واستوقف ، وبكى ، وذكر الحبيب والمنزل ، فلا غرو أن يأتى الشعراء بعده فينهجوا نهجه ، ويسلكوا مسلكه ، فيقول طَرَفَةُ بن العبد :

لخـولـة أطـلال ببـرقـة ثهـمـد
تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد
فالحبيبة « خولة » لها منزل صار طللاً بمكان هو ببرقة ثهمد من قدمه ومر الليالى عليه أمسى « كباقى الوشم فى ظاهر اليد » .

والديار حين تخلى بعد امتلاء ، وتبلى بعد جدة ، ويقل الوافد عليها بعد الإقبال عليها ، أسماء متعددة كلها تفيد التغير من الجديد إلى البلى والجمال إلى ضده فتراهم يذكرون :

الطلل:وهو ما شخص من المنزل المتهدم ، وجمعه أطلال ، والدمن ، والمفرد : دمنة .. وهى : ما اسود من آثار الديار بالرماد والبعر .

والرسم وهو : ما يتراءى للناظر من بقاياها .

وتأخذ الدار مكانتها من نفوس الشعراء فيسألونها وينطقونها ويغضبون من صمتها ويلجأون إليها لتذهب عنهم أحزانهم فامرؤ القيس يقول :

وإن شفـائـى عبـرة مـهـراقـة
فهل عند رسمٍ دارسٍ من مُعَوَّلِ

والنابغة يسألها علىٰ هذا النحو :

وقفت فيها أصيلاً كى أسائلها
عَيَّت جوابا وما بالربع من أحد

أما عمرو بن الأيهم فيقول وهو يخاطب نفسه :

الِمْ عـلى دِمَنٍ تقادم عهـدها
بالجزع واستلب الزمان جمالها

رسم لقـاتلة الغـرانِق مـا بـه
إلا الوحوش خلت به وخلا بها

ظلت تسـائـل بـالمتيم أهلـه
وهى التى فعلتْ به أفعالها !

تحولت الدار الجميلة التى كانت بالجزع هى ودمنها إلى رسم بعد أن كانت لفاتنة الحى التى قتل جمالها الشباب الأبيض المنعم ، وحلت الوحوش محلها ، ولكن الفاتنة بطغواها راحت تسأل أهل المتيم المغرم عن حاله وهى التى تعلم جنايتها عليه .

قصة حب صاغها الشاعر فى ثلاثة أبيات ، ونثرتها فى ثلاثة أسطر لكننا اليوم نتأمل تلك الدمن وذلك الرسم والناس الذين سكنوا الدار والحياة التى كانت قائمة فيها ، ومجتمع الغرانق وفيهم شاب هو صاحب الجميلة الذى تسأل عنه « وهى التى فعلت به أفعالها » ، يستطيع قاص أن يصوغ منها قصة قصيرة لها جمالها وعطاؤها .

وهذا شاعر آخر يخاطب حبيبته ويطلب إليها أن تسأل عنه ، هل قام بواجب الحب أو قصر ؟

فلنذكر شعره ونتأمل أمره يقول :

سل البانة الفيناء[1] بالأجرعِ الذى
به البان ، هل حَيَّيْتُ أطلال دارك ؟

وهل قمت فى أطلالهن عشيةً
مقام أخى البأساء[2] واخترت ذلك ؟

(١) الفيناء : الشجرة العظيمة الوارفة الظل .

(٢) البأساء : شدة الفقر .

وهل هملت عيناى فى الدار غدوةً
بدمع كنظم اللؤلؤ المتهالك[٣] ؟

أرى الناس يرجون الربيعَ وإنما
ربيعى الذي أرجو نوال وصالكِ

أرى الناس يخشون السنين وإنما
سنى التى أخشى صروف احتمالك[٤]
لئن ساءنى أن تلتنى بمساءة
سرنى أنى خطرت ببالك
ليهنكِ إمساكى بكفى على الحشا
ورقراق عينى رهبة من زيالكِ[٥]

ألست ترثى لهذا الشاعر؛ إنه يريد أن يقنعها بكل وسائل الإقناع بأنه يحبها كل الحب، ويبذل غاية الجهد لرضاها، ويجعل من مكان اللقاء وما فيه من معالم شاهداً على ذلك الحب.

البانة الخضراء التى شهدت تحيته لأطلال الدار، وقيامه مقام الفقير إلى عطفها، ودموعه الغزار التى تتساقط.

وانظر إليه تجده يخالف الناس في طلب المعاش ومطالب الحياة، ربيعه نوال الوصال، وهو لا يخشى الفقر وإنما يخشى صروف احتمالها، وكل ما يرجوه أن يخطر على بالها ولو بالإساءة إليه، وأخيراً أصابه الضعف فأمسك حشاه بكفه ودمعت عيناه خوف الفراق.

شعر فى غاية الصدق يملك كل وسائل التأثير، وفيه التجربة والوحدة الفنية، وترى الطبيعة فيه تشارك الإنسان في الشهادة والاسترحام، وانظر إليه يقول « البانة » ولا يقول « البان »، لأن البانة شهدت اللقاء ووقت الصفاء. وبيت القصيد كما يقولون:

لئن ساءنى أن تلتنى بمساءة
فقد سرنى أنى خطرت ببالك

ويكثر الشعر الذي يعذب قائله وينعم قارئه، ويترك لنا العصر الأموى شعراً جميلاً لا نظير له في أى أدب من الآداب شرقاً وغرباً، ويأتى العصر العباسى، وتظهر الشعوبية، ويتراخى صمام الأمان لأحكام الشريعة الإسلامية، فينتهز شعراء الموالى الفرصة فيعبثون بكل جليل وصغير حتى الشعر الذي يتحدث عن الديار فيقول أبو نواس:

صفة الطلول بلاغة القـدم
فاجعل صفاتك لابنة الكرم

وابنة الكرم « الخمر ». كان الجاهلى لا تحرك منه ساكناً وإن مارسها، ولكن الديار هى التى تحركه وتلهمه وتطبعه على الوفاء، ويقول ساخراً:

عاج الشقى على رسم يسائله
ورحت أسأل عن خمارة البلد

وشتان بين هذا الشقى الذى يسأل عن احبابه ويتتبع آثارهم عله أن يتعرف عليهم ولو عن طريق رسم الدار وبين من يسأل عن خمارة البلد.

الأول إنسان له احترامه ومقامه.

والآخر لا يملك عقلاً ولا يؤم فضلاً.

وانظر إليه يخاطب الربع، والربع الدار بعينها كما تنص اللغة:

ياربع شغلك إنى عنك فى شغل
لاناقتى فيك لو تدرى ولا جملى

(٣) المتهالك: المتساقط.
(٤) احتمالك: ارتحالك.
(٥) زيالك: فراقك.

وهو شعر مستملح ولكنه يباين الصدق في الأداء .

ولقد فتن بعض الشعراء بهذا الصنيع وعدوه تجديداً ، وما هو من التجديد في شيء ، فالتجديد أن يقتحم بالشعر مجالات غير مطروقة ، ويأتى بأشكال غير معروفة ، أما اللعب بالألفاظ فأمر يسهل الإتيان به ، وقد جاراه المتنبى شاعر العربية الأكبر فقال :

إذا كان شعر فالنسيب المقدم
أكل فصيح قال شعرا متيم ؟

ولكننا في العصر الحديث عدنا إلى الضرب الأول ، والصدق الذي عليه المعول ، فاستجبنا لدواعي الشعر وجعلنا من التجديد أن نبكى الديار كما بكاها الرواد فى العصر الجاهلي والمجددون فى العصر الأموى فجاء في الشعر الحديث دواوين مجالها المرأة من شعراء لهم مكانتهم فى الشعر الحديث .

من شعرائنا المحدثين والمعاصرين الذين بكوا الديار ، وأحسنوا القول فيها الدكتور إبراهيم ناجى ، وله قصيدة تعد رائدة فى هذا المضمار سماها « العودة » .

والعودة عندى هى بكاء الدار التى كان للشاعر فيها حب ، مضى الزمان ثم جاء إليها فوجدها خالية من الأحباب وأصابها البلى ، وكل ما فعله الشاعر جعل العودة هى الرجوع إلى منزله الحبيب يقول ـ بعد أن وصف قلبه الخافق وساءله عن العودة والرجوع إلى الغرام بعد أن انتهى إلى فراغ كالعدم يقول :

أيها العش إذا طار الأليفْ
لا يرى الآخر معنى للسماءْ
ويرى الأيام صفرا كالخريف
نائحات كرياح الصحراءْ
أين ناديك وأين السمر ؟
أين أهلوك بساطاً وندامى ؟
كلما أرسلت عينى تنظر
وثب الدمع إلى عينى وغاما
والبلى أبصرته رأى العيانْ
ويداه تنسجان العنكبوت
صحت : يا ويحك تبدو فى مكانْ
كل شيء فيه حى لا يموت
كل شيء من سرور وحزنْ
والليالى من بهيج وشجى
أنا أسمع أقدام الزمنْ
وخطى الوحدة فوق الدرج

ولئن نوع القوافى تجده لم يفارق مناهج الشعر العربي ، وإن بكى وعاتب قلبه فإن لنا من هذا الاتجاه مباهج من جمال الشعر وحسن الأداء ، لقد وصف جوانب إحساسه بصور متعددة جلب لها مقطوعات متعددة ، لها تماسك الخواطر بتماسك المشاعر فوفق كل التوفيق . ولو صغت عنواناً آخر غير « العودة » لما تغير مفهوم الشعر ، فلتكن تلك القصيدة شاهدة على أن بكاء الديار لم ينته بالبعد عن بادية الحجاز وإنما الفن الأصيل تراه في كل مكان ، فالديار موجودة في كل الكرة الأرضية ، وقد يصيبها البلى كما أصاب « عش » ناجى ومنزله ، وطلله .

لقد أعطينا صورة لبكاء الديار فى القديم والحديث وفى المقال التالى لهذا المقال يكون حديثنا عن بكاء الممالك وما يعرف فى الأدب العربي برثاء الممالك الزائلة ـ وبالله التوفيق ....

رؤية جديدة في صيغتي المدح والذم

للأستاذ الدكتور
عبد العظيم حامد هلال

يجدر بنا - قبل الدخول إلى بحث صفتي المدح والذم - ان نمهد ببيان معنى المدح والذم فنقول : معناهما :

١- عند اللغويين

(المدح نقيض الهجاء وهو حسن الثناء ، يقال : مدحته مدحة واحدة ومدحه يمدحه مدحاً ومدحة ، هذا قول بعضهم والصحيح أن المدح المصدر والمدحة الاسم والجمع مدح وهو المديح والجمع المدائح والأماديح الأخيرة على غير قياس ، والمدائح جمع المديح من الشعر الذى مدح به كالمدحة والأمدوحة ورجل مادح من قوم مدح ومديح وتمدح الرجل تكلف أن يمدح)[1] .

(والذم نقيض المدح يذمه ذماً فهو مذموم وأذمه : وجده ذميماً مذموماً وأذم بهم : تركهم مذمومين فى الناس والعرب تقول : ذم يذم ذما وهو اللوم فى الإساءة وأذم الرجل أتى بما يذم عليه وتذام القوم : ذم بعضهم بعضاً واستذم الرجل إلى الناس أى أتى بما يذم عليه)[2] .

وفى اصطلاح النحويين : ما وضع لإنشاء مدح أو ذم .

وذلك أنك إذا قلت : نعم الرجل زيد فإنما تنشىء المدح وتحدثه بهذا اللفظ ، وليس المدح موجوداً فى الخارج فى أحد الأزمنة مقصوداً مطابقة هذا الكلام إياه حتى يكون خبراً بل تقصد بهذا الكلام مدحه على جودته الحاصلة خارجاً ، ولو كان إخبارا صرفا عن جودته خارجاً لدخله التصديق والتكذيب .

←

(١) لسان العرب لابن منظور دار المعارف ٦/٤١٥٦ « مادة مدح » .

(٢) المصدر السابق ٣/١٥١٦ « مادة ذم » .

← المدح والذم

فقول الأعرابى لمن بشره بمولودة وقال : نعم المولودة والله ما هى بنعم المولودة ليس تكذيباً له فى المدح إذ لا يمكن تكذيبه فيه بل هو إخبار بأن الجودة التى حكمت بحصولها فى الخارج ليست بحاصلة فهو إنشاء جزؤه الخبر)[٣] .

والمدح والذم ثلاثة أنواع :

١ ـ المدح والذم العام وقد وضعوا له : نعم وبئس ، كنعم الرجل زيد ، وبئس الرجل عمرو ، وهما موضع حديثنا و« حبذا » و« لا حبذا » نحو : حبذا محمد ولا حبذا زيد .

٢ ـ المدح والذم الخاص دون تعرض لغير الممدوح أو المذموم ووضعوا له صيغة « فَعُل » مثل : كرم رجلاً زيد وشرف رجلا زيد فهو مثل : نعم رجلا زيد من ذلك ﴿ سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا ﴾[٤] وقوله ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾[٥] .

وقال قوم : لك أن تذهب بسائر الأفعال إلى مذهب « نعم وبئس » فتحولها إلى « فَعُل » فتقول : علم الرجل زيد وضربت اليد يده وطاب الطعام طعامه .

يقول ابن السراج : وهو عندى قياس ، وذكروا انه شذ مع هذا الباب ثلاثة أحرف سمعت وهى ؛ سمع وعلم وجهل[٦] .

٣ ـ المدح والذم الخاص مع التعرض لغير الممدوح أو المذموم ووضعوا له صيغة « أفعل » التفضيل .

النوع الأول : نعم وبئس

(لنعم وبئس استعمالان :

أحدهما : أن يستعملا متصرفين كسائر الأفعال فيكون لهما مضارع وأمر واسم فاعل وغيرها وهما إذ ذاك للإخبار بالنعمة والبؤس تقول : نعم زيد بكذا ينعم به فهو ناعم ، وبئس يبأس فهو بائس .

والثانى : أن يستعملا لإنشاء المدح والذم ، وهما فى هذا الاستعمال لا يتصرفان لخروجهما عن الأصل فى الأفعال من الدلالة على الحدث والزمان فأشبها الحرف والكلام عليهما هنا)[٧] .

وأكثر المصادر النحوية ذاخرة بالرأى البصرى القائل بفعلية (نعم وبئس) وارتضاه الكسائى من الكوفيين والرأى الكوفى القائل باسميتهما .

يقول سيبويه : (وأما « نعم وبئس » ونحوهما فليس فيهما كلام لأنهما لا تغيران

---

(٣) شرح الكافية للرضى ٢/٣١١ .
(٤) الاعراف ١٧٧ .
(٥) الكهف ٥ .
(٦) الأصول ١/١١٥/١١٦ انظر شرح التصريح ٢/١٠٠
(٧) الصبان على الأشمونى ٣/٢٦

لأن عامة الأسماء على ثلاثة أحرف ، ولا تجريهن إذا كن أسماء للكلمة لأنهن أفعال والأفعال على التذكير لأنها تضارع فاعلا)[8] .

فهما فعلان ماضيان « فأصل »« نعم وبئس » نعم وبئس : وهما الأصلان اللذان وضعا فى الرداءة والصلاح ولا يكون منهما فعل لغير هذا المعنى)[9] والمرفوع بعدهما فاعل بهما (فقولهم : نعم الرجل عبد الله بمنزلة : ذهب أخوه عبد الله ، عمل « نعم » فى الرجل ولم يعمل فى عبد الله)[10] .

والمخصوص بالمدح أو الذم مبتدأ والجملة الفعلية قبله فى محل رفع خبر (فإذا قلت : عبد الله نعم الرجل فهو بمنزلة عبد الله ذهب أخوه كأنه قال : نعم الرجل فقيل له : من هو ؟ فقال : عبد الله ، وإذا قال : عبد الله فكأنه قيل له ما شأنه ؟ فقال : نعم الرجل) فنعم تكون مرة عاملة فى مضمر يفسره ما بعده وتكون مرة أخرى تعمل فى مظهر لا تجاوزه)[11] .

وعلى هذا الرأى سار البصريون وأخذوا فى إثبات مذهبهم هذا بما يأتى :ـ

أولا : يدل على فعلية (نعم وبئس) اتصال الضمير المرفوع بهما على حد اتصاله بالفعل المتصرف فقد جاء عن العرب : نعما رجلين ونعموا رجالا ورفعا مع ذلك المظهر فى : نعم الرجل وبئس الغلام والمضمر فى : نعم رجلا زيد وبئس غلاما عمرو .

ثانيا : اتصالهما بتاء التأنيث الساكنة التى لا يقلبها أحد من العرب فى الوقف هاء كما قلبوها فى نحو : رحمة وسنة وشجرة وذلك قولهم : نعمت المرأة وبئست الجارية ؛ لأن هذه التاء يختص بها الفعل الماضى ولا تتعداه أما التاء التى اتصلت بربت وثمت وإن كانت للتأنيث إلا أنها ليست التاء التى فى نعمت وبئست من وجهين :

أحدهما : أن التاء فى : نعمت المرأة وبئست الجارية لحقت الفعل لتأنيث الاسم الذى أسند إليه الفعل والتاء فى : ربت وثمت لحقت لتأنيث الحرف ، ألا ترى أنك تقول : ربت رجل أهنت كما تقول : ربت امرأة أكرمت ولو كانت كالتاء فى نعمت وبئست لما جاز أن تثبت مع المذكر .

والوجـه الآخــر ـ

أن التاء اللاحقة بالفعل ساكنة وهذه التاء متحركة وكذا (لات) فإن من قبل التاء لا تلزم نعم وبئس إذا وقع المؤنث بعدهما قيل : ليس بصحيح ، لأن التاء تلزمها فى لغة شطر العرب كما تلزم فى قام .

ولا فرق عندهم بين نعمت المرأة وقامت المرأة ، وإنما جاز عند الذين قالوا : نعم المرأة ولم يجز عندهم : قام المرأة لأن المرأة فى قولهم : نعم المرأة هند واقعة على الجنس كقولهم : الرجل أفضل من المرأة ، إذا كان

←

(٨) الكتاب ٣/٢٦٦ .
(٩) المصدر السابق ٢/١٧٩ ، ٤/١١٦ .
(١٠) المصدر السابق ٢/١٧٦ .
(١١) الكتاب ٢/١٧٦ ـ ١٧٧ .

المراد من المرأة استغراق الجنس فلا خلاف أن أسماء الأجناس والجموع يجوز تذكير أفعالها وتأنيثها فلهذا المعنى حذف تاء التأنيث من حذفها من نعم المرأة ، وإذا كانوا قد حذفوها في حال السعة من فعل المؤنث الحقيقي من قولهم : حضر القاضي اليوم امرأة فلا يبعد أن يحذفوها من فعل المؤنث الواقع على الجنس وقد قالوا : ما قعد إلا امرأة وما قام إلا الجارية فحذفوا تاء التأنيث البتة ولم تأت إلا في الضرورة .

ثالثا : يدل على فعليتهما بناؤهما على الفتح[12] .

رأى الكوفيين

معظم المراجع النحوية تذكر أن الكسائي يوافق البصريين في فعلية (نعم وبئس للأدلة السابقة) .

فابن الشجري يقول : (أجمع البصريون من النحويين على أن نعم وبئس فعلان وتابعهم على بن حمزة الكسائي)[13] ويقول الأنباري (ذهب البصريون إلى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرفان ، وإليه ذهب على بن حمزة الكسائي من الكوفيين)[14] .

ونص على هذا ابن يعيش[15] وشمله حديث ابن مالك[16] والرضي[17] وأبو حيان[18] والمرادي[19] والسيوطي[20] والأشموني والصبان[21] .

وهذا النقل عن الكسائي صحيح لا شيء فيه فالفراء يقول :

(وإنما وحدوا الفعل وقد جاء بعد الأسماء لأن نعم وبئس دلالة على مدح أو ذم لم يرد منها مذهب الفعل مثل : قاما وقعدا فهذا في نعم وبئس مطرد كثير .

وربما قيل في غيرهما مما هو في معنى بئس ونعم ، وقال بعض العرب : قلت أبياتا جاد بهن أبياتا فوحد فعل البيوت وكأن الكسائي يقول أضمر جاد بهن أبياتا وليس ههنا مضمر إنما هو الفعل وما فيه)[22] .

(وكذلك مررت بقوم نعم قوما ، ونعم بهم قوما ونعموا قوما وهذا كثير في كلام العرب يوحدون الفعل لأن المفسر يدل عليه ويثنون ويجمعون على الأصل)[23] (وضمائر الرفع البارزة المتصلة من خصائص الأفعال)[24] .

وفي أقوال الفراء تصريح بفعلية نعم وبئس وليس في كلامه إشارة إلى اسميتهما كما ترى .

---

(١٢) الإنصاف في مسائل الخلاف ١/ ٤ = ١١١ بتصرف .

(١٣) الأمالي ٢/ ١٤٧ .

(١٤) الإنصاف ١/ ٩٧ .

(١٥) شرح المفصل ٧/ ١٢٧ .

(١٦) التسهيل ١٢٦ .

(١٧) شرح الكافية ٢/ ٣١٣ .

(١٨) الارتشاف ٢/ ٩٠٦ .

(١٩) توضيح المقاصد والمسالك تحقيق د . عبد الرحمن سليمان طـ الأولى ٣/ ٧٥ .

(٢٠) البهجة المرضية في شرح الألفية مطبعة الشرق ٨٨ .

(٢١) ٣/ ٢٦ .

(٢٢) معاني القرآن ١/ ٢٦٨ .

(٢٣) مجالس ثعلب ١/ ٢٧٢ .

(٢٤) الصبان ٣/ ٢٦ .

وهو بذلك ينهج نهج أستاذه الكسائى ولو كان معارضا له لذكر رأى الكسائى كعادته عندما يخالف غيره ثم فنده مقيماً الحجة عليه .

وفى الوقت الذى تنسب فيه معظم مراجع النحو إلى الكسائى هذا القول الصحيح نجد بعض المراجع الأخرى[٢٥] تنسب إليه غيره إذ قيل :

(لا يختلف أحد من النحويين البصريين والكوفيين فى أن « نعم وبئس » فعلان وإنما الخلاف بينهم بعد إسنادهما إلى الفاعل .

فذهب الكسائى إلى أن قولك : نعم الرجل وبئس الرجل اسمان محكيان حيث وقعا بمنزلة : تأبط شرا وبرق نحره فنعم الرجل عنده اسم للممدوح وبئس الرجل اسم للمذموم ، وهما جملتان فى الأصل نقلا عن أصلهما وسمى بهما .

والذى حمله على ذلك أنه رأى العرب قد حكمت لنعم الرجل وبئس الرجل بحكم الأسماء فى بعض المواضع فحملها على ذلك فى سائر المواضع)[٢٦] فإذا كان الكسائى - على القول الأول وهو الصحيح - يرى أن « نعم وبئس » فعلان ماضيان والمرفوع بعدهما فاعلهما كما يرى البصريون كان النقل الثانى عنه باطلا ، إذ ينبنى عليه قوله باسمية نعم الرجل محمد وإعرابه على الحكاية مبتدأ والمرفوع بعده خبره ، وهذا تناقض عجيب فى النقل عن الكسائى نفسه واضطراب لا يجنح إلى الحقيقة العلمية المجردة .

ولعل مرد هذا الاختلاط فى النقل إلى عدم الرجوع للمصادر الرئيسية للنحو الكوفى التى صنعتها يد الكوفيين ، فمثلاً السيوطى يقول : « وذهب الكوفيون - على ما نقل الأصحاب عنهم فى مسائل الخلاف - ..)[٢٧] .

وربما كان هذا النقل غير الدقيق عن الكسائى فتحا لباب واسع للقول بأن الكوفيين - على رأسهم الفراء - يقولون باسمية « نعم وبئس » وما ترتب عليه من جدال محموم ومناظرات معضلة لم تبن على أساس صحيح .

فحين نستقرىء المصادر النحوية تنبئنا أن الكوفيين - على رأسهم الفراء - يقولون باسمية « نعم وبئس » إذ يقول ابن الشجرى : « قال أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء : هما اسمان وتابعه أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب على اسميتهما »[٢٨] .

ويقول الأنبارى : (ذهب الكوفيون إلى أن « نعم وبئس » اسمان مبتدآن)[٢٩] ويقول ابن يعيش بعد أن ذكر مذهب البصريين والكسائى :

للحديث بقية

---

(٢٥) ارتشاف الضرب لأبى حيان ٢/٩٠٦ .
(٢٦) توضيح المقاصد ٣/٨٦ ارتشاف الضرب ٢/٩٠٦ شرح التصريح ٢/٩٤ .
(٢٧) البهجة المرضية ٨٨ .
(٢٨) الأمالى ٢/١٤٧ .
(٢٩) الإنصاف ١/٩٧ .



فضيلة الشيخ / محمد الغزالى

« الغلو » إحدى مشكلات العمل الإسلامى

إن كثيراً من مسلمي العصر الحاضر جمعوا شُعب الإيمان في خليط منكر ، كبروا فيه الصغير وصغروا الكبير وقدموا المتاخر واخروا المتقدم ، وحذفوا شعباً ذات بال واثبتوا محدثات اخرى ما انزل الله بها من سلطان .

إن خللاً كبيراً سيلحق الشخصية الإسلامية والمسيرة الإسلامية إن لم نتدارك الأمر فإن بعض الغلاة يعتبرون غيرهم من إخوانهم العاملين للإسلام على الباطل الذي لا شك فيه بالقدر الذي يعتبرون انفسهم على الحق الذي لا شك فيه ، ويعتبرون ما هم عليه هو القانون والفيصل الذي يعرف به من اصاب او اخطا ، وقد يصل الأمر إلى تكفير او تفسيق او تضليل المخالفين .. ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

وينبغي ان يعلم ان الغلو إن افضى إلى ترك بعض الواجبات كان ذلك حراماً ومعصية لله ، لان الاشتغال بالتطوع مع ترك واجب تفريط بموجبات التقوى من جهة وغلو لم ياذن الله به ، وإن طغى فافضى إلى ترك ما هو الافضل عند الله كان ذلك مخالفاً للسنة ومخالفاً للكمال المطلوب . يقول النبي ﷺ (إياكم والغلو في الدين . فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين) . رواه احمد في المسند والنسائى وابن ماجة في سننهما عن ابن عباس رضى الله عنهما .

الأستاذ / عبد اللطيف فايد

المسئولية بين ولى الأمر والرعية

تختلف كثيراً المسئولية في الإسلام عنها في النظم البشرية ، فالإسلام دين الله ، والنظم البشرية وضعها الناس لأنفسهم وارتضوها .

ومن هنا تكون المسئولية فى الإسلام التزاماً أمام الله سبحانه بينما تكون على الطرف الآخر التزاماً أمام الناس .. والمسئول أمام الله من شأنه الا ينافق ، ولا يداهن ، ولا يكذب ، ولا يقضى بغير الحق ، ذلك لأن الله مطلع على أعماله .

أما المسئول أمام الناس فمن شأن الرقابة عليه أنها غير محكمة لأنه لا يقضى شئونه أمامهم جميعاً ، ومن هنا نجد -فى المسئوليات التى يتولاها الناس بعيداً عن الاتصال بالله فى توليها - النفاق ، والكذب ، والمداهنة ، والغش ، والظلم ، وأكل أموال الناس بالباطل .

عرض : الأستاذ
عبد الفتاح السيد عبد السلام

والمسئولية في الإسلام ليست مقصورة على ولى الأمر وحده ، وإنما يشاركه فيها من يتولى أمورهم ، يعاونونه فيما يقبل عليه تنفيذاً لأمر الله من رعاية مصالحهم وقضاء حوائجهم فالحياة المعاصرة باتساعها وتعدد جوانبها تتطلب تعاوناً مستمراً بين ولى الأمر والرعية .

المسئولية إذن في الإسلام هى مسئولية أمام الله وهى مسئولية مشتركة لا يقتصر تحملها على ولى الأمر الأول فى الأمة ، إنما هى مسئولية كل الناس . وليس اشتراك الأمة في هذه المسئولية اشتراك عمل فقط ، وإنما هى تقتضى النصح لولى الأمر لاختيار الأفضل وتجنب الخطأ ، وإرشاده إلى مواطن الأمراض الاجتماعية للقضاء عليها وكشف كل مفرط في حق من حقوق المجتمع أو معتد عليه .

الدكتور / عبد الجليل شلبي
قرآن وسنة

بين كتابنا ومتعالمينا أشخاص أولعوا بتحليل الربا أو أنواع منه ، ونصبوا أنفسهم مجددين ومجتهدين ، وهم ليسوا من ذلك في شيء ، وقد بنيت أحكامهم على أوهام وأقيسة فاسدة .. قالوا إن الشيخ محمد عبده أحل فوائد المال التى تؤخذ من البنوك ، وكذبوا فليس فيما ترك الشيخ محمد عبده من كتب ومقالات شيء يحل هذه الفوائد ، والذي نقله عنه الشيخ رشيد رضا أنه سئل عن أعمال البنوك وأنها أصبحت ضرورية في حياة الناس ، فقال هذه مسألة تحتاج إلى تفكير ، وليرجع من شاء إلى تفسير المنار .

ولا يعنى التفكير في هذه المسألة التفكير في إباحتها واستخراج طريق لحلها ، وقد يعنى التفكير في عمل البنوك ، فبدلاً من إعطاء المودع نسبة من رأس ماله يعطى نسبة مما ربحه المال ، فيكون عمل البنك مضاربة مباحة وقلت النسبة التى يتفق عليها أو كثرت . فعَزْوُ إباحة الفائدة التى تقدر بنسبة من رأس المال إلى الشيخ وهم باطل .

الأستاذ / محمد إبراهيم الخطيب
رحمة وإنسانية .. من حياة النبي ﷺ

من أوصاف النبي ﷺ أنه (نبي الرحمة) وذلك كما وصفه ربه سبحانه حيث قال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

وسع جميع من في الأرض لأنه غرس السماء في قلبه .. لقد أطاع الله كثيراً لأنه أحبه ، وبر الناس كثيراً لأنه أحبهم ، وأقبل على القيم والمثل العليا لأنه أحبها .

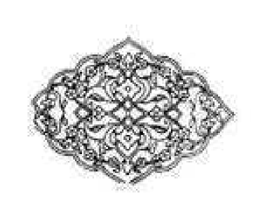
← من خير كتب

لم يكن صلى الله عليه وسلم قاسياً على أحد ، وكان يكره سفك الدماء ، ويحارب التعذيب والاضطهاد ، والظلم ، واستطاع بهذه الأخلاق الفاضلة أن يخلق من الضعف قوة ، ومن القلة كثرة . ولنا أن نقرأ قول الله تعالى فى رسوله ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ . وقال أيضاً : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ .

ترى كم نحن في حاجة إلى الاقتداء بهذا النبي الإنسان ﷺ ؟ اللهم نعم كثيراً ..

وحدة الأمة تتحقق بالإسلام لا بالعروبة

نشرت جريدة الأهرام فى الصفحة السابعة يوم ١٩٨٧/١٠/٢٠ مقالة للأستاذ فهمى هويدى جاء فيها : لا نرى مقابلة فى الأساس بين العروبة والإسلام ، ولا نفهم أن يكون الاعتزاز بأى منهما لابد أن يكون على حساب أحدهما . كما أننا قبل هذا وبعده نرفض أن يكون انتماؤنا لديننا محل مساومة أو خيار . ذلك أن المفتونين بالعروبة والمتعبدين بها وهم يتحدثون عن الأمة الواحدة ، ويغذون النزعة العرقية ما وجدوا إلى ذلك سبيلا يفوتهم أن وحدة الأمة تتحقق بالإسلام بأكثر من تحققها بالعروبة ذلك أن الرابطة الإسلامية تستوعب باعتقاد العرب وغير العرب وتضم غير المسلمين من باب الثقافة والخلفية الحضارية المشتركة . أما الرابطة العربية فمحيطها لا يتسع إلا لبعض المسلمين وقطاعات غير المسلمين . فضلا عن أنها تشكل عنصرا طاردا لغير العرب الذين هم شركاؤنا فى الوطن العربى الكبير .



أنباء وآراء

إعداد: د. أحمد عبد الرحيم السايح

السلطان قابوس يدعو شيخ الأزهر لندوة اسلامية عالمية

اجتمع فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر مع وزير التربية والتعليم بسلطنة عمان السيد يحيى بن محفوظ الأنصارى . وقد وجه الوزير العمانى لفضيلة شيخ الأزهر دعوة من السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان لحضور الندوة الإسلامية العالمية التى ستعقد بمسقط فى يناير القادم . وتم خلال الاجتماع بحث مساهمة الأزهر فى النظر فى المناهج الإسلامية ووسائل تطويرها من خلال إتفاقية سيتم عقدها بين وزارة التربية والتعليم بسلطنة عمان والأزهر .

وحدة الأمة الاسلامية ضرورة

أكد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر أن الوحدة الإسلامية باتت ضرورة ملحة ، فضلاً عن كونها دعوة شرعية . وقال فضيلته إن خصوم الإسلام يعملون بشكل مباشر وغير مباشر على تهوين وحدة البلاد الإسلامية حتى يحققوا ماربهم واطماعهم فى الأمة . وقال : إن الحذر من تلك المؤامرات مسئولية كل مؤسسات المجتمع خاصة المؤسسات الإسلامية والإعلامية والتعليمية .

الأزهر وباكستان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وفداً باكستانياً برئاسة جول محمد خان رئيس المحكمة الشرعية الفيدرالية العليا بباكستان الذى زار مصر بدعوة من الأزهر الشريف يرافقه مفتخر الدين القاضى بالمحكمة الشرعية وقد دار الحديث خلال اللقاء حول العديد من القضايا المعروضة على دور القضاء بباكستان مثل موقف الشريعة من الشخصية المعنوية المثلة فى نوع من الشركات التعاونية

وما يتعلق بقضايا الشفعة والمهر ومؤخر الصداق والقوانين السارية فى مصر ومدى استمدادها من الشريعة الإسلامية والنظام القضائى الحالى فى مصر . وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر موقف الشريعة من كل هذه الأمور وما هو مقترح الآن من قوانين معدلة لبعض القوانين التى تتعارض مع أحكام الشريعة .

مجلة الأزهر : سبق أن قدمنا كتاباً عن رحلة الإمام الأكبر إلى منطقة الشرق الأوسط وقد تناول فيه فضيلة الإمام ورئيس المحكمة حديثاً علمياً جامعاً فى هذا المقام حرصنا على تدوينه كله .

من الأزهر الى المالديف

بحث الدكتور رءوف شلبى وكيل الأزهر مع الأستاذ إبراهيم رشيد موسى مدير معهد الدراسات الإسلامية بجمهورية المالديف احتياجات المالديف من الأزهر خلال العام الدراسى الجديد ، وخاصة معهد الدراسات الإسلامية تلك الاحتياجات المتمثلة فى الكتب الدراسية والأساتذة اللازمين للتدريس ومعادلة الشهادتين الاعدادية والثانوية هناك بإعدادية وثانوية الأزهر . وقد استجاب فضيلة وكيل الأزهر لمطالب المالديف ، وأعلن ان الكتب الدراسية المطلوبة سترسل فوراً ، وانه صدر بالفعل قرار لجنة المعادلات بمعادلة الشهادتين الاعدادية والثانوية بمعهد الدراسات الإسلامية بإعدادية وثانوية الأزهر . كما أن الأزهر سيرسل إلى المالديف الأساتذة المتخصصين اللازمين .

نسبة الاسلام أعلى

تحت عنوان : نسبة الإسلام أعلى .. جاء بجريدة الأهرام ١٩٨٧/١٠/٢٠ : اننا نشير إلى أن الأقليات العرقية غير العربية فى العالم العربى أكبر بكثير من الأقليات الدينية . حيث إن الأقليات العرقية التى تعيش داخل الوطن العربى يصل مجموعها إلى ١٦ مليون نسمة .

أما الأقليات الدينية ففى حدود ثمانية ملايين نسمة أغلبيتهم العظمى من المسيحيين بينما عدد اليهود لا يتجاوز عدة آلاف أكثرهم فى المغرب ومصر .

وأكبر نسبة من المسيحيين فى مصر . تشير نتائج تعدادها سنة ١٩٨٦ ، تلك النتائج التى أصدرها الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء فى ابريل ١٩٨٧ إلى أن عددهم مليونان وثمانمائة وثلاثون ألف نسمة ، ولبنان تأتى بعد مصر فى حجم عدد المسيحيين . إذ يصل عددهم هناك إلى مليون وأربعمائة ألف . وبعد مصر ولبنان تأتى سوريا مليون مسيحى ثم العراق نصف مليون ، والباقون موزعون على السودان والدول العربية .

بدء العمل فى تنقية القوانين

صرح المستشار احمد موسى وكيل مجلس الشعب ورئيس اللجنة الخاصة بتنقية القوانين مما يخالف الشريعة بأن

الدورة البرلمانية الجديدة ستشهد خطوات جادة وإيجابية لتطبيق الشريعة الإسلامية فى مصر . وأكد أن المجلس بجميع لجانه الثماني عشرة سوف يبدأ التحرك فور انعقاده لتنقية القوانين المعمول بها فى مصر منذ القرن التاسع عشر حتى الآن مما يخالف الشريعة الإسلامية مخالفة صريحة .

جاء هذا التحرك الإيجابى من مجلس الشعب فى أعقاب الخطاب الذى ألقاه الرئيس مبارك عند توليه فترة رئاسته الثانية وطالب فيه بضرورة أن يقوم مجلس الشعب بالتعاون مع الحكومة بمراجعة شاملة للتشريعات القائمة .

اندونيسيا تتجه لتقنين الشريعة الاسلامية

أعلن برهان الدين لوبا أحد كبار المسئولين فى وزارة العدل فى أندونيسيا أن بلاده ستتجه فى المستقبل إلى تقنين الشريعة الإسلامية للعمل بقوانينها بدلاً من القوانين المعمول بها حالياً ، المأخوذ معظمها من الغرب وبخاصة التشريعات الهولندية . وأضاف لوبا فى حديث لصحيفة جاكرتا الأندونيسية :

إن الاتجاه إلى تقنين الشريعة يأتى استجابة لرغبة الشعب الأندونيسى المسلم حيث يشكل المسلمون ٩٠٪ من مجموع عدد السكان .

مؤتمر عالمى عن الاعجاز العلمى فى القران والسنة

عقد بباكستان المؤتمر العالمى للاعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لمدة أربعة أيام .

وقد حضر المؤتمر عدد من العلماء المسلمين من مختلف أنحاء العالم . وأكد الدكتور حسين حامد حسان رئيس الجامعة الإسلامية فى إسلام آباد التى نظمت المؤتمر : أن مثل هذه المؤتمرات الإسلامية تعمل على توحيد جهود العالم الإسلامى فى نشر الدعوة ورفض الأساليب الملتوية للهجوم على الإسلام وفضح ما يوجهه المستشرقون ضد الإسلام والمسلمين من سموم فكرية .

الاسلام هو الحل الوحيد لمشكلات العالم

أعلن الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق : أن الإسلام هو الحل الوحيد لجميع مشكلات العالم ، وأن على المتشككين فى ذلك أن يروا تجربة باكستان التى يقبل عليها الشعب . وأضاف قائلاً :

إن مفهوم (الإسلامية) لن يتحقق قبل أن تبنى كل دولة إسلامية نفسها ، بناء إسلامياً صحيحاً . وبعد ذلك يمكن أن تتحقق الوحدة الإسلامية . وأكد الرئيس الباكستانى : أن التخلى عن روح الإسلام هو سبب ما يعانيه المسلمون من ضعف .

هيئة علمية للتعريب

تم إنشاء هيئة علمية للتعريب فى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



أنبــاء وآراء

ترتبط بعمادة البحث العلمى

كبير قساوسة كنيسة القديس جان يشهر اسلامــه

نشرت جريدة الرأى العام المصرية يوم ٢٦ سفر ١٤٠٨ هـ فى صدر صفحتها الأولى . أن كبير قساوسة كنيسة القديس جان ٢٣ قد اعتنق الإسلام ، وكان كبير القساوسة الذى أعلن إسلامه مؤخراً قد تقلد وسام القساوسة فى عام ١٩٦٥ بأمر من الأسقف الأكبر للفاتيكان ، ويحمل مؤهلات علمية فقد حصل على إجازة فى العلوم الدينية النصرانية كما عمل أستاذاً للغة الفرنسية ، وتدريس الفلسفة والعلوم الدينية .

□

حول المحل الإعرابى والإعراب المحلى "بقية"

صحيح أن لفظ (هؤلاء) فى ثلاثة الأمثلة مبنى على الكسر ، ولم يتأثر هذا اللفظ بالعامل لكن ما بعد اسم الإشارة (الرجال) لم يقدر أن يقاوم العامل لأنه تابع ومكمل لاسم الإشارة ولأنه بدل من اسم الإشارة والبدل عين المبدل منه فأغنت حركة البدل عن المبدل منه فكانت الحركة فى المثال الأول ضمة وفى المثال الثانى فتحة وفى المثال الثالث كسرة .

من هنا كانت ضرورة استبقاء الإعراب المحلي وعدم إلغائه ؛ ليكون نحونا فريداً فى كل شىء ، متميزاً بظاهرتى المحل الإعرابى والإعراب المحلى ، بل وبمظاهر إعرابه الأربعة التى لا تجد لها مثيلا أو نظيراً فى لغات العالم أجمع ، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء وما يشاء سبحانه جلَّ فى علاه .

« ثبت بأهم المراجع » .

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ مغنى اللبيب .
٣ ـ التصريح على التوضيح .
٤ ـ مختصر النحو د . عبد الهادى الفضلى
٥ ـ كتاب الأزهرية [تنقيح الأزهرية] .
٦ ـ قطرة فى علمى النحو والصرف د . عبد الرءوف محمد عثمان .
٧ ـ الكافية فى النحو لابن الحاجب .
٨ ـ النحو الوافى عباس حسن .

9 - A guid to correct english L . A . Hill

10 - Le Francis, langue vivante « A le decouverte de le terre »



فهـرس العـدد

≈≈≈≈≈≈≈≈≈≈≈≈≈

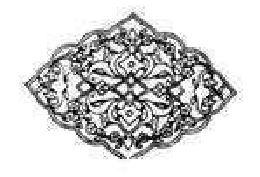
9. The ALMIGHTY — Al-Aziz — العزيز

He is unparallelled, High and Mighty, Needing none, yet is needed by all for their existence, subsistence and inherencies. His Mightiness has conquered everything and is compellent. His Pride is unassailable.

10. The COMPELLER — Al-Gabbar — الجبار

He wields power so great that all bend before His Will.

THE MOST MAGNIFICIENT NAMES OF ALLAH will be continued in the future publications.



→

or inflicting harm, and to deliver Grace as Divine benignancy to His beings for their regeneration and sanctification.

Mercy implies compassion so great as to forbear even when justice demands punishment, or to give help or comfort even to the most undeserving. Hence, He is called The Merciful of this world and of the Hereafter, and The Compassionate of the Hereafter.

4. The SOVEREIGN — Al-Malik — الملك

The Appellation denotes the essence of His intrinsic Independence of all beings in His Entity and His Attributes, whereas all beings need Him to exist. All are His. under His Supreme Power. His Dominion and Will and preoponderating and conquer all under His Sovereignty.

5. The HOLY — Al-Qudoos — القدوس

The Spiritual Attribute of Holiness is of such perfection and wholesness that it is incontestably beyond all measure of description, sensibility, thought or comprehension. The Holy' imputes His Divine Veracity, being absolutely unlike all other abstractions which are in themseleves imperfections as associated with His creatures.

6. The CONSUMMATE — Al-Sallam — السلام

Ascribes the Divine Deity free from imperfection. His Attributes free from deficiency and His Dealings free from blemish. All perfection is attributed to Him alone and all consummation in existence is an effluence of His Providence.

7. The GUARDIAN — Al-Mumin — المؤمن

To Him Alone, safety and security are attributed.

8. The MASTERFUL — Al-Muhaymin — المهيمن

He commands all His creatures. He rules over their lives, their deeds. their livelihood and their destinies.

THE MOST MAGNIFICENT NAMES OF ALLAH

Collected and Reproduced by:—
Mrs. Fatimah Muhammed Sirry

The most magnificent names of Allah have been translated into the English Language as their correspondents and interpretations from the Arabic. This very valuable work was by mere blessing from Allah introduced to me, to gain an expansive amount of knowledge. Here, I reproduce this work in this publication so that Muslims all over the world will benefit from this very original and beneficial knowledge. The tribute of this work goes to the original author of the translations, Mr. Muhammad Abd El Meguid El Zimaity. It is my honour to collect and to reproduce this document for the benefit of all.

****

AND ALLAH HAS THE MOST MAGNIFICENT NAMES

SO INVOKE HIM BY THEM

1. ALLAH الله

A designation for GOD, Glory and Transcendence be to Him; the greatest and most inclusive and exclusive of Appellations : inclusive because it designates The Deity in Whom all the Divine Attributes inhere without exception, and exclusive because only GOD can be called ALLAH.

2. THE MERCIFUL Al-Rahman الرحمن

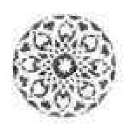
3. The COMPASSIONATE Al-Rahim الرحيم

Designations that connote attributes showing kindness, disposition and willingness to spare and forbear punishment

mankind with an intelligent mind with the potential ability to learn and think everything of knowledge. One theory postulates that mankind is born with all knowledge intrinsically inherent in the mind. Growth and learning in education bring out the knowledge in a systematized rational process. Similar to mining for precious elements long burried in the subsoil of the earth; knowledge is present in the depths of the mind. A further particularity of the mind is imagination which is unique to mankind, and not observed in other creations of biological life. With the mind, the function of vision is very complex in man. He sees to vision objects, he sees to perceive and contemplate, he sees to differentiate and rationalize.

In the mind of mankind, there is a highly developed and organized system of memory; to store and process knowledge and imaginative speculations. On the other hand, forgetfullness and decay of memory are other characters of mankind as sign of mercy from Allah. For such reason, man developed means to register and store his knowledge. He knew the stone, the wood, parchment and skins, paper and pen, and recently culminated with the most sophisticated versatile equipment for storing and processing of knowledge. Yet we do not know what will be deviced in future. The mind of man is infinitely creative because it draws its knowledge from the vastly infinite omnipotent knowledge of Allah.

Yes; with these qualities, characteristics and distinctions, Allah has honoured mankind above all other creations; inspite of his clay substance, his greeds, his ego, his vices, and his transgressions. Mankind is honoured with distinctions above all other creations, to bear the message of Allah, to be the viceregent of Allah on earth, to plan, to learn, to manage its refinement, development and prosperous cultivation, in the worship of Allah.



perception, discrimination, intellect and rationality. The traits of premonition, ingenuity, temperament, passions, motives and similar human characteristics, complete the texture. These powers of perception are not observed in their totality, functional capacity and performance except in the human species. Mankind is certainly the most complex, highly structurally organized, supremely constituted in body and mind. This unique sophistry of creation is a distinction offered only to mankind.

The third characteristic is that Allah endowed mankind with the ability to differentiate and interact with opposing dualities and contradictions in life and nature; whether these opposing dualities are tangible and materialistic or immaterial and intangible. Virtue and vice, justice and injustice, love and hatered, kindness and cruelty, knowledge and ignorance, light and darkness, heat and cold, dryness and wetness, health and disease, richness and poverty, prosperity and famine, right and wrong, belief and herecy. The ability of man to balance and reciprocate with these opposing dualities is infinite. He can perceive and rationalize the whole spectrum of diversity between the opposites with his perception, discrimination, intellect, and rationality; mankind must by his inherent nature conceive the reality of the Absolute Oneness of the Creator.

The fourth characteristic is that Allah created mankind with an ego, the self, the psyche. This subconscious personality is superbly talented, very expansile and highly sensitive to all material and psychic environs. This very complex dark inside of man responds to the carnal desires, inclinations, urges in total freedom with no inherent control mechanism. The schooling and discipline of the self should be the effort of man. The mastery over the ego to inhibit the flagrant unrestrained actions of the self should be practiced. The reins of restraint are protective measures, safaeguards, and bariers: all of which are collectively included in the doctrines of religion. All the tremendous efforts of societies in education, culture, legislation, judicial, planning: are attempts to train mankind to govern and have authority over the self. Faith and commitment to religious doctrines is by far the most eloquent and effectual means to govern and dominate with authority the nature of the self. This understanding is best indicated in the Holy Quran. "By the Soul and the proportion and order given to it: and its enligtenment as to its wrong and its right; truely he succeeds that purifies it, and he fails that corrupts it" (XCI, 7-10).

The fifth feature of distinction is that Allah created

➤

them by educating mankind, and challenged them to know the same "And He taught Adam the nature of all things; then He placed them before the Angels and said "Tell Me the nature of these if ye are right" (II, 31). They said "Glory to Thee: of knowledge we have none save what Thou hast taught us: in truth it is Thou who art perfect in knowledge and wisdom" (II, 32).

From here was the command of Allah to the Angels to prostrate to Adam. This demand for obeisance is not for Adam "personified", but to Adam the "Creation". It is a prostration to the unique superb creation of Adam by Allah the Creator. The prize is given not to the great achievement, but to the maker who achieved. It is a prostration of submission, reverence and worship to Allah who created Adam. "When I have fashioned him (in due proportion and breathed into him of My Spirit, fall ye down in obeisance unto him" (XV, 28, 29).

From here again was the sin of Satan "Iblis" still thinking after all this explanation, that the matter was a comaprison between the element of clay and the element of fire. Iblis failed to realise the power of Allah to add properties to clay to become human; and the properties which Allah took away from fire to become Satan. Iblis who rejected and refused the Divine Command to prostrate to man as the creation of Allah; Iblis who was arrogant, defiant and became a pagan heretic.

Here the question rises; what are those qualities of distinction, characteristics, and properties of potency of that creation "Mankind" to whom Allah has commanded the Angels to prostrate, and to whom Allah has subjected all other creations to his service.

The first privilage to mankind was that Allah "breathed into him" and made that an eternal mystery. The actual conceptualization of the spirit of mankind will forever remain the enigma of creation. This mystery comprises the concept of the spirit as part of the living body of man which like all other biological life ends in death; and the concept of the spirit in the transcendent trajectory existence of man in the phases of continuity after death, a phenomenon of eternal continuity that is specific only to mankind.

The second quality is that Allah provided mankind with the powers of hearing and vision, and gave him the heart as the seat of affection and sympathetic response. These powers are intimately related to the delicate threads of

THE CREATTON OF MANKIND

By :
Abdel - Hakim Taha

Allah created mankind and honoured him above most other creations not because of the pure element of man; for mankind is created from clay. That attribution was also not for the sacredness or sanctity of the human creature, who is ignorant until he learns, who is mortal. who is dependent on his existance on infinite causes and conditions. There is no sacredness except to Allah, the Absolute, the Omniscient, ... the Transcendent.

The creation of mankind is most supreme and elevated. This supremacy of creation is not because of his character, purity, ability or obedience. Allah elevated mankind in creation, because mankind was destined to carry a unique message other than absolute involuntary submissive obedience which is the intrinsic property of all other creations. Mankind was created to carry the message of Allah to be the viceregent of Allah on earth: to plan to learn, and to manage its refinement, development, prosperity and growth.

The most outstanding clarification of that understanding is the discourse between Allah and the Angels about the purpose of the creation of mankind. The Angels thought that Allah created mankind to be their adjuvant on earth for more praise, devout worship and tribute to Allah. The Angels are best for that function; there is no challenge between clay, the substance of mankind; and light, the substance of Angels in purity, absolute innocence, total submissive obedience; and nature of the laws controlling their creation; "who flinch not from executing the commands they receive from Allah, and do precisely what they are commanded" (Lxvi, 6).

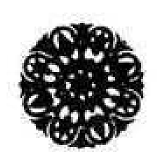
The Angels objected to the creation of Adam being ignorant of the reality of purpose. Allah answered them "I know what ye know not" (II, 30); and continued to silence



←

dignified to be a legal second wife with all the rights and claims of matrimony; or to be an exploited female, hunted and misused, prostituted, psychologically and bodily degraded; a lone female in the fierce jungle of masculine sexual aggressiveness and uncontrolled sensual desires. How will the natural desires and sentimental aspiration of a woman be answered securely and with dignity. How will the physical, moral, emotional requriements of a woman be justified in a manner that is consistent with her self fulfillment and social stability. How will a woman achieve the sence of being loved, wanted, living her femininty and adorable nature with a sence of dignity, pride, chastity, and honour. What is more respectable and dignified - to be a legal second wife with all the grace, pride and self respect; or to be servile to the mental injuries and frustrations of being a mistress living in the dark hidden hours of men. The choice is dependent on the honest rationality, purity of soul, chastity, and the individual social circumstances of the woman taking the choice.

Based on the preceding consideration, it is very clear that Islam did not introduce the practice of polygyny to mankind; it has been known throughout history and in all creeds. Islamic law has allowed polygyny under very strict, stringent stipulations and even discouraged the practice. However, this allowance is certainly justified and selective to redeem feminine integrity and chastity, and optimize the social security of orphans. The abolishment of polygyny would be only in theory, and the human society would continue to pursue the practice in an illicit profane and indiscrete manner that will devalue and disgrace human responsibility for candid righteousness. Polygyny is not an article of faith in Islamic Law, nor is it an injunction, it is merely a conditioned permission. an organized solution to some of the most difficult problems in the sociology of human relations.



conscience of the individual involved. He is to answer for any injustice or iniquity among the wives, only to Allah.Any fear of inability to maintain the justice required, then marriage should only be to one. The Holy ·Quran further states man's inability to maintain justice between wives; which reflects discouragement to puruse polygyny. This verse states:

> "You are never able to be fair and just between women even if it is your ardent desire (to be just)".
>
> (Surat Al-Nissa, IV, 129)

The requirements of precise justice between wives is certainly a deterent to the open practice of polygyny, and cancels the understanding that a man can have as many wives as he pleases. It also obliterates having wives in the shade, for all wives must enjoy full identical rights and claims over their husband. It also implies, according to Islamic Law that a wife is entitled to seek divorce in court if the husband fails to provide and maintain justice. The choice of polygyny is not only determined by the man; the woman in question is also a party of the decision; no woman is forced to be a wife of a married man. This freedom of choice on the part of the woman is self determined and according to her own free judgement. Although the general rule in Islam is monogamy, however, permission to practice conditional polygyny in certian social circumstances is granted with specific restrictions when no alternative is available.

The rational, realistic, organized approach of Islamic Shariah to solve the repercussions of social instabilities of mankind correctly and in a legalized manner comes according to a divine conditionéd allowance. It is a provision of frank, honest, legitimate solutions for the problems of individuals and societies. The fundamental rationality of this conditioned restricted allowance of polygyny is from Allah Most High who created mankind and gave him the framework for conduct under normal and abnormal social situations. Such abnormal social conditions include circumstances when women outnumber men, in cases of chronic illness or infertility of wife, widows, mothers with orphan children, special social and job circumstànces of man that impose long periods of absence from home, many other selective conditions in the life of a married man or in the life of an unmarried woman. The whole root of Islamic Shariah in the issue of polygyny is to prevent the human race from falling into the filth of sexual anarchy, entropy and social degradation. What is more respectable and

→

intimate correlation between strict formal monogamy and the high incidence of prostitution, illegitimacy, perverted sex conducts, social psychosis, drug addiction, alcoholism and other sexually induced social diseases. Judaism and Christianity have offered no solution for the social instabilities in human life regarding marital conditions. Unlike Judaism and Christianity, Islam is the only religion that seriously considers the sociology of sexual relationship and provides seriously an objective practical and responsible understanding of human nature and its social implications. Islam deals with the issue of polygyny in a justified manner that regulates its allowance according to legal requiremens and restraints, and with discouragement for fear of transgression and injustice. Like any other issue, Islam has organized, standardized, and conditioned the issue of polygyny.

It should not be concluded or implied that the recognition of polygyany in Judaism and Christianity and its narrow scale practice, is the reason for allowing it in Islamic Law. The permission to practice polygyny in Islam according to the conditions and limitations prescribed, is based upon a Divine Ordinance. The Quranic verse which gives allowance for polygyny is translated as follows:

> "If your fear that you shall not be able to deal justly with the orphans, marry women of your choice, to, or three, or four; but if you fear that you shall not be able to deal justly (with them), then (marry) only one".
>
> (Surat Al-Nissa, IV, 3)

The comprehensive understanding of this verse reveals certain definite criteria dealing with the subject of polygyny in Islamic Law. The first criteria is that "polygyny" in Islam is not mandatory, nor encouraged, it is only permitted under certain conditions. It is not an article of faith. This conditional permission should be accepted with extreme caution and reservation. The second criteria is that this conditional permission is not associated with mere satisfaction of sexual passions and carnal desires. It is essentially associated with compassion and support towards widows and orphans. The third criteria is that the permission is limited only to a maximum of four wives, a mandate which is very contrary to the illicit practice of sex. The fourth condition is that there should be complete justice between the wives, in passion, in expenditure, in rights and privilages, equality in treatment. All these channels of justice and equality between the wives are essentially dependant on the inner

organization and discipline that ensures and optimizes human virtue, honour, and chastity. Since religions are the most acceptable sources of morals, it therefore becomes imperative to draw upon the most suitable sources of Divine Ordinance as basic reference to the subject. Any discussion of the subject of polygyny should therefore entail an understanding of how this issue is viewed by the three closely related Abrahamic Faiths. These religions are Judaism, Christianity, and Islam.

Judaism and Christianity do not provide in their doctrines an explicit prohibition of polygyny. In Judaism, most of the old Testment Prophets were polygynous; and the Jewish scripture (Deutronomy 17 : 17), regulations fixed the number of wives for a king at eighteen, and for an ordinary man at four. It was only at the beginning of the eleventh century that polygyny was prohibited in Judaism after the meeting of the Rabbinical Synod at Worms. This prohibition was originally made for the Jews living in Germany and Northern France. Nevertheless, the Jewish Marriage Code retianed many provisions which originated at the time when polygyny was still legally in existence. We are recently informed by some prominent Jewish scholars (Goitein) that polygynous Jewish immigrants to Palastine are causing the Israeli housing authorities a great deal of both difficulty and embarrassment.

In Christianity, there is no distinct passage in the New Testment that clearly prohibits polygyny. Although the New Testment assumes monogamy as the normal ideal form of marriage, it does not expressly denounce polygyny except for clergymen. No council of the church in the earliest centuries of Christianity opposed polygyny, and no obstacle was placed in the way of its practice by kings. Luther himsef approved the bigamy of Fredrick William II of Prussia, and preached his preference of polygyny to divorce. Afro-Asian Christian bishops prefer polygyny to infidelity, fornification, extramarital sexual activity, or any form of the unorthodox philandering sex practices. The Christian Mormons practice polygyny and regard it as a divine institution. It is estimated that in the state of Utah alone, over 30,000 American Mormons secretly cling to the practice of polygyny. The Mormon Church accepted the principal of polygyny as a theistic privilege.

Although the doctrines of Judaism and Christianity assume monogamy as the usual form of marriage, there is not specific doctrine that categorically prohibits polygyny. It is very educating and revealing for moralists to examine the

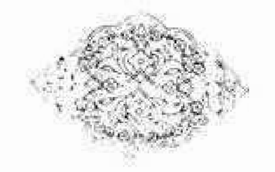
POLYGYNY IN ISLAM

By :
Saad Moustafa, M.D.

The term "polygamy" means the plurality of mates. More specifically, the term "polygyny" means the marriage of a man to more than one wife at the same time. The term "polyandry" refers to a situation when a women has more than one mate. In the context of this treatise, the term "polygyny" will be used throughout to denote its exact meaning i.e. the marriage of a man to more than one wife at the same time.

Throughout the history of mankind, polygyny has been practiced. It has been practiced by Prophets as Abraham, Jacob, David, Solomon; by kings, governers, rich people, poor people, and common people in all walks of life in ancient and in modern times. In current times, polygyny is practiced in various forms of conduct among all the creeds of the human race of the East and the West. Some of these practices are legally authorized and organized by religious and state laws and disciplines; while other forms are practiced in an illegal, hypocritical, illicit, disorderly manner that are secretly or publicly arranged. Married men who maintain private mistresses, men who go around with different women, world wide prostitution, and the disgraceful pitiful situation of the human sexual disorder and profanation, are all distinct examples of the uncontrolled and disorganised forms of the sensual carnal practice of bigamy. Inspite of that, any attitude religious or moralist, that calls for the organization and justified practice of polygyny is confronted with an attitude of bias self-oriented irrational antagonistic resentment. This is the result of misconcept, prejudice, irresponsible conducts to solve the most profound issue of human life, namely, the sexual conduct and discipline of mankind. The question is not a matter of what every individual accepts or rejects, and forcing our personal preferencies and idiosyncrasies upon one another. The question is the proper understanding of human nature, human society, and maintaining a state of

addressed the people himself saying "O people, whoever worshipped Muhammad should know that Muhammad is dead; and whoever worshipped Allah should know that Allah is living and never dies". Then he read the following verse from the Holy Quran. "Muhammad is naught but a Prophet. The other Prophets have gone before him. If he died or were killed, will you then turn on your backs ? And whosoever turns on his back shall not harm Allah at all. Indeed, Allah will reward the grateful believers". The people then cried, and went away, with their eyes full of tears and their hearts heavy with grief.



→

Bakre - but companionship and brotherhood of faith is ours until Allah unite us in His Presence." It was on this occasion that he said, looking at the multiple entrances into the Mosque from the houses which surrounded it: "Behold these doors that intrude upon the Mosque, let them be walled up, save only the door of Abu Bakre. Before leaving the pulpit he said "I go before you, and I am your witness, your tryst with me is at the Pool, which verily I behold from here where now I stand. I fear not for you that ye will set up gods besides Allah; but I fear for you this world, lest you seek to rival one another in worldly gains".

Later on during his illness, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was so prostrate that he could no longer lead the prayers, so he said to his wives "Tell Abu Bakre to lead the people in prayers." But Aishah feared that it would greatly pain her father to take the place of the Prophet. She replied that Abu Bakre was a very sensitive man, not strong of voice and much given to weeping when he recited the Quran. The Prophet insisted that Abu Bakre should lead the prayers saying "Allah and the believers will not have it otherwise". The Prophet repeated this sentence three times; and for the rest of the Prophet's illness untill his death, Abu Bakre lead the Muslims in the prayers. On one occasion, the Prophet with some help could manage to go into the Mosque in the course of prayers; Abu Bakre stepped back to allow the Prophet to lead the prayers. The Prophet pressed Abu Bakre forward again infront of the congregation, and he himself sat on the right of Abu Bakre and prayed seated while Abu Bakre lead the assembly prayers.

The Prophet's health then improved for a while, and everybody rejoiced with joy: Abu Bakre took leave to go to see his family at Sunh. During that day, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) died, and the tragic news reached Abu Bakre. He hurried to the house of his daughter Aishah to find the body of the Prophet lying on a couch in the corner of the room covered with a sheet. Abu Bakre leaned over the body, removed the cover from the face and kissed him farewell, saying "you have tasted the death destined for you by Allah, but you will never have death afflict you after this". He replaced the cover on the face and walked out of the house to the mosque.

Outside the mosque, people gathered and assembled to listen to Omar Ibn Al-Khattab as he addressed them saying "O people, the Prophet has not died, he has gone to his Creator, just as Moses had done before", and Omar insisted on that statement. Abu Bakre asked Omar to be silent and

environs of the Kaaba would be completely Islamic. The pilgrimage of the Prophet in the tenth year of Hijrah, otherwise called the Farewell Pilgrimage was very precisely documented to be the original reference for the generations of Muslims that followed and will follow. The precise details of the actions, conduct, prayers performed, supplications, procedures, words spoken, exact localities and places, teachings, directions, comments, reply to questions, and in fact every minute elemental particulate of the Prophet's actions and words were carefully recorded. The most close and imtimate companions were responsible for that documentation. Abu Bakre Al-Siddiq was at the head of those companions that documented the details of the events of the Farewell Pilgrimage of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

As a result of his very intimate closeness to the Prophet, Abu Bakre Al-Siddiq accumulated a superb amount of knowledge in Islamic doctrines. It is related by most eminent authors that Abu Bakre was an undisputed narrator of the Propeht's sayings "Hadith"; and a great master in the implementation of the teachings of the Holy Revelation, and the traditions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Indeed, the integral character of Abu Bakre, his mental faculty, psychology and channels of thought, all originated from and were the outcome and reflections of the deep roots of his belief and his faith. His life as a devoted companion, responsible and adamant in his faith, gained for him the esteem and popularity he well deserved. The actions, conduct, life style, temperament, disposition, rationality and wisdom, all pronounced and affirmed his devotion to Islam, the Holy Revelation, the traditions of the Prophet; and also justified and confirmed his great love to the Messenger of the Divine Message.

The early months of the Eleventh year of Hijrah marked the illness of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). At dawn one day, the Prophet went to the Mosque inspite of the severe headache he suffered,after leading the prayers he mounted the pulpit and invoked blessings on the martyrs. Then he said "there is a slave amongst the slaves of Allah, unto whom Allah has offered the choice between this world and that which is with Allah, and the slave has chosen that which is with Allah". Abu Bakre wept on hearing this, for he knew that the Prophet was referring to himself, and that the choice meant imminent death. The Prophet told Abu Bakre not to weep and said "O people, the most beneficent of men unto me in his companionship and in that which his hand bestoweth is Abu Bakre; and if I were to take from all mankind an inseparable friend he would be Abu

perform all the formalities of Hajj; a man who could lead and guide; a man trustworthy to be in charge of Muslims. The Prophet chose Abu Bakre to lead the pilgrimage of the nineth year of Hijrah.

Abu Bakre Al-Siddiq left Al-Madinah to Macca leading three hundred Muslims to perform Hajj. The holy Kabaa was visited without restrictions by Muslims and all other creeds, and even pagans and idol worshippers, each performing their own ceremonies of worship. This certainly resulted in a very inconsistent pluralistic environs of worship; a situation that denuded the holy Kaaba from its sacredness. It was therefore imperative that such creedal inconsistency around the Kaaba must be resolved by Divine Ordinance. Not long after the departure of Abu Bakre from Al-Madinah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) received a Revelation of the Holy Quran which resolved the issue of diversity of worship around the Kaabah. This Revelation considered as Divine Referendum was to be announced during the great gathering of pilgrims where Abu Bakre was head of the Muslim group. The announcement had to be made public so that everybody, Muslim and otherwise should know the precepts of Islamic doctrine regarding Muslim-Infidel relationship. The Prophet deputized Ali Ibn Abi Taleb as a kinsman, to set out from Al-Madinah to overtake Abu Bakre and those with him, and to deliver in public the text of the Holy Revelation to everybody present during the great gathering of all the pilgrims at the valley of Mina in the precincts of Macca. When Ali Ibn Abi Taleb arrived at the place where the Muslim pilgrims were. Abu Bakre asked Ali if he had been sent to command the expedition. Ali explained the nature of his mission and asked the assistance of Abu Bakre to make the announcement of the Divine Referendum of the Holy Revelation public and known to everybody present at the pilgrimage. Both men continued on their way together to perform the functions of the pilgrimage; and Abu Bakre continued to lead the Muslims, to be the Imam in prayers, and to preach the sermons. On the first day of the feast after pilgrimage, when everybody assembled in the valley of Mina; Ali delivered the Divine message in its exact Quranic text, and further pointed out the injunctions of this Divine mandate.

The pilgrimage of the tenth year of Hijrah was directed and governed by the Prophet in person. The Divine Referendum that had been publicly announced during the pilgrimage of the nineth year presided by Abu Bakre, dictated that the Holy precincts of the Kaaba would not witness any type of worship other than Islmic. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was now certain that the religious

ABU BAKRE AL -SIDDIQ

HIS LIFE WITH THE PROPHET

(PART III)

By :

Dr . Anas Moustafa El-Naggar M . D ., Ph . D



During the nineth year of Hijrah, there was an active acceptance of Islam among most tribes in the Arab peninsula. Deputations from these tribes arrived at Al-Madinah to meet with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and to proclaim their acceptance of Islam as a creed. On the stage of these events, and during these progressive times, Abu Bakre was the front figure. Members of the deputations from the tribes were first met by Abu Bakre, and during their conference with the Prophet, Abu Bakre was present. The intimate association of Abu Bakre with the Prophet, and his unrelenting service to the cause of Islam placed him in a foremost position among the compansions. This distinction of rank was recognized and accepted by the comapnions; they found in Abu Bakre the dedication, commitment and the devotion that placed the man in such honour and esteem.

The latter months of the nineth year were coming to an end, and this marked the time of pilgrimage. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had not performed pilgrimage according to the Islamic teachings; and to perform pilgrimage as supplication to Allah was highly desired. However, the Arab peninsula still harboured several non-muslim sects including Jews, Christians, even non-believers and pagans, and idol worshippers. These performed their pilgrimage, which is different to the Islamic way. The presence of the Prophet of Islam at the Kaaba performing Hajj with Muslim comapnions in an environment that was religiously heterogenous; was unfavourable; inconvenient and unfitting. The Prophet finally decided to remain at Al-Madinah and await the words of Allah in that matter. The Prophet appointed the man who was most suitable to lead a Hajj procession from Al-Madinah to Macca and back, and

→

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 60, PART IV

RABIE AL AKHER, 1408, HIJRAH

CONTENTS

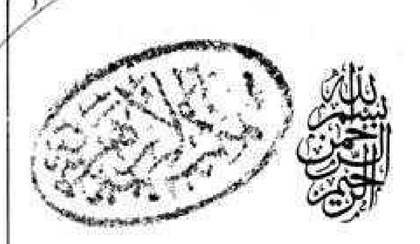
Preparation of the Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

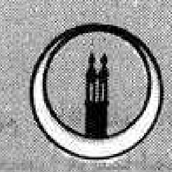
AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION







الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

* الجزء الخامس *
* السنة الستون *
* جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ *
* يناير ١٩٨٨ م *

بسم الله الرحمن الرحيم

فى ظلال الجوار

هددت قريش أبا طالب بقتل رسول الله - ﷺ - فكانت الطرف الذى بدا فلوَّح بالدماء ، فأبى أبو طالب إلا أن يضعها فى إطار حجمها حريصا عليها - فى الوقت نفسه - أن تهتز مكانتها بين العرب ، فأعلن عن مواجهتها فى أسرع خاصية إعلامية فى هذا الوقت ، فأنشد « لاميته » التى أخبرهم فيها ، كما أخبر غيرهم ، أنه لن يسقط جواره عن رسول الله ﷺ ولاهو بتاركه لشىء حتى يهلك دونه ، وفيها يقول أبياته سالفة الذكر ، وإنه ليعلم أن قريشا - على قوتها الفائقة - أعجز ما تكون عن حربه لأمور عدة :

←

فليس بطن ـ من بطون قريش ـ إلا ولرسول الله ﷺ نسب يتصل بهم ؛ وذلك ـ وحده ـ مانع زعماء الوثنية ـ على ما أُوتُوا من قوة وعصبية وكفر ومقت ـ أن يجمعوا قريشا لحرب قريش .

كذلك ؛ فإن حرب بنى هاشم وبنى عبد المطلب كما لا تقره المشيخة من قريش ؛ فإنها لا تقر حربا بينها وبين غيرها من القبائل ، وتلك سياسة استقر كيانها منذ حرب « الاستقلال » التى قام بها ـ فى مشارف القرن الرابع الميلادى ـ الجد الرابع لرسول الله ـ ﷺ ـ قصى بن حكيم حين قهر خزاعة وطردها من مكة ، فاستقام لقريش أمر مكة ، وحرصت ـ من يومئذ ـ على بقاء وحدتها القومية ، وصيانة البلد الحرام [1] فهم الخُلَّصُ من أبناء إسماعيل بن إبراهيم ـ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ـ وهم أولى الناس بحفظه ، وأشدهم غيرة عليه ، وضنا به ، وترحيبا و إكراما لزائريه ، وعرفت لهم العرب هذا « الحياد » وأقرتهم عليه ، وحرب كتلك التى هدد بها بعض زعمائهم كفيلة بإبادة ماحرصوا عليه .

وماذا بعد قتال الأجداد للأحفاد والآباء للأبناء إلا ما تنوء به قيم الشرف والعرض ، وإلا بقاء اليتامى ودموع المثكلات ، وضياع الوحدة واستباحة البلد الحرام ؟!

وإشارة أبى طالب إلى هذا المعنى واضحة جداً ، حيث يقول ـ بعد جزمه بعدم تسليم محمد ـ ﷺ ـ لهم إلا بعد أن تأتى الحرب عليه وعلى قومه من بنى هاشم وبنى عبد المطلب :

وينهض قومٌ بالحديد إليكم نهوض الرَّوايا تحت ذاتِ الصلاصل

ثم كان هناك ـ إلى ما تقدم ـ من أسلم خفية فى تلك البطون ونجح فى كتمان إسلامه ، وَذَبَّ عن الإسلام ما استطاع .

لقد كانت الحرب بكل المقاييس ممتنعة شكلا وموضوعا .

●●●

استبان لقريش عجزها ، وسكن أساطينها ترقبا للأحداث إلا أبا جهل :

فقد ناء بهذه النتيجة ، وفقد معها روية البصيرة ، وهانت عليه تقاليد الشرف واحترام

---

(١) نزل بعض جرهم بمكة ـ فى وقت متقدم جداً ـ منذ كان إسماعيل ـ عليه السلام ـ رضيعا ، وذلك فيما بين القرنين : العشرين والثامن عشر من قبل الميلاد ـ وأقاموا مجاورين لإسماعيل وأمه ، بإذن من أمه ـ عليها السلام ـ وفيهم نشأ إسماعيل وتزوج منهم واحدة بعد الأخرى ، حتى إذا طال بهم الأمد طغوا وبغوا ـ فى البيت فسلط الله عليهم خزاعة ، فقهرتهم "واحتلت" مكة حتى كان قصى ..

الجوار ، فأبى إلا أن يخفر أبا طالب جوارَه ، ولعلمه - مُسَبَّقًا - أن أحداً من أشراف قومه لن يعضده - رضى أن يتحملها وحده فقال - فى نادى قومه فى ثورة تعكس إحباطه ، وتكشف عن حنقه : « يا معشر قريش ، إن محمداً قد أبى إلا ماترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا[٢] ، وتسفيه أحلامنا ، وسب آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر : فإذا سجد فى صلاته فَضَخْتُ به رأسه ، فليصنع - بعد ذلك - بنو عبد مناف ما بدا لهم » .

لكنه - فى اليوم التالى - عاد يحمل حجره مرعوبا قد يبست عليه يداه ممتقعا لونه مرتجفاً فؤاده ، يقول :

« لما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الإبل ، والله ما رأيت مثل هامته ، ولا قَصَرَتِهِ ، ولا أنيابه لفحل قط فَهَمَّ أن يأكلنى. وذُكِرَ الخبرُ لرسول الله - ﷺ - فقال :

ذلك جبريل ، ولو دنا منه لأخذه » وهكذا عصم الله نبيه ، ومضى الجوار .

● ● ●

وإذا لم تكن الحرب ممكنة ، وكان الإجماع عليها مستحيلا ، فقد تشاورت قريش فيما بينها لإسقاط الجوار عن رسول الله ﷺ وَفَضِّ قومِهِ من بنى هاشم والمُطَّلب عنه-عليه الصلاة والسلام ، فأجمعت أمرها على مقاطعة البَطْنَين : وقبل تلك المقاطعة - على غضاضة - سادة من قريش منهم :

أبو البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد،والمطعم بن عدى ، وزهير بن أبى أمية بن المغيرة ، وزمعة بن الأسود ، وهشام بن عمرو .

قال ابن كثير :

« فلما عرفت قريش أن القوم قد (منعوا) رسول الله - ﷺ - وأجمعوا على ذلك اجتمع المشركون من قريش فأجمعوا أمرهم :

الا يجالسوهم ، ولا يدخلوا بيوتهم حتى يُسْلِمُوا رسول الله - ﷺ للقتل ، وكتبوا - فى مكرهم - صحيفة وعهودا ومواثيق : لا يقبلوا من بنى هاشم صلحا أبداً ، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يُسْلِمُوهُ للقتل » .

وفى رواية الإمام البيهقى - بسنده - إلى محمد بن إسحاق :

« لما مضى رسول الله - ﷺ - على الذى بُعِثَ به ، وقامت بنو هاشم وبنو المطلب دونه .... وعرفت قريش ألا سبيل إلى محمد اجتمعوا على أن يكتبوا - فيما بينهم على بنى هاشم وبنى عبد المطلب : ألا يناكحوهم ، ولا ينكحوا إليهم ، وألا يبايعوهم ،

←

---

(٢) فأما الشتم للآباء فما كان من رسول الله - ﷺ - كيفَ .. وقد منع - عليه الصلاة والسلام - حين عز الإسلام أن يتناولوا الآباء بذكر سيئاتهم لما فى ذلك من إساءة للأحياء من أبنائهم !؟ وإنما ذلك من أبى جهل تحريض للقوم واستثارة لعصبيتهم .

ولا يبتاعوا منهم ، وكتبوا صحيفة فى ذلك وعلقوها بالكعبة ، فكان ذلك منهم حلفاً على بنى أبيهم أبناء هاشم والمطلب . وسعياً لفرض القوة ـ لأول مرة ـ لإسقاط جوار ، قال ابن كثير : « يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم ، رسول الله ـ ﷺ ـ » .

تَقَبَّلَ أبو طالب حِلفَهم هذا بشموخ عزيز ، وإباء رفيع ، بل قد سبق أن رماهم بأبيات تَزِنُ ما فيهم من نقيصة ، وتطرح مكنون ما انطوت عليه صدورهم إذ لم ينالوا ما يبغونه من رسول الله ـ ﷺ ـ متعاليا عليهم برفعته عن دنس ما يفعلون مهددا من حدثته نفسه أن ينال بطنيه بأذى ، قال :

ولما رأيتُ القوم لاوُدَّ فيهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد حالفوا قوما علينا أَظِنَّة ... يعضون غيظا خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة ... وأبيض عضب من تراث المقاول[3]

وقامت المقاطعة ، واستمرت ، وأوى البطنان إلى شِعْبهم ثلاث سنين ، واشتد عليهم البلاء والجهد ، فقد قطعوا عنهم الأسواق ، ولم يتركوا طعاما يقدم مكة إلا بادروا إليه فاشتروه حتى لا يقع منه شىء بأيدى بنى هاشم وبنى عبد المطلب وبلغت بهم الفتنةُ الجهدَ الشديدَ حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من شدة الجوع ، لا يصل إليهم شىء إلا سراً مُستخفِيًا به من أراد صلتهم من قريش مثل « حكيم بن حزام » رضى الله عنه :

ولم يُسقِط أبو طالب ، ولا قومُهُ جوارَهم عن رسول الله ـ ﷺ ـ ولم يُسْلِمُوه .

ومضت المقاطعة « فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم[4] رجال من بنى عبد مناف ومن قصى ، ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بنى هاشم ، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق »وأعلن ـ ﷺ ـ انقراض الصحيفة إلا عن اسمه ـ عز وجل -

وضاقت مروءة المتعضين منها ، واجتمع أمرُهم من ليلتهم على نقض تلك الصحيفة والبراءة مما فيها من غدر وسفه ، وبنقضها انتهى الحصار ، واستأنف بنو هاشم والمطلب حياة طبيعية .

●●●

---

(٣) كان لأبى طالب سيف من هبات الملوك مقاولى اليمن ، كان لديه من عبد المطلب الذى أخذه ضمن هبة من هبات ابن ذى يزن من ملوك اليمن .

(٤) لام بعضهم بعضا .

ولا يحسبن أحد أن تلك الأحداث دفعت برسول الله ﷺ إلى مهادنة القوم ، أو نهنهت من أمر الدعوة ، فقد استمر - عليه الصلاة والسلام - فى تردده على البيت والصلاة فيه على مرأى منهم ومسمع،وقد ازداد حماسا فى الدعوة لما وقر فى قلبه من حب لقومه،ورغبة فى نجاتهم،وبرا بهم ليكونوا اسبق الناس إلى نشرها فى العالمين حتى إنه ليدعو أبا جهل نفسه إلى التوحيد فى تلك الظروف العصيبة .

روى الإمام البيهقى - رضى الله عنه - لقاء رسول الله - ﷺ - بأبى جهل يمشى يصحبه المغيرة بن شعبة :

« فقال رسول الله - ﷺ - لأبى جهل :

يا أبا الحكم ، هلم إلى الله وإلى رسوله ، أدعوك إلى الله .

فقال ابوجهل : يا محمد ، هل أنت منته عن سب آلهتنا ، هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت ؟ فنحن نشهد أن قد بلغت ، فو الله لو أنى أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك » .

●●●

كان الجوارُ يقمع - بشدة - غيظَ قوم أن يحول سوط عذاب ، تشقى به أجساد المسلمين ، وتشفى به صدور الوثنيين . وكان من توفيق المولى - عز وجل - لرسوله - ﷺ - إذنُهُ لأصحابه - إذ أنذرت الحوادث بالمقاطعة - أن يهاجروا إلى الحبشة فذهبوا إليها ارسالا ، وتعقبتهم حكومة مكة ببعث إلى النجاشى مؤملين أن يعود بهم ، فلم تظفر سفارتهم إليه بشىء .

وبينما كان رسول الله - ﷺ - بالبيت الحرام ، أُنزِل عليه « سورة النجم » فلم يلبث أن اخذ فى تلاوتها ، وارتفع بها صوته الشريف - ﷺ - وهى غضة عن الله - عز وجل - فإذا من بالبيت يشرئبون إليه - ساكنى الجوارح صامتين قد أخذتهم روعة الآيات وحسن الأداء فانزاح - إلى مدى - عن قلوبهم حمقها ، وانزجر عن نفوسهم عنادها ، فما اشرفت الآيات على النهاية وجاء قوله - تعالى - فى ختامها :

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى . هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى . أَزِفَتِ الْآزِفَةُ . لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ . أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ . وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ . وَأَنتُمْ سَامِدُونَ . فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ سجد القوم لربهم مذعنين ، وسرت شائعة قوية أن أهل مكة قد آمَنُوا وَصَلَّوْا ، وكانت الشائعة من القوة حتى إنها طرقت آذان مهاجرى الحبشة ، فمال - إلى تصديقها - بضعة وثلاثون منهم اسرعوا بالعودة إلى ارض الوطن بعد نحو ثلاثة أشهر من رحيلهم ، وفوجىء القادمون بخلاف ما يتوقعون فلا قريش اذعنت لبارئها ولا هى صلت

←

لخالقها ؛ بل ازدادت عتوا واستكباراً ، ورأت في رجوع تلك الفئة غنيمة باردة ، فاعتقلوا منهم من سبقوا إليه ، ولاذ المستطيعون بالفرار إلى الحبشة في هجرة ثانية ، ولم يتمكن من الدخول إلى مكة سالما إلا من وجد له مجيراً :

فدخل أبو سلمة : عبد الله بن عبد الأسد المخزومي في جوار خاله أبي طالب ، فقد كان أبو سلمة ابن أخته : بَرَّة بنت عبد المطلب ، وضاقت بذلك بنو مخزوم ، فمشى رجال منهم إلى أبي طالب ، فقالوا :

يا أبا طالب ، هذا ، منعتَ منَّا ابن أخيك محمداً ، فمالك ولصاحبنا تمنعه منا ؟
قال : إنه استجار بي ، وهو ابن أختي ، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي .
وأجار الوليدُ بن المغيرة عثمانَ بن مظعون - رضي الله عنه .
وهكذا ..

بل لقد اشتد الأذى حتى تطاول إلى السادة منهم كأبي بكر وعمر ، ولقد سبق أن وضحنا أمر الصديق - رضي الله عنه مع ابن الدغنة إذ أجاره ، واجتمعوا على عمر - رضي الله عنه - وكان من القوة بحيث يدفعهم حتى تكاثروا عليه ، روى ابن إسحاق - بسند جيد قوي - إلى ابن عمر قال :

« وثاروا عليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رءوسهم ، قال: وَطَلِحَ [٥] فقعد وقاموا على رأسه ، وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا .

.. فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليه .

فقال : ما شأنكم ؟
فقالوا : صبأ عمر .
قال : فَمَهْ ، رجل اختار لنفسه أمراً ، فماذا تريدون ؟ أترون بني عدي يُسلمون لكم صاحبكم هكذا ، خَلُّوا عن الرجل .
قال : فو الله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه .
قال : فقلت - لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبت من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك ؟

---

(٥) تعب .

قال : ذاك ، أى بنى ، العاصُ بن وائل السهمى » .

هكذا أجار العاص عمر ، وكان بين العاص وبنى عدى قوم عمر حلف ، وقال لعمر : لا سبيل إليك فأنا لك جار . فأمن عمر .

● ● ●

وتلت سنوات المقاطعة الثلاث ، ثلاث اشد منها عُسْرَةً على رسول الله ـ ﷺ ـ وحده :

ماتت السيدة خديجة أولى أمهات المؤمنين ، رضى الله عنها .

ومات أبو طالب .

وضاع انسُ البيتِ وَأَمْنُ الطريق .

صحيح أن قد كان بمكة مؤمنون يعذبون لكن كانت لهم فسحة من الهجرة حيث يشاءون حين يتمكنون من خلاص سريع ؛ فقد أذن لهم رسول الله ـ ﷺ ـ بذلك .

وعلى مدى هذه السنوات فر معظمهم فلم يبق إلا أفراد معدودون لكن كان على رسول الله ـ ﷺ ـ أن يبقى !

فلم يُؤْذَن له ـ بعد ـ بالهجرة !

ومات المُجِير !

وتكأكأ على رسول الله ـ ﷺ ـ حقد السنين ، ونالت قريش منه ـ ﷺ ـ أذى لم تكن تطمع أن تفعله فى حياة أبى طالب ، حتى لقد اجترأ عليه سفهاء قريش .

آذوه فى الشارع والبيت الحرام ، وخُصَّ عمه أبو لهب ، والحكم بن أبى العاص بن أمية ، وعقبة بن أبى مُعَيط ، وعدى بن الحمراء ، وابن الأصداء الهذلى ـ بأذيته فى بيته .[6]

فلم يعد لرسول الله ـ ﷺ ـ مكان يخلو من أذى ، قال ـ عليه الصلاة والسلام : ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب [7]

وفى رواية : مازالت قريش كاعِّين [8] حتى مات أبو طالب .

لقد كان أبو طالب يصد الناس عن أذيته ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقال ونفس ومال .

ومع ذلك بقى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليحقق ـ فى هذه الظروف ـ أعظم نصر على قريش قبل أن يولى وجهه شطر المدينة [9] .

د. على أحمد الخطيب

---

(٦) لم يسلم من هؤلاء إلا الحكم بن أبى العاص فرضى الله عنه .

(٧) الحديثان رواهما ابن كثير فى سيرته .

(٨) كاعين : جبناء .

(٩) نفس المصادر السابقة مضافا إليها : تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور محمد محمد مصطفى النجار وأبو الانبياء : الخليل إبراهيم للأستاذ عباس محمود العقاد .

دراسة قرآنية

النداء من وراء الحجرات

التثبت من رواية الفاسق

قال الله تعالى :
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ الآيات من سورة الحجرات .

البيان

كان الأعراب ذوى خشونة وجفاء فى أخلاقهم وطباعهم ، قبل أن يدخلوا الإسلام فيرقق طباعهم ويحسن أخلاقهم .

وكان من عادة رسول الله ﷺ أن ينام القائلة ـ أى نصف النهار ـ فجاء وفد من أعراب بنى تميم يفادون أسْرَاهم عند رسول الله ﷺ ، فجعلوا ينادونه من وراء الحجرات أن يخرج إليهم ، دون أن ينتظروه حتى يخرج من حجرته فأنزل الله تلك الآية .

قال مجاهد وغيره : نزلت فى أعراب بنى تميم ، قدم الوفد منهم على النبى ﷺ ، فدخلوا المسجد ، ونادوا النبى ﷺ من وراء حجرته: أن اخرج إلينا فإنَّ مَدْحَنا زين وذمنا شين ، وكانوا سبعين قدموا لفداء ذرارى لهم ، وكان النبى ﷺ نام للقائلة :

وروى أن الذى ناداه منهم هو الأقرع بن حابس ، وأنه هو القائل : إن مدحى زين وإن ذمى شين ، فقال النبى ﷺ « ذاك الله » رواه الترمذى عن البراء بن عازب ، والمراد من قوله صلى الله عليه وسلم « ذاك الله » أن الذى مَدْحُهُ زين وذمه شين هو الله تعالى .

وهناك رواية أخرى لسبب نزولها ، عن زيد بن أرقم قال : « أتى أناس النبى ﷺ ، فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى هذا الرجل ، فإن يك نبياً فنحن أسعد الناس باتّباعه ، وإن يكن ملكا نعش فى جنابه ، فأتوا النبى ﷺ ، فجعلوا ينادونه وهو فى حجرته : يامحمد يامحمد ، وقيل: إنهم كانوا من بنى تميم . قال مقاتل : كانوا تسعة ، قيس ابن عاصم ، والزبرقان بن بدر، والأقرع بن حابس ، وسويد بن هاشم ، وخالد بن مالك ، وعطاء بن حابس ، والقعقاع بن معبد ، ووكيع بن وكيع ، وعيينه بن حصن .. وهو



لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدي الطير

الأحمق المطاع ، وكان من الجَرّارين ، يجر عشرة آلاف مقاتل .. أى يتبعونه .

وقد اتحدت الروايتان فى أن الوفدين من بنى تميم ، واختلفتا فيما جاءوا من أجله ، فأولى الروايتين تذكر : أنهم جاءوا لفداء أسراهم ، والثانية تقول : إنهم جاءوا ليتبعوه ﷺ .

وجمعا بين الروايتين نقول : إنهم جاءوا للامرين جميعاً ، فداء الأسرى واتباعه ﷺ .

والحجرات بيوت النبى ﷺ ، وهى جمع حجرة ، والحجرة الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحيط بها ، فهى حجرة بمعنى محجورة ، وكلُّ ما منعتَ أن يوصل إليه فقد حجرتَ عليه ، ومنه تسمى حظيرة الإبل: حجرة ، وبقى الخلاف فى العدد ، وهو يؤذن بأنهما وفدان لا وفد واحد وقد بينت الآية أن اكثرهم لا يعقلون وهم الذين وافقوا على ندائه ﷺ من الحجرات ، وأن اقلهم يعقلون فلذا لم يوافقوا على ندائه قبل أن يخرج إليهم.

والمعنى الإجمالى للآية : أن الأعراب الذين ينادونك من وراء حجراتك، أيها النبىء وقت نومك نصف النهار أكثرهم لا يعقلون ، حيث لم يفرقوا بين ما يليق وما لا يليق ، وقد أوضح الله لهم ولغيرهم كيف يكون الأدب مع رسول الله ﷺ فقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

ولو أن هؤلاء الذين نَادَوْكَ من وراء الحجرات وأنت مستريح ـ لو انهم ـ انتظروك حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم فى دينهم ودنياهم ، والله تعالى واسع المغفرة شامل الرحمة لمن تاب وآمن .

وكان ﷺ لا يحتجب عن الناس إلا فى أوقات يشتغل فيها بمهمات نفسه ، وذلك حق له ، فمن سوء الأدب إزعاجه فى تلك الحالة .

ومن هذا الأدب نعلم أنه ينبغى أن لا ينادى الناس بعضهم بعضاً من وراء مساكنهم ، وأن لا يستأذنوا فى لقائهم فى أوقات الراحة ، وأن يكون الاستئذان بالقرع الخفيف على الباب ، وقد قام مقامه الضغط على زر الكهرباء ليصلصل الجرس ، فإذا فتح لهم سلموا على رب الأسرة إذا كان هو الذى يفتح لهم . وكان الاستئذان قبل اتخاذ الأبواب على البيوت بالسلام أولاً ، بأن يقال: السلام عليكم أأدخل ؟ فإن استجيب له دخل ، وإلا انصرف .

وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ النور الآيتان ٢٧ ـ ٢٨ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ .

←

الخبر الصادق تكون آثاره حكيمة ، والخبر الكاذب تكون آثاره بعيدة عن الحكمة ، مجانبة للصواب ، لذا ينبغى التدقيق فى التعرف على راوى الخبر ، هل هو ممن عرف بالصلاح والصدق فَيُقْبَل خبرُه ، أم هو ممن عُرف بالفسق والكذب فيرد خبره ، وقد نزلت هذه الآية لتوعية المسلمين فى تلقى الأخبار ، لما يترتب عليها من الآثار .

سبب نزول الآية

روى سعيد عن قتادة أن النبى ﷺ بعث الوليد بن عقبة "مُصَدِّقا" إلى بنى المصطلق - أى جابيا للصدقة منهم وهى الزكاة فلما أبصروه أقبلوا نحوه فهابهم - لإِحْنَةٍ كانت بينه وبينهم كما جاء فى إحدى الروايات ، فرجع إلى النبى ﷺ ، فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام ، فبعث نبى الله ﷺ خالد بن الوليد ، وأمره أن يتثبت ولا يعجل ، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلا ، فبعث عيونه ، فلما جاءوا أخبروا خالدا أنهم متمسكون بالإسلام ، وسمعوا أذانهم وصلاتهم ، فلما أصبحوا أتاهم خالد ورأى صحة ما ذكروه ، فعاد إلى نبى الله ﷺ فأخبره فنزلت هذه الآية ، فكان يقول نبى الله ﷺ « التأنى من الله والعجلة من الشيطان » .

وفى رواية أخرى : أن النبي ﷺ بعثه إلى بنى المصطلق بعد إسلامهم . فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم خافهم ، فرجع إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره أن القوم قد هموا بقتله ومنعوا صدقاتهم ، فَهَمَّ رسول الله ﷺ بغزوهم ، فبينما هم كذلك إذ قدم وفدهم على رسول الله ﷺ فقالوا : يارسول الله ، سمعنا برسولك فخرجنا إليه لنكرمه ونؤدى إليه ما قِبَلَنَا من الصدقة ، فاستمر راجعا ، وبلغنا أنه يزعم لرسول الله - ﷺ - أنا خرجنا لنقاتله ، والله ما خرجنا لذلك ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

الجمع بين الروايتين

بالنظر فى الروايتين نجد أنهما اتفقتا على أن الوليد بن عقبة كان رسولَ رسولِ الله إليهم ، وذكرت أولاهما أن الرسول بعث خالداً على رأس جيش لتحرى الأمر ، وأوصاه أن لا يَعْجَل بقتالهم ، ولم تذكر الرواية الثانية ذلك ، بل قالت: إن النبى ﷺ هَمَّ بغزوهم ، ويحمل ما جاء فى هذه الرواية على أنه هَمَّ بغزوهم فبعث إليهم خالد بن الوليد لذلك ، لكنه أوصاه أن لا يعجل بقتالهم ، وذلك جمعا بين الروايتين ولم تذكر الأولى أن خالدا قدم بصدقتهم على رسول الله ، وذكرت الثانية أن بنى المصطلق هم الذين جاءوا بها بأنفسهم ، ليتبرءوا مما زعمه الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيْط ، وليؤكدوا أنهم باقون على الإسلام ، بذلك أمكن الجمع بين الروايتين ، والله تعالى أعلم .

هل كان الوليد فاسقا

الآية تقول : ﴿ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ وهى تشير إلى أن الوليد كان فاسقا حين إرساله ، فإذا كان كذلك فكيف يبعثه النبى ﷺ لجلب الصدقة من المسلمين والجواب أن النبى لم يكن يعلم بحاله ، فلما أرسله وحدث منه ما حدث ظهر فسقه ، فنزلت الآية للتحذير من قبول خبر من يحتمل أنه فاسق حتى يتبينوا صدقه ، فليس كل

المسلمين عدولا فيما بينهم وبين الله ، فمنهم ظاهر الفسق ، ومنهم من يحتمل أن يكون عدلا وأن يكون فاسقا فى نفس الأمر ، ومنهم من هو عدل فى باطنه وظاهره ، وبالتثبت من الخبر يعلم حاله وحال من جاء به ، حتى لا يتورط المسلم فى آثار الخبر الكاذب ، من العداوة والبغضاء والخصام والقتال .

أحكام مترتبة على الآية

قال القرطبى : فى هذه الآية دليل على قبول خبر الواحد إذا كان عدلاً ، لأنه إنما أمر بالتثبت عند نقل الفاسق الخبر ، ومن ثبت فسقه بطل قبول قوله فى الأخبار إجماعاً ، لأن الخبر أمانة والفسق قرينة تبطلها ، وقد استثنى الإجماع من ذلك ما يتعلق بالدعوى والجحود ، وإثبات حق مقصود له على الغير ، مثل أن يقول : هذا عبدى فإنه يقبل قوله ، وإذا قال : قد أنفذ فلان فلانا ، فإنه يقبل منه ذلك ، وكذا يقبل فى مثله خبر الكافر ، وكذا إذا أقر لغيره بحق على نفسه فلا يبطل إجماعا وأما فى الإنشاء على غيره :

فقال الشافعى وغيره : لا يكون وليا فى النكاح ، وقال أبو حنيفة ومالك: يكون وليا ؛ لأنه يلى مالها فيلى بضعها كالعدل ، وهو وإن كان فاسقا فى دينه ، إلا أن غيرته مُوَفَّرة ، وبها يحمى الحريم ، وقد يبذل المال ويصون الحرمة ، وإذا ولى المال فالنكاح أولى .

المعنى الاجمالى للآية

ياأيها الذين آمنوا بالله ورسوله ، إن جاءكم من يحتمل فسقه بخبر فتثبتوا من صدقه ، وبخاصة إذا كانت تترتب عليه آثار خطيرة ، لكى لا تصيبوا قوما وتعتدوا عليهم وأنتم جاهلون للحقيقة ، فتصبحوا نادمين على مافعلتم من التسرع فى الانتقام منهم قبل التثبت من حالهم ، وذلك حين تتبين الحقيقة مخالفة للخبر بعد التورط فى آثاره .

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾

المعنى : واعلموا ياأصحابة رسول الله ، أن فيكم رسول الله ، فاصْدُقُوه ولا تَكْذِبُوه ، وعظموه ووقروه ، وتأدبوا معه وانقادوا لأمره ، فإنه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم ، ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم ، فلو سارع إلى ما أردتم قبل وضوح الأمر ، لنالتكم المشقة والإثم ، فإنه لو قتل القوم الذين كَذَبَ عليهم الوليد بن عقبة لكان خطأ كبيرا ولأصاب العنت والإثم الوليد بن عقبة الذى أراد قتالهم لعداوة كانت بينه وبينهم ثم خاطبهم الله مشيرا إلى أنهم مع خطئهم فى المشورة فى كثير من الأمور مقيمون على الحق فقال : ﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ أى ولكن الله جعل الإيمان بالله ورسوله ، أحب إليكم من الإيمان بسائر الأديان ، وحسنه فى قلوبكم حتى اخترتموه ، وكره إليكم الكفر والفسـوق والعصيان فرفضتموها ، أولئك الذين وفقهم الله إلى ذلك هم الراشدون المستقيمون على طريق الحق مع تصلب فيه .

والرشد مأخوذ من الرشادة ، وهى الصخرة .

﴿ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أى فعل الله ذلك بكم فضلا وإنعاما ، والله عليم بما يصلحكم ، حكيم فى تدبيركم .



عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(لا يؤمن أحَدُكُم حتّى أكُونَ أحبَّ إليهِ مِنْ وَلَدِه وَوَالِدِه والنّاسِ أجْمعِين)
رواه مسلم .

اللغة : ١ ـ لا يؤمن : لا يستكمل الإيمان ـ او أن حقيقة الإيمان لا تَتمُّ إلا بذلك .

٢ ـ أَحَبَّ إليه : أى يؤثر رضاى على هواه .

ثانيا : ما يشتمل عليه الحديث :

١ ـ محمد (صلى الله عليه وسلم) قدوة .

٢ ـ الرابطة بين محمد « صلى الله عليه وسلم » وأتباعه .

٣ ـ حب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليس دعوة باللسان .

البيان

١ ـ محمد صلى الله عليه وسلم قدوة

محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رسول العناية الإلهية الذى تدين الإنسانية له بالهداية بعد الضلال ، وبالعلم بعد الجهل ، وبالإيمان بعد الكفر ، غرس الإيمان فى القلوب ، وملأ بالمعرفة العقول ، وأزال الغشاوة عن العيون .

محمد رسول الله سيرةٌ عطرة ، وذكرى عظيمة ، حبيبة إلى النفس والقلب ، وصورة ماثلة أمام المسلم يحتذيها فى حركاته وسكناته ، ونموذج عملي يطبقها فى كل أعماله . نِعْمت العبرة والاقتداء والتأسى برسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

٢ ـ الرابطة بين محمد (صلى الله عليه وسلم) وأتباعه

إن الرابطة بين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين المسلمين من أمته هى رسالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى رابطة تنشأ وتقوى وتَصْلُب كلما استطاع المسلمون أن يخضعوا رغباتهم وأهواءهم لما جاء به صلى

للأستاذ / محمد صابر البرديسى

الله عليه وسلم ، فَاتِّبَاعُهُ - صلى الله عليه وسلم - هو الخيرُ كله وبقدر هذا الاتباع تكون الرابطة قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

لقد جعل الله سنته مرجعا فى كل أمر ، ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ النساء آية ٥٩ .

وجعل طاعته طاعة لله ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ .

وجعل متابعته حُبًّا لله ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ .

ومعنى ذلك أن يكون حب الرسول « صلى الله عليه وسلم » هو الذروة العليا ، والغاية القصوى ، والا يبلغه أو يقاربه ويدانيه حب المرء لماله أو والديه أو بنيه ، أو نفسه التى بين جنبيه ، أو أى عرض من أعراض الدنيا مهما عز وعلا . فى رواية لمسلم عن أنس « رضى الله عنه » قال : قال (صلى الله عليه وسلم) : « لا يؤمن الرجل حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين » .

وقال له مرة « عمر بن الخطاب » : يارسول الله ، والله إنك أحب إلى من كل شىء إلا من نفسى ، فقال : لا ياعمر ، حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال عمر ، والله يارسول الله إنك أحب إلى من كل شىء حتى من نفسى ، فقال له : الآن ياعمر .

أى الآن ياعمر بلغت كمال الإيمان وتمامه .

إن الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة لاتتحقق إلا إذا انبعثت عن الحب الصادق لمن يقتدى به .

وليس هناك بشر على الإطلاق يمكن أن يحل محل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

قال الإمام مالك (رضى الله عنه) : « كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم » (صلى الله عليه وسلم) .

٣ - حب الرسول (صلى الله عليه وسلم)

ليس دعوة باللسان

إن حب الله وحب رسوله ، ليس دعوة باللسان ، ولاهياما بالوجدان ، أو مجرد شعائر تقام ، ما لم يصاحبه اتباع لكتاب الله وسنة رسوله ، والسير على هداهما ، وتحقيق منهجهما فى الحياة .

وكل من ادعى محبة الله ورسوله ، ولا يسير على منهج الله وهديه فقد افترى .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ) رواه مسلم .

محمد صابر البرديسى

القرآن والمرأة

للمرأة - فى الإسلام - مكانة التبجيل والتكريم مثلما لآل عمران - فى السورة السابقة على سورة يوسف - مادامت مثل آل عمران فى طاعة الله، وفى طاعة رسوله - ﷺ.

ومطلوب منها - فى الإسلام - أن تكون نقية طاهرة زكية شفافة، لها كمال التوقير والاحترام.

والمرأة فى نظر الإسلام مطالبة بأن تكون مصدر كمال الأخلاق وجاءت سورة النساء لتنشىء حياة المرأة المسلمة على هذه الوتيرة فوضعت سورة النساء بين سورتى: آل عمران، والمائدة ليكون لها من السابق الشرف، ومن اللاحق كمال الأخلاق الفاضلة.

ولن يكون للمرأة المسلمة هداية إلا إذا خضعت لما جاء فى القرآن الكريم من التكاليف.

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ١٣ - ١٤ - النساء.

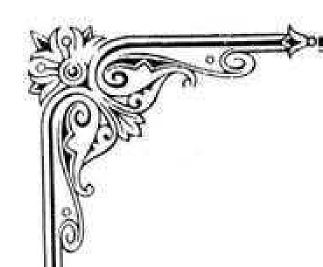
ويلاحظ فى ختام الآية الثانية أن القرآن الكريم آثر لفظ (عذاب مهين) بدل (عذاب اليم)، أو (عظيم)؛ لأن سياق الآيات فى مقام إظهار تكريم الله للرجال والنساء والذى يقابل التكريم هو الإهانة فكأنما المقابل لهذا التكريم الالهى هو الإهانة ومن صورها الخروج على أحكام الشرع الحنيف وهداية القرآن الكريم.

نماذج من سلوكها

ومع إبراز مكانة المرأة هكذا فقد قدم القرآن الكريم نماذج تبين سلوكها وأعمالها ولم يترك القرآن الكريم وضع مقارنة بين صنفين من النساء ليبين أن الخير فى عالم المرأة له نماذج وأن الشر فى عالم المرأة له نماذج كذلك يقول الله تعالى:

﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ ١٠ - التحريم.

﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ



للأستاذ الدكتور
رءوف شلبي
وكيل الأزهر

﴿ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ ١١ ـ ١٢ ـ التحريم .

والآيتان فيهما استقلال المرأة فى التصرف واستقلالها فى تحمل ما يترتب على هذا التصرف .

فزوجتا نوح ولوط كان لهما موقف الخيانة وهو عدم اتباع الرسالة وإفشاء سر زوجيهما فاستقلتا بالتصرف فى هذا الموقف وما ترتب عليه من دخولهما النار ، ولم تنفع واحدة منهما انها كانت زوجة نبى فمن لم يسرع به عمله لم يسعفه نسبه .

وعلى العكس تماما كان تصرف زوجة فرعون المسلمة فهى فى الجنة لإيمانها ولا يلحقها تحمل مسئولية بسبب ضلال زوجها .

وصورة الخضوع للطاعة كانت من مريم البتول التى استسلمت لأوامر الله وقضائه فى مواجهة ترهات اليهود وأباطيلهم .

مقارنة يعقدها القرآن الكريم بين نوعين من النساء لبيان أن عالم المرأة ليس شرا كله وليس خيرا كله ، وأن أمرها دائر حول الاتباع أو الابتداع .

ويستفيض القرآن الكريم فى التحدث عن المرأة ، فيصف مشاعرها كما يقول الله تعالى :

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ١٠ ـ القصص

ويتحدث عنها كأخت : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ ١١ ـ ١٢ ـ القصص .

ومن هذه النماذج القرآنية يمكن استخلاص ضابط للحديث عن المرأة ذلك الموضوع الذى عج به كثير من الكاتبين والمتحدثين .

ضابط

والضوابط التى نستخلصها من هذه المواقف القرآنية هى : أن مقام الحديث عن المرأة له ثلاثة جوانب :

- جانب أنوثتها .
- جانب حقوقها .
- جانب واجباتها .

جانب الأنوثة

يضع الإسلام الحنيف المرأة وأنوثتها فى الموضع الطبيعى المتزن اللائق بها وبطبيعتها فلم يخرجها النظام الإسلامى من دائرة الأنوثة إلى دائرة الخشونة فيوجب عليها رعاية الأسرة ماديا فترهق جسمها وفكرها فى العمل من أجل الحصول على اقتصاديات تعيُّش الأسرة ، بل أعفاها الإسلام من هذا الواجب وحمله للرجل .. وهذا آخر آمال المرأة المعاصرة فى سويسرا حيث تطالب النسوة بالعودة إلى البيت وإعطاء الرجل ٥٠٪ من المرتب فقد ضاقت المرأة ذرعا بالعمل بعد أن فسد بيتها وترهل جسمها وهى ماتزال صغيرة السن والشباب .

ولذا فقد كانت قوامة الأسرة حملا على الرجل : قال تعالى :
﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ ٣٤ ـ الآية النساء .

وظروف نظافة المرأة مسألة حساسة ودقيقة جداً فكما أن المرأة الطبيعية لا تحب أن يطلع الرجل ـ زوجها ـ على ظروفها المتعلقة بأحوال نظافتها وهى كثيرة ومتعددة فإن الإسلام شرع لها ألا تكون هذه الزينة كلا مباحا لكل عين ، وأنف ، ويد . فارتقى الإسلام بها إلى سمو الفضيلة والعفة والستر ونأى بها عن موطن الرذيلة ومظان الشبهات ، وسما بها عن أن تكون متعة شهوانية تبتذل بعد حين .. وهو حين قصير وإن طال وجعلها الإسلام درة البيت المضيئة ، وبركته العائدة ، وأنسه الوديع ، وعطره الفياح « إذا نظر إليها زوجها سرته ، وإذا غاب عنها حفظته فى عرضه وماله » .

جانب الحقوق

أعطى الإسلام المرأة حق التعبير عن إرادتها ، وضمن لها ملكيتها سواء كانت مع زوجها أو أخيها أو عند عمها أو تحت وصى وهى يتيمة ، وجعل ولايتها على مالها حقا مكفولا ، ولم يجز الإسلام أخذ شىء من ممتلكاتها بأى لون من ألوان الضغط حتى ولو كان الضغط بسيف الحياء . قال تعالى :
﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ ٣ ـ النساء .

فهذا فقط هو الحد الذى يجوز فيه أن يأخذ الرجل شيئاً من مال زوجته .

وقد احتاط الإسلام كثيرا فى المحافظة على مالها فجعل شرط الأخذ هو طيبة النفس ، وجعل الفعل الدال على هذه الطيبة فعلا للشرط ، وعبر عن الذى سيسمح به بلفظ شىء للدلالة على أنه لا يجوز اقتراح كمية معينة ، وأثبت لها حق الملكية بالتبعيض الذى وقع على ما تملكه ، وأتى بالفاعل تمييزا .. ليدل على أن قيود فعل الشرط ملاحظ فيها كمال الملكية وكمال الحرية فى التصرف ، وكمال الرضا فى السماح بأخذ شىء ما .

ـ ولم يلغ الإسلام اسم أبيها كما يفعل المجتمع الأوروبى وغيره .

- ولم يعلق الإسلام أهليتها فى التصرف على إذن ولى لها .. كما يفعل الانجليز .

- ولم يحرمها من ممارسة الحقوق المالية رغم عدم وجوب تكليفها بالإنفاق على البيت على عكس ما يجرى فى أوروبا الحديثة .

- ولم يكلفها بالعمل وجوبا للسعى على المعيشة كما ترهق المرأة فى الهند وجنوب شرقى آسيا وأوروبا نفسها للحصول على قوتها وقوت زوجها وقوت أولادها ..

جانب الواجبات :

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ ١٨٧ - البقرة .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ٢١ - الروم .

● إنها : انس ، وسكن ، وستر ، ولهذا حرم الإسلام على امرأة أن تصف مفاتن امرأة أخرى عند زوجها ففى البخارى « لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها » .

● ومن أجل هذا حرم الإسلام على المرأة أن تنظر إلى عورة المرأة كما حرم ذلك بين الرجال ، ففى مسلم والنسائى : لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضى الرجل إلى الرجل فى ثوب واحد ، ولا تفضى المرأة إلى المرأة فى الثوب الواحد .

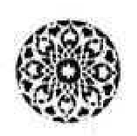
● ويحمل الإسلام المرأة مسئولية انحراف المجتمع لأنها هى العامل الإيجابى فى اشاعة الفتنة ففى الحديث الشريف :

« ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » .[1]

● ومع هذا فإن النبى ﷺ مازال يوصى بالنساء خيرا ففى الحديث : « استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع أعوج ، وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا » .[2]

وبالله التوفيق

رءوف شلبى



(١) انظر « ابن ماجة » باب « فتنة النساء » .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

نحو بيت سعيد

إن البيت المسلم السعيد هو الدعامة الأساسية لقيام المجتمع المسلم الرشيد وإن الأسرة المسلمة الآمنة المستقرة ضرورة لابد منها لصلاح المجتمع وتماسكه وشرط لامفر منه إذا ماأريد لأمة أن تعز وان تنتصر وتسود ولهذا كانت عناية الإسلام كبيرة بالأسرة فاقام على الحق والعدل بناءها وثبت بالود قواعدها وقوى بالخوف من الله عُراها .

ولهذا بذل أعداء الإسلام جهوداً مضنية لتدمير الأسرة المسلمة وتفكيك أواصرها ، وسلكوا إلى ذلك سبلاً شتى . حرضوا الزوجات على التمرد على أزواجهن وزينوا للنساء سبيل هجر البيوت والانطلاق إلى الشوارع والطرقات فى ظل شعارات زائفة . ونشأت من جراء ذلك مشاكل لم تكن لتوجد أصلاً لو أن الأمور سارت وفق ما أمر الله .

وعمل أعداء الإسلام كذلك بما يملكون من وسائل الإعلام وغيرها على تخريب علاقات الحب والاحترام بين الآباء والأبناء وبين الأمهات والبنات وبين الشيوخ والشباب ، تحت ستار مبادىء اخترعوها مثل ضرورة الاختلاف بين الأجيال وما إلى ذلك من الاباطيل والأقوال ، وإذا كان أتباع الباطل جادين فى نصرة باطلهم فأولى بأتباع الحق أن ينصروا حقهم لكن ذلك يقتضى عملاً دءوبا وجهاداً مستمراً فى جميع المجالات وعلى كل المستويات حتى يتحقق الأمل وتجنى الثمار ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة الروم ٤ ، ٥] .

كيف تتحقق السعادة فى البيت ؟

البيت المسلم يتكون من رجل وامرأة جمع بينهما الزواج الشرعى المعلن ، والزواج ـ الذى هو أصل الأسرة فى الإسلام ـ تنظيم لفطرة أودعها الله فى الإنسان ، به يتميز عن الحيوان ، وهو إشباع لهذه الفطرة بطريقة كريمة تناسب الإنسان الذى كرمه الله واستخلفه فى الأرض لعمارتها .

يقول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء ـ ٧٠] .

فضيلة الشيخ
السيد عبد المقصود عسكر

وإذا تصورنا أن عقد الزواج بين رجل وامرأة هو عقد شركة بين طرفين كل منهما كامل الأهلية ، فإن كل شركة قابلة للربح والخسارة تربح إذا نظمت تنظيماً سليماً وأديرت إدارة رشيدة وأدى كل شريك واجبه على الوجه الأكمل ، وسادتها روح التفاهم والمودة وتوافرت فيها الأمانة والإخلاص بين طرفيها .

يقول الله فى الحديث القدسى : « أنا ثالث الشريكين مالم يخن أحدهما صاحبه فإذا خانه خرجت من بينهما » (الحديث رواه أبو داود) .

والإسلام يبغى لشركة الزواج التى تنشأ بين رجل مؤمن وامرأة مؤمنة أن تنجح وتربح وتثمر أطيب الثمرات ذرية طيبة تجاهد فى سبيل الله وترفع راية الحق وتنشر العدل والسلام فى الأرض ومن أجل ذلك رسم الإسلام طريقاً واضح المعالم ميمون الخطوات .

أولاً : اختيار طرفى الشركة :

وحتى لا نخدع بالمظاهر أو نتأثر بالأهواء فنقع فى الخطأ أرشدنا الإسلام إلى الطريقة المثلى لاختيار شريك الحياة .

يقول رسول الله ﷺ « تنكح المرأة لأربع . لمالها وجمالها ولحسبها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » الحديث متفق عليه .

فمن استطاع الحصول على امرأة ذات خلق ودين تشاركه الحياة فى بيته زوجة صالحة فقد ظفر وانتصر . وذلك لا يعنى أن الجمال مرفوض فإن وجوده من أسباب السعادة بلاشك وكذا بقية الصفات المذكورة فى الحديث[1] وعليه فيجب أن تتوافر فى المرأة مع الدين صفات :

١ - **الجمال** : لقوله ﷺ « انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » (الحديث رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة) .

٢ ، ٣ - **أن تكون ودوداً ولوداً** . لقوله ﷺ « تزوجوا الودود الولود » .. (رواه أبو داود والنسائى) .

٤ - **ويستحب أن تكون قليلة المهر** لقوله ﷺ « أعظم النساء بركة أيسرهن صداقاً » (رواه الإمام أحمد والبيهقى) .

←

---

(١) غير أنه ينبغى الا يكون هو الهدف

لحديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه وقد تزوج ثيباً فقال له رسول الله ﷺ « هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك » . (متفق عليه) .

أما أهم الصفات التى ينبغى أن تتوافر فى الزوج فهى الدين والخلق . يقول رسول الله ﷺ : « إذا أتاكم من ترضَوْن دينه وخلقه فزوجوه . إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض » (رواه الترمذى وأحمد) .

وقال رجل للحسن : إن لى بنية فمن ترى أن أزوجها ؟ فقال : زوجها ممن يتقى الله فإنه إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها .

ثانياً : إدارة الشــــركة :

لابد لنجاح أية شركة من وجود إدارة تقوم بشأنها وتحفظ أمرها ، وأن تكون لهذه الإدارة صلاحيات البت فى كل ما يطرأ من مشاكل أو يستجد من أحوال ، ولا يقبل أبداً أن تترك هذه المسألة دون تحديد واضح لئلا يتنازع الطرفان الرئاسة ويتجاذبا القيادة فيقع الخلاف وتدب الفوضى ويحل الشقاء .

وبنظرة موضوعية نتساءل : أي الطرفين مؤهل للقيادة فى شركة الأسرة الرجل أم المرأة ؟ لقد أنعم الله على النساء بقسط وافر من جيشان العاطفة ونبل المشاعر ورفاهة الإحساس . وفى مقابل ذلك أنعم على الرجال بنصيب أوفر من حسن التبصر ودقة التفكر وعظيم الروية والنظر فى عواقب الأمور دون تسرع أو انفعال(٢) ، ولا ينكر ذلك إلا جاحد ومكابر .

إن من مصلحة هذه الشركة ومن أجل سعادة طرفيها المؤسسين ومن يعيش فى ظلالها من بنين وبنات أن يسلم زمام الإدارة إلى الزوج ، رب الأسرة وعمادها ومثلها الأعلى . وهذا ماجاء به القرآن وأمر به الله العلى الحكيم بقوله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ [النساء ٣٤] .

ثالثاً : التشـــاور :

ومادامت القوامة حكماً ورياسة ؛ فإن كل حاكم فى الإسلام ليس مطلق الصلاحيات وإنما هو محكوم بشرع الله مسئول بين يديه عن رعيته التى استرعاه : حفظهم أم ضيعهم ؟ عدل فيهم بمقتضى أمر الله ونهيه أم ظلمهم ؟

والشورى شرعة شرعها الله فى دينه لتقوم عليها العلاقة بين الحاكم والمحكوم ولا يظن أحد أن ذلك خاص بحكام الأمة وأمرائها وإنما هو عام يشمل كل حاكم وكل قائد على أي مستوى وفى أي موقع .

---

(٢) هذا هو الغالب المشاهد ، وليس يعنى أن المرأة قليلة التبصر ، وأن الرجل خلو من العاطفة .. مجلة الأزهر ..

رابعاً : توزيع الأعمال والاختصاصات :

فى كل شركة لابد أن يكون لكل شريك حقوق وعليه واجبات حتى تستقيم الأمور وكذلك فعل الإسلام بالنسبة للبيت فقد جعل لكل من الزوجين حقوقاً ورتب عليها واجبات ، ولن **تتحقق السعادة** إذا أهمل أحد الطرفين اداء واجبه وراح يطالب الآخر بحقوقه عليه وإنما ينبغى لكل منهما أن يبادر بتأدية ماعليه من واجبات رغبة فى إسعاد شريكه وإدخال السرور على نفسه وعلى الآخر مثل ذلك .

فقد تكفل الله سبحانه وتعالى وهو أحكم الحاكمين بتحديد تلك الحقوق والواجبات حتى لا يتظالم الشريكان فتتبخر السعادة ، ووفق قاعدة متوازنة دقيقة من صنع العليم الحكيم تقرر الأمر على أساس العدل ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة ٢٢٨]

خامساً : حقوق الزوجة :

قرر الإسلام للزوجة حقوقاً طالب بها الزوج وحثه على القيام بها بحكم ولايته للأسرة ورياسته لها ومسئوليته عنها . منها :

١ - أن يكون حسن الخلق فى معاملتها ،

وليس حسن الخلق أن يكف الأذى عنها فحسب ولكن معناه أن يتحمل ما قد يبدر منها وأن يكون حليماً عند غضبها ، اقتداء برسول الله ﷺ .

٢ - المداعبة والمزاح والملاعبة : فإنه بهذا تطيب قلوب النساء ويغشاهن السرور والحبور ويأنسن بالزوج ويسعدن بقربه وهكذا كان رسول الله ﷺ . فقد روى أنه كان يسابق عائشة رضى الله عنها فسبقته مرة وسبقها أخرى فقال هذه بتلك » رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه .

وهو ﷺ القائل « اكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله » رواه الترمذى والنسائى والحاكم .

٣ - أن يغار عليها : وغيرة الرجل على امرأته من ثمرات الإيمان ومن دلائل المروءة وأمارات الحب قال رسول الله ﷺ : « أتعجبون من غيرة سعد أنا والله أغير منه والله أغير منى » (متفق عليه) .

وغيرة الله أن يأتى الرجل المؤمن ماحرم الله عليه .

والغيرة المحمودة هى الغيرة المعتدلة ، اما الغيرة المفرطة والتى لايوجد لها مبرر فهى مذمومة قال رسول الله ﷺ : « إن من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل . وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة » (رواه أبو داود والنسائى وابن حبان) .

حقوق الزوج :

وكما أن على الزوج حقوقاً لزوجته فكذلك

←

نحو بيت سعيد

للزوج حقوق على امرأته . وقاعدة الإسلام العادلة أنه لاحق إلا في مقابلة واجب ، ونذكر من هذه الحقوق مايلي :

١ ـ **الطـاعة** : فلايجوز للمرأة عصيان زوجها أو مخالفة امره إلا فيما حَرَّمَ الله وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ « لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها » (رواه الترمذى وابن ماجة) .

٢ ـ **التجمـل** : على المرأة أن تتجمل لزوجها وأن تتزين له بحيث لا يقع نظره عليها إلا وهى فى أحسن حالاتها بهاء . .

٣ ـ **أن تكون بارة بزوجها** : ومن البرّ به أن لا توقعه فى الحرج والإثم بعنادها وإصرارها على خلاف ما يطلب وعمل مالا يرغب خاصة إذا اقسم عليها أن تفعل شيئاً ما او أقسم عليها أن لا تفعل[٣] .

والمرأة الصالحة تبرّ زوجها إذا اقسم ولاتضطره للتكفير عن يمينه بعد الحنث فيه ، لأنها تخشى الله وترعى حق زوجها ولاتضطره لتحمل المشقات فضلاً عما يسببه هذا التصرف من انعكاسات تعود على البيت . .

٤ ـ **الرعاية التامة** : وتعنى أن على المرأة أن ترعى حق زوجها غائباً وحاضراً فلاتدنس عرضه ولاتبدد ماله وتبتعد عن كل مايسوءه أو ينال من سمعته وأن ترحم ابناءه وبناته سواء كانوا ابناءهما معاً أم لا

قال رسول الله ﷺ : مااستفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة ، إن امرها اطاعته . وإن نظر إليها سرته . وإن اقسم عليها ابرته . وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » (رواه الإمام أحمد) .

٥ ـ **القنـاعة** : يجب على الزوجة العاقلة أن لاترهق زوجها بكثرة المطالب وأن تكون قانعة راضية بما قسم الله لها . فإن كثرة مطالب المرأة ربما دفعت زوجها إلى السعى فى كسب الحرام وفى ذلك شقاء الأسرة كلها فى الدنيا والآخرة وأيضاً فإن كثرة مطالب الزوجة تجعل الزوج يعيش مهموماً مغموماً عندما لا يستطيع تلبية مطالبها . وهمه وغمه لابد أن ينعكس عليها والبيت كله .

---

(٣) أي وهو فى كلا الحالين لا يأمر بمعصية ، أو ينهى عن طاعة . وفى النهى عن الطاعة له ذلك فى حدود مارخص الشارع له كأن يمنعها من صيام غير فرض اثناء إقامته لا سفره .. مجلة الأزهر .

وفى الكتاب العزيز : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ .

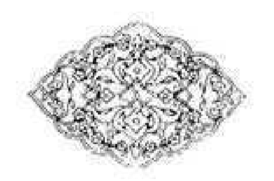
٦ ـ **الوعـظ والتهـذيب** : قرر الله تبارك وتعالى هذا الحق ليستعان به على حفظ دعائم البيت كيلا تعصف به رياح الغضب أو تدمره عواصف الخلاف .

ولأن الرجل هو المسئول عن حفظ البيت ورعايته والدفاع عنه ضد الأنواء والأعاصير فقد كلفه الله تبارك وتعالى بذلك فى قوله الحكيم : ﴿ وَاللَّاتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِى الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً . إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً ﴾ [النسـاء ٣٤] .

فإذا ظهرت على المرأة أعراض النشوز ـ وهو التمرد والعصيان ـ فإنه يحق للزوج أن يقوم بنصحها ووعظها حيث يذكرها بالله ويخوفها من غضبه وعقابه، ويذكرها كذلك بحقه عليها،وأن الله فرض عليها طاعته . على أن يكون ذلك بطريقة حكيمة مؤثرة،وليس له أن يزيد على ذلك من نحو سب أو شتم أو كلام مكروه،فإن لم ينفع هذا العلاج كان له أن ينتقل إلى مابعده وهو الهجر بأن يعرض عن كلامها وليس له أن يزيد فى ذلك على ثلاثة أيام ، وأن يعتزل فراشها ولايزيد ذلك على شهر وقوفاً عند حدود ماورد فى ذلك ، فإذا لم ينفع هذا العلاج أيضاً انتقل إلى الأمر الثالث وهو الضرب ، وكان ﷺ يكرهه وما فعله قط .

وبعد :

فإن البيت السعيد يزهى بالمرأة الصالحة الحافظة لزوجها ، ونفسها ، وبيتها ، القائمة على رعاية ما استرعاها الله ـ سبحانه ـ وهى التى يبارك لها ، ويتم بها الخير والسعادة ،



● مجلة الأزهر : هذا الجزء من بحث قيم تقدم به كاتبه إلى مجلة الأزهر ، التى ترجو أن يتاح لها فرصة العرض منه إن شاء الله . عادل رفاعه خفاجة ..

أبو عمرو بن العلاء البصري

الإمام أبو عمرو بن العلاء البصرى :
زَبَّان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحسين بن الحارث بن جلهم ابن حجر بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن معد بن عدنان .
الإمام السيد أبو عمرو التميمي المازني البصرى أحد القراء السبعة .

قال : الحافظ أبو العلاء الهمزانى : هذا الصحيح الذي عليه الحذاق من النساب .
وقد قيل إنه من بنى العنبر . وقيل من بنى حنيفة .

وحكى القاضى أسد اليزيدي : انه قيل إنه من فارس . من موضع يقال له : « كازرون »[1] .

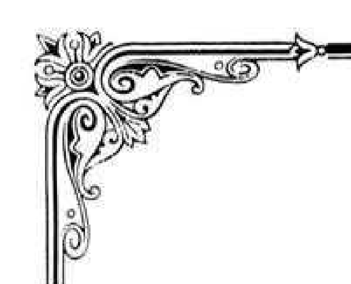
وقد اختلف في اسمه على أكثر من عشرين قولًا لا ريب أن بعضها تصحيف من بعض . وأكثر الناس من الحفاظ وغيرهم . على أنه زَبَّان كما ذكرنا .

وقال الذهبي : والذي لا أشك فيه أنه زبان بالزاى . وقد أغرب ابن الباذش في حكايته ـ ربان بالراء الموحدة . وأغرب من ذلك ما حكاه أبو العلاء عن بعضهم ـ ريان ـ بالراء . وآخر الحروف ـ أى الياء ـ قال : وهو تصحيف .

وجاء في إبراز المعانى : البدر الثالث أبو عمرو بن العلاء البصرى المازنى من بنى مازن بن مالك بن تميم بن مر .. هو الخالص النسب ، وليس في السبعة من أجمع على صراحة نسبه غيره .

---

(١) بلدة معروفة من فارس .



لفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

مولده :

ولد سنة ثمان وستين ، وهناك روايات مختلفة في سنة مولده ، لكن المقدم هو الذى أثبتناه ، وقد حكى بعضهم أنه ولد سنة خمس وخمسين .

رحلته في طلب العلم وأساتذته

توجه مع أبيه لما هرب من الحجاج .. فقرأ بمكة والمدينة .. وقرأ أيضاً بالكوفة والبصرة على جماعة كثيرة . **فليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه :**

سمع أنس بن مالك . وقرأ على الحسن بن أبى الحسن البصرى ، وحميد بن قيس الأعرج ، وأبى العالية : رفيع بن مهران الرياحى – على الصحيح ، وسعيد بن جبير ، وشيبة بن نصاح ، وعاصم بن أبى النجود ، وعبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى ، وعبد الله بن كثير المكى ، وعطاء بن أبى رباح ، وعكرمة بن خالد المخزومى ، وعكرمة مولى ابن عباس ، ومجاهد بن جبر ، ومحمد ابن عبد الرحمن بن محيصن ، ونصر بن عاصم ، والوليد بن يسار ، ويقال : بشار الخزاعى ، وأبى جعفر يزيد بن القعقاع المدنى . ويزيد بن رومان ، وسعيد بن جبير ، وحميد بن قيس ، وعن أهل الحجاز ، وغيرهم .

قال الحسن بن مخلد : حدثنا محمد بن إسماعيل قال : حدثنا ابن المبارك قال : قرأت على أبى عمرو بن العلاء .

قرأ أبو عمرو على مجاهد ، وقرأ مجاهد على ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – وقرأ ابن عباس على أبيّ – رضى الله عنه – وقرأ أبيّ على النبي ﷺ :

وفي هذا بيان لسنده – رضى الله عنه – إلى رسول الله – ﷺ .

قال فضلان[٢] المقرىء : حدثنى أبو حمدون عن اليزيدي عن أبى عمرو قال : سمع سعيد بن جبير قراءتى فقال : الزم قراءتك هذه .

وقال أبو سفيان بن العلاء ، أخو أبى عمرو بن العلاء : « كان أبو عمرو إذا لم يحج أمرنى[٣] . فسألت عكرمة بن خالد

←

(٢) لم أجده في طبقات القراء – لا في شيوخ ابن مجاهد ، ولا في تلامذة أبى حمدون الذهلى .
(٣) أى أمره بالحج ليلقى عكرمة بن خالد المخزومى ، وكان قد عرض عليه القرآن بمكة . وقد روى عكرمة القراءة عَرْضاً عن أصحاب ابن عباس . وكان حجة ثقة ، توفى سنة ١١٥ هـ .

رجال القراءات

المخزومي عن الحروف » أى عن وجوه القراءات وكلماتها .

وكان أبو عمرو حسن الاختيار ، سهل القراءة ، غير متكلف يؤثر التخفيف ما وجد إليه السبيل .

وكان في عصره جماعة من أهل العلم بالقراءة لم يبلغوه . منهم عبد الله[4] بن أبى إسحاق ، وعاصم[5] بن أبى الصباح الجحدرى ، وعيسى بن عمر الثقفى النحوى . وكان هؤلاء أهل فصاحة أيضاً ، ولم يحفظ عنهم في القراءة ما حفظ عن أبى عمرو . وإلى قراءته صار أهل البصرة أو أكثرهم .

تلاميذه

روى عنه القراءة على بن نصر ، وحماد بن زيد ، وعبد الوارث بن سعيد ، وهارون بن موسى الأعور العتكى ، وأبو زيد سعيد بن أوس ، ويونس بن حبيب ، وعبيد بن عقيل ، ويحيى بن المبارك اليزيدي ، وعبد الملك بن قُريب الأصمعى ، وشجاع بن أبى نصر ، وأبو نعيم الخراسانى ، ومعاذ بن معاذ العنبرى ، وسهل بن يوسف ، وحسين بن على الجُعفى ، وخارجة بن مصعب ـ وداود بن يزيد الأودى ، ومحبوب بن الحسن ، وعبد الرحيم بن موسى ، وعبد الوهاب بن عطاء الخفاف ، وأحمد بن موسى اللؤلؤى ، والعباس بن الفضل الأنصارى قاضى الموصل ، وقد روى غير هؤلاء حروفاً ليست على كثرة ما روى هؤلاء ـ فأمسكت عن ذكرهم .

وفي العرض والسماع :

روى القراءة عنه عَرْضاً وسماعاً أحمد بن محمد بن عبد الله الليثى المعروف بـ « ختن ليث » ، وأحمد بن موسى اللؤلؤى ، وإسحاق بن يوسف بن يعقوب الأنبارى المعروف بالأزرق ، وحسين بن على الجعفى ، وخارجة بن مصعب ، وخالد بن جبلة اليشكرى ، وداود بن يزيد الأودى ، ويونس بن حبيب وغيرهم . وروى عنه الحروف[6] محمد بن الحسن بن أبى سارة ، وسيبويه ، وكان أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والثقة والزهد ..

قال الأصمعى : قال لى أبو عمرو : لو تهيأ لى أن أفرغ ما في صدرى في صدرك لفعلت . لقد حفظت في علم القرآن أشياء لو كتبت ما قدر الأعمش على حملها . ولولا أن ليس لي أن أقرأ إلا بما قُرىء لقرأت كذا وكذا وكذا وكذا ، وذكر حروفاً .

---

(٤) عبد الله بن أبى اسحاق إمام البصريين في النحو ، مقرىء ثقة . توفى سنة ١١٧ هـ ، وهو جد يعقوب الحضرمى . أحد القراء العشرة .

(٥) عاصم الجحدرى من قراء البصرة . توفى سنة ١٢٨ هـ . ومثله عيسى بن عمر الثقفى . وقد مر ذكره .

(٦) سبق أن بينا أن الحروف يعنى بها القراءات .

وقال أبو عبيدة : كانت دفاتر أبى عمرو ملء بيت إلى السقف ، ثم تنسك فأحرقها ، وتفرد للعبادة ، وجعل على نفسه أن يختم القرآن في كل ثلاث .

وقال أيضاً : حدثنا أبو عمرو قال : أخافنا الحجاج فهرب أبى نحو اليمن . وهربت معه ، فبينما نحن نسير إذا أعرابى ينشد على بعير له :

لا تضيقَنَّ بالأمور فقد تفـ
ـرج غماؤها بغير احتيال
رب مـا تكـره النفـوس مـن الامـ
ـر له فرجة كحل العقال

فقال أبى : ما الخبر ؟ فقال : مات الحجاج ، فكنت بقوله(فرجة) أَسَرَّ منى بقوله : مات الحجاج .

وقال الأصمعى : سمعت ابا عمرو يقول : ما رايت احداً قبلى اعلم منى . وقال الأصمعى :انا لم ار بعد ابى عمرو اعلم منه . وكان إذا دخل شهر رمضان لم يُتِمَّ فيه بيتَ شعر ، وسمعته يقول : اشهد ان الله يضل ويهدى ـ ولله مع هذه الحجة على عباده .

وكان ـ رضى الله عنه ـ صاحب كرامة يأبى أن يتحدث عارفوه بها .

وروينا عن الأخفش قال : مر الحسن بأبى عمرو وحلقته متوافرة ، والناس عكوف . فقال : من هذا ؟ فقالوا : أبو عمرو . فقال : لا إله إلا الله ـ كادت العلماء أن تكون أرباباً ، كل عز لم يؤكد بعلم فإلى ذل يؤول .

وروينا عن سفيان بن عيينة قال : رأيت رسـول الله ﷺ فى المنـام ـ فقلـت : يا رسول الله ـ قد اختلفت علىَّ القراءات ـ فبقراءة من تأمرنى أن أقرأ ؟ فقال : اقرأ بقراءة أبى عمرو بن العلاء . وعن أبى عبيد القاسم بن سلام قال : حدثنى شجاع بن أبى نصر : وكان صدوقاً قال : رأيت النبي ﷺ فى المنام فعرضت عليه أشياء من قراءة أبى عمرو ، فما رد علىَّ إلا حرفين : أحدهما (س ٢ آ ١٢٨) : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ ـ والآخر (س ٢ آ ١٠٦) ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسَأْهَا ﴾ .

قال ابن مجاهد ـ وحدثونا عن وهب بن جرير قال : قال لى شعبة : تمسك بقراءة أبى عمرو ـ فإنها ستصير للناس إسناداً .

وقال أيضاً : حدثنى محمد بن عيسى بن حيان ـ حدثنا نصر بن على قال : قال لى أبى : قال شعبة : انظر ما يقرأ أبو عمرو مما يختار لنفسه ، فإنه سيصير للناس إسناداً .

قال نصر : قلت لأبى : كيف تقرأ ؟ قال على قراءة أبى عمرو . وقلت للأصمعى : كيف تقرأ ؟ قال : على قراءة أبى عمرو . قلت وقد صح ما قاله شعبة ـ رحمه الله ـ فالقراءة التى عليها الناس اليوم بالشام والحجاز واليمن ومصر هى قراءة أبى عمرو . فلا تكاد تجد أحداً يلقن القرآن إلا على حرفه خاصة في الفرش[7] . وقد يخطئون فى الأصول ، ولقد

←

(٧) الفرش اى الفروع : لان القراءات في مجملها : أصول وفرش ، فالأصول : القواعد المطردة في سائر القرآن ، والفرش : الكلمات المفردة لا يقاس عليها .

رجال القراءات

كانت الشام تقرأ بحرف ابن عامر إلى حدود الخمسمائة . فتركوا ذلك؛ لأن شخصاً قدم من أهل العراق ، وكان يلقن الناس بالجامع الأموى على قراءة أبى عمرو ، فاجتمع عليه خلق .. واشتهرت هذه القراءة عنه .

وأقام سنين ـ كذا بلغنى ـ وإلا فما أعلم السبب فى إعراض أهل الشام عن قراءة ابن عامر . وأخذهم بقراءة أبى عمرو وأنا أعد ذلك من كرامات شعبة .

وفاته

مات أبو عمرو بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة ، وهناك أقوال ليست مصدرة هذا التصدير .

قال : أبو عمرو الأسدى : لما أتى نعى أبى عمرو أتيت أولاده فعزيتهم عنه . فإنى لعندهم إذ أقبل يونس بن حبيب فقال : نعزيكم وأنفسنا بمن لا نرى شبها له آخر الزمان . والله لو قُسِم علمُ أبى عمرو وزهدُه على مائة إنسان لكانوا كلُهم علماء زهاداً . والله لو رآه رسول الله ﷺ لسره ما هو عليه .

مذهبه في القراءة :

كان أبو عمرو إذا التقى الحرفان وهما من كلمتين على مثال واحد متحركين اسكن الأول وأدغمه في الثاني ، ولا يبالى أكان ما قبل الأول ساكناً أو متحركاً بعد أن لا يكون من المضاعف مثل :

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ ﴾ .. سورة البقرة . ١٨٧ ، و﴿ مَسَّ سَقَرَ ﴾ .. القمر ٤٨ .. ، و﴿ كُنَّ نِسَاءً ﴾ .. النساء ١١ .. فإنه لم يكن يدغم هذا الجنس لأن فيه إدغاماً .

فإذا سكن الأول منهما وهما على مثال واحد لم يكن في قوله قول غيره إلا الإدغام ، إلا إن كان الأول منوناً لم يدغم لأن التنوين فاصل ، وكان يدغم اللام في اللام ، والباء في الباء ، والتاء في التاء ، والثاء في الثاء . وكذلك حروف المعجم كلها متحركها وساكنها إلا الواو المضموم ما قبلها وهى ساكنة مثل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى ﴾ . البقرة ٦٢ .. وما كان مثله . فإذا انفتح ما قبل الواو الساكنة أدغمها مثل : ﴿ عَصَوا وَّكَانُوا ﴾ .. البقرة ٦١ . و﴿ حَتَّى عَفَوا وَّقَالُوا ﴾ .. الأعراف ٩٥ .. وكذلك الياء المكسور ما قبلها وهى ساكنة كقول ﴿ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ ﴾ .. النساء ١٢٧ .. و﴿ فِي يُوسُفَ ﴾ .. يوسف ٧ و﴿ الَّذِى يَدُعُّ ﴾ .. الماعون ٢ ـ وأما الألف فلا تدغم في شيء ، ولا يدغم فيها شيء .

وكان لا يدغم التاء من (أنت) . في قوله تعالى : ﴿ أَفَأَنتَ تَهْدِى ﴾ يونس ٤٣ ـ لقلة حروف الاسم . وكذلك اللام في قوله ﴿ إِلَّاءَالَ لُوطٍ ﴾ .. الحجر ٥٩ ولا التاء في ﴿ كُنتَ تَرْجُوا ﴾ . القصص ٨٦ .. و﴿ كِدتَّ تَرْكَنُ ﴾ .. الإسراء ٧٤ .. لما نقص من (كنت) ومن (كدت) . والناقص من (كنت) واو هى عين الفعل ، ومن (كدت) ياء هى عين الفعل أيضاً . كان الأصل في (كنت) كونت ، وفي (كدت) كيدت . ويدخل

في قياس ذلك : ﴿ جِئْتِ شَيْئاً ﴾ .. مريم ٢٧ .. لأن (جئت) ناقص العين ، ولا ينبغى أن يدغم قياساً[٨] .

وكان يدغم الحرف في المقارب له في المخرج إذا كان من كلمتين ، فيدغم الميم في الباء إذا تحرك ما قبل الميم مثل : ﴿ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ .. الأنعام .. ٥٣ ـ فإن سكن ما قبلها لم يدغم مثل : ﴿ إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ ﴾ .. البقرة ١٣٢ ـ و﴿ الْيَوْمَ بِجَالُوتَ ﴾ .. البقرة .. ٢٤٩ ـ و﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ . البقرة ١٩٤ ..

وكان يدغم النون في اللام إذا تحرك ما قبلها مثل : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ ﴾ . البقرة ٥٥ ـ ﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ ﴾ . إبراهيم ٤٥ ـ فإن سكن ما قبلها لم يدغم مثل قوله : ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا ﴾ ـ يونس ٧٨ ـ و﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ﴾ ـ آل عمران ١٣ ـ ويدغم الباء في الميم في قوله : ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ ـ في كل القرآن ـ لكسر ما قبل الباء .

ويدغم القاف في الكاف ، والكاف في القاف إذا كانا من كلمتين وما قبلهما متحرك ، ولا يدغم إذا كانا في كلمة واحدة إلا (خلقكم) ـ في كل القرآن ـ و (رزقكم) ـ في جميع القرآن ـ و﴿ طَلَّقَكُنَّ ﴾ ـ التحريم ٥ ـ و﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا ﴾[٩] ـ الاعراف ٨٠ ـ

ويدغم الدال في الذال إذا سكن ما قبل الدال ، وكان الحرف في موضع خفض مثل قوله : ﴿ مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ ـ البقرة ٥٢ ـ ولا يدغم في النصب مثل قوله تعالى : ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ ـ آل عمران ٨٢ ـ وكذلك الدال في الضاد مثل قوله تعالى : ﴿ مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ ﴾ ـ يونس ٢١ ـ ، ولا يدغم في النصب مثل قوله تعالى : ﴿ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ ﴾ ـ هود ـ ١٠ ـ

ويدغم التاء التى للتأنيث المتصلة بالفعل في أحد عشر[١٠] حرفاً : في الجيم مثل : ﴿ نَضِجَتْ جُلُودُهُم ﴾ ـ النساء ٥٦ ـ وفي الطاء والظاء والدال والذال ، والسين والشين ، والصاد والضاد ، والتاء والزاى .

(قوله في إدغام الحروف التى لا تعرف لها حركة) وهى :

الدال من قد ، والذال من إذ ، واللام من هل وبل ، وتاء التأنيث ، ونون الإعراب[١١] .

فكان يدغم دال قد في التاء كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ تركناها ﴾ ـ القمر ١٥ ـ ، وفي الذال مثل : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا ﴾ ـ الاعراف ١٧٩ ـ وفى الزاى مثل : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ ﴾ ـ الملك ٥ ـ ، وفى السين مثل : ﴿ قَدْ سَمِعَ ﴾ ـ المجادلة ١ ـ ، وفي الشين مثل :

←

(٨) روى ابو عمرو الدانى الإدغام في (جئت شيئا) وعلله بقوة الكسرة في التاء . ـ انظر كتاب التيسير ـ .

(٩) كان ابن مجاهد يأخذ في ذلك بالإظهار ـ انظر التيسير ص ٢٢ .

(١٠) اسقط الدانى من هذه الحروف التاء . ولذلك عدها عشرا .

(١١) يريد تنوين الإعراب .

﴿ قَدْ شَغَفَهَا ﴾ - يوسف ٣٠ - ، وفي الصاد مثل قوله : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ ﴾ - الفرقان ٥٠ - وفي الضاد كقوله : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا ﴾ - الروم ٥٨ - ، وفي الظاء كقوله : ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ ﴾ - ص ٢٤ - ، وفي الجيم مثل : ﴿ قَدْ جَاءَكُمُ ﴾ - النساء ١٧٠ - .

وكان يدغم ذال إذ في التاء كقوله : ﴿ إِذْ تَسَوَّرُوا ﴾ - ص ٢١ - ، وفي الزاى كقوله : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ ﴾ - الأنفال ٤٨ - ، وفي السين كقوله : ﴿ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ - النور ١٢ - ، وفي الصاد كقوله : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا ﴾ - الأحقاف ٢٩ - ، وفي الظاء كقوله : ﴿ إِذ ظَّلَمْتُمْ ﴾ - الزخرف ٣٩ - ، وفي الدال كقوله : ﴿ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ﴾ - الكهف ٣٩ - ، وفي الجيم كقوله : ﴿ إِذْ جَاءُوكُم ﴾ - الأحزاب ١٠ - ، ولم يدغم أحد من القراء الذال في الجيم غير أبى عمرو .

وكان يدغم تاء التأنيث المتصلة بالفعل فى الطاء كقوله : ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ ﴾ - آل عمران ٧٢ - ، ولاخلاف فى ذلك بين الناس . وفى الظاء كقوله تعالى : ﴿ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ - الأنبياء ١١ - ، وفى الصاد كقوله : ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ النساء ٩٠ - ، وفى السين مثل : ﴿ أَنبَتَتْ سَبْعَ ﴾ - البقرة ٢٦١ - ، وفى الجيم مثل ﴿ نَضِجَتْ جُلُودُهُم ﴾ - النساء ٥٦ - وفى الزاى مثل : ﴿ خَبَتْ زِدْنَاهُمْ ﴾ - الإسراء ٩٧ - ، وفى الثاء مثل : ﴿ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ ﴾ التوبة ٢٥ - ، وفى الدال مثل : ﴿ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ - يونس ٨٩ -

وكان يدغم لام هل فى التاء ، فى موضعين : فى سورة الملك قوله : ﴿ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ﴾ ، وفى سورة الحاقة قوله : ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ .

وروى هارون الأعور عنه الإدغام في قوله : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ - مريم ٦٥ - ، و﴿ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ﴾ - المطففين ٣٦ - . روى ذلك على بن نصر ، عن هارون ، عنه وعن يونس بن حبيب ، وعن أبى عمرو : (هل ثوب الكفار) . مدغم وروى عبيد بن عقيل عن هارون عن أبى عمرو - قال : إن شئت أدغمت ما كان مثل هذا ، وإن شئت بينت .

وكان يدغم لام - بل - في الراء كقوله : ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ ﴾ - النساء ١٥٨ - ، و﴿ بَلْ رَانَ ﴾ - المطففين ١٤ - . وأما لام - قل - فلا يدغمها إلا في الراء مثل قوله : ﴿ وقل رَّبِّ ﴾ - طه ١١٤ - ولام - قل - مفارقة للام : هل وبل ؛ لأن (لام) - قل - يتغير سكونها فتقول : قال ويقول ، و(لام) هل وبل - لا تتغيران ولا تتحرك لَامَاهُمَا ؛ لأن سكون (لام) هل وبل - لازم ، وسكون لام - قل - غير لازم .

وكان يدغم تاء التأنيث التي في الجمع في السين كقوله تعالى : ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ ﴾ - النساء ٥٧ - . وفي الصاد كقوله : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴾ ، وفي الضاد كقوله : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً ﴾ - العاديات ١ - ، وفي الزاى كقوله : ﴿ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً ﴾ - الصافات ٢ - ، وفي الذال مثل : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً ﴾ - الذاريات ١ - ، ﴿ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً ﴾ - المرسلات ٥ - ، وفي

الثاء كقوله : ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ ﴾ - البقرة ٩٢ - ، وفي الجيم مثل : ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ ﴾ - المائدة ٩٣ - .

وكان يدغم الراء في اللام تحركت[١٢] أو سكنت مثل : ﴿ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ - هود ٧٨ - ، و﴿ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا ﴾ - النحل ٧٠ - ، والساكنة مثل قوله : ﴿ يَغْفِرْ لَكُم ﴾ - نوح ٤ - . و﴿ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ - المنافقون ٥ - وما كان مثله - وكان يدغم الباء الساكنة في الفاء مثل قوله : ﴿ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ ﴾ - النساء ٧٤ - ، ولا يدغم الفاء في الباء مثل قوله : ﴿ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ﴾ - سبأ ٩ - .

وكان لا يدغم ما التقى من الحرفين المثلين في كلمة ، إن كان مما يدغمه إذا انفصلا وكانا من كلمتين ، إلا قوله : ﴿ سَلَكَكُمْ ﴾ - المدثر ٤٢ - ، و﴿ مَّنَاسِكَكُمْ ﴾ - البقرة ٢٠٠ - وأما ﴿ وُجُوهُهُمْ ﴾ - آل عمران ١٠٦ - ، و﴿ إِكْرَاهِهِنَّ ﴾ - النور ٣٣ - ، و﴿ أَتُحَاجُّونَنَا ﴾ - البقرة ١٣٩ - ، وما أشبهه ، فلا يدغم شيئاً من ذلك إلا أن يكون قد ادغم في الكتاب[١٣] مثل : ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ ﴾ - الكهف ٩٥ - و﴿ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ ﴾ - الزمر ٦٤ - .

وكان لا يدغم ﴿ خَلَقَكَ ﴾ - الكهف ٣٧ - . ولا يدغم الحرفين إذا لم يكونا على مثال واحد في موضع النصب إذا سكن ما قبلهما كقوله : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ - يونس ٦٥ - ، ﴿ وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ - الجمعة ١١ - ، و﴿ هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ ﴾ - الأعراف ١٥٦ - كل هذا بالإظهار .

وكان يُشِمُّ الحرف الأول إذا أدغم إعرابه[١٤] في الإظهار من الرفع والخفض[١٥] في كل ما أدغم إلا في الميم مع الميم - والباء مع الباء ، والباء مع الميم ، والميم مع الباء . ولا يشم في النصب . وهذا قول اليزيدي عن أبي عمرو . وقال عباس بن الفضل عن أبي عمرو : إنه يشم الميم عند الميم ، والباء مع الباء . في موضع الرفع والخفض ، ولا يشم في النصب .

وهذه جملة من جمل الإدغام عن أبي عمرو . اختصرت ما حضرني منها[١٦] .

الراويان الناشران لقراءته :

هذا وللإمام أبي عمرو - عدا ما ذكر آنفا -

←

---

(١٢) في التيسير ص ٢٧ أن أبا عمرو كان لا يدغم الراء في اللام إذا انفتحت وسكن ما قبلها مثل : (والحمير لتركبوها) .

(١٣) الكتاب - المراد به مصحف عثمان . أي أنه جاء بنون واحدة .

(١٤) إشمام الحركة هو الإشارة إليها بالشفتين من غير تصويت بها ، وكأنه تهيئة للجارحة أن تخرج الحركة ثم لا تخرجها . أو قل : إنه هَمٌّ بها دون إخراجها باللفظ .

(١٥) لا إشمام في الخفض ولعله أراد بالإشمام الروم ، وهو الإتيان ببعض الحركة ، وهذا اصطلاح للمتقدمين

(١٦) ذكر ابن الجزري نقلا عن الداني أن جميع ما أدغمه أبو عمرو من الحروف المتحركة على مذهب ابن مجاهد ألف ومائتان وثلاثة وسبعون حرفاً . والذي صوّبه ابن الجزري ألف ومائتان وسبعة وسبعون . انظر النشر ١ / ٢٩٥ .

راويان ، اختيرت قراءتهما مجمع عليها ، في سائر الأمصار والأعصار . وقد قرأت بها القرآن الكريم عرضاً وسماعاً على أساتذتنا بأسانيدهم .

الأول : أبو عُمر حفص بن عمر بن صهبان ، النحوى الضرير ، الدورى نسبة لموضع بقرب بغداد - ولد به أيام المنصور سنة خمسين ومائة . كان إمام عصره في القراءة . وشيخ وقته في الإقراء . وهو أول من جمع القراءات . وتوفي سنة ست وأربعين ومائتين .

والثانى : أبو شعيب صالح بن زياد بن عبد الله السوسي ، نسبة لموضع بالأهواز . وكان ضابطاً ، محرراً ، ثقة . وتوفى أول سنة إحدى وستين بالرقة . وقد قارب التسعين .

طرق الدورى :

فأما الدورى فمن طريقي : أبى الزعراء وابن فرح - الحاء المهملة - عنه - فأبو الزعراء من طريقي : ابن مجاهد والمعدل عنه فعنه ، وابن فرح من طريقى أبى بلال والمطوعى عنه فعنه .

وأما طرق السوسى : فمن طريقي : - ابن جرير ، وابن جمهور عنه .

فابن جرير من طريقي : عبد الله بن الحسين ، وابن حبش عنه فعنه . وابن جمهور من طريقي الشذائى ، والشنبوذى عنه فعنه ..

ولم استوعب جميع الطرق الفرعية اختصاراً . فمن أرادها فليطلبها في المطولات وفي المصادر الكبار .

ومن المقرر أن « الدورى ، والسوسى » أخذ القراءة عن يحيى اليزيدي ، وهو أخذها عن الإمام أبى عمرو - رضى الله عن الجميع - ونظمنا في سلكهم .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمى ، وعلى آله وصحبه وسلم .



من المناظرات بين المسيحية والإسلام

فضيلة الدكتور
عبد الجليل شلبى

يحفظ التاريخ عددا من المناظرات بين المسلمين والمسيحيين فيما يتصل بالعقيدة والتشريع فى الديانتين ، وعرض هذه المناظرات او بعض منها لا يخلو من متع ادبية وعقلية ، وقد بدأت سلسلة هذه المناظرات منذ ظهور الإسلام . ولاتزال تحدث إلى الآن بين حين وآخر .

وأولى هذه المناظرات ما حدث بين رسول الله ﷺ وبين وفد نجران ، فقد كتب النبى ﷺ إلى أسقف نجران يدعوه إلى الإسلام فَكَبُرَتْ عليه هذه الدعوة ، ولم يقبل أن يكون عيسى - عليه السلام - وقد ولد من غير أب ، بشرا وليس ابنا لله تعالى ، ثم أرسل إلى رسول الله ﷺ بالمدينة وفدا من النصارى ، فسألوه كيف يقول عن المسيح بن مريم : إنه عبد الله ! فقال : نعم هو عبد الله ورسوله وهو أخى ، فجادلوه وجادلهم ، وأنزل الله سبحانه فى هذا الموقف آيات : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ . . . ﴾ الخ ، و ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ وقرأ رسول الله ﷺ عليهم هذه الآيات ودعاهم إلى المباهلة ، وهى الملاعنة أى أن يستنزل كل فريق لعنة الله على الآخر إن كان كاذباً .

وأصبح رسول الله فأخذ الحسن والحسين ، فى خميلة أو عباءة له ، ومن ورائهم ابنته فاطمة ، ومن ورائهم على - زوج ابنته - وقال : هؤلاء هم أهل بيتى - فنكص القوم - وكان فيهم السيد - وهو رئيس القوم والعاقب - وهو الذى يلى الرئيس . فتشاوروا ،

←

وقالوا : والله ما باهل قوم نبياً فبقى منهم احد ، لاصغير ولا كبير . ويقال إنهم ذهبوا ايضاً إلى اليهود من بنى النضير وبنى قينقاع وغيرهم - ممن كانوا بالمدينة ، فقالوا لهم إنكم تجدون صفتة فى كتابنا ، وإذا لاعنتموه هلكتم ، فامتنعوا عن الملاعنة ووافقوا على أن يدفعوا له الجزية .

هذه المناظرة تختلف رواياتها فى بعض التفاصيل ، ولكنها تتفق جميعاً فى انهم أشفقوا على أنفسهم وطلبوا الصلح على دفع الجزية ، وقد قيل إنهم كانوا ثمانية ، وقيل كانوا اكثر وبعض الروايات تصل بهم إلى اربعة عشر رجلاً وبعض الروايات لا تذكر أنهم اتصلوا باليهود . وكل ذلك لا يضر مادام لا يعارض حقيقة المناظرة وأنها حدثت .

وقد كانت هناك مناظرات بين المسلمين والمسيحيين فى عهد الخلفاء وفى الدولة الأموية ، ثم فيما بعد ذلك . وكان تسامح الحكام الإسلاميين وإعطاؤهم الكتابيين حرية الدين وحرية العبادة مما جَرّأ أهل الكتاب يهودا ومسيحيين على التحدث عن دينهم وبيان مزاياه مما يدعو المسلمين إلى الرد عليهم وتفنيد مزاعمهم ، ولم يكن فى ذلك كله بأس على الإسلام ، بل كان فيه فرصة للتحدث عن الإسلام وبيان مزاياه .

وتعدى الأمر المناظرات الكلامية إلى الكتابة ، واشهر ما يعرف من ذلك - ولعله الوحيد من نوعه ما كتبه يوحنا الدمشقى . وهو راهب متنسك ، اشتهر بالعلم والفصاحة ، وكان يلقب بذى اللسان الذهبى لبلاغته وجودة حديثه وخطابته ، وهو لقب أطلق على غيره ، فكانوا يقولون فلان فم الذهب وكان يوحنا الأنطاكى أيضاً يسمى ذا اللسان الذهبى .

دون يوحنا هذا حواراً بين شخص شرقى مسلم ، وآخر يونانى مسيحى حول الوهية المسيح وحرية الإرادة ، وكان لبقاً ذكيا فى هذا الحوار الذى كتبه ، فكاد يصور الشخص المسلم حائرا متلعثماً . وصاحبه المسيحى ذكياً حاضر الإجابة قوى الحجة ، كما صور الإسلام دين تواكل وخضوع للمقادير . ولم يكن يريد من هذا الحوار مجرد الدفاع عن المسيحية وبيان صحتها ، بل أراد به أن يضع نموذجاً للجدل الذى ينبغى أن يواجه به المسيحيون المسلمين . وكان يوحنا هذا يعاصر هشام بن عبد الملك . وهو حفيد منصور بن سرجون الذى كان يتولى الإدارة المالية للرومان إبان الفتح الإسلامى ، ولم يكن مخلصاً للرومان ، ولا محبا لحكمهم ، ولعل مذهب الإرادة الواحدة الذى اخترعه هرقل ، وغضب منه الكاثوليك والأرثوذكس كان ذا اثر أو هو الأثر الوحيد فى نفور منصور من حكمهم ، وقد كتب هو وأسقف دمشق عهدا مع خالد ابن الوليد نص على أن يفتحوا له بابا من أبواب دمشق ، وأن يسمح لهم المسلمون ببقاء كنائسهم وصلبانهم . فلما دخل المسلمون دمشق قابل الأسقف خالدا وبيده صحيفة المعاهدة صائحا : ياأبا سليمان هذا عهدك . فطمأنه خالد على كل ما اتفقا عليه وظل منصور وابنه من بعده يتوليان شئون الإدارة المالية حتى عربت الدواوين فى عهد

الوليد بن عبد الملك . وتولى يوحنا هذه الوظيفة مدة ، ثم ترهب فى دير القديس ساربا قريباً من بيت المقدس . ولا تزال أطراف من مناظرته التى كتبها تدرس إلى الآن .

وكان المأمون « الخليفة العباسى » من ذوى الثقافة الواسعة ، وكان يميل إلى حرية الفكر . ويؤثر دعوة غير المسلمين إلى الإسلام عن طريق المحاجة والإقناع ، وكان مجلسه مدرسة تضم أصحاب المذاهب والآراء المتباينة من الفقهاء والمتكلمين ، وكان يصغى باهتمام لجدلهم ويشاركهم فيه ، وكان يدعو أصحاب النحل والمرتدين فيسائلهم عن عقائدهم ويناقشهم فيها ، وقد قال مرة لأحد المرتدين : لأن أستحييك بحق أحب إلى من أن أقتلك بحق ، ثم خاض معه فى جدل عن سبب ارتداده .

واستدعى المأمون جماعة من رؤساء النساطرة ، وعقد لهم مناظرة مع بعض علماء المسلمين فخاضوا فى مسائل جوهرية فى عقيدة الدينين ، وانتصر المسلمون ، ولم يستطع النساطرة أن يحيروا جوابا . وعرض عليهم المأمون أن يدخلوا فى الإسلام فلم يقبلوا ، وخشى عليهم من العامة والغوغاء الذين كانوا تجمعوا لهذه المناظرة فوكل بهم حراسا يبلغونهم مأمنهم ، ولا ريب أن المأمون فى هذا كله كان مسلماً حقاً يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهذه كانت مناظرة كاملة ادلى فيها كل من الطرفين بحجته امام الآخر ، وحاجَّ كل واحد منهما صاحبه فى أدلته

وفى القرن السادس عشر ـ عهد سيطرة المغول على شرق آسيا والهند ـ حدثت مناظرة أو ما يمكن أن نسميه مناظرة ـ بين الإسلام والمسيحية وبعض الأديان الأخرى أهمها البوذية ، والمناظرة لم تتم ، ولكن كانت ذات أثر كبير فى تاريخ التبشير المسيحى وتقوية الإسلام .

كانت هذه المناظرة على يد الملك أكبر حفيد تيمور لانك « ١٥٥٦ ـ ١٦٠٥ » م . وديانة المغول كانت "الشامانية"، ويبدو أنهم بدءا من جنكيز خان لم يكونوا مستريحين لها . وكان الملك اكبر مسلماً سنيا ، ولكنه لم يكن يعادى الشيعة ، وكان يتصف بالذكاء وسعة التسامح ، وكان ذا ولع بمعرفة الأديان والنحل ، وخطرت له مرة فكرة التعرف على المسيحية ، وكان الثغر الهندى "جوا" مركزا للتبشير المسيحى ، وكانت بـه أسقفية نشيطة ، فبعث إليها الملك برسالة يطلب أن يحضر إليه بعض الآباء اليسوعيين ليشرحوا له مبادىء المسيحية ، فابتهجت الكنيسة بهذه الدعوة ، وبعثوا إلى رئيس الجماعة اليسوعية « الجزويت » يخبرونه بهذه البشرى ، فابتهج بهذا النبأ وأرسل بعثة اختار لها عددا من ذوى الكفاية والعلم ، وأشيع أن الملك أكبر سيعتنق المسيحية هو وقومه ثم الهند كلها بعد ذلك .

واخبر الملك علماء المسلمين وكهان البوذية بهذه المناظرة ، فاحتشد لها الناس من أستاذ

←

الجامعة إلى رجل الشارع ومن قهرمانة القصر إلى الخادمة ، وبدأ الحديث بأسئلة ألقاها الملك على رجال المسيحية وناقشهم فيها فلم يجد لديهم مقنعاً ، وقال: إنها إجابات لا تستقيم مع المنطق . ففض الاجتماع ولم تتم المناظرة ، ولم ييأس دعاة المسيحية وقالوا: إنه رجل ضيق الأفق الفكرى منفعل بأفكاره الإسلامية ومحاوراته مبنية على ما لديه من فكر إسلامى،وهذا يعنى أنها كانت مناظرة بين المسيحية والإسلام ناب فيها الملك عن علماء المسلمين .

واشهر واقوى مناظرة فى العصر الحديث هى التى حدثت فى الهند بين الشيخ رحمة الله الهندى والقس الانجليزى فندر، وهى موضحة فى كتاب « إظهار الحق » الذى طبع فى جزءين كبيرين وقدم له الشيخ أبو الحسن الندوى . وقد كان الانجليز حين احتلالهم الهند شجعوا الإرساليات التبشيرية بكل انواعها ، ولم يكن يعنيهم تنصير البوذيين ولا الهندوك ولا السيخ ولا غيرهم ، ولكن كان الذى يعنيهم هو قهر الإسلام وإضعاف دعاته ؛ هذا لأن الإسلام دين مقاومة ، لا يقبل أن يكون للكافرين على المسلمين سبيلاً - بينما الديانات الأخرى فى الهند ديانات مسالمة .

وفى سنة ١٨٥٤ م وفد على الهند القس فندر ، وهولاهوتى انجليزى كبير ، وقس ذو شهرة كبيرة ، فأحسنت الإدارة الانجليزية استقباله ، وهيأت له الإقامة والتنقل والإنفاق ، فمضى هنا وهناك يلقى محاضراته ، ولكن الذى كان يعنيه هو تحطيم الإسلام والغض منه وأخيراً انبرى له الشيخ رحمة الله ، واستعان فى مناظرته بدرسه الكتاب المقدس والمصادر المسيحية الأخرى . ولم يكن القس فندر راغبا فى هذه المناظرة ، ولم يكن يحسب أن لدى مناظره هذه المعلومات اللاهوتية الواسعة ، فوافق مبدئياً على المناظرة ، وحدد لها الوقت والمكان . والمكان هو بلدة اكبر اباد - اكره - فى حى يسمى « حى عبد المسيح » وهو رجل هندى تنصر وتسمى بهذا الاسم - واكبر اباد مركز تبشير قوى ذو نشاط واسع . واجتمع المتناظران فحددا المواضيع التى ستدور المناظرة حولها ، ومنها وقوع التحريف فى الكتاب المقدس ، والتثليث وصدق القرآن والنسخ وصدق نبوة محمد ﷺ ، كما اتفقا على أن من يهزم منهما فى المناظرة يترك دينه ويدخل دين مناظره .

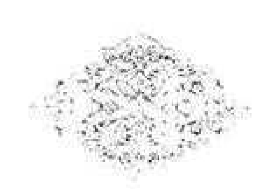
وبدأت المناظرة فى موعدها المحدد - « رجب ١٢٠٧ ، ١٠ من أبريل سنة ١٨٥٤ » - فى حفل مهيب رهيب فقد كان الاعلان عن المناظرة قد فشا ، واهتم بها قسس وغير قسس ، واهتم بها أهل الديانات الأخرى كما اهتمت السلطة الانجليزية ، فحضر الحفل قضاة منها وحكام وجنود واتباع ، وحضر أعيان البلد ووجهاء الناس من داخل البلد وخارجه ، وبدأ الشيخ رحمة الله فعرض ثمانية مواضع محرفة فى الأناجيل ، ولم يسع القس فندر إلا أن يعترف

بها ، وقال الشيخ : حيث ثبت التحريف فقد أصبح الإنجيل كله « يعنى الأناجيل الأربعة » بمدرجة الشك ، وانتهت الجلسة الأولى ، ولم يعد القس للجلسة الثانية ، بل غادر بلاد الهند كلها ، ويبدو أنه لم يحتمل الضجة الهائلة الكبرى التى قامت حول هذه المناظرة .

ثم كانت ثورة الهنود ضد الانجليز سنة ١٨٥٧ م التى انتهت بتثبيت أقدام الانجليز ورأوا أن من عوامل تثبيتهم إسكات علماء المسلمين ، فاعتقلوا ذوى الخطر منهم ، وأعدموا عددا وعذبوا وأهانوا آخرين ، ولكن الشيخ رحمه الله تنكر فى ثوب فلاح . ثم فر إلى مكة . حيث كان الشيخ دحلان ، صاحب السيرة المعروفة إمام الحرم ومُدَرِّسُهُ ، فلما عرف قصص الشيخ رحمه الله عرف به الحاكم ، وأفرد له كرسياً ليدرس .

أما القس فندر فطاف الأقطار الأوروبية ، يعلن فى كل بلد أنه ناظر المسلمين فى الهند وانتصر على علمائهم ، وارسلته الكنيسة الانجليزية إلى القسطنطينية فى عهد السلطان عبد العزيز ، فتحدث عن انتصاره حديثاً أزعج السلطان ، فبعث إلى واليه فى مكة أن يسأل حجاج الهند عن هذه المناظرة ، فأرسل إليه بحقيقة الأمر جملة وتفصيلاً ، فطلب الخليفة أن يحضر الشيخ رحمة الله إلى القسطنطينية ، فأرسل إليه وما كاد القس فندر يعلم بوصوله حتى أسرع بمغادرة البلد .

هذه أطراف من مناظرة لا يزال المبشرون يدورون فى محيطها ، وهم لا يذكرونها ، ولكنهم يرمون الإسلام بما رماه به فندر ، وهم لا يجدون من يرد مفترياتهم .



الأزهر حتى مشارف المناهج الحديثة

على مدى تجاوز الألف عام والأزهر الشريف يفتح قلبه لأبناء المسلمين ويمد ذراعيه إليهم أين كانوا . وبخيراته المالية وعلومه الإسلامية جعل لمصر منزلة سامية مرموقة لدى الشعوب الإسلامية وغيرها . فهو ـ بلا منازع ـ أقدم جامعة عاشت للإسلام والمسلمين وعاشت لمصر تمدها برصيد لا يغيض رفدُهُ . ومورد لا ينفصل خيرُه حتى ترك طابعه فى كل مكان .

فليس مكان فى الأرض يجهل أهله الأزهر بحال .

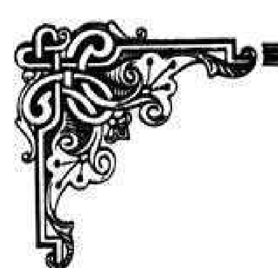
وعلى مدى هذا التاريخ المُحْسِنِ المعطاء توالت على الأزهر ألوان مختلفة من طرق التدريس ، حتى لم يعد غريبا أن تجد لكل نظام دراسى فى العالم أصولا تمتد إلى هذا الأزهر الكريم .

والأستاذ الدكتور مجاهد توفيق الجندى ، بالتاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر يتحدث فى دراسة موثقة عن فترة لها طرقها التدريسية نقدم منها الجزء التالى حتى مشارف المناهج الحديثة » .

١ ـ طرق الدراسة قديما بالجامع الأزهر :

كانت طرق التدريس فى الأزهر هى الطرق التى تقوم عليها الدراسة فى غيره من المساجد الكبيرة قبله كجامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، وجامع ابن طولون بالقطائع وغيرهما من مساجد العالم الإسلامى فى شكل حلقات علمية ، فكانت الدروس تعقد به ، حيث يتصدر كل حركة أستاذها والشيخ أو الأستاذ يجلس على كرسى من الخشب أو الجريد ليتمكن من رؤية طلبته وإسماعهم إذا كثروا أمامه ، والطلبة متحلقون حوله على شكل دائرة غير كاملة ، كل منهم صامت ينصت إلى درس شيخه ، وكأن على رأسه الطير .

وكانت الدراسة تقوم على الحوار والمناظرة والتحليل والمناقشة ثم يسأل الطلاب فى كل



للدكتور مجاهد توفيق الجندى

مايعن لهم من مشكلات العلم ومعضلاته ..
وأحيانا تكون الدراسة عن طريق « الأمالى » وهى : أن يملى الشيخ على طلابه من كتاب مخطوط ، من تأليفه أو تأليف غيره ، والطلاب يكتبون خلف الشيخ ، وبعد كل فقرة يقف الشيخ ليشرح ما فيها من أفكار وألفاظ غامضة ..

وقد تكون الدراسة على صورة ثالثة وهى أن يكلف الشيخ أحد طلابه الممتازين بالقراءة والشيخ يشرح ماغمض من عبارات المؤلف ... فإذا فرغ الشيخ من درسه كلف الطالب القارىء بإعادة الدرس على زملائه بصورة أخرى وهو مايطلق عليه فى عصرنا الحاضر اسم « المعيد » .

أى أن الدراسة بالأزهر كانت حرة .. « وكل شيخ له طريقة » ولا سلطان لأحد عليه يفرض عليه طريقة معينة ، بل الشيخ بالاتفاق مع طلابه ، والطالب حر أيضاً فى أن يجلس إلى الحلقة التى يرغبها .. والتى تتناسب مع عقليته وسنه وتحصيله ..

والمهم فى الدراسة بالأزهر أنها تعتمد على التحليل والمناقشة والحوار بين الطلاب والشيوخ بما يثقف العقل وينمى ملكة الفهم .. وقد ظلت الدراسة على هذه الحال إلى وقت قريب إلى أن اضطر المسئولون إلى وضع قوانين ولوائح لتطوير الأزهر ..

ويصف لنا على مبارك فى كتابه : « الخطط التوفيقية » طريقة الدراسة على نظام الحلقات فيقول : « كان فى السابق لكل أهل مذهب من المذاهب الأربعة عمد معينة من عمده لا يجلس فى التدريس بها غيرهم ، ولكل شيخ من أهل المذهب عمود لايتعداه ، ولا يتعدى أحد عليه ..

والمتكلم على ذلك مشايخ المذاهب كشيخ المالكية وشيخ الحنفية .

ويجلس الشيخ أمام العمود مستقبلا والطلبة حلقة حوله . فاذا كثروا جلس على كرسى من خشب أو جريد ، وهم أمامه بلا تحلق ...

وكانت العادة سابقا ألاّ يجلس على الكرسى إلا نحو شيخ الجامع ، ولا يمكن من ذلك غيره ، ثم بطل هذا فجلس كثير من العلماء على الكراسى ...

ولكل طالب مكانه لا يتعداه ويقيم من يجلس فيه ، فاذا جلسوا ابتدأ الشيخ بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يقرر نهم الدرس بالدقة ، وهم يقابلون عليه فى الورق ويسألونه مابدا لهم ... وليس على الشيخ أن يلاحظ حال الطالب من الاجتهاد أو التكاسل أو حضور أو غيبة . بل هو موكول إلى نفسه ، إلا أن يكون له ولى عليه من نفسه (أى قريب له) يلفته إلى حفظ المتون قبل زمن الحضور أو معه ،

←

فيحفظ جميع المتون أو بعضها فينجح فى مسعاه لأن من حفظ المتون حاز الفنون ...

وقبل حضورهم حلقة الدرس لابد أن يطالعوه بالدقة متنا وشرحاً وتقريراً مرة فأكثر، جماعات وفرادى ..

وقد يطالع الشيخ عليه (أي الدرس) مواد أخرى حتى يكون مستحضراً لأطراف المسألة، وما يرد عليها وما يجاب به .. وكذا كبار الطلبة[1] ..

« وكانت العادة فيه غالباً أن أفضل الطلبة يطالع لباقيهم درس شيخه مطالعة بحث وتفتيش حتى يأتوا إلى الشيخ وهم متهيئون لما يلقيه » .. ويضيف على مبارك فيقول :

قال فى (خلاصة الأثر) : « وكان الشيخ سالم الشبشيرى[2] ، شيخ وقته يطالع لجماعة شيخه « النور الزيادى[3] » درسه على عادة مشايخ الأزهر ..

وكثير منهم يحصل الكتب التى حضرها فيملكها بشراء أو نسخ بيده أو غيره .. خصوصاً الرسائل الصغيرة[4] .

المدرسون بالجامع الأزهر

كان لا يتصدى للتدريس بالجامع الأزهر إلا من درس العلوم والفنون المتداولة به ومارسها ممارسة بحث وتحليل دقيق، وتلقاها من أفواه العلماء والمشايخ لمدة طويلة قد تصل أحياناً إلى ثلاثين سنة أو أكثر أو أقل، وبعد أن يصبح متأهلاً لتصدر الحلقة ، حلالا لمشكلات المسائل ومعضلاتها، يطلب من شيوخه ويستأذنهم أن **يعطوه إجازة علمية** .. ثم يحدد له شيوخه قطعة من كتاب يبحثها بحثاً عميقاً ويراجع عليها كافة المصادر الخاصة بموضوعه ثم يجتمع شيوخه وزملاؤه يوم الامتحان فيتراكمون ويتزاحمون لحضور درسه .. فيتصدر الحلقة مكان شيخه، ويبدأ درسه بالبسملة والحمدله والحوقلة والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحابته، ثم يذكر المصادر التى رجع إليها فى بحثه من باب الأمانة العلمية[5] ويدخل فى درسه ثم يتوغل فيه شيئاً فشيئاً وبعضهم كان يتأنق فى الابتداء، ويسلك فى درسه طريق الإغراب، وبعض الحاضرين يتعصب عليه ويتعنت والبعض ينتصر له، خاصة عند توجيه الأسئلة إليه، فإذا وفق فى الإجابة والإقناع .. يعتبر هذا نجاحاً له وعلى

---

(١) راجع : الضوء اللامع لأعيان القرن التاسع للسخاوى جـ٩ ، ص ٣٢ ، ٩٢ .

(٢) نسبة إلى « شبشير » إحدى قرى « مركز طنطا » وتقع فى المسافة بين طنطا والمحلة الكبرى بالقرب من « محلة روح » (الباحث) .

(٣) نسبة إلى « محلة زياد » إحدى قرى « مركز سمنود » محافظة الغربية (الباحث) .

(٤) كان النسخ مهمة من المهام الأساسية للشيوخ والطلاب ، لأنه الشىء الوحيد لتزويد المكتبات بنسخ كثيرة من الكتاب الواحد ، ولم تكن آلات الطباعة قد اكتشفت بعد (الباحث) .

(٥) راجع تصدير العلامة جلال الدين السيوطى محاضرة ألقاها أمام لجنة امتحانه ليحظى بدرجة التدريس بجامع شيخون سبق أن صورتها مجلة الأزهر .

الشيوخ أن يمنحوه الإجازة العلمية . وإذا تلعثم فى الإجابة ربما أقاموه ومنعوه من التصدر ، وعليه أن يجلس من جديد فى حلقات الشيوخ ؟

ثم صارت هذه الحال فى العصر الحديث إلى التساهل .. ويعلق على ذلك على مبارك الذى شاهد بنفسه هذه الحال فيقول : « ثم تساهلوا فى ذلك حتى صار من يتصدر لا يتعرض له أحد ، حتى كثر المتصدرون ، وصار فيهم من لا أهلية فيه » .

وقد تنبه المسئولون بالأزهر والغيورون عليه إلى هذه الحال ، ورأوها خطراً يقضى على الأزهر عاجلاً أو آجلاً .. فأجمعوا على عمل قانون يجرى عليه المشايخ فى تصدرهم ومنع غير المستحقين ، وكان على رأس هؤلاء العلماء الشيخ « مصطفى العروسى » شيخ الأزهر ولما فاجأه العزل عن المشيخة سنة ١٢٨٧هـ وحل محله الشيخ«محمد المهدى العباسى الحنفى » رأى أن من المصلحة العائدة على العلم بالحفظ وعدم الابتذال تطبيق ما ارتآه سلفه ، فاستأذن الخديوى فى عمل قانون الامتحان لكل من يريد التدريس من المستجدين وقد راعى الشيخ المهدى فى هذا القانون الأخذ بأطراف من التقاليد والأعراف القديمة مع ماجدّد فيه ، ومع الدقة والحزم ومراعاة الأمانة المطلقة فى الامتحان وهذا هو أول قانون من قوانين الأزهر وسنشير إليه بعد .

٢ ـ الإجازات العلمية بالجامع الأزهر :

لم يكن للأزهر قبل صدور هذا القانون شهادات معيّنة ؛ ولكن كانت هناك إجازات علمية تمنح للطلاب من أكابر الشيوخ وفطاحل العلماء ، متى كمل استعداد الطلاب ونضجت مداركهم ، وأصبحوا أهلا للتدريس أو الافتاء أو القضاء ، وقد تمنح الإجازة فى العلوم الشرعية أو العربية جميعا وتسمى « إجازة عامة »[٦] وقد تمنح فى مادة واحدة نظرية أو عملية كالطب مثلاً فتسمى « إجازة خاصة » فى الطب وممارسة العلاج وقد تمنح الإجازة فى كتاب خاص متى أتم الطالب دراسته أو حفظه بحيث يمكنه تدريسه ، وهذه الطريقة سار عليها الأزهر قديما فى عصوره الزاهرة .

وقد ذكر العلامة القلقشندى[٧] ـ وهو من أعلام الأزهر ـ فى كتابه الموسوعى : « صبح الأعشى ... » طائفة من هذه الإجازات ، نذكر منها بعض ما جاء فى إجازته هو والتى أخذها من العلامة « سراج الدين أبى حفص عمر »

(٦) الإجازات : جمع إجازة بكسر الهمزة وهى : أن يجيز الشيخ للطالب أن يروى عنه مروياته فى العلوم التى تلقاها الطالب عليه بعد الدراسة على كثير من الشيوخ فى العلوم المختلفة المعتاد دراستها بالجامع الأزهر وقد يبلغ عدد الموقعين عليها أربعين عالما أو أكثر .

(٧) نسبة إلى « قلقشندة » إحدى قرى مركز طوخ محافظة القليوبية ، وكانت له حلقة كبيرة مشهورة فى الجامع الأزهر ، شغل عدة مناصب فى دولة المماليك الجراكسة آخرها رئيس ديوان الإنشاءات سنة ٨٢١هـ وله عدة مؤلفات مخطوطة منها : ضوء الصبح المسفر ، ومطبوعة ومنها : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا فى أربعة عشر جزءاً .

الشهير بابن الملقِّن ، وكتبها للقلقشندى القاضى « تاج الدين بن غنوم » فقد جاء فيها بعد البسملة والديباجة : « ولما كان فلان أدام الله تسديده وتوفيقه ، ويسَّر إلى الخيرات طريقه ـ ممن شَبَّ ونشأ فى طلب العلم والفضيلة ، وتخلق بالأخلاق المرضية الجميلة ، وصحب السادة من المشايخ والفقهاء والقادة من الأكابر والفضلاء ، واشتغل عليهم بالعلم الشريف اشتغالا يرضى ، وإلى نيل السعادة إن شاء الله يفضى .. استخار الله تعالى سيدنا وشيخنا وبركتنا ، العبد الفقير إلى الله تعالى ، الشيخ الإمام العلامة ، الحبر البحر الفهامة ، فريد دهره ، ونسيج وحده جمال العلماء ، أوحد الفضلاء ، عمدة الفقهاء والصلحاء : سراج الدين مفتى الإسلام والمسلمين أبو حفص عمر بن الملقن ... الخ .

« وأذن لفلان المسمى فيه ، أدام الله معاليه ، أن يدرس مذهب الإمام المجتهد المطلق العالم الربانى ، أبى عبد الله محمد بن إدريس المطلبى الشافعى ، رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة متقلبه ومثواه ... وأن يقرأ ما شاء الله من الكتب المصنفة فيه ، وأن يفيد ذلك لطالبيه ـ حيث حل وأقام ، كيف شاء متى شاء وأين شاء ـ وأن يفتى من قصد استفتاءه خطا ولفظا ، على مقتضى مذهبه الشريف المشار إليه ... لعلمه بديانته وأمانته ، ومعرفته ودرايته وأهليته لذلك وكفايته ... وكتب فى تاريخ كذا »[8] .

وقد ذكر القلقشندى أيضاً صيغة إجازة علمية لابنه أخذها من الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الدايم تتضمن أن ابنه أتقن حفظ كتاب « المنهاج » فى الفقه الشافعى للنووى وذلك سنة ٨١٣هـ .

٣ ـ قانون الامتحان سنة ١٢٨٨هـ ـ ١٨٧٢م :

هذا القانون هو المشهور بقانون الامتحان ، لكنه بحث مواضيع أخرى تهم إصلاح الأزهر .. وقد عالج هذا القانون العيوب التى طرات على النظام القديم ، ومنع التساهل فى تعيين المدرسين ، فنظم طريقة الحصول على « شهادة العالميّة » وحدد المواد التى يمتحن فيها الطالب قبل الحصول عليها ، ورتبها على ثلاث درجات : أولى ، وثانية ، وثالثة ، وجعل منحها بأمر أو براءة من ولى الأمر ... وبذلك منع أن يدعى العلم من ليس من أهل العلم ...

أما العلوم التى تدرس وطريقة تدريسها ، فلم يمسّها بتعديل أو تبديل ... بل بقيت كما كانت ، وبقى حرص الأزهريين عليها كما كان .

(٨) راجع : صبح الاعشى جـ١٤ ص ٣٢٢ ط دار الكتب والجديد بالملاحظة أن نظام الإجازات هذا تخرج به آلاف العلماء فى العصور الإسلامية الزاهرة .

٤ ـ بداية الإصلاح والتطوير :

كانت النظرة التى نظرها رجال الأزهر إلى محمد على وبنيه ، وإلى كل ما جد فى عهدهم من تغيير ـ شمل النواحى التعليمية وغيرها ـ نظرة شك وريبة؛ ثم كان لـ « دنلوب » بعد الاحتلال البريطانى وقبضته بيد من حديد على زمام التعليم فى مصر أثر كبير على صلابة الأزهريين ووقوفهم فى وجه من يريدون التغيير والتطوير من ذوى النوايا السيئة .

ولكن صيحات الإصلاح لم تذهب أدراج الرياح .. فقد صاح الشيخ محمد عبده صيحاته القوية .. وتحمس لها مؤيدون وتفتحت لها آذانهم ، ووعتها أذهانهم .

وإن كانوا قلة قليلة ... فقد كان جمهرة الأزهريين ينظرون نظرة ارتياب وشك كذلك للشيخ محمد عبده ... ذلك أنه عرف لديهم أنه صديق للورد « كرومر » كما عرف لديهم كذلك بأنه يسالم الانجليز ويتعاون معهم ..

ذلك أنه شاع لدى رجال الأزهر أن اللورد « كرومر » قبل شفاعة أصدقاء الشيخ محمد عبده ليعود من منفاه إلى مصر ، ورد الشيخ الجميل بما هو أجمل منه فكتب تقريراً قدمه إلى اللورد كرومر لا إلى غيره بما يراه من إصلاح التعليم فى مصر فكان ذلك بمثابة التسليم بأنه القوة الفعالة فى مصر .. فأثار ذلك حفيظة الأزهريين وهذه الظروف مهما يكن لها من مبررات من شأنها أن تهيج شكهم فيه ومعارضتهم له وإن كان أقوم عملاً وأوفق منهجا ، وذلك لأنه كان يرى أن جلاء الانجليز مرهون باستنارة الشعب وفهمه لحقوقه وواجباته وهمته فى أدائها وغضبه من الاعتداء على هذه الحقوق ثم إن الإمام كان يرى أن مسألة مصر لا تحل بمواجهتها لانجلترا بل بالحالة الدولية العامة ونظرة الدول إلى مصلحتها فى استقلال مصر ... وإلى أن يحدث ذلك ينبغى على القادة أن ينيروا الشعب بالتثقيف والتعليم ، ولا يجعلوا كل همهم الاشتغال بالسياسة .

٥ ـ مجلس إدارة للجامع الأزهر :

صدر فى يناير سنة ١٨٩٥م قانون بتشكيل « مجلس إدارة الأزهر » ويتكون هذا المجلس من خمسة أعضاء : ثلاثة من كبار العلماء أحدهم شافعى وهو الشيخ حسن المرصفى(٩) ، والثانى مالكى وهو الشيخ سليم البشرى(١٠) ، والثالث حنبلى وهو الشيخ يوسف النابلسى(١١) شيخ الحنابلة إذ ذاك ، واثنين أحناف من موظفى الحكومة وهما الشيخ محمد عبده(١٢) ، والشيخ عبد الكريم سلمان(١٣) .

←

(٩) نسبة إلى « مرصفى » إحدى قرى مركز شبين القناطر محافظة القليوبية (الباحث) .

(١٠) نسبة إلى « محلة بشر » إحدى قرى مركز « شبراخيت » محافظة البحيرة ولد سنة ١٢٤٨هـ ـ ١٨٢٩م ومات سنة ١٣٣٥هـ ـ ١٩١٧م ودفن بزاوية السادات المالكية بصحراء قرافة السيدة زينب بعد حياة حافلة بمآثر الأعمال ...

(١١) نسبة إلى « نابلس » إحدى قرى فلسطين .

(١٢) ولد « بمحلة نصر » سنة ١٢٥٨هـ ـ ١٨٤٩م وقيل ١٢٦٥هـ وأبوه « عبده خير الدين » وأمه « حنينة » من أسرة عثمان من الغربية ويرجع أصلها إلى « بنى عدى » فى سن العاشرة التحق بالجامع الأحمدى بطنطا ثم درس بالأزهر ... (اقليم البحيرة ص ٥٨٨ ـ ٥٩٤) .

(١٣) ولد فى « جنبواى » إحدى قرى البحيرة سنة ١٢٦٥هـ وهو من أصل البانى ... مات فى مايو سنة ١٩١٧م وشهد جنازته سعد زغلول وعلماء الأمة (اقليم البحيرة ص ٥٩٤ ـ ٥٩٧) .

اعمال مجلس إدارة الأزهر

كان أول بحث لهذا المجلس هو وضع قانون « مرتبات العاملين بالأزهر » وقد تقرر فيه أن المرتب السنوى لايقل عن اثنى عشر جنيها ، ولا أن يزيد على ثلاثين جنيها وثلثى جنيه فى العام ، وبينهما درجات ترتفع الواحدة عما تحتها ثلاثة جنيهات وأن المرتبات السنوية لا تنقص بحال عن خمسة وسبعين قرشا ، ولا أن تزيد على ثلاثمائة قرش .. وقد أدى ذلك إلى استقرار النفوس بعض الشىء عن ذى قبل ..

ثم نظر المجلس ثانيا فى « التدريس والتعليم والامتحان » فوضع مشروع قانون عام ضمنه خصائص الإدارة العمومية ، وما لمجلس الإدارة ولشيخ الجامع الأزهر من أعمال تخصه وما شروط الانتظام فى طلبة العلم بالأزهر وما المدة اللازمة لذلك وكذلك العلوم التى تدرس والمسامحات ، وبيان المقاصد منها والوسائل ..

أما الامتحان فجعل نوعين : أحدهما لنيل « شهادة الأهلية » وثانيهما : لنيل شهادة « العالمية » ، وإضافة علوم أخرى إلى العلوم التى كانت تدرس بالأزهر وهى : التاريخ الإسلامى ومتن اللغة وآدابها ، وصناعة الإنشاء ، ومبادىء الهندسة ، وتقويم البلدان ..

وقد رفع المجلس إلى الخديو مذكرة تتضمن بيانا بالمبالغ المحتاج إليها ، فصدر الأمر إلى ديوان الأوقاف بتقريرها فى ميزانية سنة ١٨٩٧م .

وقد ذكر لنا الشيخ عبد الكريم سالمان فى كتابه أعمال مجلس إدارة الأزهر المبالغ المطلوبة لتنفيذ هذا القانون وبيان مصارفها وهى :

جنيه	
٦٠٠	لأربعة وعشرين عالما .
٦٠٠	مكافأة للطلبة .
٦٠٠	مكافأة لمشايخ الأروقة والحارات والملاحظين .
٦٠٠	لعلوم الحساب وتقويم البلدان والتاريخ الإسلامى .
٣٦٠	للخط العربى .
١٥٠	مصارف الإدارة العمومية للأزهر .
٤٦٤	لدار الكتب الأزهرية .
٣٣٧٤	

أما المبلغ الذى رصد لمكافآت الطلاب فكان الغرض منه بث روح الغيرة فيهم ، وترغيبهم فى تحصيل العلوم المتداولة فى الأزهر ، وأن يكون تحصيلهم لها على وجه يبقى معه ماحصلوه منها راسخا فى الذهن ، لا أن يكون مقصورا على مجرد فهم العبارات والمناقشات اللفظية ...

ولهذا وضع المجلس قرارا بصرف هذا المبلغ على الطلاب وقرر فيا، أن يعمل لهم امتحان اختيارى فى آخر كل سنة دراسية فى

أى علم من العلوم التى تقرأ فى الأزهر ، وحدد أوقات الامتحان وكيفيته ، وأن يكون تحريريا ، وأن توزع المكافآت على الناجحين بنسبة ما حصلوه ونجحوا فيه ... وذلك فى أول العام الدراسى بمحضر من شيخ الأزهر وأعضاء مجلس الإدارة وكل أفاضل العلماء فى الأزهر[14] .

٦ ـ صدى تدريس العلوم الحديثة بالأزهر :

رأى مجلس إدارة الأزهر أن يستطلع ويختبر قوة المشتغلين بالعلوم الحديثة مع العلوم القديمة ، وحال المقتصرين على القديم فقط ، خاصة بعد أن حركت المكافآت همم الطلبة ونشاطهم إلى تعلم العلوم الحديثة ، فقرر أنه لا يقبل طلب امتحان المكافأة فى علم من العلوم الحديثة وحده ، بل لابد أن يصحب بثلاثة علوم على الأقل من العلوم المتداولة وأن من أراد الامتحان فى العلوم القديمة وحدها فله ذلك دون حجر عليه ، ثم تبين بعد الامتحان أن الذين نجحوا فى العلوم القديمة مع اشتغالهم بالعلوم الحديثة ، أكثر من الذين نجحوا مع اقتصارهم على العلوم القديمة وحدها .. وقد سجل المجلس ذلك فى تقريره السنوى مدعوما بالأدلة والأرقام ..

٧ ـ القانون رقم ١٠ لسنة ١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م وأهم مواده :

بصدور هذا القانون أصبحت مدرسة القضاء الشرعى المنشأة عام ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م ـ قسما من أقسام الأزهر .

والقانون الجديد هذا ينظم الدراسة بالأزهر على قواعد جديدة ، وأهم ما تضمنه تقسيم الدراسة بالأزهر إلى مراحل ، لكل منها نظام خاص ومواد مخصوصة ... وإنشاء هيئة تشرف على الأزهر برياسة شيخه ، تسمى « مجلس الأزهر الأعلى »[15] ، وإنشاء « هيئة كبار العلماء »[16] ، وإضافة مواد التاريخ والجغرافيا والرياضة ومبادىء الطبيعة والكيمياء إلى مواد الدراسة القديمة .

وقد جاء فى المادة الأولى من هذا القانون : أن الجامع الأزهر هو المعهد الدينى العلمى الإسلامى الأكبر ، والمعاهد الأخرى هى :

البقية ص ٦١٠

(١٤) عبد الكريم سالمان : أعمال مجلس إدارة الأزهر . د . ت وقد صودر هذا الكتاب .. ولم نعثر منه إلا على نسخة فريدة بمكتبة الأزهر .

(١٥) انعقد هذا المجلس لأول مرة فى تاريخه بدار مشيخة الأزهر وفق النظام الجديد فى ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٩هـ ٤ من يونية سنة ١٩١١م وكان يتكون من الشيخ سليم البشرى شيخ الأزهر رئيسا ثم الشيخ بكرى عاشور الصدفى مفتى الديار المصرية وشيخ السادة الحنفية ، والشيخ سليمان العبد شيخ السادة الشافعية والشيخ هارون عبد الرازق نائب شيخ السادة المالكية والشيخ أحمد البسيونى شيخ السادة الحنابلة ، وأصحاب السعادة أحمد شفيق باشا مدير عموم الأوقاف وأحمد فتحى زغلول باشا وكيل نظارة الحقانية ، وأحمد ذهنى باشا ناظر مدرسة المهندسخانة سابقا (الباحث) .

(١٦) تتكون هذه الهيئة من ثلاثين عالما من كبار العلماء وأفاضلهم على أن يكون عدد علماء المالكية منهم ٩ علماء والحنفية ١١ والشافعية ٩ والحنابلة ١ وبعد أن تداول مجلس الأزهر فى اختيارهم ، وبعد الاطلاع على الباب السابع من القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١م وبعد الاطلاع على المواد ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٧ من القانون المشار إليه .

التربية العسكرية في الإسلام

الفصل الأخير

بعد حياة عسكرية طويلة حافلة بالخبرة في القيادة والحرب قال القائد العسكري المشهور المشير مارشال الأمريكي في كتابه (الجنود في مواجهة النيران) : « إذا رغبنا في الحصول على الجندي الصالح للقتال ، فيجب أن تتجه انظارنا إلى مهد الطفل عندما تنشئه أمه ليكون رجلاً » .

١٤. مقاومة الحرب النفسية :

● ووضع الإسلام خير المبادىء لمقاومة أساليب الحرب النفسية التي يهدف العدو من ورائها إلى تدمير الروح المعنوية وإرادة القتال للمسلمين شعباً وجيشاً وإضعاف روح العمل والجهاد وقتل الإيجابية لديهم ، فيقرر أن العقيدة الراسخة المؤسسة على الإيمان الذي لا يتزعزع هي الركيزة العظمى لتحصين المسلمين ضد الحرب النفسية بمختلف صورها وألوانها .

● إن المؤمن إيماناً كاملاً لا يخاف الوعيد ولا يرهبه التهديد ، وليس جباناً ، رعديداً كأولئك الذين يقول فيهم الكتاب الكريم : ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ (الأحزاب ١٩) .. بل إن المؤمن لا يزيده التهديد والوعيد وأساليب الحرب النفسية إلا إيماناً وثباتاً واستعداداً للبذل والتضحية كأولئك الذين قال فيهم جل شأنه : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (آل عمران ١٧٣)

● ويتفق علماء النفس وخبراء الحرب النفسية على أن الحرب النفسية « تؤثر بفعالية أكثر على الجنود الخالين من العقائد الثابتة » لذلك كان الإيمان بالنسبة للمسلمين نوراً يهديهم ، وكان بالنسبة للأعداء صخرة تتحطم عليها أساليبهم ومحاولاتهم للنيل من معنويات المسلمين ، فكان جوابهم : « حسبنا الله ونعم الوكيل » ولذلك أعطاهم الله النعمة والفضل وصرف عنهم السوء ورضي عنهم :



للـواء/ أ/ ح

محمد جمال الدين محفوظ

﴿ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (آل عمران ١٧٤)

● ولعل من أروع الأمثلة التى تذكر فى هذا المقام ما حدث بين قائد جيش الفرس وبين خالد بن الوليد قائد جيش المسلمين وكان تفوق الأعداء ظاهراً فى العدد والعدة ، فبعث قائدهم برسالة محاولاً بث روح اليأس فى نفوس المسلمين وزعزعة ثقتهم فى قدرتهم على التغلب على جيشه المتفوق تفوقاً ساحقاً ، وهنا تتجلى عظمة العقيدة الراسخة ، وأثرها العظيم فى مواجهة حرب التخذيل وتثبيط العزائم ، إذ بعث خالد برد يقول فيه : « لقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ..» وبهذا انتصر المسلمون .

١٥- دور المرأة فى الدفاع عن أمتها :

● وتعلمت المرأة فى المدرسة الإسلامية أن لها دوراً فعالاً فى الدفاع عن أمتها سواء فى ميدان المعركة أو فى الجبهة الداخلية :

● ففى ميدان المعركة تقوم المرأة بخدمات الإعاشة والإمداد بالمياه والطعام وبالخدمة الطبية من إسعاف وتمريض وإخلاء للجرحى والشهداء .

قالت الرُّبَيع بنت معوذ - رضى الله عنها : « كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نسقى القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة » . (رواه البخارى وأحمد)

وقالت أم عطية الأنصارية رضى الله عنها : « غزوت مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أخلفهم فى رحالهم وأصنع لهم الطعام وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى » (رواه مسلم وأحمد وابن ماجة)

● وعن سهل بن سعد رضى الله عنه أنه سئل عن جرح النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال : جرح وجه النبى صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته (من الأسنان) وهشمت البيضة على رأسه ، فكانت فاطمة عليها السلام ، تغسل الدم ، وعلىٌّ يمسك ، فلما رأت الدم لا يزيد إلا كثرة أخذت حصيراً فأحرقته حتى صار رماداً ثم ألزقته فاستمسك الدم » (رواه الشيخان) .

● ووصل دور المرأة فى المعركة إلى حد الاشتراك فى القتال ، فقد أخرج مسلم من حديث أنس أن أم سليم اتخذت خنجراً يوم حنين وقالت للنبى صلى الله عليه وسلم : « اتخذته إن دنا منى أحد المشركين بقرت بطنه » فهذا يدل على جواز القتال للمرأة وإن كان فيه ما يدل على أنها لا تقاتل إلا مدافعة ، وليس منها أنها تقصد العدو وتطلب قتاله .

● أما عن دور المرأة فى الجبهة الداخلية فكان دوراً إيجابياً باليقظة والحراسة لحماية القاعدة التى انطلق منها الجيش ، ففى غزوة الأحزاب رأت صفية بنت عبد المطلب يهودياً يطيف بالحصن فقالت لحسان بن ثابت : إن هذا اليهودى يطيف بالحصن وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من ورائنا اليهود ،

←

ورسول الله وأصحابه قد شغلوا عنا فانزل إليه فاقتله ، فأجابها حسان : يغفر الله لك يابنة عبد المطلب ، والله ما أنا بصاحب هذا ، فأخذت صفية عوداً ونزلت من الحصن وضربت به اليهودى حتى قتلته .

● ثم إن من أعظم أدوار المرأة المسلمة وقت الحرب ، ضربها القدوة والمثل لـزوجها وأولادها فى الروح المعنوية وإرادة القتال المبنية على الإيمان والعقيدة الراسخة ، فتشجعهم على الخروج للقتـال ، وعلى الاستبسال فيه ، وتصبر الصبر الجميل عند استشهادهم ، بل تفرح بهذا الشرف الذى حظيت به ، ومن أروع الأمثلة على ذلك ما قدمته الخنساء من مثل فريد حينما استشهد أولادها الأربعة فى المعركة ، ويجىء إليها نبأ استشهادهم فتقول : « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته .» .

١٦ـ عقيدة الجهاد فى سبيل الله :

● عقيدة القتال ـ فى مفهوم العلم ـ تعتبر هى منبع الإرادة القتالية والشعلة التى تضىء قلب المقاتل بنور الإيمان ، بالقضية التى يقاتل من أجلها والتى تشكل فى نفسه قوة ذاتية تحركه إلى الفدائية فى القتال إلى درجة استرخاص النفس فى سبيل تلك القضية .

● ولقد جعل الله تعالى « الجهاد فى سبيل الله » هو الوظيفة الشريفة التى كرم بها الأمة الإسلامية كما يفهم من قوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُواْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾ (الحج ٧٨) (واجتباكم يعنى اختاركم) .

● فالاختيار هنا تكريم وتشريف لهذه الأمة التى جعلها جل شأنه فى خير منزلة بين الأمم فى قوله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران ١١٠) ، وفى قوله سبحانه : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ (البقرة ١٤٣) ومعنى أمة وسطا أى خياراً معتدلين (إن خير الأمور الوسط) ومعنى شهداء على الناس أى فى مقام عال (الشهيد فى اللغة هو الذى ينظر من عل) ..

● وقد سبقت حكمة الله جل شأنه أن تكون الأمة الإسلامية أمة مجاهدة عزيزة الجانب ، ولم يرد لها أن تخضع ولا أن تجنح إلى الذلة ولا أن تستكين إلى هوان يوماً ما ، لهذا المعنى السامى الذى أراده الله سبحانه نرى القرآن الكريم حافلاً بآيات الجهاد ، ونرى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ومسالك أصحابه جميعاً فى هذا الاتجاه ، ولابد هنا من التنويه بأن الإسلام بقدر عنايته بالجهاد ، عنى بأن تكون نفوس أهله رحيمة وألا يشطوا فى اتجاههم فالقصد إذن من الجهاد هو إعلاء كلمة الله وصيانة العزة للأمة الإسلامية ، ولعل هذا مما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وليست عزة الإسلام المطلوبة عزة الجبروت ولا الطغيان أو ترويع الآمنين ، وإنما هى عزة العدالة والحق والرحمة والإنصاف .

● وقد ربط الله سبحانه وتعالى الإيمان بالجهاد فى صورة متماسكة لا انفصام لها

بحيث يزول الإيمان عند الفرار من الجهاد وعند النكوص عنه ، فإن عقد الإيمان الذى بين المؤمنين وبين الله جل شأنه ، من أهم شروطه أن يبيع المؤمنون ـ بمقتضى هذا العقد ـ أنفسهم وأموالهم مجاهدين بذلك فى سبيل الله ، وثمن ذلك إنما هو الجنة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة ١١١)

١٧ـ الصبر فى الجهاد (التطعيم المعنوى)

● ويعلم الإسلام المجاهد ويربيه على قوة التحمل والصبر على مشاق القتال وأن يحتفظ بأعصابه وثباته ورباطة جأشه ولا يهتز أمام المفاجآت أو الصدمات ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران ٢٠٠)

● فتلك هى عناصر القوة فى الجهاد ، وهى تتعلق بالمجاهد قبل أن تتعلق بمعدات القتال ، وهكذا تثبت المدرسة الإسلامية أن معدات القتال وحدها لا تشكل عنصر القوة فى الجهاد ، بل لابد من قلب مؤمن وعزيمة صادقة وصبر قوى ورغبة دافقة ومصابرة للأعداء ، فلا ينفد الصبر ، بل تستعمل الحيلة فى المقاومة والصمود ، ولا تضطرب الأعصاب عند الصدمة الأولى وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنما الصبر عند الصدمة » (رواه البخارى) .

وليس الجهاد نزهة أو سياحة . إنما هو بلاء واختبار ، ولقد قال الله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (آل عمران ١٤٢)

● وحتى يكون الصبر والعزيمة الصادقة ، يجب على المحارب أن يقدر المشقة قبل أن يقدر الانتصار . وأن يعرف أنه يذوق البلاء قبل أن يذوق نعمة الانتصار . ولقد قال سبحانه وتعالى للمجاهدين : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (آل عمران ١٨٦) .

وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ . وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ . وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة ١٥٣ ـ ١٥٧) .

● وإن الله تعالى كان يربى روح الصبر فى المجاهدين بحملهم على توقع الأذى والبلاء ، حتى إذا نزل بهم لم يكن مفاجئاً لهم ، ولقد قال سبحانه فى ذلك : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة ٢١٤) .

● وإن توقع الشدة يسهل احتمالها ، ويجب على الذين يتقدمون للحروب أن يدرعوا دائماً بالصبر والإيمان ، فإن الصبر يكون معه النصر ، والإيمان يشد العزيمة ، ويقوى الاحتمال ، فلا يتخذ القتال هزوا ولعباً ، ولا يفهم أنه ما دامت معه الأسلحة فإن النصر معه ، لأن الأسلحة مهما يكن فتكها قد تتحطم فى يد من لا يستطيع حملها ، أما الإيمان فهو القوة الدائمة التى تدفع إلى العمل ولا تمل ولا تتحطم ، ولا يمكن أن تنالها أيدى الأعداء ، وهو الذى يجدد الأسلحة ، والأسلحة وحدها لا تجدد القلوب ولا تدفع الوهن .

● وتوضح المدرسة الإسلامية للمقاتل ناحية هامة فى مجال تحمل المشاق فى المعركة فهى توضح له أنه إذا اشتد القتال فلا يصح أن يتصور أنه هو وحده الذى يعانى من شدته ، بل عليه أن يعلم أن عدوه أيضاً يعانى ، وأن الصمود والثبات إلى النهاية هو السبيل إلى النصر ، قال تعالى : ﴿ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ (النساء ١٠٤) .

● وحتى فى حالة عدم الحصول على النصر الكامل فإن الإسلام لا يقر الانهيار فى الروح المعنوية أو إرادة القتال ، بل يدعو المجاهدين إلى طرح الحزن واستعادة قوتهم والإبقاء على بطولتهم وشجاعتهم والمحافظة على روحهم المعنوية ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ (آل عمران ١٣٩ ـ ١٤١)

● ولقد امتحن المسلمون وامتحن الرسول القائد صلى الله عليه وسلم ، فكانوا بإيمانهم اقوى من الأحداث التى واجهتهم ، قال تعالى : ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ﴾ (آل عمران ١٤٦)

١٨. التحكم فى درجة التذبذب العاطفى :

● الحرب من طبيعتها احتمال النجاح والفشل ، والمطلوب من المقاتل ـ باعتباره إنساناً له عواطف تجعله يفرح للنجاح ويحزن للفشل ـ أن يتحكم فى مدى تأثره العاطفى ، بمعنى انه لو تم له النجاح فلا يصح أن يذهب به فرحه إلى درجة التهور أو الاستكانة السلبية أو الغفلة وترك الحذر ، وإذا فشل فى معركة فلا يصح أن يذهب به حزنه إلى درجة الانهيار المعنوى ، أى أنه مطلوب منه أن تكون مسافة التأرجح أو التذبذب العاطفى بين حالتى الفرح والحزن قصيرة بقدر الإمكان لأن هذه المسافة كلما قصرت كلما منحت المقاتل قدرة أكبر على الصمود فى المعركة الممتدة فيظل محتفظاً بثباته وقدرته القتالية فى جميع الأحوال حتى النهاية ، وهذا من مقومات النصر .

● ذلك بالضبط هو ما تعلمه المدرسة الإسلامية للمقاتل المؤمن ، والشر الذى يصيب المؤمن لا يحمله على اليأس ، والخير الذى يناله لا يحمله على البطر ، بل إن المؤمن

ينتفع بما يصيبه من خير أو شر ! فيتلقى الخير بالشكر ليزيده الله خيراً ، ويتلقى الشر بالصبر ليزيده الله أجراً ، وهو فى كلتا الحالتين كما يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » (رواه مسلم) .

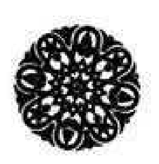
١٩. النصر أو الشهادة :

● وقد جعلت المدرسة الإسلامية شعار المجاهدين الصادقين فى قتال الأعداء : « النصر أو الشهادة » يقول سبحانه وتعالى : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (النساء ٧٤)

● والمتأمل فى المقابلة بين يُقتل (بضم الياء) ويَغلب (بفتح الياء) قد يتساءل : لماذا لم يقل المولى جلت حكمته : فيَغلب (بفتح الياء) أو يُغلب (بضم الياء) ؟ لأن المقاتل إما أن يكون غالباً أو مغلوباً ؟ .. ويمكن الإجابة على ذلك بأن المجاهد المؤمن لا يغلب أبداً (أى لا يقهر) وذلك لأن ينتظر إحدى الحسنيين ، ولا ثالث لهما فيما يقدره من نتائج ، لأنه فائز فى كل من النصر أو الشهادة غير مغلوب .

(تم البحث)

محمد جمال الدين محفوظ





الرسالات السماوية بين التطور والتجديد

الفصل الأخير

ولكن كيف نفسر ظاهرة عدم وجود كتب مقدسة قبل موسى عليه السلام ؟ إنها ظاهرة طبيعية ، ذلك أنه ليس لدينا أثر يبين لنا صورة واضحة لحياة الإنسان قبل ستة آلاف سنة ، وما وجد من آثار تكشف لنا عن بعض جوانب الحياة الإنسانية فيما قبل زمن تدوين نص التوراة الموجودة بين أيدينا ، فليس فيه كتاب بالمعنى المفهوم لنا من هذه الكلمة ، وإنما هى بعض نقوش تعبر عن صورة غير متكاملة لبعض أنشطة الحياة المختلفة ، حتى الجانب الديني ، فإننا نجد أن ما يعبر عنه هو أقوال متفرقة هنا وهناك ، وجدت منقوشة على جدران ما تركوه من آثار وما خلفوه من أوانٍ أعدت للاستعمال ، فعدم وجود كتب الرسل السابقين نتيجة لهذه الظاهرة العامة ، وترك القرآن الكريم الحديث عنها ، أمر طبيعى ، لأنه لم يتحدث عن السابقين إلا لضرب الأمثال فى معرض الحوار والمناقشة حول وحدانية الله ، ولا يتطلب هذا المقام حديثاً عن كتب لا وجود لها ، ولا يعرف المجادلون عنها شيئاً .

إن من الخطأ العلمى أن يعتمد القائلون بنظرية التطور فى الأديان السماوية على التوراة الموجودة بين أيدينا فى الاستدلال على صحة رأيهم ، ذلك أن هذا النص لا يمثل الوحى الذى نزل على موسى عليه السلام حتى يمكن القول ـ كما يدعون ـ بأن من مظاهر هذه المرحلة ـ وهى ما يسمونها مرحلة : « صبا البشرية » ـ انها ذكرت تواريخ ، ولكنها غير دقيقة ، لأن هذا القول ينسب إلى الوحى عدم الدقة فهم يتحدثون عن تطور الأديان السماوية التى نزل بها الوحى من السماء ، فى حين أن ما بين أيدينا لا يعبر عن الوحى ، وإنما هو حصيلة الثقافة الدينية لشعب اليهود صاغها كُتَّاب العهد القديم بأسلوبهم ، ومما لاشك فيه أن فكرهم لا يعبر تعبيراً دقيقاً عن مضمون الوحى الذى نزل على موسى عليه السلام ، بل اختلط به كثير من الثقافات الأخرى ، التى احتك بها الشعب اليهودى فى مسيرته التاريخية .

ويضاف إلى ذلك انه لم يكن هناك نص واحد فى بداية مرحلة تدوين الثقافة الدينية للشعب اليهودى ، بل وجد العديد من النصوص ، ففى القرن الثالث قبل الميلاد تقريباً كان هناك على الأقل ثلاثة مدونات للنص العبرى للتوراة ، ثم ظهر اتجاه فى القرن الأول قبل الميلاد إلى تدوين نص واحد ، ولكن تدوين نص الكتاب المقدس لم يتم إلا فى القرن الأول بعد

للأستاذ الدكتور/ محمد شامة

الميلاد ، وهو ليس بين أيدينا اليوم ، إذ أن أقدم نص عبرى للتوراة يرجع عهده إلى القرن التاسع بعد الميلاد .

فإذا كان هذا هو وضع الكتاب المقدس ، فكيف يعتمد عليه فى الاستدلال على نظرية التطور فى الأديان السماوية ؟

إن نظرية التطور تنسب إلى الوحى أشياء ليس من طبيعته التحدث عنها ، ألا وهى تحديد الزمن ، ذلك أن الرسالات السماوية جاءت لهداية الإنسان وعلاجه من الأمراض الاجتماعية ، حتى تقوم المجتمعات الإنسانية على أسس سليمة تحفظها من التفكك والانهيار ولما كانت خصائص الإنسان العامة ، واحتياجاته الأصلية لا تختلف من زمن لآخر ، ولا تتفاوت بتفاوت الأقطار والأمصار كان دين الله واحداً من يوم بدء خلق الإنسان حتى عصرنا الحالى وإلى أن تقوم الساعة ، ولذا فلا مجال لذكر التاريخ فى مرحلة وعدم ذكره فى أخرى ، كما يدعى القائلون بنظرية التطور فى الأديان السماوية ، لأن الإنسان واحد فى كل مراحله ، وما يعتريه من ضلال فى العقيدة وأمراض فى السلوك على اختلاف الأجيال والعصور تكاد تكون متطابقة : كفر بالله ، وعبادة الأصنام ، واستغلال القوى للضعف ، وإشاعة الفاحشة فى المجتمع ، وتسلط المادية على حياة الناس .. و.. و.. إلخ .

ولهذا فحين قص القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم أخبار السابقين لم يحدد زمن وجودهم ، ولم يذكر تاريخ الأحداث التى قصها ، لأنه ليس من العناصر الرئيسية المرادة من سرد هذه الأحداث ، ولأن طبيعة الحدث عامة ، فمن الممكن أن يحدث فى أي زمن وفى أي مكان ، فتحديدها بزمن معين يفقدها صفة العمومية ويحصرها فى دائرة محلية ، وهذا يتنافى مع عموم الرسالة .

فما جاء فى الكتاب المقدس من تحديد زمن بعض الأحداث لا يعبر عن وحى ، وإنما هو رأي الكاتب ومادام الكاتب بشرا فهو لا محالة سوف يخطىء فى تحديد التاريخ ، خاصة أن وسائل البحث فى مجال التاريخ لم تكن قد تقدمت فى ذلك العصر .

وعليه فخطأ المعطيات التاريخية فى الكتاب المقدس لا يدل إلا على ضعف الإنسان فى مجال التصورات التاريخية فى ذلك العصر ، فلا يصلح على الإطلاق أن يتخذ دليلاً على التطور فى الأديان السماوية ، لأن تحديد التاريخ ليس جزءاً من عملية هداية الإنسان إلى طريق الحق ، وعلاجه من الأمراض الاجتماعية .

ويرى أصحاب نظرية التطور فى الأديان السماوية أن المرحلة الثالثة ـ وهى ما أطلقوا عليها مرحلة : « شباب الجنس البشرى » تتميز بوضوح وحدانية الله وتحطيم الأصنام .

وهذا قول ينطوى على اتهام للرسل السابقين بأنهم لم يوضحوا قضية

الوحدانية ، ولم يحطموا الأصنام وفى ذلك ايضا إنكار ـ أو إغفال ـ لما جاء فى القرآن الكريم ، فقد جاء فيه الحديث عن جهود الأنبياء السابقين فى بيان وحدانية الله بصورة واضحة ، ليس فيها غموض ولا تورية ، فلو استعرضنا ما قاله الرسل السابقون لأقوامهم لظهر لنا وضوح دعوتهم إلى وحدانية الله وترك عبادة الأصنام ، فنوح قال لقومه : ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[1] وجاء بـ « الأعراف ٥٩ » ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ . وقال هود : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[2] وكذلك قال صالح .

كما حطم إبراهيم الأصنام بيده يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ . قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ . قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ . قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ . وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ . فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾[3] .

الا يدل هذا على وضوح الدعوة إلى وحدانية الله ، ونبذ عبادة الأصنام ؟ ثم ألا يعد ما فعله ابراهيم عليه السلام تحطيماً للأصنام ؟

فالقول بأن ما يميز المرحلة الثالثة ـ طبقاً لما يرونه من تقسيم تاريخ الأديان السماوية ـ إلى مراحل ـ هو وضوح وحدانية الله وتحطيم الأصنام لا يستند إلى دليل ، بل إن آيات القرآن الكريم تثبت خلافه ، ألا وهو أن هذه كانت السمات العامة لكل الأديان من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم : وضوح الدعوة إلى وحدانية الله ، ومحاربة كل صور الشرك وعبادة الأوثان ، والأصنام ، يقول تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾[4] ويقول ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ﴾[5] .

ويبدو أن السبب فى وقوع بعض العلماء فى هذا الخطأ هو انهم قارنوا بين القرآن الكريم في وضوح الوحدانية فيه ، وحربه على عبادة الأوثان ، وبين ما فى نص الكتاب المقدس الموجود بين أيدينا من خلط فى مفهوم تصور وحدانية الله ومهادنة لبعض صور الشرك أو قبول ما توحى به وهذه المقارنة قائمة على أساس غير سليم ، إذ لا تجوز المقارنة بين وحى الله ، وما كتبه البشر ، الذى خلط فيه بين ما هو صالح وآخر سيء يتنافى مع ما نزل على الرسل السابقين .

---

(١) الشعراء ١٠٧ ـ ١٠٨
(٢) الأعراف ٦٥
(٣) الأنبياء ٥١ ـ ٥٨ .
(٤) الشورى ١٣ .
(٥) فصلت ٤٣ .

ولهذا ينبغي علينا طرح فكرة تطور الأديان السماوية بعيداً ، وعدم قبول أية صورة من صورها ، فدين الله واحد ، ورسالة الأنبياء فى أصولها واحدة ، وخصائص دعواتهم متطابقة :

- ففى دائرة الألوهية دعوا كلهم إلى عبادة الله وحده ، وترك عبادة الأوثان والأصنام .
- وفى دائرة الرسل اعترفوا جميعاً بأنهم بشر ، وأن وظيفتهم لم تتعد البلاغ للناس .
- كما بينوا للناس أن الله هو المسيطر على كل ما فى الوجود ، فهو واهب الحياة للناس فى الدنيا . وباعثهم للجزاء فى الحياة الأخرى .
- كما دعوا جميعا إلى الخير والعمل الصالح ومكارم الأخلاق ، وحاربوا الشر والرذيلة
- كما وضح من سيرتهم أن موقف الأعداء منهم كان واحداً ، فقد كانوا مصرين على عبادة آلهتهم من دون الله ، وأنكروا البعث ، واستخفوا بوعد الله .

هذه هى الملامح الرئيسية لكل الرسالات السابقة كما ذكرها القرآن الكريم ، فليس فيها ما يشير إلى تطور ، أو اختلاف واحدة عن الأخرى .

وأخيراً يجرى على ألسنة المسلمين أن الأديان الثلاثة : « اليهودية والنصرانية والإسلام » .. أديان سماوية ، ويتدارس طلاب العلم في مدرجاتهم القضايا الدينية على أساس صحة هذه القضية ، بل يتناول الباحثون والمتخصصون فى المجال الدينى المسائل المشتركة بين الأديان الثلاثة ، بحثا ودراسة واستنتاجاً من منطلق الاعتقاد بأن الله أنزل اليهودية على موسى وأنزل النصرانية على عيسى عليهما السلام .

شاع هذا الرأي بين المسلمين واعتنقه جمهرة العلماء على الرغم من أن كثيراً من آيات القرآن الكريم تؤكد أن الإسلام فقط هو الدين السماوى ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلَامُ ﴾(٦) أي أن الدين المنزل من السماء هو الإسلام لا غيره .

ويقول : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِياً وَلَا نَصْرَانِياً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً ﴾(٧)

ويحكى القرآن الكريم دعاء يوسف ربه فيقول : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾(٨) .

وقد وردت آيات كثيرة على لسان رسل وصالحين ، عاشوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم يدعون فيها ربهم أن ينعم عليهم بالإسلام ، وأن يوفقهم إلى أن يموتوا مسلمين ، ولم ترد آية واحدة ، تذكر أن أحداً من السابقين على الإسلام سأل ربه أن ينعم عليه باعتناق اليهودية والنصرانية ، ذلك أن الله لم ينزل دينا سماه بهذا الاسم ، فلم يذكر فى كتابه الكريم أنه أنزل اليهودية على موسى أو أنزل النصرانية على عيسى عليهما السلام لأن اليهودية نسبة إلى يهودا والنصرانية نسبة إلى قرية الناصرة التى انتسب إليها أتباع عيسى عليه السلام .

إذاً ، فلا علاقة للتسمية بما أنزل الله على هذين النبيين ، فما أنزل على موسى هو الإسلام . وما أنزل على عيسى هو الإسلام .

(٦) آل عمران ١٩ .
(٧) آل عمران ٦٧ .
(٨) يوسف ١٠١ .

أما ما أطلق عليه اسم : « اليهودية » فهو عبارة عن تسمية لما عند اليهود من المبادىء والتشريعات الدينية التى جمعوها من تراثهم أي أنه وحى اختلط بما أخذوه من روافد ثقافية أخرى . ولا شك أن هذا الجديد يحمل من المعالم ما جعله ، يختلف كلية عما نزل على موسى عليه السلام . وهو الذي سمى بـ « اليهودية » .

فاليهودية هى من صنع اليهود ، وكذلك النصرانية أما ما نزل على موسى فهو الإسلام ، وهو نفسه الذى نزل على عيسى لأن الله يقول : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ أي أن الدين الذى نزل من عند الله هو الإسلام سواء نزل على موسى أو على عيسى عليهما السلام أو على غيرهما من الأنبياء السابقين ولكن ما نزل عليهما عندما اختلط بالثقافات البشرية ، ضاعت معالمه وأخذ اسماً آخر مقتبساً من الملابسات التى مرت بالأتباع ، سواء تعلقت بشخص أم بمكان .

والدليل على أن دين الله ، الذي نزل على الأنبياء جميعاً واحد ، وهو الإسلام أن كلمة « دين » لم تأت فى القرآن الكريم بصيغة الجمع « أديان » على الإطلاق ، لأن دين الله واحد ، وإن تعددت رسالاته ورسله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ . مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾[9] .

ولم يأت تعدد الرسالات إلا لتصحيح ما حرف ، لأن المجتمعات البشرية دأبت على تغيير الرسالات بعد رسلها ، فكلما طال الزمن ، بعد الرسل ، تمادى الناس فى غيهم وضلالهم فحرفوا وبدلوا ، فإذا ضاعت معالم الرسالة ، أرسل الله رسولا آخر ليبلغهم الرسالة من جديد حتى جاء خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم فحفظت رسالته من التحريف والتبديل يقول تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[10] .

لأن الله قد كتب فى الأزل أنه سيكون خاتم الرسل ، فحفظ ـ سبحانه ـ القرآن الكريم مما أصاب ما نزل على الرسل السابقين ، ولذا لم يعد الأمر فى حاجة إلى إرسال رسول آخر .

وجملة القول أن دين الله واحد، هو الإسلام ، وهو ما أنزله الله على جميع الأنبياء والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ أما ما يعرف باليهودية والنصرانية ، فهى تسمية لما فى أيدي اليهود ، وكذلك ما فى أيدى النصرانية ، من مبادىء وتشريعات دينية لا صلة لها بالإسلام إلا باعتبارها منسوبة فى أصلها ، إلى من أنزل عليه الإسلام من قبل وهما موسى وعيسى عليهما السلام ، أو باعتبار إن فيهما بعضاً مما أنزله الله عليهما ، وإن كان هذا البعض قد اختلط بما أضافه أتباعهما إلى وحى الله ، ولهذا أطلق القرآن عليهم « أهل الكتاب » ، ولم يطلق عليهم اسم يدل على أنهم أتباع دين نزل من الله على هذين النبيين ، لأن ما يتسمون به إنما هو علم على مجموع الثقافات الدينية التى اتخذوها ديناً لهم .

(٩) فصلت ٤١ ـ ٤٣ .

(١٠) الحجر ٩ .

الفتاوى

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين
تجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

س : من السيدة / ح . أ . ف درويش . القاهرة

تزوجت من مليونير عربي مقيم بالقاهرة عام ١٩٧٥ . وكنت ثيبا واستمر زواجنا حتى طلقني في أغسطس عام ١٩٨٦ دون حضوري مجلس الطلاق . ولم أنجب أولادا منه . وله أولاد من زوجة أخرى .

والمطلوب تحديد حقوقي الشرعية من بعد زواج دام احدى عشرة سنة . علما بأن أمواله وجميع أملاكه الموجودة بالسعودية باسماء أبنائه .. وله حصص في شركات على حافة الافلاس . وله نقود سائلة بالبنوك .. فما حقوقي الشرعية والتزاماتي ؟

ج : السيدة السائلة لها نفقة عدة تقدر بثلاث حيضات إن كانت من ذوات الحيض وإن لم تكن من ذوات الحيض وليست حاملاً فعدتها ثلاثة أشهر ولها نفقة الأشهر الثلاثة .

ولها نفقة متعة لا تقل عن سنتين من النفقة ، وللقاضى أن يزيدها حسب طول مدة الزوجية (من ثلاث سنوات إلى ثلاث سنوات ونصف) .

وعادة يقضى القاضى بالنفقة الشهرية حسب غنى الزوج ويساره أو إعساره ، وغالباً ما يكون في حدود (٢٥٪ أو ٣٠٪) في المائة من الدخل الشهرى .

وكل ما أعطاه الزوج لزوجته حال الزواج من هبات فهو ملك خالص لها لا يجوز الرجوع فيه ، وعلى الزوجة أن ترد لزوجها كل ما أخذته من حاجياته الخاصة ، وكذلك ترد إليه كل ما أخذته دون أن يأذن لها فيها ..

←

الفتاوى

س : من السيد ع . أ . م . أحمد . بنها قليوبية

تم صرف مبلغ متجمد معاش لوالدى المستحق لهذا المعاش من القوات المسلحة بسبب استشهاد ابنه في العمليات الحربية نتيجة تعديل فى قانون المعاشات بأثر رجعى من عام ١٩٦٢ تاريخ الاستشهاد حتى اليوم نرجو بيان الحكم فيما يأتى :

١ - هل تجب الزكاة في هذا المبلغ متى وصل النصاب المقرر ؟ وما شروط وتوقيت خضوعه لزكاة المال ؟

٢ - هل يجوز اعطاء ابن أخيه نصيبا من مبلغ الزكاة المقرر ، علما بأن ابن الأخ يعول أسرة من خمسة أفراد ومريض ويتعاطى علاجا يفوق امكاناته ؟

ج : عن الأول نفيد بأنه لا يجب عليه زكاة إلا بحصوله على المبلغ ومضى عام عليه بعد ذلك فتجب الزكاة . والزكاة تجب على الجزء المدخر الذى مر عليه عام فقط ، أما ما انفق منه للحاجة فلا زكاة فيه .

وعن الثانى : يجوز صرف الزكاة أو جزء منها لابن الأخ المشار إليه في السؤال إذا لم يكن عنده نصاب من الزكاة ، والنصاب مقداره بتقدير نصاب الفضة (٥٩١ جم) عيار ٩٠ ، ما يساويه بالجنيهات حسب سعر الجرام يوم وجوب الزكاة .. لأن من وجبت عليه الزكاة لا يجوز صرف الزكاة إليه .

س : من السيد / ع . ف . سليم . أسيوط

رجل أنقذه الله هو وابنه من حادث سيارة ويريد أن يفعل شيئا لله شكرا له ، هل يأتى بخروف يذبحه ويوزعه على الفقراء ؟ أم يشترى لحما ويوزعه أم ماذا يفعل ؟

ج : للسائل الخيار فى أن يفعل ما استطاع عمله ، وما كان أيسر له ، سواء كان ذلك لحما أو خروفاً يذبحه ويوزعه على الفقراء ، أو نقوداً وهذا هو الأفضل لأنه الأنفع للفقراء .

•••

س : من السيد / ع . ك . عبد العزيز . مصر القديمة

قلت لزوجتى :

١ - لو ذهبت إلى أمك بدون اذنى « تبقى طالق » وأقصد الطلاق .. وذهبت

٢ - قلت لها تحرمى على ..

٣ - بعد شهرين قلت لها اعتبرى نفسك مطلقة ..

٤ - بعد شهر ونصف قلت لها أنت طالق وكررتها أكثر من مرة في مجلس واحد .. فما الحكم ؟

ج : نفيد عن الأول بأنه طلاق معلق ، وما دام الزوج يقصد به الطلاق فتقع به طلقة رجعية وعن الثالث تقع به طلقة رجعية .. وعن الرابع يقع به الطلاق المكمل للثلاث ، وبذلك بانت منه الزوجة بينونة كبرى لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ويدخل بها دخولا شرعيا ،

فإذا طلقها الثانى أو توفى عنها وانقضت عدتها منه تحل للأول بعقد ومهر جديدين وبحضور شاهدين وبرضاها .

●●●

س : من السيد / أ . س . يوسف ـ مصر الجديدة :

شاب خطب فتاة وقدم لها شبكة ذهبية ، ثم توفى الخاطب وترك : أبا . اخوة أشقاء .. فما حكم الشبكة ؟ ومن يرث وما نصيبه ؟

ج : الشبكة جزء من المهر والمهر لا تستحقه المخطوبة إلا بالعقد عليها ، وما دام الخاطب قد توفى قبل العقد فإن الشبكة ترد إلى ورثته وتكون كلها للأب ، ولا شيء للمخطوبة من الشبكة لأنها أجنبية كما لا شيء للإخوة الأشقاء في التركة لحجبهم بالأب

●●●

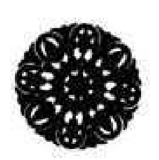
س : من السيد / م . ع . ابراهيم ـ شبرا مصر

توفيت امرأة عن : أولاد أعمام أشقاء ذكور واناث ، وعمة شقيقة .. فما الحكم ؟

ج : التركة كلها للذكور من أولاد الأعمام الأشقاء تعصيباً ، ولا شيء للإناث من أولاد الأعمام ولا للعمة الشقيقة لأنهن من ذوات الأرحام المؤخرات في الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات ..

والله أعلـــم ..

عبد الحميد السيد شاهين





من أعلام الأزهر

أحمد شفيع السيد[1]

الأديب الشاعر الراوية

طلب منى أخى الدكتور على الخطيب ان اخص الأستاذ احمد شفيع السيد بحديث ادبى يكون حلقة فى السلسلة التى اكتبها عن اعلام النهضة الفكرية المعاصرة، وعجيب ان اطيل الحديث عن النابهين فى اجزاء متوالية ثم اسكت عن هذا الأديب الراوية . والناقد الشاعر، مع أنى نهلت من ادبه ، وترعرعت فى حديقته ، ويعلم الله كم حاولت ان اكتب وانشر ، ولكنى اجد ما اكتب عن الأستاذ اقل بكثير مما فى نفسى، فامزق ما كتبت ، وارجىء الحديث لميعاد قادم ، ولكن إلى متى !

لقد اختص الأستاذ بميزة فريدة بين زملائه وعارفيه ، هى أنه كان موضع محبتهم الوثيقة جميعاً ، فما تجد أستاذاً أو تلميذاً أو كائناً مَنْ كان ممن عرف الرجل إلاّ أعجب بفضله ، وتدفق فى الثناء عليه ، وهذا الإجماع النادر ليس عفو المصادفة ، ولكنه يرجع إلى ذخيرة ثمينة من الخلق الرفيع تحلى بها الأستاذ الكبير، وقد جمعت بين لألائها الساطعة ، براءة النفس ، وسخاء اليد ، وسعة الأفق ، وحلاوة الحديث ، مع سعى موصول فى قضاء الحاجات ، وتحقيق الرغبات لمن ضاقت حيلهم من العاجزين ، فرأى الشيخ أن يبذل أقصى الجهود فى تقريب أمانيهم البعيدة ، وهى جهود متكررة متصلة لا تكاد تنقطع فى يوم ! هذا مع سعة الصدر ، وبشاشة الوجه ، وكرم الإيثار ، وجمال التواضع ، وإذا كان للأستاذ من يماثله فى الأدب والعلم ، فأين مَن ماثله فى مكارم الأخلاق إلا النادر القليل .

لقد كان منزله الكريم ندوة أدبية دائمة تجمع تلاميذه الكثيرين ، وتلاميذ الأمس غير تلاميذ اليوم ، فقد كان طلبة كلية اللغة

(١) لنا عن شعر الأستاذ احمد شفيع بحث تحليلى نشر بعدد جمادى الأولى سنة ١٣٨١ هـ من مجلة الأزهر

للدكتور/ محمد رجب البيومى

العربية لعهد الأستاذ ، أدباء شعراء علماء ، ومنهم صفوة مختارة يصطفيها الأستاذ كل عام من بين طلابه ، ويؤثرهم بتسديده وتوجيهه ، فكانوا يجتمعون فى منزله ، هذا يتلو قصة ، وذاك ينشد قصيدة ، أو يقرأ بحثا ، وأستاذنا من وراء ذلك يرسل نقده الصّائب فى تشجيع معتدل ، ويحيى فى نفوس أبنائه روحا طمّاحة تهفو إلى المجد ، وقد يفرض عليهم قراءة فصول معينه من أمهات التراث الأدبى ، لتكون موضع النقاش ، وأنا أذكر أنه دفعنى إلى استيعاب فصول من كتاب زهر الآداب ، وطالبنى بحفظ كثير من أشعاره ، لأن الأستاذ كان راوية ممتازا ، يروى أمامه البيت ، فيقرنه بعدة أبيات قيلت فى معناه على مّر العصور ، وهكذا فتن الأستاذ طلابه بالرواية الشاملة ، والحفظ الجيد ، غير ما دفعهم إليه من النظم فى موضوعات اجتماعية ، أو خلجات ذهنية ، فإذا وجد قصيدة مرموقة حملها بنفسه للأستاذ الكبير محمد فريد وجدى لتنشر فى مجلة الأزهر ، ثم جعل يشيد بصاحبها فى حجرات الدرس ، وفى لقاءاته الفكرية مع الأدباء ، فى ندوة الشيخ إبراهيم حمروش ، وفى مقهى الحلمية ، وفى مجلسه مع زملائه الأساتذة بالكلية ، وله أثناء ذلك بشاشة فرحة تنبىء عن سرور عظيم .

ومما أذكره له فى مضمار التشجيع لأبنائه ، أن مشيخة الأزهر كانت تقيم احتفالاً سنوياً بالهجرة الشريفة يحضره ملك البلاد ،



فضيلة الأستاذ الدكتور احمد شفيع

ووزراء الدولة ، ويرأسه شيخ الأزهر فيخطب الناس مع الكبار من العلماء ، ويذاع الحفل فورياً ، ثم تتحدث عنه الصحف اليومية مسجلة ما دار به تلخيصاً وتعليقاً ، وفى ذات عام طلب الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى من الأستاذ أحمد شفيع أن يعد قصيدة لحفلة المحرّم ، وقد سبق أن فعل فأجاد ، وكان اختيار الشيخ دائماً موضع المباهاة لمن يقع عليه الاختيار فيسارع بالإجابة شاكراً ، ولكن الأستاذ أحمد شفيع ذهب إلى الشيخ الأكبر ورجاه أن يختار شاعراً نابهاً من شعراء تخصص المادة بدلاً



أحمد شفيع السيد

عنه هذه المرة ، فتعجب الإمام المراغى وسأل عن السبب ، فقال الأستاذ هذا موقف مشهود يفيد الطالب النابه ، ويجعل له ذكراً فى الناس ، أما نحن فيشملنا الفضل لأننا آباء الطلاب وأساتذتهم ، وقد قام المراغى من مجلسه ، وحيا الشيخ مقدراً مثنياً ، وأجاب رغبته فى احتفاء !

هذا وتلاميذ الأستاذ يعرفون إعجابه الزائد بالأستاذ المراغى ، إذ كان لا يفتأ يتحدث عن نهضته بالتعليم الأزهرى وإنشائه للكليات ، ومواقفه السياسية الجريئة ، وآرائه الفقهية المستنيرة ، ودروسه الذائعة فى تفسير القرآن ، وله فيه عدة قصائد لم يشأ أن ينشرها ، ولكنه كان ينشدها فى مجالسه الخاصة ، ومما علق بذهنى من شعره فى هذا المجال :

يازعيم الإصلاح فى الشرق أنقذ
أمة تنشد الهدى من بيانه

لَذكرنا بيُمن عودك فينا
عودُ موسى بالحق من برهانه

شهد الشرق للمفاخر حفلاً
عَشِىَ الغربُ من سنا مهرجانه

ياعميد القضاء تغضب للعد
ل وتُغلى النفيسَ من ميزانه

وتردّ الحقوق غير مبالٍ
بعَسُوفٍ يلجّ فى بهتانه

نضرة الشعر من جلالك لاحت
فتجلى للناس حُسن افتتانه

نضر الله أوجها تزن المجد
وتعلى بين الورى من شانه

همة لا تنال منها الليالى
ومضاء كالنجم فى دورانه

يابشير الهناء واصلَنا الد
هرُ وكان الملحَّ فى هجرانه

لان بعد الشموس حتى حمدنا
بعد ذاك الشموس حُسنَ لِيانه

علمتنا الأيام أن نرصد الشر
إلى أن يزول فى طغيانه

ولشفيع مذهب فى الأسلوب الشعرى يدعو إليه فى محاضراته بكلية اللغة ، ومجالسه الأدبية فى ندوات السمر ، فهو يميل بالقصيدة إلى عربيتها الخالصة ذات البحر الواحد ، والقافية الواحدة ، ويدعو إلى الإشراق والوضوح دون غموض فى الرمز أو شطط فى الخيال ، وكثيراً ما قرأ علينا من ذاكرته قصائد رائعة لأعلام الشعر العربى فى أزهى عصوره المتعاقبة ، وله عند كل بيت إشارة ، ولدى كل معنى وقفة ، ولا تخلو قصيدة ما من تعليق صائب بيديه ، وقد كنت أجمع بعض ما يقوله عرضاً فى حديثه ، ثم أقدمه إليه مكتوباً فكان يسر كثيراً ، وربما أضاف بعضه إلى مذكراته الأدبية التى كان يضعها سنوياً للطلاب فى إيجاز .

قرأ يوماً قصيدة صفى الدين الحلى (لا يمتطى المجد من لم يركب الخطرا) فأخذ

يثنى على ما اشتملت من الحكم الرائعة ، ويقول:" إنه حاول أن يقلد المتنبى والطغرائى ليسير له ذكر بهذه التجاريب الخلقية العميقة ، لأن شعر الحكمة أكثر تداولاً ، وأعم شيوعاً إذ هو يجرى مجرى المثل على كل لسان ، حتى إذا وصل إلى قول صفي الدين :

لا يحسن الحلم إلا فى مواطنه
ولا يليق الوفا إلا لمن شكرا

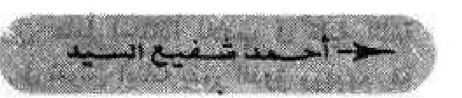
قال: إن الشطر الأول مسلم ، فللحلم مواضع لا يتجاوزها لأنه غير محتمل عند سماع الإهانات السفيهة من نذل لئيم ولا عند الأفعال القبيحة كالاعتداء على النفوس والأعراض ، أما الشطر الثانى فلا يفهم معناه على ظاهره لأن الوفاء مطلوب فى جميع الحالات:شكر الإنسان أو غدره ، فالغادر فى منهج الإسلام لا يقابل بالغدر تطبيقاً لقول الله عز وجل ﴿ وإمّا تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ﴾ ، وكان الأولى أن يقول صفى الدين :

ولا يليق الندى إلا لمن شكرا .

فيكون قد نحا منحى المتنبى حيث قال :

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف فى موضع الندى

ثم قال فى هدوء : على أن حوادث التاريخ توحى بعكس ما قال المتنبى ، فمعاوية كان يضع الندى موضع السيف ليجمع الشمل ، ويرأب الصدع فصلح أمره ، وهدأ باله ، ولكن الذى يسلك هذا المسلك لابد أن تكون له حصافة معاوية ، وبعد غوره » هذا بعض ما قاله الأستاذ بصدد التعليق العارض ، وكم له من وثبات فكرية تنبىء عن ذهن متوقد ، ونفس كريمة حقاً ، وقد ظل قرابة خمسة وعشرين عاماً أستاذاً للأدب فى كلية اللغة يغرس فى نفوس أبنائه بذور الذوق ويهبهم رقة الإحساس ولطف التهدِّى إلى أسرار البيان ، وكان درسه الأدبى سلسلة تتصل بدروس من سبقه من أشياخ الأدب السلفى:كسيد على المرصفى ومحمد المهدى وأحمد الأسكندرى ومحمد عبد المطلب وحسين والى ، ويزيد على بعضهم سعة محفوظه التى لا تندرج تحت حصر ، ومن جميل ما يحمد له أنه كان يروى كثيراً من القصائد السياسية المعاصرة التى كانت تقوم بعض الأسباب دون إذاعتها ، كهجاء المنفلوطى للخديوى عباس ، ومرثية أحمد محرم لإبراهيم الوردانى ، وذم شوقى لأحمد عرابى ، وكان يعقبه بقوله: لا أعرف لشوقى عثرة سوى هذا الهجاء ، ولعله كان مدفوعاً إليه ، وكنت أعارضه فأقول إن الذى يدفع مضطراً إلى هجاء رجل يرضى عنه لا يكرر الهجاء مثنى وثلاث ، فالإصرار على الهجاء تعبير عن شعور متمكن ، وفى نشأة شوقى بمعية الخديوى توفيق ، فولده عباس ما يؤثل خصومته للزعيم المفترى عليه ، فإذا رأى النقاش قد انتقل من الأدب للسياسة ، قال: لنرجع إلى الشعر القديم ، حيث لا خلاف ، ثم ينتقل إلى رواية الفرائد الأدبية ، والطرف الفكاهية بما اشتهر عنه ،



لأن روحه المرحة جعلته مصدر الفكاهة الرقيقة الموجهة ، وكان أستاذنا الكبير الشيخ محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء وزميله فى التدريس بالكلية يسأل عنه يومياً ليروى نكتة اليوم فإذا لم يجده طلب الأستاذ الدكتور إبراهيم أبا الخشب ليقول له فى ابتسام : ماذا قال شفيع وأنا غائب ؟

وقد وُلد رحمه الله بالإبراهيمية شرقية فى ابريل سنة ١٩٠٢ ، وكنت اداعبه فأقول فى اى يوم من ايام إبريل ، فيقول مبتسماً لا تصدق شهادة الميلاد ، فآباؤنا فى هذا الزمن من أوائل هذا القرن لم يكونوا حريصين على تسجيل الميلاد فى وقته المحدد ، وقد يمضى عام دون تسجيل ، إلا أن المسألة إذا انحصرت فى عام فلا حرج ، ثم التحق بالأزهر بعد أن حفظ القرآن وجوده ، وكان لَدَى والده الشيخ السيد حسين نسخة من الطبعة الأولى لكتاب جواهر الأدب للسيد أحمد الهاشمى فوقعت فى يد الابن الناشىء قبل أن يلتحق بالأزهر فأكبَّ على استظهار ما تضم من النثر والشعر ، وإليها يرجع تعلقه الشديد بالأدب واهتمامه بتاريخ الأمة العربية على مر العصور ، وكنت أقول له: إن السيد أحمد الهاشمى ناقل لا مبتكر ، فيقول: وماذا فى الأمالى والكامل والعقد الفريد وعيون الأخبار غير النقول ، ويعقب على ذلك بقوله : لا تبخس الناس أشياءهم يارجب ، فاختيار الأديب قطعة من عقله ، وشتان بين من يقدم الدر ومن يقدم الخزف ، ثم التحق بالأزهر عشر سنوات فحسب نال بعدها شهادة العالمية سنة ١٩٢٦ متخطياً بعض سنى الدراسة عن طريق الامتحان الخارجى حيث لم يمنع القانون حينئذ طالب السنة الأولى بالقسم الثانوى أن يتقدم لامتحان الشهادة الثانوية فى العام نفسه ، وهكذا أنس الطالب من نفسه شجاعة وعلماً فتقدم ليختصر خمسة أعوام فى عام واحد بتوفيق الله ، ثم اشتغل بالمحاماة الشرعية عامين قبل أن يعين مدرساً بمعهد الزقازيق ، وله عن ذكرياته بالمحاكم الشرعية نوادر لو جمعت لأفادت .

وقد مكث بالمعهد الأزهرى تسع سنوات انتقل بعدها إلى كلية اللغة العربية سنة ١٩٣٧ ، لأن شيخ المعهد إذ ذاك وهو فضيلة الأستاذ الكبير محمود أبو العيون كان دائم الزيارات العلمية للأساتذة بالفصول ، فهو يفاجئهم مفاجآت متصلة ليكونوا على أهبة الاستعداد الحافل ، وله مع كل أستاذ حديث عقب الدرس يثنى أو ينقد ، وقد استمع كثيراً إلى دروس الأستاذ شفيع فى مادتى الأدب والإنشاء ، فحرص على مواصلة زياراته مغتبطاً مشجعاً ، حتى إذا طلب منه الأستاذ الأكبر ترشيح عالمين من علماء المعهد لكليتى اللغة والشريعة اختار الأستاذ أحمد شفيع لتدريس الأدب والأستاذ عبد اللطيف السبكى لتدريس الشريعة ، وهو اختيار صادف أهله ، فإذا سألنا اليوم عن تفوق المعاهد بالأمس ففى صنيع الأستاذ أبى العيون وفى جودة اختيار المدرس والطالب معاً تعليل ما كان من سبق علمى ، إذ كان طالب المعهد الثانوى إذ ذاك عالماً وهو يتعلم ، كان يهيىء الدرس قبل الحضور لمناقشة الأستاذ ،

وكان يخطب فى المحافل فصيحاً بليغاً دون خلل ، وكان يفتى فى مسائل الفقه مُستندا إلى أهم المراجع فى ثقة وإخلاص ، فليت شعرى أَنَجِدُ اليوم من المتخرجين فى الكليات الجامعية والمدرسين بالمعاهد والمدارس الثانوية مَنْ يصل إلى مستوى الطالب الأزهرى فى معهده الثانوى القديم؟! إننا نجيب بالنفى الحاسم ، والحسرة تملأ نفوسنا ، والأمل فى تغيير الوضع يخايل خواطرنا ، وأكثرنا يردد قول جرير :

ذم المنازل بعد منزلة اللوى
والعيش بعد أولئك الأيام

وقد أقيم سرادق « فخم » فى ساحة معهد الزقازيق لتوديع الأستاذ وتحيته وتهنئته بالترقية ، خطب فيه شيخ المعهد ، وصفوة من قادة الرأى بمدينة الزقازيق ، وكانت البلاد مشغولة حينئذ بمحاربة الاحتلال ، وتهيئة القوة الرادعة المسلحة التى تصون الوطن من الاعتداء ، فألقى الأستاذ أحمد شفيع قصيدة رنانة بدأها بتحية الشباب الأزهرى الناهض ، وأشاد بحركة الإصلاح التعليمى فى المعاهد والكليات ، وضرب على أوتار القلوب حين ألم بالوضع السياسى فطالب بتقوية الجيش ، وهتف بأن المعاهدة بين مصر وانجلترا لا تحقق مطمح البلاد ، إذ لابد من سياج حافظ للأمن داخلياً وخارجياً ، وليس تعدد المعانى مما يشين فى موقف الشاعر الخطيب ، لأنه هنا يفصح عن رغبات الجمهور فى حشد حماسى يتطلب من يهتف بمشاعره واضحة دون لبس ، وفى هذه القصيدة الحماسية رنة بحترية تسمعها فى مثل قول الشاعر المقتدر :

أَصِخْ لداعى العُلا ياباعث العرب
واهتفْ بنجواك هذا منتدى الأدب

هذا عكاظُ ، أعاد الدهرُ جدتَهُ
فراح يختال فى أثوابه القشب

شبابُنا الناهضُ الوثاب حليته
وللشباب حِلًى موصولةُ النسب

مابهجة الزهر يكسوه الضحى ذهبا
أبهى إلى ناظرى من حفلنا العجب

وما الصباح تفيض السحر بسمتُهُ
الذ فى خاطرى مِن شاعرٍ طرب

والشعر والسحر عز الفصل بينهما
والشعر أبقى على الأيام والحقب

ياقوم هذى يد الإصلاح قد بسطت
وليس يَخدع أن القيد من ذهب

إن يدفع الناسُ عن أوطانهم سعدوا
أو لا ، فبين يد الأهوال والنوب

أو ذادت الطير عن أوكارها حدبا
فالنيل من أهله أَوْلَى بذا الحدب

يابانىَ المجد لا تهتف بمنقبة
إن لم تَشِدْهُ على الأرماح والقضب

طغى على الناس دينٌ لا مردّ له
قوامُهُ فى الحديد الصلد واللهب

ما بال مصر أقال الله عثرتها
تمشى الهوينى ولا تسنّ فى الدأب ..

أحمد شفيع السيد

ومضت القصيدة المحفلية تشيد بمصر ، وبالنجباء من أعلام الأزهر ، وتشكر المحتفلين وتحيى ذكرياتهم المجيدة فيما سلف من عهد الزمالة ، وترسل حنات الوداع فى طرب هاتف ، وقد طار صداها إلى كلية اللغة فاستقبلت الوافد الجديد شاعراً أديباً مرموقاً واحتل شفيع مكان التوجيه القيادى فى مفتتح عهده ، فأشرف على كثير من الرسائل العلمية التى تقدم بها طلبة تخصص المادة فى البلاغة والأدب والنقد ، فكان ـ رحمه الله ـ يقترح الموضوع ويعد مراجعه ، ويرسم خطته ، حتى أعان نخبة مختارة من تلاميذه ، صاروا فيما بعد زملاءه فى التدريس ، فرعوا له مكانة الأستاذ ، وفضل المربى القائد ولم يشغله التدريس ـ وهو يومئذ مقيد بكتاب تحدده الكلية ـ عن التأليف الخاص للنفع العام ، فأصدر دراسات عن الأدب المملوكى ، والأدب المعاصر ، وخص مصطفى لطفى المنفلوطى وعبد العزيز البشرى بترجمتين وافيتين ، كما اشترك مع زميله الأستاذ محمود رزق سليم فى كتابة مؤلف عن الأدب الحديث ، كان يوزع قبل أن يستكمل طبعه على هيئة الملازم المنفردة ، فليتنا نجد من يحرص على جمعه وإعادة نشره قبل أن يضيع .

يتبع

د . محمد رجب البيومى

الأزهر حتى مشارف المناهج الحديثة - بقية

معهد مدينة الأسكندرية ، ومعهد مدينة طنطا ، ومعهد مدينة دسوق ، ومعهد مدينة دمياط ، وكل معهد يؤسس فى القطر المصرى بإرادة سنية وكذاكل معهد أهلى يتقرر إلحاقه بالجامع الأزهر أو بأحد المعاهد الأخرى بالشروط والأوضاع التى تبين فى لائحة يضعها المجلس الأعلى ويصدق عليها بإرادة سنية .

وقد جاء فى المادة الثالثة : أن مدرسة القضاء الشرعى تكون قسما ملحقا بالجامع الأزهر وتبقى حافظة لنظامها المقرر لها فى قانون ٢٥ فبراير سنة١٩٠٧م ، ويحل مجلس الأزهر الأعلى محل ناظر المعارف العمومية فى جميع الاختصاصات التى له الآن بمقتضى القانون المشار إليه .

٨ ـ إنشاء اقسام للتخصص بالأزهر :

بما أن الأزهر كان فى حاجة أخرى إلى اقسام للتخصص يزداد فيها العالم تمكنا فى المواد الأزهرية الأصيلة فقد رؤى إنشاء قسم التخصص سنة ١٩٢٣م ويتكون هذا القسم من مجموعة شعب منها : شعبة الفقه والأصول لتخريج قضاة شرعيين ، وكان ذلك تمهيدا لإلغاء مدرسة القضاء ...

ثم توجهت العناية إلى التوسع فى دراسة العلوم الحديثة فى المرحلتين الابتدائية والثانوية بالمعاهد الدينية ، فزودت هذه المعاهد بالمعامل اللازمة لهذه الدراسة .

د . مجاهد توفيق الجندى

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

الإعصار

أنا مسلم

طفل الحياة

الإعصار

للشاعر: محيى الدين عطية

ترى هل وشت عينى بما كان خافيا　　وقالت لكم مالم يقله لسانيا ؟

فعيناى مرآة ، إذا راق ماؤها　　بدت حادثات الدهر فيها سواقيا

فطوراً يموج البحر بالحزن هادراً　　وطوراً يمر النهر بالفرح صافيا

فإن لاح منها - رغم حرصى - مرارة　　فلا لوم ، فالأيام صارت لياليا

ولم أدر أين السر فيما أصابنا　　وفينا كتاب الله مازال هاديا

فهذى حروب نصطليها ، كأننا　　قطيع يمد العنق للذبح ساعيا

وبالباب سمسار يبيع سيوفه　　وفى الدار ذئب يرقب الحفل راضيا

فلا تعطنى - يارب - قوساً وأسهماً　　فقد صرت جرحا بعد أن كنت راميا

ولاتبن لى بيتا وسوقا ومصنعاً　　فقد هدم الإعصار ماكنت بانيا

ولكننى أرنو لعقل وحكمة　　ووعىٍ وإيمانٍ يصون البواقيا

****

أنا مسلم

للشاعر أبوزيد إبراهيم سيد

بِالشَّرقِ أوْ بالغربِ لَسْتُ بمقتدِي | أنَا قُدوتِي ماعشت شرعُ محمدِ
حاشاي يطويني سرابٌ خادعٌ | وَمَعِي كتابُ اللّهِ يَسْطَعُ فى يَدِي
رُوحُ الحياة ونورها وجمالُها | من حادَ عنه ففى ظلامٍ سَرْمَدِي
أنَا لَسْتُ معصوبَ العيونِ مكبَّلاً | فاضيعَ فى حلك الوجودِ الأسودِ
وعقيدتى صُبْحٌ تألَّق فى الورى | فتالقت دُنيا بصُبْحٍ مُسعِدِ
وصحا على نور العقيدة عالَمٌ | قَدْ هَبَّ يَفْتِكُ بالظلامِ المُزبدِ
وتحطَّمَ الشِركُ المذِلُّ ببأسِهِ | وهوى بأعماقِ الخضَمِّ المزبِدِ

***

انا مسلمٌ واقولها ملء الورى | وعقيدتى نورُ الحياة وسؤددِي
سَلْمَانُ فيها مِثْلُ « عمرو » لا ترى | جِنساً عَلَى جِنْسٍ يفوقُ بمحتدِ
وبلالُ بالإسلام يشمخُ عزةً | ويدكُ تيجانَ العنيد الملحِدِ
وَخُبَيْبُ أخْمَدتِ القَنَا انفاسهُ | لكن صوت الحق ليس بمُخمَدِ
وَرَمَى صُهَيْبُ بكل مالٍ للعدا | ولغيرِ ربحٍ عقيدةٍ لَمْ يقْصِدِ
إن العقيدةَ فى قُلوب رجَالِها | مِنْ ذَرَّةٍ أقوى وألْفِ مهنَّدِ
انا مسلم ما كنت يوماً سافكاً | لِدمٍ ومَا أنَا بالظَّلُوم المعْتَدِي
لِلّهِ أسْعَى فاتِحاً وَمُجَاهداً | ولغيرِ ربى جبهتى لَمْ تَسْجُدِ
وَعِبَادَتِى لِلّهِ جَلَّ جَلالُهُ | فانا سِوَى ربِّ الورى لم أعْبُدِ
سَاعُودُ للدُّنْيا صَبَاحاً مشرقاً | وتُضيءُ دنيانا بشرع محمد
وَنُعيدُ أمْجَادَ الحَياةِ وَعِزَّةً | شمَّاء تَسْمُو فَوقَ هَامِ الفَرْقَدِ
وَنَقُولُها : اللَّهُ اكبرُ حسبنا | وبشرعةِ اللّهِ المهيمنِ نَقْتَدِي

طفل الحياة

شعر/ رشاد محمد يوسف

المغنى العظيم أجهده اللحن ... وذابت على الشفاه الأغانى
وهو كان الهزار فى الق الصبح ... يناجى الضياء فى اطمئنان
شارك الطير شدوه فتعالت ... اغنيات المروج والرعيان
وعلى ضفة الغدير تلاقت ... راقصات الظلال والشطان
سكب الآه فانتشى كل صبٍ ... عشق الناى وانطلاق المثانى[1]
واستحال الوجود خفقة قلبٍ ... وصدى غنوةٍ ورقصة بان
صاغ من خفقة القلوب نداءً ... يستحث الحياة فى الوجدان
صاغ من قبلة الندى همساتٍ ... توقظ النور فى الشذا الوسنان

•••

كان روحَ الحياة يبعث فيها ... خطرات من قلبه النشوان
كان نبضَ الحياة ينفث فيها ... صلوات من روعة وافتنان
كان كالعطر هامساً يتهادى ... يسرق الخطو فى رياض الجنان
دربه الحرف والأصالة فيه ... هى والصدق آية «الفنان»
إنه شاعرٌ وللشعر طهرٌ ... وخلودٌ فى خاطر الأزمان
إنه شاعر وحسب القوافى ... أن ترى شاعراً نقىَّ اللسان
هو طفلُ الحياة كم يتساقى ... خمر افراحها بغير دنان
والعظيمُ العظيمُ من أسعدَ ... الناسَ وأحيا مباهجَ الإنسان
من يحيل الحياة نجوى لشاكٍ ... ويحيل الوجود سلوى لعانى
من يذيب الأسى من النفس حتى ... تهجر النفسُ عالَمَ الأحزان
من يبث الأمان فى خاطر الناس ... ينادى مبشراً بالأمان
ويغنى الحياة لحنَ سلام ... وانطلاقٍ ونشوةٍ وتفانى
إنه الشاعرُ الذى نتمناهُ ... يعيدُ الربيع للأغصان

---

(١) المثانى : جمع مثنى ، وهو مابعد الأول من أوتار العود .

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

الرحلات في عالم الحشرات

الإعجاز العلمي

في القرآن الكريم (٢٢)

تقديـــــــم :-

ظهرت تفسيرات ونظريات عديدة خاصة بالضوء منذ عصر ابن الهيثم عالم البصريات الذي قال إن الضوء أشعة تخرج من الجسم المرئي وتسقط على العين . ثم جاء بعد ذلك نيوتن العالم البريطاني الذي ادعى أن الضوء جسيمات دقيقة جداً تخرج من الجسم لتسقط على العين . ثم ظهرت نظرية الموجات الأثيرية التى سريعاً ما حل محلها نظرية الموجات الكهرومغناطيسية على يد كلارك مكسويل الذي عندما صاغ معادلاته الرياضية الأساسية للمجال الكهرومغناطيسي وجده يسرى بسرعة ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية الواحدة ، وهى نفسها سرعة الضوء في الفضاء كما قاسها فيزو وفوكولت وغيرهما .

وبصرف النظر عن تلك النظريات نجد بالتجربة والقياس أن الضوء الأحمر ينبعث من الجسم المادى [أى يشعه الجسم تلقائياً] عندما نرفع درجة حرارته إلى نحو عدة مئات سنتجراد ثم بزيادة التسخين تنبعث الألوان : البرتقالى ، فالأصفر ، فالأخضر ، فالأزرق فالنيلي ، ثم البنفسجي .

ويكون هذا الخليط في مجموعه اللون الأبيض ترسله الشمس من سطحها الخارجى الذي تبلغ درجة حرارته نحو ٦٠٠٠ درجة سنتجراد . أما الأجسام التى في درجات حرارة جو الأرض العادى البارد نسبياً فإنها لا تشع الضوء ذاتياً ولكنها ترده أو تعكسه إذا سقط عليها وذلك بدرجات متفاوتة ، كما يحدث من المرايا وسطح القمر .. وكافة الأجسام التى تميزها في ضوء النهار مثلاً .

وضوء النهار ناجم عن تشتت أو تناثر اشعة الشمس في طبقات الغلاف الجوى الكبيرة الكثافة نسبياً والممتدة من سطح الأرض إلى ارتفاع نحو ٢٠٠ كيلو متر ، وتلك هى القبة الزرقاء ، أو القشرة من غلاف الأرض الجوى التى تواجه الشمس دائماً بأن تنسلخ من جسم غلاف الأرض الجوى المظلم بدوران الأرض حول محورها لكى تظل تواجه الشمس .

﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ .

« يس - ٣٧ - »

أما النور فهو إما أن يكون « نوراً » حسياً أى من نوع الضوء الذى نبصر به الأشياء

المادية ، وإما أن يكون النور معنوياً من النوع الذي تبصر به القلوب وتهتدى العقول في بيداء الحياة الدنيا . وبدونه تظلم الأفئدة وتحيد الأنفس عن الحق وسط ظلمات الشك وقلق الكفر وانعدام الإيمان ، وفي هذا المعنى يقول الله تعالى مثلاً :

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ .

« الحج ـ ٤٦ ـ »

ويذكر كتاب الله العزيز الضوء والضياء والنور ومشتقاتها بالمعانى التى شرحناها بإعجاز تضمنته آيات عديدة تكون في مجموعها **العمق الثاني والعشرين من أعماق الإعجاز العلمى في القرآن الكريم ، وذلك على النحو الآتى :**

من آيات النور المعنوى :

١ ـ ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ . . . . ﴾

« البقرة ـ ٢٥٧ ـ » .

فالظلمات هنا هى ظلمات الكفر ، والنور هو نور الحق والإيمان . وهذا هو نفس المعنى فى قوله تعالى :

٢ ـ ﴿ . . . وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ . . . ﴾ .

« البقرة ـ ٢٥٧ ـ » .

٣ ـ ﴿ . . . قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ .

« المائدة ـ ١٥ ـ » .

ويشير النور هنا إلى الرسول الكريم ﷺ الذي يبلغ الرسالة .

٤ ـ ﴿ . . . وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ . . . ﴾ .

« المائدة ـ ١٦ ـ » .

والمراد هنا كذلك من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان . وتتكرر هذه المعانى فى قوله تعالى :

٥ ـ ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ . . . ﴾ .

« المائدة ـ ٤٤ ـ » .

٦ ـ ﴿ . . . وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ . . . ﴾ .

« المائدة ـ ٤٦ ـ » .

٧ ـ ﴿ . . فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

« الأعراف ـ ١٥٧ » .

٨ ـ ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ . . . ﴾ « التوبة ـ ٣٢ ـ » .

٩ ـ ﴿ الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ . . . ﴾ .

« إبراهيم ـ ١ ـ » .

١٠ ـ ﴿ . . . أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ . . . ﴾ .

« إبراهيم ـ ٥ ـ » .

١١ ـ ﴿ الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾« النور ـ ٣٥ ـ » .

ومعنى النور هنا هدى عام وشامل يهدى سبيل كافة ما فى الكون من مخلوقات وكائنات حية وغير حية كأجرام السماء التى تسبح في خضم فضاء الكون المظلم بنظام دقيق في مسارات رسمها لها الخالق العليم فلا تحيد عنها .

١٢ ـ ﴿ ... نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ... ﴾
« النـور ـ ٣٥ ـ » .

والمراد هدى فوق هدى وعناية ورعاية وعدل من كنوز الرحمة والحنان والعلم والمعرفة والإيمان ... وغيرها من صفات الرحمن .

١٣ ـ ﴿ ... وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ .
« النـور ـ ٤٠ ـ » .

يعنى من لم يهده الله تعالى إلى نور الإيمان فلا سبيل إلى هدايته ليسلك طريق النجاة .

١٤ ـ ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ... ﴾
« الأحزاب ـ ٤٣ ـ » .

١٥ ـ ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ... ﴾ .
« الزمر ـ ٢٥ ـ » .

١٦ ـ ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ... ﴾ .
« الحديد ـ ٩ ـ » .

١٧ ـ ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ واللهُ مُتِمُّ نُورِهِ ... ﴾ .
« الصف ـ ٨ ـ » .

يعنى يغير اليهود الكتاب ويحرفونه ليحولوا دون عبادة الله تعالى ، إلا ان الله مكتمل نوره ومتم كتابه ودينه .

١٨ ـ ﴿ ... لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ... ﴾ .
« الطلاق ـ ١١ ـ » .

١٩ ـ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً ﴾ .
« النساء ـ ١٧٤ ـ » .

هو نور القرآن الكريم الذي يهدي إلى سبيل الرشاد .

٢٠ ـ ﴿ ... قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ ... ﴾ .
« الأنعام ـ ٩١ ـ » .

٢١ ـ ﴿ ... مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً ... ﴾ .
« الشورى ـ ٥٢ ـ » .

٢٢ ـ ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ... ﴾ .
« الأنعام ـ ١٢٢ ـ » .

والتفسير ليس حال من كان يعيش في ظلمات الكفر والجهل فهو كالميت بضلاله ليس حال ذلك كمن أحياه الله بالإيمان وأنار بصيرته بالحجة البينة أمام الناس .

٢٣ ـ ﴿ ... وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ ... ﴾ .
« الحديد ـ ٢٨ ـ » .

أى نوراً تهتدون به فى حياتكم الدنيا .

٢٤ ـ ﴿ ... نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ... ﴾ .

« التحريم ـ ٨ ـ » .

٢٥ ـ ﴿ ... مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ... ﴾ .

« النـور ـ ٣٥ ـ » .

أى أن مثل هدى الله وأدلته الواضحة كمثل فجوة في جدار يوضع فيه المصباح فتجمع فيها الضوء وتوفر ..

٢٦ ـ ﴿ ... يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ .. ﴾ .

« النور ـ ٣٥ ـ » .

٢٧ ـ ﴿ وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ .

« الأحزاب ـ ٤٦ ـ » .

وحقيقة السراج أنه من مصادر الضوء ، إلا أن المراد هو هداية الحائر بنور الهدى .

من الآيات التى تذكر النور بالمعنى الحسى :

يجىء ذكر النور بمعناه الحسى ، أى بمعنى الضوء الذى نبصر به الأشياء المادية ونميزها ، في مثل قوله تعالى :

١ ـ ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً ﴾ .

« نوح ـ ١٦ ـ » .

والقمر كما نعلم لا يضىء ذاتياً ولكن يرد أو يعكس ضوء الشمس الساقط على سطحه إلى الأرض فينيرها بنوره الفضى الذي طالما تغنى به الشعراء .. ومن الإعجاز حقاً أن يفرق القرآن الكريم بين نور القمر (المرتد) وضوء الشمس (المنبعث) ويشبه الشمس بالسراج وهو مصدر مرموق للضوء .

٢ ـ ﴿ ... وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً ... ﴾ .

« الفرقان ـ ٦١ ـ » .

والمراد بالسراج هنا الشمس كما قلنا ، أما القمر فهو ينير بضوء الشمس المرتد كما نعرف في عصر العلم ، ويسميه القرآن الكريم (قمراً منيراً) ..

٣ ـ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ... ﴾ .

« الأنعام ـ ١ ـ » .

والله الذي خلق الكون المادى جعل فيه الظلمات والنور كما هو مألوف ومعروف .

٤ ـ ﴿ ... قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ... ﴾ .

« الرعـــد ـ ١٦ ـ » .

والفرق واضح بين الظلام الحالك والنور المبين ، وعلى أية حال فإن النور بكل معانيه هو ضد الظلام بكل معانيه كذلك .

آيات فيها لفظ أضاء أو مشتقاتها :

إن من أروع صور الإعجاز العلمى في القرآن الكريم قصر لفظ « أضاء » ومشتقاته على الضوء المنبعث ذاتياً من مصادر الضوء مثل الشمس والبرق ... فنجد مثلاً قوله تعالى :

١ ـ ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً ... ﴾ .

« يونـس ـ ٥ ـ » .

٢ ـ ﴿ . . . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ . . ﴾ .
« البقرة ـ ٢٠ ـ » .

٣ ـ ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ . . . ﴾ .
« البقرة ـ ١٧ ـ » .

والنار من مصادر الضوء كما نعلم .
٤ ـ ﴿ . . . يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ . . . ﴾ .
« النور ـ ٣٥ ـ » .

٥ ـ ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً . . . ﴾ .
« يونس ـ ٥ ـ » .

٦ ـ ﴿ . . . مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ .
« القصص ـ ٧١ ـ » .

وفي الواقع تبدأ هذه الآية الكريمة بقوله تعالى :
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . . . ﴾ .
« القصص ـ ٧١ ـ » .

وليس ذلك بالأمر العجيب ، فضوء الشمس مثلاً لا يصل إلى أعماق المحيطات ، وهناك الظلام مقيم ، وتتلمس كائنات الأعماق ـ مثل الأخطبوط ـ أقواتها بأذرعها العديدة بدلاً من العين !

خاتمة :

قلنا إن الضوء الذي نرى به الأشياء عبارة عن موجات كهرومغناطيسية ، ولهذه الموجات أطوال تم قياسها بطرق عديدة . وتنحصر أطوال موجات الضوء بين ٣٣,. ميكرون للون البنفسجي و ٧٧,. ميكرون للون الأحمر ـ علماً بأن الميكرون وحدة قياس تساوى جزءا من عشرة آلاف جزء من السنتيمتر الطولى الواحد ـ وأصغر من موجات الضوء طولاً الأشعة فوق البنفسجية ، فالأشعة السينية ، فالأشعة الكونية وكلها لا تميزها ولا تبصر بها أعيننا .

أما الموجات الكهرومغناطيسية ذات الأطوال التى تزيد على أطوال موجات الضوء فهى الأشعة تحت الحمراء التى تصل أطوال موجاتها إلى أكثر من ١٠ ميكرون ، ثم موجات اللاسلكى المختلفة ، وهى بدورها لا تميزها الأعين ولا تبصر بها ، باستثناء بعض الكائنات الأخرى التى نجهلها ، وقد تكون منها الكلاب ..

وأعجب العجب أن القرآن الكريم يشير إلى هذه الحقائق المتعلقة بعالم الأشعة الكهرومغناطيسية وما نبصره منها وما لا نبصره في مثل قوله تعالى :
﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ .
« الحاقة ـ ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠ » .

للحديث بقية

د . محمد جمال الدين الفندى



د. كارم السيد غنيم

تمهيـد :

تعتبر الرحلات الجماعية شكلاً من الانشطة الحياتية الهامة فى الحيوانات حيث تتجمع اعداد غفيرة من الأفراد تنتظم فى اسراب او قطعان مهاجرة تترك اوطانها وتتجول فى الأرض ويعينها فى ذلك ما اكتسبته من خبرة سابقة بمعالم الطرق والسرعة فى الحركة والقدرة على تحمل المشاق التى تواجهها .

وإنه لمن الجدير بالذكر أن الانتقال من مكان إلى آخر يُعَدُّ عادة من أشهر عادات الحيوانات ، وتجوُّل هذه الكائنات على سطح الأرض أو فى الماء أو فى الهواء ليس بالأمر العشوائى ، وإنما هو عملية محسوبة ومضبوطة . قد يتحرك الحيوان من موطن إلى آخر ليقيم فيه فإذا ما دَرَسْت تاريخ هذا الموطن وعلاقة الحيوان به وجدت أنه نفس الموطن الذى وضع ـ أو ولد ـ فيه وترعرع فى ربوعه . وحينما تقوم الحيوانات برحلات هجرة بَراً أو جواً فإنها تخرج وقد بيتت النية للعودة بتوقيت محدد ، وتهتدى فى طريق عودتها بعلامات وإشارات خاصة تنطبع فى ذاكرتها خلال رحلة الذهاب . وقد يتخذ الحيوان موطنين يتردد فيما بينهما خلال فصول السنة المختلفة ، فأيائل البغل فى بعض جبال روكى بأمريكا تقضى الصيف فى المرتفعات العالية حيث يجود لها المرعى ، ولكن ما إن يبدأ أول هطول غزير للجليد فى الخريف حتى تشرع الأيائل فى العودة إلى مواطنها الشتوية التى قد تبعد عن مصايفها مسافة تتراوح بين ١٠ ، ٦٠ ميلا .

وأما فى الطيور فإن هجرتها تبدأ من مواطن تزاوجها حين حلول المناخ البارد ،

←

حيث تتجه إلى مشاتل للغذاء في المناطق الدافئة ، ثم تعود بعد مرور هذا الفصل من السنة إلى مواطن إقلاعها في رحلة الذهاب . بينما نجد أن أنواعاً مختلفة من الأسماك تقوم بهذا النشاط من الانتشار - الرحلات والهجرة - منها أسماك السلمون وثعابين السمك . وأما هجرة الحشرات فتأخذ طابعاً خاصاً بها ، ففي الغالب تقوم الحشرات بهجرتها لاستعمار مواطن جديدة هروباً من ظروف صعبة حلّت بها في المواطن الأصلية . وقد يكون السلوك غريزياً ، إلاّ أنَّ الأبحاث الحديثة تشير إلى وجود مؤثرات فسيولوجية تنظم القيام بهذا السلوك الانتشاري . وقبل الخوض في رحلات الحشرات وهجراتها نرى أنه من اللائق إعطاء فكرة موجزة عن هذا العالم العجيب ..

الحشرات ونشاط طيرانها

تتميز الحشرات بأنها كائنات حيوانية ذات ثلاثة أزواج من الأرجل خاصة في الأطوار اليافعة منها ، كما يوجد زوجان - أو على الأقل زوج واحد - من الأجنحة (وفي مقالنا هذا سوف نغض الطرف عن الحشرات غير المجنحة في طورها اليافع) . تنتقل الحشرات من مكان لآخر مشياً أو عَدْواً أو سباحةً أو طيراناً ، ومن ثم فأعضاء الانتقال فيها مؤهلة تشريحياً ووظيفياً للقيام بهذه الأعباء . وأنه لمن المدهش أن نرى حشرة تنزلق على صفحة الماء وكأنها على أرض صلبة فإذا ما فحصناها وجدنا أرجلها مزودة بخفٍّ تبطنه شعيرات غير قابلة للبلل بما يمنع كسر الغشاء الخارجي لسطح الماء ويؤدي فقط إلى وخزه .

أما بالنسبة لسرعة الانتقال في الحشرات فهي متباينة من نوع لآخر ، نجدها في عدو الصرصور مقدرة بـ ٤,٧كم/ساعة ، وفي الخنافس المائية - حيث تجري على سطح الماء - مقدرة بـ ٢,٥كم/ساعة ، وهذه سرعات كبيرة جداً إذا أخذ في الحسبان الحجم الضئيل للحشرات .

ويعد الطيران أحد أشكال الانتقال والانتشار ، وتستخدم الحشرات في ذلك ، الأجنحة التي تتصل بعقلات الصدر ، وتختلف عن أجنحة الطيور والخفافيش في أنها امتداد للسطح الخارجي في الجسم ، وطبيعة شكل هذه الأعضاء تختلف من رتبة حشرية إلى أخرى ، فقد نجدها غشائية رقيقة (كما في الرعاشات « أبو المقص ») ، وقد نجدها غمدية غليظة (كما في الخنافس والسوس) وربما نراها مبرقشة زاهية الألوان مكساةً بالحراشيف (كما في الفراشات) .

وتزاول الحشرات طيرانها بسرعات مختلفة : تتوقف على معدل ضربات (أو خفقات) الأجنحة الذي يختلف من نوع حشري لآخر ، فأبو دقيق مثلاً تخفق أجنحته بمعدل ٥ - ٦ ضربات/ثانية ويزداد ذلك في النحلة لنجده ٢٠٠ ضربة/ثانية . ويعين هذه الأجنحة على حركاتها عضلات قوية موجودة في الصدر ومتصلة بها ، بعضها ذو نظام طولي والبعض الآخر ذو نظام عرضي ، وتعمل المجموعتان بالتناوب في تحريك الجناح .

حالات خاصة للطيران والرحلة

من الملاحظ أن الحشرات خلال أطوارها اليافعة تتميز بوجود حالة من تغلُّب نشاط الطيران على بقية الأنماط الأخرى من الأنشطة الحيوية لهذه الكائنات ، فيأخذ الطيران فى هذه الفترة من الحياة نمطاً خاصاً هو « الهجرة » فى سرب ، وقد يستغرق هذا الطيران - خصوصاً الذى يتم عقيب خروج الأطوار اليافعة من عذاريها (خادراتها) مباشرة - ما بين أيام قليلة (كما فى أغلب المنّ المجنَّح) أو ١٥ - ٣٠ ساعة فقط (كما فى حشرة Ascia ، حيث تبلغ الحشرات خلال هذه الفترة من الطيران حالة النضج التناسلى ، فترمق الأرض بناظريها لتحديد موقع الهبوط ، وتهبط لتبنى عُشّاً جديداً ولحظتها تبدو عليها مظاهر أهمها انحلال عضلات الأجنحة وسقوطها . ثم تشرع الأفراد المرافقة لملكتها فى بناء العش الجديد وهو الذى تَفرّخ فيه الملكة ملكاتٍ أُخَر لإكثار النوع .

بالإضافة إلى هذا النمط من الطيران فإن الحشرات تقوم بأنماط أخرى تأخذ شكل هجرة طويلة الأمد لاسيما إذا كمنت فترة ثم خرجت من كمونها (Diapause) ، ومن الحشرات مثل (Eurygaster) من رتبة نصفيات الأجنحة ما يهاجر إلى مواقع البيات الصيفى (Aestivation) وهناك يتم نضجها التناسلى والذى على أثره تعود إلى مسقط رأسها .

وقد تهاجر بعض الحشرات على الرغم من أنها ناضجة تناسلياً ، كالجراد وبعض الفراشات والرعاشات ، وعموماً يجب ألاّ يغيب عن ذهن القارىء أن الغالبية العظمى من حالات الهجرة لا تحدث إلاّ خلال فترة الطور اليافع من الحشرة ، إذ هو القادر على الطيران .

شركاء الرحلة :

هل يتخلى منهم أحد عن الآخر ؟

غالباً ما تقوم الإناث بعملية الهجرة ، وليس هذا تجاهلاً للذكور ، وإنما الأمر يتوقف على السلوك التسافدى لهذه الحشرات ، فبينما نجد ذكور وإناث الجراد يهاجرانِ سوياً ويرجعان معاً فى سرب واحد ، فإن حشرة مثل Eurygaster تهاجر ذكورها وإناثها معاً ذهاباً إلى موقع البيات الصيفى إلاّ أن الذى يعود أدراج الربوع هو الإناث فقط فهناك تلقى الذكور حتوفها !!

خط السير المتبع

يتوقف اتجاه الرحلة أو الهجرة على سرعة الريح واتجاهها . ولإجلاء هذه المسألة نقول إن للحشرات طبقة هوائية تزاول فيها النشاط الطيرانى فى يسر وسهولة أكثر من الطبقات الجوية الأخرى ، هذه الطبقة الهوائية الملائمة تعرف بالطبقة القطرية أو « التخوم الهوائية » (Boundary Iayer) والتى من خصائصها قلة سرعة الريح نسبياً . وإذا ارتفعنا إلى أعلى فى الجو فإننا نجد الأحوال غير ميسورة لاشتداد سرعة الريح (Wind Velocity) على سرعة الهواء (Air Speed)

←

فلا تستمتع الحشرات بطيرانها هناك بل تنجرف أدراج الريح العاصف رغم أنفها . ويتوقف حجم التخوم الهوائية المناسبة لطيران حشرة ما ، على قدراتها في تعودها على الطيران عند سرعات هوائية متباينة ، كما تتوقف أيضاً على نظام الغطاء النباتى لسطح الأرض أسفل الحشرات المحلقة في الهواء ، وكذلك أيضاً على سرعة الريح نفسها .

الشكل العام للتنظيم الحشرى إبّان الطيران في رحلة أو هجرة ما ، يتوقف على كون هذه الحشرات داخل نطاق التخوم الهوائية المناسبة أو خارجها .

(أ) إذا أقلع سرب من حشرة Ascia في فلوريدا للطيران المنخفض (١ ـ ٤ أمتار أعلى سطح الأرض) فإنه يحلق في مأمن من العواصف ، ثم يتجه شمالاً أو جنوباً ، على حسب نوع السلوك الذى بدّا على الحشرة قبل إقلاعها مباشرة . في أثناء طيرانها تحط الحشرات على الأزهار لتمتص رحيقها ، وبعد مضى فترة من الطيران يتجمع أفراد الأسراب المتجاورة أكثر فأكثر لتشكل أسراباً كبيرة تبدأ بها رحلة الهجرة الحقيقية التى يتحدد خط اتجاهها على أساس زاوية سقوط أشعة الشمس أو هيئة سقوط الضوء المستقطب على منطقة وجود الحشرات في هذه اللحظة ، فتبدأ الأسراب في الهجرة بشكل منظم .

(ب) ليس معنى أن الحشرة تفضل الطيران في تخومها الهوائية أنها غير قادرة على الطيران في مناطق هوائية أعلى ، فلقد شوهدت أفراد حشرة Ascia تطير في مناطق كالأرجنتين على ارتفاعات تصل أحياناً إلى ٥٠٠٠ قدم من سطح الأرض ، أمّا عن اتجاهها فكان هو نفس اتجاه الرياح السائدة في هذه المناطق . وذلك هو نفس الوضع في كل الحشرات التى تقوم بالطيران والهجرة مثل الجراد والرعاشات والمنّ وغيرها . والأكثر من هذا أن تلك الحشرة المشار إليها استطاع أفراد من أسرابها أن تطير في اتجاه مضاد للريح أحياناً ووصلت سرعاتها ٨ ـ ١٠كم/ساعة .

أما في أسراب الجراد فإذا ما خرجت أفراد أحياناً عن تخومها الهوائية : فإنْ كان ذلك نهاراً أسلمت قيادها للريح العاصف على أنها ترصد علامات وإشارات أرضية لتهتدى بها عند عودتها إلى أسرابها بعد سكون الريح ، أما إذا حدث ذلك أثناء الليل فلا قدرة حينئذ لهذه الأفراد الشاردة على رؤية علامات أو إشارات أرضية ومن ثم تضل طريق العودة إلى مكان السرب بعد سكون الريح .

ومن الجدير بالذكر أن الباحثين اكتشفوا وجود حافز فيزيائى يعين الحشرات التى تلقى بنفسها في كتل هوائية عليا تكتنفها رياح عاتية ، على ضمان السلامة من شر هذه الرياح ، ذلك الحافز أو العامل هو « الحمل الحرارى » (Heat Convection) المنبعث من حرارة قشرة الأرض والصاعد إلى طبقات الهواء وهى حالة يقتصر وجودها على فترة النهار فقط ، أما في الليل فلا معين للحشرات إذا ألقت بنفسها عنوة في كتل هوائية عنيفة .

العودة أدراج الربوع

رحلات العودة شائعة في الطيور أكثر منها في الحشرات ، فإذا قامت بها الحشرات

فالعائدون هم أفراد الجيل الجديد فقط دون الآباء والأمهات ، ولعل أبو دقيق الملكى (Danaus Plexippus) من ابرز الأمثلة على ذلك ، حيث ينشط ويتكاثر خلال شهور الصيف بالجزء الشمالى من أمريكا الشمالية وجنوبى كندا ، ولما كانت الأطوار اليافعة من هذه الحشرات لا يمكنها أن تعيش طويلاً تحت درجات الحرارة المنخفضة وانعدام الرحيق فى تلك المناطق شتاء فإنها تبدأ فى الخريف - وقبل حلول الشتاء القارس - بالهجرة إلى الجنوب حول خليج المكسيك وفلوريدا وكاليفورنيا ، وفى أثناء رحلتها الطويلة (التى قد تصل إلى ٢٠٠٠كم فى المتوسط ، بمعدل قد يصل إلى ١٠٠كم فى اليوم أحياناً) فإنها تسرع باللجوء إلى أغصان الأشجار من وقت لآخر وخاصة أثناء الليل حين تنخفض درجات الحرارة ، وربما تظل أياماً لا تستأنف رحلتها إلاّ إذا ارتفعت الحرارة عن ١٣ درجة مئوية ، أما عن أحوالها فى المهجر الجديد فهى إما أن تنشط وتتكاثر فى الشتاء ، كما هو الحال فى مناطق فلوريدا وحول خليج المكسيك حيث الحرارة المعتدلة ، وإما أن تخلد إلى البيات الشتوى (Hibernation) كما فى ولاية كاليفورنيا ، حيث تَجْثُم فى مجموعات متزاحمة لا تطير إلاّ نادراً ، وإذا طارت ففى الأيام الدفيئة حيث تتحرك لجمع الرحيق اللازم لغذائها . وهنالك فهى متوقفة تماماً عن التزاوج والتكاثر . إذا حلَّ الربيع ، وارتفعت درجة الحرارة تبدأ أسراب الحشرات فى الطيران عائدة إلى الشمال . الذى جاءت منه . تستغرق هذه الرحلة حوالى الشهرين .

فى هذا المجال يجب أن نلفت النظر إلى أن هناك دراسات وبحوثاً أُجريت ولا تزال على الحشرات المختلفة التى تقوم برحلات أو هجرات هنا وهناك ومنها الفراشات كفراشة الدودة القارضة (Agrotis Ypsilon) وأبى دقيق الخبازى (Venessa Caddui)

رحلات البحث عن الغذاء

(أ) النمل :

فى الأحوال المناخية والبيئية والتعدادية الملائمة تعيش جماعة النمل فى أعشاشها بأشكال لها معتادة دون وجود أجنحة ، ومن أهم مظاهر حياتها قيامها بحملات تشنها على كائنات من حولها ، وهذا السلوك من العجب والغرابة لدرجة أن أساطير قديمة ثارت حوله لوحشيته فى الهجوم والإغارة ولدقته فى النظام وزحف الحشود وقدراته فى التصرف السريع مع ما يواجهه خلال المسير ، من أبرز هذه الأنواع نمل فى غابات البرازيل وبيرو وحول قناة بنما وكندا وفى مناطق من غابات أفريقيا يخرج النمل فى جحافله الهجومية التى لا يقل تعدادها عن ثلاثين ألف فرد ، يسيرون فى ركب قد يصل طوله إلى خمسة عشر متراً وعرضه يقرب من المترين ، ويقطع فى اليوم الواحد مسافة تتراوح بين ١٠٠ ، ٢٠٠ متر يمضيها فى شن غاراته العدوانية على أعشاش النمل الأخرى والحيوانات التى يقابلها سواء صغيرة الحجم كالعناكب مثلاً أو كبيرة كالثدييات ، إلاّ أنه لا يخرب زرعاً ولا يحطم نباتاً . يتقدم الركب فى نظام مدهش ، ففيه نقطة مركزية يتجمع فيها عدد كبير من الأفراد

←

يحيطون بالملكة والذرية الصغيرة ، ومن حولهم أفراد حراسة أقوياء ومن حول هؤلاء بقية الركب ، أثناء تقدمه تظهر أشكال من السلوك عجيبة منها أنه إذا ما ابتعد عن معسكره الأصلى بمسافة ما ـ وغالباً ما تكون كبيرة ـ أخذ الأفراد ينتشرون بين أفرع الأشجار لتتخذ لها مواقع استراتيجية تهجم منها على فرائس تراها أو تنتظرها لتقتنصها .

من هذه العجائب أيضاً أن مسارات للمرور تخط فى هذه المساحة من الأرض بين أفرع الأشجار ، وقد يغدو فيها النمل ويروح حتى ليحدث ارتباكاً فى المرور كما هو الحال فى المدن المزدحمة بالسكان ، يصل نشاط النمل ذروته وذلك فى الصباح الباكر . ويقل نشاطه بعد الظهر ويخفت مع دخول الليل ، فتجمع الأفراد نفسها ويتحرك الركب ليقضى ليلة فى معسكر خلوى مؤقت انتظاراً للصباح الباكر التالى لاستئناف النشاط ، ومن النمل ما يتخذ لنفسه فى هذه الأرض الجديدة مواطن وأعشاشاً ، ومنه ما لا ينسى موطنه الأصلى فيعود إليه مع الغنائم التى اغتنمها من حملات إغارته على كائنات أخرى ، من المثير للدهشة كذلك ، فى سلوك النمل إبان سير أسرابه فى حملات الإغارة ، هو تصرفه أمام المنخفضات العميقة وذلك بإنشاء « كبارى معلقة » يستخدم أجسامه فى بنائها حيث تتشابك أرجل أفراده بعضها بالبعض الآخر فى أعداد ضخمة تسمح بعبور بقية أفراد السرب .

(ب) النحـــــل :

يعيش النحل في حياة اجتماعية كاملة كما هو الحال في النمل ، فالخلية (Hive) تضم فئات مختلفة في مجتمع متعاون على أفضل ما يكون التعاون ومترابط بأعظم عرى الترابط كأنه البنيان المرصوص ، فالملكة (Queen) صاحبة السلطان والسيادة ليست بمتسلطة بل يسرى عليها نظام الخلية وتنطبق عليها قوانينها العامة ، إلّا أن هذا لا يمنع وجود رعاية وعناية خاصة بها من عدد من النحل الشغال (العاملات) (Workers) تلك الفئة التى تنوعت وظائفها وتعددت أعمالها فمنها من يناط به عمليات النظافة العامة للخلية وإماطة الأذى عن أنحائها ، ومنها من يتحمل مشاق عمليات جلب الغذاء لجميع أفراد المجتمع الذي تعيش فيه ، بالإضافة إلى الوصيفات اللائى أشرنا إليهن سابقاً ، أضف إلى ذلك وجود عدد من الذكور (Drones) في انتظار اللحظة الموعودة ساعة ترغب الملكة في التزاوج لإكثار الذرية وإنشاء خلايا نحل جديدة .

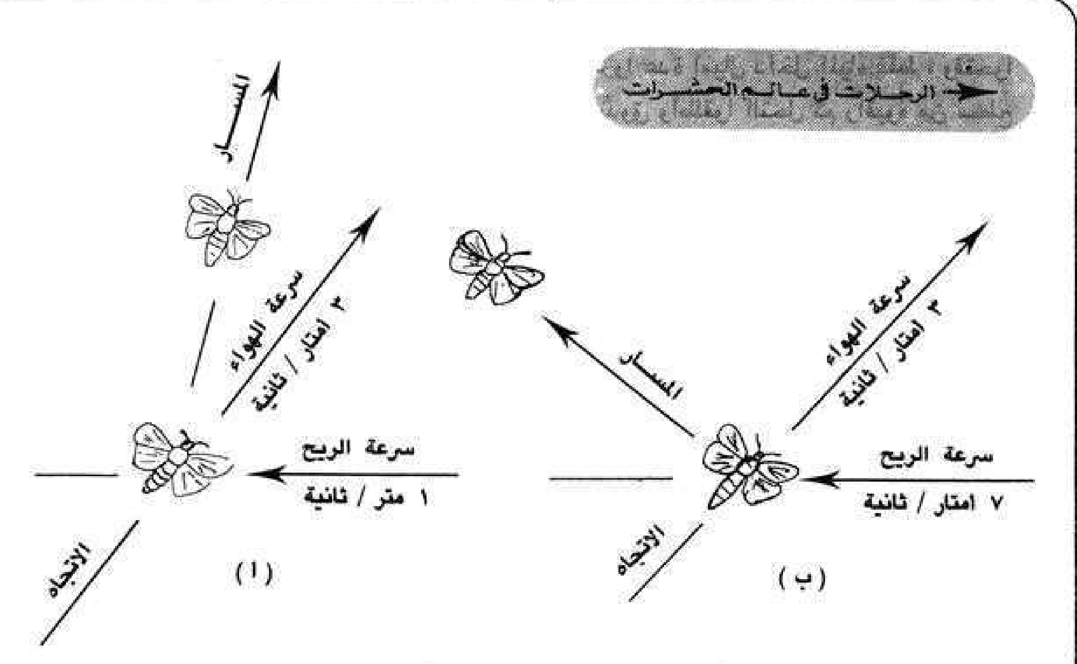
تذهب النحلات الشغالة في رحـلات مشهورة لجمع الرحيق وحبوب اللقاح من أعضاء تأنيث الأزهار لتعود به إلى الخلية ، وفي هذه الرحلات تكون العادة خروج عدد محدد من « الطلائع » لاستكشاف مواقع الأزهار وتحديد كثافة الرحيق ومعلومات أخرى تهم النحل ، ثم تعود هذه الطلائع لتعطي بقية الأفراد العاملات المعلومات المطلوبة فإذا بأعداد غفيرة منها تخرج منتظمة في سرب متجهة نحو موقع الأزهار لتقوم بعمليات جماعية لجمع الغذاء المطلوب لها ولبقية أفراد مجتمعها هناك في الخلية .

تختلف المسافات التى تستطيع الشغالات أن تقطعها بعيدة عن الخلية ، والتى تصل أحياناً إلى أكثر من عشرة أميال ، حسب مواقع الحقول والبساتين حيث توجد الأزهار ، وهنا أسئلة هامة تقفز إلى ذهن المرء المفكر المتدبر منها : من الذي علم الشغالات من النحل طريق العودة إلى خليتها ؟ وكيف تعود أنفسها على طريق الوصول إليها ؟ ولماذا تركت خلايا النحل التى قد تمر عليها في طريق العودة دون أن تدخلها ؟ ونحن في نهاية هذا المقالْ سنحاول تقديم الإجابة على طرف من هذه الأسئلة بما يخدم الغرض من موضوع مقالنا .

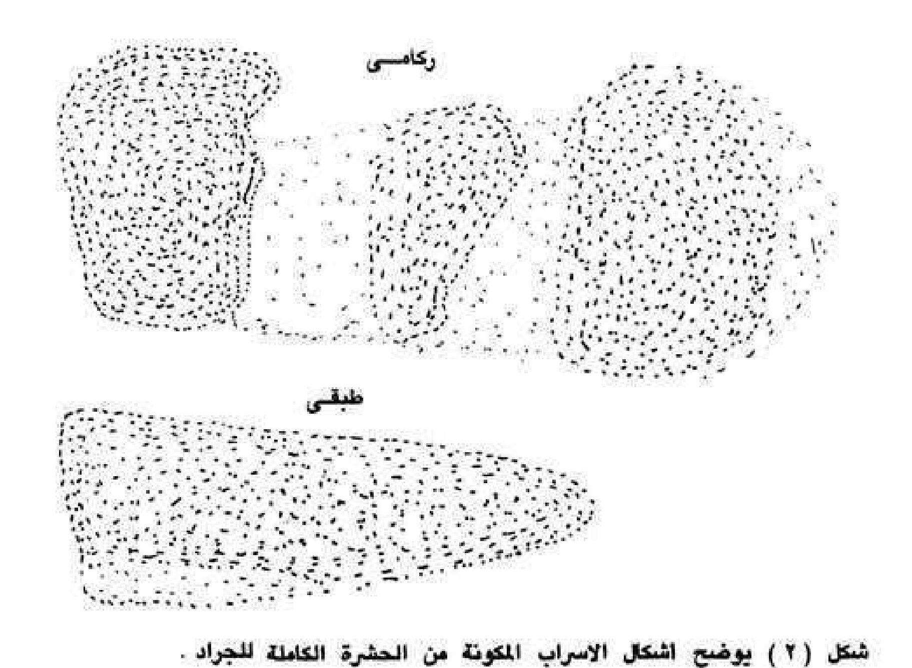
أثبت بعض الباحثين أن النحل له المقدرة على الإلمام بمعالم الطريق التى تطير فيها وهذا هو السر في قدرتها على العودة إلى الخلية بعد رحلة غذاء طويلة أو قصيرة . ومن التجارب الشيقة في هذا المضمار أن جماعة من الباحثين أخذوا عدداً من النحل من خلية تقع على حافة بحيرة متسعة ، ثم ميزوا هذه الأفراد بوضع طلاء على أجسامها لتسهيل عملية رصدها ، ونقلت هذه الأفراد في صندوق لمسافة عدة أميال بعيداً عن البحيرة في منطقة مزروعة ممتدة على جانب شاطىء الماء ، ثم فتح الصندوق وأطلقت أفراد النحل ، وشوهدت عن كثب ، فوجدت أنها دارت ثم دارت في الهواء وفي النهاية وصلت إلى الخلية التى أخذت منها بجانب حافة البحيرة . وبالطبع فإن السبب هنا هو المعالم الأرضية من أعمدة وشجر ومبانٍ وخلافه ، ولتأكيد هذه النظرية ، قامت جماعة الباحثين بتكرار التجربة ولكن من خلية نحل بجوار نفس البحيرة في نهار ساطع الشمس ، وأبحروا عدة أميال داخل المياه فقط ، وفتحوا الصندوق وأطلقوا النحل ثم راقبوه من سطح المركب ، فإذا به يطير ويدور في جميع الاتجاهات بدون تحديد اتجاه معين ولم يتمكن من الوصول إلى الخلية التى أخذ منها في بداية التجربة وهى الموضوعة على حافة البحيرة ، السبب في ذلك هو أن صفحة الماء في البحيرة ليست عليها علامات أو معالم مميزة كى يستطيع أفراد النحل التقاطها وتمييزها .

من العلماء من اثبت أيضاً أن من قدرات أفراد النحل على تحديد طريق العودة في الرحلات استرشادها بموضع الشمس ، وأبسط تجربة توضح ذلك أنك لو أمسكت نحلة أثناء عودتها إلى خليتها وحبستها في صندوق لمدة زمنية ما كساعتين مثلاً ، ثم أطلقت سراحها بعد ذلك ، فإنها تطير بنفس الزاوية التى كانت تطير بها قبل إمساكها بالنسبة للشمس . ولكن في غضون الفترة التى حبست فيها تكون الأرض قد دارت قليلاً ولم تعد الشمس في نفس الموضع بالنسبة للخلية ، ومن ثم فالنحلة العائدة في هذه التجربة تنخدع وتفتقد تحديد مكان خليتها . ولكن الذي حدث ويحدث هو أن النحلة العائدة لا يستمر طيرانها في الطريق الضال ، وإنما تكف عن ذلك في نقطة معينة خلال مشوار العودة ، تلك النقطة تقع على مسافة تبلغ ما بين مكان الأزهار والمكان الذي كانت فيه الخلية .

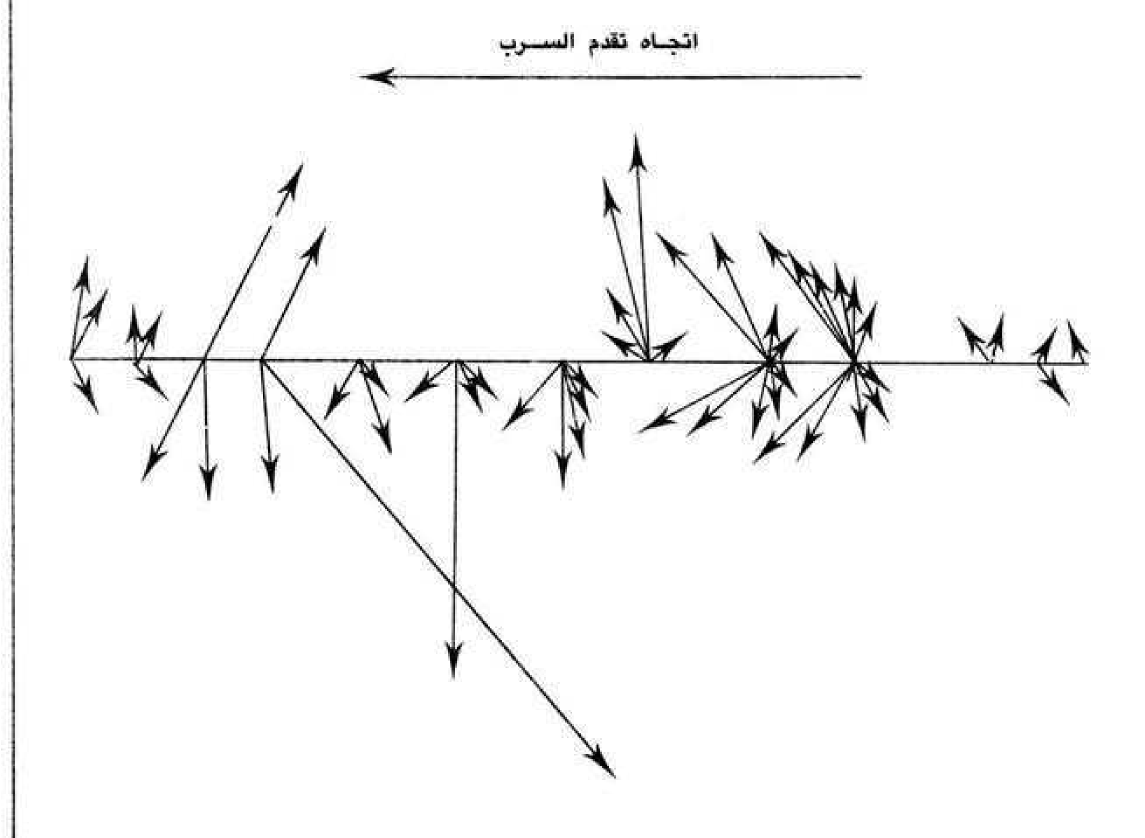
اضف إلى هذا وذاك قدرات أخرى على معرفة طريق العودة منها إفراز وشم روائح خاصة تميز أفراد المجتمع الواحد ، وكذلك الرقص بأنواعه المختلفة.
فلنرجئها إلى حلقة قادمة إن شاء الله ..



شكل (١) يوضح العلاقة بين الاتجاه والمسار وسرعة الريح . (ا) الحالة التى تزيد فيها سرعة الهواء على سرعة الريح . (ب) الحالة التى تزيد فيها سرعة الريح عن سرعة الهواء .



شكل (٢) يوضح اشكال الاسراب المكونة من الحشرة الكاملة للجراد .



شكل (٣) يوضح الاوضاع المختلفة التى يتخذها افراد الجراد في السرب . التخطيط المبين هو حصيلة عدد من الصور الفوتوغرافية الماخوذة للسرب على فترات متفرقة اثناء تقدمه . طول كل سهم مرسوم يتناسب مع عدد افراد الجراد المتجهين اتجاه ذلك السهم ..

طرائف

« لفظ خاتم »

فى قولنا نبينا محمد - ﷺ - خاتم النبيين يجوز فيه فتح التاء وكسرها ، والفتح بمعنى الزينة مأخوذ من الختم الذى هو زينة للابسه .

والكسر : اسم فاعل بمعنى الآخر ، وفى الصحاح الخاتم بكسر التاء وفتحها ، وخاتمة الشىء آخره ونبينا - ﷺ - خاتم الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -

وقوله ، تعالى ﴿ ختامه مسك ﴾ أى آخره ، لأن آخر ما يجدون رائحة المسك .

« ليس تأسفى على الدنيا »

لما احتضر سلمان الفارسى - رضى الله عنه - تحسر عند موته .

فقيل له : علام تأسفك يا أبا عبد الله ؟

قال : ليس تأسفى على الدنيا ، ولكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عهد إلينا ، وقال : « ليكن بلغة أحدكم كزاد الراكب » .

وأخاف أن نكون جاوزنا أمره ، وحولى هذه الأشياء ، وأشار إلى ما يليه : وإذا هو سيف ودست وجفنة .

« جرأة فى الحق »

كان سليمان بن عبد الملك مهيبا ، لا يجرؤ امرؤ أن يكلمه ، وكان بعض وزرائه قد استأثر بشئون أغضبت العامة ، فدخل عليه أعرابى ، فصيح اللسان ، شديد العارضة جرىء الفؤاد فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنى مكلمك بكلام فاحتمله إن كرهته ، فإن وراءك ما تحب إن قبلته .

قال : هات يا أعرابى .

قال : سأطلق لسانى بما سكتت عنه الألسن أداء لحق الله وحق أمانتك ، إنك قد أحاطت بك وزراء اشتروا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك فى الله ، ولم يخافوا الله فيك ، فلا تصلح دنياك بفساد آخرتك .

فقال سليمان : أما أنت فقد نصحت ، إلا أنك جردت لسانك فهو سيفك .

فقال : أجل ياأمير المؤمنين هو لك لا عليك .

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده

فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

مواقف

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« حقا »

وقف أعرابى على قوم يسألهم :
فقالوا : من أنت ؟
قال : إن سوء الاكتساب يمنعنى الانتساب .

لا خير .. إلا مع !

ليس شىء أضر بالسلطان من صاحب يحسن القول ولا يحسن الفعل ، ولا خير فى القول إلا مع الفعل ، ولا فى المال إلا مع الجود ، ولا فى الصدق إلا مع الوفاء ، ولا فى الحياة إلا مع الصحة ، ولا فى الفقه إلا مع الورع ، ولا فى الصدقة إلا مع حسن النية .

« قالوا »

- أعظم من الذنب اليأس من الرحمة ، وأشد من الذنب المماطلة بالتوبة .
- أولى الناس بالله أشدهم توليا له .
- ارفع إزارك فهو أنقى لثوبك وأتقى لربك .
- خير من الخير معطيه ، وشر من الشر فاعله .
- من لم يقدم الامتحان قبل الثقة ، والثقة قبل الأنس ؛ أثمرت مودته ندما .
- من ترك نصيبه من الدنيا استوفى حظه من الآخرة .
- أى ملك جعل دينه خادما لملكه ؛ فملكه وبال عليه .
- آفة النصح أن يكون جدالا ، وأذاه أن يكون جهاراً .
- أشقى الولاة من شقيت به رعيته .

« نصيحة »

المرء يعرف فى الأنام بفعله
وفعائل الحر الكريم كأصله
لاتستغيب[1] فتستغاب فربما
من قال شيئا قيل فيه بمثله
وتجنب الفحشاء لا تنطق بها
مادمت فى جد الكلام وهزله

« دعاء »

اللهم إنك قد أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا ، وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا .

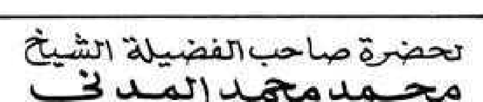
---

(١) لم نقع على هذا الاشتقاق فى لسان العرب ، فثمة الثلاثى والخماسى .



بمجلة الأزهر

الاحتكار والتسعير



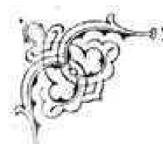
وضع الاسلام معالجة إيجابية لمشكلات الحياة . فهو وإن كان يخدم الحرية الفردية لكل إنسان فى تصرفه وتجارته وصناعته ، لكنه جعل لذلك حدا وضوابط تمنع أن يطغى احد على احد او يستغل حاجته فوضع قسطاساً مستقيماً يكفل العدل ويمنع الظلم ويقر أسباب الامن والطمأنينة والرضا والسعادة قال الأستاذ ـ رحمه الله ـ :

يعانى الناس فى هذه الأيام كثيراً من المتاعب بسبب ارتفاع موجة الغلاء ، واستغلال التجار لحاجتهم الملحة ، طمعاً فى الربح الكثير ، وجمع الثروات الطائلة على حساب الشعب ، وتعمل الحكومات جهد طاقتها على إصلاح هذه الحال السيئة ، التى من شأنها أن تشيع فى الناس القلق والاضطراب ، وأن تخل بما ينبغى أن يسودهم من الطمأنينة والهدوء ، ليتمكنوا من التفرغ لأداء أعمالهم والقيام بواجباتهم فى يسر وتناسق واطراد ، وهى لذلك تحارب الاحتكار ، وتسعر البضائع ، وتتدخل حتى فى تقدير القيمة الإيجارية للمساكن والحوانيت ، إلى غير ذلك من وسائل متنوعة ، تفرضها لمصلحة الشعب ، باسم الهيمنة عليه والرعاية لشأنه ، اللتين هما أساس الولاية العامة .

وقد يظن أن هذه الوسائل التى تلجأ إليها الحكومات فى هذا الشأن هى وسائل مبتكرة تفتقت عنها أفكار أهل النظم الاقتصادية الحديثة ، وأخذتها عنهم الحكومة ، وهى فى الواقع من النظم التى جاء بها الإسلام منذ عهده الأول ، وتكلم فيها الفقهاء ، ووضعت بينهم موضع الدراسة والبحث حتى لم يبق فى شأنها لمن جاء بعدهم جديد ، ولا احتمال لمزيد .

وهأنذا أضع بين أيديكم « برنامج الإسلام » فى معالجة هذا الشأن من نواحيه المختلفة لتروا كيف تشتمل هذه الشريعة الغراء على الحلول الإيجابية الفعالة لمشكلات الحياة .

* * *



إعداد وتقديم :
عبد الفتاح حسين الزيات

الأصل فى المعاملات والتصرفات هو أن كل إنسان حر فيما يملك ، له حق التصرف فى ماله على النحو الذى يرى انه يحقق مصلحته . ويتفرع على هذا الأصل « حرية التجارة » : فللتاجر أن يبتغى الكسب الحلال من أى وجه ، وأن يسلك إليه ماشاء من السبل : ولكن هذا كله إنما يكون حسناً ومتفقاً مع خطة الإصلاح العامة إذا كانت أمور الناس تجرى رخاء ؛ فلا حرب ولا مجاعة ولا اضطراب : أما إذا حدث شىء من ذلك فإن الرأى والحزم أن يتدخل أولو الأمر فيحدوا من حرية الفرد فى سبيل مصلحة المجموع .

ولما كان أهم ما يسبب الاضطراب فى الأسواق ، ويحمِّل الناس فى الظروف الطارئة الوان العناء ، هو الاحتكار وإغلاء الأسعار ، عالجتهما الشريعة الإسلامية علاجاً ناجعا من شأنه أن يقضى عليهما ، أو يخفف إلى حد بعيد من ضررهما .

وإليكم البيان :

١ ـ الاحتكار :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من احتكر حُكرة يريد أن يُغلى بها على المسلمين فهو خاطىء » . والحكرة : حبس السلع عن البيع .

وعن عمر رضى الله عنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس » .

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقاً على الله أن يقعده بعُظْم من النار يوم القيامة » اى بمكان عظيم منها .

فهذه أحاديث ثلاثة ، يبين أولها أن الاحتكار « جريمة » وذلك هو ما يعبرون عنه الآن بالتكييف القانونى للفعل ، إذ يقول عليه الصلاة والسلام عن المحتكر : إنه « خاطىء » . وفى الحديث الثانى يذكر أن الله يعجل بعقوبة المحتكر فى الدنيا ، إذ يبشره « بالجذام » و« الإفلاس » سواء أكان المراد بهما الجذام والإفلاس الحقيقيين ، أو جعلا رمزاً لنوعين من العذاب المعنوى يصاب بهما المحتكر . أما الحديث الثالث فيذكر عقوبة المحتكر فى الآخرة ، وهى ليست النار فحسب ، وإنما « مقعد عظيم منها » أعده الله له وجعل ذلك « حقاً عليه » جل جلاله .

بهذا استوفت المسألة جانب غرس الوازع الدينى ؛ ومن ذا الذى يرضى لنفسه أن يكون فى نظر الشارع خاطئاً ، معرضاً للبلاء والفقر فى الدنيا ، والعذاب الشديد فى الآخرة ؟ وحقاً إن للوازع الدينى لأثرا فى نفوس كثير من الناس ، وإنه إحساس شريف يخالج المؤمن فى جميع حالاته ، ويجعل من نفسه رقيباً على نفسه ، فيريح المجتمع من كثير من الوان

المخالفات والمظالم ؛ **وقد أدركت الحكومات قيمته وآثاره فانتفعت به عن طريق تقوية الدين والخلق فى النفوس ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً** ؛ ولكن الشارع لا يقف عند هذا الحد من العلاج ، ولا يكتفى بالثمرات التى يجنيها المجتمع من هذا الوازع الدينى ، لعلمه أن الناس قد تطغى عليهم أهواء وأغراض تنسيهم أمر الدين ، وتدفعهم إلى الاستهانة به ؛ ولذلك خطا خطوة أخرى ، فجعل من حق الوالى العام أن يكره المحتكرين على بيع ما عندهم بقيمة المثل عند ضرورة الناس إليه .

روى مالك فى الموطأ « أن عمر بن الخطاب قال : لا حُكرة فى سوقنا ، لا يعمِدُ رجال بأيديهم فضول من أذهاب إلى رزق من أرزاق الله نزل بساحتنا فيحتكرونه علينا ، ولكن أيما جالب جلب على عمود كبده فى الشتاء والصيف فذلك ضيف عمر ، فليبع كيف شاء الله ، وليمسك كيف شاء الله » .

فرق عمر – رضى الله عنه – بين حالتين : حالة الذين يتربصون بالأسواق ، ويعمدون إلى ما فيها من سلع ، فيشترونها ويحتفظون بها احتكاراً لها وإغلاء أو انتظارا لغلائها ، وحالة الجالب الذى يجوب مواطن السلع فى الشتاء والصيف ليجتلبها للناس ، ويحتمل فى سبيل ذلك عناء البرد والحر ، وما يلقى فيهما من النصب ؛ فالأولون محتكرون ظالمون يدل تصرفهم على أنهم أصحاب نوايا سيئة ، يعتمدون على ما فى أيديهم من فضول « أذهاب » أى أموال ذهبية يغرون الناس بها ، ويستخدمونها فى جمع السلع وإخفائها ، كما يفعل اليهود الآن ومن سار فى المسلمين سيرتهم من التجار الذين لا يخافون الله ؛ ولذلك يشتد عليهم عمر ، ولا يعترف بأن فعلهم هذا مشروع ، ولا يرضى بأن يترك لهم الحرية فى سوق المسلمين ، يعبثون بها . أما الجالب المغامر الذى يسعى فى سبيل رزقه ، ويبذل فى سبيل المجتمع من راحته وجسمه وعرقه ، فذلك هو ضيف عمر ، أى تحت رعايته يمنعه ويحميه ، ويترك له الحرية فى البيع على الصور التى يختارها ؛ ذلك بأن الشبهة عنه منفية ، فهو لا يعتمد كالأولين على ذهبه الذى فضل عنه ، ولكن يعتمد على قوته وسعيه وعمله .

وقد دلت التجارب العملية عل أن الجالب الذى يجلب لا يميل إلى اختزان ما جلب ، ولكنه يؤثر أن يبيعه بما تيسر من الربح ليجلب غيره ، وقلما جاء جالب بشىء ثم رجع به دون أن يبيعه بما يصادفه من السعر ، فمثل هذا رأى عمر أن يتركه وما يريد ، لأنه آمن من أن يعبث أو يسىء ، ولأنه يخشى إذا تحكم فيه بدون داع إلى التحكم ، أن ينصرف الناس عن التسوق والجلب فتقل السلع ، ويضيق الناس بقلتها .

وللفقهاء تفصيلات واستدلالات وتفريعات تتعلق بهذا الشأن ، وتبين متى يجب إرغام المحتكرين على البيع بثمن المثل ، ومتى يجب أن يتركوا أحرارا ، وما الأصناف التى يمنع فيها الاحتكار ، وغير ذلك من التفصيلات التى

ترتب عليها بينهم بعض الخلاف فى تقدير الحرية فى التصرف والتجارة ؛ ولسنا نطيل بذكر هذه التفصيلات ، ولكن الذى ينبغى أن نعرفه هو أن الفقهاء قد اعتمدوا على هذه الأصول التى قدمناها من أحاديث الرسول ﷺ . ومن عمل عمر الذى استنبطه من الشريعة والمصالح التى تنبنى عليها الأحكام فى مثل هذه الشئون ، اعتمد الفقهاء على ذلك فى التفرقة بين الحالات ، فليست الأحوال العادية ، حين تكون الأمور ميسرة ، والتجارة خاضعة لقانونها الطبيعى ، كحالة الاضطراب والقلق التى تصاحب الحروب والمجاعات او تعقبها ، وتستلزم علاجاً حازماً تقدم فيه مصلحة الأمة على حرية التصرف فى الملك والتجارة .

كما أن أصناف البضائع ليست كلها مما ينطبق عليه قانون المنع من الاحتكار ، وإنما القاعدة فى ذلك هى حاجة الأمة إلى شىء ما ، لا فرق بين طعام وكسوة ، ومسكن ، حتى إنه يباح لولى الأمر أن يجبر المالكين على تأجير بيوتهم التى تفيض عن حاجتهم ، إلى المحتاجين إليها ، الذين لا يجدون سواها ، وغاية مالهم فى ذلك أن يأخذوا أجر المثل ، كما يباح لولى الأمر أن يقرر ما نعبر عنه اليوم « بتجنيد جميع القوى أو بعضها » كأن يحتاج الناس ، أو يحتاج الجيش المحارب ، إلى صناعة أهل طائفة كالنجارة والنساجة والحدادة والسباكة والبرادة ونحوها ، فلولى الأمر أن يلزمهم بهذه الأعمال ، ويحشدهم لها بعوض المثل ، وقل مثل ذلك فى المهندسين والأطباء والصيادلة فى حالة خطر عام كارتفاع النيل ، أو انتشار الوباء فى إقليم من الأقاليم .

ومن هذا يتبين أن الشريعة الإسلامية ، وإن كانت تحترم الحرية الفردية لكل إنسان فى تصرفه وتجارته وملكه وصناعته ، لكنها تجعل لذلك حداً ، فإذا دعا داعٍ من مصلحة الأمة إلى وقف هذه الحرية ، أو الانتقاص منها ، لَبَّتْهُ الشريعة الإسلامية ، فجندت فى سبيل القيام به ما تراه من قوى فى جميع النواحى المختلفة ، ولم ترض فى أى شىء منها بأى نوع من أنواع الاحتكار ، أو الضن على الجماعة ، أو التهرب من اداء حقها .

٢ ـ التسعير :

وشأن التسعير فى خضوعه للظروف والأحوال إباحة ومنعا ، كشأن الاحتكار ، فقد منعه رسول الله ﷺ ؛ وحمل اهل العلم هذا المنع على الحالات العادية التى لا يجوز فيها إكراه الناس على بيع أموالهم بغير ما تطيب به نفوسهم ، لأن ذلك ظلم مناف للملكية وحرية التصرف ، ولكن إذا طرأت أحوال خاصة من مجاعة او اضطراب اقتصادى أو نحو ذلك ، وامتنع أرباب السلع من بيعها ـ مع ضرورة الناس إليها ـ إلا بزيادة على القيمة المعروفة ، وجب إلزامهم بقيمة المثل ، ولا يكون هذا حينئذ جبراً على البيع ، وإنما هو ـ كما يقول أشهب المالكى ـ منع من البيع بغير السعر الذى يحدده الحاكم على حسب ما يرى من المصلحة فيه للبائع والمبتاع ، فلا يمنع البائع ربحه المعقول ، ولا يقر ما يضر بالناس ، أو هو كما يقول ابن القيم : إلزام بالعدل الذى الزمهم الله به .

←

ولما كان هذا قد يجر إلى ظلم أو تضييع لربح أهل الأموال ، فقد أحيط بضمانات استنبطها أهل الفقه والنظر ، وفى ذلك يقول ابن حبيب من فقهاء المالكية : « ينبغى للإمام أن يجمع وجوه أهل سوق ذلك الشىء ويحضر غيرهم ، استظهارا على صدقهم ، فيسألهم كيف يشترون وكيف يبيعون ، فينازلهم إلى ما فيه لهم وللعامة سداد حتى يرضوا به » .

وهذه الطريقة بعينها هى التى تسير عليها كل الحكومات الراقية فى عصرنا الحاضر ، إذ تجمع ما يسمى « بلجنة التسعيرة » فى دار « المحافظة » أو « المديرية » أو ما إلى ذلك ، برياسة حاكم الإقليم أو من ينيبه ، وحضور بعض الوجوه من الأعيان والتجار ، فإذا قررت هذه اللجنة بعد المشاورة والمحاسبة شيئاً حمل الناس عليه .

ومما قررته الشريعة متصلاً بهذا الشأن أن التاجر الذى يعبث بمصالح إخوانه ونظرائه ، فيرخص عن القيمة لتكسد سلعهم ـ وهو ما نسميه فى عصرنا الحاضر بالمضاربة ـ يلزمه الحاكم بأن يبيع كما يبيع به عامة التجار لئلا يفسد على أهل السوق بيعهم ، وربما أدى ذلك إلى الشغب والخصومة ، وهذا إذا انفرد الواحد أو العدد اليسير بحط السعر دون جمهور أهل التجارة .

ويدل على ذلك ما رواه يونس بن يوسف عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب مر بحاطب بن أبى بلتعة وهو يبيع زبيبا له بالسوق ، فقال له عمر : « إما أن تزيد فى السعر وإما أن ترفع من سوقنا ! » وذلك أنه كان يبيع دون سعر الناس ، فأمره عمره أن يلحق بسعر الناس أو يقوم من السوق ! أقول : هذا يشبه ما نعرفه فى عصرنا بالحكم « بإغلاق المحل » عقوبة على ما ثبت للحاكم من التلاعب .

وإذا كان بين الفقهاء بعض الاختلاف فيما ذكرنا من الأحكام ، فهو اختلاف فى التطبيق ، بعد الاتفاق على المبادىء المستمدة من الكتاب والسنة ، وما تقضى به مصالح الأمة ، وفى بعض ذلك اختلاف سببه اختلاف ما روى عن رسول الله ﷺ مما صح عند البعض ولم يعرفه الآخرون .

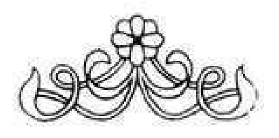
* * *

بذلك يتبين أن الشريعة الإسلامية قد كفلت مصالح التجارة ومصالح الناس ، ولم تسمح بإيذاء أحد على حساب الآخر ، أو إثراء أحد بدون مبرر ، فوضعت قسطاساً مستقيماً يكفل العدل ويمنع الظلم ، ويقر فى الناس أسباب الطمأنينة والرضا والحياة السعيدة !

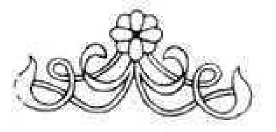
وتلك هى الشريعة العادلة الرحيمة ، التى لم يستطع العباقرة على مدى العصور والدهور أن يحيدوا عن مبادئها وأحكامها حين يكون العدل رائدهم ، والإصلاح مقصدهم ، وهذا لعمرى هو الإعجاز !



بكاء الديار وبكاء الممالك والأمصار



الذوق العربى وظاهرة الانسجام الصوتى"



رؤية جديدة فى صيغتى المدح والذم



فرحت وأنا أقرأ للأستاذ الكبير البشير بن سلامة كتابه الجديد « نظرية التطعيم الإيقاعى فى الفصحى » ؛ لأن الكتاب يثير بعمقه ، وجدة أفكاره ، ودقة منهجه ، وسلامة بحثه قضايا لغوية خطيرة ؛ ويدعو إلى فكر لغوى مستنير ، ويحرك الجمود اللغوى الذى نُعايشه إلى أفق رحب تشرق فيه شمس التطور . والتجديد والبناء والحركة ؛ ولأن الكتاب جاء فى وزن مؤلفه الفكرى والأدبى المستنير ، ويخطط لحياة لغوية جديدة .

ماذا يقول مؤلف الكتاب الأستاذ البشير بن سلامة ؟ وماذا يعنى بنظرية التطعيم الإيقاعى فى الفصحى ؟

يقول المؤلف : « إن كل عبقرى أضفى على الجملة العربية نمطا جديداً غيَّر به إيقاع صياغته ونظامها ، فإنه قدر فى الحقيقة على إقحام لهجته العامية المحلية فى الفصحى ، وتطعيم صوغه لها بهذه الإيقاعات من كلامه » ومعنى هذا أن أمثال ابن المقفع والجاحظ والبديع والتوحيدى .. وابن خلدون وأبى نواس وأبى العتاهية والشابى ومحمود المسعدى وغيرهم قد طعموا شعرهم أو نثرهم بإيقاعات لهجاتهم المحلية بدون أن يشعروا بذلك ، لقدرة حباهم الله بها ، لأن اللغة العربية الفصحى بإعجازها وطاقتها الكبرى قادرة على الديمومة والاحتفاظ بعبقريتها الكاملة فى نموها ، مع الارتباط بواقع أهلها المتحول المتحرك الذى تعتبر اللغة المحلية جزءاً منه ، يحمل خلاصة الحياة المعاشة ، ويترجم عنها أحد الترجمة ؛ **ولكن تبقى الفصحى دائماً هى القادرة على السمو بذلك الواقع ، وتلك الحياة . وهذا سر من أسرار بقائها .**

ويؤكد الأستاذ البشير بن سلامة أنه لا يدعو بتلك النظرية إلى العامية ولا إلى الاستعاضة عن الفصحى بلهجة من اللهجات ، بل إن هذه النظرية تسد الباب على كل من يدعو إلى العامية ، لأنها تثبت أن

د. محمد عبد المنعم خفاجي

الفصحى قادرة على امتصاص حيوية اللهجات للسموّ بها . ويدعو مفكرنا الكبير إلى دراسة اللهجة المحلية للكاتب العبقرى ، والشاعر المبدع من حيث إيقاعاتها ونظامها ؛ ثم يبحث فى أدبه عن هذه الايقاعات .

ومن أجل ذلك يعرض أديبنا الأستاذ البشير بحثه الذى فكر فيه طيلة خمس عشرة سنة ، والذى سيقلب - حينما يجد التطبيق العلمى عن طريق المخابر - الكثير من المفاهيم اللغوية المعروفة فى الشعر والنثر .

لقد درس الباحث تطور الجملة العربية عند المولدين ، عرض لخصائصها عند مثل عبد الحميد الكاتب وابن المقفع ، وفى شعر مثل بشار وأبى نواس ؛ فابن المقفع مثلاً يحول الأسلوب من مجرد جمل معطوفة بسيطة إلى جمل مركبة متشعبة لاتكاد تنتهى . ولا ريب أن تطور الجملة العربية الفصحى عند المولدين ناشىء عن تأثير لغات هؤلاء الكتاب والشعراء ، وهى لغات تأثروا بها لأنها اللغات الأم وهى بنفسها تمازجت مع لغة الكلام السائدة وهى العامية وأضفت على كتاباتهم شعراً ونثراً موسيقى جديدة وإيقاعات جديدة تطورت على أساسها الجملة العربية الفصحى .

ومن اجل ذلك يرى الأستاذ البشير بن سلامة العمل على التقريب بين الشقة التى تفصل بين الكلام واللغة ، والحد من التفاوت بين الفصحى والعامية ، من أجل الظفر باللغة المثلى فى تمازجها مع الحياة ؛ وذلك ما كان طه حسين ينادى به ، ويرى للوصول إليه ضرورة تيسير الكتابة والقراءة أولاً وتيسير النحو ثانيا للتحرر اللغوى من سلطان الذاكرة وخلق نثر جديد ، وكأن القرآن الكريم حدثا لغويا بإخراجه العرب من سلطان الذاكرة إلى عالم النثر الحقيقى .

ويدرس باحثنا الكبير العوامل التى أثرت فى لغة طه حسين النثرية : من المواءمة لروح العصر والحرص على الطابع المصرى والشخصية المصرية ، والتمسك بكل مايمس عبقرية اللغة ونموها وإيقاعها والتجاوز المطلق الشامل المفتوح على المستقبل .

ولهذا بحث الكاتب الكبير تطور الجملة العربية فى الأدب الأفريقى ، ووازن بين لغة ابن رشيق ولغة « أبوليوس » المفكر الأفريقى القديم الذى كان يتصرف فى اللغة اللاتينية تصرفاً مطلقا ؛ ويؤكد المؤلف أن كل عباقرة العربية الفصحى ، ممن بزوا غيرهم فى ميدان الخلق الأدبى ، لم يخلدوا فى مجال الأدب ، ولم يكتب لآثارهم البقاء ، ولم تكن إضافاتهم اللغوية ذات خطر ، إلا لأنهم عرفوا كيف يضمنون لغة الخلق عندهم أجمل ما فى لغتهم العامية من إيقاعات ونبضات ونبرات وشحنة موسيقية من دون أن يدخلوا الضيم على الفصحى ، أو يمسُّوا عبقريتها .

ويرى أن القدماء مع جهودهم الكبيرة فى استقصاء أسرار العربية ، وضبط قوانينها ، ومع اهتمامهم بالألفاظ وظواهر تغيرها ،

وذهابهم إلى جواز القياس وإلى الاشتقاق والقلب والإبدال والنحت والارتجال والاقتراض ؛ لم يولوا الجملة ونواميس تغيرها نفس العناية ، لامن حيث التراكيب بل من حيث موسيقاها وإيقاعاتها وبما يجعل الجملة متعانقة مع الحياة الحية ، معبرة على حركة الواقع وتموجاته ، منطلقة إلى القفز في مجاهل المستقبل .

ويبحث الأستاذ الكبير البشير بن سلامة ضوابط الإيقاع بصورة مجملة ، ولكنه في الوقت نفسه ينادى بدراسة تطور الايقاعات في الجملة العربية على حسب العصور والأعلام ، وبضبط تطور الجملة العربية من حيث الأسلوب والشكل عند الكتاب الخلّاقين خلال العصور المتعاقبة ، بعد أن بدأ بعض الباحثين من عرب ومستشرقين كبلاشير في وضع قواميس لضبط تطور معانى الكلمات العربية .

كما يرى ضرورة التجديد اللغوى القائم على الاستيعاب للتراث العربى الإسلامى ، والتمسك باللغة الفصحى وأصولها ومع الارتباط بالشخصية وبالثقافة القومية ، وملاءمة روح العصر التقاءً بالإنسانية عامة ، وابتكارا لأشياء جديدة .

إن هذا الكتاب الصغير الحجم ، الكبير المضمون ، الذى يحمل نظرية جديدة في اللغة ، هى نظرية (التطعيم الإيقاعى في الفصحى) ، لجدير أن يأخذ مكانه في مجال البحوث اللغوية واللسانية الجادة ، ليسير البحث اللغوى على هداه إلى خطوات أوسع ، وميادين أرحب ولتنال الفصحى - بهذا التجدد والتأثر والتأثير - مكانها الرفيع الخالد دائما بين مختلف اللغات العالمية .

والأستاذ البشير الذى بدأ اتجاهه إلى الأدب والكتابة والشعر منذ عام ١٩٤٧ وهو في السادسة عشرة من عمره ، والذى أثار من قبل قضية اللغة ومشكلة الكتابة في كتابه القيم « اللغة العربية ومشاكل الكتابة » الصادر عن الدار التونسية للنشر عام ١٩٧١ ؛ والذى اختار دائما الفصحى لغة للأدب الرفيع ؛ والفكر المتجدد ؛ إذ لم تكن الفرنسية بالنسبة له إلا إداة لإثراء كتاباته بالفصحى محتوى ونهجا ؛ ينادى دائما بأن الفصحى في جوهرها هى لغة شعبية تطورت على أساس أنها لغة الحياة ، وأن اللغة وخاصة الفصحى لم تتطور بالألفاظ والمعانى فحسب ، بل بالإيقاع الذى لم يعتبره القدماء أمرا هاما ، وأصبح اليوم مسألة جوهرية في علم اللسانيات الحديث .

مرحباً بالكتاب ، وتقديراً لمؤلفه على هذا البحث العميق الجاد ، الذى وصل إلى نتائجه بعد تفكير دقيق طوال خمسة عشر عاماً ، سوف يثرى البحوث اللغوية ولا ريب ، وسينهض باللغة ويسمو بمستواها إلى المنزلة اللائقة بمكانتها كلغة إنسانية عالمية ، وكلغة حملت رسالة سماوية جليلة ، هى القرآن الكريم .

د . محمد عبد المنعم خفاجى

بكاء الديار وبكاء الممالك والأمصار

للأستاذ / السيد حسن قروت

مازلت أقول : إن الشعر الباكي في سبيل الديار وما حدث لها من صروف الزمان أشهى إلى النفس من الشعر الباكي لأجل سقوط الممالك والاستيلاء على المدن الكبيرة . لأن الأول يدخل في مجال الوفاء والآخر يدخل في حظيرة الذل والفشل والاستخذاء . واقرأ معي لشاعر جاهلي يبكي دار من أحب وأثر الدموع على عينيه حين ينظر فهو يقول :

نظرت كأني من وراء زجاجة
إلى الدار من فرط الصبابة أنظر

فعيناي طورا تغرقان من البكا
فأعشى ، وطورا تحسران فأُبْصِرُ

ثم اقرأ لشاعر إسلامي أندلسي يبكي سقوط طليطلة في يد الأعداء حيث يقول :

لثكلك كيف تبتسم الثغور
سروراً بعدما يئست ثغور ؟

لقد خضعت رقاب كن غلباً
وزال عتوها ومضى النفور

وهان على عزيز القوم ذل
وسامح في الحريم فتى غيور

طليطلة أباح الكفر منها
حماها ، إن ذا نبأ كبير

فالشاعر الجاهلي يعبر عن شوقه إلى دار محبوبته ، والشاعر الإسلامي يبكي مصرا من أمصار الأندلس كان متيما بأصحابه الشجعان ثم زالوا وقام مقامهم أذلاء هان عليهم الدفاع عن الأرض والعرض والدين

←

ونحن مع وفاء الأول فى ارتياح ومع مذلة الآخر فى انزعاج .

وحين دخل طارق بن زياد الأندلس سنة ٩٢ هـ بجنود أغلبهم من البربر ، وكان هو من البربر ويفتح الأندلس بأمر من سيده القائد العظيم موسى بن نصير وهو من الموالى تعجب من خطبته العظيمة بما حوت من معان جليلة وأساليب رائعة وفهم عميق لنفسيات المحاربين ولا تجد صدى لهذا الفتح المبين فى نفوس شعراء العرب فى ذلك الزمان ، زمان بنى أمية فى عز سلطانهم وإقبال الدنيا عليهم زمن الوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان ثم عمر بن عبد العزيز .

ويظهر أن فتح الأندلس رج الخلافة فى دمشق والعرب فى الشرق والغرب ، وكانت الدعاية لها قوية فإذا بأكرم العرب أصولاً يؤمونها متنافسين ، فحوت من العدنانيين « خندف » ومنهم قريش ، ومن قريش حل بها من بنى هاشم جماعة كلهم من ولد إدريس ابن عبد الله الحسنى العلوى ، ومن هؤلاء بنو حمود ملوك الأندلس بعد سقوط دولة بنى أمية ، ومن قريش أيضاً بنو مخزوم ونزل بهم من قحطان الأزد ومنهم الشاعر محمد بن هانىء ، ويخيل إلىَّ أن الأنصار سكان المدينة المنورة من الأوس والخزرج نزحوا جميعاً إلى الأندلس . يقول ابن سعيد : والعجب أن تعدم هذا النسب بالمدينة وتجد منه بالأندلس فى أكثر بلدانها ما يشذ عن العدد كثرة .. ولقد أخبرنى من سأل عن هذا النسب بالمدينة « الأنصار » فلم يجد منه إلا شيخاً من الخزرج وعجوزاً من الأوس . قال ابن غالب : وكان جزء الأنصار بناحية طليطلة وهم أكثر القبائل بالأندلس فى شرقها وغربها . وناهيك أن بنى الأحمر وهم ملوك الأندلس بغرناطة وهم من نسل الصحابى قيس ابن سعد بن عبادة الخزرجى ، قد حلوا بها وقد حكموا من سنة « ٦٦٧ ـ ٨٩٧ » هـ وهم الذين سلموا الأندلس إلى أعداء العرب والإسلام . روت كتب التاريخ أن أبا عبد الله ابن أبى الحسن آخر ملوك بنى الأحمر لما خرج فى حاشيته قاصدا بر العدوة من أرض المغرب العربى لآخر حياتهم بالأندلس سمع إطلاق المدافع مؤذنة بالفتح فبكى ، فقالت له أمه عائشة تلك الكلمة الخالدة : « عليك أن تبكى بكاء النساء ما عجزت أن تدافع عنه دفاع الرجال » . والغريب فى الأمر أنه منذ أن سقط الحكم الأموى المروانى وشعراء الأندلس يبكون الأمصار والدول المنقرضة والممالك الزائلة فكأن أهل الأندلس منذ عصر عبد الرحمن الناصر « ٣٠٠ ـ ٣٥٠ » هـ فقدوا الحمية والنخوة وحب القتال ، فكل أمورهم كان التوجه إلى شمال أفريقية يستنجدون الملوك والأمراء لينقذوهم من أعدائهم الذين يهجمون عليهم من الشمال والشمال الشرقى .

قلنا إن الفتح تم على يد غير العرب من المسلمين والقيادة كانت لغير العرب طارق بن زياد وموسى بن نصير وأبنائه ، فلما كانت فى يد العرب ولاة وأمراء اختلفوا وتصارعوا وظهرت القيسية واليمانية ، وكل عوارض الأدواء من الفرقة والفخر بالأنساب والأحساب ، وكان لعبد الرحمن الداخل وبنيه جهدهم الرائع فى صيانة الأندلس والدفاع

عنها حتى سقطت دولتهم ، وبقى الخصام وسل الحسام هى لغة التعارف بين العرب إلى أن تركوها غنيمة لأعدائهم وأعداء الإسلام .

قالوا إن الفرنجة حين رأوا الشجاعة من المسلمين والعرب نصحهم كبيرهم بقوله : إن المسلمين اليوم كالسيل يجرف كل ما صادفه فاتركوهم حتى يملأوا أيديهم من الغنائم ويركنوا إلى الترف ، وأول هزيمة لحقت المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقى كانت حين انتصروا فتسابقوا إلى الغنائم فهجم عليهم قائد الفرنجة فاجتاحهم وهزمهم وتسمى هذه المعركة معركة بلاط الشهداء ، وكانت سنة ١١٤ هـ ، على عهد الخليفة هشام بن عبد الملك .

وأنا لا أؤرخ لفتح الأندلس وولاته ولكنى أتحدث عن شعر قيل حين نكبت الأندلس مصراً بعد مصر ودولة بعد دولة حتى انتهى الأمر بفجيعة لا تنسى أبد الدهر .

ومن أشهر ما قيل فى رثائهم قول الشاعر (أبى البقاء صالح بن شريف الرندى) قال :

لكل شىء إذا ما تم نقصان
فلا يُغَرُّ بطيب العيش إنسان
هى الأمور كما شاهدتها دول
مَنْ سَرَّهُ زمن ساءته أزمان

ومنها :

تبكى الحنيفية البيضاء من أسف
كما بكى لفراق الإلف هيمان
على ديار من الإسلام خالية
قد أقفرت ولها بالكفر عمران

وهذه القصيدة التى تملأ القلوب أسى ، وتبعث الدموع دماً ، فراجعها فى مظانها إن أحببت ، ومن العجيب أن العرب منذ دخلوا الأندلس إلى أن خرجوا منها وهم فى حرب لا تنطفىء لها نار ، ولا يضعف لها أوار ، ومع ذلك لا نرى لها شعراً حماسياً كالذي نراه فى شعر المشارقة فى وصف الحروب والزحف والانتصار ، ولولا شعر ابن هانىء فى مدائح المعز لدين الله الفاطمى لخلا شعر الأندلس من شعر الحماسة وما يصوره من انطباع الواقع على قلوب الشعراء ، ولئن فقد الشعر الحماسي الأندلسي في فتح الأندلس ، وفى انتصارات عبد الرحمن الناصر ، فإن شاعراً مصرياً انفعل بفتح الأندلس وراعته بطولة طارق بن زياد فنظم قصيدة تعد من عيون الشعر العربى فى عصرنا الحديث هو (على محمود طه) رحمه الله يقول فى مطلعها متحدثاً عن القائد وجنوده :

أشباح جن فوق صدر الماء
تهفو بأجنحة من الظلماء ؟
أم تلك عقبان السماء وثبن من
قنن الجبال على الخضم النائى ؟
لا ، بل سفين لُحْنَ تحت لواء
لِمَنِ السفينُ تُرَى وأى لواء ؟
ومن الفتى الجبار تحت شراعها
متربصا بالموج والأنواء ؟
يعلى بقبضته حمائل سيفه
ويضم تحت الليل فضل رداء

ويسير على النهج واصفا السماء والبحر والمدائن ، والبدوى الذى تعلم ركوب البحار ويخاطب البطل :

يابن القباب الحُمر ويحك من رمى
بك فوق هذى اللجة الزرقاء ؟

ويصف موقف القائد من جنوده حين أحرق السفن وحضهم على الجهاد فيقول :

ووقفت والفتيان حولك وانبرت
لك صيحة مرهوبة الأصداء

هذى الجزيرة إن جهلتم أمرها
انتم بها رهط من الغرباء
البحر خلفى والعدو إزائى
ضاع السفين إلى الطريق ورائى
وتلفتوا فإذا الخصم سحابة
حمراء مطبقة على الأرجاء

ويقول عن الانتصار والانطلاق نحو الأمصار والاستعداد للبناء والاستقرار :

وأتى النهار وسار فيه طارق
يبنى الملك الشرق أى بناء

هذا الشعر الحماسى يرتفع بنا إلى العصور الزاهرة فيقف جنبا إلى جنب بجوار أبى تمام فى قصيدته البائية التى كانت صدى لفتح عمورية بقيادة الخليفة المعتصم العباسى ، وتأخذ معانيها من خطبة طارق حين الغزو .

وهكذا ترانا لا ننسى أمجادنا ونربط الماضى بالحاضر والمستقبل .

وإذا كانت الأندلس ابكتنا لسقوطها ، ولم ننس ما قدمت للبشرية من حضارة وثقافة ، فإننا فى العصر الحاضر نبكى أرضا عربية سلبها الاستعمار الاستيطانى والعيون تنظر والعقول تفكر ، تلك الأرض هى فلسطين ، وقد سقطت فى يد اليهود ، بنى إسرائيل ، الصهاينة ومنذ ١٨٩٧ والصراع دائر بين العرب وتطلعات الاستعمار ، ومع فهمنا لحيله وأحابيله فإن الضعف أزرى بنا فوقعنا فيما يملأ القلوب أسى وألما ، ويترك فيها ضغينة تدعو إلى القول والعمل ، وكم قال شعراؤنا فى النكبة والنكسة ، ومازالوا يقولون ، وصارت فلسطين وصمة عار فى جبين العالم أجمع ، وعلامة بارزة على إخفاق العصر الحديث فى مبدأ تقرير المصير ، ولقد قامت مصر العربية الإسلامية بواجبها فى الدفاع عن الذمار فخاضت أربع حروب دفاعاً عن فلسطين والحق العربى .

وأنا أتحدث عن الشعر الباكى على عيون فلسطين أجد شعرا كثيراً ودواوين من شعر الحماسة وشعر البكاء ، وهو شعر فصيح صريح العروبة يحرض وينهض دليلا على إيمان قائله ، وأخذه بأساليب الشعر الحديث ـ راجع شعر شعراء فلسطين .

وأنا فى هذه العجالة أقدم لك شعرا باكياً أصيلاً قاله شاعر فلسطين أبو سلمى واسمه عبد الكريم الكرمى من مواليد «طولكرم» من بلاد الضفة الغربية لنهر الأردن سنة ١٩١٧ ـ اشتغل محاميا بعد تخرجه فى كلية الحقوق بالقدس أيام الانتداب البريطانى على فلسطين وكان مكتبه بمدينة « حيفا » حتى سنة ١٩٤٨ سنة النكبة وتحول من محام إلى مدرس لغة عربية بدمشق وله « ديوانان من الشعر » هما : « الشرد » و« أغنيات بلادى » والقصيدة التى نقدمها إليك هى قصيدة « بعد النكبة » وهى تحدثنا عن حنينه لوطنه وشوقه إلى ترابه ، ذلك الوطن الذى فى ظله عاش الأجداد والرسل ، ثم صار أبناء الوطن مشردين ليحل محلهم فى ديارهم قوم غرباء ينعمون بخيراته ، ويعيش أصحابه فى خيام تهب عليهم الرياح فيتعرضون للآلام والأسقام ، ثم إن القسوة تبدو فى تقاذفهم فى بلاد غير بلادهم فلا يعرفون رحمة راحم ولا شفقة مشفق ، فهم كعصا كسرت فصارت شظايا ، والشاعر يحمل همهم ونكبتهم كأنه طيف ثأر والوطن طلل ، ثم ينادى أبناء الوطن ليقوموا بواجبه لا يخشون الاستعمار ولا عملاء الاستعمار ، وإليك نص القصيدة وتقع فى إحد عشر بيتاً :

زحفتُ ألثم أرضى وهى باكية
والقلب باك وراحت تنتشى القُبَلُ

وعدت أنشق من عطر التراب هوى
فى ظله التقت الأجداد والرسل

أهلى على الدهر تدمينى جراحهم
فى حبهم يتساوى العذر والعَذَل

خيامهم فى مهب الريح معولة
ودورهم من وراء الدمع تبتهل

تقاذفتهم دروب العمر دامية
وأنكرتهم ربوع الأهل والملل

فى كل أرض شظاياهم مشردة
وتحت كل سماء معشر ذلل

أطوف أحمل أنّى سرت نكبتهم
كأننى طيف ثأر والحمى طلل

يافتية الوطن المسلوب هل أمل
على جباهكم السمراء يكتمل ؟

أنتم بنو الشعب لا الطغيان يرهبكم
ولا زعيم على الشيطان يتكل

يبنون أمجادها والخلد رقرقها
كأنما هى بالأيام تتصل

إن الطريق إلى العلياء مظلمة
ولن يضل وفى أيديكمُ الشعل

وهى أبيات صارخة كما ترى ، ففيها تحية الوطن باللثم والتقبيل والبكاء ، وفيها حديث المشردين ، ثم موقفه هو من الغاصبين ، والدعوة إلى تحرير الوطن ، والشاعر موفق فى التعبير عن نكبة فلسطين ، وتحس الصدق فى أدائه وأثر العاطفة فى صوره وخياله وطرائق تعبيره .

وبجانب ذلك تحس بثقافته العربية ففى البيت :

أطوف أحمل أنى سرت نكبتهم
كأننى طيف ثأر والحمى طلل

ففى « طيف ثأر » إشارة إلى معتقدات العرب فى الجاهلية فإنهم أو بعضهم كانوا يعتقدون أن كل مقتول يخرج من رأسه طير يسمى « الصدى » يصيح طالبا للثأر ولا يسكت عن الصياح حتى يؤخذ بثأر القتيل يقول شاعر العرب الجاهلى :

ياعمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى
أضربك حتى تقول الهامةُ : اسقونى

و« الهامة » هى « الصدى » فهما لشىء واحد هو الطائر الذى تحدثنا عنه .

وقد يؤخذ على الشاعر رضوخه للقافية فلا يطبق المفصل فى التعبير عن مقصده كما فى قوله :

أهلى على الدهر تدمينى جراحهم
فى حبهم يتساوى العُذْر والعَذَلُ

فجمعه بين « العذر والعذل » غير موفق فيه ، إذ لا يلام الإنسان على حبه أهله ، وقديماً عابوا على الكميت قوله يمدح النبى ﷺ :

إلى السراج المنير لا
تعدل بى رغبة ولا رهب
عنه إلى غيره ولو رفع
الناس إلى العيون وارتقبوا .
وقيل أفرطت ، بل قصدت ولو
عنفنى القائلون أو ثلبوا

فقالوا : من هذا الذى يقول له فى مدح النبى ﷺ أفرطت أو يعنفه أو يثلبه أو يعيبه ..؟ وهذا خطأ منه وجهل بمواقع المدح .

البقية ص ٦٦٩



وظاهرة الانسجام الصوتي في ضوء معطيات علمي الصرف والأصوات

تقديم :

حظيت الدراسات الصوتية حديثا بنصيب موفور من العناية لما لها من اهمية ومكانة بين فروع علم اللغة .

وقد ادرك علماء العربية قديما هذا اللون ، فدرسوا اصوات العربية دراسة واعية غطت جانبيها : الفوناتيكي والفونولوجي قدر الطاقة ، ووفق الإمكان ، ووصلوا إلى حقائق كثيرة اشاد بها علماء الأصوات المحدثون[1] ، ولا سيما في ميدان فسيولوجية الصوت اللغوى ، إذ فصلوا القول في صفات الحروف ومخارجها ، والتمايز بينها إلى غير ذلك .

ولم يكن الأمر مقصوراً على الأصوات فحسب ، بل أحاط علماؤنا القدامى جوانب اللغة بسياج من الثراء الفكرى فى شتى الميادين ، ومصداق ذلك ما تذخر به المكتبة العربية من كنوز علمية تطاول بها الأزمان .

وقد كان لهذا الثراء الفكرى اللغوى أثره فى الحفاظ على هذه اللغة سويّة معطاءة عبر العصور ، راصدا بين يدى أهلها وناطقيها خصائصها وسماتها من جانب ، وكاشفاً اللثام عن ملامح الذوق العربى ومعالمه من جانب آخر .

والمقصود بالذوق[2] العربى ـ هنا ـ

---

(١) الأصوات اللغوية : د / أنيس ص ١٢١ ط ٦ الانجلو سنة ١٩٨١ م ، التجويد والأصوات : د / نجا ص ٨ السعادة سنة ١٩٧٢ م ، البحث اللغوى عند العرب : د / عمر ص ١٠١ ـ ١٠٦ ط ٤ عالم الكتب سنة ١٩٨٢ م .

(٢) الذوق : قوة مثبتة فى العصب المفروش على جرم اللسان تدرك بها الطعوم . انظر : التعريفات للجرجانى ص ١١٢ لبنان سنة ١٩٦٩ م .

للدكتور/ عبد المنعم عبد الله محمد

الطبع[٣] ، أى منهج العربى ومسلكه فى معالجته للغته ، وقد كان له أثره فى صياغة القوالب ، والتأليف بين لبناتها ، حتى أضحت اللغة مرآة صادقة لذويها ومجتمعها ، وليس أدل على هذا من إمكانية التعرف على ملامح أمة من خلال معجم ألفاظها .

وفكرة هذا البحث هى بيان ملامح الذوق العربى فى ضوء ظاهرة الانسجام الصوتى ، وغير خاف عليك أن علوم العربية جميعها جديرة بإبراز ملامحه ومنهجه ، فعلوم البلاغة والأدب والنقد - مثلا - تفصح عن رقته ، ومدى خصُوبة خياله ، وحضارته وعالميته ، كما أن علم النحو يكشف عن مدى دقته وشغفه باللغة ، وحرصه عليها .

أما علما الصرف والأصوات - ميدان الدراسة - فهما خير دليل على سماته فى صوغ الأبنية وسبكها ، إذ يفصحان عن مدى سلاسته ومرونته ، ومواكبته للتيسير ، وجنوحه للتخفيف ، متوخيا السهولة والاقتصاد ، وخير دليل على ذلك ظاهرة الانسجام الصوتى بين نسيج الكلمة .

ولعل من الأمور التى دفعتنى لدراسة هذه القضية ما صادفته من تعليلات صرفية وصوتية بين ثنايا تراثنا اللغوى تكشف غموض كثير من قضايا البنية اللغوية ، وجلها تعليلات منطقية مقبولة ، صدرت من معين يكاد يكون واحدا هو مراعاة التخفيف والتآلف بين مكونات الصيغة لتحقيق الانسجام الصوتى ، مما يدل على أن الخفة هى منهج البناء اللغوى العام[٤] .

ومن ثم كانت معالجتى لهذه الظاهرة فى محاولة لبيان ملامح الذوق العربى فى إطارها ، ومدى حرصه على أن تبدو الصيغة العربية منسجمة الأصوات ، متآلفة المقاطع ، مرنة فى النطق ، سيّالة فى الأداء ، واضحة فى السمع .

وكان مسرح هذه الدراسة معطيات علمى الصرف والأصوات ، لأنها البيئة الطبيعية لمادة البحث ، فقضايا الإعلال والإبدال والإدغام وغيرها قضايا صرفية وصوتية فى آن ، كما أن تعليلات اللغويين لبيان ما تم من تفاعل داخلى بين نسيج الكلمة وثيقة الصلة بنظرية إحداث الحروف[٥] فى علم الأصوات ،

←

(٣) المنجد فى اللغة : المعلوف ، مادة (ذوق) ص ٢٤١ بيروت الطبعة الجديدة سنة ١٩٦٠ م .

(٤) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى : د / عبد الغفار هلال ص ٧١ وما بعدها دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٧٩ م .

(٥) التفكير الصوتى عند العرب فى ضوء سر صناعة الإعراب : هنرى فليش (بحث منشور فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢٣/٥٨) الهيئة العامة سنة ١٩٦٨ م .

تلك التى تحدد مخارج الأصوات وتبين صفاتها وفق كيفية تكوينها وإصدارها ، مما يؤكد قوة العلاقة بين علمى الصرف والأصوات ، فضلا عن علاقة علم الصرف الوطيدة بجل العلوم اللغوية ، « فما انتظم عقد علم إلا والصرف واسطته ، ولا ارتفع مناره إلا وهو قاعدته »[٦] .

وقد قام هذا البحث على منهج يتضمن الخطوط الرئيسية التالية :

أولا : بيان حقيقة الانسجام الصوتى ، ودلالته على ملامح الذوق العربى ، وتأصيل الظاهرة لدى القدامى ، وتحديد موقعها فى الدراسات اللغوية قديما وحديثا ، وما توحى به من ترابط بين علوم العربية بصفة عامة ، وعلمى الصرف والأصوات بصفة خاصة .

ثانياً : مناقشة الوسائل المتنوعة لتحقيق ظاهرة الانسجام الصوتى مع عرض لقضية المماثلة باعتبارها من أهم وسائلها ، مع توضيح أسس المماثلة وأنواعها ، وثمرتها فى ضوء النماذج التحليلية ، والأمثلة التوضيحية .

ثالثا : توضيح أثر ظاهرة المخالفة فى تحقيق الانسجام الصوتى مع عرض لصورها ، وتجلية لملامحها وجدواها فى ضوء معطيات علمى الصرف والأصوات .

رابعا : خاتمة تتضمن بعض النتائج التى تمخضت عنها تلك الدراسة ، مع الإشارة إلى بعض التوصيات فى ميدان الدراسات الصرفية والصوتية .

أولا : الانسجام الصوتى ماهيته ، ودلالته ، وأصالته وموقعه من الدراسات اللغوية

١ - الانسجام الصوتى : ماهيته ودلالته على ملامح الذوق العربى

تطالعنا مادة (س ج م) بين ثنايا المعاجم العربية[٧] دالة على التدفق والسيلان ، يقال : سجم العين والدمع ، والماء يسجم سجوما وسجاما ، إذا سال ، ودمع ساجم ومسجوم ، وانسجم الماء والدمع فهو منسجم ، إذا انسجم ، أى : انصب .. وانسجم الكلام : انتظم .. والانسجام مصدر انسجم ، وهو فى عرف البديعيين « أن يكون الكلام خاليا من التعقيد ، سهل التركيب ، عذب الألفاظ ، بعيدا عن التكلف ، له فى القلوب وقع ، وفى النفوس تأثير »[٨] .

وفى عرف اللغويين المحدثين[٩] هو « عبارة

---

(٦) شذا العُرف فى فن الصرف : الشيخ الحملاوى ١٥ ط ١٢ سنة ١٩٥٧ م .

(٧) اساس البلاغة ص ٢٠٣ دار المعرفة سنة ١٩٨٢ ، اللسان مادة (س ج م) ط دار المعارف ، القاموس المحيط ٤/١٢٧ الحلبى مختار الصحاح ص ٢٨٧ دار المعرفة ، المعجم الوسيط ١/٤٣٣ ط ٣ اوفست شركة الاعلانات الشرقية ، المعجم الوجيز ص ٣٠٢ ط ١ دار التحرير .

(٨) المنجد فى اللغة ص ٣٢٢ .

(٩) الأصوات اللغوية : أنيس ص ١٧٨ ، معجم المصطلحات اللغوية والادبية : د / علية عزت ص ٢٥ دار المريخ .

عن تأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض تأثرا يهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة أو المخالفة ، تحقيقا لتيسير النطق والاقتصاد فى الجهد العضلى » .

وفى ضوء ما تقدم تتضح العلاقة بين المفهومات المتنوعة لحقيقة الانسجام ، فهناك عموم وخصوص وجهى ، إذ أن المعنى المعجمى مضروب مشترك بين المعجميين والبلاغيين واللغويين ، وينفرد البلاغيّون بوسائل خاصة لتحقيقه تختلف عن مسالك اللغويين ، ولا غروفى هذا فلكل وجهته ومنهجه ، والهدف فى نهاية المطاف يكمن فى التآلف والتناسق سواء بين لبنات الكلمة أو الكلام .

وعلى هذا فالانْسجام الصوتى أمر يلحظ عند الأداء للفظ أو لجملة الكلام ، إذ أنه وليد التفاعل الذى يحدث فى ضوء تجاور الأصوات على صعيد الكلمة الواحدة فى صورة قلب أو إبدال أو إدغام ، أو ما شاكل ذلك من القضايا الصرفيّة ، أو بين صوتيْن يمثل أحدهما نهاية كلمة ، والثانى بداية أخرى ، ومن نماذج ذلك أحكام النون الساكنة فى السياق سواء فى كلمة أم فى كلمتيْن .

ويمكن توضيح مفْهوم اللغويين للانسجام الصوتى وبيان دلالته على ملامح الذوق العربى فى ضوء بعض الحقائق الصرفية والصوتّية الآتية :

١ ـ قرر الصرفيون[١٠] قلب تاء (افْتَعل) دالاً ، إذا كانت الفاء زايا أو دالا أو ذالا ومن ثم قيل فى (زجر ، دان ، ذكر) : ازدجر ، ادان ، اذدكر ، والأصل (اذتجر ، ادتان ، ازتكر) .

ولا يخفى مدى الصعوبة والثقل وعدم التآلف بين نسيج الصيغة على تلك الهيئة ، ومرجع ذلك فى ضوء علم الأصوات التخالف بين صفات حروفها ، فالتاء حرف مهموس ، والزاى والدال والذال من الحروف المجهورة ، وهنا نلمح خصائص الذوق العربى إذ اقتضت قلب التاء دالاً ، ليتحقق الانسجام الصوتى بين لبنات الصيغة فى سهولة النطق ، وسلاسة الأداء ، وللمبالغة فى تحقيق ذلك كان الادغام فى الصيغة الثانية (ادان)[١١] ، كما وردت الصيغة الثالثة (اذدكر) على ثلاث صور[١٢] ، بالإظهار ، والإدغام مع تشديد الدال المهملة ، والإدغام مع تشديد الذال المعجمة ، وذلك إمعانا فى التيسير والاقتصاد فى الجهد العضلى مما هيأ الانسجام الصوتى بين ربوع البنْية اللغوية .

←

---

(١٠) الكتاب ٤/٤٦٩ ـ ٤٧١ تحقيق هارون ، الهيئة المصرية سنة ١٩٧٧ م ط ٢ ، شرح المفصل : ابن يعيش ١٠/٤٨ ـ ٤٩ الطباعة المنيرية ، سر الصناعة : ابن جنى ١/٢٠٠ ـ ٢٠٢ البابى الحلبى ط ١ سنة ١٩٥٤ ، الممتع : ابن عصفور ١/٣٥٦ ـ ٣٥٨ تحقيق قباوة ط ٤ بيروت سنة ١٩٧٩ م .

(١١) قلبت التاء دالا ، ثم ادغمت الدال فى الدال لوجود المثلين وسكون اولهما .

(١٢) (اذدكر ـ ادّكر ـ اذّكر) والصورة الأولى ـ الإظهار ـ حكاها ابو عمرو ، انظر : الخصائص : ابن جنى ٢/١٤٢ تحقيق النجار ، دار الهدى ـ بيروت ط ٢ ، شرح المفصل ١٠/٤٩ ، وايضاً ص ١٥٠ .

٢ ـ قرر علماء الأصوات والأداء القرآنى كثيرا من الأحكام التى يمكن تعليلها فى ضوء ظاهرة الانسجام ، ومن ذلك أحكام النون الساكنة ، وسأسوق إليك نموذجين يوضّحان حقيقة هذه الظاهرة ومدى دلالتها على ملامح الذوق العربى :

(أ) **الإخفاء**:[١٣] للنّون الساكنة إذا وليها صوت من الأصوات الآتية : (الصاد ـ الذال ـ الثاء ـ الكاف ـ الجيم ـ الشين ـ القاف ـ السين ـ الدال ـ الطاء ـ الزاى ـ الفاء ـ التاء ـ الضاد ـ الظاء) .

والإخفاء فى عرف علماء القراءات[١٤] « هو النطق بحرف ساكن عار من التشديد على صفة بين الإظهار والإدغام مع بقاء الغنة[١٥] فى الحرف الأول » .

ويعلل علماء الأصوات النطق بالحرف على هذه الهيئة بأنه محاولة للتقريب بين الأصوات المتجاورة ، إذ أن هناك تخالفا وبعدا بين النون الساكنة والأصوات المذكورة ، فليست بالقريبة منها القرب الذى يوجب الإدغام ، وليست بالبعيدة البعد الذى يوجب الإظهار ، ومن ثم كان التوسط بين الإظهار والإدغام فى صورة الإخفاء ، فصارا لا مدغمين ولا مظهرين[١٦] ، وفى ظل تلك الهيئة بدت الصيغة سهلة فى النطق يسيرة فى الأداء .

ومن الشواهد القرآنية التى تحققت فيها هذه الظاهرة ما ورد فى كلمة واحدة ، ومنها ما ورد فى كلمتين : فمن الأول ـ (النون مع الصاد) فى قوله تعالى : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾[١٧] وكذلك (النون مع التاء ، والذال) فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴾[١٨] .

ومن الثانى ـ (النون مع الدال) فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[١٩] وهكذا حقق نطق الحرف على هيئة بين الإظهار والإدغام انسجاما صوتيا بين حروف الكلمة وألمح إلى طبيعة الذوق العربى واتجاهاته فى هذا الميدان .

(ب) **الإقلاب**:[٢٠] وهو فى اصطلاح علماء القراءات « قلب النون الساكنة

---

(١٣) الإخفاء لغة : هو الستر ، تقول : أخفيت الشيء ، أى : سترته .

(١٤) سراج القارىء المبتدىء : للعذرى ص ١٠١ وما بعدها ، البابى الحلبى ط ٣ / ١٩٥٤ ، النشر فى القراءات العشر : ابن الجزرى ٢٧/٢ اوفست المثنى ببغداد ، الإتقان فى علوم القرآن : السيوطى البابىّ الحلبى ط ٤ سنة ١٩٧٨ م ، المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية : للقارى ص ٤٩ البابى الحلبى سنة ١٩٤٨ م .

(١٥) الغنة : صوت لذيذ مركب فى جسم النون والميم الساكنتين .

(١٦) النشر ٢٧/٢ ، شرح المفصل ١٤٥/١٠ .

(١٧) آل عمران ١٦٠ .

(١٨) النازعات ٤٥ .

(١٩) هود ٦ .

(٢٠) الإقلاب لغة : تحول الشيء عن وجهه ، انظر : النشر ٢٦/٢ ، نهاية القول المفيد : مكى ص ١٢٢ البابى الحلبى سنة ١٣٤٩ هـ .

والتنوين ، ميما قبل الباء مع مراعاة الغنة والإخفاء » وله حرف واحد هو الباء .

ومن شواهده القرآنية قول الله تعالى : ﴿ قالت من أنبأك هذا ﴾[21] إذ اجتمعت النون الساكنة والباء ، فاقتضت طبيعة الذوق العربي قلب النون ميما ، وذلك للتنافر الموجود بين النون الساكنة والباء من حيث المخرج والتحكم في مجرى الهواء ، فمخرج النون من طرف اللسان ، وغنّها يستدعى خروجها من الخيشوم[22] ، والباء من الشفتين ، كما أن النون حرف أغن يستدعى إصداره استمرار تسرب الهواء ، أما الباء فحرف شديد يتطلب إصداره إغلاق مجرى الهواء .

ومن ثم أبت خصائص الذوق العربي إلا الإتيان بحرف يجمع صفة المتنافيين ، فكان قلب النون ميما خير وسيلة لتحقيق التماثل والانسجام ، إذ اتفقت الميم مع الباء في المخرج ، ومع النون في الغنة[23] .

ومن النماذج السابقة يستبين لنا أن التماثل بين لبنات الكلمة وسيلة رائدة في تحقيق الانسجام الصوتي ، غير أنها ليست الوحيدة في هذا الميدان ، فهناك غيرها ، كالمشابهة أو المضارعة ، وكذلك الإمالة ، وأيضاً المخالفة إلى غير ذلك كما سيأتي .

ومن نماذج المشابهة أو المضارعة ما قدره سيبويه[24] من مضارعة الصاد الساكنة للزاي إذا وقعت قبل الدال في مثل (مصدر ، أصدر ، التصدير) وعلة المشابهة هنا التقريب ، إذ أن الصاد حرف مطبق مهموس رخو ، والدال حرف منفتح مجهور شديد ، فالتنافر موجود بين المتجاورين ، ومن ثم أشربت الصاد شيئاً من الزاي لجهرها ، فصارت بين بين ، أي حرفا مخرجه بين المخرجين ، لئلا يذهب صوت الصاد البتة كراهية الإجحاف بها للإطباق ، وليس وراء ذلك من سبب إلا التخفيف والتيسير ، وعلى حد تعبير سيبويه « ليكون عملهم من وجه واحد ، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد إذ لم يصلوا إلى الإدغام » .

وفي هذا دلالة على طبيعة الذوق العربي ومَنْهَجه وتَنَوّع وسائله في مراعاة الانسجام الصوتي ومن هذه الوسائل ما يسمى بالمخالفة كما سيستبين لنا على امتداد البحث ، ومن نماذجها قلب النون في صيغة (دنار) ياءً حيث صارت (دينار)[25] ، وذلك تيسيرا لعملية النطق ، وتجنبا للصعوبة الكامنة في نطق المثلين .

وهكذا يتبين لنا مفهوم ظاهرة الانسجام ، ومدى دلالتها على الذوق العربي ، وتنوع وسائلها ، مما يدل على أصالتها ، وجذورها الضاربة في أعماق تراثنا اللغوي ، وهذا ما سنلقي عليه الضوء .

---

(٢١) التحريم ٣ .

(٢٢) العين : ٦٥ ، الكتاب ٤/٤٣٣ ـ ٤٣٤ ، النشر ١ / ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

(٢٣) الأصوات اللغوية : ١٨٦ ، التجويد والأصوات : نجا ١١١ .

(٢٤) باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه ، والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه . انظر : الكتاب ٤/٤٧٧ ، الخصائص ٢ / ١٤٤ .

(٢٥) انظر : الكتاب ٣/٤٦٠ ، ٤/٢٣٩ ، الممتع ١ / ٣٧١ .

٢ ـ الانسجام الصوتى : أصالته وموقعه فى تراثنا اللغوى

ألمحت أمهات تراثنا اللغوى إلى ظاهرة الانسجام الصوتى ، ومدى اعتداد الذوق العربى بها ، ومعالجته للبنْية اللغوية فى ضوئها ، وإليك بعض الإشارات التى تؤكد ذلك من جانب ، وتثبت بما لا يدعُ مجالا للشك أصالة هذه الظاهرة فى شتى فروع الدراسات اللغوية .

فى كتاب العين[٢٦] يشير الخليل بن أحمد (١٧٥ هـ) إلى طبيعة الذوق العربى فى التأليف بين لبنات المادة ، فيقرر أن العين لا تأتلف مع الحاء فى كلمة واحدة ويعلل ذلك « بقرب مخرجيهما » ويستثنى من هذا ما جاء « من جمع بين كلمتين[٢٧] ، مثل حى على » ويستشهد بقول الشاعر :

ألا رب طيف بات منك معانقى

إلى أن دعا داعى الفلاح فحيعلا[٢٨]

أى : قال حىّ على الفلاح : وفى هذا إلماح إلى طبيعة الذوق العربى فى كيفية نسج الكلمات وفى الكتاب[٢٩] يشير سيبويه (١٨٠ هـ) فى مواطن متعددة ومتنوعة إلى ملامح الذوق العربى فى ضوء تعليلاته لكثير من قضايا الإبدال والإدغام تحت مظلة التخفيف والانسجام الصوتى ، وليكون عمل اللسان من وجه واحد ، يقول فى باب التضعيف[٣٠] ـ مثلا ـ « اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم ، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد ، ألا ترى أنهم لم يجيئوا بشىء من الثلاثة على مثال الخمسة نحو ضربُب ، ولم يجىء فَعَلُلٌ ولا فَعُلُلٌ إلا قليلا ، ولم يبنوهن على فُعالل كراهية التضعيف ، وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ، ثم يعودوا له ، فلما صار ذلك تعبا عليهم أن يداركوا فى موضع واحد ولا تكون مهلة ، كرهوه وادغموا ، لتكون دفعة واحدة ، وكان أخف على ألسنتهم مما ذكرت لك » .

وفى هذا تجلية لمنهج العرب فى بناء صيغهم ، إذ جنحوا دائما للتيسير ، والاقتصاد فى الجهد العضلى ، وهذا ما أفصح عنه سيبويه ، بل إنه اعتمد فى تعليلاته على ذلك مرارا فى صفحات متتالية من كتابه[٣١] .

وفى البيان والتبيين[٣٢] يشير الجاحظ (٢٥٥ هـ) إلى سلامة الذوق العربى وسلاسته ومنهجه فى بناء الصيغة ، فيقرر أن « الجيم

---

(٢٦) العين : ٦٨ .

(٢٧) وهذه الظاهرة تسمى ظاهرة النحت ولعل السر فى ذلك الرغبة فى المحافظة على رموز الكلمات المختصرة من جانب ، ولوجود حاجز حصين بين الحاء والعين من جانب آخر وهو الياء .

(٢٨) اللسان : مادة (حعل) والرواية « ألا رب طيف منك بات معانقى إلى أن دعا داعى الصباح فحيعلا .

(٢٩) الكتاب ٤ / ٣٦٥ ، ٤١٧ ، ٤٣٧ ، ٤٦٧ .

(٣٠) الكتاب ٤ / ٤١٧ .

(٣١) الكتاب ٤/٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ .

(٣٢) البيان والتبيين ١/٦٩ تحقيق هارون ط ٤ دار الفكر .

لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين ، بتقديم ولا بتأخير ، وهذا باب كبير ، وقد يكتفى بذكر القليل حتى يُستَدل به على الغاية التى إليها يُجرى » وفى موطن آخر يرسم صورة لثمرة التآلف بين الأصوات والكلمات ، وأثر الانسجام بصفة عامة فيقول : « وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا ، وسبك سبكا واحدا ، فهو يجرى على اللسان كما يجرى الدهان »[٣٣] .

وفى مؤلفات ابن جنى (٣٩٢ هـ) تجد تعليلات رائدة لما يتم من تفاعل بين أصوات الكلمة فى ضوء ظاهرة الانسجام ، مبرزا بها طبيعة الذوق العربى ، وميله إلى اليسر والخفة والاقتصاد فى آن واحد ، وهذا واضح فيما قرره بصدد الإدغام قائلاً : « والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت ، ألا ترى أنك فى قطّع ونحوه قد أخفيت الساكن الأول فى الثانى حتى نبا اللسان عنهما نبوة واحدة ، وزالت الوقفة التى كانت تكون فى الأول لو لم تدغمه فى الآخر ، ألا ترى أنك لو تكلفت ترك إدغام الطاء الأولى لتجشمت لها وقفة عليها تمتاز من شدّة مما زجتها للثانية بها ، كقولك قطْطَع ، وسُكْكَر ، وهذا إنما تحكمه المشافهة به ، فإن أنت أزلت تلك الوقيفة والفترة على الأول خلطته بالثانى ، فكان قربه منه ، وإدغامه فيه أشد لجذبه إليه ، وإلحاقه بحكمه »[٣٤] وفى ضوء ذلك - أيضاً - صدرت تعليلات ابن جنى لكثير من القضايا الصرفية فى كتابه سر صناعة الإعراب[٣٥] .

ومما لا شك فيه أن ما قرره ابن جنى يدل دلالة واضحة على ملامح ظاهرة الانسجام الصوتى وثمرتها ، حيث التقريب بين الأصوات المتجاورة ، لتحقيق الاقتصاد فى الجهد والوقت مع مراعاة الخفة والسلاسة .

وفى هذا ما يفيد أصالة هذه الظاهرة ، وامتداد جذورها ، وأن العربى جعلها هدفا له فى معالجته لمواد لغته ، حتى أضْحت معلما على ذوقه ومنْهجه فى مراعاة التآلف بين ربوع الصيغة اللغوية .

وفى الصناعتين[٣٦] يشير أبو هلال العسكرى (٣٩٥ هـ) إلى نتيجة هذا التآلف وثمرته ومدى جدواه ، فليس الشأن فى إيراد المعانى لأن المعانى يعرفها العربى والعجمى والقروى والبدوى .. وإنما فى جودة اللفظ وصفائه ، وحسنه وبهائه ، ونزاهته ونقائه ، وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبك والتركيب ، والخلو من أود[٣٧] النظم والتأليف » .

ولا يخفى أن إشارة العسكرى خير دليل على أصالة هذه الظاهرة ، وموقعها فى ذوق العربى ، ذلك الذى ينسج ألفاظه ويرصف قوالبه فى ضوء الجودة والحسن والبهاء والنزاهة والنقاء والطلاوة ، وصحة السبك إلى غير ذلك .

(٣٣) البيان والتبيين ١/٦٧ .

(٣٤) الخصائص ٢/١٤٠ .

(٣٥) سر الصناعة ١/٢٠٠ .

(٣٦) الصناعتين : ٧٢ تحقيق د /مفيد قميحة . دار الكتب العلمية بيروت .

وقد أشار إلى ذلك ابن سنان الخفاجي (٤٦٦ هـ) فيما اشترطه لفصاحة الكلمة ، إذا لا تتعدى شروطه هذا الإطار الذى يحدد ملامح الذوق العربى ، ويبين أصالة ظاهرة الانسجام الصوتى ، ولا سيما فى ميدان تكوين البِنْيَة ، وتأليفها من حروف متباعدة المخارج ، وأثر ذلك فى حسنها ورقتها ، مسْتَشْهدا بالألوان ، « فكلما كانت الألوان متباينة ، كانت فى النظر أحسن ، وكذلك الحروف »[٣٧] .

وفى كتاب المفَصَّل يلمح الزمخشرى (٥٣٨ هـ) إلى سمات الذَّوق العربى فى عرضه لقضايا الإبدال والإدغام ، مما يوحى بأصالة ظاهرة الانسجام ، وتوخيها فى رصف القوالب اللغوية .

ويصرح ابن يعيش (٦٤٣ هـ) فى شرحه للمفصل[٣٨] بأن الرغبة فى عدم التنافى والبعد عن الصعوبة منهج يكاد يكون مطردا فى معالجة العربى لمادته ، وهذا بدوره ينُمّ عن ملامح الذوق العربى ، يقول معللا لإدغام المتقاربين : « لأن إعادة اللسان إلى موضع قريب مما رفعته عنه كإعادته إلى نفس الموضع الذى رفع عنه ، ولذلك شبه بمشى المقيد ، لأنه يرفع رجله ويضعها فى موضعها الذى كانت فيه ، أو قريبا منه ، فيثقل ذلك عليه ، كذلك اللسان إذا رفعته عن مكان وأعدته إليه أو إلى قريب منه ، ثقل ذلك ، فلذلك وجب الإدغام » .

وعلى هذا فمنهج العربى هو التخفيف ، ينشده بشتى الوسائل ، كأن يقرب بين الحروف أو يبدل بعضها من بعض ، أو يدغم بعضها فى بعض ، أو يلجأ إلى الإمالة أو الترقيق والتفخيم أو الإخفاء ، أو المخالفة أو ما شاكل ذلك مما يدل دلالة صريحة على أصالة ذلك وامتداده على صعيد تراثنا اللغوى .

وهاهو ذا ابن عصفور (٦٦٩ هـ) يطالعنا فى الممتع بعلة قلب التاء دالًا فى صيغة (افْتَعل) متى كانت فاؤها زايا ، بأنهم قربوا أحد الحرفيْن من الآخر ، ليقرب النطق بهما .. لأنها أخت التاء فى المخرج والشدة ، وأخت الزاى فى الجهر »[٣٩] .

وبين ثنايا كتب القراءات والتجويد نلْحظ أن الأحكام الأدائية للقرآن الكريم تفصح عن طبيعة الذوق العربى بجلاء ، إذ لا تخرج عن دائرة التخفيف ، ومراعاة التيسير والانسجام متمثلة فى السلاسة والاقتصاد ، وهاهو ذا القاصح العذرى (القرن الثامن الهجرى) يكشف عن دواعى الإمالة[٤٠] ، فلا تخرج فى إطارها العام عن مراعاة ذلك كما أن ابْن الجزرى (٨٣٣ هـ) يصف الأصوات العربية ويبيِّن مخارجها ، وينَبِّهُ على ضرورة إحكام أدائها مخافة تأثير التجاور بين

(٣٧) سر الفصاحة : ٥٥ : ٨٢ تحقيق / عبد المتعال الصعيدى طبعة أولاد صبيح ١٩٦٩ م ، وانظر : كتاب سر الفصاحة للخفاجى (دراسة وتحليل) د / عبد الرازق ابو زيد ط ١ سنة ١٩٨٢ م مكتبة الشباب ص ٧٥ وما بعدها .

(٣٨) شرح المفصل ١٠ / ١٣١ .

(٣٩) الممتع ٣٥٦/١ ، وانظر : سر الصناعة ١/ ٢٠٠ ـ ٢٠٢ .

(٤٠) سراج القارىء : ١٠٢ وما بعدها .

الأصوات ، « لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الإفراد ، وذلك ظاهر ، فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنُها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب وقوى وضعيف ، ومفخم ومرقق ، فيجْذب القوى الضعيف ، ويغلب المفخم المرقق ، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حاله إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب[٤١] » .

وهكذا زخرت أمهات تراثنا بالإشارات الواضحة التى رصدت معالم ظاهرة الانْسجام الصوتى ، وأبَانَتْ فى ضوئها ملامح الذوق العربى ، وكشفت بما لا يدع مجالا للشك أصالة هذه الظاهرة ، وامتداد جذورها فى تراثنا اللغوى بمصادره المتنوعة وروافده المختلفة من نحو وصرف وبلاغة وأدب ونقد وقراءات .

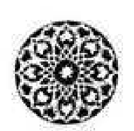
غير أن التحديد الدقيق لموقع هذه الظاهرة ـ حديثا ـ هو علم الأصوات الفونولوچى ، إذ يعنى بدراسة الصوت فى سياقه ، ويحدد كيفية استخدامه ، ويبرز أثر التجاور بين الأصوات .

وليس معنى ذلك أن هناك فصْلا بين نَمطى الدرس الصوتى : الفوناتيكى والفونولوجى ، فكلاهما لا يمكن أن يستغنى عن الآخر ، بل إن الدراسة الفونولوچية مرتبطة بكيفية إحداث الحروف واصدارها ، وما ينجم عن ذلك من تنوع صفاتها وخصائصها .

ولا يخفى دور علم الصرف كبيئة خصبة لبيان معالم هذه الظاهرة ، ولا غَرْو فى ذلك فالعلاقة وطيدة بين علمى الصرف والأصوات ، بل إن المناهج اللغوية الحديثة تدرس قضايا الصرف فى ضوء علم الصوتيات[٤٢] .

ومما يجدر الإشارة إليه أن وسائل الانسجام الصوتى متعددة ومتنوعة ، وسنعْرض على بساط البحث لوسيلتَيْن منها ، وهما : المماثلة والمخالفة .

(يُتْبَع)



(٤١) النشر ١/٢١٤ : ٢١٥ ، الإتقان ١/١٢٦ .

(٤٢) من ذلك :

- القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث د / عبد الصبور شاهين .
- المنهج الصوتى للبنية العربية : د / شاهين .
- ابنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى د / عبد الغفار هلال .
- من وظائف الصوت اللغوى : د / أحمد كشك .
- ظاهرة التنوين فى اللغة العربية : د / المرسى .

رؤية جديدة في صيغتي المدح والذم

٢

(وذهب سائر الكوفيين إلى أنهما اسمان مبتدآن)[٣٠] ونص على ذلك ابن مالك والرضى[٣١] والشيخ خالد الأزهرى[٣١] والسيوطى[٣٢] والأشمونى والصبان[٣٣] .

ومعنى القول باسمية « نعم وبئس » أنهما مبنيان على الفتح لتضمنهما معنى الإنشاء وهو من معانى الحروف ، وما بعدهما مما هو فاعل ينبغى أن يكون تابعاً لنعم بدلاً أو عطف بيان ، والمعنى : الممدوح الرجل زيد ، ويبقى الكلام فى نحو : نعم رجلا زيد ويحتمل أن يقال إن رجلا تمييز عن النسبة التى تضمنها نعم بمعنى الممدوح من جهة الرجولية زيد .
ويحتمل أنه حال :

ومن قال باسمية نعم وبئس اعربهما مبتدأ وما بعدهما خبر ويجوز العكس[٣٤] وبينما رأيت الأشمونى يذكر أن الكوفيين ـ ماعدا الكسائى ـ يقولون باسمية « نعم وبئس » إذ رأيته وقع فى اضطراب وتناقض قائلاً : ذهب الفراء إلى أن الاسم المرفوع فاعل كقول الكسائى إلا أنه جعل النكرة المنصوبة تمييزاً منقولاً ، والأصل فى قولك : نعم رجلا زيد : نعم الرجل زيد ثم نقل الفعل إلى الاسم الممدوح فقيل : نعم رجلاً زيد .

ثم يعلق الصبان على قول الأشمونى « تمييزاً منقولاً » : أى محولاً عن الفاعل ويقول : الظاهر أنه على مذهب الكسائى والفراء أغنى الفاعل عن المخصوص »[٣٥] .

والواقع أننا بعد هذا الخلط الشديد لا نستطيع أن نحدد رأى الكوفيين ، أيقولون باسميه « نعم وبئس » أم يقولون بفعليتهما ؟ كما هو صريح كلام الأشمونى والصبان .

ولعل هذا الاضطراب ما دعا المرادى إلى أن ينقل عن الكوفيين رأياً آخر فيقول : (لا يختلف أحد من النحويين البصريين والكوفيين فى أن « نعم وبئس » فعلان) وإنما الخلاف بينهم بعد إسنادهما إلى الفاعل فذهب البصريون إلى أن (نعم الرجل) جملة فعلية وكذلك : (بئس الرجل) ، وذهب الكسائي إلى أن نعم الرجل وبئس الرجل اسمان محكيان حيث وقعا بمنزلة تأبط شراً وبرق نحره ، فنعم الرجل عنده اسم للممدوح

---

(٣٠) شرح المفصل ٧/١٢٧ .
(٣١) التسهيل ١٢٦ ـ انظر الأصول ١/١١٣
(٣٢) شرح الكافية ٢/٣١٤ ـ ٣١٥ .
(٣٣) ٣٠/٢٦ .
(٣٤) الصبان على الأشمونى ٣/٢٦ ـ ٢٧ .

للأستاذ الدكتور
عبد العظيم حامد هلال

وبئس الرجل اسم للمذموم وهما جملتان فى الأصل نقلا عن أصلهما وسمى بهما .

وذهب الفراء إلى أن الأصل فى قولك : نعم الرجل زيد ، وبئس الرجل عمرو ، رجل نعم الرجل زيد ، ورجل بئس الرجل عمرو ، فحذف الموصوف الذى هو رجل وأقيمت الصفة التى هى الجملة من نعم وفاعلها وبئس وفاعلها مقام الموصوف فحكم لها بحكمه . فنعم الرجل من قولك نعم الرجل زيد ، وبئس الرجل من قولك بئس الرجل عمرو ، عندهما رافعان لزيد وعمرو كما أنك لو قلت : ممدوح زيد ومذموم عمرو لكان زيد مرفوعاً بممدوح وعمرو مرفوعاً بمذموم .

والذى حملهما على ذلك أنهما رأيا العرب قد حكمت لنعم الرجل وبئس الرجل بحكم الأسماء فى بعض المواضع فحملا على ذلك فى سائر المواضع[36] . وعليه فنعم الرجل مبتدأ ، وبئس الرجل مثله على الحكاية والمرفوع بعدهما خبره ، ونص على ذلك الشيخ خالد[37] والسيوطى[38] .

وبعد هذا العرض التفصيلى لموقف النحاة المضطرب من عرض المذهب الكوفى هل يستطيع الباحث أو القارىء أن يجزم برأي فى هذه المسألة ؟ وهل يمكن القول بأن الكوفيين يقولون باسمية نعم وبئس ، والمرفوع بعدهما بدل والمخصوص المبتدأ عند البصريين يختلف فى إعرابه عند الكوفيين ، على حين تذكر بعض المراجع أن رأي الكوفيين باسمية نعم وبئس بعد الاسناد فهما اسمان محكيان منقولان عن الجملة الفعلية .

وعدم الرجوع إلى كتب الكوفيين الأصلية سبب تعدد الروايات المتضاربة . والآن أريد توضيح المذهب الكوفى كما نصت عليه كتبه الأصلية فأقول : إن الكوفيين لم يختلفوا مع البصريين فيما ذهبوا إليه من فعلية نعم وبئس ، ولم يرد عنهم نص يشير إلى أنهم يقولون باسميتهما ، فالفراء يقول فى قوله تعالى ﴿ فَسَاءَ قَرِينًا ﴾[39] .

بمنزلة قولك : نعم رجلا وبئس رجلا . وكذلك ﴿وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾[40] و﴿ كَبُرَ مَقْتًا ﴾[41] وبناء نعم وبئس ونحوهما أن ينصبا ما وليهما من النكرات وأن يرفعا ما يليهما من معرفة غير موقتة ، وما أضيف إلى تلك المعرفة وما أضيف إلى نكرة كان فيه الرفع والنصب .

وإذا مضى الكلام بمذكر قد جعل خبره مؤنثاً مثل : الدار منزل صدق قلت : نعمت

←

---

(٣٦) توضيح المقاصد والمسالك ٣/٧٦ راجع ارتشاف الضرب ٢/٢٠٦

(٣٧) شرح التصريح ٢/٩٤

(٣٨) همع الهوامع دار المعرفة بيروت ٢/٨٤

(٣٩) النساء ٣٨

(٤٠) النساء ٩٧

(٤١) الصف ٣

منزلا كما قال (وساءت مصيراً) وقال ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[٤٢] ولو قيل : وساء مصيراً وحسن مرتفقاً لكان صوابا كما تقول : بئس المنزل النار ونعم المنزل الجنة . فالتذكير والتأنيث على هذا ، ويجوز نعمت المنزل دارك وتؤنث فعل المنزل لما كان وصفا للدار ، وكذلك تقول : نعم الدار منزلك فتذكر فعل الدار إذا كانت وصفا للمنزل . وقال ذو الرمة :

أو حرة عيطل ثيجاء مجفرة

دعائم الزور نعمت زورق البلد

ويجوز أن تذكر الرجلين فتقول : بئسا رجلين ، وبئس رجلين ، وللقوم نعم قوما ونعموا قوما وكذلك الجمع من المؤنث .

وإنما وحدوا الفعل وقد جاء بعد الأسماء لأن نعم وبئس دلالة على مدح أو ذم لم يرد منهما مذهب الفعل مثل : قاما وقعدا فهذا في بئس ونعم مطرد كثير . وربما قيل في غيرهما مما هو في معنى بئس ونعم .

وقال بعض العرب : قلت أبياتاً جاد أبياتا فوحدوا فعل البيوت وكان الكسائي يقول : أضمر جاد بهن أبياتاً وليس هنا مضمر إنما هو الفعل وما في معناه[٤٣] وهو يريد أن الفاعل عند الكسائي محذوف وهو (بهن) والباء زائدة والفراء يرى الفاعل ضميراً مستتراً في الفعل .

والذي ينعم النظر في هذا النص يرى أن الفراء ـ زعيم الكوفة ـ يتفق مع البصريين في أن « نعم وبئس » فعلان جامدان ملازمان للإفراد ، والفاعل يشترط فيه أن يكون غير متوغل في الابهام كما قال البصريون ، ويكون معرفة أو نكرة مضافة لمعرفة وما أضيف إلى نكرة فيه الرفع والنصب ، كما يجوز التذكير والتأنيث في هذين الفعلين تبعاً للمؤنث الواقع بعدهما .

يقول ابن السراج : (فإن كان الاسم الذى دخلت عليه « نعم » مؤنثاً أدخلت التاء في نعم وبئس فقلت : نعمت المرأة هند ونعمت المرأتان الهندان ، وبئست المرأة هند وبئست المرأتان الهندان ، وإن شئت ألغيت التاء فقلت : نعم المرأة وبئس المرأة ، وتقول : هذه الدار نعمت البلد ، لأنك عنيت بالبلد داراً وكذلك هذا البلد نعم الدار لأنك قصدت إلى البلد)[٤٤] . ومثله قاله الانبارى[٤٥] وهكذا يؤنث الفعل ويثنى الاسمان ويجمعان[٤٦] كما ذكر الفراء في نصه السابق .

وفي حديث الفراء عن نعم وبئس يجرى أحكامهما على ما جرى مجراهما كساء وحسن وهما فعلان لم يدع أحد اسميتهما .

ويقول الفراء في قوله تعالى : ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾[٤٧] : لم يقل : نعمت الثواب ، وقال ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[٤٧] فأنث الفعل على

---

(٤٢) الكهف ٣١
(٤٣) معاني القرآن ٢٦٩/٢٦٧/١
(٤٤) الأصول ١١٤/١
(٤٥) الإنصاف ١١١/١
(٤٦) شرح المفصل لابن يعيش ١٣٦/٧ ـ ١٣٧ ـ شرح الكافية للرضى ٣١٨/٢
(٤٧) الكهف ٣١

معنى الجنة ولو ذكر بتذكير المرتفق كان صواباً ، كما قال ﴿ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾[48] ﴿ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾[49] ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[50] وقال : ﴿ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾[51] يريد إبليس وذريته ولم يقل : بئسوا ، وقد يكون بئس لإبليس وحده أيضا والعرب توحد نعم وبئس وإن كانتا بعد الأسماء فيقولون : أما قومك فنعموا قومك ونعم قوماً وكذلك بئس وإنما جاز توحيدهما لأنهما ليستا بفعل يلتمس معناه إنما أدخلوهما ليدلا على المدح والذم ، ألّا ترى أن لفظهما لفظ فعل وانهما لا يقال منهما يبأس الرجل زيد ولا ينعم الرجل فكذلك استجازوا الجمع والتوحيد فى الفعل .

ونظيرهما ﴿ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾[52] الا ترى انك لا تقول : (هو يعسى كما لم تقل ييأس)[53] .

وليس بعد التصريح الكامل بفعليه نعم وبئس وأنهما جامدان جمود عسى دليل على رد ما يقال عن الكوفيين حتى اليوم .

أما قول الكوفيين فى إعراب المخصوص بالمدح أو الذم فيتضح من قول الفراء فى قوله تعالى : ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ . جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾[54] .

ترفع الجنات لأنه اسم لنعم كما تقول : نعم الدار دار تنزلها ، وإن شئت جعلت (ولنعم دار المتقين) مكتفياً بما قبله ثم تستأنف الجنات فيكون رفعها على الاستئناف وإن شئت رفعتها بما عاد من ذكرها فى (يدخلونها)[55] وعلى هذا فهو يرى أن المخصوص :

١ ـ مبتدأ خبره الجملة الفعلية قبله

٢ ـ أو مبتدأ خبره ما بعده فى الآية الكريمة ويمكن حذفه كثيراً .

٣ ـ أو خبر لمبتدأ محذوف وهذان القولان على الاستئناف .

وفى هذا القول اتفاق مع المذهب البصرى كما نرى .

أما أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب الذى قيل عنه ـ كأستاذه الفراء ـ إنه يقول باسمية نعم وبئس فأعتقد أن الأمر قد اتضح فى صورة مشرقة ، ومع ذلك فإننا نثبت هنا ما قاله ثعلب موافقاً قول الفراء .

قال فى قوله تعالى : ﴿ بِئْسَمَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾[56] قال الفراء : (بئس ما يرفع « ما » ببئس ولا يجوز : بئس الذى قام زيد)[57] ويقول في إيضاح شديد : (تدخل الباء على الفاعل العرب تقول : نعم بزيد رجلاً ونعم زيد رجلاً)[58] .

وليس فى وسعى الآن إلا أن أقول : لقد شغل علماؤنا الأجلاء أنفسهم وشغلوا الأذهان معهم حين بنوا آراءهم على أن الكوفيين يقولون باسمية « نعم وبئس » حتى إن مؤلفاتهم لتضم العديد من المناظرات

---

(٤٨) آل عمران ١٩٧
(٤٩) ابراهيم ٢٩
(٥٠) البقرة ١٢٦
(٥١) الكهف ٥٠
(٥٢) الحجرات ١١
(٥٣) معانى القرآن ٢/١٤١ ـ انظر ١/٥٧ ـ ٥٨
(٥٤) النحل ٣١
(٥٥) معانى القرآن ٢/٩٩
(٥٦) المائدة ٨٠
(٥٧) مجالس ثعلب ١/٦٢
(٥٨) المصدر السابق ١/٢٧٣

الطويلة الصعبة وكل فريق يحاول الانتصار على الفريق الآخر .

فابن الشجرى مثلاً فى أماليه يروى الخلاف بين البصريين والكوفيين فى ثلاث عشرة صفحة من الجزء الثانى من ص ١٤٧ ـ ص ١٥٩ .

ومثله الأنبارى فى الإنصاف الجزء الأول يثبته فى ثلاثين صفحة من ص ٩٧ ـ ص ١٢٦ وغيرهما .

وظل هذا الخلاف راسخاً فى العقول والمؤلفات النحوية القديمة والحديثة حتى الآن[٥٩] .

فلنراجع أنفسنا ولنصف مؤلفاتنا وعقولنا ولنرجع إلى الحق فالحق أحق أن يتبع هدانا الله إلى سواء السبيل ..

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

اللهم اجعل هذا نافعاً وخالصاً لوجهك وارزقنا الرحمة والمغفرة إنك سميع مجيب

دكتور

عبد العظيم حامد محمد هلال

المراجـــع

١ ـ « ارتشاف الضرب من لسان العرب » لأبى حيان (دكتوراه) تحقيق د . مصطفى النحاس .

٢ ـ الأشمونى بحاشية الصبان ـ عيسى البابى الحلبى .

٣ ـ الأصول فى النحو لابن السراج تحقيق د . عبد الحسين الفتار ـ ط الأولى ١٩٨٥م .

٤ ـ الأمالى الشجرية دار المعرفة ببيروت .

٥ ـ الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف للشيخ محمد محيى الدين دار الفكر .

٦ ـ البحر المحيط لأبى حيان دار الفكر ط الثانية ١٩٨٣ .

٧ ـ البهجة المرضية للسيوطى مطبعة الشروق .

٨ ـ تاريخ آداب العرب للرافعى ط الثانية تحقيق محمد سعيد العريان

٩ ـ التسهيل لابن مالك تحقيق محمد بركات دار الكتاب العربى ١٩٦٨ م

١٠ ـ التفسير الكبير للإمام فخر الرازى ط الثالثة دار احياء التراث العربي ببيروت .

١١ ـ توضيح المقاصد والمسالك للمرادى تحقيق عبد الرحمن سليمان ط الأولى .

١٢ ـ حاشية الخضرى على ابن عقيل ـ عيسى البابى الحلبى .

(٥٩) انظر خزانة الادب ٢/٤ ـ حاشية الخضري على ابن عقيل مطبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى ٢/٤٢ ـ ٤٣ ـ التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ط الثالثة دار إحياء التراث العربي ببيروت ٣/١٨٢ ـ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك للشيخ محمد محيى الدين دار الفكر ط السادسة ١٩٧٤م ٣/٧٠ ـ ضياء السالك إلى أوضح المسالك للشيخ محمد النجار مطبعة السعادة ط الرابعة ٣/٩١ .

١٣ - حاشية الصبان على الأشمونى عيسى - البابى الحلبى .

١٤ - حاشية العينى على الاشمونى - عيسى البابى الحلبى .

١٥ - حاشية العينى على خزانة الأدب - دار صادر بيروت .

١٦ - حاشية يس على شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى المطبعة الأزهرية ط الثانية ١٣٢٥ هـ .

١٧ - الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه دار الشروق ط الرابعة تحقيق د/عبد العال مكرم .

١٨ - خزانة الأدب للبغدادى دار صادر بيروت .

١٩ - شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ط العشرون ١٩٨٠ م .

٢٠ - شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ط ١٣١٢ هـ بيروت .

٢١ - شرح التصريح للشيخ خالد عيسى البابى الحلبى .

٢٢ - شرح الكافية للرضى دار الكتب العلمية - ببيروت .

٢٣ - شرح المفصل لابن يعيش مكتبة المتنبى ببيروت .

٢٤ - شرح المكودى على الألفية وبهامشه حاشية الشيخ احمد الملوى ط الثالثة ١٩٥٤م مصطفى البابى الحلبى .

٢٥ - ضياء السالك إلى اوضح المسالك على الفية ابن مالك للشيخ محمد النجار ط الثالثة مطبعة السعادة ١٩٧٣ م .

٢٦ - فتح الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل للشيخ محمد محيى الدين ط العشرون .

٢٧ - الفهرست لابن النديم .

٢٨ - الكتاب لسيبويه تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط الثانية ١٩٧٧ .

٢٩ - الكشاف للزمخشرى دار المعرفة ببيروت .

٣٠ - لسان العرب لابن منظور دار المعارف .

٣١ - مجالس ثعلب ط الثانيـة دار المعارف ١٩٦٩م شرح عبد السلام هارون .

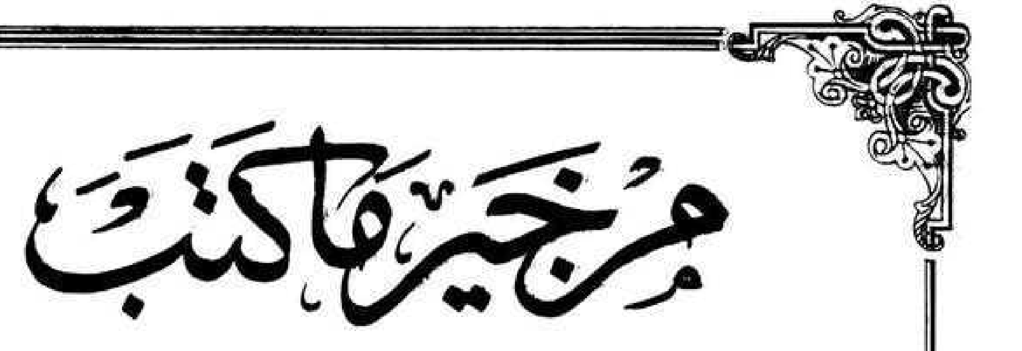
٣٢ - المدارس النحويه د . شوقى ضيف ط الثانية دار المعارف .

٣٣ - المزهر للسيوطى عيسى البابى الحلبى شرح محمد المولى ، على البجاوى ، محمد أبو الفضل ابراهيم .

٣٤ - معانى القرآن للفراء ط دار الكتب ١٩٥٥ تحقيق الشيخ محمد النجار جـ٢ الدار المصرية مطابع سجل العرب تحقيق الشيخ محمد النجار ١٩٦٦م جـ ٣ الهيئة المصرية العامة تحقيق عبد الفتاح شلبى ١٩٧٣م .

٣٥ - معجم الأدباء لياقوت الحلبى .

٣٦ - همع الهوامع للسيوطى صححه محمد بدر الدين دار المعرفة ببيروت .



الدكتور/ أحمد عمر هاشم

التعليم الاسلامى بين النظرية والتطبيق

التعليم فى الإسلام حق من حقوق المسلم ، بل فريضة أوجبها الإسلام ففى الحديث يقول الرسول ﷺ (طلب العلم فريضة على كل مسلم) . رواه ابن ماجة وابن عبد البر فى العلم عن أنس . فى ظل الإسلام تبوأت الإنسانية مكانتها المرموقة ، وعاشت وليس على عينها عصابة ، ولا فى قلبها غشاوة ، وانطلقت فى حياة خصبة ممتلئة ، وفى مجالات رحبة تشرق بالنور والأمل غير متلعثمة الخطى ، ولا حائرة الفكر لأن لديها من رصيدها الإيمانى علما ثابت الأصول ومعرفة نابضة بالخير والإصلاح فأمنت الإنسانية المؤمنة من مزالق الضلالة ، ومن تخبطات الجهالة ، يقول الرسول ﷺ : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى) . أخرجه الحاكم فى المستدرك .

وقد نزل القرآن الكريم بقوانين السعادة والإصلاح والرشد والفلاح فأطفأ لهيب الجهل والظلم وأضاء الحياة بالعلم والعدل وبعث فيها روح الإخلاص والحق .. وكانت أولى آيات التنزيل دعوة صريحة للعلم والمعرفة على أساس الإيمان والحق بالله الذى علم الإنسان مالم يعلم . قال تعالى فى سورة العلق ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم ﴾ .

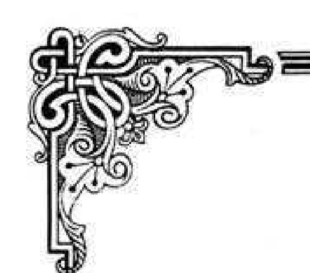
الدكتور/ بدر الدين غازى عطية

الخلاف بين الاسلاميين والقوميين

جاء فيه :

إن الخلاف بين دعاة الإسلام ودعاة القومية والماركسية لا يتعلق فقط باستيعاب دروس الماضى وبتحديد منزلة القومية أو العروبة أو حتى الاشتراكية من الإسلام ، ولكن أخطر ما فيه هو الاختلاف حول تصورات المستقبل ومناهج الحكم والعمل الوطنى المطلوبة لإخراج مصر والأمة العربية من حالة التردى التى وصلت إليها على أيدى الحكام القوميين .

إن لب الخلاف حول هذه النقطة هو أن دعاة الإسلام يعتقدون أن تطبيق المنهج الإسلامى كفيل بتحقيق ذلك على أحسن وجه فالله سبحانه وتعالى قد أنزل الإسلام من فوق سبع سماوات ليصوغ للمسلمين حياتهم كلها بجوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بدءاً من أدق تفاصيل الحياة بحقوق الجار



عرض : الأستاذ
عبد الفتاح السيد عبد السلام

وحقوق الطريق وعلاقات الأسرة والزواج والطلاق والبيع والشراء وحقوق الإنسان المسلم وغير المسلم .. بل وحقوق الأجنة والأطفال والنساء والآباء والأمهات والأيتام والعجزة والموتى وحتى الحيوانات ـ ومرورا بالعقود والمعاهدات والتشريعات المدنية والجنائية وانتهاء بقضايا الجهاد والحرب والسلام .

لقد أرسل الله لوطا عليه السلام ليطهر الناس من الشذوذ الجنسي وما ترتب عليه من آثار اجتماعية مدمرة . وهانحن نرى بعضها تفوح به حضارة الغرب كأمراض الايذر ومشتقاتها . وأرسل شعيبا عليه السلام ليمنع الناس من تطفيف الكيل والميزان فى البيع والشراء وهى جوانب فى صلب النظام الاقتصادى ، كما أرسل موسى عليه السلام ليحرر الناس من طغيان فرعون ، وأرسل عيسى عليه السلام بدين السماحة والحب والإخاء الإنسانى ، وأرسل محمداً عليه الصلاة والسلام خاتما للأنبياء برسالة شاملة جامعة نهائية وخالدة . وقدم الإسلام ثروة هائلة من التشريعات والتوجيهات فى سعة ويسر وأنشأ ضمن تلك التشريعات رقابة ذاتية على السلوك والأداء البشرى داخل وجدان الإنسان وخارجه وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ .

الدكتور / محمد عبد العال .

النهضة العلمية فى المرحلة القادمة

إن التقدم الحقيقى لأى شعب من الشعوب هو تقدم علمى بالدرجة الأولى . فالعلم لا يقف عند حدود المعرفة بقوانين الواقع المادى المحيط بالإنسان والواقع الاجتماعى الذى يعيش فيه إنما يتعداه إلى السيطرة على هذه القوانين . وتوجيهها لصلحة البشرية .. وتاريخ العلم هو تاريخ المجتمع البشرى .. وتطور العلم مرتبط بتطور هذا المجتمع .. فرغم انتساب النظريات العلمية المختلفة إلى هذا العالم أو ذاك إلا أنها فى الحقيقة ثمرة لما تمارسه المجتمعات البشرية من أعمال وما تحققه من منجزات . فأى محاولة جادة للتنمية لابد أن تكون الأولوية فيها للتنمية البشرية من خلال غرس الانتماء فى الأفراد ولن يكون هناك انتماء حقيقى بغير لغة قوية يعتز بها ويعطى منها ويؤخذ لها من اللغات الأخرى .

الأستاذ / أحمد بهجت

النبـوة

من معجزات النبوة هذا الحديث الذى تنبأ فيه الرسول ﷺ بموقف الأمة الإسلامية .. وهو موقف نعيشه اليوم ونكابد أحزانه جميعا . يقول الحديث الشريف (يوشك أن

←

من خير ما كتب

تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها) رواه أبو داود - كتاب الملاحم - باب تداعى الأمم على الإسلام - جزء ٤ - إن عبارة الرسول ﷺ ترسم صورة للعالم الإسلامى وقد تحول إلى طبق من الطعام ، طبق تقسمه وتتقاسمه وتأكل منه الأمم .. ولقد بدا هذا الواقع غريبا على أهل القرن الأول من المسلمين .. ومن ثم فقد أحسوا بالدهشة وتساءلوا - أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل .. وليذهبن من قلوب أعدائكم المهابة لكم .. وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن يارسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت ، هذه النبوءة التى قيلت فى بداية القرن الأول من الإسلام أثارت دهشة السامعين .. وكانت موضع عجبهم ، كانوا أقلية ضعيفة تفتقر إلى السلاح والتموين ، ورغم ذلك فقد نجح الإيمان الحقيقى فى تعويضهم عن النقص المادى وكانت المعجزة التى تحققت على أيديهم أنهم حرروا العالم من قيوده وساهموا فى الحضارة الإنسانية بقانون أفضل وسلوك أرقى ومجتمع يتيح لطاقات الإنسان أكبر قدر من النمو والحرية .. وهانحن نعيش الموقف الذى استعصى على فهم أجدادنا الأقدمين .

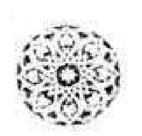
إن إمكانات العالم الإسلامى والعربى اليوم هائلة .. ولو أن هذه الامكانات استغلت بشكل أفضل لكانت قوة العرب والمسلمين هى القوة الثالثة العظمى مع قوة المعسكر الغربى والشرقى .. كيف يتحول هذا كله إلى طبق من الطعام المستباح ؟

الأستاذ/ ماجد أحمد مومنى

الاسلام والحضارة العربية

امتازت الحضارة العربية الإسلامية عن سائر الحضارات التى عرفتها البشرية بطابعها الروحى والمادى فهى عطاء دائب لا ينتهى . والحضارة الإسلامية حضارة إنسانية تحترم الإنسان لذاته دون النظر إلى جنسيته أو عقيدته . فهى حضارة تسعى جهدها لخدمة الإنسان والسمو به وتنأى بقيمها عن النزعات العنصرية أو الطائفية ، أو عن أن تكون أداة لامتهان الإنسان والتسلط عليه ، ولهذا نعم بخيرها المسلمون وغير المسلمين على السواء .

وكما احترمت هذه الحضارة الإنسان ، آمنت بالمثل العليا ، ودعت إليها لأنها حضارة تحمى القيم الإنسانية والأخلاق الكريمة ، إنها حضارة تريد للبشرية حياة طيبة تظللها مبادىء الأخوة والمحبة والتعاون والتكافل والتضامن والفضيلة .






أنباء وآراء

إعداد: د. عبد الرحيم السايح
الأستاذ صفوت عبد الجواد

عشر منح دراسية من الأزهر لطلاب جمهورية بنين

صرح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بأنه قد تم تخصيص عشر منح دراسية لطلاب جمهورية بنين .

جاء ذلك خلال استقبال فضيلة الإمام للسيد على هودو وزير الإعلام بجمهورية بنين وتم خلال اللقاء بحث أحوال المسلمين بجمهورية بنين ومدى استيعاب المدارس التى تهتم بالدراسات الإسلامية والعربية لأبناء المسلمين هناك والاحتياجات اللازمة من مدارس وأساتذة .

وأعلن فضيلة شيخ الأزهر أنه على استعداد لتلبية حاجات جمهورية بنين من الأساتذة وكافة الاحتياجات الفنية التى يمكن أن يقدمها الأزهر على أن يوافى الأزهر الشريف بكل هذه الاحتياجات .

مصادرة مجموعات كبيرة من المصاحف

أصدر فضيلة الدكتور عبد الفتاح بركة امين عام مجمع البحوث الإسلامية قراراً بمصادرة طبعات متعددة من المصحف الشريف صدرت عن بعض دور النشر وذلك لوجود أخطاء بها بلغ عدد هذه الدور ما يقرب من خمس عشرة دار نشر ويعتبر هذا القرار تأكيداً لدور الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية فى الحفاظ على كتاب الله تعالى والسنة النبوية المشرفة .

من يعتقد استحالة تطبيق الشريعة مرتد

أفتى فضيلة الشيخ عبد الله المشد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بكفر من يعتقد استحالة تطبيق الشريعة الإسلامية فى هذا



أنبـــاء وآراء

العصر . وأضاف : أن معتنق هذا القول يعتبر مرتدا خارجا عن الإسلام ، وإن كان يلتزم بالصلاة والصوم والزكاة ونطق الشهادتين وحج بيت الله الحرام .

أساتذة الاقتصاد الاسلامى : تطبيق الأنظمة غير الاسلامية وراء الأزمة الاقتصادية

أكد أساتذة الاقتصاد الإسلامى أن تطبيق الأنظمة الاقتصادية غير الإسلامية فى مصر وراء الأزمة الطاحنة التى تعيشها البلاد . جاء ذلك فى الندوة التى عقدتها كلية التجارة بالأزهر حـول « المنهج الإسلامى وكيفية الخروج من الأزمات الاقتصادية » .

قال الدكتور عبد الحميد الغزالى أستاذ الاقتصاد الإسلامى بجامعة القاهرة إن الحكومة المصرية جربت النظام الرأسمالى ثم النظام الاشتراكى ثم خليطا من النظامين الاشتراكى والرأسمالى . وكانت النتيجة التدهور الاقتصادى الذى نراه اليوم .

أوضح الدكتور الغزالى أن التدهور الاقتصادى فى مصر ليس سببه الضغط السكانى المزعوم أو الحروب التى دخلتها طوعاً أو كرها .. إنما يرجع إلى البعد عن منهج الله .

مؤتمر الاعجاز العلمى للقرآن والسنة

جاء فى توصيات مؤتمر الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة المطهرة الذى عقد بباكستان أخيرا .

- يجب أن يدل نص الكتاب أو السنة على الحقيقة العلمية بطريق من طرق الدلالة الشرعية وفقا لقواعد اللغة ومقاصد الشارع وأصول التفسير .. فإن خرجت الحقيقة العلمية المدعاة عن مجموع معانى النص لم تكن حقيقة فى الواقع .

- يجب أن يكون الباحث فى مجال الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة من العلماء المشهود لهم بالتأهيل العلمى فى مجال تخصصه .. بالإضافة إلى قدرته على فهم النصوص الشرعية من مصادرها ، والاستنباط منها والفهم لها وفق قواعد اللغة وأصول التفسير ، وعليه أن يستشير المتخصصين فى العلوم الشرعية فيما يخفى عليه وجه الإعجاز فيه .
- يوصى المؤتمر الجامعات والمؤسسات التعليمية بالعناية بقضايا الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة فى مناهجها الدراسية ، والعمل على إعداد وتدريس مادة جديدة فى كل كلية أو معهد يهتم بدراسة آيات وأحاديث الإعجاز العلمى الداخلة فى تخصص هذه الكلية أو المعهد ، وذلك لربط حقائق العلم بالوحى تعميقا للإيمان وتقوية للتدين فى قلوب الدارسين .

- يوصى المؤتمر هيئة الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة بالتعاون والتنسيق بين الجامعات ومراكز البحوث والهيئات والمنظمات الإسلامية فى العالم بإعداد تفسير ميسر

للقرآن الكريم يهتم بوجه خاص بالآيات الكونية الواردة فيه .

- يوصى المؤتمر هيئة الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة بالتعاون والتنسيق بين الجامعات الإسلامية بإعداد ترجمة دقيقة لمعانى القرآن الكريم مصحوبة بتعليقات وافية عن الآيات الكونية الواردة فيه لتعين الباحثين فى مجال الإعجاز العلمى فى القرآن من غير الناطقين باللغة العربية .

- يوصى المؤتمر هيئة الإعجاز العلمى بإصدار مجلة علمية ذات مستوى رفيع باللغتين العربية والانجليزية - تهتم بنشر البحوث المتخصصة فى مجال الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة المطهرة بعد إجازتها من المتخصصين فى العلوم الإسلامية وعلوم الكون .

- كما يوصى المؤتمر الجامعات ومراكز البحوث فى البلاد الإسلامية بتشجيع البحوث والدراسات فى مجال الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة وتخصيص المنح الدراسية لطلاب الدراسات العليا ، ورصد الجوائز المالية لغيرهم من الباحثين فى هذا المجال .

- كما يوصى المؤتمر الجامعات والمؤسسات العلمية والهيئات والمنظمات العالمية العاملة فى حقل الدعوة الإسلامية فى العالم الإسلامى بإنشاء مراكز متخصصة لبحوث الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة .. كما يوصى الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد بأن تبادر بإنشاء أول مركز لهذا الغرض .

بحث دور الأزهر ومنظمة الدعوة الاسلامية فى أفريقيا !

التقى مؤخراً فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بالمشير عبد الرحمن سوار الذهب رئيس مجلس امناء منظمة الدعوة الإسلامية .

وقد دار الحديث حول دور المنظمة فى افريقيا بصفة خاصة والعالم العربى والإسلامى بصفة عامة وذلك فى مجال الدعوة الإسلامية ومدى التنسيق بين الأزهر والمنظمة فى هذا المجال ودعمها بالإمكانات الفنية وتلبية احتياجاتها من الأساتذة والمناهج العلمية والكتب الدراسية .

الأوقاف تعد دراسة جديدة حول الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

تقوم وزارة الأوقاف بإعداد دراسة جديدة حول فضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. تهدف الدراسة التى أعد مادتها العلمية ، المكتب الفنى بالوزارة ويقوم بمراجعتها كبار رجال الدعوة ، إلى توضيح الأسس الشرعية لهذه الفضيلة ، وشروط من يتولى القيام بها ، وكيف يمارس المسلم هذه الفضيلة بحيث لا يسىء إلى نفسه أو إلى مجتمعه .. من المقرر أن تصدر الدراسة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وذلك فى إطار خطة الوزارة إصدار سلسلة من الدراسات حول القضايا التى تثار على الساحة العامة .

لجنة الاقتراحات بمجلس الشعب توافق على مشروع قانون نقابة الأئمة !

وافقت لجنة الاقتراحات والشكاوى بمجلس الشعب من حيث المبدأ على مشروع القانون الخاص بإنشاء « نقابة الأئمة » الذى تقدم به الشيخ منصور الرفاعى عبيد وسوف يعرض على لجنتى الحكم المحلى والشئون الدينية لإبداء الرأى فيه ..

يختص المشروع بإنشاء نقابة عامة لأئمة المساجد وعلمائها والعاملين فى حقل الدعوة .

اتحاد للجامعات الاسلامية

تعقد المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) الاجتماع التأسيسى لاتحاد الجامعات الإسلامية . يهدف الاجتماع الذى سيعقد بالرباط إلى دراسة مشروع النظام الأساسى لاتحاد الجامعات فى البلاد الإسلامية وإقراره هذا المشروع الذى يركز على توثيق التعاون بين الجامعات الإسلامية .

سيضم الاتحاد المزمع تأسيسه جميع الجامعات فى البلدان الإسلامية على اختلاف تخصصاتها .

جامعة إسلامية جديدة فى لاهور

صرح الدكتور عبد القادر آزاد رئيس مجلس علماء الإسلام فى باكستان بأن المجلس قد بدأ فى إقامة جامعة إسلامية جديدة فى مدينة لاهور الباكستانية بالتعاون مع الأزهر الشريف ، وأضاف إن هذه الجامعة سيلحق بها دار لتربية المسلمين الجدد تربية إسلامية صحيحة ، وأوضح الدكتور آزاد فى تصريحات خاصة : إن المرحلة الأولى لدار تربية المسلمين الجدد ستشمل إنشاء ٤٠ منزلا تخصص لمن يدخلون الإسلام حديثا بعائلاتهم حيث يقيمون بهذه المنازل لمدة ستة شهور يتعلمون خلالها قواعد الدين الإسلامى واللغة العربية .

وكشف الدكتور آزاد النقاب عن أن حوالى ٤٠ الفا من اليهود والنصارى والبوذيين والهندوس فى باكستان قد شهروا إسلامهم بفضل الجهود التى بذلها مجلس علماء باكستان .

وأشاد – فى هذا الصدد – بتعاون الأزهر مع المجلس حيث أوفد الأزهر إليه ثلاثة مبعوثين أحدهم فى « لاهور » ، والثانى فى « ملتان » والثالث فى « كراتشى » .

الأزهر يضم ٨٥ معهداً جديداً خلال هذا العام

ضم الأزهر الشريف ٨٥ معهداً جديداً

خلال هذا العام وذلك بناء على قرار رئيس الوزراء بضم هذه المعاهد . والمعاهد موزعة كالتالى :

القاهرة ثلاثة معاهد ، الجيزة أربعة معاهد ، بنى سويف معهدان ، الفيوم معهد واحد ، أسيوط معهد واحد ، سوهاج تسعة معاهد ، قنا ثلاثة معاهد، الوادى الجديد معهدان ، أسوان ستة معاهد ، القليوبية معهد واحد، المنوفية ستة معاهد ، الغربية أربعة عشر معهداً ، الدقهلية اثنا عشر معهداً ، البحيرة معهدان ، كفر الشيخ سبعة معاهد ، الشرقية تسعة معاهد ، مرسى مطروح معهد واحد ، الإسماعيلية معهد واحد .

الغرفة الاسلامية تناقش وسائل دعم العلاقات التجارية بين الدول الاسلامية !

عقدت فى القاهرة اجتماعات الغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة وتبادل السلع .

وقد ناقش ممثلو الغرفة التجارية للتجارة والصناعة خلال اجتماعاتهم التى استمرت ٦ أيام وسائل دعم العلاقات التجارية والاقتصادية فيما بين الدول الإسلامية ..

بكاء الديار وبكاء الممالك والأمصار - بقية

أما قول أبو سلمى يصف حال المشردين من أهله :

تقاذفتهم دروب العمر دامية
وأنكرتهم ربوع الأهل والملل

فهو ينظر إلى الواقع قبل أن يقع ، فقد أصابهم الضيم فى كثير من الأوطان العربية وحسبنا ما يلاقونه فى لبنان وما حدث لهم فى الأردن ، والنقد موجه إليه فى أول الأمر حين كان العرب يعطفون عليهم . وقد أخذت القافية بما يريد من معنى فى قوله :

فى كل أرض شظاياهم مشردة
وتحت كل سماء معشر ذلل

فقد عدل عن الأذلاء إلى « ذلل » التى تفيد معنى الانقياد السهل الذى يجىء مع الرضا ولو استقامت له القافية بغيرها لأجاد ، ولكن الشعر آخر الأمر يمثل بكاء الممالك والدول والامصار .

وخلاصة القول أن الشعر الذى يتصف بالبكاء يتجه اتجاهين بينهما قرابة ونسب : الاتجاه الأول نحو بكاء الديار ويكثر فى الحب وشعر الغزل ، أما الاتجاه الآخر فمنوط بشعر الحماسة وشعر القهر والضعف ، وقد مثلنا له بالشعر الذى قيل فى الأندلس والشعر الذى قيل فى فلسطين ، ولئن ضاعت الأندلس « الفردوس المفقود » فالآمال مازالت متوهجة بعودة فلسطين إلى أهلها مهما ادلهمت الحادثات وتعثرت خطوات الأمل .

فهــرس العــدد

≈≈≈≈≈≈≈≈≈≈≈≈

24. **The ENHANCING** Al Rafie الرافع

While He elevates His believers by lifting their stature above others. He humbles into disrepute and disfavour the non-believers. He extols and advances His followers in prestige, and decries and denounces His enemies to degeneracy and debasement.

25. **The EXALTING** Al Mueiz المعـز

26. **The ABASING** Al Muzil المذل

He bestows His Realm on those whom He wishes to elevate in stature. Those are the ones whom He delivers of the need, lust and ignorance, and to whom He revealed His Presence, and gifted them with enough strength and contentment that they feel not the need for others. Such are they whom He, in His Divine Way, chooses to exalt.

Similarly, He abases those whose hearts harbour greed, avarice and self-conciet.

27. **The ALL-HEARING** Al Samiea السميع

He hears all, though it be tenuous or inaudible.

28. **The ALL-SEEING** Al Baseer البصير

He sees all, though the invisible. Nothing escapes Him.

29. **The JUDGE** Al HAKAM الحكم

He is The Autonomous Ruler who is absolutely self-governing and acknowledges no claim to interference to His Will and Judgement.

30. **The JUST** Al Adl العـدل

His Dealings are the idal justice.

****

Original Publication by: Mr. Muhammad Abd El Meguid El Zimaity.

them. He requites evil with good. In Arabic etymology, the, root of the corresponding word implies a 'covering' which connotes an act of 'shielding'.

16. The VANQUISHER Al Qahhar القهار

He subdues completely the most powerful of His enemies. There is no being, but subjugated under His Compulsion, and defenceless under His Mastery.

17. The BESTOWER Al Wahab الوهاب

His Gratituties and Gifts are countless and free from any claim of remuneration or return.

18. The DONOR OF LIVELIHOOD Al Razzaq الرزاق

He created the means sufficient to maintain life, and provided it as sustenance to His beings for their support, enjoyment and well-being.

19. The REVEALER Al Fattah الفتاح

Through His Loving Care and Guidance, He unveils everything that is obscure, and discloses everything that is enigmatic. He, Alone, holds the key to prescience, and has the key of living. He reveals all these mysteries to His beings through His Divine Providence.

20. The ALL-KNOWING Al Aleem العليم

His Knowledge is absolute and thorough. He knows all hidden and obvious, microscopic and macroscopic, beginning and end, cause and effect.

21. The CONSTRAINING Al Qabid القابض

22. The MUNIFICENT Al Bassit الباسط

He takes away life and so cause death. He also gives life at birth. He restrains means of livelihood just as he donates liberally. He may restrict our field of vision, or He may open for us vistas of insight.

23. The DEGRADING Al Khafid الخافض

THE MOST MAGNIFICENT NAMES OF ALLAH

Collected and Reproduced by :
Mrs. Fatimah Muhammed Sirry

AND ALLAH HAS THE MOST MAGNIFICENT NAMES
SO INVOKE HIM BY THEM

11. The PROUD — Al Mutakaber — المتكبر

Only grandeur and pride are His exclusive Privity.

12. The CREATOR — Al Khaliq — الخالق

13. The EVOLVER — Al Bariae — البارئ

14. The FASHIONER — Al Musawer — المصور

To create is to evoke something into being out of non-existence by an act of the will. In Arabic etymology, creation stresses 'design' as the first stage of causation to exist; evolution implies the process of production and development according to plan; and lastly, fashioning emphasizes the act of composing and giving form, shape and inherent qualities, thereby yielding the final produce.

Hence, in this sense, 'creation' precedes 'evolution' since the effect of the will comes before the power, and 'evolution' precedes 'fashioning' as the making of the entity is precedent to the making of character or traits.

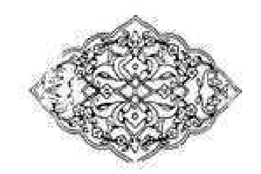
15. The OFT-FORGIVING — Al Ghafar — الغفار

This Attribute designates repeated and recurrent forgiveness by The Divine One. With such forgiveness, He not only remits penalty on account of an offence, but also waives repayment of wrong-doers and makes return for

a mere strenous journey, Zakat and Chairty will be a donation, eating will be filling the empty sac of the stomach, marriage will be the satisfaction of the sexual desire. Again without Intention, all responsibility for actions are lifted, even for crimes. There is no responsibility for the actions of the insane, the forgetful, the very young, the compelled, and other similar examples that are well documented and explained in literature dealing with Islamic Law.

Intention as has been explained is justified by the existance of two basic elements, namely, the "thought in the mind" and the "inclination of the self". In the above examples, one or both of these elements is non existant; and Allah knows well the inner realities of our Intentions and the realities of the elements formulating it. The Prophet says "There is no penalty to my Ummah for forgetfullness, fault, and what they might have been compelled upon". From the Holy Quran "(Pray) Our Lord ! Condemn us not if we forget or fall into erro" (Surat Al-Baqarah, II, 286).

The fourth phase is the excution of action and deed; which is the phase charged with responsibility. It is the phase for which Allah created mankind and gifted him with distinctions. What therefore is the real deeds of humanity; and what is the ultimate purpose of human actions.



an action and did not excute the action, earns reward. This reward is for his inner struggle against evil and the arrest of the action. Again, who has a good "Intention", but for some reason or other, no action was excuted, earns a reward for his good "Intention". By this we understand the Hadith "The intention of a person outweighs his actions". This means that good Intentions are virtuous, even when not associated with action. The attainment of the stage of good Intention will eventually lead to goodness.

On the other hand, who has an Intention of evil, and followed it with an evil action, a penalty is earned for transgression, and for the truimph of evil within the self, and developing the evil intention into an evil action.This penalization is both in life and in the Hereafter. Penalization in life does not preclude penalization in the Hereafter; but may attenuate it or render this penalization subject to pardon. Penalization in life may preclude penalization in the Hereafter; for Allah is supremely Just and Merciful to penalize a transgressor twice for one evil act. If there was no penalization in life, there would be penalization in the Hereafter. Allah is most Merciful, most Forgiving, most Pardoning.

He who intended virtue and goodness, and developed that intention into righteous action, earns ten rewards. This is partly for the trimph of goodness in the self, and partly for the act of goodness itself. If this good deed was of a continuous perpetual nature, this reward may be multiplied seven hundred times or more, all by the will of Allah. Examples of extented good deeds are beneficial knowledge to people, a running charity, pious descendants, and similar matters.

With good Intentions, several human actions originating from natural instincts that have no reward, become patterns of worship that are rewarded. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) said "Any act performed aiming to achieve the grace of Allah must have a reward; even a morsel of food in the mouth of your spouse". The Prophet also said "even the semen ejaculated into your wife's womb is rewarded". Some companions inquired "We enjoy the act and we are also rewarded for it ?" The Prophet answers "Yes, will you not be penalized if you place it in adultery ?". Even normal physiological actions if they are performed with the Intention of worship are all rewarded. Allah is most Generous, most Gracefull. Without Intention, all types of actions even those actions of worship become devoid of sense and purpose and loose their value. Fasting will turn into hunger, prayers will become physical movements, Hajj will be

judgement. Human sentiments and emotions have a heavy authoritative influence on mankind and these are not questioned except after they are translated into actions. In the Hadith after the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) "If any of you intends a wrong action and does not do it, he is rewarded a good deed. If any of you intends a wrong action and does it, he is culpable of wrong action and Allah pardons what He wills. Who of you intends a good deed and does not do it, he has the benefit of a good deed. Who of you intends and a good deed and does it, he gains the benefit of ten good deeds up to seven hundred times; and Allah multiplies to whom He wills."

Even the Apostles who are immune from the influence of the self, may, for purpose of exemplification wrestle with some emotions and sentiments. However, Allah rectifies their disposition, reveals the example, and they retain their powers of self denial and the independence of the mind. The story of the Apostle Noah observing his pagan son drowning in the tempest, calling him to believe and board the "Ark" with them to be safe. The son replied "I will protect myself by a mountain"; the father said "On this day nothing can save from the command of Allah, except those on whom He hath mercy". Noah remembered that Allah had ordered him to carry on the "Ark" from each kind two, male and female, and his family. Noah with his emotions and inclination, not with his thinking mind wanted to include his pagan son in the context of his family. "And Noah called upon his God and said "O my God, surely my son is of my family, and Thy promise is true, and Thou art The Justest of Judges (Surat Hood, XII, 45). The intentions of Noah was that Allah knows best the emotions and feelings of parenthood. However, Allah reveals the reality to Noah and restores his prophetic abilities to have the function of the mind in thought independent from self inclinations and emotions. Allah said "O Noah ! he is not of thy family, for his conduct is unrighteous. So ask not of me that of which thou hast no knowledge. I give thee counsel, lest thou act like the ignorant" (Surat Hood, XII, 46).

The third phase is Intention being in total agreement with the self. It is the phase of coordination between the thought of the mind and the inclination of the self at time of the action. A justified intention with its dichotoms of the mind and the self, is the resolution and determination propelling to the action. There must be a determined decision decision for human action in order to charge this action with responsibility in this life and the hereafter; either with reward or penalty. Any action devoid of "justified intention" is malicious and degrading. This phase of "Intention" is legislated in Islamic law. Who has an evil "Intention" to do

intelligent animal, whose mind is the recepient structure with which he interacts and reciprocates totally with his surrounding environment. All actions of man, great or small, useful or harmful, right or wrong, are all in origin a thought of the mind. This phase of thought is exempt from penalization; and Allah atones in reward whether the thought was right or wrong. This function of the mind is an effort done inspite of the quality of outcome. This effort is recompensed once in case of wrong outcome, and recompensed twice in case of right outcome. It is related that some companions complained to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) that they experienced some evil thoughts that they fail to express in words. The Prophet told them that there is no responsibility for thoughts, for the mind cannot be arrested. The Prophet, however, advised them to resort to the remembrance of Allah, a practice that supports the faith.

True resistance to wrong evil thoughts purifies the matrix of the mind, impedes wrong thoughts and fosters righteousness and correctness. Allah created the human mind with total absolute freedom of function with no guardian or authority save itself. The effort of thought is rewarded for improper thought and double if the thought is proper and appropriate.

The second phase is self inclination and desire and the influence of the self in this respect. The mind functions in absolute liberty in thought and unrestricted horizons; and the self introduces itself to dictate and dominate the mind with its inclinations, desires and egotistic discrepancies. In relaity mankind is prone to be directed by his emotions than by his rationality. The self stamps the process of the mind and codes the thought with its own marker. The self is the doorway which allows the exit of human thoughts conforming with its desires and inclinations. Who can dispel the discrepancies of the self, the whole array of antagonistic predilections, sentiments and partialities ? Only the Apostles; because Allah granted them the ability and power to separate the function of the mind in thought, and the demands of the self; in order to bear and deliver the message of Allah without any self inclinations. Also, learned men of wisdom and knowledge, they are the "heirs of Apostles" who harnessed their efforts to weaken the role of the self and strenghten the role of the mind. This phase is also exempt from penalization of wrong. There is recompense for right, and also a recompense for retreat from wrong.It is a phase of the inner self, secretly indwelling the balance between the function of the mind in thought, and self predilections. It is a phase that is not subject to

THE TRUST, RESPONSIBILITY, AND INTENTION

By
Abdel-Hakim Taha

Allah created mankind to be the viceregant of Allah on earth, and endowed man with qualities and characteristics of distinction above all other creations. Allah gifted mankind with superior unique qualities inspite of his clay substance, greed and ego, his vices and transgression. Mankind has been honoured with characteristics of distinction to carry, learn and propagate the Message of Allah in worship to the Oneness of Allah. This honour of endowment was granted to mankind because mankind has accepted to bear the Trust (Al-Amanah) which the heavens, the earth, and the mountains refused to bear. What is this Trust ?

It is the responsibility of action and the power of disposition. It is the correct choice between right and wrong, virtue and vice, wisdom and indiscretion, construction and destruction, belief and disbelief, faith and heresy... . What is the codification of this responsibility ? If "Intention" and disposition are the underlying drive; this Intention is in reality the volition of will to implement a certain action; or it is the inner drive coherent with performance of an action. What is the exact position of "Intention" on the scale of human conduct ?. What are the laws governing this "Intention"? What legislates actions without "Intention", and "Intention" without action ? Are there preceding phases for "Intention"? Is all the action and conduct of mankind charged with responsibility ? Consideration of all these demanding aspects relating the Intention and volition of mankind with his actions and conduct is necessary. Human action passes through four phases of evolution; which may be slow and therefore perceptible as in gross actions, or swift and therefore inperceptible as in minor usual actions.

The first of these phases is the origin of thought and the function of the mind. Mankind is by nature a rational

in status or dignity, and both share equal human rights. The moral and spiritual development of man and woman stands on a level of perfect equality according to Quranic teachings "Men shall have the benefit of what they achieve and acquire and women shall have the benefit of that which they similarly achieve and acquire (Surat Al-Nissa, IV, 32)". Another quotation from the Holy Quran that signifies man-woman equality states "And whoever does good deeds, whether male or female and he or she is a believer, these shall enter the garden and they shall not be dealth with a jot unjustly (Surat Al-Nissa, IV, 124)". This equality between man and woman is also ascertained by their equal religous duties and responsibilities, and their obligation and commitments towards Allah the Creator, and towards their fellows of mankind. Women have exactly the same duties of offering prayers, fasting, practicing zakat; enjoining in good and forbidding evil in all social, economic and political walks of life; and they have the right to equal educational opportunities within the limits of preservation of morals, decency, and sexual purity. Islamic teachings stress the equality of women in regard to spiritual advancement, and history marks the examples of several women who have through their own effort reached a high status in spiritual eminence.

Islam recognises the basic specific individualities and differences between man and woman, and advocates that each of them should preserve, cherish, uphold and comprehend these differences with honour, dignity and pride in order to fulfil their respective natural functions in society as distinct legal responsible personalities. A wife in family partnership with her husband remains totally independent in all legal, economic, personal and social matters in her own individual capacity. True scientific realities indicate that the differences between the sexes are fundamental and exacting, determining their respective independent individuality in the human race. These differences are by no means confined only to differences in structural body organs; the differences are deep seated in the overall constitution of each sex, anatomical, physiological, hormonal, psychological, tempremental, emotional, functional and in the duties and responsibilities in life. Man and woman are therefore not equal, they have never been equal, and they will never be equal. Progress and evolutionary patterns of the human society in life are possible only through the marked distinctive differentiation of the sexes. Each sex carrying its own trait of distinction and specificity, enjoys the rights that are consistent with its characteristics without transgression or infringement on the other. This is the equilibrium that Islamic doctrines uphold, the equilibrium that is fundamental to the preservation and advancement of the human race, the true civilization of society through spiritual richness.

Islamic understanding into the sociology and psychology of sex; and the awareness that sex is a very vital factor in shaping the matrix of society into real strength and progress, or into social decline and human degredation. Islam distinctly recognises that sex as one superior determining human function that moulds the future of human socities. A civilization that can successfully organize, regulate and discipline sexual relationships between its component groups of men and women, will endure longer and be healthier and more coherent than the society which neglects and undermines the delicate sensitivity and gross importance of this relationship. Islam also recognises that the sexual life of mankind is not an isolated function, but is intimately related to other social issues, mainly, economics. Here again Islam presents a complete integrated highly organized socioeconomic system that is applicable through the changing patterns of human societies through the life of mankind. Islamic injunctions and legislations as related to every single individual and to the society as a whole, consider both sex and economics as two inter-related social issues that shape the private and public life of men and women.

Any discussion that deals with the question of mam woman relationship will by necessity face the subject of equality of the sexes. Inspite of the fundamental unity of all human beings, it is impossible to practice a system of relationship that rules out all the differences and the inequalities. Some of these differences are innate and natural. There are differences in biological structure and function, in faculties, tastes and temperaments, powers, and capacities. It is obvious that the qualifications, rights and duties of men and women flow from these inborn differences. It is the task of religious education to remove all obstacles to human development, and maintain a social environment where only the natural inborn differences and inequlaties may fix the proper station in life of man and woman. The ideal of man - woman equality should be viewed with the same perspective. Customs, traditions, laws should not prevent the female from playing her full part in the collective life of the society and developing her full capacities to maximum efficiency to serve her real purpose and function in life. On the other hand, this man-woman equality should not mean that the mental and body faculties, psycholgoical make-up, functional capabilities possessed by man and woman are identically the same, and that both should exist not as complements to each other but as competitors and rivals. Such a framework of competition and rivalry for equality is certainly rationally refuted. Islamic doctrines fully support the premise of man and woman equality in the context that each sex is a complement to the other; and neither is inferior or superior

➤

furtherance are good only in so far as they subserve and advance spiritual interests of the society for greater harmony. When such material wealth is raised to become the primary concern and ultimate purpose of the society, the equilibrium crumbles, and the elemental ingredients of society disintegrates. The society becomes the agent of the devil, everything is twisted, falsified, and misconceptualization of primordial human issues supervenes to become in due time the accepted norms.

It is therefore imperative to achieve spiritual elevation for the harmony of the various individual groups consituting human society. The fundamental groups in any society are its male and female componets, and this brings the subject of male - female relationships, differences, equalities and inequalities. This question of male-female relationship and their respective rights and responsibilities in society is actually a part of the larger socio-economic sexual problem of mankind. The rational solution of such a complex triad depends on the degree of civilization of the society as measured by its spiritual grading. Before passing a judgement on how a society deals with its social problems, or with its economic problems, or with the men women relationship; the spiritual environment and moral commitments of that society must be precisely evaluated. Islamic doctrines present a consistent realization of the evolutionary patterns of the social, economic and sexual problems of the human race. The rights of women versus those of men as the two distinct component groups of society, originally spring from sexual, biological realities, and not from unrealistic unrooted fantasies of current times. The proper and scientifically rational approach towards this issue is determined by their respective patterns of life, and more particularly by consideration of their distinctive sex life with all its manifold manifestations and ramifications. The drastic importance of sex life of mankind and its repercussions on human conduct and behaviour in everyday life has been realized and fully recognized in Islamic understanding long before the science of sex psychology drew the attention to the extensive ramifications of the sex impulse in moulding human conduct for good or evil, and in being a primary causative agent in mental and social health or disease.

Islamic doctrines insist on the sexual purity of both sexes and a divine system was prescribed to optimize and attain that fundamental purpose. Islam introduces certain preventive measures and education to stabilize a healthy organised moral disciplined sexual life of the society. The justification for that is the deep rational insight of

MAN AND WOMAN IN ISLAM

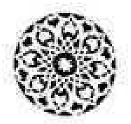
By :
Dr. Saad Moustafa Moustafa, M.D.

According to Islamic concepts, the real purpose of human life in the most basic fundamental sence is the spiritual betterment and elevation of the individual and mankind at large. Each individual is placed throughout his life in the field of natural forces from within himself and externally from his social environment. The sences of justice, correctness, righteousness, chastity; as opposed to their direct contraries, will impose and charge each individual with attribution and trial. Each individual is urged by all religious doctrines to orient himself to a social environment that will enhance the development of altruism and restraints from the egoistic desires of the self. The response of the individual to the requirements of this situation will be the measure of spiritual progress, and an index of elevation or debasement. Such an understanding is clearly stated in the Holy Quran "Blessed is He in whose hands is the Kingdom, and He has power over all things; Who created death and life that He may try you - which of you is best in conduct (Surat Al-Mulk, lxvii, 1 - 2)".

It is clear from this Quranic statement that Islam does not judge the civilization of human societies by their mechanical efficiency, technical progress, military power, or productive capacity; the pivot of judgement is essentially spiritual richness. A society may achieve phenomenal grades of success in materialistic wordly objectives, yet remains to be spiritually impoverished and morally destitute. Without the fundamental quality of spiritual achievement, such society will betray the natural elements of individual rights, social justice and human equality. The true criteria of human civilization from the Islamic point of view, is the harmony of the various components of the society whether horizontally to encompass the different national groups which inhabit its sphere of jurisdiction; or vertically in the mutual attitude of the different economic classes whose resultant productive efforts maintain its material existence. Material wealth and the processes which promote its

←

Zubaier ibn Al-Awam. Abu Bakre called for Ali and said "The cousin of Allah's Messenger, and the husband of his daughter, wanting to split the unity of Muslims !". Ali replied "None of that O Khalifah of Allah's Messenger", and proclaimed his fealty to Abu Bakre. Then Abu Bakre called for Al-Zubaier and said "the cousin of the Messenger of Allah, and his disciple, wanting to split the unity of Muslims !" Al-Zubaier answered "None of that O Khalifah of Allah's Messenger", and announced his fealty to Abu Bakre. Both Ali and Al-Zubaier later explained that their delay in giving fealty to Abu Bakre was because they were not consulted earlier; and acknowledged that none was more fitting to be Khalifah of the Messenger of Allah, than Abu Bakre. Ali ibn Abi Taleb later, after the death of his wife Fatimah the daughter of the Prophet; proclaimed a second public fealty to Abu Bakre, to remove any residual misunderstanding between Abu Bakre and Fatimah regardin her inheritance from the Prophet's property. Abu Bakre had stated that the Prophet had said " We Prophets are not inherited, what we leave is charity"; and refused any claim of Fatimah. This completed and ascertained the fealty of Ali to Abu Bakre.



present acclaimed the high rank of Abu Bakre and denied any claim of priority over him. Omar pledged allegiance to Abu Bakre, followed by Abu Ubaidah and the other Muhagereen present in the gathering, followed by all the Ansars attending except Saad ibn Ubadah.

These historical events took place during the afternoon of 12th Rabie Al-Awal of the 11th year of Hijrah, the same day the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) passed away.

The following day at dawn prayers, Omar urged Abu - Bakre to climb to the pulpit. Omar then addressed the people assembled for prayer and said "The Prophet (prayers and peace from Allah upon him died and left for you the Holy Revelation, the words of Allah, and his own Traditions. If you adhere to their teachings, you will be guided to righteousness. Allah has also destined that you decide your word upon the best among us; the closest companion to the Prophet, the second of two when they were both in the cave, the man whom the Prophet selected to lead the prayers; give your allegiance to that man. Every person present in the mosque rose and swore allegiance to Abu Bakre in unanimous consensus.

Abu Bakre was publicly and unanimously proclaimed successor to the Prophet. From the pulpit, he stood and addressed the people. After giving praise to Allah, he said "I have been given the authority over you, and I am not the best of you. If I do well, help me; and if I do wrong, put me right. Truth is honesty, and untruth is treachery. The weak amongst you shall be strong with me until I have secured his rights, if Allah wills. The strong amongst you shall be weak with me until I have extorted from him the rights of others, if Allah wills. Obey me, so long as I obey Allah and His Messenger; but if I disobey Allah and His Messenger, you owe me no obedience. Attend to your prayers, may Allah have mercy upon you".

Few of the Muhagereen did not attend the public fealty to Abu Bakre. These were Al-Abbas and his sons, Ali ibn Abi Taleb, Al-Zubaier ibn Al-Awam, Talha, Salman Al-Farisi, Ammar ibn Yasser, Abu Zar Al-Ghaffary, and few others. Soon in the course of time all of them gave fealty to Abu Bakre. It was generally conceded that during the reign of Abu Bakre there was absolutely no dispute about his rightful succession to become the Khalifah of Rasul Allah, by virtue of consensus fealty.

When Abu Bakre finished his words to the people and the prayers, he remarked the absence of Ali ibn Abi Taleb and Al-

the gathering, a speaker from the Ansars stood up and addressed the assembly. He praised Allah and continued "We are the Ansars of Allah and the supporters of the Messenger; we are the fighting legions of Islam and the standard bearers. The Muhagereen are a group among us living under our protection, and now some among them want to infringe an our right and seize our rightful claim to the succession." When the man from the Ansars finished, Omar wanted to speak, but Abu Bakre prevented him to avoid his temper at such crucial situation. Abu Bakre spoke and said "We are the Muhagereen, the first people to embrace Islam, we belong to Quraysh the central tribe of all the Arabs, the tribe of the Prophet, and we are his kinsmen and the foremost compansions. We sacrificed homes, families and wealth in the cause of Islam. We embraced Islam before you and were placed in priority in the holy Quran (And the pioneers from the Muhagereen and Ansars and those people who followed them with good deeds). You are the Ansars our brothers in faith, partners in the land, and supporters against the enemy; you deserve all the praise. However, the Arab people would not recognize any authority except from Quraysh; from Quraysh will be the authority and from you will be the ministership". At the end of his words, Abu Bakre took Omar and Abu Ubaidah each by the hand and said "I nominate to you one of these two men, pledge your allegiance to whoever you choose". A man from the Ansars got up and said "O Ansars do not listen to this speech, they want to take away your right in the matter, and by Allah we deserve it". Then Abu Ubaidah said "O Ansars, you were the first people to support and protect; so do not be the first to differ and object".

A man from the Ansars, Basheer ibn Saad stood up and said "you from the Ansars, if we were the first to support this Faith, we did so for the blessings of Allah and in obedience to the Messenger; and we should not consider that a reason to heighten over others, and take for it a worldly gain. Muhammad was from Quraysh, and his people are more rightly justified to succeed him, and no one should deprive them that right or challenge them in it. Fear Allah in your conduct and do not disagree". Abu Bakre realised that it was the right moment, and told Omar give me your hand to give you allegiance; Omar said "you are more worthy than me". Abu Bakre said "you are stronger than me", and Omar said my strength is for you with your worth. Omar raised the hand of Abu Bakre and said "This is the man who was the best companion to the Prophet, the second of the two in the cave, the man chosen by the Prophet to lead the Muslims in prayer; who of you will deny his rank, the love of the Prophet for him, or is willing to claim precedence over him". Everybody

ABU-BAKRE AL-SIDDIQ
THE SUCCESSION

By :
Dr. Anas Moustafa El-Naggar. MD.,Ph.D

The Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) died on the 12th of Rabie Al-Awal of the eleventh year of Hijrah, the third of June 632 AD. With the supreme communion in paradise, the Messenger of Islam passed away. A cloud of grief and sorrow swept Al-Madinah and with the impact of the tragic event, people were stunned, not knowing what exactly was to follow. Omar Ibn Al-Khattab addressed the people assuring them that the Prophet was merely absent in spirit and that he would return. The arrival of Abu Bakre and the words he spoke to the throng of people at the mosque, finally settled the certainty of the death of the Prophet. Now that the whole issue was finally settled, two important matters had to be organized, namely, the burial of the Prophet's body, and the selection of a successor to govern the affairs of the muslim Ummah.

The Kinsmen of the Prophet, together with few close compansions including Abu Bakre and Omar arranged for the preparation of the Prophet's body for burial. As they were engaged in such matter, two men approached Omar Ibn Al-Khattab and informed him that the Ansars from the Aws and Khazraj assembled in the roofing of Bani Saidah where they were deliberating the question of who was to become the successor of the Prophet; and that the inclination was to proclaim Saad ibn Ubadah from the Ansars. The two men that brought these news to Omar were from the Ansars, they were Uwaim ibn Saidah and the other Maan ibn Adii.

Umar ibn Al-Khattab insisted that Abu Bakre should go to the gathering of the Ansars at the roofing of Bani Saidah. Both men together with Abu Ubaidah ibn Al-Garrah went to the meeting of the Ansars. As the three men entered, they saw a man wrapped up in cloak sitting in the centre of the hall. Omar asked who the man was, and was told that he was Saad ibn Ubadah, who was ill. After the three men took their place in

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 60, Part V

Jummada Al-Ula, 1408, Hijrah

CONTENTS

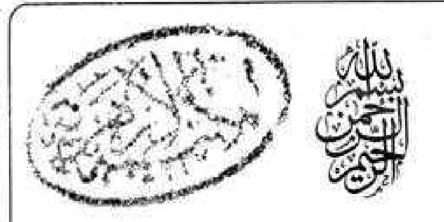
Preparation of the Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE



ENGLISH SECTION





بسم الله الرحمن الرحيم

الجوار بعد أبى طالب

مات أبو طالب !!

وبموته انفض جمع بنى هاشم والمطلب ، ومن عجب أنه لم تقم للبطنين - بعده - زعامة طيلة الفترة الجاهلية لقريش ، تلك الفترة التى انتهت فى العام الثامن من الهجرة حين تم فتح مكة ..

لقد انفرط عقد البطنين فلم تعد لهما كلمة جامعة ، ولا رأى نافذ .

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أول من أحاط بتلك الحقيقة - من قومه ، ولكن كان لابد من « جوار » بعد أبى طالب يتيح لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حرية الحركة فى ظل النظام القائم والعرف السائد ، وليس لشىء آخر ؛ فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكن لِيَرْهَبَ هذا المجتمع .

←

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

* الجزء السادس *
* السنة الستون *
* جمادى الآخرة ١٤٠٨ *
* فبراير ١٩٨٨ *

الجوار بعد أبي طالب

صحيح أن أكثر من إنسان استطاع أن يؤذى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لكنه ما استطاع أن يؤذيه إلا غدراً ، أو خفية ، أو خطفاً سريعاً من أمامه عليه الصلاة والسلام .

وهنا ينبغى لقارىء السيرة النبوية أن يتذكر دائماً حقيقتين :

١ - أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - داعية لرسالة سماوية ، وليس محترفاً بطولة ليصارع هذا أو ذاك ، وللرسالة أسلوبها فى الداعية المختار لأنه أسوة حسنة - صلى الله عليه وسلم ، وخير الخلق بلا مراء .

٢ - وأنه - عليه الصلاة والسلام يتمتع بخلق كريم ، هو ذروة الأخلاق مجتمعة شهد له به المولى - عز وجل - فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] .

ومن أجل ذلك كله لم يكن - عليه الصلاة والسلام - لينتقم لنفسه قط .

فأما من حيث الواقع فقد قضت ظروف تماثلت فى قوم لا يعلمون حقيقة النبوة فى تلك الرسالة - جعلت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يواجه هذا المجتمع : وِحْدانا وجماعات فلم يثبت له منهم أحد ، ومنهم من فَقُهَ - بعدها - أمر هذا الدين ، فتمت له السلامة .

هذا « رُكانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب الأسدى القرشى » أشد قريش ، وأقوى مصارعيها حينئذ ، صارع رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فصرعه - عليه الصلاة والسلام - ثلاث مرات .

روى أبو بكر الشافعى - بإسناد جيد - عن ابن عباس - رضى الله عنهما : أن يزيد بن ركانة صارع النبى - صلى الله عليه وسلم - فصرعه النبى - صلى الله عليه وسلم - ثلاث مرات ، . . . فلما كان فى الثالثة قال :

يا محمد ، ما وضع ظهرى إلى الأرض أحدٌ قبلك ، وما كان أحدٌ أبغض إلىّ منك ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

فقام عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم . . . .

والأمر كذلك مع أبى الأشدين صارع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصرعه - عليه الصلاة والسلام .

وقصة نصرته - صلى الله عليه وسلم - للتاجر الذى اغتصبه أبو جهل مَالَهُ معروفة ، فقد طرق رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم بابَهُ وأمره بدفع الحق إلى صاحبه ، فانصاع أبو جهل ، وقال للرجل : لا تبرح حتى تأخذ حقك .

---

(١) ن - ٤ .

وروى الإمام البيهقى ـ رضوان الله عليه ـ بسنده إلى أبى إسحاق قال :
مر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أبى جهل وأبى سفيان ، وهما جالسان ، فقال أبو جهل : هذا نبيكم يابنى عبد شمس .

فقال أبو سفيان : وتعجب أن يكون منا نبى ! فالنبى يكون فيمن أقلّ منا وأذل .
فقال أبو جهل : أعجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبياً !
ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسمع ، فأتاهما ، فقال :
أما أنت ، ياأبا سفيان ، فمالِلّهِ ورسوله غضبت ، ولكنك حَمِيتَ للأصل . وأما أنت ـ ياأبا الحكم ـ فوالله لتضحكن قليلا ولتبكين كثيراً » فقال : بئسماً تعدنى ، ياابن أخى ، من نُبُوَّتِك .

وروى البيهقى ـ رضى الله عنه ـ أيضاً بسنده إلى يحيى بن عروة عن أبيه عروة قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص :
ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما كانت تظهره من عداوته ؟
فقال :
لقد رأيتهم ، وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر ، فذكروا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا :
ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سَفَّهَ أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعاتنا ، وسب آلهتنا ، وصرنا منه على أمر عظيم ..
قال :
فبينما هم فى ذلك طلع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فمضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفتها فى وجهه ، فمضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها .
فقال ـ صلى الله عليه وسلم :
« أتسمعون ـ يا معشر قريش ؟ أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح » .
فأخذت القومَ كلمتُهُ ـ حتى ما منهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طائر قد وقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك لَيَرْفَؤُهُ[2] حتى أنه لَيَقُول : انصرف ، ياأبا القاسم ، راشدا ؛ فما كنت بجهول .
فانصرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .



(٢) يترضاه .

الجوار بعد أبي طالب

وروى الإمام أحمد ـ بسند صحيح[٣] ـ قال :

حدثنا إسحاق بن عيسى ، ثنا يحيى بن سُلَيم ، عن عبد الله بن عثمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال :

« إن الملأ من قريش اجتمعوا فى الحِجْر فتعاقدوا بـ « اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف[٤] » لو قد رأينا محمداً لقد قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله ، فأقبلت ابنته فاطمة ـ رضى الله عنها ـ تبكى حتى دخلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت :

هؤلاء الملأ من قريش قد تعاقدوا عليك لو قد رأوْك لقد قاموا إليك فقتلوك ، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك !!

فقال ـ صلى الله عليه وسلم :

يابُنَيَّة ، أرينى وضوءًا ، فتوضأ ، ثم دخل عليهم المسجد ، فلما رأوه قالوا : هاهوذا . وخفضوا أبصارهم ، وسقطت أذقانهم فى صدورهم ، وعَقَرُوا فى مجالسهم فلم يرفعوا إليه بصرا ، ولم يقم إليه منهم رجل .

فأقبل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى قام على رءوسهم ، فأخذ قبضة من التراب . فقال : شاهت الوجوه ، ثم حصبهم بها ، فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً ..»

....

لقد سقنا هذه الأحداث بإفاضة فى مواجهته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقومه فرادى ومجتمعين ، وهو فى كُلّ أعزل ـ سقناها خَيْطَةً للمؤمن أن يمسه طائف من فكر سقيم يصور له غير الواقع وغير الحق فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأردناه أن يعلم اليقين من أمره ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثقة له فى دينه ، وإحاطة بحقيقة الحال فى أمر « الجوار » .

ثم أعود فأذكر القارىء بالحقيقتين ـ سالفتى الذكر ليديم استصحابهما ما قرأ السيرة العطرة لرسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم .

● ● ● ● ● ●

كان « الجوار » ـ إذاً يعطى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « حرية الحركة » فى هذا المجتمع المتربص له الذى يود التخلص منه ـ عليه الصلاة والسلام .

---

(٣) انظر مسند احمد ، تحقيق الشيخ احمد محمد شاكر ـ رحمه الله ـ الحديث رقم (٢٧٦٢) ثم انظر رواية ثانية بطريق اخر صحيحة ايضاً فى الحديث رقم (٣٤٨٥) طبع المعارف بمصر .

(٤) اسماء لكبار اوثانهم .

وهذه الحقيقة تضعنا مباشرة أمام حقيقة أخرى أهم ، هى أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ تعامل ـ مع قومه ـ فى إطار النظام السائد والعُرْف القائم ، ولم يتنكر لهذا أو ذاك ؛ فإن أبسط ما يترتب علي إنكار هذا النظام والغض من ذلك العُرْف هو إعطاء هذا المجتمع المتحفز فرصته الحالمة فى التخلص منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بطريق لالوم عليهم فيه ولا تثريب بحكم هذا العرف وذلك النظام لدى قوم كافرين ..

وهاهو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذه الفترة المكية لا يقوم ، أو يقوم أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ بمقاومة سرية أو علنية تهدف إلى تغيير الفساد المستشرى فى مكة بالقوة ، وظل ثالوثها الأكبر يبسط نفوذُ فَسَادِهِ :

فما هَدَمَ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيتا من بيوت الدعارة ذات الأعلام المرفوعة والمعروفة[٥] بمكة ولم يكسر قنان الخمر . ولم يناد بإسقاط الربا .

بل إن الأمر لأبعد من ذلك :

هؤلاء المستضعفون المعذبون بسبب إيمانهم يطلبون إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يدعو الله ـ تعالى ـ يستنصر لهم فيغضب ـ عليه الصلاة والسلام :

روى الإمام أحمد ـ بسنده ـ إلى خباب بن الأرت ـ من طريقين[٦] قال :

« أتينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو فى ظل الكعبة متوسداً بُرْدَةً له ، فقلنا : يارسول الله ، ادع الله ـ تبارك وتعالى ـ لنا ، واستنصره .

قال : فاحمر وجهه ـ وفى الرواية الثانية : فجلس محمراً وجهه ، فقال :

لقد كان من كان من قبلكم يحفر له حفرة ، ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيشق ما يصرفه[٧] عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب ما يصرفه عن دينه ، وَلَيُتِمَّنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله تعالى ، والذئب على غنمه ، ولكنكم تَعْجَلون » .

●●　　●●　　●●

بموت أبى طالب كثرت سهام الأذى على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على وجه خلا من الحياء والمروءة وأسباب الشرف ، وكان ـ واضحاً ـ أن قريشا ابت إلا الكفر ، فلن يؤمن منها ـ وقتئذ ـ إلا من قد آمن ، فاشتد حزنُهُ ـ عليه الصلاة والسلام ، ولزم بيته ، وأقل الخروج ، ولم يكن ذلك بمانع لأذاهم فقد ألقوا بقمامتهم على بابه .

←

(٥) انظر صحيح البخارى ـ كتاب النكاح ـ باب من قال : لا نكاح إلا بولى .
(٦) مسند أحمد ١٠٩/٥ ، ١١٠ المَيْمَنِيَّة .
(٧) فى الرواية ص ١١٠ : ما يصرفه ذلك .. الحديث .

الجوار بعد أبى طالب

روى صاحب « الحلبية » عن « الشمس الشامى » قال :

« ولما رأى قريشا تهجموا عليه قال :

ياعَمُّ ، ما أسرعَ ما وَجَدتُ فَقْدَك !!!»

وبلغ ذلك « أبا لهب » فأخذته الحمية ، وقرر أن « يُجِيرَ » رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكم كانت « إجارة » تافهة لا تصول ولا تجول ، ما قامت حتى انتهت بمكر أثيم .

إجارة أبى لهب :

جاء ـ فى طبقات ابن سعد ـ بسنده ـ إلى حكيم بن حزام ـ رضى الله عنه .

وروى الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى ـ بسنده عن ثعلبة بن صُعَيْر وحكيم بن حزام أنهما قالا :

«... فبلغ ذلك أبا لهب فجاءه ، فقال :

يا محمد ، امض لما أردت ، وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حيا فَاصْنَعْهُ ، لا واللات لا يوصل إليك حتى أموت .

وسَبَّ ابنُ الغَيْطلة رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأقبل إليه أبو لهب فنال منه ، فَوَلَّى يصيح :

يامعشر قريش ، صبأ أبو عتبة ، فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبى لهب ، فقال : ما فارقتُ دين عبد المطلب ، ولكنى « أمنع » ابن أخى أن يضام حتى يمضى لما يريد .

فقالوا : لقد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم .

فمكث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كذلك[8] يأتى ويذهب لا يعرض له أحد من قريش ، وهابوا أبا لهب ؛ إذ جاء عقبة بن أبى مُعَيْط وأبو جهل إلى أبى لهب ، فقالا له : أَخْبَرَكَ ابنُ أخيك أين مدخل أبيك ؟

---

(٨) أى على هذا « الجوار » .

فقال له أبو لهب : يامحمد ، أين مدخل عبد المطلب ؟

قال : مع قومه ..

فخرج إليهما فقال : قد سألته فقال : مع قومه .

فقالا : يزعم أنه فى النار .

فقال : يامحمد ، أيدخل عبد المطلب النار ؟

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : ومَنْ مات على ما مات عليه عبد المطلب دخل النار .

فقال أبو لهب : والله ، لا بَرِحْتُ لك عدوا أبدا ، وأنت تزعم أن عبد المطلب فى النار . واشتد عند ذلك أبو لهب وسائر قريش .»

كسبت قريش الكثير بإسقاط أبى لهب لجواره ، فلم يكن ـ من بين أبناء عبد المطلب ، ممن هم على دين آبائهم . من له وجاهة أبى لهب لدى قريش ، وأدركت قريش بذلك أن أحداً غير مانع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا هو مجيره من عشيرته الأَدْنَيْن ـ وخيل إليها أنها أحكمت قبضتها على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وأنها منتصرة عليه لا محالة .

وكان الأمر على غير ما تحلم : فقد نزل قوله تعالى :

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾(٩) .

وفيها رفع عِبْءِ تبليغهم عنه ـ صلى الله عليه وسلم ، كما فيها شهادة المولى ـ تبارك وتعالى ـ بأنه ـ أدى فيهم الأمانة على خير ما تكون ، فلتكن الرسالة ـ فى غيرهم ـ ممن كان يدعوهم إلى جانب دعوته لقريش(١٠) واستراح منهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى حين .

روى ابن كثير عن الحافظ أبى نعيم ـ بسنده إلى العباس ، قال :

قال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« لا أرى لى عندك ، ولا عند أخيك مَنَعَةً ، فهل أنت مُخرجى إلى السوق غدا حتى نقر فى منازل الناس » .

وهكذا اتجهت الرسالة بعيدا عن قوم نسوا الله فأنساهم أنفسهم لتبحث عن آخرين يستطيعون « إجارته » ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليمضى محققاً أمر ربه ...

يتبع

د. على أحمد الخطيب

---

(٩) الذاريات ـ ٥٤ .

(١٠) انظر تفسيرى : الطبرى والنيسابورى للآية الكريمة .

دراسة قرآنية

لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى

قال الله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ .. ﴾ إلى آخر سورة الحجرات .

البيان

بعد أن ذكر الله تلك الآداب السامية التى حفلت بها سورة الحجرات ، ختمها بلون من الأدب العالى ، وهو تعليم عباده بأن لا كرم ولا شرف عند الله إلا بالتقوى ، حتى لا يتعالى بعضهم على بعض بغير حق ، فكل الناس من آدم وحواء ، فلا وجه للتعالى بالأحساب والأنساب ، ليظل الناس إخوة متواضعين متحابين .

(سبب نزول هذه الاية)

أخرج أبو داود بسنده عن الزهرى - مرسَلاً - قال : (أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم ، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : نزوج بناتنا موالينا ؟ فأنزل الله عز وجل ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ .. ﴾ الآية والمراد بالموالى هنا العتقاء بعد الرّق .

وقيل نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس حين عيَّر رجلاً بأمه ، لأنه لم يقم من مجلسه ليجلس مكانه إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن ثابتاً كان ضعيف السمعْ ، وقد تفسح له الناس حتى لم يبق بينه وبين الرسول سوى هذا الرجل ، فاستمسك الرجل بمجلسه بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقال له : قد وجدت مكاناً فاجلس فيه ودعنى ، فعيره ثابت بأم كانت له فى الجاهلية ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

« مَنِ الذاكرُ فلانة » قال ثابت : أنا يارسول الله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « انظر فى وجوه القوم » فنظر ، فقال : « ما رأيت » ؟ قال : رأيت أبيض وأسود وأحمر ، فقال :

« فإنك لا تفضلهم إلا بالتقوى » فنزلت فى ثابت هذه الآية ، ونزل فى الرجل الذى لم يتفسح له ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِى الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ .. ﴾ الآية .

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

وأخرج الطبرانى فى كتاب (آداب النفوس) حديثا بسنده عن أبى نضرة قال : حدثنى أو حدثنا من شهد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى فى وسط أيام التشريق وهو على بعير فقال : « ياأيها الناس الا إن ربكم واحد ، وإن اباكم واحد ، الا لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى ، الا هل بلغت »؟ قالوا نعم ، قال « ليبلغ الشاهد الغائب » .

وجاء فى كتاب آداب النفوس للطبرانى أيضا عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله لا ينظر إلى أحسابكم ولا إلى أنسابكم ولا ينظر إلى أموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم ، فمن كان له قلب صالح تَحنَّن الله عليه ، وإنما انتم بنو آدم ، وأحبكم إليه أتقاكم » .

وقيل عن الإمام على فى هذا المعنى :

الناس من جهة التمثيل أكفاء
أبوهمو آدم والأم حواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة
وأعْظُمُ خلقت فيهم وأعضاء
وإن يكن لهمو من أصلهم حسب
يتفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهمو
على الهدى لمن استهدى أدِلاَّء
وقدر كل أمرىء ما كان يحسنه
وللرجال على الأفعال سِيمَاء
وضد كل أمرىء ما كان يجهله
والجاهلون لأهل العلم أعداء

(سنة الله فى خلق الناس)

بين الله فى هذه الآية أنه خلق الخلق من ذكر واحد وأنثى واحدة ، ولو شاء لخلقهم على سنة خلقه لأبيهم من تراب ، ولو شاء لخلقهم من أب دون أم ، كما خلق حواء من آدم ، ولو شاء لخلقهم من أم دون أب ، كما خلق عيسى عليه السلام .

وبالجملة فالناس أربعة أصناف ، صِنف خلق من تراب هو آدم عليه السلام ، وصِنْف خلق من أب دون أم وهو حواء ، وصنف خلق من أم دون أب وهو عيسى عليه السلام ، وصنف خلق من أبوين ذكر وأنثى ، وهو جميع البشر ما عدا هؤلاء ، وقد خلقهم الله على هذا النحو ليعلم الناس قدرة الله على خلق ما يشاء كما يشاء .

(« وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا »)

يستفاد من هذا النص أن الله قسم الخلائق إلى شعوب وقبائل ليتمايزوا ويتعارفوا ، بأن يقول الواحد منهم مثلاً أنا من شعب مصر ، من قبيلة كذا ، فيعرف نسبه .

ولقد جعل الله الشعوب والقبائل تتخذ لها أماكن مستقلة ، ليزداد التعارف بين الناس

بذكر المكان ، والشعوب رءوس القبائل ، فالعرب شعب ، وقبائله مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج ، فإذا نَفَى رجل رجلاً آخر عن قبيلته اعتبر قاذفا له ، واستحق حد القذف ، مثل نفيه عن حسبه ونسبه كما ذكره القرطبى فى المسألة الثالثة .

والشعوب جمع شَعْب بفتح فسكون ، وسمى بذلك لتشعبه قبائل وفصائل كأغصان الشجرة .

قال الجوهرى : الشعب ما تشعب من قبائل العرب والعجم ، والجمع الشعوب : اهـ .

وقد يطلق الشعب على القبيلة العظيمة ، قال ابن عباس : الشعوب الجمهور مثل مضر ، والقبائل الأفخاذ : اهـ .

وأما الشِّعب بكسر الشين المشددة فهو الطريق فى الجبل ، والجمع الشِّعاب ، والكلام فى هذا اللفظ واسع جدا ذكره القرطبى فى المسألة الخامسة . وما ذكرناه خلاصته حتى لا نطيل على القارىء .

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

أفادت هذه الآية أن التقوى هى الأمر المراعى عند الله تعالى وليس الحسب والنسب ، وأخرج الترمذى بسنده عن سمرة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال « الحسب المال والكرم التقوى » يعنى أن الناس يتفاخرون بأموالهم ، ويحسبون شرفهم بها - ولكن الشرف والكرم بتقوى الله تعالى ، كما قال سبحانه ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

فمن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ، والتقوى هى مراعاة حدود الله تعالى أمراً ونهياً ، والاتصاف بما أمرك أن تتصف به ، والتنزه عما نهاك عنه .

وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : « إنى جعلت نسبا وجعلتم نسبا ، فجعلت اكرمكم عند الله أتقاكم ، وأبيتم إلا أن تقولوا فلان بن فلان ، وأنا اليوم أرفع نسبى وأضع انسابكم ، أين المتقون أين المتقون »[1] ؟

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جهارا « إن آلَ أبي ليسوا لى بأولياء ، إن وَلِيِّيَ الله وصالحو المؤمنين » .

(مأثورات عن الزواج من أجل التقوى)

ذكر الطبرى بسنده عن أبى الجعد قال : تزوج رجل من الأنصار امراة فطعِنَ عليها فى حسبها ، فقال الرجل : إنى لم أتزوجها لحسبها ، إنما تزوجتها لدينها وخلقها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ما يضرك أن لا تكون من آل حاجب بن زرارة » ثم قال

١ - مجلة الأزهر : لم نعثر على هذا النص - فيما بين أيدينا ، ووجدنا المعنى فيما رواه الحاكم والبيهقى بلفظ « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : ﴿ أمرتكم فضيعتم ما عهدت إليكم فيه ورفعتم أنسابكم فاليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم : أين المتقون إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى جاء بالإسلام فرفع به الخسيسة ، وأتم به الناقصة ، وأذهب به اللوم ، فلا لوم على مسلم ، إنما اللوم لوم الجاهلية » قال ابن العربى ، وهذا الذى لحظ مالك فى الكفاءة فى النكاح ، روى عبد الله عن مالك : يتزوج المولى العربية - أى يتزوج من كان عبدا وأعتق - الحرة العربية ، واحتج بهذه الآية ، وقال أبو حنيفة والشافعى يراعى الحسب والمال أيضاً .

وفى الصحيح عن عائشة (أن أبا حذيفة ابن عتبة بن ربيعة - وكان ممن شهد بدرا مع النبى صلى الله عليه وسلم - تبنى سالما وأنكحه هندا بنت أخيه الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وهو مولى لامرأة من الأنصار ، وضباعة بنت الزبير كانت تحت المقداد بن الأسود) .

وتزوج بلال بن رباح أخت عبد الرحمن ابن عوف ، فدل ذلك على جواز نكاح المولى العتيق من الحرة العربية ، وإنما تراعى الكفاءة فى الدين ، والدليل عليه أيضا ما جاء فى صحيح البخارى عن سهل بن سعد (أن النبى صلى الله عليه وسلم مَرَّ عليه رجل فقال : « ما تقولون فى هذا ، فقالوا حَرِىٌّ إن خطب أن ينكح ، وإن شفع أن يُشفَّع ، وإن قال أن يسمع » قال ثم سكت ، فمر رجل من فقراء المسلمين فقال « ما تقولون فى هذا » ؟ قالوا حَرِىٌّ إن خطب أن لا ينكح ، وإن شفع أن لا يشفع ، وإن قال أن لا يسمع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا خير من ملء الأرض مثل هذا » .

وقال صلى الله عليه وسلم « تنكح المرأة لمالها ولحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » وقد خطب سلمان الفارسى - وكان من الموالى - خطب إلى أبى بكر ابنته فأجابه ، وخطب بلال بنت البكير فأبى إخوتها ، فقال بلال : يارسول الله : ماذا لقيت من بنى البكير ؟ خطبت إليهم أختهم فمنعونى وآذونى ، فغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أجل بلال ، فبلغهم الخبر فأتوا أختهم فقالوا : ماذا لقينا بسببك ؟ فقالت أختهم : أمرى بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم - فزوجوها .

وروى الدارقطنى من حديث الزهرى عن عروة عن عائشة أن أبا هند مولى بنى بياضة كان حَجَّاما ، فحجم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : مَنْ سرّه أن ينظر إلى من صور الله الإيمان فى قلبه ، فلينظر إلى أبى هند » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انكحوه وانكحوا إليه » أى زوجوه وتزوجوا من أولاده .

وبالجملة فالتقى المؤمن خير من الفاجر النسيب ، فإن كانا تَقِيَّيْن قُدِّمَ النسيب منهما . ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

(سبب نزول الآية)

نزلت هذه الآية فى أعراب بنى أسد بن خزيمة ، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم - فى سنة جدبه ، وأظهروا الشهادتين ،

٢ - متفق عليه ورواه النسائى وأبو داود وابن ماجه عن أبى هريرة ... مجلة الأزهر ..

ولم يكونوا مؤمنين فى السر ، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات ، وأغلوا أسعارها ، وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم - أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان ، فأعطنا من الصدقة ، وجعلوا يمنون عليه ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية ، وقيل غير ذلك فى سبب النزول ، وعلى أى قول فالآية نزلت فى بعض الأعراب لا فيهم جميعاً ، فإن منهم من آمن بالله ورسوله وباليوم الآخر .

(ولكن قولوا أسلمنا)

المقصود بالإسلام فى هذه الآية الاستسلام والخضوع رغبة فى الصدقة ، وخوفاً من القتل والسبى ، وهذه صفة المنافقين ، لأنهم أسلموا بألسنتهم وظاهر طاعتهم ولم تؤمن قلوبهم ، وحقيقة الإيمان التصديق بالقلب ، فهو الذى ينجى يوم القيامة من عذاب الجحيم .

﴿ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

أى وإن تطيعوا الله ورسوله بالإيمان بقلوبكم تقبل أعمال الطاعات منكم ، ولا ينقصكم الله منها شيئاً ، إن الله عظيم الغفران ، فلذا يغفر للتائبين ، واسع الرحمة ، حيث قبل توبتهم وغفر لهم .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ .

إنما المؤمنون حقيقة من صدقوا بقلوبهم بالله ورسوله دون شك ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، رغبة فى مرضاة ربهم وتقوية لدينه ، وحماية من أعداء الحق ، أولئك هم الصادقون فى الإسلام والإيمان ، وهم الجديرون بأحسن الجزاء .

ولما نزلت هذه الآية حلف الأعراب كاذبين أنهم مؤمنون بقلوبهم ، فكشف الله سر هؤلاء المنافقين وأخبرهم أنه يعلم بحالهم فقال :

﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فلا يخفى عليه نفاقكم مهما حلفتم من الأيمان أنكم مؤمنون مخلصون .

ثم وبخهم الله على منّهم بالإسلام على الله حين قالوا لرسوله صلى الله عليه وسلم جئناك مسلمين بالأثقال والعيال ، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان فقال تعالى ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

يزعمون أنهم أسلموا طواعية ، وأنهم منحوك الإسلام مِنَّةً عليك ، قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين فى زعمكم أنكم مخلصون .

ثم ختم الله السورة بتأكيد أنه تعالى عالم بنفاقهم فقال سبحانه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

إن الله يعلم ما غاب واستخفى فى السموات والأرض ، والله بصير بما أخفيتموه من كفركم ، والله تعالى أعلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير

رجال القراءات

الإمام ابن عامر الدمشقى

٤

لفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

نسبه : ورابع رجال القراءات العشر الإمام ابن عامر الدمشقى إمام أهل الشام وقاضيها : عبد الله ابن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبد الله بن عمران اليحصبى - بضم الصاد وكسرها نسبة إلى يحصب بن دهمان بن عامر بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر ، وهو أى عابر - عند بعض المؤرخين - هود - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ..

وقيل يحصب بن مالك بن أصبح بن أبرهة ابن الصباح ، وفى يحصب الكسر والضم ، فإذا ثبت الكسر فيه جاز الفتح فى النسبة ، فعلى هذا يجوز فى اليحصبى الحركات الثلاث ..

وقد اختلف فى كنيته كثيراً ، والأشهر أنه : أبو عمران إمام أهل الشام فى القراءة ، والذى انتهت إليه مشيخة الإقراء بها .

كان تابعياً جليلاً ، إماماً بالجامع الأموى ، فى أيام عمر بن عبد العزيز ، وقبله وبعده ، جُمع له بين الإمامة والقضاء ، ومشيخة الإقراء بدمشق ، ودمشق إذ ذاك دار الخلافة ، ومحط رجال العلماء والتابعين ، وقُدّم على الكوفيين لعلو سنده .

مولده : - وُلد سنة إحدى وعشرين[1] ، ←

(١) ستأتى رواية معزوة إليه هو نفسه تفيد ولادته فى وقت متقدم جداً عن ذلك .

وقال ابن الجزرى : أو ثمان وعشرين من الهجرة على اختلاف فى ذلك .

وفاته : ـ وتوفى بدمشق يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومائة .

قال أبو على الأهوازى : كان عبد الله بن عامر إماماً عالماً ثقة فيما أتاه ، حافظاً لما رواه ، متقنا لما وعاه ، عارفاً فَهِماً ، قيما فيما جاء به ، صادقاً فيما نقله من أفاضل المسلمين ، وخيار التابعين ، وأجلة الراوين ، لا يتهم فى دينه ، ولا يشك فى يقينه ، ولا يرتاب فى أمانته ، ولا يطعن عليه فى روايته ، صحيحُ نقلُه ، فصيحُ قولُهُ . عاليا فى قدره ، مصيباً فى أمرِهِ ، مشهوراً فى علمه ، مرجوعاً إلى فهمه ، لَم يتعد فيما ذهب إليه الأثـر ، ولم يقـل قـولاً يخـالف فيـه الخبر . أ هـ .

وَلِيَ القضاء بدمشق بعد بلال بن أبى الدرداء . قال :

قال ابن الجزرى : إنما تولى القضاء بعد أبى إدريس الخولانى ، وكان إمام الجامع بدمشق ، وهو الذى كان ناظراً على عمارته حتى فرغ .

قال يحيى بن الحارث : وكان رئيس الجامع ، لا يرى فيه بدعة إلا غيرها .

قال خالد بن يزيد : سمعت عبد الله بن عامر اليحصبى يقول : ولدت سنة ثمان من الهجرة فى البلقا بضيعة يقال لها رحاب ، وقبض رسول الله ﷺ ولى سنتان . وذلك قبل فتح دمشق . وانقطعت إلى دمشق بعد فتحها ، ولى تسع سنين . وهذا القول أصح من الذى قبله لثبوته عنه نفسه ، وقد ثبت سماعه من جماعة من الصحابة منهم معاوية ابن أبى سفيان ، والنعمان بن بشير . وواثلة ابن الأسقع ، وفضالة بن عبيد .

شـــيوخــه

أخذ القراءة عَرْضاً عن أبى الدرداء ، وعن المغيرة بن أبى شهاب صاحب عثمان بن عفان . وقيل عَرَضَ على عثمان نفسه ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ .

وعلى قراءة ابن عامر أهل الشام والجزيرة وذلك أعظم دليل على قوتها . وقد أجمع الناس وأهل العلم من الصدر الأول إلى آخر وقت على قبولها وتلاوتها ، والصلاة بها ، وتلقينها مع شدة مؤاخذتهم فى اليسير [حتى تكون دائماً على ما ورثوه عنه ـ رضى الله عنه] . ، ولازال أهل الشام قاطبة على قراءة ابن عامر تلاوة وصلاة وتلقيناً .

روى القراءة عنه عَرْضاً يحيى بن الحارث الذمارى . وهو الذى خلفه في القيام بها ، وأخوه عبد الرحمن بن عامر ، وربيعة ابن يزيد ، وجعفر بن ربيعة ، وإسماعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر ، وسعيد بن عبد العزيز ، وخلاد بن يزيد بن صبيح المرى ، ويزيد بن أبى مالك .

رواته : وأما ابن عامر .

فأول راوييه : أبو الوليد هشام بن عمار ابن نصير بن أبان ، السلمى الدمشقى ، قاضيها وخطيبها . روى أنه ما أعاد خطبة منذ عشرين سنة ، وقدّم لشهرته بالحديث خلافاً « للتيسير » أى لأن أبا عمرو الدانى قدّم عليه فى « التيسير » ابنَ ذكوان . وكان فصيحاً ، واسع الرواية . وقال الدارقطنى : صدوق ، صبور ، كثير المحن .

ومولده سنة ثلاث وخمسين ومائة أيام المنصور ، وتوفى سنة خمس وأربعين ومائتين .

وثانيهما : أبو عمرو عبد الله بن أحمد بن بشير[٢] بن ذكوان ، القرشى الفهرى ، كان إمام الجامع الأموى ، قال أبو زرعه الحافظ الدمشقى فيما قاله ابن الجزرى : لم يكن بالعراق ، ولا بالحجاز ، ولا بالشام ، ولا بخراسان . فى زمان ابن ذكوان . أقرأ عندى منه .

ومولده: يوم عاشوراء سنة ثلاث وسبعين ومائة ، وتوفى فى شوال سنة اثنتين وأربعين ومائتين .

طرق راوييى ابن عامر

فأما هشام فمن طريقين :

الأولى : طريق أحمد بن يزيد الحُلْوانى « السابق فى رواية قالون » .

الثانية : طريق أبى بكر محمد بن أحمد ابن عمر بن أحمد بن سليمان الداجونى ، الرملى ـ الضرير . وكان إماماً جليلاً ، ضابطاً متقناً ، ثقة حافظاً . رحل إلى العراق وأخذ عن ابن مجاهد . وأخذ عنه ابن مجاهد أيضاً .

وتوفى : فى رجب سنة أربع وعشرين وثلاثمائة « برملة لد » عن إحدى وخمسين سنة .

فأما الحلوانى فمن طريقين :

إحداهما : طريق أبى عبد الله الحسين بن على بن حماد بن مهران الرازى ، المعروف بالأزرق الجمال . وكان ثبتا أستاذاً ضابطاً محققاً لقراءة أبى عامر .

وتوفى : فى حدود سنة ثلاثمائة .

ثانيهما : محمد بن أحمد بن عبدان الجزرى ، وهو من رجال « التيسير » . وأخذ القراءة عَرْضاً عن الحلوانى عن هشام .

وتوفى : بُعَيْد الثلاثمائة .

---

(٢) بعض المؤلفات تذكر : ابن بشر ، ففى غاية النهاية لابن الجزرى ١/٤٠٤ ، ابن بشر ويقال بشير ، اهـ نشرة برجستراسر . الخانجى ١٣٥١ .

وأما الداجونى فمن طريقين :

إحداهما : طريق أبى القاسم : زيد بن على بن أبى بلال ـ الكوفى ـ السابقة فى الدورى .

وثانيتهما : طـريق أبى بكـر أحمـد الشذائى .. السابقة فى السوسى .

فاما ابن عبدان عن الحلوانى فمن أربع طرق :

الأولى : السامرى عنه من طريق أبى الفتـح فـارس ، مـن « الشـاطبيـة » و« التيسير » ، ومن تلخيص ابن بُلَيمَةَ .

الثانية عنه : طريق ابن نفيس من عشر طرق : من كتاب تلخيص ابن بليمة ، وطريق ابن شريح ، و« روضة » المعدل ، "وكامل" الهذلى ، قرأوا كلهم على ابن نفيس ، ومن « كفـاية » أبى العـز ، ومن « إعلان » الصفراوى من ست طرق . فصارت إحدى عشرة طريقاً عن ابن نفيس .

الثالثة عنه : طريق الطرسوسى من ثلاثة : من "المجتبى" له ، ومن « العنوان » ، ومن قاصد الخزرجى .

الرابعة : طريق أبى بكر الطحان من كامل الهذلى فتحصل ثمان عشرة طريقاً لابن عبدان ، ـ وثمان وعشرون للحلوانى .

وأما أبو عبد الله الجمال ـ على الحلوانى ـ فمن أربع طرق :

الأولى : طريق النقاش من خمسة عنه ، قرأ بها الدانى على عبد العزيز بن خواستى الفارسى ، ومن « تجريد » ابن الفحام ، و« المصباح » ، "وكامل" الهذلى ، و« المبهج » ، و« تلخيص » أبى معشر . فصارت ست طرق للنقاش .

الثانية عنه : طريق أبى بكر أحمد الرازى ، من « المبهج » قرأ بها على الشريف أبى الفضل ، وكذلك أبو الكرم .

الثالثة : ابن شنبوذ من المبهج أيضاً .

الرابعة عنه : طريق ابن مجاهد من سبعة . فتحصل عشر طرق للجمال .

وأما زيد بن على عن الداجونى فمن ست طرق :

الأولى : من "جامع" الخياط ، ومن "المستنير" من ثلاثة . ومن « روضة » المالكى ، والكافى ، وتجريد ابن الفحام ـ من طريقين ـ "وكفاية" أبى العز ، "وغاية" أبى العلاء ، "وروضة" المعدل .

الثـانية عنـه : طـريق المفسر من « المستنير » .

الثالثة والرابعة والخامسة عنه : طريق ابن خشيش ، وابن الصقر وابن يعقوب الأهوازى ، الثلاثة من كامل الهذلى .

السادسة عنه : طريق أبى الحسن الحمامى من «المصباح».

وأما الشذائى عن الداجونى فمن ثلاث طرق :

الأولى عنه : طريق أبى عبد الله محمد بن الحسين بن آذر بهرام الكارزينى من «المبهج» من ثلاث طرق ، ومن إعلان الصفراوى من طريقين .

الثانية عنه : طريق أبى الحسين على بن محمد الخبازى ، من كامل الهذلى .

الثالثة عنه : طريق أبى الفضل محمد ابن جعفر الخزاعى . من كامل الهذلى أيضاً . فصارت سبع طرق للشاذلى .

وقرأ الداجونى على أبى بكر محمد بن أحمد بن عبد الله البيسانى ، وأبى الحسن أحمد بن محمد بن مَامَوَيْة ، وأبى على إسماعيل بن الحويرسى[٣] الدمشقيين . وقرأ هؤلاء الثلاثة ، والحلوانى على هشام .

فهذه تتمة إحدى وعشرين طريقاً لهشام .

طرق ابن ذكوان

واما ابن ذكوان فمن طريقين :

الأولى : طريق أبى عبد الله هارون بن موسى بن شريك الثعلبى المعروف بالأخفش الدمشقى . وكان شيخ القراء بها . ضابطاً ، متقناً . إليه رجعت الإمامة فى قراءة ابن ذكوان . صنف كتبا كثيرة فى القراءة والعربية . وتوفى سنة اثنين وتسعين ومائتين بدمشق عن اثنين وتسعين سنة .

الثانية : طريق أبى العباس محمد بن موسى بن عبد الرحمن بن أبى عمار الصورى الدمشقى . وكان مشهوراً بالضبط . معروفاً بالإتقان .

وتوفى سنة سبع وثلاثمائة بدمشق .

فاما الأخفش فمن طريقين :

إحداهما : طريق النقاش . وذكر فى رواية البزى .

ثانيتهما : طريق أبى الحسن : محمد بن النضر بن مر بن الحُرّ[٤] بن حسان بن محمد الربعى الدمشقى . عرف بابن الأخرم ـ وكان إماماً ثقة رضيا ـ أجلّ أصحاب الأخفش ، واضبطهم . عارفاً بعلل القراءات ، بصيراً بالتفسير والعربية . متواضعاً حسن الأخلاق .

ومولده : سنة ستين ومائتين .

وتوفى : سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة بدمشق .

(٣) وفى غاية النهاية ابن الحويرس ويقال : ابن الحويرسى .

(٤) وكذا هى مثبتة فى غاية النهاية نشر برجستراسر ـ الخانجى ٢ / ٢٧٠ .

واما الصورى فمن طريقين :

إحداهما : طريق أبى بكر محمد بن أحمد الرملى . وهو « الداجونى » المذكور فى رواية هشام ، وهو فى روايته مشهور بالداجونى ، وفى طريق الصورى الرملى .

ثانيتهما : طريق المطوعى السابق ذكره .

فاما النقاش عن الأخفش فمن عشر طرق :

الأولى : طريق عبد العزيز بن جعفر من الشاطبية والتيسير .

الثانية : طريق أبى الحسن على بن أحمد بن عمر الحمامى . من ثمان طرق : من « التجريد » ، و« روضة » المالكى ، و« جامع » أبى الحسن الخياط و« التيسير » ، و« غاية » أبى العلاء ، و« الارشاد » ، و« الكفاية » ، و« كامل الهذلى » ، وفيها تعددت طرقه ـ فبلغت خمس عشرة طريقاً للحمامى .

الثالثة : عن النقاش : طريق أبى الفرج النهروانى من « المستنير » ، و« غاية » الهمدانى ، و« إرشادى » أبى العز . فهى أربع طرق له .

الرابعة عنه : طريق السعيدي من « كتاب التجريد » .

الخامسة : بكر بن شاذان الواعظ ، من « غاية » أبى العلاء ، ومن كتابى أبى العز فهى ثلاث طرق له .

السادسة : طريق أبى الحسن على بن العلاف ، من « تذكار » ابن شيطا ،

السابعة : طريق إبراهيم بن أحمد الطبرى من « المستنير » .

الثامنة : طريق الشريف أبى القاسم على بن محمد الزيدي من « تلخيص ابن بليمة » ، ومن « غاية أبى العلاء » ، ومن « تلخيص أبى معشر » ، ومن « كامل الهذلى » ، ومن « مصباح أبى الكرم » ، فبلغت خمس طرق له .

التاسعة : طريق أبى أحمد عبد الله بن الحسن العلوى من غاية أبى العلاء . ومن « إرشادى أبى العز » .

العاشرة : طريق أبى بكر أحمد بن محمد الرقى ، من كامل الهذلى ، فتحصل سبع وثلاثون طريقاً للنقاش .

هذا : ولقد بلغت طرق ابن عامر مائة وثلاثين طريقاً مذكورة فى الكتب الكبار .

مذهب ابن عامر فى القراءة

وكان ابن عامر ـ رضى الله عنه ـ يدغم : « اتَّخَذْتُمْ » و« لَتَّخَذْتَ » و« أَخَذْتُمْ » وما أشبه ذلك فيدغم الذال فى التاء فيجعل

الذال تاء مشددة فيها . ويظهر : (عُذْتُ) الدخان ٢٠ ، ويدغم : (لَبِثْتُ) ـ البقرة ٢٥٩ ، ويظهر الثاء فى (أورِثْتُموهَا) ـ الأعراف ٤٣ ، والزخرف ٧٢ ـ ويظهر الذال فى (فَنَبَذْتُهَا) ـ طه ٩٦ ـ ، ويدغم (دال) قد فى (الضاد) مثل : (فَقَدْ ضَلَّ) ـ البقرة ١٠٨ ـ . ولا يستمر على قياس واحد فى (تاء) التأنيث المتصلة بالفعل ، ولا فى (ذال) إذْ .

وكان يدغم : (أَنْبَتَت سَبْعَ) ـ البقرة ٢٦١ ـ ، و(نَضِجَت جُلُودُهُمْ) ـ النساء ٥٦ ـ ، و(حَمَلَت ظُهُورُهُمَا) ـ الأنعام ١٤٦ ـ . ويظهرها عند الجيم فى :(وَجَبَتْ جُنُوبُهَا)ـ الحج٣٦ـ وعند الصاد فى : (حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ) ـ النساء ٩٠ ـ ، وعند السين فى : (مَضَتْ سُنَّتُ) ـ الأنفال ٣٨ ـ ، (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ) ـ يوسف ١٩ ـ وشبه ذلك . وعند الزاى فى : (خَبَتْ زِدْنَاهُمْ) ـ الإسراء ٩٧ ـ ، وعند الثاء فى : (كَذَّبَتْ ثَمُودُ) ـ الشعراء ١٤١ ـ ، والقمر ٢٣ ، والحاقة ٤ ـ ، والشمس ١١ ـ ، ولا يدغمها فى السين إلا فى قوله : (أَنْبَتَت سَبْعَ) وحدها .

وأما دال[5] « قد » فكان يظهرها عند السين من قوله : (قَدْ سَمِعَ) ـ المجادلة ١ ـ ، وعند الشين من قوله : (قد شَغَفَهَا) ـ يوسف ٣٠ ـ وعند الصاد فى قوله : (لَقَدْ صَدَقَ) . ويدغمها فى الضاد من قوله : (فَقَد ضَلَّ) ـ البقرة ١٠٨ ـ ، ويظهرها عند الجيم من قوله : (قدْ جِئْنَاكَ) ـ طه ٤٧ ـ وما أشبه ذلك . ويدغمها فى الظاء مثل (لَقَد ظَلَمَكَ) ـ ص ٢٤ ـ ..

وأما ذال « إذْ »[6] فكان يدغمها فى الظاء مثل قوله : (إذ ظَّلَمُوا) ـ النساء ٦٤ ـ ، وفى الزاى مثل قوله : (وإذ زَّاغَت) ـ الأحزاب ١٠ ـ وفى الدال مثل قوله : (إذ دَّخَلْتَ) ـ الكهف ٣٩ ـ ويظهر فى قوله : (إذْ دَخَلُوا) ـ الحجر ٥٢ ـ ، ويظهرها عند الصاد فى مثل قوله : (وَإذ صَّرَفْنَا إِلَيْكَ) ـ الأحقاف ٢٩ ـ ، ويدغمها فى التاء فى موضع واحد ، ويظهرها عند غيره ، وهو قوله : (إذ تَّقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ)

---

(٥) ادغمها هشام فى حروفها الثمانية ، وهى حروف الصفير وهى : الزاى ، والسين ، والصاد ، والضاد ، والجيم ، واخْتُلِفَ عنه فى (لقد ظلمك) . وادغمها ابن ذكوان فى الذال ، والظاء ، والضاد ، واختلف عنه فى الزاى . انظر النشر ٢/٣ .

(٦) ادغمها هشام فى حروفها الستة ، وهى حروف الصفير ، والتاء ، والجيم ، والدال ، وأظهرها ابن ذكوان عندها . واختلف عنه فى الدال ـ النشر ٢/٣ .

ـ آل عمران ١٢٤ ـ ويظهرها فى قوله : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ) ـ الأنفال ٩ ـ ، و(إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) ـ يونس ٦١ ـ وما أشبه ذلك .

ويظهر (الفاءَ) الساكنة عند الباء مثل قوله : (إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمْ) . ويدغم : (وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا) . ولا يدغم (لام) هل وبل[٧] . فى شىء . ويدغم (بَل رَّانَ) ـ المطففون ٢٤ ـ .

قال أبو بكر : والإدغام : تقريب الحرف من الحرف إذا قرب مخرجه فى مخارج اللسان كراهية أن يعمل اللسان فى حرف واحد مرتين فيثقل عليه ـ وهو عند الخليل إذا أظهر ـ مثل إعادة الحديث مرتين . أو كخطو المقيد .

النون الساكنة والتنوين :

وكلهم يظهر النون الساكنة والتنوين عند الهمزة ، والهاء ، والحاء ، والخاء ، والعين ، والغين .

وروى المسيبى عن نافع : أنه لم يظهر النون الساكنة والتنوين عند الخاء ، والغين ، مثل (هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ اللهِ)[٨] ـ فاطر ٣ ـ . وروى غيره عن نافع الإظهار .

إدغام المتماثلين :

واعلم أن الحرف إذا كان ساكناً ولقيه مثله متحركاً لم يكن إلا إدغام الأول فى الثانى ، لا يجوز إلا ذلك ، مثل قوله : (يُدْرِككُّم الْمَوْتُ) ـ النساء ٧٨ ـ ، و(إِذ ذَّهَبَ) ـ الأنبياء ٨٧ ـ ، و(أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ) ـ الأعراف ١٦٠ ـ وما أشبه ذلك .

الفصل بين المضاف والمضاف إليه فى قراءة ابن عامر رضى الله عنه

قرأ ابن عامر الآية (١٣٧) من سورة الأنعام بهذا الضبط :

﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ فتكون : (زُيِّنَ) مبنياً للمجهول و(قَتْلُ) نائب الفاعل ، وحذف الفاعل ـ وهو الشيطان ـ للعلم به وهذه قراءة متواترة صحيحة قرأها ابن عامر أعلى القراء السبعة سندا .. فإنه قرأ على « أبى الدرداء » و« واثلة بن الأسقع » و« فضالة بن عبيد » و« معاوية بن أبى سفيان » ، بل نقل « الذمارى » أنه قرأ على « عثمان بن عفان » رضى الله عنهم أجمعين .

---

(٧) ابن ذكوان بالإظهار ، وهشام بالخلاف فى غير النون والضاد ـ النشر ٢/٦ .

(٨) وهذه القراءة ليست فى الأحرف السبعة .

وفى هذه القراءة فصل المضاف ، وهو (قَتْلُ) عن المضاف إليه ، وهو (شركائهم) فاعلُ المصدر-بالمفعول به ، وهو (أولادَهم) ، اى على معنى (قتلُ شركائهم أولادَهم) فالشركاء : فاعل المصدر أضيف إليه ، والأولاد : مفعوله .

وكان على نحاة البصرة ، ومن جاراهم من علماء قبل أن ينظروا إلى هذه القراءة انطلاقاً من مذهب البصرة النحوى أن يعلموا أن القراءة - قبل كل شىء - توقيفية متلقاة بسند أمين متواتر متصل برسول الله ﷺ فهى مُوَجِّهَةٌ لقواعد النحو ، وليس مذهبٌ نحوى بعينه موجهاً لها .

يرى نحاةُ البصرة أنه لا يفصل بين المضاف والمضاف إليه إلا فى الشعر بخاصة ضرورةً ، وأنه لا يقع الفصل بينهما فى النثر ، وأنه إذا وقع فى الشعر إنما يقع ضرورة ، وبالظرف أو الجار والمجرور خاصة كقول أبى حية النميرى - من الوافر

كمـا خُطَّ الكتابُ بِكَفِّ - يـوما -
يَهـودِىٍ يقارب او يُـزيل[9]

وقول ذى الرمة - من البسيط :
كأنَّ أصواتَ - من إيغالِهِنَّ بنا
أواخرِ الميس أصواتُ الفراريج

أى بكف يهودى ، وأصوات أواخر الميس ففصل فى الأول بينهما بالظرف - يوما - وفى الأخير بالجار والمجرور - من ايغالهن بنا - .

فى إطار هذا المذهب نظر علماؤه إلى هذه القراءة ، فرأوا الفصل قد وقع فيها بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول فاستبعدوا أن يقع ذلك فى القرآن الكريم ، وأردف بعضهم ذلك بعبارات غير لائقة .. عفا الله عنا وعنهم .

ورأى ابن خالويه والزمخشرى ، ومن جاراهما أن الذي حمل ابنَ عامر على ذلك أنه وجد لفظ (شركائهم) مكتوباً بالياء فى مصاحف أهل الشام .

يريد أن ابا عامر لما رأى (شركائهم) فى هذه المصاحف بالياء اعتبرها (مضافاً إليه) فنصب (أبناءهم) وهذا التحليل من أهل هذا الرأى يوحى بأن أبا عامر نصب هذه اللفظة اجتهاداً ، وهذا منهم عَيْنُ الخطأ ، فالقراءة لا اجتهاد فيها كما سبق أن وضحنا .

ثم إن الفصل بين المضاف والمضاف إليه قد وقع فى الشعر والنثر بغير الجار والمجرور والظرف ، فوقع الفصل بالمفعول به وبالفاعل ، وبالعطف ، وبالقسم ، والجملة الشرطية .

ووقوع الفصل بالمفعول ورد له أكثر من شاهد نجتزىء منه بقول الطرماح بن حكيم - من الطويل :

←

---

(٩) البيت فى الكتابة لسيبويه ١٧٩/١ واورده فى الإنصاف والتصريح يُشَبِّهُ رسوم الديار وقد عبث بها البلى عبث اليهود بالتوراة تحريفا تارة وإزالة اخرى .

يَطُفْنَ بحُوزى المراتع لم تُرَع
بوادِيه من قرع القِسِىَّ الكنائن[١٠] .

فالقسىَّ مفعول (قرع) وقد فصل به بين المضاف والمضاف إليه .

ومن الفصل بالفاعل قوله ـ من الطويل
تَمُر على ما تستَمِر وقد شَفَتْ
غلائلَ ـ عبدُ القَيْس منها ـ صُدُورِها

أى شفت عبدُ القيس منها غلائلَ صدورها .

وبالعطف ، قال الفرزدق ـ من المنسرح :
يا من رَأى عارضاً يسر به
بين ذراعى ـ وجبهةِ ـ الأسدِ

أى بين ذراعى الأسد وجبهته .

ولا عبرة بقولهم بالضرورة ، أو تخريجهم فى العطف بالقول : حذف من الأول لدلالة الثانى عليه أى بين ذراعى الأسد وجبهة الأسد ، فحذف من الأول ، فالعكس هو الأولى قولاً واحداً .

وجاء ـ فى مخطوطة كنز المعانى فى شرح حرز الأمانى ووجه التهانى ـ للإمام الجعبرى الجزء الثانى ص ٤٠٥[١١] وما بعدها أكثر من شاهد على الفصل بين المتضافين مما يدل على كثرته عربية وقد قرىء (فلاتَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدَهُ رُسُلِهِ) .

وروى صاحب المخطوطة ـ رحمه الله تعالى ـ قول النبي ﷺ ص ٤٠٧ .

فهل أنتم تاركو لى صاحبي وتاركو لى أمرائى

ثم قال ، وقال ابن الأنبارى فى كتاب الإنصاف عن الكسائى ، عن العرب :

هو غلامُ ـ إن شاء الله ـ أخيك ، فصل بالجملة الشرطية ، وقال فى « المغرب » : يجوز فصل المصدر المضاف إلى فاعله بمفعوله لتقدير التأخير ، وقال ـ فى « التسهيل » : ويفصل ـ فى السعة ـ بالقسم مطلقاً نحو حكاية الكسائى عنه : هذا غلامُ ـ والله ـ زيدٍ ثم قال : والمثبت راجح على النافى لما عرف فى الترجيح ، أو تساويا .

فكيف ...... وفى المثبت من لا ينطق عن الهوى

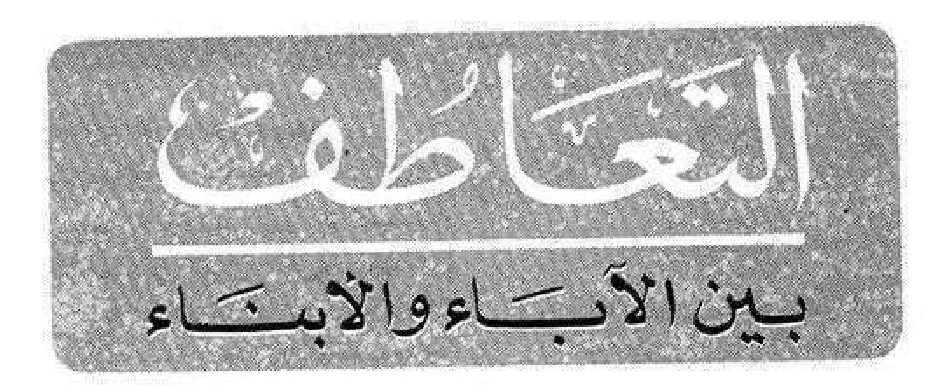
وابن عامر ـ رضى الله عنه ـ قد تلقى بالثقة إلى رسول الله ﷺ ، وهو متقدم على القراء المتوفى سنة سبع ومائتين للهجرة بما يقرب من مائة عام . وليس فى القراء السبعة من هو عربى محض كابن عامر وأبى عمرو بن العلاء .

ومن نحاة البصرة من نزل على الحق ، ورفض منهج أصحابه فى الآية كالعلامة ابن حبان المتوفى ٧٤٥ هـ قال : « فجمهور البصريين يمنعونها : متقدموهم ومتأخروهم ، ولا يجيزون ذلك إلا فى ضرورة الشعر ، وبعض النحويين أجازها ، وهو الصحيح ، لوجودها فى هذه القراءة المنسوبة إلى العربى الصريح المحض ابن عامر الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن فى لسان العرب ، ولوجودها أيضاً فى لسان العرب فى عدة أبيات قد ذكرناها فى كتاب منهج السالك من تأليفنا »[١٢] .

ابراهيم عطوة عوض

---

(١٠) يصف إناث بقر الوحش وقد أحطن بفحلهن آمنات من الصيد .
(١١) للمخطوطة صورة نقلا بالخط بحوزة الكاتب .
(١٢) راجع للدكتور أحمد عبد العزيز عبد الله ـ الفصل بين المضاف والمضاف إليه بمجلة الأزهر عدد محرم ١٤٠٧ ص ٩٧ .



لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

تكوين الأسرة نظام فطرى عرفته الإنسانية منذ أن خلق الله البشر وأسكنهم فى أرضه .. ، وهو من شريعة النبيين والمرسلين منذ أن بعثهم الله مبشرين ومنذرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لأن البيت مستقر وسكن ومثابة وهو المأوى العائلى المؤسس بتشريع إلهى من زوجين كريمين تنبت في ظلهما الذرية وفي جوه تتكيف ، وفي البيت تكمن مؤثرات البيئة : لأن البيت هو الأساس والمقياس ؛ والله تعالى يقول :

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ . . . ﴾

« سورة النحل ـ ٧٢ ـ »

وفي شتى العصور والدهور لا يستطيع إنسان أن يعيش وحده لأن الله خلق الناس ليعمروا الأرض ويستثمروا خيراتها وليأكلوا من طيباتها فلا تستقيم الحياة إلا في جو التعاون فى البيت « وفي المجتمع » في ظل الإيمان ومكارم الأخلاق :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

« سورة الروم ـ ٢١ ـ »

وبحسن اختيار الزوجين يتم التكامل والتكافل العائلى ويتحقق الإحصان والعفاف وسلامة الأنساب نتيجة الزواج السعيد . فإذا صلحت الأسرة صلحت الأمة : وتلك هى سنة رسل الله عليهم السلام والله تعالى يقول :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً . . . ﴾

« سورة الرعد ـ ٣٨ ـ »

←

عواطف الأبوة نحو البنوة

وهذه عواطف الأبوة عند رسل الله عليهم السلام كما جاء في القرآن الكريم ، فهذا سيدنا نوح عليه السلام تتحرك عنده مشاعره الأبوية الغريزية حنوا وعطفاً على ولده يريد إنقاذه بالإيمان من خطر الطوفان فيقول كما قص القرآن :

﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ . . . ﴾

« سورة هود ـ ٤٢ ـ »

ثم تظهر عاطفة الأبوة إشفاقاً على الابن تارة أخرى بصورة أخرى كما يصفها القرآن الكريم :

﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ . قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ . . . ﴾

« سورة هود ـ ٤٥ ـ ٤٦ ـ »

وحب الذرية غريزة طبيعية ، وقد جعل الله للأنبياء أزواجاً وذرية وجعل فى بيوتهم براً ومودة ورحمة فهم القدوة والأسوة الحسنة ، لأن الزواج رباط مقدس وميثاق غليظ يؤسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان : وجعل للأولياء الصالحين والحكماء العلماء النافعين المصلحين أزواجاً وذرية طيبة تنشأ في بيئة مؤمنة صالحة .

أما خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام فيطلب من ربه أن يجعله مقيم الصلاة ومن ذريته فيقول :

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ . . . ﴾

« سورة إبراهيم ـ ٤٠ ـ »

وحينما أودع ابنه إسماعيل الطفل الرضيع عند بيت الله العتيق العريق مع أمه هاجر وسط الصحراء والبيداء وقد أسلم أمرهما إلى الله وقال :

﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ . . . ﴾

« سورة إبراهيم ـ ٣٧ ـ »

ولثقته بربه الذي اتخذه خليلا دعا ربه أن يؤمن مكة لتصبح البلد الأمين ، وطلب من ربه أن يجعل مكة عامرة بسكانها وبقلوب الملايين التى تهوى من كل فج عميق لزيارة الحرم الآمن الذى تجبى إليه ثمرات كل شيء ، وببركة دعوة سيدنا إبراهيم وببركة البيت استجاب رب البيت فأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومنحهم خيراً كثيراً وفضلاً كبيراً والله تعالى يقول :

﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ . . . ﴾ .

« سورة القصص ـ ٥٧ ـ »

ويقول جل جلاله : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ . . . ﴾

« سورة العنكبوت ـ ٦٧ ـ »

وقد تحققت آمال إبراهيم في أحفاده العرب ، وكان سيدنا إبراهيم ـ أيضاً ـ حريصاً على ذرياتهم قبل أن يخلق الله أحفاده من ذرية إسماعيل فتمنى لهم الهداية والرضا وطاعة الرحمن ، وأن يبعث فيهم رسولاً منهم يربيهم ويعلمهم ويزكيهم ويرشدهم ويهديهم إلى صراط مستقيم ، لأن الأنبياء يطلبون الهدى لذرياتهم ، وتلك هى سجيتهم ورسالتهم ومهمتهم هم ومن اهتدى بهديهم واقتدى بأمرهم من اتباعهم المقربين والله تعالى يقول : « في دعاء إبراهيم عليه السلام بهذا » :

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . . . ﴾

« سورة البقرة ـ ١٢٩ ـ »

ولعل سيدنا إبراهيم عليه السلام ـ والله أعلم ـ كان يعتقد أن الأمة الأمية تحتاج إلى العلم والحكمة أولاً ليكون ذلك وسيلة لتزكية النفوس ، ولكن الله العليم الخبير لما أرسل حبيبه محمداً صلوات الله وسلامه عليه رحمة للعالمين قال جل شأنه :

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ . . . ﴾

« سورة البقرة ـ ١٥١ ـ »

ويقول تبارك وتعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ . . . ﴾

« سورة آل عمران ـ ١٦٤ ـ »

كذلك يقول ربنا عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ . . . ﴾

« سورة الجمعة ـ ٢ ـ »

فقدم الله ذكر التزكية على ذكر العلم والحكمة بعد البعثة في الآيات الثلاث وفي كل هذه الآيات البينات تقدم ذكر التلاوة لأن التلاوة أول الطريق لمعرفة دين الله وزيادة الإيمان بالله وحده :

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . . . ﴾

« سورة الأنفال ـ ٢ ـ »

ومن القضايا التى لا جدال فيها أن الذى يستفيد من العلم والحكمة هم أصحاب النفوس الزكية : ولهذا تقدم هنا ذكر التزكية على ذكر العلم والحكمة : والله تعالى يقول :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾

« سورة الشمس ـ ٧ : ١٠ »

←

والرسالة المحمدية كانت للناس كافة رحمة بالبشرية فليس بعد سيدنا محمد رسول وليس بعد كتاب الله كتاب.

« وسيدنا زكريا عليه السلام »

وأما سيدنا زكريا عليه السلام فقد طلب من ربه عز وجل أن يهب له ذرية طيبة فأجاب الله دعاءه وحقق له رجاءه، يقول ربنا :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا . وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا . يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا . يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾

« سورة مريم ـ ٤ ـ ٧ »

ومريم ابنة عمران حينما وضعتها أمها « امرأة عمران » توجهت إلى الله تعالى بالدعاء قائلة : ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . . . ﴾

« سورة آل عمران ـ ٣٦ ـ »

قد طلبت من الله أن يعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم، وأما نبى الله داود عليه السلام فقد كان رسولاً نبياً وكان ملكا تقيا قد اكرمه الله ووهب له ابنه سليمان فقال : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ . . ﴾

« سورة ص ـ ٣٠ ـ »

فكان سيدنا سليمان عليه السلام أيضاً رسولاً وملكا عُلم منطق الطير وسخرت له الريح ومنحه الله ملكاً واسعاً فسيحاً كما جاء في القرآن الكريم ..

« وعباد الرحمن »

وعباد الرحمن الذين اتبعوا النور الذى أنزله الرحمن للهداية ـ يقولون : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا . . . ﴾

« سورة الفرقان ـ ٧٤ ـ »

وهكذا تجد الصالحين ـ دائماً ـ يرجون ذرية طيبة تعرف الله وتؤمن بأن التقوى تنفع الذرية ـ فلا تعصى خالقها طاعة لله واقتداء برسل الله عليهم الصلاة والسلام الذين يقول الله فيهم :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ . . . ﴾

« سورة الحديد ـ ٢٦ ـ »

والله أعلم حيث يجعل رسالته : وهو أعلم بمن اتقى : يعطى ويمنع ويختص برحمته من يشاء ..

والإسلام يفرض على الآباء تنشئة الأبناء على البر والتقوى، لأن رب البيت مسئول مسئولية كاملة عن أسرته، ولأن بيده القيادة والقوامة : وهو صاحب الرياسة يوجه ويربى ويؤدب ويهذب ويعلم ويراقب . أما الأم فهى صاحبة التدبير المنزلى وعليها الرعاية والعناية

بأطفالها الصبية الصغار ، ولابد فى البيت من وجود المودة والرحمة وبذل الجهد لهدوء البال ليطمئن كل من فيه وليسوده الاستقرار والتماسك والتعاون .

وهذا درس أبوى تربوى كريم

لقد أختار الله هذا الدرس الأبوى العظيم ليكون قرآنا كريما يتلى لأنه صادر من لقمان الذى آتاه الله الحكمة ـ ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾ ـ والله يقول : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ . وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ . ﴾

« سورة لقمان ١٢ ـ ١٣ »

ثم هو ينصح ابنه بنصيحة الحكماء العلماء ليكون ابنه نموذجا إنسانيا رفيعا يقتدى به فى الفضائل والشمائل إذا عمل بهذه العظات البالغات التى خلدها القرآن الكريم وكرم الله بها لقمان الحكيم ، فهو يقول :

﴿ يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ . يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ .

« سورة لقمان ١٦ ـ ١٩ »

وبهذه التوجيهات العالية والنصائح الغالية تنتفع الذرية ويستقيم الأمر ويستتب الأمن فى البيت والمجتمعات ، ويزداد المؤمن إيمانا ويقينا وتثبيتا ، ولقد علمه أبوه أن الله سبحانه يعلم السر وأخفى ليراقب ربه وليحاسب نفسه بنفسه التى يقيمها الدين رقيبة تلوم وتحمى صاحبها من الوساوس والهواجس ولتتحصن من شر النزوات والشهوات الضارة والأهواء الخداعة التى تضل عن سبيل الله .

« ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب »

وكان أنبياء الله حريصين على ذرياتهم لتظل التقوى فيهم باقية ليكونوا موصولين بربهم دائما وذلك لإيمانهم بأن من طلب العز بغير الله ذل وبأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ولأن من عمل صالحا فسيحيا حياة طيبة : ولإشفاقهم بذرياتهم يودون لهم السعادة فى الدنيا والآخرة ، والله يقول :

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ . إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

« سورة البقرة ١٣٠ ـ ١٣٣ »

لقد كان سيدنا إبراهيم عليه السلام يقول : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ . . . ﴾

« سورة البقرة ١٢٨ »

التعاطف بين الآباء والأبناء

وكان سيدنا يعقوب عليه السلام ينصح ابنه حبًا له وحرصا عليه من حسد إخوته :

﴿ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ .

« سورة يوسف ٥ »

ولقد كان الرسل قدوة لكل أسرة ـ تؤمن بالله ـ فى سلامة الاعتقاد ومحاربة الإلحاد ووضوح المنهاج ، ولنا فى رسول الله أسوة حسنة حيث يقول ربنا : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ .

« سورة الأحزاب ٢١ »

والرسول هو القدوة المثالية للمسلمين اجمعين هو قدوتهم فى مكارم الأخلاق وفى حسن معاملة الآباء للأبناء ليتخذوا من الإسلام منهجهم ولئلا يتردى المخالف إلى مهاوى التهلكة ومزالق الفتن ماظهر منها وما بطن ، وقد ذهب رجل إلى سيدنا عمر رضى الله عنه يشكو ابنه قائلاً إن ابنى هذا يعقنى فقال له عمر رضى الله عنه : اما تخاف الله فى عقوق ابيك . !!! قال الابن ياأمير المؤمنين : اما للولد حق على أبيه ؟ قال عمر : حقه على أبيه أن يختار أمه وأن يحسن اسمه ، وأن يعلمه كتاب الله . قال الابن : ياأمير المؤمنين : إن أبى لم يحسن اختيار أمى فهى أمة مشتراة (زنجية كانت لمجوسى) ولم يحسن اسمى بل سمانى جعلا أى (جعرانا)ولم يعلمنى شيئاً من كتاب الله ، فالتفت عمر إلى الرجل وقال : تقول ابنى يعقنى ؟ فقد عققته قبل أن يعقك .

« وبالوالدين إحسانا »

يفرض علينا ديننا القيم الإحسان إلى الوالدين وقد اقترنت طاعتهما بطاعة لله فقال جل جلاله : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا . رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ .

« سورة الإسراء ٢٢ ـ ٢٥ »

روى ابن مسعود رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها قلت : ثم أى ؟ قال بر الوالدين ، قلت : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله .

« البخارى ومسلم »

روى أحمد عن أنس رضى الله عنه : أنه عليه الصلاة والسلام قال : من سره أن يمد له فى عمره ، ويزاد له فى رزقه ، فليبر والديه وليصل رحمه » .

وروى الطبرانى عن عائشة رضى الله عنها « أم المؤمنين » أنه عليه الصلاة والسلام قال : (بروا آباءكم تبركم أبناؤكم ، وعفوا تعف نساؤكم) « الطبرانى »

وقد أوجب الإسلام على المسلم أن يحترم والديه بألا يرفع صوته على صوتهما وألا ينهرهما وأن يبر بهما وأن ينفق عليهما إذا كانا فقيرين وأن يتلطف بهما بالود والرأفة والرحمة وأن يدعو لهما : قائلا ربِّ ارحمهما كما ربيانى صغيراً .

التقوى تنفع الذرية

دخل مقاتل بن سليمان على الخليفة أبو جعفر المنصور ـ وكان مقاتل عالما فاضلاً جريئا ـ فقال له عظنى . فقال له : أأعظك بما سمعت أم بما رأيت ؟ قال لا ـ بل بما رأيت . قال والله ـ ياأمير المؤمنين ـ لقد مات هشام بن عبد الملك وكان ميراث إحدى زوجاته الأربع من المال السائل (بخلاف القصور والضياع) ثمانين ألف دينار ، ومات عمر بن عبد العزيز وخلف ستة عشر دينارا ، اشترى كفنا بخمسة وقبرا بأربعة ووزع الباقى على الورثة وكانوا أحد عشر والله ياأمير المؤمنين : لقد رأيت أحد أبناء عمر بن عبد العزيز يحمل على مائة فرس فى سبيل الله من ماله الخاص ، ورأيت أحد أبناء هشام بن عبد الملك يسأل الناس فى الطرقات ثم تلا عليه قول الله جل جلاله :

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾ .

« سورة النساء ٩ »

وشباب الاسلام

وشباب الإسلام هم أحفاد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وخالد وعمر بن عبد العزيز وتلاميذ السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وتابعيهم بإحسان ، فلايكفيهم أن يكون أحدهم قوى المناكب مفتول السواعد ـ وهذا مهم جداً ـ لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ... ولكن لابد من غذاء روحى يعبىء الحياة بالإيمان السليم ويثرى بالخلق القويم ويفجر ينابيع الخير فى نفوس من شاء أن يتزود بخير زاد يعينه على تفهم دينه ومع إيماننا بأن العقل السليم فى الجسم السليم يجب أن يضاف الخلق المتين لأن فى ذلك وقاية من الضرر والخطر وترفعاً عن الخضوع المذل للنزوات والشهوات ، وعلى شبابنا أن يكون نقى السريرة طاهر السيرة ليسلم من الذنوب والعيوب ومن الدنايا والخطايا وليتحلى بالنبل والعفة والعزة والوفاء والإباء والسكينة والوقار والأمانة فى القول والفعل وبالصدق مع الله ومع النفس ومع الناس ، وبالإيثار والعفو والعدل والإحسان ليكون من المتقين الأبرار ومن الطيبين الأخيار الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون .

محمد حافظ سليمان

الإسلام قوة صامدة
وعلم راسخ

أتت هدايات الإسلام من لدن رب العالمين متسمة بالشمول والإحاطة . وإذا كانت أصول هذا الدين هى التى بلغها جميع الأنبياء السابقين إلى أممهم فإن تلك الأصول مع التشريع الذى نزل معها من السماء على النبى الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم هى التى قدر الله جل وعلا أن تصحب سير الإنسان فى الأرض آخر الدهر وأن تنتظم شمل البشر فى القارات الخمس قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[1] ويقول جل شانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾[2] ويقول سبحانه ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[3] .

وعندما ينعم المرء النظر فى أحداث التاريخ يروعه مقدار ما يترك السابقون للاحقين ، فقد استشهد رجال الإسلام الأوائل فى سبيل نشر الدعوة إلى الله ومحاربة الفتنة وأحاطوا غرس الإيمان فى هذه الدنيا بسياج متين من جهادهم ، وجاء أحفادهم وذرياتهم فورثوا الإيمان سهلاً لا ينغصه اضطهاد ولا يطارده إلحاد فاستكانوا لذلك وضعفوا مما مكن أعداء الإسلام من بلاد المسلمين فلم تبق منها واحدة تنعم بقسط من حرية الحكم والسيادة والاستقلال خصوصاً فى القرن التاسع عشر حتى النصف الأول من القرن العشرين .

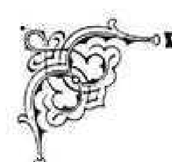
ولقد خيل إلى الناظرين فى ذلك الوقت أن الحاضر والمستقبل جميعاً كانا لأعداء الإسلام فقد جمعوا القوة والعلم والحضارة الحديثة فلا نجاة من قبضتهم للذين حرموا القوة والعلم والحضارة وأصبحوا فى كل منها عالة على المستعمرين .

---

١ - سورة الأنبياء ٢٥

٢ - سورة سبأ ٢٨

٣ - سورة الأنبياء ١٠٧



للمستشار/ محمد عزت الطهطاوى

تراجع الاستعمار وظهور الدول الاسلامية من جديد

لكن برغم استحواذ الاستعمار على سلطان المال والعلم والسلاح فإنه منذ النصف الثانى من القرن العشرين بدأ فى الانحسار وبرزت على الساحة العالمية دول إسلامية لها شأنها واهميتها واستقلالها فى كل من قارة آسيا وافريقيا .

وهذه الدول الإسلامية لا ينظر المؤرخ الباحث فى أطوارها على تعدد ظواهرها وادوارها إلا وجب عليه أن يفترض لها سراً عجيباً كذلك السر العجيب فى صدر الإسلام وهو سر الغلبة من حيث لا تنتظر الغلبة على دولتى العالم فى ذلك الوقت ، دولة الفرس ودولة الروم فى خمس سنوات .

السر العجيب فى وقتنا الحاضر هو فى قوة صمود الاسلام

فقوة (الصمود) فى الإسلام فى زماننا المعاصر هى من العجب بمكان مثلها مثل قوة (غلبة) الإسلام عندما أشرقت على العالم شمسه وأنواره ، بل إن قوة الصمود أعجب من قوة الغلبة لأنها تملك الدفاع ولا مال لديها ولا سلاح ولا اتفاق بينها على الدفاع ، ذلك أن قوة العقيدة قد سرت مسراها فى أرجاء العالم بمعزل عن حروب الدول وسياساتها وعن عروش العواهل وتيجانها .

تفسير ظاهرة الصمود فى عقيدة الاسلام

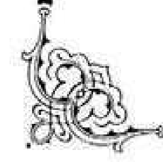
هذا الصمود فى عقيدة الإسلام يفسره أنه عقيدة شاملة فهو يخاطب العقل ولا يقصر خطابه على الضمير والوجدان وهو بذلك حقق الصفة الكبرى للعقيدة الدينية على اتم شروطها من الشمول الذى يحيط بالإرادة والشعور والظاهر والباطن ولا يسمح لجانب من النفس أن يخلو منه ، فالإسلام بهذا الشمول يمثل العقيدة المثلى للإنسان منفردا ومجتمعاً وعاملاً لروحه وجسده وناظراً إلى دنياه كما هو ناظر إلى آخرته .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾[4] ويقول سبحانه : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[5] ويقول جل وعلا : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾[6] .

فشمول العقيدة فى ظواهرها الفردية وظواهرها الاجتماعية هو المزية الخاصة فى

←

٤ - سورة الأعراف ١٦٢ - ١٦٣
٥ - سورة القصص ٧٧
٦ - سورة سبأ ٤٦



العقيدة الإسلامية وهو المزية التى توحى إلى الإنسان أنه كُلٌّ شامل فيستريح من فصام العقائد التى تشطر السريرة شطرين ثم يَعْيَ فى الجمع بينهما .

كيف يمكن إدراك شمول العقيدة الاسلامية

يمكن إدراك شمول عقيدة الإسلام من مراقبة أحوال المسلم فى معيشته وعبادته فهو مستقل بعبادته عن الهيكل والصنم والأيقونة والوثن ، ذلك أن الإسلام عند ظهوره فى القرن السابع للميلاد وقت أن نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمة التوحيد الخالدة (لا إله إلا الله) واجه دولة الكهانة والمراسم من الوثنيين وغيرهم بعلاقة اتباعه المباشرة بالله .

١) ففى عقيدته :

لا تتوقف نجاة المسلم على مشيئة أحد من الكهان فهو من جمهور المسلمين ما دام قد شهد بين نفسه وبين الله خالقه بأن الله واحد أحد لا شريك له وبالرسالة والنبوة لرسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ، دون أن تكون عينا قلبه مشدودتين بشفتى حبر أو كاهن ودون أن يغالى فى شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام فهو يقدر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حق قدره . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾[٧] وقال جل وعلا ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ ﴾[٨] والأمر كذلك فى سائر العبادات تؤدى مرفوعة إلى الله وحده لا شريك له .

ومن عناصر شمول العقيدة الاسلامية أيضا :

١) انها تشمل الأمم الإنسانية جميعاً فليس الإسلام دين أمة واحدة ولا هو دين طبقة معينة وليس هو للسادة المسلطين دون الضعفاء المسخرين ، ولا هو للضعفاء المسخرين دون السادة المسلطين ولكنه رسالة تشمل بنى الإنسان من كل جنس وملة . وقبيل قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾[٩] وقال جل وعلا ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾[١٠] .

٢) لا يختص الإسلام بنعمة هدايته أمة من الأمم لأنها من سلالة ممتازة بل هو لسائر السلالات والأمم قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[١١] وقال جل وعلا ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[١٢] .

٧ ـ الكهف ـ ١١٠
٨ ـ النساء ـ ١٧٠
٩ ـ سورة سبأ ـ ٢٨
١٠ ـ سورة الاعراف ١٥٨
١١ ـ سورة الحجرات ـ ١٣
١٢ ـ سورة الأنبياء ـ ١٠٧

٣) وفى الإسلام يتفاوت الناس فى درجاتهم بالعلم والعمل قال الله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١٣) ويقول جل وعلا ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾(١٤) وقال أيضاً ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(١٥) .

ولكن هل تترك القوى المعادية للاسلام المسلمين وشأنهم بعد قيام دولهم ؟

كلا !

ذلك أنه منذ قامت الدول الإسلامية المستقلة وبرزت على المسرح الدولى خططت القوى المعادية للإسلام بخبث ودهاء للقضاء عليه والخلاص منه حتى تطيح بالمسلمين وبرسالتهم فى مهاوى العدم وجاشت أمانيها الخبيثة تنشد الويل والدمار لقضايا المسلمين الفكرية والاجتماعية ومن أمثلة ذلك :

١) أنه عندما حددت للدويلات الإسلامية الناشئة مسارها قامت تلك القوى فبدأت بأن حذفت الولاء للإسلام من بنائها التربوى والخلقى وسلوكها العام فأضحى الولاء للأرض والجنس فقط وارتفعت أعلام القوميات الضيقة فى أغلب الأقطار الإسلامية دون أن يسمح للإسلام أن يكون جزءاً من مفهوم تلك القوميات فجهل أبناء الإسلام بعضهم بعضا وانقطع كل مسلم عن أخيه المسلم فى دولة أخرى وعامله على أنه رعية دولة أجنبية لا رابطة بينها وبينه ، ولا شعور بالتضامن الإسلامى فيما بينهما .

٢) إذا سمح للإسلام بوجود فبوجود ضعيف فى بعض الأنحاء ، وجود محروم من أسباب النماء والتأثير على حين سخرت عناصر كثيرة لجعل الولاء القومى يتحرك ويتطور ، وبمرور الأيام أخذ الإسلام فى ميدان التربية والسلوك والأخلاق يتراجع وينكمش وأخذت مفاهيم الاستعمار العالمى تملأ الفراغ المتخلف فى تلك الميادين فتكونت أجيال مستوحشة عن دينها أو منكرة له متمردة عليه لا تحمل منه سوى الأسماء الإسلامية وانتشرت بينهم المذاهب الفلسفية والاجتماعية الوضعية التى يدين بها الشرق الشيوعى أو الغرب الصليبى(١٦) .

٣) إن الولاء للإسلام هو حق أمته الكبرى ، وما من شك أن الإسلام فوق القوميات ، ولا قيمة للقوميات بدونه ، فالولاء للإسلام هو حق أمته الكبرى ، وتطبيق شريعته حق لكل مسلم فيها ومما يؤسف له أن ينقاد أعلام من المسلمين المعاصرين لمعتنقات يبرأ منها الإسلام .

←

١٣ ـ سورة الزمر ـ ٩

١٤ ـ سورة المجادلة ـ ١١

١٥ ـ سورة النساء ـ ٩٥

١٦ ـ كتاب (الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر) تأليف الشيخ محمد الغزالى طبعة سنة ١٤٠٥ هـ ـ سنة ١٩٨٥ م تنشره مكتبة وهبة بعابدين بالقاهرة .

الإسلام قوة صامدة وعمر راسخ

٤) كذلك بذل أعداء الإسلام جهدهم بعد سيطرتهم أو سيطرة أذنابهم على مقدرات المسلمين فى تقطيع حقيقته العلمية وإبعادها عن أذهان أبنائه .

٥) ومما أعجز الإسلام عن الحركة الصحيحة أو كاد إضعاف مؤسساته العلمية المالية وإعلان الحرب الخفية والعلنية على ما حبسه أثرياء المسلمين عليها فى شتى العصور من أوقاف خيرية للمؤسسات العلمية وطلبة العلم .. مما أضعف هذه النهضة وذوى بهلها .

٦ ـ ثم شرعت تلك القوى المعادية للإسلام فى تحريك الأقليات الصغيرة فى العالم الإسلامى وتملى لها فى أسباب الدعوى والاغترار وتغريها بالتمرد والانتقاض وتهمس فى ترويج الأكاذيب ضد المسلمين ، ومضايقة المسئولين بشئون مختلفة أو مطالب ليست من حقها فى شىء مع أن هذه الطوائف كانت ولا تزال أسعد الأقليات فى هذا العالم واستمتاع أهلها بالحقوق المادية والأدبية التى يتمتع بها المسلمون ليست موضع ريبة .

٧) ثم كان إقحام (إسرائيل) فى الجسد الإسلامى تقسيما لشطريه وإحياء لولاء اليهودية على ما فيها من عنصرية وعداء لغيرها ، فى نفس الوقت الذى عمل فيه على قهر الولاء للإسلام الذى يحرم العصبية والتفرقة العنصرية .

وبعد :

فإن الذى لامراء فيه أن الإسلام كافح القوى المعادية له وهو أعزل فى نفوس المسلمين لأن عنصر القوة كامن فى طبيعته ، كامن فى بساطته ووضوحه وشموله وملاءمته للفطرة البشرية وتلبيته لحاجاتها الحقيقية ، كامن فى الاستعلاء عن العبودية للبشر بالعبودية لله رب البشر . وفى رفض التلقى إلا منه ورفض الخضوع إلا له من دون العالمين ، كامن كذلك فى الاستعلاء بأهله على الملابسات العارضة كما حدث للمسلمين عند خضوع دولهم تحت سلطان المستعمرين والمتسلطين فهذا السلطان ظل خارج نطاق الضمير مهما اشتدت وطأته ومن ثم لم تقع الهزيمة الروحية على المسلمين طالما عمر الإسلام القلب والضمير وإن وقعت الهزيمة الظاهرية فى بعض الأحيان .

وبرغم هذا كله :

فإن الذى لامراء فيه أن المستقبل للإسلام لأن دوره المرتقب فى إصلاح البشرية لا تملك عقيدة أخرى كما لا يملك منهج آخر أن يؤديه .

١ ـ فهو القادر على إنقاذ البشرية بما يملكه من طاقات روحية قادرة على تخليصها من أخطار حضارة الغرب المناقضة لفطرتها .

٢ ـ وهو القادر على منحها المنهج الملائم لفطرتها وفقا لاحتياجاتها الحقيقية .

٣ ـ وهو وحده الذى يملك أن يقيم لها نظاماً واقعياً للحياة ينسق لها فيه ما تحتاجه من خطى الإبداع المادى ، وخطاها فى

الاستشراف الروحى الذى لم تعرفه البشرية فى تاريخها الطويل إلا فى النظام الإسلامى .

ولا أدل على ذلك من الاستشهاد بذكر جزئية صغيرة من هذا المنهج الربانى الكامل ، ذلك أن أحدث النظريات التى ينتهى إليها فقه القانون الغربى الحديث فى كل فروعه وكان للوصول إليها دوى كبير بدعوى أنها ابتكار فى العلم ليس له نظير ، ولم يكن ابتكارا فى شىء راسخ فيما قرره الإسلام مثال ذلك فى القانون المدنى **نظرية التعسف فى استعمال الحق** - فهى تطبيق للحديث النبوى الشريف **(لا ضرر ولا ضرار)**[17] .

وقد سبق أن كتب المرحوم المستشار الدكتور عبد السلام ذهنى فى الجريدة القضائية سنة ١٩٣٧ م مقالاً تحت عنوان (تجميع القوانين والشريعة الإسلامية) ورد فيه قوله (لما كنت بمدينة ليون بفرنسا بقسم الدكتوراه من سنة ١٩١١ إلى سنة ١٩٢٠ كان استاذنا مسيو لامبير Lambert يرى الفقه الإسلامى فى المعاملات كنزاً لا يفنى ومعيناً لا ينضب وكان يشير على الطلبة المصريين بالرجوع إليه لوضع رسائلهم فى الدكتوراه فى مواضيع عن الشريعة الإسلامية وفعلاً وضع المرحوم الدكتور محمد فتحى رسالته للدكتوراه عن مذهب الاعتساف (أى التعسف) فى استعمال الحق والخروج عما شرع له عند فقهاء الإسلام ، وما كادت الرسالة تطبع فى كتاب حتى نفدت فى ستة أشهر وكتبت عنها المجلات القانونية فى أوروبا كثيراً وأشادت بعظمة التشريع الإسلامى[18] .

ومما كتبه الفقيه الألمانى (كوهلر) فى مقال له (إن الألمان كانوا يتيهون عجباً على غيرهم لخلقهم (نظرية الاعتساف فى استعمال الحق) وإدخالها ضمن التشريع القانونى المدنى الألمانى الذى وضع سنة ١٩٠٧ وقد ظهر كتاب الدكتور محمد فتحى وأفاض فى شرح هذه النظرية نقلاً عن رجال الفقه الإسلامى لذلك فإنه يجدر بعلماء القانون الألمان أن يتنازلوا عن المجد الذى نسبوه لأنفسهم ويعترفوا بالفضل لأهله وهم فقهاء الإسلام الذين عرفوا هذه النظرية وأفاضوا فى الكلام عنها قبل الألمان بعشرة قرون)[19]

وليس لنا من تعليق على ذلك إلا أن نردد قول الله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[20] .

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

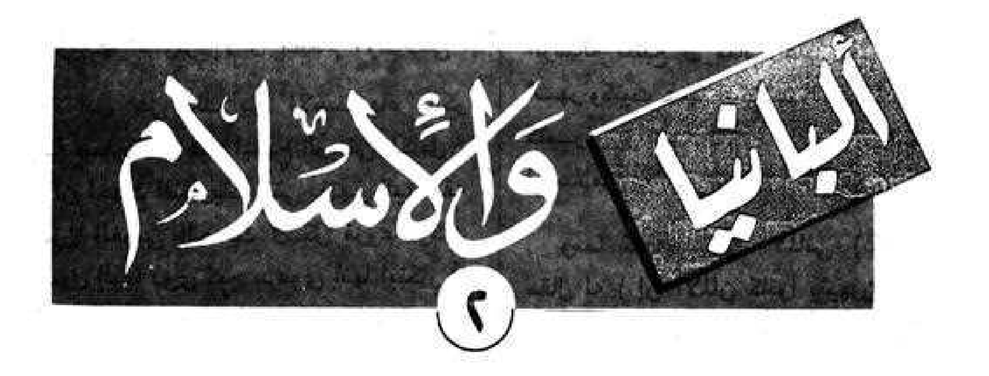
---

١٧ ـ رواه ابن ماجه والدارقطنى وغيرهما مسند أو رواه مالك فى الموطأ مرسلا هذا ما أورده الإمام محيى الدين النووى فى متن الاربعين حديثا النووية وقال حديث حسن.

١٨ ـ كتاب تأملات فى الشريعة الإسلامية تأليف المستشار محمود الشربينى نائب رئيس مجلس الدولة طبعة سنة ١٩٨٧ م الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٩ ـ المرجع السابق .

٢٠ ـ سورة فصلت ٥٣ .



ذكرنا فيما سبق أن كراهية الشعوب البلقانية للشعب الألبانى بدأت ببدء هجرة هذه الشعوب إلى البلقان قبل الميلاد بخمسة قرون تقريبا واستيلائها على الأراضى التى كان الشعب الألبانى قد وضع يده عليها حينما نزح إلى البلقان التى كانت خالية من السكان ، فانتشرت القبائل الألبانية فى ربوعها وكانت هذه الكراهية تختفى مرة ثم لا تلبث أن تطفو فوق السطح . لكن بعد الفتح العثمانى واعتناق الشعب الألبانى الإسلام وقيامه بحماية الإسلام من الشعوب البلقانية أربعة قرون ، كل ذلك جعل هذه الكراهية تتعمق جذورها فى نفوس هذه الشعوب ، وتتحين الفرص للانتقام من الألبانيين .

بعد الحرب البلقانية إلى اليوم :

ولما بدأت الشيخوخة تظهر على الدولة العثمانية فى القرن التاسع عشر ولقبت بالرجل المريض أخذت هذه الشعوب تتصل بالدول الغربية الكبرى التى لم تكن تخفى بغضها للإسلام تطلب منها المساعدة حتى تتمكن هذه الدول من الهجوم على العثمانيين فى البلقان وطردهم منها وتقسيم ممتلكاتها ـ بما فيها الأرض الألبانية ـ بينها . ظهر ذلك جليا خلف « كواليس » مؤتمر برلين الذى انعقد فى سنة ١٨٧٨ ميلادية .

عقب هذا المؤتمر اجتمع زعماء ألبانيا فى مدينة « برزرين » واتفقوا على مطالبة الحكومة العثمانية بمنح الشعب الألبانى الحكم الذاتى مع بقائه مربوطا بالدولة وكان الغرض من ذلك إفهام الشعوب البلقانية ومن وراءها بأن الأرض الألبانية ليست من ممتلكات الدولة العثمانية .. وافقت الحكومة العثمانية أولا ثم سحبت الموافقة بعد ذلك



لفضيلة الشيخ
توفيق إسلام يحيى

لأسباب لا نعلمها . ثم فكرت ألدول البلقانية وتدبرت وقررت أنها لا تضمن النجاح طالما كان السلاح بأيدى الألبانيين ، من هنا ظهرت فكرة تجريد الألبانيين من السلاح لتسهيل مهمة الدول البلقانية وبلور الغرب هذه الفكرة بأساليب المكر والخداع والدهاء على أنها تخدم الدولة العثمانية فى ضبط الأمن ودعم الاستقرار بعد أن قام فعلا بعض الزعماء الألبانيين يطالبون بالحكم الذاتى .

استطاعت الدول الغربية توصيل هذه الفكرة إلى زعماء الاتحاد والترقى وتجنيدها على اعتبار أنها ستؤدى إلى ضبط الأمن ودعم الاستقرار . ابتلعت حكومة الاتحاد والترقى هذه الطعمة لحداثة عهد رجالها بأساليب سياسة المكر والخداع فأرسلت فيالق إلى البلقان لتجريد المسلمين الألبانيين من السلاح ، واستخدمت أبشع الوسائل فى سبيل ذلك وأريقت الدماء وساءت العلاقات ، لكن الحكومة كانت تظن أنها الطريق الوحيد لحفظ الأمن وضبط الاستقرار .

ولما تأكدت الدول البلقانية من سحب السلاح من الألبانيين هجمت على الدولة العثمانية فعجز جيشها عن المقاومة بدون مساعدة الألبانيين فانسحب من البلقان بعد حكم دام اكثر من اربعة قرون .

أسرعت الدول البلقانيـة إلى احتلال الأراضى الألبانية طبقا للخطة التى كانت قد وضعتها . ولما رأى زعماء البانيا ماسيحيق بها اجتمعوا فى (فلونا) - كبرى مدن الجنوب - يوم ١٩١٢/١١/٢٨ برياسة السياسى المحنك ونائب فلونا بالبرلمان العثمانى (إسماعيل كمال بك) فأعلنوا استقلال ألبانيا عن الدولة العثمانية ورفعوا علم ألبانيا فى (فلونا) وغيرها من البلاد ، وشكلوا حكومة مؤقتة برياسة « إسماعيل كمال بك فطالبت الدول البلقانية بالانسحاب من الأراضى الألبانية التى احتلتها لأنها ليست ممتلكات عثمانية لكن البغض والعداوة والكراهية كل ذلك أدى أدواراً فى ضياع ثلثى أراضى ألبانيا ، وذكر الحركات والحوادث والألاعيب التى حصلت بين سنة ١٩١٢ إلى سنة ١٩٢١ لتحديد حدود ألبانيا تحتاج إلى مئات الصفحات . ولولا مساعدة الدولة النمساوية من ناحية ، وتدخل الرئيس (ويلسن) الأمريكى لفقدت ألبانيا إلى الأبد .

وكان تدخل الرئيس الأمريكى هو السبب المباشر لحمل مهندسى معاهدة فرساى على تقسيم ألبانيا إلى ثلاثة أقسام :

١ - القسم الأول : هو ألبانيا الرسمية المعترف بها دولة مستقلة .

٢ - القسم الثانى : هى المنطقة المعروفة بـ « تشاموريا » أو بولاية « يانينا » ويطل ساحلها على جزء من البحر الأبيض المتوسط إلى أن يتصل بمدخل بحر « الأدرياتيك » وتمتد إلى الشمال الشرقى حتى تصل إلى ما وراء سلانيك بقليل .



ألبانيا والإسلام

٣ ـ القسم الثالث : هي المنطقة التي يطل ساحلها على بحر « الأدرياتيك» وتلتف حول البانيا الرسمية إلى أن تتصل بالمنطقة الألبانية وراء مدينة سلانيك ثم قرر مؤتمر فرساي ضم القسم الثاني ومساحته حوالى ثلث مساحة ألبانيا الرسمية إلى اليونان .

وقرر ضم القسم الثالث ومساحته تزيد على مساحة ألبانيا الرسمية إلى مملكة الصرب .

●● ●● ●●

والكلام عن « ألبانيا والإسلام » بعد الحرب البلقانية يدور حول مرحلتين .

المرحلة الأولى : « ألبانيا والإسلام » بين الحربين العالميتين .

المرحلة الثانية : « ألبانيا والإسلام » بعد الحرب العالمية الثانية .

(الإسلام والألبانيون في المنطقة التي ضُمت إلى اليونان) علمنا أن هذه المنطقة احتلتها اليونان في الحرب البلقانية ، وأقرت معاهدة (فرساي) ضمها إلى اليونان . ومن يوم الاحتلال إلى الآن أقامت الدولة اليونانية حولها ستاراً حديدياً لا يدخلها أجنبي ، ولا تخرج منها أخبار عما حدث ويحدث فيها مع المسلمين الألبانيين رغم مبادرة الحكومات اليونانية المتتابعة إلى إظهار تعاطفها مع المسلمين في الشرق الأوسط ومع عرب فلسطين .

وإذا كان الإخوة المسلمون أو بعبارة أوضح : إذا كان أعضاء الهيئات الإسلامية في العالم الإسلامي لا يسألون عما حل بإخوتهم فلا غرابة إذا أقامت الحكومات اليونانية المتتابعة حولها حصاراً لمنعهم من الاتصال بالعالم الإسلامي من جهة ، وإيهام العالم الإسلامي من جهة أخرى بأن لا وجود للإسلام في المنطقة الغربية المتاخمة لحدود ألبانيا الرسمية . وليس لنا إلا أن نتجه إلى الله « تعالى » ونقول بكل مشاعرنا وأحاسيسنا : « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

الاسلام والألبانيون في المنطقة التي ضمت إلى الصرب والجبل الأسود

كانت دولة يوغوسلافيا في العشرينيات معروفة باسم دولة الصرب والكروات والسلوفان . ولم يكن هذا الاسم يشمل كل الشعوب التي تعيش داخلها ومن بينها شعب الجبل الأسود . لذلك غيرت الدولة اسمها إلى اسم دولة يوغوسلافيا لتشمل كل الشعوب التي تعيش داخلها .

الألبانيون والاسلام في يوغوسلافيا بين الحربين العالميتين

كانت الدولة اليوغوسلافية بعد الحرب العالمية الأولى ضد الشيوعية لذلك كانت تحترم الأديان المختلفة ومن بينها الإسلام ، غير أنها كانت تعامل المسلمين الألبانيين في الأمور الدنيوية معاملة سيئة جداً خلاف معاملتها لمسلمي بوسنة وهرسك لاتفاقهم مع الصربيين في الجنس واللغة وإن اختلفوا معهم في الدين .

بدأت فى أول الأمر تصادر أراضي المسلمين الألبانيين وتملكها للنصارى الذين تجلبهم من الجبل الأسود بقصد حملهم على الهجرة وترك أراضى الآباء والأجداد للصربيين . ولما رأت المملكة اليوغوسلافيـة أن أكثر أراضى الألبانيين صودرت ومع ذلك رفضوا الهجرة متمسكين بالهواء الموجود فوق الأرض حاولت نقلهم إلى تركيا على اعتبار أنهم من بقايا آل عثمان .. وذهب فعلا فى أواخر الثلاثينيات رئيس وزراء يوغوسلافيا فى ذلك الوقت المعروف بـ « ستويا دينوفيتش » بنفسه إلى تركيا للاتفاق مع تركيا على نقل المسلمين الألبانيين إليها على أن يكون نقلهم وتوطينهم على نفقة المملكة اليوغوسلافية ، لكن الدولة التركية رفضت ذلك لعلمها بعواقبها ، ثم قامت الحرب العالمية الثانية وبدأ عهد جديد سنتكلم عنه بالتفصيل بعد بيان حالة الإسلام والمسلمين الألبانيين فى فترة ما بين الحربين العالميتين .

قلنا : إن المملكة اليوغوسلافية كانت تعترف بالأديان المختلفة ومنها الإسلام . ونص دستور المملكة على أن جميع مسلمى يوغوسلافيا يكونون طائفة دينية مستقلة لها رئيس أعلى يطلق عليه لقب « رئيس العلماء » يساعده فى إدارة شئون المسلمين مجلسان من العلماء مقر أحدهما بسرايفو - عاصمة البوسنة والهرسك - ومقر الآخر « أسكوب » عاصمة مسلمى يوغوسلافيا الألبانيين .

كان يتولى رئيس العلماء بمساعدة مجلسى العلماء إدارة جميع الشئون الدينية إلا القضاء الشرعى الذى كان يخضع لوزارة العدل فى كل محكمة جزئية يوجد فى دائرة اختصاصها مسلمون البانيون فى الجنوب - وكذا فى البوسنة والهرسك - كان يتعين وجود قاض شرعي بها للفصل فى قضايا الأحوال الشخصية .

وكان فى « أسكوب » محكمة كلية شرعية للنظر فيما يحول إليها من أحكام القضاة الجزئيين . وكان يساعد مجلس العلماء مجلس لـلأوقاف يتـولى إدارة الأوقاف الإسلامية وتحصيل ريعها ، ويتسلم من وزارة المالية المبلغ المرصود فى الميزانية العامة لمساعدة إدارة الشئون الدينية ، ويضع هذا المجلس الميزانية طبقا للبنود التى يقررها مجلس العلماء . وهذا المجلس هو الذى كان يتولى تعيين أئمة المساجد الرسمية - وكان عددهم فى الجنوب أكثر من أربعمائة وخمسين إماما - وتعيين الوعاظ وذلك بعد صدور موافقة مجلس العلماء . وهذا المجلس كان يتولى صرف مرتبات الأئمة والوعاظ طبقا للكادر الرسمى كما يصرف إعانات شهرية للمؤذنين ، ويصرف منحا للطلاب الحاصلين على الثانوية بامتياز وغير قادرين ماليا على الالتحاق بالجامعة فى بلغراد ويصرف منحا أو مساعدات للطلاب المبعوثين إلى الأزهر الشريف .

التعليم الدينى وأنواعه

كان التعليم الدينى أهم ما يشغل أعضاء

←

مجلس العلماء ، ونستطيع أن نقسم هذا التعليم إلى أربعة أنواع :

النوع الأول : التعليم الدينى الأولى .

وهو عبارة عن تعليم الأطفال من بنين وبنات من السن الخامسة إلى السابعة الديانة الإسلامية فى مدارس خاصة كانت تسمى « مكاتب الصبيان » فى بحر هاتين السنتين كان الأطفال يتعلمون القراءة والكتابة ، ويختمون القرآن الكريم مرة واحدة مع حفظ السور القصيرة ، ويتعلمون كيفية الوضوء والغسل والتيمم وشروط الصلاة وعدد الصلوات المفروضة وركعات كل صلاة منها وأركانها وواجباتها وكان عدد هذه المكاتب فى الجنوب يزيد على خمسمائة مكتب . وكان مجلس الأوقاف يمنح القائمين بالتدريس فيها فى بعض المناسبات مكافآت مالية .

النوع الثانى : التعليم الدينى المتوسط .

وكان فى العاصمة « أسكوب » مدرسة ـ معهد ـ « غازى عيسى بك » وهى مدرسة داخلية تحت إشراف مجلس الأوقاف الأعلى وعلى نفقته تعليما ومطعما ومشربا وكسوة . ومدة الدراسة بها خمس سنوات .. يدرس الطلاب بها العلوم العربية والدينية والعلوم الحديثة ولغة أجنبية .

النوع الثالث : التعليم الدينى المميز وفوق المتوسط .

وكان له مدرسة فى العاصمة « أسكوب » اسمها « مدرسة الكسندر الأول » وهى أيضا مدرسة داخلية تحت إشراف الحكومة وعلى نفقتها . ومدة الدراسة بها ثمانى سنوات . وكان اعتناء وزارة المعارف اليوغوسلافية بهذه المدرسة يفوق الوصف لدرجة أن أغلب أعضاء هيئة التدريس بها فى العلوم العربية والدينية والعصرية كانوا من الحاصلين على درجة الدكتوراه أو دبلوم فى الدراسات العليا مع أنها كانت مدرسة ثانوية .

النوع الرابع : التعليم الدينى الخاص .

كان له فى أغلب المدن الكبيرة معاهد دينية حرة يدرس الطلاب فيها العلوم العربية والدينية بدءاً بالصرف وانتهاءً بالتوحيد . وكان الكتاب المقرر فى التوحيد العقائد النسفية وكان المدرسون فى هذه المعاهد يقومون بالتدريس فيها حسبة لله « تعالى » ، وكان طلابها كذلك يتلقون العلوم حسبة لله « تعالى » لهذا كان خريجوها أهل علم وفضل وتقى . إلى هذه المعاهد يرجع الفضل فى إشراق الإسلام على هذه الربوع ورسوخه فى قلوب الألبانيين . وفى سنة ١٩٢٠ ميلادية جاء خريج من هذه المعاهد إلى الأزهر الشريف عملا بقوله تعالى : « .. رب زدنى علما » وفى السنة التالية قدم طلبا للدخول فى الامتحان ، فأعجبت اللجنة الممتحنة به أيما إعجاب لدرجة أنها لم تستطع أن تخفى هذا الإعجاب

بل أفصحت عنه بتهنئته بالنجاح . والدعاء له بالتوفيق فى مسعاه .

والعلماء وإن قل إيرادهم كانوا يهتمون باقتناء الكتب العلمية النادرة وضمها إلى مكتباتهم الخاصة فإذا زرت أى عالم فى منزله بهرت بالكتب العلمية التى تجدها عنده فى العلوم المختلفة كالصرف والنحو والبلاغة والمنطق والتفسير والحديث والفقه الحنفى وأصول الفقه ومصطلح الحديث والتوحيد والحكمة وعلم الوضع والعروض والقافية والمعاجم حيث كان العالم يوفر من قوت يومه ليشترى كتابا علميا قيما بخلاف المكتبات العامة الزاخرة مثل « مكتبة غازى عيسى بك » و « مكتبة اسحق بك » . وغيرهما .

بعض المظاهر الاسلامية فى البلاد التى بها أغلبية إسلامية ألبانية !

أولا : المساجد :

بمجرد اجتياز القادم حدود اليونان إلى جنوب يوغوسلافيا يواجه بقرى ومدن بها مساجد بمآذن عالية يخيل إليه أنه فى بلاد الشرق الإسلامى . وبالجنوب يزيد عدد المساجد على ألف ومائتى مسجد ، بعضها مبنى على الطراز التركى الفاخر .

ثانيا : الاحتفال بالأعياد والمواسم :

يحتفل المسلمون الألبانيون بعيدى الفطر والأضحى فتتعطل الأعمال التجارية وكذا الإدارات المدنية التى يكون أغلب موظفيها من المسلمين يتزاور الأقارب والأصدقاء طوال أيام العيدين . ويحتفلون أيضا بشهر رمضان المبارك حيث تتزين المحلات التجارية ، وتستعد المساجد لاستقبال المصلين الذين يبكرون بالحضور للاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم قبيل الصلوات ثم حضور الدروس الدينية بعدها ، وتضاء المآذن طوال ليالى رمضان حتى الفجر .

ولكل مسجد فى بعض المدن صالة كبيرة ملحقة بالمسجد لأداء الصلوات بها أيام الشتاء القارس حيث يمكن تدفئتها بسهولة دون المسجد الواسع العالى السقف . ويجتمع كبار رجال الحى الذى يقع به المسجد بعد صلاة التراويح فى هذه الصالة حتى قبيل السحور ، تقام بها ندوات دينية ، ويجيب الإمام على الأسئلة التى يوجهها إليه المترددون لقضاء بعض الأوقات ويتكرر تقديم التحيات للحاضرين والمترددين حيث يقوم رجال الحى بتزويد الصالة بما تحتاج إليه من وقود وسكر ونحوهما ويحتفلون كذلك بيوم

ألبانيا والإسلام

المولد النبوى الشريف احتفالا رائعا . ويستمر هذا الاحتفال طوال شهرى الربيعين . ويحتفلون بليلة الإسراء ونصف شعبان وليلة القدر ويوم عاشوراء ، وتضاء مآذن المساجد طوال ليالى هذه المواسم .

ثالثا : من المظاهر الدينية الرائعة توديع الحجاج إلى بيت الله الحرام واستقبالهم ويعتبر يوم توديع الحجاج ويوم استقبالهم من الأيام التاريخية السنوية . وهناك مظاهر إسلامية أخرى كثيرة مثل الاحتفال بختان الصبيان قياما بالسنة النبوية الكريمة . ولكن نكتفى بذكر ماسبق حرصا على عدم الإطناب .

اتصال مسلمى يوغوسلافيا الألبانيين بالعالم الاسلامى

بالرغم من الظروف السياسية والاقتصادية القاسية التى كان يعانيها هؤلاء المسلمون فإنهم لم يألوا جهداً فى الاتصال بالعالم الإسلامى وإظهار شعورهم بأنهم متضامنون معه فى كل كبيرة وصغيرة ؛ وتم هذا الاتصال بطرق متعددة .

أولا : تشجيع الميسورين على أداء فريضة الحج ، فلم يكن يقل عدد الحجاج عن ١٥٠ حاجا فى السنة ، وأكثرهم كانوا يقومون بالاتصال مع الحجاج الوافدين من الأقطار الأخرى للتعارف وتبادل المعلومات .

ثانيا : اشتراكهم فى المؤتمرات التى كانت تعقد للنظر فى شئون العالم الإسلامى . فحينما انعقد مؤتمر العالم الإسلامى بفلسطين سنة ١٩٣١ برياسة المجاهد الإسلامى الكبير الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين الأكبر رحمه الله ، مَثَّل المسلمين الألبانيين فى هذا المؤتمر وفد برياسة سماحة (الشيخ ويسل عالى شان) رئيس مجلس علماء مسلمى جنوب يوغوسلافيا الألبانيين وعضوية فضيلة (الشيخ عطا الله قورتيش) وآخرين .

ولما انعقد المؤتمر البرلمانى الإسلامى فى مصر سنة ١٩٣٨ للنظر فى مشكلة فلسطين اشترك فى هذا المؤتمر وفد برياسة النائب المحترم المرحوم (شريف فوسا) ممثلا نواب جنوب يوغوسلافيا الألبانيين فى هذا المؤتمر .

ثالثا : إرسال أبنائهم إلى الأزهر الشريف (ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) وللإبقاء على قنوات الاتصال بالعالم الإسلامى مفتوحة

توفيق إسلام يحيى

النظام السياسى فى إسرائيل

تأليف الدكتور/ فوزى محمد طايل
المستشار بالخارجية المصرية

عرض الدكتور/ عباس رشدى العمارى

« النظام السياسى فى إسرائيل » دراسة جادة ، وإضافة علمية إلى المكتبة العربية فى وقت هى فى أمس الحاجة فيه إلى رؤية متكاملة إلى تلك الظاهرة السياسية التى عرفها القرن العشرون باسم إسرائيل بأبعادها التاريخية والسياسية والقانونية والاجتماعية والاقتصادية فى إطارها « الايديولوجى » الصحيح ، وسماتها الحقيقية الكامنة وراء أقنعة مختلفة من الشعارات الزائفة ، وذلك من خلال تحليل موضوعى دقيق لا يخضع الحقائق للتهوين أو التهويل الناجمين عن الحماس العاطفى .

هذا هو ما حاوله الكاتب واعتقد أنه نجح فى تحقيقه إلى حد بعيد من خلال استخدامه لمناهج علمية معتمدة (التاريخى ، والوصفى والتحليلى) التى استخدمها ببراعة مشهودة ودونما افتعال فى مواضعها الصحيحة وهو يعالج هذا الكم الزاخر من القضايا التى تصدى لها فى دراسته ، وهى الدراسة التى تزود لها برصيد هائل من المعلومات التى استمدها من ستة وأربعين مرجعاً باللغتين العربية والانجليزية ، وقدمها لنا فى ست وأربعين ومائة صفحة من القطع الكبير مصنفة فى أربعة أبواب عالجت على التوالى « مقومات النظام السياسى الإسرائيلى » ، و« المؤسسات السياسية فى إسرائيل » و« النظام الإسرائيلى أثناء العمل » ، و« طبيعة النظام السياسى فى إسرائيل » . وثمة ظاهرة بارزة بالكتاب هى

←

حرصه الدائب على تجاوز حدود الشكل والنفاذ إلى الجوهر أو المضمون الكامن وراء الشكل ، ومن ثم نجده لا يقنع فى دراسته هذه بالحديث عن الأيديولوجية الصهيونية على النحو الذى قدمت عليه فى العديد من الكتابات على أنها عقيدة قومية واكبت ظاهرة بزوغ القوميات فى القرن التاسع عشر ، ولا يقنع بالفصل التقليدى بين اليهودية والصهيونية ، وإنما يؤصل لنا برؤية متعمقة مكان اليهودية فى أساس البناء الأيديولوجى للصهيونية وانعكاسات هذه الحقيقة على صميم حياة المجتمع الإسرائيلى فهو يعرف لنا الصهيونية على أنها : « الوجه السياسى لليهودية » ، ومن ثم فليس هناك مجال للقول بعلمانية الدولة ، ذلك أن قيام الدولة الإسرائيلية فى الأرض المقدسة كان هدفاً دينياً فى المقام الأول منذ خروج بنى إسرائيل من مصر ، وإن محاولة الإيعاز بعلمانية الدولة كانت هى السبب وراء تأجيل الموافقة على مشروع الدستور الإسرائيلى الذى أعده الدكتور « ليو كوهين » بعد أن أصر المتدينون على إدراج عبارة « الإله القوى القادر » فى ديباجته واعتراض العلمانيين على ذلك ، وقد كان من المرجح أن ينتصر الأولون لولا الخشية من اتهام الغرب لإسرائيل بالعنصرية ، وبكونها دولة ثيوقراطية متدينة ، ويفسر كاتبنا العديد من مظاهر الحياة الأخرى فى إسرائيل على ضوء الأساس الدينى الذى جعل منه ، أو بالأحرى : اكتشف فيه ، وبحق ، حجر الزاوية فى البناء الأيديولوجى للصهيونية ؛ ومن قبيل ذلك غلبة الطابع الاشتراكى على توزيع الموارد وممارسة النشاط الإنتاجى فى الدولة ، وهو النهج الذى يجد أصوله فى التوراة التى حوت ـ على حد تعبير الكاتب ـ أعلى درجات الفكر الاشتراكى ، وفى هذا يقول إن الكلمة العبرية « ناحالا » أى الميراث لا تنصرف إلا للميراث المعنوى بمعنى انتقال الأصول المادية للوارث كوديعة وليس كحق ، ودعوة التوراة إلى إقامة مجتمع كل الأشياء فيه مملوكة على الشيوع ، وتقليد سنة « اليوبيل » التى تحل كل خمسين عاماً وتزال فيها كافة مظاهر عدم المساواة التامة فى توزيع الأرض ليعاد توزيعها بالتساوى . ويمضى الكاتب فى تتبع الأصول اليهودية فى صميم الحياة الإسرائيلية ذاتها أو فى أهم دعاماتها ونقصد « نظرية الأمن الإسرائيلى » التى يقرر الكاتب أنها تستمد أصولها من « سفر زكريا » حيث ورد فيه أن الدفاع عن أورشليم يتم بإخضاع الشعوب التى حولها .. وهذه المفاهيم هى التى دفعت بن جوريون عام ١٩٥٢ إلى أن يصف إسرائيل « بأنها ليست سوى جزء من الوطن الموعود والممتد من النيل إلى الفرات » . وهو من هذا المنطلق يؤكد أن إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ليس سوى الهدف المعلن للصهيونية . أما الأهداف الأخرى فهى السيطرة على العالم على النحو الذى ظهر فى بروتوكولات حكماء صهيون ، ويدلل الكاتب على صدق ما ورد فى هذه البروتوكولات :

بوجود عقدة الاضطهاد عند اليهود .
وبنظرتهم المتعالية إلى غيرهم من البشر .

وبالثقة الزائدة المتوافرة لدى اليهود سواء فى أنفسهم أو فيما ورد فى التوراة .

واخيراً يسوق لنا الأمثلة العديدة على أن الأحداث الهامة التى حفل بها القرن العشرون كان اليهود من ورائها .

يخلص الكاتب من هذا كله إلى هيمنة الصبغة الدينية على الصهيونية ، وإلى دحض مزاعم القائلين بطبيعتها العلمانية بمنطق قاطع وهو تكاتف الشيوعيين والمتدينين جنباً إلى جنب فى كافة حروب إسرائيل ضد العرب .

ويعزو ذلك من ناحية أخرى إلى المرونة التى تتسم بها الأيديولوجية الصهيونية بحيث يمكنها أن تضم تحت عباءتها مبادىء سياسية متباينة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار .

وعند حديث الكاتب عن نظام القيم الذى يحكم المجتمع الإسرائيلى يبرز لنا من جديد : التأثير الغالب لتعليمات التوراة والتلمود بالإضافة إلى التقاليد التى سادت المجتمعات اليهودية المغلقة فى الشرق والغرب وهو المزيج الذى أفرخ لنا عددا من المفاهيم المميزة عن السمو العنصرى ، وأرض الميعاد ، والمساواة والعدل ، والحقوق والحريات الفردية .

بيد أن مفهوم المساواة هنا ـ على نحو ما حرص الكاتب على تأكيده ـ لا ينصرف إلا للمساواة بين اليهود فقط دون أصحاب الديانات الأخرى (الجوييم) الذين ينظر إليهم على أنهم فى مرتبة أقل من البشر أو فى مرتبة الحيوانات .

ثم تحدث الكاتب بعد ذلك عن أسباب الاختلاف حول بعض الأفكار والقيم ، وأرجعها إلى اختلاف التقاليد بين كل من اليهود الشرقيين واليهود الغربيين ، ومشكلة الربط بين الدين والدولة ، ووجود أقلية عربية كبيرة ، وأن إسرائيل تسعى إلى توحيد نظام القيم وإزالة أسباب التنافر من خلال إحياء اللغة العبرية ، والتقريب بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين داخل « الكيبوتزات » ، و « البيشوف »[1] ، و «الجيش » ، و « الجامعة » ، و « الهستدروت »[2] ، وتحسين أوضاع اليهود الشرقيين فى الجهازين الإدارى والسياسى للدولة .

ويرى الكاتب فى فكرة الخطر المشترك أهم عناصر توحيد الكلمة .

وعندما ينتقل بنا الكاتب للحديث عن « السلطات السياسية فى إسرائيل » فإنه لا يقنع ـ على نحو ما سبق الذكر ـ بمجرد إيراد الشكل الظاهرى لتنظيم هذه السلطات فهو لا يقف عند حد الحديث عن ظاهرة تعدد الأحزاب الإسرائيلية ، ولا عند تكوين الكنيست ، وشروط عضويته ، وسير العملية الانتخابية ، ولا عند تكوين السلطة التنفيذية أو تشكيل السلطة القضائية فقط ، وإنما

←

(١) الكيبوتزات تعنى المستعمرات و « البيشوف » تعنى المستوطنات .
(٢) اتحاد نقابات العمال .

النظام السياسى فى إسرائيل

يسعى بالتحليل ليفسر لنا السبب وراء وجود ظاهرة تعدد الأحزاب فى إسرائيل وذلك حتى تتناسب مع الثقافات المتباينة فى المجتمع الإسرائيلى ، ولإعطاء نوع من الرضى والإحساس بالمشاركة للمواطن الإسرائيلى ، وعندما يذكر لنا أن هناك فصلاً بين السلطات فى إسرائيل فإنه فى الوقت نفسه يوضح لنا السلطات الواسعة التى تتمتع بها الوزارة الإسرائيلية بسبب المسئوليات الضخمة التى تتحملها إزاء ما تواجهه من مشاكل الهجرة والاستيعاب والمشاكل الأمنية فى الخارج والداخل ، ومهمة دمج شرائح المجتمع وتشكيل القومية الإسرائيلية على نحو يكاد يجعل من « الأوتوقراطية » الصفة الغالبة على النظام السياسى فى إسرائيل .

ويركز الكاتب على حقيقة هامة تختفى عادة وراء المظهر الديمقراطى المبهر لنظام الحكم فى إسرائيل الا وهى ضعف المؤسسات الإسرائيلية فى مواجهة الصفوة « الكاريزمية » ، ومع ذلك فإن هذه الصفوة ذاتها ـ والتى كثيرا ما تكون بعيدة عن دائرة الضوء ـ هى ذاتها التى تلعب دورا رئيسياً فى المحافظة على شكل المؤسسات فى الدولة وعلى تجانسها وتكاملها . ويضيف فى مجال حديثه عن الأحزاب وقوى الضغط الداخلية فى إسرائيل : أن هذه الأحزاب مهما تباينت برامجها فإنها تحمل « أيديولوجية » واحدة هى « الأيديولوجية الصهيونية » ، وتستهدف غايات واحدة هى « غايات الصهيونية العالمية » ثم يعدد لنا السمات الرئيسية الخمس لهذه الأحزاب وهى :

الإفراط فى التعددية .
والتوجهات الأيديولوجية القوية .
والإفراط فى التحزب السياسى .
والمركزية الشديدة لسلطة الحزب .

والتوسع فى مجالات النشاط الاقتصادى والاجتماعى حيث يوجد لكل حزب مشروعات الإسكان الخاصة به ، وشركات البناء ، والمراكز التعاونية ونظام التأمين الصحى ... إلخ .

وعندما يعرض لخريطة الأحزاب السياسية فى إسرائيل فإنه يسعى لايضاح أبرز خصائصها مثل التعدد والميل إلى التكتل ، وعلى يمين هذه الخريطة نجد كتلة « الليكود »[٣] وحزب الأحرار ، وفى وسطها الحركة الديموقراطية للتغيير « راش »[٤] ثم يأتى بعد ذلك على يسارها التكتل العمالى (المعراخ)[٥] ثم تأتى الأحزاب الدينية مثل « مزراحى » و « أجودات إسرائيل » ، و « كاخ » ، و « تامى » .. إلخ . وتقع على يمين الليكود .

ويعرض الكاتب بعد ذلك للحركات وقوى

(٣) تجمع سياسى ينادى بأرض إسرائيل الكاملة .
(٤) كلمة (داش) اختصار للحركة الديمقراطية للتغيير .
(٥) مختصر كذلك .

الضغط غير الداخلة على الخريطة الحزبية مثل : الحركات اليمينية المتطرفة والحركات العمالية ، والحركات اليسارية ، والهستدروت الذى يعتبره كاتبنا تنظيماً سياسياً أكثر منه نقابة عمال يمثل أداة رئيسية من أدوات تنفيذ الأيديولوجية الصهيونية ومن أكبر قوى الضغط فى النظام السياسى الإسرائيلى .

وبعد ذلك يتحدث عن التأثير البالغ « للمؤسسة العسكرية فى إسرائيل » وهيمنتها شبه الكاملة على المؤسسة السياسية ودورها المؤثر فى عملية صنع القرار السياسى ، وأخيراً يشير فى هذا الصدد إلى تأثير مكونات الشخصية الإسرائيلية على توجهات الرأى العام الذى يعتبره أحد الأركان الرئيسية فى النظام السياسى الإسرائيلى .

وفى الباب الثالث من مؤلفه ينتقل بنا الدكتور فوزى طايل من الملامح التى لها صفة الثبات « الستاتيكية » للنظام الإسرائيلى إلى ممارساته « دينامياته » عندما يحدثنا عن النظام السياسى فى إسرائيل أثناء العمل فيذكر لنا أن التفاعلات التى تتم داخل النظام السياسى الإسرائيلى سواء بين المؤسسات الرسمية وقوى الضغط الأخرى أو بين السلطة العامة والأفراد أو بين السلطة العامة وقوى الضغط الخارجية ـ إنما تتم فى إطار « ايديولوجى » ثابت هو الصهيونية ، وصولا إلى هدف أسمى محدد هو هدف الصهيونية .

وفى سبيله إلى الحديث عن « ديناميات » هذا النظام قسم هذا الباب إلى فصلين : أولهما : للتعرف على أسلوب صنع القرار السياسى بصفة عامة مع التركيز على قرار « سياسة الخارجية موضحاً الطابع الخاص الذى يتفرد به هذا الأسلوب سواء من حيث الدور المتنامى للنخبة أو الصفوة بداخله مما يفسح للعلاقات الشخصية المجال لكى تلعب دوراً هاماً بسبب عجز المؤسسات الدستورية عن الوفاء بمطالب الحياة السياسية مما أتاح للقيادة السياسية أن تفتح قنوات اتصالها على كبار الشخصيات الذين يقفون بعيدا عن دائرة الأحداث . ثم أشار إلى مزايا اتاحة قدر كبير من الحرية الفكرية والاستقلال فى الرأى للمشاركين فى عملية صنع القرار الأمر الذى يثرى القرار بمناظير فكرية متعددة ، وفى اطار تناوله لهيكل صنع القرار عرض للمؤسسات الداخلية مثل اللجنة الوزارية للأمن ولجنة الشئون الخارجية للأمن القومى بالكنيست ، والمؤسسة العسكرية والهستدروت والدور الذى تؤديه كل منها فى عملية صنع القرار ، ثم أشار بعد ذلك إلى تأثير المنظمة الصهيونية العالمية على عملية صنع القرار السياسى .

ونقلنا الكاتب بعد ذلك من الهيكل السياسى لصنع القرار إلى « المراحل الثلاث التى تمر بها عملية صنع القرار » من لحظة حدوث أمر يحتاج إلى قرار. وتصاعد التوقعات بحدوث أزمة تهدد نظام القيم السائد فى المجتمع الإسرائيلى ، وتوافر وقت محدد لاتخاذ القرار ، واحتمالات تطور الأحداث إلى

ما يهدد الأمن القومى بحدوث حرب مثلاً ، وتبدأ المرحلة الثالثة عندما تهدأ حدة أحد هذه الشروط أو أكثر . مثل هذا العرض لمراحل صنع القرار الإسرائيلى يذكرنا بنموذج « بريتشر » الذى استخدمه « البروفيسور ألان دوتى » فى تحليله لأزمات الشرق الأوسط . وساق لنا الكاتب نماذج تطبيقية موضحة بقرارى مايو ١٩٦٧ ، وأكتوبر ١٩٧٣ .

وثانيهما من هذا الباب فقد عرض لتدخلات الدولة فى المجال الاقتصادى فيوضح أن الحكومة تباشر سيطرتها على الاقتصاد من خلال سياسة ضرائبية دقيقة يعتبر معدلها أكبر معدل فى العالم ، وأنه من المؤشرات الإيجابية على تدخل الحكومة فى الحياة الاقتصادية أنها تستخدم الضرائب فى إعادة توزيع الدخل حيث تفوق الضرائب غير المباشرة تلك المباشرة من حيث النسبة مما يوفر للحكومة سيطرة مركزية على المجال الاقتصادى .

وفى المجال الاجتماعى يتمثل تدخل الحكومة فى هيمنتها على التعليم والثقافة من خلال نشر اللغة العبرية ، وفى الإشراف على قطاع كبير من المؤسسات الصحية ورعاية الطفولة والعجزة وفى استخدامها لسياستها الخارجية فى تنشيط هجرة يهود الشتات إليها .

أما أدوات التدخل التى تستخدمها الحكومة فتتمثل فى الجيش الذى يقوم بمحو الأمية والتعليم والتربيـة الأيديـولوجيـة والصهيونية ، كما تتمثل فى « الهستدروت » ، والأحزاب السياسية ، ونظام المستعمرات ، والمستوطنات ، و«الكيبوتز» و« الموشاف» .

ويركز الكاتب هنا على دور نظرية الأمن الإسرائيلى فى اتساع مجالات تدخل الدولة ، وهى النظرية التى تجد أصولها فيما ورد فى الكتاب المقدس من تعليمات ونبوءات من ناحية ، ومن الأيديولوجية الصهيونية من ناحية أخرى ، وفى الواقع الجغرافى السكانى « الديموجرافى » لإسرائيل من ناحية ثالثة الأمر الذى أطلق يد الدولة فى عملية التوزيع السكانى الديموجرافى » .

وهنا يعرض الكاتب لنقطة بالغة الحيوية لإزالة اللبس الذى قد يعتور « مفهوم التوازن فى إسرائيل » ، فالواقع أنه على الرغم من التسليم بترجيح كفة المصلحة العامة على المصلحة الخاصة فى الأنظمة المذهبية كقاعدة عامة إلا أن الاستثناء الذى تمثله إسرائيل على هذه القاعدة هو أن التوازن يميل لمصلحة الفرد الإسرائيلى بصفة عامة والأمر الذى يساعد على ذلك استقلال القضاء ووجود معارضة جادة داخل الكنيست إلا أن هذه الحرية تظل مقيدة دائماً باعتبارات الأمن الإسرائيلى .

وأخيراً يحدثنا الكاتب فى الباب الرابع من مؤلفه عن « طبيْعة النظام السياسى فى إسرائيل » . وهو النظام الذى ينفرد بطبيعة خاصة فهو نظام عقائدى دينى ومن إيجابياته قدرته الفعالة على تعبئة الشعور العام ورفع الروح المعنوية ، وهو من ناحية أخرى ليس

علمانياً ثم إنه نظام عنصرى فيما يتبعه من تفرقة بين اليهود وغير اليهود داخل إسرائيل ، ثم أنه نظام برلمانى ناقص . وهنا نلاحظ اهتمام المؤلف بالنفاذ إلى ما وراء الشكل .. إلى الجوهر ؛ إذ على الرغم مما يوحى به نظام الدولة الإسرائيلية من صفة برلمانية فإن انتخاب الكنيست لرئيس الدولة يجعله فى مركز أدنى بالنسبة للبرلمان ، كما أن حرمان الحكومة من حق حل البرلمان يضعنا إزاء ما يسمى « بحكومة الجمعية » كذلك فإن الطابع الاشتراكى هو الغالب على نظام الدولة الإسرائيلية ، وهو الطابع الذى نجده متأصلاً فى « الكيبوتز » .

وأخيراً فإن الديموقراطية القائمة فى إسرائيل هى « ديموقراطية دولة المعسكر » بسبب التوسع فى استخدام قوانين الطوارىء وسيطرة رجال الجيش على الإعلام وعسكرة الاقتصاد الإسرائيلى .

ثم يتصدى رجال الجيش على الإعلام وعسكرة الاقتصاد الإسرائيلى .

ثم يتصدى الكاتب بعد ذلك كله لسؤال جوهرى :

إذا لم يكن النظام الإسرائيلى تيوقراطياً أو ديموقراطياً فماذا يكون ؟

ويخلص من ذلك إلى أنه نتاج الظروف الاقتصادية والاجتماعية والأمنية والتاريخية التى نشأت فيها إسرائيل كما يرجع بقدر كبير إلى تلك الأيديولوجية التى تنتهجها الدولة والتى تجعل من اليهودية قوامها .

وبعد هذا العرض الشامل للأبعاد المتعددة للنظام الإسرائيلى يستشرف الكاتب بنظرة مستقبلية مصير الاستقرار السياسى فى إسرائيل موضحاً نقاط القوة والضعف فى هذا النظام فيبين لنا أن الاقتصاد الإسرائيلى يعتمد على مصادر لا يمكنه التحكم فيها لاعتماده على المعونات والاستثمارات والتبرعات الخارجية ، كما أن اعتماد إسرائيل فى العون السياسى والعسكرى والمادى على الولايات المتحدة يؤثر على استقلالية القرار السياسى الإسرائيلى ، وكذلك فإنه على الرغم من وحدة الهدف ووضوح الإيديولوجية الصهيونية فلا يزال التماسك الاجتماعى مهددا داخل إسرائيل بسبب الصراع المستمر بين الاشكنازيم (اليهود الغربيين) والسفرديم (اليهود الشرقيين) وبين اليهود المتدينين والعلمانيين .

ويشير الكاتب إلى ظاهرتين تؤرقان المجتمع الإسرائيلى حالياً هما : تنامى التيار الدينى الإسلامى ممثلاً فى عدد من الحركات الإسلامية : مثل « أسرة الجهاد المقدس » و « جماعة الإخوان المسلمين » من ناحية ، وارتفاع معدل الكثافة السكانية العربية عن اليهودية سواء بسبب الارتفاع النسبى لمعدل المواليد العرب ، أم بسبب الهجرة العسكرية .

وفى جانب نقاط القوة يبرز لنا اهمية ثبات العلاقات العسكرية المدنية على الاستقرار الداخلى ونجاح إسرائيل فى توسيع نطاق علاقاتها الخارجية .

وبعد :

فتلك دراسة جادة لعمل موضوعى القى الضوء على ما ينبغى أن يحيط به القارىء العربى فى تاريخ الصراع العربى الإسرائيلي قدمه الدكتور فوزى طايل .

د . عباس رشدى العمارى

الكسب الحرام

والتخلص منه

الإسلام دين يكرم الإنسان ، ويحثه على الاعتماد على النفس ، وكسب الرزق من طريق حلال .

وقد أحلَّ الله سبحانه الحلال ، وما أوسع دائرته !! وحرم الخبائث التى تضر الإنسان فى دينه أو دنياه ، وهى قليلة .

والعمل فى الإسلام للقادر شرطٌ لشرف النفس ، وكرامة الشخص ، ونفع الأسرة والإنسانية ، كما أن التعب فى طلب الرزق الحلال يكفر ذنوباً ارتكبها الإنسان . والنصوص فى هذا كثيرة متوافرة فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة منها :

قول الله تعالى ، فى طلب الرزق الحلال والأكل منه ، والتمتع به :

﴿ فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا . وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ . وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ الملك/١٥ .

وقوله سبحانه :

﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالاً طَيِّباً . وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ النحل ١١٤ .

ويرشد الرسول - ﷺ - إلى أن الله تعالى يحب المؤمن القوى فى دينه ، وخلقه ، وماله وعلمه ، وجسده .. بقوله « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف »[١] .

● وهذه النصوص من الآيات الكريمة والحديث الشريف تبين أن الله سبحانه يحب للإنسان أن يعمل ، وأن يكسب رزقه من حلال ، وأن ينفع نفسه وغيره فى هذه الحياة .. ومتى قصد كل ذلك لوجه الله تعالى كان عمله للدنيا وللآخرة معاً ، وييسره الله له بفضله وكرمه .

● وقد سأل كثير من المسلمين عن حكم الله تعالى فى طرق كسب غير مشروعة فى الإسلام مثل :

اليانصيب ، واللوتو ، والسبق ، ولعب الورق (الكارد) ، والقمار ، والربا ، والسحر ، والرهان ، والتجارة فى الخمر ،

---

(١) لم يدون الكاتب مراجع الأحاديث الشريفة ، وقد نبهت المجلة إلى وجوب إثبات المراجع مرارا ، وقد اضطررنا إلى البحث عنها بقدر الاستطاعة فوجدنا هذا الحديث الشريف رواه مسلم ، كذا حدده المعجم المفهرس .

للأستاذ الدكتور

توفيق محمد شاهين

والحشيش ، وانواع المخدرات عامة .. إلخ .

● ونفيد كل هذا الكسب حرام ، وأكل لأموال الناس بالباطل ، وسحت ، ومن الكبائر التى حرمها الله تعالى على عباده المؤمنين ؛ لأنها من الكسب الخبيث لا الطيب ولا الحلال ، وكل جسم تغذى منها ، وكل إنسان انتفع بها قاصداً ، وكل إنسان تعود على ذلك ولم يتب إلى الله فله النار ، وهى أولى به .

● والنصوص كثيرة فى القرآن الكريم والسنة النبوية تدل على تحريم ذلك الكسب الخبيث ، الذى لا يرضاه الله سبحانه ، ولا يرضاه رسوله ﷺ ، للمسلمين ، ولا يرضاه العقل السليم والفطرة المستقيمة ، لأنه كسب حرام مشبوه ، أتى بطريق سهل ، وبالباطل لا بالحق .

يقول الله تعالى فى تحريم هذا الكسب الخبيث :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ، وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ . وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ، فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ المائدة ٩٠ ـ ٩٢ .

ويقول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ « أى بين يدى الله سبحانه يوم القيامة » إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ « أى كالمصروع » ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ، وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ .. البقرة/٢٧٥ .

ويقول سبحانه : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَابَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ . وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ البقرة/٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ ﴾ « أى لحمه وشحمه ودمه وكل شىء فيه » البقرة/١٧٣ .

فقد حرم الله تعالى فى هذه الآيات الكريمة :

« الميسر » وهو المقامرة بكل أنواعها ، ومنه لعب الصبيان بالجوز ، ولعب الورق وغيره ، وكذلك لعب « الطاولة » .

و« الأنصاب » حجارة كانوا يذبحون قوابينهم عندها ، تقرباً إلى الأصنام .

و« الأزلام » لون من ألوان القمار .. وبقية الآيات واضحة المعنى .

وكل ذلك شر من عمل الشيطان ، ومُباشِرها ، والآكل منها بعيدٌ عن رحمة الله ، ولا يفلح فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ويعيش فى

الكسب الحرام والتخلص منه

غضب الله تعالى محارباً وعاصياً أوامره، وآكلا لأموال الناس بالباطل.

ولو استعرضنا بعض أحاديث رسول الله - ﷺ - فى هذا الجانب، لوجدناها مؤيدة وموافقة لآيات القرآن الكريم فى حرمة ذلك حرمة لا شك فيها:

يقول الرسول - ﷺ -:

« مثل الذى يلعب بالنرد (أى الزهر والورق والكارت والطاولة وما أشبه ذلك) ثم يقوم فيصلى، مثل الذى يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلى »[٢].

وقال الرسول - ﷺ -:

« ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه (أى العاصى والمؤذى لهما)، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى »[٣] ومن تاب تاب الله عليه.

ويروى معاذ بن جبل رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال:

« ما تزال قدما عبد (أى لا تتحرك) يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن عمله ماذا عمل فيه »[٤].

وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -:

« إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم. وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطى الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه. والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه « أى غشه وظلمه ». ولا يكسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك له فيه. ولا يتصدق به فيقبل منه. ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار. إن الله لا يمحو السىء بالسىء، ولكن يمحو السىء بالحسن. إن الخبيث لا يمحو الخبيث »[٥].

صدق رسول الله.

التخلص منه

يقول العلماء فى القديم والحديث: إن من معه مال حرام، وأراد التوبة والبراءة منه:

إن كان له مالك معين وجب صرفهُ إليه.

وإن كان لمالك لا يعرفه، ويئس من معرفته (بأن حاول معرفته ولم يستطع) فينبغى أن يصرفه فى مصالح المسلمين العامة كالقناطر (الكبارى) والرُبُط (أى حماية الثغور وحدود الدولة والدفاع عنها) وغير ذلك مما يشترك فيه المسلمون، مثل: إقامة المدارس، والمستشفيات، والمساجد، والصرف عليها، أو يتصدق به على فقراء، أو لاجئين، أو من نزلت بهم كوارث.

وله أن يصرف منه على نفسه وعياله إن كانوا فى حالة فقر شديد، وليكن الصرف فى أضيق الحدود الممكنة، بما يزيل الضرر

---

(٢) رواه أحمد - رضى الله عنه - الميمنية ٥/٣٧٠.

(٣) وهذا جزء من حديث رواه أحمد ٢/١٣٤.

(٤) وجدنا الحديث بألفاظ مختلفة قليلا بالجامع الصحيح للإمام الترمذى ٤/٦١٢ ط مصطفى البابى الحلبى.

(٥) رواه أحمد - رضى الله عنه - الميمنية ١/٣٨٧.

والهلاك فقط ، وليس له أن يشترى منه ما يركبه ، لأنه لا ضرورة فى ذلك .

وهذا الذى ذكرناه قاله بعض علماء الشافعية ، ومنهم الإمام الغزالى رحمه الله تعالى ، والإمام الغزالى نقل ذلك عن علماء السلف ، ومنهم : معاوية ، والإمام أحمد ابن حنبل ، والحارث المحاسبى ، وغيرهم من أهل الورع رضى الله عنهم ..

وقال بعض علماء الحنابلة : يجوز الصرف على المسجد من المال النجس ، وأيضاً لأن المال الحرام لا يتعدى الذمتين : فهو حرام فى اليد الأولى قطعاً ، ولا ثواب ولا أجر للمتصدق بهذا المال ، لأنه حرام فى الأصل ، ولكنا نرجو أن يتوب الله عليه إذا تاب توبة صادقة ، وندم على ما بدر منه ، ولم يعد إليه ثانية .

ولا يجوز إتلاف هذا المال ، أو رميه فى البحر ، أو ترك الفائدة للبنك إن كان المال موضوعاً بالفائدة .. وإنما يصرف فى مصالح المسلمين العامة .

بذلك أفتت لجنة الفتوى بالأزهر ، ودار الفتوى فى لبنان . ويضيف سماحة الشيخ حسن خالد مفتى لبنان الأكبر ـ أطال الله فى عمره ـ قوله :

(وعليه فإن على من بيده مال حرام . ويئس من معرفة مالكه أن يتوب إلى الله تعالى ، ويبرأ من هذا المال . ويصرفه فى مصالح المسلمين العامة ، كما ذكره الغزالى ، ونقله النووى من الشافعية ، وعليه أن يسعى لكسب عيشه وعيش أهله من الحلال الطيب ، فإن كان مضطراً إلى ذلك ـ كما ذكر ـ فإنه يمكنه الإنفاق منه فى حدود دفع الضرر والهلاك عنه وعن عياله ، ويدفع الباقى فى المصالح العامة ، كما ذكر ، ولا يجوز له شراء ما يركبه من هذا المال ، ولا أن يعمل به فى تجارة أو غيرها .. وهذا كله متى قصد البراءة والتوبة ، وعدم معاودة الحرام ، وإلا فلا يحل له شىء من ذلك ، والله أعلم) أ هـ .

وتذكر لجنة الفتوى بالأزهر : (أن الأئمة الأربعة ـ رضوان الله عليهم ـ يرون أن الأموال التى تكتسب من غير الطرق المشروعة فى الإسلام يجوز صرفها فيما يعود على جماعة المسلمين بالنفع العام ، مثل : مسجد ، مدرسة ، ملجأ ، مصنع .

وجوز الإمام ابن تيمية ، وابن القيم صرف هذه المبالغ أو بعضها للفقراء والمساكين متى تحقق فيهم شرط الفقر والله أعلم) أ هـ .

وهذه الفتاوى والآراء ليست من فراغ ، وإنما هى من القرآن الكريم ، والسنة النبوية وكتب الأئمة الأربعة ، وعن الصحابة والتابعين ، والمجتهدين من أهل الورع .

ومن أراد مزيداً من الاطلاع فليرجع إلى هذه المراجع :

تفسير روح المعانى للألوسى ٢/١١٣ . والتفسير الكبير للرازى ٦/٤٨ . والزواجر عن ارتكاب الكبائر لابن حجر الهيتمى ٢/١٨٩ . والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٦/٢٨٧ . والمجموع شرح المهذب للنووى ٩/٣٥١ ..

←

الكسب الحرام والتخلص منه

وبعد :-

فإن الله سبحانه بَيَّنَ الحلال والحرام ، وشرح ذلك حديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، ووضحه الائمة الاعلام .. فلا عذر لمعتذر ، وعلى الجاهل ان يسال ، وعلى من قرا هذه المقالة فليبلغ غيره ..

ولنتق الله فى كل امورنا ، فإن الحلال يبارك الله فيه ولو كان قليلاً .. ولا بركة فى الحرام وإن كان كثيراً .

واعمارنا قصيرة ، وسنقدم على رب بصير ، لا تخفى عليه خافيه ، ويعلم كل شيء : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾ « الزلزلة » .

ولنتذكر « أن كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به » .

ولنعلم ان الله تعالى امرنا بما امر به انبياءه ورسله ـ عليهم السلام :

قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ المائدة/٨٨ .

وقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً ﴾ المؤمنون ٥١ .

هدانا الله لاقوم طريق ،وارانا الحق حقا ورزقنا اتباعه ، وارانا الباطل باطلاً ورزقنا اجتنابه ، وطهر نفوسنا وقلوبنا وجوارحنا ، ووفقنا لما يحبه ويرضاه ، ورزقنا الحلال الطيب .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

د . توفيق محمد شاهين

مالك بن نمط الهمداني

صحابيا وشاعرا

للأستاذ
أيمن محمد ميدان

● **صحابي شاعر اقتلع من أعماق ذاته جذور الوثنية الأولى فصدق إيمانه ، وجاءت شذرات شعره المتناثرة هنا وهناك ترجمة أمينة لعمق اعتقاده ، وصدق إيمانه .**

نسبه : هو مالك بن نمط بن قيس بن مالك بن سعد بن مالك بن لأى بن سلمان بن معاوية بن سفيان بن أرحب .

كان لهمدان صنم تعبده فى جاهليتها يدعى « يعوق » بقرية خيوان . ورد ذكره فى شعر لمالك بن نمط :

يريش الله فى الدنيا ويبرى
ولا يبرى يعوق ولا يريش[1]

ثم اقترب الهمدانيون من صنعاء « واختلطوا بحمير فدانوا معهم باليهودية أيام تهود ذو نواس فتهودوا معه »[2] .

إسلام همدان : فى السنة التاسعة للهجرة بعث رسول البشرية محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خالد بن الوليد إلى اليمن ليدعو أهله إلى الإسلام ، فمكث بينهم عاماً كاملاً دونما استجابة . فبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ علي بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ آمراً إياه أن يرد خالد بن الوليد ، وأن يقوم بأمر الدعوة إلى الإسلام فى أهل اليمن مكانه ففتح الله على يديه ، وأسلمت همدان كلها فى يوم واحد . وكتب علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ بذلك إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مخبراً ومهنئاً ومبشراً . فلما قرأ كتابه خر ساجداً ، ثم جلس فقال :

←

(١) الأصنام ص ٥٧ . وقد وردت الإشارة فى القرآن الكريم لهذا الصنم فى قوله تعالى من سورة نوح : ﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُم . وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًا ولا سُوَاعًا ولا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (آية ٢٣) .

(٢) السيرة لابن هشام ١/١٨٢ .

مالك بن نمط الهمدانى

ـ السلام على همدان . السلام على همدان .

وكان إسلام همدان فى شهر رمضان من السنة العاشرة للهجرة تلك السنة المعروفة بسنة الوفود ، حيث قدمت القبائل العربية لمبايعة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الإسلام ، مرجعه من تبوك[٣] .

وتزحف وفود القبائل اليمنية صوب المدينة المنورة لتبايع رسول الرحمة المهداة ، ومن بينها وفد همدان الذى يضم جمهرة من أشرافها وكوكبة من سرواتها وأقيالها ، فيهم مالك بن نمط الهمدانى ، فلقوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرجعه من تبوك وهم يرتجزون قول مالك :

همدان خير سوقة وأقيالْ
ليس لها فى العالمين أمثالْ
محلها الهضب ومنها الأبطالْ
لها إطابات بها وآكالْ[٤]

مالك بن نمط بين يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وقف مالك بن نمط الهمدانى بين يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتحدث بلسان قومه ، فقال : « يارسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد ، أتوك على قلص نواج متصلة بحبائل الإسلام ، لا تأخذهم فى الله لومة لائم ، من مخلاف خارف ويام وشاكر ، أهل السود والقود ، أجابوا دعوة الرسول وفارقوا آلهة الأنصاب »[٥] .

فكتب لهم رسول الله كتابا قال فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب من رسول الله محمد لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب ، وحقاف الرمل مع وافدهم ذى المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه ، على أن لهم فراعها ووهاطها وعزازها يأكلون علافها ، ويرعون عفاءها . لنا من دفئهم وصرامهم ماسلموا بالميثاق والأمانة ، ولهم من الصدق الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحورى . وعليهم فيها الصَّالِغُ والقارح ما اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، لهم بذلك عهد الله ورسوله وشاهدهم المهاجرون والأنصار »[٦] .

---

(٣) الاصنام ص ١٠ .

(٤) الطبرى ٣/١٢٢ ، والكامل لابن الأثير ٢/٣٠٠ ، وعيون الأثر ٢٧٢ ، والبداية لابن الأثير ١/١٠٥ ، وامتاع الأسماع ١/٥١٠ .

(٥) الرَّجَز فى السيرة لابن هشام ١/٨٢ ، وطبقات ابن سعد ٢/١٠٤ ، ونهاية الأرب ٨/١٨ ، ١٠ .
السوقة : الرعية من عامة الناس . الإطابات : جمع إطابة وهى مصدر « أطاب » والمقصود تقديم الطعام الطيب .
الآكال : إقطاعات كان الملك يقطعها الأشراف وفى المحبر لابن حبيب ص ٢٥٣ « ذو الآكال : أشراف كانت الملوك تقطعهم القطائع » .

(٦) السيرة لابن هشام ٤/٢٤٣ ، وصبح الأعشى ٢/٢٤٤ .
نصية القوم : عليتهم ووجوههم . قلص : جمع قلوص وهى الناقة الفتية .
ونواج : جمع ناجية وهى الناقة السريعة . والمخلاف : المدينة بلغة أهل اليمن .

فقام مالك بن نمط بين يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنشده شعراً قال فيه[7] :

ذكرت رسول الله فى فحمة الدجى
ونحن بأعلى رَحْرَحَانَ وَصَلْدَدِ

وهن بنا خوض قلائص تغتلى
بـركبانهـا فى لاحب متمدد

على كل فتلاء الذراعين جسرة
تمر بنا مَرَّ الهِجَفِّ الخَفَيْدَدِ

....

....

فأثنى عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى قومه ، فقال :

ـ نعم الحى همدان ، ما أسرعها إلى النصرة ، وأصبرها على الجهد منهم أبدال وأوتاد الإسلام .

ثم توالت بعد ذلك الوفود الممثلة للقبائل الهمدانية ، وتوالت العهود والمواثيق من الرسول إليهم . بل إن من بين القبائل الهمدانية من أسلم ولم يفد على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومع ذلك فقد أخذت عهود رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومواثيقه الطريق إليهم[8] .

ويلقى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رفيقه الأعلى ، فيتولى ابو بكر خلافة المسلمين ، وتطل الفتنة برأسها متمثلة فى ردة أهل اليمن بقيادة الأسود العنسى ، وهنا تهب همدان لنجدة دين الله ، منفذة ميثاق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ متخذة موقفاً رافضاً للفتنة حاسماً فى مجابهتها ، سارع فى وأدها وهى فى طور تكوينها .

وإذا عدنا لِنَتَلَمَّسِ أثر الإسلام فى شعره ومدى انعكاسه على مرآته الشعرية لوجدنا أن الأثر شديد ، والانعكاس واضح ودقيق . فعلى الرغم من حداثة إسلام مالك بن نمط

←

(7) السيرة لابن هشام ٤/ ٢٣٤ ، وطبقات ابن سعد ٢/ ٣١ والعقد الفريد ٢/ ٣٠ ، والاستيعاب ٣/ ٣٥٧ ، ونهاية الارب ١٨/ ١٠ ، وعيون الاثر لابن سيد الناس ٢٤٥ ، وصبح الاعشى ٢/ ٢٤٤ ، والإصابة لابن حجر ٣/ ٢٥٨ .
الحقاف : جمع حقف وهى الرمال المستديرة . والفراع : ما ارتفع من الارض . والوهاط : ما انخفض منها . والعزاز : ماخشن وصلب . وعفاء الارض : التى ليس لأحد منهم ملك . وعلاف : نتاج الإبل وماينتفع به منها . والصرام : النخل أو ثمره . الثلب : من ذكور الإبل من تكسرت أسنانه وهرم . والناب : الناقة المسنة . والفصيل : ولد الناقة الذى منع عن الرضاع . والقارض : المسن . والداجن : الشاة التى يعلفها أصحابها فى ديارهم . الحورى : جلود الضأن المدبوغة . الصالغ : من البقر والغنم . ماكمل وانتهى . والقارح : الفرس إذا دخل فى السنة الخامسة .

(8) الابيات الثلاثة وردت فى : السيرة لابن هشام ٤/ ٢٤٥ ، وعيون الاثر ٢٤٦ ، والاستيعاب ٣/ ٢٥٨ ، والإصابة ٣/ ٣٣٥ ، ٣٤٥ (برقم ٧٦٩٦) ، والروض الأنف ٧/ ٤٢٣ ، ومعجم البلدان (رحرح) ٣/ ٤١٣ ، وصبح الاعشى ٢/ ٢٤٥ .

رَحْرَحَان وَصَلْدَد : جَبَلانِ بنواحى اليمن . الخوص من النوق : واحدها خوصاء وهى الغائرة العين . وتغتلى : تشتد فى سيرها . وطريق لاحب : واضح . والجسرة : الناقة القوية . والهِجَفّ : ذكر النعام . والخَفَيْدَد : السريع النشيط .

مالك بن نمط الهمدانى

الهمدانى الذى لم يكد يمضى عليه سوى بضعة شهور فإنا نراه وقد برىء من حياته الوثنية الأولى ، وأقبل على الإسلام بقلب خاشع مؤمن بالله واحداً لا شريك له ... يقول(٩) :

يـريش الله فى الدنيـا وَيَبْرِى
ولا يَبْــرى يَعُــوقُ ولا يـريــش

وعندما وقف بين يدى رسول الله فى وفد قومه أنشد شعراً يمدح فيه رسول الله ﷺ ، فقال(١٠) :

حلفت برب الراقصات إلى مِنًى
صوادر بالركبان من هضب قَرْدَدِ
بأن رسول الله فينا مُصَدَّق
رســول أتى من عند ذى العرش مهتد

نجد أن الروح الإسلامية فى البيت الثانى تبدو جلية تتواءم وإيمان الشاعر المطلق بأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما بعث بالحق من قبل الله سبحانه وتعالى ليهدى الناس إلى الإسلام .

وله ـ رضى الله عنه ـ جذور فنية متأصلة فى ذاته الشعرية يمتاح منها بعض المعانى الموروثة التى حَضَّ عليها الإسلام ودعا إليها كالشجاعة والجود ، فيقول(١١) :

فما حملت من ناقة فوق رحلها
أشد على أعدائه من محمـد

• • •

رحم الله مالك بن نمط الهمدانى فقد كان انموذجاً من الصحابة رضوان الله عليهم فى صدق الاعتقاد ، ورسوخ الإيمان والشاعر الذى جاء شعره مرآة دقيقة الانعكاس لصدق اعتقاده ورسوخ إيمانه ...

• ايمن محمد ميدان •

(٩) مزيد من الأمثلة انظر : الإصابة ٣/٢٤٨ .

(١٠) السيرة لابن هشام ١٨٢/١ .

(١١) البيتان وردا فى : السيرة لابن هشام ٢٤٥/٤ ، وعيون الأثر ٢٤٦ ، والاستيعاب ٣٥٨/٣ ، والإصابة ٣٣٥/٣ ، ٣٤٥ والروض الأنف ٤٢٣/٧ ، ومعجم البلدان (قردد) ٥٤/٣ وصبح الأعشى ٢٤٥/٢ .




حفظ الله السودان

٤

للأستاذ الدكتور
عبد الودود شلبي

انظروا فيما حولكم هنا وهناك في اي بلد عربى واي بلد مسلم ستجدون دعاة الالحاد والعلمانية كلهم من خريجي جامعات الغرب . بل ستجدون شيوعيين تعلموا في جامعات امريكا التى تحارب الشيوعية فوق اي ارض .

إن الغرب لا يخاف الشيوعية .. لأن الشيوعية في النهاية « صناعة اوروبية » ولا مانع عنده من تمكين لينين وماركس .. إذا كان الخيار بينهما وبين دين محمد ﷺ !!

فالشيوعية امرها سهل ، والقضاء عليها مسالة « تكتيك » ووقت اما الإسلام فهو الخطر الذى يرتجفون من ذكر اسمه حتى على سبيل الافتراض والوهم[1]

في كتاب « جنوب السودان في مائة عام » يقول المؤلف :[2]

« كان استمرار حركات الانفصال في الجنوب وقدرة القائمين عليها في التحرك داخل السودان وخارجه داعياً للتساؤل عن السر الذى يكمن وراء هذا الاستمرار ؟ وكيف انه ظل قائما منذ عام ١٩٥٥ وهى السنة التى قام فيها التمرد ومازال يواصل عمله ونشاطه ، وينفذ المخطط الاستعماري الذى رسم له



(١) حين التقى فضيلة الشيخ الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين بهتلر الزعيم الألمانى المعروف ، وتحدث إليه تطرق الحديث بينهما إلى الإسلام والشيوعية ، فاحتد هتلر قائلاً : لا خوف من الشيوعية علينا إن شيئا من « المال » ـ أى رفع مستوى المعيشة ـ يقضى عليها .. اما الإسلام فماذا نفعل معه ؟!

(٢) دكتور محمد المعتصم .

حفظ الله السودان

بإحكام وقد جاء الرد على هذه التساؤلات في المؤتمر الصحفى الذى عقد في الخرطوم بعد انقلاب ٢٥ مايو بشهور قليلة **وأوضح المسئولون فيه أسرار وقوف بعض المنظمات الكنسية والهيئات في الخارج وراء حركة الانفصال .. يمدونها بالمال والتأييد الأدبى ويساندونها إعلاميا** وكشف المسئولون عن **حقيقة هذا الأمر وهم يستندون إلى وثائق رسمية** .

ومن هذه الهيئات التى أعلن أنها وراء حركة الانفصال في جنوب السودان ، اتحاد الطلاب المسيحيين البروتستانت بجامعة بون بألمانيا الغربية .. فقد جمع الطلاب الذين ينتمون إلى هذا الاتحاد تبرعات من المواطنين تحت رعاية الكنيسة .

كما فتح حساب لهذه التبرعات في البنك التجاري بعاصمة ألمانيا الغربية تحت رقم ١٠٦٧٦/٢ .

كما أسهم قساوسة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بإيطاليا بقسط موفور في النشاط لدعم حركة الانفصال في جنوب السودان وكان أغلب قساوسة هذه الكنيسة من الذين باشروا أعمالا سياسية وتخريبية في الجنوب وصدر القرار بطردهم من السودان في عام ١٩٦٣ .

ومن الأسماء التى أعلنتها الحكومة السودانية وهى تبرهن على اشتراك هؤلاء القساوسة في أعمال المعونة للانفصاليين ، أسماء ثلاثة قساوسة بالذات كانوا يعملون في مديرية بحر الغزال وهم :

١ - البيشوب دومنيك فيرايرا
Dominic Ferrara

٢ - الأب ادوارد ماسون
Eduard Mason

٣ - الأب الفونس روزى
Alfonse Rossi

وقد نشروا في الفترة من ١٥ مايو عام ١٩٦٩ مقالات عديدة بالمجلات المحلية ضد سياسة الحكومة السودانية تجاه الجنوب كما نشطوا في جمع التبرعات من بعض الدول الكاثوليكية الأوروبية ومجموعة الدول الاسكندنافية .

ثم جمعية الدعم الأفريقي بألمانيا الغربية التى أسسها عام ١٩٦٤ طبيب يدعى « لوبا » وانشأ فرعا لها بمدينة فرانكفورت وآخر بمدينة (كولون) بألمانيا الغربية - وفتح لها صندوق توفير بالمدينة الأخيرة تحت رقم ٦٩٩٩ ثم انشأ فروعا لها بمدينة (كراكاس) و (ميونيخ) و (هامبورج) لتواصل دعمها للانفصاليين .

وهناك لجنة العمل « بيافرا السودان » وهى إحدى المنظمات الكاثوليكية بألمانيا الغربية وقد عثر البوليس الألمانى لديها على كثير من الوثائق والمنشورات تم إعلانها في المؤتمر الصحفى في الخرطوم .

أما منظمة المساعدات الألمانية والكنيسة الكاثوليكية فقد استعانت بمجموعة من

الأفاقين والمغامرين ليمدوها بمعلومات عن حالة أبناء الجنوب من المسيحيين لتقديمها إلى الفاتيكان كما اعترف بعض المرتزقة الذين ضمتهم هذه المنظمة بأن منظمة المساعدات الألمانية ستبدأ في تقديم مساعداتها لجنوب السودان فكان هذا العمل الذى تقوم به لونا من الوان الدعم الذى لقيه دعاة الانفصال من هيئات أجنبية .

وهناك هيئة الكنيسة الكاثوليكية البروتستانتية وهى نشيطة بين المواطنين الألمان وتجمع منهم التبرعات لمساعدة اللاجئين السودانيين وقد فتحت حسابا باسم « إعانة السودان » .

وقد تخصصت هيئة العمل الطبي بفرانكفورت بألمانيا الغربية وهيئة الخدمة الألمانية في إرسال إمداد اللاجئين عن طريق (كينيا) كما كانتا تقومان بنشاط واسع في معسكراتهم بأوغندا وتقدم لهم العون المادى الذى بلغ حتى ساعة الإعلان عن هذا الموضوع في المؤتمر الصحفى السابق ذكره ربع مليون مارك ألماني .

والهيئة الأخيرة التى أعلن المسئولون السودانيون عنها في ذلك المؤتمر هى منظمة جنوب السودان وهذه المنظمة مسجلة رسميا في لندن ومن بين أعضائها أساتذة في الجامعة وأعضاء في البرلمان وهى تقوم بنشاط إعلامي واسع ضد السودان وهي تضم اثنين من زعماء الجنوب الانفصاليين هما (بادنج جرنج) و (يعقوب جبيل) .

• • •

إن الحركة التنصيرية بدات تأخذ مسارا جديدا يختلف عما كان عليه من قبل .

لم تعد الوداعة أو « الشراسة » شعارا تتستر خلفه ، ولم تعد « الهداية » أو « الضلالة » هدفا تسعى إليه .. لقد كشف التبشير عن نابه الأزرق .. وأعلن تحديه لأى اجراء تتخذه الحكومة ضد جرائمه على شعب السودان الوديع الطيب .

وإذا كانت « مملكة المسيح » ـ كما قيل ـ في « السماء » لا في « الأرض » وإذا كان المسيح قد قال : « أعطوا ما لقيصر لقيصر » ولا تتدخلوا في شئون الملك او الحكم ، فقد ضرب « التبشير » بهذه الوصايا كلها عرض الحائط .. وجعل من الكهنة والكرادلة ملوكا وجبابرة يفرضون إرادتهم على المحكوم والحاكم . فقد هدد كبير الأساقفة ـ في الخرطوم ـ حكومة السودان بشن حركة إعلامية ضد هذه الحكومة في أنحاء العالم وأعلن انه إذا لم يعد « المبشرون البيض » ـ الذين طردتهم الحكومة إلى الجنوب فلسوف يؤلب الفاتيكان ، والبابا ... و ... خمسمائة مليون كاثوليكي للانتقام والثأر ، وحينئذ سوف لا يجد مسلم واحد كسرة من الطعام أو الخبز !!

• • •

وقد تكررت هذه المحاولة من رئيس الأساقفة الكاثوليك لرعاية المسيحيين عندما اصدر « كتيبا » ينتقد فيه تطبيق الشريعة الإسلامية على المسلمين .

وقد كان أسلوب هذا « الكتيب » كما يقول الأستاذ حسن مكى[٣] طافحا بأقصى عبارات الابتزاز والتهديد .

● ● ●

... إن التدخل في الشئون الداخلية للدول يعتبر جزءاً من الدور الاستعماري الذى تقوم به المؤسسات التنصيرية حيث تعتبر ذلك جزءاً من عملها لقيام امبراطورية نصرانية تسيطر على العالم .. ففي جميع الدول التى اقام بها دعاة التنصير مراكز لهم اصبح هذا الدور واضحا جليا ، فقد قام مجلس الكنائس العالمى بدور بارز في إدارة حرب الجنوب في السودان حيث تبنى تلك الحرب الداعية إلى انفصال جنوب السودان عن شماله رغم قلة عدد النصارى هناك حيث لا يتجاوز عددهم ٧٪ من تعداد الجنوب (ومع ذلك ينصب مجلس الكنائس من نفسه وصيا على جنوب السودان) .

وقد وضح للمراقبين بعد الدور الذى أداه اتحاد الكنائس في تحقيق الاتفاق السياسي بين حكومة الرئيس نميري ومتمردي الجنوب .. مدى النفوذ الذي يتمتع به اتحاد الكنائس في هذه القضية ، ومن هنا تبرز حقيقتان جديرتان بالملاحظة :

١ ـ نفوذ اتحاد الكنائس في حركة التمرد .

٢ ـ الدور السياسي الذي تلعبه الدوائر الدينية المسيحية .

أما النفوذ القوي الذي مكن مجلس الكنائس العالمي من كبح جماح التمرد وحل مشكلة جنوب السودان حلا سياسيا على الرغم من ضآلة نسبة النصارى في الجنوب ، فيرجع إلى أن الجهات التبشيرية هي التى نظمت التمرد وهى السند الأساسى الذى يتلقى المتمردون منه السلاح والتمويل والدعاية وما يلزم من مساعدات ، حتى أن القائد الأعلى للمتمردين كان احد رجال الكنائس البيض ـ « رالف شتاينر » .. موجود في سجون الخرطوم .

لقد ترعرع التمرد الانفصالى في احضان الاستعمار الصليبي منذ أن فرض الاستعمار البريطاني عزلة تامة على جنوب السودان ووضع له إدارة منفصلة وجعل التعليم فيه تابعا للإرساليات حتى يتخرج منها الجيل الذى يقود التمرد .. وليس هذا الدور الخطير الذي يلعبه مجلس الكنائس العالمى هو الأول من نوعه ، فقد كان المحرك الحقيقى لمحاولة الانفصال في بيافرا (نيجيريا) وكان قائد

(٣) من كتاب التبشير المسيحى في العاصمة المثلثة .

الحركة هناك هو نفسه رجل مجلس الكنائس العالمي ـ رالف شتاينر ـ الذى قاد متمردي جنوب السودان حتى سقط أسيرا .. ولقد حاول قلب نظام (أحمدو أهيدجو) في (الكاميرون) في المحاولة الفاشلة حيث حكم على رئيس القساوسة بالاعدام . ومن هنا يتحتم على جميع الشعوب التى تهمها أوطانها أن تولى هذه المؤسسة اهتماما وحذرا مثلما توليه للجهات الامبريالية الأخرى ، نظرا لأنها تلعب نفس الدور .. وبنفس القدر .. وتحلم بإقامة امبراطورية مسيحية في العالم الثالث تكون تحت نفوذها وسيطرتها .

لقد صرح متمردو السودان من قبل بأنهم يحاربون لإقامة (دولة أزانيا المسيحية الكبرى) وهو نفس الاسم الذى تحمله جبهتهم السياسية .

بعد كل هذا لم يعد خافيا الدور السياسي الذي تقوم به الإرساليات التبشيرية في العالم الثالث والعالم الإسلامي على وجه الخصوص ـ لقد انفضح تماما الادعاء الكاذب بفصل الدين عن السياسة لدى العقلية التبشيرية . لقد خدمت السياسة الاستعمارية المؤسسات الدينية في السابق ، وجاء دور النشاط الديني الآن ليكمل الطريق بنفسه بعد أن قوى عوده[4] .

● ● ●

إن المؤامرة أبشع مما نتصور . فقد صرح قسيس اسمه جاكسون Jackson لصحيفة انجليزية هي الجارديان Guardian بأن الهدف الذي يسعى إليه « المنصرون » إنما هو إقامة حزام جغرافي لمجموعة الدول النصرانية التى تتحكم في منابع النيل .. !

وهذه الدول التي يعنيها هذا « المنصر » هى « جنوب السودان » بعد نجاح المؤامرة وأوغندا (وعدد المسيحيين فيها لا يزيد على خمسة وعشرين في المائة) وكينيا لا تزيد نسبة المسيحيين فيها على خمسة وثلاثين في المائة ، والهدف الذي يسعون إليه بعد قيام هذه الوحدة ، إنما هو التحكم في أي بلد مسلم تتوقف حياة شعبه على مياه هذا النهر إن لم يستجب لمطالب هذه العصابات التى تقف وراءها دول كبرى بالتسليح والدعم ..

والزعم بأن هذه دول مسيحية خرافة ينقضها الواقع والحقيقة فالمسلمون أكثر من غيرهم في كل هذه الدول المرشحة للاشتراك في هذه المؤامرة ، والحلم الذي يعشعش في عقول هذه العصابة سينقلب ـ ان عاجلا أو آجلا ـ إلى « كابوس » ينتهى بهم إلى كارثة .. ؟!

● ● ●

والشيء الذى لم يكن يخطر على بالى أبداً أن اتحاد طلاب « جنوب السودان » (Sos-sa) أنشأ فرعا له في مدينة القاهرة : وعقد الاجتماع السنوى لطلبة جنوب السودان بجمهورية مصر (Sossa) لعام ٨٣/ ١٩٨٤ في كنيسة سان جوزيف (٢ شارع بنك مصر) وقد كانت أمثال هذه الاجتماعات الطلابية تعقد في الدار السودانية فيما مضى ..

د . عبد الودود شلبى

---

(٤) مجلة المجتمع الكويتية ـ العدد ٩٠ ـ ٣ محرم ١٣٩٢ هـ / ٧ مارس ١٩٧٢ نقلا عن « الغزو الفكري في الخليج العربي » رسالة ماجستير ـ مخطوطة ـ سعيد عبد الله حارب .

الإعلام الإسلامي

واليقظة المأمولة

قرأت خبرين صغيرين فيما تنشره الصحف من أخبار كثيرة ولكنهما - دون سواهما - استحوذا على تفكيرى واستوقفانى طويلا ..

أولهما : نشرته جريدة الأخبار فى ١٩٨٧/٦/١٩ بعنوان :

حملة صليبية بالأقمار الصناعية . هذا نصه :

المبشر المسيحى الأمريكى (بيلى جراهام) أعلن أنه يستعد من الآن ويخطط لحملة صليبية عالمية لنشر المسيحية عام ١٩٨٩م يتم فيها استخدام الأقمار الصناعية وأحدث وسائل الاتصالات والمعدات الإعلامية .

وقد جاء هذا الإعلان بعد أن رأس بيلى اجتماعا عالميا عقد فى هولندا مؤخرا اشترك فيه أربعة وتسعون ومائة وثمانية آلاف مبشر من أكثر من مائة دولة وبلغت نفقاته (٢١) مليون دولار دفعتها منظمة (سامرتيان بيرس) التى يرأسها ابن بيلى جراهام .

ثانيهما : نشر بجريدة الشعب التى تصدر بمصر بتاريخ ١٩٨٧/٩/١ بعنوان : خطة خطيرة لضرب الإسلام فى تنزانيا والصومال . جاء فيه :

تشهد تنزانيا حركة نشطة لزواج الشباب المسيحى من فتيات مسلمات مع بقاء كل من الزوجين على دينه .. وقد حرص عدد من القيادات العليا على أن يتزوج أبناؤهم من فتيات مسلمات بهذه الطريقة . وتم الإعلان عن هذا الزواج على نطاق واسع لتشجيعه ..

وكانت مثل هذه الحركة قد ظهرت فى الصومال ، وتعتقد أسر مسلمة كثيرة بهذه البلاد أن هذا الزواج ليس حراماً ..

وقد أوردت الخبرين - معاً - لما يربطهما من وحدة فى الغاية واشتراك فى الموضوع . وإن تباعد زمن نشرهما .

أما اشتراكهما فى الموضوع واتحادهما فى الغاية فلأن التبشير ودعاته وأجهزته ومخططاته كُلٌ يبذل جهوداً كبيرة لمحاولة القضاء على الإسلام .. ويسلكون سبلاً شتى للتشكيك فيه أو التقليل من شأنه فى المناطق

للأستاذ
عاطف شحاته زهران

التى يعملون بها . حتى بين اتباعه . وهم يرون فى الإسلام خطرا يعوق مسيرتهم .

ونحن نضع الخبرين أمام أعين المسئولين عن أجهزة الإعلام الإسلامى والدعوة لتراجع حساباتها ـ وتعمل على ضوء ما يجرى وما هو كائن فى الأوساط الإسلامية وما تمليه الظروف والأحوال حتى لا تنطلق من تصورات مجردة وتخيلات بينهما وبين الواقع مساحات عريضة .

لدينا الآن إذاعات موجهة من دول إسلامية تقوم بدور لا ينكر فى خدمة الإسلام والتعريف به بين المسلمين ـ فى المناطق المستهدفة ـ وغيرهم . وتغطى هذه الإذاعات مناطق شتى من العالم . ويبقى أن تتيقظ هذه الإذاعات وتنشط لاحتواء الحركات التى تستهدف المسلمين بالذات حتى لا تتهم هذه الأجهزة ـ أجهزة الإعلام والدعوة ـ بالتقصير فى أداء دورها . وهو تقصير يحاسبنا الله جميعاً عليه .

لدينا ـ فى مصر والسعودية على سبيل المثال ـ خدمات إذاعية موجهة لمعظم بلدان أفريقيا بالعديد من لغاتها ولهجاتها . وعليها أن تأخذ بأيدى إخوتنا فى أفريقيا لتعينهم على أمر دينهم ولتسهم بدور فعال فى محاولة محو الأمية الدينية التى يعانى منها كثير من المسلمين هناك . وتكشف لهم عما هو حلال وما هو حرام من أمور الدين الحنيف .

وجهل هذه المناطق بقواعد الدين ومبادئه عيب خطير فى حق المسلمين عامة . ولسنا نشك فى أن العلماء الدعاة بهذه المناطق لهم دور مهم يُؤَدَّى فما المعوقات التى حالت دون نجاحهم فى بث أحكام الزواج بهذه المناطق أليس يجب أن نحدد تلك المعوقات حتى نتمكن من إزالتها ونعمل لتصحيح الإسلام فى النفوس . لقد وفر العصر وسائل اتصالات سريعة الانتشار ولم تكن هذه الوسائل موجودة فيما قبل . إذ تيسر للصوت البشرى الطواف بالأرض فى شىء من الثانية . ونحن الآن نسمع إذاعات دولية عديدة تطاردنا فى مخادعنا وهى متباينة المشارب والأهواء .

ونحن بحمد الله لا ينقصنا المال الذى يعيننا على إيصال صوتنا وديننا ـ عبر أقوى أجهزة البث ـ لإخوة لنا فى أنحاء متفرقة من المعمورة ، فى حاجة إلى صوت الإسلام يرشدهم ويبدد ما هم فيه من ظلام ويكشف عمليات التضليل التى تجرى من حولهم .

ويجب أن تتكاتف أجهزة الإعلام والدعوة لإيصال كلمة الله إلى الناس أنّى كانوا وحيث وجدوا ، عن طريق الاتصال الشخصى الذى يقوم به الدعاة الذين يتصلون بالناس ويعايشونهم ويبصرونهم بالدين الإسلامى ومبادئه السمحة وقيمه وحدوده وحلاله وحرامه بالمساجد والنوادى والمدارس وأماكن تجمعاتهم أنّى كانت والإذاعات الموجهة من اقطار مسلمة مسئولة عن مواجهة التحديات التى يتعرض لها المسلمون فى المناطق المستهدفة والتجاوب مع قضاياهم الملحة التى تظهر من خلال بريد المستمعين من هذه المناطق أو ما يتم من بحوث ميدانية أو يكشف عنـه العلماء الموجودون بين المسلمين هناك عبر رسائلهم المنتظمة للإذاعات الموجهة فهم (سمع) هذه الإذاعات و (أعينها) هناك وليتم التعاون على ما فيه خير المسلمين فى كل مكان .

وطبقاً لما تمليه ظروف العصر ومعطياته يجب على أجهزة الإعلام والدعوة أن تساير الزمن وتعد العدة للإفادة من كل ما يتيحه العصر .. كل عصر لإبلاغ رسالة الله إلى الناس كافة قبل أن يحاسبنا الله على قعودنا أو تقصيرنا والناس أمام القائم بالإعـلام الإسلامى نوعان :

نوع لم تبلغه الدعوة الإسلامية وما عرف عنها إلا أفكارا مشوهة بثتها دعايـات مضادة . ولهؤلاء الحق فى معرفة صورة مبسطة صحيحة وسريعة عن الإسلام وسماحته ورقى مبادئه وتمشيه مع كل عصر حتى يتبين لهم الرشد من الغى ..

ونوع عرف الإسلام فاعتنقه .. ولكن ينقصه الكثير من المعلومات عنه . وعلينا توعيتهم وتعريفهم مبادىء دينهم وبيان رأى الإسلام فيما يعن لهم من مسائل تحتاج بيان رأى الدين فيها .

وعلى الإعلام الإسلامى الا يغيب عن هذه المناطق الإسلامية التى تحظى بجهود مكثفة من المبشرين . فلابد للحق من جنود مخلصين مسلحين بارقى ما وصل إليه العصر من وسائل متقدمة تمكنهم من خدمة حقهم .

إن الإعلام الإسلامى فى هذا العصر يواجه تحديات خطيرة تتطلب من القائمين عليه يقظة كاملة وخطة واضحة لمواجهة هذه التحديات . فهل ثمة امل فى هذه اليقظة ؟

وأخشى أن تتأخر هذه اليقظة .. فتأتى بعد فوات الأوان .

اللهم اهدنا لما فيه خيرنا . ووفقنا لما يرضيك عنا .. آمين ..

عاطف شحاتة زهران



من أعلام الأزهر

أحمد شفيع السيد

الأديب الشاعر الراوية

٢

للدكتور
محمد رجب البيومي

عرف الأستاذ أحمد شفيع بهدوء النفس ، وسعة الصدر ، وأستاذ الأدب ، إذا اتسم بهاتين الصفتين جاءت أحكامه عادلة منصفة . فهو حين يعارض فكرة ما ، يعرضها ى حيدة ، ويوضح مأخذه فى تلطف ، وفى النقاد من يظهر التعالى المجوج إذا أبْدَى مخالفة لما يُدرس من فكر ، ومثله يسىء أكثر مما يحسن ، لأن روح الإنصاف تفتح أبواب القبول لدى الدارسين ، فيتقبلون النقد فى ارتياح ، ولم تكن صداقة الأستاذ بما نعه من نقد أصدقائه ، إذ كانت له صلة وثيقة بالشيخ عبد العزيز البشرى حين كان قاضياً بإحدى المحاكم ، وكان الأستاذ محامياً ، وقد ظلت هذه الصلة على وثاقتها المتينة دون تفكك ، ولكنها لم تحل دون أن ينقد الأستاذ من آراء صديقه ما يراه موضع النقد ، وقد حرص على



د . احمد شفيع شلبى

اختياره شخصية أدبية يحلل عناصر إبداعها الفنى للطلاب ، فكان يعرض المبتكر من آراء

البشرى ، ولا يعفيه من نقد يسوقه فى هدوء عاقل ، فالأستاذ عبد العزيز البشرى يقول - مثلاً فى الجزء الثانى من المختار ص ٣٣ .

« إن العبقرى المبتكر من العدم ، والمبدع على غير مثال ، قد لا يكون لتفكيره شىء مما يصنع ، ولا لعقله دخل فيما يبدع ، إنما هو الطبع والغريزة ينضحان بهذا ، ولقد يفعلانه فى سر من عقله ، وفى غفلة من تقديره ، فشأنه فى هذا شأن القمرى يشدو أبدع الشدو ، ويرجع أحلى الترجيع ، ما يوقع لحناً ، ولا يتعمد تنغيماً ، وكالوردة ينفرج عنها كمها ، وما بها أن يملأ انفك طيب شذاها ، ولا أن يبهر عينيك جمال مرآها ، وإنى لأزعم لك أن كثيرا من هؤلاء المبتدعين قل أن يشعروا بما صنعوا ، وقل أن يقدروا حق ما أبدعوا ، إنهم قناطر بين ما استودع الله من سر خلقه نفوسهم ، وبين السنتهم وأيديهم » .

فيقول الأستاذ أحمد شفيع معقباً على هذا الرأى ص ٣٦ من ترجمته للأستاذ البشرى :

هذا يخالف ما تعارف عليه الناس ، ويكادون يتفقون عليه عن خبرة مكرره ، وعن طبائع نفوسهم ، فالعبقرى يقاسى فى الحصول على فكرته القيمة ، ونظرياته العميقة كثيرا من المتاعب ، وقد يجهد جهده فى سبيل اقتناص فكرة واحدة ، أو صياغة ماطمأن إليه فى قرارة نفسه من حقائق الحياة ، وإذن فالشعراء والكتاب والفلاسفة غير هانئين فى هذه الحياة ، تتاح لهم الثمار ، ويواتيهم القدر بطلباتهم دون عناء ناصب وكدّ مرير » .

فالرد هادىء صائب لا يندفع ولا يشتط ، بل يحجز الأستاذ فى نفسه أشياء كانت بمثابة الأدلة المؤيدة لرأيه ، أذكر أننا ناقشناه فى هذه المسألة بعد أن دونها فى ترجمة البشرى ، فقال من فوره : كنت اود أن أضيف إلى ما قلت ، أن شوقى لا نزاع فى عبقريته ، ولكن المسودات التى نشرت بالزنكوغراف لبعض قصائده تحمل من المحو والإثبات ، والتشطيب والتصحيح ما يدل على معاناة حادة ! أفكان هذا العبقرى مستريحاً هادئاً تسقط ثماره الفكرية دون كد ، إن المسودات تنطق بغير ذلك !

ومثل آخر يدل على أثر الطبع الهادىء فى نقد الأستاذ ، حتى فيما يظن فيه الإندفاع ، فهو مثلاً أستاذ الأدب الجاهلى بالكلية لعدة سنوات ، وكان يلقى المحاضرات فى تحليله الفنى مكبراً معجباً حين وقعت الواقعة بين الأستاذ أحمد أمين ، والدكتور زكى مبارك حول ما سماه أحمد أمين (جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى) فتوجه إليه تلميذه الدكتور أحمد الشرباصى على صفحات جريدة منبر الشرق بسؤال هذا نصه : بصفتكم استاذاً للأدب العربى نود أن تحدثنا عن رأيك فى المعركة التى ثار غبارها بين الأستاذين أحمد أمين وزكى مبارك ، منذ أسابيع حول الأدب الجاهلى ، وأيهما الموفق فى اتجاهه ؟!

فجاء رد الأستاذ أحمد شفيع بالعدد الصادر فى ١٩٤٠/١/٢٣ هادئاً لا يخرج عن طابعه المعهود إذ يقول فى اتزان :

« الأستاذ أحمد أمين عالم واسع الإطلاع دلت مؤلفاته على سبقه ، وشهدت بفضله ، وهو كاتب متزن وقور تقرأ كتاباته فتلمح آثار الهدوء ، وترى عليها مخايل الاتزان والوقار ، ولكن لا أدرى كيف خرج عن وقاره حين وثب على الأدب الجاهلى فغض من قدره ، ونال من مكانته ، واسترسل فى ذلك استرسالاً أسف له الكثيرون من عارفى فضله ، وقد نقده الدكتور عبد الوهاب عزام نقداً هادئاً ، ولكن الدكتور زكى مبارك تلقف هذه المقالات التى أوغرت صدره ، وحزت فى نفسه فانبرى يرد على صاحبه رداً أصاب فيه ، ورد المتنكب عن الجادة إلى سواء الصراط ، فلاقت ريح الأستاذ أمين إعصارا من مبارك » .

هذا بعض ما يشير إلى مسلكه النقدى ، أما شعره ، فهو فى أكثره ذاتى يعبر عن خواطره الخاصة ، فهو ليس ناظماً محترفاً ينتهز المناسبة ليقول ما يروق الناس ، وأعجب شىء أنه لم ينشر من شعره الذاتى على كثرته شيئاً ، بل اكتفى بإنشاده بين تلاميذه وعارفيه ، وكنت أطلب منه بعض ما أسمع فيقول : إن الأوراق متناثرة فى مكتبته الحافلة ، ففى كتاب الأغانى ورقتان ، وفى الوفيات قصيدة غزلية ، وفى الأمالى عتاب ودى ، وهكذا يتفرق الديوان فى أجزاء المكتبة دون أن يجمع ، على أن مجلة الأزهر قد ظفرت بقصائد عدة سيقت إليها دون أن يعلم لمناسبات عامة حتمت نشر أكثرها ، وبعضها مما قدمه التلاميذ لرياسة التحرير دون أن يعلم الشاعر شيئاً ، وأكبر مزية لشفيع هى « الارتجال السريع » للقريض ، فكثيرا ما تعن المناسبة الطائرة فى حديث متنوع فإذا الرجل يهتف بمقطوعة مرتجلة تجىء عفو الخاطر ، وشعر الارتجال فى أكثره سريع لم تصقله الرؤية المتأنية أو تمده الفكرة الدقيقة ، ولكنه ينبىء عن ملكة حاضرة ، وقريحة مستعدة ، فإذا اطمأن الشاعر المرتجل وعمد إلى الأناة فقد ملك الزمام .

ذهبت مرة إلى منزل الأستاذ بـ (عطفة الليمون) وطلبت كتاب (نفح الطيب) وكنت أتوقع أن أطالع النسخة البيضاء التى صدرت عن دار المأمون ، ولكن الأستاذ فاجأنى بنسخة صفراء تآكلت حروفها ، واختلطت هوامشها بمتونها فأعملت قريحتى وقلت هذين البيتين :

طلبت النفح مشكولاً ولكن
بعثت لنا بمضطرب سقيم

كصب رام أن يلقى مليحا
فأوقعه الزمان على دميم

وما كدت أعرض البيتين على شفيع حتى ارتجل منشدا :

بعثت النفح حين وثقت أنى
بعثت به إلى فطن عليم

وما يجديك من شكل مملّ
وأنت من العروبة فى الصميم

وثانية من هذا الوادى فقد انتقلت من القاهرة بضع سنوات للتدريس فى أماكن نائية ، ثم زرته فى العطلة الصيفية وكنت أعددت مقطوعة قلت فيها :

لقاهرة المعز صبوت حتى
ليرجف خافقى بين الضلوع

صبوت بها لأمرين استباحا
ذماء الصبر فى كبد صديع

لدار الكتب وهى أعز دار
ومجلس كوكب الفصحى « شفيع »

هما متماثلان فماليهما
يصاب لديه فى ذهن ضليع

لقد جادا على قلمى فروّى
بما جاد الغمام على الربيع

وتلك تفيدنا علما وهذا
يزين العلم بالخلق الرفيع

بشاشة مجلس وسخاء كف
وظرف نمّ عن ذوق بديع

فما انشدتها للأستاذ حتى طلب قلما، وخط بظهر الورقة فى بضع دقائق:

وقاهرة المعز إليك تصبو
كما تصبو الرءوم إلى الرضيع

لقد عهدتك شبلا عبقريا
فكيف تراك أيام الربيع

تزف لها الروائع ناصعات
على نسق من الفن الرفيع

وذلك فضل ربك لاسواه
وليس لدار كتب أو شفيع

وله قصيدة طويلة تحت عنوان (عبيد المال) نظمها فى مجلس واحد، لحادثة حافزة، فقد جاء إليه غلام شاب من طلبة المدارس، ووالده تاجر من كبار الأغنياء يسكن مع الأستاذ فى شارع واحد ويتزاوران، فقال الغلام فى حياء خجول، لقد جئت إليك ياسيدى لأشكو والدى، إذ ذهبت إليه ساعة غروب الشمس فى شهر رمضان راجياً أن أتناول عنده الإفطار، ولكنه - وهو متزوج بغير والدتى - نهرنى وطردنى، وقال لى: اذهب لأمك فهى تأخذ النفقة الشهرية ثلاثة جنيهات !!

سمع الأستاذ القصة فكاد يبكى وقال فى حسرة: غلام يأتى إلى أبيه جائعاً فى شهر رمضان فيحرمه !!

ثم صحبنى إلى منزله، فقال الشيخ شفيع مبادراً، يافلان، من الغد إذا ذهبت إلى السوق تشترى الطماطم فاطلب من البائع واحدة بعد الميزان، ثم أطلب من الكوسة واحدة أخرى، بعد الميزان، فإذا ذهبت إلى المنزل فضع كوباً من الماء زيادة فى القدر الذى يطبخ فيه الخضار، وحين يجىء ولدك المسكين، فقدم له طبقاً لم يكلفك شيئاً، لأن محتوياته جميعها من غيرك، ولا عليك من ثمن الرغيف فسأعطيه إياه !!

قال الشيخ هذه الأطروفة فى لهجة المتألم، وقد حزت فى نفسى، وكدت أصيح من الألم، ثم تركه شفيع دون أن يأخذ تحية الضيافة، والتقينا من الغد فقدم إلى الشيخ الجليل قصيدة كتبها فى سويعة يسيرة، وقال إنه جعلها ذماً للعبيد بوجه عام، دون أن يتعرض للبخيل المشئوم، إذ ليس من أخلاقه أن يخص أحداً بالهجاء مهما كان نذلا وضيعاً، وقد نشرت القصيدة بعدد جمادى الأولى سنة

١٣٧٢ هـ من مجلة الأزهر ص ٤٢٣ وفيها يقول :

لـن المـال تجمـعـون وأنتـم
في حيـاة قـد آذنت بـالـزوال

كم نصبتم حبـائـل المكـر للمـا
ل وغـالبتمـو شـديـد المحـال

رازق الـذرّ في مسـاربـه الجـو
ن ومُجرى الأنهار بـين الجبال

ومنجى الظبـاء من ربقـة الأسر
ومـردى الآسـاد في الأدغـال

لم يساو الإنسان في رشده الوحـ
ش فـأضحى للمـال في أوجـال

أضـعـاف الطيـور أهـدأ بـالا
وسراة الأنـام في بلبـال !

كـم غبـيّ وعـاجـز مجـدود
غمـرتـه الحيـاة بـالأنفـال

وذكـي وحـوّل محـدود
نـاء فيـهـا بـأفـدح الأثقـال

حكمـة لاتحـار فيـهـا عقـول
غـير عقل عن الهـدى في عقال

ولا يدرك أسف الشيخ على موقف الوالد الشحيح غير من يعلم سماحته المفرطة في الكرم ، إذ كان لا يدخر شيئاً من عائده وجميع أصدقائه يعرفون أنه في هذا الباب مثل بارع من أمثال الفتوة الإسلامية التي نقرأ بعض آثارها المجيدة في كتب السالفين ، إذ كان يفرح بالفقير الوافد على منزله فرحاً لا يوصف وكنت أزوره بعد صلاة العشاء فأجد الثلاثة والأربعة من ضعفاء الحال يؤمون ساحته من القرى النائية لقضاء وصالحهم في القاهرة ، اعتمادا على سخاء نفسه ، وبسطة يده ، وهو لا يكتفي بالسعي في حوائجهم لدى الوزارات المختلفة ، بل يفسح لهم من منزله مأكلاً ومشرباً ونوماً ، وربما دفع لذوي الفاقة منهم ما يقوم بنفقات القطار أو السيارة في الرواح والذهاب تقديراً لظروفهم العسيرة ، وإن بشاشته عند اللقاء ، وهشاشته في السمر والإضحاك ، وأنسه بالغريب الوافد لما يشجع الطارقين على تكرار الزيارة بعزم وإقدام علما بما سيستقبلون به من الاحتفاء ، وقد كان يكرر لهم التحية أكثر من مرة في المجلس الواحد !

على أن من المفارقة في هذا الباب أن زاره ذات مساء فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود أبو العيون المصلح الديني الكبير ، والكاتب الاجتماعي الأشهر ، وهو يومئذ سكرتير المجلس الأعلى للأزهر ، فقدم إليه - وكنت حاضراً - فنجان القهوة فحسب ، فتعجبت كثيراً ، وقلت : ياسبحان الله ، يأتي من هب ودب من الناس فيتمتعون بلذيذ الفواكه ، وهنيء المشارب ، ويأتي أبو العيون فيشرب القهوة وحدها .

فأجابني الأستاذ أحمد شفيع إجابة تمر الليالي دون أن أنساها ، قال الأستاذ في بساطة : الشيخ أبو العيون ضيفي أنا ، وهو غير محروم ففي منزله العامر أضعاف ما في منزلي ، أما هؤلاء فضيوف الله ، ويفرحون بما يطعمون ويشربون ! فمن مبلغ مؤلفي كتب المكارم في العصور السالفة ، أن لدينا من هذه الأريحيات النبيـة أمثلة صادقة تدل على أن مكارم الأخلاق إرث باق لورثة الأنبياء .

←

ومن هذه الأريحيات الماجدة ما نعرفه من سلوك الكبير مع الصغير، إذ أن أستاذنا الكبير بسنه وفضله معا كان لا يدخر وسعاً فى الإشادة بذوى الفضل من تلاميذه، وقد عهدنا التلاميذ يمدحون أساتذتهم معبرين عن مشاعرهم الشاكرة نحوهم، ولكننا رأينا الأستاذ أحمد شفيع يمدح تلاميذه النابهين بقصائده مشجعاً مباركاً، اذكر أنه أطرى الدكتور أحمد الشرباصى ـ وكان لا يزال طالباً بالكلية يحضر دروس الأستاذ ـ بقصيدة حافلة تشجيعاً له حين أظهر فى عهد الطلب باكورتين من إنتاجه، وقد قرأهما الأستاذ محتفلاً، ولم يكتف بالتنويه الشفوى بهما فى ساحة الدرس بل نظم قصيدة عامرة يتنبأ فيها بمستقبل زاهر لتلميذه الناشىء، لأن الفجر بشير الصبح، وقد كان البحر جدولا صغيراً، والبدر هلالاً ضئيلاً، والأسد شبلاً يدرج، ثم مضى الزمن فإذا هؤلاء على أحسن ما يُرجى ويؤمل! قال الأستاذ عن تلميذه:

قبس من الإصلاح لاح بصيصه
سيـزيـده كـر المـدى إشعـالاً

وإذا رأيت الفجـر يبسم ضوؤه
فـارقب لأنـوار الضحى إقبـالاً

فالبحر ماذا كان؟ كـان جداولا
والبـدر ماذا كـان؟ كان هـلالا

والأُسْـد فى وثبـاتها وثباتـها
درجـت عـلى آجـامها أشبـالا

فإذا تركنا هذا الموقف إلى موقف آخر للأستاذ مع أحد الطلاب فإننا نذكر همته الكريمة حين زاره ذات يوم بعض تلاميذه، وعليه من سمات الحزن والحيرة مالا مزيد عليه، فعجل الشيخ بسؤاله عن بواعث ألمه، فقال: إن والده كان موظفاً بدائرة الأمير عمر طوسون، وقد فُصل بوشاية كاذبة، وفقد مصدر رزقه الوحيد، وهو رب أسرة ذات تلاميذ فى المدارس والجامعة، وما يدرى الطالب شيئاً عن مستقبله ومستقبل إخوته الذين يسكنون معه بالقاهرة، فصرفه الأستاذ على أن يعود إليه بعد يومين، ولم ينم ليلته. بل نظم قصيدة استعطاف حملها بنفسه إلى الأمير إذ سافر صباحاً إلى الأسكندرية، واتجه إلى شيخ المعهد الدينى هناك، وطلب منه أن يتصل بمقر الأمير ليحدد موعداً للقاء الأستاذ وصديقه شيخ المعهد، وقد تحدد الموعد فى اليوم ذاته، وتقدم الشيخ شفيع فقرأ القصيدة مطمئناً، وقابلها الأمير باحتفاء زائد، وأصدر أمره الفورى بإعادة الموظف المفصول مع زيادة راتبه خمسة جنيهات، ورجع الأستاذ إلى القاهرة وهو فى أكمل سعادة وأبهج انشراح، لأن للمروءة مذاقاً شهياً لدى أبنائها، فهى تفعل بنفوسهم فعل السّلاف، وأذكر أنه قال لى بصدد هذا الموقف إنه سافر إلى الأسكندرية ليبرىء نفسه أمام ضميره، ولا عليه إذا أخفق فقد فعل ما فى طوقه، وهكذا تكون رقة الإحساس دافعة للغوث العاجل، والسعى النبيل.

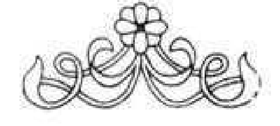
لعمـرك ما وارى التـراب حديثـه
ولكنّمـا وارى ثيـابـاً وأعظمـا

أ. د (محمد رجب البيومى)

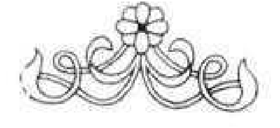
الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

في السحر



سجدة في طريق النور



لست ترقى



في السحر

لفضيلة الشيخ
محمد زكي ابراهيم

أبيتُ أدعوك قهّاراً لمقهورِ ... مُضاعَف الذنب إثر الذنب مغرورِ
يبكى حياء ، ولكن ليس يمنعه ... هذا البكاءُ من الرُّجْعَى إلى الزورِ
ويقطع الليل أوَّاباً ، ويغلبه ... شيطانه ، فيغادى البور بالبور
حتى إذا شاب لم تحبسه شيبته ... عن المحاذير ، من فعل وتفكير
كم ذا ينوب وكم أوْدَى بتوبته ... حسن الرجاء فلم يعبأ بمحظور
الذنب حطَّمه ، والخوف أسقمه ... والعفو هيَّمه ، شوقاً إلى النور
يُحَدِّثُ النفس : ألَّا تيأسى فعسى ... أن يمحو الله مكفوراً بمشكور
وَرُبَّ نفحة فيض منه تنقذني ... مما أعانيه من آثار تزويري
ومن تيمم ساحَ الفضل معترفاً ... فلن يعود بذنب غير مغفور

***

ظلمتُ نفسي ، وجئت الباب مرتجياً ... عفواً ، بوعد من الرحمن مبرور
ذكَّرتُ غيرى بحق الله تبصرة ... فأين منى تذكيرى وتبصيرى ؟
فما رجائي و[illegible] من عمل ... إلا مداواة محذور بمحذور ؟
إنى خجلت من الغفران أطلبه ... بعد الذى كان من عابى وتغريرى

***

يامن تقدس ، لا تؤذيه معصيتى ... وليس يغنيه تهليلى وتكبيرى
هذا قضاؤك فالطف بى ، وخذ بيدى ... وأنت تعلم مكتوبى ومقدورى
فإن سعدت ، ففضلُ الله أسعدني ... وإن شقيت فما مثلى بمعذور
فاقبل دعائى وهبنى من لدنك هدى ... فأنت أكرم من أخْذى بتقصيرى

سجدة في طريق النور

للشاعر
رشاد محمد يوسف

يتطهر بالشكر لساني ويُسبح حمدا وجداني
والقلب بذكرك موصول يَسبح في بحر الايمان
والعين لغيرك لا ترنو تتملّى نور العرفان
والنفس الخاطئة الحيرى تتلمس أي اطمئنان
ذابت في النجوى هائمة تهفو لرحاب الغفران

●

يانور النور تطاردني ظلماء تحرق أجفاني
ياأمن الأمن يؤرقني رعبٌ من هول النيران
أدركني طال بي المسرى وأنا في درب العصيان
ادركني شابت ناصيتي وأنا مشبوب الالحان

●

من غيرك يعلم خافيتي همسى إسرارى اعلانى ؟
من غيرك يملك ناصيتى من غيرك يدرك اشجانى ؟
من غيرك أدعو فيلبيٌ ويجود بفضل وحنان ؟
وجهت لأنوارك وجهى أحمل تقصير الإنسان
أحمل أوزارى .. يحملنى امل في عفو الرحمن

●

يتوضأ بالتوبة شعرى يستغفر قلبى ولسانى
اتمنى صَفْحًا يدركنى وأتوق لفيض الاحسان

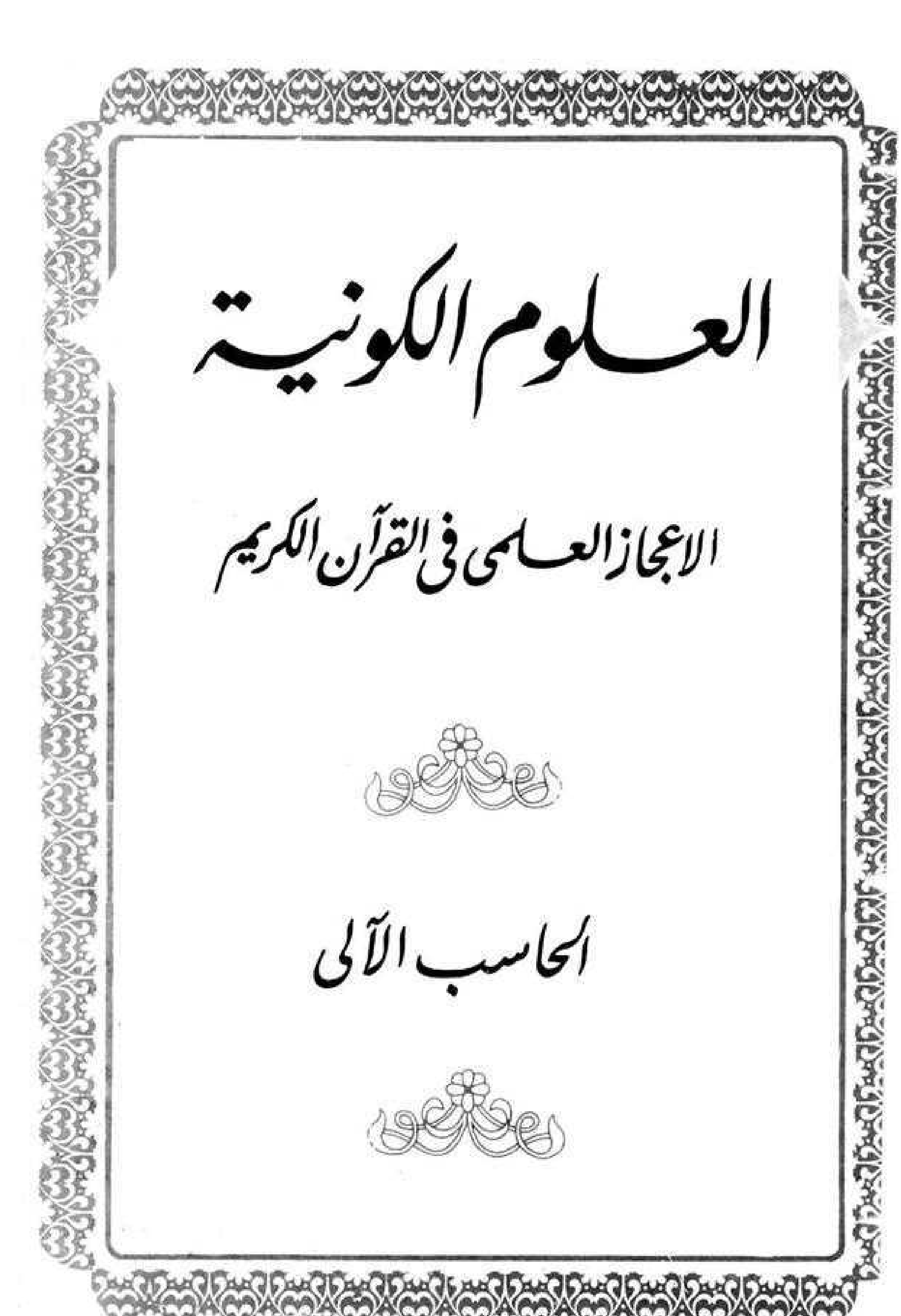
لست ترقى

شعر
أحمد محمود مبارك

لست يامغرورُ ترقي إنما تَهْوِي وتشقى
تدَّعي العلمَ ويبدو علمُكَ المزعومُ حُمْقًا
هل عرفت الحقَّ لمَّا ذُبْتَ في الآثام عشقا
واضعتَ العمر تخديراً وتضليلاً وفِسْقا
نشوةُ الإثم هنيهاتٌ وتفنى ثم يبقى
أسفٌ يا أيُّها المغرورُ يغرى النفسَ سحقا
ودمارٌ في الخواتيم فهل كنت مُحِقاً

***

لا تقُل : إنك تسمو ليس هذا القول صدقا
انت بالآثام في القاع وبالقاع ستبقى
انت في بحر الخطايا تائهٌ والنفسُ غرقى
راكب الإثم مداهُ هُوةٌ تزداد عمقا
كلما أوغل فيها ظن أن النفسَ ترقى



العلوم الكونية

الاعجاز العلمي في القرآن الكريم

الحاسب الآلي

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم



تقديم :

الماء[1] مذيب عالمي ، أى انه يذيب كل المواد ولكن بنسب مختلفة ، وتتصل دراسة الماء اتصالاً وثيقاً ومباشراً بدراسة نشوء الحياة على الأرض وغيرها من الكواكب . وفي الواقع لا يغطى الماء نحو اربعة اخماس سطح الأرض عبثاً ولكن بقدر معلوم لكى تحمل الأرض الحياة وتزدهر عليها :

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ .... ﴾

« المؤمنون ١٨ » .

والمعروف أنه على الرغم من اتساع رقعة الماء بهذا القدر ظلت بعض أجزاء اليابس صحارى لا يصلها القدر الكافى من ماء المطر الذى هو أساس الحياة على اليابسة والمصدر الوحيد الأساسي للماء العذب :

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ . أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾

« الواقعة ٦٨ / ٦٩ »

والمزنُ هو السحاب الممطر .

فللماء أهميته في القرآن الكريم فهو ينبوع الرخاء المستفيض ومورد الرزق المتجدد الذى لا ينضب :

﴿ ... وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾

« الحج ٥ »

وشرع الإسلام صلاة الاستسقاء من أجل الغيث وفيه من الدعاء الكثير مثل :

اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ..

اللهم أنبت لنا الزرع ، وأدر لنا الضرع ، وأنزل علينا من بركات السماء ، وأنبت لنا من بركات الأرض ..

اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً فأرسل السماء علينا مدراراً ..

---

(١) مايرد في هذا المقال من توجيه أو تفسير هو مسئولية كاتبه ...

للاستاذ الدكتور
محمد جمال الدين الفندى

الماء فى القرآن الكريم

لم يقتصر لفظ الماء فى كتاب الله العزيز على الدلالة على الماء الذي نشربه أو نسقى به الزرع أو على الماء المالح الذى يملأ بطون المحيطات والبحار ، بل تعدى هذا المعنى ليدل على حالات السيولة للمادة بصفة عامة . ولعل أهم صفات الماء أنه أساس الحياة على الأرض ، وهو يدخل فى تركيب الجزء الأكبر من أجسام الكائنات الحية . وقد يستطيع الإنسان البقاء على قيد الحياة مدة أربعين يوماً من غير طعام ، ولكن ثلاثة أيام فقط من غير ماء تكفى لموته . وبالإضافة إلى ذلك يؤدى ماء الأرض دوراً رئيسياً فى توفير البيئات المناسبة للحياة وإمكان ازدهارها ، وذلك من حيث توزيع درجات الحرارة على الأرض بحيث لا تسود نهايات عظمى أو نهايات صغرى تفنى معها الحياة ، ويلقى كل ذلك الضوء على معنى قوله تعالى :

١ - ﴿ .... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ... ﴾

« الأنبياء ٣٠ »

ويتكرر هذا المعنى مع شىء من البيان والتفصيل فى آيات أخرى مثل قوله تعالى :

٢ - ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاءٍ ... ﴾

« النور ٤٥ » ..

والمراد أن الله تعالى خلق كل حى يدب من أصل مشترك هو الماء . المواد العضوية من مركبات الكربون المذابة فى الماء الوفير حتى إن الشخص الذى يزن ٧٠ كيلو جراماً مثلاً يحتوى جسمه على ٥٠ كيلو جراماً على الأقل من الماء .

٣ - ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ... ﴾

« الأنعام ٩٩ »

أى أن الله تعالى هو الذى أنزل من السحاب ماء جعله أساس الماء العذب الذى به أخرج كل أنواع النباتات على الأرض .

٤ - ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ... ﴾

« الرعد ٤ »

أى أن فى الأرض قطعا متجاورة ومتجانسة التربة ، فيها حدائق الكروم والزرع الذى يحصد والنخيل المثمر ، يختلف طعمها رغم أنها تسقى بماء واحد . وآية ذلك أن ذرة الكربون التى تتكون منها المواد العضوية المختلفة تكون لها تراكيب متباينة بعد أن تذوب فى الماء الذى يمتصه النبات من التربة حاملاً معه أملاحها ومذيباً نسباً متفاوتة القدر من موادها العضوية وغير العضوية أو المعدنية .

٥ - ﴿ .... وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾

« الحج ٥ »

←

والمراد انك ترى الأرض قاحلة مقفرة فإذا نزل عليها الماء دبت فيها [وفى كائناتها الدقيقة الهامدة] الحياة وتحركت وارتفع سطحها ، ثم أثمرت من أصناف النبات ما يبهج النفس .

المطر ينقى الجو ويطهر الأبدان

يقول الخالق العليم جل شأنه :

﴿ . . . . وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾

« الفرقان ٤٨ »

والمعنى أن ماء المطر طاهر ومطهر .. والمعروف علمياً أن ماء المطر عندما يتكون داخل السحب الممطرة يكون فى أعلى درجات النقاء من الملوثات ، وعندما يروح متساقطاً فى الجو من قواعد السحب إلى سطح الأرض ينقيه مما قد يعلق فيه من الوان الشوائب .. ولولا هذا التدبير من الله تعالى لامتلأ الجو المحيط بالأرض بالشوائب والملوثات التى لا تستقيم معها الحياة .

ونظراً لأن ماء المطر ينقى الجو أولاً بأول وهو يتجدد بصفة مستمرة ، فإنه يظل طاهراً يزيل الأوساخ والأنجاس :

﴿ . . . . وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ . . . . ﴾

« الأنفال ١١ »

ماء الأرض

جمعت الأرض أكبر قدر من الماء من بين سائر أفراد الكواكب السيارة فى مجموعتنا الشمسية ، وقلنا إن ذلك لم يكن عبثاً أو لمجرد الصدفة :

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِى الْأَرْضِ . . . ﴾

« المؤمنون ١٨ »

ويوجد الماء فى الأرض على صوره الثلاث :

١ ـ الماء السائل الذى يملأ بطون البحار والمحيطات وهو ماء مالح لأنه اذاب كثيراً من املاح القشرة الأرضية ، وكذلك الماء العذب المتجدد الذى يجرى فى الأنهار وينبثق من العيون ، واصله من المطر :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِى الْأَرْضِ . . . . ﴾

« الزمر ٢١ »

﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا . . . . . ﴾

« الرعد ١٧ »

اى أن الله تعالى أنزل من السحاب مطراً سالت به الأنهار والوديان حسب تقدير تعالى . ومن امثلة ذلك الأمطار التى تسبب فيضان النيل ، والأمطار التى تسبب السيول الجارفة فى شرق مصر وطور سيناء .. وعلينا أن ندرسها وندرس الرياح التى تجلبها حتى تكون لنا نعمة نعتمد على مائها فى الزراعة بتخزينه ، بدلاً من أن ينساب ويجرف القرى والطرق :

﴿ . . . . . وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

« البقرة ١٦٤ »

٢ ـ ويوجد الماء فى الأرض على هيئة غاز هو بخار الماء الذى يحمله الهواء . وقد جعل الخالق القدير بخار الماء أخف من الهواء فى الوزن ، بنسبة ٥ إلى ٨ على الترتيب ، وذلك لكى تحمله تيارات الهواء الصاعدة إلى مناطق إثارة السحب ونزول المطر ، حيث يتم تكاثف بخار الماء أو تحوله إلى نقط من الماء أو إلى بلورات من الثلج تبعاً لدرجات الحرارة السائدة فى تلك الطبقات العالية ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً .... ﴾

« الروم ٤٨ »

٣ ـ ومن صور الماء فى الأرض كذلك الماء الصلب ، أو الثلج ، الذى يتراكم عند القطبين وفى أعالى الجبال الشامخة ، حيث يكون مصدراً لفيضانات الأنهار التى تنبع منها ، إلا أن ثلج الأرض هو بصفة عامة بمثابة خزانات عظمى للطاقة تساعد على تنظيم درجة حرارة الجو ، وتحول دون حدوث نهايات عظمى قاتلة .

ماء التناسل

استخدم القرآن الكريم أيضاً لفظ الماء للدلالة على ماء التناسل ، لشبه بينهما فى السيولة أو من حيث التدفق ، وذلك فى مثل قوله تعالى :

١ ـ ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ...... ﴾

« النور ٤٥ »

فقد يكون المراد من الماء هنا ماء التناسل المشتمل على الحيوانات المنوية ، وقد يكون المراد الماء الطبيعى الذى يتكون منه الجزء الأكبر من أجسام الكائنات الحية كما قدمنا .

٢ ـ ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾

« السجدة ٨ »

والمراد هو من ماء قليل لا يؤبه له عادة . والمهين من الرجال الضعيف أو الحقير . وهذا المعنى أيضاً فى قوله تعالى :

٣ ـ ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾

« المرسلات ٢٠ »

الماء قبل خلق السماوات والأرض

يقول الله عز وجل :

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ...... ﴾

« هود ٧ »

وظاهر الآية الكريمة معناه أنه قبل أن يخلق الله عز وجل السماوات والأرض لم يكن فى الوجود سوى عالم الماء ومن فوقه عرش الله ، ثم حدث أن خلق الله الكون الذى من حولنا وأوجدنا فيه لكى يختبرنا ويظهر حقيقة أعمالنا وإيماننا ∴ ولفظ الماء هنا من الغيبيات التي لا محل للخوض فيها لبعدها عن مجال العلم الطبيعى .

والله أعلم

وللحديث بقية

محمد جمال الدين الفندي



الحاسب الآلى

خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإنسان ومَيّزهُ بالعقل والطموح فهما جناحاه اللذان يحلق بهما آفاق الزمان والمكان على بساط رحلة عُمُرهِ فى هذا الكون الفسيح، وبهما تمكن فاستطاع أن يعطى الحياة أكثر من عمره «اكتشافا واختراعا وأداء».

رصد الكائنات من حوله، ومن فوقه ومن تحته فدرس التشابه والاختلاف والعلاقات التى تتماسك، والأخرى التى تتنافر حتى يلغى بعضها بعضا. حشد هائل لابد من تدوينه وتنسيقه، وإيجاد طرق تفاعله، واستنباط قوانين هذا التفاعل.

ساعده ـ فى ذلك كله ـ الرصد أو الحسب، واخترع لهذا الرصد أجهزة تسمى «الحاسبات».

وفى بداية حياة الإنسان، استخدم رجل الكهف «حاسباً» لا زلنا نستخدمة إلى الآن .. أعنى «أصابع اليدين» ثم استخدم معها «أصابع القدمين» فى العمليات الأكثر تعقيداً، ولا زالت معظم اجهزة الحساب أو «الحاسبات» إلى الآن تعتمد على مبدأ هام وعام وهو: «**الحسابات عن طريق وحدات متقطعة**» كذلك كانت اصابع اليدين الأساس فيما يعرف اليوم بالنظام العشرى وهو من أسهل وأشمل النظم الرقمية المعروفة.

وفى «ماكينات» الجمع البسيطة كانت العمليات الحسابية تتم عن طريق أسنان «ترس» كوحدات متقطعة. أما فى الحاسبات «الالكترونية» المتطورة فإن الوحدة المتقطعة هذه قد تكون شحنة كهربية أو «فيلم» مغناطيسياً، ويستخدم الحاسب الرقمى هذه الوحدات المتقطعة فى إجراء عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة بدقة بالغة.

عمل الحاسب الآلى:

قبل أن نتعرف على طريقة عمل الحاسب الآلى يجب أن نحدد أولاً المراحل التى تتم بها العمليات الحسابية لدى الإنسان وهى:

١ ـ **مرحلة الإدخال**: بالنسبة للإنسان تعتبر الأعضاء المختلفة مثل: الأذن والعين والأنف واليد «وسائل إدخال» للبيانات والمعلومات قبل وصولها إلى العقل وذلك عندما يسمع أو يرى أو يشم أو يلمس، وبعد ذلك تنتقل هذه المعلومات إلى ذاكرته ليستعملها عند الحاجة.

٢ ـ **مرحلة المعالجة**: يقوم عقل الإنسان



بالتفكير فى الموضوعات ومعالجتها حتى يصل إلى الحلول المناسبة وفى سبيل ذلك قد يقوم بإجراء الحسابات اللازمة مستعيناً بجدول الضرب المحفوظ فى ذاكرته أو بتجاربه وخبراته السابقة .

٣ ـ مرحلة الإخراج : ثم يقوم بإخراج النتائج التى توصل إليها بعد المعالجة بعدة طرق . منها الكلام أو على هيئة حروف وأرقام يكتبها بيده تمثل النتيجة التى توصل إليها .

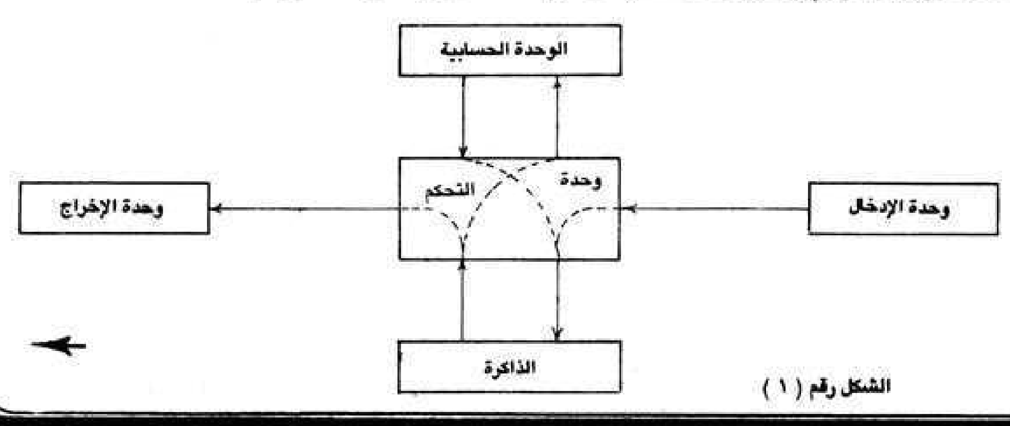
وهذه المراحل تماثل تماماً مراحل العمل فى « الحاسب الآلى » . الذى **يحتوى على خمس وحدات رئيسية** تمثل الأولى منها مرحلة الإدخال ، والأخيرة مرحلة الإخراج ـ وما بينهما من وحدات يتم فيها مرحلة المعالجة . ويوضح الشكل (رقم ١) هذه الوحدات الخمس وما بينها من علاقات فى صورة تخطيطية مبسطة وهى :

١ ـ وحدة الإدخال : وهى التى تمكن المشغِّل من إدخال البيانات والأوامر إلى الحاسب وعادة يتم إدخال هذه المعلومات من خلال « وحدة التحكم » إلى « الذاكرة » حيث يتم تخزينها إلى استخدام لاحق . وتشمل طرق الإدخال عدة وسائل منها :

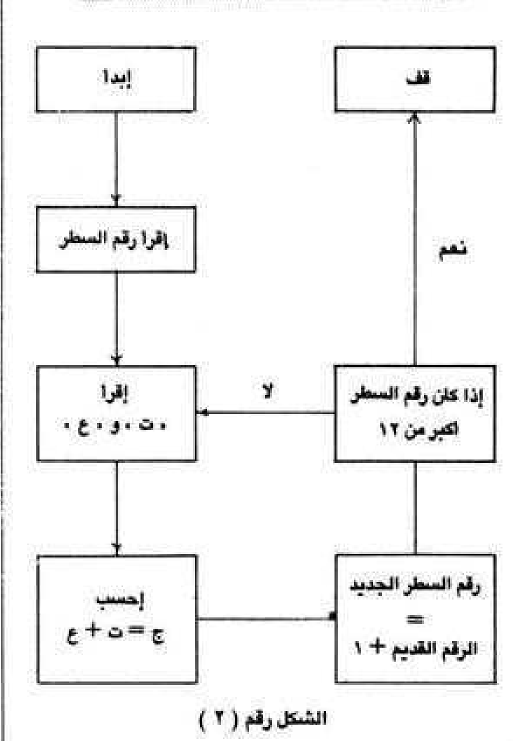
١ ـ قراءة بطاقات خاصة مثقبة بحيث يرمز كل ثقب فيها ، أو مجموعة من الثقوب ، إلى حرف هجائى (مثل أ ، ب ، ......) أو رقم (١ ، ٢ ، ....) أما فى الحاسبات الحديثة فيتم ذلك عن طريق آلة كاتبة كهربية مزودة بشاشة « تليفزيون » .

٢ ـ وحدة التحكم : وتقوم بعدة أدوار أساسية منها إمرار المعلومات بين مختلف وحدات الحاسب الأخرى . كما تقوم بدور المترجم للبيانات التى تم إدخالها قبل تخزينها فى الذاكرة ـ حيث إن للحاسبات لغة خاصة غاية فى التعقيد بينما اللغات المستخدمة في إدخال البيانات أقرب ما تكون للغة المعتادة فى حياتنا العلمية .

٣ ـ الذاكرة : وتقوم بتخزين كل البيانات والمعلومات التى تعطى لها . وفى الحاسبات الحالية يصل حجم الذاكرة فيها إلى عدة ملايين من الوحدات .. وهذه الذاكرة قد تكون كهربية أو مغناطيسية .



الشكل رقم (١)



الشكل رقم (٢)

٤ ـ وحدة الحساب : وهى ما يتم عن طريقها فعلاً كافة العمليات الحسابية من جمع وطرح وضرب وقسمة ، وبالإضافة إلى ذلك فإنها تقوم بإجراء بعض العمليات المنطقية و « اختبارات الدوال » . فعلى سبيل المثال فإنها تستطيع أن تختبر عددا ما مُوجَباً كان أم سالباً ثم تختار نوع الحسبة الملائمة فى أى من الحالين وتقوم بتسجيل مؤقت للنتائج التى توصلت إليها .

٥ ـ وحدة الإخراج : وهى تقوم بتقديم سجل كامل للإجابات المطلوبة وكذلك البيانات الداخلة والمطلوب تسجيلها . ويتم الإخراج على هيئة كتابة مطبوعة على ورق أو مسجلة على شرائط ويمكن استقبالها كذلك على الشاشات التليفزيونية الخاصة بذلك .

استخدام الحاسب

ولتبسيط استخدام الحاسب ، فلنتخيل شخصاً يريد أن يصل إلى عنوان منزل معين فى مدينة ما من نقطة أو ميدان فى هذه المدينة وكل حصيلة هذا الشخص هو معرفة معنى « طـريـق » و « قنطـرة » ، و « مبنـى » بالإضافة إلى الأرقام وإشارات المرور ... إلخ ، ولكنه لا يستطيع أن يقرأ عنواناً أو اسم شارع مثلاً . فى هذه الحالة فإننا نَدُلُّهُ بإصدار الأمر له فى صورة :

(سر « جنوباً » إلى « ثالث » « إشارة مرور » ثم اتجه « شرقاً » حتى تجد « قنطرة » فاعبرها واستمر « شرقاً » حتى تتخطى « ثلاثة مبان » ، فإذا كان الطريق « الجنوبى » مفتوحاً فاتجه « جنوباً » وسر مسافة مبنيين تجد العنوان المطلوب فى الركن « الجنوبى الغربى » أما « إذا » كان مغلقاً فسر مقدار « مبنى » إضافى ثم « مبنيين » « جنوباً » ثم « مبنى » إلى « الغرب »)!!

أما عند استخدام الحاسب . فإننا نسير فى سلسلة من الخطوات كالآتى :

١ ـ يجب أن نحيل المشكلة أولاً إلى ما يسمى « بالصورة الرقمية » فالحاسب الآلى لا يستطيع أن يتداول إلا خطوات رياضية وحسابية بسيطة بالإضافة إلى القرار : « نعم » أم « لا » ، ولذلك فلابد من تحويل أية مشكلة رياضية معقدة إلى صورة بسيطة .

٢ ـ يلى ذلك مرحلة « البرمجة » وهى تعنى

التخطيط لمراحل الحسابات المتتابعة فى خطوات . ويشتمل البرنامج مجموعة من الأوامر لنقل الأعداد المخزونة فى الذاكرة إلى الوحدة الحسابية عن طريق مجموعة من « الكلمات » . ومن أمثلة « الكلمات » المستخدمة كلمة « انقل » و« أضف » و« اضرب » .. إلخ . كذلك لابد من وجود عدد يميز « عنوان » البيانات التى ستتم عليها العمليات الحسابية ، وهذا العنوان يناظر عنوان المنزل فهو يدل على المكان ولا يدل على المحتوى .

٣ ـ **المرحلة التالية** : هى مرحلة إعطاء اسم رمزى للبرنامج وكتابة البرنامج بلغة مفهومة للحاسب مع الوضوح الكامل لتفاصيل الأوامر المطلوبة لذلك يجب فهم « شخصية الحاسب » فهما دقيقاً ، ويلى ذلك مرحلة اختبار الأخطاء وإلا ، فمن الممكن الا يعطى الحاسب أية نتائج وقد يعطى نتائج خاطئة .

٤ ـ **المرحلة الرابعة** : وهى مرحلة تشغيل البرنامج وهذه المرحلة لا تحتاج المهارة والخبرة الفائقتين اللتين احتجنا لهما فى المرحلتين السابقتين طالما كان البرنامج قد تم وضعه فى الصورة الصحيحة المطابقة للهدف .

ولتوضيح ذلك ، يمكن إعطاء هذا المثال البسيط : لنفرض أن المطلوب حساب إجمالى لدخل شخص ما على مدى شهور السنة ، والمعروف أن هذا الشخص يمتلك محلاً تجارياً يدر عليه مبلغ يساوى « ت » جنيها كل شهر بالإضافة إلى عقار يعطيه دخلاً متغيراً يساوى « ع » جنيهاً شهرياً فإذا رمزنا للشهر بالرمز « ش » فإننا يمكن أن نضع هذه البيانات فى صورة جدول كالآتى :

ش	ت	ع
١	٣٠٠	٢٥٠
٢	٢٤٥	٢٢٠
٣	٢٧٠	١٨٠
٤	٢١١	٢٦٧
⋮	⋮	⋮
١٢		

اى إنه فى شهر « ١ » حصل على ٣٠٠ جنيه من المحل التجارى و٢٠٠ جنيه من العقار ، .... وهكذا ..

ويمثل الشكل (رقم ٢) رسماً تخطيطياً لبرنامج الحاسب الذى سيقوم بحساب الدخل الشهرى على مدى السنة . وهو يتمثل فى الخطوات الآتية :

١ ـ البدء .

٢ ـ قراءة رقم السطر فى الجدول .

٣ ـ قراءة كل من قيمة « ت » وقيمة « ع » .

٤ ـ حساب المجموع ج = ت+ع .

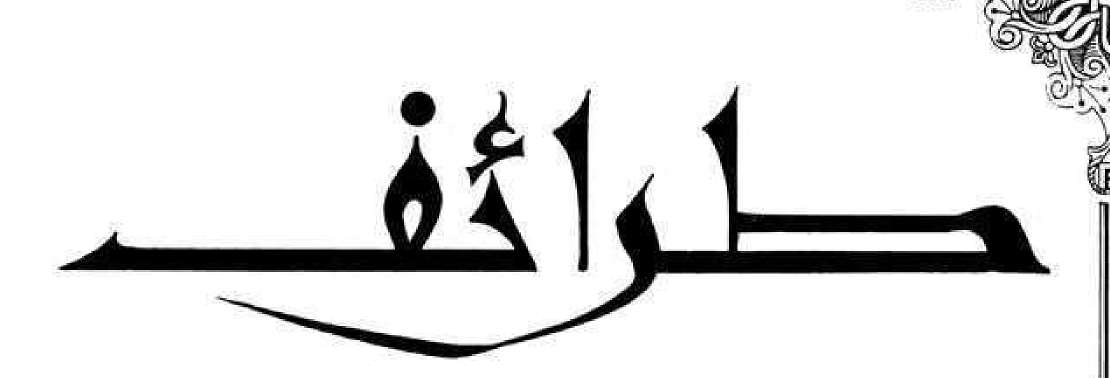
٥ ـ قراءة السطر الجديد .

٦ ـ معرفة ما إذا كان رقم السطر أكبر من ١٢ ففى هذه الحالة يتوقف ويقوم بطبع النتائج وإذا كان رقم السطر أقل من ١٢ فإنه يستمر فى حساب « ج » بعد قراءة « ت » ، « ع » .

وهكذا تتدرج درجة التعقيد فى البرامج تبعاً للمشكلة المراد حلها .

وللحاسب الآلى استخدامات وتطبيقات عديدة فى حياتنا العملية سوف نتناول بعضها فى مقالات لاحقة بإذن الله الذى علم الإنسان ما لم يعلم .

د . سعـــاد البيلـــى



« اعتراف »

حج اعرابى ، فكان لا يستغفر والناس يستغفرون .

فقيل له : لم لا تستغفر ؟

فقال : إن تركى الاستغفار مع ما أعلم من عفو الله ورحمته ضعف ، كذلك استغفارى مع ما أعلم من إصرارى لؤم .

« اذهب عنى »

قال الأعصمى :

دخلت الطواف بالكعبة ، فرأيت اعرابياً عقل ناقته خارج البيت ، ثم دخل وهو يناجى ويقول : اللهم أنا مؤتزر بشملتى كما ترى ، وناقتى عجفت كما ترى ، وأنا آيس من جميع الورى ، يامن ترى ولا يُرى ، أما ترى ، أما ترى !! ما حل بى أما ترى ؟ فقلت لأصحابى : هل معكم شىء ؟

فجمعت له دنانير ، وتقدمت بها إليه

فقال : إليك عنى ، فإنى أسأل من هو أبسط كفا منك ، وأكرم وأجود وأغنى بالعطاء فاذهب عنى وخلنى مع ربى .

« أصدق الناس فراسة »

اصدق الناس فراسة ثلاثة :

العزيز فى قوله لامرأته عن سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ : « أَكْرِمِى مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا » . والتى قالت لأبيها عن سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ : « يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِىُّ الأَمِينُ » .

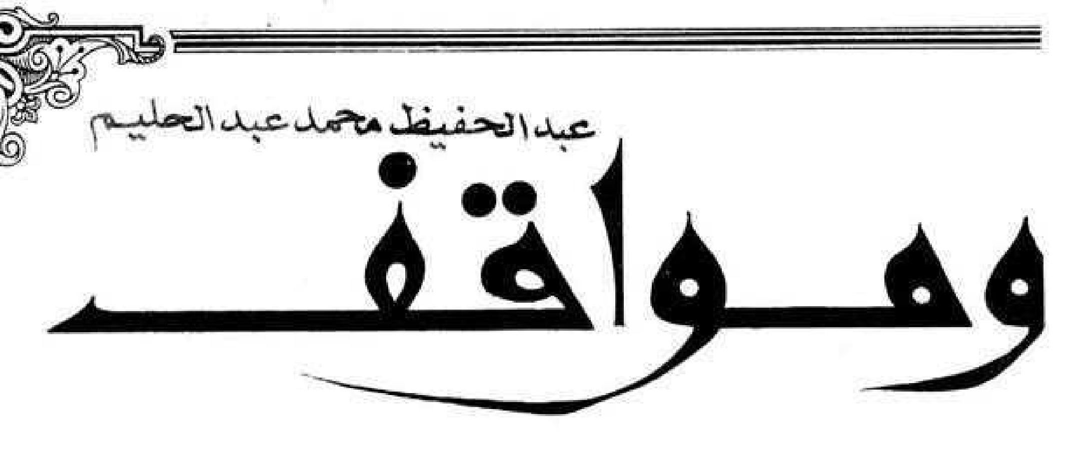
وسيدنا ابو بكر ـ رضى الله عنه ـ فى الوصية بخلافة سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ .

« عجبا »

لمن خاف العقاب ولم يكف ، ولمن رجا الثواب ولم يعمل !!

« أربعة »

أربعة تزيد فى ماء الوجه وبهجته : المروءة ، والوفاء ، والكرم ، والتقوى .
أربعة تجلب البغضاء والمقت :



الكبر ، والحسد ، والكذب ، والنميمة .

أربعة تجلب الرزق : قيام الليل ، وكثرة الاستغفار بالأسحار، وتعاهد الصدقة ، والذكر أول النهار .

وأربعة تمنع الرزق :

نوم الصُبْحَة ، وقلة الصلاة ، والكسل والخيانة .

« حقا »

ه ربيع الجيزى صاحب الإمام الشافعى -رضى الله عنه- يوماً فى أزقة القاهرة ، وإذا إجانة مملوءة رمادا طرحت على راسه ، فنزل عن دابته وأخذ ينفض ثيابه .

فقيل له : ألا تزجرهم ؟

فقال : من استحق النار وصولح بالرماد فليس له أن يغضب .

« ليتنا نتدبر »

شاور معاوية الأحنف بن قيس فى استخلافه يزيد ، فسكت عنه .

فقال : مالك لا تقول ؟

فقال : إن صدقناك أسخطناك ، وإن كذبناك اسخطنا الله ، فسخط أمير المؤمنين أهون علينا من سخط الله .

فقال له : صدقت .

« نصيحة »

قال الطرطوشى : يحذر السلطان أن يولى الوزارة لئيماً :

إن اللئيم إذا ارتفع جفا أقاربه ، وأنكر معارفه ، واستخف بالأشراف ، وتكبر على ذوى الفضل والإنصاف .

« دعاء »

اللهم لا ياتى بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

البَعث بالجسَد والروح

لفضيلة الشيخ ابراهيم الجبالى

فصل الكتاب العزيز - كعهده - فى أمر البعث بكلمة الحق ليقع الجزاء الأوفى للمخلوق على ما عمل من خير تقوم به النفس وآخر تقوم به النفس بواسطة الجسد وعلى ما عمل من شر ينطلق من النفس - أو منها والجسد - فجاء كتاب الله الكريم قاطعا بأن البعث كائن فى الجسد والروح معا . وفى هذا البحث نقرأ لفضيلة الشيخ ابراهيم الجبالى تحليلا علميا دقيقا لتلك القضية

قال - رحمه الله :

البعث بالجسم والروح

اجمع أهل الأديان السماوية على الاعتراف بالبعث واليوم الآخر ، وبنيت الشرائع على تكليف العباد بعقائد وأعمال ، وترتيب الجزاء على امتثال التكليف أو عدم امتثاله بالثواب والعقاب ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾ وكذلك رأى الفلاسفة الحكماء الذين يستمدون آراءهم من نظر العقل أن لابد من جزاء فى حياة أخرى تتعرض لها النفس الناطقة بعد مفارقة البدن الذى هو من عالم المادة ، بل قد اهتدى بعض أهل الفترة بفطرتهم من غير أن يدرسوا علوما فلسفية أو يتلقوا شرائع سماوية إلى أن حياة بعد هذه الحياة يلقى فيها المحسن جزاء إحسانه والمسىء جزاء إساءته أمر لا مفر منه ولا مندوحة عنه .

روى أن بعض رؤساء العرب كان يقول دائما : من يظلم يظلم ومن اعتدى اعتدى عليه . فلما رأى أفراداً استطالوا على الناس بقوتهم ، وظلموهم معتدين ثم مضوا لسبيلهم ، وانتهت آجالهم بدون أن ينتقم منهم ، ولم يلحقهم أذى فى دنياهم ، فكر ثم قال : والله لابد من يوم يحيا فيه الناس ويتقاصون ويلقى كل امرىء جزاء ما عمل إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

اعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

أعمل هذا ومثله فكرهم فى روية فتأملوا فى صنع الحكيم العليم الذى أبدع خلق هذا العالم على أكمل نظام ، وأعطى كل نوع كماله الذى يناسبه ، فلم تقبل عقولهم أن يترك أفراد الناس فوضى يتطاحنون ويتظالمون ، ويمكن بعضهم من قهر بعض بلا رادع ولا وازع ، ثم يمضون هكذا لسبيلهم بدون أن يقتص لبعضهم من بعض ، ورأوا أن ذلك لا يتفق وما يرون من كمال الاتقان والابداع ومظاهر الحكمة والعدالة التى تتجلى فى خلق العوالم المتنوعة بسائر نواحى وجودها كلية وجزئية ، فجزموا بما جزموا به بفطرتهم وإن لم تصلهم تفاصيل الشرائع السماوية وأحكامها مما جاء به الأنبياء والمرسلون على وجه يكفى فى الإيمان والإذعان .

هكذا رأت العقول السليمة بفطرتها ، وإلى هذا وصل حكماء الفلاسفة ببحوثهم ، وبهذا وردت الشرائع السماوية برمتها ، وعلى هذا درجت الأمم المتدينة قديمها وحديثها .

ولقد شذ عن هذا بعض الناس فى بعض الأحيان والعصور فقالوا : « إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين » وإنك إذا فحصت حال هؤلاء وتأملت فى دخائل نفوسهم وجدت لهم دواعى نفسية دعتهم إلى التمسك بهذه المقالة والإصرار عليها ، واضطرتهم إلى التفتيش عن مستند لها مهما ضعف ، ففتشوا حتى عثروا بشبه واهية تخيلوها أدلة ثم خالوها ، إذ كانت توافق أغراضهم ، فعملوا على تثبيتها حتى دانت لها نفوسهم وخلدوا إلى السكينة عندها .

فأما دواعيهم إليها فإنها لا تعدو الحرص على تحقيق رغائب النفس الأمارة بالسوء ـ من انغماس المترفين فى شهواتهم ولذائذهم غير منغصين بعقوبة متوقعة ، أو استمراء الأقوياء الظالمين مراتع الظلم الوخيمة غير مروعين بقصاص عادل ، فليس أبغض إلى المستهتر فى شهواته العاكف على لذاته ، ولا أثقل على سمع المعتد بقدرته المفتات على الضعيف بفضل قوته من أن تذكره بأن هناك جزاء عادلا ، وقصاصا شاملا ، لا ينجى منه مال ولا بنون ، ولا تنفع فيه شفاعة الشافعين . هذه الفكرة مروعة للظالم ، منغصة للمترف ، مفسدة على كليهما ما يشعر به من لذة ، سواء أكانت لذة الاسترسال فى اللهو ، أو نشوة النصر والغلبة والقهر . ومن ذا الذى يسمح للمنغصات أن تدخل عليه بلا استئذان ، أو للمروعات تلج إلى نفسه من أى باب ؟ فالمرء مجبول على أن يحتاط لنفسه فلا يسمح لأي غبار أن يعكر عليه صفوه ، فحين يقرع سمع هؤلاء مثل هذه الكلمات فتحدث فى نفوسهم أثرها الطبيعى يثورون عليها بطبعهم ، ويهاجمونها بكل قوتهم ، ويبحثون بكل ما يملكون عن شىء يميت هذه الفكرة المنغصة للذات ، المفسدة للشهوات ، المعكرة

←

للصفو ، المفوتة للهو ؛ فإذا لم يجدوا ما ينشدون تمنوا ولو شبهة ، ثم تخيلوا ما تمنوه حاصلا ، ثم خالوا ما تخيلوا حقيقة واقعة ، بل زعموه أدلة ساطعة ؛ وهكذا يتحيل المرء على ما يوافق غرضه بأية حيلة ويسلك إليه أوهى وسيلة . ولو خلى هؤلاء وعقولهم ، ولم تعبث بتفكيرهم أهواؤهم لكان أدنى مراتب الحكم أن البعث إن لم يكن ثابتا جزما فهو على الأقل أمر محتمل فيصبح الاحتياط من الوقوع فى شره أو التعرض لضرره ، بل العقل يوجب الحذر للنفس والتوقى من التعرض للخطر والضرر ولو على سبيل الاحتمال .

..... كل هذا بقطع النظر عن نصوص الشرائع التى لا سبيل إلى التخلص منها ، ولكن من لك بأن تقنع عصابات الشر وجماعات اللصوص وقطاع الطريق أن يفكروا فى أمر العقوبات والقوانين .... ؟

..... هل رأيت مرة مجرما يفكر فيما هو عرضة له من عقوبة ، لو فكر فى ذلك لارتدع من أول الأمر ؛ ولو فرض أن خاطب أحد المجرمين رفقاءه يذكرهم لثاروا فى وجهه : إن هذا جبن وخور ، فلتكن مقداما ولا تفكر فى مثل هذا ، ودع عنك الهواجس والخزعبلات .

وهكذا شأن المجرمين إذا دعوا إلى التفكير فى البعث والجزاء الأخروى . ولعل هذه الحالة النفسية مما يلمح إليه قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » أى أنه لا يمر على خاطره مقتضى إيمانه ، وإلا كان إن لم يردعه الخوف من العقاب منعه الحياء من مالك الرقاب . نعم ليس أثقل على نفس المجرم من التفكير فى ماله وصيرورة حاله ، ولا يزال يعرض عن ذلك ويتناساه حتى يران على قلبه وينساه ، ثم ينتقل إلى أن يجزم بخلافه .

ويتلمس أوهى الأسباب يتمسك به ، حتى يقنع نفسه ومن قدر عليه قهراً أنه لا شىء مما يخاف بواصل إليه ، وإذا قدرت له السلامة مرة ومرة اتخذ ذلك ذريعة للاسترسال فى غوايته والاجتهاد فى تثبيت ما زعمه عقيدة ، ومحال مهما حاول أن يظهر بأنها عقيدة أن ترسخ الرسوخ الحقيقى الذى هو شأن العقائد ، بل هى مزعزعة بأى ريح تمر عليها لولا التشبث الشديد الذى يبعثه فى نفسه حرصه على استيفاء اللذائذ ؛ فمثل هؤلاء مثل منكرى البعث - والكل من فصيلة واحدة يجمعهم التغافل عن العواقب - أو يقولون : من الذى بعث من الآباء والأجداد على تقادم العصور والأحقاب ؟ هل عاد أحد منهم وخبرنا أن بعد الموت حياة وإذ لم نسمع ممن مضوا وهم الذين شهدوا وعرفوا فلا يكون لذلك حقيقة ولا ثبوت ، كأنهم إذ لم يروا ولم يسمعوا ممن رأى وشاهد لا يكون عليهم سلطان ولا يقدر عليهم ديان ، فما أشبههم بالنعامة تدفن رأسها بين حجرين لكيلا ترى الصياد ظنا منها أنها إذا لم تره لم يرها فتسلم ، وبذلك تستسلم حتى يدركها حتفها فى غفلتها .

ولعلك قائل إن هذا إسراف من الكاتب فى تصوير ما عليه المنكرون ، فيرى أنهم يشعرون بالبعث ويتغافلون عنه ويتناسونه ،

ولكن ماهم فى ذلك من شىء ، فهم ينكرونه من قرارة نفوسهم ويرون أنه لن يكون ، ولعل الكاتب حكمت عليه عقيدته فتخيل كل الناس على رأيه ، إذ قاس العقائد عند الناس بما حقه أن يكون فى نظره ؛ وإلا فالمنكرون منكرون وكفى .

وأقول على رسلك ورويدك رويدك ! إن من نظر فى كلام قدمائهم على تعدد طبقاتهم وتباين منازعهم ، ثم تحدث إلى محدثيهم الذين درجوا على سننهم لا يجدها تعدو ما قدمنا لك من أن أمر البعث أمر سمعنا به وما شاهدناه وما لنا به من علم ؛ **ومعنى ذلك أنهم لا يصدقون بوجوده ، لا أنهم يجزمون بعدم حصوله ، وفرق ما بينهما ، أو يقولون كما حكاه عنهم القرآن الكريم :**

﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ. أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ ومعنى ذلك أنهم يستبعدون أن تعود إليهم الحياة بعد أن ابتعدوا عنها ، ومعنى ذلك أنهم فى شك واستبعاد ، لا أن لديهم الجزم بالنفى ، ومثل هذا قولهم ﴿ مَنْ يُحْيِى الْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ فكأنه ما حيرهم فى أمر البعث إلا عجزهم عن تصور من يقوم به ، وأما تصور الموجد للحياة الأولى بلا سابقة حياة فهو أمر غير محير عندهم ، نعم حاول فئات منهم أن يبرهنوا على استحالته مبالغة منهم فى الأمن منه وجلبا للطمأنينة الموهومة ليخلو لهم الجو ، فكدوا قرائحهم وأجهدوا نفوسهم وما ظفروا من ذلك بما يبل ريقهم ويحرك فى أفواههم ألسنتهم ، إذ كان كلامهم من جنس هذه الكلمة : **لو كان المعاد هو الأول لعاد بشخصه وبجميع مشخصاته ، ومن شخصاته وجوده فى الوقت المعين الأول ، فإذا كان وجوده فى وقت آخر كان مغايرا للموجود الأول فكان المعاد غير الأول .**

والعجب منهم أن يدعوا لأنفسهم العقل حتى مع هذا الهذيان ، فهل يرون أنهم يوم اكتملوا حتى قالوا هذه المقالة هم غير من ولدتهم أمهاتهم أطفالا على فراش آبائهم ! فكيف إذاً ينتسبون إلى آبائهم ويتوارثون معهم ويكلفونهم أن يربوهم وقد صاروا شيئا آخر بمجىء وقت آخر . وإنها لسخافة لا تستحق الالتفات إليها ولا الرد عليها .

وما أحسن قول أستاذ لتلميذه فى إفحامه وقد قال بمثل هذه المقالة : « أنا لا يلزمنى الرد عليك ، فإن السائل والمسئول قد مضيا لحالهما وجاء خلق جديد غيرهما بتبدل الوقت » وأحسن منه أن واحداً صفع صاحب هذه المقالة على وجهه ، فلما أراد الاقتصاص منه قال له : « علام ؟ قد ذهب الضارب والمضروب وجاء بدلهما شخصان جديدان » فترى أن أمر البعث لا تكاد نفس تصل إلى دليل أو شبهة تصف به قدمها وتستطيع أن تثبت استحالته وعدم إمكانه أو الجزم بأنه غير حاصل . وغاية متمسكهم أنهم لم يجزموا بحصوله ، فزعموا أنهم جزموا بعدم حصوله .

أما بعد : فالناس فى أمر البعث قسمان : فريق لا يقول بدين ولا يعتقد بصدق أحد من الأنبياء والمرسلين ؛ وهؤلاء منهم من هدته فكرته ودلته فطرته على أن لابد من يوم يحاسب فيه الناس على أعمالهم ويجزون بما

كان منهم ، ومنهم من سمع بمثل هذه الكلمة فنأى عنها ، أو حاربها جهد استطاعته فرارا من صدمتها له في رغائبه وأغراضه . وفريق متدين ومعتقد صدق الأنبياء والمرسلين ؛ وهؤلاء كلهم معترفون بالبعث واليوم الآخر ، ولكن منهم من يعترف بالبعث بالجسم والروح ، ومنهم من يقول به ولكن بالروح فقط ، إذ كانت إعادة الأجسام عنده محل إشكال ، فذهب إلى التأويل في النصوص الشرعية جريا على القاعدة المقررة : أن ما ورد من النصوص وكان إجراؤه على ظاهره غير ممكن وجب تأويله .

وليس من غرضنا في هذه الكلمة أن نعرض لإثباته على فريق من لا يقول بالأديان ولا يذعن للتصديق بنبوة الأنبياء ورسالة المرسلين ، فهؤلاء قد أقام القرآن الكريم في وجههم من الآيات البينات ما يفهمه كل من عنده أدنى عقل إذا لم يغمض عينيه عن النور ، ولم يجعل أصابعه في أذنيه فراراً من صيحة الحق ، **وإنما كلامنا مع من صدق بالشرائع وأذعن لدلالة النصوص** ، وزعم أن البعث الجسماني أمر غير ممكن أو لا فائدة منه فيجب تأويله وصرفه إلى البعث الروحي وتأويل ما ورد في أمر النعيم والشقاء بأنه كنايات لتقريب اللذائذ الروحية إلى الفهم بتشبيهها باللذائذ الجسدية التي ألفها الناس وركنت لها نفوسهم ، حتى أصبحت أكبر عامل في اجتذابهم والتأثير على ميولهم .

وكلام هؤلاء في شعبتين :

الأولى : أن إعادة الأجسام غير ممكنة .
الثانية : أنها لا فائدة لها .

فأما الأولى : فقد استندوا فيها إلى شبه بعضها أو هي من بعض ـ قالوا : أولا تلك الكلمة التي سبق أن حكيناها عن بعض المنكرين ، وهي أن المعاد يلزم أن يستوفي كل مشخصات المبدوء ، ومنه وقته الذي وجد فيه ، وحينئذ يلزم أن يكون بدءاً لا إعادة . وقد عرفت أن اتحاد الوقت غير لازم في اتحاد الذات مطلقا ، ولا يقول به إلا من نسي نفسه وغفل عن ذاته ، وأنه هو نفسه الذي يبدىء كلامه وهو الذي يتمه ، وقد بدأه في وقت وأتمه في وقت آخر ، بل هو نفسه الذي ولد صغيراً وعاش حتى هرم وشاخ ، وهو هو الذي يموت بعد أن يستوفي أجله ، بل إذا فرض أن تقطعت أجزاؤه ونبت له غيرها ما كان ذلك بمغير شخصيته ولا بمخل بوحدته ، وعلى العموم فسخافة هذه الشبهة أوضح من أن تحتاج إلى عناء .

وقالوا ثانيا : قد يصح أن يأكل شخص شخصا فيمتزج بدن هذا ببدن ذاك ، فهل الأجزاء التي دخلت في جسمين تعاد مع الأول أو مع الثاني أو مع كليهما ؟ ، وقد يرى بعض الناس أن هذه الشبهة من القوة بحيث لا يمكن التخلص منها ، ثم يعززها بفروض قريبة الوقوع ، كأن يقول : قد يغرق شخص فتأكله الأسماك حتى يتحد بجسمها ، ثم يأكل هذه السمكة شخص آخر تتحد بجسمه ؛ أو يقول : قد تتحات أجزاؤه وتصير ترابا تمتزج بنبات تمتصها جذوره ثم نغتذى بهذا النبات ؛ وأمثال هذه الفروض كثير ؛ ويستأنس بقول الشاعر :

صاح هذى قبورنا تملأ الرحـ
ـب فأين القبور من عهد عاد
خفف السير ما أظن أديم الـ
أرض إلا من هذه الأجساد

وإنك لتجد الكثير من الناس مولعا بهذه الشبهة يتشدق بها ، إما طربا لها إذ وافقت هواه وهو تخليص رقبته من ربقة التكليف ، وإما ارتباكا فى أمرها وتحيرا فى كيفية الخلاص منها ، فإذا تأملت ما سيتلى عليك لم تجد لها من الشأن ما يستحق كل هذا ، وذلك أولا أن هذا أمر إنما يعنى من يقوم بتنفيذ الإعادة والبعث ، وهذا أمر لم ينط بنا حتى نهتم بتعرف كيفيته وتدبير تنفيذه ، فالذى أخبر به هو الذى تكفل به ﴿ وَهُوَ الَّذِى أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ .

وثانيا قال العلماء : إن الذى يعاد هو الأجزاء الأصلية التى لا تتبدل ولا تزيد ولا تنقص وتبقى من أول العمر إلى آخره ، فمن فرض أنه أكل شخصا أو أكل حيوانا أو نباتا اغتذى من شخص كانت الأجزاء المأكولة معادة للمأكول لا للآكل ، إذ لم تكن من الأجزاء الأصلية التى وجدت من أول خلقته إلى آخرها .

وثالثا : فإن الأجزاء ليست هى نفسها التى تحس الألم واللذة وتدرك النعيم والشقاء ، وإنما المدرك الروح والنفس ، وإحساسها ـ على ما سيأتى تفصيله فى تفنيد الشبهة الثانية ـ تارة يكون بلذة وألم روحانيين : كالغبطة التى تشعر بها النفس السامية إذا أدركت منزلة من منازل المجد والرفعة ، والمذلة والانكسار التى تلحق بعض النفوس حين تبتلى فى كرامتها ، وتارة يكون بلذة وألم جسميين : كلذائذ الطعام والشراب وآلام الضرب والجراحة مثلا ، ففى كلتا الحالتين المحس هو النفس لا الجسم ، وإنما تحس النفس بلذة جاءتها من طريق الجسم ، ألا ترى أن من عمل له عملية جراحية فى بعض أعضائه يكفى فى عدم إحساسه بالألم أن تعطل وسائل التوصيل بين العضو وبين مركز إحساس النفس الذى هو المخ وتلك الوسائل هى أعصاب الإحساس ، فحياة العضو باقية ، وطرق التوصيل مسدودة ، فلم تحس النفس بألم العضو ، حتى إذا زالت أسباب التعطيل أحست النفس بما فى العضو من ألم ، وعلى ذلك فمعنى اللذة والألم الجسمانيين هو تلذذ النفس وتألمها من أمر حل بجسمها ؛ ولا يفهم من هذا أن المعاد هو الروح لا الجسم ، بل معناه أن الجسد يعاد لتكون النفس عرضة لنوعين من النعيم والشقاء .

الأول : ما يلحقها لذاتها وهو النعيم والشقاء الروحانيان كنعيم اليقين وألم الحيرة .

والثانى : ما يلحقها لجسمها كنعيم المأكل والمشرب وألم التعذيب بالنار على ماسنذكره فى دفع الشعبة الثانية من شبهتهم .

الشعبة الثانية من شبهتهم قولهم : إن بعث الجسم لا فائدة منه ، ذاك أن الروح هى المدركة وهى الشاعرة وهى المحسة باللذائذ والآلام ، وأما الجسد فهو فى ذاته ـ لولا الروح ـ جماد لا إحساس له ؛ وإذ كانت النفس هى المحسة الشاعرة ، بل كانت

←

بالحقيقة هى المكلفة والمخاطبة ، فلتكن هى المثابة والمعاقبة ، وإذ كانت لذائذ النفس والروح غير لذائذ الجسد ، فليكن معنى النصوص الواردة فى الشرائع تمثيلا للذائذ المعنوية الروحية باللذائذ الحسية الجسدية ، إذ كانت هى المعروف للناس المألوف لهم الغالبة على ميولهم ، فهى المؤثرة فى نفوسهم بالرغبة أو الرهبة ، فما جاء من مثل قوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ . أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ . فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ . وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ . عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ . مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ . يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ . بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ . لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ . وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ . وَحُورٌ عِينٌ . كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ومن مثل قوله تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ . فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ . وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ . لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ أو قوله : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ . طَعَامُ الْأَثِيمِ . كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ . كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾ أو قوله جل شأنه : ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ . وأمثال

ذلك من آيات النعيم أو العذاب الأليم - زعموا كل ذلك من باب التمثيل للذائذ والآلام الروحية المرادة باللذائذ والآلام الجسدية المعروفة ، وزادوا فى ترويج شبهتهم أسلوبا فلسفيا فقالوا : إن الإنسان وسط بين طرفين : طرف منحط هو البهائم أو الشياطين ، وطرف سام هو الملائكة ، والشرائع جاءت لتسمو به إلى الطرف الأعلى الملكى ، فكلما جد فى امتثالها صعدت روحه إلى الملأ الأعلى ، حتى يلتحق بالعالم الملكى الصرف ، فيكون أسمى من أن يتطلع فى هذا الدور الكامل إلى الجسد ولذائذه المادية أو أن يعبأ بآلام جسمية ، وأما إذا ارتكس الإنسان فى الشهوات البهيمية أو غلبت عليه الشرور الشيطانية فإنه ينحط فى حياته الأخرى ، فيلتحق بالشياطين الذين تكونوا من الشر وفى الشر يعيشون ، فهم دائما حيارى قلقون وفى حياتهم مضطربون ، لا يفارقهم الكدر والكآبة والانقباض ، بينما الآخرون فى غبطة وسرور ، أو يلحق بالبهائم فيحرم لذة الفهم والعلم

والنور ، فتكون حياته الأخرى لاغية ويكون من المهملين . هكذا قالوا ، وهكذا روجو رأيهم وخدعتهم شقاشق ألسنتهم ، وبهرتهم بوارق فلسفتهم ، وما كانوا فى شيء منها بموفقين لا فى نظر الشرع والنصوص النقلية ، ولا فى نظر العقل والآراء الفلسفية ؛ وإنا نطلب إليك أن تبعد عن نفسك السأم والملل وإن طال بنا وبك القول ، فللأمر أهمية كبرى ليس كبيرا عليها أن تمنحها قسطا وفيرا من وقتك ونشاطك ، والله يتولانا وإياك بالهداية إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

أما النصوص الشرعية فلا أحد من المسلمين ولا غير المسلمين من المتدينين يخفى عليه النصوص الواردة فى الشرائع السماوية من حكاية النعيم والعذاب وتفصيلها حتى نحتاج إلى سرده ، وقد ذكرنا فيما مضى طرفا منه ، وأما التأويل فيصار إليه إذا لم يستقم المعنى الصريح ، فما وجه عدم استقامته ؟

أما عدم الإمكان فقد سبق لك القول فيه واستيفاؤه .

وأما عدم الفائدة والتوجيه بما ذكروا من أن النفس هى المحسة وهى المدركة ففى نفس تقسيمهم ما يشهد بأن لذائذ النفس قسمان ، وآلامها كذلك فى هذه الحياة ، فلتكن فائدة الثواب والعقاب الجسديين فى الآخرة أن تستوفى النفس حظها وقسطها من الجزاء ، سواء منه ما يلحق النفس مباشرة : كالفرح والاستبشار والرضا ، وكالكآبة والحزن والقلق ، أو ما يلحقها بواسطة جسمها : كالمطاعم والمشارب وما معها ، وكتحريق الجسم وتكراره ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ .

وأما النظر العقلى والاعتبار الفلسفى كما يتشدقون به ، فإن العقل يحكم بأن الجزاء الأوفى هو ما يكون من جنس العمل ، وكمال العدل يقتضى أن من عمل عملا من جنس فحقه أن يستوفى أجره من ذلك الجنس .

وقد جاءت التكاليف الشرعية على نوعين .

نوع منها يرجع إلى النفس بدون مدخلية الجسم والجوارح ، وذلك كالإيمان ، وهو أصل التكاليف ، وكتطهير النفس من رذائل الأخلاق الممقوتة : كالحسد والكبر وبغض الناس وإضمار الحقد عليهم .

ونوع يرجع إلى النفس بواسطة الجسم والجوارح : كالصلاة والصيام والحج

←

والجهاد وأمثالها ، وكالكف عن الزنى والقتل وأكل مال الغير ظلما وأشباهها ، فحين تحكم النظر العقلى وترجع إلى ما يسمونه بالآراء الفلسفية الا ترى أن من العدل وقضية العقل أن يستوفى المكلف جزاءه من الجنسين : النفسى المحض والنفسى الآتى من طريق الجسم !

نعم هذا هو ما تقتضيه العقول الراجعة فى تفكيرها إلى فطرتها السليمة التى لم تعوج بالتواء الأهواء بها ، وهذا هو عين ما جاءت به النصوص الشرعية وما يعطيه التأمل فى تفاصيل الجزاء فى اليوم الآخر ، فإنك إذا تأملت فى تلك التفاصيل الواردة تجدها قد جاءت طبق هذا الأصل تماما ، أنظر إلى الإيمان وهو أصل هذه التكاليف وأفضل الأعمال على الإطلاق تجده من قبيل العلم والتصديق ، وللعلم لذته ، يعرفها من عانى شيئا منه ، وتزداد هذه اللذة بازدياد اليقين ، وأرقى أنواع اليقين المشاهدة ، وتزداد أيضا بشرف المعلوم .

فهل تنبهت إلى أن الحكيم العليم الحكم العدل اللطيف الخبير الغفور الشكور قد جازى المؤمنين على إيمانهم فى دار الكرامة بأرقى أنواع العلم متعلقاً بأكمل مايمكن أن يعلم ، فمنحهم جل شأنه رؤيته والنظر إلى وجهه الكريم فى دار كرامته ؛ وإن لها من اللذة مايصغر أمامه نعيم الجنان مهما عظم وازداد ، حتى قيل إن أنواع النعيم تكاد تكون آلاماً إذا قيست بنعيم الرؤية ولذتها ، أليس فى هذا أحسن جزاء وأوفاه ؟ وانظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ واعتبر بما تراه من أحوال نفسك إذا ملكك الغيظ ولم تستطع تصريفه وتفريج كربة نفسك ، حتى انقلب ذلك إلى غل ـ حماك الله ووقاك شر الغل ، فإن كنت سليماً من هذا النوع المرذول من الخلق : خلق الغل والحقد ، فاحمد الله فى نفسك واعتبر آثاره فيمن ابتلى به ، وتأمل قول حكيم : لله در الحقد ماأعدله ، بدأ بصاحبه فقتله . فإذا رأيت أن الحقد فى الدنيا يؤلم إلى درجة أن يقتل صاحبه أو يستل نفسه منه تدريجاً ويسلب هناءة حياته جملة ، فكم ترى من النعيم واللذة فى نزع الغل من صدور المؤمنين

جزاء لهم على تطهيرهم أنفسهم من شروره فى الدنيا وامتثالهم معنى الحديث الشريف : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » ؟ فهذان مثالان من النعيم الروحى واللذائذ النفسية الصرفة ، وتراها تقابل معانى من جنسها .

افليس يروق فى نظر عقلك فلسفياً أن تقول : إذاً يحسن أن يكون جزاء من أجاع نفسه فى الصيام وأظمأها وكف على الجملة عن المنهيات من شهوتى بطنه وفرجه أن يطعم من طعام الجنة ويهنأ من شرابها ويستمتع بحورها جزاء وفاقاً على ماعمل كما قال تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ . بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ . لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ . وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ . وَحُورٌ عِينٌ . كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ؟ أليس من حق من جاهد فى سبيل الله وسافر فى طريق الحج والهجرة أن يأوى إلى ظل ظليل ، وأن يكون مع أصحاب اليمين فى سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود ، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولاممنوعة ، وفرش مرفوعة ، وأن يكون له فى مقابلة أن هجر فراشه وعف نفسه عما نهى أن يكون له من المتع ماتقر له عينه ويسر له قلبه ممن وصفهم ربهم بقوله جل شأنه : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً . عُرُباً أَتْرَاباً . لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ .

واعتبر مثل ذلك فى أصحاب الجحيم فى أمثال قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَاكَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَاكُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ وتأمل تلك الحسرات التى تفيض بها نفوس الكفار حين يقولون : (مالنا لانرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار) تجد غيظ المخذول وألم المخدوع الذى تبين له الأمر بعد فوات الوقت ، فشمله الندم ولات ساعة مندم .

هذا هو حكم العقل وقضية العدل ومايقضى به صحيح الرأي ، فكيف وهو صريح الشرع ومدلول النص ! وماكان تأويله إلا عن ضعف فى الإدراك وقصر فى النظر ، ونعوذ بالله من الخذلان .

أما قولهم إن العالم الملكى هو المثل الأعلى الذى تسمو إليه النفس الإنسانية فهو إن صح ليس معناه أن ينهدم ركن من ركنى الإنسانية وهو الجسد ويهمل بتاتاً ويصير روحاً بلاجسم ، وإلا فلو كان الأمر كذلك ماستقام أن يكون النوع الإنسانى هو صفوة الخلائق على الإطلاق كما يقتضيه منحه لقب (الخلافة) فى قوله تعالى : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ وكما يدل عليه أن الملائكة تمنوا مكانه . ففى الحقيقة قد جمع هذا النوع الإنسانى بين النفس الملكية والجسم المادى ، واستخدم كلًا منهما فيما صلح له ، فتعاونا على ما لا تقوم به النفس المجردة ولا الجسم وحده ، ثم أوتى فضيلة المجاهدة بين الروح وملكيتها وبين الجسد وماديته ، فإذا ظفرت الروح وخرجت غالبة كان لها منزلة المجاهدين الفائزين .

وبعد أن استقر فى نفسك أن المنعم والمعذب فى الحقيقة هو النفس ، وأن لها

نوعين من النعيم أو العذاب : نفسى وجسدى ، وأن إحساسها بكل واحد منهما يغاير إحساسها بالآخر ، وأنها كلفت تكليفين : جسدى وروحى ، ولا يسد أحدهما مسد الآخر ، حتى لايجزى الإيمان عن الأعمال ، ولا الأعمال عن الإيمان ، وأن (قضية الجزاء الأوفى) أن لايهمل نصيب أحد النوعين ويستوفى نصيب النوع الآخر ، لانخالك فى شك من أن العقل إذا خلى ونفسه ، والفكرة إذا رجعت إلى فطرتها جزمت بأن لابد من استيفاء الجزاءين الجسدى والروحى ، حتى يكون جزاء وفاقاً ، وإن كان مرجع كليهما إلى النفس ، فهى المعذبة فى الحقيقة وهى المنعمة ، وإذا وصلت إلى هذا الحكم فلك ان تقول : إذاً ليست الذرات المادية هى التى تلقى الجزاء من نعيم وشقاء ، بل هى النفس يلحقها الجزاء مباشرة أو بواسطة الجسد ، فعلى ذلك لو فرض ان قائلاً قال : إن تلك الذرات خلقت من جديد بعد أن اعدمت الذرات المادية الأولى ، وإن المخلوق من جديد مغاير بشخصه لما سبق عدمه ، فإن هذا لا يضر فى أن النفس قد لحقها بواسطة بدنها الذى خلق لها نعيم وألم ، على أن لك أن تطعن فى مغايرة المخلوق بعد العدم للموجود اولاً ، الذى لحقه العدم والفناء ، فإنه يصح فى نظر العقل ان يقال : أو جد الشىء ثم أعدم ثم أعيد وجوده . ولو فرض أن قائلاً قال : إن الأجزاء فرقت لا أنها أعدمت ، والتفريق ليس إعداماً ماضر ذلك فى أنه إعادة بعد الفناء ، ففناء الشىء يكفى فيه تفككه حتى يزول عنه المعنى المقصود منه وإن كانت جزئياته حاصلة بذاتها .

ألا ترى أنك إذا هدمت منزلا ثم جددته ولو بأنقاضه الأولى كنت قد أفنيته ثم أعدته . والواقع أنه قد قيل بكل من هذين القولين : فقد قال جماعة : معنى الإفناء الإعدام بالكلية ، ومعنى الإعادة الخلق من جديد ، والمخلوق ثانيا هو عين المخلوق أولاً الذى لحقه العدم . وقال آخرون : بل الفناء هو تفريق الأجزاء حتى يزول عنه اسمه الأول ومميزاته وتضيع خواصه ، ثم إعادته هى جمع تلك الأجزاء ، والله عليم بها وبتقلباتها لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ؛ ومعنى البعث الجسمانى قابل لكلا الرأيين ، فكل منهما محقق له . بل لو قيل إنه متى كان الغرض إيصال الأذى أو النعيم للنفس على جهتين ، إما بطريق المباشرة كالنعيم والشقاء الروحيين ، أو بطريق الحواس كالنعيم والشقاء الجسديين لم يفوت ذلك معنى البعث الجسمانى . ونظر ذلك بأن يهدم شخص بيت شخص آخر فينتقم منه بالمثل ويأبى إلا أن يصنع معه مثل ما صنع فلا يرضى بضربة ولا إهانته ، وإنما يرضيه أن يهدم بيته كما هدم هو بيته ، فهذا لا يحاول إيذاء البيت ولا يخطر بباله أن البيت يلحقه أذى ، وإنما يريد أن يعاقبه بجنس ما صنع ، حتى لو تعددتُ البيوت التى يسكنها ذلك المعتدى لكان غرضه يتحقق بهدم البيت الذي يشغله حال الانتقام منه لا الذى كان يشغله يوم تعديه عليه ، وذلك أن غرضه الانتقام من المتعدى بهدم بيته المنسوب إليه لا الانتقام من البيت نفسه .

البقية ص ٧٩٥

اللغة والأدب والنقد

أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل

مصطفى صادق الرافعي

رد هادئ على نقد مستفز

أصل العرب
ولغتهم
بين الحقائق والأباطيل

للأستاذ الدكتور / عبد الغفار حامد هلال

إن اللغة العربية ارتبطت بالقرآن الكريم حيث شرفها الله بإنزاله بها ، وهى لغة موغلة فى القدم . وهى أقدم اللغات السامية كما ذهب إلى ذلك كثير من رجالات علم اللغة المقارن من أوروبا لأدلة تراءت لهم ، ولذا كانت وحدها المؤهلة لحمل رسالة الإسلام ، ومن هنا تعرضت هذه اللغة العظيمة لهجمات أعداء الإسلام ولكنها محاولات تحطمت على صخرة الحق وفى سنة ١٣٩٨ هـ طالعنا د . لويس عوض بكتاب عنونه بمقدمة فى فقه اللغة العربية مشتملاً على أغلاط دينية ولغوية وقلب للحقائق بغية الوصول إلى هدفه المسموم .

ومن هذه الأغلاط على سبيل المثال رميه العرب بأنهم عنصريون متعصبون ، هادفاً من وراء ذلك إلى وسم الإسلام بالعنصرية والعصبية والإسلام منهما براء .

والكتاب يضم فصولاً كثيرة تستأهل المناقشة لالتماس الحق فيها والفصل الأول من هذه المقدمة يحمل عنوان : العرب ولغتهم ، وقد حاول فى هذا الفصل مسخ طبيعة اللغة العربية المستمدة من الأصل السامى ومن ثم سلك طرقاً ملتوية يريد من خلالها الوصول إلى هدفه المسموم ولو على حساب الحقائق العلمية .

وفى الفصل الثانى تعرض لموضوع إعجاز القرآن سالكاً نفس السبل المعوجة كاشفاً عن غرضه الخبيث للنيل من القرآن الكريم ومن ثم جاء كتاب الدكتور عبد الغفار هلال « أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل » لتفنيد مزاعم د . لويس عوض ووضع الحق الذى لا يزيغ عنه إلا ضال فى نصابه وسوف نعطى صورة واضحة عن مزاعم د . لويس عوض فى الفصلين الأول والثانى من المقدمة موضحين الرد عليها من قبل الدكتور عبد الغفار هلال ، مضيفين ما نراه مناسباً لدحض مزاعم د . لويس عوض .

عرض الدكتور
عبد المنعم محمد عبد الغنى النجار

الفصل الأول: والافتراءات الواردة فيه

أولاً : العربية فرع من شجرة اللغات الهندية الأوروبية :

يذهب د . لويس إلى أن صلب اللغة العربية ذاته كان من نفس الشجرة التى تفرعت عنها المجموعة الهندية الأوروبية قبل هجرة العرب من موطنهم القوقازى إلى شبه الجزيرة العربية التى تحمل اسمهم الآن(١) .

وإذا كانت اللغة العربية تعتبر نموذجاً لبقية اللغات الإنسانية فإنه يخرج إلى أن ما يسمى بمجموعة اللغات السامية هو أحد الفروع الرئيسية التى خرجت من هذه الشجرة ثم تفرعت إلى فروع ثانوية كانت العربية أحدها(٢) ، ويؤيد رأيه بالتحليل الصرفى والصوتى . والدلالى على سبيل التضليل والالتواء للوصول إلى ما يريد ، لذا هاجم علماء فقه اللغة القدامى كالجواليقى والسيوطى والبشبيشى والخفاجى ومن جاء بعدهم من المتأخرين ، لأنهم اكتفوا بإيضاح جوانب التأثر والتأثير التى وقعت بين العربية واللغات الأخرى .

ومن منطلقه لمسخ العربية يدعى ظاهرة تكون اللغة العربية من عناصر مشتركة الجذور مع اللغات الهندية الأوروبية مفترضاً أن التكون السكانى بشبه الجزيرة لم يكن فيضانا من داخلها إلى خارجها أو حوافيها المحيطة بها ولكن كان فيضانا من خارج شبه الجزيرة إلى داخلها(٣) .

ويذهب إلى أن المنطقة المحيطة ببحر « قزوين » من « ميديا » عبر جبال القوقاز حتى البحر الأسود كانت المخزن البشرى الذى خرج منه عديد من أقوام منطقة الشرق القديم منذ الألف الثالثة قبل الميلاد .

مناقشة هذا الوهم :

ويتناول د . عبد الغفار هلال هذا الجزء فى كتابه موضحاً له ومفنداً فيبين أن الإنسان وجد على ظهر هذه الأرض ولكن أمر وجوده فى بقعة أو أكثر محل خلاف بين العلماء والباحثين ويذهب معظم المؤرخين إلى أن البقعة التى نزل بها الناجون من الطوفان وهم نوح عليه السلام وتابعوه كانت المنطقة المجاورة لمنابع « سيحون » و« جيحون » أو بعض جهات « أرمينيا » على أن بعض

←

(١) مقدمة فى فقه اللغة العربية ص٤٢ .
(٢) السابق ص٤٠ .
(٣) السابق ص٣٢ ، ٣٣ .

المفسرين[٤] قرروا أن الجودى الذى رست عليه سفينة نوح عليه السلام هو جبل أرارات فى هضبة أرمينيا فهذا المكان أو ذاك ربما كان الموطن الأصلى للبشرية جمعاء قبل انفصالها أو انقسامها . وفى تلك المنطقة كان يعيش الآريون والساميون والحاميون وهم نسل أولاد نوح الثلاثة : سام وحام ويافث الذين تنتسب إليهم الأجناس البشرية[٥] ، وهناك كثر التناسل ، وضاقت بهم الأرض فبدأ بعضهم الهجرات المتعددة بحثا عن القوت والاستقرار .

وكانت الجزيرة العربية وأرض الرافدين الموطن التاريخى للشعوب السامية ، وقد أقامت فيها إقامة ثابتة متصلة ، ولكن ليس معنى هذا أنها لم تنتشر وراء حدود تلك البلاد فى غزوات تتفاوت فى مداها وطول زمنها أو للإقامة فى مواطن أخرى إقامة دائمة كالهجرة إلى الحبشة .

رأيى فى هذا الموضوع :

وأرى أن قلب الجزيرة المهد الأول للإنسان وحضارته فالقرآن يحدثنا عن أول بيت وضع للناس فى قوله تعالى : ﴿ إن أول بيت وضع للنـاس للذى ببكـة مبـاركـاً وهـدى للعالمين ﴾[٦] .

والقرآن هو الوثيقة التاريخية الصادقة الباقية دون تحريف أو تبديل إلى أن تقوم الساعة وإذا كان كثير من العلماء والمؤرخين يجعلون الطوفان بداية للأجناس البشرية فأين ما قبل الطوفان ؟ وإذا كنا نجد فى بحوث الأثريين ما يؤكد حضارة العراق ومصر فى عصور ما قبل الطوفان فإننا نجد كذلك أبحاثاً تؤكد أن قلب البلاد العربية وجنوبها كان أسبق إلى الحضارة من العراق ومصر فقد أكد « فشوينفرت » أن زراعة الحبوب واستخدام الحيوانات المستأنسة قد ظهرت فى العهود القديمة غير المدونة فى بلاد العرب وبلاد اليمن ، ومنها انتشرت إلى العراق والنيل[٧] كما أن اكتشاف « دونى » بعض الأدوات المتخلفة من العصر الحجرى الجديد فى أقصى شمال بلاد العرب واكتشاف « برترام توميس » لأخرى غيرها من ذلك العصر نفسه فى الجنوب يدل على وجود الإنسان ببلاد العرب منذ عهد متقدم جداً[٨] .

الموطن الأصلى للساميين :

وما دمنا قد ارتأينا أن الإنسان فى بلاد العرب وجد فى وقت موغل فى القدم فنحن نرى

---

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ص ٣٢٦٩ طبعة الشعب .
« جبل أرارات هذا هو ما نص عليه العهد القديم » .. مجلة الأزهر .
(٥) فقه اللغة د . وافى ص ٢ والساميون ولغاتهم د . حسن ظاظا ص ٥ . واللسان والإنسان له أيضاً ص ١٦٧ ، ١٦٨ .
(٦) الآية ٩٦ من سورة آل عمران .
(٧) قصة الحضارة ول ـ ديورانت جـ ٢ ص ٤٣ .
(٨) روح الحضارة لشيدر ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

أيضاً أن بلاد العرب هى الموطن الأصلى للساميين ومن هنا ذهب معظم الباحثين والمؤرخين إلى أن جزيرة العرب كانت المهد الأول للساميين وقد ذهب إلى ذلك عبد الغفار هلال فى رده على د . لويس عوض مؤيداً رأيه بأدلة كثيرة وأهمها :

١ ـ ما يؤكده التاريخ من أن الهجرات السامية خرجت من الجزيرة العربية وكانت على سبيل الغارات والهجرة . والمصادر التاريخية تسجل هذه الهجرات وهى هجرات لم يكن بد منها إزاء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للصحراء .. ولم نسمع بمثل تاريخى واحد يبين لنا أن سكان السهول والمدن المتحضرين ينزحون إلى الصحارى ليصيروا رعاة إبل وغنم إلا إذا اضطروا إلى ذلك اضطراراً .

٢ ـ النقوش التى عثر عليها مكتوبة باللغة السومرية لغة سكان بابل الأصليين تفيد ان بلادهم كانت دائماً فى خطر من إغارة قبائل سامية كانت تغير عليها من الجهات الغربية والغربية الجنوبية .

وتشير كل دلائل التاريخ إلى أن « بابل » و« آشـور » و« كنـعـان » و« مصر » و« الحبشة » كانت كلها هدفاً لغارات من أقوام قدموا إليها من الجزيرة العربية .

٣ ـ يذهب المؤرخ الانجليزى « سايس Sayce » وهو أحد المدققين إلى أن الروايات والآثار السامية تشير إلى بلاد العرب موطنا أصليا للسامية إذ هو الجزء الوحيد الذى ظل ساميا تماماً لا تشوب ساميته شائبة وكان أهلها منذ أقدم العصور مدبرين لأمورها متأهبين للإغارة على من يجاورها .

٤ ـ عقلية الساميين التى تمتاز بجنوحها إلى المعانى المحسوسة المشاهدة كما يتبين ذلك من لغاتها ـ تفيد بأن الصحراء لابد أن تكون مهدهم الأصلى فتشبيهاتهم ومادة أخيلتهم مستمدة من البيئة المحسوسة .

استمع إلى امرىء القيس الذى يقول فى وصف فرسه :

مكر مفر مقبل مدبـر معاً
كجلمود صخر حطه السيل من علِ

ويمكننا الانتفاع بالأدب العربى الذى يمدنا بأوصاف وافرة لحياة البدو وبالأدب العبرى حيث نشهد الانتقال من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار .

وقد أشار إلى ذلك سايس Sayce ومن هذه الأدلة وغيرها يخرج د . عبد الغفار بأن استنتاج لويس القائم على أن العرب جنس قدم إلى الجزيرة من خارجها يصبح استنتاجا غير مقبول ولا يوجد ما يؤيده .

ثانياً : القبائل الآسية المنحدرة إلى الهلال الخصيب كانت تتكلم لغة « ميدية سيكذيه » وهذا وهم آخر من أوهامه يذهب إليه فيرى أن القبائل الآسية المنحدرة من الهلال الخصيب فى القوقاز وما حول بحر قزوين والبحر الأسود ومن منطقة الأناضول ومن هضبة إيران أياً كان منبعها وأياً كان تكوينها الأنثربولوجى كانت تتكلم لغة ميدية سيكذية وهى أحد فروع المجموعة الهندية الأوروبية وربما تكون موجات منها قد نزلت فى شبه الجزيرة ، كما نزلت موجات منها فى الهلال الخصيب وفى هذه الحالة ليس هناك ما يمنع أن تكون

الشعوب والقبائل الملقبة بالسامية سواء فى الهلال الخصيب أو فى شبه الجزيرة هى فى حقيقتها موجات تعاقبت فى عصور متعاقبة ومن مواقع متباينة من هذه المجموعة الآسية ويخرج من هذا بأن العرب موجة متأخرة جداً من الموجات التى نزلت على شبه الجزيرة من القوقاز والمنطقة المحيطة ببحر قزوين والبحر الأسود سنة ألف قبل الميلاد أو قبيل ذلك ، والواضح أنه يريد أن يقول أن هذه اللغة التى نزل بها القرآن هى مأخوذة من لغات هندية أو أوروبية وعلى هذا فالألفاظ القرآنية التى وصفها القرآن بأنها عربية ليست عربية الأصل وهذه ضلالة من ضلالاته ويتضح من خلال كلامه أنه مبنى على الارتجال والافتراض واستخدام لفظ ربما يفيد أنه غير متيقن مما يقول مما يدحضه البحث العلمى ـ كما أن استنتاجه أن العرب موجة متأخرة جداً يريد أن يذهب به إلى تأخر لغتها حتى بالنسبة للغات السامية . وقد ثبت بالبحث أن اللغة العربية ليست باللغة الحديثة ولا البدائية وإنما هى لغة علم وثقافة منذ عهد الأكديين فهى أعرق لغة حية على وجه الأرض فما من لغة غير العربية تسحب وراءها ماضياً حضارياً وثقافياً وهاجاً طوله خمسون قرنا بل أن لها حضارة قديمة أقدم من حضارات الأغريق واللاتينيين والفرس جميعاً . إن الكلمات الدالة على معنى العطاء والموزعة على عدة لغات أصلها عربى قح والسبب وجود النواة الأولى التى انبثقت وأثمرت وأعطت ثمارها الأولى إلى أهل الأرض غرباً وشرقاً هكذا يقول أحد الباحثين والمنقبين والمستخدمين لأسلوب الموازنة بين اللغات والبحث العلمى يؤيده ، لأن الكلمة المشتركة بين عدة لغات يستطاع معرفة اللغة الأم منها بالجذر ابدائى الأصيل الذى نشأت منه الكلمة كأحد عاملين لمعرفة ذلك وقد وجد فى اللغة العربية هذا الجذر الثنائى وهو الياء والدال[٩] وقد تعرض للكثير من الكلمات غير ذلك وإذا كان يرى أنه ليس هناك ما يمنع أن تكون الشعوب والقبائل الملقبة بالسامية ـ سواء فى الهلال الخصيب أو فى شبه الجزيرة ـ هى فى حقيقتها موجات تعاقبت فى عصور متعاقبة بناء على استنتاجه انحدار القبائل الآسية من القوقاز وما حول بحر قزوين والبحر الأسود وغير ذلك إلى الهلال الخصيب فإن هذا الرأى مرفوض من « شبرنجر » الألمانى الذى يقول : (من المستحيل تحول الزراع إلى بدو وأنه أهون عليه أن يرى أسد البحر يعيش فوق مرتفعات الألب والماعز فى البحر على أن يتصور سكان الجبال يتحولون إلى بدو[١٠] ؟ ويوافقه فى ذلك « دى جوخيه »[١١]) .

والواقع كما ذكر د . عبد الغفار هلال : أن

---

(٩) مغامرات لغوية عبد الحق فاضل ١٧٨ ـ ١٨٢ .

(١٠) بحث الدكتور محمد غلاب من مجلة كلية اللغة العربية بالرياض ٤٩٧ .

(١١) السابق ص ٤٩٨ .

العرب كانوا يرحلون وينتقلون إما للتجارة وقد ورد ذلك فى القرآن الكريم عن رحلتى الشتاء والصيف وإما تحت وطأة الفقر والعوز فرادى أو جماعات بشكل سلمى أو غزاة فاتحين .

وإذا كان د . لويس يذهب إلى أن الجفاف ربما كان أحد العوامل التى تدعو إلى الهجرة أى هجرة أقوام من المنطقة المحيطة ببحر « قزوين » فإن هذا تعصب منه إذ كيف يجعل الجفاف هنا أحد عوامل النزوح وينكره على شبه الجزيرة العربية مع أن خصب جنوب شبه الجزيرة أمر ثابت لا يمكن إنكاره ولماذا لا يكون الساميون قد انتقلوا منها بعد الجفاف الذى أعقب الخصب فى جنوب الجزيرة الذى حدثنا عنه القرآن فى سورة سبأ والذى اعترف به الجيولوجيون .

ثالثاً : الربط بين الهكسوس وعاد وثمود ومدائن صالح :

وهذه فرية أخرى لجأ إليها د . لويس عوض فيذهب إلى أن الهكسوس اتوا إلى الحجاز بعد طردهم من مصر واستقروا فيها واسسوا لهم مملكة جعلوا عاصمتها « مكة » وهم فى رأيه تلك القبائل التى سميت بالعماليق ويرجع إليهم مدينة ثمود التى ازدهرت فى القرن الثانى ق . م ويربط صوتيا بين خمودى ملك الهكسوس وثمود المدينة حيث يرى أن الهكسوس انشأوها بعد خروجهم من مصر .

ويرى أن مدائن صالح بشمال الحجاز انشأها الهكسوس كذلك بعد خروجهم من مصر مستخدما الفوناطيقا[١٢] فى استنتاجه فيقارن مدائن صالح بـ (متوشالح) و (مشالح) ويبنى على استنتاجه أن العرب قدموا من خارج الجزيرة ونزلوا على السكان الأصليين الهكسوس ومن كان معهم فى القرن الخامس عشر ق . م ، ويمضى فى فريته فيدعى أن المرحلة الهكسوسية تمثل فترة الجاهلية الأولى[١٣] .

ويفند د . عبد الغفار هلال هذه المزاعم بأن د . لويس عوض تجاهل حقائق تاريخية ولغوية كثيرة :

١ ـ فالحقائق التاريخية تؤكد أن قبائل انحدرت من أواسط آسيا ونزلت فى مناطق من سوريا ولبنان وفلسطين ، وبعد أن استقروا فيها بعض الوقت واندمجوا بأهلها اتخذ هذا الخليط من الناس طريقه غرباً إلى مصر باسم الهكسوس سنة ١٧٣٠ ق . م[١٤] .

٢ ـ تصور د . لويس عوض بأنهم بعد طردهم من مصر ـ نزلوا الحجاز واسسوا بها المدن يخالف الحقائق التاريخية فيقرر المؤرخون أن الهكسوس بعد طردهم من مصر مكثوا فى فلسطين ست سنوات ثم تقهقروا شمالاً إلى

---

(١٢) الاصوات .
(١٣) المقدمة ص ٤٠ .
(١٤) تاريخ الشرق القديم ص ٩٠ ، ٩١

سوريا بعد هزيمتهم فى الموقعة المشهورة فى مدينة « شاروهين » إحدى المدن الواقعة جنوب فلسطين . وعلى هذا فإن حياتهم لم تمتد داخل الحجاز .

٣ ـ إن التحقيق التاريخى ينفى أن يكونوا هم « الأماليك » الذين عرفوا باسم العماليق . وعلى العكس ، مما يقول : فإن الهجرات كانت تتم من جنوب الجزيرة إلى شمالها نتيجة التجارة وهدم « سد مأرب » وتؤكد النقوش الكثيرة أن من المهاجرين عرب الغساسنة فى « حوران » بسوريا و« المناذرة » (بنو لخم) فى الحيرة والعراق ، وهناك هجرات تمت من بلاد الحجاز إلى الشمال نزحت فيها قبائل الإسماعيليين « نسل إسماعيل عليه السلام » .

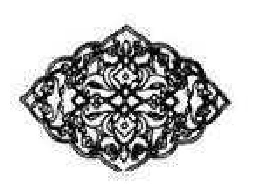
٤ ـ والجوانب « الفوناطيقية » التى اعتمد عليها د . لويس عوض للربط بين « ثمود » و« خمودى » لا تتفق مع قوانين علم اللغة الحديث ، إذ يجب أن يتم التبادل على أساس من التقارب الصوتى فى المخارج والصفات والخاء والثاء متباعدتان تماماً مما لا يمكن معه تصور التبادل .

هذا إلى أن الصوت يختلف فى موقعه عن صاحبه اختلافاً بيناً من حيث المعنى المراد .

وقد اعترف د . لويس بأن العلاقة الفوناطقية لا تؤدى دائماً إلى نتائج متحققة معينة .

يتبع ..

د . عبد المنعم محمد النجار



على أن هذا كله إنما يلتجأ إليه لو صح أن المعدوم إذا وجد كان مغايرا للأول ، ولا سبيل لإثبات هذا ، أو ثبت أن الأجزاء المادية المفرقة قد تتوارد على أشخاص عدة من المكلفين تدخل فى تركيبهم الأصلى ، فلا يمكن أن تعاد مع كليهما ، ولا اختصاص لأحدهما دون الآخر ؛ وقد عرفت أن شيئا من ذلك غير لازم بما قدمنا من أن الأجزاء الأصلية هى التى تعاد ، وهى التى تلازم الشخص من أوله إلى آخره .

وقد بقيت كلمة لها مساس بالموضوع ، وهى أن بعض فلاسفة الطبيعيين يزعم أن جزئيات الأبدان كلها فى تحليل وتركيب مستمر ، وأن كل جزء يتجدد بتوالى الأزمنة فينمو بالغذاء وينحل عنه البعض بالحركة أو الذبول أو ماشئت ، حتى إنه بعد مضى عدد من السنين تكون الذرات التى كانت داخلة فى تركيب الجسم قد زالت كلها وتجدد مكانها ذرات جديدة . وإن هذا لا يمنع اتحاد الشخص قبل تلك السنين وبعدها ، فلو صح هذا القول أيضا كان شاهدا لما نقول من أن اتحاد اللاحق والسابق لا يتوقف على أن الذرات الداخلة فى تركيبه باقية بشخصها لم يزد عليها ذرة ولم ينقص منها ذرة ، وإنه لشبيه باتحاد القبيلة أو الجيل من الناس على كر السنين والأعوام مع زوال الأشخاص الذين تتألف منهم القبيلة أو الجيل ، فالعرب هم العرب يعتز آخرهم بأولهم ، وقريش اليوم مثلا - هى قريش تأخذ أحكامها وإن تبدلت أشخاصها .

ومن هذا البيان نخلص بنتيجتين :

الأولى : أن إعادة الروح أمر لا غبار عليه ولا نكير فيه .

والثانية : أن إعادة البدن أمر لا يمنع منه مانع عقلى ولا وهمى . وعلى ذلك يكون صرف النصوص الشرعية عن ظاهرها ليس إلا لمجرد التشهى ، وليس له من مقتض ولا داع ، وأن تلك الثرثرة التى تلوكها السنة فئة من الناس ليخرجوا على حكم الشريعة بجديد ثرثرة واهية ، حتى لو قيست بمقياس العقل المحض بدون رجوع إلى نصوص الشرع لبددها وجزم بأن المقبول فى نظره هو البعث الجسمانى والروحانى ، لتستكمل النفس جزاءها وفق ما صنعت من أعمال البدن أو الروح ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ؛ وقد قال ﷺ : « والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون وإنها لنار أبداً أو لجنة أبداً » .

والله الهادى إلى سبيل الرشاد .

إبراهيم الجبالى



مصطفى صادق الرافعي

العبقري المنسي

حينما اتصدى للكتابة عن الشاعر العبقري، والأديب الكاتب الألمعي، مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله - وجزاه عن الفصحى، والإسلام خير الجزاء - اعلم علم اليقين انى أمام قمة من قمم الفكر والأدب، سامقة شامخة، لا يرقى إليها مهيض الجناح، كليل الجهد، قليل الزاد، مثلي، كي يحيط بكل ما فيها، ويتغلغل إلى خوافيها، ولكن حسبي، وحسب القارىء الكريم مني، أن اطيف بها، وارصد بعض معالمها التي تبدو امام ناظري وفكري.

فأنا لم أحظ بلقائه، أو أسعد وأشرف بمعاصرته، إذ أني كنت - حين وفاته - [1] غلاماً مغمض العينين، ولكن قد تفتحت عيناي منذ أول عام التحقت فيه بالأزهر - على ما دبجته براعته القادرة، في كتبه المتعددة، فبهرتني، وتركت في نفسي وخاطري ظلالا لا تتلاشى، وأصداء لا تخفت، وهل يتلاشى، أو يخفت صوت من سابق الفحول فبزهم، وطاول النجوم ففاقها، وهو الأصم الذي لم يبلغ في تعليمه بالمعاهد إلا مراحله الأولى، ولكنه قد بلغ الشأو الذي لا يدرك في العلم، والمعرفة، والآداب، معتمداً على قوة نفسه، ورجاحة عقله، والمعيته، وامتزج علمه بفكره، فأخرج لنا ألواناً من ثمار القريحة الخصبة المعطاءة، وفيضاً متدفقاً من سيل قلمه السخي الجواد، كما يخرج الساحر من جرابه الأعاجيب الباهرة، والخوارق المعجزة.

إنه موسوعة من العلم، والفن، والفلسفة، جعلته يطرق بفكره وقلمه كثيراً

---

(١) انتقل إلى رحمة الله في العاشر من مايو عام ١٩٣٧ م



بقلم
محمد عبد الرحمن صان الدين

من أبواب المعرفة ، ويجوس خلال رياضها الزهراء ، فيقطف منها ما يشاء . فهو مفسر صاحب مذهب فى التأويل ، ويتجلى ذلك فيما تعرض له من آيات قرآنية ، أتحدث عنها فيما أكتبه فيما بعد عن كتبه التى أطرقها ، إن شاء الله وهو عالم اجتماعى ، وفيلسوف مفكر ، كما يظهر فى بعض كتبه ، وهو عاطفى وجدانى مرهف الحس كما يظهر فى أوراق الورد ، ورسائل الأحزان ، وهو مصارع مقاتل إن جرح أدمى ، وإن رمى أصمى ، إن حارب كان جحيماً ، وإن سالم كان نسيماً ، وهو شاعر مغرد محلق فى رياض القريض ، وسماوات المعانى ، وهو ناقد ساخر يجعل القارىء يضحك فى الجد ، ويقطب فى الهزل ، كل هذا سأتناوله بالإيضاح والنماذج فى حينه إن شاء الله تعالى .

والرافعى فى كل ما يكتب إنما يصدر عن عقيدة راسخة بدينه ، ومبادئه ، وقيمه ، وعن إيمان بما يقول ، وفى صراحة ، لامواربة فيها ، ولا التواء .

وهو فى معالجته للموضوعات التى خاض عمارها ، يتقصّى كل أطرافها ، ويطرق كل ركن ، وزاوية فيها ، ويعرج على كل منحنى وفجوة ، ليستخرج ما خفى واستتر من أبكار المعانى ، وبواهر الكلم ، وشوارد الحكمة .

والرافعى خبير بمدلولات الألفاظ التى وضعت لها ، والتى نقلت إليها ، عليم بتصاريف الكلمة ، وتراكيب العبارات ، يختار لكل حال ما يلائمها بذوق رفيع ، وإحساس مرهف ، ومهارة فائقة ، حتى انه ليعطيك المعنى الهائل الكبير فى القول الموجز الصغير ، وتلك هى قمة البلاغة والفصاحة ، التى يعجز عن الصعود إليها النوابغ والفحول ، منفرداً فى أسلوبه ، ومعانيه المبتكرة ، لا يشبهه أحد قبله ، ولا أحد بعده .

ولقد استطاع بسلطان بلاغته وأسلوبه أن يتغلغل ، ويترك بصماته وظلاله فى كتابة كثير من الكتاب الأعلام ، بحيث إنك ترى الرافعي يطل برأسه ، ويحدق بعينيه من خلال سطور ما تقرأ لغيره ، ممن كانت لهم به علاقة تجاذب ، أو تنافر .

هذه الشخصية الطاغية ، والعقلية الفذة ذات الإنتاج الجم الغزير ، يكون من الغبن

والإجحاف بها ، وبتراثها ، أن اقتصر فى الكتابة عنها على مقال واحد محدد المدى ، لا يبل صدى ، ولا يغنى من جوع ، فأكون كمن يقدم لضيفه على المائدة أطباقاً فارغة ، ولقيمات يابسة ، ولذا فإنى التزم لمجلة الأزهر الغراء ، بأن أتناول ـ ما استطعت ـ من كتب الرافعي بالبحث والتحليل كل كتاب على حدة ، فى سلسلة من المقالات ، إن اتسع لها صدر المجلة ، وكان فى العمر ذماء .

وما دفعنى إلى اقتحام ذلك المضمار ، والخوض فى هاتيك الغمار ، إلا ما لاحظته وأحسست به ـ متيقناً أو واهماً ـ من إغضاء متعمد أو غير متعمد عن ذلك العملاق الفكرى والأدبى ، والكاتب الشاعر الإسلامى المبدع ، من وسائل الإعلام ، ونفثات الأقلام فى حين أن أضرابه من معاصريه ، ومن لحق بهم ، تتبارى الأقلام ووسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية ، فى تمجيدهم ، والإشادة بهم ، فى المناسبات وغيرها اللهم إلا خطفات عابرة ، ولقطات باهتة ذابلة ، كالتى يتذكرها المرء من حلم قديم مع أن أديب العروبة والإسـلام ، فضله لا ينكـر ، وعبقريتـه لا تستر .

ومن حق الجيل الحاضر ، والأجيال القادمة ، وحق الحقيقة أن تنشط الأقلام المنصفة لتزيل الغبار ، غبار التغاضى عن تلك الشخصية التاريخية ، وعن تراثها الذى يثرى العقول ، ويهذب الوجدان ، حتى لا يوصم جيلنا فيما بعد بالجحود والنكران .

إنى وأنا بصدد ارتياد بساتين الرافعي مرتاضاً ، أحب أن يكون معلوماً لدى القارىء العزيز ، أنى لست مؤرخاً للأدب والأدباء ، يحفل أول ما يحفل بالظروف والعوامل والأجواء التى لا بست حياة الأديب أو الشاعر ، ولست أيضاً ناقداً بالمعنى المعروف المصطلح عليه ، الذى يلتزم فيه الناقد بالقواعد والقوانين الموضوعة للنقد ، والتى تتواءم أو تتناقض فى اتجاهاتها ومذاهبها ، ولكنى اقف متجرداً من كل المؤثرات ، أمام جوهر العمل الأدبى ، متأملاً متذوقاً ، ثم أكتب وأصف ـ فى صدق وأمانة ـ ما يوحيه ذلك العمل فى الخاطر من ومضات ، ويلقيه فى الوجدان من ظلال ، سواء أسخط ما أكتبه أم أرضى .

وعلى الله وحده التوفيق والسداد ، وحسن الجزاء .

محمد عبد الرحمن صان الدين

ردٌ هادئ على نقد مستفز

للدكتور/ حامد طاهر

تحت عنوان « ظاهرة غير سوية يجب القضاء عليها » تناولت أ. د. فوقية حسين محمود بالنقد كتابي « مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية » (وقد نشر هذا النقد في الجزء الرابع ، السنة ٥٩ ، ربيع الآخر ١٤٠٧ هـ ، ديسمبر ١٩٨٦ من مجلة الأزهر ، وأشير في هامشه إلى أن هذا المقال نفسه قد سبق نشره في صحيفة الأهرام الدولي العدد ٣٦٤٤١).

ونظراً لوجودى خارج مصر ، فلم يتيسر لى الاطلاع - فى حينه - على هذا المقال ، الذى نشر مرتين ، لكننى عندما علمت به أسرعت باستحضاره ، وقراءته ، ووجدت أن من حقى على مجلة الأزهر الغرّاء أن أنشر فيها ردّى على نقد الأستاذة الدكتورة .

ولأن النقد المذكور تعرض فى أكثرمن موضع لشخصى ، فإننى أودّ أن أوضح أمراً يتعلق بهذا الموضوع ، وهو أننى قضيت فى الأزهر الشريف تسع سنوات منها أربع في القسم الابتدائى بمعهد القاهرة الديني ، وخمس سنوات فى المعهد الثانوى ، ثم التحقت عقب ذلك مباشرة بكلية دار العلوم ، التى حصلت منها على الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى ، وبها عُينت معيداً في قسم الفلسفة الإسلامية ، الذى حصلت منه على درجة الماجستير بتقدير ممتاز تحت إشراف المرحوم الدكتور محمود قاسم ، وبعدها تم ترشيحي فى بعثة حكومية للحصول على دكتوراه الدولة من جامعة السوربون بفرنسا ، وبحمد الله وتوفيقه حصلت على تلك الدرجة بمرتبة الشرف الأولى ، لأكون بذلك

←

ردهادئ على نقد مستفز

ضمن عشرة على الأكثر فى العالم العربي كله ، حصلوا على تلك الدرجة .

أقول هذا ـ مرغماً ـ لأن الأستاذة الجليلة ذكرت فى نقدها ما نصّه :

« ومن الظواهر المؤسفة التى تتفشّى فى مجال الدراسات الإسلامية ظاهرة التساهل فى تكوين الباحث العلمى فى مجال هذه الدراسات ! » ، وفى موضع آخر تقول :

« إن هذا الكتاب ظاهرة ، هى نتاج تعرف صاحبه على فكر أهل الاستشراق فقط ، دون أهل العلم المتخصصين فى العلوم الدينية ! » .

وبالنسبة لتعرفى على فكر أهل الاستشراق فهذا صحيح جداً ، لأننى قضيت فى فرنسا حوالى سبع سنوات متواصلة أدرسه وأتابعه .. أما عدم معرفتى بأهل العلم المتخصصين فى العلوم الدينية فهذا ما وضحته من خلال عرضى لدراستى فى كل من الأزهر ودار العلوم ، بالإضافة إلى تشرفى بالتلمذة المباشرة لواحد من أدق شيوخ التحقيق فى الأزهر ، هو الأستاذ الجليل السيد أحمد صقر ..

أما النقد الذى وجهته أ . د . فوقية إلى الكتاب ، فإنه يرتكز على فكرة واحدة هى أنه يضع الفلسفة الإسلامية التى هى فى جوهرها عبارة عن فهم إنسانى خالص للنصوص الدينية فى مستوى أعلى من هذه النصوص نفسها !

وأصرح ، وأعترف ، وأحيل إلى الكتاب مرة أخرى لمن يريد ، بأن هذا المعنى غير وارد على الإطلاق ، ويؤسفنى أن أقرر أنه مجرد فهم خاص من الأستاذة الدكتورة ، حاولت تطبيقه تعسفاً على فصول الكتاب التى تتوالى على النحو التالى :

- مجالات الفلسفة الإسلامية .
- قضية الأصالة فى الفلسفة الإسلامية .
- إحياء الفلسفة الإسلامية .
- المشكلات الحقيقية والمشكلات الزائفة فى الفلسفة الإسلامية .
- مصادر الفلسفة الإسلامية : مقدمة لببليوجرافيا تحليلية نقدية .

ويبدو أن الأستاذة الدكتورة تخشى من مصطلح « الفلسفة الإسلامية » ، وأطمئنها إلى أن الفهم الأصيل لهذا المصطلح لا يتعارض أبداً مع القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، بل إن هناك عناصر كثيرة جداً من هذه الفلسفة تقوم بدور هام في مجال الفهم الشامل لنصوصهما .. ومن هنا جاءت عبارتى « إن الفلسفة الإسلامية طاقة مبدعة بإمكانها أن توجه حركة المجتمع الإسلامى ، وأن تبين له أفضل المناهج الممكنة » .

وقد بيّنت ذلك بالتفصيل في الفصل الأول من الكتاب « مجالات الفلسفة الإسلامية » وذهبت إلى أنها تضم حوالى عشرة مجالات من بينها : مناهج البحث ، وفلسفة التاريخ ، والمنطق وشروحه ، والجدل وآداب المناظرة ، بالإضافة إلى كل من علم الكلام ، والتصوف

والأخلاق .. ولم يرد في حديثي إشارة واحدة إلى ما فهمته الأستاذة الدكتورة على نحو حاص جداً بها وحدها .

ثم إن الفصل الذى يتحدث عن « أصالة الفلسفة الإسلامية » ليس إلا ردّا موضوعياً على أهم الدعاوى التى وجهها المستشرقون ضد الفلسفة الإسلامية ، والعقلية الإسلامية بصفة عامة .. ولو راجعت الأستاذة الفاضلة هذا الفصل لوجدت فيه ما يثبت أننى على وعى كامل بمقولات المستشرقين ، ولرات دفاعى الحار عن كل ما هو إسلامى أصيل ..

الأستاذة الدكتورة كانت تريدنى أن اتحدث فى كتابى عن العلوم الدينية من فقه ، وأصول فقه (مع أننى تحدثت عنه باعتباره أحد عناصر الفلسفة الإسلامية كما ذهب إلى ذلك المغفور له الأستاذ مصطفى عبد الرازق) وتفسير ، وعلوم حديث .. وأنا ـ هنا ـ أوفر عليها مشقة الاستنباط الخاص لأؤكد لقراء مجلة الأزهر الغراء أننى أعترف لكل واحد من هذه العلوم بشخصيته الأساسية فى فهم نصوص القرآن الكريم ، والسنة النبوية على نحو جزئى متخصص ، أما الفهم الكلى الشامل ، الذى يأتى بعد ذلك كله ، فهو من وظائف الفلسفة الإسلامية ..

وبالمناسبة أريد أن أصحح ما ورد فى حديث الأستاذة الدكتورة من تعبير « رجال الدين » فالأصح أن نطلق بدلاً منه « علماء الدين » لأن تعبيرها هو الذى تسرّب إلينا مع الغزو الغربي لثقافتنا الإسلامية !

كذلك أريد أن أنبه إلى تلك الظاهرة الخطيرة فى مناقشتنا الفكرية ، وهى محاولة استعداء السلطات المحلية أو الخارجية على من لا يتفق معنا فى الرأى ، ووصمه بألفاظ قاسية ـ يمكن لكل الأطراف أن يستخدموها بسهولة ! ـ بدلاً من المناقشة الموضوعية القائمة على التحليل الهادىء لكل فكرة من أفكاره .. والحمد لله أننا نعيش فى جو ثقافى يسمح للآراء أن تظهر ، ولوجهات النظر المختلفة أن تعبر عن نفسها ، مع إيمانى فى النهاية بأن البقاء للأصلح ، ولا يصح إلا الصحيح .

وأخيراً .. ما كنت أودّ أن أرد على أستاذة كبيرة المقام ، مثل أ . د . فوقية حسين محمود .. لولا أنها كانت مستفزّة فى نقدها ، وفى العنوان الذى اختارته له ، ولولا حرصها الغريب على نشر مقالها مرتين فى صحيفتين سيارتين فى العالم كله .. ولولا أننى أنتمى بحكم تكوينى العلمى والدينى إلى ذلك المعهد العريق الذى تعتبر مجلة الأزهر عنواناً عليه ..

وفقنا الله لخدمة دينه ، ومنحنا صدق الدفاع عنه .

« د . حامد طاهر »

من خير ما كتب

فضيلة الشيخ/ محمد الغزالى :

هـذا ديننـا

هل نحن متخلفون علمياً أم خلقياً ؟.

إننا فى ميدان الإنتاج الصناعى والزراعى ضعفاء ، وفى آفاق الثقافة والحضارة أتباع نخطو حينا ونكبو أحياناً ! قلت : أعزى النفس لعل أخلاقنا أزكى !

نحن فى العالم الثالث الأفراد تحاكم الشعوب ، بل تحاكم التاريخ وعمالقته ، وقد استمعنا إلى من يرفض السنة النبوية كلها ويخطىء « عمر بن الخطاب » لتاريخه بالهجرة .

أخشى أن أقول : إن التخلف الأخلاقى فى العالم الثالث أسبق وأقسى من التخلف العلمى والصناعى والحضارى . إن بعض المجتمعات العربية نقلت النظام الشيوعى إليها أو بتعبير أدق مبادىء الاشتراكية الحديثة فماذا حدث ؟!

لقد رأيت موظفين يستغلون المرافق الحكومية وكأنهم ملوك الإقطاع ! ويتخوضون فى مال الله قدر ما يستطيعون ما داموا يستغلون القانون ويخادعون حراسه !!

المأساة الكبرى أنه لا ضمير ولا خلق . وأبرز خصائص الأمة العربية أنها تفقد نفسها حين تفقد الدين ولن تنقذها نعرة جنسية أو وطنية .

الأستاذ/ نجيب محفوظ :

المجتمع والشباب

ما واجب المجتمع نحو الشباب ؟

من المهم أن نعرف هذا الواجب حتى لو عجزنا عن تأديته بالكامل لظروف قاسية . نعرفه لنعرف حقيقة الوضع وملابساته فلا نغالى فى اللوم والاتهام . وحتى نعقد العزم على سد الثغرات ورأب الصدع .

ما واجب المجتمع نحو الشباب ؟ عليه أن يهىء له تعليما عاماً يمحو أميته ويلقنه تربية دينية ووطنية ورياضية وينفخ فى روحه الوعى بالحياة والعالم ويضىء لعينيه الأهداف السامية .

إعـــــداد
الأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام
الأستاذ عادل رفاعى خفاجه

وعليه أن يعده للعمل المناسب وفقا لاستعداده بدءا من العمل اليدوى وحتى التخصصات العلمية العالية . وأن نحترم تطلعاته السياسية والمبدئية لينمو نموا طبيعياً خالياً من الآفات . وأن يضرب له القادة المثل الأعلى فى الجدية والاستقامة والنزاهة ليكونوا القدوة المنشودة والمصباح المنير .

وليراجع المجتمع نفسه وليسألها ماذا قدم من ذلك للشباب وفيم قصر أو عجز ليتبين له الموقف الحقيقى بينه وبينهم . وليطالب المجتمع نفسه بالكمال قبل أن يطلب الشباب به .

الأستاذ .. عبد السلام داود

علامة استفهام

قال لى الأخ الصديق فهمى عمر منذ عام تقريباً : (إن أهم إنجاز يتمنى أن يقوم به كرئيس للإذاعة هو أن يمد إرسال محطة القرآن الكريم ٢٤ ساعة) إن إرسال محطة القرآن محدود الإمكانات حتى الآن ، ولكن المشاركة تستطيع توسيع رقعة هذا الإرسال إلى جميع أنحاء العالم . بل وتستطيع أن تجعل جانباً من هذا الإرسال باللغات الأجنبية حتى يتسنى للدعوة أن تصل إلى قلوب الملايين حول العالم . وليس ذلك على الله ببعيد .

الأستاذ : محمود حبيب

« كل يوم »

قرأت كتاباً بعنوان « من نور القرآن الكريم » للأستاذ أحمد عوض حماد .. تناول فيه المؤلف عدداً من القضايا المعاصرة مثل الكـون ـ الطـب النفسى ـ الحضـارة ـ الشورى .. إلخ . والحق أن موضوع الكتاب شائق وممتاز إلا أن لى على الكتاب عدة ملاحظات .

● وقوع ما يزيد على العشرين خطأ فى آيات القرآن .

● شرح المؤلف الحديث النبوى « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » على أن التغنى معناه الغناء رغم أن المعنى الأصلى هو القراءة الصحيحة بأحكام التجويد بالصوت الحسن .

● قال المؤلف إن سورة الشورى بدأت بحرف « ق » ولكن سورة الشورى لم تبدأ بالقاف بل بدأت بـ « حم » ، كما كتب بداية

←

من خير ما كتب

سورة الواقعة هكذا .. الواقعة ما الواقعة وما أدراك ما الواقعة .. وصحتها (إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة ..)

الدكتور/ عبد الجليل شلبى

قرآن وسنة ليذكر المسلمون جيدا

العالم الآن صورة من أبشع الصور للوحشية الآدمية ، تلك الصورة التى ترسمها إسرائيل على أرض فلسطين بدماء أبنائها الأبرياء ، فالأبرياء المدنيون يقتلون لغير ما سبب ، والجرحى يطردون من المستشفيات ليرموا فى الشوارع حتى تنزف دماؤهم ويموتوا ميتة أليمة قاسية ، والأطفال والمسنون والنساء العواجز كل أولئك يقتلون ، وهم فى نظر الحكومة الإسرائيلية يستحقون القتل لأنهم مجرمون ! وإجرامهم أنهم بكوا ذويهم القتلى ، والتلاميذ فى المدارس يحصدهم الرصاص حصدا ، فيموت من يموت ويجرح من يجرح ، ومن تأوه من جرحه أو بكى ميته فهو مجرم يستحق العقاب !

الأمهات الفلسطينيات

إذا كان العالم قد شعر بالدهشة إزاء بسالة الشبان والفتيان الفلسطينيين .. فإن هذه البسالة نتاج إعداد الأمهات اللاتى فشل الاحتلال خلال عشرين سنة فى إجبارهن على الخضوع والإذعان .. وكل من يعرف طبيعة الاحتلال الإسرائيلى وخططه لسحق الشخصية الوطنية الفلسطينية يستطيع أن يدرك حقيقة دور الأمهات الفلسطينيات ، وسوف يعجز المحتلون ـ مهما فعلوا ـ عن مواجهة ذلك النوع من الأمهات الذى يستقبل الشهداء من الأبناء والبنات بإطلاق صيحات الفرح والانتصار .

الأستاذ مصطفى أمين :

فكرة

إننى لا أفهم أن تخطف إحدى الفصائل الفلسطينية طفلة فرنسية عمرها ٦ أعوام وشقيقتها وعمرها ٤ أعوام ، لا أرى شجاعة ولا شهامة فى خطف طفلتين بريئتين لا ذنب لهما إلا أنهما تحملان الجنسية الفرنسية ، هذا العمل الصغير يسىء للانتفاضة العظيمة التى قام بها الشعب الفلسطينى الذى استطاع بصموده أن يرفع صوت فلسطين ، ونحن فى حاجة إلى الرأى العام ليساند

قضايانا ، ويكفى أن نرى الجزع والفزع فى اسرائيل عندما رأوا الولايات المتحدة الأمريكية تتخذ موقفاً صريحاً لأول مرة ضد سياسة طرد العرب من إسرائيل . نحن لا نحارب الأطفال ولا النساء ويجب ألا نعطى خصومنا السلاح ليحاربونا به .

د. عبدالرشيد صقر

انشروا فى مصر ابتساما

مالى أرى الناس فى الشوارع قطبوا الجبين واكفهرت منهم الوجوه وخاصمهم الضحك وغاضت من شفاههم الابتسامة . ولا يخفف هذا كله إلا عقيدة تربط المسلم بربه وتسكب فى نفسه الهدوء « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » وما يزيل التوتر العصبى فى الناس إلا ابتسامة تبدد اليأس وكلمة طيبة تغرس الأمل .

الأستاذ: حسن دوح

الشعب والمحنة

نحن نواجه محنة واختباراً من الله تعالى ، ومحنتنا فى شربة الماء ولقمة الخبز ، وهى محنة لا يكشفها إلا الله وحده ، ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون . إن الله يضع أمامنا هذا الاختبار بكل شدته ليعلم قدر إيماننا ، ووضع أمامنا الوسائل الكفيلة بإنجاحنا ، وأرسل إلينا رسولاً ليعلمنا كيف نواجه مثل هذه المحنة فأوصى الحكومة والشعب بهذه الوصية : ﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ . وحيال وصايا ربنا ، ونصائح نبينا يمكننا أن نجمع بين الضراعة والدعاء ، وبين العمل والادخار . وليكن حسابنا لأنفسنا وتناصحنا فيما بيننا أساساً نلتزم به جميعاً . إنها قضية كل مصرى وهى اختبار لنا جميعاً .

الأستاذ: جمال بدوى

قلب قوسين

لقد تتبعت جهود الدكتور محجوب وهو يجوب المدن الكبرى والتجمعات الطلابية يجادل الشباب فى المساجد والجامعات ويستمع إليهم ويستمعون إليه ولكى تؤتى هذه الحركة النشطة ثمارها الطيبة ، أرجو من الدكتور محجوب ، وهو يتحدث إلى الشباب أن يخلع رداء الوزير ، ويتمسك بروب أستاذ الشريعة الإسلامية . وعلى الجانب الآخر ، فإن على الشباب المتمسك بدينه أن يقابل نهج الدكتور محجوب بنهج مماثل يتطلب حسن الظن وسعة الأفق ، فنحن جميعاً فى حاجة إلى أن نأخذ أنفسنا بأدب الحوار وأدب الاختلاف فقد اختلف أجدادنا العظام فى فروع الدين دون أن تختلف قلوبهم .



الرئيس مبارك يشارك العلماء

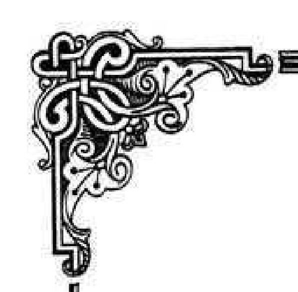
احتفالهم بيوم الدعاة

● وافق الرئيس محمد حسنى مبارك على التشكيل الجديد للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى يضم مائة شخصية مصرية وعربية وعالمية متخصصة فى شتى المجالات والمعارف من علوم إسلامية وثقافية وعربية ، من بين هؤلاء الأعضاء ثلاثون من كبار الشخصيات الإسلامية وسبعون من الشخصيات المصرية وسيرأس - إن شاء الله - الرئيس مبارك أول اجتماع للمجلس الجديد .

ومن ناحية أخرى فقد استقبل الرئيس مبارك مؤخراً الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف وطالبه بضرورة الاهتمام بعلماء الدعوة الإسلامية والعاملين بها مع تقديره للدور الرائد الذى يقوم به علماء الأزهر والأوقاف لتوضيح جوهر الإسلام الصحيح وتوضيح الصورة السليمة للشباب الذين هم محل كل رعاية واهتمام من الرئيس .

كما أشار سيادة الرئيس خلال لقائه مع وزير الأوقاف إلى أهمية تنشيط الدعوة لتسير فى طريقها الصحيح لتتضح الصورة أمام الشباب لحمايتهم من الأفكار الدخيلة والوافدة . وأكد الرئيس مبارك على ضرورة الاهتمام بشئون الدعاة والعاملين فى حقل الدعوة من خلال إعداد هيكل جديد لهم وتوفير كافة الضمانات لاستقرارهم وإقامة المساكن للدعاة . وقد وافق السيد الرئيس على حضور الاحتفال الذى سيقام فى يوم الدعاة والذى يوافق ذكرى الإسراء والمعراج .

كما سيضع الرئيس - إن شاء الله - حجر الأساس لمدينة سكنية متكاملة لعلماء الدعوة والعاملين فيها وسيقوم سيادته بتوزيع عقود تمليك ٤٦٠ وحدة سكنية



إعـداد :
د. أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ صفوت عبد الجواد

أخرى بإيجار رمزى بمنطقة القبة بالقاهرة .

● ● ●

شيخ الأزهر ورئيس بنجلاديش

● بحث فضيلة الإمام الأكبر الشيخ ـ جاد الحق على جاد الحق ـ شيخ الأزهر مع الرئيس حسين محمد أرشاد رئيس جمهورية بنجلاديش احتياجات بنجلاديش من علماء ومنح دراسية . تم ذلك خلال زيارة رئيس بنجلاديش لفضيلة الإمام الأكبر بمكتبه بإدارة الأزهر .

حضر اللقاء الدكتور / محمد على محجوب وزير الأوقاف ورئيس بعثة الشرف المرافقة ، كما حضر اللقاء سفير بنجلاديش بالقاهرة وسفير مصر ببنجلاديش وفضيلة الدكتور رءوف شلبى وكيل الأزهر وأصحاب الفضيلة رؤساء الهيئات بالأزهر الشريف .

وقد رحب شيخ الأزهر بضيف مصر والوفد المرافق لسيادته وتحدث فضيلته عن مهام الأزهر وما يقدمه للشعوب الإسلامية من خدمات تعليمية وثقافية ودوره فى مجال الدعوة الإسلامية ورعايته للطلاب الوافدين ومن بينهم طلاب بنجلاديش الذين التحقوا بالأزهر الشريف على منح دراسية وعن التعاون الثقافى بين الأزهر وبنجلاديش فى مجال الدعوة الإسلامية وتدريب دعاة وأئمة بنجلاديش وتقديم المنح الدراسية لطلابها ، وإيفاد علماء الأزهر وتزويدها بالكتب والمراجع الإسلامية والعربية ، وأعرب ضيف مصر عن تقديره لدور الأزهر فى خدمة الإسلام والمسلمين .. واقترح عقد اتفاقية ثقافية بين الأزهر وبنجلاديش وطلب زيادة المنح الدراسية وزيادة عدد الأساتذة والعلماء الذين يوفدهم الأزهر إلى بنجلاديش ودعم الجامعة الإسلامية المنشأة حديثاً هناك .. وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بهذه المقترحات على أن يتم الاتفاق الثقافى بالمشاركة مع وزارة الخارجية المصرية . كما أشار فضيلة الإمام الأكبر إلى الاهتمام بتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية فى كافة مراحل التعليم المختلفة ببنجلاديش .

←

أنباء وآراء

ووعد الرئيس أرشاد بتحقيق ذلك ، وعقب اللقاء توجه الضيف الكبير ترافقه بعثة الشرف لزيارة الجامع الأزهر الشريف .

● ● ●

تطبيق الشريعة الاسلامية

دعا حسين محمد أرشاد رئيس بنجلاديش إلى تطبيق الشريعة الإسلامية فى بنجلاديش وطالب بضرورة وقوف شعب بنجلاديش جنبا إلى جنب لبحث السبل الكفيلة بإقامة نظام حكم إسلامى يعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية .

وقال أرشاد فى بيان له إن تطبيق الشريعة الإسلامية من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية هو الكفيل بتخليص بنجلاديش من الاضطرابات وتقديم الحلول لمشاكل البلاد .

● ● ●

ضرورة تطبيق الشريعة

صرح الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف بانه اتفق مع شباب الجماعات الإسلامية باسيوط على ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية والالتزام بالحجاب والتعامل مع البنوك الإسلامية غير الربوية ووقف تصنيع الخمور .

الزمالة الفخرية

قررت رابطة الأدب الحديث منح : الأستاذ الكبير د . رءوف شلبي وكيل الأزهر الشريف الزمالة الفخرية تقديراً لجهوده في رعاية الحركة الأدبية والفكرية وأياديه على النهضة الحاضرة في شتى المجالات التى يرعاها بتوجيه وعناية .. **السيد الرئيس محمد حسنى مبارك**

والله الموفق

● ● ●

أمين عام مجمع البحوث الاسلامية

عضوا بمجمع البحوث

بباكستان !!

● تم اختيار فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح بركة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر عضوا بمجلس مجمع البحوث الإسلامية التابع للجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد بباكستان ، اشترك فضيلته فى الاجتماع السابع لهذا المجلس الذى عقد جلسته فى أواخر ديسمبر الماضى حيث بحث المجلس فى اجتماعه بعض المسائل والقضايا الخاصة بالنواحى الدينية والثقافية !!

مؤتمر وزراء الأوقاف

بالقاهرة

صرح وزير الأوقاف انه عرض على الرئيس الخطوات التى اتخذت لعقد مؤتمر وزراء أوقاف العالم الإسلامى الذى يعقد فى القاهرة - إن شاء الله - فى النصف الأول من شعبان القادم تحت رعاية الأزهر الشريف واضاف - وزير الأوقاف - أن جميع وزراء الدول الإسلامية والمنظمات الإسلامية المتخصصة سيدعون إلى المؤتمر لوضع الاستراتيجية العامة للنهوض بالدعوة ومناقشة اهم القضايا التى تهم العالم الإسلامى وموقفه من التطرف والإرهاب وكيفية علاجه .

●●●

جدول التوريث الاسلامي

الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عماد بن على المقدسى الشافعي الفرضى المعروف بـ (ابن الهائم) المولود عام ٧٥٦ والمتوفى ٨١٥ هـ .

من مؤلفاته الفريدة في الميراث جدول التوريث .

اشار إليه فضيلة الدكتور محمد محيي الدين عبد الحميد عميد اللغة العربية السابق قام فضيلة الشيخ شحاته سليم بقة الشهير بـ (الرحبى) بتحقيق هذا الجدول ونشره وفقه الله .

انظر هداية العارفين : اسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي - المجلد الأول المطبعة البهية باستنبول ١٣٥١ هـ .

●●●

توظيف أموال المسلمين

دعا الرئيس الباكستانى ضياء الحق فى ندوة نظمها الاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية إلى استثمار احتياطى العملات الصعبة لدول منظمة المجتمع الإسلامي الإسلامي فى مشروعات تعود بالنفع على الشعوب الإسلامية .

وقال الرئيس ضياء الحق : إن احتياطى العملات الصعبة للأسف يستثمر فى دول غير إسلامية وهو ما يحرم المسلمين الانتفاع بهذه الأموال ، ولو سار المسلمون فى حياتهم وفقاً لتعاليم الإسلام لسيطر النظام الاقتصادى الإسلامى على النظامين الرأسمالى والاشتراكى .

←

أنبـاء وآراء

أول اذاعة اسلامية لوسط وجنوب أفريقيا

صرح الدكتور عبد الرحمن حمود الأمين العام للجنة مسلمى افريقيا ان اللجنة اشترت أول إذاعة إسلامية فى افريقيا خارج الدول العربية الأفريقية لخدمة المسلمين فى وسط وجنوب افريقيا وتوعيتهم بدينهم ومواجهة وسائل التبشير التى يتبعها المبشرون المسيحيون هناك .

وأوضح الأمين العام للجنة مسلمى افريقيا ان حكومةسيراليون وافقت على بيع هذه الإذاعة لتكون فى خدمة الإسلام .

والإذاعة حالياً تقوم ببث القرآن الكريم وتفسيره وعلوم الأحاديث والسيرة النبوية الشريفة والتاريخ الإسلامى والعربى ونشر اللغة العربية ، وتعمل الإذاعة اربع ساعات يومياً بثلاث لغات هى : الفرنسية والانجليزية والفولانية .

مجلة الأزهر :

من المتوقع محاربة هذه الإذاعة بوسائل غير مشروعة من الجهات الاستعمارية بكل وسائل المحاربة من « التشويش » إلى بث برامج مضادة تقوم بمسابقات ذات جوائز مادية مغرية وغير ذلك .

لكن الإذاعة خطوة على الطريق الصحيح . كم نأمل من السادة ذوى النفوذ فى البلاد الإسلامية ان يعضدوا هذه الخطوة بكل ما أتاح الله ـ سبحانه ـ لهم من إمكانات ـ والله المعين .

● ● ●

الاسلام وقضايا العصر

تقوم كلية أصول الدين بالقاهرة حالياً بالإعداد لمؤتمر إسلامى كبير يعقد بالكلية فى رجب القادم حول الإسلام وقضايا المجتمع المعاصر .

صرح بذلك الدكتور محمود زقزوق عميد الكلية . وقال : إن المؤتمر سيقوم بالبحث عن الحلول الإسلامية لما يعانيه المجتمع الإسلامى من ازمات . واضاف أن الهدف من عقد المؤتمر أيضا المحافظة على الذاتية الإسلامية وحماية الشخصية الإسلامية من محاولات الاحتواء والتذويب التى تقوم بها جهات عديدة داخلياً وخارجياً والكشف عن المفاهيم الإسلامية الصحيحة ، وترسيخ القيم الإسلامية فى نفوس وعقول المسلمين وتوضيح مفاهيم التدين الصحيح .

تدريس السيرة فى جميع

مراحل التعليم

أوصى مؤتمر السيرة النبوية الذى عقد بالمغرب فى منتصف شهر ديسمبر الحالى بضرورة إعادة كتابة تاريخ الصحابة فى ضوء الرواية الصحيحة الموثقة والمبراة من التحامل .

كما أوصى المؤتمر بدراسة السيرة النبوية فى جميع مراحل التعليم وتشجيع الكتابة فى السيرة النبوية وحياة الصحابة بـاسلوب يكـون فى متنـاول مختلف المستويات .

ولقد تناول المؤتمر عدة محاور أصلية فى السنة منها التغير الاجتماعى واثـر الرسول ﷺ فى تغيير المفاهيم والقيم الاجتماعية . كما تناول ايضا تراث السيرة والسنة النبوية والكتابة المعاصرة عن السيرة النبوية ..

● ● ●

٢٨٠ من جنسيات مختلفة

يشهرون إسلامهم

ذكرت المصادر الصحفية فى دولة قطر أن عدد الذين شهروا إسلامهم خلال السنوات الماضية من الأجانب ٢٨٠ شخصاً من جنسيات مختلفة أوروبية وأمريكية وأفريقية .

وقالت المصادر نقلاً عن مسئول برئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية فى قطر قوله : إن بين هؤلاء عدداً من السودانيين والأوغنديين والفلبينيين وعدداً آخر من الأشخاص الأوروبيين والأمريكيين الذين كانوا يدينون قبل إسلامهم بالنصرانية .

● ● ●

قاعدة بيليوجرافية

انشأ مركز الملك فيصـل للبحوث والدراسات الإسلامية التابع لمؤسسة الملك فيصل الخيرية بالرياض قاعدة بيليوجرافية عن العالم الإسلامى تحتوى على جميع ما نشر فى الغرب عن الدول العربية والإسلامية منذ بداية القرن الحالى وحتى الآن .

وكان المركز قد أصدر كتيباً اوضح فيه أن القاعدة تتكون من بيانات « مبرمجة » على الحاسب الآلى تضم كل ما كتبَ ونشر فى الدول الغربية وأمريكا الشمالية وأوروبا عن العالم الإسلامى سواء كان ذلك على شكل مقالات وابحاث أم رسائل علمية أم مطبوعات رسمية صادرة عن الهيئات والمؤسسات العالمية .

أنباء وآراء

كما تغطى القاعدة كل ما كتب عن الدول الإسلامية فى مجالات السياسة والاقتصاد والعلوم والآداب وغيرها باللغة الانجليزية منذ بداية القرن الحالى حتى الآن .

كذلك تضم القاعدة معلومات عما نشر عن دول المنطقة فيما يتعلق بالإسلام وتاريخه وعلومه والعرب واللغة العربية وآدابها . وكذلك الاقتصاد والبترول والقضية الفلسطينية ..

هذه القاعدة تعد اكبر مصدر متخصص للمعلومات « البيلوجرافية » عن المنطقة الإسلامية ودولها وهى تضم اكثر من خمسة آلاف موضوع تغطى كافة العلوم والمعارف .

● ● ●

إعتناق ٥١٥ وثنيا الاسلام

أعلنت جمعية إحياء التراث الإسلامى بالكويت أن خمسمائة وخمسة عشر وثنيا من أندونيسيا اعتنقوا الإسلام . وأكدت الجمعية التى تأسست عام ١٩٨١ أنها قد أنجزت بناء اكثر من ثلاثمائة وعشرين مسجداً وسبعة وسبعين مركزاً إسلاميا . كما أقامت عشرين معهدا إسلاميا وستة وعشرين مركزا صحفيا وستة مستشفيات . كما أنها ساهمت فى أكثر من مائة وثمانين مكتبة إسلامية . وأن هذه الأعمال وزعت على مختلف الدول الإسلامية ودول العالم الأخرى .

● ● ●

أسرة غينية تعتنق الاسلام

اعتنقت أسرة غينية بكامل افرادها الدين الإسلامى وقررت توجيه طاقاتها وإمكاناتها لرد العقائد والمذاهب الباطلة والمشبوهة وفى مقدمتها القاديانية .

الأسرة من قرية « اكودوم فى غانا » ، وكانت على العقيدة القاديانية الباطلة منذ احد عشر عاماً .

وبعد دور مكثف من مجلس التنمية الإسلامى بافريقيا بذله لتوضيح العقيدة الإسلامية الصحيحة أسلمت تلك الأسرة .

● ● ●

مشروع الزكاة العالمى

وصل عدد المستفيدين من مشروع الزكاة العالمى بقبرص التركية إلى اكثر من مائه وخمسين الف مسلم خلال الأشهر الثلاثة

الماضية أعلن ذلك الأستاذ أحمد قرمد المشرف على المشروع ومدير بنك قبرص الإسلامى . وقال : هذا المشروع هو مساهمة فى التصدى للحملات التى تسعى لإذلال المسلمين عن طريق فتح باب الإعانات لهم .

• • •

الأزهر يستنكر حصار اسرائيل للمسجد الأقصى

استنكر الأزهر الشريف ، في بيان له ، حصار إسرائيل لمنطقة المسجد الأقصى وإطلاق القوات الإسرائيلية الرصاص على المصلين خارج المسجد ، والأعمال الغاشمة الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني الذي يدافع عن عرضه ، وعما بقى تحت أقدامه من أرضه ووطنه .

ودعا الأزهر الشريف منظمات المؤتمر الإسلامي وعدم الانحياز والأمم المتحدة وكافة المنظمات الدولية المعنية إلى محاربة الإرهاب الإسرائيلي ، وتحريك الجهود الدولية لوقف العدوان الإسرائيلي .

وطالب البيان المسلمين بمؤازرة شعب فلسطين ومساندته في وقفته ضد الإرهاب الإسرائيلي وحث الأزهر الشريف الشعب الفلسطيني على مقاومة العنف الإسرائيلي بالاستعانة بالله ، والبعد عن الفرقة والانقسام .

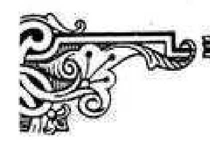
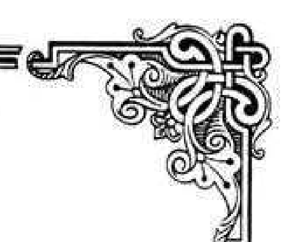
كما أكد الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر تأييد الأزهر لنضال الشعب الفلسطيني داخل الأراضي المحتلة ، وأعلن أنه سيجرى اتصالات فورية مع منظمة المؤتمر الإسلامي لمساندة ودعم الشعب الفلسطيني ضد الممارسات القمعية الإسرائيلية .

• • •

مسجد العوادلى بالجيزة

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وفضيلة الدكتور / محمد على محجوب وزير الأوقاف والدكتور / احمد فتحى سرور وزير التعليم والسيد عمر عبد الآخر محافظ الجيزة مسجد العوادلى بكفر الجبل بالجيزة حيث ادوا شعائر صلاة الجمعة ويضم المسجد داراً لتحفيظ القرآن ومكتبة دينية بتكاليف ٢٣٠ الف جنيه .

كما تم إرساء حجر الأساس لمركز علاج الكلى ومدرسة ابتدائية بكفر الجبل بالجيزة كما تم افتتاح مجمع التوفيق الإسلامى والذى يضم مسجداً وداراً لتحفيظ القرآن وداراً للمناسبات وعيادة طبية وداراً للحضانة .

فهـــرس العـــدد

→

41. The SUFFICER AL HASEEB الحسيب

He suffices all beings, and He Alone provides sufficiency. Nothing in existence is competent to meet or satisfy a need or avail such means for any other being except through His Divine Providence which is enough to prevail over all. Nothing in existence is adequate alone to suffice something else; all thing are interrelated, and all are dependent on His Grandiose Power.

42. The MAJESTICAL AL JALEEL الجليل

He is described by all the sumptuous Attributes of Majesty imputing such traits as Richness, Sovereignty, Holiness, knowledge, Power and Others which together evoke a perception of Grand Perfection.

43. The BOUNTEOUS AL KAREEM الكريم

His Bountiful Gifts are deluging. He grants Pardon instead of Just Retribution. When He promises He fulfils. When He gives He confers handsomely with unparallelled Magnanimity and Graciousness. He extends refuge to all who seek Him.

44. The VIGILANT Al RAQEEB الرقيب

He keeps Vigil over His Kingdom, as He is The All-knowing and The Maintainer.

45. The RESPONDER Al MUGEEB المجيب

Those who need Him can find His Response in many ways. He responds by giving solutions and aids; by answering prayers; by providnig sufficiency to the needy. He even offers enlightenment before invocation, and grace before appellation.

****

Orginal Publication by: Mr. Muhammad Abd El Meguid El Zimaity.

34. The SUPREME AL AZEEM العظيم

He is beyond concetion by the mind, and His Pre-eminence is perceived by others. His Supremacy is Eternal and Everlasting, All-Pervading in knowledge, mercy, justice and omnipotence.

35. The REMITTER AL GHAFOOR الغفور

His Forgiveness is thorough, and carried through to refrainting from exacting penalty and complete remission of sins.

36. The PRODIGAL AL SHAKOOR الشكور

Those who thank Him and obey His Commands, are lavishly rewarded by His Prodigious Gifts and Blessings.

37. The SUBLIME AL ALII العلي

Nothing is as elevated or trascendingly salient as Himself.

38. The GREAT AL KABEER الكبير

His Pride and Utmost Perfection are Absolute. He is Great, whether glorified or not, and notwithstanding the apprehension or non-apprehension of this Attribute by His beings.

39. The MAINTAINER Al HAFEEZ الحفيظ

Who but The Divine One upholds Heaven and earth, and preserves all creatures and beings.

40. The SUSTAINER AL MUQEET المقيت

He provides all sustenance for His beings, and maintains their physical and moral existence. This entails Knowledge and potency.

THE MOST MAGNIFICENT

NAMES OF ALLAH

Collected and Reproduced by :
Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AND ALLAH HAS THE MOST MAGNIFICENT NAMES

SO INVOKE HIM BY THEM

31. The SUBTILE AL LATIF اللطيف

He Alone knows the minutest details and mysteries of all things. He subtilizes its intricacies and idiosyncracies and imparts them tenuously to the worthy of His beings in very peculiar and mystic ways.

32. The ALL-COGNIZANT AL KHABIR الخبير

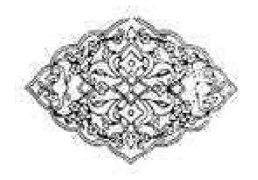
He possesses all knowledge and adeptness. No being undergoes any movement or repose, disturbance or peace, discomfiture or comfort without Him being Aware of its happening.

The term designates the encompassing of all impalpable or subliminal peculiarities of things as well as their revealed characteristics.

33. The CLEMENT AL HALEEM الحليم

He watches those who sin and disobey His Commands, but is not provoked to administer justice or inflict immediate revenge, or restrain the excercise of forbearance and charity, though utterly and infinitely capable of penalizing the offenders.

engaged himself with his wife and his trade and was not concerned with the affairs of Muslims. When the Muslims were in favourable situation, the man claimed to be one of the Emigrants, and when Muslims were in unfavourable conditions, the man kept away to his wife and his trade. Allah revealed the real intentions of the man to the Prophet. The Prophet explained that the same action might be propelled by different intentions, and it is the intention that is judged by Allah. The Prophet did not expose the man, but explained to the companions the example of action and intention. This is the teaching of Prophethood that should be followed, to expose the wrong, and not the wrong-doer in matters that concern the relationship of the individual with Allah, the Ruthful the Clement. .....



→

all be governed by the relationship with Allah and maximized to that grade of understanding. The most elemental human action and behaviour should be absolutely truthful, sincere and candid only to Allah. This basic molecule of understanding is fundamental to the achievement of human goodness; hence there will be no real love except that which originates from the love to Allah, and there will be no hatred except in that which contradicts or denies the love and sincerety to Allah.

When the human race seeks the true path to worship Allah, and pan-cultivate the Earth, implementing His Knowledge and according to His Divine doctrines: then and only then mankind will deserve to be the viceregent of Allah on Earth, and will deserve the tranquil happiness to live in peace, security, love, and decent finess. Mankind will then deserve eternal paradise in the Hereafter.

In the context of "action and intention", the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) presents a vivid living outstanding example which is the event of the Hijrah from Macca to Al-Madinah, the greatest of all actions in the history of Islam. Muslims emigrated from Macca, the bastion of paganism at that time, to Al-Madinah, the safe cradle of Islam, and its soil of propagation. The companions responded to the divine command sacrificing money, families, homes: sacrificing their very lifes exposing themseleves to the perils of the journey and the enmity of the pagans. In the minds of the companions, the act of emigration was the same in the balance of Allah. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) explained that an action might be identical, however, the acceptance by Allah differs according to the intention of the individual performing the action. In the Hijrah, for example, if it was undertaken to triumph the cause of Allah and in support of Islam and the Messenger, that action would be highly accepted by Allah. If the Hijrah mixed between that purpose and an intention of wordly gains, Allah will accept it to the degree depending on how much there is to Allah and His cause. Allah alone knows very precisely the gradings of the intentions, and the ratings of sincerety. If the hijrah was for worldly gains, that would be subject to the laws that govern and control worldly matters; and Allah would not accept that action as one sincerely for the cause of Allah.

The reason for that presentation is that a companion of the Prophet called Muhajir Um Qays, had emigrated with the intention of marrying Um Qays and trading with her wealth. When the Muslims settled at Al-Madinah, that man

detail all doctrines of previous religions, including all that pertains to human betterment and refinement. These codes and legislations are presented in complete comprehensive doctrinal manifesto, statements of belief to mankind to the day of judgement. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) says ."My example and the examples of the other Prophet's before me; is the like of a man who built a palace, beautified and ornamented it, except the place of one brick. The on-looker would say "If it were this brick"; I am that brick. I have been sent to complete the refinement of human manners."

The pan-cultivation and refinement of the Earth can be defined as the institution of elegant decent ornate life on Earth. This does not mean that it is a life devoid of wrong - that is impossible - because wrong is the twin opposite of right. As a matter of fact, the real measure of Right is always contained in what is in reality wrong. The proper understanding of elegant decent ornate life on Earth is that Life in which the essentials and balances of virtue supervene; truth, goodness, mercy, justice, beauty, and love. These cannot be achieved except when all human actions and activity accord with the divine doctrines from Allah; and the whole strategy of human action is propelled to dominate the faith of Allah. The soil will be cultivated in the name of Allah seeking His giving; the merchant trades without dishonesty or fraudulence. The teacher transmits knowledge to the generations in serious dignity and reverence to the task without conceit, caprice or arrogance. The student will receive knowledge in gratitude to Allah, and respect to the knowledge and teacher; to share in the furtherance and development of life. The scientist will serve for the betterment of humanity and to achieve refined and decorous life for mankind. Everyone should share with an input for which he was created to perform; the resultant will be a driving force in the direction of a harmonized society, elegant, decent, ornate life on Earth; seeking and directed by the divine doctrines of the Faith of Allah - Islam as optimized by the Holy Quran and the Traditions of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him).

Human relationships between individuals in a society and between groups, should be governed by the relationship with Allah even in the most primitive and simplest form of relationship. Relationships between husband and wife, between parents and children, between sisters and brothers, between relatives, between neighbours, between citizens at large. Relations between societies, between nations should

THE PURPOSE OF HUMAN ACTION

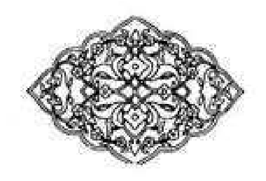
By :
Abdel-Hakim Taha

Human action passes through four phases: The first is the origin of thought and the function of the mind. The second is the inclination and desire of the self which acts independently of the mind and influences it. The third phase is the intention which is the phase of coordination between the thought of the mind and the inclination of the self, at the time of action, it is the resolution and determination propelling the action. The fourth phase is the execution and fulfillment of action. It is the phase charged with responsibility. It is the phase for which Allah created mankind and gifted him with distinctions. What therefore is the real human action, and what is the ultimate purpose of human action that Allah created mankind to perform. Very simply its is two purposes. The first is to worship the Oneness of Allah in accordance with all the divinely planned evolutionary sequences of Heavenly Religions, which terminated with Islam, and the Holy Revelation of the Glorious Quran conveyed to humanity by the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him). The second is the pan - cultivation and refinement of the earth by the action of mankind.

The issue of worship of Allah, and the graduation of divine codes throughout history is a matter that accords with rational reasoning. These divine codes are educational institutions from Allah to mankind. In life, we educate the individual through an educational curriculum which is appropriate to age, maturity, and mental abilities, till he achieves knowledge. Allah, The Divine Creator, The All-Wise, The All-knowing, The All-Cognizant, instructed mankind in systemic upgrading of instructions and knowledge that is at all stages specifically designated to human capabilities at particular phases of human history. This systemic upgrading reached its pinnacle of completion in the real knowledge embodied in the doctrinal teachings of Islam. The religion of Islam constitutes in distinctive

conduct of the individual, and more particularly applicable to man woman relationships. Havelock Ellis, a leading sex psychologist says in his book, Psychology of Sex, "... We have always to remember that the whole art of livng lies in a fine balance of expression and repression. For repression is a central fact of life as expression. We are constantly at the same time repressing some impulses and expressing other impulses...."

The qualifications and provisions ascribed to the Islamic pattern of life are essentially in the interest of sexual chastity, psychological and physical health, and organized stable family life and social harmony. This effort is fundamental to the realization of the real values of life, to social goodness, and human welfare.



different sicknesses, their desires are different and finally they differ in their mental, moral, and psychological build up and tendencies...".

There is no escaping from the fact that there are certain inherent constitutional and psychological differences which sharply segregate men and woman as two different components of society. There is no question as to the constructive receptivity of the woman and the constructive activity of the man, which renders them different in authority and ruling, different in functions and missions. Modern faminests and protagonists of sex equality are misguided. Women have misunderstood their own nature, needs and functions, and have allowed themselves to be exploited and used up by male-like ideas and ideals. She has came to believe that her femininety is inferior, and has become complexed of her womanliness. These false ideas formulated a false standard, and consequently she identified herself with man. She ignored that her independent personality as woman is quite different, more wholesome and more potent than that of man; and that she is entirely equal in her own distinct domain to man.

Islamic doctrines uphold the distinction of the sexes, and concedes specific functions and responsibilities of each sex, to which specific rights and authority is granted. This sex individuality must be respected by each sex and promoted to maximum efficiency to fulfill their effective position in social structure. The most cohesive man woman relationship is marriage; and for that the differentiation of the sexes must be highly graded, pronounced and fully accepted and recognized by both man and woman. The acceptance of these divine doctrines of Islamic Shariah must be basic to the sound understanding of the incumbent provisions and qualifications made upon man and woman in society, for the purpose of regulating their performance and conduct in life. These regulatory codes are divinely prescribed for mankind to achieve spiritual betterment, purity, chastity benevolence that lead to social harmony and stability resulting in true moral richness and progressive civilization of mankind. These stipulations on man and woman differ in accordance with their varying positions and functions in soiciety. These qualifications and provisions will maintain the delicate balance and equilibrium between the various human impulses. The balance between self expression and self repression, freedom and order, uniformity and diversity; should be well developed within the individual himself in order to achieve social stability. This is applicable to every

logic within the qualifications, differentiation, limitations and restrictions set forth by the Holy Quran for both man and woman. Within the dimensions of these qualifications, there should follow a scheme of life in which men and women must, by virtue of their individual natures, be assigned special rights and exclusive responsibilities, apart from the equal rights and duties ascribed to mankind in general. The acceptance of sex differentiation and the duties and responsibilities attributed to each sex, is in reality the determining factor of peace of mind, comfort, harmony and stability of relationship between the two sexes. If these differences were obliterated from our minds or devalued; sex life, marriage would totally lose its charm, attraction, and purpose.

Some contemporary authors emphasize the need that human socieities should recognize the paramount importance of the differences of the sexes. These authors warn against any blind irrational ridiculous social reformations that deny the natural inborn differentiation between the sexes and the complementary position of man and woman in respect to each other in society. Dr. Alexis Carrel, a French Nobel Prize winner says in his famous book, Man the Unknown "...The differences existing between man and woman are of a fundamental nature. They are caused by the very structure of the tissues, and by the substances secreted by the ovary. Ignorance of these fundamental facts has led the promoters of feminism to believe that both sexes should have the same responsibilities. In reality, woman differs profoundly from man. Everyone of the cells of her body bears the mark of her sex. The same is true of her organs and, above all, of her nervous system. Woman should develop their aptitudes in males. Their part in the progress of civilization is higher than that of men. They should not abandon their special function".... . The American writer, Margaret Mead states in her book Male and Female... "Every adjustment that minimizes a difference, a vulnerability, in one sex, a differential strength in the other, diminishes their possibility of complementing each other, and corresponds - symbolically - to sealing off the constructive receptivity of the female and the vigorous outgoing constructive activity of the male, muting them both in the end to the duller version of human life, in which each is denied the fullness of humanity that each might have had." Dr. Gina Lambrose writes in her book, The Soul of Woman "... that not only man and woman are different in height, in structure of bones and muscular system, but they are also different in quality and quantity of air and food they absorb, that they are subject to

➤

further analyses and qualifies this equality that it is a differentiated equality one involving the special individual rights, responsibilities and commitments of man and woman within the framework of their position in society. Within this framework of special function dependant responsibilities, both man and woman are absolutely subject to equal rights.

Islamic doctrines envisage and optimize that matrimony, family cohesion. reproduction, nuturing and culture of children are the most dominating influencing determinants of social harmony and stability. Within the institution of family life, man and woman are entrusted and committed to special obligations and attributions. These obligations and attributions of each sex start long before matrimony and follow through it. In Islam, equality of man and woman individual rights in Islam really means an equality which is basically adjusted to and qualified to conform with the special functions, duties and responsibilities of each sex within the structure of the family institution. Based on this rational conception of differential equality between man and woman that is dependant on their various functions in family and society; Islam recognizes the reciprocal superiority of each sex over the other according to position, function, duty and responsibility of each. Consequently, men are superior to woman in certain functions and woman are superior to men in other functions; the concept of equality being preserved and qualified in respect to human rights with due regard to the natural facts.

Islamic doctrines accord and attribute man as being more ruling and potentate than woman. This attribution to man does not imply a natural superiority of man or an inherent inferiority of woman; it is an attribution based on the natural differences between the sexes, and the resultant variability in function, duty and responsibility. In family life, domestic and social implications, final ruling and authority should rest with one sex or the other; co-equal authority will fail. Man has been granted the burden of this trust because of his constitutional eligibility, his comparative freedom from certain natural limitations which characterize the sexuality of a woman throughout her life. The question ultimately resolves itself into one of natural inborn differences between man and woman in respect to their constitution, faculties, powers, functional abilities, aptitudes, temperaments and psychology. When we rationally and honestly accept such differences and dividing lines, then the concept of perfect real equality between woman and man can only be true and




MAN AND WOMAN IN ISLAM

(Part - II)

By :
Saad Moustafa Moustafa, M.D.

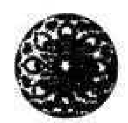
The Islamic attitude towards the life of mankind has been outlined and well defined in the Holy Quran. Accordingly, the life of an individual is an opportunity provided by the forces of nature to bring out the best and most excellent conduct and spiritual performance of his or her faculties. The response of each individual to the intricate network of human relationships throughout his or her life is the real measure of understanding, responsibility, and performance. From the complex sphere of human relationships arises the concept of equality, and the demand for human rights. All religious doctrines have indicated teachings to organize human rights and equality. Islam has introduced a highly disciplined system of codes and legislations to ensure human rights and equality. It therefore remains that the social conduct and performance of the individual in various angles and manifestations are the main concern of the religious spirit. Islam emphasizes that every individual should seek and pursue the efforts of social goodness, betterment, and values which will harmonize human relationships at all levels of social involvements.

Despite the great stress that Islam gives to the essential and fundamental equality of men and women and their equal human rights in basic matters of human concern; Islam fully recognises the sex and functional differences of man and woman. The Holy Quran distinctly features these differences and emphatically regards both man and woman to be complementary to each other, one sex making up for what the other lacks. With this reality, every sex is attributed with specific uniqueness in body structure and function, and therefore charged and entrusted with corresponding appropriate duties and responsibilities in society. The Holy Quran presents a general doctrine of sex equality, and




mount of Abu-Bakre. Ussamah urged Abu Bakre either to mount, or he would dismount. Abu Bakre answered "I shall not mount, and you shall not dismount; what if I dust my feet for an hour in the cause of Allah". Then he said to Ussamah "If you can consider helping me with Omar, do". Ussamah ordered Omar ibn Al-Khattab to leave the army and remain with Abu Bakre at Al-Madinah. Before Abu Bakre left, he stood to address the men. He said after giving praise to Allah "O people, listen for I command you with ten, that I ask you to observe. Do not be dishonest, do not plunder, do not betray, do not mutilate, do not kill a child, an elder, or a woman. Do not cut down palms or burn it, do not cut down fruiting trees. Do not slay sheep, cow or camel except for food. You shall pass by people in seclusion, leave them to their seclusion. You shall pass by people who will offer you food, eat from it after remembering to utter the Name of Allah. You shall meet people who have shaved the middle of their scalps and left the hair in circle, kill them with your swords. Go forth in the Name of Allah". Abu Bakre then turned to Ussamah and said "Do exactly what the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) ordered you to do. Start with Qudaa, then come to Aable, and do not neglect anything the Prophet instructed.

The army marched north to reach the exact destinations the Prophet had ordered, and to make the hoofs of the horses stamp the regions of Al-Balqaa and Al-Darum. They fought those who resisted them, and made their presence power, and display of authority and force very well expressed and manifest. The army did not encounter any confrontation with the Bezintine legions.The army returned to Al-Madinah after forty days on its mission, Abu bakre and all senior companions of Muhagereen and Ansars went out to greet the return of the gallant victorious army and the young commander Ussamah ibn Zayd. The Arab tribes of the Northern region who witnessed the mission of Ussamah's army were highly impressed by the display of Muslim power in this part of the peninsula, and this certainly made many of these tribes change their mind as to their enemity to the authority at Al-Madinah.



Khalifah Abu Bakre ordered to expedite the mission of Ussamah, the same tune of resentment was renewed, besides the fact that the whole mission should be reconsidered in the light of the ongoing tribal events. Ussamah himself told Omar ibn Al-Khattab to go to Abu Bakre and urge him to cancel the mission, and leave the Muslim army close to Al-Madinah as counter force against any armed revolt. Some members of the army added "and tell the Khalifah to change our command to an older man, if he insisted to expedite this mission."

Omar ibn Al-Khattab went and conveyed to Abu Bakre the message he carried, that the Muslim army should remain close to Al-Madinah to combat any tribal hostility; and in case the Khalifah decided to expedite the mission, there should be a change of command to a more elderly experienced man than Ussamah ibn Zayd. Abu Bakre became very disappointed and disapproving and retorted that the army must move to its destination north as originally planned by the Prophet, no matter what the consequences may be, even if he were to be hounded by dogs and wolves. When Omar told Abu Bakre about changing the command of Ussamah to a more elderly man; Abu Bakre became really furious, pulled the beard of Omar and said "The Prophet has personally commissioned Ussamah, and you ask me to decommission him!". Abu Bakre then ordered a public announcement - The mission of Ussamah is to be accomplished, every trooper in Ussamah's army present at Al-Madinah must join the army at Al-Gurf. Abu Bakre then delivered his famous speech amidst a great gathering of people.

Abu Bakre said after praising Allah "O people, I have been appointed this office inspite of my desire, and by Allah, how I wish that I may be releaved the burden. You may expect from me the same as from the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) but Allah chose the Prophet and purified him from error and evil. I am but a follower of the path, and not one to innovate. I am not any better than any of you. Help me, if you observe me on the path, then follow me; and if you observe me divert, put me straight..." I am but a follower of the path, and not one to innovate; I shall not allow a tradition of the Prophet (prayers and peace frm Allah upon him) except to enact upon it."

Abu Bakre then went out to meet the assembly of the army at Al-Gurf, to attend the depature of the army and to make supplication to Allah for the success of the expedition. Abu Bakre walked on foot while Ussamah was mounted, and Abdel-Rahman ibn Aof holding the reins of the

→

also remained committed to their faith of Islam, and accepted the authority of Al-Madinah in the person of Abu-Bakre as the Khalifah of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him).

The refractory defiant conditions of the Arab tribes against the administration at Al-Madinah, were all very well known to Abu Bakre and the Muhagereen and Ansars around him. At Al-Gurf outside Al-Madinah a muslim army under the command of Ussamah ibn Zayd was assembled and was ready to move north to the Syrian borders to Balqaa, and Al-Darum of Palestine as ordered by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) before his illness. The expedition was detained because of the illness of the Prophet and his subsequent death. Now, that the successor of the Prophet was proclaimed, what would be the final decision as to the function of that army, considering the prevailing anarchy, opposition, and insubordination of the Arab tribes to the authority at Al-Madinah.

This decision was to be taken by Abu Bakre, the closest companion to the Prophet, the man unanimously proclaimed Khalifah after the death of the Prophet. What channel of policy would he follow; to respond to the challenging fiery violent tribal revolt; or would he with his stoic confident character follow the policy of the Prophet to safeguard the northern borders, and postpone the tribal convulsions to the evolution of events. The safeguard of the northern borders was always a vital issue in the mind of the Prophet, the battle of Muatah, and the expedition to Tabouk were examples of the grave necessity to safeguard the north borders of the peninsula as a long range strategy. The army assembled under the command of Ussamah ibn Zayd with orders from the Prophet, before his illness, and during his illness to go north in display of alertness and strength along the northern borders, was also an integral part of that strategy founded by the Prophet himself. Abu Bakre was very clear and decisive, his first mandate after he was proclaimed Khalifah was "expedite the mission of Ussamah"

Ussamah ibn Zayd ibn Harithah was commissioned in command of that army which included among its members several of the senior close companions of the Prophet as Omar ibn Al-Khattab, Abdel-Rahman ibn Aof and others. There was resentment among the members of the army that Ussamah a youth of twenty years was to command such an important expedition thatincluded close companions of senior age and experience. This resentment was subdued by the Prophet himself at one time during his illness. Now that the



ABU BAKRE AL-SIDDIQ

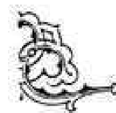


"First Mandate, Mission of Ussamah"

By :

Dr. Anas Mustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

At the time when the Muhagereen and the Ansars were proclaiming fealty to Abu Bakre Al-Siddiq to become the first Khalifah after the death of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him); harbringers went out of Al-Madinah to annouce to the distant tribes the news of the death of the Prophet. The news of the Prophet's death, and the succession of Abu Bakre as Khalifah spread across the Arab peninsula exceedingly fast. The Arab tribes became recalcitrant to remain under the authority of the new administration at Al-Madinah now that the Prophet had died. Most of these tribes became insubordinate, defiant and unwilling to respond to the ruling of Al-Madinah and refused the practice of the Zakat. The distant tribes of the north-east, east, mid-east, and south of the peninsula; denied their Islam and renounced their belief in Allah and His Messenger Muhammad, and disavowed the Revelation of the Holy Quran. They followed impostors who allegedly claimed prophethood. The whole Arab Peninsula was in mutiny, insurgence and uprising against the Muslim authority at Al-Madinah and against the man responsible for the security of the Faith and the administration of the affairs of Muslims. That man was Abu Bakre, the successor of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The fire of revolt and insurrection spread to cover most territories except the region between Al-Madinah north and Macca south along the western stretch. The people of Macca remained faithful to their Islam after Suhayl ibn Amre advised them to remain honest to their faith. The tribe of Thaqif at Al-Taif also remained adherent to their faith after Osman ibn Al-Aas reminded them that they were the last to embrace Islam and that they should not be the first to renounce. The tribes of Muzainah, Ghiffar, Guhaynah, Ashgaa, Asslam and Khuzaah,



AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 60, PART VI

Jummada Al-Akhira, 1408, Hijrah.

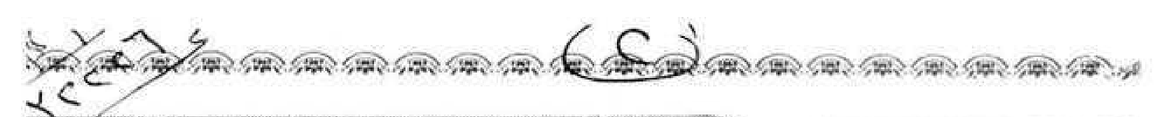
CONTENTS

Preparation of Prints: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE



ENGLISH SECTION





الجوار بعد أبي طالب

٢

... ولقد آن الأوان لحديث عن حكومة مكة عصر النبوة :

تلك الحكومة التى لم تكن « ملكية » بالمعنى المعروف ، ولم تكن ـ كذلك ـ « جمهورية » بالمعنى المعروف ، فلم يتشكل واقعها على شىء من هذه أو تلك .

كانت « حكومة » مكونة من « مجلس سيادة » بدا ينمو مع إصلاحات « قصىّ » الجد الرابع لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتكون لرؤساء البطون الكلمة النافذة فى توجيه الأمور .

استوت هذه الإصلاحات على تسع نَمتْ من واقع طبيعة مكة ، ومكانتها بين العرب ، ومسئوليتها تجاه الحجيج والمعتمرين على مدار العام .

فمكة مسئولة عن توفير الأمن لهم ، وإعداد الكعبة والحرم لاستقبالهم ، وتوفير الماء والغذاء من أجلهم ، هذا إلى جانب مسئولية قريش فى إدارة شئونها والدفاع عنها .

←

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

* الجزء السابع *
* السنة الستون *
* رجب ١٤٠٨ هـ *
* مارس ١٩٨٨ م *

الجوار بعد أبي طالب

لذا انتهت إصلاحات قصى على يد ابنائه إلى :

١ ـ دار الندوة : وهى مجلس السيادة الذى تحسم فيه المشاكل وتحل المعضلات ، يدخلها من بلغ الأربعين .

٢ ـ اللواء : راية الحرب ، وتعنى شئون الدفاع وانتهى أمرها إلى بنى أمية .

٣ ـ الحجابة : وهى سدانة البيت الحرام ، وتولِّي خدمة الكعبة وما تقتضيه من شئون ، واستقرت فى بنى شيبة .

٤ ـ السقاية : وهى حياض الأدم ، توضع فى فناء الكعبة ، وينقل إليها الماء العذب لسقيا الحجيج ، تولاها فى عصر النبوة العباس بن عبد المطلب ، وأضاف التمر والزبيب .

٥ ـ الرفادة : طعام تشترك فيه قريش ، تعده للحجيج على سبيل الضيافة .

٦ ـ القيادة : وهى رياسة الركب لتجارة أو حرب ، وصلتها بـ « اللواء » شديدة ، وليها قبل الإسلام أبو سفيان .

٧ ـ المشورة : وتعنى الرأى من صاحب، الأمر الأخير ـ فيما يعرض من المسائل العامة ـ وانتهى أمرها إلى بنى أسد .

٨ ـ السفارة : وهى منصب تولاه بعد قصىّ بنو عدىّ ، فكانت السفارة قرب الإسلام لعمر بن الخطاب يكون سفير قريش إذا دخلوا فى صلح ، وينوب عنهم فى المنافرة .

٩ ـ الحكومة : والمقصود بها « القضاء » بين الناس فى خصوماتهم عند الاحتكام ، وكانت قبل الإسلام فى بنى سهم[1] .

والواقع أن هذه المناصب ـ برغم توزيعها فى بطون قريش ، إبان فترة الدعوة الإسلامية ـ كان يُمضى أمرها فى الكثير منها صاحب الغلبة فى الزعامة البارزة فى هذا المحيط ممن ليست

---

(١) راجع للأستاذ الدكتور محمد محمد مصطفى النجار ـ تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٤٦ ، ٤٧ م الأزهر ١٣٧٢ هـ .

له أصلا ، فى حين يغضى الطرف عنها أصحابها الشرعيون . كذلك - من الواقع أيضاً - أن بعضها كان يمارسها أصحابها الشرعيون دون أدنى تنازل عنها .

قال يونس بن عبيد - رحمه الله :

« كان عتبة بن ربيعة ، وأخوه شيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام ، وأبو سفيان لا يسقط لهم رأى فى الجاهلية »[٢] .

مع أن الأربعة ليس فيهم أسدىّ ، فكلهم - عدا أبى جهل - عبشمىّ ينتهى إلى عبد شمس بن عبد مناف ، فأما أبو جهل فمخزومى فهو عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم القرشى .

اللهم إلا أن يقال : إن شيخ بنى أسد صاحب المشورة هو الذى يختار الرأى ويأمر به فيُلْتزم ، وهذه بدورها بعيدة ؛ فكثيرون الذين أمضوا الحملات الشعواء ضد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكونوا أسديين ، قرروا هذه الأحكام الدافعة لتلك الحملات ، بل من « الأسَدِيِّين » من ابلى بلاء حسنا فى الدفع عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كأبى البخترى ؛ فإنه - على كفره - جاهد من أجل إسقاط العمل بالصحيفة .

● ● ●

كانت حكومة مكة تكوينا يجمعه « مجلس سيادة » ، وهى - بهذا الأصل - متقبلة لكل زعيم ذى شأن من بطونها الخمسة والعشرين ليكون عضواً عاملاً فيها ، له حقه فى شئونها : إدارة وتوجيهاً وقبولاً ومعارضة .

ولكننا أمام هذا الأصل ينبغى أن نضع بعض التحفظات ؛ مستصحبين ابتداء ملاحظتنا على مناصب قصىّ :

فلسنا نستطيع القطع بأن « مجلس السيادة » هذا يتكون من خمسة وعشرين شيخاً ، كل شيخ منهم زعيم لبطن من بطون قريش ؛ فقد يكون كذلك ، وقد يكون أقل أو أكثر ؛ فإن بعض هذه البطون لمع من رجالها أكثر من رجل ، كان لكل منهم مكانته وإسهاماته فى هذا المجلس ؛ بل هناك ما هو أكثر من ذلك فقد قرأنا عن قبولهم ضم من ليس من قريش إلى

(٢) انظر لابن الأثير - أسد الغابة الترجمة رقم ٢٤٨٤ .

مجلسهم إذا رأوا فيه إمكان أن يمدهم بالرأى يريدونه ، كما قبلوا «إبليس» إذا جاءهم فى صورة شيخ نجدى ، وهم يتآمرون ضد رسول الله ـ صلى الله عليهم وسلم ـ فضموه إليهم .

كذلك نكون بعيدين عن الواقع إذا قلنا : إن قراراً بعينه لابد أن يكون صادراً عن « إجماع » هذه البطون الخمسة والعشرين ، أو أكثرها ، فثمة أمور تعرض تصرف بعض المشيخة عن المجلس ، وأخرى تجعل البعض يرضخ ليس عن إرادته الحرة ، وثالثة يتصرف فيها بعض المشيخة حسبما يرى دون الخروج عليها .

قال أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصرى صاحب « الطبقات الكبرى » بصدد غضب قريش من نجاح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ أسلم أبو بكر وعمر وحمزة وعثمان ، وأبو عبيدة بن الجراح ـ رضوان الله عليهم ـ ، فبدت العزة على المسلمين ؛ قال : « فغضبت قريش من ذلك ، وظهر منهم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحسد والبغى .

وأشخص[٣] به منهم رجال فَبَادَوْه ، وتستر آخرون وهم على ذلك الرأى إلا أنهم ينزهون أنفسهم عن القيام والإشخاص برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ »[٤] .

وضرب مثلا من الأولين : أبو جهل .. والوليد بن المغيرة وعدّد رجالا ، ومن الآخرين : عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو سفيان كانوا أهل عداوة إلا أنهم لم يُشْخصوا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليس ينفى ماقدمناه أن يقع منهم إجماع فى بعض الحالات كالذى كان منهم فى قرارهم قتل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونجاه الله ـ سبحانه ـ من كيدهم .

وما من شك أن الواقع يشير فى وضوح إلى زعامة قل أن يُرَدَّ رأيها ؛ بل قد لا يرد أصلا ، من ذلك : أن يكتسب شيخ بطن مَحْمَدَةً بعمل شريف يشهد له به المجتمع العربى كله ، ويعود نفعه على كل فرد من قومه مادياً وأدبياً ؛ فترتفع منزلته ولا يرد رأيه ، وتبرز لنا مجموعة من المحامد الشريفة فى « قصىّ » الجد الرابع لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(٣) أعلن .
(٤) الطبقات ١/ ٢٠٠ دار صادر بيروت .

فقد جمع قريشاً من مختلف أنحاء الجزيرة وأسكنهم مكة ؛ فدانت له قريش وحده ، ومثله « هاشم » الجد الثانى له ـ عليه الصلاة والسلام ـ صاحب « الإيلاف » و« عبد المطلب » وَالِدُ أبيه « عبد الله » صاحبُ « زمزم » التى عمَّ خيرها قريشاً والعرب أجمعين .

كذلك قد يجتمع لشيخ منها بسطة فى المال وكثرة فى الولد فيعم خيره والنفع به فى هذا المجتمع فيكون له صوت لا يرد كما هو الحال فى بنى مخزوم ، وإن قامت إلى جانب ذلك موروثات قصىّ ، فليست بمانعة أبدا أثر هذا أو ذاك ، ولعل هذا الأمر أو ذاك كان سبباً مباشراً فى إغضاء بعض الرؤساء عن حقه فى التوجيه .

وإذا نحن ـ فى النهاية ـ أمام نفوذ قَدْرٍ محدود من المشيخة لا يبلغ عدد هذه البطون ، يديرون الأمور ويوجهونها حسب اتفاقهمٍ على أساس مادار بينهم من شورى خضعت لحسابات متعددة؛فإذا رضى عنها الجميع كان لها شأن ، وإذا تمالأ عليها البعض أمكنهم أن يردوها :

ضاق هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر من « عامر بن لؤى القرشى » ـ من أمر الصحيفة ، وما أنزلته ببنى هاشم والمطلب فمشى إلى زهير[٥] بن أمية بن المغيرة المخزومى ، فقال :

يازهير ، أقد رضيت أن تأكلَ الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء ، وأخوالك حيث علمت لا يُباعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا يُنكح إليهم ؟ أما إنى أحلف بالله لو كان أخوال أبى الحكم بن هشام [أبى جهل] ثم دعوته إلى مثل مادعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً .

قال : ويحك ، ياهشام ، فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معى رجل آخر لقمتُ فى نقضها .

قال : قد وجدت رجلا ، قال : من هو ؟ قال : أنا . قال له زهير : ابْغِنَا ثالثا .

فذهب إلى المُطْعِم بن عدىّ ؛ فقال له : يامطعم ، أقد رَضيتَ أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ؟ أما ـ والله ـ لئن أمكنتموهم من هذه لتجدُنَّهم إليها منكم سراعاً .

قال : ويحك ، فما أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد .

قال : وجدت لك ثانيا . قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال : ابغنا ثالثا . قال : قد فعلت .

---

(٥) زهير هذا أمه عاتكة بنت عبد المطلب فهو ابن عمة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبى أمية ، قال : ابغنا رابعا . فذهب إلى أبى البخترى بن هشام فقال نحو ماقال للمطعم ، فقال : وهل تجد أحداً يعين على هذا ؟ قال : نعم . قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبى أمية ، والمطعم بن عدى ، وأنا معك . قال : ابغنا خامسا . فذهب إلى زمعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد فكلمه ، فقال : وهل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد ؟ .

قال : نعم . ثم سمّى له القوم .

فَاتَّعَدُوا خَطْمَ الحجون ليلا بأعلى مكة ، وتعاقدوا على القيام بنقضها ، فلم يقم لهم أحد وانتهى أمرها .

تلاحظ فى الحوار الدائر بين هشام بن عمرو وبقية القوم كَعَّ كُلٌّ منهم أن يقوم للأمر وحده ، وهنا يبرز سلطان هذه الحكومة ، فلما أخذوا فى ضم الأصوات حتى بلغت خمسا اتضع هذا السلطان فتوارى . وضاع جهد أبى جهل هباء ، وانتهى أمر الصحيفة[٦] .

وفى هذا القدر من المعارضين مايمكن أن نتصور ـ فى ضوئه ـ عدد أصحاب النفوذ فى حكومة هؤلاء السادة .

●●●

وتاريخ فترة الدعوة الذى وقع عليه إجماع المؤرخين يبين لنا أن « مجلس السيادة » هذا يكاد يكون معقوداً دائماً ، فيندر أن يخلو الحرم ، أو جانب منه ، أو الحطيم من ناد لقريش صباحا فى ظل الكعبة ، أو مساء بها أو بأحد جوانبها : مجلس ، واثنان وثلاثة ، فإذا حدث أمر فصاح صائح ، وكان له أهميته التف الجمع فى مجلس واحد ونظر فيه .

●●●

هذه « مكة » التى آل إليها ـ من مئات السنين ـ ميراث الوثنية كله ، وإليها لجأ مختلف القبائل بنماذج لأوثانها فوضعتها لهم حول الكعبة داخل الحرم حتى بلغت ستين وثلاثمائة وثن ، فكانت نموذجا للشرك مجسما ، وبلغت منزلة قريش ـ فى نفس العرب ـ حد التقديس ، فلا يطوفون إلا فى ثياب القرشيين إيمانا منهم بطهارتها ، وحسبك فى تقديس العرب لهم .. مقاومة هؤلاء العرب لأبرهة ـ وهو فى طريقه إلى مكة ـ يريد هدم الكعبة ، فقد تعرض له « ذو نفر » من أشراف اليمن ومن أجابه من سائر العرب فحاربوه قبل أن يَخْلُصَ

---

(٦) راجع لابن كثير ـ السيرة النبوية ٦٧/٢ ، ٦٨ .

من اليمن إلى مكة ، فلما انتصر عليهم ، وانتهى إلى « خثعم » خرج إليه « نُفيل بن حبيب الخثعمى » فى قَبِيلَىْ خثعم : « شهران » و« ناهس » ومن تبعه من العرب وقاتلوه ليرتد عن البيت ، ولم نسمع فى التاريخ بمثل هذا ، وإنها لحقيقة تبرز لنا قيمة مكة والكعبة فى نفس هؤلاء العرب ومن ثم منزلة القرشيين .

ورضيت « حكومة السادة » بالكثير ؛ بل عملت من جانبها جاهدة على إمتاع الزائر وابنائها بما يريدون فكانت حانات الخمر بـ« الحَزْوَرَة » قريبة من البيت الحرام ، وارتفعت أعلام البغايا على بيوتهن إعلاما بها ، واتخذ النضر بن الحارث بن كَلَدة بن عبد مناف داراً كانت كمرقص للقيان والمغنين ، ولهو الحديث[7] ، وعجت الأسواق من حول مكة بطرائف اللهو والمجون .

●●●

ودعا رسول الله ـ ﷺ ـ إلى التوحيد فى مكة فى إطار نظام تلك الحكومة وأعرافها ، فلم يعلن حربا على هذا النظام فى ذاته ، ولا على أعرافه من نظم قصىّ إلا ما كان من أمر الوثنية ، فذلك ما أنكره عليه الصلاة والسلام ـ بغير هوادة .

إنما كان ثمة أمر واحد يوجه إلى المشرك ، إن استجاب له صلح من أمره كُلُّ شىء ، وسقطت به آثار السوء كلها ... « لا إله إلا الله » . فكان جهاد الدعوة مركزاً ضد « الشرك بالله » تعالى الله سبحانه .

بعث أبو طالب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليحضر قومه إذ شَكَوْهُ لأبى طالب ، فلما اجتمع ـ عليه الصلاة والسلام ـ بهم ، قال :

« ياعم ، كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم » .

فقال أبو جهل : نعم ، وأبيك ، وعشر كلمات .

قال : تقولون : لا إله إلا الله . وتخلعون ماتعبدون من دونه » .

فصفقوا بأيديهم ، وانطلقوا يقول بعضهم لبعض : امضوا على دين آبائكم .

واكثر ـ عليه الصلاة والسلام ـ من مخاطبتهم بقوله :

« قولوا : لا إله إلا الله .. تفلحوا ..[8] .

فهى كلمة الإيمان الكفيلة برضوان الله .. وبها ينتهى كل فساد .

د. علي أحمد الخطيب

---

(٧) راجع تفسير الآية ٦ من سورة « لقمان » .

(٨) راجع طبقات ابن سعد لصادر ٢٠٠/١ ، وسيرة ابن كثير ١٢٣/٢ .

الإسراء والمعراج

في السُّنة المطهرة

حفلت كتب السنة المطهرة والسيرة العطرة بقصة الإسراء والمعراج ، ورويت عن أكثر من عشرين صحابياً من صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى بلغت حد التواتر في مجموعها ,ولكن هذه الروايات يختلف بعضها عن البعض طولاً وقصراً وذكراً وحذفاً فبعض ما جاء في رواية لم يذكر في غيرها من الروايات وما ذاك إلا لأن الرواة رضوان الله عليهم لم يذكروا إلا ما حفظته قلوبهم ووعته . فمن حفظ شيئاً ذكره وما لم يحفظه تركه .

وسنحاول إن شاء الله أن نذكر في هذه العجالة ما صح سنده منها أو كاد ، تاركين ما جرح أئمة الحديث بعض رواته جرحاً يقدح في عدالتهم وضبطهم ، أو يسيء ظن المسلمين بهم .

وسنحاول ترتيب حوادثها في ست مراحل :

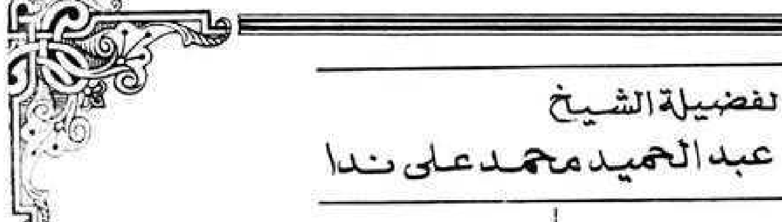
الأولى قبل الإسراء ، والثانية في المسرى ، والثالثة في المسجد الأقصى والرابعة في السموات العلى ، والخامسة عند سدرة المنتهى ، والسادسة في مكة بعد الإسراء .

حتى تتضح الصورة في أذهان القارئين ولا تختلط عليهم المشاهد والمرائي وكم كان بودنا أن نذكر جميع الروايات ولكننا رأينا أن في ذكر جميعها تطويلاً وتكراراً ليس القارىء في حاجة إليه .

المرحلة الأولى :

في مكة ليلة الإسراء

كان صلى الله عليه وسلم نائماً في بيت السيدة أم هانىء بنت عمه أبي طالب مع عمه حمزة سيد الشهداء وابن عمه جعفر الطيار إذ فرج سقف البيت وهو بين النائم



واليقظان ، ونزل منه ثلاثة من الملائكة الأطهار فاحتملوه حتى أتوا به المسجد الحرام فشق جبريل عليه السلام صدره الشريف ، وأتى بطست من ذهب مملوء بماء زمزم فغسل به قلبه ثم افرغ فى قلبه ينابيع الحكمة والإيمان استعداداً لما سيشاهده فى هذه الليلة المباركة من الآيات الكونية ولما سيلقى عليه من أنواع الفيوضات الإلهية .

ثم جيء له بالبراق ، وهو خلق من مخلوقات الله العجيبة على صورة حيوان . اسرع من البرق فى المسير يضع قدمه عند منتهى بصره فركبه - صلى الله عليه وسلم - هذا هو مجمل ما جاء فى الروايات عما كان بمكة ليلة الإسراء . وحتى تكون أخى القارىء على بينة من الأمر نوضح لك مسألتين ذكرت الروايات الصحيحة فيهما اختلافاً .

الأولى : جاء فى بعض الروايات أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان بالمسجد الحرام ساعة مجىء جبريل ، ومن معه وذكرت الأخرى أنه كان فى بيته .

الثانية : أنه كان فى بيت أم هانىء . فهل هذا يعد اختلافاً ؟ .

والحق أن ذلك ليس باختلاف مادام التوفيق ممكناً إذ من الجائز أن يكون الرسول - صلى الله عليه وسلم - بائتاً مع لداته : حمزة وجعفر فى بيت أم هانىء والبيت الذى ينام فيـه الإنسان يسمى بيتـه لاختصاصه به ونسبته إليه ولو كان مملوكاً لغيره . والروايات التى ذكرت أنه كان فى المسجد لم تتعرض لما كان قبل وجوده فى المسجد على أن بيت أم هانىء كان مجاوراً للمسجد .

والمنطقة كلها حرم ويصح أن يطلق عليها اسم المسجد الحرام كما نطق بذلك الكتاب العزيز .

الثانية : مسألة شق صدره - صلى الله عليه وسلم - . روت كتب السنة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - شق صدره وهو صغير بينما كان يلعب مع الغلمان فى (مرابع بنى سعد) وعد العلماء ذلك إرهاصاً وتهيئة للأذهان بأن هذا المشقوق صدره شخص غير عادى تكتنفه رعاية الله عز وجل .

وروى بعضها الآخر أن حادثة شق صدره - صلى الله عليه وسلم - كانت ليلة الإسراء .

واتخذ بعض كتاب المسلمين وغيرهم من الحاقدين من اختلاف التاريخ وسيلة لرد الروايتين . أو التأول فيهما بأن ذلك من باب المجاز فهو تعبير عن هداية الله عز وجل له وإلقاء النور فى قلبه .

ونحن لا نرى فى اختلاف التاريخ وسيلة للرد إذ يحمل على تعدد الحادثة والقصة ،

وبخاصة انهما رُويتا فى اصح كتابين بعد كتاب الله - عز وجل - صحيح البخارى وصحيح مسلم .

وأما القول بالمجاز الذى يدعيه بعض الكتاب فهو قول جد خطير أيضاً إذ من المعلوم أن المجاز لا يسار إليه إلا عند تعذر الحقيقة ، وما دامت الحقيقة ممكنة فلا داعي للقول به ؛ بل هو عبث لأنه تعطيل للنصوص وحمل لها على غير ظاهرها وما يتبادر إلى الأذهان عند سماعها .

قد يدعون أن الجرح والالتئام في مدة وجيزة قرينة تمنع من حمل الكلام على ظاهرهِ ، والحق لا . فليس هذا ببعيد على قدرةِ الله . كما قالوا : إن أمر الخير والشر لا يرتبط بأعضاء حسية فى جسم الإنسان ، وإنما مرد ذلك إلى التربية والاستعداد . ونحن نقول لهم أيضاً : لا وبخاصة بعد ما أثبت العلم الحديث صلة بعض الأمراض النفسية بعلل تصيب بعض خلايا جسم الإنسان . وكم سمعنا عن جراحات تجرى لكثير من المرضى النفسيين فيشفون من أوصابهم بإذن الله .

إن القول بالمجاز فى أمر الخوارق تعطيل لها وذهاب بالفائدة التى جاءت من أجلها ، وهى ما جاء بها الله - عز وجل - على يد رسوله إلا ليطاع بأمر الله تصديقاً له وتأييداً لدعاه .

بيد أننا نرى فى حادثة شق صدر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ليلة الإسراء بالذات أنها كانت عملية تأهيل وتحويل ، تأهيل لأن يرى ما لا تتحمله قوى البشر ، وتحويل من الطبيعة البشرية إلى طبيعة أخرى ملائكية بل هى فوق الملائكية ، فَقَطَعَ المسافات وَاخْتَرَقَ السبع الطباق ؛ واجتاز إلى سدرة المنتهى فى وقت وجيز دون أن يصاب بإرهاق أو اعنات .

المرحلـــة الثانيـــة :

فى المسرى . إلى بيت المقدس : ركب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - البراق وجبريل الامين آخذ بزمامه تطوى بهما الأرض فلا بعد ولا صعاب ولكن كان ثمة وقفات كما جاء في سنن الترمذى :

وقفة عند طيبة المدينة المنورة التى طيب الله - عز وجل - ثراها بمثوى رسوله صلوات الله وسلامه عليه فيها بلد الأنصار الذين آووا ونصروا وأعز الله بهم دينه . مهجر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحبه الأوائل الذين أُوذُوا في ذات الله وأُخْرِجُوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون ، وقفة عندها وصلاة حتى تكون أول تكبيرة فيها لله من حبيبه وخيرته من خلقه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهذا فتح قبل الفتح وبشرى بالتأييد والنصر .

ووقفة عند طور سيناء : حيث كلم الله عز وجل موسى - عليه السلام - تكليماً تبياناً للناس أن سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - ليس بدعاً من الرسل ، وأنه - صلى الله عليه وسلم - على الدرب يسير ، وأن تلك

البقاع التى شرفت برسالات الله سيعمها من جديد نور الله . ولن ينطفىء مهما خبا إذ لا يأس من روح الله .

وثالثة عند بيت لحم : حيث ولد المسيح عيسى عليه السلام . وحيث أوذى وأمه وتحملا ما تحملا ابتغاء رضوان الله .

وصلاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذه المواطن الثلاثة شهادة بأن الإسلام الحنيف هو الدين الحق الذى أرسل الله به موسى وعيسى عليهما السلام وإيحاء لنبينا صلوات الله وسلامه عليه أن اصبر كما صبر هؤلاء .

مرائى رآها الرسول ﷺ فى مسراه

تعتبر رحلة الإسراء والمعراج فاصلاً زمنياً بين مرحلتين اجتازتهما الدعوة إلى الله :

الأولى : مرحلة العقيدة فقط ودعوة الناس إلى كلمة لا إله إلا الله . والاعتراف الصادق بأن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسول الله ، وتلك كانت قبل الإسراء .

اما الأخرى : فهى مرحلة التشريع : تشريع عبادات ومعاملات تسعد البشرية فى ظلالها وتنعم فى جوارها إذ من الثابت أن الصلاة فرضت ليلة الإسراء ، أما الصوم والزكاة والحج ففرضوا بعد الهجرة ، وتلك التشريعات أمور نظرية قد لا يتقبلها الإنسان بادىء ذى بدء فلا تنال منه إلا الرفض . وبخاصة أنها تقطع جزءاً من جهده وماله ووقته ، وهذا الجزء وإن كان يسيراً ولكنه على كل حال عزيز على النفوس .

ومجمل القول : أن مرحلة لها طابعها الخاص من التضحية والنظام والحساب الدقيق قد بزغ فجرها وأن أوانها قد بدأت فلا بد إذن من تدريب الداعية إليها تدريباً نظرياً ومعملياً عليها يرى بعينيه ثمرة الاستجابة يانعة مأتية كما يرى جزاء العصيان والمخالفة واقعاً ملموساً ومحسوساً . وتلك وسيلة من وسائل التربية العظيمة التى ما اكتشفها الإنسان إلا حديثاً وأسماها (وسائل الإيضاح) فى التربية الحديثة .

وإذا ما عرضنا إلى هذه المرائى التى رآها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحاولنا تصنيفها حسب برنامج الدعوة الإسلامية نجدها تتصدى أول ما تتصدى لطبيعة تلك الدعوة ، وأنها دعوة سهلة سمحة يسيرة لا رهق فيها ولا إعنات فهى دعوة الفطرة السليمة والعقل الرشيد .

اولاً : اللبن والخمر : روى الإمام احمد ومسلم وغيرهما عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : أتانى جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل : أصبت الفطرة . وإذا ما نحن أردنا أن نقارن بين هذه المرئية وبين طبيعة الدعوة الإسلامية نجد ان اللبن خالص سائغ لم تتدخل فيه يد بالفساد فهو على الطبيعة والفطرة التى خلقه الله عليها . موافقاً لجميع الطبائع البشرية من طفولتها إلى شيخوختها ومرضها وصحتها لسهولة هضمه واكتمال العناصر الغذائية

فيه . يشربه أهل الحضر والوبر في الصيف والشتاء على سواء ، ويتسنى لهم في كل مكان دون مشقة في طلبه ، أو إعداده إلى غير ذلك من صفاته الحميدة من بياض ناصع وطعم سائغ يحس شاربه بالشبع والرى ، وكذلك الدعوة الإسلامية الجديدة يولد المولود عليها كما جاء في الحديث :

« يولد المولود على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » ولا يعجز المسن عن القيام بشعائرها ولا يثقل على المريض أداء تكاليفها﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكم إِبْرَاهِيمَ ﴾ .

« الحج ٧٨ »

أما الخمر التى عافها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فليست من الفطرة في شيء ذلك لأنها بعد أن كانت ثمرة حلوة ذات عصير طيب أفسدها الإنسان وغير من طبيعتها وأمست حريقة نتنة لا يستطيع تجرع جرعة منها إلا من تمرس عليها وغابت حواسه وسقمت مشاعره . بل هى سم يحرمه من استحلوها على أطفالهم ومرضاهم وكبار السن فيهم ثم إنها فوق ذلك تعطل العقل الذى هو مناط التكليف وحجر الزاوية في الدين . فهو دين يخاطب العقل ويحتكم إليه لذلك كان من حقنا أن نقول إن هذه المرئية . الخمر واللبن . كانت لتوضيح طبيعة الدعوة الإسلامية ، وأنها دين يوافق الفطرة .

ثانياً : داعى اليهود وداعى النصارى :

روى البيهقى في كتاب دلائل النبوة من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (بينما أنا أسير إذ دعانى داع عن يمينى : يا محمد انظرنى أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه . قال جبريل : فذاك داعى اليهود أما إنك لو أجبته وأوقفت عليه لتهودت أمتك) .

قلت : فبينما أنا أسير إذ دعانى داع عن يسارى قال : يا محمد انظرنى أسألك فلم ألتفت إليه ولم أقم عليه .

قال جبريل : ذاك داعى النصارى أما إنك لو أجبته لتنصرت أمتك .

وإذا كانت مرئية الخمر واللبن قد وضحت طبيعة الدعوة الإسلامية ؛ فإن في هذه المرئية الجديدة توضيحاً وبياناً لما يجب أن يكون عليه الداعية إلى الله من استقامة على الجادة وعدم الانحراف عنها قيد أنملة ، كما تبين لنا تلك الجهود المضنية التى بذلها أعداء الإسلام من اليهود والنصارى ومازالوا يبذلونها في الصد عن دين الله ، والقرآن الكريم أوضح في كثير من آياته البينات تلك الحملات الطائشة والمحاولات العديدة التى بذلها اليهود والنصارى حتى يردوا المؤمنين عن دينهم ما استطاعوا .

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾

« البقرة ١٠٩ »

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾ .

« البقرة ١٣٥ »

ولكن الله عز وجل حسم الأمر وأوضح الطريق أمام نبيه صلوات الله وسلامه عليه والمؤمنين به حين قال :

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ . وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ .

« الشورى ١٥ ، ١٦ »

ثالثاً : خطباء الفتنـــة : -

روى ابن جرير فى تفسيره والبيهقى والحاكم من حديث أبى هـريـرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أتى على قوم تُقْرَض ألسنتُهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قُرِضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال :

« ما هذا يا جبريل ؟ »

فقال : « هؤلاء هم خطباء الفتنة يقولون مالا يفعلون » .

وهذه المرئية تتعلق بسلوك الدعاة :

وأنهم لابد أن تتوافق أفعالهم مع أقوالهم ، وأنه إذا انفصلت الكلمة عن السلوك وتباينت معه كان ذلك وحده كافياً للإعراض عن دعوتهم وعدم الالتفات لأقوالهم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَالَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَالَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

« الصف ٢ ، ٣ »

وخطباء الفتنة أيضاً هم خطباء رغبة ورهبة يخشون الناس ويطمعون فيما بأيديهم ويقولون مالا يرضى دون ما نظر إلى شرع الحق وسُنَّة سيد الخلق ﷺ وأمثلة ذلك كثيرة فى واقع المسلمين اليوم من تحليل للحرام ، وتعطيل لحدود الله ، وتزكية للفاسقين ، ومجالسة للظالمين .

وكلا الصنفين علماء سوء وخطباء فتنة ، ومن ثم كان عقابهم أن تُقْرَض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، وأن يستمروا في ذلك العذاب لا يفتر عنهم ، وهم فيه مبلسون .

وهذا أنموذج فقط لما يغشاهم من النكال بيد أن فى السنة المطهرة أن من جملة عقابهم ، أن تندلق أقتاب[1] الواحد منهم في النار فيدور حولها كما يدور الحمار برحاه . ويسأله أهل النار : ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه » .

رابعاً : عقبة على الطـريــق : -

جاء في حديث أبى هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته ولا شيء إلا خرقته ، قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا مثل أقوام

←

(١) أمعاء .

من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا :

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ .... ﴾ . الآية

« الأعراف ٨٦ »

وإذا كان خطباء الفتنة شراً على مسيرة الدعوة الإسلامية الراشدة بأفعالهم التى لا تتفق مع ما يقولون وبفتاواهم الزائفة التى تضل الناس ، ويحسبون أنهم مهتدون ؛ فإن أولئك الذين جاهروا الدعوة بالعداء وصبوا ألوان العذاب والنكال على رءوس الدعاة واخترعوا أو استوردوا مبادىء وأضاليل قد تستهوى العامة ببريقها حتى إذا ما تساقطوا فيها تساقط الفراش أحرقتهم بلهبها وأكلت الأخضر واليابس من وسائل عيشهم ومقومات حياتهم ، ولقد عاصرت الدعوة الإسلامية الكثير من هذه الأباطيل ولكنها بحمد الله بقيت فى جوهرها الأصيل كالذهب الخالص لا تزيده الفتنة الا نقاء في جوهره وضياء وصفاء في مظهره ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ .

« التوبة ٣٢ »

خامساً : المجاهدون فى سبيل الله :

روى ابن جرير وغيره من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « يا جبريل ما هذا ؟ »

قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف :

﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ .

« سبأ ٣٩ »

أوضحت المرئية الأولى طبيعة الدعوة الإسلامية وأبانت الثانية عن عواصف هوج تنبعث من اليهود والنصارى وأظهرت الثالثة الخطر الداهم في الذين لبسوا المسوح وتشدقوا بجميل الكلم ومعسول القول وارتكبوا المنكر والقبيح وكشفت الرابعة عن الذين حادوا الله ورسوله وصدوا الناس عن دين الله فكان لزاما أن توضح مرئية من المرائى ما أعده الله عز وجل من جزاء وما ادخره من ثواب لأولئك الذين جاهدوا في سبيل الله إعلاء لكلمته ونشراً لدينه . جاهدوا بكلمة صادقة وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله .

قد يضن الإنسان بكلمته خشية أن يقتطع بسببها شيء من رزقه ، أو يفوت عليه شيء من حظ نفسه ، وقد يبخل البعض بأموالهم خشية النفاد ، كما يجبن آخرون عن خوض معارك الشرف والكرامة حرصاً على دمائهم أن تراق وعلى أرواحهم أن تزهق ، ولكن المجاهدين في سبيل الله قد جادوا بشيء من ذلك أو بكله ثقة وطمعاً فيما عند الله وهو أعظم وأبقى .

إن الزارع عندما يبذر الحب في الأرض . وهى جماد . قد تنبت وقد لا يخرج منها نبات وإذا ما استوى النبت على سوقه فقد تصيبه آفة تهلكه وتأتى عليه ومع ذلك يدفعه رجاؤه المرتقب إلى أن يبذر بعض قوته وقوت عياله في الأرض . وماذا تعطيه الأرض تعطيه بدل الحب أضعافاً مضاعفة .

أما عطاء الله الذى لا تضيع عنده الودائع فهو عطاء سابغ وفضل عظيم ومن ثم كانت صورة المجاهدين في سبيل الله - كما رأيت - جزاء يومياً كلما زرعوا حصدوا وكلما حصدوا نما الزرع ثانية وربا ، والله يرزق من يشاء بغير حساب ، ثواباً من عند الله ، وما عند الله خير للأبرار .

سادساً : رؤية الشياطين : -

جاء في رواية ابن جرير عن انس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مَرَّ ليلة أُسرى به بشيء يدعوه متنحياً عن الطريق يقول : هلم يا محمد . فلما سأل جبريل عنه قال : وأما الذى أراد أن تميل إليه فذاك عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه .

وجاء في رواية ابن ماجة وأحمد عن أبى هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رأى أسفل منه - وهو في السماء الدنيا -[2] رَهَجاً ودخاناً وأصواتاً فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هذه الشياطين يحومون على أعين بنى آدم لا يتفكرون في خلق السموات والأرض ، ولولا ذلك لرأوا العجائب » .

وهذه الرؤية توضح لنا عقبة من العقبات التى تعترض أمة الإسلام ؛ بل ذلك الحجاب الكثيف من الشياطين الذين يصدون عن ذكر الله - عز وجل - وعن التفكر في آياته :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ .

« آل عمران ١٩٠ ، ١٩١ »

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ .

« فاطر ٦ »

تلك هى العداوة الأبدية بين إبليس وبين دعوة الحق والدعاة إليه فلينتبه الدعاة والمدعون إلى حبائله وشباكه أن تلفهم وتأخذ بنواصيهم .

إن الدعاة يأتيهم الشيطان ليغرهم بما قالوا فيتكبرون على النـاس ، ويعجبون بأنفسهم . والكِبْرُ والعُجْبُ والغرور آفات حالقة وأمراض مدمرة وصدق رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ يقول : ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب كل ذى رأى برأيه .

←

---

(٢) الفتنة والشـغب .

وإذا كانت هذه وقفة عدو الله إبليس أمام الدعاة فإنه وجنده يتربصون بالمسلمين الدوائر ، وبخاصة إذا ما أقبلوا على ربهم فترطبت ألسنتهم بذكره وتكحلت عيونهم بالنظر في خلقه ، واستنارت قلوبهم بالتفكر في عظيم آياته :

ولو اقبل المؤمنون على ربهم وجاهدوا حتى تخلت الشياطين عن طريقهم لانكشفت لهم الحجب وراوا العجائب .

وفي حديث حنظلة الأسيدي الذي أخرجه الترمذي حينما شكا هو والصديق أبو بكر رضي الله عنهما إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تَغَيُّرَ حالهم عند مفارقتهم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لهم : لو تدومون على ما تكونون عليه وأنتم معي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم وفي طرقاتكم . ـ في هذا الحديث الشريف ما يشهد لما نقول .

سابعاً : تمثيل الدنيا بامراة عجوز : ـ

روى البيهقي وغيره من حديث انس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى في مسراه عجوزاً على جانب الطريق فقال : ما هذا يا جبريل ؟ فقال : أما العجوز التي قد رأيت على جانب الطريق فلم يبق من عمر الدنيا إلا كما بقي من عمر تلك العجوز .

وفي حديث أبي هريرة وأبي سعيد انه رأى امرأة حاسرة عن ذراعيها عليها من كل زينة خلقها الله تقول : يا محمد انظرني أسألك فلم يجبها ولم يقم عليها . ويقول جبريل : تلك الدنيا أما إنك لو أجبتها وأقمت عليها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة ، وإذا كانت بعض المرائي قد تعرضت لطبيعة الدعوة وسهولتها ، وتعرض بعضها الآخر للدعاة إلى الله وما يجب عليهم أن يتصفوا به فإن في هذه المرئية تنبيهاً إلى قصر المدة التي يعيشها الإنسان في ظل تلك الدعوة كما يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « بعثت أنا والساعة كهاتين »[٢] واشار بأصبعيه السبابة والوسطى تعرضت لعنصر الزمن ، والزمن إذا كان طويلاً فإنه قد يحتمل التسويف أما إذا قصر أمده ولم يبق منه إلا القليل فلماذا المطل والتسويف ؟

إن عمر الدنيا إذن قصير ، وإقامة الإنسان فيها أقصر بكثير فإذا ما ضحى الإنسانُ بعمره القليل في سبيل غاية لا تفنى فلقد ضحى بقليل ليكسب كثيراً ، ضحى بشيء متوهم في سبيل نعيم متيقن ، ضحى بزخرف براق في سبيل جنات عرضها السموات والأرض :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ

(٢) الترمذي ومسند أحمد .

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ . قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

« آل عمران ١٤ ، ١٥ »

ثامناً : صورة حمل الأمانة :

جاء فى رواية البيهقى وابن جرير عن أبى سعيد رضى الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها ، وهو يزيد عليها فقال : « ما هذا يا جبريل ؟ »

قال : هذا الرجل من أمتك يكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يزيد عليها ويريد أن يحمل عليها فلا يستطيع ذلك .

يقول رب العزة جل علاه :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ .

الا ما أظلم الإنسان لنفسه وما أجهله بعواقب أمره . يتحمل أمانات الناس ، وهو على يقين أنه سيردها إليهم كما أخذها إذا ما طلبوها ، أو أغلب ظنه كذلك ، وهو لا يدرى ماذا سيكون حاله ومصيره بعد ، وما خبأه له الغد القريب .

إن الدهر قُلَّبٌ والأيام دُوَل ، يوم لنا ويوم علينا ، فمن أين يأتيك اليقين ، أيها المسكين ، تتحمل أمانات الناس أنك فى غدك ستكون قادراً على ردها . وإن أتاك فمن الذى سيحفظها لك كما استودعتها إنها معرضة للتلف والدمار فحرى بالعاقل الا يحمل من أمانات الناس فوق ما يطيق ولهذا جاءت صور أولئك الذين يتحملون أمانات الناس ويستزيدون منها فى صورة أبله غافل يجمع ما لا يستطيع حمله ثم هو بعد ذلك يطلب المزيد .

إن الأمانة فطرة كريمة في الناس غذتها الشريعة الإسلامية بلبان القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ولكنها سرعان ما تزول وتذهب كما يخبرنا الرسول الكريم فى قوله : « إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة » .. وكما حدث صلوات الله وسلامه عليه عن رفع الأمانة فقال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه[٤] . ومن أدرى المسكين أنه فى الغد آمن .

تاسعاً : صورة تاركى الصلاة :

جاء فى رواية البيهقى وابن جرير عن أبى سعيد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أتى على قوم ترضخ رءوسهم بالصخرة كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شىء فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة .

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً ﴾ .

« النساء ١٠٣ »

(٤) البخارى - كتاب الرقاب - باب رفع الأمانة .

ويقول لنبيه صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ .

« الإسراء ٧٨ »

وهاتان الآيتان الكريمتان توضحان لنا مدى ارتباط الصلاة بالزمن فليس المطلوب من المسلم أن يصلي فحسب وإنما المطلوب منه أن يهرع إلى الصلاة في أوقات مخصوصة حددها رب العزة ـ جل علاه ـ لأن في تغير الأوقات من ليل إلى نهار ، ومن صباح إلى مساء ومن عَشيّ إلى إبْكار ، إيذانا بتغير حال المسلم من راحة إلى عمل ، ومن نوم وغفلة إلى يقظة وحسّ ، فكان لزاما على هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة ، ويؤثرون النوم أو الانهماك في العمل أو السمر مع الرفاق أن ترضخ رءوسهم بالصخر مرات ومرات ما داموا لا ينتبهون لنداء الحق ، ولا يستمعون لداعي الله : حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح ، الصلاة خير من النوم .

بيد أن في الصلاة ترويحاً للنفس من أعباء الحياة التي تأخذ بزمامها ، وتستولي على جميع وجهاتها كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : أرحنا بالصلاة يا بلال .

عاشراً : صورة ما نعى الزكـاة : ـ

جاء في رواية البيهقي ، وابن جرير عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل ، والغنم ، ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها . قال : فما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله تعالى شيئاً وما الله بظلام للعبيد .

لا يليق بالإنسان ، وقد كرمه الله ـ عز وجل ـ وفضله على كثير من خلقه ، أن يرتبط بشيء مادي جعله الله عز وجل وسيلة له في عيشه لتتحقق له الكرامة ويكون أهلاً للتفضيل وهؤلاء الذين يقدسون أموالهم ويضعونها في مستوى كرامتهم وإنسانيتهم تعساء أذلاء ومن ثم قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش [٥] » .

تعساء حرموا الفقراء من حقوقهم فكان جزاؤهم أن يحرموا هم أيضاً من أموالهم وما كسبت أيديهم .

ومن ثم حُرم ما نعو الزكاة في هذه المرئية من ثوب سابغ يستر أجسادهم ، وإنما الذي نالوه فقط رقاع على السوءتين فقط وضريع وزقوم ورضف جهنم وحجارتها يأكلونها فتقطع أمعاءهم .

هذا ما نالوه من أموال تكدست وملئت بها الخزائن أما الباقي فلغيرهم لمن ورثوه يبددونه في ملاذهم وأهوائهم .

يتبـــع

عبد الحميد محمد علي ندا

(٥) البخاري ـ كتاب الرقاب باب ما يتقى من فتنة المال ـ ومسلم ـ كتاب الإيمان .

رجال القراءات

الإمام عاصم بن أبى النجود

لفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

خامس ائمة القراء العشرة وإمام اهل الكوفة وقارئها - ابو بكر عاصم بن ابى النَّجُود[1] الأسدى، مولاهم، الكوفى،وكان إماما في القرآن والحديث لغوياً نحوياً انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة، بعد ابى عبد الرحمن السلمى فصيحاً حسن الصوت.

توفى بالكوفة، او «السماوة» قال شعلة: وهو موضع بالبادية. سنة سبع وعشرين ومائة، او سنة ثمان وعشرين.

رواته

اول رَاوِيَيْه: ابو بكر شعبة بن عياش بن سالم، الأسدى. وكان عالماً عاملاً.

قال وكيع: هو العالم الذي أحيا الله به قرنه، ختم ثمانى عشرة الف ختمة، او اربعاً وعشرين الفاً في زاوية. وخرج في صدره نور - ظن أنه برص حتى عرف - ومكث خمسين سنة لم يفرش له فراش.

مولده: ولد سنة خمس وتسعين.

وفاته: توفى في جمادى الأولى - سنة ثلاث وتسعين ومائة.

(١) قال العُكْرى - في النجوم الزاهرة: بنون مفتوحة وجيم مضمومة، وقال الجعبرى: من نجد الثياب زينها.

وثانيهما : أبو عمر ، أو أبو داود[٢] حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز[٣] .

ربيب عاصم الغاضرى ـ الأسدى ـ وكان أعلم أهل زمانه ، وأصحابه بقراءته .

قال وكيع : كان ثقة .

قال الذهبي : أما القراءة فثقة ضابط بخلاف حاله في الحديث .

وقال ابن معين : كان أقرأ من ابن عياش .

مولده : ولد سنة تسعين ، أو إحدى وتسعين .

وفاته : توفى سنة ثمانين ومائة قال في النشر : على الصحيح .

● ● ●

« طرق رواية أبى بكر عن عاصم »

لروايته ـ رضى الله عنه ـ طرق :

الأولى : طريق أبى زكريا يحيي بن آدم بن سليمان بن خالد بن أسد الصلحى ، وكان من الأئمة الأعلام ، حفاظ السنة .

وفاته : توفى في النصف من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث ومائتين .

الثانية : طريق أبى محمد يحيي بن قيس العُلَيمى ، الأنصارى الكوفى ، وكان شيخا جليلا ، ثقة صحيح القراءة .

مولده : ولد سنة خمسين ومائة .

وفاته : توفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

● ● ●

فأما ابن آدم فمن طريقين :

إحداهما : طريق أبى بكر شعيب بن أيوب بن رُزَيق بتقديم الراء ، الصريفينى ، وكان مقرئا ثقة ، ضابطا ، عالما ، حاذقا .

وفاته : توفى سنة إحدى وستين ومائتين .

وثانيتهما : طريق أبى حمدون الطيب بن إسماعيل بن أبى تراب الذهلى ـ البغدادي . وكان مقرئا ثقة ضابطا .

وفاته : توفى سنة إحدى وستين ومائتين .

وأما العُلَيمى : فمن طريق أبى عمر عثمان بن أحمد بن سمعان الرزاز البغدادي ، وكان مقرئا متصدرا معروفا .

وفاته : توفى في حدود سنة خمسين وثلاثمائة .

ومن طريق أبى الحسن على بن محمد بن جعفر بن أحمد بن خُلَيْع الخياط البغدادى . المعروف بالقلانسى ، وبابن بنت القلانسى . وكان ثقة ضابطا متقنا .

وفاته : توفى في ذى القعدة سنة ست وخمسين .

وأما شعيب عن يحيي بن آدم فمن خمس طرق :

الأولى : طريق أبى بكر يوسف بن يعقوب بن الحسن الواسطى ، المعروف بالأصم .

عن أبى إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن البغدادي . من « الشاطبية » ،

---

(٢) وابن داود ، وفي الطبقات ١/٢٥٤ (بن أبى داود) .

(٣) في جميع النسخ : البزار ، والصواب من الطبقات ـ ١/٢٥٤ .

و « التيسير » ، ومن « تجريد »ابن الفحام ، و «تلخيص »ابن بَلّيمة ، وعن الأصم عن المطوعى من « المبهج » و « المصباح » وعن الأصم عن أبى الفرج عبد العزيز بن عصام من « المستنير » لابن سوار ومن « مصباح » أبى الكرم،وعن الأصم عن أبى القاسم يوسف بن محمد بن أحمد بن بابس[4] ، من « مصباح » أبى الكرم و « كامل » الهذلى ، وعن الأصم عن النقاش من « تلخيص » أبى معشر،وعن الأصم عن أبى الحسن على بن محمد بن جعفر بن أحمد بن خليع .

من(غاية)ابن مهران . فتحصل للأولى اثنتا عشرة طريقا للأصم .

الثانية : عن شعيب : طريق أحمد بن يوسف القافلانى . من « التيسير » و « الشاطبية » ، قرأ بها الدانى على فارس . ومن « التجريد » لابن الفحام ، و « التلخيص » لابن بليمة ، ومن « العنوان » ، ومن « المجتبى » و « كافى » ابن شريح ، و «روضة » المعدل . فتحصل ثمانى طرق للقافلانى .

الثالثة : عن شعيب : طريق أبى العباس الضرير – المعروف بالمثلثى – من « كتابى » ابن منصور وابن خيرون ، ومن « مصباح » أبى الكرم . وتعددت فبلغت هنا ست طرق للمثلثى .

الرابعة : طريق أبى عون محمد بن عمرو بن عون الواسطى عن « المستنير » ، ومن « المبهج » و « المصباح » وتعددت فبلغت خمس طرق لأبى عون .

الخامسة : طريق أبى عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة ، المعروف بنفطوية النحوى . من « المبهج » و « المصباح » لأبى الكرم ، و « الكامل » للهذلى ، ومن « كتاب سبعة » ابن مجاهد ، وتعددت فبلغت سبع طرق لنفطوية . وثمان وثلاثين طريقا لشعيب .

« وأما أبو حمدون فمن طريقين »

الأولى عنه : طريق أبى على الحسن بن الحسين الصواف عن الْحَمَّامِى من « التجريد » ، ومن « روضة المالكى » ، ومن « كتابى » أبى العز ، ومن « المستنير » ، و « جامع » أبى الحسن الخياط ، و « كامل الهذلى » ، ومصباح أبى الكرم ، وتذكار ابن شيطا . وتعددت هذه فبلغت إحدى عشرة طريقا للحمامى .

عن الصواف عن ابن شاذان من « غاية » أبى العلاء .

عن الصواف عن النهروانى من كتاب أبى العز ، ومن كتاب المستنير ، ومن الجامع للخياط ، وتعددت الطرق فبلغت خمس طرق للنهروانى .

عن الصواف عن أبى القاسم عبد الله بن الحسن النحاس ، وأبى الحسين أحمد بن جعفر الخلال . من « مصباح » أبى الكرم . فهذه تسعة عشر طريقا للصواف .

←

---

(٤) فى غاية النهاية للإمام شمس الدين الجزرى ٤٠٣/٢ « يعرف بابن بابس وبابن بابوس » اهـ نشر : ج . برجستراسر – الخانجى ١٣٥١ هـ .

وذكرت بعض المصادر طريقا سادسة عن الصواف ولم نقف عليها .

الثانية : عن أبى حمدون طريق أبى عون من كامل الهذلى فتحصل عشرون طريقا لابن حمدون ، وثمان وخمسون طريقا ليحيي بن آدم .

● ● ●

وأما ابن خُلَيْع عن العليمى

فمن عشر طرق

الأولى : عن ابن خليع : طريق أبى الحسن الحمامى ـ من « التجريد » لابن الفحام ، و« روضة » المالكى ، و« كفاية » أبى العز ، و« تذكار » ابن شيطا ، و« جامع » ابن فارس . وتعددت فبلغت ست طرق عن الحمامى .

الثانية : طريق عبد الباقى بن الحسن الخراساني قرأ بها الخراساني على فارس .

الثالثة : طريق أبى القاسم بكر بن شاذان القزاز . من « كفاية السبط » .

الرابعة : طريق أبى الحسن أحمد بن عبد الله بن الخضر بن مسرور السوسنجردى البغدادي ، من « غاية » أبى العلاء .

الخامسة : طريق نذير بن على بن عبد الله البكرى .

السادسة : طريق النهروانى . من « كفاية » أبى العز .

السابعة : طريق أبى الحسن على بن محمد الخبازى ، من « الكامل » .

الثامنة : طريق أبى حفص عمر بن على النحوى ، من « تلخيص » أبى معشر .

التاسعة : طريق أبى عبيد الله بن عمر المصاحفى ، من « جامع »ابن فارس .

العاشرة : طريق ابن مهران ، فهذه خمس عشرة طريقا لابن خُلَيْع .

● ● ●

وأما الرزاز عن العُلَيمى فمن كتاب « المبهج » ، و« المصباح » ، و« كامل » الهذلى فهذه ثلاث طرق للرزاز .

وقرأ ابن خُليع والرزاز على أبى بكر يوسف بن يعقوب بن الحسن بن يعقوب بن خالد بن مهران الواسطى الأطروش .

وقرأ الأطروش على أبى محمد بن يحيي بن محمد بن قيس العليمى الأنصارى الكوفى . فهذه ثماني عشرة طريقا للعُلَيمى .

وقرأ العليمى ويحيي بن آدم على أبى بكر شعبة الحناط ـ بالنون ـ الأسدى . فهذه ست وسبعون طريقا لأبى بكر .

● ● ●

طرق رواية حفص عن عاصم

وأما حفص فمن طريقين :

الأولى : طريق أبى محمد عبيد بن الصباح بن صبيح ـ النهشلى ، الكوفى ثم البغدادي . وكان مقرئا صالحا ضابطا .

وفاته : توفى سنة خمس وثلاثين ومائتين .

الثانية : طريق أبى حفص عمرو بن الصباح بن صبيح . البغدادي الضرير . وكان مقرئا ضابطا .

وفاته : توفى سنة إحدى وعشرين ومائتين .

فأما عبيد بن الصباح فمن طريقين :

إحداهما : طريق أبى الحسن على بن محمد بن صالح بن داود الهاشمى ، البصرى . الضرير . ويعرف بالخوخانى . وكان شيخ البصرة في القراءة ، ثقة متقنا . رحل إليه أبو الحسن طاهر بن غلبون . حتى قرأ عليه بالبصرة .

وفاته : توفى سنة ثمان وستين وثلثمائة .

ثانيتهما : طريق أبى طاهر عبد الرحمن بن أبى هاشم . البغدادي السابق في رواية البزى .

وأما عمرو بن الصباح فمن طريقين :

إحداهما : طريق أبى جعفر أحمد بن محمد بن حميد القامى الملقب بـ (الفيل) لعظم خلقته . وكان شيخا ضابطا ، حاذقا مشهورا .

وفاته : سنة تسع وثمانين ومائتين . وقيل سنة سبع ، وقيل سنة ست .

ثانيتهما : طريق أبى الحسن زرعان بن أحمد بن عيسى ـ الدقاق البغدادى وكان من جلة أصحاب عمرو بن الصباح ـ مشهورا فيهم ـ ضابطا متقنا .

وفاته : توفى في حدود التسعين ومائتين .

● ● ●

فأما أبو الحسن الهاشمى ، عن عبيد بن الصباح ـ فمن خمس طرق :

الأولى عنه : طريق طاهر بن غلبون من « الشاطبية » و « التيسير » قرأ بها الداني عليه . ومن « تلخيص » ابن بليمة ، ومن « تذكرة » طاهر بن غلبون .

الثانية : عن الهاشمى : طريق عبد السلام بن أبى الحسن البصرى ، من « المستنير » و « جامع » الخياط .

الثالثة عنه : طريق أبى عبد الله أحمد بن محمد بن الحسين بن بزدة المليجى ، من « غاية » أبى العلاء ، ومن « كامل » الهذلى .

الرابعة : عن الهاشمى طريق أبى الحسين على بن محمد الخبازى من « كامل » الهذلى .

الخامسة : عن الهاشمى طريق أبى عبد الله الكارزينى ـ من « المبهج » . فهذه عشر طرق للهاشمى .

● ● ●

وأما أبو طاهر عن عبيد بن الصباح فمن أربع طرق :

الأولى عنه : طريق الحَمَّامى من « التجريد » ، ومن « روضة » المالكى ، و « كامل » الهذلى ، و « جامع » ابن فارس ، و « مصباح » الشهرزورى ، و « كتابى » أبى العز . ومن « تذكار » ابن شيطا وتعددت فبلغت عشر طرق له .

الثانية : طريق أبى الفرج النهروانى . من « كتابى » أبى العز .

الثالثة : طريق أبى الحسين بن العلاف . من تذكار ابن شيطا .

الرابعة : طريق أبى الفرج عبيد الله بن عمر بن محمد بن عيسى المصاحفى البغدادى من كفاية السبط . فهذه أربع عشرة طريقا لأبى طاهر بن أبى هاشم .

وقرأ الهاشمى أبو طالب على أبى العباس أحمد بن سهل بن الفيروزان الأشنانى - وكان ثقة ضابطا متقنا انفرد بالرواية .

قال ابن شنبوذ : لم يقرأ على عبيد بن الصباح سواه . ولما توفى عبيد قرأ على جماعة من أصحاب حفص غير عبيد .

وفاته : توفى الأشنانى سنة سبع وثلاثمائة على الصحيح فتحصل على أربع وعشرين طريقا لعبيد .

● ● ●

وأما طريق "الفيل" عن عمرو بن الصباح فمن طريقين :

الأولى : طريق أبى بكر احمد بن عبد الرحمن بن الحسن العجلى - المعروف بالولى من طريقين : طريق أبى الحسن الحمامى عنه من سبع طرق : من « المستنير » ، ومن « كامل » الهذلى ، و « كفاية» أبى العز ، و « غاية » أبى العلاء ، و « مصباح » أبى الكرم و « تذكار » ابن شيطا وتعددت الطرق فبلغت ثمانى طرق للحمامى ، وطريق الطبرى عن الولى من « المستنير » ، ومن « كامل » الهذلى . وتعددت فبلغت أربع طرق[٥] للطبرى . وتحصل ثنتا عشرة طريقا للولى .

الثانية : عن الفيل طريق أبى الحسن محمد بن أحمد بن الخليل العطار من المبهج والمصباح فهذه اربع عشرة طريقا للفيل .

● ● ●

وأما زرعان عن عمرو بن الصباح فمن ست طرق :

الأولى : طريق أبى الحسين احمد بن عبد الله بن الخضرى السوسنجردى من كتاب « التجريد » ، و « روضة » المالكى ، و « غاية » الهمدانى ، و « المصباح » فهى أربع طرق للسوسنجردى .

الثانية : عن زرعان : طريق عبد الباقى بن الحسن الخراسانى ، قرأ بها الدانى على أبى الفتح .

الثالثة : طريق أبى الفرج النهروانى من « كفاية » أبى العز ، و « مستنير » ابن سوار .

الرابعة : طريق الحمامى من « تذكار » ابن شيطا ، و « جامع » ابن فارس ، و « مستنير » ابن سوار .

الخامسة : طريق أبى عبيد الله بن عمر المصاحفى - من « جامع » ابن فارس ، ومن « المستنير » ومن « المصباح » .

السادسة : طريق أبى بكر بن شاذان الواعظ ، من غاية أبى العلاء ، فهي أربع

---

(٥) ذكر للطبرى طريقين وهما « المستنير » و « الكامل » ، وقد ترك « الوجيز » ويه يصبح مجموع العدد - ففي المستنير طريقان ، والكامل والوجيز فهذه اربع طرق - النشر ١/ ١٥٤ .

عشرة طريقا لزرعان ، وثمان وعشرون طريقا لعمرو ، واثنتان وخمسون طريقا لحفص .

السند المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم

وقرأ حفص وأبو بكر على إمام الكوفة - عاصم ابن أبى النُّجُود - فهي مائة وثمان وعشرون طريقا لعاصم .

وقرأ عاصم على أبى عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمى الضرير ، وعلى أبى مريم زرّ بن حُبَيْش بن حُبَاشَةَ الأسدى ، وعلى أبى عمرو سعد بن إياس الشيبانى .

وقرأ هؤلاء الثلاثة على عبد الله بن مسعود ، وقرأ السلمى وزرّ ايضاً على عثمان بن عفان ، وعلى علىّ بن أبى طالب - رضي الله عنهما - وقرأ السلمىَ أيضاً على أبيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت - رضي الله عنهما .

وقرأ ابن مسعود ، وعثمان ، وعلى ، وأبىّ وزيد ، على رسول الله ﷺ - .

مذهب عاصم في القراءة

كان رحمه الله تعالى - يجهر بالتعوذ في أول القراءة ، و (يبسمل) في أول كل سورة من سور القرآن . إلا سورة « التوبة » - وكان حفص عنه يصل (هاء الكناية) كقراءة ابن كثير ، في موضع واحد في سورة الفرقان - آية ٦٩ هي قوله تعالى : ﴿ ويخلد فيه مهانا ﴾[٦] . وكان (يبسمل) بين السورتين ، وكان يمد المنفصل قدر أربع حركات وخمس حركات .

وورد عن حفص عنه (القصر) قدر حركتين من طريق كتاب (النشر) لابن الجزرى .

وكان عاصم لا يدغم ولا يرى الإدغام إلا فيما لا يجوز إظهاره ويدغم اللام من - (بَل رَّان) - في رواية أبى بكر ، وفي رواية حفص : - بَلْ رَانَ - يقف على اللام ، - ومَنْ راقٍ - القيامة آية ٢٥ . يقف على النون وهو في ذلك يصل أي بسكتة قصيرة مع الوصل ويدغم - اتَّخَذْتُم - أَخَذْتُم - و - لَتَّخَذْتَ - في رواية أبى بكر.وحفص يظهر (الذال) في ذلك أجمع .

واما أبو بكر فروى عن عاصم : - (مَن رَّاقٍ) - مدغمة النون في الراء من غير سكتة ، و - (بَل رَّانَ) - مدغمة اللام مكسورة الراء يريد أنها مُمَالة الراء .

وبعد :

فما أجمل قول ولي الله الإمام الشاطبى في كتابه (حرز الأمانى ووجه التهانى) حيث يقول مادحا :

وَبِالكُوفَةِ الْغَرَّاءِ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ ... أَذَاعُوا فَقَدْ ضَاعَتْ شَذاً وَقَرَنْفُلَا

فَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ وَعَاصِمٌ اسْمُهُ ... فَشُعْبَةُ رَاوِيهِ المُبَرِّزُ أَفْضَلَا

وَذَاكَ ابْنُ عَيَّاشٍ أَبُو بَكْرٍ الرِّضَى ... وَحَفْصٌ وَبِالإِتْقَانِ كَانَ مُفَضَّلَا[٧]

اسأل ربى أن يجعلنا ممن يكون القرآن العظيم شفيعا لهم يوم الدين .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

إبراهيم عطوه عوض

(٦) الهاء في (فيه) تسمى هاء الكناية وسميت كذلك لانها يكنى بها عن الواحد الغائب .

(٧) منهم ثلاثة : أي من القراء السبعة ثلاثة هم : عاصم وحمزة والكسائى اذاعوا : افشوا العلم بالكوفة ونشروه ، ضاعت : فاحت .

فصبر جميل !!

عن انس (رضى الله عنه) قال : مات ابن لابى طلحة من ام سليم ، فقالت لأهلها ، : لا تحدثوا ابا طلحة بابنه حتى اكون انا احدثه ، قال فجاء فقربت إليه عشاءه ، فاكل وشرب ، فقال : ثم تصنعت له احسن ما كانت تتصنع له قبل ذلك ، فوقع بها ، فلما رات انه قد شبع ، واصاب منها ، قالت ياابا طلحة : ارايت لو ان قوما اعاروا عاريتهم اهل بيت ، فطلبوا عاريتهم ، الهم ان يمنعوهم ؟ قال : لا . قالت : فاحتسب ابنك ، قال : فغضب وقال : تركتنى حتى تلطخت ثم اخبرتنى بابنى ، فانطلق حتى اتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاخبره بما كان ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « بارك الله فى غابر ليلتكما » .

رواه مسلم

اللغة : ١ ـ تصنعت له : أى تزينت .
٢ ـ فوقع بها : أى جامعها .
٣ ـ احتسب ابنك : اى اطلب الأجر من الله بصبرك على موته .
٤ ـ غابر ليلتكما : أى ماضيها .

١ـ الصبر سلاح قوى :

الصبر سلاح قوى لمواجهة الحياة وأعبائها ، وإصلاحها واستقامتها ، والمؤمنون حقا هم الذين صبغتهم حقيقة الحق والصبر ، والذين أتبعوا القول بالعمل ، قال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ . وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾(١) .

وإنما الصبر عند الصدمة الأولى ، وفى الرضا بقضاء الله ، وبالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، وأن يعتقد المسلم والمسلمة أن كل مايصيب الإنسان فى هذه الحياة ، إنما هو ابتلاء ، قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ

(١) سورة العصر .

للأستاذ/ محمد صابر البرديسى

وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ . قَالُوا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[٢] .

عَدَّدَ الله أنواع البلاء فى الآية فذكر : الخوف ، والجوع ، ونقص الأموال والأنفس والثمرات ، ثم ذكر أن الصابرين يفوزون بثلاث خصال ، لا تتوافر لغيرهم وهى : صلوات الله ، ورحمته ، وهداه ، قال تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ .

فصلوات الله عليهم : أن يثنى عليهم ، ويزيدهم تشريفا وتكريما .

ورحمته : هى مايكون لهم فى نفس المصيبة من لطف الله وإحسانه ، فيكون منه لهم حسن العزاء ، وعظيم الجزاء .

« وأولئك هم المهتدون » أى إلى الحق والصواب فيما عملوه وقت الشدائد والمصائب ، فلا يستحوذ الجزع على نفوسهم ، ولا يذهب البلاء بالأمل من قلوبهم .

هذا هو الصبر الذى ذكره القرآن ، فيه العزاء للقلوب المكلومة ، وفيه الشفاء للنفوس الحزينة ، والنجاح فى هذه الحياة .

إن الصبر من الصفات الروحية التى تجلب كثيرامن الخير للمعذبين الذين يتلمسون الخلاص مماهم فيه ، ولا يجدون العلاج إلا فيه . لهذا كله أحب الله الصابرين ، وأعلن فى القرآن أنهم ينالون مزيداً من الفضل والرحمة فى الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٣] .

الصبر من الفضائل الخلقية ، وهو النفحة الروحية التى يعتصم بها المؤمن فتُخَفِّفُ من بأسائه ، وتدخل إلى قلبه السكينة والاطمئنان ، وتكون بلسماً لجراحاته .

والصابر يتلقى المكاره بالقبول ، ويراها من عند الله ، ولولا الصبر لانهارت نفسه من البلايا التى تنزل عليه ، وأصبح عاجزا عن السير فى ركب الحياة .

٢- آداب الصبر :

ومن آداب الصبر استعماله فى أول صدمة ، لقوله (صلى الله عليه وسلم) « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » .

رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وأحمد .

والاسترجاع عند المصيبة لحديث أم سلمة

(٢) سورة البقرة الآيات ١٥٥ - ١٥٧ .

(٣) سورة النحل آية ٩٦ .

فصبر جميل

(رضى الله عنها) قالت : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول :

« ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : « إنا لله وإنا إليه راجعون » اللهم اجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها ، إلا آجره الله فى مصيبته ، وأخلف له خيراً منها » قالت : فلما توفى « أبو سلمة »(٤) قلت كما أمرنى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأخلف الله لى خيراً منه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)(٥) .

وعن أبى سنان قال : دفنت ابنا لى ، فإنى لفى القبر إذ أخذ بيدى أبو طلحة (يعنى الخولانى) فأخرجنى ، وقال لى : ألا أبشرك ؟ قلت : بلى قال : حدثنى الضحاك بن عبد الرحمن بن عازب عن أبى موسى قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : قال الله : « ياملك الموت ، قبضت ولد عبدى ، قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده ؟ قال : نعم ، قال فما قال ؟ قال : حمدك واسترجع ، قال : ابنوا له بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد »(٦) .

ومن الآداب : سكون الجوارح واللسان ، فلا يشق الجيب ، ولا يلطم الخد ، ولا يفعل مايغضب الرب ولا يقول فحشا ، ولا يملك عليه الجزع لبه ، وعقله فيخرجه عن الصواب .

أما البكاء فجائز ، فإن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولكن المؤمن لا ينطق إلا بما يرضى الله .

دخل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على ابنه إبراهيم ، وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تذرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يارسول الله ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ياابن عوف ، إنها رحمة ـ ثم أتبعها بأخرى ـ فقال : إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا مايرضى ربنا ، وإنا لفراقك ياإبراهيم لمحزونون »(٧) .

وهذه الصحابية المباركة ضربت مثلاً فريداً فى سلوكها عقب تلك الواقعة وفى حيطتها حبا لزوجها وُإكراما له ، فأمرت أهلها الا يتحدثوا بهذا المصاب لزوجها وبذلك استطاعت أن تحوطه بجميل الرعاية والعناية ممسكة ـ اثناء ذلك كله ـ بشدة على نفسها ، قابضة حزنها ، حتى ساقت الخبر لزوجها ؛ فكان الخير كله كما أخبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وشأن المرأة ـ كما هو مشاهد معروف ـ أن تكون أسبق للحزن ، وأسرع استجابة لمتطلباته .. وهذا الذى منعته ـ عن نفسها ـ أم سليم (رضوان الله عليها) فعلى المؤمن الصبر ، إذا نزلت به نازلة ، أو ادلهم به أمر ، فالمؤمن إذا ابتلى فصبر ، أجره الله وعوضه بكرمه .

والله الموفق

محمد صابر البرديسى

---

(٤) تعنى زوجها .

(٥) تعنى أنها تزوجت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خير من ابى سلمه . والحديث رواه مسلم .

(٦) رواه الإمام احمد والترمذى .

(٧) رواه البخارى .

صلى الله عليه وسلم

الرسول

ينتزع المبادأة من يد أعدائه

للـواء / أ / ح
محمد جمال الدين محفوظ

روى الإمام احمد والبخارى عن سليمان بن صرد والبزار برجال ثقات ، وابو نعيم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهم ، والبيهقى عن قتادة رحمه الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ـ حين اجلى الله تعالى عنه الاحزاب : « الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم »[١] .

قرار خطير ونقطة تحول تاريخية

هذا الحديث الشريف ، قرار خطير فى تاريخ الإسلام يستحق أن نقف أمامه بكثير من التأمل والتدبر . لما ينطوى عليه ومايترتب عليه من دروس تنفع المسلمين وتنير لهم الطريق للخروج من واقعهم الأليم ..

﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (هود ١٢٠) ..

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النساء ٢٦) .

لقد كان هذا القرار نقطة تحول بارزة فى صراع المسلمين مع أعدائهم فى عصر النبوة ، انتقلت فيها المبادأة[٢] إلى أيديهم لأول مرة فى

(١) سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى جـ ٤ ـ ٥٤٩ .

(٢) المبادأة (او المبادرة) معناها باختصار حرية العمل ، والذى يملك المبادأة يحرم خصمه من حرية العمل ويحصر اعماله فى نطاق رد الفعل . وإحراز المبادأة من اهم عوامل النصر والنجاح فى الحرب والسياسة على حد سواء .

تاريخ هذا الصراع ، وترتب على هذا الانتقال آثار بعيدة المدى .. فطوال الفترة التى قضوها فى المدينة من يوم الهجرة إلى ماقبل غزوة الخندق . كانوا يتلقون هجمات أعدائهم ويواجهونها « بمعارك دفاعية » كان أبرزها « غزوة بدر » فى السنة الثانية للهجرة و« أحد » فى السنة الثالثة ، ثم كانت « غزوة الخندق » فى السنة الخامسة التى واجهوا فيها هجوم قريش والقبائل العربية واليهود ..

فقرار الرسول القائد صلى الله عليه وسلم بعد غزوة الخندق (الأحزاب) : « الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم »، معناه أن يتحول المسلمون من الدفاع إلى الهجوم ، وأن يسيروا إلى أعدائهم بدلاً من البقاء انتظاراً لضرباتهم ، وبعبارة أخرى فإن معنى القرار أن يتحول المسلمون من حالة « رد الفعل » إلى « الفعل » .. ولابد هنا من أن نصحح ما فى بعض الأذهان من خطأ فى فهم معنى « الهجوم » على أنه يعنى العدوان أو الاغتصاب .. فالهجوم شكل من أشكال العمليات الحربية تتحرك فيه القوة إلى العدو وتوجه ضربتها إليه فى مواقعه ، وطبيعة الحرب تجعل الهجوم شكلاً من الأشكال الضرورية لتحقيق الأهداف حتى فى إطار العمليات الدفاعية ومن الأقوال الشهيرة فى هذا المجال : « الهجوم خير وسيلة للدفاع » .

فليس من صواب الرأى أن نعتبر الهجوم مرادفاً للعدوان أو منطوياً على نواياه ، ولقد أوضح لنا الرسول القائد صلى الله عليه وسلم هذا المعنى وأكده فى معارك عصر النبوة فكل الغزوات والسرايا التى تحرك فيها المسلمون إلى عدوهم ليوجهوا إليه ضرباتهم هى « عمليات هجومية » تمت فى إطار « استراتيچية دفاعية » تستهدف الدفاع عن الدعوة وحرية التدين ، ولم يكن العدوان أو الاغتصاب أو القهر هدفاً من أهدافها ، وإنما كانت أهدافها حقاً وعدلاً ودفعاً للاعتداء وإعلاءً لكلمة الله

أسس هذا التحول التاريخى

وخطورة هذا القرار التاريخي وما ترتب على تنفيذه من نتائج تدعونا إلى محاولة تقصى الأسس التى بنى عليها ، فإن تنفيذ هذا القرار ينطوى على مواجهة تحديات كبيرة أهمها أن المسلمين فى عملياتهم المقبلة ضد قريش سوف يتركون المدينة قاعدتهم الرئيسية ، ويسيرون أربعمائة كيلو متر فى أرض أقل ما يقال فيها أنها « أرض غير صديقة » ، ثم يتجهون إلى مكة قاعدة قريش الرئيسية بكل مافيها من « قوة بشرية » بأكبر حشد ، وبكل مافيها من « حوافز معنوية » لأهلها للدفاع عنها فى معركة تعد « معركة مصير » بالنسبة إليهم .

وليس من شك فى أن الرسول صلى الله عليه وسلم . كان مدركاً لحجم هذه التحديات التى لم يسبق أن واجه المسلمون مثلها ، وفى أنه ـ مع ذلك ـ كان « مطمئناً » إلى اتخاذ قراره بكل ما له من عواقب ونتائج .

والواقع أن مما يعين على استخلاص أسس ذلك القرار ، استقراء تطور الأحداث خلال السنوات الخمس الأولى للهجرة .

فشل قريش فى تحقيق أهدافها

ففى خلال تلك الفترة كانت قريش تملك

زمام المبادأة ، لكنها لم تستطع تحقيق هدفها الأساسى وهو القضاء على الإسلام أو القضاء على المسلمين فى موطنهم الجديد .

لقد قاتلت المسلمين فى عدة معارك أهمها بدر وأحد والخندق بلا جدوى . حتى فى تلك الغزوة الأخيرة (الخندق) التى أرادت لها أن تكون « فاصلة » ، فحشدت لها كل ما أمكنها حشده من قوى أخرى إلى جانب قوتها متمثلة فى القبائل العربية واليهود ، لم تجدها شيئا .. والذى يتصور : أن قريشا ـ إزاء هذا الفشل ـ سوف تضعف عزيمتها ، ويفتر استعدادها للعودة إلى التجربة مرة أخرى .

وهنا تظهر عبقرية الرسول صلى الله عليه وسلم فى فهمه لطبائع البشر ، وفراسته فى « رصد ملامح الضعف » فى قوة خصمه ، وسرعته الفائقة فى اتخاذ القرار الصحيح فى الوقت الملائم تماماً لتوجيه « الضربة القاضية ».

« الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم » .. !!

الضغط الاقتصادى على قريش

وخلال تلك الفترة نجح المسلمون فى فرض الحصار الاقتصادى على قريش بالسيطرة على طريق التجارة إلى الشام ثم على طريق العراق الذى تحولت إليه .

فبعد أن أصبح طريق الشام محفوفاً بالمخاطر ، تحولت قريش إلى طريق العراق ، فقد قال صفوان بن أمية : « إن محمداً وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا ، فما ندرى كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه ، فما ندرى أين نسلك ، وإن اقمنا فى دارنا هذه ، أكلنا رءوس أموالنا ، فلم يكن لها من بقاء ، وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام فى الصيف وإلى الحبشة فى الشتاء ، فأشار عليه الأسود بن عبد المطلب أن يتخذ طريق العراق ، ففعل ، وتجهز من البضائع والفضة بما قيمته مائة ألف درهم ، غير أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة فى مائة راكب فاستولى على القافلة وهى فى طريقها عند ماء يقال له (القردة) من مياه نجد ، فلم يعد أمام قريش إلا التجارة مع الحبشة ، وكان لذلك أسوأ الأثر على حياتها الاقتصادية .

فلابد أن يكون لهذا الضغط الاقتصادى اثر كبير فى دعوة قريش إلى أن « تعيد النظر فى موقفها » ضد المسلمين ، فيكون الضغط العسكرى الذى يتحقق بعد انتزاع المبادأة ، « دافعا » لها أكثر وأكثر فى هذا الاتجاه .

تامين قاعدة المدينة

لقد أصبحت المدينة خلال تلك الفترة « قاعدة أمينة » يستطيع الرسول صلى الله عليه وسلم أن « يتركها » خلفه ، « ويبعد » عنها ماشاء من مسافات ، « ويغيب » عنها ماشاء من زمن ، ثم « يعود » إليها ، ليجدها ـ كما تركها ـ صلبة قوية أمينة .

والواقع أن تامين المدينة كقاعدة للإسلام ، بدأ منذ اللحظة الأولى لوصول المسلمين إليها بعد الهجرة ، فكان أول ما عمد إليه الرسول القائد ﷺ إقامة جبهة داخلية صلبة وذلك بجمع صفوف

←

المسلمين وتوحيد جبهتهم وإيجاد رابطة قوية بينهم « توحيد صف الأنصار من اوس وخزرج ، والمؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين » ثم بتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية لكافة سكان المدينة من المسلمين والمشركين واليهود بمقتضى ميثاق المدينة .. كل ذلك .. تأميناً للقاعدة « من الداخل » ..

ثم كان تأمين المدينة « من الخارج » بعقد المعاهدات والاتفاقات مع مختلف القبائل العربية ، فهذه الاتفاقات ـ فضلاً عن انها كفلت حرية الدعوة ـ فقد كفلت حسن الجوار والمعاملة وهو ينطوى على تأمين كبير للمدينة : لأنه يحرم قريشا من الاعتماد على هذه القبائل او محالفتها او اتخاذها « قاعدة » للعدوان على المدينة .

كفاءة أجهزة المعلومات والأمن

وثبت خلال تلك الفترة أن للمسلمين أجهزة للمعلومات والأمن على درجة عالية من الكفاءة تتمثل في أمرين : الأمر الأول شبكة من العيون والأرصاد منتشرة في أنحاء شبه الجزيرة . لإبلاغ الرسول ﷺ بالمعلومات عن نوايا أعدائه وحركاتهم ، فقد علم عليه الصلاة والسلام من عمه العباس في مكة بتجهيز قريش لمهاجمته قبل غزوة أحد وغزوة الخندق .. وكان الدليل الناصع على كفاءة أجهزة المعلومات هذه أن المسلمين « لم يؤخذوا على غرة » أبداً فشكلت بذلك مصدر أمن مستمر يكون له دور فعال في تأمين حركة المسلمين وحرمان أعدائهم من مباغتتهم .

ثم نضيف إلى أجهزة المعلومات ، جهاز الأمن الذى نجح في المحافظة على أسرار المسلمين وحرمان العدو من كشفها ، وواقعية منع رسالة حاطب بن بلتعة من أن تصل إلى قريش قبل غزوة الفتح خير ما يذكر دليلاً على ذلك ، هذا إلى ما كان لدى المسلمين من وعى الأمن والمحافظة على الأسرار .

تنفيذ القرار

لقد كان فتح مكة بطبيعة الحال هو قمة الأعمال التنفيذية لقرار « انتزاع المبادأة » باعتبار أن مكة هى الهدف الرئيسي . لكن الفتح لم يقع إلا في رمضان من السنة الثامنة للهجرة أي بعد صدور القرار بسنوات ثلاث تقريباً .. فما السر في هذا ؟

الواقع أن دراسة أحداث تلك الفترة من بعد الخندق إلى ما قبل الفتح تكشف عن مخطط بالغ الدقة والإحكام مهد الطريق تماماً لسير المسلمين إلى هدفهم الرئيسي : مكة ، كما تبرز لنا درساً عظيماً يعلم المسلمين أن يبتعدوا عن العمل المتسرع أو غير المخطط ، وأن تكون خطواتهم نحو أهدافهم محسوبة بكل الدقة والإحكام .

فإنه يلفت نظر الباحث المدقق أن الغالبية العظمى لسرايا القتال بُعثت خلال تلك الفترة (اكثر من ثلاثة أرباع مجموع عدد السرايا) كما أن الرسول ﷺ قاد في تلك الفترة خمس غزوات هى : بنى قريظة وبنى لحيان وذى قَرَد والحديبية وخيبر .

توطيد الأمن فى المنطقة الشمالية

أما بعث هذا العدد الكبير من السرايا فكان لتأمين المنطقة الشمالية حتى حدود الشام والعراق ، والسيطرة على القبائل العربية فى تلك المنطقة مثل : هوازن وبنى كلاب وبنى مرة وبنى عوال وبنى عبد بن ثعلبة وغطفان وبنى سليم وبنى الملوح وجهينة والقبائل التى عاونت الروم ضد المسلمين .

القضاء على اليهود عسكرياً

وأما الغزوات فقد قضى الرسول ﷺ على اليهود عسكرياً بغزوهم فى بنى قريظة وخيبر .

لقد فتح اليهود - بنقضهم العهد - « جبهة ثانية » ضد المسلمين كان عليهم أن يواجهوها بالردع الذى تستحقه ، وكانت غزوة خيبر ضربتهم القاضية ، إذ كانت المعقل الرئيسي لليهود فى شبه الجزيرة ، وكان بها سبعة حصون تكتنفها البساتين ، وكان أهلها أقوياء مسلحين استماتوا فى الدفاع ؛ إذ كانوا يعلمون علم اليقين أن اندحارهم معناه القضاء الأخير على بنى إسرائيل فى شبه الجزيرة .

وهكذا أمن الرسول القائد ﷺ - بسقوط خيبر - بأس اليهود ، وأمن بأنهم لن تقوم لهم بعد ذلك قائمة ، وبأنه يستطيع بعد ذلك أن يتحرك جنوباً نحو هدفه الرئيسي .

زيادة قوة الجيش ورفع كفاءته القتالية

ولقد أتاحت غزوة الحديبية قيام هدنة أتاحت للمسلمين أن يزيدوا من حجم الجيش إلى درجة لم يكونوا بالغيها من قبل ، يؤكد ذلك مقارنة قوة الجيش فى (غزوة الخندق) بقوته فى (الفتح) ، ففى الخندق كانت القوة ثلاثة آلاف ، وفى الفتح كانت عشرة آلاف . وتلك قفزة كبيرة فى زمن قصير نسبياً .

وارتفعت كفاءة الجيش القتالية إلى أقصى حد ، بعد أن بلغ رصيده من عمليات القتال منذ بدأ الصراع فى السنة الثانية للهجرة إلى ما قبل الفتح قرابة ستين عملية قاد منها الرسول ﷺ أربعاً وعشرين غزوة ، وقاد أصحابه ما بقى منها ، ومارس المسلمون فى هذه العمليات كل أشكال القتال من دفاع وهجوم ومطاردة وإغارات وقتال فى القرى وحصار المواقع الحصينة .. وغيرها .. كما أصبح للجيش عدد كبير من القادة الأكفاء القادرين على قيادة العمليات المستقلة .

إضعاف إرادة قريش القتالية

وأصيبت إرادة قريش القتالية بالضعف نتيجة لعدة عوامل نذكر منها :

- « تجريدها من الحلفاء وبخاصة اليهود بعد القضاء عليهم عسكرياً .
- انفتاح المجال أمام الرسول ﷺ - بعد الحديبية - لمحالفة القبائل التى لم تكن مطمئنة إلى محالفته لقوة قريش لوجود الكعبة فى مكة مما أضعف شوكة قريش .

● انتشار الإسلام جعل جانباً من قريش يدين بالإسلام وجانباً آخر باقياً على الشرك فأصبح من المستحيل أن تجتمع كلمتها على حرب المسلمين .

أغلى الدروس

وهكذا أصدر الرسول ﷺ قراره التاريخي بانتزاع المبادأة - في الوقت المناسب - من يد أعدائه ، وانتقل بالمسلمين من نطاق (رَدّ الفعل) إلى نطاق (الفعل) في غير اندفاع أو مجازفة ، بل بتخطيط سليم ، وخطوات محسوبة ، واضعاً في اعتباره كل العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ، ثم سار نحو هدفه الرئيسى فحققه على أكمل ما يكون التحقيق ، وجنى ثمرة الأخذ بالأسباب والإعداد والاستعداد ، واثقاً - منذ البداية - من معية الله ، شاكراً لربه ومسبحاً بحمده على النصر والفتح ورؤية الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ..

لواء ١ . ح / محمد جمال الدين محفوظ

الى الاخوة الأساتذة
الراغبين في الكتابة بمجلة الأزهر

نرجو معاونتنا في تحقيق الآتي :

١ - أن يتم للمقال كيانه علميا .

٢ - أن يضع الكاتب اسمه مكونا من ثلاثة أسماء على الأقل .

٣ - أن يزود إدارة المجلة بعنوانه في المنزل والعمل بوضوح ورقم تليفونه إن أمكن .

٤ - أن يشير إلى مكان الآيات القرآنية وأرقامها من السورة في وضوح .

٥ - أن يذكر مراجع الحديث الشريف الواردة بمقاله موضحاً مكانها منها :
يذكر المؤلف ، والكتاب ، ورقم الطبعة ، والمطبعة ، وسنة الطبع .

هذا وتأسف المجلة أن تبلغ حضرات الكتاب بأن لديها كمية كبيرة من المقالات توقف نشرها تماما لفقدها واحداً أو أكثر من المطالب سالفة الذكر .

رئيس التحرير

الإسلام والألبانيون

في يوغوسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية

لفضيلة الشيخ
توفيق إسلام يحيى

علمنا فيما سبق أن المملكة اليوغوسلافية كانت تطارد الشيوعية في كل مكان . وفي الوقت نفسه اعترف دستورها بالأديان المختلفة ، ومنها الإسلام . لكنها كانت تعامل مسلمي بوسنة وهرسك معاملة عادية لأنهم متفقون مع الصرب ، مثلهم مثل الكروات الذين يتفقون مع الصرب في الجنس واللغة ويختلفون معهم في الدين ؛ فالصرب أرثوذكس ، والكروات كاثوليك . أما المسلمون الألبانيون في الجنوب فهم يختلفون معهم في اللغة والجنس والدين . لذلك كانت المملكة اليوغوسلافية تعامل الألبانيين معاملة ، أقل ما توصف به ، أنها كانت قاسية .

أشرنا فيما سبق إجمالا إلى هذه المعاملة القاسية ، لكن جاء الآن مكان بيانها تفصيلا فنقول : ـ

كانت الحكومة الملكية اليوغوسلافية السابقة تُحَرِّمُ بكل شدة استخدام اللغة الألبانية قراءة أو كتابة . ولو وجد رجال أمنها كتاباً باللغة الألبانية في بيت لنسفوه بمن فيه .

بانتهاء الحرب العالمية الثانية تغيرت الظروف حيث استولى الشيوعيون برياسة « جوزيف بروز تيتو » على الحكم . وإذا كان لكل ضارة نافعة ، فإن الشيوعية بالقطع ضارة لكنها كانت للمسلمين الألبانيين نافعة من جهة أن اهتمام الشيوعية بالدرجة الأولى مقصور على التمسك بالمبدأ الشيوعي ـ وبعد ذلك كل شعب حر في لغته وثقافته وعاداته وتقاليده .

من هذا المنطلق أباح « تيتو » للمسلمين الألبانيين استعمال لغتهم وثقافتهم ؛ فسرعان ما فتحت المدارس الألبانية على اختلاف

أنواعها فى طول البلاد وعرضها لتعليم اللغة الألبانية ، ثم أسست جامعة « قوصووة » فى عاصمة المقاطعة « برشتنه » وبها كليات العلوم المختلفة ، بل وأنشىء بكلية الآداب قسم للاستشراق تدرس فيه اللغات الشرقية كالعربية والتركية والفارسية والعبرية ، يقوم بتدريسها أساتذة ألبانيون . وتخرج فى هذه الجامعة عدد كبير من القضاة والمحامين والأطباء والمهندسين والأدباء والكيماويين وغيرهم بحيث أصبحت هذه المقاطعة الآن فى مستوى بقية الجمهوريات فى الاتحاد اليوغوسلافى . ويوجد بكليات جامعة « قوصووة » عدد كبير من أبناء البلاد العربية وبخاصة الأردن . وأسست كذلك المطابع لملاحقة حركة التأليف والنشر باللغة الألبانية . وأصبحت وسائل الإعلام المختلفة من مسموعة ومرئية ومكتوبة كلها باللغة الألبانية . فالشيوعية إذن مع كونها ضارة بالقطع ، كانت نافعة للمسلمين الألبانيين من هذه الناحية .

الإسلام والألبانيون الآن فى الجنوب اليوغوسلافى

من المعروف أن النظام الشيوعى يعادى الأديان كلها . لذلك حينما تولى الشيوعيون الحكم فى يوغوسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية ألغوا التعليم الدينى فأغلقت كلية الشريعة الإسلامية والمعاهد الرسمية والأهلية فى مختلف البلاد ، كما ألغيت المحاكم الشرعية



مسجد بشار باشا ببرشتنة

ووظائف الإفتاء والوعظ والإمامة وغيرها ، ولم يبق فيها من مظاهر الإسلام إلا رئيس للعلماء ألبسوه عمامة لم يلبسها فى حياته لأنه لم يكن من أهلها ، ومجلسان صوريان لمعاونة الرئيس الذى لم يكن يملك من أمره شيئا .

وبعد أن بدأت الأمور فى يوغوسلافيا تستقر ، بدأت نظرة « تيتو » إلى الأديان أيضا تتغير . ولما اتصل « تيتو » بزعماء الشرق الإسلامى وزار عدة مرات مصر والسودان وسورية وغيرها . واطلع على أحوالها ، وحضر حفلات كثيرة كان مشاهير القراء يفتتحونها بتلاوة آيات من القرآن الكريم ، واجتمع مع كثير من الزعماء المسلمين المثقفين ثقافة عالية . كل ذلك جعله ـ على ما يبدو ـ يُغَيِّرُ نظرته إلى الإسلام بالذات ، فترك للمسلمين الحرية المطلقة فى التمسك بدينهم وتنظيم شئونهم الدينية .

وبعد أن قضى الدستور الشيوعى الصادر يوم ١٩٤٦/١١/٢٩ على جميع مظاهر

الإسلام افتتح فى سنة ١٩٥٨ أول معهد دينى رسمى للبنين بالعاصمة « برشتنه » ثم بدأت الشئون الدينية تأخذ مجراها الطبيعى .

بنى المسلمون الألبانيون بجهودهم الذاتية من غير مساعدة خارجية معهد « برشتنه » وبنوا فى فنائه مسجداً ، وشيدوا قاعة فخمة للمحاضرات ومكتبة ملأوها بالعلوم المختلفة لينتفع الطلاب بها .

وبدأ المعهد الدينى يصدر مجلات دينية ؛ منها مجلة تصدر كل شهر وأخرى تصدر كل ثلاثة أشهر . والطلاب الذين يتخرجون فى هذا المعهد يعينون فى وظائف دينية . وبعض منهم يبعث إلى الأزهر الشريف حتى وصل عدد هؤلاء الطلاب بالأزهر الشريف فى الوقت الحاضر إلى سبعين طالبا فى السنوات الدراسية المختلفة حتى الدراسات العليا .

وبدأت المطابع تنشر الكتب الدينية المؤلفة باللغة الألبانية ، كما تنشر كتبا دينية مترجمة إلى اللغة الألبانية . وتوجت المطابع عملها بطبع ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الألبانية[١] ، وهناك قاموس عربى ألبانى ربما تم طبعه وخرج إلى السوق .

ونظرا لوجود المسلمين الألبانيين فى ثلاث مناطق بجنوب يوغوسلافيا هى : منطقة قوصووة وعاصمتها « برشتنه » ، وجمهورية ماكدونيا وعاصمتها « اسكوب » ، والجبل الأسود وعاصمته « تيتو جراد » لذلك يوجد فى كل منطقة مجلس يدير الشئون الدينية فيها .

وحالة المسلمين الألبانيين فى المنطقتين الأخيرتين شبيهة بحالة المسلمين فى « قوصووة » . والدولة تساعد إدارات الشئون الدينية العامة بدعم مالى سنويا لأن ريع الأوقاف الإسلامية غير كاف لدفع رواتب القائمين بإدارة الشئون الدينية ورواتب الأئمة والمؤذنين وكذا نفقات المعهد الدينى للبنين .

إنشاء معهد دينى داخلى للبنات

فوجئت قبيل الانتهاء من كتابة هذا البحث بوصول النشرة الدينية - التى تصدرها إدارة الشئون الدينية بعاصمة « قوصووة » كل ثلاثة أشهر - إلى القاهرة تحمل خبراً دينياً هاماً هو صدور قرار رسمى بعد موافقة الجهات العليا بإنشاء معهد دينى ثانوى داخلى لتعليم البنات على نفقة إدارة الشئون الدينية فى أرض المعهد القديم الذى أخلى بعد انتقال طلابه إلى المعهد الجديد الرائع الذى بنى بالجهود الذاتية من غير إعانة خارجية . تتولى إدارة الشئون الدينية جميع نفقات هذا المعهد من رواتب هيئة التدريس والعاملين به ، ونفقات إقامة الطالبات بدار الإقامة وطعامهن وكسائهن والكتب التى توزع عليهن .

ونشرت النشرة المذكورة « الرسومات

←

(١) قام بهذه الترجمة وبتأليف القاموس العربى الألبانى عالم ابن عالم ابن عالم هو الشيخ حسن إسلام يحيى ، حضر القسم العالى فى الأزهر أوائل الثلاثينيات وحصل على العالمية ثم عاد إلى بلاده ليكون فى خدمة الإسلام والمسلمين كما كان أبوه وأجداده . أطال الله بقاءه .

الهندسية » لإقامة مبنى المعهد ومبنى إقامة الطالبات ومبنى المكتبة وقاعة المحاضرات . وستقوم الجهات المختصة قريبا بإزالة مباني المعهد القديم وإقامة المباني الجديدة طبقا للرسومات الهندسية المنشورة في النشرة .

ونرجو من الله تعالى مزيدا من الإشراقات الإسلامية على المسلمين الألبانيين في يوغوسلافيا . وانعكاس آثارها العظيمة داخل ألبانيا الرسمية .

بعد هذا ننتقل إلى الكلام عن « الإسلام وألبانيا الرسمية » بين الحربين العالميتين ، وبعد الحرب العالمية الثانية فأقول وبالله التوفيق .

الإسلام وألبانيا الرسمية بعد الحرب العالمية الأولى

سبق أن ذكرنا فيما مضى اسباب كراهية الشعوب البلقانية المتأصلة في نفوسها منذ ما قبل قرون خمسة من الميلاد ، وكيف حاولت هذه الشعوب تقسيم ألبانيا فيما بينها بعد الحرب البلقانية ، وكيف تمالأت الدول الكبرى بعد الحرب العالمية الأولى إلى جانب الدول البلقانية لولا تدخل الرئيس الأمريكي « ويلسن » فاضطرت الدول الكبرى إلى الاعتراف بوجود الشعب الألباني ، لكنها مع ذلك قسمت ألبانيا إلى ثلاث مناطق ، فقررت ضم المنطقة الكبرى إلى الصرب ، والمنطقة الثانية إلى اليونان ، أما المنطقة الثالثة فقد قررت الاعتراف بها دولة ألبانية مستقلة ذات سيادة ، وهي التي سميتها « ألبانيا الرسمية » وعاصمتها « تيرانا » .

إعلان استقلال ألبانيا يوم ١٩١٢/١١/٢٨

دولة ألبانيا وإن ظهرت في الوجود يوم ١٩١٢/١١/٢٨ ميلادية حيث أعلن السياسي الألباني المحنك « إسماعيل كمال بك » استقلال ألبانيا في هذا اليوم ورفع علمها على « فلونا » عاصمة جنوب ألبانيا إلا أن الاعتراف بها اعترافاً رسمياً نهائياً لم يتم إلا بعد معاهدة (فرساي) . ومع ذلك قامت اضطرابات داخلية بإيعاز من الخارج فتمكن بعض الشيوعيين بتأييد من « لينين » من الاستيلاء على الحكم ، واضطرار رئيس حكومتها « أحمد زوغو » إلى مغادرة البلاد لجمع الشمل . خافت الدول الكبرى من استقرار الشيوعية في ألبانيا ثم انتقالها إلى الدول المجاورة لها ، لذلك سارعت إلى مساعدة « أحمد زوغو » الذي استطاع أن يعود بأعوانه إلى ألبانيا والاستيلاء على العاصمة « تيرانا » وطرد الشيوعيين . بذل « أحمد زوغو » جهودا جبارة أيام رياسته للجمهورية إلى إعلان الملكية حتى تمكن من القضاء على أصحاب مراكز القوى ، وأخضع كل البلاد للحكومة المركزية .

ولما أعلنت الملكية وتولى « أحمد زوغو » عرش ألبانيا واستتب الأمن واستقرت الأمور وجه « جلالته » ـ رحمه الله ـ كل جهوده إلى تنظيم شئون الدولة الداخلية : الإدارة ،

القضاء ، التعليم ، الاقتصاد وغيرها . وأنشأ هيئة إسلامية باسم « قوميتى مسلمان » تتولى إدارة الشئون الدينية ويرأسها أحد كبار العلماء ، وعين فى كل عاصمة من عواصم المحافظات الأربع « مفتيا عاما » على أن يعتبر هؤلاء المفتون العامون مساعدين لرئيس الهيئة الإسلامية العليا ، ولهم نواب فى جميع المراكز باسم « نائب مفتى » يتولى إدارة الشئون الدينية فى مركزه من العناية بالمساجد ، والإشراف على الأئمة والمؤذنين وإلقاء الدروس الدينية فى المواسم والأعياد وفى شهر رمضان المبارك وغير ذلك

وأصدر الملك « أحمد زوغو » مرسوماً بإنشاء إدارة عليا للأوقاف تتولى تحصيل ريع الأوقاف وتتسلم من خزانة الدولة الإعانة المالية السنوية ثم أصدر « جلالته » مرسوماً بإنشاء معهد إسلامى عال بالعاصمة « تيرانا » مدة الدراسة به ست سنوات يدرس الطلاب به العلوم العربية والدينية ولغة أجنبية . وهو معهد داخلى تتولى إدارة الأوقاف نفقاته جميعها . ويعين خريجوه فى وظائف دينية كالإمامة ونيابة المفتين العامين فى المراكز ، وأخيرا كانوا يعينون فى المدارس الحكومية لتدريس الدين الإسلامى لتلاميذها بعد أن أصدر الملك (زوغو) مرسوما بتدريس الدين الإسلامى فى مدارس الحكومة . وأرسلت إدارة الأوقاف العليا على نفقتها بعض خريجى المعهد الإسلامى العالى إلى الجامعات الإسلامية بالخارج . أرسلت بعثات منهم إلى مصر حيث التحق أكثرهم بالأزهر الشريف والبعض الآخر انتسب إلى كلية آداب جامعة القاهرة . وأرسلت أربعة من خريجيه إلى جامعة لاهور الهندية الإسلامية .

وفى منتصف الثلاثينيات وقبيل شهر رمضان الكريم توفيت والدة الملك « أحمد زوغو » وبعد شهر ، ويوم الاحتفال بليلة القدر طلب الملك « أحمد زوغو » من فضيلة شيخ الإسلام السابق العلامة الشيخ « وهبى دبره » الاستعداد للذهاب إلى المملكة العربية السعودية فى موسم الحج القادم ، وحدد له بالاسم أحد كبار العلماء ليكون معه ، يحج أحدهما عن والده والآخر عن والدته .

تاليف الكتب الدينية وطبعها وتوزيعها بالمجان

نشطت حركة تاليف الكتب الدينية باللغة الألبانية وطبعها حيث كانت الإدارة العليا للشئون الدينية تصدر مجلة دينية باللغة الألبانية كل شهر . وتم طبع تفسير للقرآن الكريم باللغة الألبانية . وألف بعض العلماء عدة كتب باللغة الألبانية تناولت السيرة النبوية الشريفة من جميع جوانبها وتم طبعها فعلا . وكان لبعض الأفاضل من العلماء العاملين أمثال : حافظ إبراهيم دالى ، وحافظ على قرايا ، وحافظ عبد الله زملاتى نشاط كبير فى القيام بتأليف كتب دينية باللغة الألبانية فى موضوعات مختلفة ، وكانوا يطبعونها على نفقتهم ثم يوزعونها بالمجان طالبين أجر عملهم هذا من الله « سبحانه وتعالى » .

توالى بناء المساجد فى العاصمة

كانت مدينة « تيرانا » كغيرها من المدن العادية ، لكن بعد ما صارت عاصمة لدولة البانيا اتسعت رقعتها فانشئت أحياء جديدة اقبل سكانها على بناء مساجد بها بجهودهم الذاتية . وفى أحد هذه الأحياء بعد أن تم بناء المسجد فيه بجهود سكانه تألف وفد منهم فذهب إلى استانبول واختار حافظا للقرآن الكريم جميل الصوت ، واتفق الوفد معه على أن يأتى إلى « تيرانا » ليتولى إمامة مسجد الحى ويقيم هو وأسرته على نفقة أهل الحى . وقد زرت هذا المسجد وصليت وراء هذا الإمام قبيل الحرب العالمية الثانية .

الاحتفال بالأعياد الإسلامية والمواسم الدينية

كان للأعياد الإسلامية والمواسم الدينية شأن كبير فى جميع بلاد ألبانيا حيث كانت الدولة تحتفل بعيدى الفطر والأضحى . فتتعطل مصالح الدولة وتغلق المتاجر أيام هذين العيدين . ويتبادل الأقارب والأصدقاء الزيارات مهنئين بالعيد . وكانت الدولة تحتفل كذلك بيوم المولد النبوى الشريف فتتعطل فى هذا اليوم مصالح الحكومة . وتقام الاحتفالات فى مساجد البلاد التى يؤمها المسلمون يستمعون للقرآن الكريم يتلوه إمام المسجد أو بعض حفظة القرآن الكريم من أهل الحى . ويسمعون كذلك قصة ميلاد الرسول « صلى الله عليه وسلم » يشرحها لهم إمام المسجد أو نائب المفتى . ثم يوزع على الحاضرين الشربات والحلويات احتفالا بهذه الذكرى العطرة ، ذكرى مولد الرسول الكريم « صلى الله عليه وسلم » . يشترك جميع سكان الحى ـ كلٌ على حسب سعته ـ ببعض من هذه المشروبات والحلويات يقدمونها إلى اللجنة المشرفة على إقامة الاحتفال لتوزيعها على كل من حضر الاحتفال الكريم بعد انتهائه . ومن الملفت للأنظار أن كل الحاضرين ـ أياً كانوا ـ حتى الذين قدموها للجنة يحرصون على تناول شيء منها من باب التبرك .

احتفال المعهد الإسلامى العالى بالمولد .

كان يوم الاحتفال بالمولد النبوى الشريف فى المعهد يوما مشهوداً فى العاصمة « تيرانا » حيث كان احتفال المعهد بهذا اليوم احتفالا ضخما يحضره رئيس الوزراء والوزراء وكبار رجال الدولة والأعيان وجمع غفير من سكان العاصمة ، كما كان يأتى من البلاد الاخرى إلى العاصمة ـ خصيصا لحضور هذا الاحتفال ـ كثيرون من المسلمين تشدهم الرغبة إلى حضور احتفال المعهد والاستماع إلى قصة مولد النبى الكريم « صلى الله عليه وسلم » وسماع الكلمات القيمة التى كان يلقيها مدير المعهد وأساتذته ، الكلمات التى كان لها أبلغ الأثر فى نفوس الحاضرين .

وكان أثرياء المسلمين الألبانيين يحرصون على زيارة الأماكن المقدسة لاداء فريضة

الحج . فلم يكن يمر عام من غير أن يقوم عدد كبير منهم بحج بيت الله الحرام .

احتلال البانيا

فى اليوم السابع من ابريل لسنة ١٩٣٩ ميلادية قامت إيطاليا باحتلال البانيا ، فاضطر الملك « أحمد زوغو » إلى مغادرة البلاد ومعه ولى عهده الذى لم يكن قد مر على ولادته غير يومين اثنين . ولو قدر لجلالته « رحمه الله » أن يقود البانيا لكان قد نهض بها إلى مستوى الدول الغربية . ولنشطت بها الحركة الإسلامية وبلغت شأواً عاليا ، لأنه كان عنده رغبة قوية فى أن يرى البانيا صورة مثلى متكاملة من الناحية الدينية . ولقد أحسست بمشاعره هذه فى عدة جلسات قدر لى أن أحضرها فى أثناء وجوده بالقاهرة .

ولا أنسى حادثة[٢] حصلت فى شهر رمضان المبارك فى أوائل الخمسينيات حيث زارنى ليلا زائر طلب منى التوجه صباح غد إلى فندق سميراميس المطل على النيل لأمر هام .. فلما وصلت علمت من سفير البانيا لدى مصر أنى مكلف بصحبة وزير[٣] بلاط الملك « أحمد زوغو » لمقابلة الأمير فيصل ـ الملك فيصل فيما بعد ـ وزير خارجية المملكة العربية السعودية الذى كان عائداً من أمريكا والنازل فى الفندق فى طريقه إلى المملكة العربية السعودية . وتم اللقاء فعلا فى الوقت المحدد بالضبط . وكان الحديث الذى دار بيننا خاصا بموضوع دنيوى ، ثم تطرق الكلام إلى الموضوع الهام وهو تكرم صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ـ لما له من مكانة مرموقة فى العالم الإسلامى لكونه حامى الحرمين الشريفين ، ولمقامه الشخصى من جهة أخرى لكبر سنه ـ بالقيام ببذل المساعى الحميدة لدى زعماء البانيا الجدد للإبقاء على الإسلام فى البانيا ولو من حيث الصورة والمظهر . رد الأمير « فيصل » ـ رحمه الله ـ بصوته الهادىء قائلاً : الموضوع الأول يعتبر من الآن منتهيا . أما الموضوع الثانى فيحتاج إلى عرضه على جلالة الوالد .

تمت فيما بعد اتصالات عن طريق القنوات الدبلوماسية وتحدد موعد سفر وفد عال إلى الرياض لمقابلة جلالة الملك عبد العزيز « رحمه الله » . وسافر الوفد فعلا وكان برياسة سماحة الشيخ « صالح مفتى يا » مفتى ألبانيا (رحمه الله) . وفى مساء اليوم الذى وصل فيه الوفد إلى الرياض أذاع راديو فرنسا خبر وفاة سمو الأمير منصور وزير الدفاع السعودى . ذهب الوفد إلى القصر الملكى لتقديم العزاء ، وعرض على المسئولين

←

(٢) ترددت كثيرا فى ذكر هذه الحادثة ، ولكن نظرا لما لها من أهمية ، وأصبحت أنا شاهدها الوحيد الباقى على قيد الحياة قررت أن أذكرها لبيان مدى حرص الملك « أحمد زوغو » على بقاء الإسلام فى ألبانيا .

(٣) هو سعادة « كمال بك مسارة » اليمنى المولد ، كان والده واليا على اليمن حينما كانت ولاية عثمانية . فولد ابنه هذا فى صنعاء ثم صار بعد ذلك وزير بلاد الملك « أحمد زوغو » .

اقتراحا وهو عودة الوفد إلى القاهرة دون لقاء على أن يعود بعد شهر أو شهرين وتكون حالة جلالة الملك قد هدأت . استأذنهم المسئول برهة ثم عاد إليهم وقال : عرضت الاقتراح على صاحب الجلالة فقبله ، وطلب منى أن ابلغكم أولاً : شكر جلالته على مجاملتكم الكريمة ، وثانيا : على أن تحددوا أنتم موعد حضوركم وتبلغونا به .

ثم جدت ظروف سياسية لم تكن في الحسبان . ومن ناحية أخرى انتقل جلالة الملك عبد العزيز إلى رحمة الله فلم يتم اللقاء المرتقب .

هذه الحادثة التى ذكرتها ـ بعد تردد منى ـ باعتبارى شاهدها الوحيد الباقى على قيد الحياة ـ على ما أعلم ـ إنما ذكرتها لأنها تدل على أمرين هامين .

أولهما : حرص المغفور له جلالة الملك أحمد زوغو على بقاء الإسلام في البانيا .

وثانيهما : حرص المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود على الحيلولة دون أفول شمس الإسلام الحنيف .

الإسلام والبانيا الرسمية

بعد الحرب العالمية الثانية

نكب المسلمون نكبة موجعة في البانيا بتولى الشيوعيين حكم البلاد حيث قضوا على كل مظهر من مظاهر الإسلام فيها . حتى المساجد التى بنيت ليذكر فيها اسم الله « تعالى » أدركتها هذه النكبة ، فالبعض منها صار متحفا ، وبقية المساجد حولت إلى نواد وصالات رقص وتمثيل . وضميرى لا يطاوعنى على أن أذكر ما حصل لها ، لأنّ كثيرا من الجرائد والمجلات تولت بيان ذلك بالتفصيل . ومن أراد الاطلاع على ذلك فعليه بجريدة الأهرام الصادرة يوم ١٩٧٩/١١/١٣ ميلادية حيث كتبت تحت عنوان « ١٦٩ » مسجداً وكنيسة في ألبانيا اغلقت أو هدمت أو حولت إلى دور للسينما ، وأرسل الأئمة والقسس للعمل في المزارع والمصانع » ، في هذا العنوان الكفاية فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

هكذا أصبحت البانيا ـ قلب الإسلام النابض في أوروبا أكثر من أربعة قرون ـ منقطعة عن العالم الإسلامى انقطاعا تاما .

لا يزورها وفد إسلامى ، ولا تدعى للاشتراك فى مؤتمر إسلامى حسب علمى .

اشتدى أزمة تنفرجى

هذا المثل السائر يعبر بصدق عن واقع الحياة ، إذ بعد أن وصلت أزمة انقطاع العالم الإسلامى عن ألبانيا ذروتها ظهرت فى الأفق بادرتان من بوادر انفراج الأزمة إن شاء الله .

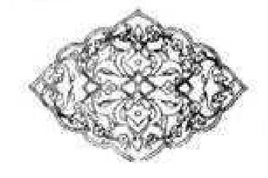
البادرة الأولى : زيارة أول شخصية إسلامية ألبانيا منذ أربعين عاما ، وكانت هذه الشخصية هى سمو الأمير طلال بن عبد العزيز آل سعود . زار ألبانيا قبل شهرين واستقبل رسميا . والأنباء الخارجة من ألبانيا حول هذا الاستقبال وإن كانت قليلة إلا أن الأهرام الصادرة يوم ١٩٨٧/٩/٢٦ م . أشارت إلى « أن الأمير طلال تلقى ترحيبا رسميا فى ألبانيا من (ريتاماركوف) نائب رئيس البرلمان الألبانى الذى أقام حفل عشاء تكريما له » وذكرت بعض الجرائد الأخرى ـ أن الأمير طلال أول شخصية إسلامية تزور ألبانيا من أربعين عاما . وكما صح المثل الأول سيصح إن شاء الله « تعالى » المثل الثانى وهو « أول الغيث قطرة ثم ينهمر » .

البادرة الثانية : أن إذاعة جمهورية مصر العربية بدأت يوم الاحتفال بمولد النبى « صلى الله عليه وسلم » وهو يوم ١٢ من ربيع الأول من هذا العام تبث إذاعة دينية محضة إلى المسلمين الألبانيين باللغة الألبانية مرتين يوميا .

ويسرنى أن أسجل هنا أن إذاعة المملكة العربية السعودية بجدة كانت قد قررت منذ عدة سنوات إرسال أحاديث دينية باللغة الألبانية إلى ألبانيا ، لكنها فى ذلك الوقت ـ رغم سعيها ـ لم تتمكن من العثور على من يرضى من المترجمين والمذيعين بالإقامة فى جدة مدة طويلة .

وأرجو من الله تعالى أن توفق إذاعة جدة لتنفيذ قرارها حتى تزيد قنوات الاتصالات الدينية بالمسلمين الألبانيين ليعلموا أن إخوانهم وإن تأخروا قليلا عن القيام بواجبهم إلا أنهم لا ينسون إخوتهم الألبانيين ، وسيعملون على زيادة هذه القنوات حتى يعودوا ـ هؤلاء وهؤلاء ـ أخوة متحابين « وما ذلك على الله بعزيز » والله ولى التوفيق .

توفيق إسلام يحيى



مفهومية الإسلام لـدى الغـرب

٢

اسباب عدم تفهم الغرب للإسلام على المستويين : الرأى العام ، والمتخصص :

من الواضح الجلى ـ كما يقول « مارسيل بوازار » أنَّ المسلمين لا يحملون فى أعماقهم أفكاراً مطبوعة ومشوهة عن الغرب بقدر ما يحمل الغربيون منها عن الإسلام وذلك لأسباب ثقافية وتاريخية .

أما عن الغربى فإن هناك أسباباً رئيسية من قبل الغرب جعلت الغربى يحمل أفكاراً مشوهة عن الإسلام والمسلمين وهى متنوعة : دينية ونفسية وتاريخية ، ثقافية ، وسياسية ، والآن أيضا : اجتماعية ، واقتصادية وهى أكثر قدما من سوء التفاهم الناشىء من تفسير الأحداث المعاصرة ونجملها فيما يلى :

أولاً : مفهومية الرأى العام الغربى عن الإسلام .

١ ـ المعايير التى أدت إلى تنوع الصور عن الإسلام على مستوى الرأى العام :

أولا : الاستعمار : التجربة التاريخية :

هناك صور تكونت عن الإسلام فى بعض البلاد الغربية وهى التى كانت على علاقة بالشعوب الإسلامية بسبب الاستعمار أو الاتصال الجغرافى .

ثانياً : الاستشراق : التقاليد « الأكاديمية » القومية :

نشأ علم الاستشراق فى سياق تاريخى معين ، ولما كان فى خدمة القوى السياسية والعسكرية والثقافية فإنه من الضرورى أن يتأثر بميولها وخططها ـ وكان قبل تطوره إلى علم منهجى قد خلَّف بعض الأفكار الخاطئة والانطباعات العبثية الحمقاء التى بقيت فى أعماق الوجدان الشعبى وأثرت فى التعليم العام .

ثالثاً : المعيار السياسي : الخلط بين الإسلام والممارسات السياسية :

أدى هذا المعيار إلى نشوء مدرسة فكرية جديدة ، منغلقة على نفسها قليلة التخصص إلا أنها فتية ونشيطة فى عرض الأمور وتقدم إنتاجا ينتشر على نطاق واسع بين جمهور مثقف وغير متخصص تأخذ ثقافتها من الأحداث المعاصرة وترى فيها فرصة مناسبة لإجراء تعليقات بصورة عشوائية وإعداد التحاليل بصورة فوضوية إذ أنها لا تأخذ من

للأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الفيومى

الأمور إلا الطرف المباشر والعابر ومن تلك الأحداث العابرة تقدم صورة الإسلام ، ومع ذلك ، وللأسف لا تقف موقف التفاهم وإنما تقف موقف المجابهة ونذكر على سبيل المثال : عندما يأتى ذكر (آية الله) يسترسلون فى التعليق على ذكر الفروق بين السنى والشيعى وهكذا يأخذون من الأحداث الجارية ـ وهى عارضة ـ ما يقوى طعنهم فى الإسلام وفى العرب ويسهبون فى ذكر الفروق بين السنى والشيعى وكأن الإسلام هو تلك الصورة ..

رابعاً : المعيار الاقتصادى : الخلط بين الإسلام وموارد الطاقة :

ظهر عنصر اقتصادى جديد بالإضافة إلى الميول الغربية نحو تشويه الإسلام فى الغرب حين يعتبر الغرب العالم الإسلامى ـ بكل بساطة وبراءة بمثابة الدول التى تمسك فى أيديها مفاتيح تموين الغرب بمصادر الطاقة ـ وهذا نوع من التأليف الغريب بين الخوف والازدراء يقول مارسيل بوازار متسائلاً :

هل يتساوى الإسلام بالنفط ؟ أى أن الاسلام والنفط بمعنى واحد . فهناك العديد من التعليقات المشوهة التى قد تخدع وتوهم ضمنيا بهذه المعادلة الحمقاء ..

من ذلك أيضا اعتبار (منظمة الدول المصدرة للنفط) ـ حكومة عربية ـ إسلامية ، وغزت تلك التفسيرات الجريئة ، والمنحازة ، فى تفسيرها أعماق اللاوعى الغربى . أما قد حان الوقت للفصل بين النفط والإسلام ؟ يجبُ الابتعاد عن الخلط بين الموارد التى تتواجد فى كل مكان وليس عند العرب وحدهم وبين الإسلام ؟ وعلى الأوروبى : النظر من جديد إلى الإسلام ، على أنه يساعد على إقامة أسس لعالم أفضل قاعدتها التسامح .

خامساً : تجاهُل الإسلام وكانه موضوع هامشى :

هناك بعض البلدان الغربية كالبلدان الاسكندنافية تتجاهل موضوع الإسلام ولاشك أن انعدام المعرفة عن الإسلام يسىء إلى الصورة أكثر من تجمع الأفكار الخاطئة .

سادساً : الأقلياتُ المسلمة :

وهناك الأقليات المسلمة المتواجدة فى الغرب وهم ـ بصورة عامة ـ من مستوى اجتماعى وثقافى أدنى .. ولأسباب اجتماعية أكثر من أن تكون ثقافية لا يساهمون فعلا فى عملية تسهيل الحوار فقط بل يعكسون صورة مشوهة عن الثقافة التى ينتمون إليها .. وهم فى نظر الرأى العام الأوروبى : « عمال مهاجرون » .

تتم حماية ذاتيتهم الثقافية فى المجتمعات العلمانية عن طريق إجراءات دينية بحتة : مثل .. إنشاء زوايا ، وأماكن العبادة ، علما بأن النشاط الثقافى المستقل يكاد ينعدم لانعدام المساعدة المالية من قبل السلطات العامة .

سابعاً : الدبلوماسية العربية والإسلامية :

أما عن المبادلات الثقافية المنظمة رسميا فى إطار الدبلوماسية التقليدية فإنها تتأثر بعلاقة

القوى التى تسيطر على إرادة الدول وتخضع للأهداف السياسية الدولية .. وفى هذا المجال تبدو هيمنة الغرب ظاهرة ، فإنه الأقوى بإمكاناته وأهدافه ، هذا بالإضافة إلى أن التمثيل الدينى لا يمثل فى سفارات العرب لدى دول العالم وذلك لمتابعة ما ينشر عن الإسلام ومتابعة الرؤية الثقافية العربية والإسلامية وذلك بعدما كثرت الجمعيات الإسلامية المختلفة الاتجاه وحاولت أن تخلع اختلافها على الإسلام وتربطه بأطماعها.

ثانيا : مفهومية الأوساط المتخصصة عن الإسلام فى الغرب :

١ - البحث العلمى : القناة الأولى : الاستشراق :

إن علم دراسة الإسلام ، كمذهب علمى أنشأه نابليون بونابرت وذلك أثناء حملته على مصر رغبة منه فى تحسين التفاهم بين المسلمين والأوروبيين وذلك خدمة لمصالحه ومصالح فرنسا فى الشرق .

كان نابليون يحلم بالصداقة مع المسلمين لكى يتمكن من متابعة معركته بنوع من تحالف القلوب ضد بريطانيا العظمى .. وهكذا اصطبغ علم الاستشراق منذ بدايته كعلم مستقل فى نهاية القرن التاسع عشر بالشعور المزدوج وهو مزيج من التعاطف الظاهر لتحقيق المصلحة السياسية .

يرى ادوارد سعيد : أنه أداة مذهبية لمجتمع متقدم يساعد على الحكم على مجتمع أقل تقدما من الناحية المادية وعلى معايرته . وهو مزين بهالة المعرفة والتبحر . وهو بمركزه يستطيع أن يصل إلى إعطاء صورة مشوهة عن الشرق . والشرقى بهذا المعنى هو الرمز المضاد للغربى العقلانى ، والتقدمى .. وأن الشرق فى نظرهم : ليس حقيقة حضارية وإنما مساحة نشأت فى فكر العلماء ذوى الإلهامات السيئة . لذلك لم يساهم نتاج المستشرقين فى تحسين تفهم الإسلام من جانب أو حتى فى إعادة تصويب الصورة التى انطبعت فى الرأى العام الغربى وذلك لأمور منها :

أولا : لأن أعمالهم كانت تقدم فى أكثر الأحيان برطانة علمية معينة يصعب على غير المتخصص استيعابها .

ثانيا : إن الاستشراق ينتمى إلى مراكز العلوم الاستعمارية فى فرنسا وبريطانيا العظمى وهولندا . وكانت الغاية التى يهدف إليها الاستعمار من إنشائه « هو تفهم العقلية الإسلامية على أحسن وجه لتسهل إدارة الشعوب الإسلامية فى النطاق الاستعمارى » .

يقول مارسيل :

وهذا ليس انتقادا وإنما بينةٌ تاريخية وحقيقة لم تعمل القوى الاستعمارية على إخفائها فى ذلك العصر .

ويمكن اتهام الاستشراق بإفراز الانطباعات العرقية والامبريالية والمذهبية والمحافظة عليها وفى نفس الوقت مؤاخذته أيضا على رفض تحليل الأمور السياسية الحقيقية والمتعلقة بمشاكل الدول الإسلامية

وفى الواقع ينبع الضعف الأساسى للاستشراق حاليا من تقوقعه فى أغلاله القديمة ومن هيكلياته المثقلة بالتقاليد الاكاديمية والتخصص المهنى إلى أبعد حد

ممكن .. ومما يضاف إلى ضعفه هو أن معارفه العلمية الصحيحة عن الإسلام والعرب يتراكم بعضها فوق بعض دون أن يعمل على نشرها . لذلك كان تأثير الاستشراق على الراى العام الأوروبى اقل .

١ ـ البحث العلمي : القناة الثانية : المسلمون كاساتذة فى الجامعات الغربية :

هذا النُموذج يعرض الثقافة الإسلامية بصورة علمية وبشكل يؤثر عقلانيا فى الراى العام المثقف الأوروبى .

ولكن الواقع كان غير ذلك فمعظم العلماء ورجال الثقافة فى العالم الإسلامى ينتمون :

إما إلى النخبة المتأثرة بالغرب التى كانت لا تعرف جيداً ثقافتها الخاصة التى انقطعت جذورها العميقة عنها .

وإما إلى فئة الباحثين الدينيين الورعين الذين كانوا لا يعرفون حقيقة العصر ومشاكله[١] .

الصحافـــة :

فى عالم اليوم ، أصبح دور وسائل الثقافة الشعبية فى تكوين وتشويه الصور الثقافية معروفا وبشكل جيد لا يعوزنا التذكير به . وذلك خاضع لأسباب كثيرة منها : أن التكوين الفكرى للصحفيين عام اكثر من أن يكون متخصصا ، بالإضافة إلى جهلهم لغة البلاد ، التى يعنون بأخبارها ، وذلك يقود بالتأكيد إلى الالتباس والاختلاط ، وكذلك يجب الأخذ بالاعتبار عاملا ماديا آخر فأكثرية الصحف الغربية لا تملك الوسائل المالية لإرسال المراسلين إلى بلد ما بصورة دائمة ، ونتيجة لذلك ، تأخذ الوكالات الصحفية هيمنة كبيرة ، إن هذه الوكالات ، رسمية أو غير رسمية تتسم عادة بفلسفة بلادها الأصلية

إن هذا النقص أو القصور له ما يبرره لأسباب سياسية ، ومادية من أهمها : فقدان الدعم « التقنى » هذا فضلا عن طبيعة الصحفى الذى تفرض عليه مهنته البحث عن (الإثارة) وهى من الأمور التى تحرضه على المغالاة والتهويل فى سرد النبأ . وإذا كانت تلك طبيعته الصحفية مع أخبار الوقائع والحوادث . فإن أخلاق المهنة ينبغى عليها أن تفرض عليه تحفظا كبيرا عندما يعالج موضوع الثقافات الأجنبية أو الديانات التى لا يعرفها جيداً .

وهكذا وعندما يذهب الصحفى الأجنبي إلى مكان ما فإنه يرسل لسرد الأحداث الاستثنائية : الحروب والثورات والفواجع الطبيعية الخ .. فيستخدم إقامته القصيرة محليا ، وهو مدفوع بوجدانه المهنى وبحبه للإنتاج ، أن يلتقط المعلومات الخاصة بالعادات والتقاليد ، والمعتقدات ، والصعوبات اليومية ، والطموحات والكبت وكل شيء يتعلق بالشعب الذى يزوره . وبسبب قصر الوقت وقلة المعارف العامة وعدم فهم اللغة المحلية فإنه يلجأ إلى مصادر ثانوية إلى حد ما : كالسفارات والأجانب المقيمين ..

يتبع د . محمد إبراهيم الفيومى

---

١ ـ وينبغى ان نستثنى هنا بعض الشخصيات التي جمعت ـ على مستوى رفيع ـ بين العلم بالإسلام والعلم بحقيقة العصر ومشاكله ، وكان لها ـ بهذا الوضع ـ أثر بليغ حيث حلت بالغرب نذكر منهم فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حب الله مدير المركز الإسلامى بـ « واشنطن » وهو أحد عشرة اختيرت صورهم لتعلق بالكونجرس فى الولايات المتحدة ، ومن أمثاله كثير وإن كانوا ذوى عدد محدود .. مجلة الأزهر .

حفظ الله السودان

الفصل الأخير

إن الإنسان ينتفض فزعا بعد قراءة هذا (الحوار) الذى أجراه رئيس تحرير مجلة « المصور » المصرية مع « جون جرنج » ..

إن هذه العربدة لا يمكن أن تصدر من إنسان يضمر لإنسان أية نزعة إنسانية ، ولا يمكن وصف هذا الحوار وصفا تعبر عنه أية لغة . إنه « عربدة » بكل معنى الكلمة ، وابتزاز دموى من رجل تخرج فى أوكار الحقد والجريمة ..

وإليكم بعض فقرات هذا الحوار الذى تم بين « جرنج » وبين رئيس تحرير هذه المجلة .[1]

س : ماذا لو توصل المهدى والترابى إلى اتفاق حول قوانين الشريعة وأصدرا قانوناً فى المناطق التى يسكنها أغلبية مسلمة ولا يطبق فى المناطق الأخرى .

هل يحل ذلك مشكلتكم مع قوانين الشريعة ؟

جـ : هذه ليست مشكلتنا ، إنها مشكلة تخص السودانيين ، نحن نريد دولة علمانية . فى مصر توجد أغلبية مسلمة ولا توجد شريعة ، وفى نيجيريا يوجد مسلمون ولكن لا يوجد شريعة !

س : ولكن فى مصر هناك من يطالبون بتطبيق الشريعة ، ويوما ما سيطالب المسلمون ، وهم أغلبية ، بتطبيق الشريعة ، لماذا تعارضون ؟

جـ : الأغلبية لا تريد الشريعة ولكن النميرى هو الذى فرضها ، لم يكن هناك انتخابات أو تصويت !

س : من الممكن إجراء استفتاء ؟

جـ : لم يحدث استفتاء حول الشريعة ولكن النميرى فرضها فرضا ، الاستفتاء لم يجر بعد ، النميرى ذهب ولتذهب معه قوانينه .

س : أعتقد أنه من السهل إجراء استفتاء ؟

---

(١) مجلة المصور ، العدد رقم ٣٢٧٩ ـ ٢٠ من ذى الحجة ١٤٠٧ ـ ١٤ أغسطس ٨٧

للأستاذ الدكتور

عبد الودود شلبي

الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية

جـ : من السهل أيضا أن نذهب إلى القمر ؟ الشريعة فرضت على السودان ولم يجر أى استفتاء ؟

س : أظن أن سؤالى واضح تماما : ماذا لو وافقت أغلبية المسلمين على تطبيق الشريعة على أنفسهم فقط دون المناطق الأخرى ؟

جـ : الأغلبية التى تقوم على أساس دينى لا تكون ديمقراطية ، الأغلبية التى تقوم على العنصرية لا تكون ديمقراطية . إذا قررت الأغلبية الأفريقية فى السودان أن تطرد العرب . هل تقبلون أم ترفضون ؟ إذن أى أغلبية تقوم على أساس دينى أو عنصرى فى السودان لن تنجح ؛ لأن السودان متعدد الأديان ومتعدد العناصر .. هذه أغلبية ميكانيكية .

س : ولكن لا يضيركم أن أطبق الشريعة على نفسى كمسلم ؟

جـ : ولا يضير العرب أن أطبق أنا أيضا الأفريقية . المسلمون أغلبية ميكانيكية فى السودان والأفارقة أغلبية ميكانيكية فى السودان هذا حقيقى .

س : لنحاول الخروج من هذا الطرح غير الديمقراطى لنضرب مثلا إذا كان شخص ما مسيحيا ويعارض موقفا معينا فى بلدك وتريد الأغلبية المسلمة تطبيق الشريعة الإسلامية على أنفسهم فماذا يضير هذا الشخص ؟!

جـ : القانون العام يطبق على الجميع ، والقانون المحلى يطبق على أهل منطقة محددة ، هكذا كان الوضع قبل ١٩٨٣ قبل أن يفرض النميرى أحكام الشريعة . فى قريتى توجد تقاليد خاصة هى القانون المحلى . وهذا ما نطالب به أى العودة إلى حالة ما قبل ٨٣ .. نحن نرفض إعلان دولة إسلامية . لقد تعايشنا مع المسلمين فى هدوء من قبل فى الجنوب ولم تكن هناك حاجة إلى فرض الشريعة ، كنا نطبق تقاليدنا وقوانيننا الخاصة . هذا هو وضع ما قبل ٨٣ . الزواج فى قريتى يتم وفقا لتقاليدنا . ا . هـ .

اليس فيما يقوله : إهدار لكل القيم والقوانين فى أى مكان من الدنيا ..

إن قضية السودان كما يقول ارنولد توينبى ARNOLD TOYNBE هى قضية أفريقيا المنقسمة ، ولذا .. فإن السودان إذ يحمل مصيره بين يديه يحمل مصير أفريقيا فى الوقت نفسه فإذا نجح السودان فى ذلك سيكون قد قام بعمل رائد للقارة الأفريقية بأسرها . أما إذا احتدم الصراع فى السودان وأزمن فسوف يؤدى ذلك إلى زيادة التوتر بين قسمى أفريقيا فى كل مكان . وسيتحول « جنوب السودان » طال الزمن أم قصر إلى ثورة للأحقاد والكراهية .. وحين تصل الأمور إلى هذا الحد فلسوف تنقسم أفريقيا إلى

قسمين يتربص أحدهما بالآخر فى كل ناحية .[٢]

تكشف أبعاد هذا الخطر ، وأهداف هذه « الغارة » التى بدأت تقترب من مقدسات الإسلام فى البدو والحضر !!

● ● ●

فى المركز العام للوثائق التاريخية بمدينة لندن . توجد وثيقة تحمل رقم ٥٥٩٥/٣٧١ . كتبها وزير للمستعمرات سابق اسمه « اورمسبى جو » تقول هذه الوثيقة .

« إن الحرب علمتنا ان الوحدة الإسلامية هى الخطر الأعظم الذى ينبغى على الامبراطورية ان تحذره وتحاربه » .

وليست انجلترا وحدها هى التى تلتزم بذلك . بل فرنسا أيضا ..

من دواعى فرحنا ان الخلافة الإسلامية زالت ، لقد ذهبت ونتمنى ان يكون ذلك إلى غير رجعة !

إن سياستنا تهدف دائما وأبداً ، إلى منع الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامى ويجب ان تبقى هذه السياسة كذلك !

إننا فى السودان ونيجيريا ومصر ودول إسلامية أخرى شجعنا ـ وكنا على صواب ـ نمو القوميات المحلية ، فهى اقل خطرا من الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامى : إن سياستنا الموالية للغرب فى الحرب العظمى[٣] لم تكن نتيجة متطلبات « تكتيكية » ضد القوات التركية ، بل كانت مخططة لغرض أهم هو إبعاد سيطرة الخلافة على المدينتين المقدستين مكة والمدينة ، فإن العثمانيين كانوا يمدون سلطانهم إليها لمعان مهمة !

ومن أسباب سعادتنا ان كمال اتاتورك لم يضع تركيا فى مسار قومى علمانى فقط ، بل ادخل « اصلاحات » بعيدة الأثر ادت إلى نقض المعالم الإسلامية لتركيا ؟

وفى إيران ايضا وقع مثل ذلك فإن « رضا شاه » اتبع سياسة تحد من إرادة ومقدرة المؤسسات الدينية ، وادخل القبعة كما فعل الاتراك بكل ما تحمل القبعة من دلالات على رفض العادات الإسلامية والتقاليد الموقرة المتبعة من قبل .

وهذه العادات والتقاليد السائدة فيما كان يسمى قديما بالعالم الإسلامى تجب مقاومتها .

ونبهت الوثيقة فى ختامها إلى ان الوحدة العربية قد تكون حركة تمهيدية لإقامة وحدة إسلامية ، ويعنى الوزير بذلك ضرورة الحذر من هذا الاتحاد حتى لا يواجه الاستعمار خطر عودة الإسلام مرة أخرى !

● ● ●

(٢) جنوب السودان محمد أحمد بشير .

(٣) يعنى الحرب العظمى الأولى .

فى ضوء هذه الوثيقة يمكن أن نفهم لماذا يحرص التنصير على إثارة النعرات والحزازات التاريخية القديمة .

الفرعونية فى مصر ...

والفينيقية فى بلاد الشام ...

والآشورية فى العراق ...

والبربرية فى المغرب ...

والزنجية والنوبية فى السودان ...

أما لماذا ؟ فلأن المسلمين ـ كما يقول « لورانس بروان » فى كتابه « الإسلام والإرساليات » « ISLAM AND MISSISIONS » .

إذا اتحدوا امكن ان يصبحوا لعنة على العالم وخطراً !! او كما يقول « القس كالهون سيمون » إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السود وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوروبية ، ولذلك كان التبشير عاملا مهما فى كسر شوكة كل حركة ، والحيلولة بين الأرقاء والعبيد من التحرر والانطلاق من قبضة الاستعمار الدموية » .

أو ـ كما يقول ـ أندريه جيد : إن اتصال الإسلام بأفريقيا يرفعها ويسمو بروحها [٤] .

يقول منتسكيو : « إذا طلب منى أن أدافع عن حقنا المكتسب لاتخاذ الزنوج عبيداً ، فإنى أقول : إن شعوب أوروبا بعد أن أفنت سكان أمريكا الأصليين ، لم تر بدأ من أن تستعبد شعوب أفريقية لكى تستخدمها فى استغلال كل هذه الأقطار الفسيحة ، والشعوب المذكورة ما هى إلا جماعات سوداء البشرة من إخمص القدم إلى قمة الرأس ، وأنفها أفطس فطسا شنيعا ، بحيث يكاد أن يكون من المستحيل أن ترثى لها ، ولا يمكن للمرء أن يتصور أن الله سبحانه وتعالى ـ وهو ذو الحكمة السامية ـ قد وضع روحا ـ وعلى الأخص روحا طيبة ـ فى داخل جسم حالك السواد .[٥]

أعرفتم لماذا يحارب الإسلام ؟ .. وإن التبشير ليس سوى حركة عنصرية تستهدف تحويل البشر إلى قطيع من الأغنام ؟

● ● ●

كنت فى زيارة إلى لندن منذ عامين ، وقد تعودت فى مثل هذه الزيارة أن أبحث عن أهم الكتب وعما يكتب عن الإسلام فى بلاد الغرب .

وفى لقاء مع أحد الأصدقاء لفت نظرى إلى مقال فى صحيفة الأوبزرفر OBSERVER .. كان اسم الكاتب غريبا وغير مألوف بين كتاب الصحف .. كما كان موضوع المقال عن السودان ومشكلاته التى بدأت تستفحل وتتدهور إلى واقع مؤسف .

وقد اتضح بعد قراءة المقال أن كاتبه مبشر زنجى متعصب ، والأفكار التى طرحها الكاتب تثير الفزع والرعب ، وتنبىء عما يدبر ضد السودان وشعبه فى « الجنوب » [٦]

---

(٤) فى داخل افريقيا ـ تأليف جون جنتر J.GUNTHER ص ٨٥ ـ جـ ١

(٥) دكتور محمد عوض محمد ـ الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ص ٣٧

(٦) جنوب السودان .

و« الغرب »[٧] لقد ذكر هذا الكاتب أن السودان كان بلدا نصرانيا ولابد أن يعود نصرانيا ..

وأن « الحرب » فى« الجنوب » ليست سوى « تجربة » لحروب أخرى ستشتعل فى « كردفان » وجبال النوبة ..

والأخطر من ذلك : أن يذكر هذا « المبشر » أن استغلال ثروات السودان « مؤجل » .. إلى أن يحين الوقت الذى نسمح فيه بهذا العمل !! ، ولن يجىء هذا الوقت .. قبل أن نحدد ـ نحن ـ معالم السودان وشخصيته فى المستقبل ! . أ . هـ .

• • •

فى أحد مؤتمرات القمة الإسلامية ، وقف الرئيس السابق جعفر نميرى يقول : « ستسألون على وجه اليقين عن مشكلة الجنوب ، ستسمعون كذبا كثيرا وافتراء وأساطير ينسجونها حول الجنوب .

الجنوب الذى زرعه الاستعمار قنابل وقّت انفجارها وحدد آثار الانفجار وحسب بدقة نتائجه .

واستأذنكم لأحدثكم عن الجنوب قبل مائة عام واكثر ، كيف كان موقع القلب من السودان الموحد فى قمة الثورة المهدية الإسلامية ، وانقل لكم هذه الفقرة من صفحة ١٦٣ من كتابى « النهج الإسلامى لماذا » .

الجنوب : عذاب التاريخ وهو يتراجع وما اقسى تراجع التاريخ . المهدى العظيم يقاتل البغى ويطارد الاستعمار يشعل ثورة السودان القومية العظمى . بحر الغزال تسانده ، بحر الغزال تبايعه . الدينكا والنوير تطرد (لبتون) قائد الحامية ، وتستقبل قائد المهدى (كرم الله شيخ محمد كركساوى) ليرفع رايه المهدية رمز وحدة السودان فوق ربوع بحر الغزال .

سفن المهدية تتقدم إلى مديرية خط الاستواء . قبائل المديرية تتقدمها تحكم الحصار حول الحاميات . تتساقط وتستسلم لينسحب دكتور أمين حاكم المديرية ويرفع عمر صالح مبعوث المهدى راية الوحدة القومية لتستظل بها مديرية خط الاستواء .

جاء الاستعمار والسودان بلد واحد وشعب واحد .. الإسلام دينه . والوحدة شعاره ، والاتفاق ديدنه لا عدو له إلا الاستعمار ، ولا هدف له إلا القضاء عليه ، فبدأ المستعمر فى تخطيط جريمته الكبرى ضد الإنسانية .

---

(٧) فى كردفان ودارفور وبلاد النوبة .

فرض على أبناء الجنوب تغيير أسمائهم إلى أسماء كنسية . (يوسف) أصبح جوزيف و(جمعة) أصبح قاما وشول ودينق وماجوك وماكيج واوان .

واضافوا إليها أو غيروها إلى وليم وجون وبيتر . طمسوا معالم الجنوب الأصلية . لم يكتفوا بمحاولة فصله من الشمال بل انتزعوه من ذاتيته الفطرية الطيبة .

وفى عام ١٩٢٢ بدأ الاستعمار فى تخطيط سياسة الجنوب أقفلوه فى وجه ابن الشمال الشقيق وبدأت عملية تنصيره وإشعال الفتنة فيه (٨)

أين روح المهدى ؟ وعثمان دقنة ؟ وعمر صالح وكرم الله شيخ محمد والزبير باشا ، والسلطان رابح والشهداء والأبطال الذين سقط تحت أقدامهم الجنرال الظالم غوردون ؟

● ● ●

لقد حدث بعد وصول الانجليز إلى « دنقلة » أن قبضوا على جماعة من أقارب المهدى وقالوا لهم :

« ... اكتبوا إلى المهدى كتابا ليرسل إلينا أهالينا المأسورين عنده ونحن نطلق سراحكم بعد ذلك ، وحين وصل كتابهم إلى المهدى أرسل المهدى إلى أقاربه يقول لهم :

ليس لنا بكم حاجة . لأنكم ظلمتم انفسكم . فلا فرق بينكم وبين الانجليز عندنا .. ومعاذ الله أن نرتكب مالا ينبغى بعد قول الله تعالى :

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (٩)

فإن كان نظركم إلى القرابة فهذه الآية تكفيكم فاصلا عنا وفيما حكاه الله عن نوح وابنه ، وإبراهيم وأبيه مقنع لأولى الألباب . وقد كنا ـ سابقا ـ طالبناكم بالهجرة إلينا والجهاد معنا فما هاجرتم ولا جاهدتم ورغبتم فى تناول الجيف ، ومن أراد أن يأكل من الجيف فليصبر على عض الكلاب .. ترى هل يعنى ذلك زعماء الختمية والأنصار ؟

وهل يتفق الجميع ـ لمصلحة السودان ـ قبل أن تشتعل فيه النار !!

---

(٨) نقلا عن كتاب « سر تأخر العرب والمسلمين » لفضيلة الشيخ محمد الغزالى ص ١٨٢ .

(٩) الآية الأخيرة من سورة « المجادلة » .

نحو تربية إسلامية صحيحة

كلما أمعنت النظر فى القولة العمرية المأثورة «علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم أن يثبوا فوق ظهور الخيل وثبا ورووهم ما عذب من الشعر» ازدادت ثقتى فى جدوى التربية الإسلامية، وتمنيت على الله أن يعود بالزمان القهقرى حتى نشهد البطولات العربية الصحيحة، ونرى الرجولة الحقة التى تحلى بها المسلمون الأوائل فى سلوكهم ومعاملاتهم وتصرفاتهم، أو أن ينفخ فى أبنائنا من روحه حتى ينشأوا على النهج الذى كان سائداً فى صدر الإسلام فصبغ النفوس بصبغة مستقيمة مع مطالب الدين والدنيا.

وعمر بن الخطاب - رضى الله عنه - صاحب هذه القولة المأثورة، هو نتاج المدرسة المحمدية انتفع بتعاليمها، وسار على نهجها، ووضع للمسلمين فى عهده مبادىء للتربية السليمة التى أرسى قواعدها النبى - صلى الله عليه وسلم -

والمعروف أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان المعلم الأول لأمته، وكان الصحابة يتلقون على يديه تعاليم الدين والمعرفة، ولم يكن موضوع العلم مقصوراً على القرآن الكريم، ولكنه كان يتناول كل شىء فى حياة المسلمين، كان يعلمهم مناسكهم وفرائضهم وما يهمهم من شئون الدنيا، ومحاسن الآداب والأخلاق والسلوك.

ومن الأمثلة الآتية التى وردت فى كتب التراجم والأخبار يمكن إدراك المنهج الذى كانت تسير عليه المدرسة الإسلامية فى عهد النبى - صلى الله عليه وسلم -

وصاته لابن عباس:

يذكر الحديث المشهور المروى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - أردفه خلفه ثم قال له: يا غلام إنى أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت

للأستاذ

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف[1] ـ أسد الغابة ٣/٢٩٣ .

إنه يعلمه الاعتصام بالله والثقة فيه والتوكل عليه ، وهو الأساس الذى ينبغى أن يحكم عليه المتعلم أمره ، فمتى استقر ذلك فى وجدانه سار على بصيرة فى حياته وسهل عليه كل أمر يطلبه ، والحكمة العطائية تقول : ما تعسر أمر أنت طالبه بربك ، وما تيسر شىء أنت طالبه بنفسك .

الأخلاق عماد الأمم :

وقد كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حريصاً على تعليم أمته ، وكان يعلم أن الأخلاق هى أهم ما يجب أن يحرص عليه الطالب فى علمه ، ومن أهم دعائم الأخلاق البذل والعفة والاعتماد على النفس فى كسب المعاش ـ روى عدى الجذامى قال : إنه لقى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بعض أسفاره قال : فكأنى أنظر إليه على ناقة حمراء جدعاء وهو يقول : تعلموا أيها الناس فإنما الأيدى ثلاثة فيد الله العليا ويد المعطِى الوسطى ويد المعطَى السفلى ، فتعففوا بحزم الحطب ، اللهم بلغت . أسد الغابة ٤/٧ .

تعليم القرآن :

أما تعلم القرآن فقد شغل وقت الصحابة ، ولاهم أهم منه عندهم ، وكانت الآيات تتنَزَّل فيتسابق المسلمون فى حفظها وكثير منهم كان يكتبها ، وقد كان هناك حفاظ مشهورون يرجع إليهم الناس فى ذلك .

ولكن الذى كان يشغل بالهم إلى جانب ذلك ما يحبون أن يعرفوه من خصائص تلك السور وما يدور حولها من فضائل ـ روى فروة بن مالك قال : أتيت المدينة فقال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما جاء بك ؟ قلت : جئت لتعلمنى كلمات إذا أخذت مضجعى ـ قال : اقرأ قل ياأيها الكافرون ، فإنها براءة من الشرك ـ أسد الغابة ٤/٣٥٩ .

ووفد مجالد بن ثور بن معاوية على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو وابن أخيه فعلمهما « يس » و« الحمد لله رب العالمين » ، والمعوذات الثلاثة : قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، وعلمهما الابتداء ببسم الله رب العالمين ـ أسد الغابة ٥/٦٢ .

منهج متكامل :

ولقد كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم الناس كيف يأكلون ويتطهرون

(١) راجع أيضا مسند ابن عباس بمسند أحمد ـ رضى الله عنهما ـ .

ويصلون ، حدث عكراش بن ذؤيب المنقرى قال : بعثنى بنو مرة بن عبيد بصدقات أموالهم إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقدمت المدينة فوجدته جالساً فى المهاجرين والأنصار ، فأخذ بيدى فانطلق إلى منزل أم سلمة ، فقال : هل من طعام ؟ فأتينا بجفنة كثيرة الثريد والودك ـ الدسم ـ فأقبلنا نأكل ، فأكل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما بين يديه ، وخبطت بيدى فى نواحيها ، فقبض بيده اليسرى على يدى اليمنى ثم قال : ياعكراش كل من موضع واحد فإنه طعام واحد ، ثم أتينا بطبق فيه الوان الرطب ، فجعلت أكل من بين يدى .. فقال : ياعكراش كلْ من حيث شئت فإنه غير لون واحد . ثم اتينا بماء فغسل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يده ثم مسح ببلل كفه وجهه وذراعيه ، ثم قال : ياعكراش هكذا الوضوء مما غيرته النار ـ تحفة الأحوذى ـ أبواب الأطعمة حديث رقم ١٩١٩ ـ

ورأى رجلاً يصلى فى غير أناة فعلمه كيف يصلى .

ورأى راعياً طويل الأظافر فأمره أن يقص أظافره ، ليس فقط للنظافة ـ وهى أمر هام ـ ولكن أيضاً للرحمة بالحيوان الأعجم الذى يؤذى ضرعه فى أثناء الحلب طولُ أظافر هذا الراعى[٢] .

وهكذا كانت تربية النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ تتناول مختلف الاتجاهات العلمية والخلقية والسلوكية .. إنها تربية ذات مناهج متعددة خرجت رجالاً متكاملين فى شخصيتهم وسلوكهم .

ارسال المعلمين :

لقد وضع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسس التعليم الذى لم يلبث أن تطور وازدهر ، وأرسل المعلمين إلى ربوع البلاد يعلمون الناس أمور دينهم ودنياهم ، وقد شجع على تعليم القراءة والكتابة على اعتبار أنهما مفتاح التقدم العلمى ، قال ابن الأثير فى ترجمة عبد الله بن سعيد بن العاص : كان يكتب فى الجاهلية فأمره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يعلم الكتاب بالمدينة ، وكان كاتباً محسناً قتل يوم بدر شهيداً على بعض الأقوال . أسد الغابة ٣/٢٦٣ .

وسار على نهجه عمر ـ رضى الله عنه ـ فقد بعث عبد الله بن مسعود إلى الكوفة معلماً ووزيراً لعمار بن ياسر ، وفى ذلك إحياء لسنة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأرسل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ معاذ بن جبل إلى اليمن معلماً وقاضياً وعلمه قبل أن يرسله واختبره فيما علمه .

وكان مصعب بن عمير أول معلم أرسله النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة مع النفر الاثنى عشر الذين بايعوه فى العقبة الأولى يفقه أهلها ويقرئهم القرآن ، فكان

(٢) تأسف المجلة شديد الأسف لورود هذا الخبر والذى قبله بغير مرجع .. والمجلة إذ تكرر هذا الطلب تود أن يشاركها السادة الكتاب خصيصتها فى الاهتمام بتوثيق المادة .

منزله على أسعد بن زرارة ، وكان يسمى بالمدينة المقرىء ، وأسلم على يديه أسيد بن حضير وسعد بن معاذ ، وكفى بذلك فخراً وأثراً فى الإسلام .

التعليم والرياضة :

وكلمة عمر التى أشرنا إليها فى صدر هذا الحديث لها أصل فى توجيه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمتعلمين ، فقد كان يدعو إلى رياضة الجسم كما يدعو إلى رياضة الروح ، ورياضة الجسم ضرورة لإعداد المجاهدين الذين يرفعون لواء الدين وينشرون كلمة الله .

روى بكر بن عبد الله عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : علموا أبناءكم السباحة والرماية ، ونعم لَهْوُ المؤمنة المغزل ، وإذا دعاك أبواك فأجب أمك ـ الإصابة ٣٤٩/١ ـ أسد الغابة ٢٤١/١ ـ

ياله من توجيه تربوى حكيم ، تناول عدة انجاهات ، فقد علم الفتيان كيف يعنون برياضة أجسامهم لأهداف عليا ، فالسباحة فيها منجاة لصاحبها إذا ركب البحر ، وهى معينة له على الجهاد فى سبيل الله ، والرماية تعلمه كيف يصيب هدفه بإحكام ، وهكذا الشأن فى ركوب الخيل الذى يعلم أخلاق الفروسية وآدابها إلى جانب الجهاد .

وعلى ذلك يجب أن تهدف الرياضة لأهداف كريمة ، بمعنى أن تكون وسيلة لا غاية ..

ويوجه المرأة إلى أن تكون معينة لزوجها ـ وهى فى بيتها ـ على أعباء الحياة ، فلا ينبغى أن تنصرف مع جاراتها إلى القيل والقال وتضييع الوقت فيما لا يفيد ، بل يجب أن يكون لها عمل فى داخل بيتها يشغلها عن كل ذلك ، وخير عمل لها المغزل ومايجرى مجراه فى وقتنا الحاضر من أعمال تناسب طبيعة المرأة دون أن تعرضها للابتذال[٣] .

ويوجه الأبناء إلى طاعة الآباء والأمهات مع معرفة حق الأم بصفة خاصة .

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحذّر من تنعيم الشباب وتدليل الأبناء ، وهذا لايعنى القسوة عليهم ، ولكنه كان يريد تعويدهم الخشونة التى تقدرهم على تحمل الصعاب ، وتحذيرهم من الترف والركون إلى الدعة . روى القعقاع بن أبى حدرد الأسلمى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : « تمعددوا واخشوشنوا وانتعلوا وامشوا حفاة » أسد الغابة ٤٠٩/٤[٤] .

ـ يقال : تمعدد الغلام إذا شب وغلظ ، وقيل فى معناه : تشبهوا بعيش معد بن عدنان ، وكانوا أهل تقشف ، أى كونوا مثلهم ودعوا التنعم وزىّ العجم ـ

وهذا توجيه تربوى سليم ، فما ركن قوم إلى الترف إلا فسدت حياتهم بما تزينه

←

---

(٣) وكم يكون خيرا لو تعلمت ـ فى أسلوب شرعى ـ كيف تخيط ثيابها وثياب أبنائها .
(٤) راجع أيضا مسند عمر بمسند أحمد ـ رضى الله عنهما ـ .

الأهواء لهم وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ الإسراء ١٧ .

وعلى هذا النمط السليم والتوجيه الحكيم انشأ النبى أصحابه الذين أنشأوا دولة الإسلام العظمى .

منهج عمر

وجاء عمر الذى انتفع بتعاليم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كل الانتفاع ، فكانت له توجيهاته النافعة التى استقاها من معين النبوة ، وكلمته تلك المأثورة توجه الرياضيين إلى أن يحرسوا شطط القوة البدنية بسياج من العاطفة المهذبة المستقاة من الشعر النبيل الهادف الذى يدعو إلى مكارم الأخلاق .

ولعمر ـ رضى الله عنه ـ كلمات سباقة فى مجال التربية الإسلامية اشار إليها المرحوم العقاد فى كتابه « عبقرية عمر » نذكر بعضها تذكيرا لعلماء التربية فى عصرنا بما يجب عليهم نحو المثل العليا ، إن أرادوا أن يعودوا بالتربية التى تنشىء الدول إلى سيرتها الراشدة .

قال عمر يوصى ابنه : « يابنى انسب نفسك تصل رحمك ، واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك فإن من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه ، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقا ولم يقترف أدبا » . وقال للمسلمين عامة : « ارووا الأشعار فإنها تدل على الأخلاق » .

وصلة الرحم عن طريق معرفة النسب فيها إثارة للشعور القومى الذى يدعو إلى الاعتزاز بالأمة والحفاظ على الوطن .

وفى حفظ محاسن الشعر تغذية للعاطفة النبيلة بما تهدف إليه هذه الأشعار من كمال الأخلاق وجمال الآداب ، ولعمر ـ رضى الله عنه ـ رأى فى الشعر وهو ديوان العرب فكان يقول عنه فيما يرويه العقاد : « إنه كان علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالغزو ، ولهيت عن الشعر وروايته » طبقات الشعراء .

وعمر هو الذى كان يدعو إلى تعلم العربية وهو فى رأى بعض العلماء الذى أوصى بوضع قواعد النحو التى حفظت للغة روحها وأبقت لها قوامها .

وكان عمر يوصى المتعلمين بمعرفة طرائف الأخبار فإنها علم الملوك والسادة ، وبها تنال الحظوة والمنزلة ، ويقصد عمر بذلك الثقافة العامة التى يحتاج إليها الشباب فى كل زمان ومكان . فهى التى تقضى على الأمية الثقافية التى تشكو منها الدولة .

قواعد للتربية :

ولئن كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد وضع القواعد المثلى للتربية الإسلامية ، وعلم المعلمين كيف يسوسون طلابهم ويصبرون لهم ويعاملونهم برفق ، ورفع من شأن طالب العلم حتى إن الملائكة لتضع

أجنحتها له رضا بما يصنع ، فإن عمر ـ رضى الله عنه ـ قد سار على هذا النهج وأوصى الطلاب بقوله فى هذه النصيحة الذهبية « تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وتواضعوا لمن تعلمون ، ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم » .

إنه يوجه المعلم مثلما يوجه المتعلم . وهذه هى مهمة كليات التربية الآن ، ولا يعوق عملية التعليم إلا تجاهل قواعد التربية الصحيحة .

وصية حكيمة للعلماء

وكأن عمر ـ رضى الله عنه ـ كان يستشف الغيب حين وجه كلامه للعلماء أن يغضوا أبصارهم عن زينة الدنيا فلايتهالكوا عليها طلبا فى الاستكثار ، ويكفى العالم شرفا علمه لأماله ، ورزق يوم بيوم أولى به ، وهذه وصيته لطلاب العلم : « كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم واسألوا الله رزق يوم بيوم ، ولا يضيركم الا يكثر لكم » إن التفقه مقدم على السيادة من غير شك وقولته فى ذلك : « تفقهوا قبل أن تسودوا » .

الا من يقدم هذه النصائح لعلماء اليوم الذين الحت عليهم مطالب الدنيا حتى ألهت الكثير منهم عن أداء حق العلم والدين كما يجب ، وحال التطلع إلى الاستكثار بينهم وبين واجبهم المطلوب منهم ؟

منهج شامل :

وربما يظن ظان أن منهج الدراسة الإسلامية كان مقصوراً على العلوم الدينية فحسب ، كلا . ولكن المنهج كان متسعا لكل جديد مفيد ، وحاثا على النظر فى مختلف العلوم التى يتسع لها العقل البشرى . وعمر يقول : « تعلموا من النجوم مايدلكم على سبيلكم فى البر والبحر ولا تزيدوا » .

وعبارة لا تزيدوا ليست نهيا عن الزيادة فى العلم ، ولكنها نهى عن إساءة استعماله ، ويقول العقاد فى ذلك : « لم يفت عمر الحرص على المعرفة التى تخترع منها منافع للناس فى أمر المعاش فطلب من أبى لؤلؤة أن ينجز ما ادعاه من اختراع طاحون تدار بالهواء وهو علم الصناعات كما انتهى إليه عصره ، لا يضيره أنه قسط ضئيل ، بل حرصه عليه مع ضآلته دليل على مايلقاه منه تشجيع الصناعة يوم يراها جليلة كثيرة الآثار »(٥) .

إن ذلك يدل على أن المنهج الإسلامى لا يقف فى طريق نماء العلم وتميزه حتى يصل إلى الغاية التى تستغنى فيها الدولة الإسلامية عن عطاء غيرها من الدول ، لتكون يد الدولة الإسلامية العليا ، واليد العليا خير من اليد السفلى كما يقول الحديث الشريف المشهور ، وهو حديث جامع يمكن تطبيقه فى كل مجال .

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

---

(٥) وكان قوم الأقرع بن حابس يستخرجون المعدن من أرضهم ، والإسلام يشجع على ذلك ، وحملت كتب الفقه الإسلامى أحكامه .

الفتاوى

الدواجن التي تتغذى بالنجاسات

ثار الجدل فى هذه الأيام حول لحم الدجاج الذى يضاف إلى علفه بعض المواد النجسة أو الكيماوية التى تسرع نموها وتزيد حجمها أو وزنها ، وكان محور الجدل فى نقطتين ، إحداهما صحية والأخرى دينية .

وقد اختلف ذوو الاختصاص والخبرة فى تأثير ذلك على صحة الإنسان ، ما بين مثبت للضرر ، وبخاصة في علاقته بالفشل الكلوى والسرطان ، ونافٍ لهذا الضرر ، وبخاصة بهذه الصورة الرهيبة ، مع إشارة بعضهم إلى أن ما يمكن أن يكون من ضرر فهو ليس بهذا الحجم الذى يحرم تناول هذه اللحوم .

ومبدئياً نقول : مادام لم يجزم أهل الذكر بوجود الضرر البيّن الذى يؤثر تأثيراً بالغاً على الصحة والمال والعقل وسائر ما حاطه الإسلام بالرعاية من أجل تأدية الإنسان وظيفته في الحياة على الوجه المطلوب ، فلا وجه للقول شرعاً بمنع تناوله ، لأن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً ، فما دامت العلة وهى الضرر المذكور غير محققة فالأصل فى الأشياء الحل ، فإن تحققت كان المنع ، وقد جاء الشرع لتحقيق المصلحة ومنع المفسدة ، والله سبحانه يقول : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ سورة البقرة : ١٩٥ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول فى الحديث : « لا ضرر ولا ضرار » رواه ابن ماجة ، والدارقطنى وغيرهما مسندا ، ورواه مالك فى الموطأ مرسلا ، كما قال النووى فى متن « الأربعين حديثاً النووية » وقال : حديث حسن .

وعلماء الإسلام تحدثوا عن هذا الموضوع من قديم الزمان بناء على نصوص وردت فى ذلك منها :

١ ـ عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل الجلالة وشرب ألبانها حتى تحبس . أخرجه الدارقطنى والحاكم والبيهقى ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، وقال البيهقى : ليس بالقوى .

٢ ـ عن ابن عمر أيضاً : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل الجلالة وألبانها ، رواه الخمسة إلا النسائى ، وقال الشوكانى « نيل الأوطار ج ٨ ص ١٢٨ » : حسّنه الترمذى ، واختلف فيه على « ابن أبى

إعداد الشيخ : عطية صقر
عبد الحميد السيد شاهين

نجيح » فقيل : عن مجاهد عنه ، وقيل : عن مجاهد مرسلا ، وقيل : عن مجاهد عن ابن عباس .

٣ ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرب لبن الجلالة .. رواه الخمسة إلا ابن ماجة ، وصححه الترمذى ، وقال الشوكانى : وأخرجه أيضاً أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقى ، وصححه أيضاً ابن دقيق العيد ، ولفظه : وعن الجلالة وشرب ألبانها .

٤ ـ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لحوم الحمر الأهلية ، وعن الجلالة ، عن ركوبها وأكل لحومها . رواه أحمد والنسائى وأبو داود . وقال الشوكانى : أخرجه أيضاً الحاكم والدارقطنى والبيهقى ، وفى الباب عن أبى هريرة مرفوعاً ، وفيه النهى عن الجلالة . قال فى التلخيص : إسناده قوى .

هذا بعض ما ورد عن الجلالة ، والكلام فى هذا الموضوع يدور حول تعريف الجلّالة ومناط النهى ، ودرجة هذا النهى وما ينبغى أن يتخذ حيالها . وما المنهى عنه منها :

أ ـ فالجلّالة هى كل ما يتناول العَذِرَة ـ بكسر الذال ـ والأرواث ، مأخوذ من الجَلَّة ـ بفتح الجيم ـ وهى البعرة ـ وهى تشمل الإبل والبقر والغنم والدجاج والأوز ، وغيرها من كل ما يتناول هذه المواد .

قال العلماء : ولا يطلق عليها وصف الجلّالة إلا إذا كان غالب علفها من النجس ، كما جزم به النووى فى تصحيح التنبيه ، يقول الخطابى : فأما إذا رعت الكلأ واعتلفت الحب ، وكانت تتناول مع ذلك شيئاً من الجلة فليست بجلالة ، وإنما هى كالدجاج المخلّاة ونحوها من الحيوان الذى ربما نال الشىء منها وغالب غذائه وعلفه من غيره ، فلا يكره أكلها ، وجاء فى حياة الحيوان الكبرى للدميري « مادة سخلة » قوله : واختلفوا فيما يناط به الحرمة والكراهة ، فقال الرافعى عن « تتمة التتمة » : إنه إن كان أكثر أكلها الطاهرات فليست بجلالة ، والأصح أنه لا اعتبار بالكثرة ، بل بالرائحة ، فإن كان يوجد فى مرقها أو فيها أدنى ريح النجاسة وإن قلّ فالموضع موضع النهى ، وإلا فلا ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن موضع النهى ما إذا وجدت رائحة النجاسة بتمامها أو كانت تقرب من الرائحة ، فأما إذا كانت الرائحة التى توجد يسيرة فلا اعتبار بها ، والصحيح الأول ، إلحاقاً لها بالتغير اليسير بالنجاسة فى المياه : فإن علفت الجلالة علفاً طاهراً مدة حتى طاب لحمها وأزالت النجاسة زالت الكراهة . ولا تقدر مدة العلف عندنا بزمن ، بل المعتبر زوال الرائحة بأى وجه كان .

ب ـ يؤخذ من هذا أن مناط النهى هو وجود رائحة النجاسة وتغير اللحم أو اللبن أو البيض ، وذلك تابع فى الغالب إلى كثرة ما تعلف به الدابة من النجاسة أو قوة تأثيره ، يقول الدميرى : ثم إن لم يظهر بسبب ذلك تغير فى لحمها فلا تحريم ولا كراهة ، ويقول القرطبى فى تفسيره « ج ٧ ص ١٢٢ » بعد ذكر الجلالة : وقال العلماء : كل ما ظهر منها ريح العذرة فى لحمه أو طعمه فهو حرام ، وما لم يظهر فهو جلال . وقال الخطابى : هذا نهى تنزيه وتنظف ، وذلك أنها إذا اغتذت الجلة وهى العذرة وجد نتن رائحتها فى لحومها .

جـ ـ فإذا وجدت الرائحة أو تغير اللحم طعما وقال العلماء بمنع تناول لحمها وما ينتج عنه ، فما درجة هذا المنع ؟ هل هى الحرمة أو الكراهة ؟ يقول الشوكانى : والنهى حقيقة فى التحريم . فأحاديث الباب ظاهرها تحريم أكل لحم الجلالة وشرب لبنها وركوبها ، وقد ذهبت الشافعية إلى تحريم أكل لحم الجلالة ، وحكاه فى البحر عن الثورى وأحمد بن حنبل ، وقيل : يكره فقط ، كما فى اللحم المذكى إذا أنتن قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لو غذى شاة عشر سنين بأكل حرام لم يحرم عليه أكلها ولا على غيره ، وهذا أحد احتمالى البغوى .

قال الدميرى فى السخلة المرباة بلبن كلبة أن لها حكم الجلالة . فيكره أكلها كراهة تنزيه على الأصح فى الشرح الكبير والروضة والمنهاج ، وبه جزم الرويانى والعراقيون . وقال أبو إسحاق المروزى والقفال : كراهة تحريم ، ورجحه الإمام والغزالى والبغوى والرافعى فى المحرر .

ثم قال الدميرى : وسئل سحنون من فقهاء المالكية عن خروف أرضعته خنزيرة فقال : لا بأس بأكله ، وقال الطبرى : العلماء مجمعون على أن الجدى إذا اغتذى بلبن كلبة أو خنزيرة لا يكون حراما ، ولا خلاف فى أن ألبان الخنازير نجسه كالعذرة ، وقال غيره : المعنى فيه أن لبن الخنزيرة لا يدرك فى الخروف إذا ذبح بذوق ولا شم ولا رائحة ، فقد نقله الله تعالى وأحاله كما يحيل الغذاء ، وإنما حرم الله تعالى أكل أعيان النجاسات المدركات بالحواس ، كذا قاله أبو الحسن على ابن خلف بن بطال القرطبى فى شرح البخارى .

ووفاته سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، وهو أحد شيوخ أبى عمرو بن عبد البر رحمة الله تعالى عليه .

انتهى ما فى الدميرى .

د ـ وإذا كان المنع من أكل لحم الجلالة وشرب لبنها منوطا بوجود النتن والتغير فى الطعم والرائحة ، فكيف تزول هذه العلة حتى يزول المنع ؟

قال جماعة : يكفى زوال الرائحة والطعم بأية وسيلة من الوسائل ، وقال آخرون : لابد من حبس الدابة مدة حتى تزول الرائحة ، وقال جماعة من هؤلاء لابد مع الحبس من العلف الطيب ، وبدون ذلك يكره أكل اللحم وشرب اللبن ، جاء فى تفسير القرطبى : وقال أصحاب الرأى والشافعى وأحمد : لا تؤكل حتى تحبس أياما وتعلف علفا غيرها ـ يعنى غير الجلة ـ فإذا طاب لحمها أكلت . وكان ابن

عمر يحبس الدجاج ثلاثا ثم يذبح . وقال إسحاق : لا بأس بأكلها بعد أن يغسل لحمها غسلا جيداً ، وكان الحسن لا يرى بأساً بأكل لحم الجلالة . وكذلك مالك بن أنس .

ويقول القرطبى : ومن هذا الباب نهى أن تلقى فى الأرض العذرة ، عن ابن عمر أنه كان يكرى أرضه ويشترط ألا تدفن - تسمد - بالعذرة ، وروى أن رجلا كان يزرع أرضه بالعذرة فقال له عمر : أنت الذى تطعم الناس ما يخرج منهم . انتهى .

يقول الدميرى فى كتابه حياة الحيوان « مادة دجاج » وفى الكامل والميزان فى ترجمة غالب بن عبد الله الجزرى - وهو متروك - عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ كان إذا أراد أن يأكل دجاجة أمر بها فربطت أياما ثم يأكلها بعد ذلك . وذكر فى مادة « سخلة » حديث ابن عمر فى نهى النبى ﷺ عن أكل الجلالة وشرب ألبانها حتى تحبس .

وجاء فى « نيل الأوطار » للشوكانى : قال ابن رسلان فى شرح السنن : وليس للحبس مدة مقدرة ، وعن بعضهم فى الإبل والبقر أربعون يوما ، وفى الغنم سبعة أيام ، وفى الدجاج ثلاثة ، واختاره فى المهذب والتحرير ، قال الإمام المهدى فى البحر : فإن لم تحبس وجب غسل أمعائها مالم يستحل ما فيه استحالة تامة .. وقد اختلف فى طهارة لبن الجلالة ، فالجمهور على الطهارة ، لأن النجاسة تستحيل فى باطنها ، فيطهر بالاستحالة ، كالدم يستحيل فى أعضاء الحيوانات لحما ويصير لبنا .

ويقول الدميرى : فى « مادة سخلة » بعد نقل ما قيل عن مدة الحبس وأنها محمولة على الغالب عندهم : فإن لم تعلف لم يزل المنع بغسل اللحم بعد الذبح ولا بطبخه وشيه وتجفيفه فى الهواء وإن زالت الرائحة بمرور الزمان عند صاحب التهذيب ، وقيل بخلافه .

هـ - هذا ، والممنوع فى الجلالة بوصف كونها جلالة . هو أكل لحمها وشرب لبنها وكذلك أكل البيض ، وأيضا حمل الأمتعة عليها ، وركوبها بغير حائل بين ما يحمل عليها وبين جلدها ، وذلك على سبيل الكراهة فى الركوب .

بعد العرض لأحاديث الجلالة وأقوال العلماء نستخلص أن الدواب التى يخلط علفها بمادة نجسة ولم يظهر فساد فى لحمها أو لبنها أو بيضها . ولا ضرر فى تناوله لا يحرم أكل ذلك ولا يكره ، لزوال علة النهى وهى الفساد . أما إن كان علفها كله من مادة نجسة وظهر فساد اللحم واللبن والبيض فالخلاف موجود بين الحكم بالحرمة أو الكراهة التحريمية أو الكراهة التنزيهية ، وإن لم يكن فساد فلا حرمة ، والأولى علفها بمادة طيبة مدة من الزمان حتى تقبل النفس عليها ، فإن بعض النفوس لا تقبل الحلال الذى لاشك فى حله ، فقد امتنع النبى ﷺ عن أكل لحم الضب وهو حلال ، وجاء فى الصحيحين أنه قيل له : أحرام هو ؟ قال . لا ، ولكنه لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه » وفى رواية مسلم .. « لا آكله ولا أحرمه » وفى رواية « كلوه فإنه حلال ، ولكنه ليس من طعامى » . وكلام الأطباء والمختصين فى هذا المقام له وزنه إن أجمعوا عليه .

عطية صقر

الفتـــاوى

س : من المواطن / صلاح الدين . ع . ص . مصر الجديدة

ارجو الإفادة عن الأحكام الشرعية فيما يتعلق في مثل هذه الحالة .

أولاً : تزوج رجل مسلم الديانة بسيدة إيطالية مسيحية الديانة زواجا على الشريعة الإسلامية وذلك منذ تسعة عشر عاما زواجا موثقا .

ثانيا : مكثت الحياة الزوجية بين الزوجين لمدة تسعة عشر عاما وانجبا فيها ثلاثة أولاد أحدهم في سن الثامنة عشرة والثاني في سن السابعة عشرة واصغرهم في سن الثالثة عشرة .

ثالثا : هجرت بيت الزوجية واستولت عند هجرها على اثاث البيت بالإضافة إلى التحف الأثرية ذات القيمة التي تحق للزوج ثم رفعت دعوى أمام المحاكم الإيطالية تطلب فيها الطلاق فحكم لها القاضي بذلك فطلقها الزوج بناء على طلب القاضي .

رابعاً : طالبت الزوجة بحضانة الابن الأصغر وهو في سن الثالثة عشرة واستولت على الشقة التي يمتلكها الزوج واستولت على أثاث الشقة وملابسه وحاجاته الشخصية كما طلبت منه ان ينفق عليها مدى الحياة .

والمطلوب هل يجوز لها أن تضم ولدها إليها مع احتفاظها بدينها وبلوغ الطفل ثلاثة عشر عاما ؟

هل يجوز لها الاستيلاء على شقة الزوج مع كل ما فيها من اثاث وتحف وملابس تخص الزوج واشياء خاصة به ؟

وما مدة عدتها التي يلزم فيها الزوج المسلم بالإنفاق عليها بعد الطلاق .

وهل لها حقوق زيادة على ما تقدم ؟ .

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين . أما بعد فنفيد بأنه :

إذا تزوج المسلم بمسيحية كان لها من الحقوق ما للمسلمة وعليها من الواجبات

ما على الزوجة المسلمة ، فإذا طلقت بناء على طلبها أو بسبب منها حُرِمَتْ من نفقة المتعة ووجب لها مؤخر الصداق إن كان لها صداق متأخر ونفقة العدة هى مدة عدتها . والعدة هى ثلاث عادات(١) شهرية إن كانت من ذوات الحيض ، ووضع الحمل إن كانت حاملا ، وثلاثة اشهر إن لم تكن من ذوات الحيض ولا من ذوات الحمل ما لم تَدَّعِ انها حامل فيقضى لها بنفقة سنة وتقدر النفقة على حسب حال الزوج يسارا وإعسارا ، ولها حق الحضانة لأولادها المسلمين إلى سن السادسة وهى السن التى يعقل فيها الصغير الأديان ، لأن والدته غير مسلمة ثم يسلم إلى والده المسلم .

وإذاً فلا حضانة لها فى ولدها البالغ سن ثلاثة عشر عاما .

اما اثاث المنزل فهو حق خالص للزوجة إلا ما كان من خاصة الرجل كملابسه وتحفه وغير ذلك .

اما شقة الزوجية فإنها تكون ملكا خالصا للزوج إلا إذا كانت الزوجة حاضنة لولدها البالغ سن السادسة فتكون الشقة للطفل المحضون وللأم تبعا له وليس لها حقوق سوى ذلك .

(١) حيضات .

س : من المواطن / س . م . عسقلانى

امراة اشترت قطعة ارض وسجلتها باسم أولادها الأربعة الموجودين على قيد الحياة ، الذكور منهم والإناث ، ثم رزقت بعد ذلك بأولاد غير هؤلاء وتوفيت . فلمن تكون الأرض المشتراه والمسجلة باسم اولادها الأربعة الأول .

جـ : نفيد أنه مادامت السيدة أم الأولاد الأربعة اشترت الأرض وسجلتها باسم أولادها الذكور والإناث الموجودين فى هذا الوقت فالأرض اصبحت ملكا بالتساوى لمن كتبت له ، وليس لأولادها الذين أنجبتهم بعد ذلك حق فى الأرض المشتراه والمسجلة باسم أولادها الأول .

س . من السيد / ف . ق . هلال من الشرقية .

توفى رجل عن ام ، اخت شقيقة ، إخوة لأم ذكورا وإناثا ، عمين شقيقين فمن يرث وما نصيبه ؟

للأم السدس فرضا لوجود عدد من الإخوة والأخوات ، وللأخت الشقيقة النصف فرضا

الفتاوى

لانفرادها ولعدم من يعصبها أو يحجبها ، وللإخوة لأم الثلث فرضا لعدم من يحجبهم يقسم بينهم للذكر مثل الأنثى ، ولا شيء للعمين الشقيقين لاستغراق الفروض التركة ..

س : من السيدة / ع . أ . غ . درويش - الزمالك

تزوجت من مليونير سعودى مقيم بالقاهرة فى عام ١٩٧٥ م . وكنت امراة ثيبا واستمر زواجنا حتى طلقنى فى غضون شهر اغسطس سنة ١٩٨٦ . دون حضورى مجلس الطلاق ولم انجب منه اولادا . مع الإحاطة بأن هذا الزوج له ثلاثة اولاد من زوجة أخرى . والمطلوب تحديد حقوقى الشرعية من بعد زواج دام أحد عشر عاما تقريبا علما بانه مليونير سعودى وجميع املاكه الموجودة بالسعودية باسماء ابنائه من الزوجة الأخرى .

وله حصص فى شركات على حافة الإفلاس ، وله نقود سائلة بالبنوك وأريد معرفة حقوقى والتزاماتى .

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .... فإن السائلة لها نفقة عدة تقدر بثلاث حيضات إن كانت من ذوات الحيض وإن لم تكن من ذوات الحيض وليست حاملا فعدتهاثلاثة أشهر ، ولها نفقة الأشهر الثلاثة . ولها نفقة المتعة لا تقل عن سنتين من النفقة وللقاضى أن يزيدها حسب طول المدة الزوجية (من ثلاث سنوات إلى ثلاث سنوات ونصف) .

وعادة يقضى القاضى بالنفقة الشهرية حسب غنى الزوج ويساره أو إعساره ، وغالبا ما تكون ما بين ٢٥٪ و٣٠٪ من عائد الدخل الشهرى .

وكل ما أعطاه الزوج لزوجته حال الزواج من هبات دون عوض فهى ملك خالص للزوجة لايجوز الرجوع فيه .

وعلى الزوجة أن ترد لزوجها كل ما أخذته من حاجياته الخاصة ، وترد إليه أيضا كل ما أخذته دون أن يأذن لها فيه ، والله تعالى أعلم .

عبد الحميد السيد شاهين

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

من وحي الإسراء والمعراج

في موكب النور

جمر بقبضتي

من وحي الإسراء والمعراج

للأستاذ: محمود شاور ربيع

من ساحة البيت الحرامْ مسراك ياخير الأنامْ
وعلى البراق يشع نورك بين زمزم والمقام
واتيتَ للاقصى سُرًى وخطوتَ تسبق للامام
والرسل كنت إمامهم أكْرِمْ بشخصك من "إمام"
وسموت قُدْسِيَّ الخُطَى وعلوتَ اطباق الغمام
أنت النبيُّ المصطفى مسكَ النبوة والخِتام
حتى بلغتَ المنتهى واخذتَ تدنُو في سلام
جبريلُ عنك تاخرت خطواته دون اقتحام!
هذا مقامي فَلْأقِفْ كل له مِنَّا مقام
الله قد ادناك منه عُلاً واسمعك الكلام
وحباك خير هدية تَهْدِي إلى الخير الأنام
إن الصلاة ذخيرة للناس في يوم الزحام
هي قصة الشرف الرفيع، ومِنَّةُ المنن الجسام
المشركون تَفَزَّعُوا منها وَلَجُّوا في الخصام
لكن ابو بكر اتى وعلى محياه ابتسام:
صدق النبي فإنه بالصدق يعرفه الكرام
والله ربي قادر سبحان من يحيي العظام
والأمر رهنُ قضائه وبامره يسري الغمام
ذكراك ياخير الورى عيد لنا في كل عام.

في موكب النور

شعر : رشاد محمد يوسف

اشرب من النور وامنح كل ظمآنِ هذا الرحيق سماوى وربانى
اشرب من النور حتى ترتوى آلَقًا وتستحيل بفضل الله نورانى
طُفْ بالعطاشى وصُبَّ الكاس صافية من منبع زاخر بالفضل ريّان
طف بالحيارى وَرَتِّل فى مسامعهم لحن الأمان لقلب خائف عانى
ياساقى الود مازالت منابعنا فياضة الود من روح وريحان
عهد النبوة مازالت ذخائره مضيئة فى حنايا كل إنسان

•

مُحَمَّدِيٌّ انا يزهو بنسبته إلى نبى رفيع القدر والشان
محمدى انا تعتز قافيتى باحرف الاسم فى حب وتحنان
محمدى انا والكون يعرفنى مذ أشرق الغار من انوار قرآن
يقفو خطاه ويستهدى بسنته ويعزف اللحن من اوتار حَسَّانِ

•

مازال صوتُ رسولِ الله يغمرنا باطيب القول من بر وإحسان
الم يناد بنا : لا فضل بينكمُ إلا لقلب بتقوى الله ملآن ؟
الم يناد بنا: كونوا سواسية وعطروا الكون من علم وعرفان ؟
الم يناد بنا: هبوا ولا تهنوا لا تركنوا لنفاق او لبهتان ؟
الم يناد صِلُوا فالْوَصْلُ مرحمة وجاركم فى حماكم آمن هانى ؟
تَراحَمُوا تُرْحَمُوا كُلٌّ وما كسبت يمينُهُ فى سجل عند رحمن .
واصدقوا ربكم واسعوا لطاعته وشيدوا فى رضاه خير بنيان

•

ياسيدى المصطفى والقلب فى كمد ينوء بالعيش فى هم واشجان
كم ضاع منا وكم تاهت مسيرتنا وكم تبدد من عز وسلطان
نشتاق ايامك الخضراء تسعدنا نهفو إلى النبع من آن إلى آن
نسقى الرضاب به عزما وتبصرة ونجمع الشمل فى صدق وإيمان
يابارك الله فى يوم ولدت به وبارك الله فى صحب وإخوان

جمر بقبضتي

شعر: أحمد محمود مبارك

اجاهد نفساً لا تكفُّ ميولُها
واسعى بها للنور من بعد ظلمةِ

وادفع بالتقوى نوازعَ لم تزل
تشد إلى سفح الغواية خُطوتى

فسمعى تناديه ليالٍ طويتُها
بلحن الهوى والسحر فى كل غُنوة

وتخرقُ اطيافٌ من الامس حاضرى
تشاغلُ قلبى من فتونٍ ونظرتى

عرائس غَيٍّ قد اذاها ترفُّعى
فراحت بكل الجهد تسعى لزَلَّتى

وترثى لحال القلب ذاك الذى نأى
وخلّف مغناها ولاذ بعفةِ

وأُدركُ ما تخفى لمن تستميلُهُ
وكيف تُذيبُ السمَّ فى كل متعةِ

ولكن لأن الطين منه خلقتنى
فمازلت اخشى من شراك الخطيئةِ

فهذى خيوط الإثم فى كل خُطّوة
وهذى جيوش الغىّ من حول قلعتى

رضاك حصونٌ لا يُهَدَّدُ أمنُها
فَهَبْنِى رضاً يارب يودى بخشيتى

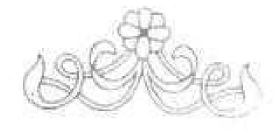
اغثنى إذا ما النفس مالت إلى الهوى
وايد بفضلٍ منك عزمى وتوبتى

فإنى بدنيا قد تكاثر شرها
وقد اضحت التقوى كجمر بقبضتى

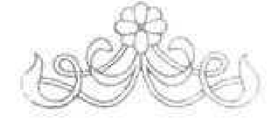
ومالى - ومنك العون والنور والهدى -
سواك معينٌ ارتجيه لنجدتى

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم



لغة الحاسب الآلي



أو ركشرات الحشرات



الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

العمق الثالث والعشرون

العمق الثالث والعشرون :

يتصل هذا العمق بما جاء فى كتاب الله العزيز خاصاً بخلق الإنسان ابتداء من الطين ، الذى هو تراب غير مخلق مشرب بالماء ، إلى مراحل الجنين فى رحم الأم ، فالإنسان المكتمل :

١ - ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا .... ﴾ الأنعام (٢)

يعنى هو الذى بدأ خلقكم من طين ، ثم قدر الحياة لكل منكم إلى أجل ينتهى بالموت .

٢ - ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ المؤمنون (١٢)

إشارة إلى أن أصل البشر (آدم) خلق من خلاصة من الطين . ويتكرر هذا المعنى فى قوله تعالى :

٣ - ﴿ .... وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾ السجدة (٧)

٤ - ﴿ .... إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ الصافات (١١) .

والطين اللازب هو : اللاصق بعضه ببعض .

٥ - ﴿ ..... إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ ص (٧١)

٦ - ﴿ .... خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ ص (٧٦) .

الماء ضرورى للحياة وهو أساسها :

جعل الله تعالى من الماء كل شىء حى :

١ - ﴿ ...... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ...... ﴾ الأنبياء (٣٠)

وتقرر هذه الآية الكريمة معلومة علمية أثبتها أكثر من فرع من فروع العلم :

١ - فقد أثبت علم الحياة أن الماء يحتل اكبر نسبة بين سائر المواد التى تتركب منها الخلية الحية ، وهو البناء الداخل فى كيان كل كائن حى نباتاً كان أو حيواناً .

٢ - وأثبت علم الكيمياء الحيوية أن الماء لازم لحدوث كافة التفاعلات والتحولات التى تتم داخل أجسام الأحياء ، فهو إما عامل مساعد أو داخل فعلاً فى التفاعلات أو ناتج منها .



٣ ـ واثبت علم وظائف الأعضاء أن الماء ضرورى لقيام كل عضو بوظائفه التى بدونها لا تتوافر للعضو المقدرة على العمل وتنقصه مظاهر الحياة .

ويؤدى فقد الماء إلى الجفاف وانتهاء الحياة . ولا يستطيع الإنسان أن يعيش بلا ماء أكثر من نحو ثلاثة أيام .. وفى حالات الشيخوخة أو المرض يستهلك الماء وتقل مقاديره فى الدم ومن ثم تقل مقادير الدم ذاته مما يقلل الوعى ، ويدنى البصر ، ويضعف السمع ، ويتلف الكلى ، وتتصلب المفاصل ..

٢ ـ ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً . . . ﴾ الفرقان (٥٤) أى جعله ذكوراً وإناثاً ذوى قرابة بالنسب والمصاهرة .

٣ ـ ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ . . . . ﴾ هود (٧) والمراد ـ والله أعلم ـ لم يكن الوجود أكثر من عالم الماء ، ومن فوقه العرش وهو من الغيبيات .

وعلى أية حال ، يتركب جزىء الماء من ذرة واحدة من غاز الأوكسجين وذرتين من غاز الأيدروجين ، الذى هو الغاز الكونى المنتشر فى أرجاء الكون ، ويدخل فى تكوين سائر النجوم ، فشمسنا مثلاً يسود فيها الأيدروجين الذى يتحول بالنشاط النووى إلى غاز الهيليوم . وتعيننا هذه المعلومة على حساب عمر الشمس .

التراب أو مساحيق مواد الأرض :

يقول الخالق العليم :

١ ـ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ ـ الحج (٥) ـ

والمعنى أنكم فى الأصل من تراب (أصل آدم عليه السلام) ، وأطوار الجنين هى النطفة ـ وهى ماء الرجل وبويضة الأنثى ثم العلقة التى تعلق بجدار الرحم لتتغذى من دم الأم ، ثم المضغة المخلقة وغير المخلقة وهى على هيئة قطعة اللحم الممضوغ أو الدم المتجمد كما سنبين فيما بعد . كل ذلك لكى نبين لكم قدرتنا على بدء الخلق والتدرج فى التكوين . ونبقى فى الرحم ما نشاء من الأجنة حتى تكتمل مدة الحمل فنخرجكم أطفالاً ، ثم نرعاكم لتبلغوا تمام العقل والقوة . ومنكم من نتوفاه ، ومنكم من نمد له فى أجله حتى يهرم ويذهب علمه ويقل إدراكه . وثمة دليل آخر يدل على قدرتنا فحواه أنك ترى الأرض قاحلة يابسة جرداء فإذا أنزلنا عليها الماء دبت

الحياة فيها وتحركت قشرتها ثم أنبتت من ألوان النبات ما يحلو النظر إليه وتبتهج النفوس به .

٢ - ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً . . . . ﴾ فاطر (١١) أى جعلكم ذكوراً وإناثاً ..

٣ - ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ . . . . . ﴾ ـ آل عمران (٥٩) ـ ، أى خلق عيسى من غير أب كما خلق آدم من غير أب وأم .

٤ - ﴿ . . . . أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴾ ـ الكهف (٣٧) ـ

٥ - ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ ـ الروم (٢٠) ـ

النطفـة :

النطفة كما سماها القرآن الكريم هى الماء المهين ، أو الماء الدافق ، أو المنى ، كلها مترادفات لماء الرجل الذى يصب فى الأرحام . وقد تعنى كذلك أولى مراحل الحمل وهى البويضة الملقحة ـ أو البويضة التى يفرزها أى من مبيض الأنثى وقد لقحها حيوان الرجل المنوى : ويجىء ذكر النطفة فى كتاب الله العزيز فى العديد من الآيات منها :

١ - ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾ ـ الإنسان (٢) ـ أى إنا خلقنا الإنسان من نطفة لها مكونات شتى مختلفة ، منها ماء الرجل وهو سائل لزج عديم التماسك تسهيلاً لحركة ما يسبح فيه من ملايين الحيوانات المنوية ، وبويضة المرأة المعدة للتلقيح بواحد من تلك الحيوانات المنوية .

٢ - ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ ـ النحل (٤) ـ

٣ - ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ . مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ ـ عبس (١٨) ، (١٩) ـ والمراد قدره أطواراً ومراحل بعد مرحلة النطفة .

الماء المهين وهو ماء الحياة :

هو كما قلنا يعنى نطفة الرجل . وتشير كلمة مهين إلى انه يتدفق ، او ينساب كأنما هو يحلب فإن فى لغة العرب مهن الإبل حلبها ، وقد يكون لفظ مهين إشارة إلى قلته ، أو ضعف قدره ، أو ضآلة أمره ، فالمهين من الرجال الضعيف .

٢ - ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ـ السجدة (٨) ـ

٣ - ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ـ المرسلات (٢٠) ـ

المنـى :

وهو كما قلنا من أسماء ماء الرجل :

١ - ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى . مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴾ ـ النجم (٤٥) ، (٤٦) ، أى من نطفة الرجل إذا قذفت فى رحم الأنثى .

٢ ـ ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ ـ القيامة (٣٧) ـ وكلها آيات يذكرها القرآن لبيان حقيقة البعث والنشأة الأخرى .

العلـــق :

العلقة ما يعلق بجدار رحم الأم فى أول مرحلة من مراحل تكوين الجنين بعد تلقيح بويضة الأنثى بنطفة الرجل . وخلال الأربعين يوماً الأولى ينمو الجنين وتتكون فيه كافة الأعضاء ، فى نهاية تلك الفترة ، وتكون الأجهزة مكتملة ومتجمعة على هيئة براعم تكون جسماً على هيئة قوس لا يزيد طوله على السنتيمتر الواحد ! وهو يسمى علقة كذلك لأن هذا الجسم (أو الجنين) يأخذ فيما بين يومه الخامس عشر ويومه الرابع والعشرين صورة العلقة التى نراها تسبح مثلاً فى البرك ! وهذا من ألوان الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم ، إذ لم يعرف الإنسان هذه الحقيقة إلا بالمشاهدة فى عصر العلم وتقدم علوم الطب والتشريح . ونحن نقرأ مثلاً قوله تعالى :

١ ـ ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ ـ العلق (٢) ـ وهى من أولى آيات الوحى .

٢ ـ ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ ـ القيامة (٣٨) ـ

المضغـــة :

يلى طور المضغة مرحلة العلقة . ومن العجيب حقاً ، بل من المعجز علمياً ، أن يسميها القرآن الكريم (مضغة) ، وذلك لأن هذا الطور إنما يأخذ خلاله شكل الجنين فى التحول تدريجياً حتى يصير كالمضغة المستديرة تقريباً (وهى كما قدمنا قطعة اللحم الممضوغة فانطبعت عليها آثار أو علامات الأسنان ، وفيها فراغات بين أجزاء البدن المتكون ، تماماً كما صورت بالمجهر أو المنظار الالكترونى المكبر !

وتلك مرحلة يبدأ فيها تمايز الأعضاء الرئيسية فى الجسم :

١ ـ ﴿ ..... فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ .... ﴾ ـ الحج (٥) ـ

٢ ـ ﴿ ... ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا .... ﴾ ـ المؤمنون (١٤) ـ

والمعروف علمياً أنه مع بداية الأسبوع السابع من عمر الجنين يتكون له على التدريج هيكل عظمى غضروفى يغلب عليه شكل الإنسان الذى له وجه مميز ، ولكن لا سبيل إلى التفرقة بين الجنين الذكر والجنين الأنثى إلا بعد انقضاء الأسبوع الثانى عشر على أقل تقدير .

ومن وسائل التعرف الحديثة التصوير بأجهزة فوق الصوتيات [الالتراسوفكس] الواسعة الانتشار .

خاتمـــة :

على هذا النحو قصّ علينا القرآن الكريم فى إعجاز علمى أخاذ قصة خلق الإنسان من

لحظة تلقيح بويضة الأنثى بماء الذكر إلى حين اكتماله العقل والقوة . ولما كانت أحاديث نبى الهدى مكملة للرسالة ، نجده صلى الله عليه وسلم يتحدث عن مجالات أخرى من مجالات مراحل تكوين الجنين ، مثل مجالى الجنس ، والرزق ...

ومن بين ما ورد من الحديث فى هذا الشأن قوله صلى الله عليه وسلم :

(إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ، ثم قال : يارب اذكر أم أنثى ، فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك . ثم يقول : يارب رزقه ؟ فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك . ثم يخرج الملك بالصحيفة فى يده فلا يزيد على أمر ولا ينقص) .

روى الحديث حذيفة بن أسيد الغفارى ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ٢٠٣٧/٤ برقم ٢٦٤٥ . وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١٩٨/٣ برقم ٣٠٤٤ ، وأبو داود فى كتاب القدر ، ورقه ٤٤/٤٥ ، والسيوطى فى الجامع الكبير ٨/١ ، وجعفر الذربانى وذكره ابن حجر فى الفتح ٤٤٨٣/١١ . والله تعالى أعلم .

للحديث بقية

د . جمال الفندى

لغة الحاسب الآلى

٢

د. سعاد البيلى

خلق الله سبحانه وتعالى الخلق، وجعل لكل نوع من المخلوقات لغة وفى اختلاف لغات البشر آية للعالمين.

لقد تناولنا فى المقال السابق فكرة عامة عن أجهزة الحساب الآلى، وأصبح لزاماً أن نلقى نظرة على الوسيلة، أو اللغة، التى تسمح لنا. أن نتعامل مع هذا «العقل الالكترونى» كما يطلقون عليه..

من اشهر اللغات المستعملة فى الحاسب الآلى لغة تسمى «الفورتران» ولغة أخرى تسمى «البيزك» وهما يخدمان أساساً الأغراض العلمية مع كفاءة أعلى للأولى وبساطة اكثر للثانية.

كذلك هناك لغة تسمى «الكوبول» بالإضافة إلى بعض اللغات المستحدثة، والتى تخدم اغراضاً خاصة مثل لغة (اللوجو) والتى تستعمل أساساً فى تعليم الأطفال.

وأكثر هذه اللغات انتشاراً هى لغة (الفورتران) وقبل أن ندخل فى تفاصيل هذه اللغة يجب الإشارة إلى أن معظم هذه اللغات تستخدم رموزاً متشابهة جداً، ولا يوجد بينها إلا طفيف الاختلاف، وإنما يقع الاختلاف الأساسى بينها فى مجال الاستخدام. ولتقريب الصورة إلى الأذهان نجد الفرق مثلاً بين لغة (الفورتران) ولغة (الكوبول) كالفرق بين لغة المعادلات الكيميائية ولغة الشعر.

فالأولى يغلب عليها الطابع العلمى الرمزى، بينما الثانية (الكوبول) يغلب استخدامها الأساسى فى المجالات التجارية -

لغة الحاسب الآلى

حيث يتم تدوين كثير من البيانات الخاصة بالشركات والإنتاج وغيرها ـ مما جعل هذه اللغة قريبة الشبه جداً من اللغة المعتادة .

ونقرب عدسات الدراسة من هذه اللغة ـ التى استطاعت تبسيط أعقد العلوم مثل علوم الفضاء ، وحسابات الذرة ، والأجهزة البالغة التعقيد الخاصة بها ـ فنجد أنها تتكون من :

١ ـ الحروف الهجائية : وهى حروف اللغة الأبجدية المعروفة .

٢ ـ الأرقام : من صفر إلى ٩ (٠ ١ ٢ ٣ ٤ . . . . . ٩)

٣ ـ العلامات الحسابية : مثل + − / . * ** وتعنى الأولى علامة الجمع ، والثانية علامة الطرح والثالثة علامة القسمة . أما العلامة الرابعة وهى النجمة فهى تعنى علامة الضرب ولا تستخدم علامة الضرب العادية (×) حتى لا تختلط مع حرف « إكس » فى اللغة الإنجليزية . وتعنى خامس هذه العلامات « ** » (الأس) .

ومعنى (الأس) فى الرياضة يمكن إدراكه من المثال الآتى : فالعدد ٣٢ مثلاً يمكن كتابته فى الصورة ٢× ٢× ٢× ٢× ٢ أى الرقم ٢ مضروباً فى نفسه خمس مرات وبالصورة (الأسية) فإن العدد ٣٢ = $٢^{٥}$.

كذلك العدد (الف) يمكن كتابته ١٠٠٠ = $١٠^{٣}$ ، أى العدد عشرة مضروباً فى نفسه ثلاث مرات ، وهكذا يمكن كتابة العدد مليون = $١٠^{٦}$ وفى لغة (الفورتران) يعبر عن العدد (مليون) هكذا ١٠ ** ٦ وهكذا يسهل التعبير بالصورة الأسية عن الأعداد بدون أخطاء فى عدد الأصفار ، أو العلامات العشرية .

٤ ـ والبند الرابع فى عناصر لغة (الفورتران) هو الفواصل مثل علامة التساوى (=) والفصلة (و) والنقطة (.) ، وكذلك الأقواس . ( ) .

من هذه البنود الأربعة تتكون لغة (الفورتران) وقبل أن نستطرد فى الحديث يجدر الإشارة إلى أنه لإعداد أى برنامج للحاسب الآلى ، فإن الهدف النهائى لهذه (البرمجة) يكون معرفة قيم بعض الأشياء المجهولة عن طريق بعض المقادير أو الكميات المعلومة التى تعطى للحاسب الآلى فى صورة بيانات .

وكما نتعامل مع الطفل الصغير فنقول له مثلاً : هذا الجيب تحتفظ فيه بالنقود ، وهذا الجيب تضع فيه المنديل ، وهذه الحقيبة يوضع فيها الكراريس والقلم وبداخلها سنترك لك لفافة خاصة بالطعام حتى يسهل على هذا الطفل المحافظة والحصول على الأشياء التى يستخدمها .

كذلك الحال مع الحاسب الآلى لابد أن نعرفه أن هناك نوعان من الكميات التى سيتناولها أثناء إجراء حسابات البرنامج . هذه الكميات إما أن تكون ثوابت وإما أن تكون متغيرات . فمثلاً مساحة المدرسة وعدد الفصول تُعد من (الثوابت) . بينما عدد

التلاميذ والدرجات التى يحصلون عليها فى المواد المختلفة فى الشهور المختلفة تُعد من (المتغيرات) وبعامة فإن الثوابت يعبر عنها بأرقام أو أعداد ويندرج تحتها ما يأتى :

أ ـ أعداد صحيحة : مثل ١ ، ٥ ، – ٨٢ ، ١٩٨٨ اى انها أعداد قد تكون موجبة ، وقد تكون سالبة ، لكن ليس بها كسور ، وهى تمثل ـ فرضاً ـ عدد فصول المدرسة ، أو عدد المنازل بالمدينة ، وما شابه ذلك مما ليس هناك احتمال لوجود كسر فيه وهى لا تحتوى على « العلامة العشرية » .

ب ـ أعداد حقيقية : وهى تختلف عن سابقتها فى وجود كسور بها مثل ٢,٥ ، ٣٦,٤ ، – ١٢,٣ وهكذا وهذه يمكن استخدامها مثلاً فى حساب مرتبات العاملين بإحدى الشركات حيث لابد أن يحتوى المرتب على كسور (الجنيه) ، وتمثل الأرقام الموجبة المستحقات بينما تمثل الأرقام السالبة المبالغ المحسومة أو المستقطعة كالضرائب وغيرها .

جـ ـ الأعداد ثنائية التقييم : وهى أعداد حقيقية ولكنها تعطى صورة متناهية فى الدقة حتى أن الجزء الكسرى منها يعطى حتى ١١ رقم عشرى مثل ٢ ١ ٢ ٨ ٥ ٢ ٧ ٤ ٢ ١ ٣ ٥٦,٠ .

وهى غير شائعة الاستخدام كسابقتيها ؛ لأنها لا تستخدم إلا فى الحسابات بالغة الدقة ، والتى لها حساسية خاصة إذا استخدمنا لها التقريب الحسابى . ومن أمثلة ذلك الحسابات الخاصة بتعميم المفاعلات النووية والكيميائية .

٢ ـ المتغيرات : وهذه يستخدم لها الرموز مثل س ، ص ، ع ، وقد يستخدم للمتغير الواحد أكثر من حرف نظراً لأن حروف الهجاء قد لا تكفى عدد المتغيرات فى البرنامج فتسمى متغيراً باسم (س أ) ، وآخر (س ب) ، أو (س ص) ، ولكن س ص لا يمت بصلة إلى كل من (س) أو (ص) وإنما هو رمز جديد لمتغير جديد . كذلك يمكن استخدام عدة أحرف لرمز واحد مثل أ ب حـ د هـ . ويمكن أيضاً استخدام متغير باسم (س ١) وآخر (س ٢) ، (س ٣) . حيث يرمز س ١ إلى صافى مرتب الموظف رقم ١ ، س ٢ إلى صافى مرتب الموظف رقم ٢ وهكذا ومن البديهى أنه لحساب هذا المرتب فلابد من دخول عدة عوامل متغيرة أيضاً من شخص إلى آخر كعدد أيام الغياب والحوافز والأرباح والدرجة الوظيفية وبدل طبيعة العمل .. إلخ ..

وبعــد ....

فإن لنا وقفة صغيرة لنتأمل فيها طفلاً بعد أن أتقن نطق الحروف واستطاع أن ينطق منها كلمات ـ بل وقد أدرك أين يضع نقوده ، وأين يضع أدواته ، فالأمر الحتمى بعد ذلك أن ندربه على تكوين الجمل التى تمكنه من التفاعل مع الآخرين .

لغة الحاسب الآلى

وفى عالم البشر فالجمل المستعملة فى حياته لا يأتى عليها الحصر ، اما فى عالم الحاسب الآلى فإن الجمل التى يتعلمها هذا الوليد لا تتجاوز - إلا بقليل - عدد أصابع اليدين ، ومن هذا العدد المحدود يمكن أن ينفذ الحاسب الآلى كل ما يدور بالعقل البشرى مع فهم كامل من العقل البشرى للعقل الإلكترونى وانقياد كامل من العقل الإلكترونى للعقل البشرى . فما هذه الجمل المستعملة فى هذا الحديث الصامت ؟

تتكون جمل استخدام الحاسب الآلى من :

١ - جمل الإيضاح : وهى تستخدم لإيضاح نوعية الأعداد المستخدمة فى البرنامج ، هل هى صحيحة أم أعداد حقيقة .. كذلك تستخدم جمل الإيضاح لتحديد حجم الذاكرة المطلوب حجزه للبرنامج الجارى إعداده .

٢ - جملة « إذهب إلى » وهى تعطى الأمر للحاسب أن « يذهب إلى » جملة لها رقم معين لإجراء خطوة حسابية معينة .

٣ - جملة « استبدل » وبمقتضى هذه الجملة يستبدل الحاسب قيمة متغيرة بقيمة ثابتة (مثل استبدل س بـ ٩) .

٤ - جملة « إذا » وهى جملة شرطية ولها إجابتان « نعم » ، « لا » وبناءً عليه تتحدد الخطوات التالية فى البرنامج .

٥ - جملة « افعل » وبهذه الجملة ينفذ الحاسب بمقتضاها حسبة معينة (عدد معين من المرات) يحدد داخل الجملة مثل :

افعل ١٠ أ = ١ ، ٢٠

١٠ س = أ + ٢

ويعنى ذلك أن الحاسب سيظل يحسب قيما مختلفة للمتغير (س) الأولى عندما يكون (أ = ١) فتكون (س = ٣) ، والثانية عندما (أ = ٢) فتكون (س = ٤) وهكذا حتى (أ = ٢٠) فتكون (س = ٢٢) .

٦ - جمل « المدخلات والمخرجات » وهى تحدد كم وطريقة قراءة البيانات ونواتج الحاسب بعد إتمام البرنامج .

والآن ، وكلنا شغف ، كيف بعد أن « تعلم » الحاسب الآلى هذه الجمل ، كيف سيصيغ ما يوازى « موضوع التعبير » عند طفلنا الذى سرنا معه منذ بداية المقال ؟ لابد أن يكون هناك قدر من المنطق والحكمة والتتابع والصبر والمثابرة وأيضاً الصدق حتى نصل إلى بغيتنا .

ولأن المادة قد جبلت على الطاعة فلابد أن يتمدد الحديد بالحرارة ولابد أن تسرى به الكهرباء .. كذلك لابد أن تنقاد لقانون الله كل المواد التى صنع منها الحاسب الآلى ، وأن تصنع من الحروف والكلمات والجمل .. كل ما يدور بالعقل البشرى .

فسبحان من ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾
صدق الله العظيم

د . سعاد البيلى

أوركسترات الحشرات

ترجمة : د. كارم السيد غنيم
تأليف : د. ر. ف. إشلى

منذ ملايين السنين والحشرات تواصل إصدارها للأصوات ، فالنطاطات وصراصير الغيط (وهى من رتبة الحشرات مستقيمة الأجنحة Orthoptera) تعتبر من سمات فصل الربيع المسموعة ، كما أن السيكادات Cicada (وهى من رتبة الحشرات متجانسة الأجنحة Homoptera) تقوم بإصدار صوتها الصاخب فى أمسيات الصيف الدفيئة .

إذا كانت ذكور الحشرات وإناثها تقوم بإصدار الأصوات نتيجة اهتزازات الأجنحة أثناء الطيران ، فإن هناك أصواتا يقتصر إصدارها على الذكور فقط دون الإناث ، ومن ثم فهى تؤدى دوراً هاماً فى عملية الجذب الجنسى ، أو قد تشكل مجموعة معقدة من الأنماط السلوكية المرتبطة بحالات الإنذار التى تعترى الحشرات فى مواجهة الأخطار ، أو المرتبطة بالحماية والحفاظ على مناطق المعيشة .

وإذا أردنا التعرف على مدلولية كل صوت من هذه الأصوات ، فإن ذلك أمر عسير إذا لم نقف على معلومات كافية تتعلق به ، ومن أهم الأمور التى تسهل هذه المهمة ظاهرة « السمع » فى الحشرات . (١)

(١) المقال الأصل هو :

Ashley, R. F (1974) : Insect Orchestras . Audubon Nature Bul- letin . The National Audubon Society, New York, 4 pp .

السمع :

لا يوجد عضو سائد للسمع فى كافة أنواع الحشرات ، وإنما نلاحظ وجود تحورات فى نظام بسيط للغاية من الخلايا العصبية ، يتم هذا التحور بطرق متنوعة فتشكل أنواعاً عديدة من المساحات الحساسة للصوت ، وهذه الأشكال تختلف عن بعضها من حيث التركيب . وهناك بعض الأعضاء السمعية توجد قريباً من السطح الخارجى فى جسم الحشرة ، وهذا الموضع يضفى عليها ميزتين ، إحداهما : القدرة على الاستجابة للموجات الصوتية ، وايضاً : الشعور بالتيارات الهوائية ، إلا أن هناك ميزة إضافية تكمن فى غطاء الجسم العام وهو الذى يتصف بالصلابة والقوة حتى سمى « هيكلاً خارجياً Exoskeleton » ، فهذا السطح اى الجليد تنتشر فيه شعيرات أو اغشية أو تراكيب أخرى يمكنها إنتاج وتوزيع الموجات الصوتية على امتداد سطح الجسم ، ثم توصيلها إلى أعضاء الاستقبال الحسية المختلفة .

تنتشر على سطح الحشرة مجموعات من الخلايا العصبية القادرة على تحويل الموجات الصوتية أو التيارات الهوائية إلى نبضات عصبية ، وتأخذ أشكالاً تدعى Chordotonal organs ، وهى قادرة على استقبال النبضات من كافة أرجاء سطح الجسم ، وإذا كانت هذه هى أبسط الطرق وأقلها رقيا فى عملية استقبال الأصوات فى الحشرات ، فإن الشعيرات والخلايا الحسية التى أشرنا إليها آنفا توسع من نطاق عملها ليشمل أيضاً استقبال مؤثرات أخرى متنوعة غير الأصوات تقع على سطح الجسم من البيئة المحيطة به .

ومن الجدير بالذكر أن فى الحشرات توجد أيضاً أعضاء حسية اخرى تتركب من الشعيرات أو الأعضاء الحسية العضوية الشكل السابقة مضافاً إليها شعيرات مرنة تعينها فى وظيفتها وهو الأمر الذى يزيد من كفاءة الأخيرة على استقبال الموجات الصوتية والتيارات الهوائية ، مثل هذه الأعضاء الحسية توجد منتشرة على قرون الاستشعار « أى الزبانى Antennae » فى النمل ، ويظل النمل قادراً على استقبال الأصوات طالما أن قرونه سليمة ، وبالإضافة إلى النمل ، فإن هناك يرقات فى الحشرات « من رتبة الحشرات حرشفية الأجنحة Lepidoptera » .

تتغلف أجسامها بشعيرات دقيقة يبدو أنها حساسة للأصوات المناسبة ،فقد رئيت هذه اليرقات وهى تتوقف عن الأكل وتسكن إذا أحست بصوت آتٍ عليها . ومما يدعم اعتقادنا عن هذه الشعيرات أنه عند إزالتها من فراشات جنس Datana أو تغطيتها بطبقة كثيفة من قطيرات الماء أو حتى عند نثر ذرات الدقيق الجاف على أسطح الجسم ، فإن إحساس الحشرة بالأصوات يختفى .

تستخدم الحشرات هذه القدرة الشعورية فى اتخاذ الحيطة والحذر عند قدوم أى خطر عليها ، فإذا ما اقتحم أحد الزنابير المفترسة على يرقة ما ، من الحرشفيات موطن حياتها ، فإن الذبذبات الصوتية لأجنحة هذا الزنبور والتيارات الهوائية الحادثة من جراء اهتزازها تصل إلى جسم اليرقة (وهى الفريسة

المفضلة لدى هذا النوع من الزنابير) فتستقبلها الشعيرات الحسية ، ويتولد بذلك فى البرقة إحساس بمقدم خطر عليها . إضافة إلى هذا ، يلاحظ أن التيارات الهوائية تؤدى إلى قيام الحشرات بالتوجه الملائم أثناء الهروب من قدوم عدو عليها .

نأتى الآن إلى وصف عضو استقبال صوتى أكثر تعقيداً فى التركيب من تلك التراكيب السابقة الشرح ، ذلك هو « عضو جونسون Johnston's organ » وهو موجود على العقلة الثانية فى قرن الاستشعار لكثير من الحشرات ، وهو - فى النمل والنحل والزنابير والذباب والفراشات وأبى دقيق - أكثر وضوحاً وشيوعاً . يتميز هذا العضو باحتوائه على عدد كبير من الشعيرات الحسية التى تعينه على استقبال الذبذبات الخارجية الواقعة عليه من ساق قرن الاستشعار أثناء حركته . وهذه الشعيرات تعينه أيضاً على استقبال الموجات الصوتية والحركات الهوائية من البيئة المحيطة بالحشرة . ففى ذكور البعوض يلاحظ استقبال الذبذبات المتولدة من ساق قرن الاستشعار بواسطة عضو جونسون ، والذى يتسبب عنه انبثاق نبضات عصبية تصل إلى الجهاز العصبى المركزى فى جسم البعوضة . وبالنسبة للبعوض ، فإن الذبذبات الصوتية الناجمة عن طيران أجنحة الإناث ، تؤدى إلى إثارة الحس الجنسى فى ذكورها . هذه الاستجابة يمكن إثارتها أيضاً بواسطة شوكة رنانة تضرب ليهتز ذراعاها بسرعة ترددية تتراوح بين ١٠٠ - ٨٠٠ ذبذبة / ثانية . ويمكن لذكور بعوضة الحمى الصفراء Aedes aegypti أن تستجيب بشكل خاص للأصوات التى تنحصر ذبذباتها بين ٥٠٠ - ٥٥٠ ذبذبة / ثانية ، وهذا المدى يقع داخل نطاق الذبذبات الصوتية الحادثة من جراء اهتزاز أجنحة الإناث أثناء الطيران فى هذه البعوضة ، وهو المقدر بـ ٤٤٩ - ٦٠٣ ذبذبة / ثانية .

آخر أعضاء السمع التى تجب الاشارة إليها هو « الطبلة Drum or Tympanum » وهى مساحة رقيقة موجودة فى جدار جسم الحشرة ، تتحرك بيسر وسهولة تحت تأثير الموجات الصوتية لتعمل كغشاء حساس للذبذبات . بعد استقبال الطبلة للموجات الصوتية تتولد نبضات فيها وهى التى تنتقل إلى شعيرات حسية معينة تحولها إلى تأثير عصبى يرسل إلى الجهاز العصبى المركزى لكى يتم فيه تحديد الاستجابة الملائمة تجاه الصوت الواقع على طبلة الأذن .

تنتشر هذه الأعضاء « أو الطبول » فى حشرات كثيرة كالجراد والنطاطات وصراصير الغيط ، فهى فى الجراد والنطاطات توجد عند قاعدة البطن ، أما فى صراصير الغيط وأنواع خاصة من النطاطات فتوجد على قصبات الأرجل الأمامية .

إصدار الصوت :

يعد الهيكل الخارجى الصلب الذى يغلف جسم الحشرة فى غاية الأهمية حيث يمدها بالقدرة على إحداث الأصوات . فالحشرات تستطيع أن تستعمل أى جزء - تقريباً - من أجسامها كآلات إيقاع تصدر أصواتا صاخبة كقرع الطبول وكذا إحداث الجلبة المدوية . وعموماً ، فإن الطرق المختلفة التى تصدر بها الحشرات أصواتها تنحصر فيما يلى :

←

أصوات ثانوية (By - product sounds)

هى أصوات تصدر خلال مزاولة الحشرة لأنشطتها الحياتية المعتادة ، ومن ثم فليست هذه أصواتا بالمعنى الحقيقى . من أشهر الأصوات الثانوية تلك التى تصدر عن الأجنحة أثناء الطيران إذ يتولد عن ضرباتها طنين « Humming » أو أزيز « Buz-zing » ومن المعروف أن طبقة الصوت الصادر هنا تتوقف على معدل ضربات الجناح فى الحشرة . فالنحل مثلاً له أزيز « خاص » والرعاشات « أبو المقص » لها خشخشة جافة ، كما أن الذباب الحوام يمكنه إصدار طنينه أو نغمه الغنائى حتى وهو فى وضع استرخاء وعدم تحليق فى الفضاء ، وذلك بفضل تذبذب الصدر أو اهتزاز أعضاء التوازن[٢] . وفى البعوض يسخر الطنين الصادر من ضربات أجنحة الأنثى فى غرض استدعاء الجنس الآخر وترافق الجنسين معاً ، وقد يصاحب هذه الوسيلة وسائل أخرى .

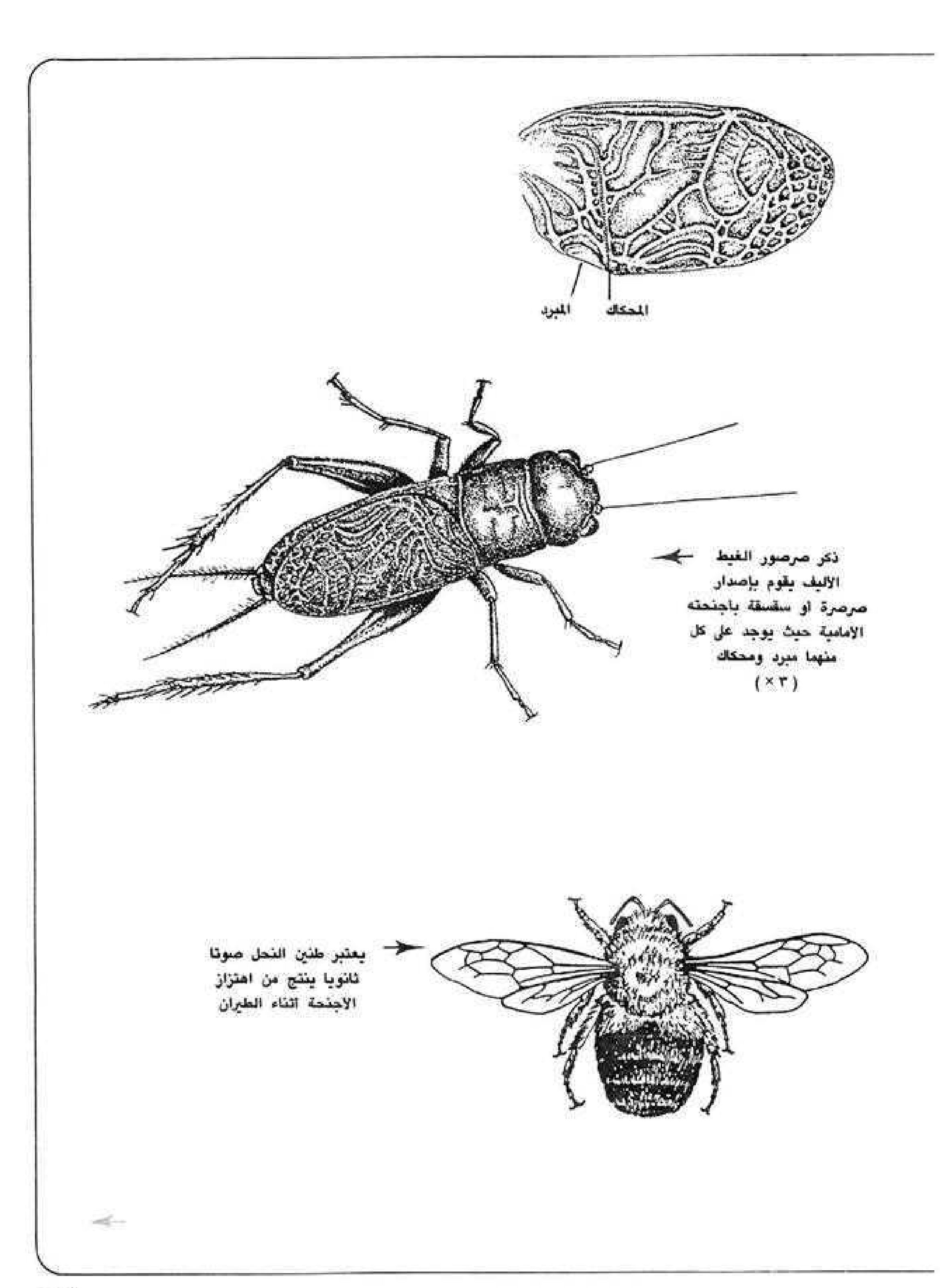
∴ تقوم النطاطات كبيرة الحجم بإصدار طقطقة « Crackling » جافة أثناء طيرانها تماثل الصوت المنبعث حينما يشب حريق فى نباتات قصيرة خشنة . أما الآلية الفعلية لإصدار هذا الصوت فى البعوض ، فهى مجرد احتكاك الأجنحة الخلفية بالأرجل الخلفية فى الحشرة .

أصوات ارتطامية (Impact sounds)

تعد الخنافس من أشهر الحشرات ذات الأجسام المدرعة ، ويرقاتها ذات أفواه أجزاؤها كبيرة جداً وصلبة القوام لتسهيل عملية قضم الأخشاب والألياف النباتية . تقوم خنفساء Anobium بحفر أنفاقها فى أخشاب الأثاث القديم والمصنوعات الخشبية الأخرى ، وهى إذ ذاك تصدر عنها أصوات نقر « Tapping » أو تكتكة « Tick-ing » نتيجة ارتطام رءوسها بالخشب الذى تحفر فيه .

كما أن « عساكر » النمل الأبيض (القرضة) (من رتبة الحشرات متساوية الأجنحة Isoptera) تقوم بإصدار أصوات كالقرع المتناغم للطبول وذلك عندما يحدق بها خطر محيق ، وتستخدم فى هذه المهمة رءوسها الصلبة وفكوكها القوية التى تعمل كآلات إصدار الصوت . ومن الطريف أن العاملات « أو الشغالات » فى أعشاش هذه الحشرات لا يمكنها سماع هذه الأصوات ، وإنما تشعر بها عندما تتسرب ذبذباتها وتنتشر عبر الألياف الخشبية التى يحفرون فيها . أما النقر الذى تحدثه « خنفساء ساعة الموت » فى الأنفاق المتشعبة ليرقاتها ، فَيُظَنُّ أنه يخدم فى الأغراض الجنسية حيث يعمل كـ « نداء للجنس » فى هذه الحشرات .

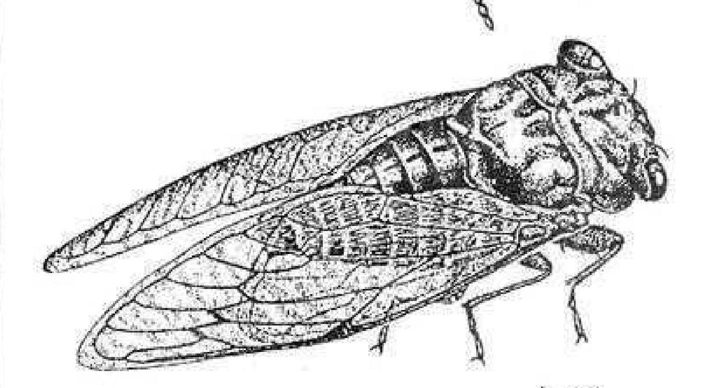
(٢) هى عبارة عن الزوج الخلفى من الأجنحة ، وتشبه العقدة ، وتعمل على حفظ توازن الحشرة أثناء الطيران .


المبرد
المحكاك
ذكر صرصور الغيط الأليف يقوم بإصدار صرصرة او سقسقة بأجنحته الامامية حيث يوجد على كل منهما مبرد ومحكاك (٣×)
يعتبر طنين النحل صوتا ثانويا ينتج من اهتزاز الأجنحة أثناء الطيران

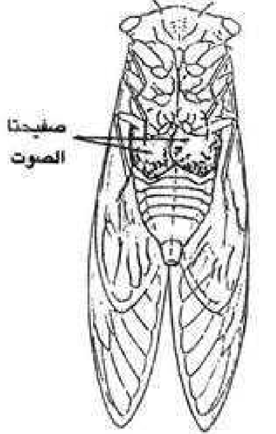


يقوم « العسكرى » في النمل الابيض (القرضة) بإحداث فرقعة او قرقعة وذلك باصطدام فكوكه وارتطام راسه بالأشياء الصلبة .

الفكوك



ذكر السيكادا له حجرات معقدة التركيب تقوم بإصدار الصوت وهى مغطاة في الرسم بصفيحتين تسميان « صفيحتا الصوت » . (× ١,٥) .



د . كارم السيد غنيم

من روائع مجلة الأزهر

الترغيب في تأديب الأولاد

للأستاذ: حسن منصور

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

إذا أردنا أن نحافظ على أولادنا فلابد أن نحيطهم بسياج من التعاليم الإسلامية التى تربى فيهم العزة والكرامة فعند ذلك ينشأ جيل وهو يحترم عقله ويعتز بنفسه ويحافظ على شخصيته فتصبح له القدرة الذاتية على الاختيار الأصيل الذى يتمسك بالنافع الجيد وينبذ التافه الردىء ولا يقتات على فتات موائد الهاربين المضطربين اللامنتمين أهل البدع وعباد النزوات. قال الأستاذ:

السنة

الترغيب فى تأديب الأولاد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَداً مِنْ نُحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ)[1].

الشـــرح

نحل الوالد ولده شيئا أعطاه إياه من غير عوض بطيب نفس. والنحل (بضم النون) هو ذلك الشىء المعطى.

والأدب هو رياضة النفس وكثرة توجيهها وشغلها فى وجوه المحامد، واستمرار تدريبها وتمرينها على محاسن الأخلاق والأعمال حتى تسلس وتمهر فى الفضائل والخصال والأعمال المحمودة.

(١) رواه الترمذى.

والمأدبة (بضم الدال) هى الطعام الذى يصنع فى الوليمة ثم يدعى الناس إليه .

والمأدبة (بفتح الدال) مأخذ الآداب ومصدرها ومنشؤها ، كالكتب السماوية والشرائع الإلهية والأحاديث النبوية وأقوال العلماء والحكماء والمربين العارفين وسيرهم .

وفى كلام سيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قوله : « إن هذا القرآن مأدبة الله فى الأرض فتعلموا من مأدبته » .

فإن كانت الدال فى المأدبة (فى كلام ابن مسعود هذا) مضمومة ، فإنه يكون قد شبه القرآن العظيم بصنع جليل من الأطعمة صنعه الله تعالى ، جمع فيه من أنواع المآكل والألوان واللذائذ والمشتهيات المفيدة ما فيه خير ومنافع للعباد ثم دعاهم إليه لينال كل منهم قسطه بقدر استعداده وجده وتوفيق الله تعالى له فيما تتوق إليه نفسه وتسمو إليه همته[2] .

وإن كانت مفتوحة فالمعنى أن القرآن العظيم هو ينبوع الآداب ومشرق الحكم وموطنها وكنز مصالح الدنيا والآخرة .

إن المسلمين الذين يؤمنون بالقرآن عن بينة يؤمنون بأن كلا من هذين المعنيين صحيح منطبق على القرآن الكريم كل الانطباق ، أما تلك البينة التى كان عنها إيمانهم فهى شهادتان :

الشهادة الأولى : شهادة الله تعالى للقرآن بذلك فى عدة آيات من آياته ـ فمنها قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ وقوله : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقوله : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

الشهادة الثانية : شهادة آثاره الحسنة فى حياة المسلمين حينما كانوا يعلمون ما اشتمل عليه من الحكم والأحكام وكانوا بها عاملين ، فلما هجروه ونبذوه كما نبذ من قبلهم من أهل الكتاب كتابهم ظهرياً ، جهلوا المنافع وحرموا الخيرات وتفرقت بهم السبل وشتتتهم المنازع والأهواء أيدى سبا ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله و﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ .

وجُمَّاعُ[3] الأدب الحسن الذى ذكره النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الشريف حثا للآباء على تأديب أولادهم به أدبان :

الأدب الأول العلم الصحيح . وهو نوعان :

فالنوع الأول هو العلم بالمعلومات الدينية المتعلقة بما يجب لله تعالى من نعوته الجليلة الإلهية ، وبما يجب لأنبيائه ورسله وملائكته عليهم الصلاة والسلام ، وبما يجب الإيمان به من الكتب السماوية الصحيحة وماتضمنته من الشرائع والأحكام والحكم الإلهية وسائر الفضائل والعقائد .

والنوع الثانى هو العلم بالمعلومات الدنيوية التى هى قوام هذه الحياة الدنيا ، وعليها يدور صلاح أحوال البشر وتستقيم أمورهم وشئونهم ومعايشهم وينتظم بها مجتمعهم .

---

(٢) قال أبو عبيد : وهذا التفسير أعجب إلىَّ .

(٣) أى ما يجمع معناه إجمالاً .

الأدب الثاني العمل السديد المحكم الذى هو على طِبْق هذا العلم الصحيح . وهو دينى ودنيوى .

فأما الأعمال الدينية فقد بينتها الشريعة السمحة وفصلتها تفصيلا .

وأما الأعمال الدنيوية فقد جعلها الله القدير الحكيم بقدر معلوم يوصل إلى المنافع التى رتبها بحكمته عليها ، ثم ألهمها العباد وهداهم إلى سلوك طرقها والأخذ بأسبابها ، كما قال سبحانه : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى . الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ وكما قال ـ حكاية لما قاله سيدنا موسى عليه السلام لفرعون والمصريين : ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ وكما قال : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾،﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ .

ثم اعلم أن العمل الدنيوى أصناف عدة فمنها الصناعة . والذين يعلمونها ويحيطون بفروعها وشعبها الآن إنما هم غير المسلمين ومن نهجوا منهجهم فى الجهل والخمول . علموا منها ماينفع وقت الأمن والسلم ، كما علموا مايفيدهم زمن الخوف والحرب ، على اختلاف أجناس هذه الصناعات وتباين فنونها وكثرتها ، مع الجد فى الاستكثار منها والسعى الحثيث فى الاختراع والتفنن فيها ، حتى صاروا وحدهم ملاكها بل ملوكها ، يعملون لأنفسهم مايشاءون من مرافق الحياة ، كما يصنعون لغيرهم من الأمم الجاهلة مايحتاجون إليه حقيراً كان أو جليلاً ، فأصبحوا وهم القابضون على زمام كل حرفة ، وبأيديهم مقاليد كل صناعة ، يصرفونها فى بلادهم منتفعين بها وبأثمانها وبأرباحها ، كما يجوبون بها الآفاق وأقطار الأمم الجاهلة التى أعجزها الكسل وأقعدها الخمول عن أن تستيقظ من سباتها وتشعر بتعطيلها المواهب التى وهبها الله ، فلم تفكر أن تعمل عملاً من الأعمال ، ولا أن تمارس صناعة شىء مما تحتاج إليه ، بل رضيت أن تعيش عالة على كواهل غيرها من الأمم العاملة ، أسيرة لها فى كل ماتفتقر إليه من مقومات الحياة وعناصرها ، وإن ترتب على ذلك فقرها وانتزاع ما بأيديها من مال أو ثروة وإفراغه فى خزائن هذه الأمم العاملة الصناع[٤] .

لم يكن موت الصناعات فى الأقطار الإسلامية ناشئا عن أن المسلمين ليس عندهم من المؤهلات العقلية والفكرية ، ولا من الوسائل المالية ، مايمكنهم من السير فى طريق الأعمال ، ومن التفكير فى الاختراع والإبداع والإحكام فى أبواب الصناعات ، ومن إنفاق الأموال التى يستطيعون بها أن يؤسسوا المعامل وينشئوا المصانع ثم يرقوها ويتقنوها ويحسنوها .

لم يكن موت الصناعات عندهم ناشئا عن شىء من هذا ، فإن جميع ذلك ميسور لهم وهو فى قبضة أيديهم ، وإنما منشأ ذلك هو الدعة والخمود والركون إلى الراحة والاستنامة إلى البطالة والترف الكاذب ، وكل ذلك نتيجة الجهل والتفريط فيما أمرهم الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من تربية أولادهم التربية النافعة ، وتأديبهم التأديب

(٤) الحاذقة الماهرة المتفننة فى الأعمال .

الحسن الذى من ضمنه العمل الذى تصلح به حياتهم الدنيوية ، وتتوافر به أسباب المعايش فيما بينهم ، حتى لا يكونوا كلا على سواهم من الأمم ، وحتى لا كونوا مرعى خصباً ضائعاً يرعاه أولئك الذين جدوا واخترعوا وأحسنوا صنعاً فيما عملوا .

أعرض الوالدون عن أوامر الله عز شأنه فى تربية الأولاد ، وفرطوا فى تأديبهم بالآداب الحسنة دينية ودنيوية ، فكانت عاقبة ذلك أن نشأ الأولاد نشأة الجاهلين ، ليس عندهم من علوم الدين ولا من علوم الدنيا ماتصلح به حياتهم الأخروية ، ولا ماتستقيم به حياتهم الدنيوية ، حتى إذا ماكبروا وزج بهم فى جوف المستقبل لم يجدوا فى أنفسهم ولا فى أمتهم القدرة على القيام بما يحتاجون إليه من المطالب ، فتكففوا الأمم التى سبقتهم إلى ميدان الأعمال ، وبذلوا لها أموالهم فى سبيل الحصول على مايشتهون .

وياليتهم وهم كذلك اشتهوا مايحمدون عليه ولا يلومهم الناصحون المخلصون على إنفاق أموالهم فيه ، ولا تحتقرهم الأمم التى تجلب إليهم مشتهياتهم هذه ، لما تراه فيهم من السفه والسخاء فيما هو فى الواقع من السفاسف وفضول المدنية الباطلة .

لا نطيل الكلام فيما أنفق فيه أولاد أولئك الآباء حياتهم وأموالهم ، فإن ذلك ليس مما يسعه شرح هذا الحديث الشريف .

ذكرناه من تنشئة آبائهم لهم وسلوكهم غير سبيل الأدب الحسن الذى فى هذا الحديث تبصرة وذكرى لقوم يعقلون .

قد شرحنا لك فيما سبق معنى الأدب الحسن الذى حث النبى صلى الله عليه وسلم أمته أن يؤدبوا به أولادهم ، وبينا لك عناصره الصحيحة التى هى قوامه وعماده . فاجعل هذا الأدب الحسن نصب العينين ، واصبر نفسك على تذكر عناصره التى بيناها ، ووفها حقها من التدبر والعناية ، ثم أقم القسطاس المستقيم ، وضع فى إحدى كفتيه ذلك الأدب الحسن ، ثم ضع فى الأخرى مايتعلمه المسلمون الآن فى أغلب دور العلم فى مشارق أقطارهم ومغاربها ، فهل تظن أن الكفتين تتعادلان ؟ أم هل ترى أنهما تتفاوتان فترجح إحداهما الأخرى ؟ .

نحن هنا نترك تعيين تلك الكفة الراجحة للقارىء المتدبر فيما شرحناه من معنى الأدب الحسن ، فإن فقهه له وإنصافه وصدعه بالحق وبغضه لكتمانه كل ذلك يجعله يجهر بالحق ويأتى بالشهادة على وجهها ، فيحكم بالرجحان لكفة الأدب الحسن الذى أمر الله ورسوله المسلمين به ، وبأنه هو الذى ذكره النبى عليه الصلاة والسلام فى هذا الحديث مبيناً به قول الله عز وجل فى نحو : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

أما الكفة الثانية المرجوحة فإنها إنما صارت مرجوحة طائشة ، لأن ماوضع فيها هو السُّبُلُ التى نهى الله تعالى العباد أن يتبعوها ، وأنذرهم أنهم إذا اتبعوها فرقتهم وجهلتهم

ومزقت أوصالهم وأضلتهم عن سبيله المستقيم الذى يوصل إلى خيرى الدنيا والآخرة ضلالاً بعيداً .

يقولون : إن أهل هذا العصر قد أوتوا الحظ الأوفر من العلم ، حتى كان عصرهم عصر النور والعرفان ، فلقد تثقفت عقولهم واستنارت أفكارهم حتى سمت مداركهم وأخذت بنواصى العلم فى كل نواحيه ، واتسع أمامها مجال البحث والتنقيب ، وأكثرت من الاختراع والإبداع مع التجديد والترقى والتحسين فيما تبرزه للناس من عجائب الأعمال والمحدثات . وبهذا استطاع الإنسان أن يجوب الأقطار ويشق البحار ويصعد إلى السماء ويغوص فى الماء ، ويكلم أهل المغرب أهل المشرق وكل فى مجلسه من بلده ، إلى غير ذلك مما وصلوا إليه بفضل ماعلموه من آثار الكهرباء والبخار وغيرهما مما هداهم إليه جدهم فى التفكير والبحث والتمحيص .

أما نحن فإنه ليس موضوع كلامنا الآن تفضيل هذا العصر على ذلك العصر ، وإنما هو بيان الطريق السوى الموصل إلى خيرى الدنيا والآخرة ، وهو الأدب الحسن الذى أرشد النبى صلى الله عليه وسلم الأمة إليه فى هذا الحديث ، وقد عرفت معناه مما فصلناه لك تفصيلا .

ولكننا مع هذا التفصيل نحتمل التبعة فنجمل لك ذلك المعنى إجمالاً فى كلمة موجزة فنقول : إن خيرى الدنيا والآخرة لا ينالهما أحد معا إلا بالأدب الحسن ، وهو ـ كما سبق ـ علم صحيح ، دينى ودنيوى ، وعمل كذلك دينى ودنيوى مؤسس على ذلك العلم الصحيح . أى أنه علم يتعلق بأمور معنوية وأمور مادية ، وعمل يتعلق كذلك بأمور معنوية وأمور مادية . فعلى قدر ما يناله الإنسان أو الأمة من ذلك الأدب الحسن يكون حظه من الخير والنفع ، فمن ناله كله كان له الخير كله ، ومن نال بعضه كان له بعضه ، دينيا كان ذلك البعض أو دنيويا .

ثم نقول : هل الذى ناله أهل عصرنا هذا الذى سموه عصر النور والمعرفة هو كل ماتضمنه الأدب الحسن الوارد فى هذا الحديث الشريف وهو العلم والعمل بقسميهما ، أو الذى نالوه إنما هو بعضه ، وهو العلم المتعلق بالمادة وخواصها وآثارها ؟ .

إن الذى نعلمه بالمشاهدة ومن أقوال أهل هذا العصر أنفسهم هو أن الذى نالوه إنما هو بعضه المادى ، وماسواه وهو المتعلق بالدين علماً وعملا فهو مطروح منبوذ ، لم يفكروا فيه تفكيرهم فى الماديات ولم يقيموا له وزنا ، بل عابوه وانتقصوه وجدوا فى محوه وتحويل من ينتسبون إليه عنه .

وإن كنتم فى ريب مما قلنا فالمدارس ومناهج مايدرس فيها وما يلقنه المعلمون وما نسمعه من المتعلمين ـ إلا من عصم الله ـ وما يكتب فى الكتب والمجلات وغيرها ، وما يخطب فيه الخطباء وما يتحدثون به فى الأندية العامة والخاصة ، كل ذلك شهود عدلٍ وصدقٍ على مانقول .

البقية صـ ٩٥٣



« نصيحة »

قال القرطبى : من اكثر ذكر الموت اكرم بثلاثة أشياء : تعجيل التوبة ، وقناعة النفس ، والنشاط فى العبادة .

ومن نسى ذكر الموت عوقب بثلاثة اشياء : تسويف التوبة ، وترك الرضا بالكفاف والتكاسل فى العبادة .

○○○

« الشمس والقلب »

قال النسفى : الشمس لها شروق وغروب ولولا ذلك لفسد العالم .

والقلب له شروق وهو : الرجاء .

وله غروب : وهو الخوف ، ولولا ذلك لفسد القلب .

« لا تتهافت »

على اللئيم فتتهم فى مروءتك ، ولا على الغنى فتتهم فى عفتك . ولا على الجاهل فتتهم فى فطنتك .

○○○

« نحن بنو الأرض »

قيل للإمام جعفر الصادق ـ رضى الله عنهما ـ مازال الناس فى الغلاء يزداد جوعهم ، بخلاف العادة فى الرخص .

قال : لأنهم خلقوا من الأرض ـ وهم بَنُوها ـ فإذا اقحطت أقحطوا ، وإذا أخصبت أخصبوا .

○○○

« يستغفر الله من الحمد لله »

قال السرى السقطى : منذ ثلاثين عاماً ،

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم



وأنا في الاستغفار من قولي مرة : « الحمد لله » !! قيل له ، وكيف ذلك ؟

قال : وقع ببغداد حريقٌ ، فاستقبلني أحد الناس قائلاً : نجا حانوتك !!

فقلت : « الحمد لله » !

وأنا نادم من ذلك الوقت على ما قلت ، حيث أردت لنفسي الخير دون الناس !!

○○○

« مدح للغنى ذم للفقير »

ليس من خلة هي للغنى مدح إلا وهي للفقير عيب .

فإن كان شجاعاً سمي أهوج . وإن كان جَواداً سمي مفسداً . وإن كان حليماً سمي ضعيفاً . وإن كان وقوراً سمي بليداً . وإن كان ليناً سمي مهذاراً . وإن كان صموتا سميا عييا .

حقا

تـوكل عـلى الـرحمن في الأمـر كلـه
ولا ترغبن في العجز يوما عن الطلب
ألـم تـر أن الله قـال لمـريـم
وهزى إليك الجذع يسّاقَطُ الرطب
ولـو شاء أن تَجنيـه من غير هـزة
جنتــه ولكـن كـل شيء لـه سبب

○○○

« من الجواد ؟ »

قيل لحكيم : من الجواد ؟

قال : من جاد بماله ، وصان نفسه عن مـال غيره .

○○○

« دعاء »

يارب : اغفر لي جِدِّي ، وهَزْلي ، وخطئي وعمدي ، وكل ذلك عندي .

من أعلام الأزهر

الشيخ عبد السميع شبانة

أحد علماء الأزهر الذين شاركوا في تحقيق رسالته والنهوض بطلابه تخرج على يديه آلاف العلماء من أبناء العالم الإسلامي ، كان - رحمه الله - يعطي جهده كله لخدمة العلم والعلماء .

كان بيته منتدى يجتمع فيه طلاب العلم من كل جنس لينهلوا من فيض علمه الغزير يستوضحونه ما أبهم عليهم .. وينتفعون ، بما يدور في مجلسه من مسائل علمية سواء ما يتصل منها بالعلوم الدينية أو العلوم العربية ، فلم يكن رحمه الله يقف عند حدود تخصصه في النحو والصرف ، بل جاوز ذلك إلى العلوم الشرعية فكان حجة فيها ، يأتي إليه الناس يستفتونه في أمور دينهم فيرشدهم إلى الحق والهدى .. كان فقيها في علم الميراث وقد صدرت له آلاف الفتاوى التي كانت تستند عليها المجالس العرفية في حل المنازعات بين الأسر والأفراد وتأخذ بها المحاكم الشرعية (الأحوال الشخصية)

ولد رحمه الله في ١٢ من يناير سنة ١٩٠٣ في بلدة (فرسيس) من محافظة الشرقية وكان والده من الفلاحين الذين عرفوا بالشهامة والطيبة الممزوجة بالفطرة ، ألحقه والده بكتّاب القرية مع أقرانه ليحفظ القرآن الكريم واستطاع أن يحفظه في مدة قصيرة سبق فيها أترابه وظهرت معالم النجابة عليه من صغره فشجع ذلك والده وأقاربه ، على أن يرسلوه إلى الأزهر الشريف ليتابع تعليمه فيه وانتقل إلى القاهرة ودرس في حلقات الأزهر وفي (مسجد محمد بك) حيث كانت تنعقد حلقات العلم في الجامع الأزهر والمساجد المحيطة به وكان يشرف عليه في القاهرة أخواله الذين كانوا من علماء الأزهر .

وقدر له أن يعيش مع ثورة سنة ١٩١٩ وهي تنبثق من القاهرة ويستمع إلى خطبائها من فوق منبر الأزهر ورأى قوات الاحتلال وهي تطلق نيرانها على طلاب الأزهر ، واتسع مد الثورة فشملت مصر كلها وكان لابد أن يعود إلى قريته ليشارك أهل قريته مشاعرهم وأحاسيسهم في هذه الفترة من تاريخ مصر وقطع الطريق بين القاهرة والزقازيق سائرا

الأستاذ / محمد عبد السميع شبانة

على قدميه ليالى طويلة بعد أن انقطعت المواصلات وتوقفت السكك الحديدية وقد جاء هذا فى كتاب (أقدام على الطريق) للكاتب الصحفى الأستاذ محمد زكى عبد القادر صاحب « نحو النور » بالأخبار .

وبعد أن هدأت الأمور عاد الشيخ إلى مواصلة دراسته بالأزهر الشريف وبقى فيه إلى أن فتح معهد الزقازيق فانتقل إليه وحصل على الشهادة الثانوية وكان من المتفوقين فيها ثم التحق مرة ثانية بالقسم العالى من الأزهر فى القاهرة حتى حصل على الشهادة العالمية ونال إجازة التخصص القديم التى عودلت بدرجة الدكتوراه سنة ١٩٣٢ وكان ترتيبه الأول .

عين الشيخ مدرسا فى معهد الزقازيق وفى الفترة التى قضاها بين علماء هذا المعهد العتيق ظهرت مآثر علمه ومكارم أخلاقه فكان موضع حب زملائه وطلابه .

وهنا بدأ دوره الإيجابى فى الدعوة إلى الله وتبصير الناس بأمور دينهم فكان يتنقل بين قرى محافظة الشرقية يخطب فى الناس ويبين لهم الحق من الباطل فلا يمضى أسبوع من غير أن يشترك فى ندوة دينية . أو يلقى الكثير من الخطب والعظات حتى ذاع صيته بين قرى المحافظة ومدنها ، وأصبح موضع احترام المسئولين فيها ، وساعد بما أعطاه الله من علم وحكمة فى القضاء على الكثير من الخصومات والعداوات بين الأسر وكم من



الشيخ عبد السميع شبانة

قضايا كانت معقدة أمام المحاكم فاستطاع رحمه الله أن يقضى فيها ، ويتقبل جميع الأطراف حُكْمَهُ فى رضا وطمأنينة .

كان له تأثيره الكبير فى وعظه للناس يملك قلوبهم ويستولى على مشاعرهم بحسن بيانه وقوة أدائه فهدى الله به أناسا كثيرين كانوا بعيدين عن طريق الحق فأصبحوا تائبين صادقين .

وقد وفقه الله فى إنشاء وعمارة مساجد كثيرة ، ومن أبرزها مسجد منشأة غالى منصور الذى يعتبر تحفة فى العمارة الإسلامية وكان لإنشاء هذا المسجد أثره على

الشيخ عبدالسميع شبانة

مسلمي هذه البلدة الصغيرة ، فعز شأنهم وتغيرت أحوالهم الاجتماعية والفكرية .

وكان أحرص مايكون على أهل بلدته ، فكان يعقد لهم المجالس الإسلامية ويحفزهم على طلب العلم حتى عرفت هذه البلدة النائية ، بأنها بلد العلم ، ونال أهلها الكثير من مسائل الدين وكل ما يتصل بالعبادات بسبب إرشاد الشيخ لهم وكانت مواكب طلبة العلم الذين يلتحقون بالأزهر من أبناء (فرسيس) لا تنقطع وكان من أثر الشيخ رحمه الله أن يتخرج من الأزهر كل عام من أبناء بلدته الصغيرة أكثر من عشرين عالما .

وفى سنة ١٩٣٩ اختارته مشيخة الأزهر للتدريس فى كلية اللغة العربية نظرا لما له من مآثر علمية عريضة .

وتابع نشاطه العلمى فعكف على دراسة أمهات الكتب فى علوم العربية يسهر ليله فى البحث والتحصيل ويحيا نهاره مع طلابه ومريديه فكان بيته فى القاهرة كخلية نحل لطلاب العلم ومن يقصدونه فى قضاء حوائجهم ..

ولقد قال عنه الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد (العلماء من أبناء الشرقية كثيرون ولكننى ما وجدت عالما اجتمع الناس على حبه واحترامه كالشيخ عبد السميع شبانة) كان رحمه الله لا يمل السعى من أجل إنسان يعرفه أو لا يعرفه ارتبط بالمساجد أعظم ارتباط وكان يلقى دروسا دينية طيلة شهر رمضان فى مسجد السيدة زينب رضى الله عنها والناس يتحلقون حول مجلسه بعد صلاة العصر فى إقبال عظيم واستيعاب لما يلقيه الشيخ عليهم .

لم يحرص على الدنيا ولم يجر وراء مطمع فيها كانت قرة عينه فى خدمة الناس وقضاء مصالحهم وإرشادهم إلى الطريق الصحيح لم ينقطع عن أهله ومحافظته برغم أعبائه الكثيرة فى القاهرة وبقى على اتصال بهم يحل مشاكلهم ويعيش مع آمالهم وآلامهم .

من مآثره أنه وقعت فتنة كبيرة فى إحدى قرى محافظة الشرقية وكان الداخل إلى هذه القرية لا يأمن على نفسه وعز على قوى الأمن أن تدخل إليها فطلبت الجهات المسئولة من الشيخ أن يتولى علاج الموقف المتدهور فى هذه القرية .

واستطاع الشيخ رحمه الله ـ بفضل من الله ـ أن يؤثر على أبنائها فتطمئن نفوسهم بمنطق الإسلام وتأثير الداعية الصادق ويعود للقرية أمنها وهدوؤها وهذه القرية من قرى مدينة الإبراهيمية .

زهـــده :

عرضت على الشيخ عمادة كلية اللغة العربية فى وقت كان للمنصب بهاؤه ولكنه رفض المنصب مع إلحاح الشيخ مدير جامعة الأزهر عليه وقال : إننى أفضل لم الشمل على أى منصب مهما كان شأنه .

كان للشيخ أبناء كثيرون فى كل البلاد الإسلامية والعربية وقد تولوا مناصب قيادية فيها وحاول طلاب الشيخ المنتشرون فى هذه البلاد الاستفادة بعلم شيخهم فى بلادهم وأرسلوا إلى سفارات بلادهم فى القاهرة لتتصل بالمسئولين فى جامعة الأزهر .

عسى أن يقبل الشيخ السفر إلى هذه البلاد وحاول زملاؤه وأحباؤه معه بشتى الوسائل ، ولكن الشيخ يرفض فى إصرار ويقول : دعوا لى دينى لا تضيعوه بمطامع الدنيا .

مؤلفات الشيخ :

الف كتابه (تطبيقات فى النحو والصرف) لطلاب تخصص التدريس وقد أعيد طبعه أكثر من مرة وله كتاب (دراسات فى النحو) وقد طبع الجزء الأول منه أكثر من مرة وله فى الصرف (دراسات وتطبيقات فى الإبدال والاعلال) وقد أعيد طبعه صدرت له (بحوث لغوية) وكان يرجو أن يتناول فيها جميع مسائل النحو التى تحتاج إلى إيضاح ولكن المنية عاجلته قبل أن يتمها ، وله كتاب فى العروض و « صوت المنبر » .

اسهم فى تطوير الدراسة فى كلية اللغة العربية وأحدث تغييرا شاملاً فى نظم امتحاناتها مما كان له أثره العظيم على المتخرجين منها .

وبقى رحمه الله مشرفا على قسم اللغويات بكلية اللغة العربية يتخرج على يديه العلماء ويشرف على مئات الرسائل العلمية حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى وقد فقد العالم الإسلامى بموته عالما ورعا فبكاه زملاؤه وطلابه وكتب الكثيرون عنه فى الصحافة المصرية والعربية يتحدثون عن فضله وعلمه .

وقد نوقشت رسائل للدكتوراه والماجستير بعد وفاته وأشار أصحابها فى مقدمات رسائلهم إلى أعمال الشيخ وآثاره العلمية وقد أطلقت كلية اللغة العربية بالزقازيق اسمه على قاعة المحاضرات فيها تقديرا لفضله وعلمه وسمى المسجد الكبير فى قريته بمسجد الإمام الشيخ عبد السميع شبانة .

لقد دفن الشيخ رحمه الله فى مسقط رأسه ببلدته فرسيس شرقية يوم الثلاثاء الموافق ٢١ من مايو سنة ١٩٦٨ فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

وللمرحوم أستاذنا الشيخ شفيع السيد قصيدة طويلة نظمها تقديراً لرفيق عمره وزميل دراسته الشيخ عبد السميع شبانة ، وقد كانت تجمعهما محبة فى الله ، وأخوة بقيت متصلة بنور الإيمان لم تنقطع طيلة حياتهما أنقل منها هذه الأبيات :

يا قويا فى دينه وضليعا

فى العلوم ووافيا بالعهود

الشيخ عبدالسميع شبانة

ودعوبا فى راحة الناس حتى
لترى والداً لكل وليد
ياخطيباً ، إلى إلهك تدعو
فيهز الدعاء قلب الجحود
فى بيان إلى النفوس حبيب
مستطاب كالكوثر المورود
خطبة قد سمعتها ذكرتنى
بمقام النساك عند الرشيد
نحن صنوان : إذ ولدنا بعام
ثم صنوان في ابتغاء الصعود
سرُّ عبد السميع الهمنى الشعر
جميل الرواء نضر العود
زاهرا كالرياض يبسم للأنـ
ـداء فى مولد الربيع
لست انسى لك الإخاء كريماً
جاوز الأربعين غير بعيد
لم يشبه من الدنيات شوب
وتعالى عن وصمة التفنيد
إنما قلت ما علمت وإنى
الزم القصد فى جميع قصيدى
فتذكر أخاً صدوقاً « شفيعاً »
بدعاء الرحمن غِبَّ الهجود

(بعده)

كان الشيخ عبد السميع شبانة رحمه الله لا يمل السعي من أجل إنسان يعرفه أو لا يعرفه ..
ارتبط بالمساجد أعظم ارتباط .

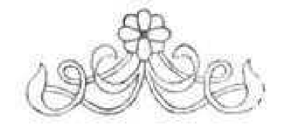
محمد عبد السميع شبانة

حديث « اليوم أضع أنسابكم وأرفع نسبى أين المتقون .. »

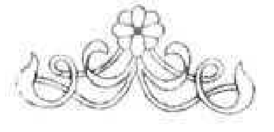
عن ابى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادى الا إنى جعلت نسبا وجعلتم نسبا فجعلت اكرمكم اتقاكم فابيتم إلا ان تقولوا : فلان بن فلان خير من فلان بن فلان ، فاليوم ارفع نسبى واضع نسبكم » . رواه الطبرانى فى الاوسط والصغير والبيهقى مرفوعاً وموقوفاً ، وقال المحفوظ الموقوف .
« الترغيب ـ الترهيب من اختصار المسلم »
ج ٣ ص٢٣٧ وص٦٩٨ ـ مجلة الازهر جمادى الاخرة ١٤٠٨ هـ

اللغة والأدب والنقد

الربعي وآراؤه النحوية



الانسجام الصوتي في ضوء المماثلة



الأدب المقارن

الربّعى وآراؤه النحوية

مقدمة :

لما كان الربعى من علماء النحو البارزين الذين ادلوا بدلوهم فى مسائله وآرائه وقضاياه المتشعبة وكانت الآراء التى ادلى بها منثورة فى ثنايا الكتب لعدم إمكان العثور على مؤلفاته اردت ان القى الضوء على هذه الشخصية الفذة وآرائها ، كى نتعرف على جوانبها ونبرز اهميتها ونقف على مكنون اسرارها ونستطلع منهجها العلمى لتكون نبراسا يحتذيه طلاب العربية .

اولاً : الربعى

مولده : ولد فى بغداد سنة ٣٢٨ هجرية .

نسبه : هو أبو الحسن على بن عيسى ابن الفرج بن صالح الرُّبَعِى النحوى .

والرَّبَعِى ـ بفتح الراء والباء الموحدة وبعدها عين مهملة ـ نسبة إلى ربيعة .

قال العلامة ابن خلكان : ولا أدرى أهو ربيعة بن نزار أم غيره ، فقد جاءت هذه النسبة إلى جماعة كل واحد منهم اسمه ربيعة .

وقال البغدادى : هو على بن عيسى ابن الفرج بن صالح الربعى أبو الحسن الزهيرى الأصل ، البغدادى المنشأ والدار ، الأديب النحوى .

وجاء فى معجم الأدباء بعد ذكر نسبه السابق : احد أئمة النحويين وحذاقهم الجيدى النظر ، الدقيقى الفهم والقياس .

أساتذته : أخذ عن أبى سعيد السيرافى ، ثم هاجر إلى « شيراز » فأخذ عن أبى على الفارسى ، ولازمه عشرين سنة درس فيها كل كتب النحو والصرف ، حتى قال له أبو على الفارسى : ما بقى شىء تحتاج إليه ولو سرت من الشرق إلى الغرب لم تجد أعرف منك بالنحو .

تلامذته : لم يدرس عليه أحد ، ولم يأخذ عنه طلاب العلم ، وذلك لا تصافه بالجنون .

قال ياقوت : وقال لى الشيخ أبو زكريا : سألت أبا القاسم بن برهان فقلت له : ياسيدنا تترك الربعى والأخذ عنه مع إدراكك



للدكتور: سعد منصور عرفة

إياه وتأخذ عن أصحابه ، فقال لى : كان مجنونا وأنا كما ترى فما كنا نتفق .

علمه وفضله : كان - رحمه الله - عالما متقنا دقيقا ، حافظاً لأشعار العرب ، مما لم يكن غيره من نظرائه يقوم به ، إلا أن جنونه لم يجعل أحدا يأخذ عنه .

قال الربعى : استدعانى عضد الدولة وبين يديه الحماسة ، فوضع يده على باب الأضياف وقال : ما تقول فى هذه الأبيات :

ومستنبح بات الصدى يستتيهه
إلى كل صوت وهو فى الرحل جانح
فقلت لأهلى ما بغام مطية
وسارٍ أضافته الكلاب النوابح

فقلت : هذا قول عقبة بن بجير الحارثى ، ومعناه : أن العرب كانت إذا ضلت فى سفر وصارت بحيث تظن أنها قريبة من حلة نبحت لتسمعها الكلاب فتجيبها فيعرفون به موضع القدم فيقصدونه ويستضيفون فيضافون .

فقال : إن قوماً يتشبهون بالكلاب حتى يضافوا لأدنياء النفوس ، فوجمت بين يديه وأنا واقف وهو ينظر إلىّ ، وكان من عادتنا أنه مادام ينظر إلى أحدنا لم يزل واقفاً بين يديه حتى يرد طرفه ، ثم فكر فقال : لا بل إن أقواماً يستنبحون فى هذا القفر والمكان الجدب فيستضيفون فيضافون مع الإقلال والعدم لقوم كرام ، ثم أمر لى بجائزة فدعوت له وانصرفت .

كان - رحمه الله - ذا أنفه وعزة ، لا يرضى بالأمور الدنية ذا شخصية قوية بين الناس معتزاً بعلمه ، واثقاً فى نفسه .

حكى أنه كان يمشى على شاطىء « دجلة والرضى والمرتضى العلويان فى زبزب » - نوع من السفن - ومعهما أبو الفتح عثمان ابن جنى فقال لهما : من أعجب أحوال الشريفين أن يكون عثمان جالساً معهما فى الزبزب وعلىٌ يمشى على الشط بعيداً منهما .

وقال ياقوت : قرأت بخط هلال بن المظفر الريحانى فى كتاب ألفه : ذكر غير واحد من أهل زنجان أن رجلاً منها يعرف بجابر ابن أحمد خرج إلى بغداد متأدباً ، فحين دخل قصد على بن عيسى الربعى النحوى بعد أن لبس ثياباً فاخرة عطرة وتجمل وتزين ودخل عليه وسلم ، فقال له على بن عيسى : من أين الفتى ؟ قال : من الزنجان « بألف ولام » فعلم الربعى أن الرجل خال من الفضل ، فقال : متى وردت ؟ قال : أمس ، فقال : جئت راكباً أم راجلاً ؟ فقال : بل راكباً ، قال : المركوب مكترى أم مشترى ؟

قال : بل مكترى ، فقال الشيخ : مر واسترجع الكرى فإنه لم يحمل شيئاً ، ثم أنشد :

وما المرء إلا الأصغران لسانه
ومعقوله والجسم خلق مصور
فإن طرة راقتك فأخبر فربما
أمر مذاق العود والعود أخضر

ولعه بقتل الكلاب : كان - رحمه الله - مولعا بقتل الكلاب ، حكى أنه كان يمشى مع ابن جنى فرأى كلبا فى خربة ذأوقف ابن جنى

على بابها ، ودخل هو فخرج الكلب ولم يستطع ابن جنى منعه ، فقال له الربعى : ويحك ياابن جنى مُدَبِّر فى النحو وُمدْبِر فى قتل الكلاب !!

مؤلفاته : صنف الربعى كتباً كثيرة ، ولكننا لم نعثر على شىء منها ، وهذا ما دعانى لتتبع آرائه فى ثنايا الكتب الأخرى لنقف على مذهبه ، ونتعرف على طريقته ، وقد ذكرت كتب التراجم عدة مؤلفات له وهى :

١ ـ شرح الإيضاح لأبى على الفارسى .
٢ ـ شرح مختصر الجرمى .
٣ ـ البديع فى النحو .
٤ ـ شرح البلغة .
٥ ـ كتاب ما جاء من المبنى على « فَعَالِ » .
٦ ـ التنبيه على خطأ ابن جنى فى تفسير شعر المتنبى .
٧ ـ شرح كتاب سيبويه .

إلا أنه غسله وسبب ذلك أن أحد بنى رضوان التاجر نازعه فى مسألة فقام مغضباً واخذ شرح سيبويه وجعله فى إناء وصب عليه الماء وغسله وجعل يلطم به الحيطان ، ويقول : أجعل أولاد البقالين نحاة ؟

وفاته : توفى فى بغداد فى ليلة السبت لعشرين بقين من المحرم سنة ٤٢٠ هجرية .

ثانياً : « أراؤه النحوية »

لما كان الربعى من علماء النحو ، ولم نقف له على مؤلفات تدلنا على مذهبه النحوى ، تتبعت آراءه فى بطون الكتب ، وهدانى الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعد البحث إلى هذه الآراء التى لم أعثر على غيرها فى كتب النحو فيما بين بدى من مراجع :

وهذه هى المواضع التى أدلى فيها الربعى بدلوه :

١ ـ رأيه فى التنوين اللاحق لجمع المؤنث السالم .
٢ ـ رأيه فى إعراب الأسماء الستة .
٣ ـ رأيه فى فاعل « كفى » وما عطف عليه .
٤ ـ رأيه فى الاسم الواقع بعد « خلا » (المستثنى بخلا) .
٥ ـ رأيه فى الواو العاطفة .
٦ ـ رأيه فى إعراب « ذا » من « حبذا » .
٧ ـ رأيه فى إعراب النكرة الواقعة « قبل » أو « بعد » مخصوص « حبذا » .

اولاً : رأيه فى التنوين اللاحق لجمع المؤنث السالم :

التنوين : نون ساكنة زائدة تلحق آخر الأسم لفظاً لاخطا ولا وقفاً لغير توكيد ، وهو ستة أنواع : أربعة منها مختصة بالأسماء ، واثنان يدخـلان فى الأسماء والأفعـال والحروف .

فالأربعة المختصة بالأسماء هى : ١ ـ تنوين التمكين ، ٢ ـ تنوين التنكير ، ٣ ـ تنوين المقابلة ، وهو موضوع حديثنا ، ٤ ـ تنوين العوض .

---

(١) انظر ترجمته فى وفيات الاعيان لابن خلكان جـ ٣ ص ٢٣ ، وتاريخ بغداد جـ ١٢ ص ١٧ ـ ١٨ ، بغية الوعاة للسيوطى جـ ٢ ص ١٨١ ـ ١٨٢ ، معجم الأدباء لياقوت جـ ١٤ ص ٧٨ ـ ٨١ ، هدية العارفين للبغدادى جـ ٥ ص ٦٨٦ ، اعجام الاعلام لمحمود مصطفى ص ١٥٦ ـ ١٥٧ .

والاثنان الآخران هما : تنوين الترنم والتنوين الغالى .

وحديثنا عن التنوين الذى يلحق جمع المؤنث السالم ، فقد ذهب جمهور النحاة إلى أن التنوين هذا يسمى تنوين المقابلة ، لأنه فى مقابلة النون فى جمع المذكر السالم .

قال الرضى فى شرح الكافية « ورابعها لمقابلة نون جمع المذكر السالم فى جمع المؤنث السالم نحو « مسلمات » على الأعرف من أقوالهم ، ولا معنى له إلا فى الاسم ، وإنما قالوا إنه تنوين مقابلة إذ لو كانت للتمكن لم تثبت فى نحو قوله تعالى : « من عرفات »[٢] ولو كانت للتنكير لم تثبت فى الأعلام ، وليست عوضاً عن المضاف إليه ، ولا للترنم ، فلم يبق إلا أن يقال : هى فى جمع المؤنث فى مقابلة النون فى جمع المذكر .

وقال بعض النحويين فى توجيه المقابلة : إن جمع المذكر السالم زيد فيه حرفان ، وفى جمع المؤنث لم يزد إلا حرف واحد ، لأن التاء موجودة فى مفرده ، فزيد التنوين فيه ليوازى النون فى جمع المذكر كما أن الحركة فى « مسلمات » موازية لحرف العلة فى « مسلمين » .

قال الشيخ خالد الأزهرى : وفيه نظر ، لأن التاء التى فى المفرد ليست هى التاء التى فى الجمع بل غيرها ، ولو سلم فهذا الجمع لا يختص بما فى مفرده التاء لفظاً ، بل يكون فيه وفيما فيه التاء تقديراً كـ « هندات » بل قد يكون لمذكر مثل : « اصطبلات » والحكم واحد فى الجميع .

قال العلامة السيوطى : وقيل هو عوض عن الفتحة نصبا ، ورد بأنه لو كان كذلك لم توجد فى الرفع والجر ، ثم الفتحة قد عوض منها الكسرة ، فما هذا العوض ؟

أما شيخنا الربعى فقد ذهب إلى أن التنوين فى جمع المؤنث السالم للصرف وليس لغيره وقد وافقه على رأيه الزمخشرى .

قال العلامة الرضى : « وقال الربعى وجار الله » : إن التنوين فى نحو « مسلمات » للصرف ، قال جار الله وإنما لم تسقط فى نحو « عرفات » لأن التأنيث فيها ضعيف ، لأن التاء التى كانت فيها لمحض التأنيث سقطت ، والتاء فيه علامة لجمع المؤنث .

وفيه نظر ، لأن عرفات مؤنث وإن قلنا إنه لا علامة تأنيث فيها لا متمحضة للتأنيث ولا مشتركة ، لأنه لا يعود الضمير إليها إلا مؤنثا ، نقول : هذه عرفات مبارك فيها ، ولا يجوز مبارك فيه إلا بتأويل بعيد كما فى قوله : ولا أرض أبقل إبقالها[٣] .

فتأنيثها لا يقصر عن تأنيث « مصر » الذى هو بتأويل البقعة .

والأولى عندى أن يقال : إن التنوين للصرف والتمكن ، وإنما لم يسقط فى نحو : « من عرفات » لأنه لو سقط لتبعه الكسر فى السقوط وتبع النصب ، وهو خلاف ما عليه الجمع السالم ، إذ الكسر فيه متبوع لا تابع ، فهو فيه كالتنوين فى غير المنصرف للضرورة .

سعد منصور عرفة

---

(٢) سورة البقرة / ١٩٨ .
(٣) انظر شرح الكافية للرضى جـ ١ ص ١٤ .
هذا عجز بيت صَدْرُهُ : فلا مزنة ودقت ودقها





ثانيا: الانسجام الصوتى فى ضوء المماثلة

(١) المماثلة : مفهومها وجدواها :

تعنى مادة (م ث ل) فى معاجم العربية[١] الشّبه والقرب ، فالمثل ـ بالكسر والتحريك ـ والمثيل ـ كأمير ـ الشبه والنظير .. والطريقة المثلى : الأشبه بالحق ، .. وماثله مماثلة : شابهه ، وتماثل العليل : قارب البرء ، وتماثل الشيئان : تشابها .. ولا تكون المماثلة إلا بين المتفقين ، تقول: لونه كلونه .. بخلاف المساواة ، فإنها تكون بين المتفقين فى الجنس والمختلفين .

وبالتأمل فى المعنى اللغوى لمفهوم المماثلة يتَبَيَّن لنا دورانه حول المقاربة والمشابهة والاتفاق بصفة عامة ، ومن هذا المنطلق أدت دوراً بارزاً فى تحقيق الانسجام الصوتى بين لبنات الكلمة ، إذ اعتمد عليها الذوق العربى اعتماداً بالغاً فى هذا الميدان ، مستعيناً بصورها المتنوعة ، كتقارب صوت من آخر بغية التيسير فى النطق ، والاقتصاد فى الجهد ، أو إحلال صوت محل آخر مراعاةً لصوت ثالث قريب منه فى الكلمة .. وهكذا .

وهنا يمكننا أن نلمس العلاقة القوية بين ما قرره المعجميون واللغويون المحدثون[٢] ، فالأمر لا يخرج عن دائرة التوافق كما قرر فندريس[٣] ، وأساسه التشابه كما ارتأى برجشتراسر[٤] .

---

(١) انظر : القاموس المحيط ٤/٤٨ ـ ٤٩ ، مادة (مثل) وكذلك المنْجد فى اللغة والادب والعلوم ٧٤٦ : ٧٤٧ المعجم الوسيط ٢/٨٨٧ : ٨٨٨ .

(٢) علم اللغة : د / وافى ٢٧٢ طـ ٥ عام ١٩٦٢ م مطبعة لجنة البيان العربى ، التجويد والأصوات : د / نجا ٩٦ ، المدخل إلى علم الأصوات « دراسة مقارنة » : د / صلاح الدين حسنين ٧٤ ط ١ عام ١٩٨١ م دار الاتحاد العربى ، مقدمة فى أصوات اللغة العربية : د / عبد الفتاح البركاوى ١٤٧ ط ٣ عام ١٩٨٤ م مؤسسة الرسالة .

(٣) اللغة : فندريس ٩١ ترجمة الدواخلى والقصاص ، القاهرة عام ١٩٥٠ م ، وانظر ايضاً : اسس علم اللغة : ماريوباى ، تحقيق د / عمر ط ٢ عام ١٩٨٣ م عالم الكتب ١٤٧ .

(٤) التطور النحوى للغة العربية : برجشتراسر ٢٩ ، مطبعة المجد عام ١٩٨٢ م .

للدكتور: عبد المنعم عبد الله محمد

وفى ضوء ذلك تَتَبَيَّنُ حقيقة المماثلة، ويتضح مفهومها الاصطلاحى، فهى عبارة عن تحول (الفونيمات) المتخالفة إلى متماثلة، إما تماثلاً جزئياً أو كلياً، والعلة ـ كما هو واضح ـ التوافق والانسجام بين الأصوات المتجاورة المتنافية في الخارج أو الصفات، إذ أن تجاور الصوتين المتنافيين في كلمة أو كلمتين مجلبة للصعوبة والمشقة، ومن هنا اقتضت طبيعة الذوق العربى خلع صفة أحدهما على الآخر توفيراً للجهد وتحقيقاً للانسجام في ضوء هذه الظاهرة[5]، كقولهم (ازدجر) فى (ازتجر) للاتحاد فى صفتى الجهر بين التاء والدال، وقلبهم النون الساكنة ميماً قبل الباء للمشاركة فى المخرج، وما هذه التَّفاعلات إلا بمثابة التعديلات التكييفية للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى، تحقيقاً للانسجام الصوتى الذي يعد معلماً من معالم الذوق العربى فى معالجته للصيغة اللغوية.

وفى ضوء النموذج التالى يستبين لنا ذلك، وتتجلى لنا أهمية المماثلة وجدواها: قرر الصرفيون قلب تاء الافتعال طاء إذا كانت الفاء صاداً، أو ضاداً، أو طاء، أو ظاء[6] فقالوا فى (افتعل) من (الظلم): (اظطلم)، والأصل (اظتلم) رغبةً فى تحقيق المماثلة، والبعد عن التنافى بين المتجاورين، إذ أن التاء صوت مهموس، مستفل، منفتح، ومن ثم يعد ضعيفاً، والظاء صوت مجهور، مستعل، مطبق، مصمت، ولذا يعد قوياً[7].

وقد اقتضت طبيعة الذوق العربى أن يجذب الصوت القوى إلى نفسه مجاوره الضعيف[8]، ومن ثم قلبت التاء طاء، ليكون عمل اللسان من وجه واحد[9]، إذ أن

←

---

(٥) انظر فى ذلك: المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها: الأنطاكى ٢٢ ط ٣ دار الشروق العربى، أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى: د / عبد الغفار هلال ١٧٥.

(٦) الكتاب ٤/٤٦٧ ـ ٤٦٨، الخصائص ٢/١٤١، شرح المفصل ١٠/٤٦ ـ ٤٩، شذا العرف ١٦٨. المنهج الصوتى للبنية العربية (رؤية جديدة فى الصرف العربى) د. عبد الصبور شاهين ٢١٠ ط ١ عام ١٩٧٧ م جامعة القاهرة المحيط: الأنطاكى ١١٣ وما بعدها.

(٧) قواعد التجويد على رواية حفص: د / عبد العزيز القارىء ص ٥٩ ط ٥ عام ١٤٠٤ هـ مطبعة المدنى بمصر، التمهيد فى علم التجويد: ابن الجزرى ٩٠، تحقيق د/ على البواب ط ١ عام ١٩٨٥ م مكتبة المعارف الرياض..

(٨) التمهيد: ابن الجزرى ١١٣.

(٩) الكتاب ٤/٤٦٧.

الانتقال من صوت مطبق إلى صوت مستقل بمثابة الانحدار من مرتفع[10] ، وفى هذا صعوبة على اللسان يتعثر معها النطق ، وهنا تؤدى المماثلة دورها الرائد فى صورة قلب التاء طاء ، لتخرج الصيغة على هيئة (اظطلم) بعد أن فقدت التاء صفة الانفتاح متسمة بالإطباق ، متحدة بذلك مع ما يجاورها ، ومبالغة فى تحقيق الانسجام الناجم عن المماثلة بقلب أحد المتجاورين إلى الآخر فى ضوء الادغام إذ سكن أولهما فترد الروايات عن العرب (اظلم) ، (اطلم) فى قول زهير يمدح هرم من سنان :

هو الجواد الذى يعطيك نائله
عفوا فيظلم أحياناً فيظلم[11]

وهكذا لعبت المماثلة دوراً فعالا فى تحقيق الانسجام الصوتى بين لبنات الصيغة مشيرة بذلك إلى أمرين :

أحدهما : منهج الذوق العربى فى معالجته للبنية اللغوية .

والآخر : دورها الفعال وجدواها فى تحقيق ذلك .

ولا ريب أن الظاهرة المماثلة أصولاً فى تراثنا اللغوى ، فقد ألمح إليها القدامى ، بل خصصوا لها حيزاً عظيماً[12] بين ثنايا مؤلفاتهم النحوية والصرفية والصوتية ، بالإضافة إلى كتب القراءات والتجويد ، مؤكدين بذلك رقة الذوق العربى ، ودقته ، وتوخِّيه السهولة ، ومواكبته الحقة التى هى لب منهجه اللغوى العام .

(ب) المماثلة وأصوات العربية :

تتم عملية المماثلة ـ كما ألمحنا ـ فى ضوء التجاور بين الأصوات ، غير أن هناك سؤالاً يفرض نفسه : هل تتحقق هذه الظاهرة فى ظل أى تجاور صوتى ؟ ولماذا ؟ إن ظاهرة المماثلة لا تتحقق فى إطار أى تجاور صوتى ، بل لابد من وجود العلاقة الصوتية بين المتجاورين ، ممثلة فى التجانس أو التقارب ، أى : اتفاق المتجاورين مخرجاً لا صفة أو صفة لا مخرجاً .[13]

وقد ألمح ابن جنى إلى ضرورة هذه العلاقة

(١٠) ابنية العربية : د/ هلال ١٧٦ .

(١١) البيت من البسيط ، وقائله زهير بن ابى سلمى من قصيدة له مطلعها :

قف بالديار التى لم يعفها القدم
بلى وغيرها الأرواح والديم

انظر : الكتاب ٤/٤٦٨ ، الخصائص ٢/١٤١ ، شرح المفصل ١٠/٤٧ ـ ٤٩ ، التصريح بمضمون التوضيح : الشيخ خالد ٢/٣٩١ البابى الحلبى الديوان ٩١ دار صادر بيروت عام ١٩٧٥ م .

(١٢) دروس فى علم اصوات العربية : كانتينو ٣٩ ترجمة القرمادى ، تونس عام ١٩٦٦ م .

(١٣) انظر فى تعريف التقارب والتجانس : البرهان فى تجويد القرآن : قمحاوى ٤٠ ـ ٤١ مطبعة حسان ، نهاية القول المفيد فى علم التجويد : محمد مكى ١٠٤ البابى الحلبى عام ١٣٤٩ هـ ، النشر ٢/١٩ .

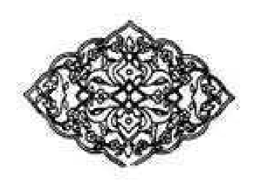
لإتمام المماثلة بين لبنات الكلمة فى صورة القلب ـ مثلاً ـ فقرر أن « أصل القلب فى الحروف إنما هو فيما تقارب منها »(١٤) .. ، ومن ثم إذا فُقِدتْ العلاقة الصوتية بين المتجاورين فُقِد التفاعل ، ونُطِق كل منهما كما هو بكل خصائصه ، دونما تغيير ، فلا ينقلب صوت من أصوات الشفة ـ مثلاً ـ إلى صوت آخر من أصوات الحلق ، وكذلك العكس(١٥) .

وقد رأى بعض الباحثين(١٦) ضرورة كون المتجاورين من مجموعة واحدة من الصوامت أو الحركات حتى تتم المماثلة، مقرراً أنه لا يصح القول بأن صوتاً من جنس الصوامت يبدل من صوت من جنس الحركات ، فشتان بين المجموعتين من كل جانب » .

وتأسيساً على ذلك يرى الباحث أن ما قرره الصرفيون بصدد قلب الواو أو الياء تاءً ـ متى كانت إحداهما فاءً للافتعال ـ بعيد عن الصحة مطلقاً ، ويفسر ما حدث من تفاعل لهذه الصيغة (اتسم ـ اتسر) بأنه إسقاط للواو والياء ، مع تعويض موقعهما بتكرار التاء .

ولا ريب أن الباحث فى ضوء هذا الشرط قد ضَيَّق من دائرة المماثلة ، بل حجر واسعاً ، فمن ذا الذى ينكر وجود علاقة صوتية بين الصوامت والصوائت ؟ ومن ذا الذى ينكر وجود نسب وقربى بين نمطى الأصوات العربية ، وإن كان لكلٍ خصائصه الناجمة عن كيفية نطقه وإصداره ؟

د . عبد المنعم عبد الله محمد



---

(١٤) سر الصناعة ١/١٩٧ كالدال والطاء والتاء والذال والثاء والظاء .

(١٥) التطور اللغوى (مظاهرة وعلله وقوانينه) : د/ رمضان عبد التواب ٢٣ . ط ١ عام ١٩٨٣ ، المدنى ، المنهج الصوتى : ٢٠٨

(١٦) المنهج الصوتى للبنية العربية د / عبد الصبور شاهين ٢١٠ وما بعدها .



الأدب المقارن

أزمة المنظور المتعارف عليه

« الأدب المقارن »[1] مصطلح يستدعى فى النفس الشرقية الإسلامية معانى الحداثة والجدة ، وينتقل بالذهن الشرقى هذا إلى الإطار الثقافى الغربى ـ وبالتحديد الفرنسي والألمانى والانجليزى منه ، حيث نشأ هذا النوع من الدراسة الأدبية فى العصر الحديث ، ولقد تبع هذا الانتقال الذهنى العفوى فى بدايته نوع من المرجوع التلقائى ؛ تمثل فى التعلق السلبي بمناهج هذا النوع من الدراسة الأدبية فى الغرب . وخطورة هذا التعلق لا تكمن فى البداية التعرفية على هذا النوع ؛ وإنما تتحدد أساساً فى أن هذا التعلق قد اتخذ صورة التقليد فى تبنى المنظور ونتاج تطبيقه ، أو فى السؤال العلمى للظاهرة الأدبية وفى الإجابة عليه ، دون مناقشة وافية لا للمنظور ولا لمغزى نتاجه التطبيقى .

وسوف أناقش ـ هنا وفى المقالات التالية ـ قضية « المنظور المتعارف عليه » للأدب المقارن . وهدفى من ذلك : (تحديد مناطق الأزمة ، وإخراجها إلى دائرة الوعى بها ؛ سواء كانت الأزمة فى إطار المنشأ ، أو فى المدلول المستقبلى لهذا النوع من النشاط العلمى) .

أ ـ قضية النشـأة :

إذا كان علم الأدب القومى يتجه إلى (النص) فى إطار نوعه الأدبى بالشرح والتحليل ، وتفسير مدلولاته من خلال عناصره الصياغية والمضمونية ؛ فإن علم الأدب المقارن يتجه إلى علاقة كل ذلك بآداب الأمم الأخرى ، سواء كانت هذه العلاقة تأثرية أو

---

(١) الكاتب حصل على درجة الدكتوراه فى « علم الأدب الألمانى الحديث والمقارن » من جامعة « مونستر » بألمانيا الغربية . وهو مبعوث كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر لهذه الدراسات عام ١٩٧٦ / ١٩٨٦ ويعمل ـ حالياً مدرساً بقسم اللغة الألمانية بكلية اللغات والترجمة / جامعة الأزهـــر .



د.عبدالله محمد أبوهشة

تأثيرية ، أى سواء كان الأدب القومى مُرْسلاً أو مستقبلاً .

هكذا انحصر ميدان الأدب المقارن منذ نشأته ، وتحدد بشرطية وجود هذه العلاقة التاريخية . وهذا بدوره جزء من أزمة المنهج ، كما سنوضح فى مقالات تالية بعون الله تعالى .

وواضح هنا أن الأدب المقارن (بفتح الراء) : هو العمل الأدبى فى علاقته بعمل أدبى من لغة أخرى ، وأن الأدب المقارن (بكسر الراء) : هو التناول العلمى المقارن (بكسر الراء) لعملين من لغتين مختلفتين قامت بينهما علاقة .

وهنا نلاحظ أن ميدان الأدب المقارن فى أدبنا العربى ، وفى الآداب العالمية الأخرى قديم قدم وجود أدبين من لغتين مختلفتين . أما الجديد على الدراسات الأدبية فى المشرق العربى الإسلامى فهو « شبهة » استقلال هذا النوع من البحث العلمى عن علم الأدب القومى . ونحن ـ فى المشرق ـ لم نستطع إلى الآن أن نحدد المصطلح المقصود والمحدد لهذا العمل العلمى لا فى جيل رواد هذا النوع من الدراسة الأدبية ، ولا فى الجيل الذى تلاهم . فالدكتور محمد غنيمى هلال يتحدث عن المدلول التاريخى للأدب المقارن ، ويلاحظ الإضمار القائم فى مسمى « الأدب المقارن » ؛ طبقاً لميدانه البحثى محدداً فى دراسة التأثيرات والتأثرات المتبادلة بين آداب الأمم المختلفة . ثم يقول موضحاً الإضمار المقصود « إذ كان الأولى أن يسمى : « التاريخ المقارن للآداب » أو « تاريخ الآداب المقارن » ؛ ولكنه اشتهر باسم الأدب المقارن » . كما أننا حتى يومنا هذا نتحدث عن « الأدب المقارن » دون تحديد حركة الراء ، أى دون تحديد الصفة بنائياً ، هل هى (اسم فاعل) أو (اسم مفعول) ؟ ثم فى منتصف يناير ١٩٨٨ م قدمت « الجمعية المصرية للأدب المقارن » (التى يرجى منها الكثير) محاضرة للدكتور عبد الحميد يونس ، تحدث فيها عن « الأدب الشعبي المقارن » أيضاً . ولا اعتراض إلا على عدم دقة المصطلح موضوع المقال .

ولعل منشأ هذا الارتباك فى تحديد مسمى

←

هذا النوع من الدراسة الأدبية ، هو اننا مازلنا نستخدم ترجمة مسماه الفرنسى « Littérature Comparée » أو الإيطالى « Litteratura Comparata » أو الأسبانى « Litieratura Comparada » والذى توافق معه المسمى اليابانى أيضاً « Hikaku Bungaku » .

واستمرار هذا الخلط بين مسمى نوع الدراسة ، وبين ميدانها ومادتها ، يرجع إلى عدم التفكير المنهجى الدقيق في طبيعة هذا المصطلح ، وفى مدى تأصيله بالنظر فى تاريخ الأدب العربى بخاصة وآداب الشرق الإسلامى بعامة . ولو تم هذا عن طريق الدراسات بالمقارنة التطبيقية وليست النظرية ؛ لتأصل لدينا الفرق بين العلم وميدانه ، وبين النظرية العلمية ودائرة تناولها .

وهذا الخلط لم تبرأ منه البحوث الأدبية الأوروبية في بداية اهتمامها بالدراسات المقارنة فى أوائل القرن التاسع عشر . ففى القرن السابع عشر بدأت العلوم الطبيعية تتجه إلى الدراسة المقارنة للظواهر ، وتبع ذلك ـ فى عصر لاحق ـ اتجاه العلوم الإنسانية أيضاً ـ ومنها علم الأدب ـ إلى الدراسات المقارنة ، ولأنى لا أريد أن أثقل هذه الدراسة بذكر أولى هذه الدراسات ، أو بذكر مؤلفيها ـ لعدم أهميتها لمنظور هذا المقال القصير ـ سوف أركز على قضية المصطلح الذى سمى به هذا النوع من الدراسة .

لقد ذكرت منذ قليل اللبس الواضح فى المسمى الفرنسي والإيطالى والأسبانى ـ أى اللغات المسماة بالرومانية ـ لهذا النوع من الدراسات الأدبية المقارنة بـ « الأدب المقارن » نفس مصدر المسمى العربى لها . وهذا اللبس مازال قائماً حتى الآن . ولعل أثره فى لغات المصدر المترجم منه أقل منه فى اللغة العربية وفى لغات الشرق عموماً . وسبب ذلك أن مصطلح « الأدب المقارن » فى لغات المصدر ؛ يعيش مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بمصطلح « علم الأدب » القومى ، حيث صفة « العلم » ـ لكليهما ـ ووسائله البحثية قائمة ـ على الأقل ـ فى دائرة المتخصصين في العلوم الإنسانية ، وعند المثقفين .

كما أن الدراسات المقارنة استقرت فى الوجدان العام لشعوب هذه البلاد ؛ وإن اقتصرت على صلات الآداب الأوروبية بعضها بالبعض الآخر ، مما سأتعرض له فى حديث لاحق .

اما فى إطار اللغات الجرمانية ، فإن مسمى هذه الدراسات ، قد تردد ما بين التوافق مع مضمون المسمى فى اللغات الرومانية « التاريخ المقارن للأدب » « Die Vergleichende Literaturgeschichte » فى مقابل « تاريخ الأدب » القومى فقط « Die Literaturgeschichte » ، وما بين انضواء هذه الدراسة المقارنة تحت مصطلح « تاريخ الثقافة المقارنة » « Die Vergleichende Kulturgeschichte » وذلك حتى بداية القرن العشرين . ولم يأخذ « الأدب المقارن » مسمى « العلم » إلا عندما آخذ « الأدب القومى » أيضاً مسمى العلم ؛ فصار الاثنان مرتبطين ارتباطاً وثيقاً منذ مطلع القرن العشرين ، وتسمية « علم الأدب الحديث والمقارن » « Die Neuere Und Vergleichende Literaturwissenschaft » لكثير من الاقسام العلمية بجامعات المانيا وهولندا والدول الإسكندنافية تجعل ميدان هذه الدراسة ليس (التنظير) ؛ وإنما البحث التطبيقي النقدي التحليلي للأعمال الأدبية من لغات مختلفة ، وإن بقيت لغات أوروبية . ومع ذلك فهناك عدد من معاهد « علم الأدب المقارن » ، التى تهتم بالصلات التاريخية بين الآداب المختلفة ، وعلى كل فإن المسمى فى اللغات الجرمانية يختلف عن المسمى فى اللغات الرومانية من ناحية الدقة وتحديد المدلول ؛ حيث المسمى هنا هو « علم الأدب المقارن » ، سواء كان نظرياً تاريخياً أو تطبيقياً تحليلياً .

وقد ساعد على تحديد هوية المصطلح هنا تحديد الدراسة للأدب عموماً بـ « العلم » دون ترك المسألة للهوى الشخصى فى تناول الأدب (وهناك بالطبع فرق بين الهوى المنفلت ، وبين المنزع الشخصى للباحث فى إطار المصطلح والنظام والقواعد العلمية لميدان الدراسة) .

ب ـ قضية الإطار الثقافى الأوروبى :

بقى أن أقرر هنا بأن منشأ الدراسات المقارنة فى أوروبا كلها ، ظل مرتبطاً فى جملته بميدان واحد : هو دراسة التأثر والتأثير بين الآداب الأوروبية بعضها بالبعض الآخر . ولقد استمر « علم الأدب المقارن » فى أوروبا ، يستمرىء أوروبيته ، لا يخرج منها إلى آداب القارات الأخرى ، التى تأثرت بها الآداب الأوروبية ؛ إلا فى حالات معدودة خلال قرون طويلة ، بل إن هذه الدراسات المعدودة قام بها غالباً غير الأوروبيين .

« يتبـــع »

د / عبد الله محمد ابوهشـه

علية الجعار
وديوان
غريب أنت ياقلبى

صدر ديوان (غريب انت ياقلبى) للشاعرة علية الجعار عن دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٣م .

وقد قسمته الشاعرة إلى خمسة اقسام :

(وجدانيات ، تسابيح ، فى نور النبوة ،وطنيات ،شخصيات)

ورحلة داخل الديوان من خلال القصائد الإسلامية نجد فيها مايطهر النفس البشرية من خلال مشاعر صادقة ، والشاعرة علية الجعار من الشاعرات اللائى يواصلن الخطى فى صبر بذلك الحس المرهف واللغة السلسة .

وتبدأ الشاعرة قصائدها الإسلامية بقصيدة (تسابيح) التى تتصدر مجموعة القصائد جاء فيها :

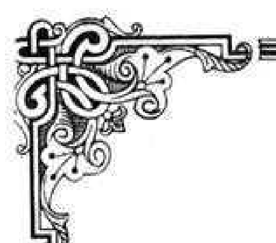
يسبح الكون للإله
سبحان من أنشأ الحياه
ونور الكون من ضياه
سبحانه جل فى علاه

فالملائكة والبشر ● والشمس والنجم والقمر ● والأرض والزهر والشجر ● والبحر والنهر والمطر ● يسبحون لله الواحد جل فى علاه .

والشاعرة متأثرة هنا بمعانى القرآن الكريم ، فما من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ .

ثم تأتى قصيدة (الصلاة)

فالصلاة هى الملاذ إلى الله والوقوف بين



عرض: مصطفى عبد الشافى مصطفى

يديه وبالسجود يقترب الإنسان من الله ويدعوه بالقول :

إذا أرهقتنى هموم الحياة

ألوذ بربى .. أقيم الصلاه

أرى الله فى وقفتى يحتوينى

ويملأ روحى رضا من رضاه

وأشعر فى سجدتى باقترابى

فأدعوه أرجو سنا من هداه

وهكذا تجد النفس المؤمنة فى اقترابها من الله الهداية والأمان ، والصلاة هى عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين وشعر بالطمأنينة ووجد رضا الله سبحانه وتعالى .

وفى قصيدة (جنة القرآن) تقول الشاعرة :

إذا ضاقت بى الدنيا

وشاب عزيمتى ضعفُ

وضجت وحدةُ روحى

وروع أمنها الخوفُ

ألوذ بجنة القرآن

فهو الفىء والإلفُ

تفيض حروفه نورا

ويشفى علتى حرفُ

فالقرآن كتاب الله المنزل على نبيه وهو الكتاب الذى أنار بنوره الظلام ؛ فالقرآن خير أنيس ، والقرآن حديث الله للبشر فمن أراد أن يناجى الله قرأ القرآن فيه شفاء للناس وتزداد بتلاوته الحسنات وهو خير حافظ . وقد عبرت الشاعرة عن ذلك بأن القرآن يدخل إلى نفسها الطمأنينة والأمن وتفيض حروفه نوراً . وتأتى قصيدة (القرآن الكريم) لتدور فى نفس المعانى فتقول :

كتاب محكم الآيات تنزيل من الرحمن

به أنباء هذا الكون ما سيكون أو ما كان .

فكتاب الله محكم الآيات يقول تعالى :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾

فالقرآن فيه أنباء هذا الكون ماسيكون أو ما كان فقد ذكر الله فيه من القصص مافيه

←

العبرة والعظة وهو الكتاب المنزل من عند الله الرحمن الرحيم وصدق الله العظيم الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ ﴾ .

وتختتم قصائد (تسابيح) بقصيدتها (ياسامع الدعاء) .

اللهُ ياسامعَ الدعاء
ياواسع الجود والعطاء

فسبحانه وتعالى هو الذى يستجيب الدعاء ويجود بالعطاء وهو الرازق وهو على كل شىء قدير . ثم تقول :

ندعو ونرجوك يامجيب
فانت ياربنا قريب
ومن اتى الباب لن يخيب

وهكذا تمضى الشاعرة فى تسابيحها .

ثم تنتقل الشاعرة من (التسابيح) إلى (نور النبوة) فى قصائدها بعنوان (فى نور النبوة) فتبدأ ذلك بقصيدة مستوحاة من الآية الكريمة ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

والقصيدة تحمل نفس العنوان إذ تقول :

عطر بذكر محمد الحانى
واقبس من الاخلاق والإيمان
قامت على الخلق العظيم حياته
اثنى عليه الله فى القرآن

بهذه المعانى الجليلة تبحر الشاعرة فى صفات رسول الله وأخلاقه العظيمة ورحمته للعالمين فهو الصادق الأمين وقد أثنى الله عليه فى القرآن الكريم فقال جل شأنه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

وقال : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

ونصل مع الشاعرة إلى قصيدة (الرحمة بالنساء) فتقول :

احسست عزة نفسى منذ إسلامى
وفى حمى المصطفى حققت احلامى
بالعطف يغمرنى . بالحق ينصرنى
وفى وصيته اوصى بإكرامى

ولعلها تذكرنا بحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « استوصوا بالنساء خيرا »[1] .

وقد استجاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لطلبهن درسا يخصص لهن وجاءت رسالته لتعز النساء وتمنع وأد البنات ، وما كان يسود فى الجاهلية من تفضيل الذكر على الأنثى ، فأعز الإسلام النساء ورفع من قدر المرأة . وهكذا تمضى الشاعرة فى ذكرها للمصطفى الهادى البشير المبعوث رحمة للعالمين الصادق الوعد الأمين (صلى الله عليه وسلم) متأثرة بالتراث الإسلامى من خلال معانى القرآن الكريم وسيرة الرسول أشرف الخلق أجمعين .

وقد وفقت الشاعرة فى اختيار الوزن والقافية من خلال القصيدة العمودية فلم تخرج على عمود الشعر العربى .

مصطفى عبد الشافى مصطفى

---

(١) من خطبة الوداع . رواها البخارى .

عرض : الأستاذ
عبد الفتاح السيد عبد السلام



فضيلة الإمام الأكبر

الشيخ جاد الحق على جاد الحق

التنافس بين الابوين

فى البعد عن الأولاد

لقد انصرف الأبوان عن التربية الصحيحة لمن فى مسئوليتهما من الاولاد والإخوة والاخوات ، انصرف كل منهما إما إلى الاشتغال بامور الهتهم عن هذه المسئولية الأولى ، وإما بسبب ماثار فى الأونة الأخيرة من التنافس بين الأبوين فى البعد عن المنزل وفى إهمال الواجبات الأبوية نحو الأولاد .. كما ان المسئولية المدرسية قد انعدمت او كادت تنعدم ، وقد اتجهت كل المسئوليات ولو فى الظاهر إلى توفير الطعام والإدام وكانها تعمل على تربية اجساد دون أن تعرف ان المطالب الروحية لابد أن تتواءم مع المطالب الجسدية وأن غرس الخلق الفاضل ، والحذر من الشرور والآثام ونقاء الذمة والضمير وتكوين الوازع الدينى أمر ضرورى والذى يتمثل فى قول الرسول ﷺ « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .. هذا الوازع الحارس قد انزوى فى نفوس الأجيال المتعاقبة منذ ان انحسرت المسئولية كما سبق ..

والعلاج .. أن تعود المسئولية والمساءلة عليها .. لكل متخل عنها وذلك بعد التوعية والإيضاح لجوانب هذه المسئولية وحدودها ، وعواقب التخلى عنها ولابد من حزم وعزم حتى تعود الأمور إلى نصابها ، وذلك لا يتأتى إلا بالتربية الصحيحة فى نطاق احكام الإسلام الذى أوصى بالأخذ بأسبابها منذ أن يكون الوليد

←

من خير ما نشر

اهلا للتربية والتعليم والتوجيه ولعلنا ناخذ هذه الأهلية من قول الرسول ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع » وفي قوله ﷺ « إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع » . حتى يسال الرجل عن اهل بيته .

عن تحقيق للسيدة : الهام أبى الفتح

الإدمان يهدد تلاميذ المدارس والجامعات

في السنوات الأخيرة انتشرت المخدرات بشكل مذهل . وهناك نسبة محددة لطلبة المدارس والجامعات من المدمنين .. فكيف تصل هذه السموم إلى داخل الحرم الجامعي بل وإلى المدارس الاعدادية والثانوية ؟

● تقول مديرة إحدى المدارس المعروفة : نعم بدأت المخدرات تنتشر في المدارس الاعدادية والثانوية ، والسبب في انتشار هذا الوباء انعدام الرقابة الذى أصبح ظاهرة خطيرة جداً .

● ويقول العميد مصطفى الكاشف بالإدارة العامة لمكافحة المخدرات : شبابنا وتلاميذنا لم يجدوا الرعاية اللازمة التى تحفظهم ، وتنمى فيهم قوة الوازع وهم يفتقدون القدوة في غياب الأب والأم ، فالفصول تكدست والاهتمام أصبح أقل .

● ويقول الأستاذ « محمد الرشيدى » مدير مدارس العروبة بالمعادى : لا أنكر تعاطى بعض طلبة الثانوى حبوباً مخدرة ، وفي رأيى أن التربية الدينية وإيقاظ الوعى الدينى عند التلاميذ هو أفضل وسيلة لحمايتهم من الانحراف . د . فتحى سرور هاله مضمون الأرقام وما تتضمن من نسبة إدمان ولم يوافق عليها كمصدر علمى قاطع ، وعن اقتراح ادخال المواد المخدرة وآثارها كمادة تدرس للطلبة يقول د . فتحى سرور : هذا اقتراح جيد ولكن يمكن إدخالها كجزء من مادة .

وأخيراً .. فإن غول الإدمان يهدد أبناءنا ويحتاج إلى جهودنا جميعاً .

الأستاذة / سلوى العنانى

ثقافتنا في المناهج الدراسية

« وقضية الانتماء »

إن شعار الانتماء الذى نرفعه فوق رءوسنا يجب أن يتحول إلى عمل وإلى موقف محدد مدروس فكيف ينتمى الطالب إلى ثقافة لا يعرفها وبالتالى لا يحبها ؟.. وكيف ينتمى الإنسان إلى لغة لا يعرف أسرارها .. وكيف ينتمى الفرد إلى أفكار غابت عنه .

ويكفى ما يتعرض له هذا النشء من غزو فكرى من خلال « المجلات » والكتب المترجمة والمسلسلات التليفزيونية التى تمسخ شخصية ابنائنا إذ تصادف اذهانا

ضحلة خاوية من المثل والأفكار .. فترسم فيها مثلاً مشوهة بعيدة عن شخصيتنا وتراثنا .

إن محاولة جادة مخلصة لتحبيب أبنائنا في الأدب العربي القديم والحديث ليست شيئاً مستحيلاً .. فقط إذا فكر القائمون على أمر المناهج التعليمية عندنا أن يحولوا الشعارات إلى حقيقة ساطعة .

الدكتور / **عبد الجليل شلبي**

قرآن وسنة

استباحت إسرائيل .. غير آبهة بمشاعر المسلمين أن تسطو على المصلين في المسجد الأقصى وفي مسجد القبة . هجم عليهم الجنود الإسرائيليون وهم في صلاة الجمعة فشتتوهم وأفسدوا صلاتهم وبذا سجلت إسرائيل على نفسها أنها ترتكب أفجر وأبشع ما يعمله إنسان وحشي لا يعرف شيئاً من معاني المدنية ، وقد فعلوا ما فعلوا بأبناء فلسطين في مرات عديدة . والمحارب يقتل خصمه في المعركة لكنه إذا جرحه فقط وأسره فإن عليه أن يطيب له جراحه حتى تصح ، هذا لأنه بعد أن جرح وأسر وأصبح أعزل لا يستطيع ان يحارب خصمه ، ولا ان يدافع عن نفسه ، وبقيت كرامته الإنسانية تفرض على كل إنسان أن يعنى به وأن يحافظ على حياته وسلامة جسمه والأمم كلها تفعل ذلك عدا إسرائيل !

للمهندس : **إبراهيم أبو سنة**

« لا » للطاقة الذرية .. « نعم » للطاقة الشمسية

يقول بعض مؤيدي استغلال الطاقة الذرية إنها طاقة نظيفة لا رائحة لها ولا ضجيج ، وهذا التعبير يوجز خطر الطاقة الذرية ، لأنها تنفذ بسكون إلى الخلايا الحية فتقتلها ثم لا تزال تتراكم مسببة امراضاً شديدة لا تظهر اعراضها - كالأمراض السرطانية والأمراض الوراثية - إلا بعد فوات الأوان والآن .. ما البدائل ؟

البديل الأول : الطاقة الشمسية .. فالطاقة الشمسية ليس لها أخطار على الإنسان ، ثم هي طاقة متوافرة ، كما أن التأثير على بلد ما اقتصاديا أو سياسيا أو عسكريا عن طريق ضرب مجمعات الطاقة فيه يصبح أمراً بعيد المنال مع الطاقة الشمسية .

البديل الثاني : ترشيد الاستهلاك .. ويتحقق بوسائل عديدة منها التصميم الجيد للمباني بما يعمل على تقليل الطاقة المستخدمة في أجهزة التكييف ، وإنتاج سيارات صغيرة بمحركات ذات استهلاك قليل .

←

من خيـر ما نشـر

ثالثاً : الاستفادة من الحرارة الناتجة من المصانع على شكل أبخرة ساخنة وقد تمكنت ألمانيا الغربية من استغلال « ٧٥٠٠٠ » طن من هذه الأبخرة في توليد ١٠ ملايين كيلو وات كهرباء أى ما يعادل إنتاج ثمانية أفران ذرية .

الأستاذ / أحمد الصاوى

ما قل ودل

اتمنى أن تزداد فترات البرامج الدينية سواء على الشاشة أو الإذاعة وأن تكون الأغانى والتمثيليات للفضيلة بعيدة عن رنين الكئوس والقبلات . وليكن الممثلون والمطربون قدوة بسلوكهم وأخلاقهم الكريمة لأن فاقد الشيء لا يعطيه .. ومن تمنياتى ترشيد الإنفاق في الدولة والأسرة فنحرص جميعاً على قطرة الماء وومضة الكهرباء وقصاصة الورق ومضغة الطعام مما يظهر أثره حفاظاً للمال واستغناء عن الاستيراد . واخيراً وليس آخرا أن نعتمد على انفسنا في محاربة الغلاء ومقاومة التجار الجشعين وسبيلنا لذلك هو الأخذ بحكمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين ذهب إليه من يشكو الغلاء فقال عبارته المشهورة « أرخصوها بالترك » .

الدكتور / أحمد هيكل

منهج الدعوة الإسلامية لغير المسلمين

يجب أن يتجه إلى تأكيد معنى الوحدانية وسيادة مجتمع الحب والمعرفة والتحضر وتأكيد فكر وأسلوب الإسلام في التسامح والتكافل على أن يكون الداعية ملماً بلغة المجتمعات التى يتحدث إليها ليسهل تعريفهم بالإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً وقيماً كما تتيح له الفرص للرد على خصوم الإسلام الذين يشيعون عنه الأكاذيب والمغالطات .

الأستاذ / صلاح منتصر

الفلسطيني الجديد

لأول مرة يسمع المواطن الأمريكى عن الجيش الإسرائيلى باعتباره « جيش الاحتلال » وهو تعبير جديد « خرم »[1] آذان المستمعين الأمريكيين الذين لهم سنوات طويلة وهم يسمعون عن « جيش الدفاع الإسرائيلى » والفرق كبير بين التعبيرين ، فجيش الاحتلال يعنى جيش الاغتصاب والانتهاك ، أما جيش الدفاع فيعنى جيش أصحاب الحق الذين يدافعون عن حقوقهم .. ما أعظم ما فعله الشباب الفلسطينى الذين خرجوا بالأحجار الصغيرة يواجهون دبابات

(١) ثقب .

ومصفحات ومدافع ورشاشات الإسرائيلي المحتل .

الأستاذ : **عبد السلام داود**

علامة استفهام

افتح الجريدة فى الصباح ، وأستمع إلى برامج « الراديو » وأجلس لمشاهدة « التليفزيون » فأزداد شعوراً بالاغتراب . كيف تقع تلك الأحداث المروعة مثل حادث سقوط طائرة مثلاً ويذهب ضحيته ثلاثمائة رجل وشاب وامرأة وطفل وتكون محصلة النبأ هى مصرع الثلاثمائة ؟

ماذا جرى بالتفصيل ؟ ، وماذا فعلت طائرات وسفن وقوارب الإنقاذ بالضبط ؟

وألوف الشباب الذين يسقطون فى مناطق التوتر والثورات والحروب فى طول الدنيا وعرضها .. ماذا عنهم ؟

كيف ندع كل هذا جانبا لنمضى الساعات نشاهد ونسمع مسرحيات وتمثيليات عن معلم فى قهوة بلدى أو طغيان عمدة فى أرياف لم يعد لها وجود ؟ أين نحن مما يجرى حولنا بالضبط ؟

الأستاذ : **فتحى شعير**

صرخة من أجل الاهتمام بالتاريخ الهجرى

منذ بدأ المسلمون فى عهد عمر ابن الخطاب رضى الله عنه اتخاذ الهجرة النبوية بداية لتاريخهم .. وكل المناسبات والأحداث تؤرخ بالتاريخ الهجرى ، وظل هذا الأمر ثلاثة عشر قرنا .. إلى أن مُنِىَ معظم الدول الإسلامية بالاستعمار الصليبى الذى حاول فى سبيل تغيير هوية هذه الدول إدخال التقويم الميلادى ليحل محل التقويم الهجرى ، وإذا لمسنا لأنفسنا العذر فيما مضى لأى سبب كان ، فلا أجد لمن يحملون لواء الفكر الإسلامى فى عصرنا الحديث عذراً فى الاستمرار فى إهمال اتخاذهم للتاريخ الهجرى أساساً فى تأريخهم لكل الأحداث .

الأستاذ / **أحمد الصاوى محمد**

ما قل ودل

ابتكر الباحثون فى بريطانيا « تليفوناً » خاصاً بالصم والبكم يمكن عن طريقه التحدث بلغة الإشارة باستخدام صور متحركة يستقبلها الطرف الآخر على جهازه المزود بشاشة تليفزيونية صغيرة .

وفى موسكو يقدم « التليفزيون » نشرة أخبار يومية للصم والبكم . وفى أسبانيا يخصص « التليفزيون » قناة للصم والبكم ، كما يسمح لهم باستعمال وسائل المواصلات العامة بالمجان ، إلى غير ذلك من الوسائل التى تخفف عنهم وتنسيهم عاهاتهم . إن أحد أسباب تقدم دول الغرب هو نظرتهم الإنسانية إلى المعوقين ، أرجو أن نقتدى بدول الغرب فى نظرتهم إلى المعوقين بدلاً من اعتبارهم أنصاف بشر لا عمل لهم ولا قيمة لهم فى الحياة .

من خير ما نشر

الأستاذ / عبد القادر شهيب

نساء الحجارة

كان بطل الانتفاضة الذى هز المشاعر العربية وبهر أجهزة الإعلام الغربية هو الطفل الفلسطينى . فهذا الطفل لم يكتف بالتصفيق للمشاركين وإنما كان فى المقدمة . فنسبة ٦٠٪ من المصابين والشهداء فى الأرض المحتلة أطفال وصبية صغار . وفى غمرة الحماس الذى أشاعوه فينا نسينا بطولات أخرى .. كان أبرزها بطولة المرأة الفلسطينية ، لم تكتف المرأة الفلسطينية ، بإعداد الأطفال ليوم الانتفاضة ولكنها شاركت فيها حينما جمعت لهم الحجارة ، ورمت بنفسها على فوهات البنادق لتخليص الأطفال من قبضة جنود الاحتلال . فكما برز خلال الانتفاضة « أطفال الطوب » برزت أيضاً « نساء الحجارة » فطوبى لنساء الحجارة .

الأستاذ / أحمد بهجت

الثمن المطلوب

ليس من العدل ابداً ان ترد الدول الفقيرة ديونها مضاعفة ، ولا احد ينكر فضل الدول الغنية فى إقراض الدول الفقيرة ، ولكن هذا الفضل يجب الا ينقلب إلى استغلال او استنزاف .

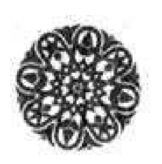
إن كل استغلال أو استنزاف يدفع ثمنه فى النهاية اطفال الدول الفقيرة .. وهؤلاء لا يملكون مالا ولهذا يدفعون الثمن من صحتهم .

فضيلة الشيخ / أحمد مسلم

حكم الدين فى مشاهدة الرجال لمباريات الكرة النسائية

مشاهدة الفتيات أو النساء وهن فى ألعاب رياضية خلعن معها الملابس التى تستر البدن ، ولبسن ملابس الرياضة المعروفة عندهن ، لا يجوز شرعاً لأنه يعرض المشاهد للفتنة والغواية وكل ما يعرض لذلك لا يجوز شرعاً .

إعداد / عبد الفتاح السيد عبد السلام



فأى العصرين حينئذ يكون هو الجدير بأن يسمى (عصر العلم والنور والمعرفة) : عصر تكون فيه شمس الأدب الحسن سراجا وهّاجا فى كبد السماء ، قد أنار ضوؤها أقطار السموات والأرض . أم عصر تكون فيه شمسه مكسوفة قد أظلم وجهها إلا قليلا ؟

إن مثل هذا السؤال لا يحتاج إلى جواب منا ، فنترك الإجابة عنه لأهل هذا العصر ولا سيما المسلمين منهم ، فإن هذا الحديث حديث نبيهم صلى الله عليه وسلم الذى أرسل إليهم ليعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم .

هل يظن أحد من الذين تدبروا ما بسطناه وعقلوه حق تعقله أن المسلمين الآن قد نحلوا أولادهم هذا النحل ، وهو الأدب الحسن الذى جاءهم عن ربهم على لسان رسولهم عليه الصلاة والسلام ؟ إن الجواب عن هذا السؤال أيضا يعلمه عامة الناس وفى مقدمتهم الوالدون . فعسى أن يرحموا أولادهم ويوفقوا لأن ينحلوهم هذا النحل النافع ، ﴿ وَاللهُ يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

وبعد فإنا قد اكتفينا بالكلام فى الصناعة عن التعرض لبقية أصناف الأعمال الدنيوية كالتجارة والزراعة ، فإن حظ المسلمين بتفريطهم فيها وحظ غيرهم بجدهم فيها ، كحظهم جميعا فى الصناعة : جهلٌ وخمولٌ وحرمانٌ للأولين ، وعلم واجتهاد وثروة للآخرين .

ولكنا بعد هذا كله لا نزال نرجو أن المسلمين يفيقون مما هم فيه ، فإن هذه الكوارث والقوارع التى تنتابهم آنا فآنا فى دينهم ودنياهم كافية كل الكفاية فى زجرهم واتعاظهم وإقلاعهم عن الإعراض عن أوامر الله ورسوله ، حتى يؤهلوا أنفسهم لأن يبدل الله تعالى سيئات ماهم فيه حسنات ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَابِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ . وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَالَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ .

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ .

حسن منصور

أنباء وآراء

بيان صحفى

عن المؤتمر الحادى عشر لمجمع

البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

ازدحمت فى هذه الأيام ساحة الفكر فى العالم بمختلف التيارات والمذاهب والفلسفات وتطورت فيها وسائل الإعلام والاتصالات بصورة مذهلة بحيث أصبحت تعرض على أذهان الجماهير صباح مساء وتكاثفت فيها هيئات منظمة ومدربة على عرض أفكارها ومذاهبها أمام جماهير المسلمين بصورة مغرية تستغل فيها جميع الوسائل والأساليب اقتصادية واجتماعية ونفسية وذلك لصرفهم عن دينهم أو لتشويش أفكارهم ، أو للانحراف بهم إلى متاهات فكرية ونفسية مما يترتب عليه تمزيق صفوف المسلمين ، وتفريق كلمتهم وإيقاع أسباب الخلاف بينهم مما يضعف موقفهم ويفل شوكتهم ، والأزهر وعلماؤه يعملون قدر ما تواتيهم الإمكانات والوسائل على نشر الثقافة الإسلامية فى صورتها الجلية الواضحة بعيدة عن أسباب الخلاف نقية من الشوائب والفضول ، منزهة عن الأهواء والعصبيات مظهرة ما فى مختلف المذاهب والأفكار المنحرفة من عوامل هدامة وعناصر مخربة ، والأزهر وهو يعمل فى هذا الميدان يقدر جميع الجهود التى تبذلها الهيئات الأخرى فى العالم العربى وفى العالم الإسلامى . لكن الميدان واسع بحيث لم تعد الجهود المتفرقة كافية للقيام بهذه المهمة كاملة ، وعلى الوجه الذى يضمن النتائج ، لهذا مست الضرورة من أجل العمل على مدارسة نشاطها الدعوة الذى تقوم به مختلف الهيئات والمنظمات الإسلامية للتنسيق فى أنواع نشاطها لنتدارك أوجه النقص ونواحى القصور ، ولتتكامل نواحى الجهود وميادين النشاط .

وإذا كان العمل من أجل إنقاذ الجماعات الإسلامية فى كثير من بلدان العالم الإسلامى مما يحيق بها من كوارث طبيعية ، أو أزمات اقتصادية أو غير ذلك من النوازل يعتبر من صميم المبادىء الإسلامية ، ومن النواحى المتكاملة مع فكرة الدعوة الإسلامية ، وكانت هناك بعض الهيئات التى تتولى هذه الناحية لإغاثة المنكوبين والملهوفين من أبناء المسلمين أفراداً أو جماعات فمثل هذا النشاط لابد أن يوجه فى تنسيق مشترك بين مختلف هذه الهيئات حتى يؤتى ثماره أضعافاً مضاعفة

إعـــداد :

د. أحمد عبد الرحيم السايح

ويوفر المال والوقت والجهد ، من أجل هؤلاء ومن أجل هذه الضرورة برزت فى الأزهر الشريف فكرة عقد هذا المؤتمر لمعالجة موضوع شئون الدعوة الإسلامية وذلك تحت رءوس الموضوعات التالية :

١ ـ التنسيق بين نشاط الهيئات التى تقوم بالدعوة الإسلامية .

٢ ـ التنسيق بين نشاط الهيئات الإسلامية التى تتولى أعمال الإغاثة .

٣ ـ قدسية الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى .

٤ ـ وضع الأقليات المسلمة فى العالم ومسئولية المسلمين تجاهها وغير هذا من القضايا المعاصرة للأمة الإسلامية .

وقد قررت اللجنة العليا لهذا المؤتمر بجلستها التى انعقدت بالأزهر الشريف يوم الخميس ١٦ من جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ الموافق ٤ من فبراير ١٩٨٨ م ، أن يعقد هذا المؤتمر فى الفترة التى تبدأ بتاريخ ١٥ من رجب ١٤٠٨ هـ الموافق ٤ من مارس ١٩٨٨ م ، ودعى إليه ممثلون لعلماء المسلمين من نحو ثمان وثمانين دولة منها ثمانى عشرة دولة عربية واثنتان وثلاثون دولة أفريقية ، وعشرون دولة آسيوية وثمانى عشرة دولة أوروبية وأمريكية وتجاوز عدد المدعوين مائتى عضو من غير أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ، كما دعى ممثلون عن مختلف الهيئات والمنظمات ، كرابطة العالم الإسلامى ، واتحاد الإذاعات العربية ، ومنظمة الصحة العربية ، ومنظمة المؤتمر الإسلامى ، ومنظمة الثقافة والعلوم العربية « أيسيسكو » ، ومجمع الفقه الإسلامى واتحاد البنوك الإسلامية ، ووزراء الأوقاف والشئون الدينية فى الدول الإسلامية .

ويتضمن جدول أعمال المؤتمر صلاة الجمعة بالجامع الأزهر يوم ١٥ من رجب ١٤٠٨ هـ الموافق ٤ من مارس ١٩٨٨ م وحفل الافتتاح الذى يبدأ الساعة العاشرة من صباح السبت التالى ، ثم تبدأ جلسات العمل ابتداء بجلسة المساء يوم السبت لتناقش أمورا وبحوثا عامة عن الدعوة الإسلامية ، وفى الجلسة الصباحية ليوم الأحد تلقى وتناقش البحوث الخاصة بالتنسيق بين نشاط الهيئات والمنظمات القائمة بالدعوة الإسلامية ، وفى الجلسة المسائية تلقى وتناقش البحوث الخاصة بالأقليات المسلمة ومسئولية المسلمين تجاهها .

وفى جلسة الاثنين الصباحية تلقى وتناقش الموضوعات الخاصة بالتنسيق بين المنظمات الإسلامية التى تقوم على أعمال الإغاثة فى العالم الإسلامي ، وفى جلسة المساء تلقى وتناقش الموضوعات المتعلقة بالمقدسات الإسلامية .

ثم تلقى القرارات والتوصيات التى

←

أنبـــاء وآراء

يتوصل إليها المؤتمر في الجلسة الختامية التى تعقد صباح الثلاثاء .

ونسأل الله أن يتوج عملنا هذا بالتوفيق والسداد وأن يجعله خالصاً لوجهه .

وبالله التوفيق .

٢٢ من جمادى الآخرة سنة ١٤٠٨ هـ
١٠/٢/١٩٨٨ م

المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الاسلامية

صدرت توجيهات فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ بالعمل على عقد المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية ..

يراس فضيلته المؤتمر ، ويقوم فضيلة الأستاذ الدكتور رءوف شلبى وكيل الأزهر بأعمال الوكالة . ويشرف فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية على أعمال المؤتمر .

وقد اجتمعت اللجنة العليا للإعداد لهذا المؤتمر برياسة فضيلة الإمام الأكبر يوم الخميس ١٦ من جمادى الآخرة ١٤٠٨ الموافق ٤/٢/١٩٨٨ ، للنظر في الموضوعات التى تختص بهذا المؤتمر ومناقشة شئون الدعوة الإسلامية .

يشارك في أعمال المؤتمر عدد من الوزراء ..

يأتى هذا المؤتمر تنفيذاً لإحدى توصيات المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية للتنسيق بين الجهات المسئولة عن الدعوة في العالم الإسلامي .

وجهت الأمانة الفنية بالمجمع دعوتها لأكثر من مائتى عالم من أبرز علماء المسلمين في ثمان وثمانين دولة في العالم .

يبدأ المؤتمر أعماله ابتداء من ١٥ من رجب ١٤٠٨ حتى ١٩ منه الموافق ٤/٣/٨٨ حتى ٨/٣/٨٨ ، يناقش المؤتمر وضع الأقليات الإسلامية في العالم ؛ وقدسية الحرمين الشريفين إلى موضوعات أخرى بجدول أعماله .

الأزهـر وماليزيا

استقبل فضيلة الدكتور رءوف شلبى وكيل الأزهر بمكتبه السفير واتوراجا منصور سفير ماليزيا بالقاهرة يرافقه السيد / ادريس زين الدين القنصل العام والسيد / محمد علوى يوسف المستشار الثقافى بالسفارة .

وقد دار الحديث خلال هذا اللقاء حول العلاقات الثقافية بين الأزهر وماليزيا وحل مشاكل الطلاب الماليزيين الذين يدرسون بجامعة الأزهر حيث أبدى السيد السفير رغبته في تحويلهم إلى كليات بالأقاليم مماثلة لكلياتهم بالقاهرة حتى يساعدهم ذلك على إجادة اللغة العربية عن طريق المحادثة مع إخوانهم المصريين ، كما نقل السيد السفير دعوة سلطان ولاية سلاغور بماليزيا لفضيلة الدكتور وكيل الأزهر لحضور الاحتفال الذى سيقام يوم ١٧ مارس القادم بمناسبة افتتاح المسجد الأكبر بالولاية ، والذى أقيم على مساحة قدرها ٤٠ فدانا ..

مؤتمر إسلامي كبير

عقد في « بوجوتا » بأمريكا اللاتينية المؤتمر الإسلامى الدولى الثانى فى أمريكا اللاتينية ، وشارك فى أعماله أكثر من مائة مندوب من الدول الإسلامية والمسلمون فى دول أمريكا اللاتينية .

واكد المتحدثون من الوفود الإسلامية : ضرورة توضيح نماذج الحياة الإسلامية والتعرف بشكل افضل على الثقافة العربية . وأشارت المصادر إلى أن المؤتمر بحث موضوعات عديدة مثل قضايا الشباب والشريعة الإسلامية ، ووضع المرأة المسلمة والحضارة الإسلامية فى أمريكا اللاتينية . وأشاد المشاركون بازدهار الإسلام وتزايد أعداد المسلمين فى دول أمريكا اللاتينية .

محكمة إسلامية دولية

فى الندوة التى اقامتها كلية الآداب بجامعة القاهرة مؤخراً نادى بعض المشتركين فيها بضرورة إنشاء محكمة إسلامية دولية على غرار محكمة العدل الدولية تقوم بالتحكيم بين الدول الإسلامية والفصل في المنازعات التى تنشأ بينها ، وقال : إنه من غير المعقول أن نحتكم إلى محاكم تقام فى أرض غير إسلامية ، وأن تشكل من أعضاء غير مسلمين للفصل بين المسلمين .

الاختلاط فى التعليم محظور

أفادت صحيفة الرائد الهندية بأنه سيفرض الحظر على الاختلاط فى المدارس الثانوية من سنة ١٩٨٨ م فى « موريشيس » وسيطبق هذا القانون على عشر مدارس مختلفة يدرس فيها خمسة آلاف من الطلاب ، وأفادت الأنباء بأن المسئولين اضطروا إلى هذا القرار لأن سياسة الاختلاط فى التعليم أدت إلى نتائج خطيرة لا تتناسب وشرف الرسالة التعليمية .

هيئة خير لمؤازرة المسلمين

اقيمت بالكويت هيئة خيرية إسلامية من أجل إنقاذ المسلمين من المعاناة التى يعيشونها والتى هى فى معظمها نتاج الفقر والجهل والمرض في كثير من نواحى العالم الإسلامى والأقليات ..

ترفع الجمعية حملة تحت شعار « المسلمون بين الحاضر المأساوى والمستقبل المشرق » . والهيئة تأمل مؤازرة العلماء والقادرين من أهل الخير .

تعريب مناهج كليات الطب

طالب المؤتمر العربى الرابع والعشرين لاتحاد الأطباء العرب فى جلسته الختامية بتعريب مناهج كليات الطب ومناشدة شعوب العالم العربي والإسلامي بتطبيق تعاليم الدين الحنيف للوقاية من الأمراض المنتشرة فى الغرب وبخاصة « مرض الإيدز » وقد قرر المؤتمر أن يكون عام ٨٨ عام بدء تعريب الطب فى كليات الطب المختلفة في العالم العربى ، وأن تكون البحوث فى مؤتمر اتحاد

أنبـــاء وآراء

الأطباء العرب باللغة العربية ومناشدة منظمة الصحة العالمية عقد اجتماع لعمداء كليات الطب فى العالم العربى للبدء في عملية التعريب . وناشد المؤتمر المجتمع الدولى تجنب أخطار الحروب النووية وضرورة تدريس آداب مهنة الطب فى مناهج كليات الطب .

عسل النحل قطرة للعين

نجح فريق من أطباء كلية طب المنصورة فى استخدام عسل النحل بحالته الطبيعية لعلاج أمراض العيون .. وفى مقدمتها التهابات القرنية والملتحمة والأرماد الصديدية ، والالتهابات الفيروسية ..

يقول الدكتور محمد عمارة أستاذ ورئيس قسم العيون بالكلية والمشرف على فريق البحث :

إن العلاج يتلخص فى استخدام العسل بعد تنقيته من الشمع كقطرة بمعدل نقطة واحدة فى العين المصابة أربع مرات يومياً لمدة أربعة أيام .

جوائز الاقتصاد الإسلامى

أعلن البنك الإسلامى للتنمية بجدة عن جائزته السنوية التى تمنح لكل من يقوم بجهد بارز مبدع فى مجال الاقتصاد الإسلامى والبنوك الإسلامية سواء كان هذا الجهد في ميدان البحوث أو التعليم أو التدريب أو تعبئة وحشد الطاقات الفكرية والعلمية فى سبيل تأصيل ونشر القيم الإسلامية في مجال الاقتصاد والبنوك . وتمنح الجائزة فى احتفال رسمى يقام فى شهر ذى الحجة من كل عام وقيمة الجائزة خمسة عشر ألف دينار إسلامى « تسعة عشر ألفاً وثلاثمائة دولار » وقد دعا البنـك الأفـراد والمؤسســات والهيئـات والجامعات والمراكز العلميـة والجمعيات الإسلامية فى أنحاء العالم لترشيح من تراه مناسباً لنيل جائزة البنك .. وآخر موعد لقبول الترشيحات نهاية شهر رجب ١٤٠٨ هـ .

لماذا أسلم حوالى ٥٠ ألفاً من الفرنسيين ؟

مجلة « الاكتواليتيه روليجوز » تعد أكبر مجلة كاثوليكية تصدر فى فرنسا . ذكرت أن حوالى خمسين ألفاً من مختلف الأوساط الاجتماعية في فرنسا قد اعتنقوا الإسلام خلال السنوات القليلة الماضية ..

اضافت المجلة تقول : ينتمى هؤلاء الأشخاص إلى كافة الأوساط فمنهم مفكرون امثال « ميشيل شود كيوثير » عالم الدراسات الصوفية وفنانون ايضاً وموظفون وعمال .

وأن هؤلاء اجتذبهم الإسلام ببساطته ، ولأنه دين حى يتسم بالقناعة والزهد وبما يتصف به من إمكانية التوجه إلى الله دون وسيط ..

فهــرس العــدد

56. The PROTECTOR   Al Wallii   الولى

His Love protects and safeguards those who believe in Him. He keeps watch over them and wards off evil befalling to them. He guides them to the haven of His Protection.

57. The LAUDABLE   Al Hameed   الحميد

All praise Him, Allah, Glory be to Him, lauded Himself from eternity, and His beings owe Him praise and to render it infinitely.

His Praiseworthiness is ascribed to His Attributes of Majesty, Sublimity and Perfection as acclaimed by His Believers and eulogists.

58. The RECKONER   Al Mohsei   المحصى

Whereas, His Knowledge is boundless, He recognizes the boundaries, extent and number of everything in the worlds, and encompasses them all in His Account.

59. The ORIGINATOR   Al Mobdee   المبدء

60. The RESTORER   Al Moeed   المعيد

He originated the worlds and their creatures.

He will restore everything to existence after their death. All began by Him, and to Him all shall return.

61. The LIFE-GIVER   Al Mohei   المحيى

62. The LIFE-TAKER   Al Momeet   المميت

He created life and death. He is The Life-Giver, and He is The Life-Taker.

63. The OMNISCIENT   Al Haii   الحى

He has the Infinite Powers of Perception and Ratiocination. Nothing is excluded from the Perspicacity of His Omniscience.

inherent Beauty, and He gives lavishly. This Designation combines the traits of Majesty, Bestowal and Bounty.

50. The RESURRECTER Al Baeith الباعث

On Doomsday, He will resurrect the dead who will resurge from their tombs and stand for final judgement.

The WITNESS Al Shaheed الشهيد

Allah, Glory be to Him, has fore-knowledge of events to come, and the knowledge of occurrences that happen. Prescience connotes omniscience with regard to the future; and witness implies having direct cognizance of the facts. The Name "All-knowing" designates His Absolute knowledge. If His Knowledge is related to subliminal or intangible things, then The Divine One is called "All-Cognizant". If The Knowledge is ascribed to evincible matters, He is called 'The Witness'.

52. The VERITY Al Haqq الحق

The contrast of verity is 'untruth'. The Absolute Truth is The Supreme Being, from Whom every "truth" derives its 'veracity'. His Existence is Germane and Eternal, His recognition and the belief in Him constitute The Truth which is of necessity infinite. All Verity is from the Sempiternal Divine One.

53. The CHAMPION Al Wakeel الوكيل

All beings relegated to Him their affairs. He is their Advocate, their Champion.

54. The ALL-POWERFULL Al Qawii القوى

55. The PUISSANT Al Mateen المبتن

He is All-Powerful because of His Absolute and Effective Capability. He is Puissant because of the Thoroughness and Strength of His Capability.

THE MOST MAGNIFICENT NAME OF ALLAH

Callected and Reproduced By :
Mrs. Fatimah Muhammed Sirry

AND ALLAH HAS THE MOST MAGNIFICENT NAMES

SO INVOKE HIM BY THEM

46. The ALL-EMBRACING **AL Wasea** الواسع

His absolute knowledge, Charity and Blessings embrace all being within His Domain.

47. The ALL-WISE **Al Hakim** الحكيم

His Wisdom is Absolut

47. The BENEVOLENT **Al Wadood** الودود

He gives freely of His Bounty to all His creatures that they may prosper and enjoy their well-being. His Compassion enhances tender Pity that entails Mercy or Charity and the extension of aid or sparing to those who are in need and those who are not deserved. His Benevolence prevades all-over ab initio without supplication and without need for a cause.

49. The GLORIOUS **Al Meguid** المجيد

His Attributes and Dealings radiate the Glory of their

not repeat the unlawful earnings. Otherwise, the above is not applicable; Allah knows best.

The Fatwa Committee at Al-Azhar says: The Four Imams believe that money acquired through means unlawful in Islam can be spent in avenues resulting in the general welfare of the Muslim community, e.g., mosques, schools, orphanages, factories, etc., Imams ibn Taymeyah and ibn al-Kayem allowed spending such money on needy people. Allah knows best.

These Fatwas and opinions are based on the Holy Quran, the Sunnah, Books by the Four Imams as well as positions taken by the Prophet's companions and knowledgeable scholars.

Finally, Allah has separated Halal (lawful) from Haram (unlawful). The Prophet further explained the difference in detail. Imams and scholars have also clarified this matter. Thus, ignorance is no excuse for anyne. Whoever does not know should ask and those who know or read this should inform others. We have to follow the teachings of Allah in everything in our daily life. Allah will bless the Halal earnings even if it is little and will not bless the haram earnings no matter how large it may be.

Our life on earth is short and we will eventually have to face Allah, the All-knowing. There will be no way to hide our actions then. We will be rewarded for our good and punished for our bad deeds no matter how tiny they may be. Remember that the Prophet tells us "hellfire deserves anything that grows out of haram. We have to follow the same rules as the Prophet. "Eat of the things that Allah has provided for you, lawful and good; but fear Allah in whom ye believe." (Surat Al-Madia, V, 91); and, "O ye Apostles; enjoy all things good and pure, and work righteousness; for I am well acquainted with (all) that ye do." (Surat Al-Muminun, XXIII, 51).

May Allah guide us to the best way. May He show us the right path and help us follow it. May He show us falsehood and help us to avoid it. May He cleanse our souls and hearts and may He lead us to what He loves for us. Allah conveys the truth and guides to the right path.

who mistreat their parents, alcoholics, and those who publicly emphasize their own generosity.

The prophet also tells us that our feet will remnain tied on the day of judgement until we have been asked about four things: 1) our life and how we used it; 2) our youth and what we accomplished in it; 3) our money, from where we got it and how we spent it; 4) and our work; what we achieved in it. In another hadeeth, the Prophet, tells us "Allah has distributed manners as wella s earnings among us. He gives prosperity on earth to those whom He loves as well as to those whom He does not love. However, He only gives belief to those whom He loves. Those whom Allah has given piety in faith are the ones He loves. "I swear by Him who holds my soul in His hands (that) a person does not become a Muslim until his heart and his tongue become Muslim. A person does not believe until his neighbour is safe from his transgression. "Whatever a person spends from unlawful earnings will not be blessed by Allah. If he gives it as charity it will not be accepted from him. If he leaves it behind, it will be his fuel in hell. Allah forgives the bad through the good, and evil does not erase evil."

Now, what can one do if one already has such unlawful (haram) money ? According to scholars, if one wishes to repent, then one should first try to return that money to its original owner if such an owner can be determined. If the owner cannot be found, then the money has to be spent on projects for the general welfare of society, e.g., building bridges, defence, schools, hospitals. The money could also be donated to the poor, to refugees, disaster areas and similar channels. The person possessing any haram money is allowed to spend from it on his family only to the extent needed for basic survival, i.e., essential food and clothing, but not for conveniences.

The above mentiond opinion has been given by some Shafie scholars, including Imam al-Ghazali who quoted it from earlier scholars. Some of the scholars following ibn Hanbal's school of thought believe that is is possible to spend such haram money on mosques, however, the donor receives no reward because the money was obtained in a "haram" way. It is not allowed to waste such money or to throw it away, or to leave the interest to the bank in cases of savings accounts. Rather, such interest is better spent on the welfare of Muslim societies. Hopefully, the person making this unlawful money will repent and Allah will forgive him. That person then has to try to earn his living through lawful means. All the above is applicable if the person intends to repent and

lottoeries, races, cards, gambling, interest, betting, trading in alcoholic beverages and drugs, and similar activities.

It is our belief that all these ways of making money are unlawful (haram) in Islam and that they are among the major things forbidden by Allah, since they result in evil earning obtained without work and toil. Whoever willingly benefits from them and does not repent will bear responsibility of the action and intention.

A large number of Quranic citations and Ahadeeth show that such means of earning are haram, i.e. unacceptable to Allah and His Prophet, since they are shady and provide easy money for which no effort was exerted. "O ye who believe, intoxicants and gambling, (dedication) of stones and (divination by) arrows, are an abomination of Satan's handiwork: eschew such (abomination) that ye may prosper. Stan's plan is but to excite enmity and hatred between you with intoxicants and gambling, and hinder you from the remembrane of Allah, and from prayer; will ye not then abstain ? Obey Allah and obey the apostle, and beware (of evil). If ye do turn back, know ye that it is our apostle's duty to proclaim (the Message) in the clearest manner." (Surat Al-Maida, V, 93 - 95).

About Usury, Allah says in the Holv Quran: "Those who devour usury will not stand except as stands one whom the evil one by his touch hath driven to madness. That is because they say: 'Trade is like usury', but Allah has permitted trade and forbidden usury.' (Surat Al-Baqara, II, 275).

Again: "O ye who believ ! Fear Allah and give up what remains of your demand for usury, if ye are indeed believers. If ye do it not, take notice of war from Allah and His Apostle; but if ye turn back, you shall have your capital sums. Deal not unjustly, and ye shall not be dealt with unjustly." (Surat Al-Baqara, II, 278 - 279).

Allah has forbidden gambling in all shapes, as well as dedication of stones to idols. All these are evils perpetrated by Satan. Those who practice and benefit from them are far from Allah's mercy and will not propser now or in the hereafter. They live disobeying Allah's orders and under His wrath.

In a hadeeth, the prophet tells us that Allah will not look at three types of people on the day of judgement: those

UNLAWFUL (HARAM)

EARNINGS IN ISLAM

By :

Dr. Tawfik M.Shahin, Ottawa, Canada

The religion of Islam honors the human being and encourages self-reliance and earning one's living through lawful (halal) means. The range of lawful earnings is very wide in Islamic law. The few ways of making a living which Allah has forbidden are evils that will eventually hurt whoever uses them.

Able-bodied people must work to maintain self-respect and for the well-being of the family and humanity at large. The effort exerted in making a living wipes off the person's sins, according to a tradition of the prophet Muhammad (P.B.U.H.)

Several ahadeeth and Quranic verses (suras) emphasize that Allah wants us to work, lawfully earn a living, and thus benefit ourselves and others. "It is He who has made the earth manageable for you, so traverse ye through its tracts and enjoy the sustenance which He furnishes: and unto Him is resurrection." (Surat Al-Mulk Lxvii, 15).

"So eat of the sustenance which Allah has provided for you, lawful and good; and be grateful for the favours of Allah if it is He whom ye serve." (Surat Al-Nahl, Xvi, 114).

The Prophet taught us that Allah likes a believer to be strong in his faith, his behaviour, his money, his knowledge, his body and all of his faculties. When the effort to earn a livng is made with the intention to please Allah, then these deeds will benefit the person both in the worldly life and in the Hereafter, and Allah will facilitate matters for that person.

Several brothers and sisters have asked about Allah's edicts on a number of unclear means of making money, e.g.,

chastity, spiritual ideals, social decency, justice, and purity in thought and action. Males and females in an Islamic community are required to realise such concepts and make the sincere efforts to live by such standards of morals. The struggle made by each individual to attain that elegance of character is considered worship, the struggle against the self "Jihad Al-Nafs".

Sexual purity and chastity are among the most fundamental social values, which according to Islamic thought should be maximally preserved and upheld. The preservation of such values entails understanding, belief, and an effort spent on the part of each individual and the society as whole to safeguard the quality of such social values against any act of degradation or devaluation. Sexual purity and chastity are the most dominant factors influencing the harmony and stability of family and society. They affect individual conduct, behaivour, temprement, idea of justice, honesty, fairplay, and in fact the whole spectrum of human action and thought in a million and one ways. According to Islamic teachings, sexual purity and chastity are considered as occupying a position of prime importance in the hierarchy of individual and social values. In Islamic understanding, such values cannot and should not be sacrificed for material gains, carnal existance, impulses of self desires and lust.

The preservation of sexual purity and chastity by both males and females should be an aim in life for which a real honest effort and struggle should be made. This struggle is in reality to attain a value of utmost importance for the integrity and preservation of the basic human element in mankind. It is in essence a struggle for self freedom of body and soul, the conservation of one's humanity as opposed to animality, the salvation of one's freedom against the servility of the self to the carnal bestial undisciplined desires of the body. In any truely civilized society that is free from the carnal domination of lust and lavishness; sexual activities are disciplined, controlled, legislated, declared, authorized and sanctioned in a precise system of matrimony and divorce. The real measure of assessment of human freedom, rights, family and social stability, civilization, and promotion of progress of mankind is the situation and conditions of man woman relationship, particularly those relationships dealing with sexual activities and the values governing them. These values should be upgraded, highly respected, comprehended, implemented through self descipline, social organization and individual commitment to upholding human values. The real true freedom of the generations is inherent in the preservation of sexual values and proper organization of the sexual behaviour of man and woman.

feminine dress should not be transparent, and should not pronounce the female body prominences. Again, man and woman are not permitted to remain alone except in the presence of a third party; this is to guard the sexual purity of both man and woman. Such restrictions and other similar ones are certainly justified if we consider that sexual purity and chastity are essential social values. Such restrictions prevent men and woman from falling into temptation and the drives of impulses of self desires leading to unwarranted conduct and behaviour that adulterate sexual purity. It is also preferred that the home should be the centre of female interest and activity, as daughter, and later as wife and that there should be no unnecessary intermingling of both sexes in daily life. If such, intermingling is necessary for certain social functions, it should be carried out with care and under regulated comprehended control and supervision.

In order to achieve and maintain such social organization, it is therefore necessary that Islamic teachings prescribe certain restrictive provisions on dress, personal temperaments of behaviour in gait, speech, and social mixing of males and females. Segregation of sexes is advocated to the utmost extent compatible with individual and collective self preservation. In the Muslim pattern of society, each sex has an independant sphere of activity within which all energy and functions should be utilized independent of the other, and integrating into the wholesome structural function of the society. Such restrictive provisions fundamentally aim at the preservation of the personal decorum and sexual purity of both male and female. The promiscuous mixing of males and females in educational institutes, industrial organizations, and social activities; as the situation is in current times, has resulted in several social diseases, marked sexual impurity and devaluation. These in their combination have proved detrimental to family and social stability, and have nullified the outcome of any possible benefits from such practices. Extra-domestic female activities must be selective, appropriate, and conforming with preservation of sexual purity. During times of emergency and other specific situations, Islamic teachings allow temporary relaxation of its provisions which should not be used except to an extent made absolutely necessary by the requirements of the situation. When such emergency ends, the normal restrictive provisions are again optimized. Even during such emergency conditions, Muslim male and female are requested to conduct themselves in accordance with Islamic understanding of decent behaviour. According to Islamic thought, the prime object of human existance is to live and act for the preservation and growth of moral values,

graded, fully realised and accepted by both man and woman, as the most cohesive partnership upon which depends the integrity of the whole structure of any society.

The divine doctrines of the Islamic Shariah institutes obligatory provisions and stipulations on man and woman in order to control and deter human impulses and the voracity of the self desires. These didatic requisitions will maintain the delicate balance of the individual's self expression and self repression, between freedom and social order, between uniformity and diversity between entropy and social organization. Without proper understanding of the real concepts of freedom and equality, the whole colossal structure of human society will succomb into a degenerative process. Freedom does not mean unrestricted liscense of all human expressions; but certainly involves wholesome natural restrictions to maintain the balance of equilibrium of social harmony. Similarly, equality does not mean total obliteration of the inborn natural differences between man and woman; but certainly involves the differences naturally imposed on each according to their respective position and function in society.

Islamic teachings concede that the family unit is the building brick of social structure. In order to achieve social order, certain provisions are prescribed on both man and woman in order to regulate and purify their sex life and relationship. These provisions differ according to age, sex, martial status, position and function in society. There is no doubt that sexual impurity and unchastity of either male or female is most pathogenic and detrimental to social structure and therefore to social tranquility and stability. It is lethal to the real essence of human freedom. In order to accomplish sexual purity, it is very necessary to maintain a modest behavior in public. In this respect, the Holy Quran states "Say to the believing men that they cast down their looks and guard their private parts; that is purer for them. Surely Allah is aware of what they do. And say to the believing women that they cast down their looks and guard their private parts and do not display their ornamentation except to their husbands ....(Surat Al-Nur, XXIV, 30-31).

Another provision common to both man and woman is the compulsory duty of keeping certain parts of their bodies covered and not to expose them except to their spouses. In the case of men, the part of the body that should be covered is from the knees to the navel. In case of women, all the body should be covered except the face, hands and feet. The

MAN AND WOMAN ISLAM
PARI III

By :
Saad Moustofa Moustafa, M.D.

In the previous two articles of this treatise "Man and Woman in Islam," several issues have emerged. The attainment of spiritual elevation, refinement of behaviour, honesty and candidness in conduct and mental aptitude. This should all be ultimately integrated into individual conduct. Such ascension of character of each individual will build up harmony of social interfaces and interactions between individuals and also among the various social groups and levels. This results in achieving and maintaining a totality of understanding of respect to individual rights as part of a supervening system of human rights,which prevails in all aspects of human life.

Within this arena of stabilized human relationship, the distinctions of differences, equalities and inequalities between man and woman must be fully understood cultured and respected. Man woman relationship must be looked upon and comprehended as complementary rather than competitive and opposingly wrestling for superiority. This relationship must be understood and taught as a conjugate relationship of combination and interassociation between the two fundamental human groups in society.

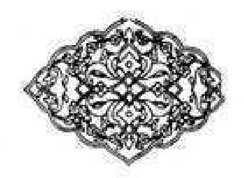
As has previously been stated, Islamic teachings recognise the basic specific individualities and differences between man and woman. Islamic doctrines advocate that each sex should conserve and comprehend these differences, respect them in honour, and uphold them in pride. Again Islamic Shariah preserves and confirms the distinction of the sexes and concedes specific functions and responsibilities of each sex. This differentiation must be promoted to maximum in order that each sex will function in the most effective capacity according to position in social structure. In marriage, sex differentiation must be optimum and highly

→

would kill from these renegades the same number killed from Muslims. Abu Bakre the Kahlifah of the Prophet, refused to compromise in a matter related directly to the integrity and structure of the Muslim faith. The Muslims from the various tribes came to Al-Madinah to give the akat, the first were Safwan and Al-Zuberqan from Bani Tamim, Adii ibn Hatem from Taii, and others. That was a portent of opulence.

Soon after, news came to Al-Madinah that the army of Ussamah ibn Zayd was returning home driving with it the spoils of the expedition. The army was met by Abu Bakre and the compansions at Al-Garf. Ussamah went straight to the Mosque, placed his banner of colours at the entrance, and prayed in thanks and hommage to Allah. Abu Bakre with his depth of wisdom and sagacity was not to allow his enemy to rest, and planned to go out after them once more. He instructed the army of Ussamah to rest at Al-Madinah, appointed Ussamah to act on his behalf at Al-Madinah, summoned the men with him from the start and marched out of Al-Madinah in combat formation. Abu Bakre refused all advices from the companions to appoint a man other than himself to command this assignment. He marched with his men till he reached Al-Rabathah at Al-Abraq beyond zi Al-Qassah. There he attacked the tribes of Abs, zubian, and Bani Bakre and defeated them till they evacuated their positions and Abu Bakre declared that the territory of Al-Abraq is the property of the Muslims with him.

The defeated tribes were still stubborn in their thinking and irrational in their reasoning. Instead of submitting back into the arena of Islam, they left their dwellings and joined the masses around Tulayhah ibn Khuwailid Al - Assadii, the impostor from Bani Asad at Bazakhah. Abu Bakre returned to Al-Madinah to challenge and defeat the surge of defiance and insurgent denial of faith that had stormed the Arab Peninsula after the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).



you is boiling with heresy and denial of faith, their delegates realised the fewness of your numbers; and you do not know when they shall descend upon you, for they are close to you. They hoped that we compromise in the Faith, a matter that was rejected; so get ready and prepare". Abu Bakre then summoned Ali ibn Abi Taleb, Zubair ibn Al-Awam, Talha ibn Ubaid-Allah, Abdullah ibn Massoud, and few others and instructed them to guard the entrances of Al-Madinah; and ordered everybody else to be ready with their fighting gear assembled in the Mosque.

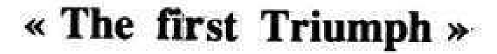
Abu Bakre was right, and what had expected happened. After three nights, the tribes moved in to attack Al-Madinah under cover of darkness to enforce their conditions not to practice the zakat, thereby deleting an indispensible discipline in Islamic faith. Ali ibn Abi Taleb and the men with him felt the approach of the tribes to attack Al-Madinah and sent word to Abu Bakre. Abu Bakre replied instructing them to remain in position; and himself with those assembled at the Mosque went out to confront the raiding tribes. The raiding tribes were taken by surprise not expecting the quick response and agility of the Muslims. The tribes retreated followed by the Muslims till zi Hussa where the tribes had left some groups of men. These men witnessed the retreating tribes followed by the Muslims; they prepared bellows of skin and rolled them in the face of Muslim mounts. The camels were frightened by the skin bellows, scattered and raced back to Al-Madinah with the men mounted. The tribes seeing that spectacle, were very happy and considered themselves victorious, summoned the rest of their troops at zi Al-Qassa, and after deliberation decided to storm Al-Madinah the following day and dictate their terms on Abu Bakre.

Abu Bakre and the Muslims with him prepared themselves to attack again that very night. During the last hours of the night, Abu Bakre moved out of Al-Madinah at the head of all able bodied men; his right wing headed by Al-Numan ibn Muqrin his left wing headed by Abdullah ibn Muqrin, and his middle headed by Suwayd ibn Muqrin. By dawn, the Muslims had reached the tribes as they were asleep and played their swords in them. At sunrise, the men of the tribes were in utter distress and defeat running away for their lives. Abu Bakre followed them with his men till zi Al-Qassah which Abu Bakre occupied and appointed Al-Numan ibn Muqrin as head of the occupation force which he left there, and returned to Al-Madinah with the rest of the Muslim warriors. That was the first battle in the reign of Abu Bakre, a battle of victory and triumph; a battle by which Muslim certainly established their worth and their dignity. Abu Bakre pledged that he

zakat considered the situation as very favourable to dictate their terms. Now what was to be the decision of Abu Bakre. Would it be a struggle to champion and uphold the essentials of Islamic doctrines and constitutions; or would it be a compromise to allow concessions and accept the refusal of those tribes to pay the zakat, and thereby avoiding confrontation at these critical times when the fighting force of Muslims was away with Ussamah at the syrian borders. Abu Bakre consulted several of the leading companions including Omar ibn Al-Khattab and many others. The majority including Omar were of the opinion that a compromise with these tribes was the best policy; and that according to Islamic tradition no fighting should take place against anybody who declares that there is no God save Allah, and that Muhammad was the Messenger of Allah. The minority of the companions including Abu Bakre were of the opinion that rejecting the practice of zakat is breaching the essential wholesomeness of the Islamic doctrines and constitution. zakat is the right of wealth and zakat is akin to Salat (prayers). No athority is allowed to compromise in Divine decrees, and zakat is certianly a Divine decree specifically instituted in the Holy Quran, it should not be at any time subject to compromise, concession, or yield. The debate on the subject was very intense and lasted a long time; and Abu Bakre himself had to interfere and was of the opinion of the minority and stated his very renouned sentence "By Allah, if they refuse me as much as a camel's head leather they gave to the Prophet. I shall fight them for it". He then looked at the companions and said "The revelation has ended, and the articles of faith are completed, and they are not to be undermind or weakened in my lifetime. By Allah if all people abandon me, I shall confront them alone." The debate of the issue by the companions was in such detail that the reasoning of Abu Bakre and his ultimate decision to fight those who rejected the practice of zakat, was accepted by all to be correct, and deep in their hearts they realised it was the right decision.

The tribes of Abs, zubian and those who joined them from Bani Kenanah, Ghattafan, and Fazarah, sent legions of men to camp near Al-Madinah. These legions split in two, one camped at Al-Abraq in Al-Rabathah, and the other went to zi Al-Qassah the nearest place to Al-Madinah on the way to Najd. The leaders of these groups sent delegates to Al-Madinah to meet the companions and Abu Bakre; to consider allowing them to keep Islam in Salat (prayers), but not to practice zakat. The answer was a blunt refusal by the Khalifah of the Messenger of Allah, Abu Bakre Al-Siddiq and the companions. The delegates returned after having discovered that Al-Madinah was virtually defenceless. Abu Bakre realised that, summoned everybody at Al-Madinah and said "The earth around

ABU - BAKRE AL- SIDDIQ



« The first Triumph »

By :

Dr. Anas Moustafa El- Naggar, M.D., Ph.D

As the army of Ussamah ibn ẓayd moved north to the Syrian borders in compliance with the command of Abu Bakre and as decreed by the Prophet before his death; the Arab tribes all over the Arab Peninsula became refractory to the new authority of Abu-Bakre at Al-Madinah. Some of these tribes near Al-Madinah declared their total refusal to practice paying the Zakat. These tribes acknowledged Islam as a basic faith - that there was no God save Allah, and that Muhammad was the Messenger of Allah. However, they interdicted the practice of ẓakat on the allegation that no authority can take their money after the death of the Prophet. These tribes mainly of Abs and ẓúbian certainly had no proper understanding of the elements of Islamic law; they believed that paying ẓakat was an imposition upon them dictated by the authority at Al-Madinah. They practiced that to the Prophet, but they certainly would not accept that practice with any other authority. Other tribes distant from Al-Madinah rejected Islam completely and renounced their belief in Allah and His Messenger, disavowed the Revelation of the Holy Quran and followed impostors who allegedly claimed prophethood. Such tribes were Bani Hanifah, Bani Asad, Bani Sulaym, and Ghattafan, who followed impostors like Mussaylamah and Tulayhah. The whole Arab peninsula was in mutiny and defiance to Abu Bakre and the Muslims at Al-Madinah. Only Quraysh at Macca and Thãqif at Al-Taif remained true to the Muslim faith and to the authority granted to Abu Bakre as the proclaimed successor of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

The departure of the Muslim army under Ussamah, left Abu Bakre and the Muslim community at Al-Madinah in a very critical situation. The tribes who refused the practice of

→




AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 60, Part VII

Rajab, 1408, Hijrah

CONTENTS

This English Section is supervised and edited by Dr. Anas Moustafa El Naggar.

Prepartion of tne Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION





الأزهر

مجلة شهرية
جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

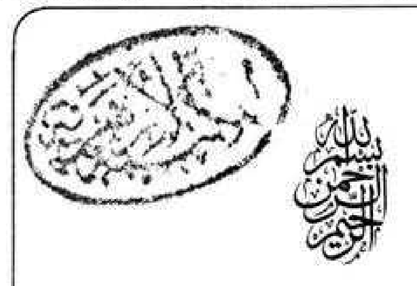
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

- الجزء الثامن
- السنة الستون
- شعبان ١٤٠٨ هـ
- ابريل ١٩٨٨



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا المؤتمر

هو المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية إحدى الهيئات الرئيسية للأزهر الشريف .

« ومجمع البحوث الإسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية التى تقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث ، وتعمل على تجديد الثقافة الإسلامية ، وتجريدها من الفضول والشوائب ، وآثار التعصب السياسي والمذهبي ، وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص ، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى فى كل بيئة ، وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية او اجتماعية تتعلق بالعقيدة ، وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة » .

←

والمجمع ـ بهذا الوصف الذى حدده قانون إنشائه[1] ـ مسئول عن أحوال المسلمين فيما يلم بهم من شئون دينية ، وما يعترضهم من « جديد » يتطلب حكماً تطمئن إليه نفوسهم في مختلف المشاكل : مذهبية أو اجتماعية أو اقتصادية .

وهو ـ بهذا الوصف أيضاً ـ قائم على جمع كلمة المسلمين وتعميق وحدتهم لا يفرق ـ فى ذلك ـ بين مختلف هيئاتهم ، وأجناسهم ، فهو قلبهم النابض ، وضَوْءهم إذا حلكت المشاكل ، أو جدت المشكلات فهو الأزهر فى هيئة علمائه المختارين علماً وتقى . والأزهر ـ بهذا الوصف ـ ظل يعمل للمسلمين منذ كان ، وارتباطه بالمسلمين ، وإحساسه بأوضاعهم قائم غير مفصول ؛ فرسالته العلمية لم تحل بينه وبين ما يتطلع إليه من إصلاح للمجتمع الإسلامى كله ، وفى ذلك يقول الإمام المراغى رحمه الله :

« إن لدى الأمة قضايا كثيرة معقدة في حاجة إلى الدرس والبحث ، فى مقدمتها :

١ ـ قضية الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله[2] وأعمال الراشدين .
٢ ـ قضية التعليم الديني على وجه صحيح يوافق ما أثمرته التجارب وأخرجته العقول .
٣ ـ حماية الدين من العدوان والدعوة إليه كأمر الله .
٤ ـ قضية نظام الأمم الإسلامية ، وارتباط بعضها ببعض ارتباط تعاون وتناصر .
٥ ـ قضية الفقراء والضعفاء واليتامى والمساكين وتدبير أمورهم بحيث تخفف عنهم أعباء الحياة .
٦ ـ مقومات الأمم الإسلامية التى يجب أن يحافظ عليها »

ومن فضل الله ـ عز وجل ـ على هذا الأزهر الشريف ـ من قبل ومن بعد ـ أنه لا يوجد ناطق بالعربية ، أين كان إلا وللأزهر فضله المباشر عليه في النطق بها مُسْلِماً كان أم غيره .

** ** **

ثم هذا المؤتمر لمجمع البحوث الإسلامية يدرس فى دورته هذه مسائل لها أهميتها الخاصة ، بعد أن اتسعت ـ والحمد لله ـ الجهات العاملة من أجل الإسلام : دعوة ومادة وبورك في الكثير منها ، فاحتضنته حكومات أولته اهتماماً خاصاً ، وزودته بالإمكانات المادية ، وتولت العمل على نشر الدعوة فى مشرق الأرض ومغاربها ، وأقام بعضها « جامعاتٍ إسلامية » اختصت بتدريس علوم العربية والدين لأبناء المسلمين من مختلف أنحاء العالم ، ووضعت لذلك اموالاً تساعد أولئك الطلبة على القيام بطلب العلم دون عناء الحاجة ، وافتتح بعضها مراكز إسلامية انتشرت فى العالم من أقصاه إلى أقصاه ..

---

(١) راجع قانون ١٠٣/ ١٩٦١ .

(٢) سجل الإمام المراغى ـ رحمه الله ـ مطالبة الأزهر للحكم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسمياً بسجلات قصر عابدين .

كل ذلك جعل أمام المؤتمر الموضوعات الرئيسية التالية :

١ ـ التنسيق بين نشاط الهيئات التى تقوم بالدعوة الإسلامية .

٢ ـ التنسيق بين نشاط الهيئات التى تتولى أعمال الإغاثة والتكامل بين نشاطى الدعوة والإغاثة .

٣ ـ قدسية الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى .

٤ ـ الأقليات الإسلامية ومسئولية المسلمين تجاهها .

٥ ـ القضايا المعاصرة للأمة الإسلامية .

ومما لا شك فيه أن هذه قضايا العصر بالنسبة للمسلمين ، وان واجب المؤتمر ليحتم عليه أن يجعل الدعاة على منهج واحد تتضافر له الجهود فيثمر النجاح فى الهدف ، ويمنع التكرار والتضارب ويساعد المسلمين ، وبخاصة ـ الذين يعيشون منهم فى المجتمعات الغربية ـ على الحياة فى غير حرج ولا ضيق ، ويجنبونهم الوقوع في فتن المقتحمين ميدان الدعوة من غير أهلها ، مما أوجد أحكاماً يبرأ منها الإسلام أذيعت بـ « توسان » من ولاية « أريزونا » منها على سبيل المثال : إن تَؤُمَّ المرأةُ الرجال ، وأن تصلى « وقت الطمث » .. الخ .

وتلك الكارثة إحدى نتائج إنكار السنة الشريفة ، وسبيلها الكثير إن لم نتدارك الأمر .

ومجمع البحوث الإسلامية حريص ـ دائماً ـ على إصدار كتاب عن كل مؤتمر يجمع بين دفتيه البحوث التى نوقشت فى الدورة ، وله ـ فى هذا الجانب ـ مجلدات زاخرة بمختلف البحوث القيمة التى تعتبر مرجعاً فذا فريداً في دراسة المشكلات المختلفة في هذا العصر ، وإثارة ما لها من جوانب متعددة وتحديد الواجب الفقهى نحوها ؛ فضلاً عما أصدره المجمع من بحوث مفردة فى مختلف العلوم الإسلامية ..

« ومجلة الأزهر » بحكم حجمها لا تحرم قراءها من هذه البحوث جملة ، ولا تكلهم إلى كتاب الدورة ، لاسيما ، ولهم شغفهم للإحاطة بما دار في أروقة المؤتمر .

من أجل ذلك قامت هيئة تحرير المجلة بتقديم نماذج تلقى أضواء على أركان البحوث المختلفة ونظراً لحجمها ـ كما قلنا : قدمنا هذه البحوث خلال عملين :

أ ـ تلخيص للبحث إن لم يكن فى حدود مقال .

ب ـ ثم اختيار نص كامل منه .

ونأمل ان نتمكن من نشر بعض هذه البحوث كاملاً مع اعداد مقبلة وفى الصفحات التالية يستطيع القارىء ان يتابع اعمال المؤتمر خطوة خطوة . وعلى الله قصد السبيل .

د. علي أحمد الخطيب

مع أعضاء المؤتمر

عملت لجان فنية عدة بمجمع البحوث الإسلامية ـ على استقبال ضيوف المؤتمر الذين قصدوا القاهرة للاشتراك فيه ، فصحبتهم من مطار القاهرة حتى اماكن إقامتهم موفرة لهم ما ييسر عليهم اداء مهمتهم .

واشرفت الامانة الفنية للمجمع بإعداد البحوث ، كما قامت لجان اخرى بالتحضير بقاعة المؤتمر الذى عقدت جلساته بقاعة : « صالح بن عبد الله » الملحقة بجامعة الأزهر بمدينة نصر .

بلغ عدد اعضاء المؤتمر مائتين وخمسة عشر عضواً ممثلين لمسلمى آسيا وافريقيا واوروبا والامريكتين[1] .

وكان أول اجتماع لهم ظهر الجمعة من يوم ١٥ من رجب ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨/٣/٤ م ، وذلك لاداء صلاة الجمعة بالجامع الأزهر الشريف ، وقد استقبلهم فضيلة الإمام الاكبر وكبار رجال الأزهر ، وحضر لإداء الصلاة الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء وعدد من الوزراء والسيد اللواء يوسف صبرى ابو طالب محافظ القاهرة .

قام فضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق بالخطبة والصلاة .

• • •

---

(١) بلدان آسيا الممثلة فى المؤتمر :

اليابان ـ اندونسيا ـ باكستان ـ أفغانستان ـ بنجلاديش ـ بورما ـ تايلاند ـ سنغافورة ـ سيرلانكا ـ الفلبين ـ الصين ـ ماليزيا ـ الهند ـ بورناى ـ كورباج ـ المالديف ـ لاوس هاندى ـ الإمارات العربية ـ البحرين ـ سلطنة عمان ـ العراق ـ قطر ـ الكويت ـ لبنان ـ الاردن ـ فلسطين ـ اليمن الشمالية ـ السعودية ـ تركيا .

اوربـا : أسبانيا ـ المانيا الاتحادية ـ النمسا ـ هولاندا ـ يوغوسلافيا ـ اليونان ـ بلغاريا ـ رومانيا ـ بريطانيا ـ فرنسا ـ قبرص ـ بلجيكا .

افريقيـا : المغرب ـ الجزائر ـ السودان ـ تونس ـ موريتانيا ـ جيبوتى ـ بنين ـ بوروندى ـ تانزانيا ـ زنزبار ـ زمبابوى ـ ساحل العاج ـ السنغال ـ غانا ـ كينيا ـ مالى ـ مدغشقر ـ جزر القمر ـ سيراليون ـ غينيا ـ الكاميرون ـ رواندا كيجال ـ غينيا بيساو ـ أوغندا ـ فولتا العليا ـ الجابون ـ زائير ـ ليبيريا ـ جنوب أفريقيا ـ توجو ـ الكونغو .

القارة الامريكية : البرازيل ـ كندا ـ الارجنتين ـ الولايات المتحدة .

خطبة الجمعة

خطة الإخاء الإسلامي

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق (شيخ الأزهر)

الحمد لله خلق فسوى ، وقدر فهدى ، وأنزل القرآن محكم الآيات ، واضح الدلالات . ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ واشهد ان لا إله إلا الله وحده الكبير المتعال ، سبحانه وتعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

واشهد ان سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ، ختم به الرسالات ، وأتم به الحجة على الناس اجمعين .

ذلك قول الله سبحانه : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيرًا . وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيرًا . وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيرًا ﴾ .

وقوله : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ .

وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد خاتم رسلك وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اما بعد

فقد قال الله سبحانه فى كتابه الكريم :

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

هذه الآية من سورة الأنعام ختام الوصايا العشر التى بدأت بأيتين قبلها ومعناها والله اعلم :

ياايها النبي قل للناس جميعاً : إن هذا القرآن الذى ادعوكم إليه ، وأدعوكم به إلى ما يحييكم ، هو صراط الله المستقيم ، وهو منهاجى الذى أسلكه إلى مرضاة الله ، لا يضل سالكه ، ولا يهتدى تاركه .

فاتبعوه ولا تتبعوا الطرق الباطلة والفرق المضلة التى نهاكم الله عنها فتصيروا شيعا وأحزابا ، وتبتعدوا بهذا عن صراط الله المستقيم الذى وصاكم باتباعه ، ونهاكم عن سبل الضلالات والأباطيل ليبعدكم عن كل ما يُشقى ويُردى فى الدين والدنيا .

أخرج الإمام أحمد والنسائى وغيرهما عن عبد الله بن مسعود قال :

[خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال : هذا سبيل الله مستقيماً ، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله ، ثم قال : وهذه السبل ليس منها سبيلٌ إلا وعليه شيطانٌ يدعو إليه ، ثم قرأ ابن مسعود هذه الآية : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ .... ﴾]

ولقد جعل الله تعالى الصراط المستقيم واحداً ، والسبل المخالفة متعددة ؛ لأن الحق واحد والباطل كثير .

وإذا كان فى اتباع الطريق المستقيم وعدم الانحراف عنه جمع للكلمة وعز لأهله بالحق ، فإن في البعد عنه والتفرق عليه-الضعف والهوان والذل وضياع الحقوق .

إن هذه الآية من سورة الأنعام جاءت تالية لآيتين قبلها تحملُ عشر وصايا قال عنها عبد الله بن مسعود : (من سره أن ينظر إلى وصية محمد التى عليها خاتَمُهُ فليقرأ هذه الآيات :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

أين نحن ـ المسلمين ـ اليوم من هذه الوصايا الواردة في هذه الآيات ؟ والتى تتلى علينا صباح مساء ؟

هل عرضنا عليها ما نحن فيه من تفرق فى الآراء والأحكام ، وتمزق في الصِّلاتِ والعلاقات ، وتباغض وتقاتل ومجافاة لأحكام الله ، وأهواء متبعة حادت بنا عن صراط الله المستقيم ؟

وكأن قول الله فى نفس السورة :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

كأن هذه الآية تصف ما آل إليه حال المسلمين في هذا العصر؛فقد فرقوا الدين الواحد بعقائد ابتدعوها ، وشرائع باطلة وضعوها ما كتبها الله عليهم،وما أنزل بها من سلطان .

مع أن الله سبحانه علمنا أن نطلب منه الهداية إلى الصراط المستقيم فى فاتحة كتابه التى فرض علينا قراءتها فى كل ركعة من الصلوات المكتوبة فى كل يوم .

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾

إن تفرق المسلمين فى دينهم وقعودهم عن توحيد كلمتهم ، وما تبع ذلك من ضعف يعود إلى أسباب كثيرة اهمها :

— حبُ السلطة والتنازع عليها .

— تسلط العصبية النسبية والعرقية .

— العصبية المذهبية فى الأصول والفروع .

— الفتوى والقول فى دين الله بغير علم .

— دسائس أعداء الأمة الإسلامية وكيدهم للمسلمين ، وسرعة تأثيرها فى عصر سهلت فيه وسائل المواصلات والاتصالات .

إن الإسلام ليس ديناً قومياً اى خاصاً بقوم دون قوم ؛ وليس ديناً تاريخياً اى خاصاً بزمن محدد ، وإنما الإسلام دين الله الذى ختم به الأديان ، وتمم به الرسالات ، فرضه على الناس كافة منذ بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى أن تقوم الساعة ، أخذ به من أخذ وأعرض عنه من أعرض . ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ .

إذا كان من العزائم المؤدية إلى الطريق المستقيم **الأُخوةُ في الإسلام** ، كان حتماً على المسلمين أن يعودوا إلى هذه الأُخوّة فينموا علائقها،ويُقوُّوا أواصراها حتى يتم الله نعمته عليهم ، ويرفع عنهم إصرهم والأغلال التى أحاطت بهم .

إن الأخوة فى الإسلام تفوق كلَّ الأحلاف والمعاهدات ، بل(وتتفوق)على أُخوة الدم ، ومن ثم قال الله عن المؤمنين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ حيث إن الرابطة التى تجمع بينهم حبُ الله ورسوله .

وهذا المعنى الاخوى هو الذى وصف به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بينه وبين أبى بكر الصديق من محبة خالصة مبناها عقيدة الإسلام .

فقد روى البخارى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من أَمَنِّ الناس على فى

←

صحبته وماله أبا بكر . ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا . ولكن أُخُوَّةُ الإسلام » وفى رواية للإمام أحمد « ولكن وُدٌّ وإخاء وإيمان » .

لا شيء يعدل أخوة الإسلام فى تثبيت أواصر المودة والمحبة ، شاء الله أن يجعل بين المسلمين أُخوة عقيدة إيمانية لا تنفصم عراها ؛ بل إن هذه الأخوة يستمر أثرها إلى ما بعد الموت يوم يقوم الناس لرب العالمين فى الدار الآخرة .

ذلك ما يشير إليه قول الله سبحانه : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾

وقوله : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾

ولقد آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المسلمين فى مكة قبل الهجرة ، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة إلى المدينة حيث قال لهم : « تآخَوْا فى الله أخوين أخوين » وتمَّ ذلك حتى أيقنوا أن الواحد منهم سيرثُ أخاه فى تركته كما يرث أخاه في الدم والنسب إلى أن نزل قول الله سبحانه ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ فعلموا أن الميراث بقرابة الدم دون هذه المؤاخاة .

إن الإسلام أكد على استمرار الأخوة بين المؤمنين حتى لو نشب بينهم قتال ، فلا تزول هذه الأخوة إلا بالردة عن الإسلام والعياذ بالله .

ذلك قول الله سبحانه : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .

حيث لم ينف الله سبحانه ـ فى هاتين الآيتين ـ عن المتقاتلين من المؤمنين صفة الإيمان ، على الرغم من أن فى القتال سفك الدماء،وأن كل فريق كان حريصاً على قتل خصمه .

كما أن القتل الحاصل بين بعض أفراد المؤمنين لم يرفع عنهم هذه الصفة أيضاً . ذلك قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى .... ﴾ .

وفى هذا توجيه للمؤمنين بضرورة الإبقاء على هذه الصفة الإيمانية التى اجتمعوا عليها ، وإلا يُفسد عليهم ـ أىُّ أمر مهما كان شأنه ـ أخوتهم في العقيدة .

إن للأخوة فى الإسلام غايات ومقاصد مجملها : **الحب فى الله والبغض فى الله** ، وهذا داخل فى شمول أمر الله باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

ولقد عده الله من النعم التى أنعم بها على المسلمين الأولين فقال :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ. وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُم أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

ومن أسمى درجات الأخوة فى الإسلام **الإيثار** : وهو من باب الفضل وفوق العدل ، وفى أعلى مراتب التعاون ، لأن التعاون يكون بتبادل العون مع الآخرين ، أما الإيثارُ فإنه رتبة تعلو عليه ، حيث يقدم الإنسانُ غيرَه على نفسه وذويه مع حاجته ، ابتغاء مرضاة الله سبحانه ، كما قال الله مادحا الأنصار ومكرما لهم : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ . وكما قال فى وصف الأبرار : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ .

ومن غايات الأخوة فى الإسلام : التعاون بين المسلمين كثمرة من ثمرات الحب فى الله ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

ومن هذه المقاصد والغايات : **التراحم بين المسلمين** . والرحمة اشتق منها اسمان من أسماء الله [**الرحمن - الرحيم**] وَوَصَفَ القرآن الرسول صلى الله عليه وسلم بالرحمة فى قوله : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ وجعلها الله من أوصاف المؤمنين فقال : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ والتواصى بالمرحمة إنما يصدر من الرحماء فيما بينهم .

ومن تلك المقاصد : التناصح في الله لصالح الفرد والجماعة .

روى الإمام مسلم قول النبي صلى الله عليه وسلم :

« الدين النصيحة قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

ومعناه صحة الاعتقاد في وحدانية الله والإخلاص فى العبادة ، والتصديق بكتاب الله والعمل بما فيه ، والتصديق بنبوة الرسول والانقياد لما أمر به والابتعاد عما نهى عنه ، وطاعة أئمة المسلمين في الحق ونصحهم عند الحاجة لذلك ، وإرشاد عامة المسلمين إلى معالمهم بما يعود بالخير عليهم دون خديعة أو غش .

والتناصح بهذا يدخل في مفهوم التعاون ، كما يدخل فى مفهوم الشورى .

ومن مقاصد الأخوة الإسلامية : التناصر بين المسلمين ، وقد أشار إلى هذا ، الحديث الشريف الذى رواه البخارى :

« المسلم أخو المسلم ، لا يسلمه ولا يظلمه ، والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

←

ولا شك أن تباعد المسلم عن أخيه المسلم وهجرانه وخذلانه فى موطن يستحق فيه نصرته ظلم عظيم ، كما أن التطاول والسخرية من المسلم ظلم أى ظلم .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

ومن التناصر منعُ المسلم من الظلم ، ذلك ما يشير إليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذى رواه البخارى :

« انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، قالوا يا رسول الله : ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال : أن تأخذوا بيده عن الظالم فذلك نصره » .

وهذا كما يُطلبُ فى نصرة الفرد ومنعه من الظلم ، يطلب حيال جماعة أو دولة ، ذلك لأن التهاون فى الأخذ على يد الظالم ـ أيا كان فرداً أو جماعةً أو دولة ـ يعود ضرره وخطره على الجميع .

ذلك ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ .

ومن مقاصد الأُخوة بين المؤمنين : التكافل . وهذا المقصد إنما يبرز بصورة جلية عند الحاجة كوقوع الكوارث والأزمات وعندها يعرف المجتمع المتماسك من غيره ، وأيهما أهدى سبيلا .

وتكافل المسلمين في الملمات أمرٌ حث عليه الإسلام حتى يعيش أفراد الأمة فى أمان واطمئنان ، ومن هنا وجب على المسلمين النظر إلى نوازل الجفاف والمجاعات التى حاقت بإخوة لنا منذ سنين وما تزال تلم بهم هذه المكاره ، ووجب العمل على رفع الضر عنهم ، ليس بالإمدادات العاجلة فقط ، وإنما ـ مع ذلك ـ بتيسير أسباب الارتزاق وإعانتهم على الخروج من هذه العُسرة ، والسير على طريق الرخاء .

تلك خطة إلى توثيق الإخاء الإسلامى ، وهدايات إلى الصراط المستقيم الذى دعا الله أمة الإسلام إلى اتباعه ؛

فكونوا عباد الله إخوانا يُصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ويُجِرْكُم من كربات الدنيا والآخرة .

وهذا ما يرشدنا إليه الحديث المتفق عليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا هذا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوْا ونجوا جميعاً »



حفل افتتاح المؤتمر

صباح السبت ١٦ من رجب ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨/٣/٥ م

بقاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر بحى الأزهر كان حفل افتتاح المؤتمر الذى حضره السيد رئيس الجمهورية محمد حسنى مبارك وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

غصت قاعة الإمام بالأعضاء ضيوف المؤتمر وكبار رجال الأزهر والوزراء وأعضاء من مجمع البحوث الإسلامية والعاملين فيه ، كما حضره لفيف من أبناء جامعة الأزهر وبناته وطلبة المعهد الأزهرى بشبرا .

افتتح الحفل فضيلة الشيخ محمد بركات من الأمانة الفنية بجامعة الأزهر ـ بتلاوة طيبة لآى من الذكر الحكيم من سورة الصف .

ثم قدم للحفل فضيلة الأستاذ الدكتور رءوف شلبي وكيل الأزهر ، وقال في مستهل تقديمه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيلهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعــــد :

فبعون الله وتوفيقه وحوله وطوله ينعقد المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية على أرض « الكنانة » مصر ، ومصر هى قلب العروبة وحصن الإسلام وفى رحاب أزهرها الشريف ، والأزهر ثروة مجد ضخمة للأمة العربية والإسلامية على السواء . من رفع مأذنه رفعه الله وأيده ونصره وحفظه من كل سوء وبارك فيه :

ثم قام فضيلته بتقديمهم واحداً واحداً حسب الترتيب التالى :

فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر .

ففضيلة الأستاذ الدكتور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

فسيادة المشير عبد الرحمن محمد سوار الذهب .. ممثل الوفود .

ففضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

فالسيد الرئيس محمد حسنى مبارك .

وإلى القارىء الكلمات حسب الترتيب .....

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور
عبد الفتاح الشيخ
رئيس جامعة الأزهر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى اله واصحابه اجمعين ..

السيد رئيس الجمهورية ...

فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر ..

السيد الأستاذ الدكتور رئيس الوزراء ..

السادة الوزراء ....

السادة العلماء ائمة الهدى

رؤساء واعضاء الوفود ...

السادة الاعزاء .....

ابنائى ، وبناتى :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ..

فبالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن زملائى أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر والعاملين بالجامعة والطلاب أرحب بتشريف السيد رئيس الجمهورية لحفلنا الكريم وحرصه الشديد - رغم أعبائه الجسام - على الحضور وحرصه الأشد على إنجاح المؤتمر أرحب به قائداً إسلامياً .. مخلصاً يتحمل فى سبيل الدعوة و إعلاء شأنها ما لا يتحمله بشر .

أرحب بكم فى جوار الأزهر ورحابه ...

أرحب بكم فى جامعته بين علمائه وطلابه ...

أرحب بكم فى قاعة الإمام محمد عبده صاحب الدعوة لتجديد شبابه ...

أرحب بكم قادة للفكر فى عالمنا الصاخب الذى طغى فيه رنين المادة .. وسيطر عليه جنون الرغبة .. وضاعت من آفاقه طمأنينة النفس .. وسماحة الروح ....

وإنها لمناسبة طيبة أن نلتقى بزعماء المسلمين فى أرجاء الدنيا لنتدارس خططنا .. ونتبين أهدافنا .. ونرسم على الطريق السليم خطواتنا .. فى نطاق مؤتمرنا عن الدعوة .. الذى آمل أن ينبض بأحاسيس رجل الشارع ..

ويعبر عن مشاعر المسلمين وطموحاتهم .. وما يضعونه من آمال كبار فيكم .. بعد أن تاهت بهم الطرق .. وحارت بهم الأفكار .. وشخصت منهم الأبصار .. فصاروا يتساءلون :

أين نحن من الدنيا والدين : لم ننل هذه ولم نبلغ ذاك ... وأخشى أن يطول بهم الموقف فيأخذهم الطوفان ..

وإن كنت اتكلم .. فإنما أعبر عن تجربتى مع الشباب وتساؤلاته بحكم موقعى منهم والتى أضع خلاصتها بين ايديكم .. لتسدوا ثغرات تكاثرت فصارت فراغاً يعيشه المجتمع المسلم بصفة عامة والشباب المسلم بصفة خاصة ..

تساؤلات تتطلب منكم برامج تدعو إلى :

الدعوة إلى التوحيد الخالص والعبادة الصحيحة ...

الدعوة إلى تيسير المبادىء الإسلامية لتخرج إلى الناس سهلة سائغة ..

الدعوة إلى تنقية التراث الإسلامى مما علق به من أوهام وأباطيل ..

الدعوة إلى تأمين الفكر الإسلامى ضد المفاهيم الدخيلة المدمرة ....

الدعوة إلى مشاركة جادة فى بحث قضية الثقافة فى مجتمعنا الإسلامى وقد تاهت بين قديم وحديث ...

الدعوة إلى إنقاذ الشباب من تمزقه بين يمينية مفرطة لا يقرها الشرع ويسارية ملحدة تلعنها تعاليم السماء ...

الدعوة إلى تعميق معانى الجهاد فى سبيل الله ذودا عن الأرض والمقدسات ..

الدعوة إلى تحكيم كتاب الله فيما شجر بين المسلمين من خصومات جعلت الأخ يقاتل أخاه فأهدرت طاقات المسلمين لصالح أعداء الإسلام فى غيبة من الإدراك السليم لمصلحة ابناء الإسلام .. حيث علينا كقادة للفكر الإسلامى أن نكون قدوة للشباب فننطق بكلمة الحق فى وجه من تأخذه العزة بالإثم منادين بتطبيق قول الحق ..

﴿ فَإِن بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾

هذه هى الدعوة الحقة ...

إعلاء لكلمة الله .. بالعمل بكتاب الله .. لصالح عباد الله ..

فرسالتنا هى دعوة السماء ... دعوة الرسل والأنبياء ... وأنتم كما قال الرسول الكريم ورثة الأنبياء ..

﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ . . .

. . . . . .

السيد رئيس الجمهورية ....

وإن تكن لى كلمة اخيرة فإنما اوجهها لكم ، ..... كلمة تقدير وعرفان بجهودكم وجهود حكومتكم لعزة الإسلام وإعلاء كلمته باعتزازكم بالازهر وجامعته وهيئاته ليفيض من خيره وحكمته وعلمه على مصرنا العزيزة وعلى وطننا الإسلامى الكبير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور

عبد الفتاح عبد الله بركة

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية والأمين العام للمؤتمر

الحمد لله الذى أنزل الكتاب ، دعوة قائمة ، ورسالة دائمة ، وحجة دامغة ، وحكمة بالغة ، وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد .

اللهم صل وسلم أكمل صلاة وأتم سلام على سيدنا محمد ، من أرسلته شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية .

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

أيها السادة الأماجد والأخوة الأفاضل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ينعقد مؤتمركم هذا العام وما يزال إخوتنا من أهل الإيمان فى بلاد الأفغان الحبيبة يجاهدون من أجل استنقاذ شخصيتهم الدينية ، واستبقاء هويتهم الإسلامية ، والمحافظة على الأرض والعرض ، وسلامة الأمة والوطن ، فى مواجهة دولة من أعتى الدول قوة وشكيمة ، وأكثرها عنفا وصرامة ، وقد أثبتوا بجهادهم وبطولاتهم أن معجزة الإسلام حية تتجدد ، وجذوته متوهجة لا تخمد ، كما أثبتوا أن معارك الشرف والفداء لابد أن تنتهى بإحدى الحسنيين بغير ثالثة ، وقد فاز الشهداء بواحدة ، وأشرف الباقون أن يفوزوا بالأخرى ، وما يزال أخوتنا من أهل الإيمان على أرض فلسطين العزيزة يثبتون للعالم أجمع بكفاحهم وثباتهم ، وصبرهم وصمودهم فى مواجهة أقسى الغاصبين قلوبا ، وأكثرهم وحشية وهمجية ، أن قضية فلسطين حية لا تموت ، وأن شعب فلسطين لا ينسى مع تعاقب الأجيال دينَهُ وأرضه ، وأنه مصمم مهما يطل الزمن على استرداد أرضه ووطنه حرا كريما ، ومايزال آخرون يعملون ويجاهدون ، ويقدمون الفداء والتضحيات

الكريمة الغالية في بلدان كثيرة أخرى على امتداد الرقعة الاسلامية ، وإذا كنا ننظر بعين الاعتزاز والفخر إلى تلك المعارك الشريفة فإننا ننظر بعين الأسف والأسى إلى تلك المعركة الحمقاء التى تدور رحاها ، ويشتعل أوارها ، بين شعبين جارين ، هما العراق وإيران : المعركة التى تدمى قلوب المسلمين ، وتجرح صدور المؤمنين ، بغير مشكلة أساسية ، أو قضية حقيقية ، ونرجو ونلحف في الرجاء أن تنتهى هذه المأساة اليوم قبل الغد : وكفانا ما نجده من الأعداء الذين يتربصون بنا الدوائر ، وتثلج صدورهم هذه الصغائر .

والأزهر الشريف في هذا المؤتمر يستقبلكم – كعهدكم به – متطلعا إلى لقائكم . مرحبا بقدومكم ، لتلتقوا في رحابه لقاء الأخوة الأحباب ، والعلماء الأنجاب ، مقدما لكم أخلص تحية ، وممهدا لكم أسباب التواصل والتعارف ، والمحبة والتآلف ، والتعاون والتكاتف ، ولتقبلوا عليه – كعهده بكم – فتقدموا زبدة أفكاركم ، وتشاركوه حصيلة أنظاركم ، وتعرضوا عليه آراءكم العلمية : النظرية والعملية ، وتبذلوا النصيحة خالصة لله ولرسوله ، ولكتابه ، ولأئمة المسلمين وعامتهم .

ولقد تعلمون فيما تعلمون أن الأزهر يضع قرارات مؤتمراتكم هذه وما تصدرونه فيها من توصيات محل الاعتبار الأول ، وذلك في حدود طاقاته وإمكاناته ، وما تقع عليه مسئولية تنفيذه وتحقيقه منها ، من ذلك: ما رأيتموه في دورتكم الثانية ، من الإسراع في تحديد الوسائل العملية لنشر الإسلام ، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة في مختلف الدول ، على كافة المستويات .

ويقوم الأزهر في مجال التعليم بإيفاد البعوث من الأساتذة الذين يقومون بالتدريس والوعظ ، ونشر الثقافة الإسلامية ، واللغة العربية لغة القرآن الكريم ، ولقد بلغت أعداد بعثاته في هذا السبيل أكثر مما تحتمل موارده وأعباء موازنته المالية ، كما يستقبل في كل عام أعدادا من الطلبة الوافدين الذين يقصدونه طلبا للعلم ، واستزادة منه ، ليعودوا إلى قومهم أئمة هداة ، اتباعا لقول الله « **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** » – التوبة آية ١٢٢ – .

ويقوم في مجال التأليف والنشر ، بإصدار مجلة الأزهر شهريا ، وهى تعالج موضوعات شتى ، بأسلوب رصين ، ومناهج علمية ، ويصدر سلسلة من الكتب الشهرية ، يعالج كل منها قضية تمس حياة المسلمين ومشاكل المجتمعات الإسلامية ، وتناقش مختلف القضايا ، وأنواع التيارات الفكرية والعقائدية التى تموج بها الساحة المحلية والعالمية ، وقد

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة

صدر من هذه السلسلة حتى الآن نحو مائة وعشرين عددا •

كما فوضتم فى دورتكم الثانية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى تأليف اللجان العلمية التى يوكل اليها بحث ما يتعلق بالإسلام والدعوة إليه ، وقد قامت هذه اللجان وقدمت الكثير من البحوث العلمية فى دورات مؤتمركم ، مما كان حيا فى موضوعه ، ومرجعا فى مادته وأحكامه ، وما تزال هذه اللجان قائمة تعمل ، منها:لجنة علوم القرآن ، ولجنة علوم السنة ، ولجنة العقيدة والفلسفة،ولجنة التعريف بالاسلام ، ولجنة البحوث الفقهية ، ولجنة القدس والجهاد ، ولجنة إحياء التراث ، إلى غير ذلك من اللجان •

كما أوصت دورتكم الرابعة بأن يعهد إلى جماعة من العلماء فى وضع تفسير وسيط للقرآن الكريم فى أسلوب ميسر يسهل للقارىء الوصول إلى معانيه ، وقد قام المجمع بالعمل على تنفيذ هذه التوصية وأصدر من هذا التفسير اثنين وأربعين حزبا من أحزاب القرآن الكريم ، ويوجد تحت الطبع عشرة أحزاب أخرى •

وفى دورتكم الرابعة كذلك أوصيتم بتأليف لجنة من رجال الفقه الإسلامى والقانون الوضعى ،لتضطلع بوضع الدراسات ومشروعات القوانين التى تيسر على المسئولين فى البلاد الإسلامية الأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية فى قوانين بلادها ، وقد استجاب مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، وتم تكوين لجان لتقنين الشريعة على المذاهب الأربعة ، تمهيدا لوضع تقنين موحد بعد ذلك ، يجمع ويرجح ، ويأخذ بما فيه الأيسر والأنفع للعصر والبيئة ، وقد تم هذا التقنين بالنسبة للمذهب المالكى ، وبالنسبة للمذهب الحنبلى ، وسيتم قريبا بالنسبة للمذهب الحنفى ، والمذهب الشافعى •

واستجابة لرغباتكم فى العمل على إحياء التراث الإسلامى والعمل على تحقيقه ونشره فقد قام المجمع هذا العام بتشكيل إدارة خاصة بهذه المهمة ، لاتزال إدارة وليدة تحتاج إلى الدعم والتوجيه ، وهى تقوم بحصر المخطوطات التى لم تظفر بالتحقيق أو الطبع بعد ، بداية بدار الكتب الأزهرية ، تمهيدا لوضع أوليات خاصة بما يحقق منها ويعد للطبع والنشر •

وقد بقيت بعد ذلك قرارات وتوصيات يحتاج المجمع إلى تذكيركم ، وتذكير المعنيين بها ، منها:قراركم فى دورتكم الثانية بأن تؤيد جميع الحكومات الإسلامية مهمة نشر الإسلام والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فى مختلف الدول على كافة المستويات ، وأن يمدوها بالأموال والإمكانات التى تكفل لها النجاح •

ومنها:قراركم فى دورتكم الثالثة بطلب العمل على إنشاء صندوق يسهم المسلمون كافة فى تمويله ، للإنفاق منه على التعريف

بالإسلام ، ونشر الثقافة الإسلامية ، وإحياء التراث الإسلامى ، وإنشاء المراكز الإسلامية وما إليها •

ومنها:دعوتكم فى دورتكم السادسة إلى إنشاء دار للفكر والنشر الإسلامى تقوم بخدمة العالم الإسلامى فى مجال التأليف والترجمة والنشر •

ومنها:قراركم فى دورتكم السابعة بالتوسع فى إنشاء المراكز الثقافية الإسلامية فى المجتمعات التى تحتاج إليها لإرشاد المسلمين وتبصيرهم بشئون دينهم ، وتطهير العقائد مما يكون قد علق بها من شوائب الباطل والخرافات •

ومنها:توصيتكم فى دورتكم السابعة بأن يتخذ مجمع البحوث الإسلامية خطوات فعالة لتنسيق الجهود المشكورة التى تقوم بها عدة هيئات فى سبيل خدمة الإسلام والمسلمين ، وذلك :

(أ) بالتنسيق بين مختلف الهيئات والمكاتب التى تدعو إلى الاسلام •

(ب) بالتنسيق بين المؤتمرات الإسلامية المتعددة ، بالاتصال فى سبيل ذلك بمؤتمر وزراء الخارجية للدول الإسلامية •

وأوصيتم فى دورتكم التاسعة جهات البر فى الدول الإسلامية بتنسيق الجهود فيما بينها ، حتى يتكامل نشاطها ، ويمتد إلى سائر المسلمين فى كافة أنحاء العالم الإسلامى للإغاثة ، وضرورة النظر فى قيام هيئة دولية إسلامية لأعمال الإغاثة فى العالم الإسلامى •

وأوصيتم فى الدورة نفسها الجهات القائمة على شئون الدعوة الإسلامية بالتنسيق فيما بينها فى الداخل والخارج •

والحقيقة أن المسلمين الذين شقوا طويلا بالاستعمار الغربى،وما أقامه بينهم من حواجز وحدود ، وما أشاعه فيهم من جمود وعزلة،وما بثه بينهم من خرافات وأساطير ، وما ضربه عليهم من جهل وتخلف ، قد استيقظوا الآن بعد أن انزاح عن صدورهم كابوسه ، وقبح فى عينهم شرعه وناموسه ، وعرفوا مقدار الهوة العلمية والحضارية التى تفصلهم عن حياة العصر ، وتبعد بهم عن جوهر الدين وحقيقة الإسلام ، فاندفعوا بأشواقهم الحبيسة ورغباتهم المكبوتة ، وتطلعاتهم المشروعة إلى الأزهر الشريف مهوى أفئدتهم من قديم ، ومستودع علمهم الإسلامى الصميم ، والذى ظل — على توالى المحن وتراكم الظلم — يحفظ لهم ما استودعوه ، ويصون لهم ما ائتمنوه •

أيها الاخوة المؤمنون :

وشعوب الأمة الإسلامية حين تضع آمالها فى الأزهر الشريف وتجعله قبلتهم العلمية والفكرية والتوجيهية ، لا تصدر من فراغ ، وإنما تعتمد على تاريخه التليد ، وحاضره المجيد ، فقد كان ولا يزال موئل علماء المسلمين ومرجع طلاب العلم ، فى ساحته تجتمع ألوان الشعوب ، وتتجاوب أصداء الألسنة ، وتتلاقى فى موكب إسلامى مهيب ، يوحدهم الدين ، وتجمعهم الأخوة ، ويؤلف بينهم العلم •

←

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور
عبد الفتاح عبد الله بركة

ومن خصائص الشعوب الاسلامية ذلك الشعور العميق بزيف الحواجز والحدود ، فى مقابلة قوة الرابطة الإسلامية والأخوة الدينية والمشاركة الوجدانية ، فهم ينظرون الى الأزهر وهو على هامة التاريخ باعتباره جزءا من تاريخهم ، وقطعة من تراثهم ، شارك فى بنائه أجدادهم المسلمون ، وشارك هو فى بناء عقولهم وثقافتهم وجهادهم ، فبينهم وبينه التحام عضوى لا ينفصم ، ولهم فيه دعوى حق لا ترد ، وله عليهم دعوى واجب لا تحد ، وعلى الأزهر أن يستجيب لمطالبهم ، ويتجاوب مع آمالهم وعواطفهم •

وإذا كانت حياة المسلمين خاصة وعامة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالدين ، عن صدق عقيدته يصدرون ، وبعدل شريعته يحكمون ، وفى بحبوحة أخلاقه يتعايشون ، ويجمعهم ذلك كله فى وحدة شعورية وجدانية تأخذ سبيلها إلى وحدة فكرهم ، وتظهر آثارها فى وحدة سلوكهم وعاداتهم ، وحين تصفو هذه الأصول من الشوائب ، وتتنزه عن الأغراض ، وتتعالى عن العصبية الجاهلية ، والاقليمية المحلية ، يصبح المسلمون جميعا جسدا واحدا ، يتعاطفون ويتراحمون ويتوادون ، تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، ويكونون يدا على من سواهم •

وأنتم ياعلماء المسلمين ، وياقادة الفكر والرأى تحملون مسئولية عظمى فى أن ترتفعوا بأمتنا المسلمة إلى هذا المستوى الراقى والأفق العالى ، التحاما بالعقيدة ، وارتباطا بالشريعة ، وتمسكا بالأخلاق ، ومن بين هذه المسئولية أن يرصد العلماء الواقع بكل ظواهره : سلبية وإيجابية ، وأن يعملوا على تثبيت الإيجابيات ، بربطها بأصولها وتعميق جذورها ، وأن يعملوا على تحويل السلبيات إلى إيجابيات ، بتعديل مسارها ، وإصلاح اتجاهها وعلى العلماء والقادة أن لا يكتفوا برصد الواقع وظواهره ، وإنما عليهم أن يستبقوا الزمن ، وأن يتوقعوا بعين البصيرة مستجدات المستقبل ، مهتدين فى ذلك بسنة الله فى تطور المجتمعات ، ليعدوا لكل شىء عدته ، ويأخذوا له أهبته تبصيرا لأمتهم ، ونصيحة لضميرهم ، وتربية لأجيالهم ، وامتدادا لجذور ماضيهم وتراثهم فى آفاق حاضرهم ومستقبلهم •

أيها الاخوة المؤمنون •••

إنه لابد لذلك من عمل جاد يقوم على تخطيط علمى وتوفيق إلهى ، والمسلمون جميعا فى شتى أقطار الأرض يرنون بأبصارهم ويهفون بقلوبهم إلى الأزهر الشريف ، ينتظرون منه أن ينهض بعبء هذه المسئولية الكبرى ، التى تعودوا منه أن ينهض بها ، والذى يجلس فى مواقع المسئولية فى الأزهر الشريف ، ويطلع على تلك الآمال العريضة متجلية فى تلك الطلبات التى تنهمر علينا طالبة الأساتذة المدرسين والمنح العلمية للطلاب الظامئين ، والمناهج العلمية التى تدرس بمعاهد الأزهر وكلياته ، والكتب الثقافية العامة والدراسية التى يستعملها الطلاب فى هذه

المعاهد والكليات ، ورغبة المسلمين فى شتى بقاع الأرض أن ينشىء الأزهر مراكز إسلامية يتولى توجيهها ، والعناية بها ، لتسد فراغا فى هذه البلاد العطشى ، وأن يشمل معاهدهم ومدارسهم بإشرافه وتوجيهه ، وتطبيق مناهجه ودراساته ، ثم ينظر إلى ما يبذله الأزهر فى هذا السبيل ، وما تمده به حكومة مصر من تمويل ، ــ وهو شىء عظيم فى حد ذاته ــ يجد أن الامكانات ماتزال فى حاجة إلى مضاعفتها ، وأن الأزهر مايزال فى حاجة إلى مؤازرتكم ومعاونتكم .

إن ساحة العمل أمام مجمع البحوث الإسلامية ممتدة فسيحة تشمل أنحاء العالم الإسلامى على اتساع رقعته ، وتشابك علاقاته ومشاكله ، وهو لا يتقدم للقيام بهذا العمل تطفلا ولا تفضلا ، ولكنه يقوم بواجبه أمام أمته ، وهى تلح فى طلب هذا العمل ، وهو كثير متنوع يمتد على امتداد تنوع وسائل الإعلام الحديثة التى طفرت بها أجهزة المدنية الحديثة خلال ثورة الاتصالات ، وعلى امتداد تنوع وسائل التأثير والتوجيه ، "أكاديمية" تخصصية أو عامة ثقافية ، وقد امتلأت الساحة بكثير من أنواع المذاهب والأفكار ، والتيارات والاتجاهات ، وعوامل الجذب العقائدى والاجتماعى والاقتصادى ، وكلها تعمل على خلخلة البنيان الأساسى للمجتمعات الإسلامية وصولا إلى الهدف الرئيسى فى تذويب العقيدة ، وطمس معالم الإيمان .

ومواجهة ذلك كله بنفس الوسائل والأدوات تحتاج إلى أجهزة بشرية فنية وإدارية تكون على مستوى هذه المسئولية ، قادرة على تطويع وسائل العصر ، وتشكيل قواعد الفكر ، والنفاذ إلى أعماق الشعور والوجدان ، وتثبيت أركان الحق والإيمان ، ودرء مفاسد الهوى والشيطان ، كما تحتاج إلى رصيد مالى ضخم لتمويل نشاطها ، فى حلقات البحث والدرس ، وفى إصدار الكتب الدراسية والكتب الثقافية ، وبرامج التوعية العقلية والاجتماعية ، وبناء المعهد والملجأ والمستشفى ، وتزويدها بالفنيين والمتخصصين ، ومواجهة التيارات الوافدة والثقافات الدخيلة ، مواجهة حرة بعيدة عن الهوى والغرض ، بعيدة عن الضغوط والتوجيهات الضيقة ، والتخطيط لما يمكن أن يجد على الساحة نظرا لنشاط الجهات الأخرى ، من استشراق وتبشير ومحاولات مستميتة للتنصير تعتمد على أقوى وسائل العصر تخطيطا وتنفيذا وأكثر أساليب التأثير إغراء واستغواء .

ولقد تبين لكم أن مؤتمركم الموقر فى دوراته المختلفة قد قرر عدة مرات ، وأكد هذه القرارات ، أن تبذل كافة الحكومات والهيئات والمنظمات الإسلامية التى تتولى شئون الدعوة الإسلامية ، وما يتعلق بها من إمداد ومعونات وإغاثة ، قدر طاقتها من أجل تقوية مجمع البحوث الإسلامية فى الأزهر الشريف ، أزهركم ، وأزهر الأمة الإسلامية جمعاء ، ومن أجل تمكينه من أداء رسالته وحمل مسئوليته والنهوض بأعبائه والقيام بمهمته وأكد مؤتمركم الموقر على إنشاء صندوق

←

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة

موحد الدعوة يتولى تمويل مشروعات المجمع ومخططاته ، ومعاونته على إنشاء فروع للمجمع فى كافة البلدان ومراكز ثقافية إسلامية قادرة على إرسال ضوء الإسلام وثقافته فى كل مكان ، وكذلك على إنشاء صندوق موحد يتولى أعمال المعاونة والإمداد والإغاثة ، وهى قرارات مشكورة نابعة من شعور عميق بعظم المسئولية ؛ وبتفرد الأزهر بمكانته بين الشعوب الإسلامية مما يمكنه من حمل هذه الرسالة وأدائها ، إذا أتيحت له الفرصة . وهيئت له الوسائل الكافية •

وإذ نشكر لمن أصدروا هذه القرارات وأكدوها غيرتهم الدينية . وبصيرتهم الإسلامية . فإننا نسجل أن هذه القرارات لم تجد طريقها إلى التنفيذ العملى بعد •

ولعله من واجب الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية أن يضع هذه القضية بين أيديكم ، بعد أن اؤتمن عليها عدة دورات . ليطلب إليكم أن تخرجوا خلال دورتكم هذه بتطبيقات عملية لهذه القرارات ، تتحدد فيها الحقوق والواجبات ، وتبرز فيها المسئوليات والالتزامات ، وتحاط بأسباب الضمانات التى تكفل تحقيق الأهداف والغايات •

ونحن نؤمن بقضاء الله وقدره ، ونرضى بجميع أمره ، وقد حم قضاؤه فى فقيدين جليلين : هما فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ حسين عبد المجيد هاشم عضو مجمع البحوث الإسلامية وأمينه العام ، ووكيل الأزهر وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى عضو مجمع البحوث الإسلامية ووكيل الأزهر ، تغمدهما الله برحمته ، وألحقهما بالصالحين •

وإننى أشكر لكم جميعا ما تجشمتم فى سبيل حضور هذه الدورة والمشاركة فى أعمالها وبحوثها ومناقشاتها،وهو أمر نقدره حق قدره ونسأل الله أن يثيبكم على قدر إخلاصكم وتجردكم لله وللإسلام •

كما أتقدم بجزيل الشكر وعظيم التقدير للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية الذى يشمل دورتكم هذه برعايته الكريمة انطلاقا من شعوره بمسئوليته الاسلامية أمام نفسه وضميره أولا وامام شعبه وأمته الاسلامية ثانيا ، وقبل كل شىء وبعده امام الله جل فى علاه •

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

د. عبد الفتاح عبد الله بركة

كلمة السيد المشير

عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب

"عن الوفود"

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الذى بنعمته تتم الصالحات ..

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ،

إمام الدعاة وقدوتهم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

سيادة الرئيس محمد حسنى مبارك ، رئيس جمهورية مصر العربية .

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف .

أصحاب الفضيلة العلماء والدعاة .

أصحاب السعادة ، رجال الدولة .

أيها الأخوة الحضور .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اسمحوا لى - ياسيادة الرئيس - أن أتحدث باسم الوفود والشخصيات القادمة إلى هذا المؤتمر المشهود من شتى أنحاء العالم : تعبيراً عن اهتمامهم العميق بأمر الدعوة الإسلامية ، وتقديراً لمكانة الأزهر ومصر ، ورغبة صادقة فى المشاركة فى أعمال المؤتمر المباركة ، بالبحوث والمناقشات والحوار الهادف البناء .

واسمحوا لى أن أشكر - باسمهم جميعاً - جمهورية مصر العربية : رئيساً وحكومة ، وشعباً على الجهود الأصيلة والمشرفة التى يقوم بها هذا البلد السمح المعطاء نحو الإسلام وأمة الإسلام . وأن أعبر عما يُكنّه ممثلو العالم الإسلامى فى هذا المؤتمر من تقدير وإكبار للأزهر الشريف ، ولرجاله الأفاضل الأجلاء ، فالأزهر الشريف قام ولا يزال يقوم ، وسيظل يقوم بإذن الله بدور رائد وعظيم ومضىء فى خدمة الدعوة الإسلامية .

وإذ أعتبر هذه الإنابة عن الوفود تشريفاً لى ولمنظمة الدعوة الإسلامية التى أمثلها ، وللسودان عامة . فإننى أسأل الله تعالى أن يعيننى على حسن التعبير عما يجيش فى نفوس المشاركين من تطلعات وآمال .

سيادة الرئيس :

إن الدعوة الإسلامية هى رسالة الأمة الإسلامية الخالدة ، وهى مجدها ، وشرفها

←

وعطاؤها الأعظم للإنسانية جمعاء ، وهذه الرسالة هى التى أخرج الله الأمة الإسلامية لها . كما قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ .

والعالم الإسلامى اليوم فى أشد الحاجة إلى دعوة هادية تصلح شئونه بالكلم الطيب ، والأسلوب الرفيق ، والقدوة الصالحة ، والبرامج الإصلاحية الشاملة .

كما أن العالم كله فى أمس الحاجة إلى الدعوة الإسلامية التى لن يرى النور ، ولن يستقيم أمره العقدى والفكرى والخلقى والاجتماعى إلا بها : ﴿ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ .

وفى كل العصور ، ومنذ عهد النبوة ، واجهت الدعوة الإسلامية تحديات شتى . ولكن الجهاد الصادق فى سبيل الدعوة ذلل تلك الصعوبات ، واستبقى الراية مرفوعة ، وحفظ كيان الأمة المعنوى والأدبى من الانهيار والتلاشى . الأمر الذى افتقدته أمم كثيرة فبادت معنوياً ، وإن بقى هيكلها المادى .

وتواجه الدعوة الإسلامية فى عصرنا الحاضر تحديات صعبة ، لا أرى هذا المؤتمر الموقر إلا تعرض لها بالدراسة والتحليل ، والبحث عن الحلول والمخارج .

وفى مقدمة هذه الصعوبات واقع المسلمين أنفسهم . فالدعوة لا تقوى ولا تنهض إلا فى أمة قوية ناهضة متحدة كما تمنى لوط عليه السلام : ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ أو كما وقع لشعيب عليه السلام من قومه : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ .

إن البطء فى خطى الدعوة ، صورة من البطء فى تقدم العالم الإسلامى .

ومما يؤسف له أن الأمة الإسلامية التى قعدت بها سلبيات عصور الانحطاط ، وقيدت حركتها تركة استعمارية مثقلة لم تستطع حتى الآن أن تقوم بالوثبة المطلوبة فى هذا الاتجاه .

وكان من أخطر ما أضر بالأمة الإسلامية ككل ، وعوق قافلة الدعوة الإسلامية بشكل خاص هو : استدامة التخلف ، أو استطابته أو التكيف معه ، وبث الفرقة ، وإحداث التمزيق ، وإثارة القلاقل والفتن ، وهز المسلمات والثوابت ، وتفجير البيت الإسلامى فى الداخل بقنابل المشكلات والأزمات .

ولعلنا نستطيع أن نشير إلى بعض التحديات الصعبة التى تواجه الدعوة اليوم :
لا يشك عاقل أن المشكلات الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية والتعليمية والثقافية التى يعانى منها العالم الإسلامى هى بمثابة تحدٍ حقيقى لانطلاقة الدعوة الإسلامية ، ومن هنا فإن مساهمة الدعاة فى

التغلب على هذه المشكلات جزء من مسئوليتهم فى تعبيد الطريق لتقدم الإسلام .

ولا يشك عاقل أن الإغراق فى الخلافات الفرعية الجدلية بين الدعاة أنفسهم كان سبباً فى تعثر الدعوة . وأن الحل الأمثل للخروج من هذا المأزق هو الاعتصام بأصول منهج أهل السنة والجماعة والتلقى عن الأئمة الموثوقين جميعاً . وتوفير الطاقة المبذولة فى الخلاف الجدلى للجهاد الإيجابى فى سبيل الدعوة .

ومن الأمور المجمع عليها : أن الدعوة بالقدوة الحسنة أعمق أثراً من الدعوة القولية ، وهذا تحدٍ كبير أيضاً . ولذا ينبغى أن يكون المسلمون صورة حية مشرقة لدينهم . يدعون إلى الإسلام بسلوكهم العملى على كل مستوى .

وقد كان سلوك المجتمع الإسلامى الأول بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم هو ابلغ دعوة إلى الإسلام . ولنا فى رسول الله أسوة حسنة ، وكذلك فى الصحابة الذين هم من أبرز آثار نجاح الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعوته .

إن الشقاق بين أهل الملة والقبلة الواحدة المتمثل فى التوترات الناشئة عن عصبيات الأقوام والأوطان والمذاهب . وفى النزاعات المسلحة الدائرة داخل كثير من البلاد الإسلامية أو بينها ، وفى الفتنة العظمى ، والحرب النكراء المحتدمة فى الخليج . كل ذلك تحدٍ خطر من حيث تأثير هذه الحرب على وحدة المسلمين ، وسمعة الإسلام ، ومن حيث الطاقات المهدرة التى لو وظفت فى سبيل الإسلام لكان ذلك سبباً عظيماً فى فتح إسلامى عالمى جديد ..

إن المسلم بطبعه ، وبموجب تعاليم الإسلام الواضحة ، كاره للخصومة أواب إلى السلام ، فالتمادى فى الحرب يتناق مع طبيعة الإسلام وشريعته السمحة الداعية إلى الأخوة بين المسلمين .. وإلى حُرمة دمائهم ، ووحدة أمتهم .

وإن الرفض المتكرر للمساعى السلمية الإسلامية مجافاة سافرة لتعاليم الإسلام . وقلة اعتبار لمناشدات العالم الإسلامى : حكاما ، وعلماء ، ودعاة ، وشعوبا .

إن الأخوة فى العراق قد فاءوا إلى نصاب المسالمة والتحاكم بين المسلمين ، ولن نقنط فى أن يفيىء الأخوة فى إيران ، ويجنحوا إلى السلم .

إن الحرب توشك أن تمتد لتطال أطراف مسالمة وراء طرفى النزاع بل توشك أن تتفاقم لتؤثر على العالم الإسلامى كله . ولتستدعى تدخلات دولية شاملة لا تؤمن عواقبها .

إن آثار الفتنة ، وعدوى الشر والدم قد امتدت حتى وصلت إلى اقدس بقاع الإسلام : الحرمين الشريفين . وهذا من اخطر ما تعرض له المسلمون فى تاريخهم الحديث . فالمقدسات هى المواقع والمواسم التى تجمع الأمة على

توقيرها ، واحترامها ، والنأى بها عن دواعى النزاع والصراع .

أما إذا انتهكت الحرمات ، واتخذت القبلة الواحدة الجامعة ، والحج الآمن الخاشع موطناً للتظاهر وإعلاء الشعارات الخلافية الشعوبية والطائفية ، فإن ذلك يؤذن بكارثة دينية كبرى ، على الأمة جمعاء أن تهب لدرئها واتقاء شرها : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

إن الدعوة صدق وعدل .. ومن الصدق والعدل أن نقول : إن الحرب الظالمة بين المسلمين انحراف عن طريق الإسلام وتعويق للدعوة الإسلامية وكذلك إثارة الفتنة فى الحرم الشريف .. فإذا كنا ندعو إلى الإسلام فليس من تقوى الدعاة ، ولا من القدوة الحسنة ، سفك الدم الحرام ، ولا انتهاك حرمات الله وشعائره ، ولا إثارة الفزع فى البلد الآمن ، ولا سائر ما نشاهده فى مسرح العلاقات الإسلامية من جنوح .

ومن الصدق والعدل أن نقول أن حُماة الحرمين الشريفين قد سلكوا سلوك الدعاة المخلصين فى الصبر والحكمة وسلوك الأمناء المسئولين ، فى رعاية الحرم وكفالة سلامة الحج والحاج ، وحق كل مسلم فى أن يحج بأمن واطمئنان . وعلى الرغم من الكوارث والفتن ، لا تزال هذه الأمة تتمتع ببقية من وعى وتذكر : فما إن سمع العالم الإسلامى بهذا الحدث المؤسف حتى تجاوب بموقف مخلص تأييدا لمن قيضه الله لخدمة الحرمين . وحرصاً على أن يأتى المسلمون إلى الحج بسلام . وأن يحجوا بسلام ، وأن يعودوا بسلام ، وأنه لا يجوز التشويش على الحجاج ، مثلما لا يجوز التشويش على المصلين .

ويبقى أن يتجاوب العالم الإسلامى أيضاً . وأن يتعبأ الدعاة والشعوب ، والمسئولون من المسلمين كافة لإيقاف نزيف الدم فى الخليج فوراً حتى لا تنهك قوة المسلمين وأثر دعوتهم وحتى لا يكذب فعلنا ما ندعو إليه من كون الإسلام دين السلام والوحدة ، وحتى لا نتعرض جميعاً لغضب الله فى الدنيا والآخرة .

سيادة الرئيس :

إن إخوانا لنا فى أفغانستان ، وفلسطين ، لا يزالون يعانون من قسوة الاحتلال وبطش الاستعمار فى زمن ودع فيه العالم عهود الاستعمار وتمتع فيه كل شعب بوطنه .

ولهاتين القضيتين علاقة راسخة بالدعوة الإسلامية . ففى أفغانستان حركة جهادية مباركة تقف فى وجه الإلحاد دفاعاً عن دينها ، وشعبها ، وعرضها ، وأرضها ، ومقدراتها ، وكرامتها ، ووجودها الدولى .

ويستحق هذا الجهاد أن يعان بالشورى والرأى والخبرة من قبل الدعاة والمسئولين .

وهو يواجه مراحل التفاوض ، والانتقال والاستقرار .

وفى فلسطين انتفاضة باسلة تقاوم البطش الصهيونى بقوة الإيمان بالله ، واليقين بالحق الوطنى .

وهذه الانتفاضة ، إنما يدور كفاحها حول القدس الشريف ، أولى القبلتين ومسرى الرسول صلى الله عليه وسلم ومُصَلاّه .

وهذه الانتفاضة جديرة بأن تُمد بكل ما يعينها على النضج والاستمرار والاستثمار حتى تنتهى إلى غاياتها المرجوة ، وحتى لا يتمكن عدوها من محاصرتها ووأدها .

ومن بين تحديات الدعوة أوضاع الأقليات الإسلامية فى العالم والمجتمعات المسلمة فى ثغور الأمة وحواشيها فى أفريقيا وآسيا ، وإحقاق حق هؤلاء فى أن يجدوا نصيبهم من الدعوة الإسلامية : تثقيفا وتوعية ، ودفاعا عن وجودهم الفكرى والحضارى ، وتبصيرا لهم بطرق التعامل الحصيف والنافع مع واقعهم ومحيطهم وجوارهم .

فالأقليات الإسلامية توجد فى محيطات غير إسلامية والمجتمعات المسلمة فى الثغور تستشعر العزلة وتجاور الفتنة . وهذه وتلك تتعرض لضغوط ثقيلة نفسية . وفكرية ، واجتماعية ، واقتصادية . ولتدافع غير متكافىء مع المؤثرات المحيطة والمجاورة . ويتحتم أن يكون الجهد المبذول لنصرة أولئك المسلمين مناسباً لما يتعرضون له من ضغوط ، فيدفع الضغط النفسى والفكرى بتقوية روابط الأقليات ومجتمعات الثغور بالأمة الإسلامية ، ويدفع الضغط الاجتماعى والاقتصادى بتنظيم برامج عملية تتوخى إسعاف هؤلاء المسلمين ، وترقيتهم اجتماعياً واقتصادياً ، وتقوية رصيدهم الدينى علماً وعملاً حتى يفيضوا بهدى الإسلام على الذين يلونهم من غير المسلمين .

ولئن شهد العالم الإسلامى صحوة واسعة فإنها تمثل تحدياً للدعاة المسلمين من حيث موافاتها بالرعاية العلمية والفكرية الكافية حتى تثمر ثمراتها الطيبة فى النفس والمجتمع . وحتى تتفادى السلبيات والعثرات . فلأسباب شتى ، وقبل ذلك بقدر الله وإرادته صحا المسلمون من نومهم ، وأقبلوا على دينهم : التزاما فى التدين الشخصى ، وفهما لشمول الإسلام ، ودعوة إليه وسعياً لتمكين الدين فى الحياة العامة . وليس من الحكمة أو فى الإمكان كبت هذه الصحوة ، أو تجاهلها ، بل إن أفضل اختيار للتعامل معها هو تفهمها وتوجيهها وفتح القنوات أمامها لتتفقه وتترشد وتعمل بحرية مسئولة ، ولتفجر طاقاتها المخلصة فى عملية البناء الصحيح . وعلى دعاة الصحوة الإسلامية أن يتعاملوا مع الواقع والظروف بمنهج عملى حكيم يصوب الجهود ولا يبددها ، ويعالج المشكلات ، ولا يزيدها تعقيدا ..

ومن الصعوبات الشديدة التى تواجهها الدعوة الإسلامية ، التيارات الإلحادية ، والدعوات العقائدية الضالة التى تريد أن تفتن المسلمين عن دينهم بالتشكيك فيه أو بالإغراء المادى ، والخدمات المختلفة . مستغلة فيهم الجهل والعوز ، وآثار الكوارث الطبيعية كالجفاف والمجاعات التى ضربت كثيراً من أقطار الأقليات والمجتمعات المسلمة . فأسلمتهم فريسة سائغة للذين يريدون فتنتهم عن دينهم وإخراجهم عن الملة .

إن هذه التيارات والدعوات تشكل زحفاً كاملاً على العالم الإسلامى ، مزوداً بشتى الإمكانات ، والوسائل ، والأساليب ، تدعمه مؤسسات : إقليمية ، وقارية ، وعالمية ذات طابع معادٍ .

ولا يوقف هذا الزحف إلا عمل إسلامى منظم ، مزود بالإمكانات العلمية والفكرية ، والمادية المناسبة .

والمعنى بالعمل الإسلامى المنظم هو : وجود مؤسسات إسلامية دعوية تنبث فى قارات العالم تدعو إلى الله على بصيرة بظروف البيئة التى تخاطبها وبهدى الدين المناسب لها ، مستعينة بجميع الوسائل والأساليب العصرية فى خطاب الناس وهدايتهم من كلمة مقنعة وقدوة حسنة مؤثرة وخدمة إنسانية تؤلف القلوب . فلولا شجعنا قيام مثل تلك المنظمات الدعوية فى كل أقاليم الأرض ، وعلى كل مستويات الخطاب والتبشير بالدين . ولولا قام مجلس عالمى يتولى التنسيق بين هذه المؤسسات جميعاً .

سيادة الرئيس :

إن وحدة المسلمين وتضامنهم قضية أساسية من قضايا الدعوة ، وهى من التحديات التى يتعين مواجهتها . فالمليار المسلم ، والإمكانات المادية ، والطاقات الهائلة التى يزخر بها العالم الإسلامى . هذا كله لن يندرج فى سياق حضارى كبير ، ذى وزن عظيم إلا من خلال وحدة المسلمين وتضامنهم .

وإذ نشيد بحركة التضامن الإسلامى ، وبمن ابتدرها ، فإننا نأمل قيام تعاون وثيق بين الحكام والدعاة يستهدف تعزيز مسيرة هذا التضامن على المستوى الرسمى والشعبى : تركيزاً للبناء الإسلامى العام ، ودفعا للأخطار المشتركة .

سيادة الرئيس :

إن العالم الإسلامى يتوقع من هذا المؤتمر الشىء الكثير .

يتوقع منه أن يخطط للدعوة الإسلامية على المستوى القريب والبعيد .

ويتوقع منه : أن يوثق عرى التعاون بين الدعاة .

ويتوقع منه : قيام مؤسسات تحقق ذلك وتطبقه .

ويتوقع منه : أن يقول رأياً صريحاً فى قضايا الأمة الإسلامية . مستلهما تعاليم الكتاب والسنة فى ذلك .

نكرر شكرنا لشخصكم الكريم سيادة الرئيس .

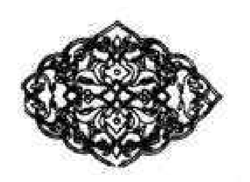
كما نشكر الأزهر الشريف داعى هذا المؤتمر ومنظمه ، وكل من ساهم فى الإعداد والتنظيم للمؤتمر .

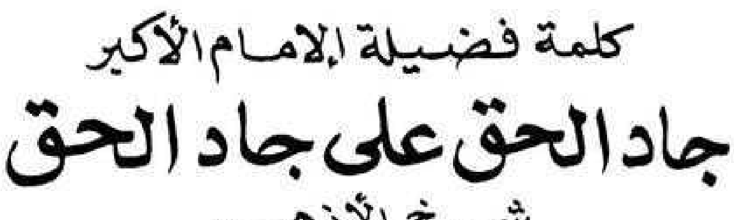
ثم نزجى الشكر للعلماء والدعاة الذين لبوا الدعوة وأعدوا العدة لإنجاح المؤتمر .

ثم نرفع إلى الله الشكر والحمد من قبل ومن بعد على أن هيأ لنا هذا الاجتماع المبارك .

ونسأله تعالى أن يجعلنا أفرادا وجماعات دعاة إلى الله بالكلمة الطيبة والحجة البالغة وأن يجعلنا دعاة إليه مجتمعات ودولا كذلك بالاستقامة على نهج الحق عملاً وأسوة حسنة للعاملين ، وبالوحدة بين الأمة قاطبة تعاونا فى الدعوة وقوة وأثراً كما نسأله أخيراً أن يجعلنا دعاة إليه بالتسامح واللطف والتبشير لا بالجفاء والعنف والتنفير. ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ • وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ • وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .





بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك

رئيس جمهورية مصر العربية ..

السادة العلماء والوزراء ..

الحفل الكريم ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد

فباسم الله نفتتح هذا المؤتمر ، ملتزمين بقول الله سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ..

* * *

وباسم مصر أرحب بكم فى رحاب الأزهر الشريف ، الذى يدعو إلى الله على بصيرة من كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ .

وباسم هذا الحفل الحافل بأعلام العلم والفضائل ، أتقدم إلى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك بالشكر والتقدير على رعايته ورياسته لحفلنا هذا المبارك ، الذى نبدأ به عمل : (مؤتمر الدعوة الإسلامية) التى لا تألو - مصر - جهداً فى القيام بأعبائها بأزهرها الشريف الذى اتسع رحابه وتفتحت أبوابه لكل طالب علم يفد إليه ، يعلمه ويثقفه ويفقهه فى دين الله الإسلام ، ليعود إلى أهله ووطنه صالحاً مصلحاً .

* * *

إن الدعوة إلى الإسلام لم تعد - فى هذا العصر - محصورة فى مجرد خطبة تلقى ، أو سورة من القرآن تتلى ، أو درس يذاع ، أو كتب تنشر ، وإنما قد تطورت وسائلها

ومسائلها ، **وازدحمت الساحة بالدعاة وبالأدعياء** ، وصار على العلماء خاصة وسائر المسلمين ـ حكاماً ومحكومين ـ **عامة أن ينزلوا عند حكم الله فى قوله** : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ ومن ثم : كانت الدعوة إلى هذا المؤتمر رغبة فى التشاور والنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

* * *

إن الشعوب الإسلامية ، تنتظر إلى جمعكم هذا وتنتظر هدايتكم لها إلى الطريق الذى تسلكه ، لتخرج من **الفرقة** **والشتات** الذى **الم بها ، فانفرط عقدها ، وتتابعت عليها المصاعب والأزمات** ، تنتظر الشعوب أن ترى عملاً مثمراً تجتمع به الكلمة ، وتنزاح به الغمة ، وتلتئم الجراح ، ويستقيم الصف على صراط الله الذى أشار إليه فى قوله : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . .

لقد كثرت المنظمات والجمعيات والهيئات التى تعمل فى حقل الدعوة ، وتكاثرت ، ومع هذا فقد استفحلت الشرور ، وبرزت الآثام ، وتغلبت المادية ، وانحلت روابط الأخوة ، واستحكمت الفرقة ، وشاعت العصبية العرقية والمذهبية ، مع أنه لم تجتمع لأمة من الأمم من أسباب الوحدة ، وعناصر القوة ، ما اجتمع لهذه الأمة الإسلامية :

فقبلتهم فى الصلاة واحدة هى الكعبة المشرفة ، وكتاب ربهم القرآن يقول : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ . .

* * *

إن الإسلام رسالة للحياة ، له دوره فى توجيه الإنسانية والرقى بها إلى ما ينبغى أن يكون عليه الإنسان الذى استخلفه الله ليعمر هذا العالم .

رسالة الإسلام مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ سواء فى ذلك ما يتصل بالعقيدة وأصولها مما يجب الإيمان به وما يتصل بالشريعة العملية من أمور العبادات والمعاملات والأخلاقيات والسلوك ، إذ كل ذلك له فى الإسلام أسسه وأصوله وقواعده التى ينبغى الالتزام بها .

وإذا كان الاستعمار الذى منيت به بلاد المسلمين فيما مضى قد أدخل عليها الكثير من العادات والمعاملات التى يرفضها الإسلام ، وإذا كان الاستعمار ـ فى سبيل تثبيت أقدامه ـ قد تدخل فى أمور التعليم لدى

كلمة فضيلة الإمام الأكبر

المسلمين فوجهه إلى خدمة غاياته ، ونحاه عن أن يثبت الإسلام فى قلوب أجيال المسلمين ، وانشأ جيلاً من المتغربين ، نشروا فكرهم الذى تأثر به جيل من الناس .

إذا كان الاستعمار قد أثر فى مناح كثيرة من حياة المسلمين حتى نسوا الذكر ، وانساقوا وراء كل جديد ولو كان مهلكا ..

فإن الأمل معقود فى إصلاح المسار وتصحيحه .. على الجامعات الإسلامية بخاصة ، وسائر الجامعات فى العالم الإسلامى بعامة ..

إذ عليها ـ عن طريق العلم والدراسة والثقافة ـ أن تميز الخبيث من الطيب ، وأن تقول للناس حسناً : فى دينهم ودنياهم حتى يستبينوا أن الدعوة الإسلامية إنما تدعو إلى خير البشرية ، وإلى تنقية فكر المسلمين مما ران عليه من تلبيس المغرضين .

* * *

إننا فى حاجة إلى منهج للدعوة وللتعليم ، يعمق إيمان الأمة الإسلامية بعقيدة الإسلام وحقيقته:شرعة ومنهاج حياة ، ويفضح اباطيل خصوم الإسلام التى دأبوا على إثارتها ـ باسم الإسلام ـ وإشهارها فى مواجهة كل دعوة إلى الإصلاح والصلاح .

* * *

إن من واجبات العاملين فى مجال الدعوة الإسلامية صيانة الحقائق والمفاهيم الإسلامية من التحريف ، والحرص على إبراز السمات الإسلامية والحفاظ عليها ، لأنها حصون الإسلام المنيعة وحماه وشعائره .

وعلى رجال الدعوة ، بل ورجال التعليم البعد عن إخضاع حقائق الإسلام ومفاهيمه لمصطلحات غربية ، لا تتفق مع روح الإسلام واصوله .

إن على رجال الدعوة أن يهدفوا إلى إعادة صنع أمة ذات رسالة وكلمة مسموعة ، مهابة الجانب من خلال تعاليم الإسلام الصحيحة .

إن أمام المؤتمر موضوعات رئيسية مجملها :

(أ) التنسيق بين نشاط الهيئات التى تقوم بالدعوة الإسلامية .

(ب) التنسيق بين نشاط الهيئات التى تتولى أعمال الإغاثة والتكامل بين نشاطى الدعوة والإغاثة .

(جـ) قدسية الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى .

(د) الأقليات الإسلامية ومسئولية المسلمين تجاهها .

(هـ) القضايا المعاصرة للأمة الإسلامية .

* * *

إن دراسة هذه الموضوعات والحوار فى شأنها ، ينبغى أن يجرى فى نطاق موضوعى ، ينتهى إلى مقررات وتوصيات ، تقود إلى خير الإسلام والمسلمين .

* * *

وهذا هو المأمول من هذه النخبة المخلصة لدينها وأمتها الإسلامية .

والله المستعان ومنه التوفيق ..

« وما ذلك على الله بعزيز » ..

كلمة السيد الرئيس

محمد حسنى مبارك

رئيس جمهورية مصر العربية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

صاحب الفضيلة الإمام الأكبر

شيخ الأزهر ..

الإخوة الأعزاء العلماء الأجلاء ..

ضيوف مصر الكرام والصفوة من

رجال الدعوة ..

ابنائى الطالبات والطلبة ..

يسعدنى أن أرحب بكم على أرض مصر،وفى ظل أزهرها العريق أقدم جامعة أشعت بنور العلم وتألقت بأقباس الهداية أكثر من ألف عام ومازالت بحمد الله ، القِبْلَةَ العلمية لجميع المسلمين فى كل أنحاء الأرض .. كما يسعدنى أن أشكر هذه الجهود الخيرة التى أقامت هذا المؤتمر العظيم، والتى جمعت هذا الجمع الكريم،والتى حشدت هذه الصفوة من أجل النهوض بالدعوة فالحق كما نعرف جميعاً أن الدعوة فى الإسلام واجبة على كل قادر عليها وهى أوجب على المتخصصين فيها،والمتفرغين لأمرها،ومساندتها بالدعم والتأييد والحماية والرعاية من أوائل واجبات أولى الأمر فى المجتمع الإسلامى كله ، فسمة الأمة الإسلامية الحقة أن تكون فى جملتها داعية إلى الخير آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر فقد قال الله فى كتابه العزيز ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ صدق الله العظيم .

والصفة التى حدد بها القرآن الكريم أفضلية أمة الإسلام هى أنها أمة تأخذ نفسها بالدعوة إلى الحق،وذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ .

●●●

الدعوة مسئولية

وإذا كانت الدعوة واجبة فى كل وقت فهى

←

كلمة السيد الرئيس
محمد حسنى مبارك

فى وقتنا هذا أشد وجوباً ومسئولية الجميع هنا عنها تأتى فى صدر أولويات الواجبات ويستوى فى تحمل هذه المسئولية العلماء والمؤسسات والرؤساء والحكومات نظراً لما يمر به العالم الإسلامى اليوم من معاناة وما يحيط به من تهديدات وما يعترض طريق نهوضه من معوقات وعقبات . إن الإسلام بعقيدته الحقة وشريعته السمحة وفضائله العالية وقيمه السامية قد استطاع أن يقيم للمسلمين دولة عظمى .. وأن يحقق لهم وللإنسانية معهم حضارة كبرى أشاد بها الأعداء قبل الأصدقاء،واعترف بدورها فى تطوير البشرية وتنويرها المنصفون من غير المسلمين...قبل أن يفخر بها أبناؤها من المسلمين .. ثم تآمرت عوامل شريرة عديدة على تمزيق هذه الدولة العظمى،وعلى إيقاف مد تلك الحضارة الكبرى وعلى تعويق مسيرة المسلمين؛ بل على دفع حركتهم إلى التخلف، وإثقالها بما يحقق الجمود ، ولست هنا فى مجال تفصيل القول فى تلك العوامل الشريرة التى تآمرت،والتى كان لها بكل أسف ما أرادت ودبرت ، وإنما حسبى هنا أن أقول: إن قروناً مرت على المجتمع الإسلامى بعد نجاح التآمر عليه ، كان فيها هذا المجتمع فى منطقة الظل من العالم ، وهو فى الوقت نفسه هدف للطامعين ونهب للمغامرين،ثم قسمة بين المستعمرين ، وبعد ذلك أراد الله لهذه الأمة التى تصون كلمته وتحمل رسالته أن تخرج من جديد من الظلمات إلى النور،وهيأ لها من رجالها المخلصين ومن قادتها الراشدين من يقود حركتها إلى حيث آفاق الحرية فاستردت استقلالها واستعادت كرامتها وألقت عن كاهلها نِيرَ الاستعمار وأغلال القهر،وخطت خطوات واثقة فى سبيل التقدم لاستعادة مكانتها الجديرة بها كخير أمة أخرجت للناس .

●●●

سفك الدم حرام

ولكن معوقات من نوع آخر ألقيت فى الطريق من جديد وكأنما أرادت قوى شريرة أخرى لأمتنا ألا تنهض وألا تسترد مكانتها تحت الشمس ، وقد تنوعت تلك المعوقات وتعددت مجالاتها واختلفت ألوانها لكنها قد اتفقت جميعا فى مؤامرة التعويق والتفريق والتمزيق .

ومن مظاهر هذه المعوقات المفرقة الممزقة ذلك الصراع الدامى بين دولتين إسلاميتين ، والذى يزعم المصر على استمراره بأن عدوانه

مد إسلامى،وبأن عمله الدموى جهاد من أجل الإسلام .. هذا رغم أن الإسلام يحرم بكل وضوح وصراحة سفك المسلم لدم أخيه المسلم ويؤكد أن دمه وعرضه وماله حرام كحرمة بيت الله فى أرض الله فى يوم الحج الأكبر .

بل إن الإسلام يوصى المسلم بأن يحب لأخيه مايحب لنفسه ويجعل ذلك الحب شرطا لكمال الإيمان .

ومن مظاهر تلك المعوقات التى رزىء بها المسلمون أيضا ، تلك الخلافات المذهبية المفرقة الممزقة أيضا،والتى تظهر المسلمين فى بعض الأحيان وكأنهم ينتمون إلى ديانات شتى ، لا إلى دين واحد ، مع أن من البديهيات فى الفكر الإسلامى أنه دين يدعو أول مايدعو إلى جمع الكلمة وتوحيد الصف والبعد عن كل مايفرق الجماعة ويشتت الأمة ، وما أروع قول ربنا فى كتابه العزيز ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ وما أجل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

ومن مظاهر تلك المعوقات التى أصابت المجتمع الإسلامى أيضا اهتمام البعض بالشكل وإهمال الجوهر ، والتشبث بالمظهر وترك المخبر،ومن هنا يضيع هذا البعض جهده ويبدد طاقته فى جدل عقيم ونشاط سقيم لا يُنهض قاعداً أو يُقدم متخلفا أو يحقق نفعا .. والعجيب أن كل ذلك يحدث وعالمنا الإسلامى فى معظم بقاعه يعانى من سلبيات هى أَوْلَى ببذل الجهد لتلافيها ، وعلاج أمراضها ، وحسبنا أن نعرف أن مجتمعنا يقع وبكل أسف إلى الآن فى منطقة التخلف أو مايسمى تأدبا بالعالم النامى .

●●●

سماحة الاسلام
تبعد عن التطرف

فنحن فى حاجة إلى نهضة فى شتى المجالات العلمية والاقتصادية والاجتماعية حتى لا نعيش مستوردين للعلم بل للإنتاج الزراعى والصناعى ومعظم وسائل الحياة بل حتى لا نظل عالة على غيرنا حتى فى أقواتنا وضرورات حياتنا،ومن مظاهر تلك المعوقات التى تعرقل حركة المجتمع الإسلامى نحو التقدم بل تهدد وجوده الأمن ووحدته المأمولة : ظهور جماعات المتطرفين الذين قد يكونون حَسَنِى النوايا سَلِيمى الطوايا شرفاء القصد ، ولكن الكثيرين منهم وبكل أسف قد جانبوا رُوحَ الإسلام فى سماحته ورفقه ويسره وأهملوا جوهر الإسلام فى دعوته إلى السلام والأمن والإخاء والتراحم وتجنب الفتن كما تركوا الأسس التى.أوجب الإسلام أن تقوم عليها الدعوة وهى الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن .. نعم تركوا ذلك كله وَلَجَئُوا إلى تكفير المجتمع حينا، وإلى مقاطعته والهجرة عنه حينا آخر ، بل عملوا على مقاومته وحربه بالسلاح فى بعض الأحايين .

←

كلمة السيد الرئيس
محمد حسني مبارك

هذه بعض المظاهر الطارئة على المجتمع الإسلامى الذى أخذ طريقه إلى النهوض بعد القعود والذى دبت فيه روح الصحوة بعد قرون من الغفوة، والذى استطاع بجهود علمائه وزعمائه وبتضحيات أبنائه وشهدائه أن ينال حريته ويسترد كرامته، ثم يخطو الخطوات الأولى نحو اكتمال صحوته وتحقيق سيادته وإعلاء كلمته. وهنا تظهر الحاجة إلى الدعوة كأشد ماتكون ! .. إن هذه المكاسب التى حققها المجتمع الإسلامى بفضل دماء أبطاله وتضحيات رجاله لا ينبغى أن تتعرض للانتكاس بسبب المعوقات التى أوضحت نماذج منها ، والدعوة الإسلامية الرشيدة هى القادرة على حماية هذه المكاسب، بل على صون الفكر الإسلامى والسلوك الإسلامى والأمن الإسلامى من كل مايهدده من مخاطر، وما يعترض طريق ازدهاره من عقبات ومؤامرات فالدعوة مطالبة بأن تربى النشء على روح الإسلام وتعاليمه السمحة وقيمه الفاضلة بحيث لا يكتفى فى تقديم الإسلام للنشء بالتلقين دون التربية، وبالتعليم دون الممارسة وهذا يقتضى أن تأخذ الدعوة دورها فى العملية التربوية وتؤدى وظيفتها فى إحياء الضمائر وتهذيب النفوس وتقويم السلوك منذ البدايات الأولى للنشء فى هذه الأمة والدعوة مطالبة بأن ترشد الشباب إلى طريق الإسلام الصحيح الداعى إلى حب الوطن والارتباط الأخوى بالمواطنين طريق الإسلام الدافع إلى الانتماء لا إلى الانفصال أو الاعتزال طريق الإسلام الموجب للعمل الجاد والإنتاج الوفير والكفاح العارم من أجل الذات ومن أجل الآخرين ومن أجل الأمة الإسلامية جمعاء .

تصحيح الفكر المتطرف

والدعوة مطالبة بأن تبصر المسلمين بأمور دينهم وتعاليم ربهم حتى يعبدوه على هدى وبصيرة وحتى تثمر تلك العبادة ثمارها المرجوة فى إعلاء النفس وصقل الروح وإيقاظ الضمير وتهذيب الخلق لتحقق بكل ذلك وجود الفرد الصالح فى المجتمع الصالح فى الأمة الصالحة .

والدعوة مطالبة بأن تصحح الفكر المتطرف وأن توضح لأصحابه من خلال الحوار العلمى المخلص الشجاع ما فى هذا الفكر من شوائب غريبة عن جوهر الاسلام، وهى شوائب ربما تكون قد علقت بهذا الفكر نتيجة لعدم التدقيق فى الفهم أو لعدم الإحاطة بالعلم أو لتلقف فكر غريب قد يكون صادراً عن ظروف سياسية، أو

اجتماعية خاصة،بل قد يكون مصدره من بلاد أخرى قد اقتضت ظروفها أن يقول بعض علمائها مايقاومون به استعماراً غاشما أو حاكما أجنبيا مستبدا ظالما ، فأخذ هذا الفكر وأريد تطبيقه على مجتمع إسلامى ليس فيه استعمار غاشم ولا حاكم أجنبى ظالم والدعوة مطالبة ايضا بأن توضح للحكام المسلمين الذين يحاربون إخوانهم فى الدين أن هذا الذى يصنعون ليس من الإسلام فى شىء ابدا ، فالإسلام سلام ومحبة .

●●●

المستويات والأهداف

فالإسلام سلام ومحبة ، وإخاء ومودة ، وتكافل وتراحم ، والمسلم الحق لا يرفع السلاح فى وجه أخيه ابدا،والدولة الإسلامية لا ينبغى أن تهدد جيرانها باسم الإسلام. والتآمر على المسلمين ليس ابدا من طباع المسلمين ، والدعوة الإسلامية مطالبة بأن تتجه فى جزء أساسى من نشاطها إلى خارج العالم الإسلامى ، وذلك لتعريف ذلك العالم الخارجى بالإسلام الصحيح وبقيمه الرفيعة وتعاليمه الراقية وحضارته الإنسانية السامية ، وكل ذلك من باب التوضيح العلمى الحضارى ، فنحن بحاجة إلى أن يعرف الناس قيم ديننا وإشراق تاريخنا وعظمة حضارتنا ، وذلك لكى تتضح الحقيقة ويزول اللبس وتتوارى تلك الصورة الشائهة التى رسمتها للإسلام والمسلمين أخيلة مريضة فى عصور مظلمة وساعد على تثبيتها بعض تصرفات معيبة لبعض من ينتسبون إلى الإسلام ، كما ساعد على تثبيت تلك الصورة إهمالنا للدعوة الخارجية فى كثير من الأحيان ، او اقتصارنا فى حالات كثيرة على الجدل غير المثمر ، والنزال الفكرى المؤدى إلى مزيد من التباعد وربما إلى التنافر وربما إلى الاقتتال ، وهكذا تحتاج الدعوة الإسلامية فى هذه الفترة من تاريخنا إلى منهج تحدد فيه المستويات والوسائل والأهداف ، كما تحدد قبل كل شىء الأسس الصحيحة للدعوة ، وما يجب أن تقوم عليه وما يجب أن تقوم به . من إعداد صحيح لمن يتولون أمرها ويوصلون رسالتها ويتخصصون فيها ، فليس كل إنسان يصلح داعية بالمعنى الدقيق لتلك الكلمة ، وذلك لأن التدين وإن كان من الأمور العامة فالدعوة إليه من الأمور العلمية الخاصة ، بل ليس كل عالم بصالح أن يكون داعية ناجحا ، فالدعوة على وجهها الصحيح علم وفن وموهبة وخبرة ، وإعداد وصقل ، ووسائل وأدوات .

كلمة السيد الرئيس محمد حسني مبارك

صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ...

الأخوة الأعزاء العلماء الأجلاء .

ضيوف مصر الكرام والصفوة من رجال الدعوة ،

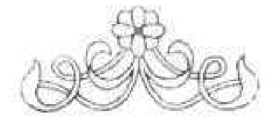
أبنائى الطالبات والطلبة .

إن من أعظم ماتنجح فيه الدعوة أن تربى النشء على الإسلام الصحيح، وأن تعلم الشباب دينهم القويم ، وأن ترشد المسلمين إلى الأخذ بقيم الإسلام والتخلق بأخلاقه ، والسير على هدى نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، كما أن من أعظم ما تنجح فيه الدعوة أن تصحح للمتطرفين فكرهم ، وتبصرهم بسماحة الإسلام ويسره وإقامة دعوته على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ، وأن تقنعهم بأن تغيير المنكر باليد لا يعنى الاعتداء على مرتكبه وإنزال العقاب به من أى إنسان ، هذا واجب من له حق إنزال العقوبة ، وهو المسئول عن توقيع الجزاء ورعاية المصالح بصفته صاحب الولاية ، كما أن من أهم ماتنجح فيه الدعوة أن تُكَوِّنَ رأياً عاماً عالمياً ، يرفض أن يقاتل جيش مسلم إخوته المسلمين فى جيش مسلم آخر ، أو أن تهدد دولة إسلامية جارة لها من دول الإسلام ، كما أن من أعظم ماينجح فيه الصفوة ، التى تخطط لنجاح الدعوة أن تعد الإعداد الصحيح لتخريج الداعية المقتدر ، الواسع العلم ، القوى البيان ، المدرك لروح العصر المتسلح بكل وسائل الإقناع والتأثير ، الذى يرى فيه الناس القدوة فى رجاحة العقل وعلو النفس وسعة الصدر وحسن الخلق والمعرفة بطبائع الناس ومشكلات المجتمع ، واحتياجات كل قطاع من القطاعات التى تتوجه إليها الدعوة .

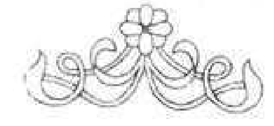
ومن هنا أرى أن مؤتمركم هذا له رسالته الكبرى فى هذه الفترة من حياة أمتنا ، وأنا واثق من أنكم أهل لتحمل هذه الرسالة وأدائها ، بما جمعكم من هدف كريم ، وبما حملتم من علم عظيم ، وبما عمر قلوبكم من إيمان بدينكم وأمتكم ، وبما تأخذون به أنفسكم من تفان فى سبيل أداء رسالتكم ، والله يوفقكم ويحقق الرجاء فيكم ، فهو الموفق والهادى إلى سواء السبيل ، وفقنا الله جميعا وإياكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

البيت الحرام والمسجد الأقصى والقدس الشريف

عودة القدس



الولاية الشرعية للأمن في الحرمين الشريفين



حرمة الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى



عودة القدس

ألقى الباحث فى بداية كلمته أسئلة ثلاثة دار حولها بحثه :

هل ستعود القدس وفلسطيننا من جديد ..؟

والى من تعود ... ؟

ومتى تعود ... ؟

ثم تناول الباحث أمر سكان فلسطين منذ عصرها التاريخى الى أن جاءها العبرانيون ، وفى مراحل البحث عرج الباحث الى عصيان بنى اسرائيل للنبوة :

ففى حياة موسى — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام — حرموا أنفسهم من دخول الأرض المقدسة لأن فيها قوما جبارين .

وفى ظل يوشع — عليه السلام — دخلوها عصاة مذنبين .

وعلى أرضها رفضوا أمر الله — سبحانه — أن يكون طالوت ملكا وهم الذين طلبوا أن يبعث الله — عز وجل — لهم ملكا .

وعندما قام طالوت بتصفيتهم لاختيار أحسنهم لم يجد الا قلة من آلاف .

وهكذا وضح الباحث تاريخ القوم حتى انتهى ملك سليمان — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام — موضحا عجز اليهود عن اقامة حضارة ، فقد كان ما ازدهر به ملك سليمان عليه السلام من حضارة انما كان بارشاده تعالى لهم وليس من صنعهم .

وفى المرحلة السادسة كان الفتح الإسلامى، ومن قبله كانت رحلة الإسراء فى عهد النبوة المكى فارتبطت القدس بالإسلام والمسلمين ، وصارت مشعرا من مشاعرهم الحرام ، وهكذا كان الإسراء الى هذا المسجد إعلانا من المولى — عز وجل — بأن مواريث الأنبياء جميعا قد آلت إلى خاتم الرسل ﷺ .

وصار للإسلام فى القدس منارات ومعالم منها :

- حائط البراق .
- المسجد الأقصى .
- الجامع العمرى .
- مسجد الصخرة .

ثم كانت الحروب الصليبية التى كما كانت عامل استعمار لهذه المواطن الشريفة ، كانت مثار فتن لم تعهد قبلها من مختلف الطوائف من مسلمين ونصارى .

ويتساءل : أين المسلمون والقدس فى خطر ..؟

وهل سيبقى المسلمون منقسمين ، ويضيع القدس الشريف .. ؟

* الباحث : الأستاذ الدكتور متولى يوسف شلبى (رءوف شلبى) وكيل الأزهر .



بفضيلة الأستاذ الدكتور
رءوف شلبي *

ونترك للقارىء نص الباحث ليجيب :

وبعـــد : ـ

فهل سيبقى المسلمون منقسمين ويضيع القدس الشريف ؟؟ لقد كانت الأمة العربية الاسلامية فى حاجة الى أمرين : ـ

(أ) استاذ يوقظ حماسها ويوعى عقلها ويثير همتها .

(ب) قائد يوحد صفوفها ويلغى تفرقها وينظمها من الشمال الى الجنوب فى عقد سياسى وعسكرى تحت علم واحد خفاق بكلمة التوحيد .

وحول هذين العاملين الخطيرين فى درء الخطر الصليبى عن بيت المقدس وتحرير الأرض العربية الاسلامية من جحافل الصليبيين يقول الدكتور جوزيف نسيم أستاذ التاريخ بجامعة الاسكندرية : ـ

(أ) قام الجامع الأزهر بدور رئيسى فى تنبيه الأذهان الى الخطر الجاثم على أرض فلسطين فخطب العلماء وبعثوا برسائل الى الحكام مؤيدة بآيات من القرآن الكريم تهدد العدو وتنذر بسوء خاتمته ، وآيات تستنهض فى العرب عزائمهم ليحملوا أعباء الجهاد .

***

« وكذلك وضعت خلال الحروب الصليبية المؤلفات العديدة فى فضائل الشام ، والقدس ، وبيت المقدس ، وأدب الجهاد ، والحث على قتال أعداء الله ، ومن هذه الكتب المحفوظة فى دار الكتب المصرية : ـ

* فضائل بيت المقدس :
أبو المعالى المشرف بن المرجى بن ابراهيم المقدسى .

* فضائل بيت المقدس :
أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الواسطى المقدسى .

* باعث النفوس الى زيارة القدس الشريف المحروس .
برهان الدين ابراهيم بن اسحق بن تاج الدين متوفى سنة ٧٤٩ هـ .

* اتحاف الأخصا فى فضائل المسجد الأقصى:
محمد بن أحمد المنهاجى السيوطى ٨٨٠ هـ .

* تحصيل الأنس لزائر القدس :
عبد الله بن هشام متوفى ٧٦١ هـ (١) .

***

*** ويقول أيضـــا : ـ**

مما سبق نستخلص عدة حقائق هامة تتعلق بدور الشعب العربى فى صد المستعمرين الأوربيين أيام الحروب الصليبية .

(أ) **أولها :** أن مصر كانت خلال الكفاح الدامى المرير عبر القرون المتعاقبة قلب العروبة النابض بالحياة ومعقلها المنيع ، ومركز امدادها بالرجال ، والمال ، والميرة والسلاح .



(١) العرب والروم واللاتين دكتور جوزيف نسيم يوسف ص ٩٤/٩٧ .

عودة القدس

ومنها كانت تنبعث دائما صيحة الجهاد الحقة ضد الغزاة الصليبيين •• وكم شهد الجامع الأزهر من خطب كانت تلقى من فوق منبره أمام الآلاف المؤلفة من أبناء الشعب العربى الذين قامت على اكتافهم مهمة الحفاظ على أرض العروبة من أطماع الطامعين (٢) •

واذن : فكل تقوية للازهر هى فى الواقع علامة صدق على نزاهة المعركة وقادتها ان فى مصر أو فى غيرها •• من بلدان العالم الاسلامى •• »

(ب) ويقول عن العامل الثانى :

•• بوسع العرب فى مصر والشام وشمال العراق ، اذا اتحدت جهودهم ، واتفقت كلمتهم ، وتكتلت قواهم فى صدق واخلاص أن يدفعوا عنهم الخطر الصليبى •• وليس أدل على ذلك من أن الفتوحات العربية شرقا وغربا فى القرن السابع ما كانت لتتم لولا اتحاد العرب واتفاق كلمتهم على صعيد واحد فى وقت نزل فيه القرآن الكريم على رسول الله — ﷺ — يدعو فيه العرب جميعا الى الاتحاد والتآلف والمحبة ونبذ الفرقة والخلاف ، وقد أكدت الانتصارات العربية الحاسمة فى القرنين الثامن والتاسع أنه بوسع العرب اذا اتحدوا أن يأتوا بالمعجزات (٣) •

ولهذا كان صلاح الدين الأيوبى ، ومن قبله — عماد الدين زنكى ، ونور الدين محمود — يعملون من أجل تكتيل الصفوف وتوحيد الجبهات من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب: يعنى من العراق الى مصر ومن الفرات الى النيل : دولة واحدة ذات كلمة مسموعة وجيش موحد وارادة واحدة •

عودة القدس

وبعد أن اطمأن صلاح الدين الأيوبى الى سلامة الكيان العربى الواحد ، قام بجهاده المعروف ضد الفرنج الذى انتهى بهزيمتهم شر هزيمة فى موقعة (حطين) فى أكتوبر سنة ١١٨٧(٤)

يقول ستيفن رنسيمان :

وفى (حطين) حلت الهزيمة الساحقة بجيش المملكة اللاتينية بأسره والبالغ عدده نحو ٢٠ ألفا — دفعتهم حماقتهم الى المسير على سهل رملى تلفحهم حرارة شهر يوليو الشديدة — ولم تلبث أن أذعنت بيت المقدس بعد حصار لم يستمر أكثر من أسبوعين « ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧ ، ولم تنته سنة ١١٨٩ م حتى لم يبق للاتين فى مملكة بيت المقدس سوى صور ، ولم يكن للصليبيين فى الشمال سوى أنطاكية وطرابلس •• **وبذلك ارتدت عقارب الساعة الى الوراء وعادت الأمور من جديد الى ما كانت عليه قبل الحملة الصليبية الأولى ، ولابد للغرب أن يتجهز من جديد لحرب صليبية مرة**

---

(٢) العرب والروم واللاتين ص ٢٧٩ •
(٣) العرب والروم واللاتين ص ٢٦٨/٢٦٩ •
(٤) النجوم الزهراة جـ ٦ ص ٣١ •

أخرى لاستعادة بيت المقدس غير أنه لابـــد أن يواجـــه العالم الإسلامى متحـــدا لأنه لم يواجهه عام ١٠٩٩ م الا وقد نخرت فيـــه سوس المنازعات السياسية والدينية (٥) .

ومن محاسن الصدف ، وروائع الأحداث الدالة على الإخلاص فى النية وحسن القصد ، وحسن القبول معا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل عودة القدس على يد صلاح الدين يـوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب مــن عام ٥٨٢ هـ .

يقول ابن تغرى بردى : « وسلموا المدينة فى يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب ، وليلته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها فى القرآن الكريم ، فانظر الى هذا الاتفـــاق العظيم ، كيف يسر الله ـ تعالى ـ عـودة القدس الى المسلمين فى مثل زمـان الإسراء بنبيهم ـ ﷺ ـ (٦) .

وهنا سؤال يطرح نفسه : ـ

هل ستعود لنا القدس كما عادت الى صــلاح الدين ؟

***

وايم اللـه لتعودن القـــدس

فى السنة الخامسة عشرة من الهجرة ٦٣٢ م فتح الله على المسلمين بيت المقدس ، وظــل القدس الشريف تحت راية الإسلام .. حتى كانت الهجمة الصليبية التبشيرية ، وأخــذ المسجد الأقصى من المسلمين يوم الجمعـــة ٢٣ شعبان عام ٤٩٢ هـ الموافق ١٥ يوليو عـــام ١٠٩٩ م ، وظل المسجد الأقصى حزينا على الدماء التى أريقت من حواليه زهاء تسعين عاما ثم عـــاد :

فقد أعاده الله للمسلمين بفضل جهـــاد صلاح الدين الأيوبى فى ٢٧ رجب عام ٥٨٣ هـ الموافق أكتوبر ١١٨٧ م :

٤٩٢ هـ ـ ٥٨٣ هـ (٧) .

فترة اغتصاب الصليبيين للمسجد الأقصى ١٠٩٩ م ـ ١١٨٧ م

وعودة المسجد الأقصى من جديد .

ولما استبله المبشرون الصليبيون دخلـوه والدماء الى منتصف أطوالهم ، ولما اســترده المسلمون نفذوا رحمة الإسلام فأمر صــلاح الدين بإيصال من قاوم القتال بقطيعته مــن الفرنج الى مأمنه ، ولم يسفك الدماء المعتدية المحتلة المغتصبة الضالة كما فعلـــــوا وهم المعتدون . !!

والآن وحال العرب والمسلمين مثل حالهم ابان القرن العاشر الميلادى والخامس الهجرى وما بعده من حيث الضعف، والعجز ، والتفرق، والخلاف والاختلاف والحروب ، والتـــدابر ، والتقاطع ... مما سبب سقوط القدس مــن جديد فى ٥ يونيو عام ١٩٦٧ م ولم تفلح مع اليهود طريقة لا بالحرب ولا بالسلم فهم لا يرغبون فى السلام مطلقا لأنه مبدأ يتناقض مع فكرة دولة عرقية عنصرية تقوم حياتها عــلى استمرار اثارة الصراع مع الجيران كما ذهب الى ذلك (نيلز جونسون) فى كتابه : (قضية حدود اسرائيل الآمنة وتناقضـــــات الدول

(٥) تاريخ الحروب الصليبية جـ١ ص ٨٢/٨٣ .
(٦) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهــرة جـ ٦ ص ٣٦ .
(٧) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهــرة جـ ٦ ص ٣٧ .

عودة القدس

الاستيطانية) فهل يا ترى سيظل القدس الاسلامي أسيرا عند من ليسوا له أهلا (٨) .

اننا لا نجيب هنا من منطق عاطفي ، ولا منطق محلل سياسي أو مؤرخ فيلسوف يتكهن بما تخفيه الأيام والعصور ، ولكننا نصدر عن يقين ثابت من منطلق النصوص الإسلامية التي قيلت في ساعات العسرة وتحققت على مدى العصور ، فيروى تاريخ الدعوة أن النبي — ﷺ — في غزوة الخندق ساعة أن كان سيدنا سلمان الفارسي يحفر في الخندق واجهته كدية اشتدت عليه فأخذ — ﷺ — المعول من سلمان الفارسي — رضى الله عنه — وقال : بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وبرقت برقة فخرج نور من قبل اليمن كالمصباح في جوف ليل مظلم فكبر رسول الله — ﷺ — وقال :

« أعطيت مفاتيح اليمن ، اني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة كأنها أنياب الكلاب » .

ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فخرج نور من قبل الروم فكبر رسول الله — ﷺ — وقال : —

« أعطيت مفاتيح الشام ، والله اني لأبصر قصورها » .

ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر ، وبرق برقة فكبر وقال :

« أعطيت مفاتيح فارس ، والله اني لأبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب في مكاني هذا » .

وجعل رسول الله — ﷺ — يصف مدائن كسرى لسلمان فيقول سلمان : صدقت يا رسول الله : هذه صفتها ، أشهد أنك رسول الله ، ثم قال رسول الله — ﷺ — : هذه فتوح يفتحها الله بعدي يا سلمان (٩) .

ومحل الشاهد : أن رسول الله — ﷺ — في لحظة الضيق والكرب يؤكد للمسلمين رؤية آفاق الفتح الإسلامي من بعده ويصفها لمن يعرفها ويصدقه سيدنا سلمان الفارسي — رضى الله عنه — ثم يحدثنا التاريخ عن فتوح الشام، واليمن وحمص وبصرى ... الخ .

فأية قوة لسيدنا محمد بن عبد الله — ﷺ — ليلقى بكلمات تعنو لها جباه الزمن ، ويأتمر بها من بعده جيوش وقادة .. لولا أنها كلمة حق من فم لاينطق عن الهوى فإنه وحي يوحى .

وتنضم الى شهادة سيدنا سلمان الفارسي شهادة عدي بن حاتم ، فقد روى صاحب السيرة الحلبية حديثا يتعلق بما دار بين سيدنا رسول الله — ﷺ — وبين عدي بن حاتم : قال :

* لعلك يا عدي انما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى ، تقول : انما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له ، وقد رمتهم العرب مع حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه .

---

(٨) راجع مجلة عالم الفكر ، العدد الأول من المجلد ١٤ أبريل سنة ١٩٨٣ ص ٩٣ وما بعدها .

(٩) راجع السيرة الحلبية جـ ٢ ص ٣١٣/٣١٤ .

* ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم أتعرف الحيرة ؟ قلت لم أرها وقد سمعت بها ، قال : فوالله ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد .

* ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم .

قال عدي : وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج البيت ، وأيم الله لتكونن الثانية (١٠) .

اذن وأيم الله لتعودن القدس ، فقد قال — ﷺ — :

* تقتتلون أنتم ويهود حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله .

(رواه مسلم)

* لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودى فتعال فاقتله .

(رواه مسلم)

* تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله .

(رواه مسلم)

* لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم ، يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله الا الغرقد فإنه من شجر اليهود .

(رواه مسلم)

* فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى بأرض يقال لها الغوطة فيها مدينة يقال لها دمشق خير منازل المسلمين يومئذ .

(رواه أحمد)

والأحاديث فيها عدة حقائق :

* فيها استمرار القتال بين المسلمين واليهود فهى معارك دائرة لا تنقطع حتى يأتى نصر الله لمن اصطفاهم لهذا الشرف الجليل .

* وأنهم سوف يبدأون بمعركة فيسلط الله المسلمين عليهم فتسخر كل أدوات القتال لنصرة المسلمين .

* وأن ذلك لابد أن يقع قبل أن تقوم الساعة .

* وأن أرض الملحمة الكبرى فى أرض يقال لها الغوطة .

وكما صدق رسول الله — ﷺ — فى كل ما قاله وبلغه عن ربه وفتح الله على المسلمين كل بلد ذكرها لهم رسول الله — ﷺ — من المدائن الى القسطنطينية ، فان القدس وأيم الله لعائد يوم يبعث الله عبادا له يجوسون خلال الديار ، وكان وعد الله مفعولا .

* * *

*** أما من سيعيد القدس ؟**

فانهم رجال لهم من السمات والأخلاق

(١٠) السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٢٢ راجع كتابنا الدعوة الاسلامية فى عهدها المدنى ص٤٨٠ .

(١١) هذه الأحاديث أخرجها مسلم فى صحيحه كتاب الفتن جـ ٨ ص ١٨٨ طبع بيروت .

عـودة القـدس

مثلما كان لفاتح القدس ومحررها أبى عبيدة عامر بن الجراح أمين الأمة ، والناصر صلاح الدين الأيوبى من الذين أنعم الله عليهم باخلاص النية ، وصدق العمل ، ومراقبة الله فى السر والعلن •

*** وأمـا متى ؟**

فيوم أن يتمنى القادة العرب والمسلمون أن يجتمعوا فى صلاة جامعة بالمسجد الأقصى مثلما تمنى الفيصل بن عبد العزيز فان ذلك هو أول خطوة صادقة على الطريق الى القدس الشريف ، وفى كل الأحوال فان الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون •

هذا وبالله التوفيق ••

ا • د رءوف شلبى

معاهـدات

أهل ايليـاء :

صالح عمر أهل ايلياء (القدس) بالجابية وكتب لهم فيها الصلح لكل كورة كتابا واحدا ما خلا أهل ايلياء :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان : أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقض منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم ولا من شىء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ، ولايضار أحد منهم ، **ولايسكن بايلياء معهم أحد من اليهود**،وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت (اللصوص) ، فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الى أهله ، فإنه لا يؤخذ منهم شىء حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية •

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو ابن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية ابن أبى سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة (١٢) :

أهـل لـد :

فأما سائر كتبهم فعلى كتاب لد •

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقض منها ولا من

(١٢) الطبرى ٤ : ١٥٩ •

حيزها ولا مالها . ولا من صلبهم ولا من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم . وعلى أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل مدائن الشام وعليهم ان خرجوا مثل ذلك الشرط .. الخ (١٣) .

معاهدة مع نصارى الشام :

روى عبد الرحمن بن غنم قال : كتبنا لعمر ابن الخطاب حين صالح نصارى أهل الشام .

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا انكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا ، وشرطنا لكم على أنفسنا أن لا نحدث فى مدائننا ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ، ولا نجدد ما خرب منها ولا نحيي ما كان مختطا منها فى خطط المسلمين ، وأن لا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين فى ليل ولا نهار ، وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل ، وأن ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاثة أيام نطعمهم ، ولا نؤوى فى كنائسنا ولا فى منازلنا جاسوسا ، ولانكتم غشا للمسلمين ، ولا نعلم أولادنا القرآن ، ولا نظهر شركا ولا ندعو اليه أحدا ، ولا نمنع أحدا من ذوى قرابتنا الدخول فى الإسلام اذا أراده ، وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا أرادوا الجلوس ، ولا نتشبه بهم فى شىء من لباسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ، ولا نتكلم بكلامهم ، ولا نتكنى بكناهم ، ولا نركب السروج ، ولا نتقلد السيوف ، و لا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله معنا ، ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمر ، وأن نجز مقاديم رؤوسنا وأن نلزم زينا حيثما كنا ، وأن نشد الزنانير على أوساطنا وأن لا نظهر الصلب على كنائسنا، وأن لا نظهر كتبنا فى شىء من طرق المسلمين وأسواقهم ، ولا نضرب ناقوسا فى كنائسنا الا ضربا خفيفا ، ولا نرفع أصواتنا بالقراءة فى كنائسنا فى شىء من حضرة المسلمين، ولا نخرج سعانين (١٤)ولا باعوثا ، ولانرفع أصواتنا مع موتانا ، ولا نظهر النيران معهم فى شىء من طرق حضرة المسلمين ولا أسواقهم ، ولا نجاورهم بموتانا ، ولا نتخذ من الرقيق من جرت عليه سهام المسلمين ، ولا نطلع عليهم فى منازلهم .

ولا نضرب أحدا من المسلمين ، شرطنا لكم ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا ، وقبلنا عليه الأمان ، فان نحن خالفنا فى شىء مما شرطنا لكم وضمنا على أنفسنا فلا ذمة لنا ، وقد حل لكم منا ما يحل لكم من أهل المعاندة والشقاق (١٤) .

←

---

(١٣) الطبرى ٤ : ١٦٠ .

(١٤) عيد السعانين ، والمشهور بالشعانين : عيد الأحد .

المراجـــع

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ صحيح البخاری ومسلم .

٣ ــ التفسير الكبير . للفخـــر الرازی .

٤ ــ تفسير القرآن العظيم . لابن كثير .

٥ ــ تفسير البحر المحيط . لابن حيان .

٦ ــ تفسير روح المعانی . للآلوسی .

٧ ــ الجامع لأحكام القرآن . للقرطبی .

٨ ــ تفسير الطبـــری . لأبی جعفر الطبری.

٩ ــ الدر المنثور . للســيوطی .

١٠ ــ تاريخ الطبـــری .

١١ ــ السيرة الحلبية .

١٢ ــ امتاع الأسمـــاع . للقزوينی .

١٣ ــ النجوم الزاهـــرة .
جمال الدين بن تغری بردی .

١٤ ــ البداية والنهاية . لابن كثير .

١٥ ــ تاريخ الحروب الصليبية .
ستيفن رنسيمان .
ترجمة د . السيد الباز العرينی .

١٦ ــ الحروب الصليبية .
ارنست باركـــر .
ترجمة / د . السيد الباز العرينی .

١٧ ــ العرب والروم واللاتين فی الحرب الصليبية الأولی .
دكتور جوزيف نسيم يوسف .

١٨ ــ موجز تاريخ العالم .
هرجر ولـــز .
ترجمة عبد العزيز جاويد .

١٩ ــ تاريخ مصر من أقدم العصور الی الفتح الاسلامی .
بريســـتد .

٢٠ ــ المسيحية نشاتها وتطورها .
شارل جنی بير .

٢١ ــ تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين .
دكتور فليب حتی .

٢٢ ــ بيت المقدس فی ضوء الحق والتاريخ.
دكتور عبد الفتاح أبو علية .
دكتور عبد الحليم عويس .

٢٣ ــ الدعوة الاسلامية فی عهدها المدنی
دكتور رءوف شلبی .

٢٤ ــ اضمحلال الامبراطورية الرومانية .
ادوارد جيبـــون .
ترجمة د . محمد سليم سالم .

٢٥ ــ مجلة : عالم الفكر المجلد الرابع عشر ــ العدد الأول أبريل/يونيو ١٩٨٣ ــ الكويت.

٢٦ ــ انجيل متی ، وتفسيره .
طبع دار المعارف بمصر .

د. رءوف شـلبی

الولاية الشرعية للأمن في الحرمين الشريفين

للدكتور عبدالله مبروك النجار*

لا شك أن الله تبارك وتعالى قد شرف أرض العرب حين اصطفاها من بين بقاع الدنيا ، واختارها من بين أماكن الأرض لتكون مستقراً للأماكن المقدسة وموطناً للحرمين الشريفين ، فجعلها بهذا الاختيار المبارك قبلة للمسلمين يتجهون إليها بقلوبهم وأرواحهم وأجسامهم في اليوم خمس مرات ، ولا ينفك الأمل الكبير يراود قلب كل مسلم وعقله وخاطره فى زيارة تلك البقاع الطاهرة ، والتمتع بأداء المناسك فيها ، ليهدأ خاطره ويطمئن فؤاده ، لأن زيارة تلك الأماكن المقدسة فضلاً عن كونها استجابة لنداء الإيمان امتثالاً لما أمر الله به وطلبه من خلقه بقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[1] ، فإنها مع ذلك تصادف هوى فى قلوب المؤمنين فطر الله قلوبهم عليه ، استجابة لدعاء أبى الأنبياء سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام حين دعا ربه بقوله كما حكى عنه القرآن الكريم ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[2] ، وقد استجاب الله هذا الدعاء المبارك فما من مسلم إلا ويحن قلبه لأداء تلك الفريضة ، وزيارة تلك البقاع ، فتوافرت الأسباب التى تجعل من الحرمين الشريفين محطاً لرحال فى كل وقت وزمان ، وأصبح الحج والاعتمار لا ينقطعان عنه أبدا ، وكان إقبال المسلمين عليه من كل أنحاء العالم لا يفرغ ولا ينتهى .

←

(*) الباحث : مدرس بكلية الشريعة والقانون / جامعة الأزهر .

(١) سورة آل عمران ـ آية ٩٧ .
(٢) سورة إبراهيم ـ آية ٣٧ .

معنى أمن الحرمين ونطاقه :

وقد اقتضت رحمة الله بخلقه أن يحيط هذا التجمع العالمي حول الحرم بمظاهر فضله وكرمه فمن عليهم بنعمة الأمن وجعلها من خصائص هذا البيت العتيق المبارك ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ﴾(٣) ، وقال عز من قائل : ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقاً مِّن لَّدُنَّا ﴾(٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً ﴾(٥) ، حيث دل هذا القول الكريم على أن الأمن من أهم صفات بيت الله الحرام ومن أعظم خصائصه ، حتى يتمكن المسلمون من عبادة ربهم على أحسن الوجوه ، ويتفرغوا لأداء المناسك على خير ما يجب .

والأمن الذى جعله الله من خصائص حرمه المبارك لا يقف عند حدود ما يزيل خوف الإنسان على حياته ولكنه يمتد ليشمل كل ما يخاف عليه من المصالح الضرورية التى يود أن يأمن عليها ، ويتبدد خوفه على ما قد يصيبها ، فجاء معنى الأمن شاملاً لكل ما يقيم النفس ويحفظها من وقوع التعدى عليها وحلول الخطر بها ، كما يشمل توابع النفس من المآكل والمشارب والملابس ولواحقها من المصالح الضرورية التى تحظى بخوف الإنسان ، مثل خوفه على ولده أو عرضه أو ماله ، مما تستقيم به حياته عزيزة كريمة .

وإذا كان معنى الأمن على هذا النحو يكاد يكون متصلاً بحياة الإنسان ووجوده ، فإن حدود الأمن فى الحرمين الشريفين ، لم تقف عند الإنسان وحده ، بل شملت كل ما فى رحاب بيت الله من الطير والحيوان والزرع والجماد والمال ، ونطقت سنة النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فيما صح عنه أنه قال : « إن مكة حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يخبط شوكها ولا يعضد شجرها ، ولا يلتقط ساقطتها إلا لمنشد ، ولا يحل صيدها ، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظر إما أن يعطى وإما أن يقاد(٦) ، وهكذا شملت الحماية الأمنية كل ما يحوم حول الحرم .

تحريم بواعث التعدى على الأمن

وتأكيداً لمعنى الأمن حرم الله تبارك وتعالى كل ما يخل بمعناه مثل حمل السلاح لما قد يؤدى إليه من مساس بمعنى الأمن ، يقول عليه الصلاة والسلام : « لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح »(٧) ، كما حرم بواعث التعدى على الأمن ، يقول الله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ

(٣) سورة آل عمران ـ الآيتان ٩٦ ، ٩٧ .
(٤) سورة القصص ـ ٥٧ .
(٥) سورة البقرة ـ ١٢٥ .
(٦) صحيح مسلم بشرح النووى ـ جـ ٩ صـ ١٢٥ وما بعدها ، وسبل السلام جـ ٢ صـ ١٩٦ .
(٧) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٩ صـ ١٣٠ .

أَلِيمٍ ﴾[٨] ، وذلك حتى يقطع دابر الجريمة ، ويغلق الباب أمام كل أسباب التعدى والانحراف ، كما أجاز قتل الهوام المؤذية في الحرم لذلك .. وقد قرر جمهور الفقهاء أن للمدينة حرمة كحرمة مكة ، ونطقت بذلك سنة النبي صلى الله عليه وسلم حين حرم المدينة وجعل لها مثل ما لمكة من حرمة[٩] .. وما يجب أن يتوافر فيها من أمن يشمل كل لائذ بالحرم المدنى من إنسان وحيوان وطير وزرع ومال ، ولتكون الحماية كاملة فى الحرمين الشريفين .

إقامة الأمن فى الحرمين واجب :

وقد أخبر الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم عن الأمن كأهم سمة من سمات الحرمين الشريفين ، فأرشد من خلال هذا الإخبار إلى وجوب حماية الأمن وكفالته فى تلك البقاع الطاهرة .. يقول الله تعالى : ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾[١٠] ، حيث دل هذا الخبر على وجوب تأمين من يدخل الحرم ، لأنه فى معنى الأمر كما قرر جمهور الفقهاء والمفسرون ، والواجب يتطلب وجود من يخاطب به ، ويكلف بمضمونه والمكلف بخطاب الله تعالى يجب أن يكون أهلاً لما كلف به ، فمن خصائص التشريع الإسلامى أن التكليف فيه منوط بالاستطاعة ، وقد قسم الفقهاء الواجب باعتبار من يكلف به إلى نوعين ، أولهما فرض عين ، وثانيهما فرض كفاية ، والأخير هو الذى تتعلق به مصالح المسلمين العامة ، والتى تهم جماعة المسلمين ، والأمن من بين أنواعها ، وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فى فروض الكفاية ، وبخاصة ما يتعلق منها بالولايات العامة أن تناط إلى أكفأ الناس وأولاهم فى القيام بها ؛ لأن فرض الكفاية يدل من خلال تسميته على أن سببه كفاية من يقوم به فى كل ميدان من ميادين الحياة العامة للمسلمين أو ما يسمى بالمصالح العامة ، وكان لهذا يختلف عن فرض العين الذى لا يشترط فيه أكثر من الأهلية والاستطاعة . يقول عليه الصلاة والسلام : « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة »[١١] حيث دل هذا الحديث الشريف على وجوب اسناد الأمر إلى أولى الناس به .

الولاية لدولة الحرمين :

.. وأولى الناس بحماية الأمن فى الحرمين الشريفين هم أهل الحرمين ، يدل على ذلك ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع بنى شيبة ، الذين نزل بسببهم قول الله تبارك تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾[١٢] .

←

---

(٨) سورة الحج ـ آية ٢٥ .

(٩) راجع أحاديث حرمة المدينة فى صحيح مسلم ـ جـ ٩ صـ ١٣٥ ، ونيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٥ صـ ٣٤ وما بعدها .

(١٠) سورة آل عمران ـ آية ٩٧ .

(١١) رواه الإمام البخارى ـ راجع السياسة الشرعية لابن تيمية ـ صـ ٢٣ .

(١٢) سورة النساء ـ آية ٥٨ .

وبمقتضاه دفع الرسول عليه الصلاة والسلام مفتاح الكعبة إلى (عثمان بن أبى طلحة) و(شيبة) وقال لهما : هى فيكم خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم[١٣] ، فدل قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله على أن الولاية فى شئون الحرم قد ثبتت لأهله بصفة عامة ولبنى شيبة بصفة خاصة ، والأمن من أهم شئون تلك الولاية .

ولما كان بنو شيبة من اتباع دولة مسلمة لها من الكفاية والاقتدار والمنعة ما تستطيع به أن تحفظ الأمن وبنو شيبه غير قادرين بحكم العادة على حماية مقومات الأمن فى الحرمين وحدهم وبخاصة أن مجالاته متعددة كما رأينا ، لذلك فإن عبء حفظ الأمن ، وحق ولايته يثبت للدولة التى يتبعها بنو شيبة ، ويعدون من رعاياها ، وإذا تقرر ذلك يكون لدولة الحرمين الشريفين وحدها حق إقامة الأمن ورعاية شئونه فى الحرمين الشريفين ، وإذا كان إثبات الحق لدولة الحرمين الشريفين هو ما يتفق مع القواعد الفقهية والأدلة الشرعية ، فإنه كذلك يقوم على أسس قوية من مبادىء القانون الدولى التى تؤكد سيادة كل دولة على أرضها ، وحماية الأمن من أهم مظاهر تلك السيادة ، والمبادىء التى يقررها القانون الدولى فى هذا الصدد منسجمة تماماً مع مبادىء الشريعة ، وتكاد تكون تطبيقاً عملياً لها .

وتأكيداً لمبدأ سيادة الدولة على أرضها استعار فقه القانون الدولى اصطلاح الميراث الدولى ليعبر عن مدى سلطان الدولة على أرضها ، حيث يشبهه بتصرف المالك فيما يملك ، وذلك تعبير مجازى عن حدود تلك السيادة الوطنية على الأرض ومداها .

التدويل فكرة باطلة :

ولا شك أن إسناد ولاية الأمن للدولة التى يقع فيها الحرمان الشريفان يقوم على أسس قوية ، تضمن وجوده في تلك البقاع الطاهرة على أحسن صورة ، لما يتوافر لها من إمكانات تلك الولاية من سيادة دولية محترمة ، وحرص ديني واضح ، وتاريخ يبعث على الطمأنينة في قلب كل مسلم ، وغيرة إسلامية على أن تلك المناطق ممتزجة بالمشاعر الوطنية التى تدفع صاحبها إلى بذل أغلى ما يملكه ، وحاضر مشاهد ينطق بكفاءة لا يقدر على إنكارها أحد ، ومن ثم كان إسناد تلك الولاية إليها واجباً شرعياً ، ويجب على المسلمين جميعاً أن يحترموا هذا الحق لدولة الحرمين الشريفين ، وأن يعملوا على إقراره لها .

مفاسد فكرة التدويل وأساس حرمتها :

وحيث تقرر ذلك فإنه لا يستقيم شرعاً ما يحاول بعض الناس أن يروجوا له مما

(١٣) تفسير ابن كثير ـ جـ١ صـ ٥١٥ وما بعدها ، والقرطبى ـ جـ ٥ صـ ٢٥٦ وأسباب النزول للسيوطى ـ صـ ٧٩ .

يسمونه ، « تدويل الحرمين الشريفين » ، تلك الفكرة الخبيثة التى تستهدف سلب (ولاية) من (أهلها) ، واغتصاب حق من أصحابه ، وطعن دولة مسلمة فى سيادتها ، والتدخل فى أمر من أخص شئونها .

.. إن هذه الفكرة ستؤدى إلى شيوع المسئولية عن أمن الحرمين الشريفين مما يعطله ، وقد أمر الله بإقامته على خير الوجوه وأحسنها ، كما أنها ستكون ذريعة لمفاسد كبيرة وشرور كثيرة ، منها ـ بعد تهديد كيان الأمن فى ربوع الحرمين الشريفين ، خلق الفتن والحروب وإراقة الدماء وإزهاق الأرواح إن ضحية هذه الفكرة سيكون أمن المسلمين فى رحاب حرم الله الآمن ومن ثم كانت فكرة التدويل محرمة ، لما هو مقرر من أن للشيء حكم غايته .

قال الباحث :

ولاية الأمن لغة واصطلاحاً :

والولاية فى اللغة : النصرة والمحبة وهى مصدر ولى ، فيقال : ولى الشيء إذا ملك أمره . والولى : هو الصديق والنصير كما تطلق الولاية على الإمارة والسلطان .[١٤]

وفى اصطلاح الفقهاء : هى سلطة شرعية بها يتمكن الإنسان من تنفيذ التصرفات على الغير قولاً أو فعلاً دون توقف على رضاه[١٥] . أو هى سلطة شرعية بها تكون أقوال الإنسان وتصرفاته نافذة .[١٦]

والولاية قد تكون عامة مثل ولاية الحاكم على أفراد الأمة التى استمدها من البيعة ، ومنها ولاية القضاء فيما للقاضى من الولاية العامة فقد جعله الشارع ولى من لا ولى له ، وقد تكون خاصة كولاية الوصى أو الوكيل[١٧] والذى يعنينا هو النوع الأول ، لأن ولاية الأمن تعتبر من بين ضروبها وولاية الأمن ، من باب إضافة الولاية إلى سببها ، أى ولاية سببها قيام الأمن وحفظه ورعايته ، والأمن من أعظم مصالح الجماعة ، ومن ثم كانت الولاية عليه من قبيل الولاية على أمر من أخطر أمور الناس ، وكانت الولاية فيه عامة لذلك .

أهمية ولاية الأمن فى الحرمين الشريفين :

ولما كانت ولاية الأمن من قبيل الولايات العامة ، فإنها من هذا المنطلق اكتسبت أهمية خاصة فى دين الله الذي يجعل لمصالح الجماعة حقاً يجب أن يحترم ، وفى هذا المعنى يقول الإمام ابن تيمية : « يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين ، بل لا قيام للدين إلا بها ، فإن بنى آدم لا تتم مصالحهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى



(١٤) القاموس المحيط ـ جـ ٤ ص ٤٠٤ .

(١٥) دكتور محمد مصطفى شحاته ـ الأحوال الشخصية ـ ص ٥ ـ طبعة ١٩٧٤ .

(١٦) دكتور محمد الحسيني حنفى ـ الأحوال الشخصية ـ ص ٢٣٣ ـ طبعة ١٩٦٥ .
ودكتور محمد سلام مدكور ـ الوجيز لأحكام الأسرة فى الإسلام ـ ص ٥٠٩ ـ طبعة ١٩٧٨ م .

(١٧) دكتور محمد سلام مدكور ـ المرجع نفسه .

بعض ، ولا بد لهم عند الاجتماع من الحاجة إلى رأس حتى قال النبي ﷺ : « إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم » ، فأوجب رسول الله ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر ، تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع ، ولأن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة ، وكذلك سائر ما أوجبه ، من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجُمَع والأعياد ، ونصر المظلوم ، وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة[١٨] ، أقول : وكذلك ولاية الأمن في الحرمين الشريفين ، فإنها من أعظم مصالح المسلمين مكانة وأهمية .

ثم يقول : « فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها الناس إلى الله فإن التقرب إليه بها لطاعته ، وطاعة رسوله من[١٩] أفضل القربات ، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها » .

وقد جاء في الأثر عن عثمان بن عفان رضى الله عنه : « إن الله يزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن »[٢٠] .

الكفاءة أساس الولاية العامة :

ومن الثابت شرعاً أن الولاية العامة يشترط فيها أول ما يشترط أن يكون من يتولى أمرها على درجة من الكفاءة تمكنه من القيام بمسئولياتها أحسن من غيره بحكم إمكاناته واستعداداته وموقعه ، وتاريخه في القيام على شئون تلك الولاية بما يكشف عن نجاحه في مضمار ما أنيط به ، وقد رأينا أن الكفاءة أوالكفاية من شروط إسناد القيام بالواجب إلى صاحبها ، فإذا ما وجدت كانت الولاية له شرعاً لا لغيره ، وقد قامت الأدلة من كتاب الله تبارك وتعالى ، وسنة نبيه ﷺ : على وجوب تولية الأصلح في الولايات العامة بصفة عامة ، وفي الولايات التى تتعلق بشئون الحرمين الشريفين بصفة خاصة .

ادلة اعتبار الكفاءة في الولايات العامة :

وقد قامت الأدلة على اعتبار الكفاءة في تولى الولايات العامة التى تتعلق بمصالح جماعة المسلمين ، حتى لا يجوز أن يتولاها غير الأصلح ، وهذه الأدلة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .

١ ـ من الكتاب الكريم :

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[٢١] ، ووجه

(١٨) السياسة الشرعية في إصلاح الراعى والرعية ـ لابن تيمية ـ ص ١٨٤ وما بعدها ـ طبعة دار الشعب .
(١٩) المرجع نفسه ـ ص ١٨٦ .
(٢٠) دكتورة عائشة بيومى ـ الأمور بمقاصدها ـ ص ٤٢ .
(٢١) سورة النساء ـ آية ٥٨ .

الدلالة فى هذا القول الكريم كما يقول الإمام ابن تيمية : أنه يوجب على أولياء الأمور أن يولوا على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجدونه لذلك[22] ، فدل هذا على أن إسناد الأمر إلى أصلح من يقوم به من الأمانات التى يجب أن تؤدى .

ب - ومن السنة الشريفة :

ما ذكره الإمام ابن تيمية عن رسول الله ﷺ : « من ولى من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح منه للمسلمين فقد خان الله ورسوله والمؤمنين وفى رواية : « من قلد رجلاً عملاً على عصابة وهو يجد فى تلك العصابة من هو أرضى منه ، فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين »[23] ، ووجه الدلالة فى هذا كما يقول الإمام ابن تيمية : أن الحديث يوجب على المسلمين البحث عن المستحقين لولايات الأمصار من الأمراء والقضاة وأمراء الأجناد والوزراء ، والسعاة على الخراج والصدقات وغير ذلك مما يهم جماعة المسلمين ، وعلى كل واحد من هؤلاء أن يستنيب ويستعمل أصلح من يجده ، فيجب على كل من ولى من أمر المسلمين شيئاً أن يستعمل فيما تحت يده فى كل موضع أصلح من يقدر عليه ولا يقدم رجلاً لاعتبارات أخرى غير الصلاحية والكفاءة .[24]

الولايات فى الحرمين الشريفين :

وإذا ما أردنا تطبيقاً لتلك القواعد العامة المستقاة من كتاب الله تبارك وتعالى ، لوجدنا أن خير من يقوم بالولاية على شئون الحرمين الشريفين نيابة عن جميع المسلمين فى كل مكان هم أهل الحرمين أنفسهم حيث تعتبر تلك الولاية بعد أن تخصصت فيهم من قبيل الواجب العينى عليهم لا يشاركهم فيه أحد سواهم من أبناء الدول الأخرى لأن أساسه شرعاً فرض الكفاية ، وهو واجب الإسناد لأكفأ من يقوم به من جماعة المسلمين ، وليس جميعهم ، فإن القادرين بالتعيين والتخصيص صاروا أصحاب حق فى الولاية لا يشاركهم فيه أحد سواهم ، لأن المسئولية أصبحت مقصورة عليهم ، ومن ثم وجب التسليم لهم بهذا الحق ، ومؤازرتهم على حسن القيام به لصالح الجماعة المسلمة فى العالم أجمع .

أدلة ثبوت الولاية لأهل الحرمين

وقد قامت الأدلة الشرعية على ثبوت الولايات الشرعية فى الحرمين الشريفين لأهلهما ، وإسنادها لهما ، لما يتوافر لهذا الإسناد فى أهل الحرمين الشريفين من المؤهلات ، والقدرات والإمكانات ، والحرص على قدسيتهما بحكم المواطنة والمجاورة والتاريخ الناطق بحسن القيام بأمرهما ، ومما

←

(22) السياسة الشرعية - ص 18 .
(23) المصدر نفسه - ص 19 .
(24) فى هذا المعنى : ابن تيمية - المرجع نفسه - ص 20 .

يدل على ذلك من الكتاب الكريم وسنة رسوله ﷺ .

أ - قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾[٢٥] ، فقد دل هذا القول الكريم على وجوب إسناد الولاية لأصلح الناس فى توليها ، ومعنى الآية ، وإن كان يدل على ذلك في جميع الولايات ، إلا أن سبب نزول الآية كما حكى جمهور الفقهاء والمفسرون يدل أنها نزلت فى صلاحية أهل الحرم ، وخاصة حاملى مفتاح الكعبة من بنى شيبة ، كما سنرى .

ب - ما فعله النبي مع بنى شيبة :

ومما يدل على ذلك من السنة ، ما فعله النبي ﷺ مع بنى شيبة لما فتح مكة وتسلم مفاتيح الكعبة منهم ، وطلب العباس منه المفاتيح ليجمع بين سقاية الحاج وسدانة البيت ، فأنزل الله تبارك وتعالى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ ، فأعاد الرسول ﷺ مفاتيح الكعبة إلى بنى شيبة[٢٦] ، قال الإمام ابن جرير : الآية نزلت فى عثمان بن طلحة قبض منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة فدخل في البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ...... ﴾ الآية فدعا عثمان إليه ، فدفع إليه المفتاح . فقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول الله ﷺ من الكعبة وهو يتلو هذه الآية : فداه أبى وأمى ما سمعته يتلوها قبل ذلك ، وعن الزهرى أن رسول الله ﷺ ، دفع المفتاح إلى عثمان ، وقال : أعينوه ، وروى ابن مردويه عن ابن عباس بعد أن ذكر سبب نزول الآية فى بنى شيبة قوله : من المشهورات أن هذه الآية نزلت فى ذلك[٢٧] ، وروى الإمام القرطبى أن عمر بن الخطاب قال : وخرج رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية ، وما كنت سمعتها قبل منه فدعا عثمان وشيبة فقال : « خذاها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم » ، ثم يقول الإمام القرطبى : والأظهر فى الآية أنها عامة في جميع الناس فهى تتناول الولاة فيما إليهم من الأمانات ورد الظلامات والعدل في الحكومات .[٢٨] .

جـ - السدانة مخلدة فى بنى شيبة :

وهكذا دلت السنة الصحيحة ، كما دل كتاب الله تبارك وتعالى على أن سدانة البيت الحرام ومفتاح الكعبة مع نسل بنى شيبة إلى أن تقوم الساعة ، يدل على ذلك ما رواه الإمام القرطبى عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال لعثمان وشيبة : خذاها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم ، فدل هذا الحديث الصحيح على ما نزلت من أجله الآية الكريمة . وهو النص على أداء الأمانة لأهلها .

---

(٢٥) سبق تخريج الآية .
(٢٦) السياسة الشرعية - ص ١٨ .
(٢٧) تفسير ابن كثير - جـ ١ ص ٥١٥ وما بعدها - طبعة الحلبى .
(٢٨) تفسير القرطبى جـ ٥ ص ٢٥٦ ، وأسباب النزول للسيوطى جـ ص ٧٩ .

ومنهم بنو شيبة وهو شيبة بن عثمان بن أبى طلحة[٢٩] الحجبى العبدرى من بنى عبد الدار وشيبة كان صحابياً أسلم يوم حنين وفى رواية : أن شيبة هو ابن عم عثمان بن أبى طلحة[٣٠] ، وسواء كان ابنه أم ابن عمه فإن السدانة في بنيه خالدة تالدة عملاً بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .

حماية حق بنى شيبة :

وحق بنى شيبة في سدانة البيت الحرام ، والقيام بشئون الكعبة المشرفة حق خالد بقدر ما هو ثابت لهم شرعاً على وجه لا يقبل فكاكا عنهم أو انتزاعاً منهم ، حيث أخبر الرسول ﷺ : أنه لا ينزع هذا الحق منهم إلا ظالم ، فيكون سلب ذلك الحق منهم ظلم ، والظلم حرام فى شريعة الله ، وبنو شيبة لا يقدرون بأنفسهم على رد ما قد يراد بحقهم هذا من نيل أو مساس ، فالناس ليسوا ملائكة يطيعون الله ولا يخلفون له أمراً ، ومن ثم كان إيراد هذا الاحتمال قائماً ما دام المخاطبون بهذا الحكم بشرا تحكمهم الأهواء ، وتحركهم الأغراض ، ومن ثم كان من اللازم لحماية هذا الحق أن يوجد من يكفل له الحماية والمنعة من مظنة التطاول عليه أو المساس به .

ولما كان بنو شيبة من رعايا دولة مسلمة ، وأتباع وطن مسلم اختصه الله بشرف وجود الحرمين الشريفين على أرضه ، وهذه الدولة المسلمة لها من القوة والمنعة والسيادة ما يمكنها من أداء الأمانة لأهلها وحماية الحق من الطامعين فيه ، فإن عبء القيام بواجب تلك الحماية يقع شرعا على عاتق الدولة المسلمة التى يقع الحرمان الشريفان فى ربوعها والتى يعد بنو شيبة من رعاياها ، ولهذا قيل إن الله يزع بالسلطان ما لايزع بالقرآن[٣١] .

وإذا تقرر ذلك يكون لدولة الحرمين الشريفين ، قياساً على حقها فى شمول بنى شيبة بالمنعة والحماية أن تكون صاحبة الحق فى إقامة الأمن ورعاية شئونه فى الحرمين الشريفين ، بعد أن تعددت مجالاته ، واتسع نطاقه ، وأصبح من العسير أن يقوم به فرد أو مجموعة ، فكل من الأمرين امتداد للآخر واستكمال له ، فالأمن معنى كلى لا يقبل التبعيض ولا التجزئة لأن أى إخلال به ولو كان جزئياً يخل بمعنى الأمن ويهز بنيانه ، ولهذا كان الأمن متعلقاً بحق من حقوق الله ، التى يتعلق بها النفع للمسلمين جميعاً .

أساس هذا الحق شرعاً وقانوناً :

وهذا الذى نقرره ليس كلاماً مرسلاً ، لأنه لا يخرج عن كونه تطبيقاً للقواعد الفقهية ، كما أنه هو الذى يتوائم مع مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء ، ويتفق مع قواعد القانون الدولى .

←

(٢٩) السياسة الشرعية جـ ص ١٨ .
(٣٠) تفسير القرطبى جـ ٥ ص ٢٥٦ ، وسيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٤١٢ . وصحيح البخارى جـ ٤ ص ١٨٩ .
(٣١) الحسبة فى الإسلام - لابن تيمية - ص ٤٦ .

أ ـ أما بالنسبة لقواعد القانون الدولي :

فإنها في حقيقتها لا تخرج عن كونها تطبيقاً متعارفاً عليه لما يقرره الإسلام من مبادىء في إطار العلاقات الدولية ، تدعو إلى التعاون واحترام الحقوق ، وهذه القواعد تنص على أن كل دولة لها على أرضها حق السيادة وبمقتضى هذا الحق يكون لها اتخاذ جميع التدابير التي تحمى كيانها وتصون مقدساتها ، ولها أن تستعمل القوة في إطار حماية تلك المقدسات كما تفرض تلك المبادىء على جميع أفراد الأسرة الدولية أن تحترم كل دولة سيادة الأخرى وألا تتدخل في الشئون الداخلية لأى دولة ، فإن هذا التدخل ينطوى في حقيقته على مساس بالسيادة ، وتعد على حق دولة داخل أراضيها ، وذلك كله قد يسفر عن نتائج وخيمة تعلن فيها الحروب ، وتراق فيها الدماء وتزهق فيها الأرواح ، ويضيع فيها الأمن والسلام . وسيادة الدولة على أرضها تمثل ما للدولة من سلطان تواجه به الأفراد في داخل إقليمها ، فتشملهم بالمنعة ، وتحمى حقوقهم ، وتواجه به الدول الأخرى بإرادتها وحدها دون تدخل من دولة أخرى .[٣٢] .

وتفرض مبادىء القانون الدولي ، على الدول جميعاً أن تحترم كل منها سيادة الأخرى بحيث يمثل الالتزام بذلك واجباً دولياً يقع على عاتق كل دولة ، وقد نصت على ذلك المادتان : ١ ، ٢ من مشروع إعلان حقوق الدول وواجباتها الذى وضعته لجنة القانون الدولي التى كونت في هيئة الأمم المتحدة . حيث ورد في هاتين المادتين من تلك الواجبات : مراعاة أحكام القانون الدولي في علاقة كل دولة بغيرها أو الامتناع عن التدخل في شئون الدول الأخرى ، فالتدخل في شئون أية دولة عمل غير مشروع .[٣٣]

كما نصت المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة في فقرتها الأولى على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع أعضائها ونصت في فقرتها السابعة على أنه ليس في الميثاق ما يسوغ للأمم المتحدة أن تتدخل في الشئون التى تكون من صميم السلطان الداخلى لدولة ما ، وليس فيه ما يلزم الأعضاء بأن يعرضوا عليها مثل هذه المسائل .[٣٤]

وظاهر من هذا النص أن التنظيم الدولى يقوم أساساً على فكرة السيادة ، وأن الاتفاقات الدولية عالمية وإقليمية لا تزال تجعل من مبدأ السيادة قاعدة أساسية بل ما زالت السيادة تعتبر ركناً أساسياً في النظام الدولى الجديد ، واعتراف ميثاق الأمم المتحدة بسيادة الدول الأعضاء قد أبقى الأمم المتحدة ، منظمة دولية دون أن تصبح حكومة عالمية فوق الجميع .[٣٥]

وقد ترتب على إقرار الأمم المتحدة لنظرية

---

(٣٢) على منصور ـ الشريعة الإسلامية والقانون الدولى العام جـ ص ١٢٦ ـ دار القلم .

(٣٣) المرجع نفسه ـ ص ١٧٨ .

(٣٤) دكتور محمد كامل ياقوت ـ الشخصية الدولية ـ في القانون الدولى والشريعة الإسلامية ص ٣٣٩ .

(٣٥) المرجع نفسه ـ ص ٣٤٠ .

السيادة الدولية ، أن تمارس الدولة بإقليمها المستقرة عليه كل حقوقها على أرضها ، وقد استعار الفقه للدلالة على نطاق هذا الحق ومداه ، ما يسمى في فقه القانون الدولي : « بالميراث الدولي » ، الذى تقوم فكرته على ركيزة رئيسية مفادها : أن حق الدولة على إقليمها هو حق ملكية تمارس عليه سلطاتها كما يمارس المالك سلطاته على ما يملكه ، وذلك تعبير مجازى عن مدى سلطات الدولة في ممارسة سيادتها على أرضها ، ومقدساتها على تلك الأرض ، دون أن يشاركها أحد غيرها في هذا النطاق ، وفكرة الميراث الدولى وإن كانت قد نشأت في ظل النظرية التقليدية إلا انها ورغم التطور الذى لحقها مازالت هى التعبير الأقرب دلالة على ممارسة الدولة لسيادتها على تراثها وثرواتها ومقدساتها بإقليمها .[36]

وعلى ضوء تلك المبادىء يكون حق ولاية الأمن كأحد مظاهر السيادة الدولية لدولة على أرضها ومقدساتها يثبت للدولة التى يقع فيها الحرمان الشريفان .

ب - إسناد الأمر لأولى الناس به واجب شرعاً :

وهذا الذى يقرره القانون الدولى ، لا يمكن أن يتنافى مع مبادىء الشريعة الإسلامية ، التى تدعو إلى التعاون الدولى على أساس من البر والمودة والقسط واحترام الحقوق المقررة والمواثيق المبرمة ، يقول الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ ، وقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾[37] ويقول الله تعالى : ﴿ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾[38] ، ويقول عز من قائل : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾[39] ، حيث أمر الله تبارك وتعالى باحترام العهود والمواثيق التى تلتزم بين دولة وأخرى ، وذلك أدعى لاحترام أرضها وسيادتها عليها .

وعلى هذا فمبادىء القانون الدولى تعتبر بمثابة التطبيق العملى لتلك المبادىء التى يقررها الإسلام الحنيف .

ولكن الذى أود أن أضيفه مع ذلك أن هذا التوصيف هو ما يتواءم مع مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء ، فإذا كانت المبادىء القانونية تقضى بأن الدولة التى يوجد الحرمان الشريفان بها هى التى يتقرر لها حق ولاية الأمن فيهما ، من منطلق حقوقها الشرعية وشخصيتها الدولية وسيادتها الوطنية ، فإنه مع كل ذلك ينسجم مع مبادىء الشريعة الغراء ، ويتمشى مع القواعد الفقهية الثابتة بالاستقراء لفروع الشريعة ، والتى يجمعها حديث النبي ﷺ الذى رواه الإمام البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، قيل : يا رسول الله وما إضاعتها ، قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله

(٣٦) في هذا المعنى - المرجع نفسه ص ٦٩٤ .
(٣٧) سورة النحل آية رقم (٩١) ، (٩٢) .
(٣٨) سورة الأنفال آية رقم (٧٢) .
(٣٩) سورة النساء آية رقم (٩٠) .

فانتظر الساعة »[40] . فالحديث يدل على أن من يتولى أمراً عاماً يهم جماعة المسلمين يجب أن تتوافر فيه الأهلية التي تجعله أولى الناس بالقيام به حتى لا تضيع المصلحة المرادة بالولاية ، وقد أجمع المسلمون على هذا المعنى [41] ، وليس هناك أولى من الدولة التي يقع الحرمان الشريفان فيها في حماية الأمن فيهما ، والقيام بشئونه على خير الوجوه وأحسنها ، لما يتوافر لها من إمكانات تلك الولاية ، من سيادة دولية محترمة ، وحرص ديني واضح ، وتاريخ يبعث على الطمأنينة في قلب كل مسلم وغيرة إسلامية ممتزجة بالمشاعر الوطنية التي تدفع صاحبها إلى بذل أغلى ما يملكه في سبيل رعايته ورفعته ، وحاضر مشاهد ينطق بكفاءة لا يقدر على إنكارها أحد ، ومن ثم كان إسناد الولاية إليها واجباً شرعاً ، كما يجب على المسلمين جميعاً أفراداً ودولاً أن يحترموا هذا الحق ، وأن يعملوا على حفظه واستقراره لأن نعمة الأمن ستعود عليهم جميعاً ..

د . عبد الله مبروك النجار



---

(40) السياسة الشرعية ـ ص ٢٣ .

(41) نقل الاجماع الامام ابن تيمية ـ السياسة الشرعية ص ٢٢ .



حرمة الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى

للدكتور أحمد عبد الرحيم السايح *

بيت الله الحرام ، ومسجد النبى محمد عليه الصلاة والسلام ، والمسجد الأقصى تلك المساجد الثلاثة فى القمة من بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، وتؤدى فيها فرائضه على ثواب شاء الله ــ سبحانه ــ أن ييره بفضله ، ويزيده من نعمته فيجعله يسمو على غيره أضعافا مضاعفة .

وهى حرمة الاسلام وكرامة المسلمين ، تعلقت بها القلوب ، وطافت بها المشاعر ، وسعى اليها المسلمون طلبا لمرضاة ربهم وغفرانه وتكريمه :

فالمسجد الأقصى ، مجمع الأنبياء ، فيه أم رسول الله ﷺ المرسلين ، باركه الله ــ سبحانه ، وبورك ، وظل شعيرة الى يوم الدين .

ومسجد النبى ﷺ هو مجد تلك الأمة التى أرادها الله خير أمة أخرجت للناس ، عز بالاسلام وعز به المسلمون ، وضاءت به « المدينة » فهى « المنورة » اذ ضم تربها الغالى جسد رسول الله الشريف ﷺ ، وقام بها هذا البيت .

قال فيها ــ رسول الله ﷺ : « ان ابراهيم حرم مكة ودعا لها ، وحرمت

* الباحث : مدرس العقيدة والفلسفة ــ جامعة الأزهر .

المدينة كما حرم ابراهيم مكة ، ودعوت لها فى مدها وصاعها مثل ما دعا ابراهيم لمكة » (١)٠

وهذا البيت الحرام قبلة الأمة الى يوم الدين ، ووحدتها على الصراط المستقيم تلك هى المساجد الثلاثة شعائر ومناسك وحرمات ، تفاضلت فى ثواب العبادة فيها حتى انتهى الى البيت الحرام ، وفى البيت الحرام ذروة التعظيم والتشريف والتكريم فيه روى ابن ماجه عن عياش بن أبى ربيعة ــ رضى الله عنه قال قال رسول الله ــ ﷺ « لاتزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها ، فاذا ضيعوا ذلك هلكوا » ٠

قال الامام الزركشى ــ فى اعلام الساجد بأحكام المساجد ــ فى شأن البغى اذا تطاول على البيت الحرام محدثا بما عليه جمهور الفقهاء :

« ان أهل البغى ــ فى الحرم ــ يقاتلون على بغيهم اذا لم يمكن ردهم عن البغى الا بالقتال ، لأن قتال البغاة من حقوق الله تعالى التى لا يجوز اضاعتها فحفظها فى الحرم أولى من اضاعتها » ٠

والله ــ سبحانه ــ من وراء ذلك الحافظ الأمين ٠

وهذا جزء من البحث ، قال الباحث :

ان المستقرىء لتاريخ الانسانية فى القديم والحديث لن يجد ما هو أعز على الناس وأقدس فى حياتهم من مواطن الطهر والصفاء ، حيث تبلغ الروح قمة الاشراق ، والاستعلاء الروحى الفريد ٠

وفى طليعة هذه المواطن ما كان مرتبطا منها بالعاطفة الحية والوجدان الرقيق ، والايمان الحق ، واليقين الوثيق فى الله رب العالمين ٠

ولا ينطبق هذا على مكان قدر ما ينطبق على البيت العتيق ، الذى جعله الله مثابة للناس ، وجعله حرما آمنا ، وجعله أول بيت وضع للناس ، فى الشرف والمكانة ٠

ولقد تعلق الناس منذ فجر الحياة ، بهذا البيت العتيق ، وارتبطوا به ، وهفت اليه نفوسهم ، من حيث كان ولا يزال موئل عبادتهم ومحل طاعتهم ، ومنطلق صلتهم بالملأ

(١) رواه الشيخان ٠

الأعلى ، مما حدا بالمؤمنين أن يستقر لديهم ، ويتأكد فيهم الاستعداد التام ، لحمايته والذود عنه ، وبذل المهج من أجله ماوسعهم هـــذا وأطاقوه ، وأن يقفوا من كل عاد عليه متربص به ، موقف العداء العلنى الذى لا مواربة فيه، ولا حيلة ، ولا حيدة عنه ، ولا مناص منه •

ولما كان للكعبة المشرفة من القداســـة والجلالة فى هذا البيت ما ليس لبيت ســواه ، فقد حرمها الله ، وجعلها حرما آمنا ، لا يحل انتهاكه ، ولا افزاع الناس فيه أو من حوله ، ولا شن الحرب فيه ، ولا فى رحابه الملحق ، ولا فى مكة المكرمة التى تضمه بحال من الأحوال •

وفى الصحيحين – واللفظ لمسلم – عن ابن عباس – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة : « ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة ، وانه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ولم يحل لى الا فى ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيــامة ، ولا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده » •

وقال رسول الله ﷺ « ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ، فلايحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر ، أن يسفك فيها دما ، أو يعضد بها شجرة ، فان أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له : ان الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم • وانما أذن لى فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتهــا اليوم كحرمتهــا بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب •

وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « لا يحل لأحــدكم أن يحمل بمكة السلاح »•

وما أخبث الأهواء : حين يحتكم اليها البشر وتتحكم فيهم • فتلوى أعناقهم عن الحق وكل ما يرتبط به ويدور فى فلكه ، وتعمى بصائرهم عن ادراكه ومعرفته ، وحالئذ لاتجــدهم الا عبيدا للأوهــام ، وأدوات للغرور ، مدفوعين بصلفهم الى العدوان والطغيان ، والعســف والقهر ، ومصــادرة النــاس فى عقائــدهم ، وأديانهم ، وحرياتهم ، وحقوقهم •

ولقد تربص بالبيت العتيق – بضع مرات – أعداء الحق ، وعشاق الهمجية وأصحاب الحقد والضغينة ، وذوو الميول الهابطة ، والأطماع الدنيئة ومن جبلوا على أساليب الكيد ووسائل البغى ، وحب العنجهية والغطرسة والغرور •

كادوا له ، ومكروا ، ودبروا للنيل منه بغية محوه ، وصرف الأنظار عنه ، بيد أن كيد الله

←

لهم كان أكبر ، ومكره كان أعظم ، وتدبيره دائما أعلى وأجل .

أجل ، لقد رد الله البغاة على الحرم على أعقابهم خاسرين وجعل كيدهم فى نحورهم على اختلاف منازعهم ومشاربهم ، وأهدافهم ، وسواء أمر هؤلاء جميعا فى الجاهلية والاسلام حيث لم تقم لمعتد على الحرم العتيق فى البلد الأمين قائمة من قريب أو بعيد ، بل أنفذ الله فيهم سنته ، وسلط عليهم جنده ، قال تعالى فى سورة الفتح : « **وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً** » . وقال تعالى فى سورة المدثر : « **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ** » .

فلم يلبثوا برغم كيدهم ومظاهراتهم ومكرهم الا ريثما أعمل الله فيهم أمره المبرم ، وأنفذ فيهم قضاءه المحكم ، فاذا كيدهم فى ضلال وضياع .

ولقد حاول غير واحد من أولى البأس والسلطان فى عصور مختلفة أن يصرفوا الناس عن هذا البيت فذهبت محاولاتهم هباء وباء أبرهة ومن سبقه ومن لحقه ، بالاخفاق فى مآربهم من صرف الناس عن بيت الله لأنهم كانوا يرمون من ورائه الى غاية لا تدين للحق أو تنتهى اليه .

انها غايات دنيوية سياسية .

والغايات السياسية موقوتة مصيرها الى الزوال والفشل ، وهى كذلك لا تستند الى أساس ثابت فى قرارة النفس الانسانية ولا تمثل المعنى الروحى ، ولا الحقيقة العليا ، التى يتعلق بها الفؤاد ويتوق اليها القلب .

والحق أن كعبة الله المشرفة فى مكة المكرمة هى أمنع من حصن الكمى بحماية الله لها ، وحفاظه عليها ، ودفاعه عنها .

فاذا انتقلنا الى المدينة المنورة التى تضم أطهر البقاع على الاطلاق لاحتوائها على الرفات الشريف الطهور للرسول ﷺ طالعتنا هناك مشاهد ومواطن أفضلها على الاطلاق مسجده الشريف ﷺ الذى شهد كفاحه وجهاده .

وللمسجد النبوى بعد المسجد الحرام قداسته التى لا تعادلها قداسة فقد أنشأه النبى ﷺ بيده الشريفة وأم فيه هذه الأمة من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وبه منبره الشريف ، وحيث توجد به أفضل بقعة على الأرض ، قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى : « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » .

وروى أن رسول الله ﷺ قال : اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك ، وانى عبدك ونبيك ، وانه دعاك لمكة ، وانى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة » .

وروى البخارى ومسلم عن النبى ﷺ أنه قال : « ان ابراهيم حرم مكة ودعا لها ، وحرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة ، ودعوت لها فى مدها وصاعها مثل مادعا ابراهيم لمكة »

ومن هذا ندرك أن لهذين الحرمين الحرم

المكى والحرم النبوى ولهذين البلدين ــ مكة والمدينة المنورة ــ مكانة عظيمة ، فهما أفضل بقاع الأرض قاطبة رعاهما الله وحماهما ، ورد عنهما كيد الأعادى ، وعاديات الزمن .

واذا بلغنا المسجد الأقصى وجدناه المنارة التى تنشد المسلمين . قال تعالى : « سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ » .

وهذه الآية هى المعظمة لقدره باسراء سيدنا محمد ﷺ اليه قبل عروجه الى السماء .

وقد رويت أحاديث عن رسول الله ﷺ تذكر مضاعفة الصلاة فيه .

وجدير بالأمة الاسلامية أن ترعى حرمة هذه المساجد التى أشار الرسول الكريم ﷺ الى شد الرحال اليها .

وحرى بنا ــ أمة الاسلام ــ أن نعقل دور بيت الله الحرام فى التاريخ ، وأثره فى الايمان وعطاءه للبشر فى مجالات السلام والأمن ، والاستقامة والرشاد واشعاعاته فى الأجيال ، والأفراد والجماعات والأمم .

روى ابن ماجة عن عياش بن أبى ربيعة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ « لاتزال هذه الأمة بخير ماعظموا هذه الحرمة حق تعظيمها فاذا ضيعوا ذلك هلكوا » . وفى الستة الذين لعنهم رسول الله ﷺ قوله : « والمستحل لحرم الله » والأحاديث والآثار فى تعظيم الحرم أكثر من أن تحصر .

وقد بدا واضحا أن لله فى خلقه وكونه نماذج اختصها بفضله وحباها برعايته .

ولقد بدا هذا جليا فى البيت العتيق وكعبته المشرفة فى مكة المكرمة ، وفى أبى الأنبياء ، ابراهيم الخليل عليه السلام ، واسترواحه لأريج هذا البيت ، وعطر بقعته الطاهرة ، وعبق تاريخه الضارب فى أعماق الحياة وطوايا المستقبل .

كما بدا أيضا فى اجابة الله وقبوله لدعوة ابراهيم وتلبية رغبته . وبدا كذلك فيمن هيأهم الله عبر العصور ، وأعدهم ووفقهم وهداهم لكفالة هذا البيت ورعايته وتجديده ، وصيانته وتعهده والقيام على أمره وخدمته .

وبدا كذلك واضحا فيما خص الله به المملكة العربية السعودية من نعيم العطايا ، ورعاية حرمة الحرمين الشريفين ، والسهر عليهما ، وحراستهما وتوفير كل ما يلزمهما ، ويلزم الوافدين اليهما .

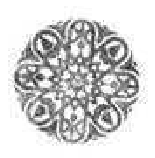
ومن هنا كان من حق المملكة العربية السعودية أن تدفع عن الحرم أهل البغى والعدوان ، وقد قال جمهور الفقهاء ، كما ذكر الزركشى فى اعلام الساجد بأحكام المساجد : « ان أهل البغى فى الحرم يقاتلون على بغيهم اذا لم يمكن ردهم عن البغى الا بالقتال ، لأن قتال البغاة من حقوق الله تعالى التى لا يجوز اضاعتها فحفظها فى الحرم أولى من اضاعتها» .

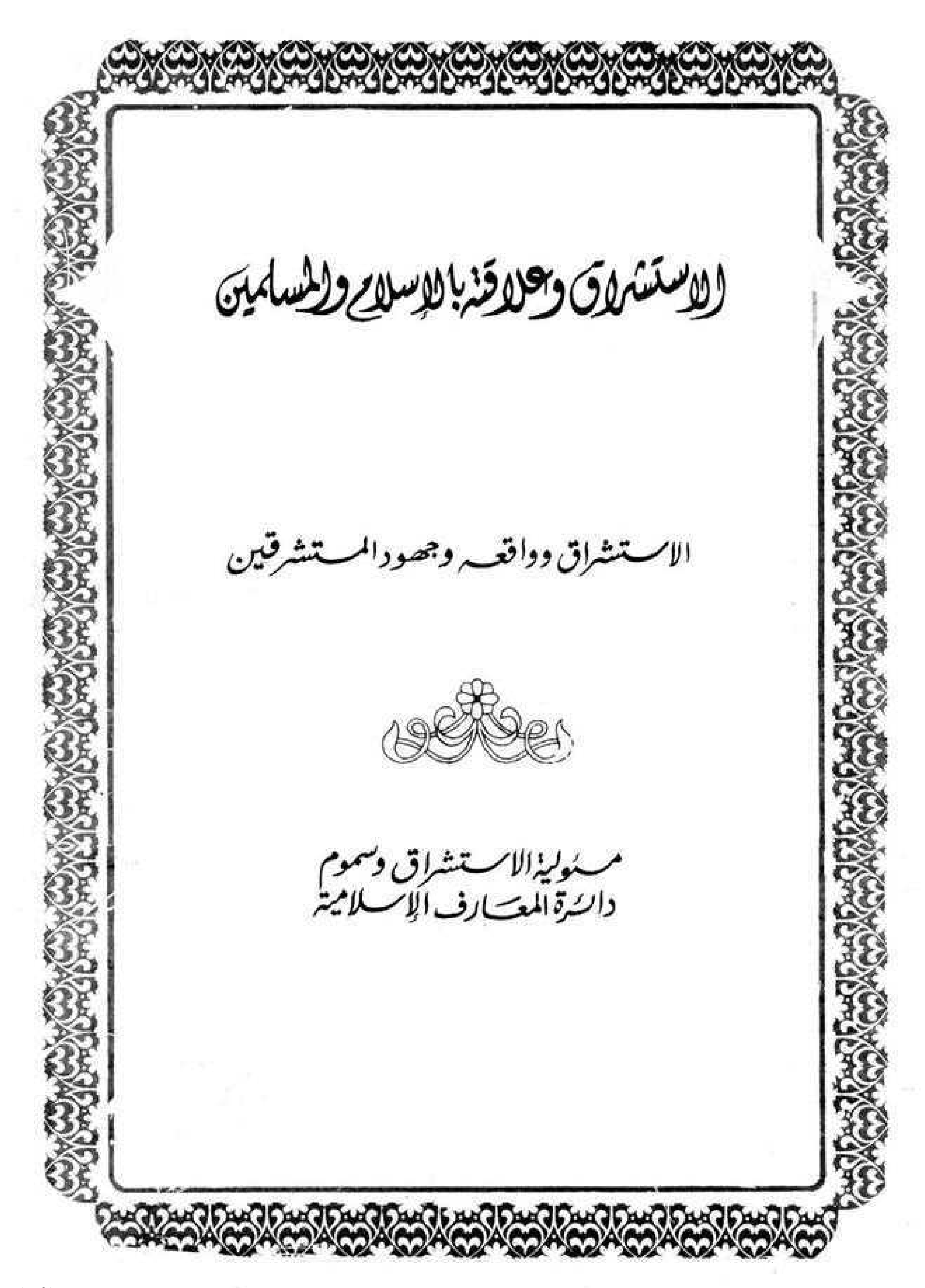
وذهب الحسن البصرى : الى أنه لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة لأن القتال فيه منهى عنه فلا يحل ما يسببه .

وما أولانا أن نوقن تماما ــ وبصورة وثيقة لا تقبل الشك أو التردد ــ أن الله تعالى جلت قدرته ، وعز شأنه من وراء بيوته ، يحميها ويدافع عنها وهو مع أهلها « والقائمين عليها ، وعلى أمر الدعوة والبلاغ والتوجيه فيها كما عودهم دائما يكلؤهم ويرعاهم ويحمى ظهورهم « إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ » .

المصادر والمراجع

ـ الامام مسلم	صحيح مسلم
ـ الصالحى الشامى	سبل الهدى والرشاد
ـ ابن كثير	السيرة النبوية .
ـ ابن هشام	سيرة النبى صلى الله عليه وسلم .
ـ الفيروزأبادى	بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز
ـ وزارة الأوقاف	الدين والحياة .
ـ الجمل	الفتوحات الالهية .
ـ الزركشى	اعلام الساجد باحكام المساجد
ـ القرطبى	احكام القرآن .
ـ عبد الكريم الخطيب	التفسير القرآنى للقرآن
ـ الفخر الرازى	تفسير القرآن .
ـ الشيخ السبكى	نفحات القرآن .

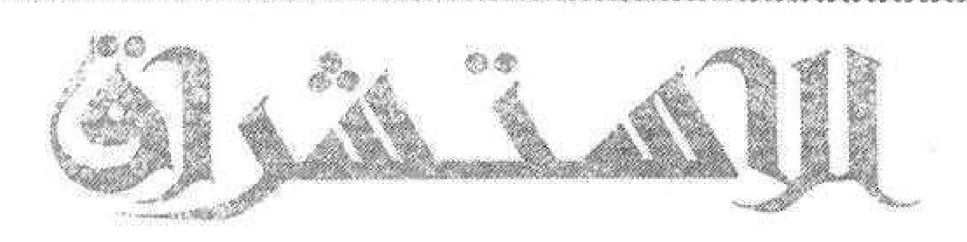




الاستشراق وعلاقته بالإسلام والمسلمين

الاستشراق وواقعه وجهود المستشرقين

مسئولية الاستشراق وسموم دائرة المعارف الإسلامية



وواقعه وجهود المستشرقين

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على النبى المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بأحسان الى يوم الدين ، وبعد ..

فان للمستشرقين اتجاهات وأبحاثا رصدت كل ما يتصل بالاسلام والمسلمين لأغراض خاصة وعلى المسلمين أن يخصصوا من بينهم من يقوم بمواجهة هذا النوع من المخططات حتى يتمكنوا من الاستفادة من الثمين ويردوا على المفتريات هذا وبالله التوفيق ...

التعريف بالاستشراق :

الاستشراق بتعبير موجز : الدراسات التى يقوم بها الغربيون لتراث الشرق وألحق بهم كل من يتصدى لهذه الدراسات من غير الشرقيين ، بعد اتقان لغات الشرق وبخاصة اللغة العربية . وهى المادة الخصبة لموضوع الاستشراق ، وطغت هذه اللغة على ماسواها ، ولقد قدر للقرآن الكريم أن يحتضن الاسلام واللغة العربية فى وقت واحد حتى أضحى القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة أغنى المواضيع عند المستشرقين على الاطلاق فبحثوا جزئيات الكتاب والسنة وكليات الكتاب والسنة .

وانصبت الدراسات والبحوث بشكل يلفت النظر حول الكتاب والسنة، وبخاصة كل مايتصل بالاسلام والمسلمين بعامة . ولقد بلغ المستشرقون من تعليم لغاتنا وحفظ تراثنا مبلغا عظيما وأخذوا اللغات وأمهاتها (سامية) أو (آرية) فدرسوا الكلدانية والآشورية والآرامية والسريانية والعبرية والفارسية والتركية وحلوا الكتابات الهيروغليفية والمسمارية والفينيقية والنبطية فأدى ذلك الى اكتشافات لها أثرها العظيم على تاريخ الحضارات البشرية .

ولما كان معظم المستشرقين يحفظ أكثر من لغة عدا اتقانه غيرها من لغات الغرب واطلاعه على ما نشر فيها عن الشرق فكانت المعرفة عنده أكثر من غيره وتتناول التراث الانسانى بالبحث والنظر والتحليل .

---

* الباحث : أستاذ بكلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر .

للأستاذ الدكتور
طلعت أحمد على محسن*

والتخصص المستقل للأفراد أو المدارس أو المؤسسات أدى الى التعمق فى الفروع التى تخصصوا فيها ، وكانت لهم ثمار طيبة فى أبحاث تخصصاتهم المتعددة المتنوعة التى خرجت بعد جهود مضنية وزمن طويل وصبرهم وتحملهم للعمل الشاق فربما ينقضى عمر أحدهم فى تحقيق مخطوطه أو تصنيف كتاب دون كلل أو ملل .

تصنيف المستشرقين :

ونعنى هنا بالمستشرقين الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الاسلامى وعن الحضارة الاسلامية .

فمن حيث الزمان : طبقة القدماء مثل (جرير دورىياك ، توماس الأكوينى والمحدثين مثل جولد تسهير) .

نشأ المستشرقون قديما وحديثا فى كنف الكنيسة التى كانت ترعاهم وتوجههم وتستغلهم بكل وسعها وامكاناتها .

وقد اتسمت هذه العصور كلها بتعصب أعمى ضد الاسلام ورسوله ﷺ وظلت مبادئه وتعاليمه عبئا ثقيلا على العقل الأوروبى .

وبعد الحروب الصليبية التى كانت سببا فى تحول كبير فى العقلية الغربية التى شرعت فى دراسة الحياة الاسلامية حيث تأكد لها أن المسلمين يمتازون بصفات تستحق الدراسة والتقدير .

ويرى كثير أن الاستشراق ولد من أبوين غير شرعيين هما الاستعمار والتبشير وأنه مازال يعمل من أجل هذا الغرض الذى وجد من أجله وان غير أساليبه وجلده مرات ليتلاءم مع الظروف المختلفة وبخاصة بعد أن تكشفت أغراضه للمفكرين المسلمين الذين أخذوا يدحضون شبهاته .

أما الاستعمار فهو يرى أن المفهوم الاسلامى السليم من شأنه أن يعطى المجتمع المسلم قوة تحول دون سيطرته واستمراره فهو يستهدف تقويض هذه العقيدة واحلال مفاهيم تحمل الولاء والصداقة مع الأمم المحتلة تحت اسم الحضارة أو العالمية أو وحدة الثقافة والفكر البشرى .

وأما التبشير فإنه يستهدف الحيلولة دون التوسع الإسلامى وانتشاره وحتى لا يكون منازعا أو منافسا للمسيحية ، والخطر الأكبر هو أن تصل المفاهيم الإسلامية الصحيحة الى عالم الغرب نفسه .

وأضيف الى هذين الأبوين أب ثالث هو : الصهيونية التى تستهدف من سيطرتها على الاستشراق الحيلولة دون تجمع العرب فى وحدة تقاوم الصهيونيه وتواجه إسرائيل .

واغلب المستشرقين يجمعون بين العمل بالاستشراق والعمل بالتبشير والعمل مع دوائر الاستعمار فى وقت واحد مثل جب الانجليزى ، وماسنيون الفرنسى ، وسنوك هونجو الهولندى . الذى يقول : يجب على

الحكومات الأوروبية أن تجتهد فى اظهار التناقض بين الاسلام والمدنية الحاضرة ، ويذهب الى هذا (كرومر) من قادة الاستعمار . لذلك عمل هؤلاء على اظهار عجز الاسلام عن أن يتمشى مع التقدم الحضارى .

دوافع الاستشراق :

للاستشراق بوجه عام من خلال دراساته العربية والإسلامية دوافع متفاوتة شدة وضعفا اتسم بعضها بهدف تبشيرى ، واتجه البعض الآخر إلى غرض استعمارى ، وخلص القسم الثالث لاتجاه علمى .

الدوافع التبشيرية :

ذهب (رودى بارت) الى أن الهدف الرئيسى من جهود المستشرقين فى بدايات الاستشراق فى القرن الثانى عشر الميلادى وفى القرون التالية له : هو التبشير وعرفه بأنه : اقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم الى الدين المسيحى . وقد أوضح هذا (نورمن دانيل) فى كتابه الإسلام والغرب ، وعرض الاستاذ الدكتور محمد البهى لهؤلاء المستشرقين المبشرين وموقفهم من الإسلام .

وهذا النوع من المستشرقين قد دفع تبشيريا إلى الغض من مكانة الاسلام والقرآن لتقليل أهميتهما وزعزعة النفوس عنهما .

وعمد قسم من المستشرقين الألمان واليهود أمثال (فيل) و (جولد سهير) و (بول) وغيرهم إلى القول بأن القرآن حرف وبدل بعد وفاة النبى ﷺ وفى صدر الاسلام الأول ، وأن النبى ﷺ ، كان يصاب بالصرع ، وأن ما كان يسمى بالوحى الذى ينزل عليه انما كان أثرا لنوبات الصرع ، وكان يغيب عن صوابه ويسيل منه العرق وتعتريه التشنجات فإذا أفاق من نوبته ذكر أنه أوحى اليه .

وقد تكفل بالرد على هذه المزاعم الكاذبة (السير وليام موير) فى كتابه « حياة محمد » فتحدث عن منزلة القرآن ودقة وصوله سالما خير رد على هذا التجنى واعتبر ما ذهب إليه (جولد سهير) تهربا من البحث العلمى الرصين وبين - موير - أن نوبة الصرع لا تذر عند من تصيبه أى ذكر لما مربه ، وأيد كل من (رالاب هنرى لامنس) و (فون هامر) مذهب موير فى التفريق بين حالتى الصرع والوحى .

وفند (آميل درمنجم) أباطيل هؤلاء وحمل عليهم ، بذلك أدين المستشرقون المتطرفون بقلم المستشرقين المنصفين .

الدوافع الاستعمارية :

وجه الإستعمار المستشرقين لبث سمومهم بالطريقة التى برمجها من :

تشتيت أمر الأمة ، والدعوة الى تفريق الكلمة وابراز وجهات الاختلاف ، أو تعدد المذاهب ، وتضخيم هذه النزعات وتكثيف تلك الدعاوى ، ويمثل الإسلام بأنه دين فرقة وخصومة وتصدع والأغلب أن يضيف من عندياته ما لم يكن ، فيصور مالم يحدث ويناقش ما لم يقع لا سيما اذا كانت كتاباته تتعلق بالاسلام .

يقول الأستاذ نجيب العقيقى .

فلما أرادت معظم دول الغرب عقد الصلات السياسية بدول الشرق والاعتراف من تراثه والانتفاع بثرائه والتزاحم على استعماره أحسنت كل دولة الى مستشرقيها فضمهم ملوكها الى حاشيتهم أمناء أسرار وتراجمة

وانتدبوهم للعمل فى سلك الجيش والدبلوماسيين الى بلدان الشرق ، وولوهم كراسى اللغات الشرقية فى كبرى الجامعات والمدارس الخاصة والمكتبات العامة وأجزلوا عطاءهم فى الحل والترحال •

بجانب ما سبق الدوافع العلمية : وهى ذات شأن عظيم فى حركة الاستشراق لأن العالم العربى يعد كنزا حضاريا لا نظير له فى بقاع العالم الآخر ففيه شيدت الحضارات والثقافات ونشأت لغات وعلوم وفلسفات ونزلت شرائع وأديان ، لذلك اهتم المستشرقون بالجانب العلمى • حتى وصل بعضهم الى الثقة من بعض المثقفين برغم معرفة هؤلاء المثقفين بطبيعة الاستشراق ، ومن هؤلاء المستشرقين من تطرف فى تعصبه واتخذ العلم ستارا يخفى وراءه كل حقد وتعصب ، ومن أخطر هؤلاء (لويس ماسينيون) و (هملتون جب) و (هنرى لامنس) و (كريستيان سنوك) و (جستاف فون جرونبوم) من النصارى •

ومن الذين عملوا فى الاستشراق من اليهود : مرجليوث ، واسرائيل ولفنسون ، وليفى بريل ، وجولد سهير ، وبرنارد لويس ، ومكسيم رودنسن ، وماكس نورده • فبحثوا فى الموضوعات التالية :

الاسلام ، الرسول ﷺ ، القرآن الكريم اللغة العربية ، التراث ، السنة ، الحضارة الإسلامية : الشريعة الإسلامية ، الإدارة فى الإسلام ، التاريخ الإسلامى •

وتناول المستشرقون كل موضوع من الموضوعات السابقة بالدراسة والبحث والقاء الضوء على ما يريدون اظهاره وترويجه بين الشعوب الإسلامية ، وعرض هذا كله بلغات هذه الشعوب : باللغة العربية أو الفارسية أو الأردية أو المراوية أو غيرها من اللغات واللهجات حتى يتمكن من التأثير على قطاعات من بين المثقفين فى هذه الشعوب ، ولهم جهود فى الوصول الى ما يريدون ومن خلفهم حكوماتهم ودولهم ومؤسساتهم بكل ما تملك للنيل من الإسلام والمسلمين •

ولا نغفل بعض المستشرقين الذين عملوا على اخراج التراث أو فهرسته وهذا جهد مشكور •

جهود المستشرقين :

* الطعن فى حقيقة الاسلام وحقيقة القرآن والنبوة •
* الادعاء بأن الإسلام استنفد أغراضه ومحاولة العمل لذلك ونشر هذا الادعاء بأساليب كثيرة •
* الادعاء بأن الإسلام لا دخل له فى توجيه حركة الحياة للمجتمعات الانسانية وهو عبارة عن شعائر وطقوس دينية •
* التشكيك والتهوين فى الحضارة الاسلامية وتشويه هذه الحضارة •
* طرح الأفكار والمبادىء المعادية للاسلام داخل المجتمعات المسلمة •
* إثارة القوميات القديمة وتسليط الأضواء على العامية •
* محاولات ربط كل جوانب الاسلام بالحضارات الغربية القديمة كاليونانية والرومانية فإذا لم يجدوا فى هذه الحضارات ما يخدم أفكارهم طعنوا فى الحضارة الاسلامية واتهموها بأنها لا تتمشى مع التقدم البشرى ، وادعوا أنها أصل تخلف المسلمين حديثا •

* وضع المناهج للبحث العلمى بعيدة عن الاسلام ، وقطع الصلة بين العلم والدين ،لذلك نرى مدارس وجامعات فى العالم الاسلامى تدرس الإسلام وفق ذلك المنهج على أنه تراث اندثر ، وتدرس كل العلوم فى غيبة عن العقيدة الاسلامية والتوحيد الخالص وهذا ما يسمى بالغزو الفكرى .

بعد عودة لويس ملك فرنسا من أسره الى فرنسا أيقن أنه لا سبيل الى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية ، لأن تدينهم بالاسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس فى سبيل الله لحماية ديار المسلمين وصون الحرمات والأعراض ، والمسلمون قادرون دوما على الانطلاق من عقيدتهم الى الجهاد ودحر الغزاة . وأنه لابد من سبيل آخر ، وهو تحويل التفكير الإسلامى وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكرى بأن يقوم العلماء الأوروبيون بدراسة الحضارة الإسلامية ليأخذوا منها السلاح الجديد الذى يغزون به الفكر الإسلامى . وهكذا تحولت المعركة من ميدان السلاح إلى معركة فى ميدان العقيدة والفكر بهدف تزييف عقيدة المسلمين الراسخة وامتصاص ما فيها من قوة وجهاد وإيمان عن طريق : التفرقة بين العقيدة والشريعة . والفصل بين الدين والدولة . وبذلك عمل المستشرقون على إحلال مفاهيم جديدة لخدمة هدفهم .

قاعدة التفكير الاستشراقى :

دأب كثير من المستشرقين على تعيين غاية لهم ويقررون تحقيق تلك الغاية بكل طريق ويجمعون لها من المعلومات ما ليس له أية علاقة بالموضوع سواء من كتب التاريخ . أو الأدب والشعر ، أو التصص أو المجون والفكاهة .

وان كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها ، ويقدمونها بعد التمويه بكل جراءة ويبنون عليها نظرية لا يكون لها وجود إلا فى أنفسهم وأذهانهم ؛ ولذلك يمدحون حتى نثق بهم ويقدمون ما يريدون بأسلوب خبيث داخل هذا المدح .

جهود المستشرقين فى الميزان :

أصبح للمستشرقين كم هائل من المؤلفات والدراسات كتب عنها كثير من المسلمين وجمع الأستاذ نجيب العقيقى ثلاثة مجلدات ضخمة تحت اسم المستشرقين .

والواجب على العلماء المفكرين فى العالم الاسلامى استعراض هذه المؤلفات والدراسات العلمية التى أنتجها الفكر الاستشراقى المباشر وغير المباشر ـ إنتاج التلاميذ ـ ومحاسبتها فى ضوء الحقيقة والواقع حتى ينكشف الستار عن تلبيساتهم . وأخطائهم فى فهم النصوص وبيان المعانى ويبدو للناس ضعف مصادرهم التى يعتمدون عليها وأخطاء النتائج التى يستنبطونها منها ، ويطلعوا على ما يضمر كثير منهم فى نفوسهم من عداء للإسلام وما يكنونه من أغراض سياسية ودينية فى خفايا دعوتهم وتربيتهم .

ابحاث المستشرقين :

سبق أن أشرت الى أن كثيرا من مؤلفات المستشرقين تحاول إضعاف المسلمين والإسلام والتشكيك فى قيمه باثبات فضل اليهودية على الإسلام وكذلك المسيحية . وقد تركزت أهداف

أبحاث المستشرقين مع تنوعها فى :
خلق التخاذل الروحى ، وايجاد الشعور بالنقص فى نفوس المسلمين ، وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع للتوجيهات الغربية .

وهذه الأبحاث قام بها أفراد ومؤسسات مثل جمعية المستشرقين بفرنسا ، وأصدرت المجلة الأسيوية جمعية الدراسات الشرقية ، وأصدرت مجلة الجمعية الأسيوية الملكية ، والجمعية الشرقية الأمريكية وكذلك فعل المستشرقون فى كل من ألمانيا والنمسا وايطاليا وروسيا وغيرها وصدرت سلسلة دوائر المعارف الاسلامية ، واشترك المستشرقون فى المجامع العلمية بالدول الإسلامية .

وتقوم المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية فى الغرب بما كان يقوم به الملوك والأمراء فى الماضى من الانفاق على المستشرقين، وحبس الأوقاف والمنح على من يعملون فى حقل الاستشراق . وبهذه الأموال تصدر الطبعات الفخمة والمؤلفات الكبيرة والأبحاث وتقام المؤتمرات .

وإذا كان كثير من المستشرقين حارب من أجل مهمته فبعض المستشرقين قام بأعمال جليلة يجب أن تذكر لهم فقاموا بتنظيم الكتب العربية فى مكتبات الغرب ، ووضعوا لها الفهارس وسهلوا الرجوع اليها وأدى بعضهم دورا بارزا فى التعريف بالاسلام ، وبفضل جهود هذا البعض برز كثير من نوادر العلم والمعارف التى لم تر ضوء الشمس منذ قرون إلى النشر والإذاعة . مثل كتاب « الإصابة » لابن حجر العسقلانى ، وكذلك المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى وضعه (ونسنك) صاحب (مفتاح كنوز السنة) والدكتور مارسدن جونس المحقق لكتاب المغازى وغيرهم .

واذا كان بعض المستشرقين منصفا للدراسات الاسلامية خادما لها فالكثير وجه أبحاثه المتنوعة للنيل من الإسلام، ويجب التحفظ فى دراسة أبحاث المستشرقين لأنها موجهة لخدمة أهداف معينة ، كابراز الفرق الخارجة كالباطنية وغيرها على أنها فكر إسلامى ، ونشر الفكر الخيالى كألف ليلة وليلة . وكليلة ودمنة وغيرهما ، وعرض الانحلال من خلال الأدب والشعر كأبى نواس ، وبشار بن برد ، وكذلك على الخلل فى العقيدة مثل الروانديه والقرامطة وغيرهما توجه الأبحاث لابراز العرب قبل الإسلام فى صورة التحضر ويقوم بهذه الأبحاث التلاميذ باشراف المؤسسات الاستشراقية فى الخارج والواقع أن العرب لم يكن لديهم حضارة ولم يكونوا أمة الا بعد الإسلام .

ومن الأخطاء المنتشرة بين المثقفين المسلمين أن الاستشراق لديه المنهج العلمى فى أبحاثه ، وفى مختلف مجالات الدراسات التى اتصلت بالإسلام . وهذا ممسوخ كما أشرت سابقا ، على أن الباحثين يدخلون بفكر مسبق قبل البحث يجمع له الشتات ويؤلف من هذا الشتات أبحاث تسمى علمية والمنهج العلمى المنصف خرج من الإسلام وقد أنصف القرآن الكريم الحق وعرى الباطل .

ان البحوث التى يعرضها المستشرقون تحتاج الى إعادة النظر .

←

ولابد من سرعة الاطلاع على ما يخرج من دوائر الاستشراق للرد السريع عليه قبل نشر سمومه بين الناس ، والسفارات الإسلامية فى العالم يجب أن تتعاون فى جمع ما ينشر عن الإسلام وترسله إلى بلدانها لتقوم المؤسسات الإسلامية بدراستها ، وتحليلها ، والرد عليها حتى لا يكون عامل الزمان مساعدا على نشر هذه السموم ، كما تفعل السفارات فى العالم الإسلامى حيث تجمع كل ما ينشر عن الإسلام وترسله الى بلدانها لدراسته ، ودراسة المؤلفين لهذه الابحاث ، وتحليل آرائهم واستنباط أحكام منها من حيث تأثيرها على جماهير المسلمين سلبا وايجابا وكيفية مواجهتها .. الخ .

مواجهة الاستشراق :

حتى نتمكن من هذا العمل والرد على المفتريات وإصلاح الفساد يجب أن يقوم علماء الإسلام بكتابة الموضوعات العلمية المؤكدة ووجهة نظر الإسلام الصحيحة مع مراعاة الجوانب المعهودة التى يمتاز بها المستشرقون بل والزيادة فيها ، ويجب أن تكون كتاباتهم ومؤلفاتهم ممتازة من حيث أصالة التحقيق وسعة الدراسة وعمق النظر وتأكيد المصادر وصحتها وأن تكون حاملة لجميع نواحى الإتقان والصحة بعيدة عن الأخطاء والنقائص العلمية.

ولابد لهؤلاء العلماء من توفير الظروف التى تمكنهم من هذا العمل واجادته ، وهذه الأعمال لا يقوم بها فرد ، ولكن تقوم بها مؤسسات مخلصة لله ولرسوله وللمؤمنين ، تمول من خلال صندوق التمويل الإسلامى الذى يعمل المسلمون على انشائه تحت رعاية الأزهر لأنه هو الحصن المنيع المدافع عن الإسلام على مدى (١٠٠٠) ألف عام بعلمائه وأبحاثه ومؤلفاته ومؤسساته .

وبهذا يمكن توجيه المجتمع المسلم بأسلوب واضح فى شتى جوانب الحياة ، ولابد من وضع المؤسسات الثقافية تحت التوجيه لكل انتاجها بما يخدم المجتمع المسلم المعاصر ورصد كل ما ينشر والرد عليه من خلال المتخصصين الواعين المخلصين لخدمة المسلمين .

تربية جيل صبور على البحث والدراسة حافظ للكتاب ، مطبق للسنة ، متعلم للغات المستشرقين ليتمكن من قراءة ما ينشره هؤلاء المستشرقون والرد على ما ينشر وتفنيد المزاعم .

هذا الجيل يختار من شباب العالم الاسلامى الواعى الفاهم ليتحمل مسئولية الرد وتحصين الشعوب الاسلامية ضد ما ينشر بينهم من سموم كل بلغته والتعاون الكامل بين المؤسسات العلمية فى العالم الاسلامى وتبادل المعلومات ووحدة العمل الاسلامى المنطلقة من القرآن والسنة وترك التبعيات الاقليمية أو المذهبية .

اقامة بنوك استثمار خاصة بالدعوة الاسلامية لرعاية الدعوة الاسلامية العالمية يكون مقرها الأزهر الشريف .

التنسيق بين العلماء والأغنياء فى هذا العمل لمواجهة التبشير فى العالم الإسلامى وسد الطريق عليه بإقامة المشروعات الخادمة لهذه المجتمعات .

وبذلك نحقق الإسلام فى أنفسنا ومجتمعاتنا والله المستعان وهو نعم المولى ونعم النصير

دكتور / طلعت احمد على محسن

مسئولية الاستشراق

وسموم دائرة المعارف الإسلامية

للأستاذ / أنور الجندى*

عندما وصل الاستشراق إلى ذروة نفوذه وغاية تأثيره ، جمع كل شبهاته وتأثيراته وسمومه فى موسوعة جامعة أطلق عليها اسم « دائرة المعارف الإسلامية » جمعت خلاصة فكر المستشرقين الكبار جميعاً ، كل فى المجال الذى تخصص به ، وقدمت هذه الموسوعة أساساً لتشكيك الباحثين فى الغرب فى حقائق الإسلام وعظمة تاريخه وسماحة أبطاله وأعلامه ، ثم ترجمت إلى اللغة العربية لتكون مرجعاً فى الجامعات والمعاهد والمدارس فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، ثم أضيف إليها روافد أخرى أهمها : المنجد ، والموسوعة الإسلامية الميسرة والموسوعة العربية الميسرة[1] .

ثم اتسع نطاق عمل الاستشراق فامتد إلى دوائر المعارف الغربية البريطانية الأمريكية ودائرة معارف لاروس الفرنسية .

ثم بلغ غايته حين أصدرت اليونسكو كتابها الضخم عن تاريخ العالم ، وأفردت للإسلام والعالم الإسلامى مجلداً حشته بتلك السموم الاستشراقية ، ثم وعدت بالتصحيح وإعادة النظر ولا يزال الأمر معلقاً .

ومن هنا فإن أخطر أعمال الاستشراق قاطبة هى دائرة المعارف الإسلامية المطبوعة باللغة العربية والصادرة منذ عام ١٩٣٢ م والتى أعيد تجديدها بطبعة جديدة من عام ١٩٦٢ م .

وقد جرت محاولات كثيرة لتصحيح سموم هذه الدائرة وتحريرها من هذا الاحتواء الخطير ، وأسجل هنا التجربة التى قامت بها

←

* الباحث : عضو نقابة الصحفيين ، واتحاد الكتاب .

(١) وهناك روافد أخرى تتمثل فى كتب : يقظة العرب وشمائل المصريين المحدثين وغيرها .

مسئولية الاستشراق وسموم دائرة المعارف الإسلامية

جامعة البنجاب فى تأصيل المواد الإسلامية فى تجربة ضخمة ، نرجو أن يتاح لدوائر الأزهر الشريف العمل على استقدامها وترجمتها من اللغة الأوردية إلى اللغة العربية وتقديمها بديلاً لتلك المواد المسمومة التى لا يزال يتداولها شبابنا الباحثون فى الجامعات والمعاهد الإسلامية والعربية .

والواقع أن حركة اليقظة الإسلامية لم تتوقف منذ اليوم الأول عن دحض هذه الشبهات وكشف زيفها وتصحيح المفاهيم ، منذ قام السيد جمال الدين الأفغانى بكتابة بحثه « الرد على الدهريين » وما كتبه الأستاذ الإمام فى الرد على فرح أنطون فى كتابه « الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية » والرد على هانوتو ، وجاءت بعد ذلك كتابات فريد وجدى ، ومصطفى الغلايينى ، ومصطفى السباعى ، ورشيد رضا ، والمودودى ، والندوى ، ومحمود محمد شاكر ، وسليمان الندوى ، وشكيب أرسلان ، وعباس العقاد ، والدكتور محمد حسين هيكل ، وعمرو فروخ ، وهلال الفاسى ، ومالك بن نبى ، وأبو زهرة وعشرات لا يحصيهم العد ، وكان من أعظم الأعمال التى قدمت أخيراً تلك الدراسة الضخمة التى أعدها مكتب التربية العربى لدول الخليج .

وكان للمؤتمر الذى عقدته ندوة العلماء منذ سنوات معدودة حيث تدارست فيه قضية « الإسلام والمستشرقون » بالغ الأثر فى تحديد وجهة هذا العمل الخطير .

وقد جرى العمل على تصحيح شبهات دائرة المعارف الإسلامية ودائرة المعارف الغربية ، فركز البعض على قاموس المنجد ، وراجع البعض الآخر مواد من دائرة المعارف الإسلامية ، وتناول باحثون آخرون أخطاء فليب حتى ، وكارل بروكلمان ، كما تناول الباحثون فى الموسوعة التى أشرنا إليها والتى صدرت تحت اسم « مناهج المستشرقين » فى مجلدين « ١٠٦٤ صفحة » قضايا : « القرآن - السنة - السيرة - العقيدة - القانون والشريعة - الفلسفة - اللغة والأدب - العلوم - الجغرافيا - النظام السياسى - الحياة الاجتماعية - الفن العربى الإسلامى - الاقتصاد والمعاملات البنكية - الحضارة العربية الإسلامية فى الاندلس » .

حيث تناولت بالرد المفصل آراء كبار المستشرقين فى نسق علمى رفيع كاشفة عن زيوف هذه الآراء وأخطائها .

ولكن هذا كله لا يكفى ونحن نطالب بخطوة إيجابية تحسم الموقف ، وتقدم مفاهيم العلوم الإسلامية صافية نقية وذلك حماية لإيمان الأجيال الجديدة من الشباب المسلم المتطلع إلى فهم حقيقة الإسلام ، فضلاً عما سيكون لذلك من أثر طيب فى حماية الجاليات المسلمة الجديدة فى الغرب ، والتى يصادم إيمانها ركام كبير من مفاهيم مختلطة بالوثنية والباطنية .

غير أن أخطر ما تقوم عليه دائرة المعارف الإسلامية هى الخلط بين قيمة الإسلام الحقيقية وبين تصورات المذاهب الهدامة ، والفرق الضالة وهو أمر أشار إليه كبار كتاب الإسلام منذ صدرت دائرة المعارف الإسلامية لأول مرة فكيف يمكن أن تدخل دائرة المعارف

الإسلامية دراسات مستفيضة عن القرامطة والقاديانية والحلول والاتحاد على النحو الذى نوه عنه العلامة فريد وجدى وهو : ظاهرة سيطرة البدع الدخيلة فى الدين الإسلامى على مواد الموسوعة باستفاضة مثيرة حتى ليظن الباحث أنها من أصول الإسلام ، فى حين تسطر هذه البدع على أنها من المعارف الإسلامية فإن الإسلام يبرأ منها وهو ما جاء إلا لمحاربتها .

وهذا يعنى القصد المتعمد فى الجمع بين أساطير البدع وحقائق الشريعة فضلا عن أن أكثر كتاب الدائرة قسس مبشرون يهمهم أن يتحيفوا الإسلام لا أن ينصفوه ، وقليل منهم من يتصف بالشجاعة العلمية فيتغلب على عناصر التعصب ، وليس كتاب الدائرة وحدهم من هذا النمط ، بل إن جل المشتغلين بالدراسات الإسلامية فى الغرب لا يتجاوزون صناعة التبشير تعرفهم من لحن القول ومنهم « توماس باترك هيوز » صاحب قاموس الإسلام وهو مرجع متداول لا تكاد تخلو منه مكتبة أوروبية وملء بالسموم .

وقد أشار باحثون كثيرون إلى أن ابرز نواحى الخطر فى هذه الدائرة : أن ما يترجم منها لا يرد عليه إلا ردوداً ضعيفة جانبية ، وبذلك تبقى هذه السموم الدخيلة على الإسلام قائمة باستفاضة شديدة فضلاً عن دعاوى كتاب الدائرة بأن ما يكتبون هى أصول مقررة لابدعا دخيلة .

ثم وجدت ترجمتها إلى اللغة العربية تقبلاً فى دوائر التعليم والثقافة حتى عدت فى بعض البلاد العربية على أنها « نص مقدس » يدافع عنه مسلمون معاصرون ، ويعجبون من مقولة تصحيح الأخطاء ومن وراء الموسوعة مؤسسات ضخمة تحميها من محاولة إدخال الحقائق إليها ولذلك فإننا يجب أن نصدر عن تحذير شامل لمثقفى الإسلام من اصطناع هذه الدائرة مرجعاً لها وأن يكونوا على وعى بالوجهة والهدف والأخطار التى تحملها فى طياتها ، وأن يكون واضحاً أن فكر الاستشراق يصدر عن جماعة من العاملين فى حقل اللاهوت أو حقل الاستعمار ، وأن الهدف الأساسى هو « التمويه » حتى لا يعرف المسلم حقائق دينه ، وأن يتسرب إليه الشك فى القيم الأساسية للإسلام ، وأن يزدرى قيمه ، ودينه ، وتاريخه ، ولغته ، ويتحول مثله الأعلى وجهة الغرب وحضارته وأبطاله . وأن فكر الاستشراق يتقدم إلى مباحثه بفكرة مسبقة وغاية واضحة ، وأنه يبحث فى نصوص الفكر الإسلامى ليجد ما يؤيد هواه ، ولا يمنع ذلك من تزييف النصوص واقتطاعها ، أو العمل على إيقاع التضارب بين الروايات.

ولا ريب أن الخلاف العميق بين العقائد والقيم والثقافات الإسلامية والغربية يحول تماماً دون فهم ابرز القيم الأساسية وهى الألوهية والنبوة والوحى والغيب والبعث والجزاء ، وهى القيم التى يصدر عنها مختلف المفاهيم الفرعية فى الأغلب ، وفى ظل التصور الغربى للدين ومن خلال مفهوم الفلسفة المادية وفى محيط الخلاف العميق بين دوائر العلم وبين الدين الغربى يبدو الأمر بالنسبة لحقائق الإسلام مضطرباً أشد الاضطراب .

وحتى لو سلمت النيات وخلصت الغايات

←

مسئولية الاستشراق وسموم دائرة المعارف الإسلامية

فإن هناك عناصر ثلاثة تحول بين الاستشراق وبين التعرف على وجه الحق فى الإسلام :

الأول : العجز عن الاستيعاب لمفاهيم الإسلام .

الثانى : الوجدان المسيحى بمفاهيمه ومشاعره .

الثالث : طبيعة الاستعلاء الغربى بالعنصر والجنس .

وليست المسألة فى هذا الأمر مسألة بحث علمى مجرد ، وإنما هو أمر متلبس بالعلاقات القديمة بين الشرق والغرب وبين الإسلام وأهل الكتاب ومـا يستعمل مصطلحـات المنهجية والعلمية والموضوعية إلا كوسائط للخداع والتضليل عن الغايات الحقيقية ، وذلك فى سبيل غاية معروفة هى دفع تيار الإسلام عن مثقفى الغرب من ناحية ، وتشكيك مثقفى الإسلام فى عقائدهم وقيمهم .

ولقد تبلورت الآن مفاهيم الاستشراق ودعاواه ، فلم يعد هناك جديد فيها وما تزال تتجدد فى الوسائط دون أن يخرج عما كان يقوله كرومر ودنلوب وزويمر منذ مائة عام :

أن القرآن من تأليف محمد ﷺ ، وأن الحديث النبوى من صنع الفقهاء .

وأن الشريعة الإسلامية مقتبسة .. من الديانات الأخرى .

وأن التشريع الإسلامى متأثر بالقانون الرومانى .. إلخ .. إلخ ..

وأن هناك إصرارا بالغا على إعادة تزويد هذه المفاهيم بالرغم من التحول الكبير الذى حدث فى أسلوب الغرب فى تقديم هذه الشبهات ، وبالرغم من محاولته تقديم أسماء جديدة « من العرب » فى كتابة مادة دائرة المعارف الإسلامية فى طبعتها الجديدة .

ولقد مد الاستشراق نفوذه إلى مختلف القضايا سواء بإحياء الدعوات الشعوبية القديمة ، أم مساندة الدعوات الجديدة : كالبهائية والقاديانية ، وكان له تأثيره على لغة الصحف بتحويلها ، عن العربية الفصحى إلى لغة أشبه بالعامية ، وما يتصل بالمسلسلات والمسرح والحوار القصصى ، وكل هذا بهدف إحداث فجوة بين لغة الكتابة والكلام ، وبين لغة القرآن الكريم فى طموح خطير إلى الفصل بينهما على النحو الذى حدث للغة اللاتينية ، كذلك جاءت محاولته التشكيك فى الشعر الجاهلى لإثارة الشبهة حول بيان القرآن الكريم ، ومن ذلك ما وجهوا إليه تلاميذهم من انتقاص الغزالى وابن خلدون وابن تيمية ، فضلاً عن أن يقضى أحدهم أربعين سنة فى إحياء تراث التصوف الفلسفى ولا يزال

أتباعهم يحيون مفاهيم القرامطة والزنج والباطنية ، ويدعون أنهم أهل العدل والحرية لا يزال الفكر المعتزلى يُرَثَّى ، لأن ذهابه وقيام مفهوم السنة هو الذى جعل الإسلام يتراجع ، تلك دعاوى العقلانيين والعلمانيين التى صنعها الاستشراق .

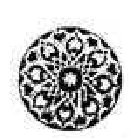
* * *

يقول العلامة أبو الحسن الندوى : إن دائرة المعارف الإسلامية التى ألفها المستشرقون والتى تعتبرها بعض البلاد الإسلامية اليوم أساساً للمعلومات الإسلامية كان من الواقع المأمول أن توضع موسوعات إسلامية أصيلة تعلم الباحثين المسلمين أصحاب الاختصاص فى الموضوعات الإسلامية ، لسد تأثير المستشرقين السلبى ، ولإصلاح هذا الفساد يجب أن يقوم علماء الإسلام ورجال البحث والتفكير بالكتابة حول الموضوعات العلمية ، وأن يقدموا المعلومات الإسلامية المؤكدة من وجهة نظر الإسلام الصحيحة ، وأن تكون كتاباتهم ممتازة من حيث أصالة التحقيق وسعة الدراسة وعمق النظر وتأكد المصادر وصحتها واستدلالها القوى ، ومما يجب أن يقوم به علماء الإسلام استعراض مؤلفات المستشرقين العلمية ومحاسبتها فى ضوء الحقيقة والواقع حتى يكشف الغطاء عن تلبيساتهم وأخطائهم فى فهم النصوص وبيان المعنى وكشف ضعف مصادرهم التى يعتمدون عليها وأخطاء النتائج التى يستنبطونها وأن يطلعوا الناس على ما يغمر كثيرا منهم فى نفوسهم من عداء للإسلام وما يكنون من أغراض سياسية ودينية فى خفايا دعوتهم وتربيتهم وكل ذلك مؤامرة على الإسلام والأمة الإسلامية يجب إحباطها .

ومن ناحيتنا نحن هنا فى الوطن العربى نحتاج إلى استيعاب الخطة التى قامت بها جامعة البنجاب فى لاهور فى إخراج الموسوعة على النحو الذى وصفه السيد أبو الحسن بأنه يتسم بكثير من الأصالة والتفتح والحذف والزيادة حتى أصبح الكتاب مستقلاً له قيمته العلمية .

هذا وبالله التوفيق ..

« أ . انور الجندى »



القرآن الكريم ومعرض تورينو

تعرض الكتاب العزيز لإساءة أحد مدعى الفن بمعرض تورينو بما قام به من رسوم على صفحات من القرآن الكريم . أحدثت بين المسلمين ثورة جامحة غضبا لكتاب الله وبخاصة حين ادعى المسئولون الإيطاليون انهم لا يستطيعون التدخل فى هذا الامر مما دفع الطلبة المسلمين إلى مهاجمة المعرض وتحطيم بعض اجزائه .

وكان للأزهر اسلوبه في معالجة هذا الامر ، وهو اسلوب يتم في غير إعلان ، وقد ادى الأزهر ما استطاع فى هذا الامر .

وقد تلقى مكتب وكيل الأزهر البرقية التالية من وزارة الخارجية بشان هذا الموضوع فى التاسع من رجب ١٤٠٨ هـ ـ ٢٧ ـ ٢ ـ ١٩٨٨ م

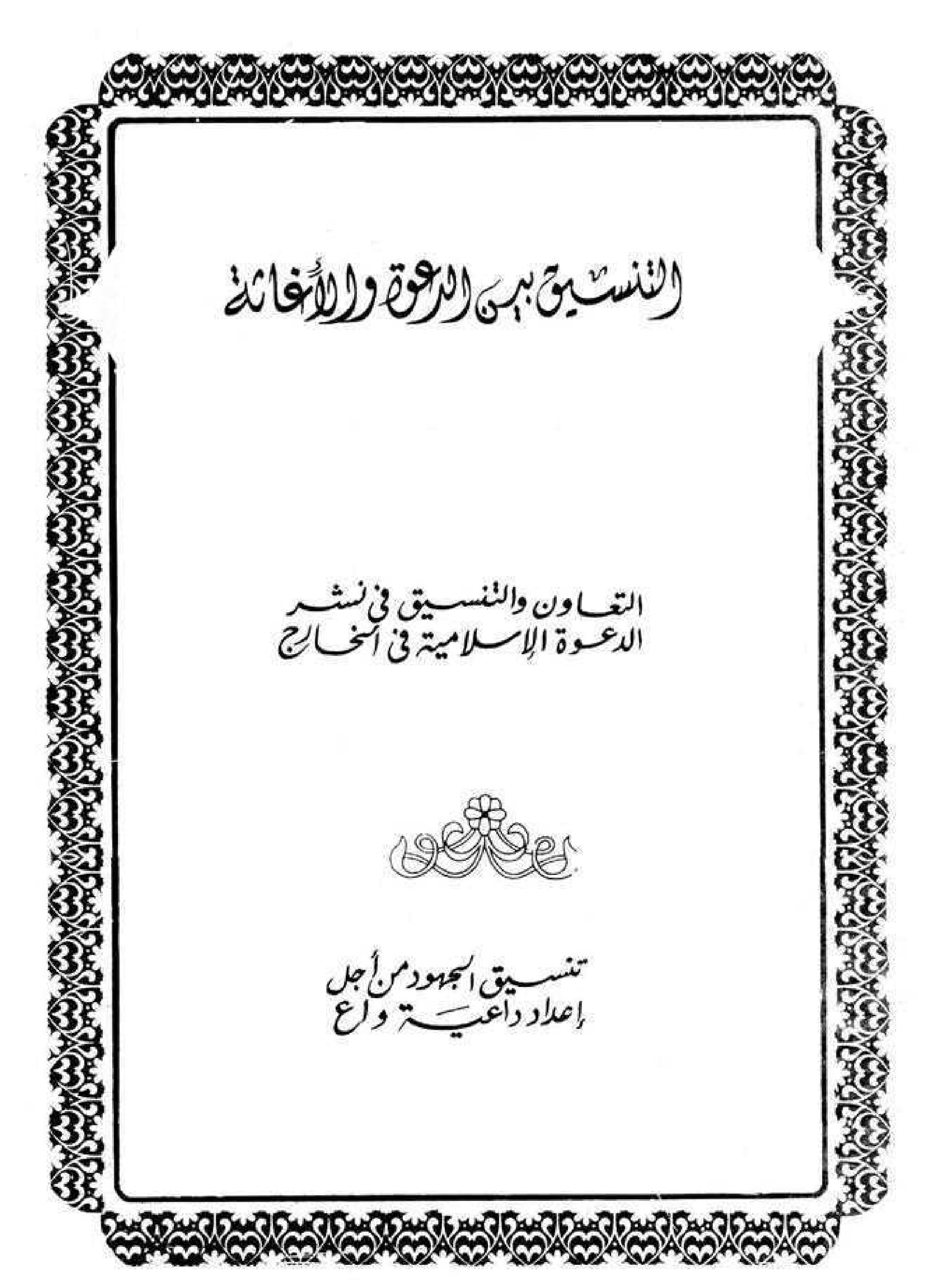
١ ـ سفراء الدول الإسلامية اجتمعوا فى روما وشكلوا وفدا لمقابلة السنيور انتربونى وزير الخارجية وتسليمه مذكرة تعبر عن استيائهم تجاه معرض تورينو .

٢ ـ وقد تمت المقابلة فى ١٩٨٨/٢/١٣ م .

٣ ـ وزير الخارجية الإيطالى اعرب عن اسفه وافاد بان حاكم تورينو قد اغلق المعرض كما أعلن الفنان انه لم يقصد الإساءة إلى الإسلام وانه على استعداد لمقابلة السفراء المسلمين لتوضيح موقفه .

وكل السفراء كلفوا المركز الإسلامى برفع دعوى امام القضاء .

١٩٨٨/٢/٢٥ الساعة الثانية بعد الظهر



التنسيق بين الدعوة والإغاثة

التعاون والتنسيق فى نشر الدعوة الإسلامية فى الخارج

تنسيق الجهود من أجل إعداد داعية واع

التنسيق بين

أجهزة الدعوة والإغاثة

تلك خلاصة عن البحث نقدم بعدها نصا من نصوصه بعنوان : الدعوة الإسلامية وجبهات المقاومة للإسلام .

الإسلام هو : مجموعة الأحكام والتشريعات التى تكفل للإنسان - كل إنسان - حياة طيبة فى الدنيا ، ونعيماً مقيماً فى الآخرة يوم ينظر المرء ما قدمت يداه .

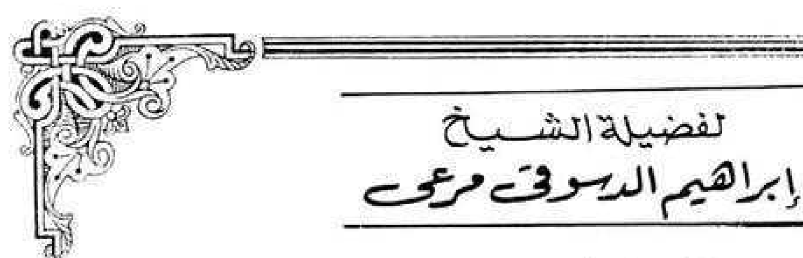
ولذا فإن حاجة البشر إليه تعتبر أمراً ضرورياً . فإنه لا يفرق بين أبيض وأسود أو عربى وحبشى ، ولا يمنع أن يستظل بلوائه متكلم بأية لغة من اللغات ، وهذه خاصية اختص الله بها الإسلام لتكون دعوته عالمية ، ونظرة عجلى إلى نظمه وقواعده ومبادئه تكشف لنا عن هذه الخصوصية التى لم تكن لغيره من الأديان ، فالديانتان السابقتان عليه كل منها خاصة بقومها وبعصرها المعين ، وهذه القضية قضية : « الإسلام هو الدين العالمى » من الأهمية بمكان ؛ وهى قضية بحاجة إلى دعمها بالأدلة حتى يُرَدَّ زعم من يقول : إن عالمية الإسلام فكرة لم تكن عند محمد - صلى الله عليه وسلم - حين أرسل إليه ، بل جاءت فى عهد خلفائه .

وهاهو القرآن الكريم مكيه يبين عالمية الرسالة : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ التكوير ٢٧ ، ومدنيه على ذلك : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ . وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ آل عمران ٨٥ .

وقال الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - : « إنى رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة » [رواه البخارى] .

والإسلام بحق دين عام خالد ، وقد تذرع بكل الأصول العليا التى تمكنه هذه المكانة ؛ فمثلا دعا إلى الوحدة الإنسانية ، وقرر أن أصل الأديان واحد ، ووجه دعوته إلى الناس كافة ، وطالب بنبذ التقليد ، وأوجب على كل (معتقد) البرهان والدليل ، وحض على طلب العلم والحكمة ، لا فرق فى ذلك بين ذكر أو أنثى .

وتحلى الإسلام - بكل ما يقيه شر الجمود والتحجر الذى تُمنى به التعاليم الدينية لتقف فى حيز محدود مع تقدم العلوم فى مدى العصور ، وتطور العقول بتوالى المتغيرات ، وهو عندما ينشر دعوته ينشرها بالإقناع ، وينهى عن الإكراه ، والأمة كلها مطالبة بإعداد فئة منها للقيام بواجب الدعوة ، الدعوة إلى كل ما هو خير .



والدعوة تشمل دعوة جميع الأمم إلى الإسلام . وهذا واجب المسلمين بمقتضى كونهم خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

ودعوة المسلمين بعضهم بعضا إلى الخير ولها مراتب : المرتبة الأولى : دعوة الأنبياء والمرسلين وهى أهم الدعوات ، المرتبة الثانية : دعوة العلماء وهم خلفاء أنبياء الله فى الأرض ، والمرتبة الثالثة : دعوة الحكام العادلين فهم خلفاء العلماء فى تنفيذ أحكام الله .

لقد عادت الغزوات التى وجهت إلى الإسلام سابقاً من داخل مجتمعه على يد المارقين من أبنائه ، ومن خارجه بالتشكيك فى أصله تارة ، وبالدعوة إلى الإلحاد تارة أخرى لتحل بذلك الآراء الهدامة محل الآراء الدينية ليسلخ المسلمون من مقومات شخصيتهم الأصيلة ، وليحصروا فى دائرة ضيقة بعيداً عن المجتمع تطبيقاً لمبدأ (فصل الدين عن الدولة) ، ولقد بدا ذلك واضحاً فى شروط الصلح مع تركيا فى مؤتمر لوزان عام ١٩٢٣ المعروفة بـ (شروط كرزون) .

والمجتمع الإسلامى لابد له من أن يتنبه إلى هذه المخططات ، ويعد لها العدة ، وقد تحتاج هذه العدة إلى استخدام سلاح مثل أسلحة العدو بالكلمة تارة وبالنزول إلى الميدان الاجتماعى تارة أخرى حتى تعود للمجتمع الإسلامى سماته .

المجتمع الذى يعرف فيه المسلم كفرد أنه خلق لعبادة الله ـ عز وجل ـ ، وأنه يقوم بالخلافة عن الله فى الأرض . فالعبادة والخلافة هما هدف المسلم ، وهدف المجتمع الإسلامى :

أما العبادة : فهى الجانب الروحى ، وأما الخلافة فهى الجانب المادى والعمل الصالح الذى يحقق هذه الخلافة التى شرفنا بها الله ـ عز وجل ـ وحيث المرء لا يستطيع القيام بأعباء الحياة وحده ويؤدى حق الخلافة عن الله بمفرده فإنه لابد له من الاجتماع والتعاون مع غيره من الناس ، ولقد بنى الإسلام كثيراً من تشريعاته الحكيمة على التعاون ليمكن له من النفوس ، ودعم روابط الأخوة بين الناس ، وخرج بها عن أن تكون بين المرء وعشيرته إلى أن تكون عامة بين بنى الإنسان . فاتسعت دائرة التعاون وكثر خيره . والتكافل الاجتماعى لازمة من لوازم الأخوة بل هو أبرز لوازمها وهو شعور الجميع بمسئولية بعضهم عن بعض ، وأن كل واحد

منهم حامل لتبعات أخيه ، ومحمول عليه يسأل عن نفسه ، ويسأل عن غيره ، وذلك قانون من قوانين الاجتماع الراقى ، وعنصر من عناصر الحياة الطيبة ، بل هو الأساس فى حياة الأمم ، وبقائها عزيزة كريمة لها هيبتها قائمة بواجبها على النحو الذى يحقق لها أمجادها ، ويفرض على الدنيا احترامها .

والتكافل إما تكافل مادى : وسبيله مد يد المعونة بإغاثة الملهوف وتفريج كربة المكروب وتأمين الخائف وإشباع الجائع ، أو تكافل أدبى بالتعليم والنصح والإرشاد والتوجيه .

وحتى تتحقق الأهداف المنشودة لابد من :

إنشاء مجلس أعلى للدعوة يضم ممثلين للدول الإسلامية ، وإنشاء صندوق للتضامن الإسلامى يكون الغرض منه الانفاق على الدعوة بانشاء مكتب فنى لتلقى التقارير ودراستها .

وإنشاء معهد للدعاة يستقبل أبناء المسلمين من جميع العالم الإسلامى .

ووضع دائرة معارف إسلامية تكون مرجعاً للراغبين فى المعرفة الحقة وتنقية الإسلام من كل دخيل .

والتوسع فى المنح واستقبال الطلاب الوافدين .

ودعم الإعلام الإسلامى من صحافة وإذاعة وتليفزيون ودور نشر ووكالات الأنباء ، والأخذ بيدها إلى الطريق السليم مع تطهيرها من كل ما يتعارض والقيم الدينية ، والدقة المخلصة فى اختيار القائمين عليها من بين المخلصين لدينهم وأوطانهم .

ثم ترجمة معانى القرآن الكريم ترجمة صحيحة سهلة مع وضع تفسير مبسط ، على أن تتم هذه الترجمة بأكثر من لغة توجه إلى البلاد غير الناطقة باللغة العربية .

قال الباحث :

الدعوة الاسلامية وجبهات المقاومة للاسلام وواجب المسلمين اليوم

فطنت الدول الإسلامية إلى ما يعترض سبيل الدعوة بين أبنائها محلياً وعالمياً فقامت هذه الدول كل بقدر استطاعته ـ بتجنيد الدعاة وبثهم فى محيط المجتمعات الإسلامية محلياً لحماية أفكارهم من الآراء الخاطئة أو الأفكار المتشنجة ، المتعصبة باذلة فى ذلك ما تستطيع .

وعلى الصعيد العالمى رأينا كل دولة توفد من رجالها الدعاة من يستطيع حفظ العقيدة على مسلمى الدول غير الإسلامية وتبصير أبنائها بشئون دينهم ودحض المزاعم الباطلة التى يفتريها أعداء الإسلام زورا على الإسلام وعلى نبى الإسلام ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وبالتالى يكشفون فى هذه التجمعات ما فى الإسلام من سماحة ويسر وما يحمله للبشرية من أمن وسلام وخير .

وكل ذلك جهد مشكور إلا أنه قليل الأثر فى تحقيق الهدف النبيل المرجو منه أمام

التكتلات القوية التى تناوئه وتعمل على إحباط عمله ، وإذا كان التاريخ يعيد نفسه فقد عادت الغزوات التى وجهت إلى الإسلام وحيكت المؤامرات من داخل المجتمع المسلم على يد المارقين من أبنائه ، ومن خارجه سواء بالسلاح المادى بإثارة الفتنة بين أبناء الإسلام وإغراء بعضهم ببعض حتى كانت الحروب التى تأكل الأخضر واليابس ، أو بالسلاح المعنوى بالتشكيك فى أصل الدين وبالدعوة إلى الإلحاد ومرة بالغزو الثقافى لتحل الآراء الهدامة محل الآراء الدينية ، وأخرى بالغزو الخلقى والاجتماعى ـ لينسلخ المسلمون من مقومات شخصيتهم الأصيلة ، وكذلك بالنظم السياسية وقواعد الحكم بمسمياتها المختلفة وعنوانيها الخلابة بعداً بهذه المجتمعات عن التشريع الإلهى الذى هو فطرة الله وبه صلاح الحياة وما بعد الحياة ، ولقد كان من أسوأ آثار هذه الموجة العاتية من العداء للإسلام وإضعاف شوكته وحصره فى دائرة ضيقة بعيداً عن المجتمع تطبيقاً لمبدأ فصل الدين عن الدولة هذا المبدأ المسموم الذى يعزل الدين عن الحياة .

ولقد بدا ذلك واضحاً فى شروط الصلح مع تركيا فى مؤتمر لوزان سنة ١٩٢٣ المعروفة بشروط كرزون الأربعة دليلاً على نوايا الاستعمار السيئة ضد الإسلام وهى :

١ ـ قطع كل صلة بالإسلام .

٢ ـ إلغاء الخلافة الإسلامية .

٣ ـ إخراج أنصار الخلافة والفكرة الإسلامية من البلاد .

٤ ـ اتخاذ دستور مدنى بدلا من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام .

وكان من آثار ذلك :

أ ـ الوقوف أمام كل حركة إسلامية تقوم على الدين .

ب ـ تفتيت الوحدة الإسلامية بخلق الفتن والمشاكل وإحياء القوميات المحلية للحيلولة بها دون قيام جامعة إسلامية عامة وليشغل المسلمون بعضهم ببعض .

جـ ـ وكان بعد ذلك إطلاق يد التبشير فى البلاد الإسلامية بوسائله المتعددة من مدارس ومعاهد وجامعات وملاجىء ومستشفيات ، وأقلام وصحافة وإذاعة ودور نشر وندوات ومؤتمرات وما شابه ذلك .

د ـ وبجانب التبشير لجأ إلى حيلة أخرى وهى العمل على إضعاف الشخصية الإسلامية أو القضاء عليها وإذابتها فى شخصيات أخرى ، والحد من التعصب لها والحفاظ على مقدساتها وإفساح المجال للأديان الأخرى أن تشق طريقها إلى أذهان المسلمين عن طريق المؤتمرات والندوات واللجان والجمعيات والمؤسسات التى ينشئونها بعناوين خداعة . وفى المجتمع الإسلامى الكثير من الكتب المترجمة عن الفكر الأوروبى والأمريكى وفيها أمور فى غاية الخطورة على العقيدة والسلوك .

كما غزت الأقلام الأجنبية حقل السينما العربية والإسلامية وفيها سموم كثيرة . والمجتمع الإسلامى لابد أن يتنبه إلى هذه

المخططات ويعد لها العدة حتى لا يفاجأ بها فينهار وتنهار معه القيم الإسلامية وبناء الإسلام العظيم .

هذه لمحة سريعة عن جبهات المقاومة للإسلام علاوة على التبشير الذى يريد أن يبسط سلطانه فى جميع بقاع الأرض ويتفنن فى اختراع الأباطيل ، وتضليل البسطاء فى قارات العالم ، وهم مع هذا لا يتورعون أو يخجلون أن ينفثوا سمومهم بين المسلمين انفسهم بأساليبهم الملتوية وخداعهم الماكر الأمر الذى يجب دراسته والتبصير بحيله وخداعه ، وكشف أكاذيبه حتى نحمى الدعوة الإسلامية والعقيدة من أن تهتز أو تتأثر بمثل هذه الترهات والأباطيل .

وقد نحتاج إلى استخدام مثل أسلحته فى اداء رسالتنا على الصعيدين الإقليمى والعالمى وذلك ما يحتاج إلى تكتل الجهود للحد من هذا السرطان المدمر .

وإن أسلحته لشتى فتارة بالكلمة وتارة بالنزول إلى الميدان الاجتماعى بالخدمات التعليمية ببناء المدارس والمؤسسات العلمية أو إنشاء الجمعيات الخيرية متعددة الخدمات أو المصحات والمستشفيات أو المساعدات العينية ، وغيرها للعاجزين ، ولمن نزلت بهم الملمات ومن خلال ذلك يقدمون ماشاءوا من الأباطيل والمفترات مغلفة بشتى المغريات .

واجب المسلمين اليوم

المسلمون أمة واحدة يقول تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾[1] وقد دعم هذه الوحدة بالعقيدة الواحدة التى تربط بين قلوب المسلمين على أى أرض عاشوا وتحت أى سماء وجدوا فهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

والمسلمون على الصعيد العالمى اليوم ومن يتأمل حالهم يرى واقعهم الأليم فى تخلفهم عن مواكبة مسيرة المجتمعات الحضارية وكيف أن هذه المجتمعات تمضى بخطى سريعة فى هذا المضمار . وبمقدار ما تصل إليه من تقدم تتسع الشقة بيننا وبين هذه المجتمعات .

وقد يثير هذا عند المسلم الغيور على دينه أن يتساءل عن سبب ذلك . وهل سببه كما يزعم أعداء الإسلام هو الإسلام ؟ أم أن لذلك سبباً آخر يرجع للمسلمين أنفسهم .

إن نظرة منصفة إلى أبعاد الحياة التى يعيشها المسلمون وما يعيش فيه غيرهم يجد لذلك أسباباً ملخصها :

١ ـ التقدم الملحوظ فى مضمار العلوم والمخترعات الأمر الذى حول الأنظار إلى زخارف الحياة ومباهجها وافتتن العالم بهذا التقدم بكل ما فيه من ألوان وفنون وتطور ، ولقد كان لذلك أثره فى ابتعاد الناس عن الدين وتعاليمه وهديه بل ربما نسوا الخالق وغرهم بالله الغرور .

والعالم الإسلامى جزء من هذا العالم يتأثر بكل ما يتأثر به الأمر الذى يجب معه مضاعفة الجهد من القائمين على أمر الدعوة إلى الله . بالدعاة أو بتوفير الإمكانات المادية من مال وغيره مع التخطيط السليم ، ووضع البرامج المنتجة ، واختيار الدعاة الأكفاء المخلصين لأداء هذا الواجب .

٢ ـ كان من آثار هذا التقدم المادى التأثير على مجرى حياة الإنسان وضعف المقومات الإنسانية فيه إلى حد أصبحت فيه الأثرة والأنانية وحب الذات شعار المجتمع الإنسانى ، وذلك يقتضى التجديد والابتكار فى أساليب الدعوة الإسلامية ، فهى الوسيلة المثلى لإعادة الإنسانية إلى فطرتها النقية الطاهرة أو تأمينها ضد كل عدوان يتهددها .

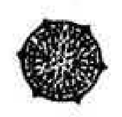
٣ ـ حب التقليد أمر طبعى فى الإنسان تتوارثه الأجيال جيلا بعد جيل . وقد عانى منه الرسول فى صدر الإسلام وهو الطاقة الكبرى اليوم على الأفراد والأسر والمجتمعات ، ولا طريق لمحاصرة هذا الوباء والقضاء عليه إلا بالدعوة إلى الله، وتعزيز وسائلها حتى نحمى المجتمع من سموم هذا التقليد لمبتكرات الحضارة الحديثة المدمرة للقيم والفضائل وتنشر فى دنيا الناس عبير الأخلاق الفاضلة وكريم الخلال ، ولا يعنى ذلك أن نقاطعهم بل نستفيد من خبرتهم ونخضعها لتعاليم الإسلام فى الاستعمال لخير الإسلام والمسلمين . وهناك أسباب أخرى ثانية منها :

١ ـ تفكك الجماعات وإثارة روح العداوة والبغضاء فيما بينها بدلاً من التعارف والتراحم والتواد والتواصل حتى عُمىَ على الجميع ما يدعو إليه الإسلام من الأخوة وأن المسلمين أمة واحدة ..

٢ ـ شيوع الخوف والقلق والذى عم العالم وأصبح همًّا لا يترك لأمة أو فرد فرصة إلى الاستقرار الأمر الذى يجعله من الخوف دائماً ولا همَّ له إلا بذل كل مرتخص وغال فى الإعداد والاستعداد لمواجهة ما قد يفجؤه على غير انتظار من الشر .

٣ ـ استثمار الحضارة الحديثة كأداة للإرهاب والتدمير بدلاً من استثمار ما جاءت به من علوم ومخترعات فى خير الإنسانية والأمن على مقدرات حياتها ، وذلك لا يزول إلا بالإيمان بالله وليس من سبيل إلى التمكين للإيمان وعمارة القلب به إلا الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ والتوعية الدينية المخلصة فهذه وحدها السبيل الأوحد إلى ذلك ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ سورة الرعد ؛ الآية : ٢٨ .

إبراهيم الدسوقى مرعى
وزير الأوقاف الأسبق





تنسيق الجهود من أجل إعداد داعية واع

إن تجمع العلماء فى مؤتمرات علمية إسلامية تدرس مشكلات الأمة الإسلامية ، وتضىء لها الطريق بالرأى والفتوى عمل مقدر وجليل .

﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾[1] .

وإن اجتماع الأمة الإسلامية حول مبادىء القرآن الكريم لهو غاية الغايات ، ومطلب أسمى تسعى إليه جهود الأوفياء المخلصين من علماء أمة الإسلام على مدى الأجيال المتعاقبة .

غير أن فكرة التصورات الأكاديمية وتوصيات المؤتمرات الإسلامية التى تنعقد فى فينات متتابعة من هذا العصر الذى تحياه لم تعد هى المطلب المرموق لواقع الأمة الإسلامية على امتدادها فى جميع قارات العالم .

إن الأمة الإسلامية تملك ثروات عديدة :

إنها تملك الثروة البشرية ، وتملك الثروة المعدنية والبترولية والزراعية وتملك الثروة الاستراتيجية ، بحسب ما وهبها الله - تعالى - من كثرة فى العدد وسعة فى الموارد وامتداد جغرافى فى أقطارها العالمية ، ولكنها تحتاج إلى إيجابية فى العمل للدعوة الإسلامية .. فواقعها الاجتماعى مزيج من الخلافات التى صارت لديها مادة تقليدية .

وواقعها الحيوى ضعيف : لبعدها عن استخدام أصول الحياة على النسق الربانى الذى رسم لها لتعمر هذه الأرض .

وواقعها الثقافى مشوش : لكثافة وجدانها بالخليط من التعاليم الأخرى . ومع هذا فإن علماء هذه الأمة مازالوا يحاولون التخلص من كل ذلك ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

وتلك المحاولة فريضة إسلامية ، « فإن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » إذن فإن فكرة مؤتمر إيجابى فعال للدعوة الإسلامية يجب أن تولد ، وفكرة مؤتمر إيجابى كهذا ليست فكرة

---

* الباحث : وكيل الأزهر

(١) سورة التوبة ١٢٢ .

للأستاذ الدكتور

رءوف شلبي*

مؤتمر أكاديمي تعد له الأبحاث، وتلقى ثم تناقش، ثم تطبع وتوزع.

لقد أنفقت المؤتمرات الأكاديمية جملة كبيرة من آلاف الجنيهات.. في سبيل أن تصدر أبحاثا قد يكون لها اتصال بواقع الحياة الإسلامية وفي سبيل أن تصدر توصيات وقرارات.. وهو عمل لا نقلل من أهميته ولكنه ليس هو مطلب الحياة المعاصرة للأمة الإسلامية.

هجمات التبشير:

إن الأمة الإسلامية في آسيا وأفريقيا تعاني هجوما عنيفا من التبشير:

تعانيه في مدارسه حيث تبتلع المدارس التبشيرية أبناء المسلمين، وهم في عجز كلي عن إقامة مأوى ثقافي لأبنائهم.

وتعانيه في الضغط الثقافي الذي يزاوله التبشير بنشر الكتاب والمجلة، والنشرات.. والندوات.

وتعانيه اجتماعيا بما يقدمه لها التبشير من خدمات صحية ومعونات متعددة الألوان والاتجاهات من المستشفى إلى لقمة العيش.. ثم بألوان شتى من المغريات من المنح الدراسية إلى المنح الجمالية..

والأمة الإسلامية وهي تعاني فنون المعاناة من نشاط التبشير تجدها منقسمة:

منقسمة في التفكير - منقسمة في النزعات - منقسمة في الأيدلوجيات.. والتبعية في وجودها العمراني.. والسياسي.. والاقتصادي.

ولهذا الانقسام مشارب، وله منابع.. ومن أوليات تلك المنابع المكتبة الاستشراقية الضخمة التي تعددت فيها المناهج لتحريف الإسلام عن موضعه القرآني وتشويهه عن جماله الرباني.. ومهما اختلفت درجات المستشرقين فإن القدر المشترك بينهم أنهم: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[٢]

إذن، فإن صورة المؤتمرات الإسلامية ينبغي أن تتجدد لتنقل أمة الإسلام من واقعها الميت إلى الواقع الإسلامي الذي أخبرها به الرحمن - جل شأنه - ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[٣] ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[٤].

والايجابية التي تدعو إليها، هي ايجابية تنفيذ لبرنامج يجابه جحافل الظلمات التي التفت حول الأمة الإسلامية.

---

(٢) سورة التوبة ٣٢.

(٣) سورة البقرة: ١٤٣.

(٤) سورة آل عمران. ١١٠.

الإيجابية التى نريدها :

وهذه الإيجابية هى تعديل فى اقتصاديات المؤتمرات ، وتوجيه الماليات التى تنفق على السفر والإقامة والتحضير وطبع البحوث والنشرات إلى برنامج تربوى يغطى حاجة المسلمين فى آسيا وأفريقيا .

وهذه الإيجابية يمكن تحقيقها بحيث تشمل :

١ ـ دراسة أحوال المسلمين فى كل قطر من أقطار آسيا وأفريقيا ، وكثير من هذه الدراسة موجود لدى المؤسسات الإسلامية مثل رابطة العالم الإسلامى ، والأزهر .

٢ ـ تحديد المشكلات التى تعترض الوجود الإسلامى لكل أمة فى بلدها وهذه المشكلات قد عرضها أبناء الوطن الإسلامى فى عديد من المؤتمرات العلمية الإسلامية ويمكن حصرها وتبويبها وترتيب أولوياتها .. إلخ .

٣ ـ رسم منهج ثقافى متكامل لكل بيئة خاصة ، يشمل : خطة الدراسة والمنهج والمنح الدراسية ، ونوعيات الكليات .. والمعاهد حسب حاجات البيئة .

٤ ـ طبع هذا المنهج الثقافى وإرسال البعثات الإسلامية لرعايته وتطبيقه ، بعد انتخابهم وتدريبهم ..

٥ ـ الإسهام بالخدمات الاجتماعية لتخفيف الضغط التبشيرى .

٦ ـ متابعة التنفيذ لهذه المشروعات لتقويمها وتعديلها .. والاستفادة من إنتاجها فى مشروعات أخرى .

● وهذه الإيجابية تحتاج أكثر ما تحتاج إلى :

١ ـ مال ... ويمكن توفيره بتضافر المؤسسات الإسلامية فى البلاد العربية والإسلامية ، عن طريق جمع المال فى صندوق واحد أو عن طريق الالتزام بتقديم نوع خاص من الخدمات الثقافية والاجتماعية ، تقوم به كل دولة بحيث تغطى الجانب الذى تقدر عليه ، ويكون ميسورا لها الاضطلاع به حسب مقدورها إن كان ماليا أو إن كان علميا .. إلخ .

٢ ـ هيئة علمية مركزة تضم أصحاب الخبرات فى العمل الإسلامى : لتشرف على تنفيذ المشروعات التى سترسمها بناء على الدراسات التى تصل إليها .

وليس مشكلا أن يُتَعَرف على مشكلات العالم الإسلامى .. فلقد أَنَّ كل قطر باحتياجاته ، وصرخ بما عنده من آلام ، وعرض ما يعانيه من مشكلات ..

وأمر تنفيذ هذه الإيجابية سهل ميسور ، فكل مؤسسة إسلامية لها ميزانية ولها نشاط فإذا توجَّه هذا النشاط فى أسلوب منسق ، واقتسمت الإدارات الإسلامية تنفيذ احتياجات العالم الإسلامى أمكن أن ينجح المؤتمر الإيجابى الفعال للدعوة الإسلامية ، وأمكن أن تقدم للدين حقه الذى ألزمنا الله ـ تعالى ـ به : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[٥] .

---

(٥) سورة فاطر ٣٢ .

وأمكن بهذا الأسلوب أن تحقق الإدارات الإسلامية فى الأمة الإسلامية وجودها الإسلامى .

وهذا الأمر يتطلب من هذا المؤتمر الجاد المصمم على خدمة الدعوة الإسلامية أن يتخذ قرارات حاسمة من أجل إنشاء صندوق لخدمة المسلمين والدعوة الإسلامية تتجمع فيه :

أ ـ المعلومات عن أحوال المسلمين وبخاصة الأقليات والمواطن التى يعمل فيها التبشير .

ب ـ الإمكانات المادية والمالية التى تغطى حاجيات العوز والنكبات الطارئة ورعاية المحاويج .

جـ ـ الطاقات العلمية : والإدارية والفكرية التى تسهم فى سرعة توصيل المعونات المطلوبة : علمية أو اجتماعية إلى مستحقيها .

اخلاص النوايا :

ولا تحتاج هذه الإيجابية فى تحقيقها إلا إلى :ـ

* إخلاص النيات لله رب العالمين .
* وأن ينعقد العزم على توجيه العمل عبادة لله وحده .
* وأن يهتم العلماء بشئون المسلمين على مستوى : « من نفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » رواه مسلم فى كتاب الذكر .
* وعلى مستوى : « ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » متفق عليه ورواه البخارى فى كتاب الأدب ومسلم فى كتاب البر .
* وعلى مستوى : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما »

رواه البخارى فى كتاب المظالم

* وعلى مستوى : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » . حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده ١/١١٩ حديث رقم ٩٥٩ ب شاكر .
* وعلى مستوى : « والله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه ».

رواه أحمد فى مسنده ٢/٢٧٤ ومسلم فى كتاب الذكر .

وفى رواية مسلم حدثنا جرير عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله ، ولا تفرقوا .

ويكره لكم : قيل وقال : وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » رواه مسلم « فى كتاب الأقضية باب النهى عن كثرة المسائل من غير حاجة » .

صفات الداعية :

أما فيما يتعلق بالمواصفات الضرورية للداعية فهى :

أولا : فى الشروط الواجب توافرها فى الداعية :

أولا : الصفات الذاتية :

١ ـ الذكاء ، ولهذا فإن المتقدمين لكليات الدعوة الإسلامية ينبغى أن يختاروا عن

طريق الاختبار الشخصى عند الدخول .

٢ ـ القدرة على التصرف فى الموقف ، ولهذا يجب أن يكون منهج الدراسة عمليا ، وأن يكون السكن تحت إشراف الكلية المعنية بالتربية .

٣ ـ دماثة الخلق .

٤ ـ قوة احتمال الشدائد .

٥ ـ حسن الهيئة .

٦ ـ طلاقة اللسان .

٧ ـ غير ميال للكسل ، طموح ، ومؤمن ، ومضح .

٨ ـ أن تكون شخصيته اكبر من مغريات الماديات ...

٩ ـ أن يكون كريما .

ثانيا : الصفات الثقافية :

١ ـ أن يكون حافظا للقرآن الكريم .

٢ ـ مدركا لأحاديث السنة النبوية .

٣ ـ عارفا لفنون الفقه الإسلامى .

٤ ـ محيطا بالسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين .

٥ ـ أن تكون له دراسات بقواعد علم الاجتماع ومدارسه ونظرياته .

٦ ـ له دراسات للتيارات المخاصمة للإسلام ، واقفا على مبادىء المنظمات المجابهة له .

٧ ـ لديه خبرة بالعمل مع الجماعة .

٨ ـ ذو منهج فى تبليغ الدعوة .

ثالثا : الصفات الأسرية :

أن يتمثل فى سلوك الأسرة كل مبادىء الإسلام تطبيقا متكاملا ..

رابعا : الصفات الاجتماعية :

١ ـ أن يكون ودودا يحب إقامة صلات طيبة .

٢ ـ أن يكون حدوما للناس .

٣ ـ أن يكون معطيا غير مكافىء ، (موطأ الأكناف من الذين يألفون ويؤلفون) .

وهذه الصفات المطلوبة فى الداعية لا يتأتى لنا معرفتها إلا عن طريق إعداد تربوى ميسر بحيث تكون المؤسسات التربوية التى تعد الداعية لديها جهاز تربوى منذ السن المبكرة لمعرفة سجايا وملكات النفس وسلوكيات الذين يربون للعمل فى الدعوة بمعنى أن من لا تبدو عليه ملكات رفيعة وأخلاقيات نبيلة وتصرفات سامية لا ينبغى أن يستمر فى مرحلة الإعداد ليكون داعية ، فالتنقية أمر لازم فى إعداد القيادات ، والترقيع والإصلاح فى مجال التربية لا يفيد فإن ما بالطبع لا يتخلف وهذه مرحلة حاسمة فى اختيار الداعية بحيث نكون صادقين فيها وغير مجاملين .

اعداده جامعيا :

الأستاذ :

أما تربية داعية فليست كتربية مدرس أو مهندس أو طبيب إنما هى تربية لخلافة النبوة الكريمة فى اداء الرسالة ، ولهذا يتطلب الأمر فى إعداد الداعية أن تكون تربيته على يد أفذاذ من رجالات العلم والأخلاق وفضائل المحامد .

فإن الأستاذ قدوة لطالبه ، والطالب ظل لأستاذه ، وإذا كان الظل لا يستقيم والعود أعوج فكذلك الطالب لا يستقيم إذا كان الأستاذ أعوج ، ومن أوليات العوج فى الأستاذية أن يقول الأستاذ ما لا يفعله وهو أمر ممقوت عند الله وعند رسوله .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾(٢ ـ ٣ الصف) .

ولهذا فإن اختيار الأستاذ للعمل فى تربية الدعاة أمر خطير وجليل أكثر خطراً من اختيار الطالب نفسه لأنه النبع الذى يغذى والمرعى الذى ينبت العقل والفكر والأخلاق والقدوة التى تغرس القيم والسلوك والمحامد .

السكـــن :

وإذا كنا جادين حقا فى إعداد داعية فيجب أن يكون منهج الإعداد الأكاديمى قسيماً لمنهج حياته المعيشية فلا يترك الطالب بعد الدراسة يسبح فى الحياة كيفما شاء ، بل لابد له من سكن خاص يزاول فيه بقية المنهج الذى يجب أن يعد له ليكونه أخلاقيا وسلوكيا ولا يترك له أدنى وقت ليضيعه سدى بل يجب أن تحسب عليه كل دقيقة حتى فى مجال الترويح الذى يعد له داخل السكن ، وأن يعد له جدول يومى ليكون منظما دقيقا واعيا محترما للزمن واعيا لحصاد الوقت فاهما لقضايا عصره مدركا لأساليب العمل التى يجب أن تتنوع بتنوع البيئة والزمان والمكان ، والظروف والأحوال وأن تحسب عليه أوْ له علاقته مع إخوانه من حيث الجود النفسى والفسحة العقلية ، وكيفية رد الإساءة ، ومقابلة الحسنة وأسلوب التعبير فى الفرح وفى الحزن ، فى الغضب ، وفى الشدة ، فى السراء وفى الضراء ، وكيف يكظم غيظه ، وكيف يعفو وكيف يحاسب .. الخ الأمور التى تفرز لنا داعية يصح أن يضطلع بأعباء الرسالة الإسلامية الخاتمة .

خامسا : اعداده قبل سفره :

ينبغى أن يعد الداعية بعد الانتهاء من دراساته الجامعية الأولى ، يختار أولا حسب القواعد السالفة بواسطة امتحان الذكاء .. وبعد أن يجرى عليه بحث اجتماعى من حيث وضع الأسرة ، ثم تنظم له دراسات وتدريبات عملية كالآتى :ـ

أولا :

١ ـ حسب تقسيم المناطق التى سيرسل إليها الدعاة يقسم الدعاة إلى مجموعات .

٢ ـ كل مجموعة تدرس جغرافية وتاريخ واقتصاديات ولغة وتقاليد وعادات وتيارات السياسة والفكر للمنطقة التى سيرسلون إليها .

٣ ـ ينظم لهم برنامج عبادى : جماعى لتأدية فرائض الإسلام وسننه ، لمعرفة مدى قدرة الداعية على تطبيق الإسلام على نفسه واستعداده لذلك .

٤ ـ تستمر هذه الفترة إلى عام مثلا ...

٥ ـ يقدم الداعية فى نهايتها بحثا عن منهجه للعمل فى هذه المنطقة كجزء من الامتحان الذى يؤديه فى آخر العام .

ثانيا :

ما ينبغى أن يكون له من حقوق :

١ ـ يهيأ له جو مالى ، يضمن له استقراره

النفسى ويضمن لأسرته القدرة على أن تكون أسرة داعية ، يفتح بيته للجميع .

٢ - يعاون فى عمله بالاستجابة لاقتراحاته التى سيستخلصها من عمله فى البيئة التى بعث إليها .

٣ - ترتبط سياسة توزيع المنح الدراسية بنشاطه ، ويكلف باختيار العناصر الأجود للدراسة بالجامعات الإسلامية المشتركة بلادها فى تنفيذ هذا المنهج .

خطة عمل مرحلية :

ثالثا :

فى صيانة المجتمعات الإسلامية :

يقسم العمل بين المؤسسات الإسلامية التى ستقبل تنفيذ خطة خدمة الدعوة كالآتى :ـ

١ - إحدى المؤسسات الإسلامية تتكفل بإعداد وطبع كتب دراسية للفقه مثلا لإحدى مناطق العمل فى البلاد والمناطق التى يخدمها النشاط الإسلامى .

٢ - إحدى المؤسسات الإسلامية فى بلد آخر تتكفل بإرسال المدرسين .

٣ - إحدى المؤسسات الإسلامية فى بلد آخر تتكفل بتمويل المشروعات الاجتماعية كالمستشفيات وبناء المدارس ... و ... الخ .

٤ - تنفيذ هذا الجزء من خطة العمل المرحلية فى المناطق الإسلامية التى ترزح تحت وطأة التبشير بمدارسه ومؤسساته .

وبعـــد :

ياأيها العلماء الأجلاء والوجهاء الكبار إن الحق يناديكم :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [١٠ - ١١ الصف] .

ومن ثنايا هاتين الآيتين الشريفتين تستمع القلوب إلى هذا النداء الحبيب من الرحمن الرحيم لربح عظيم بتجارة أمينة مع الله مضمونة العواقب نفيسة الغايات جليلة الأهداف .

* تؤمنون بالله ورسوله .

* وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم .

ولقد قالها السلف الصالح يوم أن بايعوا على السمع والطاعة فى المنشط والمكره وقالوا : « ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل » .

والأمة الإسلامية المعاصرة مدعوة من الرحمن الرحيم الذى أغدق عليها الأرزاق من كل صوب وحدب لتقيم من جديد فى حياتها الإسلامية تجارة رابحة مع الله ، ولقد أتيحت

الفرصة للأمة الإسلامية أن تلتقى فى صعيد واحد فى رحاب الأزهر الشريف من خلال أئمتها وعلمائها ووجهائها لمدارسة قضايا الدعوة الإسلامية للوصول إلى أنجع الوسائل للنهوض بها منهجا ، وأسلوبا ، ورد كيد الكائدين للإسلام وأهله .

فاغتنموا هذه الفرصة أيها السادة المجتمعون : واصنعوا شيئا لدينكم وجماعتكم فيوم تبلى السرائر فلن ينفع إلا من اتى الله بقلب سليم وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين .

وفى آخر حديثى

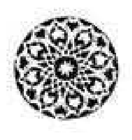
استاذن أصحاب الفضيلة والوجاهة فى هذا المؤتمر أن اتقدم باقتراحين :

الأول : ضرورة إنشاء صندوق لتمويل الدعوة الإسلامية يكون مقره فى الأزهر الشريف على أن تشكل له هيئة وتوضع له لائحة .

الثانى : ضرورة إنشاء بنك للمعلومات تيسر على العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية مجال الخدمات وأنواعها وظروف المجتمعات الإسلامية واحوال الأقليات الإسلامية وما يتطلبه الموقف من إجراءات فإن المعلومات فى العصر الحديث هى الخطوة الأولى فى تشخيص السلوك المطلوب لأداء الخدمات .

والله ولى التوفيق

ا . د / رءوف شلبى



التعاون والتنسيق في



في الخارج

عني الباحث في هذه الدراسة بتقديمها في فقرات عدة :

بدأ بمقدمة وجيزة أشار فيها إلى حاجة الدعوة إلى التنظيم في ممارستها ونشرها مشيراً إلى هيئات ومنظمات ومؤسسات إسلامية عديدة لبعضها صفته الدولية نشطت في الربع الأخير من هذا القرن في هذا الميدان وأسهمت إلى حد كبير في تعميق التعاون في العمل الإسلامي ، وكل هذه المنظمات تعنى بتنمية المسلم فردياً وجماعياً على الأساس الإسلامي في جميع مجالات الحياة ، وقال - في مقدمة ذلك : « ونحن نستهدف أن يكون التعاون في ممارسة الدعوة ونشرها خارج العالم الإسلامي داخل نظم وإطارات متفق عليها » ، ثم يقول عن هذه المنظمات : « يمكنها أن تقدم الكثير إذا نجحت في التنسيق بين نشاطاتها وبين الاحتياجات المختلفة في هذه النواحي داخل كل بلد إسلامي أو أقلية إسلامية .

ثم تناول في فقرة : « التعاون والتنسيق : أهدافه ومشكلاته » ضرورتهما - أي التعاون والتنسيق - في العمل الداخلي والخارجي على السواء موضحاً يسر ذلك بين المنظمات داخل البلد الواحد ، فأما في المجال الخارجي فإنه يلقى صعوبة لسببين :

الأول : عدم توافر المعرفة والمعلومات لدى كل منظمة أو هيئة عاملة في حقل الدعوة عن مثيلاتها في الخارج وهذه المعلومات حين تتوافر تعين في تحديد المشاكل وإيجاد الحلول واكتشاف طرق التعاون والتنسيق بين تلك المنظمات .

الثاني : أن وجود الهيئات والمنظمات داخل البلد الواحد يجعلها بالضرورة خاضعة لسلطة تنظيمية واحدة وربما سلطة إدارية واحدة فيجعل التنسيق والتعاون بين هذه المنظمات داخل إطار ، أمراً سهلاً .

ثم تناول موضوع التعاون والتنسيق بين المنظمات الإسلامية من ناحية النشاط الخارجي لها فتحدث عن مشكلات هذا التعاون والتنسيق ، ثم تحدث عن أهداف التنسيق المطلوب وركزها في أربعة : أن يكون أسلوب الدعوة متفقاً عليه ، وأن تتحدد -

للأستاذ المستشار

جمال الدين محمود

بصفة واضحة ـ الأنشطة التى يمكن التعاون والتنسيق فيها وأن يهدف التعاون والتنسيق إلى توفير جهد الدعاة وجعله مثمراً إلى أقصى حد ، ورابعها التكلفة المالية التى هى ضمن أهداف التنسيق والتعاون . وجعل النظر فيها يؤدى إلى تحقيق الاهداف وجعلها أقل فى المجموع .

ثم تناول فى دراسة تطبيقية الحديث عن أهم المنظمات الإسلامية الدولية التى باشرت نشاطا تخطى حدود بلدها فبدأ برابطة العالم الإسلامى بمكة فتحدث عنها ، وعن التشكيلات المنبثقة منها ، فمنظمة المؤتمر الإسلامى ، ثم المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم بالمغرب ، فمنظمة اتحاد الإذاعات الإسلامية بجدة ، فمنظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم ، فمنظمة الاتحاد الإسلامى العالمى للطلاب ، فالهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ، فمنظمة العواصم والمدن الإسلامية ، وانتهى إلى الحديث عن خطة التعاون والتنسيق ـ قال الباحث :

خطة التعاون والتنسيق

أشرنا فيما سبق إلى مشكلات التنسيق والتعاون بين المنظمات الإسلامية وإلى الأهداف المطلوبة منه ثم عرضنا لمجموعة من المنظمات الدولية الإسلامية لا خلاف فى نشأتها وأهدافها وصفتها الدولية (بمعنى امتداد انشطتها خارج المجال الإقليمى لدول معينة) . وهذه المجموعة تشمل منظمات تتعدد أنشطتها العلمية والعملية وتختلف طرقها ووسائلها لتحقيق أهدافها ويمكن أن يضاف إليها كل المنظمات والهيئات والمؤسسات الإسلامية المناسبة وباستعراض الأنشطة الرئيسية فى عمل مجموعة المنظمات المختارة سابقاً تبين الآتى :

أولاً : أنها جميعا لها أنشطة علمية وأنشطة عملية ـ ويلاحظ أن الأنشطة ليست مقصورة على علوم التراث الإسلامى (مثل التفسير والفقه) إذ أن بعضها يهتم بالعلوم الطبيعية والفنون (المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم) كما أن بعضها الآخر تتركز أنشطته العلمية فى صورة وسائل معينة كالبث الإذاعى أو التليفزيونى ـ (منظمة اتحاد الإذاعات الإسلامية) وتتميز بعض المنظمات بأن نشاطها فى الدعوة الإسلامية بارز وظاهر ويغطى جميع وسائلها وهو الهدف الرئيسى وتعتبر هذه المنظمات هى النموذج الأمثل فى منظمات الدعوة الإسلامية ذات الصفة الدولية (مثل رابطة العالم الإسلامى والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة) ومن الملاحظ أن الأنشطة العلمية بهذه المنظمات تغطى احتياجات المجتمعات الإسلامية الفقيرة فيما يعتبر من مقاصد الدعوة الإسلامية عامة إذ يجب أن ينظر إلى جانب أساليب الدعوة ووسائلها إلى ناحية

أخرى هامة هى مقاصد الدعوة العامة ـ وهى نشر الإسلام وتنمية الفرد والجماعة المسلمة (فى صورة تجمع إسلامى أو أقلية إسلامية أو شعب مسلم) ويتبين من مجموعة المنظمات التى أوردنا موجزا فى التعريف بها أنها بصفة عامة تمارس أنشطة علمية وعملية وتغطى هذه الأنشطة داخل نطاق الدعوة الإسلامية ومقاصدها المجالات الآتية :

١ ـ أنشطة دينية تتمثل فى نشر المصحف الشريف والعلوم الدينية (فى أحكام العبادات والمعاملات) والمجالات الإسلامية وإنشاء المساجد والمراكز الإسلامية .

٢ ـ أنشطة ثقافية تتمثل فى نشر الثقافة الإسلامية بالكلمة المسموعة والمذاعة بمختلف الوسائل وتقديم المنح الدراسية لأبناء العالم الإسلامى وإقامة الندوات والمؤتمرات لبحث ومناقشة القضايا الإسلامية والحفاظ على التراث الإسلامى (العلوم اللغوية والفقهية والتاريخية والتربوية وغيرها) .

٣ ـ أنشطة اجتماعية تتركز فى الاتصال بالتجمعات الإسلامية والأقليات الإسلامية فى بلاد العالم المختلفة ومحاولة تنمية المجتمعات الإسلامية (عن طريق المشروعات المتكاملة دينيا وثقافيا واجتماعيا كالمدارس والمستشفيات) ومعاهد التدريب ومواجهة المحن والكوارث ومساعدة الأسر الفقيرة فى التجمعات والأقليات أو البلاد الإسلامية .

٤ ـ أنشطة سياسية وهى فى عمومها تهدف إلى خدمة الإسلام والمسلمين على المستوى الدولى .

متطلبات تنفيذ البرنامج :

يتطلب تنفيذ برنامج التعاون والتنسيق بين المنظمات الإسلامية العاملة فى حقل الدعوة الإسلامية بمعناها الواسع خارج النطاق الإقليمى أن تتوافر عدة شروط :

أولها : وضع معايير محددة توضع فى الاعتبار عند الاتصال للتعاون والتنسيق بين المنظمات سالفة الذكر مثل نسبة المنظمات إلى دولة معينة أو هيئة دولية أو مؤسسة دينية معترف بها (داخلياً وخارجياً) وكذلك على بنية نظامها التأسيسى ومصادر تمويلها والمراكز الرئيسية التى تتولى قيادتها .

ثانيا : وجود إدارة خاصة للاتصال والتنسيق داخل منظمات الدعوة الإسلامية التى تمارس نشاطها خارج النطاق الإقليمى .

ثالثا : دراسة وثائق إنشاء وتأسيس المنظمات الإسلامية سالفة الذكر للتبادل فيما بينها والاتفاق على المجالات التى يتم التعاون والتنسيق خلالها وذلك من واقع أهداف المنظمة ووسائلها وخبراتها السابقة .

خطوات تنفيذ البرنامج :

يمكن أن نحدد ـ بناء على التعريف الذى صدر ببعض المنظمات الإسلامية ذات الصفة الدولية ـ بعض الأنشطة التى تحتاج إلى التعاون والتنسيق فى المرحلة الأولى سواء كانت هذه الأنشطة علمية أو عملية وهذه الأنشطة هى :

أولاً : تبادل المعلومات ويمكن البدء بتبادل وثائق التأسيس والتعريف بين المنظمات

وبعضها ثم تبادل المعلومات بشأن المسائل الآتية على وجه التحديد :ـ

١ ـ المراكز الإسلامية التابعة لهذه المنظمات أو التى تشرف عليها ماليا أو ثقافيا أو تدعم بأية صورة من صور الدعم .

٢ ـ المناطق التى تحتاج إلى إقامة المساجد التى تكفى الأقليات أو التجمعات الإسلامية فى الدول غير الإسلامية .

٣ ـ الأقليات أو التجمعات الإسلامية فى دول أوروبا والأمريكتين وأوضاعها وظروفها (الدينية والثقافية والاجتماعية) واحتياجاتها من الدعاة أو المطبوعات .

٤ ـ المنح الدراسية التى تقدم سنوياً من هذه المنظمات وأنواعها ومجالات الدراسة وتوزيعها الجغرافى على البلاد الإسلامية والأقليات والتجمعات المسلمة فى البلاد غير الإسلامية .

٥ ـ المطبوعات التى أصدرتها تلك المنظمات باللغات الحية ومدى توزيعها وتأثيرها فى البلاد غير الإسلامية وبين الأقليات والتجمعات الإسلامية ..

ثانياً :المنح الدراسية :

تتولى المنظمات الإسلامية (مثل رابطة العالم الإسلامى والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة وغيرها) دراسة الاحتياجات البشرية من أبناء العالم الإسلامى فى دراسات معينة علمية وعملية وفى الدراسات الدينية وغيرها . وتحدد بالتعاون الأعداد التى يمكن تقديم المنح الدراسية لها (من البلاد الافريقية والآسيوية والأقليات والتجمعات الإسلامية) والبلاد التى يكون بها مقر الدراسة وأوجه رعايتها وتوجيههم ومتابعة نشاطهم بعد ذلك فى بلادهم فى مجال الدعوة الإسلامية والتعاون فى مجال المنح الدراسية هو الصيغة السائدة المعاصرة فى المنظمات الدولية التى تتولى هذا النوع من المعونة الثقافية وفى مجال الدعوة الإسلامية فإن الهدف هو :

تنمية الفرد المسلم والجماعة المسلمة ثقافياً ويمكن بالتعاون والتنسيق بين المنظمات الإسلامية التى تقدم المنح الدراسية لأبناء العالم الإسلامى أن تتحقق أقصى فائدة لهذه المنح عن طريق التنسيق والتعاون بينها .

ثالثاً :المطبوعات :

يمكن البدء بتبادل قوائم المطبوعات والمجلات التى صدرت عن المنظمة الإسلامية المعينة والخاصة بالتعريف للإسلام والتى نشرت باللغات الحية ويتم التعاون بين المنظمات فى تحديد الموضوعات والمواد العلمية وطريقة الإصدار ونظم التوزيع فى البلاد غير الإسلامية .

رابعا :المؤتمرات :

يجرى الاتصال بين المنظمات المعينة بخصوص المؤتمرات الإسلامية التى عقدت فى السنوات العشر الأخيرة عن طريق هذه المنظمات والبلاد التى عقدت فيها والقضايا التى عرضت للبحث والمناقشة فى هذه المؤتمرات . ويمكن التعاون بين المنظمات

التعاون والتنسيق في نشر الدعوة الإسلامية في الخارج

الإسلامية ورسم خطة مستقبلية بالمؤتمرات الإسلامية تراعى فيها التنسيق من ناحية أماكن عقد المؤتمرات وموضوعاتها ومتابعة توصياتها ونتائجها .

ضمانات تنفيذ برنامج التعاون والتنسيق

كان الهدف الرئيسى من البحث أن يكون اقتراحاً عملياً لتحقيق الهدف المطلوب وهو التعاون والتنسيق بين منظمات الدعوة الإسلامية ـ واخترنا من بين هذه المنظمات امثلة لمنظمات إسلامية تقوم بالعمل فى حقل الدعوة الإسلامية بمعناها العام الواسع والذى نستطيع تحديده بأنه « التعريف بالإسلام عقيدة وأخلاقاً وشريعة وتنمية الفرد والمجتمع المسلم مادياً وروحياً » وهذه المنظمات كما يتبين من التعريف الموجز بها تقوم بأنشطة علمية وأنشطة عملية تغطى أهداف الدعوة الإسلامية بوجه عام .

ولذلك فإن البحث عن كيفية التعاون والتنسيق فى المستقبل كان رائدنا ولم نر بأسا من دراسة نظام بعض المنظمات الدينية دراسة عامة ـ « حتى ولو لم تكن إسلامية » بقصد اكتشاف طرق ووسائل جديدة أو حتى لمعرفة كيفية أدائها لعملها خارج النطاق الإقليمى للبلاد التى تنتسب إليها أصلاً .

ولابد من الإشارة إلى وجوب توافر بعض الضمانات لإمكان البدء فى التعاون والتنسيق بين المنظمات الإسلامية تعاوناً فعالاً .

أهم الضمانات :

أولاً : الابتعاد عن وضع الأنشطة الخاصة بالدعوة الإسلامية ـ خارج النطاق الإقليمى لدولة المنظمة ـ فى صورة إقليمية أو وطنية بحتة من حيث الأهداف إذ المفروض فى التعاون أن يكون الهدف فى الخارج هو نشر الدعوة الإسلامية وتنمية المجتمع المسلم روحياً ومادياً « فى صورة اقلية إسلامية أو تجمع إسلامى » .

ثانياً : هناك دول إسلامية تتمتع دولياً بالاحترام الكبير والتقدير بما يتعلق بأنشطة الدعوة ولا سيما العملية منها ـ مثل الدعم المادى والثقافى مثل المملكة العربية السعودية ـ مصر ـ ودول الخليج عامة وسوف يكون للتعاون بينها أثره الكبير فى دفع التعاون والتنسيق خطوات كبيرة ـ إذ ان كثيراً من المنظمات التى تتبع دولاً أخرى ـ ولها دورها فى مجال الدعوة الإسلامية بوجه عام خارج النطاق الإقليمى ـ سوف تجد هذا التعاون مكملاً لأنشطتها وباعثاً لها على اتخاذ التنسيق فى العمل الإسلامى منهجا وطريقاً .

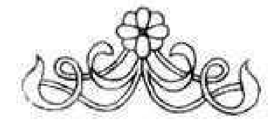
ثالثاً : دراسة المشروعات المتكاملة التى تتضمن نشر الدعوة الإسلامية فى المجتمعات غير الإسلامية وتنمية الفرد المسلم والمجتمع المسلم مادياً وروحياً والتى يدخل فيها إنشاء المساجد والمدارس ومعاهد التدريب فى البلاد الأفريقية بالذات « بحيث تشترك منظمات إسلامية لها وضعها المتميز ومستواها الرفيع دولياً فى إنشاء ورعاية هذه المشروعات المتكاملة .

والله ولى التوفيق ....

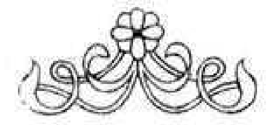
أ . جمال الدين محمود



في موكب الدعوة والدعاة



اقتراح بإنشاء مركز للدعوة الإسلامية



الدعوة إلى الله بين المنهج والغاية



بدا الباحث بتمهيد عن حال العالم قبل الإسلام وشهوده الوانا مختلفة من الديانات والعقائد لم يجد فيها صلاح امره واستقامة حياته، ثم أذن الله سبحانه للعالم أن تنقشع ظلماته وتنجلي غمراته فاشرقت الأرض بنور ربها وبعث الله سبحانه رسوله محمد بن عبد الله بدعوة الإسلام، وانزل عليه القرآن الكريم كتابا سماويا ووحيا إلهيا هو دستور الخالق لإصلاح الخلق .

ثم تناول الباحث الدعوة والحاجة إليها وعرفها : بانها" حث الناس على الهدى والخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" ليحوزوا رضوان الله ويفوزوا بخير الدنيا وسعادة الآخرة . وهي انواع ثلاثة :

دعوة الأمة المحمدية غيرها من الأمم إلى الإسلام .

دعوة المسلمين بعضهم بعضا إلى الخير وتامرهم بالمعروف وتناهيهم عن المنكر .

ما يكون بين افراد المؤمنين بعضهم مع بعض ـ سواء في ذلك الخاصة والعامة .

وللدعوة مقومات اهمها :

ان تقوم الدعوة على الحجج البالغات والآيات البينات بما يتقبله العقل السليم ويالفه الذوق الرفيع، ويتلمسه الوجدان ولا تقف دونه البديهة ولا تنكره الحقيقة .

ان تعتمد الدعوة على الأسلوب الحكيم في عبارات رائقة فيسوق الداعي لكل مقام مقالا يليق به ويخاطب كل طبقة بما يناسبها .

ان يكون كل من يتصدى للدعوة مثلاً اعلى في الأدب الكامل والخلق الفاضل .

والدعوة إلى الله تعتمد على رجاحة العقل، واصالة الراى، وصدق الفراسة وصواب التدبير . و للدعاة زاد و آداب لابد منهما حتى يكونوا اهلاً لتحمل امانتها والقيام بتبعاتها تتفجر من معاني القرآن الكريم واهدافه ، ثم تجيء السنة المطهرة بانماطها وهديها،ثم وقائع التاريخ،ووقائع الحياة الإنسانية، ثم جانب من العلوم الإنسانية التي لابد من الإلمام بها أو استيعابها ليتمكن الداعية من تحمل

● الباحث : وكيل الأزهر الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية .

فضيلة الشيخ
عبد الحكيم حسن نعناع

مسئولية البلاغ بهذا الزاد المستمد من هذه الروافد جميعا .

تناول الباحث آداب الدعاة حتى يكون الداعية عاملا بما علم من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه وسيرة الخلفاء الراشدين والسلف الصالح .

وجدير بمن نصب نفسه لهداية الناس أن يكون سهل الخليقة لين العريكة واسع الصدر ، لا تستخفه جهالة الجاهل ولا تستفزه رعونة الأحمق، يأخذ الناس بالرفق ويجادلهم بالحسنى . ومن أدب الداعية أن يكون شجاعا عف اللسان لا يهاب أحداً في الجهر بالحق، ولا تأخذه في الدعوة إلى الله لومة لائم . فتعلو كلمة الله وتسعد الدنيا ويسودها الأمن والسلام وتحكمها موازين الله في دروب الحياة ، وحينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، وعلى الله قصد السبيل .

قال الباحث :

زاد الدعاة

إن الداعية لا يمارس وظيفته من فراغ بل لابد له من مصادر دينية وعلمية وثقافية تحيي قلبه وتمده بثروة من المعاني والأفكار وتعينه على اختيار الحلول اللازمة لمشاكل الفرد والمجتمع وهي مناهل يغترف منها ليقدمها بدوره شرابا سائغا للشاربين فإذا لم يجدد الداعية حياته بزاد متجدد من المعرفة يواكب الحياة المتجددة المتغيرة فسوف يكرر نفسه دائما، ولن يحسن الناس الاستماع إليه ولا يفيدون منه . والدعوة في الإسلام هي مظهر الحياة التي تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب، ويثب من فكر إلى فكر وينتقل مع الزمان من جيل إلى جيل، ومع المكان من قطر إلى قطر .

ينابيع الدعوة تتفجر أول ما تتفجر من معاني القرآن الكريم وأغراضه، ثم تجيء السنة المطهرة بأنماطها وهديها، ثم وقائع التاريخ، ووقائع الحياة الإنسانية ثم جانب من العلوم الإنسانية التي لابد من الإلمام بها أو استيعابها ليتمكن الداعية من تحمل مسئولية البلاغ بهذا الزاد المستمد من هذه الروافد جميعا فإذا كان الإيمان بالله أساس البنيان كله وكانت الأخلاق الفاضلة سلاحه في معركة الدعوة فإن الثقافة الحية والتأمل الواعي في مسار الحياة هو الجانب الفكري إلى جانب الأسلحة الإيمانية وفيما يلي شيء من التفصيل بعد هذا الإجمال ..

القرآن الكريم :

إن القرآن الكريم بألفاظه ومبانيه ومعانيه وأغراضه هو الكتاب الهادي للأحياء ذو القدرة الفذة على استثارة أفكار الجماهير ، واستجاشة مشاعرهم ، والسمو بهم إلى الكمال ، وتأسيس حياتهم على الطهر والنقاء والصفاء ، فلا غرو أن كانت الدعوة المستمدة منه وقود النهضة وضياء الأمة . ←

ومن هنا كان أول واجب على الداعى صحبة القرآن الكريم حفظا وتلاوة وفهما وتدبرا، فإن للقرآن الكريم دوراً إيجابيا فى الاتجاه بالحياة إلى التى هى أقوم ، والداعية الناجح هو الذى يحسن صحبة كتاب الله بالتلاوة والتدبر واستنباط القواعد التى يعالج بها أدواء البشر ، ولن يصل الداعية إلى هذا المستوى لمجرد أنه حفظ القرآن ، فإن القرآن الكريم لا يعطى سره لهؤلاء الذين يحفظون ولا يفهمون ويستنبطون ، وإنما يعطى ثماره للذين صقلوا أنفسهم بالتجربة ، وربطوها بالفلك القرآنى فانعكست هذه الصحبة المباركة على أنفسهم خلقا عظيما يشيع فى كل اتجاه ، وهديا إلهيا يشع فى كل اتجاه ، وعلى هذا الأساس ربى محمد صلوات الله وسلامه عليه أصحابه لتكون هذه التربية من بعده معراك السالكين للدعاة فى كل عصر ومصر .

إن القرآن الكريم وهو المصدر الأول للتشريع كتاب ضمت آياته مبادىء وحقائق تصلح بها الحياة والأحياء ، واكتست معانيه بحلى من الأساليب الجزلة البليغة ، والداعية منه فى رياض نضرة حافلة بكل ما يجدد شباب الحياة والذين يحسنون صحبته ، والإصغاء إليه ، يعطيهم من أسراره طيب القلوب وشفاء الأرواح وبلاغة البيان .

السنة المطهرة :

إن فى حياة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه العملية والقولية نماذج رائعة استوعبت شئون الحياة بكل تفصيلاتها ووقائعها وهى فى الوقت نفسه بيان لما أجمله كتاب الله من أمور الدين والدنيا وعلى الداعية أن يعى السنة المطهرة ما أمكن حفظا وفهما متنا ورواية ودراية ، وأن يرتبط بمواطن الأسوة فى حياة صاحبها صلوات الله عليه ، فذلك سبيله إلى فتح أبصار الناس وبصائرهم عليها .

لقد كان من رحمة الله سبحانه أن أرسل إلى الناس بشرا رسولا فهيأ لنا بهذه البشرية المحكومة بالرسالة فرصة الاقتداء والتأسى بأعلى صور الكمال الإنسانى ، ولن يتم ذلك إلا بوقفات داعية يتأمل دقائق حياته وأسرار هديه ، وتجليتها للناس بما يكشف عن جوانب العظمة فيها وسمو إرشاده وتوجيهه .

والسنة المطهرة كما هى المصدر الثانى للتشريع هى كذلك أعلى فى البلاغة والبيان تزود الداعية بصور جمالية تجعل لحديثه قيمة مما يفرض عليه تمليها والوقوف حيال بيانها الرائع ليقبس منها ، ويسير على هديها .

أحداث التاريخ ووقائعه :

إن التاريخ الإنسانى والإسلامى بخاصة حافل بمواقف ومشاهد لم تستنفد أغراضها بمجرد وقوعها فى أزمانها ، بل بقيت عامرة بدروس وعبر ، ما أحوج الناس إلى تدبرها ، على ضوء ما يشع من تجربتها ، يرون طريقهم فى صحبة هذه الدروس وتلك العبر ، يمضون فى حياتهم على هديها يحذرون فى نفس الوقت التورط فى مثل ما وقع من أخطاء أسفرت عنها تجارب الإنسان .

والداعية الناجح هو الذى يعيش هذا التاريخ ويسبر غوره ليحكم الحياة بقانونه مبشرا ومنذراً ، وله من أخبار القرآن الكريم

خير معين فعندما ذكر كتاب الله أخبار الأولين والآخرين وقص قصصهم ، لم يقصد إلى التسلية وامتاع الأسماع ، بقدر ما كان يقصد لفت القلوب إلى ما فى هذه الأخبار وتلك القصص من قواعد وفوائد ، وإنه فى سبيل ذلك يطوى من القصص ما لا صلة له بجوهر القضية المعروضة ، مكتفيا بما يحقق للبشر سعادتهم فى ضوء التأسي بما فى قصص الأولين والآخرين ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ . . ﴾ .

واقع الحياة :

إن واقع الحياة اليومية هو تاريخ الإنسانية الحاضر ، هو كتاب أخطائها وصوابها ، وقد يعمد الداعية إلى بطون الكتب ينقل منها ثم يعرض ما نقله عرضا ، بينما البيئة حوله وأحداث مجتمعه تعج بمختلف الأحداث الحية ، التى يعيشها الناس فعلا ، والتى يمكن أن تستغل لشد انتباه الناس من جهة ، ومن جهة أخرى هى فرصة متاحة لعلاج الأمراض السارية فى أوصال المجتمع .

ثم إن المشاهد الكونية وصور الطبيعة مجال نسج بعض وسائل إيضاح تجسم المعانى المجردة ، وحسن استغلالها يعين على أمر الله تعالى ، والداعية الناجح هو الذى يشاهد ببصره وبصيرته معا ، ثم يختار من أحداث البيئة قضاياه ، ومن مشاهد الطبيعة ألوانا يظلل بها حديثه ، ليتمكن من الوصول إلى مكان التأثير فى قلوب تفتح مغاليقها لكل داعية يشاركها حياتها ، فإذا أخذ الداعية مادة حديثه من المشاهد الكونية ، ومن صميم ما يجرى فى هذه الحياة ، وتحدث عن صوابه وخطئه ، وعالجه بروحه الربانى ، ووزنه بميزانه الإلهى ، فقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة .

العلوم الانسانية :

ينبغى للداعية أن يلم بطرف من العلوم الإنسانية وغيرها التى تعينه على أداء مهمته كعلم النفس والمنطق وتقويم البلدان والملل والنحل والعلم بلغات الأمم وفيما يلى عرض وجيز لهذه العلوم .

أ ـ فإذا كانت وظيفة الداعية هى قيادة النفوس إلى الحقيقة وهدايتها إلى ما يصلح دنياها وأخرتها فعليه أن يعرف طبيعة النفس البشرية وما لها من أنواع وعلى قدر هذه الأنواع تكون الصفات ولكل حالة نفسية لون خاص من الكلام ، والداعية الذى لا يعرف غرائز النفوس وطبيعتها واتجاهها ورغباتها واتجاهاتها لا ينجح فى امتلاك زمامها فإن الوقوف على أسرار طبيعة النفس البشرية بكل غرائزها وتطلعاتها عامل حاسم فى الوصول بالإنسان إلى ما يراد له من خير ، وذلك جوهر علم النفس ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم على حظ كبير من هذا العلم ، كانوا بسلامة فطرتهم وذكاء قريحتهم ، وبما هداهم القرآن بآياته والرسول ببيانه وسيرته على بصيرة من هذا العلم وإن لم يتدارسوه بطريقة صناعية .

ب ـ وإذا كان طالب اللغة لا يتمكن من التكلم بها على وجهها إلا إذا عرف قواعدها وقارض الشعر لا يستقيم له وزنه إلا إذا درس قواعده فكذلك الداعية يجمل به أن يلم بطرف من المنطق ليعصم ذهنه من الخطأ فى

الفكر وصولا إلى عقل المستمع والوصول به إلى مرفأ اليقين .

جـ - أما علم الاجتماع فإن مهمة الداعية تبدأ بتشخيص العلة ثم وصف الدواء بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومعرفته بطبيعة المجتمعات وسنن الله فيها تعينه على أداء مهمته .

إن لله سبحانه فى الاجتماع سننا لا تتخلف ، وفى دوامة الصراع بين الحق والباطل تبدو الحاجة ماسة إلى تأمل واع من قبل الدعاة لظواهر المجتمع حولهم ، من حيث نشوئها وتطورها وأسبابها يقول الشيخ على محفوظ - رحمه الله - فى كتابه هداية المرشدين (مما يلزم الخطيب العلم بحال من توجه إليهم الدعوة فى شئونهم واستعدادهم وطباع بلادهم وأخلاقهم وما يعبر عنه فى العرف بحالهم الاجتماعية) .

د - وعلم تقويم البلدان يعين الداعية فى أداء رسالته ، ويساعده ليعد لكل بلاد عدتها إذا أراد السفر إليها فهو سبيله لمعرفة مسالكها وطرقها وطبيعة أرضها ولغاتها ومواطن الثروات فيها وجغرافيتها .

هـ - ومن أهم زاد الدعاة معرفة علم الأخلاق الذى يبحث عن الفضائل النفيسة كيفية تربية المرء عليها ، كما يبحث عن النقائص وكيفية الوقاية منها ، حتى يستطيعوا معالجة النفوس وتهذيبها،والقرآن الكريم والسنة الشريفة وآثار الصحابة والسلف الصالح مصدر وثيق فى هذا المجال وماورد فيه مستفيض يغنى عن الإطالة فيه .

و - ومعرفة الملل والنحل زاد أصيل فى ثقافة الدعاة بها يعرفون أساليب أهلها وضلالاتهم والشبه التى يثيرونها لبلبلة العقول وطمس معالم الدين الحق وغير ذلك من أباطيلهم وترهاتهم.وبهذه المعرفة يستطيعون فضحهم ودحض مزاعمهم وإبطال دعاواهم التى يضللون بها الناس ويثيرون بينهم الفتن الطائفية .

ز - ومن المهم أن يكون الدعاة وبخاصة من يبعثون لنشر الثقافة الإسلامية من المهم أن يكونوا على علم ببعض اللغات الأجنبية حتى يمكنهم التعرف على ثقافة أهل هذه اللغة وطريقتهم فى فهم الإسلام ، ورد شبهاتهم ومزاعمهم التى يصوبونها إلى دين الله وحتى يستطيعوا أن يخاطبوهم بلغتهم ، وينقلوا إليهم حقائق الإسلام ، وما فى تشريعاته ومبادئه وآدابه من أحكام وأخلاق تضمن سعادة العالم كله .

وقبل هذا كله وبعد هذا كله فالأصل فى الداعية أنه على قدر كبير من ثقافة علوم اللغة العربية وقواعدها وآدابها فذلك سبيله إلى امتلاك ناصية البيان وعرض القضايا فى أسلوب جميل وعبارات بليغة تتطابق ومقتضى الحال ليستميل القلوب ويشبع العقول ويكشف الحقائق ويثير الانتباه فتتحقق له الغاية من رسالته .

وبالجملة فإن « الدعوة عطاء وإنفاق ومن لم يكن عنده زاده من العلم والثقافة فإنه لا يستطيع أن يعطى غيره ، ففاقد الشىء لا يعطيه ، ومن لم يملك النصاب كيف يزكى ؟ »

منهج الدعوة الإسلامية

من القرآن الكريم والسنة النبوية

فضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح *

يبدأ الباحث بحثه بتعريف الدعوة لغـــة واصطلاحا مستدلا على ذلك بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، ولأن الدعوة موضوعها الاسلام الذى أوحى الله – تعالى – به الى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهى أشرف غاية ، وانبل مقصد ، وأقوم سـبيل ، وهى رسـالة الانبيـاء والمرسلين ، وشـيمة الدعاة المخلصين ، وشـعار الهداة المرشدين وهى واجبة على كل مسلم ومسلمة ، فى كل عهد وفى كل زمان ، وكل عاقل بالغ مكلف بهـا ذكـرا كان أو انثى «قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» .

ووظيفة الأمة الاسلامية هى الدعـوة الى المبادىء السامية ، والقيم الدينية .

« كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » .

ولأن الدين الاسلامى حينما أشرقت شمسه على العرب شحذهم وأنار عقـولهم ووحد صـفوفهم فقد وكل اليهم أن يحملوا تعاليم الاسلام الى جميع أرجاء العالم فالاسلام – وهو الدين الحق – لن تطمس شاراته أو تضيع آياته وعلى كل مسلم أن يواجه قدره ، ويؤدى واجبه حتى يعود للاسلام مجده الضـائع ، وعزه التليد .

ثم يوضح الباحث أن الدعوة الاسـلامية

←

* الباحث : مدير عام الدعوة والاعـلام بالأزهر سابقا .

بحاجة الى أسلوب جديد للدعوة والى جيل جديد من الدعاة المخلصين ، فتيار الدعوة يتجدد بتجدد الزمان والمكان ، والأسس التى تقوم عليها الدعوة هى : الحكمة والموعظة الحسنة ، والقدوة الطيبة • وللداعى الى الله فى الاسلام منزلة رفيعة ، ومكانة عظيمة :

« وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ » •

والتسلح بالصبر ومقابلة الأذى أمر واجب بالنسبة للداعى ، وكم تعرض الأنبياء والمرسلون للايذاء والتعذيب بسبب قيامهم بواجب الدعوة الى الله لكنهم صبروا حتى أتاهم نصر الله •

والاسلام عبر تاريخه الطويل يواجه مؤامرات دنيئة ، وتيارات فكرية فى حرب لا هوادة فيها لم تتوقف منذ أشرقت شمسه تأخذ فى كل يوم صورا متنوعة وأشكالا مختلفة من ذلك اظهار الاسلام بمظهر الدين البدائى الذى لا يصلح لمتطلبات هذا العصر ، بجانب دعوات الحادية كثيرة تستهدف النيل من عقيدة المسلمين ، مما جعل الكثير من المثقفين يتوهم أن الحضارة الاسلامية لا وجود لها الا فى عالم الخيال ، وما هى الا نوع من الوهم ، وفاتهم أن الحضارة الاسلامية حقيقة واقعة ، ظلت تتلألأ فى سماء الوجود قرونا عديدة ، نعمت فى ظلها الانسانية ، وسوف تظل الى أن يرث الله الأرض ومن عليها •

ثم ختم الباحث بحثه بنصائح وارشادات للدعاة الناشئين •• قال الباحث :

أهمية الخطابة فى الدعوة الاسلامية :

فرض الله تبارك وتعالى على المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها أن يجتمعوا فى كل أسبوع مرة فى المسجد الجامع : يوم الجمعة •• ثم يلقى عليهم الخطيب ، أو الواعظ: خطبة تتعلق بشأن من الشئون الدينية أو الدنيوية ، أو تكون علاجا لمرض من الأمراض الخلقية أو الاجتماعية ، أو تصحيحا لبعض المفاهيم الاسلامية التى انحرف بها بعض ذوى الأهواء : عن غرضها السامى النبيل ، واجتماع هذا شأنه جدير حقا بأن يكون فرصة ثمينة لتغذية العقول ، وتنوير الأفكار ، وتحريك الأذهان ، وغرس الأخلاق الكريمة ، وبث روح الفضيلة فى نفوس المستمعين •• وبالتالى : فهو خير وسيلة لحفز الهمم ، وتوليد الارادات الصالحة ، والعقائد السليمة ، والأفكار الصحيحة ، وعندئذ ينطلق الاصلاح من عقائد الأمة الى أعمالها ، ومن أفكارها الى مصالحها ، مما يكون سببا فى نهضتها ورقيها ، وتقدمها وازدهارها ، وكفى بذلك غرضا نبيلا ، ومقصدا جليلا •

الفرق بين الخطيب والداعية :

الخطيب : يقول كلمته ، وينتهى دوره — بينما الداعية يقول كلمته ، ويحرص على أن تكون مبنية على كلام سابق ، ومقدمة لكلام لاحق — ويتابع أفكاره : بالمحاضرات والندوات ، والعظات والزيارات ، حتى يصل الى اقناع الناس ، وتأثرهم بها •

كيفية تحضير الموضوع :

١ — معرفة أحوال المخاطبين ، وتحديد الهدف من الخطبة •

٢ ـ جمع الأدلة الشرعية : من الكتاب والسنة .

٣ ـ ترتيب عناصر الخطبة ، ودليل كل منها .

٤ ـ الواقعية : بحيث يكون الموضوع مناسبا للزمان والمكان ، وحال المستمعين .

٥ ـ الوحدة : بحيث يكون مستوعبا لأطراف البحث من كل جانب .

٦ ـ اختيار العبارات المؤثرة المفهومة .

٧ ـ الاستعانة بالأمثلة والقصة ، مع الاحتراز عن القصص الاسرائيلى الذى يتعارض مع القرآن والسنة .

٨ ـ مخاطبة العقل والعاطفة معا .

فن الالقاء :

١ ـ براعة الاستهلال ، لجذب انتباه السامعين .

٢ ـ اثارة العواطف والمشاعر بمعالجة الأحداث التى تهم المسلمين . وبأسلوب مبسط جزل : لا تعقيد ولا تعمق فيه .

٣ ـ النبرات القوية عند ذكر المواقف الهامة .

٤ ـ عدم المضى فى أثناء الخطبة على وتيرة واحدة : كانخفاض الصوت أو ارتفاعه .

٥ ـ تلخيص أهم نقاط الموضوع ولو فى الخطبة الثانية : بحيث ينصرف الناس وقد عرفوا ما طلب الخطيب منهم : عن طريق النصح والتوجيه .

من أدب الخطيب والداعية :

١ ـ القدوة الحسنة ، والأسوة الصالحة ، بحيث يطابق فعله قوله .

٢ ـ مراعاة الاخلاص لله ، والبعد عن الرياء .

٣ ـ الحكمة فى الوعظ ، والبعد عن التعنيف ما أمكن ، وعدم الاستخفاف بالمستمعين ، او التهكم بهم ، ازدراء لشأنهم ، وسوء تصرفاتهم .

٤ ـ عدم تجريح الأشخاص أو الهيئات بالاسم .

٥ ـ الاهتمام بالأحداث الجارية ، ومعالجة المشاكل على ضوء ما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، وعدم الجمود على المألوف لدى الناس .

٦ ـ التركيز على قضايا العقيدة ، ودحض الشبهات المفتراة على الاسلام .

٧ ـ حسن المظهر والزى ، والوقار فى السير والمجالس .

٨ ـ كثرة القراءة والمطالعة والحفظ بالنسبة للنصوص ، والاختلاط بالعلماء والدعاة ، للاستفادة منهم .

٩ ـ الاختلاط بمختلف طبقات الناس ، لاكتساب محبتهم ، والتعرف على مشاكلهم ، وطرق علاجها ، ومخاطبتهم على قدر عقولهم .

١٠ ـ التعفف عما فى أيدى الناس ، ومعاملتهم بالحسنى .

١١ ـ عدم التهيب من الحاضرين ، مهما كانت مكانتهم ومستوياتهم .

١٢ ـ عدم تكلف السجع ، والبعد عن الانفعالات بدون مبرر .

١٣ ـ الجمع بين الخوف والرجاء ، وعدم اشاعة روح اليأس .

١٤ ـ تجنب الأخطاء فى الآيات القرآنية ، أو الأحاديث النبوية ، وكذا الأخطاء اللغوية .

١٥ ــ عدم النظر الى أعلى ، أو اغماض عينيه ، أو تركيز النظر الى جماعة دون أخرى ، وأيضا عدم الاكثار من تحريك يديه وجسمه •

آداب أخرى يجب مراعاتها :

١ ــ الاهتمام بمعالجة الأمور المهمة ، دون ضياع الوقت فى معالجة الأمور الصغيرة •

٢ ــ الترفع عن الجدل الذى لا يفيد ، وتوفير الاحترام للسامعين •

٣ ــ الصدر الرحب ، وسعة الأفق ، والتسامح مع الآخرين •

٤ ــ عدم الجمود على شىء معين مما يشعر بالتزمت ، ولا يتمشى مع سماحة الاسلام ويسره •

٥ ــ عدم الاعتماد على النقول الضعيفة ، وتجنب المسائل الخلافية ، قدر الاستطاعة •

٦ ــ عدم الاطالة أو الاسترسال فى الخطبة أو العظة ، خشية الملل •

٧ ــ الحذر من الوقوع فى التناقض ، وعدم الاطناب فى البدهيات •

٨ ــ عدم تحدى الأمر الواقع ، مادام يتمشى مع روح الاسلام ، وعدم الاصطدام بالعلوم الحديثة المبنية على أسس سليمة •

٩ ــ مخاطبة الناس بما يمكنهم تنفيذه والقيام به ، أو بما يمكنهم تفاديه والبعد عنه•

١٠ ــ عدم الخروج عن الموضوع الا بالقدر الذى يتطلبه حال السامعين •

١١ ــ اليقظة أو حسن التخلص ، وتفادى الاصطدام مع الآراء والمعتقدات ، والخلافات المذهبية •

١٢ ــ حسن اختيار الموضوعات ، أو المشاكل أو الأمراض الاجتماعية التى يراد علاجها •

١٣ ــ اجادة فن الاثارة وتهييج المشاعر والأحاسيس ، لشد انتباه السامعين ، وتأثرهم بالعظة •

١٤ ــ الشجاعة الأدبية ، والنقد الهادف النزيه •

١٥ ــ تفهم العلوم المدنية ، وتحويلها الى شراب سائغ ، مختلف ألوانه ، وعرضها فى أسلوب مشوق لتوضيح بعض ما تضمنته تعاليم الاسلام •

١٦ ــ محاولة التجديد المتواصل فى العلوم الدينية ، والتعمق فيها قدر الامكان •

١٧ ــ أن تكون الكلمة نابعة من القلب ، ليكون لها تأثيرها فى النفوس ، فما خرج من القلب حل فى القلوب ، وما خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان •

١٨ ــ ايمان الدعاة برسالتهم ، وتفاعلهم بها ، مع الاخلاص لله فيها •

١٩ ــ القدرة على تشخيص الداء ووصف العلاج المناسب ، على أن يكون الترغيب والترهيب كالعقاقير : تختلف باختلاف الأشخاص وأدوائها ، والمجتمعات وظروفها •

٢٠ ــ أن يكون مثل الداعية كالطبيب الجراح ، يقوم بتخدير المريض ، قبل اجراء العملية الجراحية ، بمعنى : أن يكون حليما رفيقا بالذى يأمره أو ينهاه •

« رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً » (١) •

عبد المنصف محمود عبد الفتاح

(١) الكهف : ١٠ •

اقتراح بإنشاء مركز للدعوة الإسلامية

للأستاذ المستشار
عبد الحليم الجندى*

فى افتتاح المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية عام ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م بقاعة الامام محمد عبده حدد السيد رئيس الجمهورية أهدافا وأرشد الى وسائل يحق علينا ان نتفياها وان نسلك سبلها :

قال : (فلعل اجتماعكم هذا - أيها العلماء الأجلاء - يكون خطوة مباركة على الطريق ، طريق التلاقى الإسلامى والتضامن الإيمانى ، فى ظل حياة إسلامية حقه يقوم على الأخوة والتضامن والتآزر والمحبة والسلام) .

قال : (ففى أحاديث رسولنا العظيم دعوات متكررات تؤكد أن المسلم أخ المسلم .. كما أن سيرة الرسول الكريم تنطق صفحاتها بكل ما يدعو الى التسامح والمحبة ودفع السيئة بالحسنة ، كما تصور تلك السيرة العطرة ما يجب أن تكون عليه العلاقات بين المسلمين من نبذ للخلاف وطرح للشقاق وأخذ بكل ما يجمع الكلمة ويوحد الصف ويبعث القوة ويؤكد الاعتصام بحبل الله) .

وقال : (فتجلية هذه السيرة والكشف عن جوهرها وتقديم حقيقتها للمسلمين وللعالم من حول المسلمين إنما هو تجلية للحق وكشف عن جوهر الخير وتجسيد للمثل الأعلى) .

وقال : (فنحن فى أمس الحاجة الى موسوعة للسنة النبوية الشريفة) .

وقال : (ونحن ثانيا فى أمس الحاجة الى موسوعة للسيرة المطهرة) .

ثم قال : (نحن أخيرا ننتظر عملا علميا مكملا للموسوعتين المأمولتين . وهو تقديم ما تطرحه السنة وتمثله السيرة من قيم إسلامية ومبادىء إنسانية ، يمكن أن تكون فى بيانها لمحكم كتاب الله ، يمكن أن تكون الدستور الإسلامى

←

* الباحث : عضو مجمع البحوث الاسلامية - الأزهر الشريف .

فى الأخلاق والسلوك والتعامل وكل صنوف العلاقات بين الناس) •

ومن هذا المنطلق ، واستهداء بالقرآن الكريم وبسيرة وسنة رسول الله أصدر المؤتمر بضع عشرة توصية أهاب فى واحدة منها بوسائل الإعلام الإسلامية أن تتضافر للتعريف العالمى بالسيرة والسنة وما حوتهما من قيم اجتماعية ونشر الثقافة الإسلامية بوجه عام • وهو تضافر لم يعد كافيا ، مع ما يضاف اليه من عمل مبعوثى الأزهر وغيرهم ، لتحقيق ما يتغياه السيد رئيس الجمهورية ويحذو حذوه جماهير الأمة الاسلامية ، فأصبح لزاما على الأزهر ومؤسساته أن تنهض فى هذا المجال بتبعات تفرضها عليه مسئولية الدعوة للإسلام والأمال التى تعقدها عليه الأمة لتعريف أبنائها بالدستور الإسلامى فى الأخلاق والسلوك لتعميق الاحساس بقيم دينهم وأسباب صحوتهم ، والإسلام — وقد وعد الله بحفظه — يشق الطريق الى القلوب بقوته ويغنى أكبر الغناء فى انتشاره أن يأخذ بنوه بأسبابه •

من أجل ذلك يتعين ان تتكفل بالدعوة « قوة متخصصة » من أهل العلم تلتزم المنهج الإسلامى بالدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، بأسلوب إيجابى يشرحها فى دأب وقوة ، سواء فى العبادات أو المعاملات أو شئون الحياة أو مصالح الأمة أو كيان الدولة ، وكلها أمور وطأتها لنا كتب ليس علينا الا أن نفتح للمسلمين صحائفها وفى صدارتها القرآن وإعجازه ، ثم السيرة والسنة بما فيهما من أسوة حسنة وتفسير للقرآن بالعلم والعمل ، وحياة الصحابة الذين اقتدوا بالرسول ﷺ ، وفقه الأئمة الذين فتحوا للمسلمين أبواب الاجتهاد فيما استخلف الله فيه عباده من دنياهم ؛ والتراث الإسلامى الذى أضاء وحده ظلمات القرون الوسطى ، للدنيا ، قرونا عشرة ، بالعلم وفتوح الفكر والجهاد الهادى الى التقدم حيثما رفرفت الأعلام بحضارة الإسلام •

ولما كان « العضو ينشىء الوظيفة » أو يتيح لها قدرة على النماء ، والجهاز الفعال يحدث أثره اذا تولته يد أمينة بتنسيق مستمر وابتكار للوسائل ، واقتدار فنى من المتخصصين يتنامى نشاطه فى سبيل الله فى داخل مصر وخارجها حيث العالم الإسلامى يستمع الى دقات قلب الأزهر •

ولما كان الناس أسمع وأبصر بالأزهر ، فإن إنشاء مركز للدعوة فيه يصبح ضرورة اسلاميه •• وفيما يلى تصور تقريبى فى هذا الصدد : —

مركز للدعوة الإسلامية

أولا : مركز الدعوة :

١ — ينشأ بالأزهر «مركز للدعوة الإسلامية» برياسة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر تعاونه هيئة مكتب برياسته لا يزيد أعضاؤه على عشرة يختارهم ممن لهم سابقة علمية أو عملية

فى خدمة الإسلام • ويكون للمكتب مقرر يرأسه اذا لم يحضر الرئيس •

٢ — يجتمع المكتب مرتين فى كل شهر بناء على دعوة الرئيس •

٣ — يختص المكتب بوضع الخطط العامة للدعوة الى مبادىء الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة فى الداخل والخارج وإبداء الرأى فيما يعرضه عليه الرئيس •

٤ — لرئيس مركز الدعوة تبليغ كليات الدعوة بالأزهر بما يقرره المكتب فى صدد مواد مطلوبة للتدريس أو ملاحظات تظهر نتيجة الامتحان الوارد ذكره فيما بعد •

٥ — يضع المكتب قواعد انتخاب المبعوثين والمناهج والخطط العامة للدعوة •

٦ — يختار المبعوثون بعد تحقيق توافر الشروط الواردة فيما بعد •

٧ — يختص المكتب بوضع نظام لتدريب المبعوثين واختيار الأساتذة وتقرير البرامج سنويا •

٨ — يشارك أعضاء المكتب فى امتحانات المبعوثين بعد أداء مدة التدريب •

٩ — يعين المبعوثون بعد النجاح فى الامتحان الوارد ذكره فيما بعد •

ثانيا : الدعاة :

يشترط فيمن يتم اختياره لوظيفة المبعوثين من الأزهر : —

(أ) أن يكون من خريجى جامعة الأزهر أو الجامعات الإسلامية حائزا درجة العالمية من جامعة الأزهر أو الدكتوراه من أحدى الجامعات المصرية أو الإسلامية •

(ب) أن يقضى عاما فى قسم « تدريب الدعاة » يحضر فيه عددا من الدروس فيما لا يقل عن ألف ساعة طوال عام التدريب •

(ج) أن يؤدى بنجاح فى احدى محافظات مصر مهمة عملية للدعوة مدة شهر يحددها له ادارة القسم ، ويقدم تقريرا عنها احد أعضائه بعد تحقيق دقيق •

(د) أن يجيد اللغة العربية مع إلمامه بلغة أجنبية (الانجليزية — الفرنسية — الهوسا — لغة افريقية رابعة) ويجوز أن يؤجل امتحانه فى اللغة الأجنبية حتى نهاية مدة التدريب الواردة فيما بعد •

(هـ) أن يكون حسن السمعة حافظا للقرآن لا يقل عمره عن ٣٠ سنة ولا يزيد على ٥٠ سنة، ويجوز على سبيل الاستثناء قبول الأقل سنا بقرار مسبب •

(و) لرئيس المركز بناء على قرار من مكتب المركز أن يضيف شروطا الى الشروط السابقة •

١١ — يمنح المبعوث مرتب درجته بمجرد صدور قرار بتعيينه •

١٢ — يلحق بإدارة الأزهر قسم لتدريب المبعوثين على النهوض بمهامهم فى الداخل والخارج •

١٣ ــ يلتزم المبعوث بمداومة الحضور بهذا القسم مدة عام أو أكثر وأن يجتاز الامتحان تحريريا وشفويا بدرجة جيد على الأقل .

١٤ ــ يضع المكتب المشار اليه فى المادة الأولى برنامج التدريب فى أول كل سنة هجرية قبل بدء التدريب بمدة كافية لاعداد الدروس ويحاط المنتدبون لتدريسها بقرار ندب قبل بدء التدريس بمدة كافية .

١٥ ــ يمنح شيخ الأزهر الناجحين شهادة بأداء الامتحان ودرجة النجاح فيه .

١٦ ــ يجوز للعضو أن يعيد الامتحان مرة واحدة فى العام التالى ولا يعتبر عندئذ ناجحا الا اذا أحرز درجة جيد جدا .

١٧ ــ يجوز أن تمتد الدراسة لأكثر من عام حتى يتم الفراغ من تدريس المنهج .

١٨ ــ يتولى التدريس بالقسم أصحاب الخبرات العملية والعلمية من أساتذة تخرجوا فى الجامعة الأزهرية أو الجامعات المصرية أو الاسلامية .

١٩ ــ يرتب الخريجون حسب درجات تخرجهم فى سجل عام ليختار المبعوثون منهم عند الحاجة حسب تقدمهم فى الدرجة .

٢٠ ــ يقدم كل أستاذ درس مادة فى قسم التدريب صورة مكتوبة مما درسة للمبعوثين فى نهاية مدة التدريس .

٢١ ــ يعتبر مستقيلا المبعوث الذى ينقطع عن التدريب بغير عذر مقبول أكثر من شهرين أو لا ينجح فى الامتحان فاذا أعلن رغبته فى إعادة التدريب امتد عمله لمدة سنة وإن رسب نقل الى وظيفة أخرى ، كما ينقل من رسب ولم يعلن رغبته .

رابعا : التدريس بقسم التدريب :

٢٢ ــ تشتمل مواد التدريس على ما يلى : ــ

اولا :

(أ) دراسات فى القرآن وإعجازه (فى لفظه وهديه وتشريعه وعلومه) .

(ب) السنة وعلومها والسيرة بتمامها .

(جـ) أصول الدين الخمسة بتفصيل والعبادات بوجه عام ، واليسر فى الإسلام .

(د) أصول الفقه ــ علل الأحكام ــ القياس ــ المصلحة .

(هـ) تدريب على القياس وتحقيق المناط وتنقيحه والمصلحة الشرعية .

(و) تدريس أبواب من رسالة الشافعى وأعلام الموقعين والموافقات والفروق للقرافى وفى كتاب معاصر كذلك .

ثانيا : دراسات فى التراث الإسلامى :

(أ) تاريخ الخلفاء الراشدين والفتنة التى أدت الى استشهاد أمير المؤمنين عثمان ابن عفان .

(ب) نشأة المذاهب الأربعة والأسباب البيئية .. طابع كل منها « المصلحة فى اختلافها » مكانها فى كل قطر .

(جـ) إلمامه بتاريخ الأمة الإسلامية فى القرون التالية .

(د) دراسة محاولات التجمع الإسلامى فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر منذ الجامعة الاسلامية الى المؤتمر الاسلامى .

(هـ) ما ينسب الى الإسلام من افتراءات بعد انقضاء عهد الاستعمار وقبله .

(و) بيان خلود القرآن بتأثيره فى غير المسلمين بالمنهج العلمى والعالمى فى التجربة والاستقراء .

(ز) بيان المنهج العلمى (الاجتهاد) فى فقه الأئمة الأربعة وكتب الغزالى وابن رشد وابن تيمية ومن جاء بعدهم أو عاصرهم من علماء الطبيعة والفلك والصيدلة والطب والهندسة والجغرافيا والجيولوجيا الخ .

ثالثا : ما يجب أن يتحلى به الداعية ابتداء من عصر رسول الله ﷺ الى مصعب بن عمير الى معاملة أبى بكر وخالد بن الوليد وعمر ابن الخطاب للذميين بتسامح أدى الى دخول الناس أفواجا فى الإسلام .

٢٣ ــ تصدر لائحة خاصة فيما يتعلق بالموارد والمصارف والمرتبات للعاملين بالمركز .

عبد الحليم الجندى

الى الاخوة الأساتذة
الراغبين فى الكتابة بمجلة الأزهر

نرجو معاونتنا فى تحقيق الآتى :

١ ـ ان يتم للمقال كيانه علميا .

٢ ـ ان يضع الكاتب اسمه مكونا من ثلاثة اسماء على الاقل .

٣ ـ ان يزود إدارة المجلة بعنوانه فى المنزل والعمل بوضوح ورقم تليفونه إن امكن .

٤ ـ ان يشير إلى مكان الآيات القرآنية وارقامها من السورة فى وضوح .

٥ ـ ان يذكر مراجع الحديث الشريف الواردة بمقاله موضحاً مكانها منها :

يذكر المؤلف ، والكتاب ، ورقم الطبعة ، والمطبعة ، وسنة الطبع .

هذا وتاسف المجلة ان تبلغ حضرات الكتاب بان لديها كمية كبيرة من المقالات توقف نشرها تماما لفقدها واحداً او اكثر من المطالب سالفة الذكر .

رئيس التحرير



بين المنهج والغاية

اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن تكون رسالة سيدنا محمد ﷺ ـ هى الرسالة الخاتمة والدين الكامل ولذلك جعلها عامة وخالدة ، ولما كانت على هذا النحو من العموم والخلود ، لم يشأ الحق سبحانه أن تكون لزمان بعينه ، ولا لفئة دون أخرى ، فقضى أن تكون دينا للناس جميعاً ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[2] ، واقتضى ذلك أن يوجد من العلماء من يرث الأنبياء فى القيام بشئون الدعوة إلى الله وتذكير الناس بما نسوه من أمر ربهم واجبة ليؤدى هذا المقصد الجليل فى حياة الإنسانية ، ولتظل مسيرة النور متصلة ، ومبادىء الخير والإيمان قائمة .

معنى الدعوة وحكمها :

والدعوة تتمثل فى إبلاغ الناس برسالة سيدنا محمد ﷺ وتذكيرهم بها ، ببيان أحكامها ، ومنزلتها فى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة اقتداء به ﷺ .

وإذا كانت الدعوة إبلاغاً برسالة سيدنا محمد ﷺ ، وهى عامة للناس أجمعين ، والإسلام دين الكافة ، فإن الإعلام بها يكون واجباً وتكون الدعوة مما يفرضه الإسلام ، إذ من المعروف أنه لا تكليف من غير إعلام ولا جزاء من غير علم بالرسالة ودعوة إليها ، وقد دعا رسول الله ﷺ قومه إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، حتى أدى الأمانة وبلغ الرسالة ، ونصح الأمة كما أدى صحابته وأتباعه واجبهم فى هذا الميدان على أتم الوجوه وأحسنها متمثلين لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[3] ، وقوله عز من قائل ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[4] .

---

(١) سورة سبأ آية ـ ٢٨ .
(٢) سورة الأنبياء ـ ١٠٧ .
(٣) سورة التوبة ـ آية ١٢٢ .
(٤) سورة آل عمران ـ آية ١٠٤ .

د.عبدالله مبروك النجار

الدعوة واجب يقوم على الكفاية :

وقد استدل الفقهاء من النصوص التى تدل على مشروعية الدعوة إلى الله أنها واجب على سبيل الكفاية ، حيث يشترط فيمن يقوم بها أن يكون ممن تتوافر فيهم مقومات الداعية الصالح من علم بالكتاب والسنة وأسرار التشريع ومقاصده يمكنه من الإفهام والإرشاد وسيرة حسنة ، وسلوك يتواءم مع مبادىء الاخلاق والدين التى يدعو إليها حتى لا يكون من الذين يقولون ما لا يفعلون ، وكان من الواجب على الداعية أن يراعى أدب الدعوة على خير وجه اقتداء به ﷺ .

معنى التزام المنهج و آثار عدم الالتزام به :

ومن أهم واجبات الداعية أن يلتزم حدود المنهج فى الدعوة إلى الله عز وجل ، ذلك أن من أهم الأخطاء التى تواجه كثيرا من الدعاة ، أنهم يخلطون خلطا واضحا بين منهج الدعوة وغايتها ، وهذا الخلط من شأنه الإضرار بالدعوة ، كما أنه يقدم الإسلام فى غير صورته الحقة ومبادئه التى تقوم على التسامح ، وقد يجر ذلك الخلط الداعية إلى أمور تخرج به عن مسار الدعوة الصحيح ، وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾[٥] .

نطاق المنهج فى الدعوة إلى الله:

أما المنهج فإنه يتمثل فى تذكير الناس بدين الله عقيدة وشريعة وأخلاقا ، عبادات ومعاملات ، لتكون عبادتهم لله على علم وبصيرة ومن المعروف أن العلم بما يجب على الإنسان اداؤه أمر واجب ، لما هو مقرر أن « مالا يتأتى الواجب إلا به يكون واجباً » ، والعلم هو السبيل لعبادة الله على نحو صحيح ، وطريقه هو الدعوة وتذكير الناس ، وتعليمهم ما تستقيم به مسيرتهم فى طاعة الله سبحانه وتعالى ، والمنهج كما يستلزم بيان أحكام الله للناس ، فإنه يقتضى فى وقتنا الحاضر : رد شبه الملحدين ونفى مزاعم الشيوعيين ومن يسلكون مسلكهم الخبيث فى محاربة الإسلام والطعن على أحكام شريعته الغراء حقدا عليه وحسدا من عند أنفسهم .

ومن المعروف أن الساحة الإسلامية تموج فى وقتنا الراهن بحصاد افكار غير إسلامية تطل على القارىء المسلم عبر القنوات الإعلامية ، خاصة المقروءة منها وتستهدف الإسلام فى الصميم .

ومن الواجب أن يدخل فى إطار منهاج الدعوة رد تلك الأباطيل عن الإسلام ، ونفى ما يثيره حوله خصومه من مزاعم .

والمنهج : هو الحد الذى يجب أن يقف عنده الداعية ، لأنه القدر الذى رسمه الله لنبيه ﷺ ، ولن يكون هناك داعية أعظم منه ﷺ قال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ

---

(٥) سورة البقرة ـ آية ٢٥٦ .

لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾(٦) ، وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾(٧) ، فأرشد بهذا التوجيه الإلهى الحكيم رسوله الداعية ﷺ إلى وجوب التزام المنهج فى الدعوة إلى الله ، دون تجاوز إلى الغاية لأنها من اختصاص الله تبارك وتعالى .

غاية الدعوة امرها لله :

فغاية الدعوة ، هى الهداية ، وخلق الاعتقاد السليم فى قلب المؤمن ليؤمن بالله إيماناً كاملاً ، وليكون مسلكه فى حياته من منطلق هذا الإيمان وقد بين الحق تبارك وتعالى أن أمر الهداية من اختصاصه تعالى المقتصر عليه وحده ، والذى لا يدخل فى اختصاص أحد من خلقه .

يقول الله تبارك وتعالى مخاطباً نبيه ﷺ : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾(٨) ويقول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾(٩) .

فالهداية من اختصاص الله ، أما المنهج فإنه الحد الذى يجب أن يقف عنده أى داعية ، وتأكيداً لذلك قرر الإسلام حرية العقيدة ليكون إقبال الناس على الله عن طواعية واختيار(١٠) ، كما نهى عن الإكراه فى الدين ووضع له الضوابط التى تنفى وجوده فى الدعوة إلى الله قال الباحث :

الوصف الشرعى للتكليف بالدعوة :

وقد اتفق أهل العلم على وجوب الدعوة الإسلامية . وكان ذلك الاتفاق إجماعا انعقد فى عصر الصحابة ، ثم عصر التابعين ،(١١) ولكنهم اختلفوا فى طبيعة هذا الوجوب على من يكلف به ، وهل هم الخاصة أم الكافة ، وبعبارة أدق هل هو فرض كفاية أم فرض عين ؟ ، وهنا نجد للعلماء رأيين :

فيرى فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة : أن الدعوة إلى الله واجب على الكافة كل حسب قدرته واستطاعته وعلمه ، ويقرر أننا لو رجعنا إلى ما كان يفعله الصحابة ، والتابعون من بعدهم ، نجد كل من كان يعلم بالإسلام وحقائق الإيمان يعلم غيره من المشركين ومن يتصلون به بصلة القرابة أو الجوار أو اللقاء ، فالدعوة كانت عامة لإحساسهم بمسئولية التعليم لمن لا يعلم ، ولأنهم يعلمون أن الإسلام هداية إلى الحق ، فيدعون إليه من يكون فى ضلال من أمره ، مثل ما حدث من جعفر بن أبى طالب حين وقف يشرح للنجاشى ملك الحبشة حقيقة الإسلام وقت أن هاجر إليها .(١٢)

وكذلك كان كل رجل مؤمن مع من ارتبط برابطة صداقة أو قرابة أو جوار أو معرفة يذكر ما هداه الله به ، موازنا بين الحق الذى اعتنقه والباطل الذى تركه ، ثم يقول

---

(٦) سورة الغاشية ـ آية ٢٢ .
(٧) سورة الشورى ـ آية ٤٨ .
(٨) سورة البقرة ـ آية ٢٧٢ .
(٩)سورة القصص ـ آية ٥٦
(١٠) وحيث اعتنق الإسلام عن كامل الطواعية والاختيار فلا يجوز له من بعد أن يتلاعب بهذا الدين فيرتد عنه ، فإن ما اعطاه الله له عن طواعية واختيار لم يكن عبثا ،. فإن فعل وجب عليه حكم الإسلام .. مجلة الأزهر .
(١١) الشيخ محمد ابو زهرة ـ المرجع نفسه ص ٥٧ .
(١٢) نفس المرجع ص ٥٨ .

فضيلته : وننتهى من هذا إلى أن الهدى المحمدى فى العصر النبوى كان فيه الدعوات الافرادية ، التى يتولاها بتوجيه من النبى ﷺ كل مؤمن مدرك يعرف الحق ويستطيع أن يؤديه كما يتسع بيانه ، وكان النبى ﷺ يتولى الدعوة بنفسه الطاهرة العالية ، ويرسل أصحابه إلى الجماعات والقبائل ممن أوتوا القدرة لذلك ، ولذلك نرى : أن الدعوة إلى الإسلام فرض عينى على كل قادر عليها ووجد الفرصة سانحة لبيانها ، وهو فرض كفاية على الجماعة الإسلامية إذ يجب الا يخلو عصر من الدعوة بحيث لو تقاصرت أو لم توات لهم الفرصة ، قام من عينتهم الدولة أو تهيأت لهم الأسباب ليقوموا بذلك الواجب المقدس[١٣] .

الدعوة إلى الله واجب كفائى :

وإذا كان فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة - رحمه الله - يرى أن الدعوة إلى الله واجب على الكافة فإن ما يفهم من قول الإمام السيوطى أنها واجب على سبيل الكفاية ، حيث يقرر أن من جملة فروض الكفاية تعليم الطالبين ، وهداية الضالين والإفتاء ثم نقرر لا يكفى فى إقليم مفت واحد والضابط أن لايبلغ ما بين مفتيين مسافة قصر[١٤] .

وواجب الكفاية أمر كلى تتعلق به مصالح دينية أو دنيوية لا ينتظم الأمر بحصولها فطلب الشارع تحصيلها ، لا بتكليف واحد منها بعينه بخلاف العين ، وإذا قام به من فيه كفاية سقط الحرج عن الباقين وإن قعدوا عنه اثموا جميعاً[١٥] ، وللقائم به مزية على القائم بالعين لإسقاط الحرج عن المسلمين بخلافه ، ومن ثم ادعى إمام الحرمين ووالده والأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني : أنه أفضل من فروض العين .[١٦]

ادلة هذا الراى :

ويقوم هذا الرأى على أدلة قوية تؤكد معناه وتبين صحته ، ومن هذه الأدلة :

(أ) قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[١٧]

ووجه الدلالة فى هذا القول الكريم : أن الله قد جعل النذارة واجبا على أهل الكفاية ممن توافر فيهم شروط الدعوة من المسلمين الذين تفرغوا لأسباب الدعوة وأحاطوا بعلومها والآية ليس فيها ما يفيد أنها واجب عينى على كل واحد من آحاد المسلمين .

(ب) وقوله عز من قائل : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[١٨] حيث دل هذا القول الكريم على أن الدعوة لا تجب على كل الناس ، وإنما تجب على بعضهم ممن تتوافر فيهم شروط الكفاية والقدرة عليها والتوفيق فى أدائها ، يستفاد ذلك من قول الله تعالى : ولتكن منكم ، حيث إن « من » فى قوله تعالى : « منكم » تبعيضية ، ومعنى ذلك : أن الدعاة والآمرين يجب أن يكونوا علماء ذوى

←

(١٣) المرجع نفسه - ص ٥٩ .
(١٤) الأشباه والنظائر - للسيوطى - ص ٤١٤ .
(١٥) المرجع نفسه - ص ٤١٠ .
(١٦) المرجع نفسه .
(١٧) سورة التوبة - آية رقم ١٢٢ .
(١٨) سورة آل عمران - آية رقم ١٠٤ .

قدرة على الدعوة، وليس كل الناس كذلك[19].

يقول الإمام ابن كثير: عن الضحاك، هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعنى المجاهدين والعلماء، والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن فلا تكون واجبة على كل آحاد الناس.[20] وهكذا فإن هذا القول الكريم يدل على أن الدعوة إلى الله واجب على سبيل الكفاية.

الرأى الراجح ومبرراته:

والرأى الراجح فى نظرنا هو الذى يقرر أن الدعوة إلى الله واجب كفائى ذلك أننا مع تقديرنا لرأى فضيلة الشيخ المرحوم أبو زهرة، إلا أنه قد ورد عليه من الأدلة ما يجعله مرجوحا، ومن ذلك ما يبدو فيه من تشابه، بين واجب الدعوة إلى الله التى هى واجب كفائى، وبين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولعل عذره فى هذا أن قول الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ قد جمع بين الأمرين بالواو فأعطى الدعوة حكمة من ناحية الوجوب على جميع آحاد الناس، مع أن هناك فرقاً بينهما فى متعلق الوجوب، ذلك أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى أهلية خاصة، وكفاءة معينة وعلم يقدر به الداعية على التأثير والإقناع، .. يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[21]، والبصيرة، والقدرة على التأثير والعلم كل هذه من الشروط التى تتحدد بمقتضاها كفاءة الداعية.

ولهذا كانت واجبة على سبيل الكفاية، وهى بهذا النظر تختلف عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأن الاستطاعة فيه لا تحتاج إلى أكثر من الإحاطة بحل أمر ما أو حرمته، وهذه الدرجة من العلم وإن كانت كافية لتحقيق الاستطاعة فيه فهى محدودة فى العلم بالحل أو الحرمة فى الأمور الظاهرة التى لا تحتاج إلى بحث وتخصص وهذا القدر من العلم لا يكفى لتأهيل داعية يحيط بجميع مقاصد الشريعة وأحكامها، ويدفع عنها شبهات الضالين، وتقولات الطاعنين.

والقول بأن الدعوة واجبة على كل آحاد الناس من شأنه أنه يدفع بالكثيرين من غير المؤهلين للدعوة إلى اقتحام مجالها دون أن يكونوا على علم كاف أو إحاطة شاملة بمبادىء الشريعة وأحكامها، وفى هذا من الخطر ما لايخفى، حيث إن بعضهم قد يفتى بحل أمر وهو محرم، كما أنه قد يدعو إلى تحريم أمر وهو محلل وفى كلتا الحالتين، فإن الاجتراء على ميدان الدعوة والتزاحم فى مجالها من غير القادرين

---

(19) تفسير القرطبى جـ ٤ ص ١٦٥.

(20) مختصر تفسير ابن كثير ـ تحقيق الأستاذ الصابونى جـ ١، ص ٣٠٦.

(21) سورة يوسف ـ آية ١٠٨.

عليها ، المؤهلين لها ، سيترتب عليه ارتكاب امر اشد حرمة من ترك الدعوة عند عدم القدرة ، وهو الكذب على الله وإضلال الناس بغير علم وهو عمل ظالم يحرمه الله تعالى بقوله : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[22] ومن المؤكد ان اقتحام ميدان الدعوة دون علم وخبرة من غير القادرين عليها يضر الدعوة اكثر مما ينفعها لان فاقد الشيء لا يعطيه وسيكون ذريعة للضرر والفساد ، واتهام الناس بالتحلل من احكامه دون سند شرعي ، وقد يصل إلى حد إباحة الدماء والأموال والاعراض التى حرمها الله ـ تبارك وتعالى ـ وسيؤدى إلى الخلط بين منهاج الدعـوة وغايتهـا ، وهى من اختصاص الله تعالى ، فيصل بمن يزعم انه داعية إلى حد الإكراه فى الدين ، وحمل الناس على الدخول فيه بالقوة ، دون احترام لآداب الدعوة ومقوماتها وفى كل ذلك من الضرر بالدعوة ما يفوق النفع ، والواقع الحاضر فى كثير من المجتمعات الإسلامية يؤكد هذا ، ومن ثم فإننا نرجح القول بان الدعوة إلى الله واجب كفائى حتى ننقى ميدانها من الدخلاء والادعياء ، وحتى نتلافى كثيراً من السلبيات التى تنسب إلى الدعوة الإسلامية ، والدعوة منها براء .

ثم بعد ذلك يكون هناك واجب على الآحاد والجماعات ، يتمثل فى وجوب مساعدة الطائفة التى تتفرغ للدعوة وتتخصص لها ، او تكون اقدر على نشرها والقيام بحقها والدولة هى الجامعة لهذا الوعى الإسلامى فى مجال الدعوة إلى الله وعليها ان تخصص جماعات لها كما تخصص جماعات للقضاء والهندسة ، وللطب والجيش فكل هذه فروض كفاية ، والجماعة الإسلامية ممثلة فى دولها عليها ان تخصص لكل فرض كفائى من يقوم به ، ويسقط به الحرج عن الباقين فى الدعوة التى لا يمكن ان يقوم بها إلا الخاصة ، القادرون على مخاطبة الكافة فى اقاليمها وشعوبها بلغاتهم .[23] .

د . عبد الله مبروك النجار

---

(٢٢) سورة الأنعام ـ اية رقم ١٤٤ .

(٢٣) فضيلة الشيخ ابو زهرة ـ المرجع نفسهص ٦٤ .

الدعوة والدعاة

يرى الباحث أن وسائل النهوض بالدعوة الاسلامية تتمثل فى الأمور الآتية وهى :

أولا : فقه الداعية لمهمته ودعوته .
ثانيا : طريقة اعداد الدعاة .
ثالثا : وسائل الدعوة ومناهجها .

أما عن فقه الدعوة فيقول : ان الدعوة الى الله من أعظم القربات وكفاها فخرا أنها وظيفة الأنبياء والرسل — صلوات الله وسلامه عليهم وهذه المهمة جعلها رسول الله ﷺ ملقاة على عاتق العلماء المخلصين والدعاة الصادقين فى قوله : « بلغوا عنى ولو آية » (١) .

وقد بشر الله — سبحانه وتعالى — الدعاة الى الله بالفلاح فى قوله — تعالى : « **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** »

وقد اقتضت حكمة الله وسنته أن تظل الدعوة الى هذا الدين قائمة وتظل طائفة من أمته — صلى الله عليه وسلم — ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله ، وعلى ذلك يكون الاسلام دين الأجيال ، فهو دين الجيل الذى بعث فيه محمد ﷺ ودين الأجيال بعده حتى يوم الدين .

وأنه لا تكليف من غير اعلام ، ولا ثواب ولا عقاب من غير علم بالرسالة ودعوة اليها ليتحقق العلم بهذا الدين الحنيف الذى هو دين الله كما قال — تعالى — عنه فى كتابه العزيز « **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** » .

ولابد للداعى أن يكون له بصر بالأمور يأتيها من طرقها المسلوكة فى رفق لينا فى دعوته ؛ يأتى الأمور من مصادرها ومواردها مؤمنا بها على بينة من أمرها لا تأخذه فى الحق هوادة ، وليس للباطل عنده ارادة .

واذا كانت هذه هى مهمة الدعاة فمن الواجب الاهتمام باعدادهم وذلك عن طريق انشاء مركز عالمى للدعوة والدعاة يشرف على التخطيط والتنفيذ والمتابعة ويكون من مهامه :

١ — الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم .
٢ — الاهتمام بفقه الداعية ليكون على بصيرة .
٣ — بيان أهمية القدوة الحسنة .

والاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم يجب أن يكون موصولا بكل المراحل التعليمية وبجانب حفظه تكون المعرفة بعلومه ، وعلوم السنة وفقهها .

وحتى يتحقق قول الله تعالى : « **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** » .

---

(١) اخرجه البخارى

للأستاذ الدكتور
محمد عبد العليم العدوى*

لابد أن تكون تربية الداعية على بصيرة بالدعوة التى يدعو بها يعرف أصولها وقواعدها وأساليبها ومناهجها ، ويعرف أن الاسلام رسالة عامة تامة كاملة شاملة مثالية واقعية ، صالحة لكل زمان ومكان وللناس جميعا وأن الاسلام كل متكامل عقيدة وشريعة ومعاملة وأخلاقا .

أما البصيرة بالمدعو فيراعى مقتضى الحال وينوع أساليبه ومنهجه تبعا لتنوع طبائع الناس واختلاف مشاعرهم وأحاسيسهم وأحوال حياتهم ، ولكى يستطيع الداعى أن يصل الى هدفه لابد أن يكون قدوة حسنة وأسوة طيبة ويكون اقتداؤه برسول الله ﷺ محتذيا به قولا وعلما وعملا فحينما فقدت الدعوة القدوة الحسنة والأسوة الطيبة فى بعض القائمين على أمرها ضعف شأن المسلمين وانفصل الدعاة عن المدعوين ، فانصرف الناس عنهم .

أما عن وسائل الدعوة ومناهجها فيرى الباحث أن المنهج يتنوع بتنوع أحوال المدعوين من منهج فطرى الى عاطفى الى عقلى الى علمى الى منهج قوة للتمكين لدعوة الله فى الأرض ولاعلاء كلمته ، ويعنى بالوسائل أدوات التبليغ سواء كانت وسيلة مقروءة أو مسموعة أو مرئية والمنطلق فى ذلك يكون قول الله تعالى :

« ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ »

قال الباحث :

والحكمة فى اللغة : بمعنى العدل ، والعلم والحلم ، والنبوة والقرآن والانجيل (٢) .

والحكمة : العلم بحقائق الأشياء على ماهى عليه والعمل بمقتضاها ولهذا انقسمت الى عملية وعلمية .

والحكمة : اصابة الحق بالعلم والعمل (٣) .

وفى الشرع جاءت بأكثر من معنى . ويجمعها (الاصابة فى القول والعمل معا) وفى معنى قوله تعالى : « يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ، وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ... » ذكر المفسرون أن الحكمة هى القرآن والفقه به .. وعن ابن عباس فى قوله :

(ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) يعنى المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه . ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله .

وقال آخرون : الحكمة : الفهم .. والخشية (٤) . وعن مقاتل : أنها تفسر فى القرآن بأربعة أوجه : فتارة بمواعظ القرآن ، وأخرى بما فيه من عجائب الأسرار ، ومرة بالعلم والفهم ، وأخرى بالنبوة .

←

---

* الباحث : أستاذ ورئيس قسم التاريخ والحضارة . جامعة الأزهر .

(٢) الفيروز ابادى : القاموس المحيط ج ٤ ص ٩٨ .

(٣) الزبيدى : تاج العروس ٨ / ٢٥٣ .

(٤) تفسير الطبرى ٣ / ٦٠ .

ولعل الأنسب بالمقام ما ينتظم الأحكام المبينة فى تضاعيف الآيات الكريمة من أحد الوجهين الأولين ، ومعنى ايتاء الحكمة تبيينها والتوفيق الى العلم والعمل بها ، أى يبينها ويوفق للعلم والعمل بها (من يشاء) من عباده .

وتعنى الحكمة أيضا العلم الصحيح ، يكون صفة محكمة فى النفس وحاكمة على الارادة ، توجهها الى العمل ، ومتى كان العمل صادرا عن العلم الصحيح كان هو العمل الصالح النافع المؤدى الى السماح (٥) . وهو الذى ينهض بأمر الدعوة ويرفع شأن الأمة « وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا » أوتى القصد والاعتدال فلا يفحش ، ولا يتعدى الحدود ، وأوتى ادراك العلل والغايات فلا يضل فى تقدير الأمور ، وأوتى البصيرة المستنيرة التى لاصالح الصائب للحركات والاعمال وذلك خير كثير متنوع (٦) .

وعليه فان نسبة العلوم الى الحكمة كنسبة الأعضاء الى الجسد (٧) .

كيف يستفيد الداعية من شروح الحكمة (مدلولاتها) ؟

ويستفيد الداعية من شروح الحكمة ما يتخذ منه دعامة لدعوته على وجه العموم ، وعلى وجه الخصوص ، فانه يستفيد من الحكمة التولية بشتى ضروبها نثرا وشعرا (فان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة) ... (والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها) .

وكذلك يستفيد من الحكمة العلمية كل تدبيرمن شأنه أن يجعل الداعية قدوة حسنة فى أفعاله وأخلاقه ويجعله عند أهله محبوبا مسموع القول متبوع الرأى .

والموعظة الحسنة : عند علماء اللغة : الوعظ والتخويف والعظة الاسم منه .

قال الخليل : هو التذكير بالخير وما يرق قلبه (٨) .

وقال الراغب فى المفردات : الوعظ زجر مقترن بتخويف .

وقال الجوهرى : الوعظ : النصح والتذكير بالعواقب فهو اذن اخلاص للمنصوح له فى القول وتذكير له بالعواقب ، وأما الفيروزابادى فيقول : وعظه يعظه وعظا وعظة وموعظة : ذكره مايلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ ونلمح من خلال هذا التعريف عنصرى الترغيب والترهيب أو التبشير والانذار (٩) .

وعند المفسرين :

يقول الطبرى عن الموعظة : هى العبر الجميلة التى جعلها الله حجة عليهم فى كتابه وذكرهم بها فى تنزيله .

ويقول القرطبى : أمره أن يدعو الى دين الله بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف (١٠) والموعظة الحسنة : هى المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التى يستحسنها السامع وتكون فى نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع

---

(٥) تفسير المنار الشيخ رشيد رضا .
(٦) فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب .
(٧) المفردات للراغب .
(٨) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة .
(٩) جامع البيان ١٢ / ١٩٤ .
(١٠) الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٢٠ .

بها • قيل وهى الحجج الظنية الاقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة ، قيل وليس للدعوة الا هاتان الطريقتان (١١) •

وبالموعظة الحسنة التى تدخل الى القلـوب برفق وتتعمق المشـاعر بلطف ، لا بالزجـر والتأنيب فى غير موجب ، ولا بفضح الأخطـاء التى قد تقع عن جهل أو حسن نية ، فان الرفق فى الموعظة كثيرا ما يهدى القلوب الشـاردة ، ويؤلف القلوب النافرة ويأتى بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ (١٢) •

العلاقة بين الحكمة والموعظة الحسنة :

وعلاقة الحكمة بالموعظة الحسنة علاقة تأكيد وتكميل ، فليس المقصود بالموعظة الحسـنة ، مجرد الاثارة للشـعور والوجدان ، والهـاب العواطف دون اعمال فكر أو روية ، وبلا وعى وفهم للحقائق والقضايا ، والتمييز بين الحق والباطل فيهما ، فلا فائدة من عاطفة عميـاء لا يقودها عقل ولا فى عقل مجرد لا يقوم على عاطفة ترغبه وترهبه ، والاقناع المجرد لا يكفى وحده للانصياع للحق والخضوع له ، بل لابد من ترويض النفس وتهذيبها حتى تخضع للحق وتنقاد لـه •

فالانسان جسـد وروح وعقل وعـاطفة لا يستغنى أحدهما عن الآخر ، والحكمة بمعناهـا اللغوى تتصل اتصالا تاما بالموعظة الحسـنة، ويتوقف نجاح هذا الاسلوب على استعمالهـا وذلك بأن يوضع كل شىء فى مكانه وزمـانه المناسب فلكل مقام مقال •

فليس من الحكمة أن يخاطب الداعى الناس بما هو فوق عقولهم ويكثر عليهم حتى يملوا ، ولاسيما أن النبى ﷺ قد أمـر أن يخاطب الناس على قدر عقولهم وكان يتخول أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم •

وكذلك ليس من الحكمة أن يفرط الداعى فى ترغيب أو ترهيب بل يوازن بينهما ، ويتوسط فى الانذار والتبشير •

وليس من الحكمة أن يدعو الناس الى الصبر وهو متعجل فى حديثه ، ولا أن يدعوهـم الى الرفق وهو متغيظ فى كلامه •

وجادلهم بالتى هى أحسن :

والمتأمل فى القرآن الكريم يجد نماذج كثيرة لجدال الأنبياء — صلوات الله وسلامه عليهم مع أقوامهم ، اذ أن البشر يختلفون اختلافـا كبيرا فى ميولهم واسـتعدادهم ومـداركهم وبيئاتهم •

ولقد جادل الرسول ﷺ أهل مكة كمـا جادل أهل الكتاب فى المدينة ، ولكنه سلك معهم ألطف السبل وأفضلها فى ذلك لأن الهدف منـه اظهار الحق وتأييده ، ودفع الباطل ودمغه ، فمن أبطل دعوى الخصم فهو مجادل جيد يدفع كيد أعداء الله •• ويعلى كلمة الله •

يقول شـيخ الاسـلام ابن تيمية : ان الناس بالنسبة للدعوة ثلاثة أصناف : صـنف عرف الحق ويعمل به ، وآخر يعرف الحق ولا يعمل به ، وثالث يعرف الحق ولكنه يصد عنـه ويحاول أن يقف فى طريقه• فالأول يدعى بالحكمة

(١١) الشوكانى : فتح القدير ٣ / ٢٠٢ •
(١٢) سيد قطب : فى ظـلال القـرآن ٤ / ٢٣٠٢ •

والثانى يذكر بالأمر بالمعـروف والنهى عـن المنكر والثالث يجـادل بالتى هى أحسـن ..
والجدل أمر تدعو اليه الحـاجة فى كثير مـن المواقف .والداعية الناجح لابد أن يأخذ بمنهج الجدل كما جاء فى القرآن الكريم والسنة لأنه أقرب الى قناعة العقول ويرضى النفوس .

والجدل بالتى هى أحسن – بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل لـه ولا تقبيح حتى يطمئن الى الداعى ويشعر أن ليس هـدفه الغلبة فى الجدل ولكن الاقناع والوصول الى الحـق فالنفس البشرية لهـا كبرياؤها وعنادها ، وهى لاتتنزل عن الرأى الذى تدافع عنه الا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأى وقيمتها عند الناس ، فتعتبر التنازل عن الرأى تنازلا عن هيبتها واحترامها وكيانها .

والجدل بالحسنى هو الذى يطامن هـذه الكبرياء الحساسة ويشعر المجادل أن ذاتـه مصونة ، وقيمته كريمة ... ، ... وأن الداعى لا يقصد الا كشف الحقيقة فى ذاتها والاهتداء اليها فى سبيل الله لا فى سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأى الآخر ... فلا ضرورة للحاجة فى الجدل انما هو البيان والامر بعد ذلك لله .

وبعـــد :

فاذا أردنا النهوض بالدعوة الاسلامية فيجب أن يكون اهتمامنا بفقه الدعوة ومنزلتها وبيان مهمة الداعية واعداده اعدادا سليما على منهج كتاب الله وهدى رسوله ﷺ عن طريق القدوة الحسنة والاسوة الطيبة ، وأن يعاد النظر فى وسائل الدعوة ومناهجهـا لتعـود الى سالف عهدها ، يوم حملها أصحاب رسـول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وسلف الأمة الصـالح ، فأصبحت كلمة الله هى العليـا وكلمة الـذين كفروا السفلى ومكن الله لدينه فى الأرض ... وذلك بفضـل الايمـان والعمـل الصـالح والاعتصام بحبل الله . والالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة مصداقا لقوله تعالى : « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّـالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنـًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً » .

وقوله سبحانه وتعالى :

« وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِـلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

د/محمد عبد العليم العدوى

قرارات وتوصيات

مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الحادى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله :

وبعـــــد ....

فقد قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾(١)

وقال سبحانه : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(٢).

ونزولاً على أمر الله فى كتابه : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾(٣)

وقول الله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾(٤).

وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذى رواه الطبرانى فى الأوسط عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال :

قلت : يارسول الله إن عرض لى أمر لم ينزل فيه قضاء ولا سنة كيف تأمرنى ؟

قال : (تجعلونه شورى بين أهل الفقه والعابدين من المؤمنين ولا تَقْضِ فيه برأيك خاصة) .

ولما كان المسلمون - بحمد الله - قد تكاثروا واتسع نطاق بلادهم وأوطانهم ، وكانت الفرقة قد بدأت تهز كيانهم ، والفتن تحوطهم ، وتساق إليهم ، وكانت الدعوة إلى الله بإخلاص وصدق ، هى مهمة العلماء طلباً لإصلاح حال الأمة واستقامتها على الطريق المستقيم .

وكانت الجهات التى تقوم على شئون الدعوة الإسلامية قد كثرت ، دون أن تتساند فى أداء هذه الأمانة،وتتكامل وصولاً إلى تقوية الروابط الإسلامية بين شعوب الأمة،وكان الأزهر الشريف بموقعه العلمى والتاريخى قد قام بالدعوة الإسلامية وما زال يواصل مهامها بين الشعوب الإسلامية .

وكان من توجيهات القرآن الكريم : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾(٥).

دعا الأزهر إلى عقد هذا المؤتمر لبحث شئون الدعوة ولمواجهة بعض قضايا المسلمين التى من أهمها :

←

١) الأحزاب ٧٠ ، ٧١
٢) النحل ١٢٥
٣) البقرة ٨٣
٤) الشورى ٣٨
٥) المائدة ٢

أ : التنسيق بين نشاط الهيئات التى تقوم بالدعوة الإسلامية .

ب : التنسيق بين الهيئات التى تتولى أعمال الإغاثة .

جـ : قدسية الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى .

د : وضع الأقليات الإسلامية فى العالم ومسئولية المسلمين تجاهها .

هـ : القضايا المعاصرة للأمة الإسلامية .

وقد انعقد المؤتمر ـ بتوفيق الله ـ بحضور العلماء والوزراء الممثلين لشعوب الأمة الإسلامية وللأقليات الإسلامية التى تعيش خارج دار الإسلام .

حيث بدأت أعماله بصلاة الجمعة فى جامع الأزهر الشريف يوم ١٥ من رجب سنة ١٤٠٨ هـ الموافق ٤ من مارس سنة ١٩٨٨ م ، ثم افتتحت جلسته الأولى فى اليوم التالى بقاعة الإمام الشيخ محمد عبده بجامعة الأزهر بالقاهرة بحضور السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ورجال الدولة والوفود الممثلة للدول والشعوب الإسلامية وذلك بتلاوة آيات من القرآن الكريم وكلمات من فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح حسينى الشيخ رئيس جامعة الأزهر ثم من فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح بركة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ثم كلمة الوفود المشاركة فى المؤتمر من السيد المشير عبد الرحمن سوار الذهب من وفد السودان ثم كلمة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر . وقد ألقى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية كلمته مرحباً بالوفود المشاركة مؤكداً على أن الإسلام يدعو إلى وحدة الصف والبعد عن تفريق كلمة الأمة ، وعلى أن الدعوة فى الإسلام واجبة وأنها مسئولية الجميع ، وأنها تأتى فى مقدمة الواجبات التى يستوى فى حمل مسئوليتها العلماء والمؤسسات والرؤساء والحكومات نظرا لما يمر به العالم الإسلامى اليوم من معاناة، وما يحيط به من تهديدات وما يعترض طريق نهوضه من معوقات وعقبات ، مؤكداً على سماحة الإسلام، وعلى ضرورة الحوار العلمى لحل المشكلات والمصاعب التى تقوم فى سبيل الدعوة الإسلامية ، والعمل على تربية النشء على روح الإسلام وتعاليمه وإرشاد الشباب إلى الطريق الصحيح .

وقد اختتم السيد الرئيس كلمته مخاطباً الحضور : فإن مؤتمركم هذا له رسالته الكبرى فى هذه الفترة من حياة أمتنا ، وأنا واثق أنكم أهل لتحمل هذه الرسالة وأدائها بما جمعكم من هدف كريم وبما حملتم من علم عظيم وبما عمر قلوبكم من إيمان بدينكم وأمتكم ، وبما تأخذون به أنفسكم من تفان فى سبيل أداء رسالتكم والله يوفقكم ويحقق الرجاء فيكم فهو الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

ولقد تدارس المؤتمر فى جلسات جماعية الأمور المطروحة عليه ، كما تدارس البحوث المقدمة فى جلساته التى استمرت ـ صباحاً ومساء ـ من مساء السبت الموافق ١٦ من رجب سنة ١٤٠٨ هـ ـ ٥ من مارس سنة ١٩٨٨ م إلى مساء الاثنين ١٨ من رجب سنة

١٤٠٨ هـ ـ ٧ من مارس سنة ١٩٨٨ م بمركز الشيخ صالح عبد الله كامل للأبحاث والدراسات التجارية الإسلامية بكلية التجارة جامعة الأزهر بالقاهرة .

وقد انتهى المؤتمر إلى التوصيات والقرارات التالية :

(١) إرسال برقية شكر وتقدير إلى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك واعتبار الخطاب الذى القاه فى افتتاح المؤتمر وثيقة من وثائقه وخطة عمل للدعوة الإسلامية .

(٢) تأكيد التوصيات والقرارات التى أصدرتها المؤتمرات السابقة التى انعقدت فى رحاب الأزهر الشريف .

(٣) التنسيق بين الجهات القائمة على شئون الدعوة الإسلامية والإغاثة فى العالم الإسلامى .

وفى سبيل ذلك وافق المؤتمر على ما يلى :ـ

أولاً : ضرورة تنسيق جهود العاملين فى هذين المجالين وذلك بإنشاء (مجلس إسلامى عالمى للدعوة والإغاثة) بمراعاة أن يضم هذا المجلس المنظمات والمؤسسات التى تعمل فى مجال الدعوة والإغاثة وإعداد الدعاة، والتى يمتد نشاطها خارج حدود بلد المقر .

ثانياً : يختص المجلس بالتخطيط والتنسيق والتعاون والمتابعة .

ثالثاً : تقوم فى كنف هذا المجلس ثلاث إدارات فرعية متخصصة هى :

أ ـ إدارة الإغاثة : وتضم الجهات العاملة فى الإغاثة .

ب ـ إدارة إعداد وتدريب الدعاة : وتضم الجهات العاملة فى هذا النوع من التعليم والتدريب .

جـ ـ إدارة تمويل الدعوة والإغاثة : وتضم الجهات العاملة فى تمويل الدعوة والإغاثة .

رابعاً : يتولى الأزهر بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامى والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت الدعوة لاجتماع تأسيسى لصياغة النظام الأساسى واللوائح التنظيمية لهذا المجلس وفروعه فى أقرب وقت ممكن .

خامساً : يضم الاجتماع التأسيسى الجهات الآتى ذكرها :

١ ـ الأزهر الشريف بمصر .

٢ ـ رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة .

٣ ـ منظمة المؤتمر الإسلامى الشعبى ببغداد .

٤ ـ الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت .

٥ ـ منظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم .

٦ ـ لجنة مسلمى افريقيا بالكويت .

٧ ـ الرياسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد بالرياض .

٨ ـ رابطة الجامعات الإسلامية بالمغرب .

٩ ـ رابطة علماء المغرب والسنغال بالرباط .

١٠ ـ منظمة المؤتمر الإسلامى بجدة .

١١ ـ اتحاد البنوك الإسلامية بالقاهرة .

١٢ ـ بيت الزكاة بالكويت .

١٣ ـ هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بمكة المكرمة

١٤ ـ وكالة الإغاثة الإسلامية بالخرطوم .

١٥ ـ لجنة الإغاثة الكويتية بالكويت .

←

١٦ ـ اتحاد الهلال الأحمر العربى بالرياض .

١٧ ـ المؤتمر الإسلامى الشعبى لبيت المقدس بالأردن .

١٨ ـ "مؤسسة اقرأ" بجدة .

١٩ ـ ممثلو وزارات الأوقاف وإدارات الشئون الإسلامية التى يمتد نشاطها فى أمور الدعوة والإغاثة خارج موطنها، وهى القائمة فى البلاد الآتية :

أ ـ جمهورية مصر العربية .

ب ـ المملكة المغربية .

جـ ـ الجمهورية العراقية .

د ـ دولة الكويت .

هـ ـ دولة قطر .

و ـ دولة الإمارات العربية المتحدة .

ز ـ المملكة الأردنية الهاشمية .

معوقـــات الدعــوة

تواجه الدعوة الإسلامية فى هذا العصر تحديات بالغة تعوق مسيرتها وتحد من إنجازاتها .

وأهم هذه المعوقات :ـ

(١) القصور فى تطبيق الشريعة .

(٢) تصدير الشعارات الزائفة وإثارة الفتن باسم المذهبية بين شعوب الأمة .

(٣) ظهور الفئات والفرق الضالة والهدامة التى تعيث فى ديار المسلمين فساداً .

(٤) الغزو الفكرى المعادى للإسلام .

(٥) سوء الفهم لأحكام الإسلام من بعض المنتسبين إليه ، وتصدى غير المؤهلين للدعوة الإسلامية للعمل فى مجالها ، والفتوى فى دين الله بغير علم .

مواجهــة المعوقــات :

وفى مواجهة هذه المعوقات وغيرها اتخذ المؤتمر ما يلى :

أولاً : يؤكد المؤتمر على ضرورة تطبيق شرع الله فى كل أمور المسلمين إعلاء لكلمة الله باعتبارها تعلو على كل قانون من صنع الناس، وفرضاً محكماً على المسلمين .

ثانياً : يؤكد المؤتمر على ما سبق أن قررته مؤتمرات علماء المسلمين بالأزهر الشريف والمجامع والهيئات الإسلامية من أن فكر البهائية والقاديانية والأحمديـة مناهض للإسلام ، وأن كل من اعتنق هذا الفكر وأمثاله لا يعتبر من المسلمين . ويدعو المؤتمر كافة الشعوب الإسلامية حكاماً ومحكومين إلى مقاومة هذا الفكر ونبذ كل من اعتنقه أو دعا إليه .

ثالثاً : يرى المؤتمر أن النظام الإيرانى الراهن قام على أساس فكرى ودينى خاطىء ، وأحدث بدعاً منها « ولاية الفقيه » وسعى إلى تصديره إلى العالم الإسلامى للتفريق بين المسلمين والإساءة إليهم ..

ويدعو المؤتمر المجامع والهيئات الإسلامية والمفكرين المسلمين إلى مقاومة هذا الفكر وبيان خطئه لمخالفته لكتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإجماع الأمة .

رابعاً : ينصح المؤتمر شعوب الأمة

الإسلامية وحكامها بالاهتمام ببناء الشخصية الإسلامية المتميزة عن طريق العناية بمناهج التربية والتعليم وفق أسس إيمانية شاملة وخطط علمية مدروسة وبرامج عملية تأخذ بعين الاعتبار الحرص على تنمية المجتمعات الإسلامية وتطويرها على أساس منهج يهتم بالحفاظ على إنسانية المسلم وبنظر عصرى متوازن يؤمن الطاقات البشرية المؤهلة لسد حاجات المجتمعات الإسلامية فى كل مرافق الحياة .

خامساً : وفى مجال سوء الفهم لأحكام الإسلام ينبه المؤتمر إلى خطورة الأفهام التى لا تدرك مقاصد الشريعة وأحكامها .

ويدعو المؤتمر إلى أن تكون الدعوة إلى الإسلام والتربية عليه وفقا للأصول الإسلامية ، وعلى أسس من التيسير والتسامح من منطلق الفهم السوى لكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

سادساً : يوصى المؤتمر قادة المسلمين فى بقاع العالم الإسلامى أن يوجهوا المسلمين إلى نبذ التعصب المذهبى .

سابعاً : يوصى المؤتمر الجهات القائمة على الدعوة بالعمل على نشر الأحكام الشرعية وبيانها للمسلمين الذين يحتاجون إلى مزيد من التبصرة بشئونهم الدينية ، كما يوصى جهات الفتوى بإيضاح المذاهب التى يفتون وفقاً لفقهها تيسيرا على الناس .

ثامناً : يوصى المؤتمر هذه الجهات بضرورة الاهتمام بإعداد الدعاة وتأهيلهم وإمدادهم بما يساعدهم على أداء مهامهم .

تاسعاً : ينصح المؤتمر الحكومات الإسلامية بالعمل على تمكين العلماء من أداء واجباتهم نحو الدعوة الإسلامية .

قدسية الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى

عظم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى تعظيماً بينه القرآن الكريم ، وفصلته السنة المطهرة .

وقد أجمع المسلمون على ذلك ، وأحبوه ، وتربوا عليه ، والتزموه وتواصوا به ، إجماعاً يترجم إخلاص التوحيد لله ، وصدق الطاعة وحسن الاستجابة لله ورسوله .

ومن هنا ، فإن الحرمين الشريفين ، والمسجد الأقصى مقدسات عظيمة لا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر انتهاكها ، والاعتداء عليها ، والإفساد فيها بالنية الخبيثة ، والكلمة السيئة والسلوك المنحرف ، فضلاً عن أن يسفك فيها الدم الحرام ، ويروع المؤمنين والمؤمنات .

وإن الحفاظ على قدسية هذه المقدسات ، والذود عنها واجب دينى ماض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد تعرض الحرمان الشريفان والمسجد الأقصى لعدوان أثيم استنفر ضمير الأمة الإسلامية ، واستنهض إيمانها - وفى مقدمتها العلماء والدعاة - غيرة على حرمات الله وقياماً بالمسئولية والواجب .

إن الفتنة التى أوقدها نظام الحكم الإيرانى فى حج العام الماضى ١٤٠٧ هـ فى بيت الله الحرام ، والبلد الآمن جريمة نكراء ، لا يقدم عليها من يعرف لله حقه ، وللرسول صلى الله عليه وسلم مقامه ، ولمقدسات

الإسلام حرمتها ، وللمسلمين قيمتهم واعتبارهم .

إن المؤتمر ـ اهتداء بتعاليم الإسلام ـ يقرر :

أ ـ إدانة ما وقع من بعض الحجاج الإيرانيين بتخطيط من النظام الإيرانى فى الحرم المكى فى موسم حج عام ١٤٠٧ هـ باعتباره انتهاكاً لقدسية هذا الحرم المقررة فى كتاب الله وسنة رسوله ، وإدانة المسئولين عن فعله وتنظيمه والدعوة إليه .

ب ـ رفض بدعة تدويل الحرمين الشريفين واستنكار المناداة بها واعتبارها خروجاً على أمر الله ورسوله وجماعة المسلمين وخرقاً لمقدسات الإسلام التى استقرت لدى فقهاء جميع المذاهب الإسلامية .

ويقرر المؤتمر أن بدعة التدويل غريبة عن الإسلام كما يقرر أن الولاية على البيت الحرام لمن ولاهم الله ورسوله حجابته وسقايته ورفادته .

وَأُمُّ القُرَى لها ولاتها وهم ولاة الأمر فى المملكة العربية السعودية فتقع البقعة المباركة فى ولايتهم قولاً واحدا متفقاً عليه بين أئمة المسلمين إمضاء لحكم الله ورسوله ، وما يجرى على مكة يجرى على المدينة المنورة بالأحاديث الواردة فى الصحيحين بهذا الشأن .

جـ ـ يؤكد المؤتمر حرمة القيام بالمظاهرات والمسيرات السياسية والمذهبية فى الحرمين الشريفين وحرمة الهتاف بأى اسم أو وصف غير ذكر الله سبحانه والصلاة والسلام على رسوله كما يؤكد المؤتمر أن لحكومة المملكة العربية السعودية أن تتخذ من الإجراءات ما يكفل الحفاظ على حرمة الحج والحرمين وأمن الحجاج وتنظيم إقامتهم وسيرهم وتنقلاتهم فى المناسك والطرقات ومداخل المملكة ومخارجها ، وأن تمنع كافة المظاهرات والمسيرات المذهبية والسياسية والملصقات والنداءات .

د ـ ينوه المؤتمر بالخدمات الجليلة العظيمة التى توفرها المملكة العربية السعودية للحرمين الشريفين والحج والحجاج والعمار والزوار .

كما ينوه المؤتمر بوجه خاص باستتباب الأمن واستقراره على الوجه الذى يوفر ـ دائماً ـ للحرمين الشريفين وللطائفين والركع السجود الطمأنينة فى عبادتهم وزيارتهم .

هـ ـ يؤيد المؤتمر ما اتخذته حكومة المملكة العربية السعودية تجاه الفتنة التى وقعت فى الحرم المكى فى موسم الحج عام ١٤٠٧ هـ من إجراءات ويدعو المؤتمر أولى الأمر فى المملكة العربية إلى أن يتخذوا ما يرونه من إجراءات وقائية لصون الأمن والنظام سدا لذرائع البغى والفتنة وتمكينا للمسلمين من أداء شعائرهم فى سكينة وهدوء وسلام .

و ـ يقدر المؤتمر موقف علماء المسلمين والشعوب والحكام المسلمين الذين وقفوا ـ وقفة إيمان وشرف ـ دفاعاً عن قدسية الحرمين وتأييدا للقائمين على شأنهما وخدمتهما .

ز ـ يقرر المؤتمر ـ أنه إمضاء لحكم الله ورسوله ـ لا يجوز لأحد كائنا من كان أن

يحدث أى حدث فى الحرمين الشريفين أو أن يتعاون فى إحداث أية فتنة فيهما؛لأن الإسلام حرم التعاون على الإثم .
﴿ . . . وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾[٦] .

ويقرر أن كل من يشارك فى هذه الفتن أو يعاون عليها يكون شريكاً مؤثماً وتنسحب عليه أية أحكام تسرى على محدثى الفتنة ومدبريها .

حـ ـ ينصح المؤتمر باستمرار اليقظة والترقب حتى تموت الفتنة وينكسف البغى .

ط ـ مطالبة الإعلام فى العالم الإسلامى بإبراز ما يلى :

- تجديد التوعية بعظمة الحرمين الشريفين وحرمتهما .
- إبراز واقع الأمن والأمان المتوافر للأماكن المقدسة وشكر الله سبحانه وتعالى على تيسيره واستدامته .
- التحذير المستمر من تحويل الحرمين الشريفين والحج إلى ساحة ملتهبة للصراع السياسى والطائفى إذ فى هذا جناية على قدسية الحرمين وخدمة للقوى المعادية للإسلام .

المسجد الأقصى :

١ ـ يحيى المؤتمر الانتفاضة الشعبية الفلسطينية فى وجه الاحتلال التى تمثل أصالة هذه الأمة فى مواجهة المخططات الهادفة لطمس ذاتيتها وقتل روحها الإسلامية .

ويناشد شعوب الأمة الإسلامية وحكوماتها دعم أهل الأرض المحتلة : فلسطين ـ مادياً ومعنوياً ـ حتى تصل هذه الانتفاضة إلى أهدافها فى دحر العدوان وتخليص الديار المقدسة من نير الاحتلال الصهيونى .

٢ ـ يهيب المؤتمر بالمجتمع الدولى ومنظماته المتخصصة ومن بينها مجلس الأمن أن يعمل على وقف العدوان على الشعب الفلسطينى المطالب بحقه ، كما يهيب بجهات الإغاثة العالمية وحقوق الإنسان أن تبادر إلى القيام بواجباتها نحوه حتى يحصل على حقه فى تقرير مصيره .

٣ ـ يناشد المؤتمر المسلمين فى كل مكان ألا يغفلوا عن واجبهم الدينى نحو تخليص بيت المقدس وسائر المقدسات من أيدى إسرائيل ، ويؤكد المؤتمر الفتوى الدينية الصادرة من علماء المسلمين وقضاتهم ومفتيهم فى الأرض المحتلة ـ فلسطين ـ بتاريخ ١٧ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٧ هـ الموافق ١٩٦٧/٨/٢٢ م والمتضمنة أن المسجد الأقصى المبارك بمعناه الدينى يشمل المسجد الأقصى المبارك المعروف الآن ومسجد الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بها وما عليه من السور والأبواب .

وأن العدوان على أى جزء من ذلك يعتبر انتهاكاً لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداء على قدسيته ، وأن المسجد الإبراهيمى فى ←

---

٦) المائدة ٢

الخليل مسجد إسلامى مقدس ، وكل اعتداء على أى جزء منه يعتبر انتهاكاً لحرمته المقدسة .

٤ ـ يؤكد المؤتمر أن المسلمين كما يجب عليهم المحافظة على المقدسات الإسلامية والدفاع عنها فهم مسئولون كذلك عن المحافظة على مقدسات المسيحيين فى فلسطين والدفاع عنها والتمكين من حرية زيارتها عملاً بحكم العهدة العُمَرِيَّة وتعاليم الشريعة الإسلامية .

٥ ـ يهيب المؤتمر بالدول الكبرى وبسائر الدول والمجتمعات التى تنادى بحقوق الإنسان أن تكف عن تشجيع إسرائيل على عدوانها،وأن تطالبها بتطبيق الاتفاقات الدولية الخاصة باحترام حقوق الإنسان فى الأراضى المحتلة .

ويؤكد المؤتمر القرارات الصادرة عن مؤتمرات القمة الإسلامية ولجنة القدس فيما يختص بالأرض المحتلة والقدس الشريف .

الأقليات الإسلامية :

يجمع بين الأقليات الإسلامية إيمانها بالانتماء الإسلامى، والرغبة فى الصعود بحاضرها إلى مستقبل أفضل .

وتتباين أوضاعها تبعا لظروف تاريخية واجتماعية واقتصادية ودينية .

وقد بحث المؤتمر أمور الأقليات واستمع إلى الكثير من مشكلاتها وقد تبين أن هذه الأقليات صنفان :

الأول : مواطنون مسلمون يعيشون فى أقاليم كانت ضمن دار الإسلام ثم انحسرت عنها تبعيتها لهذه الدار .

الثانى : جاليات مسلمة من ديار الإسلام مهاجرة من أوطانها إلى مواطن جديدة ليست من ديار الإسلام .

ويتنوع هذان الصنفان إلى مستويات اقتصادية ثلاثة :

أولاً : جاليات تعيش فى مناطق الوفرة والغنى .

ثانياً : جاليات تعيش فى مناطق كفاح فى طلب الرزق .

ثالثاً : جاليات تعيش فى مناطق العسرة وقلة الموارد .

وقد تكون الجالية فى موقعها متجانسة من حيث المذهب الفقهى الذى تنتمى إليه . وقد تكون تبعيتها لعدد من هذه المذاهب ، وهذا التنوع فى آفاق الحياة يدعو إلى معالجة ذات شقين :

الأول : تأكيد العقيدة الإسلامية باعتبارها الركيزة الأولى للحياة الإسلامية ورباط الفرد بخالقه وتأكيد الإخاء باعتباره الرباط بين الفرد ومجتمعه الاسلامى ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾(الحجرات ١٠)

الثانى : دراسة كل جالية على حدة حسب خصائصها الحضارية ورسم طريق نموها وفى هذين الشقين يأتى التعاون بين مراكز الدعوة الإسلامية .

توجيهات وتوصيات بالنسبة للأقليات :

لما كان قد ظهر من مداولات المؤتمر افتقار التنسيق والتعاون بين المراكز الإسلامية

القائمة على شئون الأقليات فى مواقعها المختلفة والتناقض بين مخططاتها .

يوصى المؤتمر - فى سبيل التوجيه إلى واجبات الأقليات وواجبات الدول والشعوب الإسلامية نحوها - بما يلى :

أولاً : تأكيد السماحة الإسلامية فى التعامل بين أبناء الجالية الإسلامية وعليهم ألا يحملوا معهم مشكلات أوطانهم التى هاجروا منها .

ثانياً : أن تكون الأسرة الإسلامية صورة لما يجب أن يكون عليه المجتمع الإسلامى ، فتربى أبناءها على النهج الإسلامى بحيث تتكامل الصلة بين الأسرة والمجتمع الإسلامى باعتبار أن هذا المجتمع يستمد نظمه من أصول الإسلام .

ثالثاً : العناية فى المنزل وفى تجمعات الجالية باللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية ولغة الصلاة والمناسك والوعاء الذى حفظ القدر الأكبر من التراث الإسلامى .

رابعاً : حث أبناء هذه الجاليات على الاتجاه إلى دراسة العلوم الحديثة والعملية لتكون منهم الصفوة القادرة على تأكيد الهوية الإسلامية فى العالم المعاصر فى لقاء بين الإسلام وشئون الحياة .

خامساً : يوصى المؤتمر كل جالية إسلامية بإيجاد أسلوب للتكافل الاجتماعى بين أبناء الجالية يرعى الضعفاء من ناحية والموهوبين من ناحية أخرى ، فتربية الجيل الجديد ورعايته من أعظم الاستثمارات فى حياة المسلمين .

وفى شئون الدعوة الإسلامية بين الأقليات :

يوصى المؤتمر المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة الذى تقرر إقامته بمايلى :

(أ) إنشاء مركز لشئون الأقليات .. ويمكن لهذا المركز أن يقبل التبرعات المنتظمة والهبات، وأن يوزعها فى إطار التنسيق بينه وبين المراكز الأخرى .

(ب) إنشاء بنك معلومات عن الأقليات ، تتجمع لديه المعلومات عن كل جالية ، وأن يكون مزوداً بالوسائل الحديثة لجمع المعلومات واختزانها وتصنيفها واسترجاعها .

(جـ) إصدار نشرة دورية ، تكون وسيلة منتظمة لتبادل المعلومات .

(د) إعداد مراكز متخصصة لإعداد الدعاة للمهجر فى أقطاره المختلفة ، وتكون أولوية الدراسة لأهل الأقطار المحتاجة إلى هذا النوع من الدعم .

(هـ) وضع "أطلس" للأقليات الإسلامية يرصد القائم من أنشطتها ويخطط لمستقبلها ويكون وسيلة للتعاون بين الخبرات والكفاءات الإسلامية العالية من ناحية وبين مناطق الحاجة إليها من ناحية أخرى .

يوصى المؤتمر منظمة المؤتمر الإسلامى والحكومات الإسلامية والمجلس الإسلامى العالمى للدعوة الإسلامية والإغاثة وما يضمه فى عضويته من هيئات ومؤسسات فى شأن الأقليات الإسلامية بما يلى :

(أ) بذل نفوذها نحو رعاية هذه الأقليات سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ومساعدتها على حل مشكلاتها ، والمحافظة على الهوية

الإسلامية . وحريتها فى ممارسة شعائر الإسلام وإقامة المساجد والمدارس والمستشفيات ، واستمداد شئون حياتهم من أصول الإسلام ، والتعبير عن عقيدتهم .

(ب) مساندة الأقليات التى تتعرض للضغوط فى أمر تسمية أولادهم ، وطرق تعليمهم ، وضمان حقهم فى العمل والإنتاج ، وتيسير تنقلهم بين الأقطار الإسلامية وغيرها وإلحاق أولادهم بالتعليم لديها .

(جـ) التعاون على إصدار سلسلة من المطبوعات وشرائط (الفيديو) والمسجلات الصوتية ، لتكوين مكتبة قرآنية وإسلامية مقروءة ومسموعة ومرئية ، ميسرة متدرجة مع مستويات العمر والثقافة .

(د) يوصى المؤتمر هيئات الإذاعة والتليفزيون فى البلاد الإسلامية باستثمار هذه الوسائل فى برامج معبرة عن الإسلام ، تذاع على الموجات المختلفة والأقمار الصناعية تعرّف بالإسلام وحضارة المسلمين وثقافتهم فى الماضى والحاضر بحيث ينتفع به المسلمون فى المهجر وفى غيره ، وتكون دعوة حية للإسلام وشرحاً لمقاصده وأحكامه وأخلاقه وعدله ومساواته بين الناس فى الحقوق والواجبات .

من القضايا المعاصرة

يؤكد المؤتمر أن الأخوة والسلام والوحدة بين المسلمين فرض لازم لا يجوز المساس به .

الحرب الإيرانية العراقية :

تدارس المؤتمر قضية الحرب الإيرانية العراقية باعتبارها أخطر وأبشع صور الاحتراب بين المسلمين فى هذا العصر ، ووقف المؤتمر على إصرار إيران على استمرارها ورفضها المساعى الإسلامية والدولية والإقليمية الرسمية والشعبية ، وعملها على توسيع رقعة الحرب لتشمل دول الخليج وتهديد الملاحة فيه مما يجعل بلاد المسلمين فى المنطقة ساحة ساخنة للصراعات الدولية بكل تعقيداتها وأخطارها .

كما وقف المؤتمر على ما أبداه العراق من قبول وقف الحرب فوراً والجلوس للصلح وذلك على لسان قيادته .

وقد تدارس المؤتمر قول الله تعالى فى سورة الحجرات : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ الحجرات ٩

وقرر ما يأتى :

(١) تأكيد كل الدعوات التى وجهت من الهيئات الإسلامية والدولية إلى ضرورة وقف هذه الحرب الدائرة بين الدولتين : إيران والعراق .

(٢) إدانة موقف النظام الإيرانى المتعنت فى وجه كل المحاولات التى بذلت لوقف الحرب واعتبار هذا النظام باغياً ويجرى عليه حكم الله فى هذه الآية الكريمة : ﴿ حتى تفيء إلى أمر الله ﴾ وإدانة تعاونه مع إسرائيل ضد المسلمين .

(٣) يشيد المؤتمر بإعلان العراق قبول كل مبادرات السلام الصادرة من الهيئات الإسلامية والدولية والشعبية لوقف الحرب ، وإحلال السلام بين البلدين المتجاورين وحقن

دماء المسلمين والحفاظ على أموالهم وطاقاتهم وإعلان قبوله قرار مجلس الأمن الدولى رقم ٥٩٨ الصادر فى العشرين من يوليو سنة ١٩٨٧ م .

إزاء هذا الموقف المتعنت من النظام الإيرانى يناشد المؤتمر شعوب الأمة الإسلامية وحكامها تأييد العراق فى تصديه المشرف لإصرار حكام إيران على استمرار الحرب .

(٤) التوجه إلى المجتمع الدولى ومنظمته لدعوة مجلس الأمن إلى تطبيق القرار رقم ٥٩٨ نصاً وروحاً وحسب تسلسل فقراته والنظر فى اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتنفيذه بما فى ذلك فرض العقوبات على الطرف الرافض .. ودعوة الأمة الإسلامية إلى إنزال حكم الله سبحانه وتعالى ضد حكومة إيران لرفضها وقف هذه الحرب والجلوس للصلح .

جهاد الشعب الأفغانى

يحيى المؤتمر جهاد الشعب الأفغانى ضد الاحتلال الذى عمل على طمس هويته الإسلامية وكبت الدعوة الإسلامية .

ويدعو المسلمين فى كل مكان إلى مساندته مادياً ومعنوياً ويطالب الاتحاد السوفييتى بالإسراع فى الانسحاب من الأرض الأفغانية لتمكين الشعب الأفغانى المسلم من تقرير مصيره دون تدخل خارجى ووفق إرادته وعقيدته .

نداء الى الشعب اللبنانى وإلى زعمائه

يوجه المؤتمر رجاء ونداء إلى الشعب اللبنانى و إلى زعمائه - أن يوحد كلمته ، ويوقف القتال على أرضه ، وأن يرتفع فوق الخلافات الطائفية والشخصية حتى يعود إلى موقعه بين امته عضواً عاملاً ، وحارساً لمبادئها ، ومجاهداً لأعدائها .

توصيات ختامية

أ - يوصى المؤتمر منظمة المؤتمر الإسلامى وحكومات الدول الإسلامية بتوجيه بعثاتها الدبلوماسية متعاونة على تتبع كل ما ينشر ماسا بالإسلام ، ودراسته واتخاذ ما يلزم نحوه بالأسلوب المناسب .

ب - فوض المؤتمر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى إبلاغ القرارات والتوصيات التى انتهى إليها هذا المؤتمر إلى كل الجهات المعنية فى الدول والشعوب الإسلامية طلبا لوضعها موضع التنفيذ .

جـ - يوجه المؤتمر شكره إلى الأزهر الشريف بجميع هيئاته لاستضافته هذا المؤتمر ورعايته .

كما يوجه خالص التقدير لحكومة مصر على ترحيبها وتكريمها لأعضاء المؤتمر .

هذا وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد - ٧)

فى يوم الثلاثاء الموافق
١٩ من رجب سنة ١٤٠٨ هـ
٨ من مارس سنة ١٩٨٨ م

شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر
جاد الحق على جاد الحق

أنباء وآراء

من أروقة المؤتمر وقاعته :

الهدف الأساسى لرسالة الأزهر وواجبه :

صرح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر : بأن الهدف الأساسى لرسالة الأزهر تتركز فى تحمله لمسئولية الدعوة ، ونشر الثقافة الإسلامية الصحيحة ، بكافة الوسائل ، وذلك منذ نشأته من أكثر من ألف عام . وهو يحمل عبئها ، ويعمل على توجيهها كمنهج ثابت منتهجا فى ذلك كافة السبل المشروعة التى تؤدى إلى الغاية التى ينشدها كل مسلم فى فهم الإسلام ، ونشر مبادئه السمحة بين شعوب الإنسانية جميعا ، ومن تصحيح للمفاهيم الخاطئة التى انتشرت لدى بعض الشعوب وربما لدى جيل من الشباب فى هذا العصر .

ومن هذا المنطلق كان على الأزهر دائما واجب المبادرة نحو مواجهة كل ما يقال خطأ عن الإسلام،ثم العمل على نشر تعاليم الدين كما أنزلها الله سبحانه وتعالى . وكذلك التواصل مع الشعوب الإسلامية بعدة وسائل منها : استقبال طلاب العلم للدراسة فى الأزهر، وإيفاد العلماء إلى جميع القارات ليقوموا برسالة العلم والتثقيف والدعوة إلى الله .

التنسيق بين الجهات العاملة فى الدعوة

بمناسبة انعقاد المؤتمر العالمى للدعوة الإسلامية بالأزهر ، صرح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر : أن قضية الدعوة الإسلامية التى تعمل فى حقلها هيئات وجهات متعددة منبثقة عن الشعوب الإسلامية لابد أن تستثمر من أجلها الجهود وتتضافر حتى تصل إلى الغاية المرجوة من وحدة كلمة المسلمين ، واستقامة أمورهم على طريق الدين الذى قال الله تبارك وتعالى عنه : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

وأضاف فضيلة الإمام قائلًا : لذلك كان للوصول إلى هذه الغاية وهذا الهدف أن يعمل الأزهر الشريف على التنسيق والتكامل بين الجهات القائمة على شئون

إعداد الدكتور
أحمد عبد الرحيم السايح

الدعوة فى العالم الإسلامى . ولما كانت أمور الدعوة وأعباؤها لا تقوم على الكلمة وحدها بل لابد من التكامل والتنسيق مع الجهات القائمة على أمور الإغاثة فى العالم الإسلامى ... من هنا ... كانت توصيات المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة الذى عقده الأزهر فى عام ١٩٨٤ م وكان من أهم توصياته دعوة جهات البر فى الدول الإسلامية لتنسيق جهودها فيما بينها حتى يتكامل نشاطها ويمتد إلى سائر المسلمين فى جميع أنحاء العالم من أجل الإغاثة وضرورة النظر فى تشكيل هيئة دولية إسلامية لأعمال الإغاثة فى العالم الإسلامي .

كلمات الافتتاح ومتاعب المسلمين :

● أجمعت كلمات الافتتاح على وجوب تخليص الأمة الإسلامية من متاعب تركزت فى حياتها :

أ ـ التخلف .

ب ـ الفرقة التى انتهت بقتال المسلم لأخيه تحت شعارات يبرأ منها الإسلام .

جـ ـ تتابع المصاعب والأزمات التى تهت إلى « لقمة العيش » نفسها .

د ـ العادات والمعاملات والأخلاقيات المرفوضة التى بثها الاستعمار فى المسلمين .

تميزت الكلمات بالصراحة والوضوح والتأكيد على المطالبة بالدراسة التى تحدد العلاج وتنفذه .

بحوث المؤتمر

● قامت الأمانة الفنية لمجمع البحوث الإسلامية بواجبها فى إعداد بحوث تقرب من المائة ، تناولت :

أ ـ الدعوة منهجا وغاية .

ب ـ التنسيق بين أجهزة الدعوة ، والتنسيق بين جهات الإغاثة ، ثم بين الجهتين .

جـ ـ التبشير والاستشراق .

د ـ الأقليات الإسلامية .

لجنة الصياغة :

● ضمت لجنة صياغة قرارات المؤتمر وتوصياته كل من : السيد المشير عبد الرحمن سوار الذهب ، والدكتور حسن الشاذلى ، والدكتور داتو عبد الحميد عثمان ، والدكتور حسن الترابى ، والشيخ يوسف حجى ، والدكتور عبد العزيز كامل .

أهمية هذه المؤتمرات :

● صرح السيد محمد يوسف نور الوزير الماليزى وعضو المؤتمر بأهمية عقد مثل هذه المؤتمرات للوقوف على قضايا المسلمين ومتابعتها ومواجهة الغزو الفكرى المعادى للإسلام ، وبخاصة فى هذه المرحلة من الصحوة التى تواكب المجتمعات الإسلامية .

أنبــاء وآراء

ضرورة تحديد ماهية الدعوة

● أكد السيد على أوزال رئيس وفد تركيا فى المؤتمر على ضرورة تحديد ماهية الدعوة ، من « داعية » إلى « مُتَلَقٍّ » كما أكد على ضرورة تعليم المسلمين أصولا أساسية كالقراءة والكتابة إلى جانب تعليمهم حِرَفًا وتجارة عن طريق الدعوة وذلك ضمان لمستقبلهم حتى لا يعتمد المسلم على الإعانات المؤقتة .

التنسيق والدعاة وكلمة الرئيس :

● اقترح السيد آدم عبد الله ممثل نيجيريا أن يقوم التنسيق فى مجال الدعوة على مستويات مختلفة : محلية ، وإقليمية وعالمية . على أن يتناول التنسيق الدعاة والمنظمات .

وحذر سيادته من الدعاة المصطنعين الذين يرتزقون بالدعوة ، وأشار إلى دور الأزهر الضرورى فى تحقيق هذا التنسيق .

كذلك اقترح تعيين سفير متجول مهمته القيام بجولات فى مختلف أنحاء العالم لمباشرة أمر الدعوة والدعاة وحل ما يجد من مشكلات بالتعاون مع كافة المنظمات الإسلامية .

وطالب بأن تكون كلمة الرئيس مبارك فى حفل افتتاح المؤتمر « ميثاق عمل » للمؤتمر تنطلق منها التوصيات والقرارات .

هيئة عليا للتنسيق

● قال الدكتور عبد العزيز كامل : إن التنسيق يجب أن يكون له هيئة عليا تشرف على التقسيم الإقليمى ، سواء فى ذلك مستوى القارات أو أجزاء منها ، ثم يختار من كل إقليم أنسب الهيئات القائمة لتتولى المسئولية التنفيذية والتنسيقية عن رضا وتشاور من أهل الإقليم نفسه ، ثم يحدث التعاون على المستوى العام .

الانتفاضة جهاد فى الله

صرح الدكتور عبد العزيز خياط وزير الأوقاف بالأردن بأن الانتفاضة المباركة داخل فلسطين المحتلة ، ليست منتمية لأحد ، إنها جهاد فى الله مقدس نابع من أبناء الجيل الثالث الذين يتخذون من الحجارة وحدها سلاحهم ويأبون غيره برغم المحاولات التى افتعلتها اليهود لتشويه المحاولة من داخل أوساطهم .

ما يجب على المجتمع الدولى نحو الانتفاضــة

حيا مؤتمر الدعوة الإسلامية : الانتفاضة الفلسطينية ، وناشد شعوب الأمة الإسلامية وحكوماتها دعم أهل الأرض المحتلة ماديا ومعنويا حتى تصل هذه الانتفاضة إلى أهدافها فى دحر العدوان ، وتخليص الديار المقدسة من نير الاحتلال الصهيونى .

وأهاب المؤتمر بالمجتمع الدولى ومنظماته أن يعمل على وقف العدوان على الشعب الفلسطينى ، وناشد المسلمين فى كل مكان الا يغفلوا عن واجبهم فى تخليص بيت المقدس وسائر المقدسات من أيدى إسرائيل .

فهـــرس العـــــدد

Islamic countries. This entails the building of the necessary infrastructure. It also entails the opposition of all aberrant devious teachings facading behind the name of Islam.

Efforts must be made by all State Leaders in all Muslim territories to discard sectorial disputes, and to follow a policy of peace and the propagation of fundamental Islamic teachings.

The care for Muslim minorities in non-Muslim states that are subject to various political, social and economic adverse conditions. This care should include basically a sense of creedal belonging; social and economic support should also be extended when required. Care should also be given in matters of religious and language education.

Steps should be taken to improve the educational and moral standards of Muslim generations at all levels of knowledge, in order that these generations may face the problems of life as related to religion.

An urgent solution to cease the existing war between Iran and Iraq. This conference condemns the State of Iran as belligerent and disrespectful to all International, National, Islamic, Regional efforts to put an end to this cryptic malignant bloodshed. The conference considers Iran as a transgressor, according to Islamic law.

The Conference accalims with honour, the struggle of the Afghanistan nation against the brutal forces of Soviet occupation which tries to irradicate its religious identity. The conference calls on all international bodies to enhance the process of termination of Soviet presence in Afghanistan and accelerate their evacuation.

The conference also highly condemns the Jewish atrocious brutal criminal conduct in Palestine and Lebanon.

****

The Final Speaker was His Excellency Muhammad Hosney Mubarak, President of the Arab Republic of Egypt, under whose auspices, the conference convened. In his words, he ascertained that Islam calls for unity and the rejection of dispute. The dawah to Islam is the duty of every Muslim, and the responsibility of individuals, scholars, institutions, heads of states, and governments. It is important to realise the severe adverse conditions and contraïrties that cloud the Muslim nation and impede the efforts of progress. Islamic scholars should provide the grounds for fruitful dialogue on scientific Islamic basics, to find solutions for problems and difficulties facing the implementation of Islamic Dawah. Islamic teachings in their original spirit of wisdom and sagacity are essentially the functional elements of Islamic education. This convention bears a responsibility at this stage in the history of the Islamic world. There is confidence in your ability to bear the responsibility, for this gathering is indeed equipped with knowledge, faith, convictions and industrious intentions. May Allah provide you with knowledge and support that you may achieve your goals and realize your intentions.

****

The actual proceedings of the conference took place at "Saleh ibn Abdullah Hall" at Al-Azhar University, Nasr City, Cairo. During the final session of the conference, certain resolutions and recommendations were discussed and approved by the participants of the conference.

A message of thanks to President Mohammad Hosney Mubarak and accepting his address to the conference as a working document.

Ensuring the importance of resolutions and recommendations that were decided in previous conferences held at Al-Azhar.

Organization between the various foundations involved in Islamic Dawah, relief and wellfare in the Islamic world. (The specific ordinations of this item is detailed in the original Arabic text).

Relieving the Islamic Dawah from all factors that impede its advancement. This essentially entails the legislation of Islamic Doctrines to be the state laws of government in

the Muslim nation; and yet the contrary is the case, hostility, dispute, disagreement prevail. The Holy Quran indicates "And hold fast, all together, by the Rope which Allah (stretches out for you), and be not divided among yourselves. And remember with gratitude Allah's favour on you (Surat Al-Imran, III, 103).

Islam is the Message to mankind, the document that lights the path for human spiritual elevation and dignity. This Message is doctrinated in the Holy Quran and the Sunnah of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). These doctrines encompass and constitute all aspects of human life in specific detail. In this respect, it is the duty of Islamic Institutions to provide and present Islamic doctrines and teachings in a manner that is effective and optimized. There is no compromise in the doctrines of Islam, however, the manner and mode of presentation should be campatible with the changes of times. It is very fundamental for Muslims to realize that Islamic Dawah is most effective by the practice of wisdom, the kind word, and by setting the example.

Based on such understanding, the need for a curriculum for education, culture and dawah becomes necessary. This should aim at optimizing the understanding of Islam and deeping the conviction. It is the duty of shcolars working in the field of Dawah to safeguard the true Islamic beliefs from wrong interpretations: or subjecting Islamic facts to foreign phrases that do not coincide exactly with the original specific Islamic understanding. It is the duty of the scholars of Dawah, and of every Muslim to share in the reshaping of the Muslim nation to be integrated, respected, dignified, strong in faith and belief, excelling in character and conduct. Such qualities are the fruits of Islamic teachings if adopted by individuals, communities and nations.

The present conference is confronted with urgent issues mainly:

1) Proper planning and organization between all the foundations that are active in the field of Islamic Dawah.
2) Formulation of a working policy between all the institutions engaged in relief and wellfare.
3) The sacred status of the Macca Haram, the Madinah Haram, and the Jerusalem Mosque.
4) The conditions of the Muslim minorities in various world territories, and the duty of Muslims towards them.
5) Contemporary and current problems of the Islamic nation at large.

May Allah bestow upon you peace and grant you mercy. We all seek support from Allah, The Bestower, The All-Cognizant....

widespread idiologies of heresy, disbelief and denial of faith; the devaluation of standards; and the lust for material gains. Such trends are well programmed and organized against the Muslim communities everywhere, using all facilities and capabilities. This avalanche of Anti-Islamic movement can only be confronted and counteracted by a well discplined, planned objectives, supported with financial, cultural and political resources. This entails the presence of Islamic Institutions for Dawah highly efficient and very capable, both in man power and assets. This is the first act towards the rejuvenation and preservation of the authoritative dignity of Islam and Muslims.

The Muslim world has great expectations from this conference. Expectations of sincere honest organized planning at all levels for the Islamic Dawah in all its ingredients as an immediate and a long term policy. Expetations of bringing up well-trained, well-cultured, well-educated knowledgeable scholars to function in the field of Islamic Dawah. The organization of Islamic Institutions to supervise and machine the various demands and resources for Dawah. The original doctrines should be the Holy Revelation and the purified Sunnah of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him).

Finally, let us all supplicate to Allah to support our efforts, and enable us to summon for the cause of Allah in wisdom and by the kind word; and to be exemplary in our conduct. May Allah have peace and mercy upon you all.

The fourth speaker was the Grand Imam of Al-Azhar, Shiekh Gad Al-Haq Ali Gad Al-Haq. The Grand Imam began his address by praising Allah, and offering peace and prayers to the Prophet of Islam. He quoted from the Holy Quran "who is better in speech than one who calls (men) to Allah, and works righteousness, and says - I am of those who bow in Islam". (Surat Fussilat, XLI, 33). I welcome you all in the precincts of the Al-Azhar, whose message is to call mankind to Allah, taking its teachings from the doctrines of the Holy Revelation and the Sunnah of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

The Islamic Dawah is not just sermons and speeches to be addressed, nor quotations from the Holy Quran to be recited, nor literature to be published. It is the resultant efforts and thoughts of all men of knowledge to seek a system that is collective in totality and effective in practice. No other nation has the means of union, agreement and integration as

ly organised and efforts should be spend at all levels of responsibility and authority to bring about a ratification. Again, the argumental debates between Muslim scholars themselves certainly hinders any progress. The solution to such is that all should abide closely to the elements of the Sunnah and receive the knowledge from scholars of reputation and confidence. Again, it is essenital to realise that the most important processes of Dawah is setting the example on the individual scale, the group scale and the community scale. This important aspect is of utmost importance and the conduct of Muslims should be responsible and exemplary. This was the model of life of the early Muslims at the time of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

The disputes and hostilities between the Muslim nations are indeed very strong and effective against Islam. The war staged and continued between two Muslim countries is a black mark that is very destructive to the integrity and wholesomeness of Islamic unity, and to the dignity of Islam as a faith. The repercussions of these armed hostilities have reached the sacred precincts of the Holy Mosques. This is disasterous to the Muslim nations and deterimental to the propagation of Islam. In the Holy Ouran "And fear tumult or oppression which affecteth not in particular (only) those of you who do wrong: And know that Allah is strict in punishment". (Surat Al-Anfal, VIII 25). It is the urgent compulsory duty of the Muslim nations to stand firm to stop this ridicule of malignant destruction. Such action is most certainly an active act of Dawah that should be given immediate attention by this conference.

In some Muslim States, there still remains the ancient practices of imperialist colonization by brute force; namely, in Afghanistan and Palestine. In these two parts of the muslim nation, there are examples of martyrdom and adamant bravery to establish what is right. This struggle is for the integrity, the honour, the faith, the land, the dignity of a nation against an insolent unscrupulous intruder. Such effort of struggle is an act of Dawah, and its continuation is a perpetuation of the true elements of Dawah.

Other areas where Islamic Dawah is severely challenged are countries where Muslim communities are minorities; and there are several of these countries all over the world. It is their full right to receive their full share of the Dawah in education, culture, financial support, political respect, and how to best conduct themselves as Muslims within the nature of their environment.

Other means of contrariety to the Islamic Dawah are the

→

love, esteem and respect to Al-Azhar, and to Egypt. On behalf of the delegates, Marshal Swar Al-Thahab extended all reverence, fidelity, honour and prestige to the Scholars of Al-Azhar for the advancement of Islamic knowledge and the propagation of Islamic Dawah with the limited resources at hand.

The Islamic Dawah is essentially the basic message of all the Islamic nation, and their gift to humanity. In the Holy Quran "Ye are the best of Peoples, evolved for mankind. Enjoining what is right, forbidding what is wrong, and believing in Allah" (Surat Al-Imran, III, 110). The Islamic world at this age is in need for Dawah as guidance to set the example and light the path by suitable words and wisdom of action. The whole of mankind all over is in great need for Islamic Dawah to deliver humanity from the dark pits of spiritual proverty to the light of understanding.

The preservation of values, the homogenity of social conduct and behaviour, the stability of mental and psychic patterns. The Holy Quran states "A.L.R. A book which we have revealed unto thee, in order that thou mightest lead mankind out of the depths of darkness into light - by the leave of thier Lord - to the Way of (Him) The Almighty, the Laudable" (Surat Ibrahim, XIV, 1)

At all ages, and since the coming of the Holy Revelation, the Islamic Dawah has been faced with challenges. It is the effort exerted in honest sincerity against the challenging forces, that has kept the integrity of the Islamic creed. In recent times, the Islamic Dawah is also confronted with forces of destruction. It is the duty and function of this conference to take the necessary practical steps to defeat the forces of destruction.

The foremost issue in this connection is the deplorable situation of Muslims, countries and communities alike. Successful Dawah requires a suitable compatible medium, a healthy matrix that is poorly existant in Muslim communities. The Muslim nations have not yet thrown from their shoulders the yoke of imperical colonization. They remain mostly in the confines of subjective personal attitudes of thought. They fall into entropy and dispersion, tearing their unity of language and unity of creed, they shake standards and values; and the whole Muslim arena is devastated with exploding issues and continually emergent crisis.

One of the most challenging conditions to the Islamic Dawah is the social, political, cultural and economic disorganisation among Muslim nations. This should be primari-

thoughts and ideologies, various trends of extremist social and political beliefs, vairous immoral entertainment progammes; all of which essentially aim at dissolution of the faith and to blemish and mar the elements of belief. It is the duty of the Academy of Islamic Research to confront such forces of moral and spiritual decay. This confrontation requires the recruitment of human elements capable of defining and implementing the suitable strategy to penetrate into the basic forces and substance of human nature, to stabilize the roots of belief strong enought to oppose and reject the forces of evil. Such a challenge also requires a suitable monetary framework to constitute the multi-disciplinary structure to act as the deterent against the various facades, appearances or pretexts that anti Islamic forces may use. These forces that are out to stage a very fierce stringent battle against Islam and Muslims using for that every possible available means.

In previous similar conventions, specific resolutions were taken that Islamic Governments, Organizations, Institutions should give support to the Al-Azhar and to the Academy of Islamic Research. It is the Al-Azhar of the whole Islamic nation at large. This support should be moral, political, financial, and cultural. The Islamic Dawah must have strong stable feet in order to travel in dignity and with confidence of knowledge. Islamic Centres must be instituted to be the lighthouse for the propagation of the Islamic faith. Such resolutions have not yet been put into effect. It is the duty of Al-Azhar to place this matter in your hands in order to specify the exact roles and responsibilities of the various parties.

Finally, Dr. Barakah made an obituary tribute to the Late Dr. Hussein Abdel-Maqied Hashem, and the Late Dr. Muhammad Abdalla Madi: both were leading figures at the Academy of Islamic Research, and at Al-Azhar. He ended his words by thanking the participants, and wishing them constructive participation.

The third speaker was Marshal Abdel-Rahman Muhammad Hasan Swar Al-Thahab, who delivered the message of the delegates. He praised Allah and offered peace and prayers to the Prophet of Islam, the first person to practice Islamic Dawah, and the one to formulate its fundamental elements. He indicated that he speaks on behalf of the delegates who came from various and far distant countries to participate in this conference of Islamic Dawah. Their presence is an expression of their great interest in Islamic Dawah, and of their great

periodicals and extends to classical text books of reference. The Al-Azhar Magazine which is a monthly periodical, first published sixty years ago, provides a condensation of classical and current topics and discusses them in the light of authentic Islamic doctrines. Also, several committees were formed under the rectorship of Al-Azhar, these included the Committee of Quranic Sciences, the Committee of Sunnah Sciences, the Committee of Islamic Faith and Philosophy, and the Committee of Fiqh Research, and several others. The Academy of Islamic Research authorized a group of Ulama to put down a standard text of Quranic Interpretation that should be easy to comprehend. Some volumes of this text have already been published.

The Academy of Islamic Research also commissioned a group of Ulama to formulate a text of Islamic Shariah (Islamic law) to be taken as the reference Code of Practice in Islamic countries. This will include the features of the four leading sects of the Islamic Sunnah, the Maliki, the Hanbali, the Hanafi, and the Shafie.

The Academy of Islamic Research confronts the members of this conference to urge the Islamic Governments to give effort to the propagation of Islam and the Dawah to Islamic doctrines with wisdom, knowledge, and the good example. These efforts must be cultural, social and economic. The institution of Islamic cultural centres in various countries has become a necessity in order to present Islam in the authenticity of its reality. It is also the duty of Islamic governments to establish Pan-National Islamic Trust for the relief and wellfare of Muslims in the event of disaster. It is the duty of the Ulama in all Muslim communities, to give an effort to raise the standards of understanding of Islamic doctrines to achieve a higher grade of conviction to the faith, coherence to the Shariah and observance of moral values. Such efforts require serious work, management, planning, financing, scientific organization, and above all serious intention, honesty, and blessing from Allah. Muslims in every country expect Al-Azhar to carry the responsibility of all these combined efforts; and in that respect the Al-Azhar requires your support in order that it may meet with these obligations and also with your expectations.

The Academy of Islamic Research bears its heavy responsibility to the whole Islamic world which is extensively and widely spread. The problems of the Islamic world are complex, diverse and different in nature from one country or Muslim community to the other. These problems become more complicated and extensive because of the modern means of mass communication systems, and what they present of various

Doctrines of the Holy Revelation, and the Sunnah of the Prophet of Islam. Our message is the Divine Message, the Message of all the Prophets and the Apostles that summoned mankind throughout the ages. The Quranic statement indicates "Let there arise from amongst yourselves, a band of people inviting to all that is good, enjoining what is right, and forbidding what is wrong; they are the ones to attain felicity" (Surat Al-Imran, III, 104). May Allah bestow peace and mercy upon you.

The second speaker weas Dr. Abdel-Fattah Barakah General Executive Secretary for the Academy of Islamic Research. After praising Allah and offering prayers and peace to the Prophet Muhammad; words of greetings and welcome to the members of the Conference were spoken. He indicated that this conference convenes at a time when the human race at large is under the sinister dark cloud of hatred, conflict, socio-economic breakdown and moral devaluation. Territories of Islamic nations are being occupied and suppressed by tyranny and brute force in Afganistan and Palastine, where mass slaughter and bloodshed are large scale practices. These tools of oppression are resisted, and the struggle for freedom and dignity continues, the battle for survival and existance remains the perpetual sign of identity. Also, in other countries where Muslim groups are a minority where they are subject to exploitation and deprivation from essentials of human rights and dignity. They suffer in silent patience the true conviction to their faith. To all those we offer prayers and peace and look upon them with respect and honour. Yet, we vision with sorrow, pity and disgrace the stupid hostility that is burning between two neighbouring Islamic countries Iran and Iraq for no reason or purpose, for no end. The flame of this war is kept burning by exogenous anti-Islamic forces, and the two Muslim countries stupidly fall into the web of this malicious strategy to split and weaken Islamic solidarity.

Dr. Barakah continued his words to highlight the efforts and services of Al-Azhar in the various fields of Islamic disciplines, and the propagation of Islamic culture and the Arabic language as the language of the Holy Quran. These efforts are put into effect by sending members of the Al-Azhar faculties to teach and instruct in various countries all over the world. The Al-Azhar also receives students of world wide distribution who study and graduate from Al-Azhar in the different fields of Islamic Theology.

In the field of authorship and publication, the Al-Azhar produces a vast body of literature encompassing monthly

Islamic Dawah was declared open on the grounds of Al-Azhar the bastion of Islam, and the throbing heart of Arabism. The towering minerets of Al-Azhar will remain to shine the path for the propagation of true Islam and the genuine Sunnah of the Prophet. Allah the Al-Mighty, the All-Embracing will remain to be the Guardian of the Holy Revelation to infinite eternity. The celebrated speakers were then introduced.

The first speaker was Dr. Abdel-Fattah Al-Shiekh, the Principal of Al-Azhar Univeristy. After praising Allah and offering prayers and peace to the Prophet; words of greetings and welcome to the assembly were spoken. He pointed out that a portentuous, urging need for Islamic Dawah was very necessary to the salvation of mankind in these malignant materialistic times: in this age where the evil forces of egoism, lust and coruption are dominating: in this life where human peaceful tranquility and the decorum of the soul are no longer optimized as human values. In every part of the globe, mankind is impoverished for values: and Muslims are drowned in the tubulence of the various forces; asking where they are in this life and the demands of their faith. This turmoil and entropy of throught formulates a void in the minds of Muslims in general, and in particular Muslim youth. This has become an inevitable challenge to the distinguished members of this assembly. Upon their shoulders lies the formulation of the proper elements of Islamic Dawah.

The Dawah to the proper concepts of faith, and the implementation of worship.

The Dawah to facilitate the proper understanding of Islamic teachings.

The Dawah to purify the Islamic literature and thought from inerudite ideas and impurities.

The Dawah to safeguard the Islamic Sunnah, Shariah, and thought from the infiltration of unorthodox unqualified nonconforming understandings.

The Dawah to the true Islamic moderation that defeats the monosterous extremes of capitalism and communism.

The Dawah for the proper implementation of cultural, educational and mass communication programmes of the generations of the population.

The Dawah for the true understanding of "Jehad" in the cause of Allah against the forces of evil to safeguard human values and the sacredness of territorial possessions.

The Dawah to uphold the Holy Quran as the dominant doctrine to judge the disputes between the Muslim nations.

These are the real elements of the Islamic Dawah: to uphold and optimize the words of Allah by implementing the

THE INTERNATIONAL CONFERENCE OF ISLAMIC DAWAH

"AN OVERVIEW"

By :- Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, PhD

The International Conference of Islamic Dawah was held in Cairo-Egypt on Fridiay 15th Rajab of the year 1408 Hijriah, the 4th of March, 1988 A.D. The closing session of the conference was held on Tuesday 19th Rajab, 1408; the 9th March, 1988. The conference was attended by 215 delegates from 88 countries from all over the world, not including the participants from Egypt. The "Theme" of the conference was "Islamic Dawah" on which about one hundred presentations were addressed by the participating members of the conference and were discussed by the attendants.

The initial activity of the conference actually started at noon when all the delegates and members of the conference assembled to participate in the Jummah (Friday) congregational Salat prayer. This took place at the famous ten centuries old Al-Azhar Mosque. This congregational prayer which was attended by that large consortium of Islamic distinctions, was also attended by the Prime Minister of Egypt "Dr. Atef Sidqui" some ministers of the Egyptian cabinet, and the Governer of Cairo. The Jummah sermon was addressed by the Grand Imam of Al-Azhar - Imam Shiekh Gad Al-Haq Ali Gad Al-Haq, who also lead the congregational Jummah prayers.

The opening ceremony of the conference took place on Saturday morning (16th Rajab, March 5th) in the Hall of the Late Imam Muhammad Abdu at Al-Azhar University at Al-Azhar district. This opening ceremony was attended by His Excellency President Muhammad Hosney Mubarak, President of Egypt. The ceremony started by a recitation from the Holy Quran by Shiekh Muhammad Barakat. The recital was from Surat Al-Saff.

The master of ceremonies was Dr. Rauof Shalaby the Vice-Rector of Al-Azhar. He advanced the presentation of the speakers by praising Allah the Merciful and Compassionate, and giving hommage to our Prophet Muhammad prayers and peace from Allah upon him. With Divine support, the Conference of





AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 60, Part VII

Shabaan, 1408, Hijrah

Editor - Dr. Anas Moustafa El-Naggar, MD, Ph.D.

CONTENTS.

Preparation of prints by:

Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

****

This month of Shabaan, 1408, the English Section of the Al-Azhar Magazine publishes an overview of "The International Conference of Islamic Dawah", which was held in Cairo during Rajab, 1408. This is because of the importance of the subject.

The English Section will resume (insha Allah) the publication of the article on Abu Bakre Al-Siddiq, and other articles on various Islamic topics in the next month issue of the Al-Azhar Magazine (Ramadan, 1408).

****

AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION



الجوار بعد أبى طالب

٣

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
الجزء التاسع
السنة الستون
رمضان ١٤٠٨ هـ
مايو ١٩٨٨ م

« مسجد نجرى سلانجور دار الاحسان ـ ماليزيا »

انتهى « جوار » أبى لهب !

وَلِرسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقتئذ عبارة حاسمة فى الموقف كله وهى تبين ـ إذ تبين ـ عن تفاهة هذا الجوار ؛ فقد روى ابن كثير ـ بسنده ـ إلى العباس ـ رضى الله عنه ـ قال ، قال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« لا ارى لى عندك ولا عند اخيك مَنَعَةً » .

وإذا كنا بصدد دراسة « الجوار » فى ذاته نتتبعه من بين احداث السيرة النبوية الشريفة ، لنبين عن منزلته ، واثره فى الدعوة ، فلم نكن ـ بحال ـ نستطيع أن نغضى عن جوار « ابى لهب » كما اغضى عنه بعض كتاب السيرة ممن يسجلون تاريخها جملة .

ذَكَرَ جوارَ ابى لهب من اقطاب اهل السير : الحافظُ ابن ابى الفرج الجوزى ، والحافظ ابن كثير القرشى ، ومحمد بن سعد صاحب الطبقات ، والعلامة على بن برهان الدين الحلبى فى موسوعته « السيرة الحلبية » نقلا عن احد مَصْدَرَيْه : « الشمس الشامى » او ابن سَيِّدِ الناس . واولئك من حضرنى ممن سجل « جوار » ابى لهب .

الجوار بعد أبى طالب

على أى حال انتهى جوار أبى لهب[1]؟

وبانتهائه عاد « الأذى » سيرته الأولى ، بل اشتد وتمادى على أعنف ما يكون ، تدفعه « روح الاشتفاء » فى نفوس الوثنيين من قريش ، وقد حملتْ فى أمشاجها حقدَ السنين التى لم تستطع قريش أن تنال فيها من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ جهر بالدعوة ، فانطلقت فى إيذائها كأنما تريد أن تستعيض ما فاتها من أذى وأضعافه مضاعفة ، وحدا لهذه الرغبة فى نفوس القوم شعورُهم أن أحدا من بنى هاشم أو المطلب لن يتقدم لِيُجِيرَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

وَخُيِّلَ إليها غرورُها أنها تستطيع أن تفعل برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما تريد .

وترك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قريشا لاشتفائها ، فقد رفع الله ـ سبحانه ـ عنه عِبْئَهَا إلى حين ؛ فإن الإسلام لم يكن دعوة تخصها ، وإنما هو دين أُرْسِلَ به رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للناس أجمعين ؛ ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[2] فأمام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الدعوةُ العامة ـ وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ مسئول عنها .

قال الإمام الحسن بن محمد النيسابورى ـ فى تفسير قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾[3] :

« فتول عنهم ؛ فإن تكذيبهم لا يوجب ترك الدعوة العامة .

فما أنت بملوم على إعراضك عنهم بعد التبليغ ؛ لأنك قد بذلت مجهودك ، واستفرغت وسعك » .

وإذا كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ بَدَأَ بالدعوة يبثها فى قريش ، وفى غير قريش من عرب وغيرهم ، فإنه ـ باستثناء قريش إلى حين ـ قد خلصت الدعوة إلى غيرهم

---

(١) قد نتساءل : لماذا أغفل بعضُ مؤرخى السيرة الشريفة جوارَ أبى لهب فلم يذكره ؟ يبدو لى ـ والله أعلم ـ أن هذا الإغفال مَرَدُّهُ أحد ثلاثة :

إما لما فى بعض نصوصه من معارضة لما هو معروف من أمر « أهل الفترة » ، وإما لأنه لم يكن ذا قيمة تذكر فى الدفع عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

وإما فى تطبيق « منهج الحديث الشريف » على هذا « الحدث التاريخى » فأدى ذلك إلى إنكاره فنفيه .

وإذا كان اختلاف المناهج من « فن » إلى « فن » أمرا مقررا فإن استخدام بعضها مكان بعض أمر مرفوض .

ونحن ـ إلى جانب ذلك ـ نقول :

إننا إذا طرحنا من نصوص جوار أبى لهب ما يتعارض والعلم بأهل الفترة سنخلص إلى جوار لأبى لهب ، تستطيع قريش ـ بما عرفت عن أبى لهب ـ أن تصرفه عنه .

(٢) الأنعام ١٩ .

(٣) الذاريات ٥٤ .

ممن يرد مكة من حجيج ومعتمرين ، وممن يمر بها مُصعداً إلى الشام ، أو نازحا إلى اليمن ، كذلك خلصت إلى ما قَرُبَ منها من بلد أو دار .

لكن كان لابد من جوار !

فقد كان « الجوار » ـ كما نقول بلغة عصرنا ـ الغطاء الذى يتحرك به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ آمنا ويتنقل فى ظله حيث شاء ، فليس ممكنا من حيث العرف والواقع أن ينطلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى موطن قبيلة ليدعو أفرادها إلى الإسلام دون أن يكون له « جوار » من سادتها يسمح له بما يريد .

واختار ـ عليه الصلاة والسلام ـ الطائف ليلقى فيها كلمة الله .

وكان طبيعيا أن يلجأ إلى سادتها من ثقيف فى طلب الجوار فقد كانوا أقرب إلى مكة مركز الدعوة ، وكان له ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيهم خؤولة ، فارتحل إلى الطائف فى شوال من السنة العاشرة من النبوة[4] .

● ● ●

سألت عائشة ـ رضى الله عنها ـ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« هل[5] أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد »[6] ؟

قال ـ عليه الصلاة والسلام :

لقد لَقِيتُ من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم « يوم العقبة » إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت ، وأنا مهموم ، على وجهى ، فلم أستفق إلا بقَرْن الثعالب »[7] .

كان « يومُ العقبة » إذاً أحلكَ يوم مرّ برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو اليوم الذى اجتمع فيه بسادة ثقيف بالطائف يطلب جوارهم ليمضى فى الدعوة ، بعد رحلة شاقة يعرفها من كابد الصعود إلى الطائف حيث التقى برؤساء القوم :

عبد ياليل : كنانة بن عَمرو بن عُمَير بن عوف بن عُقْدَةَ الثقفى ، وأخويه : كلال ، وهو مسعود بن عمرو .

وحبيب بن عمرو .

جلس إليهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الله ، وحدثهم فيما جاء من أجله طالبا نصرته ليمضى فى الدعوة إلى الإسلام ، وليس شيئاً أكثر من « إجارتهم » وإن

---

(٤) الحلبية ٣٥٣/١ باب ذكر خروج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الطائف .

(٥) انظر صحيح البخارى ١٣٩/٤ طبعة الشعب ، ومسلم بشرح النووى ١٥٤/١٢ المطبعة المصرية بالأزهر .

(٦) أى كان أشد عليك .. صرح به ابن كثير .

(٧) قَرْن الثعالب : هو قرن المنازل : جبل مطل على عرفات شرقى مكة يميل قليلا إلى الشمال على بعد أربعة وتسعين ك م من مكة .

الجوار بعد أبى طالب

شاءوا آمنوا بما جاءهم به ، أو ظلوا على ما هم عليه ؛ فلقى منهم شَرَّ ما يلقى ضيف من مضيف إذ أجابه أحدهم بقوله : إنه يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك .

وقال الثانى : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك .

وقال الثالث ـ فى سفسطة : والله لا أكلمك أبدا ؛ لئن كنت رسولا من الله ، كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أَرُدَّ عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلمك[8] .

فقام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنهم وقد يئس من خير ثقيف .

جاء ـ فى حديث محمد بن كعب القرظى ، رضى الله عنه ـ محدثا عن هذه الجلسة ـ أنه بلغه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لهم :

« إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا على » .

وإنما كره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يُذيعوا حديثه إليهم فتتلقفه آذانُ قريش فتمضى فى تأويله على هواها ، وتدعى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما ذهب إلى ثقيف للتأليب عليهم ، فيشتد أمرهم أكثر وأكثر عليه .

لكن ثقيفا تغافلت حتى عن المروءة العربية وأدنى واجب الضيف إذ قالوا له :

اخرج من بلدنا وَالْحَقْ بمنجاتك من الأرض،وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه ، فلما مر ـ عليه الصلاة والسلام ـ جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا أرضخوهما بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء ؛ فإذا أزلقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه ، فإذا مشى عادوا لما يفعلون .

ولم تعد رحلة الطائف بطائل ، وكان يومها أشد يوم مَرَّ على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حياته كلها حتى إنه انطلق يمشى غير مُنْتَبه لحاله تحمله قدماه دون أن يلتفت إلى الموضع الذى فيه لكثرة ما اشتد به من هَمٍّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ حتى قطع فى مسراه

---

(٨) يعنى صاحب السفسطة بإثبات ما يراه من (نتيجة) بغض النظر عن المقدمات ، ومقدمات المتحدث كما تراها هنا لا تقوم على قضايا منطقية مسلمة .

شوطا بعيدا فلما كان بقرن الثعالب تنبه لأمره ، وإذا الحالُ لا « جوار » ولا « كتمان » !
لقد سرى النبأ إلى قريش :

فهل أسرع بنو عَمرو بن عُمَير بإبلاغ قريش ؟
إن من يقف من ضيفه هذا الموقف لابد أن يفتقد نُبْلَ النفس وشهامة الكريم ، ومثله لا يحجم عن البلاغ .

على أن ثمة رواية للإمام أحمد ـ رضوان الله عليه ـ تدل على أن بعض القرشيين كان بالطائف حينئذ ، وما أيسر أن يطرق سمعَهُ ضجيجُ الساخرين ، فيعرف الخبر .

روى الإمام أحمد بسنده إلى خالد بن أبى جبل العَدْوانى ـ رضى الله عنهما :

« أنه أبصر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مشرق ثقيف ، وهو قائم على قوس أو عصا ـ حين أتاهم يبتغى عندهم النصر فسمعتُه يقول : (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ) حتى ختمها .

قال : فوعيتُها فى الجاهلية ، وأنا مشرك ، ثم قرأتُها فى الإسلام ، قال :

فَدَعَتْنِى ثَقِيف فقالوا : ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتُها عليهم .

فقال ـ من معهم من قريش : نحن أعلم بصاحبنا ، لو كنا نعلم مايقول حقا لاتبعناه » .
على أن ما حدث بـ « ثقيف » لم يمنع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يطرق بالإسلام أشرافهم ، فلم يقتصر على أولئك المتقدمين ـ بنى عُمَير ـ بل تذكر « الحلبية » أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أقام بالطائف شهرا وعشرة أيام خلص من بعدها إلى « نخلة »[٩] فأقام بها أياما لم يكن حظه فيها بأفضل منه فى « ثقيف » .

وأسفرت الرحلة عن حقائق :

١ ـ وجد أساطين الوثنية بقريش سببا أو أكثر يضيفونه إلى مبرراتهم فى الإيذاء ، سواء فى ذلك إيذاؤه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أو إيذاء أصحابه ـ رضوان الله عليهم ، وفى الحلبية : أن قريشا كانوا أزمعوا على عدم دخوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة بسبب ذهابه إلى الطائف ودعائـه لأهله .

←

---

(٩) بلدة قريبة من الطائف ذات واديين : قسمها الأعلى نخلة الشامية ، ويعرف بـ « ذات عرق » ، والجنوبى يعرف بـ «نخلة اليمانية» ، وهما واديان لـ « هذيل » .
وأعلى ذات عرق كان لبنى سعد بن بكر الذين أرضعوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ لم يكن له ـ عليه الصلاة والسلام ـ (جوار) بمكة حين خرج ليدخل فى ظله عقب تلك الرحلة .

٣ ـ لا (إذْن) له ـ عليه الصلاة والسلام ـ بـ (الهجرة) وإلا فما أيسرها من (نخلة) أو (قرن الثعالب) حيث لامُطارِد ولا مُطالِب .

ويعنى ذلك ـ فى وضوح :

وجوب العودة إلى مكة حيث لا تريده مَشْيَخَتُها وليس يستقيم ذلك إلا بـ (جوار) .
فبدأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يطلب (مُجِيرا) قبل الدخول إليها .

●●●

ذكر الأموى فى (مغازيه) أن رسول الله ـ ﷺ ـ استعان برجل اسمه « أريقط »[١٠] رَضِيَ أن يكون رسولا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى من يطلبه مجيرا .
فأرسله إلى « الأَخْنَس بن شَرِيق »[١١] يطلب إليه أن يُجيره بمكة ، فاعتل بقوله : إن (حليف) قريش لا يُجِير على (صميمها) .
فأرسله إلى (سهيل بن عمرو)[١٢] فقال سهيل : إن بنى عامر بن لؤى لا تجير على بنى كعب بن لؤى .
وقد تعقب علىّ بن برهان الدين الحلبى كلتا الدعويين حتى كاد لا يسلم بهما إلا على تأويل بعيد ؛ فإنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ عربى قرشى ـ يعلم قانون قومه وقواعدهم فى الجوار ، ولعل كلا الرجلين قد آثر السلامة . والله أعلم .
ثم أرسله فى الثالثة إلى مُطْعِم بن عَدِىّ لِيُجِيرَه فقال : نَعَمْ ، قل له فَلْيَأْت .
قال ابن كثير :
فذهب إليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبات عنده تلك الليلة ، فلما أصبح خرج معه هو وبنوه : ستة أو سبعة ، متقلدى السيوف جميعا ، فدخلوا المسجد ، وقال لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : طُفْ .

---

(١٠) فى الشامية : عبد الله بن أريقط .
(١١) لم يكن أسلم بعد .
(١٢) لم يكن أسلم بعد .

وَاحْتَبَوْا بحمائل سيوفهم فى المطاف
فأقبل أبو سفيان إلى مُطْعِم فقال : أمجير أو تابع[13] ؟
قال : بل مجير .
قال : إذاً لا تخفر

● ● ●

ولم ينس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا المسلمون هذه اليد لمطعم ، وبخاصة وقد سبقها موقفه الكريم من نقض الصحيفة . فلما هاجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة توفى المطعم ـ قبل بدر ـ بنحو سبعة أشهر، على ما ذكره ابن الأثير[14] وفى وقعة بدر أسر المسلمون الكثير من قريش .

قال ابن كثير ، قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم :

لو كان المطعم بن عدى حيا ثم سألنى فى هؤلاء النَّتْنَى[15] لوهبتهم له .

وفى رواية الحلبية : أن جبيراً وَلَدَ المطعم ـ وكان لا يزال مشركا ـ جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم ـ فسأله فى أسارى بدر ، فقال ـ عليه الصلاة والسلام :

لو كان الشيخ أبوك حيا فأتانا فيهم لشفعناه فيهم .

فأما حسان بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ فقد قال ـ حين بلغته وفاته : والله لأرْثِيَنَّه ، فكان فيما قال :

فلو أنَّ مَجْداً أَخْلَدَ اليومَ وَاحداً ... من الناس أبقى مَجْدُهُ اليوم مُطْعِماً
أجَرْتَ رسولَ الله منهم فأصبحوا ... عبادك مالبَّى مُحِلٌّ وأحرما
وما تطلع الشمس المنيرةُ فوقهم ... على مثله فيهم أعَزَّ وَأكْرَما

● ● ●

د. على أحمد الخطيب

كتب إلى المجلة الأستاذ الشاعر : أحمد قاسم أحمد يلفت نظرنا إلى خطأ استعمال الفعل (يرضخ) بمعنى (يخضع) فشكرا جزيلا له .

---

(١٣) أو تابع ، أى مسلم يتبع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .
(١٤) أسد الغابة ٣٢٤/١ . الشعب .
(١٥) أطلق عليهم (نتنى) لكفرهم .

صيام رمضان

بين أحكامه وحكمه

يرحم الله عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . فقد قال : « إذا سمعت الله عز وجل يقول : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا ﴾ فأرْعِها سمعك فإنها خير تؤمر به او شر تنهى عنه والله تعالى يقول : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . . وبهذه الآية تتم فريضة الصيام على الأمة الخاتمة كما فرضه الله على امم سبقت ، وفي رسالات سلفت ، حتى لا تذهب امة بشرف طاعةٍ لله لم تقاسم فيها خير امة اخرجت للناس .. ولقد اقتضت رحمة الله بالمؤمنين ان يذكر الحكمة من الصيام في الآية التى فرضه عليهم فيها ، حتى يستجيبوا مطمئنين إلى اداء هذه الطاعة مستهدفين غاية الله منها ومراده سبحانه من تكليفهم بها فقال : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

والعبادات الإسلامية .. ومنها صيام رمضان ، وسائل لغايات ، قال تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1] ولا يبالى تعالى بعبادة لم تثمر في أنفس العابدين ثمرة خشية الله ومراقبته والانس بذكره ، والارتياح إلى طاعته ، ولا يكون الصيام مقبولاً عند الله ، يرضاه الله من الصائم ، ويستتبع شرف قوله تعالى في الحديث القدسي : « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به »[2] حتى يربى فينا الإرادة الخيرة ، فلا تغلبنا شهواتنا وميولنا على غير ما يريده الله منا ، وإنما تكون بعد تربية النفس وتهذيبها بالصيام وفق ما أمرنا الله به ، وتبعاً لما جاء به النبي صلوات الله عليه عن ربه ، وسيبقى الصيام في معناه الضيق جوعاً وعطشاً فحسب إن لم يَصُمْ معه اللسان عن الكذب والنميمة والخداع وإذاعة ما اؤتمنا عليه من أسرار الأوطان والخلان ، ومن وراءهم ، ولم تَصُمْ معه الآذان عن فحش القول ، ومنكر الحديث ، وزور الكلام ، ولم تصم معه العين عن النظر إلى ما امر الله به المؤمنين ان

---

(١) البقرة — ٢١

(٢) يؤسفنا عدم ذكر الكاتب لمرجع الحديث وقد نبهنا إليه مراراً ولا حجة لأحد على تحرير المجلة في هذا الشأن ، والحديث على اى حال أخرجه مسلم في صحيحه .. مجلة الأزهر .

لفضيلة الشيخ
معوض عوض إبراهيم

يغضوا عنه أبصارهم ، وصوم تنطلق معه الجوارح على هواها دون أن تراقب الله أو تخشاه أكرم منه صوم الحيوان الذي يعود عليه بشيء من الصحة من علة ، والسلامة من داء ، ثم لا يكون بالنسبة لبعض الناس غير تعذيب وحرمان ومظهر يرده الله الذي ينظر إلى نياتنا وبواعث أعمالنا ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) أخرجه البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه . وفى الحديث :

(كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر)

أخرجه ابن ماجه ، وصححه ابن خزيمة وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه .

حقيقة الصوم :

إن الصوم في دين الله شيء أجمع وأرفع من مجرد قهر النفس على ترك طعامها وشرابها . إنه تكليف ربانى وتربية إلٓهية وسلوك وضع القرآن الكريم خطوطه وإطاره الجامع في ليل الصائم ويومه قال تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾[٣] .. أى الاستمتاع بهن من حيث أمركم الله ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ - [ضوء الفجر] - مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ [ظلام الليل] .. ﴾ «وعمل الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع التوجيه الربانى فى الآية الكريمة وفى قوله تعالى فى الحديث القدسي : « فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث - لا يتكلم الكلام الفاحش - ولا يصخب - ولا يصيح - وإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إنى صائم إنى صائم »[٤] .. والمراد بالكلمة ما وراءها من ذكر الله العاصم من الانسياق فى قول أو عمل لا يتفقان مع الصيام ، وكم من أقوال تفضحها الأعمال .

إن عمل الرسول - صلى الله عليه وسلم - ووصاياه في الصيام في مثل قوله : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » . هو المقياس الذي نقيس به صيامنا ، وهو المنهاج الذي نقيم على أساسه هذه العبادة الخاصة التى جعلها الله سراً بين العبد وربه ، أجل إن الصوم في حقيقة أمره إمساك عن الطعام والشراب الضروريين لبقاء حياتنا ونماء أجسامنا ،

(٣) البقرة الآية ١٨٧ .

(٤) جزء من الحديث الذي أشرنا إليه .

صيام رمضان

واقتدارنا على أداء الواجب الذي نيط بنا في مجال الاستخلاف الحقّ .. والصوم إمساك عن الشهوة الجنسية ودواعيها من القول المثير ، والعمل الدافع إليها ، وهى من حوائج الإنسان الماسة والمشروعة في رسالات الله التى ترعى فطرة الله لعباده لبقاء الجنس البشرى والقدرة على ترك ألزم ما يلزم الحى انطلاقاً من دينه واستجابة لله تعالى ، ركضةً إلى حكمة الله من هذه العبادة التى أجملها في قوله سبحانه : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

وما أجل التقوى من غاية تغلف طاعة الله والإذعان لأمره ، واكتساب فضائل النفس من صبر على تكاليف العبادة ، ومن إعلاء إرادة الخير في أنفسنا على الأهواء الجامحة ، والشهوات التى تتنافى وما أراد الله للمؤمن من عزة وكرامة وشرف وهو يحل للمؤمنين الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويحبب إليهم معالى الأمور ، ويكره إليهم سفسافها .

إن المؤمن بذلك يكون عبد ربه ، لا تذهله المطامع وبهارج الحياة ، ولا تذله شهوة هابطة ، ولا نزوة آثمة ، ولا يعطى الدنية من نفسه ، ويأبى أن يهضم دينه ومقدساته ، ويقمع إخوانه في بقعة من ديارهم ، وتوصد في وجوه بعضهم أبوابها دون أن يسارع وكل قادر في أى بلد إسلامى ، وموقع إنسانى للذب عن الحياض ، وافتداء حمى المسلمين من قريب وبعيد بعد أن صار واقعاً ما أنذر به وحذر منه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قوله : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : لا ، بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا ، وكراهية الموت » . أخرجه أصحاب السنن .

وغثاء السيل مثل لمن لم يصوموا بحق ، فهل يربأون بأنفسهم عما لا يكرم بها ؟

إذا لم يكن في السمع منى تصامم
وفى بصري غض وفي منطقي صمت

فحظي من صومي هو الجوع والظما
وإن قلت إنى صمت يوماً فما صمت

لقد أوجب الله الصوم على المسلم الصحيح المقيم أياماً معدودات في شهر سماه في القرآن الكريم دون غيره من الشهور بياناً لفضله ، وإعلاء لقدره ، كما سمى يوم الجمعة دون غيره من الأيام لتعرف الأمة مكانته فتحرص على الصلاة الخاصة فيه ، وتعمل على أن ينتفع المجتمع المسلم بأسرار اليوم وصلاته في دعم صرحه ، وتوكيد وشائجه ، وتعميق جذور الجماعة التى تفسح فرصة التجمع أسبوعياً أكثر مما تتيحه الصلوات الخمس في اليوم والليلة إلى العيدين ويوم عرفه ـ ولقد وصف الله تعالى الشهر ـ شهر رمضان ـ بأعظم ما أنعم الله به على البشرية كلها وهو (إنزال القرآن) ، ولفت الأنظار إلى أهم مقاصده سبحانه وتعالى من كتابه الكريم فقال :

﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾[٥] .

ورحم الله ذلك الإمام الذى نظر إلى هذا الجزء من الآية ونظر إلى قول الله فى صدر سورة البقرة : ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ثم قال : « إن من لم يهتد بالقرآن فليس من الناس » ... ولقد أبصر الرجل الحقيقة التى فاتت الذين قالوا ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ .. فصلت ـ ٥

وفاتت أقواما كثيرين في مواقع من المجتمع المسلم وغيره يصمون عن آيات الله فى كتابه آذانهم ويهشون لما تقذفهم به الحياة من قريب وبعيد من أفكار ومبادىء لا تزن شيئاً أمام هدايات القرآن الكريم . أو يوعون لبعض الغافلين أن يقولوا نفطر حتى نذاكر ونحرز تفوقاً في الاختبارات ، جاهلين قول الله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ البقرة .

وتعظم رحمة الله تعالى بأمة مصطفاه صلوات الله عليه وهو يوجب الصيام على الذين لا يعذرهم عذر المرض ، ولا يعوقهم السفر ، أو الهرم وفقدان الوسع والطاقة فيه وذلك حيث يقول الله تعالى :

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ﴾[٦] .

ويقول ثانياً : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[٧]

أجل يريد الله بالمكلفين مالا يجاوز وسعهم أو يشق عليهم القيام به ، وهو سبحانه الذى علمهم أن يقولوا : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ . البقرة / ٢٨٦ .

وتتخلل آيات الصيام آية يدل الله بها عباده عليه ، ويدعوهم أن يسألوه من فضله فهو الغنى المغنى الذي يجعل الفلاح والرشاد للمؤمنين القائمين على صراط طاعته ، يقول تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ . البقرة / ١٨٦ .

فحقيقة الطاعة وإن كانت في ظاهرها لله ، فإن بركاتها ترتد عليهم ، وسبحان من لا تنفعه طاعة من أطاعه ولا تضره معصية من عصاه . كما رووا ذلك عن أبي الحسنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه .

يسـر الإسـلام

ونطل من الآية الأخيرة وهى خامسة آيات الصيام في سورة البقرة على تصحيح أمور كان

---

(٥) البقرة ١٨٥ .
(٦) البقرة ١٨٤ .
(٧) البقرة ١٨٥

صيام رمضان

يواجه المسلمون منها شدة ، حين كانوا يظنون أن نساءهم يحرمن عليهم في ليلة الصوم ، فبين سبحانه حل مباشرتهن والغاية من اللقاء المشروع بين الزوجين وهو يقول : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ .... ﴾ .. ﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ .. ﴾

ويُحَدِّدُ - سبحانه - المدى الذي ينتهي عنده أكلنا وشربنا واستحلالنا ما أحل لنا من أزواجنا لندخل مع الله في العبادة والطاعة . فقال : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ ويبين المدى الذي ينتهي عنده صوم الصائم فقال : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ .

وسن لنا الرسول الرءوف الرحيم - صلى الله عليه وسلم - تعجيل الفطر وتأخير السحور وهو رفق يتسق مع رحمة الله بنا إذ جعل الصوم (أياماً معدودات) ، بل ساعات حددها تعالى بدءاً ونهاية من هذه الأيام .

ثم ختم الله هذه الآيات الخمس بقوله : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ .

فيقفنا لفظ التقوى مرة أخرى على تزكية النفس بالصوم ، بعد اصلاحها بدنياً بالتدريب على الاعتدال فى الأكل والشرب وغريزة الزوج ، ويرحم الله الشيخ محمد رشيد رضا . فقد قال : « إن تزكية الأنفس إنما تكون بإيقافها عند حد الاعتدال ، واجتناب الافراط والتفريط وذكر أن الإنسان مركب من مادة وروح ، وأنه تعالى سخر له رعاية لجانب المادة فيه جميع ما فى عالمه الذي يعيش فيه من المواد والقوى ، وجعل سبحانه صحة البدن وسلامته من أسباب صحة العقل وسائر قوى النفس ، فحرم عليه ما يضر بجسده كما حرم عليه ما يضر بروحه وعقله ومن ضعف جسمه عجز عن القيام بالصلاة والصيام والحج والجهاد والكسب الواجب للنفقة على نفسه وعلى من يجب عليه نفقتهم ، وعلى مصالح أمته العامة ، فإن لم يعجز عن القيام بها كلها عجز عن بعضها أو عن الكمال فيها غالباً .

وانتهى رحمه الله فقال : « إن الصيام رياضة بدنية نفسية ، وجمع بين حرمان النفس من لذاتها ، بقصد التربية ، وبين تمتيعها بها توسلاً إلى شكر النعمة والقيام بالخدمة » .

أجل إن الإسلام دين الوسطية والاعتدال حتى في تناول الحلال وقد ذم الله المسرفين والمبذرين كما ذم الممسكين والمقترين . فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ الإسراء / ٢٩ .

وقال : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ .. الأعراف / ٣١

فمتى نجد اثر الصوم فى الأنفس والمجتمع ؟

معوض عوض إبراهيم





من توجيهات النبى صلى الله عليه وسلم فى الصوم

للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

فضيلة الصوم :

الصوم هو الشعيرة الثانية فى الإسلام بعد الصلاة ، وفضله يظهر فى قوله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ـ البقرة ١٨٣ ـ وكفى بالتقوى فضلاً .

وروى الإمام النووى فى رياض الصالحين حديث مسلم عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم : « كل عمل ابن آدم يضاعف : الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . قال تعالى : إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى . للصائم فرحتان : فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك » من حديث رقم ١٢١٣ صـ ٣٤٧ .

وروى ابن الأثير فى ترجمة عبد الله بن سفيان الأزدى ما ذكره مسلم ٣/١٥٩ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « ما من رجل يصوم يوماً فى سبيل الله إلا باعده الله من النار مائة عام . قال عبد الله : إنما أحدثكم ما سمعت من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ » أسد الغابة ٣/٢٦٢ .

وروى النووى عن سهل بن سعد ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن فى الجنة باباً يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم يقال : أين الصائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد » قال

من توجيهات النبى صلى الله عليه وسلم

النووى : متفق عليه .. رياض الصالحين صـ ٣٤٧ .

ولهذا الفضل العظيم كان صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتسابقون فى الإكثار من الصوم . ولكن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يوجههم إلى ما ينبغى صومه ، وما ينبغى أن يكون عليه الصائم من آداب .

من توجيهاته الكريمة :

روى ابن الأثير فى ترجمة أبى عقرب ما حدث به عنه ابنه نوفل قال : « إنه سأل - أى أبوه - النبى - صلى الله عليه وسلم - عن الصوم ، فقال : صم يوما فى الشهر، فقال : يارسول الله زدنى ، فلم يزل يستزيده حتى قال : ثلاثة أيام من الشهر » - أسد الغابة جـ ٦ صـ ٢١٨ .

والنبى - صلى الله عليه وسلم - خير قدوة لأصحابه ، فلم يكن يفرط فى مواصلة الصوم - رغم قدرته على ذلك لو أراد . فإنه يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه - ولكنه كان رحيماً بأمته . يسلك فى فعله طريق الرأفة بهم .

روى ابن سعد فى طبقاته جـ ١ صـ ١٠٥ عن يونس بن خباب عن مجاهد أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يصوم الاثنين والخميس .

وروى عن أنس - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يصوم حتى يقال : قد صام . ويفطر حتى يقال : قد أفطر .

ومن الأيام التى كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يدعو أصحابه إلى الصوم فيها يوم عاشوراء - جاء فى مسند الإمام أحمد جـ ٥ صـ ٤٠٩ - عن روح بن عبادة عن سعيد عن قتادة عن عبد الرحمن بن سلمة الخزاعى عن عمه قال : غدونا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صبيحة يوم عاشوراء - وقد تغدينا - فقال : أصمتم هذا اليوم ؟ قال : قلنا قد تغدينا . قال : فأتموا بقية يومكم ، وروى ابن الأثير فى أسد الغابة جـ ٦ صـ ٣٧١ مع هذه الرواية رواية أخرى هى : أن « أسلم[1] » أتت النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال : أصمتم يومكم هذا ؟ قالوا : لا . قال : فأتموا يومكم واقضوه .

وكان النبى - صلى الله عليه وسلم - يصوم فى رجب ، روى ابن الأثير بإسناده إلى عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن رجبا شهر عظيم ، تضاعف فيه الحسنات ، من صام فيه يوما كان كسنة » - أسد الغابة جـ ٣ صـ ٥٠٦ .

النهى عن صوم يوم الجمعة مفردا :

ونهى النبى - صلى الله عليه وسلم - عن

(١) أسلم قبيلة ، أى جاء وفد منها ..

صيام يوم الجمعة مفردا ، جاء فى ترجمة جنادة الأزدى ـ فى أسد الغابة جـ ١ صـ ٣٥٥ ـ أنه قال : « دخلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الجمعة مع نفر من الأزد ـ سبعة أنا ثامنهم ، ونحن صيام ، فدعانا لطعام بين يديه ، فقلنا : يارسول الله إنا صيام . قال : فهل صمتم أمس ؟ قلنا : لا ، قال : فتصومون غداً ؟ قلنا : ما نريد ذلك . قال : فأفطروا » .

النهى عن صوم الدهر :

ونهى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن صوم الدهر ، فقد روى مسلم بن عبيد الله القرشى عن ابيه أنه سأل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن صوم الدهر ، فقال : « يارسول الله أصوم الدهر كله ؟ قال : فسكت ، ثم سأله الثانية فسكت ، ثم سأله الثالثة . فقال : أين السائل عن صوم الدهر ؟ قال : أنا . قال : أما لأهلك عليك حق ؟ صم رمضان ، والذى يليه ، وصم الأربعاء والخميس . فإذا أنت قد صمت الدهر » أسد الغابة جـ ٢ صـ ٥٣١ .

وروى ابن الأثير مثله عن حكيم بن حزام . أن أباه حزام بن خويلد سأل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يصوم الدهر ، فأجابه بما سبق . أسد الغابة ٢/٣ .

وأخرج الإمام أحمد فى مسنده جـ ٥ صـ ٤٠٩ عن مجاهد بن جبر قال : حدثنا رجل من الأنصار من أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : إن فلانة ـ مولاة لبنى عبد المطلب ـ قامت الليل مانامت ، وتصوم فما تفطر . فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأنام ، فمن رغب عن سنتى فليس منى .

ونهى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الحجامة للصائم والمواصلة فى الصوم ـ ولكنه لم يحرمهما ـ وإنما نهى عنهما إبقاء على أصحابه رأفة بهم ورحمة لهم ، وقد أرسله الله رحمة للعالمين . وحين سئل عن ذلك وقيل له ـ فيما رواه عبد الرحمن بن أبى ليلى عن رجل من الصحابة ـ « إنك تواصل إلى السحر ، فقال : أنا أواصل إلى السحر وربى يطعمنى ويسقينى » ـ سنن أبى داود ، كتاب الصيام ، باب الرخصة فى ذلك جـ ٢ صـ ٣٠٩ ، وأسد الغابة جـ ٦ صـ ٤٣٢ .

الصوم فى السفر :

وإفطار الصائم المسافر رخصة له إذا أراد ، وفى القرآن الكريم قوْل الحق تبارك وتعالى : ﴿ فمن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر . وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين . فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ﴾ البقرة ١٨٤ .

وروى ابن الأثير عن إبراهيم بن محمد الفقيه وغيره بإسنادهم عن أبى عيسى الترمذى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن حمزة بن عمرو الأسلمى سأل النبى ـ صلى الله عليه وسلم عن الصوم فى السفر ـ وكان يسرد الصوم ـ فقال : « إن شئت فصم وإن شئت فأفطر » ـ أسد الغابة جـ ٢ صـ ٥٥ .

من توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم

إجابة الداعي :

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يحب التزمت فى العبادة ، فينبغى للمتطوع بالصوم أن يفطر إذا دعى ، ثم يصوم يوما غيره .

حدث إبراهيم بن عبيد بن رفاعة الأنصارى قال : صنع أبو سعيد الخدرى طعاماً ، فدعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه . فقال رجل منهم : إنى صائم . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « تكلف لك أخوك وصنع طعاماً . فاطعم وصم يوما مكانه » ـ أسد الغابة جـ ١ صـ ٥٤ .

تمرين الصبيان على الصوم :

ولا يكره للصبيان أن يمرنوا على الصوم حتى ينشأوا على الالتزام بالفرائض وأداء الشعائر والإقبال على العبادة ، وقد روى عبد الرحمن بن لبيد عن أبيه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إذا صام الغلام ثلاثة أيام وقوى عليها أمر أن يصوم رمضان » ـ أسد الغابة جـ ٤ صـ ٥١٩ .

آداب الصوم :

وللصوم آداب أهمها الإمساك عن الإثم والخوض فى الباطل ، ووجوب الإكثار من ذكر الله تعالى .

روى الإمام النووى فى رياض الصالحين صـ ٣٥١ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إنى صائم » .

وروى رواية البخارى عنه قال : قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

وروى ابن الأثير فى ترجمة سعد مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنهم امروا بصيام يوم ، فجاء رجل فى بعض النهار فقال : يارسول الله . إن فلانة وفلانة بلغهما الجهد ، فأعرض عنه مرتين أو ثلاثاً . فقال : ادعهما . فجاء بعُس ـ قدح كبير ـ أو يقدح ، فقال لإحداهما : قيئى فقاءت لحماً عبيطاً ـ طريا غير ناضج ـ وقيحا ودما ، وقال للأخرى

مثل ذلك فقاءت . فقال : إن هاتين صامتا عما أحل لهما وأفطرتا على ما حرم عليهما . أسد الغابة جـ ٢ صـ ٣٤٩ .

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على علم بدقائق النفوس وتصرفات البشر وأخلاق الناس ، فلم يفته التنبه إلى أن الجوع والعطش إذا اشتدا أقلقا صاحبهما ، وربما جره ذلك إلى الغضب والخروج على حد الاعتدال فى الخطاب والمناقشة ، وقد وجه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناس إلى احتمال من يصدر عنه حدة فى الجواب فى أثناء صومه ـ وإن كان هذا لا يعفى الصائم من ضرورة الالتزام بآداب الصوم وحكمته التى تفرض على صاحبها الصبر والأناة وحسن الخلق .

فقد روى ابن الأثير فى ترجمة مهدى الجزرى ماروواه سليمان بن المغيرة عن مبذول بن عمرو عن مهدى الجزرى قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ثلاثة يعذرون بسوء الخلق : المريض والمسافر والصائم[٢] » أسد الغابة جـ ٥ صـ ٢٨١ .

كيف تتحقق الحكمة من الصوم ؟

ويستلزم الصوم عدم الإفراط فى تناول الطعام والشراب عند الإفطار ، حتى يحقق الصوم غرضه الذى شرع من أجله ، روى سلمان بن عامر عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : إذا افطر أحدكم فليفطر على التمر ، فإن لم يجد فعلى الماء فإنه طهور » أسد الغابة جـ ٢ صـ ٤١٦ .

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو إلى تعجيل الفطور وتأخير السحور ، روى ابن سعد عن عطاء أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نؤخر سحورنا ونعجل إفطارنا وأن نمسك أيماننَا على شمائلنا فى صلاتنا » الطبقات الكبرى جـ ١ صـ ١٥٤ .

ويستحب إجراء الخير والإكثار منه فى أثناء الصوم ، فقد روى الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح ـ عن زيد بن خالد الجهنى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من الصائم شىء » .

هذه مقتطفات من توجيهات النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للصائمين ، وما أحراهم أن يعملوا بها ليصح صومهم ، ويُقبَلَ عملهم . ويحققوا بذلك حسن الاقتداء بنبيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى ورد فى حقه قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ـ الأحزاب ٢١ ـ

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

---

(٢) أخرجه أبو موسى وقال : أظنه مرسلاً .. مجلة الأزهر

من أسرار الصيام وحكمته

أخرج مسلم فى صحيحه من رواية أبى صالح ذكوان ، أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عزَّ وجلَّ : كلُّ عملِ ابنِ آدمَ له إلَّا الصيامَ فإنَّه لى وأنا أَجْزِى به ، والصيام جُنَّةٌ ، فإذا كان يومُ صومِ أحدكم فلا يرفُثْ يومَئذٍ ، ولا يَصْخَبْ فإنْ سابَّه أحدٌ أو قَاتَلَه فلْيقُلْ : إنى امْرؤٌ صائمٌ ، والذى نفسُ محمدٍ بيده لَخلُوفُ فَمِ الصائمِ أطْيبُ عند اللهِ يومَ القيامةِ من ريحِ المسكِ ، وللصائمِ فرْحَتان يَفْرَحُهما : إذا أفطرَ فرِحَ بفطره ، وإذا لقىَ ربَّه فرِح بصومه » .

وجاء فى لفظ آخر « كل عمل ابن آدم يضاعفُ الحسنةَ عشر أمثالِها إلى سبعمائة ضِعفٍ قال الله تعالى : إلا الصومَ فإنَّه لى وأنا أجزى به يدع شهوتَه وطعامه من أجلى »[1] ا .هـ .

الصوم مطلوب من الله لعباده على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام وإن اختلف قلة ، وكثرة ، ووقتا .

ومعناه لغة : الإمساك والرفعة . ولما ارتفع الصوم عن سائر العبادات كلها فى الدرجة سمى صوما وارتفع الصوم عن غيره فى :

---

(١) المفردات : « الصيام جُنة » بضم الجيم ستره ووقاية لمن عاناه ، وجمع جُنَّة : جُنَن بضم ففتح « فلا يرفُث » المشهور بضم الفاء فى المضارع والفتح فى الماضى وقيل بالكسر فى الماضى و الفتح فى المضارع وروى « يرفِث » بالكسر . والرفَث بفتح الراء : الاسم ، وبالسكون المصدر : وهو الكلام الفاحش ، ويطلق على الجماع ، وعلى الكلام القبيح من الفحش والخنا والشتم ونحوه .

« ولا يصخب » الصخب : الضجة بارتفاع الأصوات عند الخصام والخلوف تغير رائحة الفم الذى لا يوجد إلا مع النفس .

والصوم : مشتق من قولهم : صام ، إذا أمسك ووقف عن الحركة ومنه قولهم : صام الفرس إذا ثبت قائما ، وأمسك عن السير والأكل وصام النهار إذا ارتفع وأمسكت الشمس عن السير وقت الزوال . وصام عن الكلام إذا سكت . ومنه قوله تعالى ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا ﴾ أى صمتا .

قال امرؤ القيس :

فدعها وسلِّ الهمَّ عنك بجَسْرةٍ
ذَمولٍ إذا صامَ النهارُ وهجَّرا

من قصيدة مطلعها :

أرى أم عمرو دمعُها قد تحدَّرا

لفضيلة الشيخ
أحمد حسن جابر رجب

١ - نَفْيِ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - المثلية عنه في العبادات :

أخرج النسائي عن أبي أمامة الباهلي قال أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت يارسول الله ، مُرْني بأمر ينفعني الله به قال : عليك بالصوم فإنه لامثل له » وفي لفظ آخر أنه سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - : أي العمل أفضل ؟ قال عليك بالصوم فإنه لا عَدْل له » .

٢ - سَلْبُهُ الله عن عباده مع تعبدهم به وأضافه سبحانه لنفسه بقوله « فإنه لي » فإن إضافة الصوم لله وإن كانت الأعمال كلها له ابتداء ودواما تقضي بتشريف زائد عند الخاص من العلماء والعوام كما قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾[٢] . وإن كانت الأرض كلها له .

٣ - جعْل الله جزاء من اتصف به بيده من إثابته فلا تماثله عبادة من العبادات والصوم في الحقيقة (ترْك) لا (عمل) ويطلق عليه اسم العمل تجوُّزا .

وأما معنى الصوم شرعا : فإنه عبارة عن إمساك مخصوص في زمن مخصوص وذلك هو استيعاب النهار مع ماقبل طرفيه إمساكا بنية مبيَّتة في صومه - عن دخول داخل ، وخروج خارج وجماع .

والصوم قربة معتبرة وفريضة مشتهرة معلومة من شريعة الإسلام بالكتاب والسنة . والإجماع .

وإنما كانت كل أعمال ابن آدم له إلا الصوم فإنه لله ؛ لأنه بعد أن وصف بأنه صائم وثبت له هذا الوصف سلبه الحق عنه وأضافه إلى نفسه بقوله « إلا الصيام فإنه لي » أي صفة صمدانية - وهي التنزيه عن الغذاء - والتنزيه عن الغذاء ليس إلاَّ لي ، لأنه - سبحانه - الصمد ، فالمتنزه عن الغذاء مطلقاً هو الله تعالى أما العبد فتنزيهه مقيَّد بقوله : وأنا أجزى به فكان الحق جزاء الصوم للصائم إذا انقلب إلى ربه ولقيه بوصفٍ لا مثل له وهو الصوم ؛ لأنه خفي ليس له وجود في الأعيان كباقي العبادات وليس للجوارح فيه عمل . فلايعلم جزاء الخفي إلا الله تعالى المالك له ، ولم يطلعنا على جزائه كما أطلعنا على غيره كالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، أي « فجزاء الصائم عندي فوق هذا العدد مما أعلمه ولا أخبركم به » ؛ فإن الصيام ينقص البدن ، ويضعف البِنْيَة بخلاف غيره من أركان الإسلام .. فالصائم يعرِّض نفسه لما هي كارهة له . فكان جزاء عمله على الله تعالى مما لا حصر فيه يعلمه العباد ؛ ولأن في

(٢) سورة الجن : آية ١٨ .

من أسرار الصيام

الصوم معنى الصبر وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

وليس الصوم من الأعمال الظاهرة فيدخله الرياء فلما برىء من الرياء خلص لله وحده الذى يعلم السر وأخفى .

يؤيد ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - « ليس فى الصيام رياء » أخرجه أبو عبيد فى غريبه عن شبَّابة عن عقيل عن الزهرى قال :

قد علمنا أن أعمال البر كلها لله وهو الذى يجزى بها فنرى - والله أعلم - أنه إنما خص الصيام ؛ لأنه ليس يظهر من ابن آدم بفعله وإنما هو شىء فى القلب وهو بالنية التى تخفى عن الناس ، وجميع الأعمال تكون بالحركات إلا الصوم فإنه ترك الحركات .
هذا وجه الحديث عن أبى عبيد .

ومن خصوصياته بأنه لله دون سائر العبادات أن إنزال آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض كان بسبب الأكل من الشجرة ، فكأن الأكل - فى بعض أحواله - سبب فى المعصية ، فهو قد يتخم الإنسان فيُقعِده عن العبادة ، ويثير النزعات الخبيثة ، وقد يدفع إلى السرقة ، والغش ، والخداع ، ومع كثرته يكثر احتمال النجاسة فى الثوب والجسد ، لذلك جعل الله أعظم القربات الصوم لأنه تَرْكٌ لأساس المعصية ، وسدٌّ لبابها ، ومن هنا كان الصوم خالصاً لله تعالى فإذا أداه العبد بظاهره وباطنه استحق الجزاء الأوفى .

ومن بيان إضافته لله تعالى : أن الله تعالى يؤدى إلى المظلوم - وفى حديث (المقاصة) يوم القيامة - من حسنات الظالم حتى لا يبقى من عمله شىء غير الصوم ، فيطمع المظلوم فى أخذ حسناته فيقول : يارب قد بقى له الصوم ، فيقول الله - عز وجل : الصوم لى خالص وأنا أجزى به عنه بأضعافه فيرضى الله الخصم من لدنه فى الصوم دون سائر الأعمال ؛ فإن سائرها ينال المظلوم حسناتها .

ومنها : أنه لما كان تركا لمحبوب وصبرا عن مشتهى للنفس فيه هوى تَخَلَّص بذلك لله تعالى وحده بخلاف غيره من العبادات ، فإن الترك لا يشتمل فيها النهار كله .

ومنها أن غيره من الأعمال المختصة بالدين قد وجد التعظيم بها لغير الله تعالى كالسجود للأصنام والذبح لها وأما الصوم فلم يتقرب به أحد لغير الله فكان بالإضافة إليه أخص .

قوله « وأنا أجزى به » أى أبتدىء بالمجازاة له تعظيماً له إذ لا مجازى على أعمال العباد غيره .

قوله « الصيام جُنَّةٌ » أى ستر لمن عاناه إما من النار فى الأخرى أو من الآفات بالأمراض والأسقام فى الدنيا أو بمجموعهما وهو وقاية مثل قوله تعالى :﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾أى اتخذوا الصوم وقاية .

ثم نهى الصائم عن الرفث والصخب والمقاتلة . والنهى تَرْكٌ فلم يأمره بعمل ، بل نهاه أن يتصف بعمل مَّا ، والصوم ترك فصحَّت المناسبةُ بين الصوم وبين مانُهى عنه الصائم .

ثم أمر الصائم أن يقول إذا سابَّه أحد أو قاتله : « إنى صائم » - أى يقول ذلك فى نفسه لنفسه فيذكرها الصوم فلا يقدم على ما أقدم عليه خصمه من الكلام القبيح . وقيل ينطق به ؛ ليردع بذلك المعتدى عليه وكأنه يقول له : لولا صومى لقاتلتك بماجئت به ؛ فأنا تارك لهذا العمل الذى عملته أنت أيها المقاتل والسابُّ فى جانبى . فنزَّه نفسه بأمر ربه عن هذا العمل فهو مُخْبِرُ أنه تارك أى ليس عنده صفة سبٍّ ولا قتال لمن قاتله وسبَّه .

وأما قوله « والذى نفس محمد بيده » فهو قسم منه - صلى الله عليه وسلم - وفى هذا القسم دليل على جواز الحلف بالله عند الحاجة ، وردٌّ على مَن قال : لا يحلف العبد لا صادقاً ولا كاذباً ، ونبَّه بيمينه على (تمام توحيده - صلى الله عليه وسلم - واستسلامه وأنه لا يملكه شىء ولا يحكم عليه إلا مولاه) .

قوله : « لخلوف فم الصائم » مصدر خلف مثل قعد وخطأ الخطابى من فتح الخاء ويقال فيه الوجهان يقال خلف فوه وأخلف إذا تغير قال ابن أحمر :

بان الشباب وأخلف العمر .

والعمر واحد عمور الأسنان وهو ما بين السنَّين من اللحم .

ومن الخلوف حديث على رضى الله عنه وسئل عن قبلة الصائم ؟ قال : « وما أربك إلى خلوف فيها » ؟

لخلوف فم الصائم وقد تنفس بهذا الكلام الطيب الذى أمر به . وهو قوله « إنى صائم » فهذه الكلمة ، وكل نفس الصائم « أطيب يوم القيامة » يوم يقوم الناس لرب العالمين « عند الله » فجاء بالاسم الجامع المنعوت بالأسماء كلها . فجاء باسم لا مثيل له إذ لم يتسم أحد بهذا الاسم إلا الله تعالى فناسب كون الصوم لا مثل له كما ذكرنا فى الحديث السابق .

قوله : « من ريح المسك » فإن ريح المسك أمر وجودى يدركه الشامُّ ويلتذ به السليم المزاج المعتدل فجعل « الخلوف » عند الله أطيب منه ، لأن نسبة إدراك الروائح إلى الله لا تشبه إدراك الروائح بالمشامِّ فهو « خلوف » عندنا ، لكنه عند الله تعالى فوق طيب المسك فى الرائحة ، فإنه روح موصوف لا مثل لما وصف به فلا تشبه الرائحة الرائحة ، فإن رائحة الصائم عن تنفس ورائحة المسك لا عن تنفس من المسك ، وهذا من باب المجاز : أى رائحته الكريهة عندكم هى أحب وأرضى لله من استنشاق ريح المسك لناشقه كما أن كلم الشهيد - أى جرحه عند الله مخالف لأثره فى نفوسكم : (اللون لون الدم والريح ريح المسك) كما فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم : قال صلى الله عليه وسلم : ما من مكلوم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئتها يوم طعنت تفجر دما : اللون لون الدم والريح ريح المسك ، وفى رواية « كل كلم يكلم فى سبيل الله تكون يوم القيامة كهيئتها يوم طعنت تفجر دما : اللون لون الدم والعرفُ عرف مسك » ، وقيل عن الخلوف : يثاب ثواباً بخلوفه فهو أفضل من ريح المسك عندنا .

وقيل تنقلب تلك الرائحة الكريهة طيبة فى

من أسرار الصيام

القيامة بحيث تبقى علامة على الصائمين كما أن الصائم يدخل من باب الريان لما يقاسى من العطش فى الدنيا فكذلك هذا يقابل فى تلك الرائحة الكريهة بالرائحة الطيبة . وقيل يدخر له عند الله ويعتد بها له كما يعتد صاحب المسك بمسكه وينم عليه رائحته .

ويحتمل أن الملائكة عليهم الصلاة والسلام تستطيب تلك الرائحة وإن كرهتموها أنتم كما تستطيبون رائحة المسك .

قوله : « للصائم فرحتان » أما فرحته فى الدنيا فبإتمام عبادته وانقضاء نهاره على الصوم دون عارض يقطع عن التمام . وقيل بما يجد من الراحة بالفطر عند انقضاء صومه ، فإن النفس تجد مشقة به فتستريح بالمطعم والمشرب وأما فى الآخرة فبما يحصل له من الجزاء على صومه وإذا لقى ربه فرح بصومه » .

وفرح الصائم هو لحوقه بدرجة نفى المماثلة حين لقى ربه بالصوم الذى لا مثل له ، ورآه سبحانه بصفة « ليس كمثله شىء » فعند فطره رأى جوده بما أوصل إلى نفسه من الغذاء أداء لحقها الذى أوجبه الله عليه كما فرح بصومه عند لقاء ربه .

وقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ فى آية البقرة أى تجتنبون النار بامتثال ما كتب من الصوم عليكم ؛ لأنه سبب للغفران ، يفضى إلى دخول الجنان من باب الريان أو تتقون شهوات الأنفس المحرمة بالصوم من الأكل والشرب والجماع فى وقت الصوم . فإذا حافظت الأنفس على ذلك ظفرت بالمفاز فى دار المآب والنجاة من سخط الله وعقابه فى دار ثوابه ، والقرب من جنابه مع أحبابه أولعلكم تتقون ما جبلت عليه النفس من الشهوة والشره فى الملذات الجسمانية من المأكل والمشرب والمنكح الذى هو حجاب قاطع عن الملاذ الروحانية فالنفس ساعية أبدا إلى ملذاتها فاقتضت الحكمة أن يكون الصوم مطهرا لتلك النجاسات المعنوية القائمة بصفة البشرية ، ومزيلاً لآثارها بما ينشأ عن الصوم من الصفاء الروحانى .

ولعلكم تتقون أى لتدخلوا بصيامكم فى زمرة المتقين وتصلوا بذلك إلى رتبة الموفقين فلأجل ذلك عد الله الصوم من أسباب التقوى .

ومن حِكَم الصوم تأديب العباد بألم الجوع حتى يعرفوا قدر نعمة الشبع كابتلاء الأجساد بالسقم حتى يعرف قدر نعمة العافية ومن ابتلى بذلك يكثر تضرعه وابتهاله إلى الله تعالى وحتى يتذكر الغنى منهم الفقير عند جوعه ويعلم مقدار ما يقاسى الفقير من الفاقة فيحثه ذلك ويحرضه على الإحسان للمحتاجين ويقال : إن أعظم شىء فى القيامة وفى النار الجوع والعطش ولهذا يقول أهل النار فى النار ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ ﴾[٣] فإذا تذكر الصائمون ما يدفع عنهم بصيامهم من تلك الأهوال هان عليهم ما هم فيه من ذلك .

---

(٣) الأعراف ٥٠

ومن حكم الصوم التشبه بصفة الملائكة عليهم الصلاة والسلام من ترك المطعم والمشرب لتقع المشاركة لهم فى تلك الحالة مضافاً إلى ما تميز به بنو آدم من التكليف بقهر الشهوات وأنواع الطاعات والعبادات فتميزوا بالفضيلتين على باقى الثقلين .

ومنها قهر العدو وإذلال سلطنته وإبطال سطوته فى تحكمه على النفس ببث الشهوات ، والحث على الرغبات الْمُدْنِيَةِ من الهلكات ، والجوع يدفع محنته ويقطع حجته ولأجل ذلك ورد فى الحديث « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم « فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش » أخرجه البخارى ومسلم من حديث صفية دون قوله « فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش » .

وقوله : إن الشيطان .... قال النووى : قال القاضى وغيره : قيل هو على ظاهره وأن الله جعل له قوة وقدرة على الجرى فى باطن الإنسان فى مجارى الدم . وقيل هو على الاستعارة لكثرة إغوائه ووسوسته فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه وقيل : إنه يلقى وسوسته فى مسام لطيفة من البدن فتصل الوسوسة إلى القلب والله أعلم .

وقالوا : إن جوارح العبد المشتمل عليها بدنه سبع وهو مأمور بحفظها وعند الاعتبار هى الموصلة إلى سبعة أبواب جهنم : وهى العين ، والأذن ، واللسان ، والبطن ، والفرج ، واليدان ، والرجلان . والصيام مضيق لهذه الأبواب المفتوحة ، فإن الصيام ينشأ عنه الجوع ، والجوع يحسم مثار الشهوات . ويقطع موادها . وعند ذلك يوجد صفاء الخواطر عن الكدرات ، وتنور الباطن عن الظلمات . كما ورد فى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه : « إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك من الكذب والمحارم ودع أذى الجار وليكن عليك سكينة ووقار ولا تجعل صومك وفطرك سواء » .

ومن الحكم أن نعم الله تعالى على خلقه قد وظف عليها زكاة تشريفا لهم بذلك . فزكاة الجاه بَذْلُه [٤] ـ والمال إنفاقه والجسد اجاعته كما ورد فى حديث جمهان عن أبى هريرة رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولكل شىء زكاة وزكاة الجسد الصوم .. أخرجه ابن ماجة فإذاً الصوم طهرة وبركة وزيادة فى صحة الجسد من حيث المعنى وإن كان من حيث الصورة تنقيص ، كما أن زكاة المال صورتها تنقيص ومعناها زيادة من حيث ادخار ثوابها عند الله .

وقيل : خمسة أشياء لا يعرف مقدارها إلا خمس أنفس : لا يعرف نعمة العافية إلا المرضى ، ولا قيمة العمر إلا أهل المقابر . ولا قيمة الشبع إلا أهل الجوع ، ولا لذة نعمة النوم إلا من به ألم ، ولا نعمة الضوء إلا من هو فى الظلمة .

جعلنا الله ممن يقولون فيعملون بما يقولون ويعملون بما يعلمون وجعلنا من عباده الصالحين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى صحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وهو حسبى ونعم الوكيل .

---

(٤) أى مساعدة المحتاجين بجاهك بتوسطك المشروع لقضاء حوائجهم المشروعة ، والجاه هو المنزلة ، والمراد هنا : المنزلة العظيمة التى تكون لإنسان من إدارة ووزارة .. إلخ .



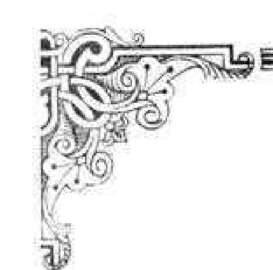
عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما وقد حضر رمضان : « أتاكم رمضان شهر بركة . يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء . ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ؛ فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل »[1] .

إن شهر رمضان من أعظم المواسم الإسلامية ، ومن أجل الشهور قدراً ، وأكثرها خيراً ، وأعمها براً . هو خير كله . فى أوله ، وفى أوسطه ، وفى آخره ، فهو كالروضة المزهرة الفيحاء ، أو كالحديقة المثمرة الغنّاء ، من أى نواحيها أتيتها . تَشُمُّ أريجها ، وتستمتع بشذى طيبها . فأوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار .. وحسب هذا الشهر المبارك من الفضل ، وعظم القدر . أن الله تبارك وتعالى : اختصّه بما لم يختص به غيره ، واختاره من بين الشهور ؛ ليكون غرة فى جبين الدهر ، ولتكون لحظاته الباسمة أسعد لحظات نَعِمَ بها الكون .. وأىُّ زمان أكرم على الإنسانية من شهر كريم ، تنزل فيه القرآن العظيم هبة السماء للأرض ، وهداية الخلق إلى الحق ، ومشكاة تضىء للناس طريق العظمة والخلود ، قال الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[2] ..

ومن هنا نعلم أن شهر رمضان . شهر

(١) أخرجه البيهقى والطبرانى ..

(٢) البقرة : ١٨٥ .



بقلم فضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

القرآن، بما له من صلة قدسية، ففيه تنزّل. فشع النور على العالم الضارب فى الظلام، الغارق فى بحار الجهالة والأوهام قال تعالى: ﴿ الٓر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[٣] .. ففى ليلة من لياليه جليلة القدر، عظيمة الشأن. أشرقت الأرض بنور ربها، وبزغت فيها كواكب العرفان. بنزول القرآن على أكرم إنسان. سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[٤] ..

وإنه ليس فى الليالى والأيام. أشرف من ليلة. كانت فاتحة السعادة، وبداءة الهداية، ومشرق النور، ومبعث الخير والفلاح. تلك هى ليلة القدر، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ. تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ. سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾[٥] ..

وقال جل شأنه: ﴿ حمٓ. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ. أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ. رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[٦] ..

أى أن الله بدأ بإنزال القرآن العظيم. فى ليلة مباركة، هى ليلة القدر التى تفضل الله بها على عباده بما أنزل فيها من هداية وإرشاد، وتعليم وتهذيب، فقد أراد الله إنذار الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور. فبعث رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، وأنزل عليه القرآن فى تلك الليلة، التى أعلى فيها منزلته بالوحى، وشرفه بالرسالة، ورفع ذكره بالكتاب الخالد. الجامع لألوان الهداية الإلهية .. ونزول القرآن الكريم فى هذه الليلة المباركة من شهر رمضان، وكلما هلَّ هلاله. طاف بالأذهان ذِكْرَى نزول هذا الكتاب الخالد. الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. معجزة الإسلام الكبرى، التى ستظل باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «مامن الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات مامثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى. فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»[٧] .. وكان جبريل عليه السلام ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم كل ليلة من ليالى رمضان.

←

---

(٣) إبراهيم: ١.
(٤) الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥.
(٥) القدر.
(٦) الدخان: ١ ـ ٦.
(٧) أخرجه البخارى.

رمضان .. شهر الخيرات والبركات

فيدارسه القرآن ، ويتبادلان التلاوة والاستماع حين يسجو الليل ، ويهدأ الكون ، فيواطىء القلب اللسان ، ويتذوقان حلاوة القرآن وعذوبته .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم : أجود الناس ، وكان أجود مايكون فى رمضان ، حين يلقاه جبريل : فيدارسه القرآن ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من ليالى رمضان : فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل : أجود بالخير من الريح المرسلة »[8] لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وأكرمهم ، وأكثرهم سخاء ، كان جوده قبل أن يُبْعث كرما إنسانيا ، فلما أكرمه ربه بالرسالة : صار جوده كرماً ربانيا ، ومن أولى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يتخلق بأخلاق مولاه ، فإذا جاء شهر التنزيل : فمن دُونِه البحر فيضاً وصفاء ، ومن دُونِه الريح انطلاقاً ورُخَاء ..

إن شهر رمضان هو شهر الأمة الإسلامية ، والدولة الفتية ، وهو كما أراده الله لنا . شهر التدريب الروحى والجسمى ، لتخريج النماذج الربانية . الصُلبة فى إرادتها ، الشفافة فى صفاء رُوحِهَا ، القويَّة التى تتغلب على نزواتها ونزعاتها . الأبية التى لا تستكين لأعدائها ، ولا تعطى الدنية فى دينها .. إنه شهر الصبر بكل ماتحتمله هذه الكلمة من معنى ومدلول ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل شىء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم ، والصيام نصف الصبر »[9] .. فلن يؤدى الصوم رسالته التهذيبية إلا إذا زجَّ بالصائم . إلى ساحة الصبر الجميل ، والخلق النبيل ، فهو بهذا وسيلة المقاومة ، ومبعث القوى النفسية التى تقارع الشدائد ، وتدافع الأهوال ، وفيه تمرين للنفس على تحمل متاعب الحياة ، ومقاومة الأحداث فيها .. وقد اظهرت ازمات الحياة وشدائدها كثيرا من الصفات المجيدة فى الإنسان ، ولا جدال فى أن امجدها وأشرفها قوة الاحتمال التى يتحلى بها افراد وهبهم الله قلوبا كبيرة ، ونفوساً عظيمة تجعلهم يتحملون فى سبيل مبادئهم ، ومصالح بلادهم وأوطانهم أعنف الصدمات .. فهذه الفضيلة . استطاعت أن تقيم بناء المجد فى ربوع البلاد ، وتمكن بها القادة المصلحون ، والزعماء المخلصون من أن يصدوا تيارات الانحراف والفساد ، ولهذا كان شهر رمضان على مرِّ التاريخ شهر العروبة والإسلام بأمجاده وانتصاراته .. والتاريخ الإسلامى حافل بطاقات هائلة ، ومواكب انتصارات ساحقة كان مسارها وميقاتها شهر رمضان المبارك .

ففى السابع عشر من هذا الشهر من السنة الثانية للهجرة . وقعت غزوة بدر الكبرى . وهى أول لقاء مسلح بين شعبتى الحق والباطل ، بين الإيمان والكفر .. ولقد تجلى فى هذه الغزوة الميمونة . قوة إيمان

---

(٨) أخرجه البخارى .

(٩) رواه ابن ماجة .

الصحابة ، وشدة شكيمتهم ، ومقدار عناية الله بهم ، رغم قلة عددهم ، وضآلة عُدَدهم ، وكثرة عدوهم ؛ لأنهم كانوا قد خرجوا لا يريدون حربا ، ولا يحسبون للعاقبة حسابا ، ولكن إيمانهم بالله . كان أمضى من الحسام ، وأقوى من الحديد ، وأحمى من النار .

وفى الحادى والعشرين من رمضان من السنة الثامنة للهجرة وصل المسلمون مكة بقيادة النبى صلى الله عليه وسلم ، فتمَّ فتحها ، واستسلم أهلها دون قيد أو شرط .. وكان فتح مكة درسا قاسيا للطغاة ، حطَّم ماتبقَّى فى نفوسهم من عنجهية وطغيان ، وصلف وغرور وكبرياء ، كما كان تعبيرا صادقا عن أن الله عز وجل لن يتخلى عن دعوته ، ولن يدعها نهبا لأعدائها .. وإذا كان فتح مكة قد أقام صرح الحق على أساس من القوة والعدل ، فإنه أيضا أقام صرح السلام على أساس من الخير والرحمة .. لقد وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطب قريشا : ماتظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، فإن تعف فذاك الظن بك ، وإن تنتقم فقد أسأنا !! قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، لا أقول لكم إلا كما قال أخى يوسف من قبل : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » ..

وفى رمضان . من السنة التاسعة من الهجرة . وقعت غزوة تبوك بين المسلمين والروم ، وبالرغم من أن هذه الغزوة لم يحدث فيها قتال بين الجيشين إلا أنها سجلت للمسلمين نصراً عظيماً ، فقد انسحبت الجيوش الرومانية وحلفاؤها من البيزنطيين ، والقبائل العربية المقيمة على حدود الشام من مواقعهم بعد أن عرفوا قوة الجيش الإسلامى ، والروح العالية التى يتميز بها جنوده المتشوقون إلى خوض المعركة ، مع هذا العدو المتفوق المتجبر ، وعاد الجيش الإسلامى إلى قواعده ، بعد أن قضى على خرافة الجبروت الرومانى .

وفى شهر رمضان من العام الخامس عشر من الهجرة وقعت معركة القادسية ، وانهزمت فيها جيوش الفرس ، وارتفعت بعدها رايات الإسلام عالية خفاقة على أرض فارس .

وفى شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين من الهجرة عبر المسلمون البحر بجيش جرار يقوده الشاب المسلم الأسمر والبطل المغوار طارق بن زياد ، ليخلص الأندلس من الاستبداد والظلم ، وتمَّ النصر على مائتى ألف قوطى كان قد عبأهم حاكم الأندلس الطاغية .

وفى شهر رمضان سنة خمسمائة وثلاث وثمانين من الهجرة حدثت موقعة حطين كعلامة بارزة على طريق النصر الإسلامى ، فقد حقَّق صلاح الدين الأيوبى نصره الخالد بإجلاء الصليبيين عن الأرض العربية ، وخاصة فلسطين بعد احتلال استمر ثمانية وثمانين عاما ..

وفى الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ستمائة وثمان وخمسين من الهجرة وقعت عين جالوت ، لتسجل نصراً للعرب

←

والمسلمين على موجة التتار العارمة التى جرفت العالم العربى والإسلامى فترة من الزمن فى بربرية ووحشية لم يعرفها التاريخ إلا فى العصر الحديث .

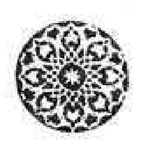
وفى شهر رمضان . سنة ستمائة وست وستين من الهجرة . استولى الملك الظاهر على إنطاكية ، وأخرج منها التتار ، وأسر منهم عشرة آلاف مقاتل ..

وإذا كان التاريخ يعيد نفسه ، ووعد الله لا يتخلف ، حسبما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾(١٠) .. ففى العاشر من شهر رمضان سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وتسعين استطاع العرب والمسلمون . أن يستردوا كراماتهم ، وأن يستعيدوا أمجادهم . فَلَّقنوا إسرائيل درساً لن تنساه ، ولن ينساه التاريخ ، فحطَّموا الكبرياء ، وقضوا على الغرور المصطنع ، وحطَّموا أكبر سد مانع عرفه التاريخ ، وهو خط « بارليف » .. لقد ظهرت الروح الإسلامية فى العاشر من رمضان . قوية ظافرة . وكان لصيحة . « الله أكبر » . دوىٌّ زلزل حصون الباطل وأذهب سحره ، وأوقع الرعب فى قلوب العدو الذى ولَّى مدبراً ولم يعقب . وكان لسلطان هذه الكلمة النُّورانية قوة دحرت جبروته ، فضل ضلاله ، وضاع صوابه ، واعتراه التخبط ، فالتوت أمامه السبل ، وأعمى الله بصره وبصيرته ، فأوقعه فريسة للشجعان الأبطال ، والجنود البواسل ، المناضلين عن دينهم وعقيدتهم ووطنهم وأمتهم ، وتم النصر الذى قلب موازين العالم ، الذى خدع طويلاً بالدعايات المسمومة ، فهب مبهوراً ، يعيد تقدير حساباته على ضوء الحقيقة الناصعة الجديدة ، وصدق الله حيث يقول : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١١) ..

عبد المنصف محمود عبد الفتاح

المدير العام السابق للدعوة

والإعلام الدينى بالأزهر



(١٠) غافر : ٥١ .

(١١) الروم : ٤٧ .

الإمام حمزة الكوفي

٦

للأستاذ الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

سادس القراء العشرة الامام :
أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات - الكوفي القرضي ، التميمي مولاهم . وهو من تابعي التابعين ، كان عالما بتجويد كتاب الله ، عارفا بالفرائض (علم الميراث) والعربية ، حافظا للحديث ورعا .
قال ابن الجزري : أدرك الصحابة بالسن فيحتمل أن يكون رأى بعضهم . ا هـ .
لم يكن يتكسب بالقرآن يرجو بذلك « الفردوس » .

مولده : ولد سنة ثمانين - أيام عبد الملك ابن مروان .

وفاته : توفى بطوان سنة أربع أو ثمان وخمسين ومائة - أيام المنصور ، أو المهدى . قاله الجعبرى .

وقال ابن الجزرى : سنة ست وخمسين ومائة على الصواب .

وقدم على الكسائى لأنه شيخه .

راوياه

أول راوييه : أبو محمد خلف بن هشام ابن ثعلب بن خلف بن هشيم بن ثعلب بن مقسم ابن غالب أبو محمد الأسدى - ويقال خلف ابن هشام بن غراب - الامام العلم البزّار - بالراء - البغدادى .

أصله من (فم الصِلح) - بكسر الصاد - .

مولده : ولد سنة خمسين ومائة .. وفى (غاية النهاية لابن الجزرى : مات فى جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين ببغداد) .

وثانيهما : أبو عيسى بن خالد ، الصيرفى الكوفى . وهو أضبط أصحاب سليم . كما قاله

←

الدانى . وكان محققا مجودا ، إماما فى القراءة.
لم نقع على سنة مولده ــ رحمه الله .

وفاته : توفى سنة عشرين ومائتين بالكوفة .

وقد تعددت طرق حمزة على يدى رَاوِيَيْهِ وتلاميذهما وانتشرت وكتب لها البقاء .

أساتذته

قرأ حمزة عَلَى:أبى محمد سليمان بن مهران الأعمش عَرْضا ، وقيل الحروف فقط ــ وقرأ حمزة أيضا عَلَى:أبى حمزة حمران بن أعين ، وعلى أبى إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعى ، وعلى محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، وعلى أبى محمد طلحة بن مصرف اليامى ، وعلى أبى عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن زين العابدين بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب الهاشمى .

وقرأ الأعمش وطلحة على أبى محمد يحيى ابن وثاب الأسدى ، وقرأ يحيى على ابن شبل علقمة بن قيس ، وعلى ابن أخيه الأسود ابن يزيد بن قيس ، وعلى زِرّ بن حُبَيْش ، وعلى زيد بن وهب ، وعلى عبيدة بن عمرو السلمانى ، وعلى مسروق بن الأجدع .

وقرأ حمران على أبى الأسود الدؤلى ، وتقدم سنده ، وعلى عبيد بن نضلة ، وقرأ عبيدة على علقمة ، وقرأ حمران أيضا على محمد الباقر ، وقرأ أبو إسحاق على أبى عبد الرحمن السلمى ، وعلى زر بن حبيش ، وتقدم سندهما ، وعلى عاصم بن ضمرة ، وعلى الحارث ابن عبد الله الهمدانى .

وقرأ عاصم والحارث على علىّ . وقرأ ابن أبى ليلى على المنهال بن عمرو وغيره . وقرأ المنهال على سعيد بن جبير ــ وتقدم سنده .

وقرأ علقمة ، والأسود ، وابن وهب ، ومسروق ، وعاصم بن حمزة والحارث أيضا ــ على عبد الله بن مسعود .

وقرأ جعفر الصادق على أبيه محمد الباقر.

وقرأ الباقر على أبيه زين العابدين .

وقرأ زين العابدين على أبيه الحسين .

وقرأ الحسين على أبيه علىّ بن أبى طالب.

وقرأ علىّ وابن مسعود رضى الله عنهما ــ على رسول الله ﷺ .

تلاميذه

وكان حمزة امام أهل الكوفة فى عصره . أخذ القراءة عنه سفيان الثورى (١) . وقرأ عليه أجلة أهل الكوفة ــ شريك (٢).وأبو الأحوص سلام بن سليم ، ويوسف بن أسباط ، وعثمان ابن زائدة ، ومحمد بن فضل بن غزوان ، وحسين (٣) الجعفى ، وشعيب بن حرب ، وجرير بن عبد الحميد ، وعلى بن حمزة الكسائى ، وأبو إسحق ، وأبو إسحق الفزارى، ويحيى بن اليمان ، وغيرهم .

قال ابن مجاهد : حدثنى ابن أبى الدنيا ، قال: قال محمد بن الهيثم المقرى : أخبرنى الحسن ابن بكار أنه سمع شعيب بن حرب يقول : أَمَّ

---

(١) سفيان الثورى أحد أعلام القراء المحدثين ــ توفى بالبصرة ١٦١ هـ .

(٢) شريك هو:شريك بن عبد الله القاضى النخعى ــ توفى سنة ١٧٧ هـ . ولبقية تلامذة حمزة تراجم فى طبقات القراء لابن الجزرى .

(٣) هو الحسين بن على الجعفى أحد الأعلام ــ رَوَى القراءة عن أبى عمرو بن العلاء ، وعن حمزة ، وعن أبى بكر بن عياش عن عاصم .

حمزة الناس مائة • وان سفيان الثورى درس على حمزة القرآن أربع دَرْسات •

قال ابن أبى الدنيا : حدثنى محمد بن الهيثم قال : سمعت خلف بن تميم يقول : حدثنى حمزة الزيات أن سفيان الثورى عرض عليه القرآن أربع عرضات (٤) • قال : وقال حمزة أتانى على بن صالح فسألنى أن أقرئه •

أخبرنى هارون بن يوسف عن أبى هشام، هو محمد بن يزيد بن رفاعة من أئمة القراءات فى القرن الثالث ، توفى وهو قاض على بغداد سنة ٢٤٨ هـ : كان أقرأ من قرأ على حمزة فى الزمن الأول أربعة: إبراهيم بن على الأزرق ، وكان كثير من الناس يقدمونه على سليم بن عيسى الكوفى • ولم يكن بالحافظ ، وخالد بن يزيد الطبيب الكوفى • وخلاد الأحول • وكان عبد الرحمن بن أبى حماد أكبرهم وأعلمهم بالقرآن ، وهو من أهم تلامذة حمزة،وهو أحد من خلفوه بالقيام على القراءة ، وكذلك عن أبى بكر بن عياش عن عاصم ، كان خلاد قد قرأ عليه • وكان قارىء آخر ولم يكن مثلهم يقال له سلم الأبرش •

قال أبو هشام : ضبط الكسائى القراءة على حمزة وعبد الرحمن بن أبى حماد قرأ عليه •

وقال ابن أبى الدنيا : قال حدثنا الطيب أبو حمدون بن إسماعيل الذهلى تلميذ شعيب • عن شعيب بن حرب ، قال سمعت حمزة يقول: ما قرأت حرفا قط إلا بأثر • وكان حمزة متبعا لآثار من أدرك من أئمة القراء عالما بالقراءة ومذاهبها •

قال مطين محمد بن عبد الله : قال حدثنا عقبة بن قبيصة بن عقبة قال : حدثنى أبى • كنا عند سفيان الثورى فجاءه حمزة ، فكلمه • فلما قام قال سفيان : أترون هذا ؟ ما قرأ حرفا من كتاب الله إلا بأثر •

عن على بن حسن الطيالسى : قال سمعت محمد بن الهيثم المقرىء يقول : أدركت الكوفة ومسجدها الغالب عليه قراءة حمزة،ولا أعلمنى أدركت حلقة من حلق المسجد الجامع يقرءون قراءة عاصم •

على بن الحسن • قال : سمعت محمد بن الهيثم يقول : حدثنى عبد الرحمن بن أبى حماد ، قال : سمعت حمزة يقول : إن لهذا التحقيق • (يعنى: تحقيق الهمزة) منتهى ينتهى إليه • ثم يكون قبيحا مثل البياض له منتهى ينتهى إليه • واذا زاد صار برصا ، ومثل الجعودة لها منتهى تنتهى إليه ، فاذا زادت صارت قططا (٥) • ويروى عنه أنه قال : انما الهمز رياضة فاذا أحسنها الرجل سهلها •

مذهبه فى القراءة

كان حمزة رضى الله عنه يخفى التعوذ فى أول القراءة ، ويبسمل فى أول كل سورة ، ولا يبسمل بين السورتين ، فيكون القرآن عنده كالسورة الواحدة •

وقرأ حمزة : (الصراط) و (صراط) ـ باشمام الصاد الزاى • كذلك كان يقرأ بضم هاء الضمير من (عليهم ـ و (اليهم) و (لديهم) ـ بضم الهاء بناء على الأصل • وكان لا يسبع

---

(٤) انظر فى الخبر غاية النهاية فى ترجمة سفيان •

(٥) انظر هذا الخبر فى غاية النهاية لابن الجزرى •

المد فى الضربين ــ المتصل والمنفصل قدرا واحدا • ويمد للمبالغة ــ (لا ريب) ــ ، و ــ (لاجرم) ــ ، ــ و (لامرد) ــ وما أشبه ذلك •

وكان يبدل الهمزة الساكنة حرفا من جنس حركة ما قبله • اذا كان مفتوحا ــ يبدله ألفا ، أو مضموما يبدله واوا ، أو مكسورا يبدله ياء •

وكان ينقل حركة الهمز الى الساكن الذى قبلها ، ويحذف الهمزة عند الوقف ــ وكان يقرأ بالسكت بغير تنفس على لفظ ــ ال ــ وشىء ــ وعلى المفصول نحو ــ (آمن) ــ ، ــ و (قد أفلح) ــ ، وعلى الموصول كذلك ، وعلى المد المنفصل والمتصل مبالغة فى التحقيق • وللتمكن للنطق بالهمزة لصعوبته •

وكان يقف على الهمزة الساكنة والمتحركة اذا وقعت طرفا فى الكلمة بتسهيلها ، ويصل بتحقيقها ، فإذا سهل المضموم ما قبلها أبدلها واوا فى حال تحريكها وسكونها • نحو قوله ــ (لُؤْلُؤًا) ــ ، و ــ (إِنِ امْرُؤٌا) ــ وشبهه ولم تأت فى القرآن ساكنة • واذا سهل المكسور ما قبلها أبدلها فى الحالين ــ ياء ــ نحو قوله عز وجل : ــ و (هَيِّئْ لنا) ــ ، و ــ (نَبِّئْ عبادى) ــ ، و (نُبَوِّىء) و ــ (من شَاطِىءِ) ــ وشبهه •

واذا سهل المفتوح ما قبلها أبدلها فى الحالين ألفا ــ نحو قوله عز وجل ــ (إن يشأ) ــ ، ــ (ذرأ) ــ ، ــ (بدأ) ــ ، ــ (يُسْتَهْزَأ) ، ــ (الملا) ــ وشبهه الروم والاشمام ممتنعان فى الحرف المبدل من الهمزة لكونه ساكنا محضا • فاذا سكن ما قبل الهمزة وسهلها ألقى حركتها على ذلك الساكن • وأسقطها ان كان ذلك الساكن أصليا غير ألف نحو : ــ (المرءُ) ــ ، (دفءُ) ــ ، (الخبءَ) ــ ، (شىء) ــ ، (سوء) ، ــ (من سوء) ــ ، (سىءَ) ، ــ (جىءَ) ــ ، (المسِىءُ) ــ ، (يُضِىءُ) ــ وشبهه • فان كان الساكن زائدا للمد وكان (ياء) أو (واوا) ــ أبدل الهمزة مع الياء (ياء) ، ومع الواو (واوا) وأدغم ما قبلها فيهما نحو قوله : ــ (برىء) ــ ، ــ (النَبِىءُ) ــ (ثلاثة قُرُوء) ــ وشبهه • والروم والاشمام جائزان فى الحرف المتحرك بحركة الهمزة ، وفى المبدل منها غير الالف إن انضما ، والروم إن انكسرا ، والإسكان إن انفتحا ــ كالهمزة سواء • وإن كان الساكن ألفا سواء كانت مبدلة من حرف أصلى ، أو كانت زائدة • أبدلت الهمزة بعدها ألفا بأى حركة تحركت ، ثم حذفت إحدى الألفين للساكنين • وان شئت زدت فى المد والتمكين لتفصل بذلك بينهما ولم تحذف • وذلك الأَوْجَـهُ وبه ورد النص عن حمزة • وذلك نحو قوله عز وجل ــ (والسماء) ــ وبالله التوفيق •

هذا ما يتعلق بحكم الهمز المتطرف • وأما ما يتعلق بالهمز المتوسط بنفسه أو بغيره فليطلب فى كتب القراءات •

ومن المقرر عند علماء القراءات أن لحمزة رضى الله عنه فى تخفيف الهمز مذهبين : أحدهما تصريف ، وثانيهما رسم •

ومذهب حمزة فى الادغام فى الحروف التى لا حركة بها قريب من قول أبى عمرو • الا فى الذال فى الجيم • فانه كان لا يدغمه هو ولا غيره من القراء إلا أبو عمرو •

فأما لام (بل) و (هل) فكان حمزة يدغمها فى التاء ، والثاء ، والسين ، والراء • واختلفوا عنه فى (ذال) – (إذْ) مع الزاى والسين والصاد مثل قوله : إذ سمعتموه – النور ١٢ – وإذ زاغت – الأحزاب – ١٠ – وإذ صرفنا – الأحقاف ٢٩ – • عن سليم عن حمزة الإظهار – وروى خلاد عن حمزة الإدغام • ولم يأت به غيره •

وروى أبو شعيب السوسى عن اليزيدى – عن أبى عمرو – أنه كان يدغم – (لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ) – النور ٦٢ – ولم يأت غيره •

وروى خلف عن سليم أنه كان يقرأ عليه – يعنى على حمزة – (بل طبع الله –) مدغما فيجيزه • وكان من المكثرين فى الامالة الكبرى فى ذوات الياء •

آراء نحوية

فمن ذلك – (والأرحام) – من قوله تعالى : فى صدر سورة النساء – (**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ** » – سورة النساء آية (١) •

فحمزة يخفض ميم (الأرحام) عطفا على الضمير المجرور فى (به) من غير إعادة الجار •

وعارض بعض نحاة البصرة هذا المذهب ، أعنى العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار • وكان ينبغى عدم المعارضة فالكتاب العزيز حجة على النحاة وليست استنتاجاتهم حجة عليه ، ومذهب الكوفيين المتتبع بسعة كلام العرب يؤيده ، قال الألوسى – رحمه الله :

وأول من شنع على حمزة فى هذه القراءة أبو العباس المبرد حتى قال : لاتحل القراءة بها ، وتبعه فى ذلك جماعة – منهم ابن عطية – وزعم أنه يردها وجهان :

أحدهما : أنَّ ذكر أن (الارحام) مما يتساءل بها لا معنى له فى الحض على تقوى الله تعالى ، ولا فائدة فيها أكثر من الاخبار بأن الأرحام يتساءل بها ، وهذا مما يغض من الفصاحة •

والثانى : أن فى ذكرها على ذلك تقرير التساؤل بها ، والقسم بحرمتها ، والحديث الصحيح يرد ذلك ، فقد أخرج الشيخان عنه ﷺ « من كان حالفا فليحلف بالله تعالى أو ليصمت » •

وأنت تعلم أن حمزة لم يقرأ كذلك من نفسه ولكن أخذ ذلك بل جميع القرآن عن سليمان ابن مهران الأعمش • والامام بن أعين • ومحمد بن أبى ليلى • وجعفر بن محمد الصادق – وكان صالحا ورعا ثقة فى الحديث – من الطبقة الثالثة •

وقد قال الامام أبو حنيفة • والثورى • ويحيى بن آدم فى حقه:غلب حمزة الناس على القراءة والفرائض (٦) ، وأخذ عنه جماعة وتتلمذوا عليه ، منهم إمام الكوفة – قراءة وعربية – أبو الحسن الكسائى ، وهو أحد القراء السبعة الذين قال أساطين الدين : إن قراءتهم متواترة عن رسول الله ﷺ ، ومع هذا لم يقرأ بذلك وحده بل قرأ به جماعة من غير السبعة كابن مسعود • وابن عباس • وإبراهيم النخعى • والحسن البصرى • وقتادة • ومجاهد • وغيرهم – كما نقله ابن يعيش – فالتشنيع على هذا الامام فى غاية الشناعة ونهاية الجسارة والبشاعة

---

(٦) المواريث •

وربمــا يخشى منه الكفر ، وماذكر من امتناع العطف على الضمير المجرور هــو مــذهب البصريين ولسنا متعبدين باتباعهم ، وقد أطال أبو حيــان فى البحر الكلام فى الــرد عليهم ، وادعى أن ماذهبوا اليه غــير صــحيح ، بــل الصحيح ماذهب إليه الكوفيون من الجــواز ، وورد ذلك فى لسان العرب نثــرا ونظمــا ، والى ذلك ذهب ابن مالك •

وحديث ان ذكر الارحام ــ حينئذ لا معنى له فى الحض على تقوى الله تعالى ــ ســاقط من القول ، لأن التقوى إن أريد بها تقــوى خاصة ــ وهى التى فى حقــوق العبــــاد التى من جلتها صلة الرحم فالتساؤل بالأرحام مما يقتضيه بلا ريب •

وان أريد الأعم فلدخوله فيها •

وأما شبهة أن فى ذكرها تقــرير التساؤل بها ، والقَسَم بحرمتها والحــديث يرد ذلك للنهى فيه عن الحلف بغير الله تعالى ، فقد قيل فى جوابها : لا نسلم أن الحلف بغير الله تعالى مطلقا منهى عنه ، بل المنهى عنه ما كــان مــع اعتقاد وجوب البر ، وأما الحلف على ســبيل التأكيد مثلا فمما لا بأس به ففى الخبر «أفلح وأبيه ان صدق » •

وقد ذكر بعضهم أن قول الشــخص لآخر : أسألك بالرحم أن تفعل كذا ليس الغــرض منه سوى الاستعطاف وليس هو ــ كقــول القائل ــ والرحم لأفعلن كذا • ولقد فعلت كذا ، فلا يكون متعلق النهى فى شىء ، والقول بأن المراد هنا حكاية ما كانوا يفعلون فى الجــاهلية ــ لا يخفى مافيه فافهم ، وقد خرج ابن جنى هذه القــراءة على تخــريج آخــر ، فقــال فى الخصائص : باب فى أن المحــذوف إذا دلت الدلالة عليه كان فى حكم الملفوظ به مــن ذلك

* رَسْمِ دَارٍ وَقَفْت فى طَلَلِه *

أى رب رسم دار ، وكان رؤبــة إذا قيــل له : كيف أصبحت ؟ يقول : خيرٍ عافاك الله تعالى ــ أى بخير ــ ويحذف الباء لدلالة الحال عليها، وعلى نحو من هذا تتوجه عندنا قراءة حمزة ، وفى شرح المفصل أن الباء فى هــذه القــراءة محذوفة لتقدم ذكرها ، وقــد مشى على ذلك أيضا الزمخشرى فى أحاجيه ، وذكر صــاحب الكشــف أنه أقرب من التخريج الأول عنــد أكثر البصرية لثبوت إضمار الجار فى نحــو ــ الله لأفعلن ــ وفى نحو ــ مامثل عبد الله ولا أخيه يقولان ذلك ــ والحمل على ماثبت هو الوجه •

ونقل عن بعضهم أن الواو للقسم على نحو ــ اتق الله تعالى فوالله انه مطلــع عليك ــ وترك الفاء لأن الاستئناف أقوى الأصلين وهو وجه حســـن •

وأجاب العلامة الجعبرى عن ذلك بــأن مذهب أكثر البصريين اشترط إثبات الجــار فى المعطوف (لفظا) نحو ــ(بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) القصص ٨١ (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَــوْمِكَ) ــ الزخرف ــ آية ٤٤ او (تقديرا) اختياريا نحو ــ (وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) البقرة آيــة ٢١٧ ــ على رأى قــوله : وما فيهــا غــيره وفرسِه • وأنشد سيبويه :

فاليوم قــد قربت تهجونــا وتشتمنا
فاذهب فمــابك والأيــامِ مــن عَجَبِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين •

الإسراء والمعراج

في السنة المطهرة



لفضيلة الشيخ
عبد الحميد محمد على ندا

الحادية عشرة : رؤية الحلال والحرام

جاء فى رواية ابن جرير والبيهقى وغيرهما عن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أَخْوِنَةً[1] عليها لحم مشرح ليس يقربها أحد ورأى أخونة أخرى عليها لحم قد أروح[2] وأنتن عندها أناس يأكلون منها فقال : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء من أمتك يأتون الحرام ويتركون الحلال .

وهذه المرئية توضح لنا مدى جهل العصاة وخفة عقولهم ؛ فإذا علم الإنسان أنه مرزوق لا محالة وأن رزقه سيأتيه ، وأن الله - عز وجل - قد أوضح طريق الكسب الحلال والخبيث فلماذا الوقوع فى المحرمات ؟.

ثم تتتابع المرئيات بعد ذلك توضح لنا جزاء الطائعين الذين كسبوا حلالاً وأكلوا حلالا وصرفوا شهواتها فى حلال وتكلموا بالحلال .

إن تحرى الحلال يرتفع بصاحبه إلى مستوى كريم من الأخلاق . أما الوقوع فى الحرام فإنه يردى صاحبه ويودى به ويورده موارد التهلكة - والعياذ بالله - وهذا ما توضحه المرائى الآتية :

الثانية عشرة : صورة أكلى أموال اليتامى ظلماً :

جاء فى رواية البيهقى وابن جرير السابقة أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى أقواماً مشافرهم[3] كمشافر الإبل فتفتح أفواههم فيلقون من ذلك اللحم ثم يخرج من أسافلهم ، وسمعهم يضجون إلى الله - عز وجل - فقال :

←

(١) موائد .

(٢) أخرج ريحا ، وهى هنا كريهة .

(٣) شفاههم .

من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء من أمتك الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً . إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا .

إن اليتيم شخص ضعيف مات أبوه وعوده رطيب لم يقو على مجابهة أعاصير الحياة ومن يعتدى على ماله انتهازى جبان ميت الحس والضمير ، لأنه يأخذ ما يعجز صاحبه عن دفعه عنه ، ويلبس ثياب الناصحين أهل الصلاح والتقوى وهو فى واقع الأمر ذئب غادر مختلس .

ومن ثم جاءت مشافره فى هذه المرئية كمشافر الإبل غليظة لا تحس ، واسعة تلف الأخضر واليابس والخشن والناعم ثم تلقمه جميعاً دون مضغ أو معالجة ، ولابد أن يكون جزاؤهم كعملهم يلتقمون لحماً نتنا يحرق بطونهم ، ويمزق أحشاءهم ، لا يستفيدون منه فى دنياهم بل هو مدمر لهم فى دنياهم محرق لأجسادهم فى أخراهم .

الثالثة عشرة : صورة آكلى الربا

جاء فى رواية أبى حاتم والبيهقى عن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أقواماً بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر فيقول : اللهم لا تقم الساعة قال : وهم على سابلة آل فرعون قال : فتجىء السابلة فتطؤهم قال : فسمعتهم يضجون إلى الله فقلت : ياجبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس .

وهذه المرئية توضح لنا وظيفة المال فى هذه الحياة إذ المال ليس مقصوداً لذاته وإنما هو وسيلة من وسائل الكسب الشريف ، يعين صاحبه ويهيىء له عملاً يرتزق منه ، أما أن يوظف المال ليعمل فيه الآخرون ويجلس صاحبه بدون عمل[٤] يأتيه كسب الغير ليأكله أو يكدسه بعضه فوق بعض فهذا انحراف عن وظيفته التى خلقه الله من أجلها وهذا ما يوضحه لنا الحق تبارك وتعالى فى قوله : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ رداً على الذين قالوا : « إنما البيع مثل الربا » إذ البيع صاحبه يعمل ويتعرض هو وماله لهزات الكسب والخسارة يحمد الله ـ عز وجل ـ إن كسب . ويلجأ إلى مولاه إن خسر ، يتعرض البائع فى السوق ليرى المحتاجين فيرحمهم وعلى الجملة فإنه يعيش بين الناس ، أما المرابى فإنه أغلق عليه بابه وأغلق منافذ الحس فى جسده وجلس آمناً ينتظر الكسب الحتمى اللازم ولم يصغ لقانون تقلب الأيام وتداولها بين الناس فى نفسه حساباً ، ينتظر الربح ولو أفلس الآخرون ودمرت بيوتهم وتشردت أسرهم ، ومن ثم كانت صورة بطونهم كبيرة أمثال البيوت تحوى وتجمع وتزيد ولا يخرج منها شىء ، ومن كبرت بطنه تثاقل

---

(٤) لا يدخل فى هذا القسم من يعطى ماله أو جزءاً منه ليتاجر له آخر على اقتسام الربح بينهما أو مثالثته ، وهو شريك للمتاجر فيه ربحاً وخسارة ، إنما هو خاص بآكل الربا الذين يقرضون ذوى الحاجة المضطرين المشرفين على ضياع ليسترد قرضه منهم أضعافاً مضاعفة أولئك الذين يستغلون آلام الناس ليعصروها ذهبا فى جيوبهم بل بدلا أن ينتهزوا الفرصة لتفريج كروبهم ، ومد يد العون إليهم . وهذا جزاؤهم .

وفترت همته ، وهم لذلك يرجون ألا تقوم الساعة ، وما أروع ما صورتهم المرئية فى تلك الصورة البشعة التى تعلوها أخفاف الإبل وأظلاف الغنم والبقر . فكلما علا المال على كل اعتبار فى دنياهم فإنه يعلو الآن عليهم .

ثم هم بعد ذلك مجهودون متخبطون لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فكما انسدت أمامهم الحيل فى الدنيا فلتغلق الآن أمامهم الأبواب فلا رجاء فى ثواب ولا مطمع فى عافية ..

الرابعة عشرة : صورة الزناة :

جاء فى رواية البيهقى وابن جرير عن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر ولحم آخر نىء قذر خبيث فجعلوا يأكلون من اللحم النىء الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال : ما هؤلاء ياجبريل ؟ فقال : « هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح . والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتى رجلاً خبيثاً فتبيت معه حتى تصبح » .

كى يعمر الله عز وجل هذا الكون بذلك النوع الإنسانى الكريم ولكى تظل تلك السلالة باقية على وجه هذه البسيطة إلى أن يرث الله الأرض وما عليها . ركب فى الإنسان تلك الغريزة الجنسية ، أودعها سبحانه إياه كما أودع فيه حاجته إلى الطعام والشراب ولكى لا يظهر ذلك النوع المفضل فى صورة حيوانية قذرة شرع سبحانه الزواج كى تقضى تلك الرغبة فى ستر أمين وفى مورد كريم لا تلغ فيه الكلاب ولا تأوى إليه الهوام . ومن ثم كانت الزوجة سكناً ولباساً . ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الروم ٢١ ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ البقرة ١٨٧ .

أما الذين تمتد أعينهم إلى غير ما أحل الله فهم قوم قد انحرفت أمزجتهم وفسدت طبائعهم كما فسد طبع هؤلاء الذين يتركون اللحم النضيج الطيب ليأكلوا لحماً نتناً قذراً . ثم هم بعد ذلك يعرضون أنفسهم لأمراض خطيرة وفتاكة كما يعرض أكل النتن نفسه للهلاك والدمـار . ألا ما أقسى الصـورة وما أقبح الفعال .

الخامسة عشرة : صورة الكلمة

جاء فى رواية ابن جرير والبيهقى عن أبى سعيد رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال : ما هذا ياجبريل ؟ فقال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها .

إذاً كم دون لسان المرء من حجاب ؟ « الصمت حكم وقليل فاعله .[5] لسان المؤمن وراء قلبه ، وقلب المنافق وراء لسانه » .[6]

---

(٥) قال ابن حجر فى المغنى : والصحيح عن أنس أنه من كلام لقمان ، ورواه هو وابن حبان فى كتاب روضة العقلاء بسند صحيح إلى أنس . أهـ المغنى لابن حجر على الإحياء ج ٣/١٠٨ ط/دار الفكر .

(٦) « إن لسان المؤمن وراء قلبه .. إلخ » قال ابن حجر فى المغنى : لم أجده مرفوعا ، وإنما رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من رواية الحسن البصرى قال : « وكانوا يقولون » أهـ المغنى عن حمل الأسفار على الأحياء لابن حجر ج ٢/١١٠ ، ١١١ ، طبع دار الفكر .

بهذه الحكم النبوية الرائعة وجوامع الكلم العظيمة كان صلوات الله وسلامه عليه يعلم المؤمنين ويحذرهم من موارد اللسان وكم كانت نصيحته صلوات الله وسلامه عليه لبعض أصحابه « أمسك عليك لسانك »[٧] .

وما ذاك إلا لأن الكلمة طالما هى حبيسة فى نفس قائلها فهى مِلْكُهُ ، وهو مالك زمام أمره . أما إذا خرجت من فيه فإن الأمر أصبح لها هى ، وهو أسيرها يخشى أن تتسرب أو تشيع فيتفاقم الخطر ويعظم الخطب ولا يستطيع قائلها أن يردها إلى صدره مرة أخرى فيحبسها فيه كما لا يستطيع ذلك الثور العظيم أن يرجع إلى الجحر الصغير الضيق الذى خرج منه .

وفى تصوير الكلمة بالثور العظيم إيحاء بأن الثور إذا ما هاج خَرَّبَ ودمَّر ، وأتلف الزرع وأفسد الضرع وعجز صاحبه عن كبح جماحه ووقف مكتوف اليدين ، وهذا شأن صاحب الكلمة التى أنشأها يقف مذهولاً أمام آثارها المخربة ، وأضرارها المدمرة .

السادسة عشرة : صورة العيابين

جاء فى رواية الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى النار قوماً يأكلون الجيف فقال : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس . وجاء فى رواية البيهقى وأبى حاتم عن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أقواماً يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه فيقال له : كل كما كنت تأكل من لحم أخيك فقال : ياجبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون .

وروى الإمام أحمد عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما عرج بى إلى ربى عز وجل مررت بقوم لهم أظافر من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم » .

قد لا يدرى من يعيب الآخرين أنه إنما يتحدث عن نفسه هو ويرسم لنفسه صورة كئيبة فى نفس سامعه يلقى عليها أوحالا كلما أغرق فى الذم والهجاء . إن المستمع إلى أحاديثنا ـ وإن أسلم لنا وجهه وأذنه وأظهر تصديقنا فيما نقول ـ إنه فى الحقيقة يغشنا لأن نفسه تحدثه هى الأخرى ماذا وراء قول فلان ؟ لابد أنه قد رفض له مطلباً ، أو سبقه فى بعض الميادين .

إن الذين يعيبون الآخرين هم الذين فشلوا فى حياتهم ولم يستطيعوا اللحاق بالسابقين فتبعوهم بسباب كنباح الكلاب حينما تعجز عن إدراك ما تريد .

وهل وراء عيبى لأخى وزميلى إلا القدح فى نفسى ؟ وكيف لا وهو نِدٌّ لى ؟ وما كان فيه من عيوب فَهِىَ فىّ ولاشك ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ . الا ما أقبح الصورة تنوعت وتعددت كما تفنن أصحابها

---

(٧) الترمذى : الزهد ، باب ما جاء فى حفظ اللسان ج ٣١/٤ رقم ٢٥١٧ط/دار الفكر بلفظ : « املك عليك لسانك ... إلخ » وقال : حديث حسن .

فى عيب الناس مرة بالهمز وأخرى باللمز وتارة باللسان وأخرى بطرف العين .

السابعة عشرة : صورة الجنة والنار

جاء فى رواية مسلم عن أبى ذر أن النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن ذكر فريضة الصلاة قال : ثم ادخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك . وجاء فى رواية ابن جرير والبيهقى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى على واد فوجد ريحاً طيبة باردة وريحَ مسك ، وسمع صوتاً فقال : ياجبريل ما هذه الريح الطيبة الباردة ؟ وما هذا الصوت ؟ قال : هذا صوت الجنة تقول يارب آتنى بما وعدتنى فقد كثرت غُرَفى واستبرقى وحريرى وسندسى وعبقرى ولؤلؤى ومرجانى وفضتى وذهبى وأكوابى وصحافى وأباريقى وأكؤسى وعسلى ومائى ولبنى وخمرى فائتنى بما وعدتنى فقال : لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن بى وبرسلى وعمل صالحاً ولم يشرك بى شيئاً ولم يتخذ من دونى أنداداً ومن خشينى فهو آمن ومن سألنى أعطيته ومن أقرضنى جزيته ومن توكل على كفيته ، إنى أنا الله لا إله إلا أنا لا أخْلُفُ الميعاد . وقد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين . قالت : قد رضيت . قال : ثم أتى على واد فسمع صوتاً منكراً ووجد ريحاً خبيثة فقال : ما هذه الريح ياجبريل وما هذا الصوت ؟ فقال : هذا صوت جهنم تقول : يارب آتنى بما وعدتنى فقد كثرت سلاسلى وأغلالى وسعيرى وحميمى وضريعى وغَسَّاقى وعذابى وقد بعد قعرى واشتد حرى فآتنى بما وعدتنى قال : لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة ، وكل خبيث وخبيثة وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب . قالت : قد رضيت .

وفى ختام تلك المرائى التى عرضها الحق جل علاه لنبيه - صلوات الله وسلامه عليه - أرى صلوات الله وسلامه عليه الجنة والنار حتى إذا ما حدث الناس عنهما حدث حديث الرائى بعينه المشاهد وليس الخبر كالعيان ثم إن أهل النار أصناف شتى منهم من ذكر فى الحديث ومنهم من لم يذكر ، وعقاب النار قاس شديد متنوع كل واحد من أهلها يعاقب حسب حاله وعلى قدر ما اقترف من جرائم وأهل النار مهما كثروا فلن تضيق بهم بل ستظل دائماً ، تقول : « هَلْ مِن مَّزِيدٍ[8] ؟ » . أما الجنة وأهلها فحديثهم يحفز على طاعة الرحمن ، ونعيمها سرمدى أبدى دائم ، ومن ثَمَّ طالبت بأهلها وآتاها الله عز وجل سُؤْلَها من المؤمنين الصادقين .

تعقيب

كشف الله عز وجل لنبيه - صلى الله عليه وسلم - فى مرائيه عن عقوبات لجرائم لم يحرمها عليهم بعد مثل ترك الصلاة ومنع الزكاة وأكل الربا وغير ذلك[9] كما كشف الحق سبحانه عن أصناف من أهل الجنة



---

(٨) ق ٣٠

(٩) كانت رحلة الإسراء والمعراج فى العام العاشر من بدء الرسالة ولم تكن الصلاة قد فرضت ، ومثلها الزكاة وصوم رمضان والحج ، فالجميع عدا الصلاة توالى فرضها فى المدينة المنورة بعد الهجرة فأما الصلاة فقد فرضت ليلة الإسراء ، وقد كان ثم صلاة قبل ذلك لم تكن مفروضة .

كالمجاهدين فى الله ، وأصناف من أهل النار كخطباء الفتنة ، وهم بعد لم يظهروا فى الوجود . وما ذلك إلا لأن علم الله عز وجل لا يرتبط بزمان ، فليس شيء يقع فى علم الله أوّلاً ثم يقع شيء آخر ثانياً ، وإنما الكون كله ـ بما فيه ومن فيه ومن يوم خلقه الله عز وجل إلى أن يأذن الله بانتهائه ـ ينكشف فى علمه مرة واحدة فلا ماضى ولا حاضر ولا مستقبل بالنسبة لعلم الله سبحانه إنما الماضى والحاضر والمستقبل إنما هو بالنسبة لنا نحن .

والحق سبحانه حين كشف لنبيه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بعض الصور التى ستنكشف للناس بعد أمد بنهايات الأشياء فما ذلك إلا ليحذر المخالفين ويرغب الطائعين فى تلك النتائج التى رآها رأى العين كى يمتثلوا ما أمروا به وينتهوا عما نهوا عنه .

رؤيـــة بـــلال المؤذن

وهذا ما يفسر لنا ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به دخل الجنة فسمع من جانبها وَجْسا[10] فقال : ياجبريـل ما هذا ؟ قال : هذا بلال المؤذن . فقال النبى صلى الله عليه وسلم حين جاء إلى الناس : « قد أفلح بلال رأيت له كذا وكذا » .

وبلال كان ، وما زال ، حياً يرزق على ظهر الدنيا وما أذن إلا فى المدينة بعد الإسراء بسنين .

وما ذاك إلا لأن الحدود الزمانية والمكانية قد تلاشت فى تلك الليلة المباركة بالنسبة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

المرحلة الثالثة : عند بيت المقدس

روى مسلم فى صحيحه والإمام أحمد فى مسنده عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أتى بيت المقدس ربط البُراق بالحلقة التى يربط بها الأنبياء . قال : ثم دخلت بيت المقدس فجمع لى الأنبياء عليهم السلام فقدمنى جبريل ـ عليه السلام ـ حتى أممتهم .

ـ إذاً كانت رحلة الإسراء قد ربطت بين القبلتين ، واجتازت ما بين الحرمين ، فكان لابد أيضاً أن تجمع بين رسل الله جميعاً فى صعيد واحد يقومون لله رب العالمين خاشعين ضارعين مصلين شاهدين بأنهم جميعاً على صراط الله مستقيمون على طريقته . وإذا كان سيدنا محمد ﷺ قد تأخر زمان رسالته فما ذاك إلا ليكون مسك الختام فليبايعه جميعهم وليقتد به كلهم فى صلاة قائمة لله رب العالمين .

كما وقد رآهم رسول الله ﷺ فى أماكن متفرقة من الأرض والسماء رآهم رأى العين ووصفهم لأتباعه كما حدثتنا السنة بذلك .

ثناء الأنبياء على ربهم

جاء فى رواية ابن جرير والبيهقى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ لقى أرواح الأنبياء وهو بالمسجد الأقصى فأثنوا على ربهم فقال

(١٠) مسند الإمام أحمد : ١/ ٢٥٧ . وَجْسا : الوجس الصوت الخفى . نهاية .

إبراهيم ـ عليه السلام : « الحمد لله الذى اتخذنى خليلاً وأعطانى ملكاً عظيماً ، وجعلنى امة قانتاً لله ، يؤتم بى وأنقذنى من النار وجعلها عليّ برداً وسلاماً . ثم إن موسى ـ عليه السلام ـ أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذى كلمنى تكليما ، وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بنى إسرائيل على يدىّ ، وجعل من أمتى قوماً يهدون بالحق وبه يعدلون . ثم إن داود عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذى جعل لى ملكاً عظيماً ، وعلمنى الزابور ، وألان لى الحديد ، وسخر لى الجبال يسبحن والطير ، وأعطانى الحكمة وفصل الخطاب ، ثم إن سليمان ـ عليه السلام ـ أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذى سخر لى الرياح ، وسخر لى الشياطين يعملون لى ماشئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وعلمنى منطق الطير ، وفضلنى على كثير من عباده المؤمنين ، وآتانى ملكاً عظيماً لاينبغى لأحد من بعدى ، وجعل ملكى ملكاً طيباً ليس علي فيه حساب .

ثم إن عيسى ـ عليه السلام ـ أثنى على ربه ـ عز وجل ـ فقال : الحمد لله الذى جعلنى كلمته ، وجعل مثلى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون ، وعلمنى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وجعلنى أخلق من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، ورفعنى وطهرنى وأعاذنى وأمّى من الشيطان الرجيم ؛ فلم يكن للشيطان علينا سبيل قال ثم إن محمداً ﷺ أثنى على ربه عز وجل فقال : «..كلكم أثنى على ربه ، وإنى مُثْنٍ على ربى فقال : الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل علىّ الفرقان فيه تبيان لكل شىء ، جعل أمتى خير أمة أخرجت للناس ، وجعل أمتى أمة وسطا وجعل أمتى هم الأولون وهم الآخرون ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وزرى ، ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحاً خاتماً » فقال إبراهيم عليه السلام : بهذا فضلكم محمد ﷺ » .

أوصـــاف الأنبيـــاء

روى مسلم[11] في صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ذكر رسول الله ﷺ حين أُسرى به فقال : موسى آدَمُ طِوَال كأنه من رجال شَنُوءة وقال : عيسى جَعْدٌ مربوع الخَلْق إلى الحُمْرَة والبياض سبط الرأس وروى عنه ايضاً أنه قال : سِرْنا مع رسول الله ﷺ ـ بين مكة والمدينة ـ فمررنا بواد فقال : أي واد هذا ؟ فقالوا : وادى الأزرق فقال : كأنى أنظر إلى موسى صلى الله عليه وسلم فذكر من لونه وشعره شيئاً لم يحفظه داود (أحد الرواة) واضعاً أصبعيه فى أذنيه له جؤار إلى الله بالتلبية مارا بهذا الوادى .

قال : ثم سرنا حتى أتينا على ثنية فقال : اى ثنية هذه ؟ قالوا : (هَرْشى)[12] أو (لَفْتٌ)[13] . فقال : كأنى أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف ، خطام ناقته ليف خلبة مارا بهذا الوادى ملبياً .

←

(١١) صحيح مسلم : الإيمان ١٥٢/١ ، ١٥٣ . ط/ الحلبى

(١٢) « هرشى » هى ثنية بين مكة والمدينة . وقيل : جبل قرب الجحفة . نهاية .

(١٣) « لِفْت » ثنية لفت ، وهى بين مكة والمدينة . نهاية .

وجاء في رواية أخرى له أيضاً : أنه قال : ورأيت إبراهيم - صلوات الله عليه - فإذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم يعني نفسه . وروى الإمام أحمد ومسلم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بي على موسى قائماً يصلي في قبره » .

وجرى بنا أن نذكر بعض ما قاله العلماء عن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وعبادتهم ، وهم منتقلون إلى الدار الآخرة . قالوا :

إنهم كالشهداء بل هم أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا . وأن يتقربوا إلى الله عز وجل بما استطاعوا ؛ لأنهم - وإن كانوا قد توفوا - فهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل حتى إذا فنيت مدتها وتعقبتها الآخرة التي هي دار الجزاء انقطع العمل . ذكره الإمام النووي في شرح مسلم نقلا عن القاضي عياض جـ ١ ص ٤٠٤ .

وإذا نحن عرفنا أن الإنسان حي وهو في صلب أبيه حي في بطن أمه ، حي بعد ولادته إلى مماته ، حي في قبره يُسأل ويُنَعَّم أو يُعَذب ، حي في الدار الآخرة . وعرفنا أن كل حياة من تلك الحيوات لها قانونها الخاص بها يختلف عن قانون غيرها من حيث الغذاء والعمل وغيرهما من الأحوال حتى حياة الإنسان على ظهر الدنيا ذات نوعين من الحالات ، حالة اليقظة ، وحالة النوم ، حالة اليقظة لها قانونها الخاص في مرائيها ومسامعها وأعمالها وحالة النوم لها قانون آخر يختلف عن قانون اليقظة ، يرى ويسمع ويجرى ويلعب ويطرب دون أن يتحرك من مرقده أو أن تنفتح عينه . وقد يكون النائم بجواره يرى ويسمع مرائي أخرى وأحلاماً تختلف عن مرائي زميله تماماً دون أن يحس كل منهما بالآخر .

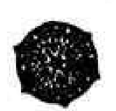
ومعنى هذا أن للروح اتصالاً بالجسد في حالة اليقظة غير ذلك الاتصال في حالة النوم .

وقلنا : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد جعله الله - عز وجل - فوق قانون بشريته - حين أسرى به ، وعرج إلى سماواته العلا ، فلا مانع حينئذ أن يرى من مات وأصبح يتحكم فيه قانون الموت .

ومادمنا قد اقتنعنا بصدق المخبر فليس من حقنا بعد ذلك أن نناقش الخبر . إنَّ عرض الخبر على عقولنا لتقبله أو ترفضه دليل على نوع من الشك في المخبر ذاته .

وقد جاءنا الخبر الصادق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في مسراه كيت وكيت فلا مجال لنا بعد ذلك في المناقشة .

عبد الحميد محمد على ندا



المسجد الجامع

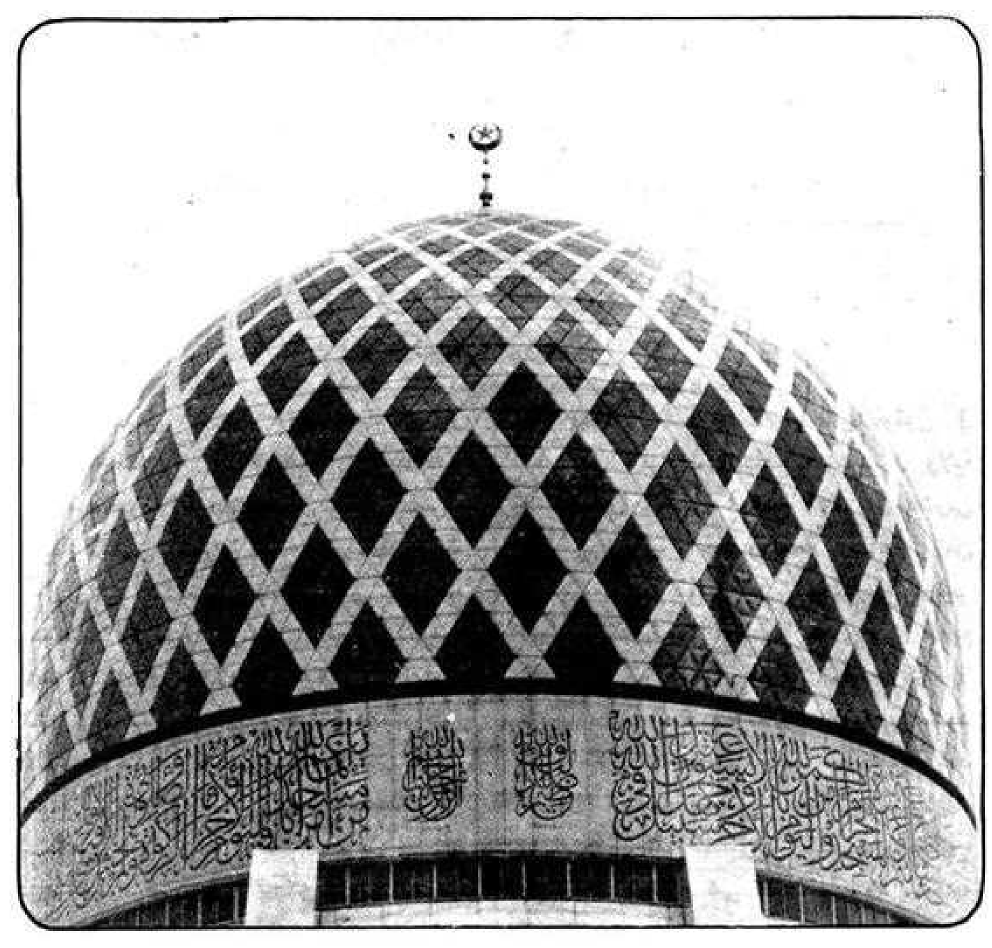
في ماليزيا

أ.د. رءوف شلبي
وكيل الأزهر

من أحسن الدول الإسلامية - غير العربية - تطبيقاً للسلوكيات الإسلامية (دولة ماليزيا) إحدى دول جنوب شرق آسيا : تتكون ماليزيا من مجموعة ولايات ، كل ولاية يحكمها سلطان هو صاحب السلطة الدينية ورئيس الولاية ومن مجموع هذه الولايات يتكون الاتحاد الماليزي في نظام دستوري حزبي ديمقراطي: الملك ينتخب من مجموع السلاطين لفترة معينة ويكون له نائب أيضاً من السلاطين ، ويتجدد الانتخاب ويتولى ملك جديد ملك دستورى والحكومة مع الحزب الذي ينجح في الانتخاب، وهو انتخاب نظيف، ولا ولاية للحكومة على الدين وممارسات العمل الإسلامي فهذه يحكمها قانون الولاية التي يراسها السلطان .

وقد امتازت الحركة الإسلامية في ماليزيا بالهدوء دائماً إلا في أحيان يهب عليها ريح من رياح الغلو تأتيها من الخارج ، لكن سرعان ما يعود الأمر إلى الطبيعة الملاوية التي تحسن تصوير السلوك الإسلامي تصويراً معبراً ودقيقاً ، وقد لمس هذه الطبيعة مجموعة من وفود بلاد العرب وهم يشاركون في الاحتفال بالمسجد الجامع الجديد في ولاية (سلانجور) حيث اجتمع أكثر من عشرين ألفاً في رواق واحد وساحة وساعة وزمن واحد . ومع ذلك فإن الخشوع الرتيب الهادىء كان مظلة واسعة على رؤوس القوم كأنما الأنفاس قد حبست فلا تسمع ركزاً ولا همساً ، وقد استمرت ساعات افتتاح المسجد زهاء ثلاث ساعات حسب البرنامج المعد لدخول الناس وحضور سلاطين الولايات ورياسة الدولة والضيوف الكبار من الخارج والروعة الأخاذة هي تلك الصورة المؤدبة للصحفيين والمصورين الذين لم يتجاوزوا الحد الذي ضرب لهم ، والحركة الرتيبة المتأنية التي فرضت عليهم ، ولقد كان افتتاح المسجد الجامع في ولاية سلانجور صورة حية لملامح أسلوب الحركة الإسلامية في ولايات الملايو ، وآية بينة في معنى إسلام الوجه لله ، ومعنى التعبد الصادق الذى تظهر فيه سماحة الإسلام ونبله وعظمته في إيجاد مجتمع هادىء ودود منظم ؛ إذ أن السلوكيات

←



الإسلامية في ماليزيا تخضع للمذهب الشافعى الذي لا يجيز تعدد الجمعة إلا عند الضرورة القصوى ، وقد عالج الفكر الماليزي هذه الضرورة بأسلوب عملى فنشر المساجد للصلوات الخمس وصلاة الجماعة في كل حى ووحد صلاة الجمعة في المسجد الجامع الذي يسع آلاف الناس حسب مستوى الكثافة أو مئاتهم إن قَلَّتِ الكثافة ، فأنت ترى بين مجموعات القرى الصغيرة مسجداً جامعاً يحملهم جميعاً يوم الجمعة ، بينما ترى فى كل قرية مسجداً أو مسجدين صغيرين للصلوات الخمس أو كما يعتبرون لصلاة الجماعة .

والأسرة الماليزية نشيطة في أداء الصلوات والعبادات ، وهى فى هذا النشاط رتيبة ومنظمة .

فالكل يصلى فى المسجد ، وساعة صلاة المغرب أو العشاء لا تجد أحداً في بيته بل إننى علمت في زيارتى الأخيرة لماليزيا من

١٠ ـ ١٥ مارس سنة ١٩٨٨ م أن توجيهات من الدولة قد صدرت لكى يشارك كل مسئول في الصلوات الخمس بالمساجد : يعني مساجد الجماعة، وقد شاهدت ذلك عندما ألقيت عديداً من الدروس فى مساجد بعيدة جداً عن العاصمة .

والمساجد سواء كانت للجماعة أو للجمعة فهى غاية في النظافة ، وقد وضعت علامات للصف بالقماش الأبيض حتى يعتدل الصف فهم ليسوا فى حاجة إلى قول الإمام: "سووا الصفوف وسدوا الفرج" وقد حولوها إلى عملية نظامية بالفعل كما أن أصواتهم في المساجد خفيفة جداً، ويختمون الصلاة بجمهورهم جميعاً لا يتخلف أحد عن الجماعة كما نجد عندنا في مساجدنا ـ فقد اعتادوا الحضور قبل الأذان، واعتادوا صلاة السنة جميعاً واعتادوا الصلاة جماعة ، وختام الصلاة جماعة وجهراً، فلم تظهر فيهم البدع التى استحدثها المتخلفون والداعون إلى التخلف ولا ظهرت الفتن بارتفاع الأصوات في المساجد بالجدل والمراء والحدة والتضارب؛ لأن الكلام في المساجد كالنار تأكل الحسنات .

كذلك ـ من رتابة نظام المساجد صغيرها وكبيرها للجماعة أو للجمعة ـ أنك تجد (سبورة) عليها برامج التثقيف الديني التى يزاولها العلماء في المسجد وأغلبها يكون تطوعاً فتجد مثلاً :

درساً : للتفسير للشيخ فلان .
ودرساً : للحديث للشيخ فلان
ودرساً : في التجويد .
ودرساً : في العقيدة .
ودرساً : فى الفقه .
ودرساً : في السيرة النبوية ..... إلخ .

وهذه الدروس يحضرها الرجال والنساء وبينهما ستارة من القماش تفصل بينهما ، ولولا هذه الستارة ما تدرك أن في المسجد سيدة؛ ذلك لأن المرأة الملاوية اعتادت الصمت المطلق في المساجد فلا يرى منها قلامة ظفر ولا يسمع لها من ركز .

وأن انصراف الناس من المسجد لا ترى فيه تدافعاً ولا تشعر فيه بازدحام ولا همهمة صوت ، ولا ضغط مناكب ولا تلاحق بالأقدام بل إنك لتشعر بانسياب هادىء كأنما صفحة ماء تسيل وتتابع في هدوء وتناغم مما يصور تماماً الخلق الإسلامي والمودة الإسلامية والإخاء الإسلامي والنظام الرتيب الذي يجب أن ينبثق من عقلية مسلمة ..

على ذمة المسجد الجامع للجمعة أقام السلطان صلاح الدين بن السلطان عبد العزيز شاه سلطان ولاية سلانجور مسجده الجامع في العاصمة الجديدة التى بناها لتكون عاصمة لولايته ، وقد أقيم المسجد على رقعة ٤٠ فداناً ومساحة المسجد تسع ٢٧ الف مصلٍّ وبالمسجد مجموعة من وسائل العمل الإسلامي ففيه :

* معهد لإعداد الدعاة وتدريبهم .
* ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم .
* وقاعة كبرى للمحاضرات وإحياء مناسك الإسلام مثل الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ، وليلة الهجرة ، والإسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان ، وليلة القدر ...
* وقاعة لعقد القران .
* ودار للضيافة .
* وصالون لاستقبال السلطان وضيوفه .

المسجد الجامع فى ماليـزيا

* ومكتبـة عامـــــة .

* ومـرافق أخرى مثـل الكافتـريا .. والمخازن ....

وقد أكد السلطان صلاح الدين في خطاب افتتاح المسجد يوم الجمعة ١٩٨٨/٣/١١ م أن المسجد هو أول بيت للثقافة والتعليم والرعاية الاجتماعية وهو مجمع المودة والاخوة بين المسلمين ومنه يجب أن تنطلق الدعوة الإسلامية بالحكمة والموعظة الحسنة إلى الآفاق ليحيا الناس على نور من الحقيقة ورضوان من الله .

وقال السلطان : إن التقدم المادى المعاصر لن يسعد البشرية بهذا الكلكل الرهيب وإنما الذى يسعد البشرية إذا كان مع هذا التقدم ما يحمى النفس من الضياع والتردى ، وذلك هو الإيمان بالله والسير على منهج الشريعة فذاك هو الملاذ من التردى وهو العصمة من الضياع .

وقد ذكر السلطان فى خطابه : أن المسجد الجامع هذا تكلف ١٦٠ مليون دولار ما ليزى بما يساوى النصف بالدولار الأمريكى ، وقد شهده ٣٠٠ صحفى من الخارج وعشرون ألف مصلٍّ من الداخل والخارج ، وقد حضر هذا الاحتفال مجموعة من كبار ائمة مساجد العالم الإسلامى فى مقدمتهم :

ــ إمام المسجد الحرام بمكة المكرمة .

ــ وإمام مسجد الجامع الأزهر بالقاهرة .

ــ وإمام مسجد السلطان أحمد الثانى باستانبول .

ــ وإمام المسجد الجامع بأنقرة عاصمة تركيا .

ــ وإمام المسجد الإبراهيمى بفلسطين .

ومجموعة من علماء الدعوة والإفتاء كان فيهم الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى جمهورية مصر العربية .

وقد أقام السلطان حفل عشاء تكريماً للوفود مساء السبت بعد صلاة الجمعة ١٩٨٨/٣/١١م .

كما أقامت السفارات العربية والإسلامية حفلات ابتهاج للضيوف .

وقد شاهد العرب الضيوف ملامح العظمة والرتابة فى سير الدعوة الإسلامية بماليزيا ، وسوف أفرد لها حديثا خاصا إن شاء الله .

وغاية القصد أن الأمة الإسلامية فى ماليزيا صورة حية للسلوك الإسلامي الفاضل بفضل نظام المسجد الجامع ومسجد الجماعة .

فهل آن لنا فى مصر ونحن بلد الشافعى وبلد الأزهر أن نتعلم كيف نوقر الإسلام ونظهره بالمظهر اللائق به حيث لا ترفع أصوات فى مسجد، ولا تنكر الجمعة فى غرف تحت العمارات وتترك المساجد الكبيرة فارغة .

إن مصر بلد ألاف المساجد فكيف لا تكون هى النبراس والقدوة للسلوك الأمثل فى احترام المناسك، ونظام صلاة الجمعة، وصلاة الجماعة .

إن ذلك يحتاج إلى جهد كبير من رجال الدعوة والذين ابتلاهم الله بالتصدى للعمل الإسلامى .

فيوم تبلى السرائر يكون الحساب عسيراً ولا تنفع قوة، ولا يجد الإنسان يومها لنفس من ناصر . هذا وبالله التوفيق ،،

(ا . د . / رءوف شلبى)

وكيل الأزهـر

لقمان والآثار فيه

للدكتور/ محمود محمد رسلان (*)

أفضنا ـ بمقالنا السابق ـ في الحكمة ، وكيف رآها الأئمة والمقدمون من الناس ، واجتمعت آراؤهم فيها على أنها كل ما يمنع الإنسان من السفه ، وهي ـ على كل رأي ـ خير من الدنيا وما فيها ، فقد قال تعالى : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾

وفي الكتاب العزيز :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ واشتهر بـ « لقمان الحكيم » .

فمن لقمان ؟

وما منهجه الذي مارسه فاستحق به هذه المنزلة وأكرم بهذا اللقب ؟

قال سفيان الثورى ، عن الأشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقيل : كان من النوبة .

وعن سعيد بن المسيب قال : كان لقمان من سودان مصر .

ولما جاء رجل أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله ، فقال له سعيد بن المسيب : لا تحزن من أجل أنك أسود فإنه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان : بلال ، ومهجع مولى عمر ابن الخطاب ، ولقمان الحكيم ، كان أسود نوبياً ذا مشافر(١) .

وروى ابن جرير بسنده عن خالد الربعي ، قال : كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً ، فقال له مولاه :

ـ اذبح لنا هذه الشاة فذبحها ، فقال :

(*) الكاتب عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين جامعة الأزهر .

(١) المشفر : شفة البعير الغليظة ، تستعار للإنسان الغليظ الشفة .

لقمان والإشارفيه

أخرج أطيب مضغتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب ثم مكث ما شاء الله ، ثم قال : اذبح لنا هذه الشاة فذبحها ، فقال : أخرج أخبث مضغتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب ، فقال له مولاه : أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فأخرجتهما ، وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما . فقال لقمان : إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا ، ولا أخبث منهما إذا خبثا[2] .

وقال ابن جرير أيضاً : حدثنا ابن حميد ، ثنا الحكم ، ثنا عمرو بن قيس قال : كان لقمان عبداً أسود غليظ الشفتين مصفح[3] القدمين فأتاه رجل وهو في مجلس الناس يحدثهم ، فقال له ، الست الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا ؟ قال : بلى ، قال فما بلغ بك ما أرى ؟

قال : صدق الحديث ، والصمت عما لا يعنيني .

وأخرج ابن أبى حاتم بسنده عن جابر قال : إن الله رفع لقمان الحكيم بحكمته . رآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال له : ألست عبد بنى فلان الذي كنت ترعى بالأمس ؟

قال : بلى ، قال : فما بلغ بك ما أرى !

قال : قدر الله ، وأداء الأمانة ، وصدق الحديث ، وتركى مالا يعنيني[4] .

وقال عبد الله بن وهب أخبرنى عبد الله بن عياش القتبانى عن عمر مولى غفرة ، قال : وقف رجل على لقمان الحكيم فقال : أنت لقمان ؟ أنت عبد بنى الحسحاس ؟ قال نعم ، قال : راعى الغنم ؟ قال : نعم . قال : أنت الأسود ؟

قال : أما سوادى فظاهر ، فما الذي يعجبك من أمرى ؟ .

قال :
وَطْءُ الناس بساطك ، وغشيهم بابك ، ورضاهم بقولك ، قال : يا ابن أخى إن صغوت إلى ما أقول لك كنت كذلك ، قال لقمان : غضى بصرى ، وكفى لسانى ، وعفة طعمتى ، وحفظى فرجى ، وقولى بصدق ، ووفائى بعهدى ، وتكرمتى ضيفى ، وحفظى جارى ، وتركى مالا يعنيني ، فذاك الذي صيرنى إلى ما ترى .[5]

ويطوق القرآن هامة لقمان بالتكريم فيقول الله سبحانه عنه :
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ « لقمان ـ ١٢ »

قال قتادة : أى الفقه فى الإسلام ، ولم يكن نبياً يوحى إليه ، وقيل : الفهم ، والعلم ،

---

(٢) راجع تفسير ابن كثير ٣ / ٤٣٣ ط الحلبي .
(٣) منبسط القدمين ليس في باطنهما ارتفاع .
(٤) راجع تفسير ابن كثير ٣ / ٤٣٣ .
(٥) المصدر السابق .

والتعبير « أن اشكر لله » أى أمرناه أن يشكر الله عز وجل على ما آتاه الله ومنحه ووهبه من الفضل الذي خصصه به عمن سواه من أبناء جنسه ، وأهل زمانه ..

وتظهر حكمة لقمان فى وصيته لولده ، وفلذة كبده مما يعد نصيحة للآباء تجاه أولادهم ..

ولقمان هنا : يوصى ولده الذى هو اشفق الناس عليه وأحبهم إليه فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ، وهكذا واجب الآباء نحو ابنائهم أن يمنحوهم افضل ما يعرفون ، ولهذا كانت أول وصية لقمان لابنه :
﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴾ أوصاه بأن يعبد الله ولا يشرك به شيئاً ، ثم قال له محذراً : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ اى هو أعظم الظلم .. ثم يسترسل لقمان الحكيم رضى الله عنه فى بث ولده وصاياه النافعة ، التى حكاها القرآن الكريم عنه ليمتثلها الناس ويقتدوا بها ويعلموها ذويهم ، فقال :
﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ﴾ أى إن المظلمة ، أو الخطيئة ، لو كانت مثقال حبة خردل .. ﴿ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾ اى يحضرها الله يوم القيامة ، حين يضع الموازين القسط ، ويجازى عليها إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، كما قال سبحانه :
﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ « الأنبياء ـ ٤٧ »

وقال سبحانه : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾ « الزلزلة ٧ ، ٨ »

ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صماء أو غائبة ذاهبة فى أرجاء السماوات والأرض فإن الله يأتى بها ، لأنه لا تخفى عليه خافية ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ، ولا فى الأرض ، ومن ثم قال سبحانه :
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ اى لطيف العلم فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ، ولطفت وتضاءلت ﴿ خَبِيرٌ ﴾ بدبيب النمل فى الليل البهيم ..

والظاهر والله أعلم ، أن المراد : أن هذه الحبة في حقارتها ، لو كانت داخل صخرة فإن الله سيظهرها بلطيف علمه[6] .

أخرج الإمام احمد بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لو أن احدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ، ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا ما كان »[7] .

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ اى بحدودها وفروضها ، وأوقاتها .

←

---

(٦) تفسير ابن كثير جـ ٣ صـ ٤٤٤ .
(٧) مسند الإمام احمد : ٣ / ٢٨ ، وراجع تفسير ابن كثير جـ ٦ صـ ٣٤١ ط الشعب .

لقمان والأسرة

﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ اى بحسب طاقتك وجهدك .

﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾ لما كان الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر لابد أن يناله من الناس أذى أمره بالصبر ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ اى إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور .

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ اى لا تتكبر فتحتقر عباد الله ، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك .

وقال مالك عن زيد بن أسلم : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ اى لا تتكلم وأنت معرض ..
قال ابن جرير : أصل الصعر : داء يصيب الإبل في أعناقها ، أو رءوسها حتى تفلت أعناقها عن رءوسها فشبه به الرجل المتكبر .

وقوله : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ اى خيلاء متكبرا ، عنيداً ، اى لا تفعل ذلك حتى لا يبغضك الله ، ومن ثم قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ اى مختال معجب في نفسه ، فخور على غيره ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾ « الإسراء ٣٧ » .

ولما ذكر الكبر عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شدد فيه بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ فقال رجل من القوم : والله يا رسول الله إنى لأغسل ثيابي فيعجبني بياضها ، ويعجبني شراك نعلى ، وعلاقة سوطى ، فقال : « ليس ذلك الكبر ، إنما الكبر أن تسفه الحق ، وتغمط الناس[8] » . فمن رفض الحق واستعلى عليه واحتقر الناس فهو المتكبر ، وما أحقره !!

﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ اى امش مقتصدا مشياً ليس بالبطىء المتثبط ، ولا بالسريع المفرط ، بل عدلا وسطا بين بين .

وقوله : ﴿ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ اى لا تبالغ في الكلام ، ولا ترفع صوتك ، فيما لا فائدة فيه ، ولهذا قال :

﴿ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ ..

اى إن أقبح الأصوات لصوت الحمير ، فهو مشبه بالحمير فى علوه ورفعه ، ومثل هذا بغيض عند الله تعالى[9] ..

أخرج النسائى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله ، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان ، فإنها رأت شيطاناً »[10] .

---

(٨) راجع تفسير ابن كثير ٦ / ٣٤٢ ط الشعب .
(٩) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٤٦ الحلبى .
(١٠) أخرجه البخارى ـ بدء الخلق ، ومسلم ـ الذكر .

وبعـــــد

فهذا لقمان صاحب الحكمة الذي خلده القرآن .

روى الإمام أحمد بسنده عن ابن عمر قال : أخبرنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« إن لقمان الحكيم كان يقول إن الله إذا استودع شيئاً حفظه » .

وروى ابن أبى حاتم بسنده عن القاسم بن مخيمرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه : يا بنى إياك والتقنع[11] ، فإنه مخوفة بالليل مذمة بالنهار[12] » .

وروى ابن حاتم أيضاً بسنده عن الثرى ابن يحيى قال :

قال لقمان لابنه : يا بنى إن الحكمة اجلست المساكين مجالس الملوك .

واخرج ابن حاتم أيضاً بسنده عن عون ابن عبد الله قال :

قال لقمان لابنه : يا بنى إذا أتيت نادى قوم فارمهم بسهم الإسلام يعنى السلام ، ثم اجلس في ناحيتهم ، فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا ، فإن أفاضوا في ذكر الله ، فأجل سهمك[13] معهم ، وإن أفاضوا في غير ذلك ، فتحول عنهم إلى غيرهم .[14]

وأخرج الطبرانى بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« اتخذوا السودان ، فإن ثلاثة منهم من سادات أهل الجنـة : لقمان الحكيم ، والنجاشى ، وبلال المؤذن » . قال الطبرانى : أراد الحبش . أى أهل الحبشة .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[15] واجمل بمن يسمع الحكمة ، فيحرص عليها ويعمل بها .

د . محمود محمد رسلان

---

(١١) التقنع : تكلف القناعة ، وتقنع : تغشى بثوب ، وتقنع : لبس القناع ، وتقنع فى السلاح : دخل .

(١٢) أخرجه السيوطى فى الدر المنثور ، والحاكم ٥ / ١٦٢ .

(١٣) أجال القوم الرأى : تداولوا فيه يريد : فشاركهم فى ذكر الله سبحانه فإنه خير كله .

(١٤) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٤٧ ط الشعب .

(١٥) البقرة ـ ٢٦٩ .

مفهومية الإسلام لدى الغرب

٣

وعندما يريد أن يتعرف الكاتب حقيقة على العالم الإسلامى ، فإنه يتعرف عليه من خلال المخططات التاريخية والاجتماعية والثقافية والسياسية ويكفينا فى ذلك بعض الأمثلة المختارة .

تم إجراء تحقيق عن الصحافة الصادرة باللغة الانجليزية تحت إشراف وزارة الإعلام فى دولة قطر فظهرت صورة العربى على النحو التالى :

الموضوع الأول - العربى بدائى جاهل :

إنه متشبع للرقية ، بدائى وجاهل ، لص يخطف الفتيات ، يعيش تحت الخيام ، يربى الجمال وذو غريزة جنسية دموية .

الموضوع الثانى - الرسول - عليه الصلاة والسلام - كاتب الف ليلة وليلة .

والتقرير نفسه يشير أيضا إلى أن مجموعة من مجموعات الموظفين الأمريكيين التى قصدت العربية السعودية للعمل فى الشركة النفطية « أرامكو » أجابت بعد سؤالها عما تعرفه عن العرب المسلمين والنبى محمد - ﷺ بأن الإسلام هو عبارة عن لعبة حظ شبيهة بلعبة « البريدج » ، وبأن الرسول - ﷺ - هو كاتب رواية الف ليلة وليلة ، وأيضا أنه كانت هنالك علاقة ما بين الرسول وجبل من الجبال .

الموضوع الثالث - القرآن والمرأة :

منذ عدة شهور صدرت مجلة أسبوعية فى مدينة جنيف وتم توزيعها مجانا فى البيوت وفيها مقال عن المرأة العربية . وكانت جميع محتوياتها خاطئة : الوقائع والتعليقات والتلميحات إلخ .. ومع ذلك انتهى المقال بهذه الجملة الباطلة التى لا تدع الشك يدخل إلى ذهن القارىء : « ما العمل ، والقرآن - فى الواقع - يعلم المسلمين : اضرب زوجتك كل صباح » .

الموضوع الرابع - العربى والجنس :

وفى عدد حديث ، نشرت هذه المجلة الأسبوعية تحقيقا عن « الزواج المختلط بين السويسريين والعرب » . وتعد مدينة جنيف سنويا ، وهى مدينة دولية وجامعة لأجناس مختلفة ومستمرة فى الحياة بشكل هادىء ، لقد تم حوالى ٢٥٠ زواجا مختلطا بين السويسريين والعرب ، ويعتبر هذا الرقم

للأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الفيومي *

زهيدا لا يقدم ولا يؤخر . وقد جرى تحقيق ملىء بالتضمينات العرقية والافترائية ويتعلق بهذا الأمر النادر . وقد ظهر فى الصفحة الأولى وتحت عنوان كبير . علما بأن شكله ومحتواه يثيران جميع النزوات العرقية لأنه يمس جميع أشكال الكبت الشخصى والمهنى والجنسى لدى القارىء . فعلى أى شىء نطلع فى الواقع ؟

أولا : إن السويسريات المتزوجات من العرب هن فى أكثر الأحيان « نساء مطلقات » يتزوجن مجدداً من « العرب الشبان المفعمين بالرجولة الفائضة التى تختلف عن قصور وقدرة السويسريين » .

و « العرب » المؤهلون للزواج يفعلون ذلك من أجل الأوراق (الوثائق) والعمل « والغاية المقصودة » من هذه الارتباطات « لا تفوت أى إنسان » : .. (تسعى) السويسرية إلى التمتع بشهوة جنسية فائضة والاستفادة من رجولة معروفة بقوتها ، وهذا ما يفسره الصحفى فى فقرة عنوانها يتسم بالإثارة والغلاظة : « على عرق الشهوة الجنسية » .

وفيما يتعلق بالزواج بين النساء العربيات والسويسريين نقرأ أن الأزواج يستحقون الرثاء أو أنهن من صغار البنات . وبعضهن (النساء العربيات) يتزوجن العجزة والسكارى ..

وتجدر الإشارة إلى أن البنات العربيات اللاتى يتزوجن فى جنيف من سويسريين ينتمين إلى وسط (الدعارة) ويلجأن إلى هذه الوسيلة للإقامة فى سويسرا . ويحاول الكاتب ، فى نهاية المقال ، تجاوز مستوى مقاصد المضاجع لاعتبارات اجتماعية واقتصادية مزعومة .

وهكذا يعلم القارىء أن : طلب التماثل واندماج الزوج العربى فى الحياة السويسرية بجميع قواعدها لا يمكن تحقيقه طالما أن هذا الأخير لا يزال متسما بصورة ثابتة بثقافته الخاصة . وفيما عدا ذلك يضطرد فى حديثه بشكل قاطع بأن كل ما يتعلق بالزواج المختلط .. يبدو أن مسئولية حكام البلدان العربية تبقى ثابتة لأنهم لم يعمدوا إلى إجراء الاصلاحات الهيكلية اللازمة لإشغال مواطنيهم .

وخلاصة القول : بما أن هؤلاء الأفراد لا يتمكنون من التماثل والاندماج فما عليهم إلا أن يرحلوا ويعودوا إلى أوطانهم ـ عوضا عن تزوج نسائنا ـ وما على بلدهم إلا أن يؤمن لهم العمل .

←

* الكاتب : أستاذ بكلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر .

مفهومية الإسلام لدى الغرب

إن هذه المجلة الأسبوعية الموزعة مجانا لا تدعى أنها نشرة علمية ، إذ أن ضعف اللغة والأسلوب الملاحظ فى مقالاتها لأكبر دليل على ذلك . ومع أن نشرها وشهرتها لا تتعديان حدود المدينة ، فإن تأثيرها على الرأى العام يبقى هائلا ، وبشكل خاص بين الطبقات العمالية ، والطبقة البورجوازية الصغيرة التى تقع أكثر من غيرها فى شرك كراهية الأجانب والعرقية ، كما أثبت التاريخ ذلك .

الموضوع الخامس ـ الإرهاب الإسلامى :

إن عنوان المقال الأول ، وهو مكتوب بحروف عريضة « الإرهاب الإسلامى » يجلب الانتباه بالتأكيد . هل ستقع فرنسا تحت تهديد المسلمين ؟ ويمكن التفكير والاعتقاد بذلك . ويجرى الحديث عن « منظمة الكفاح المسلح العربية » . إن أية مجموعة متعصبة ، مهما كان منشؤها وصفتها « عربية » « إسلامية » « مسيحية » « فرنسية » الخ .. لا تمثل إلا نفسها . ومع هذا يذهب الكاتب بعيداً جداً ، بما أنه يخلط بين « العربى » و « المسلم » ولأسباب تخص موضوعه ، ليشمل الإسلام بنوع من المسئولية الجماعية !

وهناك أمر آخر اكثر خطراً . إذ أن المقال يحتوى على وصف للأعمال المنسوبة إلى « كارلوس » وهو مواطن فينزويلى . فأين الإسلام إذن ؟ ويقال : إن كارلوس مشترك مع لبنانى وفلسطينى ، ميشيل مغربل وجورج حبش ، وهما مسيحيان ، كما يدل اسماهما عليهما .

فأين الإسلام إذن ؟

وينهى الكاتب مقاله بنوع من التفخيم عوضا عن الخاتمة وبفقرة تدل على البساطة المزعجة : « وفيما يتعلق بالصلة المفتعلة بين « أبو نضال » ، و« كارلوس » والمتعصبين الشيعيين القريبين من الإيرانيين و « الجهاد الإسلامى » فإن الأجهزة المختصة تقول : إنها لم تستكمل بعد العناصر اللازمة لإقامة الدليل على ذلك . وذلك لا يمنع أحداً من أن يشم رائحة تلاقى « المصالح الإسلامية » ..

اليس هذا بمثابة النواة المبدورة فى النداء أو المطالبة بالبغيضة !؟

وفى اليوم التالى وتحت عنوان « إرهاب الدول » تنشر الصحيفة نفسها : إن المؤتمر الإسلامى قد قرر إبادة الشعوب المسيحية فى الشرق الأوسط إذا لم تعتنق الإسلام . ولكى يتسم الاتهام بقابلية التصديق « يذكر » الكاتب مادتين من مواد قرار اتخذ بهذا المعنى من قبل البلدان الإسلامية .

وهذا أمر خطير جداً :

إن منظمة المؤتمر الإسلامى ، فى الواقع هى هيئة حكومية (تمثل الحكومات) ، وهى كغيرها من المنظمات الموجودة فى العالم . وهى تعتمد على ميثاق تنص مقدمته حرفيا على ما يلى :

تنسيق جدول السياسات بين دول العالم الإسلامى .

احترام ميثاق الأمم المتحدة وتدعيم الروابط مع البلدان غير الإسلامية .

وهكذا يعتبر هذا النوع من الانتحال خطيرا جداً إذ أنه يعطى لمنظمة حكومية ، لأية منظمة ومهما كانت ، مقاصد تتعارض كليا مع دستورها الرسمى . وهنا نجد أنفسنا أمام أحد الأمرين :

إما أننا نقوض قواعد القانون الدولى نفسه أو أن هذه الهيئة تخص منظمة المؤتمر الإسلامى وحدها دون غيرها .

وهكذا نقع فى العرقية المعادية للإسلام والمسلمين . وفى كلتا الحالتين تبقى المحاولة مرفوضة وغير مقبولة وأخيرا يقال لنا . وبصورة جازمة ولكن بدون أى دليل ملموس ، إنه منذ عام ١٩٧٢ « لايوجد أي اغتيال فى العالم الغربى إلا ونجد بعده أثرا للفلسطينيين » .

ما هذا الإدعاء ؟!

الموضوع السادس - الشريعة وإرهاب المقاصل :

عمدت إحدى الدول الإسلامية حديثا إلى إدراج قطع يد السارق فى ترسانتها الجزائية من جديد ، استنادا إلى شروط معينة ، وهيأت آلة خاصة لهذا الغرض . وقد تمت مراقبة تشغيلها من قبل أكاديمية الطب الوطنية بعد أخذ موافقتها على ذلك . فما الأحاديث التى ترددت ، وما عدد نقاط التعجب التى صاحبت إعلان هذا النبأ ؟ ولكن لم يأت أحد على ذكر « المقصلة » ولا أنها اختراع أحد الأطباء ، وكذلك أيضا لم يأت ذكر أحد البلدان المتطورة جدا فيما يتعلق بتنفيذ الإعدام عن طريق حقن الإبر (وهذا مثل عن وضع حالى) وافقت عليه الهيئة الطبية واعتبرته أقل ألما من الكرسى الكهربائى أو الاختناق بالغاز . وهنا أيضا ، نجد الأمر لا يتعلق بالحكم على الوقائع نفسها ، إذ أن مسائل الإعدام أو بتر العضو تعود إلى موضوع تجدر مناقشته بشكل آخر ، وليس بالتنديد والتشهير الذى تقبل عليه الصحافة الغربية بصورة مقصودة أو غير مقصودة .

وأخيرا يجدر بنا أن نلاحظ أنه قد تم اختيار المثل بصورة متعمدة . والذين يعنون بها يتمتعون بدون شك بموهبة التعميم وفن المزج والخلط بين الإسلام وبين السخافات التى يبحثون عنها فى زوايا العالم الإسلامى والعربى .

ولما تقدمت دعوات الحوار الحضارى مرتكزة على قواعد البحث العلمى التى تلتزم الموضوعية والبحث الحر النزيه عن الأغراض والأهواء التى التاثت بها أوروبا حتى عصرها الوسيط أخذت صورة الإسلام التاريخية تتطور نحو الأحسن والأفضل وتقترب كثيرا من حقيقته التاريخية وذلك بفضل علماء مثل : (هربيلو) وتلميذه (جالاند) الأستاذ بالكلية الملكية (ويوكوك) أستاذ التاريخ العربى بجامعة اكسفورد و (ريلاند) أستاذ اللغات الشرقية والآثار الاكليريكية القديمة و (أوكلى) أستاذ اللغة العربية بجامعة كامبريدج .

اطلع هؤلاء الأساتذة على النصوص الأصلية فنظروا إلى العربية نظرة جديدة يقول بول هازار : لفت أولئك العلماء الأنظار إلى أن جمهورا غفيرا لم يكن ليتبع محمدا لو كان

مفهومية الإسلام لدى الغرب

محمد رجلا دعيا مصروعا ، وأن من المحال أن دينا غير مهذب كما يدعى البعض يستطيع أن يعيش وأن يتقدم . لكن لو سأل الناس العرب عن تاريخهم بدلا من أن يستمعوا إلى الروايات لعرفوا أن محمداً واتباعه لا يقلون عن أبطال الشعوب الأخرى فى مزايا القلب والفكر .

وبعد فما أكثر السخافات التى الصقت به . هكذا شأن الناس على الدوام إذا القوا نظرة سطحية على الأشياء ، لقد ناقضوا اقوالا لم يلفظها المسلمون واخطاء لم يرتكبها الإسلام - ثم يقول بول هازار :

والحقيقة أن الإسلام دين منطقى معقول ، دين نبيل جميل ، واكثر من ذلك فإن الحضارة الإسلامية جديرة بالإعجاب .

فبعدما طغت الجاهلية على العالم ، يتساءل بول هازار من الذى كان حفيظا على حقوق التفكير والثقافة ؟

يجيب : هم العرب .

اتاحت كتابات بعض علماء الغرب المنصفين عن الإسلام الدعوة إلى إعادة النظر فيه من جديد وليس ذلك وحسب بل بدأ بعض المفكرين يطلب إعادة نظر شاملة فى تاريخ الفكر الإنسانى لتصحيح مجارى الحضارة الغربية من جانب وكشف لجوانب جديدة تنقصها .. ولوضع أساس يربط بين ثقافة الغرب وبين القيم الروحية التى لا تزال تمتاز بصفات خالدة مهما أثرت عليها العوامل التى تحاول طمسها .. فهدف الغرب الآن الاهتمام بتكوين قيم الحياة الروحية أو الدينية لإنقاذ الحضارة الغربية أو إنقاذ شخصيته من براثن عوامل الهدم التكنولوجى .

من هنا بدأ الغرب تساؤله :

ماذا نفعل إزاء المخاطر التى تهدد الإنسانية من خلال إنجازات الإنسان نفسه ؟ هل من الحضارة ؟

مثلاً :

جرائم القتل تلك التى ترتكب باسم التقدم .

والموارد الطبيعية التى تهدر .

والطبيعة المحيطة التى تهدم دون وعى أو مراجعة ..

وعناصر الحياة الإنسانية التى تصاب بالسموم .

ثم ذلك التسليح النووى المطرد الذى تخطى حدود المعقول .

ثم الفقر والجوع والشدائد .

هل هذا هو النمو الذى ينجزه مجتمع الإنتاج الحديث ؟

مظاهر العبث الحضارى بدأت تحيط بالعالم الغربى وبدأ يبرز معها خطر « فقدان المستقبل » ومستقبل الإنسانية - مما جعل الفكر الإنسانى يدور فى مقولات : القلق والغربة ، والتوتر والآلام والتشاؤم . فقلت مطامحه عن البحث فى مقولات القيم الخالدة .

كذلك حفل الفكر بقضايا الاحتجاج ضد نفسه وضد وجوده حتى بات يهزه الشعور بالعجز والخوف المتلعثم الذى قد لا يجد

الكلمات الآمنة المطمئنة فيتدهور إلى خوف أصم صامت مما أوقع نفسه فى حيرة متسائلة هل هو عجز الكلمة أو ضعف الفكر ؟

ذلك اعتراف من الإنسان الغربى بأن رصيده من الأمل قد ضاع واحتواه الشك والاكتئاب والذهول [1]؟

فهل من سبيل إلى الخروج من ذلك المأزق ؟

بدأ الغربى يبحث عن مستقبل حقيقى يقتضيه العثور مجدداً على جميع أبعاد الإنسان التى تمت فى الحضارات وفى الثقافات اللاغربية فالغرب بالنسبة للحضارة عارض طارىء ولا سبيل يوصله إلى تأمين المستقبل إلا « بالحوار بين الحضارات » ليصل إلى أبعاد جديدة تنأى عن النزاعات الفردية وذلك هو مشروع الأمل الجديد لمستقبل جديد ، من خلال هذه الرؤية الجديدة ذات المنظور الحوارى .

بدأ روجيه جارودى[2] ، وموريس بوكاى ، وفانسان مونتاى ، وصفوة رائدة من المفكرين الغربيين والمستشرقين يتجهون نحو الإسلام على أنه هو المستقبل ومن حيثيات حكمهم :
يقول رجاء جارودى[3] : فهذه المباينة تقيم تعارض المسيحى مع الكافر ، ولا سيما مع المسلم . على أن علاقات المسيحية بالإسلام ليست بعلاقات متناظرة . فقد كان الإسلام أقل تعصبا : القرآن يجل « يسوع » بينما يقص (دانتى) فى الكوميديا الإلهية (محمداً) إلى الجحيم (مع أنباء النشيد ١٨ البيت ٣٥) .

وفى مقارناته بين المسجد والكنيسة يقول : لقد سنحت الفرصة بوصفى أستاذا لعلم الجمال فى الجامعة بأن أعين طلابى على فهم الفـن الإسلامى فهو يـرى : أن جميع الفنون تقود فى الإسلام إلى المسجد والمسجد إلى الصلاة والمسجد من حيث بنيته ذاتها ، يستجيب لوظيفته ، إنه لا يشبه الكنيسة المسيحية ولا المعابد الإغريقية ، إنه لا يصلح صندوقا للاحتفاظ برفات قديس ولا ديكورا لحفلة شاعرية وهو يريد أن يكون مجرد مصلى لذكر الله ومن هنا نشأ شكله الأصيل .. إنه لا يشبه فى شىء خلية المعبد الإغريقى ، ولا التصميم الرومانى للكنائس المسيحية صمم على أن يكون الغرض منه أن يتيح لأكبر عدد من المؤمنين أن يقابلوا المحراب نحو مكة ثم يقول فى النهاية : لقد أمكن القول إن كل الفنون فى البلاد الإسلامية تؤدى إلى المسجد والمسجد إلى صلاة .

ولا مندوحة لى من أن أشهد بتجربتى الشخصية ، ذلك أننى انطلاقا من تأمل فنون الإسلام ومساجده إنما شرعت أفهم عظمة

←

---

(١) تثبت إحصائية علمية لفريق من العلماء النفسيين بالولايات المتحدة : أن كل أحد عشر شخصا بينهم واحد على الأقل مصاب بمرض نفسى أو اكتئاب « عن د / أنس مصطفى النجار » . مجلة الأزهر .

(٢) ينبغى أن ينظر إلى جارودى بحذر فهو ـ الآن ـ صاحب « الإبراهيمية الحديثة » .. مجلة الأزهر .

(٣) بل لكل من يصلى فيه ، وليس لأكبر عدد كما يفهمجارودى .

العقيدة الإسلامية بتأكيدها الجذرى على التعالى . إن المستقبل هو الإسلام والإسلام هو قوة الغد العالمية .

والخلاصـــة :

يتضح مما سبق : انه من الصعب بل من المستحيل ان يتم التعرف الصحيح على حقيقة الإسلام ما دامت جميع وسائل الإعلام الغربية التى قدمنا طرفا منها بين ايـديكم تنشر المفـاهيم الخـاطئـة والانطباعات السيئة عن الإسلام والعرب .

لهذا يجب قبل الانطلاق فى اى حوار ثقافى متبادل ان نحاول تصحيح تلك المفاهيم وفق مصادرها العلمية وان نحاول إيجـاد قبول مشتـرك للمفاهيم التى يستعملها كل طرف من الأطراف .

أما إذا لم ننطلق من مفاهيم لها قدرها العلمى المشترك واعتمدنا على انطلاقات غير معتدلة فإن الحوار يصبح بكل تاكيد مغلوطا .

إن التفاهم الحقيقى والحوار المتكامل بين طرفين يتطلب إيجاد مساحة مشتركة من المفاهيم الفكرية المتفق عليها بين المتحاورين فى مجالات الإسلام الواسعة : المذهبية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية .. لذلك يجب التركيز على تلك المبادىء إذا أراد الغرب ان يقيم حوارا مع الإسلام وفق الركائز الأساسية التالية :

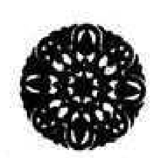
اولا : النظر من جديد إلى حقيقة الإسلام مستمدة من منابعه الأصلية .

ثانيا : الحد من النظرة العـرقية المشوهة . للإسلام والعرب أما قد حان الوقت لكى تنتهى عنصرية الاقوياء ولكى ياخذ الحوار مكانه .

ثالثا : ان تتوقف مكونات الراى العام الغربى ، عن نشر الصور المشـوهة والمرضية عن الإسلام والمسلمين والعرب .

وفى النهاية نقول إن خير وسيلة للحوار هى التفاهم . إن التفاهم المتبادل هو دائما الأداة الثقافية الضرورية لتقدير الشعوب حق قدرها .

محمد إبراهيم الفيومى



الحرب والسلام

في الفكر اليهودي

للأستاذ / محمد عبد العزيز عبد اللطيف (•)

إذا كان الصراع سنة كونية فإنه قد وجدت قوانين تحد من آثاره وتخفف من ويلاته بخاصة عندما تمتد الأيدي إلى السلاح وتتلاحم الأجساد وتسيل الدماء ويتهدد الفناء أحد أطرافه ؛ ومن هذه القوانين « قانون حفظ النوع » الذي تلمس آثاره في عمل جميع الأحياء على بقاء نوعها بالتكاثر ، سواء بالانقسام (في الأحياء الدنيا) أو بالتوالد (في الأحياء العليا) . وايضا في تعاون أفراد النوع الواحد فيما بينها ضد الأنواع الأخرى ، اما إذا نشب الصراع داخل افراد النوع الواحد فإن هذا القانون يقضى بحتمية بقاء النوع مهما كان الصراع ومداه . ووسائله إلى ذلك أن الطرف الذي تصل خسائره إلى حد يهدد بقاءه عليه أن يُقر بالهزيمة حفاظاً على حياته وعندئذ يكون على الطرف المنتصر ان يكتفى بالمغانم المادية ويبقى على حياة المهزوم ومن يخالف هذه القواعد يعتبر عدواً للنوع كله يستحق ان ينبذ او يقضى عليه .

• • •

وقد أثبتت الوقائع صحة هذا القانون الفطرى أو الطبيعي ، ولا يزال هذا القانون يؤكد صحته فيما نراه اليوم من محاولة الدول الكبرى البحث عن صيغة للتعايش السلمي فيما بينها بسبب الرُعب النووى .

وليس هناك من تشريع ديني سماوي يقضي بفناء النوع أبداً ، ومما يؤسف له أن أهل



(•) الكاتب : بمجمع البحوث الإسلامية .

النصرانية هم الأكثر مخالفة لذلك بما يخترعونه من فنون الحرب ويبدعونه من آلاتها ليصولوا به على غيرهم لا حفاظاً على ما معهم وإنما طمعا في توسيع نطاق نفوذهم وسيطرتهم .

وجاء الإسلام ليقرر أن العلاقة بين الناس في دستوره هي السلام حتى يضطروا إلى الحرب إما دفاعاً عن النفس أو الدين أو لاتقاء هجوم متوقع والآيات في هذا الشأن نذكرها بترتيبها المؤيد لما ذكرنا .

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ « سورة البقرة آية ١٩٠ » .

﴿ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾ « الأنفال آية ٧٢ » .

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ « الأنفال آية ٥٨ » .

ومع وجود الحرب في هذه الحالات فإن المسلم مأمور بالاستجابة إلى السلام إن لاحت بارقته ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ « الأنفال آية ٦١ » .

كذلك محظور عليه في قتاله التعرض للمدنيين من الأطفال والشيوخ والنساء والرهبان بمعنى أن القتال مقصور على الجيوش المتحاربة فقط وعلى من يعينها بالفكر والدهاء والسلاح ، كذلك محرم على المسلم التمثيل بالقتلى وإتلاف الأموال وتخريب الديار وخلاصة الوصايا الإسلامية في ذلك يجملها الخليفة أبو بكر رضى الله عنه إذ يأمر جنوده بقوله[1] « لا تخونوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة أو بقرة أو بعيراً إلا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرَّغوا أنفسهم للصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » .

وقد جاءت القوانين الوضعية الممثلة في ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها متقاربة مع نظرة الإسلام إلى الحرب والسلام ففى الفقرة الرابعة من المادة الثانية لميثاق المنظمة الدولية جاء ما يلي :ـ

« يمتنع أعضاء الهيئة جميعاً في علاقاتهم الدولية عن التهديد بالقوة أو استخدامها ضد سلامة الأرض أو الاستقلال السياسي لأية دولة » .

كما نصت قرارات الأمم المتحدة عام ١٩٤٦ ، ١٩٤٨ على تحريم إبادة الجيش وحماية الجماعات الإنسانية من إلحاق أى نوع من أنواع الضرر بها .

وأكدت اتفاقية جنيف عام ١٩٤٩ على ضرورة حماية المدنيين وقت الحرب .

---

(١) راجع في ذلك الطبرى جزء ٢ ، ومارواه الموطأ وصية أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وعلى ضوء ما بيناه من مفهوم الحرب وموقف الأديان والإنسانية منها ننتقل إلى موقف اليهودية واليهود من قضية الحرب والسلام .. وقد ألمنا فى مقدمتنا هذه بما يمكننا من المقارنة لنتبين إلى أى مدى تتفق وأتباعها أو تختلف مع القوانين الشرعية والوضعية والطبيعية الفطرية .

فهم يدعون أنهم الشعب المختار ، اختاره الله تعالى من دون خلقه وخصه بحبه ، وأنهم ـ بوعد الله ـ أصحاب الأرض الطيبة « الحزام الخصيب » وقد أمرهم بإبادة أعدائهم[٢] والوسيلة إلى ذلك القتال .

ولا شك أن تقديس الحرب والقوة ترك انعكاساته على الوجود الإسرائيلي ، فالقوة المسلحة تسبق نظام الدولة نفسه ، بل الدولة نفسها ، فإذا كانت الدولة توجد ـ أولاً ـ ثم تشرع في بناء قواتها المسلحة فالأمر عكس ذلك لدى اليهود ، كذلك تجد المُبَرِّرَة لديهم في مذابحهم ضد الفلسطينيين العزل ـ أبطالاً ، يقول « بن جوريون » فى « يشوع » صاحب مذبحة (أريحا) :

« إنى أعتبر يشوع بطل التوراة ، إنه لم يكن مجرد قائد عسكرى ؛ بل كان المرشد » وكانت هذه إشارة لتغذية الوجدان الإسرائيلى بما يدعون على الله سبحانه وأنبيائه الصفوة ـ على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، وَتَرَكَ ذلك الاتجاه آثاره على الحياة السياسية .

حيث نجد الأحزاب السياسية في بدايتها منظمات عسكرية إرهابية لكل منها زعيم تأتمر بأمره ويوجهها للقيام بنشاط إرهابي معين وكان (مناحم بيجين) رئيس وزراء إسرائيل السابق زعيماً لإحداها ، كما أن هذه الأحزاب تلتزم بالمبدأ القائل بأن جميع اليهود لابد أن يعودوا إلى أرض الميعاد (فلسطين) .

وإذا كانت القوة المسلحة هى أداة إنشاء الدولة عام ١٩٤٨ ، فهى أيضاً أداة توسعها ودعم أركانها بعد ذلك وهى صورة المجتمع اليهودي المنشود ، كل أفراده جنود في الجيش وإن قسموا إلى قوات نظامية وقوات احتياط ـ باقى أفراد الشعب ـ كما وضعت استراتيجية الدولة على الأسس العسكرية التالية :

١ ـ أن تعمل إسرائيل على ضمان تفوقها العسكري على جميع جيرانها مجتمعين .

٢ ـ أن تمتلك دائماً زمام المبادرة بمعنى أن تكون البادئة بالقتال .

٣ ـ في حالة نشوب القتال لابد أن يتم على الأرض العربية وخارج حدودها .

٤ ـ أن يتم تحقيق النصر بأسرع ما يمكن حتى لا يتأثر اقتصادها أو تتوقف الحياة فيها .

ولم يسلم الفكر اليهودي من تقديس القوة فقد كان شعار مناحم بيجن[٣] « أنا أحارب إذن أنا موجود » وفى رأيه أنه من الدم والنار والدموع والرماد سيخرج نموذج جديد من الرجال ـ نموذج غير معروف البته للعالم .

←

(٢) انظر من العهد القديم تثنية ٦/٧ ـ ٢٠/١٠ إلى ١٦ ـ يشوع ٢١/٦ .

(٣) السلام مع إسرائيل ـ محمد عبد الرحيم عنبر ص ٣١ .

وكان « ماكس نوردو » يقترح على اليهود أن ينموا عضلاتهم من حديد أسوة بالبطل « باركوكيا » آخر تجسيد لتاريخ اليهودية في صلابة عودها وحبها لقعقعة السلاح »[٤] .

فإذا ما بحثنا عن أمر السلام نجد موشى ديان يقول :

ـ « إن إسرائيل تقوم على الحرب وليس السلام .. هذا هو قدرنا[٥] ..

ويؤكد مناحم بيجن ما ذهب إليه طاووس جيش الدفاع الإسرائيلي سابقاً فيقول :

ـ « إن قوة التقدم في العالم ليست في السلام بل في الحرب »[٦] .

ويحاول « ناحوم جولدمان » آخر حكماء صهيون الأحياء ورئيس المنظمة الصهيونية العالمية تبرير هذه النزعات العدوانية فيقول لمحرر الأهرام بتاريخ ١٩٧٨/٥/٢٦ : « إننا لم نبذل بالفعل الجهد الكافي من أجل أن ندير الحوار مع العرب،وأن نصل سويا إلى صيغة تعايش مشترك ،وقد ساعد على ذلك أن القائمين على الحركة الصهيونية أو على إسرائيل ينتمون جميعاً إلى يهود أوروبا أو أمريكا ولم يكن هؤلاء القادة مؤهلين لأن يعرفوا شيئاً عن العرب سوى أنهم فقط مجموعة من البدو المتفرقين في صحارى الشرق الأوسط وسُهُولِهِ وكانوا يتصورون أنهم سيزرعون في المنطقة كياناً أوروبياً عصرياً وسط ركام متخلف وسيحيلون هذه السهول والصحارى إلى جنان » .. وأهم ما نلاحظه على هذا التبرير أن جولدمان يعترف بطريقة غير مباشرة بأن كلا من القائمين على الحركة الصهيونية أو على إسرائيل لم يكونوا أبناء شرعيين « للأرض الموعودة » فهم نبت أوروبا وأمريكا وأنهم في حقيقتهم مستعمرون إلا أنه يستر هذا الوجه القبيح بمحاولة تصويرهم بأنهم رسل حضارة وسط ركام متخلف،وأنهم سيحولون صحارى المنطقة إلى جنان وهذا هو الشكل الدعائي الذى تواجه به إسرائيل العالم المتحضر حتى يتغاضى عن جريمتهم ولو كان لليهود رسالة حضارية لقبلوا أوغندا أو مدغشقر عندما عرضتا عليهم إلا أنهم اختاروا فلسطين ؛ لا لاعتبارات دينية أو بسبب إشارات « التوراة » ؛ وإنما لأن فلسطين هى ملتقى الطرق بين أوروبا وآسيا وأفريقيا ؛ ولأنها المركز الحقيقى للقوى السياسية العالمية . كما أنها المركز العسكرى الاستراتيجي للسيطرة على العالم .

وهذا الذي ذكرناه في شأن اختيار فلسطين كان من نص خطاب ألقاه في كندا عام ١٩٤٧[٧] .

وإذا كان رئيس المنظمة الصهيونية قد أسقط « دعوى أرض الميعاد » فإننا نجد قادتهم لازالوا يعتبرون ما احتلوه من سوريا والأردن ولبنان ، بالإضافة إلى فلسطين بالكامل أجزاء محررة من أرض إسرائيل الكبرى ويتشبثون به ويرفضون التخلى عنه مما يشكل مخالفة لميثاق الأمم المتحدة ورفض السلام لأنه يبقى على حالة التوتر واستمرارية الصراع .والسلام هو تحقيق الأمان .

محمد عبد العزيز عبد اللطيف

(٤ ، ٥ ، ٦) المرجع السابق ص ٣٤ ، ص ٣٥ .

(٧) حقيقة الديمقراطية فى إسرائيل / عادل عبد الرازق ص ٨ .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

شهر الصيام تحية وسلام

تضرع ورجاء

رمضان شهر الله

شهر الصيام تحية وسلام

شعر : محمود ممتاز الهوارى

شهر الصيام تحية وسلاما | القيت نورك هاديا بسّاما
اقبلت في حلل البشاشة ناضحا | مسكا تَضَوَّع ريحُهُ الأياما
تمضى وتُبعَث كل عام مرة | حتى تضىء ببعثك الافهاما

***

حَدِّث عن الماضى فإنك فارس | بين الشهور اجلها إكراما
حدث ففى عينيك نور نبوة | رفعتك فى صدر السماء وساما
قد كنت فى الماضى تضىء لامة | علت الزمان وسادت الأقواما
داسوا على شم الجبال وَهَدَّمُوا | سور المُحال ووطدوا اعلاما
رضعوا من القرآن سر عقيدة | تستنهض الأرواح والأجساما
امضوا نهارك صائمين تقربا | وقضوا سوادك سجدا وقياما
صاموا عن الشهوات حتى اصبحت | اجسادهم مشحونة إسلاما

***

ياغائبا قد عاد من تجواله | ماذا لقينا بعد بُعْدِكَ عاما
إن كنت اطبقت الشفاه مرارة | فلقد نثرت على الشفاه كلاما
إنا لنسمع فى سكوتك حكمة | تتلى، ونُبصِر فى السكون زحاما
أَوَجَدْتَنا بين الشعوب ائمة | نهدى الحيارى ام وجدت نياما ؟
أَوَجَدتَنا متوحدين احبة | ام هل رايت تفرقا وخصاما
اوجدتنا نارا تُحَرِّقُ نفسَها | بردا على اعدائنا وسلاما
اوجدتنا بين الذئاب ضراغما | ام بين انياب الذئاب طعاما
وتلفت البدر الوقور كانه | يلقى ويسدل للحوار ختاما
لا يجرف التيار إلا خائرا | مستسلما لذراعه استسلاما
والمرء إن شاد الطموح سفينة | ركب الكواكب واعتلى الأجراما

أحزان أولى القبلتين

شعر: رشاد محمد يوسف

قلبت وجهك في السماء طويلا — تبغي مسارا للهدى ودليلا
فَانْعَمْ فَقَدْ ولاك ربك قِبلة — فيها بلغت رجاءك المأمولا
والأرض محرابُ الإله مشارقا — ومغاربا قد ذُلِّلَتْ تذليلا
والمسجد الأقصى يعانق في الذرا — بيتا أُقيم مثابة ومقيلا
رفع الخليل به القواعد داعيا — وفدى الإله لديه إسماعيلا
وتوافدت كل الخلائق نحوه — جيل يتابع في الهداية جيلا

***

يامسلمون وما لعيني لا ترى — الا كيانا واهيا مخذولا
اتظل اولى القبلتين اسيرة — قد نكّلوا بشبابها تنكيلا ؟!
اتظل قُدُسُ اللهِ تندب حظّها — تنعى شبابا عزلا وكهولا
اتظل جرحا في الحنايا غائرا — وتظل للدمع السخين مسيلا
ارايتمُ الأطفالَ في إصرارهم — قد ارجعت امجادهم سجيلا
ارايتمُ الزُّغبَ الحواصل عندما — جعلوا العدا عصفا لهم ماكولا
ارايتمُ الأبطال كل عشية — يستودعون قتيلة وقتيلا

***

هذى الحجارةُ في الأيادى سَبَّحَتْ — لله ترسم للخلاص سبيلا
هذى الحجارة في الأيادى صرخةٌ — للحق تشعل للجهاد فتيلا
كى توقظَ النُّوَّامَ من غفواتهم — وتشقّ ليلا للنيام ثقيلا
ماقيمة الكلمات طال غُثاؤنا — وغدا الكلام ممزقا مملولا
آمنتُ ماغير الدماء وسيلة — تحمى البلاد عراقة واصولا
ويعود تكبير المآذن هادرا — ويظل رجع ندائها موصولا
ونعيد للقدس الشريفة مجدها — ونعيد كرما طيبا وسهولا

***

رمضان شهر النصر

شعر: محمود شاور ربيع

رمضانُ أشرقَ فى سَمائِكِ «مصرُ» فيه الهدى، فيه التقى والنصرُ
رمضان شهر «الصوم» فيه كرامة للصائمين، وفى حِماه الخير
نزل الكتاب على النبى هداية وَآجَلُّ مامُنِحَ العبادُ الذكر
فيه الهدى والنور أسفر وجهه فيه السعادة والرضا والطهر
خير الشهور نصير فيه ملائكا لله دَرُّكَ ناضرا ياشهر
فيك الجنان تفتحت ابوابها وانجاب عن دنيا العباد الشر
كم فيك من «فتح» مبين مشرق إن كنت فى شك اجابت «بدر»
فيها التقى الجمعان وانتصر الهدى وهوى الضلالُ وآلُهُ والكفر
وعلا لواءُ الحق يخفق عاليا وكانما فوق الرءوس الطير
والفتح جاء، وجاء نصر باهر والوجه بسام السنا يفتَرّ
وعلوت يا «طه» بسيفك ضاربا فهوت حجارتهم وذلَّ الصخر
وعفوت عنهم قادرا متفضلا ولانت ياخير العباد البر
ولانت رحمة ربنا لعباده ولانت فى يوم المعاد الذخر
ولانت نبراس لنا وهداية فوق الصراط وقد اهل الحشر
رمضان فيك من الليالى ليلة هى ليلة يعلو لديها القدر
الروح فيها والملائك حوله فيها السلام مضاعف والأجر
رمضان فيك النصر لاح ضياؤه وعليك اشرق بالسلام الفجر
اتعود ثانية لنصر حاسم ويعود يشرق فى سمانا الفخر
وتعود للقدس الطهور رجاله وتعود ايام الهناء الغر
ويعود يعلو للسماء لواؤنا ويجىء بالنصر المبين الدهر



لفضيلة الشيخ
محمد زكى إبراهيم

يارب أذنبت لكن … فى خيفة منك ، ربى

قد كان قلبىَ يبكى … وأنت أدرى بقلبى

يا غافر الذنب إنى … قد اعترفت بذنبى

يا قابل التوب صلنى … وَاقْبَلْ بفضلك توبى

مالى إليك شفيعٌ … الا اعترافى وحبى

والستر منك دليل … على قبولى وقربى

فليس يهتك سترى … وليس يفضح عيبى

لكننى من شقائى … أَضِلُّ بابى ودَرْبِى

مازلت فى التيه أمضى … لغير وجه وصوب

يارب هل من سبيل … إليك يكشف كربى ؟

ظَلمتُ قبلا شبابى … واليوم أظْلِمُ شيبى

وذاب قلبىَ خوفا … وحسرة أى ذوب

إنى أثيم مقصرٌ … قد ضاق بى كل رَحْب

بكيت حتى بكانى … قساة أهلى وصحبى

والناس دائى ، فمن لى … بطبهم أو بطبى ؟

هل من نجاة لعبد … على المعاصى مكب ؟

يارب عفوك أرجو … ان نلت ذاك فحسبى

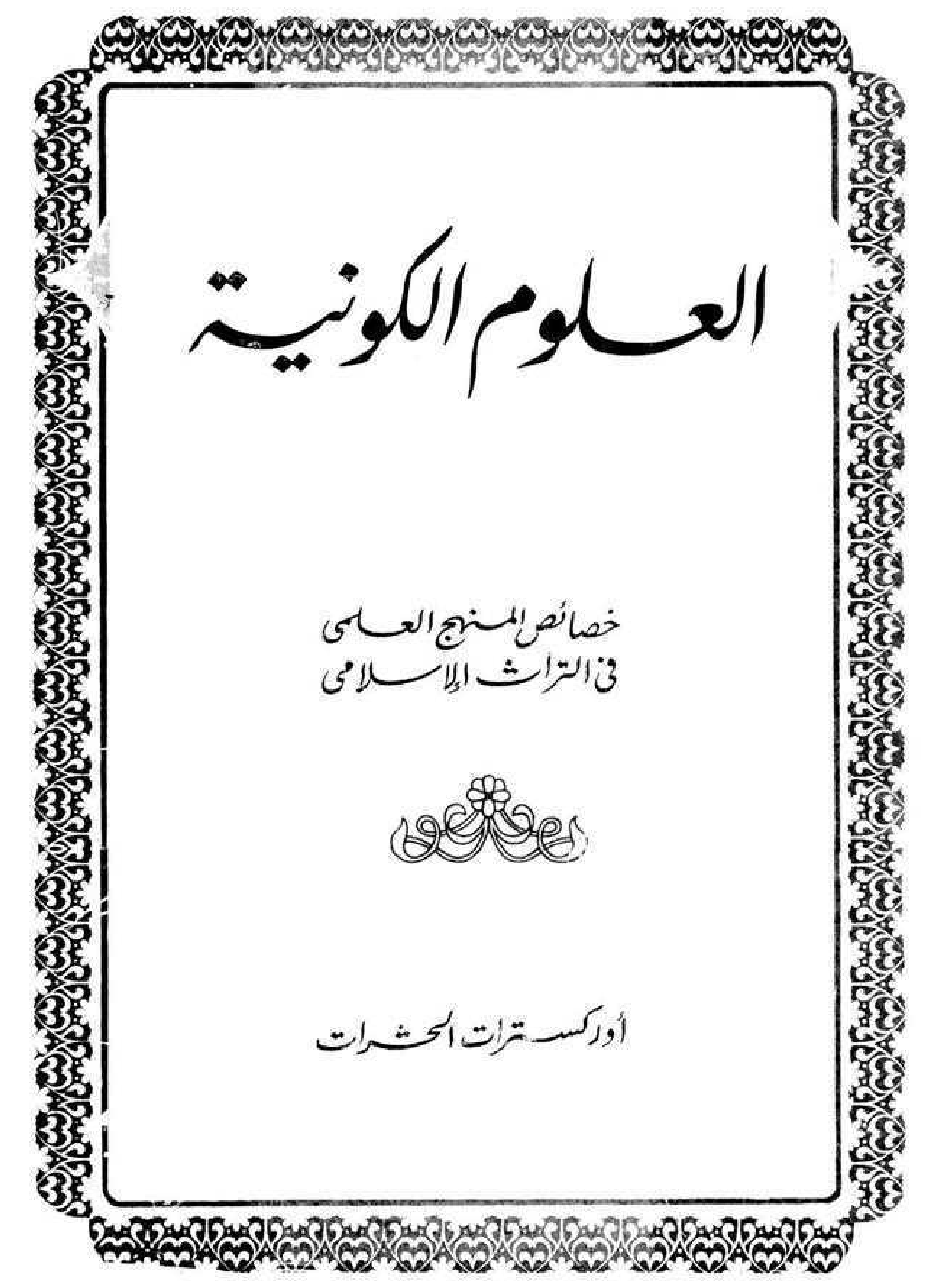
رمضان شهر الله

شعر: عبد الستار سليم

هلالك - فوق الدنى - أشرقا وغصنك - فوق الرُبى - أورقا
وليلك أنْور من صبحها فكل الدجى - بك - قد مُزّقا
ونفحتك العبقرية من عبير الجنان اتت اعبقا
وزادك - منه - النفوس اغتذت وغيثك - منه - الزمان استقى
وجيد الزمان - على طوله - بعقد نجومك قد طُوّقا
فبوركت - ياشهر - من زائر وطبت .. وطاب بك الملتقى
فانت - لعمرىَ - شهر الهدى وانت - لعمرىَ - شهر التقى
حبالك بالعرش موصولة فصرت بكل الندى اخلقا
وماخاب مَنْ نفسَه قد نهى عن السوء - فيك - ولا اخفقا
فما اليق الخلق أن يجتنوا ثمار عطائك .. ما اليقا
قدومك بعْث لأرواحنا يجدّد منها الذى اخلقا
فإن تاه عمر ببحر الدجى يجدك - لنجدته - الزورقا

***

بلالك أذن فى ساحها فمغربها - هزّ - والمشرقا
واطرق لله كل حجا وكل جماد - له - أطرقا
وفيك الإله تجلّى على بريّته .. راحما .. مشفقا
وفتّح ابواب جناته إلى ما افاض وما اغدقا
وياشهر فيك - لنا - ليلة سمتْ شرفا .. وعلتْ مرتقى
فندعوك - يارب - هيّىء لنا - بفضلك - من امرنا .. مرفقا



العلوم الكونية

خصائص المنهج العلمى
فى التراث الإسلامى

أوركسترات الحشرات

في خصائص المنهج العلمي التراث الإسلامي

تعنى هذه الدراسة بتحليل التركيب المنطقى للغة التراث العلمى الإسلامى فى ضوء المفاهيم التى تقوم عليها فلسفة العلوم المعاصرة ، وتقدم رؤية جديدة لخصائص العلم ومنهجه فى مرحلة من أهم مراحل التاريخ الإنسانى ، وتكشف النقاب عن أراء ونظريات علمية إسلامية تدين لها علوم الغرب وثقافته . ومن ثم فإن هذه الدراسة تهدف إلى المساهمة فى تصحيح تاريخ العلوم بصورة عامة وتحديث الثقافة العلمية الإسلامية بصورة خاصة .

اهمية موضوع الدراسة :

انبثقت الفلسفة فى تفكير الإنسان لتعبر عن شعور العقل ـ بعد ارتقائه ـ بالقدرة على تقديم إجابات وحلول مقنعة لمشاكل الوجود والفكر ، فكانت نشأتها إحدى صور حب الإنسان الغامر للحكمة وسعيه الدءوب إلى كشف العلل البعيدة لظواهر الواقع من حوله . ونشأت العلوم مع الفلسفة لتلبية حاجة الإنسان إلى الارتباط بهذا الواقع باعتباره موضوع النشاط الإنسانى اليومى ومصدر كل ضروريات الحياة البشرية .

وفى البدء ، لم تكن هناك فوارق بين العلوم التى تقوم على الملاحظة والتجربة والعلوم التى تستند إلى النظر العقلى والتفكير المجرد .

لكن ، بعد أن كثرت لدى الإنسان معلومات ومعارف عن موضوعات متنوعة ، استقل كل موضوع بمجاله تدريجيا متخذاً صورة العلم ، وتميز كل فرع من فروع المعرفة البشرية باتجاه معرفى خاص له موضوعه ومنهجه وغايته .

على هذا النحو تبلورت مختلف العلوم الطبيعية والرياضية والإنسانية ، ودخلت جميعها فى بناء نسيج الحياة المعاصرة ، بحيث لم يعد هناك أى نشاط إنسانى إلا ويعتمد فى تخطيطه وتطويره والإسراع بإيقاع حركته على العلوم « وتقنياتها » .

ولقد اهتم العلماء والفلاسفة حديثا بالبحث فى تحليل العلوم المختلفة لتكوين نظرة شاملة إلى الكون من خلال الربط بين سلوك

الأستاذ الدكتور
أحمد فؤاد باشا *

الظواهر التى يتعامل معها الإنسان ، وأدت جهود الباحثين فى هذا المجال إلى ظهور مبحث جديد ومتجدد فى التفكير العلمى والفلسفى يطلق عليه اسم « فلسفة العلم » Philosophy of Science ويهدف هذا المبحث إجمالا إلى فهم مكانة العلم فى حياتنا ، وكيفية الانتقال به من خبرة الإنسان إلى معرفته عن العالم . وترتب على هذا الفهم أن تعددت طرائق تناول موضوعات « فلسفة العلم » بقدر تعدد المذاهب الفلسفية ووجهات النظر المطروحة فى ساحة الفكر المعاصر .

من ثم ، ليست هناك قائمة بموضوعات معينة ينبغى أن تدرج تحت عنوان « فلسفة العلم » ، بحيث يكون الخروج عليها انحرافا عنها وجهلا بها ، فقد يصدق هذا على العلم نفسه ، ولكن ليس بالنسبة لفلسفته . وللمشتغل بفلسفة العلم أن يتناول : (ميتافيزيقا) العلم ، أو ينصرف إلى دراسة أسسه ومنهجه وعوامل تقدمه أو تعثره ، أو يلح على إبراز جوانبه القيمية ، أو يقف جهده على تحليل لغته وتاريخه ، أو يعكف على الإسهام فى صياغة نظريته والإلمام بمختلف جوانبها وعناصرها المعرفية[1] .

لهذا فإن موضوع الدراسة الحالية يتصل اتصالا مباشرا بمبحث « فلسفة العلم » من حيث إنه يقدم قراءة جديدة ـ وفق منهج تحليلى مقارن ـ فى التراث العلمى للحضارة الإسلامية بأسلوب العصر ولغته ومصطلحاته ، ويلقى مزيداً من الضوء على خصائص العلم ومنهجه فى مرحلة من اهم مراحل التاريخ الإنسانى .

يزيد من أهمية هذه الدراسة أنها تفتح المجال أمام المزيد من الدراسات المطلوبة بصورة ملحة لتحديث الثقافة العلمية العربية فى إطار القواعد الإسلامية الأساسية* ، ولسد الفجوة بين التفكير العلمى والتفكير الفلسفى

---

* الكاتب : استاذ الفيزياء بعلوم القاهرة .

(١) انظر على سبيل المثال :

- د . توفيق الطويل ، أسس الفلسفة ، القاهرة ١٩٦٨ .
- د . محمود زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٠ .
- د . صلاح قنصوة ، فلسفة العلم ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٨١ .
- بول موى ، المنطق وفلسفة العلوم ، ترجمة د . فؤاد زكريا ، مكتبة دار العروبة الكويت ١٩٨١ .
- د . احمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ، القاهرة ١٩٨٤ .
- د هشام غصيب ، جولات فى الفكر العلمى ، دار الفرقان ، عمان ١٩٨٥ .
- د مصطفى النشار ، نظرية العلم الارسطية ، دار المعارف ١٩٨٦ .

* يتخذ البعض لفظ (أَسْلَمَ) بمعنى جعله إسلاميا .

خصائص المنهج العلمي

في ساحة الفكر العربي ، ولتصحيح تاريخ العلم بكشف النقاب عن الآراء والنظريات الإسلامية التي تدين لها حضارة العلم و (التكنولوجيا) المعاصرة .

وتعرض الدراسة على وجه الخصوص لتحليل عناصر المنهج العلمي الاستقرائي في التراث الإسلامي ، باعتباره منهج البحث في العلوم الطبيعية التجريبية ، وذلك من حيث تعريفه ومصادراته وأدواته وعناصره .

تعريف المنهج العلمي في التراث الإسلامي :

إن كلمة « العلم » Science ، كما نفهمها اليوم[٢] ، لفظ كلي يشمل - في الأساس - العلوم الطبيعية والرياضية التي تبحث - بمناهج علمية - في الظواهر الجزئية للكون والحياة ، بغية الكشف عن القوانين التي تفسر سلوك هذه الظواهر تفسيرا عليًا أو منطقيا ، ثم الاستفادة من تطبيقات هذه القوانين (تكنولوجياً) في خدمة أغراض الإنسان ومصالحه . ويقر فلاسفة العلم بنصف الحقيقة عندما يعترفون بأن هذا العلم قد بدأ عند إدخال المنهج التجريبي ، لكن أكثرهم ينكرون النصف الآخر للحقيقة عندما ينسبون الفضل في اكتشاف هذا المنهج إلى (فرنسيس بيكون) ويؤرخون له بعصر النهضة الأوروبية الحديثة[٣] .

وهذا الزعم الخاطئ مردود عليه بحقائق تاريخية تؤكد سبق علماء الحضارة الإسلامية إلى ممارسة هذا المنهج التجريبي ووضع أصوله وقواعده قبل بيكون بعدة قرون . بل إنهم كانوا أسبق من الغربيين المحدثين إلى نقد منطق أرسطو العقيم ، واستطاعوا أن يميزوا بين طبيعة الظواهر العقلية الخالصة من جهة والظواهر المادية الحسية من جهة أخرى ، وعلموا أن الوسيلة أو الأداة المستخدمة في دراسة هذه الظواهر يجب أن تختلف حسب طبيعة كل منها . وقد قال جابر بن حيان في ذلك : « إن لكل صنعة أساليبها الفنية »[٤] .

---

(٢) كانت (أكاديمية) العلوم الفرنسية التي أنشئت عام ١٦٦٦ أول من استخدم كلمة « علم » أو « علوم » Science لتعني العلوم الطبيعية التجريبية بمعناها الراهن . ثم استخدمتها بعد ذلك « الجمعية البريطانية لتقدم العلوم » التي أنشئت عام ١٨٣١ .

(٣) انظر على سبيل المثال :

و . أ . ب . بفردج ، فن البحث العلمي ، ترجمة : زكريا فهمي ، مراجعة : د . أحمد مصطفى أحمد ، ص ٣٢ ، دار اقرأ ١٩٨٣ .

(٤) انظر : قدري حافظ طوقان ، العلوم عند العرب ، سلسلة الألف كتاب مكتبة مصر بالفجالة .

د . أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٤ .

د . مدحت إسلام ، الكيمياء عند العرب ، سلسلة كتابك ، دار المعارف ١٩٨١ .

وإذا كان التراث الإسلامى غنيا بالنصوص التى استقى منها علماء الغرب فيما بعد قواعد المنهج العلمى التجريبى (أو الاستقرائى) التى تصف الطرق المؤدية إلى الكشف عن الحقيقة العلمية أو البرهنة عليها ، إلا أن القراءة المتأنية لتلك النصوص تبين أنها قد صيغت بدقة علمية بالغة تعكس إلمام أسلافنا الواعى بفلسفة منهجهم وإتقانهم المحكم لدقائق صنعتهم وإدراكهم الفطن لخصائص المعرفة العلمية وطبيعة نموها . ونسوق مثلا على ذلك وصف الحسن بن الهيثم لمنهجه فى بحث (حقيقة الإبصار) كما ورد بلفظه فى مؤلفه الشهير « المناظر » :

« رأينا أن نصرف الاهتمام إلى هذا المعنى بغاية الإمكان ، ونخلص العناية به ، ونوقع الجد فى البحث عن حقيقته ، ونستأنف النظر فى مباديه ومقدماته ، ونبتدىء باستقراء الموجودات ، وتصفح أحوال المبصرات ، وتميز خواص الجزئيات ونلتقط باستقراء ما يخص البصر فى حال الإبصار ، وما هو مطرد لا يتغير وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس .. ثم نترقى فى البحث والمقاييس على التدريج والترتيب ، مع انتقاد المقدمات والتحفظ من الغلط فى النتائج ، ونجعل غرضنا فى جميع ما نستقرئه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى ، ونتحرى فى سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء .. فلعلنا ننتهى بهذا الطريق إلى الحق الذى به يثلج الصدر ، ونصل بالتدريج والتلطف إلى الغاية التى عندها يقع اليقين ، ونظفر ـ مع النقد والتحفظ ـ بالحقيقة التى يزول معها الخلاف وتنحسم بها مواد الشبهات . وما نحن ، مع جميع ذلك ، براء مما هو فى طبيعة الإنسان من كدر البشرية ، ولكننا نجتهد بقدر ما لنا من القوة الإنسانية . ومن الله نستمد المعونة فى جميع الأمور[٥] .

يوضح هذا النص أن القواعد العامة التى وضعها ابن الهيثم لمنهج الاستقراء فى العلوم الطبيعية التجريبية تتميز بأنها ليست مجموعة محددة من الخطوات التى تلتزم ترتيبا معينا ليس لها أن تتجاوزه أو تعدله ، مما يضفى عليها قدرا كافيا من المرونة يحول دون جمودها أمام حركة العلم وتطوره .

(٥) عن كتاب د . عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٣٧١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٧ . وانظر على وجه التفصيل والتحليل : مصطفى نظيف ، الحسن بن الهيثم ـ بحوثه وكشوفه البصرية ـ مطبعة نورى بمصر ١٩٤٢ .

فالمنهج العلمى ـ كما نفهمه اليوم ـ ليس مجرد منهج استقرائى او استنباطى كالذى الفنا ترديده لدى (بيكون) و (جون ستيوارت سيل) أو (ديكارت) بحيث اوشكنا على تصوره لائحة أو قائمة بالتعليمات والإرشادات لا ينبغى الانحراف عن تطبيقها وكأنها طائفة من الوصفات المجربة الناجحة[6] كما أوضح الحسن بن الهيثم أن الموضوعية فى طلب الحق بعيدا عن كل ما يتعلق بالذاتية هو أهم شروط البحث العلمى السليم .

من ناحية أخرى ، تعكس عبارات ابن الهيثم كثيرا من خصائص العلم التجريبى ومقومات نجاح البحث العلمى التى افتقدها كل من المنطق الأرسطى والمنهج البيكونى . ذلك أن (ارسطو) كان كثيراً ما يلجأ إلى القياس النظرى المجرد كلما حاول تفسير الظواهر الطبيعية ، وهذا يؤدى إلى نتائج صادقة بالقياس إلى المقدمات لا بالقياس إلى الواقع ، ويقطع الطريق على الابتكار والتقدم المعرفى . وإذا كان هناك من بين فلاسفة العلم من يحاول إسباغ التجريبية العلمية على منهج ارسطو ويؤرخ للاستقراء فى أعماله فإنهم يلجأون إلى تحميل نصوصه أكثر مما كان يعنيها[7] ، وإلا فما تفسيرهم لقوله : إن أسنان المرأة اكثر عددا من أسنان الرجل ، أو : إن الأجسام الثقيلة تسقط أسرع من الأجسام الخفيفة أو إن العين ترى الأشياء بانطباع صورها فى البصر دون أن يرد منها شيء للبصر ، أو غير ذلك من الآراء والنظريات الساذجة . بل ما هو دفاعهم عن تصنيفه للطبيعيات كعلوم نظرية ؟[7] .

أما (بيكون) الذى وضع قواعد لمنهج علمى لم يمارسه فإنه ـ بالرغم من تأثره بروح البحث التجريبى فى التراث الإسلامى[8] ـ قد قصر البحث العلمى على المشاهدة والتجربة ، وحصر تفكير الباحث فى اتباع خطوات محددة لجمع الوقائع المشاهدة التى لها صلة بالظواهر المراد البحث عن قانونها وإذا كان بيكون قد هاجم منهج الأغريق ووصف حكمتهم بأن لها صفة الطفل ، فى وسعه أن يتكلم ولكنه لا يستطيع أن ينجب[9] ، فإنه قد هوجم بألذع مما هاجم به حكماء الأغريق لأن انشغاله بشئون القانون والدولة لم يتح له فرصة تذكر لإقامة الدليل على قيمته كمجرب علمى[10] .

---

(٦) د . صلاح قنصوة ، فلسفة العلم ، ص ١٤٣ .
(٧) د . مصطفى النشار ، نظرية العلم الأرسطية ، ص ١٩٠ ـ ٢٠٦ ، ص ٤٣ .
(٨) جورج سارتون ، تاريخ العلم ، القاهرة ١٩٦١ .
(٩) كناية عن أنه لا يستطيع ان يأتى بجديد .
(١٠) رينيه دبيو ، رؤى العقل ، ص ٥٠ ترجمة فؤاد صروف ، بيروت ١٩٦٢ .

وتوضح المقارنة بين ملامح المنهج العلمي عند أرسطو وبيكون وابن الهيثم : أن التجريبية في التراث العلمي الإسلامي خطوة مقصودة في أسلوب البحث العلمي المبني على الاستقراء (استخراج القاعدة العامة من مفردات الوقائع) والاستنباط (استنتاج الحالات الخاصة من القوانين العامة) والقياس (الموازنة بين الوقائع المختلفة والمقارنة بين النتائج) ، يلجأ إليها الباحث بحدسه وخبرته مرة بعد مرة للتأكد من صحة ما يطرحه عقله من فروض أو ما يتوصل إليه من قوانين ونظريات . وإذا كنا قد استشهدنا بنص محدد في هذا الشـأن للحسن بن الهيثم في مجـال الفيزياء ، فإنه يجب التنويه إلى حقيقة هامة يغفلها كثير من علماء المناهج وفلاسفة العلم مؤداها أن المنهج التجريبي في التراث الإسلامي لا يصح أن ينسب في اكتشافه إلى عالم بعينه كما هو الحال بالنسبة لأرسطو وبيكون ، بل يعزى إلى كل من أدلى فيه بدلوه في مجال اهتمامه مثل (جابر بن حيان) في الكيمياء ، و (أبي بكر الرازي) في الطب ، و (أبي الريحان البيروني) في الجيولوجيا وغيرهم .

وفي هذه الحقيقة الهامة يكمن السر والدافع وراء نجاح هذا المنهج ومواكبته لحركة التقدم العلمي التي حثت عليها تعاليم الإسلام الحنيف ومبادئه السامية ، متمثلة في آيات القرآن الكريم التي تحث على النظر والبحث في ملكوت السموات والأرض ، وفي الأحاديث النبوية الشريفة التي تدعو إلى السعي في طلب العلم وتجعله فريضة على كل مسلم[11] ، وتحرر العقل من القيود والأوهام المعوقة للكشف والإبداع[12] .

(١١) انظر ما كتبناه حديثا عن الحضارة الإسلامية والتقدم العلمي في كتاب « الثقافة الإسلامية » (بالاشتراك) ، ص ٩٩ ـ ١٣١ ، منشورات جامعة صنعاء ١٩٨٥ ، وأيضاً ما يتصل بِحَثّ الإسلام على البحث المنهجي في : عباس محمود العقاد ، التفكير فريضة إسلامية ، منشورات المكتبة المصرية . وحيد الدين خان ، الإسلام يتحدى ، ترجمة ظفر الإسلام خان ، المختار الإسلامي ، القاهرة ١٩٧٧ . د . عبد الله شحاتة ، تفسير الآيات الكونية ، القاهرة ١٩٨٠ . د . مصطفى حلمي ، مناهج البحث في العلوم الإسلامية ، مكتبة الزهراء ١٩٨٤ ، وأيضاً مؤلفنا ، التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٤ .

(١٢) تدعو تعاليم الإسلام إلى محاربة التنجيم والتنبؤ العشوائي والتعصب للعرف والعرق وتحذر من الاطمئنان إلى كل ما هو شائع أو موروث من آراء ونظريات (انظر على سبيل المثال : عباس العقاد ، التفكير فريضة إسلامية) . ونحن نرى أن هذه التعاليم أوسع وأشمل مما يعرف بأوهام الكهف والسوق والمسرح والجنس لبيكون والتي كثيرا ما يباهي بها فلاسفة العلم وشراح المنهج العلمي (انظر على سبيل المثال : د . ماهر عبد القادر محمد ، فلسفة العلوم ، المنطق الاستقرائي ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٤ ، ص ٩٦ وما بعدها) .

أوركسترات الحشرات

٢

آليات خاصة لإصدار الأصوات :

يوجد لدى « السيكادا » واحد من أكثر أعضاء إصدار الصوت تعقيداً فى الحشرات . وبالنسبة لهذه الحشرة ، فمن المعتقد أن أغلب أنواعها ، والتى تسمع أصواتها فى أواخر فصل الصيف ، تقضى مدة ٢ ـ ٥ سنوات تحت سطح الأرض وهى فى شكل الحوريات غير البالغة ، حيث تغتذى هناك بامتصاص العصارة النباتية من الجذور العصيرية ، وتضم « السيكادا » الدورية ستة أنواع مختلفة . قد تمتد حياة الطور غير البالغ فى هذه السيكادات إلى نحو ١٣ سنة فى الأنحاء الجنوبية من القارة الأمريكية ، بينما تطول هذه المدة لتصل إلى ١٧ سنة فى شمالها .

أمَّا عن الأصوات ، فإن إناث أغلب أنواع « السيكادا » توصف بأنها صامتة ، بينما تقوم ذكورها بإصدار موسيقاها وذلك بواسطة زوج من الطبول يقع فى منطقة البطن من جسم الحشرة . وتتغطى هاتان الطبلتان بصفيحتين تُسَمَّيَان « صمَّات Opercula » ، تتذبذبان نتيجة فعل زوج من العضلات الفتية المتصلة بها . ومن الملاحظ أن أصوات السيكادات تتنوع لتشمل أنغاماً عديدة خلال ما يُسَمَّى « مُوَجِّهات الصوت » على غرار ما يوجد فى الفرق « الأوركسترالية » .

حدث هناك فى بلاد الأغريق القديمة أن اعتُبِرَت « السيكادات » أشياء مقدسة ، فكان المواطنون يحفظونها فى أقفاص ليستمتعوا بأغانيها الشجية التى تبعث فى مخيلاتهم الشعرية أبهى وأجمل الصور ، كما كانوا يتخذونها للزينة . ولقد وصلت رِفْعَةُ هذه الحشرات عندهم حتى أصبح شعار دراسة الموسيقى هو (سيكادا على قيثارة) ، بل أُطْلِقَ اسم (أغنية السيكادا) على صوت القيثارة .

حينما يستعمل المتخصصون فى دراسة الحشرات مصطلح « الصرصرة Stridulation » فإنهم يقصدون به ما ينبعث من أصوات ناتجة عن احتكاكات جزءين صلبين ببعضهما فى جسم الحشرة . تصدر هذه الصرصرة من حشرات كالنطاطات وصراصير الغيط والجنادب الأمريكية ، وكلها أصوات نغماتها الموسيقية المتباينة تقع فى شكل إيقاعات غريبة ، يحدث هذا وتقوم به الحشرات المذكورة بصفة دورية منذ بزوغ فجر كل يوم إلى غسقه[1] ، ثم من

● الكاتب : عضو هيئة التدريس كلية العلوم ـ جامعة الأزهر .

(١) الغسق : ظلمة أول الليل .



تأليف : د/ ر. ف أشلى
ترجمة : د/ كارم السيد غنيم *

الغسق حتى بزوغ فجر اليوم التالى ، وهكذا .

ربما يكون من العسير علينا أن نتعرف على طبقة الصرصرة المنبعثة من صراصير الغيط ، وهى التى نسمعها وتشكِّل نَمَطاً ملحوظا فى أسماعنا ، وهذه الطبقة الصوتية تتوقف على « ثابت الدوام Time constant » ، ذلك الوقت الذى يستغرقه غشاء أو شعيْرة ما كَىْ تعود إلى حالتها الطبيعية بعد أن ترتطم بها إحدى الموجات الصوتية . ولإيضاح الكفاءة السمعية لدى الحشرات ، فإنه يمكن القول بأن « ثابت الدوام » فى الأصوات التى تحس بها أُذن الإنسان تُقدَّرُ قيمته بأطول من « ثابت الدوام » لآذان الحشرات بعشْر مرات على الأقل ، كما يستطيع الإنسان أن يميز بيْنَ صوتيْن بحيث لا تقل الفترة الزمنية التى تفصلهما عن بعضهما عن ١/١٠ من الثانية ، بينما تستطيع الحشرات أن تميز الأصوات حتى إذا وصلت الفترات الزمنية التى تفصلها عن بعضها إلى ١/١٠٠ من الثانية وهى الأصوات التى تُوصَفُ بأنها متداخلة ولا طاقة للأذن البشرية على تمييزها ، ثم هناك أَمْرٌ آخَرَ فى هذه المسألة هو أن الطَّنين أو الأزيز الذى تسمعه أذن الإنسان ما هو إلاّ سلسلة من الموجات الصوتية المنفصلة عن بعضها ولها معنى ومدلول عظيمان عند الحشرات .

بالنسبة لميكانيكية حدوث هذه الصرصرة فإن احتكاكاً يحدث بين جزءين من الجسم فى الحشرات ، أحدهما يسمى « المِبْرد File » ـ وهو سلسلة من النتوءات البارزة ـ تنجرُّ عليه حافّة أو عقدة صلبة هى « المحكاك Scraper » وتتوقف طبقة الصوت الصادر بهذه الطريقة على كُلٍّ من الفراغات الواقعة بين هذه النتوءات وبعضها ، وكذا على سرعة جرِّ المحكاك عليها . أمّا عن مكان الجزءين المحتكَّيْن ببعضهما فى جسم الحشرة ، فيختلف باختلاف أنواع الحشرات ذات الأصوات ، فمثلاً فى (نطاط الحقل) الشائع يحدث هذا الاحتكاك بيْن فَخْذَىْ الرجلَيْن الخلفيتين[٢] بعرق مُقَوىً يقع فى الأجنحة الأمامية . وفى (نطاطات) أخرى (من ذوات القرون القصيرة) يتم فيها حَكُّ الرِّجْل الأمامية بالجناح الخلفى معاً فى نفس الجانب من الجسم . وفى هذه الحشرات توجد صفوف من الأشواك الدقيقة الحجم على الأرجل الخلفية ، عند حَكِّها بالأجنحة الخشنة ، يصدر صوت يشبه إلى حد كبير ذلك الصوت الناجم عن حَكِّ ظُفْر أصبع الإبهام ـ من أصابع اليد ـ بأسنان مُشْطٍ صغير . بينما يتم احتكاك الأجنحة الأمامية ببعضها البعض وليس بالأجنحة الخلفية ، وذلك فى (نطاطات) أخرى (من ذوات القرون

---

(٢) الفخذ فى رِجْلِ الحشرة هو ذلك الجزء القريب من منبع خروج الرجل من صدر الحشرة .

الطويلة) وكذا بعض صراصير الغيط . وتصل الأنغام الموسيقية إلى حَدٍّ من الروعة والجمال حتى أنَّ بعض الناس يحتفظون بحشرات (السيكادا) و (صراصير الغيط) ويستألفونها بغيةَ مشاهدتها وهى تشدو بأصواتها .

يضم عالم الحشرات حَشْداً كبيراً من الأنواع تُصْدِرُ الأصوات الصرصرية ، ومنها نجد (الرعاشات Odonata) ، البق الحقيقى (Hemiptera) ، الذباب (Diptera) ، النمل والنحل والزنابير (Hymenoptera) ، وكذلك الخنافس (Coleoptera) وبالنسبة للخنافس بالذات ، فإن لديها تنوُّعا كبير المدى من سُبُلِ إصدار الأصوات ، تقوم بذلك ـ على سواء ـ الحشرات اليافعة أو يرقاتها الصغيرة . فيرقات الخنافس من فصيلة Passalidae مثلاً قد تَجَهَّزَ فيها عضوٌ متخصص فى الصرصرة يقع فى الزوج الثالث من الأرجل ، وهذه هى اليرقات التى تعيش طوال حياتها فى انفاقها بالأخشاب .

مِمَّا يدعو إلى الدهشة والعجب لأصوات الحشرات ، أن تقوم بإصدارها أعضاءُ ضئيلة الحجم ، وفى نفس الوقت يجب أن تكون هذه الأصوات عالية الطبقة محددة النغمة حتى لا يختلط الأمر على الحشرة ، فلكلِّ سلوك نغمة خاصة ، ومن ذلك نداء الأنثى على اليفها أىْ استدعاء شريك حياتها ، وهى مسألة من الدقة بمكانٍ حتى لا يأتيها مَنْ لا ترغب فى مجيئه . هذه لمحة سريعة كى يتبيَّن الإنسان مدى القدرات الرائعة التى تمتلكها هذه الكائنات . ويصل حدّ الدهشة إلى أكثر من ذلك إذا علمنا أن فى (صراصير الغيط) و (النطاطات) ذات القرون الطويلة أجهزة لتضخيم الأصوات ، وهى فى الحقيقة اسْطُح غشائية تُسَمَّى « المرايا » ، تقوم بتضخيم أو تفخيم الصوت لاسيما إذا كان خشناً . وهذا ما يفسِّر مدى الضجة والجلبة التى تحدثها الخنافس أيضاً بأصواتها .

هل تستخدم الحشرات أصواتها لتحقيق أغراض معينة ؟

تتنوع استخدامات الحشرات لأصواتها وقدراتها السمعية لتحقق بها أغراضا منها :

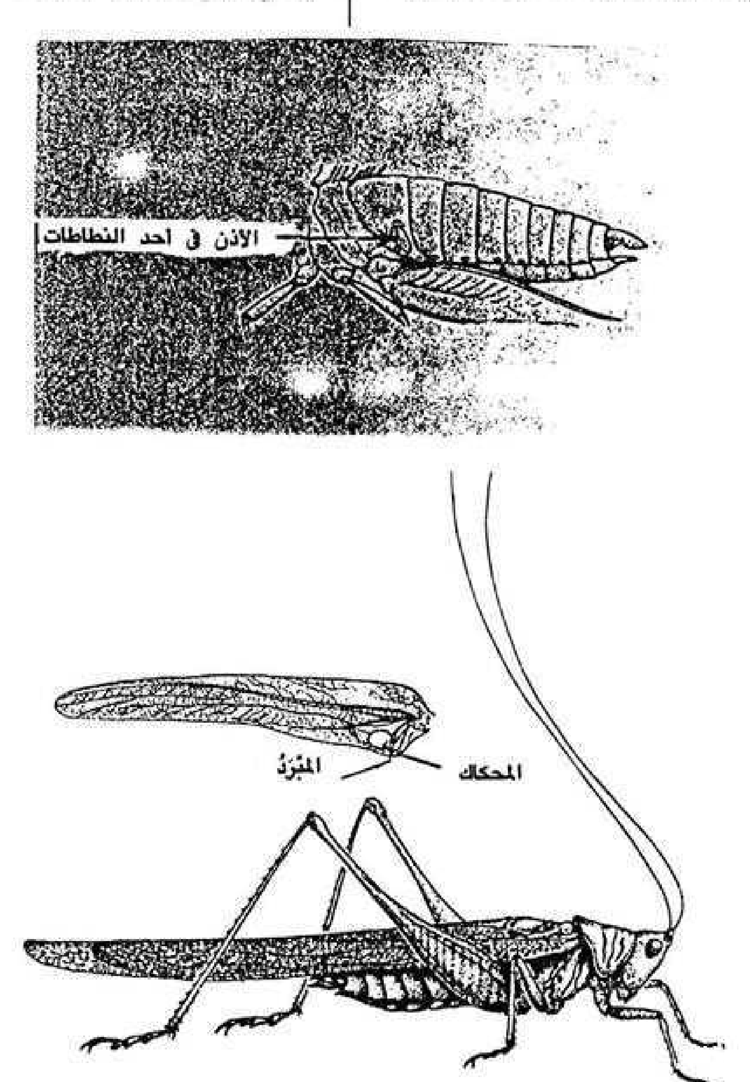
أنواع معينة من الحشرات تقوم بإصدار أصوات تُدْخِلُ بها الرعبَ على أنواع أخرى . وهناك حشرات تصدر أصواتاً تستخدمها فى تحديد موقع شريك حياتها فى البيئة المحيطة بها ، وإن كانت هذه الأصوات المميَّزة تكشف عن موقع الحشرة التى تصدرها وهذا يساعد الحشرات المفترسة على تحديد موضعها ، ومن ثَمَّ إمكانية الهجوم عليها وافتراسها .

وفى حالة التنافس بين ذكور النوع الواحد بقصْدِ حماية الموطن من غزو الآخرين ، فإنَّ ذَكَراً ما يُصْدِرُ صياحه للتحدى والهجوم إذا ما رأى ذكراً آخر ينوى اقتحام موطنه عليه . وهذا يذكّرنا بالصرصرة الموسيقية التى تحدثها ذكور (صراصير الغيط) .

ومن الأغراض أيضاً ، أن أغنيات السيكادات وصراصير الغيط تثير حماس الأنواع الحشرية المشابهة كى تتجمع وتتكدس فى مساحة معينة ، وهو السلوك الذي يعمل على تدعيم حياة الجماعات الحشرية

ويمنع من ضعفها الذى ينجم عن تشتتها ، ويمنع أيضاً الجماعات الحشرية من الترحّل إلى بيئات جديدة عليها ومثيرة لها .

أما عن اهمية أصوات الحشرات فى ترابط ذكور وإناث النوع الواحد ببعضها البعض ، فقد آشرنا إليها آنفا . وهو الأمر الذي يؤدى إلى عزل جماعةٍ حشريةٍ ما ، عزلاً ينتهى بإنتاج نوع حشرى جديد .



ذكر النطاط ذو القرون الطويلة يقوم بإصدار صوت موسيقى بطريقة تشبه إلى حد كبير تلك التى يحدثها

صرصور الغيط

د / كارم السيد غنيم



« من أدب الصدقة »

قال النخعي : كانوا يرون أن الرجل الظلوم إذا تصدق بشيء دفع عنه البلاء ، وكان الرجل يضع الصدقة في يد الفقير ، ويتمثل قائماً بين يديه ، ويسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائل .

« الذين يكنزون الذهب والفضة »

قال بعض المفسرين ، في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ إنما خص هذه الأعضاء بالذكر دون غيرها ، لأن السائل إذا جاء إلى رب المال تغير وجهه ! فيسأله ثانياً فينحرف بجنبه ! فيسأله ثالثاً فيوليه ظهره .

وقال الرازي : ظاهر الآية أنهم يُكْوَوْنَ بجميع المال لا بقدر الزكاة فقط لتعلقها بالجميع .

« فتنتان »

قال سفيان الثوري : كانوا يتعوذون من فتنة العالم الفاجر ، وفتنة العابد الجاهل ! فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون !

« افتضاح مراءٍ »

دلك بعض المرائين جبهته بثوم وعصبها ونام لتظهر سمته من أثر السجود ، فانحرف الثوم والعصابة إلى صدغه فبان الأثر هناك فقالت له امرأته في الصباح : « أنت ممن يعبد الله على حرف » .

« نعم الوفاء »

قال الأصمعي : دخلت بعض مقابر الأعراب ومعي صاحب لي ، فإذا جارية على قبر كأنها تمثال وعليها من الحلي والحلل مالم ار مثله ، وهي تبكي بعين غزيرة وصوت شجي فالتفت إلى صاحبي ، فقلت : هل رأيت أعجب من هذه ؟



قال : لا والله ولا أحسبنى أراه ، ثم قلت لها : يا هذه إنى أراك حزينة ، وما عليك زى الحزن فأنشدت تقول :

فإن تسالانى فيم حزنى فإننى
رهينة هـذا القبـر يـافتيـان
وإنى لأستحييه والترب بيننـا
كما كنت أستحييه حين يرانى
اهابك إجلالاً وإن كنت فى الثرى
مخافة يوم أن يسؤك لسانى

ثم اندفعت فى البكاء وجعلت تقول :

ياصاحب القبر يامن كان ينعم بى
بالا ويكثر فى الدنيا مواساتى
قد زرت قبرك فى حلى وفى حلل
كأننى لست من أهل المصيبات
أردت آتيك فيما كنت أعرفه
أن قد تسر به من بعض هيأتى
فمن رآنى رأى عَبْرَى مُوَلَّهَةً
عجيبة الزى تبكى بين أموات

« وصية »

فـأوصيكـمُ بـالله أول وهلـة
وأحـاسبكم ، والبـر بـالله أوَّلُ
وإن قومكم سادوا فلا تحسدوهم
وإن كنتم أهل السيادة فاعدلوا
وإن أنتم أعـوذتم فتـعففـوا
وإن كان فضل المال فيكم فأفضلوا

« حقاً »

قيل لعبد الله بن الحسن - رضى الله عنه - : إن فلاناً غيرته الولاية !!

فقال : من ولى ولاية يراها أكبر منه تغير لها ، ومن ولى ولاية يرى نفسه أكبر منها لم يتغير لها .

« السخى هو ؟ »

الذى يكون مسروراً ببذله متبرعاً بعطائه لا يلتمس عرض دنيا فيحبط عمله ، ولا طلب مكافأة فيسقط شكره ، ويكون مثله مثل الصائد الذى يلقى الحب للطائر لا يريد نفعها ولكن نفع نفسه .

« دعاء »

رب وفقنى فـلا أعـدل عن
سنن الساعين فى خـير سنن

من أعلام الأزهر



مفتي الديار المصرية الأسبق
وعضو جماعة كبار العلماء

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه الى يوم الدين •

تمهيد :

خصصت مجلة « الأزهر الغراء » بابا بعنوان (من أعلام الأزهر) لكتابة ترجمة حياة هؤلاء الأعلام العظام ، وما تركوه من تراث علمي وأدبي ليتخذهم أبناء الأزهر الشريف نبراسا يهتدون بنورهم ، ويقبلون على البحث والمذاكرة ليبلغوا من المكانة الرفيعة ما بلغ هؤلاءَ الأعلام الذين كان لهم فى كل عهودهم كلمة مسموعة ، ومكانة مرموقة ، ومركز رفيع بين أبناء الأمة ، وعند الحكام الذين كان كثير منهم يتنافسون على نيل ثقتهم فيهم ، ويسارعون فى حضور دروس هؤلاء الأئمة الأعلام • وكان لهؤلاء الاعلام (رحمهم الله) المقام الأول فى المناسبات الرسمية وغيرها كما كانوا يتقدمون الأمراء • وكانوا يقومون بالسفارة بين حكام مصر والعالم الاسلامى ، كما كانوا ينتدبون لحضور المؤتمرات السياسية نيابة عن مصر ، وحادثة فضيلة الشيخ الأحمدي الظواهرى (رحمه الله) فى مؤتمر الخلافة الذى انعقد فى القاهرة سنة ١٩٢٦ بعد انتهاء الخلافة العثمانية مشهورة حيث كان « الشيخ الظواهرى » جريئا فى اقتراح انفضاضه على غير قرار لأنه لم يتكامل فيه تمثيل الأمم الاسلامية فانفض (١) •

وحادثته (رحمه الله) وهو رئيس وفد مصر فى مؤتمر مكة فى نفس السنة أشهر حيث أفحم أعضاء المؤتمر بحججه وبراهينه دفاعا عن حقوق مصر فوافقوا على رأيه •• ولما عاد الى القاهرة وقابل وزير الخارجية استقبله محتضنا مرحبا مقبلا قائلا : كنت أعلم أن الأزهر يخرج علماء فطاحل ، ولكنى لم أتصور يوما ما أن الأزهر

---

(١) راجع الأزهر فى ١٢ عاما •

لفضيلة الشيخ
توفيق إسلام يحيى

يخرج (دبلوماسيين) مهرة من الطراز الأول(٢)٠

نعم : هكذا كان الأزهر المعمور يخرج علماء وأدباء وسفراء و (دبلوماسيين)يرفعون رأس مصر عالية فى المحافل والمؤتمرات ، وكانت عمائمهم على رءوسهم تيجانا تلمع وتبهر عيون الناظرين وتجعلهم يتقدمون الناس أجمعين ٠ نعم ، هكذا كان ازهرنا المعمور منارة تضىء العالم ٠

ومجلة « الأزهر الغراء » بانشائها بابا بعنوان « من أعلام الأزهر » انما فتحت نافذة لتخرج عبرها أنوار العلم والأدب والعزة والكرامة بكتابة تواريخ رجاله الذين كانوا مثلا عليا فى العلم والادب والعزة والكرامة والوطنية وقول الحق دفاعا عن الحق للناس أجمعين ٠

فضيلة العلامة الشيخ
(عبد الرحمن محمود قراعة)

من أعلام الأزهر العظام فضيلة العلامة الفقيه الأديب المعتز بدينه وكرامته الشيخ « عبد الرحمن محمود قراعة » مفتى الديار المصرية الأسبق ، وعضو جماعة كبار العلماء ٠



الشيخ عبد الرحمن محمود قراعه

ميلاده ونشأته

ولد فقيد الأزهر الشريف العلامة الشيخ « عبد الرحمن قراعة » عام ١٢٧٩ هجرية الموافق اليوم الحادى والثلاثين من يناير عام ١٨٦٣ ميلادية بمدينة « أسيوط » ٠

فقيدنا العظيم سليل عائلة كريمة اشتهرت منذ وجدت بالتمسك بالشريعة الاسلامية تفهما وعملا وسلوكا ٠ وتميزت بالعلم والادب

* مفتش العلوم الدينية بالأزهر الشريفسابقا

(٢) راجع كتاب « السياسة والأزهر » لأحد انجال المرحوم فضيلة الشيخ (الأحمدى الظواهرى)

والعمق فى دراسة فقه الشريعة الاسلامية والعلوم التى لابد منها للوصول الى عمق فهمها بجميع خلفياتها •

أول ما فتح فقيدها العظيم « رحمه الله » عينيه فى حياته المباركة فتحهما فى بيئة دينية علمية أدبية أبا عن جد ، اذ أن أكثر أبناء أسرة « قراعة » ممن ولدوا قبله أو ولدوا بعده كانوا من أفاضل العلماء ، وأكابر الادباء خدموا العلم والدين مخلصين لله رب العالمين •

فى هذه البيئة الدينية العلمية الأدبية فتح « وليدنا » العلامة الشيخ «عبد الرحمن قراعة» عينيه فرأى نور الايمان يملأ أركان المنزل ، والعلم والأدب والثقافة تملأ جوانبه وكل أفراد هذه البيئة خاضعون لله ، مطيعون له ، راضون بقضائه وقدره • ملأ نور الايمان جميع جوارحهم فاستسلمت لله • كان من الطبيعى أن ينشأ « الوليد » الذى يفتح عينيه فى مثل هذه البيئة الدينية نشأة تتفق مع سلوك وآداب وعادات وتقاليد هذه البيئة التى كسبت كل قيمها من هذا النور الذى ملأ جميع جوارح أفرادها •

رأى « وليدنا » فى هذه البيئة العلم والورع والاخلاص والوفاء والاحسان الى من يعرفونهم ومن لا يعرفونهم ، والأخذ بيد المحتاج وقضاء حوائجه لديهم أو لدى غيرهم • رأى « وليدنا » كل هذه الفضائل فانعكست عليه منذ صغره فعشقها حتى أصبحت جزءا من روحه •

ولما بلغ السن التى تؤهله لبدء مرحلة التعليم وجد فى بيئته من يقوم بتعليمه وتثقيفه وانماء الآداب السامية التى امتزجت بروحه • وجد من يقوم بتعليمه لأن أكثر أبناء الأسرة علماء أفاضل ، جده المرحوم الشيخ احمد قراعة كان عالما فاضلا • ووالده المرحوم الشيخ محمود قراعة كان قاضى مديرية أسيوط •

تعلم « وليدنا » القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وجوده على يد والده ولم يكن قد جاوز التاسعة من عمره • واستمر يتلقى على يد والده مبادىء العلوم الدينية والعربية حتى بلغ الثانية عشرة من عمره • وفى هذه السن المبكرة بدأت تظهر عليه علامات الذكاء وأمارات النبوغ فوجد فى نفسه دوافع خفية تدفعه الى دراسة العلوم الشرعية والتعمق فيها ، والاقبال بجد ونشاط على العلوم العربية وفقه اللغة وآدابها التى تمكن كل من أحاط بها وتذوقها من فهم القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ بجميع ظواهرها وخلفياتها (٣) ولقد واتته الفرصة لتحقيق

---

(٣) يدل على أن من تذوق اللغة العربية وآدابها وتعمق فى دراسة معانيها ومراميها يكون أقدر على فهم القرآن الكريم والاحاطة بمعانيه السامية – من غيره ما سمعته من مشايخى (رحمهم الله) أن أعرابيا كان يمشى فى الصحراء فسمع تاليا يتلو قوله تعالى :« فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما انكم تنطقون » فهاج واضطرب وهام على وجهه مناديا بأعلى صوته : من اغضب رب السماء حتى اقدم على هذا القسم العظيم •

رغباته هذه واشباع هواياته بوصوله الى الأزهر الشريف منارة العلم والعرفان — الينبوع الذى تفضل الله « سبحانه » وأنعم به على مصر منذ أكثر من ألف عام ، تفيض من أنهاره جداول المعرفة فى كل ناحية من نواحى العلوم والفنون والثقافة الاسلامية فحفظ للمسلمين تراثهم ، وصان لغة كتابهم ، وأبان لهم معالم الحق ، وهداهم الى الصراط المستقيم .

فى الأزهر الشريف وجد « فقيدنا » العظيم ضالته ، وأقبل بعزم وحزم على تحقيق رغباته ، تتلمذ على أيدى صفوة العلماء الأجلاء شموس الأزهر المنيرة ، وملوكه المتوجين بتيجان الأزهر التى لا تقدر ، ولا يمكن أن تباع أو تشترى بأى ثمن بالغا ما بلغ ، وهى العمائم التى كانت تضفى على وجوه الأزهريين مهابة ووقارا وجلالا تعنو وجوه الأكابر أمامهم . على أيدى هؤلاء السادة الأعلام تتلمذ « فقيدنا » العظيم يغترف من فضل علومهم .

حضر دروس كبار مشايخ الأزهر ، من أمثال : أصحاب الفضيلة الشيخ ابراهيم السقا ، والشيخ عليش ، والشيخ محمد الأشمونى ، والشيخ محمد المهدى العباسى ، والشيخ محمد الانبابى ، وغيرهم وغيرهم من العلماء الفطاحل . ولم يكتف « فقيدنا » العظيم بما حصله على أيدى هؤلاء العلماء الأعلام بل كان يطلع على أمهات الكتب العربية والشرعية والأدبية الموجودة فى خزانة والده « قاضى أسيوط » ثم فى خزانته التى كونها لنفسه بعد ذلك .

طالع كتب الفقه والتفسير والحديث والأصول وعلوم اللغة العربية ، وتفرغ لدراسة الكتب الأدبية ودواوين الشعراء الفحول فى العصور الأدبية الأولى فظهرت عليه ملكة الخطابة والكتابة كما ظهر نبوغه فى قرض الشعر البليغ ، ولم يكن قد جاوز العشرين من عمره . ولكثرة ما حفظ من أشعار أصحاب المعلقات وأشعار أعلام العصر الثانى الذهبى ، أخذ فى هذه السن المبكرة يكتب الشعر فى أغراضه المختلفة من مدح وتهنئة ورثاء وحكمة واعتذار وتوسط به لدى كبار أصدقائه ومعارفه لقضاء حوائج المتوسلين به ، ووصل القمة فى شعره ولم يكن قد بلغ الثالثة والعشرين من عمره حينما قصد الأراضى المقدسة لأداء فريضة الحج فوصف رحلته هذه فى قصيدة رائعة — أبياتها ثمانية وسبعون بيتا — بعنوان « على قبر الرسول » ﷺ تحدث فيها عن رحلته من جدة الى مكة المكرمة والى المدينة المنورة وذكر فيها مشاق السفر ، ووصف ناقته التى حملته فى هذه الرحلة وصفا رائعا بأسلوب أجلى وأوضح من وصف « طرفة بن العبد » لناقته فى معلقته .

وضع « فقيدنا » العظيم (رحمه الله) فى قصيدته هذه كل أفكاره وأخيلته ، وحنينه وشوقه ومناجاته وتوبته ورجاءه فى نيل شفاعة المصطفى ﷺ وورود حوضه ، وصف كل ذلك وصفا يأخذ بمجامع القلوب .

العلامة الشيخ عبد الرحمن محمود قراعة

وانها لقصيدة رائعة تستحق التسجيل تذكرة للقراء الكرام بأن الأزهر الشريف لم يكن يخرج علماء فى الشريعة فحسب بل كان يخرج أدباء أيضا ، ويخرج علماء فى العلوم الدنيوية (٤) ٠

بدأ « فقيدنا » العظيم الذى لم يكن قد جاوز الثالثة والعشرين من عمره قصيدته بقوله :

علىّ حقوق للمطىّ الرواسم
تطالبنيها كل حين عزائمى
وما المطل من شانى ولكن حاجة
تعرض لى بين اللها والحيازم

اضيق بها ذرعا اذا ماذكرتها
وأقرع ان لم أقضها سن نادم
طهارة نفس ابتغيها لعلنى
اليق للقيا اهل تلك المعالم
وميلا عن الأهواء والبدع التى
تلطخت من جرائها بالمآثم
فيا نفس جدى فى المتاب وأخلصى
الى الله فالاخلاص أسنى المغانم
انيبى أنيبى — لا أبا لك — واقطعى
حبالك من ابناء حوا وآدم
ولا تقنطى من رحمة الله انه
كريم جزيل الفضل جم المراحم
أحط بها رحلى واغسل حوبتى
بدمع عيونى لا بدمع الغمائم

وصف الناقة

فيا ناق ان بلغتنى ذلك الحمى ... أرحتك من هذا العناء الملازم
لك الله من وجناء ترقص فى الثرى ... كرقص عذارى الحى عند الولائم

---

(٤) كان الأزهر يخرج ادباء وعلماء فى العلوم الدنيوية ايضا :
الشيخ الشرقاوى شيخ الأزهر كما كان من كبار العلماء ، وكان ايضا من كبار الأدباء له ديوان شعر باسم : مفاتح الألطاف فى مدائح الأشراف ٠
الشيخ محمد الحفنى شيخ الأزهر كان طويل الباع فى مختلف العلوم ٠ من مؤلفاته فى العلوم الدنيوية « فرائد جبرية — حاشية فى الحساب » ٠
الشيخ الدمنهورى شيخ الأزهر نبغ فى كثير من العلوم والفنون وألف فيها أيضا ومن مؤلفاته :
(أ) رسالة عين الحياة فى استنباط المياه فى الجيولوجيا ٠
(ب) القول الصريح فى علم التشريح فى الطب ٠
(ج) الدرة اليتيمة فى الصنعة الكريمة فى الكيمياء ٠
(د) عقد الفرائد فيما للمثلث من فوائد فى الهندسة .
الشيخ حسن العطار شيخ الأزهر كان يجيد كثيرا من العلوم كما كان شاعرا ايضا ٠ ومن مؤلفاته:
(أ) رسالة فى كيفية استعمال الاسطرلاب .
(ب) كتاب فى الانشاء والمراسلات ٠
(ج) ديوان شعر .
هؤلاء نماذج فى العلوم الدنيوية والادب من بين المئات من العلماء .

اذا رويت كان الهجير وراءها وان ظمئت لم تشك غلة هائم

وان أحزنت نصت وان هي أسهلت تجد وتنساب انسياب الأراقم

وان أيقظت للسير أجفان عزمها أرتك الفياف مثل أحلام نائم

وان نظمت أخفافها عند منزل نثرن حصى البيداء نثر الدراهم

كأني رام والقسي مفاوز وعنسي سهم فوقته للتساهم

متى أرم أكباد البطاح بها أصب مقاتلها موطوءة بالمناسم

تحن الى طي القفار حنينها لأم القرى من بين كل العواصم

وتابى ولو أن السماكين سخرا لها منزلا الا بشعب ابن هاشم

هنالك حيث الكون أشرق وازدهى بخير الورى والبيت سامي الدعائم

بلغت المنى يا ناق هذى بطاحها تلوح وهذا صوت سجع الحمائم

وصف مشاعره وأحاسيسه بعد الوصول الى مكة المكرمة :

وهذا هو البيت العتيق وهذه منازل أملاك السماء الأكارم

وهذا هو الركن الوثيق وهذه لعمري لعمري خير كل الزمازم

وذا حجر اسماعيل لاح وقبله مقام خليل الله أكرم قائم

فلبيك رب البيت لبيك مخلصا مجيبا منيبا موثقا بالمغارم

دعوت فلم نسمع أمرت فلم نطع نهيت فأمنا بكل المحارم

فيارب عفوا ثم عفوا وتوبة نصوحا كما يرضيك توبة نادم

ويارب أكرم بالقبول وفادتى عليك وبالغفران قابل مآثمي

وثبت على الايمان سري وظاهري وحرم على النيران لحمي كذا دمي

ومن هول يوم الدين يارب نجني وبالحق أيد حجتي في التخاصم

وبالعمل المبرور رب تولني وبالخير أحسن مبدئي وخواتمي

وصف رحلته الى المدينة المنورة ووصف عواطفه ووجدانياته نحو ساكنها عليه أفضل الصلاة والسلام :

نطوف ونسعى هاهنا ثم نثني الى الصفوة المختار من آل هاشم

الى طيبة الفيحاء والروضة التي بها باهت الأرضون كل العوالم

الى حيث أنوار النبوة أشرقت على الناس طرا عربهم والأعاجم

الى الآيــــة الكبرى على كــل جــاحد — الى الحجــة العظمى على كـل ظـــالم
الى الغـــرض الأقصى الذى ليس بعده — مــرام لــرام أو مــرام لـــــرائم
الى الحامد المحمـود أكـــرم فـــاتح — وأفضــل مبعوث وأشرف خـــاتم
الى أحمد الهــــادى البشير محمــد — الى الطاهر الماحى ظـــلام المظالم
مــن اخترق السـبع الطبـاق الى العلا — الى ربـــه حيث انتهــــاء المكارم
وزج بــه فى النـور وانكشـف الغطـا — فادرك سرا دق عــن كــل فــاهم
فسبحان من أسرى بــه مــن مقـره — الى المسـجد الأقصى مقـر الأعاظم
فـــأم جميع الأنبيـاء اشـــــارة — الى أنـــه – فى السبق – غير مزاحم
فكل نبى فهــــو تحـت لــوائه — وتـــابعه فى الــوحى من لـــد آدم
وأرســـله للانس والجــن رحمــة — بشــــيرا نذيرا مرغمــــا للمراغم

ذكر معجزاته « صــلى اللـه عليه وسلم » القرآنية والكونية :

وأيـــده بالمعجزات فــلم تـــدع — قواطعهـــا شـــكا ووهمــا لواهم
وها هى فينـــا باقيات وان مضــت — عليها قــرون بينات المعـــــالم
الى أن غــدا الدين الحنيفى ضـــاربا — سرادقــــه بين الطـــلى والجمــاجم
وكسرت الأصـــنام وانفصـمت عرى — عبادتهـــا فاشــكر صنيع القواصـم
فكم بيع قـــد هـدمت وصـــوامع — بدعوة بانى الحق أكــرم هــــادم
وكم معجــزات لا يفى نثر نــــاثر — بنشر خفاياهــــا ولا نظم نــــاظم
تضمنها القرآن والـــوحى وانطوت — عليهـــا صــدور عالم بعــد عالم
رواهــا الثقـــات الطهـر نقـل تواتر — عــن الســلف الغر التقــاة الأكارم
رأوا ما ســمعنا فاستطارت نفوسـهم — شعــاعا وآبوا الهــدى أوب نـــادم
ونـــاهيك بالقــرآن أكبر معجــز — بــه انقطعت أعنـــاق كـل مخاصـم
هو البحر ان رام الأنــام احاطــه — بـــه غرقــوا فى موجـــه المتلاطم
تحداهمـو منـــه بـــأقصر ســورة — فلـم يغنهم اغــراقهم فى المــزاعم
وباءوا بخزى صـــاغرين وخيبـــة — وعجــز وثــاروا للقنـــا والصــوارم
رأوا أن حــد الســيف ألين ملمسـا — لديهم مــن الآيـــات عنــد التصــادم
فحلوا عقــال الحــرب فـــانطلقت بهم — عمايتهم للقتــــل ثم لجــــاحم

مناجاته النبى « صلى الله عليه وسلم » :

نبى الهدى ياخير من وطىء الثرى ... وخير مصل فى الأنام وقائم
رجوتك للأمر العظيم وانما ... يرجى عظيم الأمر عند الأعاظم
دعوتك ان حانت منونى وحشرجت ... لطيفة روحى فى اللها والغلاصم
فحطنى بنور منك يهدم جيشه ... جيوش ظلام الفتنة المتراكم
دعوتك للأخرى فكن لى شافعا ... لدى الله يوم العرض يوم التزاحم
وأوردنى الحوض الذى طاف حوله ... جميع الورى بين صاد وهائم
أبا القاسم المأمون انى لاجىء ... الى جودك المنهل بابنك قاسم
وبالبضعة الزهرا البتول وبعلها ... على وبالأطهار أبناء فاطم
أأشقى ـ معاذ الله ـ بعد وفادتى ... عليك كما تشقى وفود البراجم
وأحرم من حسن القبول وهذه ... عطاياك تجرى كالغيوث السواجم
وكيف رسول الله أشقى وأنت لى ... شفيع ولو قارفت كل المآثم
خدمتك بالنزر اليسير مؤملا ... بذلك ان أحظى بميسم خادم
وجائزتى منك الشفاعة لى غدا ... وأهلى واخوانى مطيع وجارم
فسحب عطاياك الجزيلة طالما ... أرتنا الخوافى ألحقت بالقوادم
عليك صلاة مع سلام تضوعت ... بمسكهما أرجاء كل العوالم
وصحبك من فى نصرة الدين قد سخوا ... ببذل أبيات النفوس الكرائم
وآلك أعلام الهداية والتقى ... وتيجان هامات العلا والمكارم
صلاة وتسليما يدومان كلما ... جرى ذكرهم فى البدء أو فى الخواتم

هذه القصيدة الرائعة كتبها فقيدنا العظيم (رحمه الله) وألقاها على قبر رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ولم يكن قد جاوز الثالثة والعشرين من عمره .

لعل أبناءنا « طلاب الأزهر » يحفظونها وينتفعون بمافيها من ثروة لغوية ونفحات روحية قلما تجتمع الاثنتان فى قصيدة واحدة .

يتبع

توفيق اسلام يحيى

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

غزوة بدر الكبرى

لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ
مصطفى عبد الرازق
شيخ الأزهر الأسبق

إن الغزوات الكبرى فى الإسلام إذا طافت بعقل المؤمن فإنها تبعث فى نفسه نشوة بالعزة الإلهية التى اختص الله بها عباده المؤمنين.

وغزوة بدر الكبرى تتجلى فيها مثل من السياسة النبوية الحكيمة، ونماذج من الأخلاق الإسلامية الكريمة، وتتجلى فيها الإيمان يتنزل ملائكة السماء إلى الأرض ولا يعرف نتيجة لهذه الغزوة إلا واحدة من اثنتين: النصر أو الشهادة لأن حلاوة الإيمان طغت على حب الدنيا وزخرفها. فخرج المجاهدون الأول - على قلتهم - وفى قلب كل منهم عزيمة عشرين رجلاً.

إنها دفعة الإسلام وحلاوة الإيمان إذا مس شغاف القلب.

قال الأستاذ الشيخ

فى شهر رمضان انزل القرآن الكريم ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾[1]، وفى شهر رمضان وقعت غزوة بدر، وغزوة بدر فرقان أيضاً.

وفى السنة الثانية من الهجرة فرض صوم رمضان، فى شعبان، وفى هذه السنة وقعت غزوة بدر الكبرى يوم الجمعة صبيحة السابع عشر من رمضان.

وبدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة.

ويوم بدر هو يوم الفرقان الذى أمد الله فيه نبيه والمسلمين بالملائكة. وهو يوم الفرقان الذى أعز الله فيه الإسلام وأهله، ودمغ فيه الشرك وأذله، هذا مع قلة عدد المسلمين، وكثرة العدو، وما كانوا فيه من سوابغ الحديد والعدة الكاملة، والخيول المسومة، فأعز الله رسوله، وأظهر وحيه وتنزيله، وبيض وجه النبى ﷺ، وأخزى الشيطان، ولهذا قال تعالى ممتنا على عباده: ﴿ وَلَقَدْ

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٥.

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

نصركُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٢] أى قليل عددكم ، فقد كانت هذه أعظم غزوات الإسلام ، إذ منها كان ظهوره ، وبعد وقوعها أشرق فى الآفاق نوره ، ومن حين وقوعها أذل الله الكفار ، وأعز من حضرها من المسلمين ، فهم عند الله من الأبرار .

سمع رسول الله ﷺ بأبى سفيان بن حرب مقبلاً من الشام فى عير لقريش عظيمة فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم ، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون أو سبعون ، وكانت العير زهاء الف بعير ، وفى أحمالها من التمر والشعير والبر والزبيب وغير ذلك ، وهى العير التى كان فيها أبو سفيان مع جمع من قريش خرجوا من مكة إلى الشام ، وكان ﷺ خرج إليها وسار يقصدها فلم يدركها ، فرجع إلى المدينة وتحين قفولها من الشام ، فلما سمع بأبى سفيان مقبلاً فى عيره من الشام ، ندب المسلمين إليهم وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها ، فخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً .

قال الواقدى : وأسرع من أسرع حتى إن الرجل ليساهم أباه فى الخروج ، فكان ممن ساهم سعد بن خيثمة وأبوه فى الخروج إلى بدر ، فقال سعد لأبيه : إنه لو كان غير الجنة آثرتك به ، إنى لأرجو الشهادة فى وجهى هذا . قال الأب : آثرنى ، وقر مع نسائك . فأبى سعد ، فقال الوالد : إنه لابد لأحدنا من أن يقيم . فاستهما ، فخرج سهم سعد ، فقتل ببدر . وأبطأ عن النبى ﷺ بشر كثير من أصحابه ، كرهوا خروجه ، وكان فيه كلام كثير واختلاف . وكان من تخلف لم يُلَم ، لأنهم ما خرجوا على قتال ، إنما خرجوا للعير ، وتخلف قوم أهل نيات وبصائر لو ظنوا أنه يكون قتال ما تخلفوا .

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار ويسأل من لقى من الركبان حتى أصاب خبراً من بعض الركبان ، أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ، فحذر عند ذلك ، واستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى ، فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتى قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها فى أصحابه .

وقد رات عاتكة بنت عبد المطلب ، قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال ، رؤيا أفزعتها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت : ياأخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتنى ، وتخوفتُ أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فاكتم عنى

(٢) سورة آل عمران الآية ١٢٣ .

غزوة بدر الكبرى

ما أحدثك به ؛ فقال لها : ومارأيت ؟ قالت : رأيت راكباً اقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : الا انفروا يالَغُدُر[٣] لمصارعكم فى ثلاث ! فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مَثَل به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : الا انفروا يالَغُدُر لمصارعكم فى ثلاث ! ثم مَثَل به بعيره على رأس أبى قُبَيْس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تهوى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضّت ، فما بقى بيت من بيوت مكة ، ولادار إلا دخلتها منه فِلقة .

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ! وأنتِ فاكتميها ، ولاتذكريها لأحد . ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان صديقا له ، فذكرها له واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث بمكة حتى تحدثت به قريش فى أنديتها .

وخرج رسول الله ﷺ من المدينة فى ليالٍ مضت من شهر رمضان وضرب عسكره ببئر أبى عنبسة ، وهى على ميل من المدينة ، فعرض أصحابه وردّ من استصغر .

وروى الواقدى عن عامر بن سعد عن أبيه قال : رأيت أخى عمير بن أبى وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يتوارى ، فقلت : مالك ياأخى ؟ قال : إنى أخاف أن يرانى رسول الله ﷺ ويستصغرنى فيردَّنى وأنا أحب الخروج ، لعل الله يرزقنى الشهادة ! قال : فعرض على رسول الله ﷺ فاستصغره ، فقال : ارجع ، فبكى عمير ، فأجازه رسول الله ﷺ ؛ قال : فكان سعد يقول : كنت أعقد له حمائل سيفه من صغره ؛ فقتل فى بدر وهو ابن ست عشرة سنة .

وكانت إبل أصحاب رسول الله ﷺ ، يومئذ سبعين بعيراً ، فكانوا يتعاقبون الثلاثة والأربعة والاثنان على بعير ، وكان لرسول الله ﷺ زميلان ، فكان إذا كانت عقبة[٤] النبى ﷺ قالا : اركب حتى نمشى عنك ، فيقول : « ما أنتما بأقوى منى على المشى ، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما » . وقال رسول الله ﷺ وهو فى طريقه إلى بدر مع أصحابه : « اللهم إنهم حفاة فاحملهم ، وعراة فاكسهم ، وجياع فأشبعهم ، وعالة فأغنهم من فضلك ! » فما رجع أحد منهم يريد أن يركب إلا وجد ظهرا : للرجل البعير والبعيران ، واكتسى من كان عارياً ، وأصابوا طعاماً من أزوادهم ، وأصابوا فداء الأسرى ، فأغنى به كل عائل .

ثم أقبل أبوسفيان حتى تقدم العير حذراً ، حتى ورد الماء ، فقال لمجدى ابن عمرو : هل أحسست أحدا ؟ قال : ما رأيت أحداً أنكره ، إلا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ، ثم استقيا فى شن لهما ، ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناخهما ،

---

(٣) يالغدر : بفتح لام الاستغاثة لوقوع المنادى موقع الاسم المضمر وضم الغين والدال جمع غدور .

(٤) فى القاموس : العقبة بالضم : النوبة والبدل .

فأخذ من أبعار بعيريهما ، ففته ثم شمه ، فإذا فيه النوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب ! فرجع إلى أصحابه سريعاً ، فضرب وجه عيره عن الطريق فساحل[5] بها ، وترك بدراً بيسار ، وانطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجُحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب ابن عبد مناف رؤيا فقال : إنى رأيت فيما يرى النائم ، وإنى لبين النائم واليقظان ، إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ، ومعه بعير له ، ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة ابن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية ابن خلف ، وفلان وفلان ، فعدد رجالاً ممن قتل يوم بدر ، من أشراف قريش ، ثم رأيته ضرب فى لبة[6] بعيره ، ثم أرسله فى العسكر ، فما بقى خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه . قال : فبلغت أبا جهل فقال : وهذا أيضاً نبى آخر من بنى المطلب ! سيعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا .

وكان بين طالب بن أبى طالب - وكان فى القوم - وبين بعض قريش محاورة ، فقالوا : والله لقد عرفنا يابنى هاشم ، وإن خرجتم معنا ، إن هواكم لمع محمد ! فرجع طالب إلى مكة مع من رجع ، ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادى . فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر ، فنزل به ، وذكروا أن الحباب ابن المنذر قال : يارسول الله ! أرأيت هذا المنزل ، أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ! فقال : يارسول الله ﷺ فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس ، حتى تأتى أدنى ماء من القوم ، فتنزله ثم تغور ما وراءه من القلب ، ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ، فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرت بالرأى .

ثم إن سعد بن معاذ قال : يانبى الله ، ألا نبنى لك عريشا تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا ، فقد تخلف عنك أقوام ، يانبى الله ، ما نحن بأشد لك حبا منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك . فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيرا ، ودعا له بخير ؛ وبنى للنبى ﷺ عريش ، فكان فيه ؛ ثم عدل رسول الله ﷺ الصفوف ، ورجع إلى العريش ، فدخله ، ومعه فيه أبو بكر الصديق ليس معه فيه غيره .

وجاء فى كتاب الجهاد من صحيح مسلم : قال عمر بن الخطاب : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلثمائة وتسعة عشر رجلاً ، فاستقبل نبى الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه : اللهم أنجز لى ما وعدتنى ! اللهم

←

---

(٥) ساحل بها : أى أخذ بها جهة الساحل .

(٦) اللبة : اللهزمة التى فوق الصدر وفيها تنحر الابل .

غزوة بدر الكبرى

آت ما وعدتنى ! اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض ! فمازال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ؛ فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال : « يانبى الله ! كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٧) فأمده الله بالملائكة . وقد خفق رسول الله ﷺ خفقة وهو فى العريش ثم انتبه مبتسماً فقال : ابشر ياأبا بكر ، أتاك نصر الله ! هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده ، على ثناياه النقع « يريد الغبار » .

ثم خرج رسول الله ﷺ وهو يثب فى الدرع ويقول : سيهزم الجمع ويولون الدبر ، فحرضهم وقال : والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة ! فقال عمير بن الحمام ، أخو بنى سلمة ، وفى يده تمرات يأكلهن : بخ بخ ! أفما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ؟ ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل ، وهو يقول :

ركضـا إلى الله بغير زاد
إلا التقى وعمل المعاد
والصبر فى الله على الجهاد
إن التقى من أعظم السداد

وقال النبى يومئذ لأصحابه : إنى قد عرفت أن رجالاً من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها ، ولا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقى منكم أحدا من بنى هاشم فلا يقتله ، ومن لقى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فلا يقتله ، فإنه إنما أخرج مستكرها . قال أبو حذيفة : أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخوتنا وعشيرتنا ، ونترك العباس ! والله لئن لقيته لالحمنه السيف ! فبلغت رسول الله ﷺ ، فقال لعمر بن الخطاب : ياأبا حفص ـ قال عمر : والله إنه لأول يوم كنانى فيه رسول الله ﷺ بأبى حفص ـ أيضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف ؟ فقال عمر : يارسول الله دعنى فلأضرب عنقه بالسيف ، فوالله لقد نافق ! فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفاً ، إلا أن تكفرها عنى الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيداً .

وقاتلت الملائكة يوم بدر ، قال ابن عباس : ولم تقاتل فى يوم سواه ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لا يضربون . وقيل لم تقاتل الملائكة فى يوم بدر ولا غيره ، وإنما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين ، وإلا فملك واحد يكفى فى إهلاك أهل الدنيا ، وإن جبريل أهلك بريشة واحدة من جناحه مدائن قوم لوط ، وأهلك ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة .

وكان المشركون يسمعون صهيل خيلهم ولا يرونها .. وعن أبى أمامة قال : قال لى

(٧) سورة الأنفال : ٩ و١٠

ابى : لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف .

وقال عكرمة : كان يومئذ يندر رأس الرجل ولا يدرى من ضربه ، وتندر يد الرجل ولا يدرى من ضربه .

وروى أن رجلاً من الأنصار اتبع كافرا ليقتله ، فقبل أن يصل إليه سمع صوتا يقول : أقدم حيزوم ! فرأى الكافر الذى قدامه وقع صريعا وقد شق وجرح وجهه وانكسر انفه : فجاء الأنصارى إلى النبى ﷺ ، فأخبره بما رآه ، فقال عليه السلام : صدقت ! ذلك من مدد السماء .

وأمر رسول الله ﷺ ، بالقتلى من صناديد قريش أن يطرحوا فى القليب ، فطرحوا فيه .

ويقال لما القوهم فى القليب ، وقف عليهم رسول الله ﷺ ، فقال : ياأهل القليب ! بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم ! كذبتمونى وصدقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس . ياأهل القليب ! هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقاً ! قال له أصحابه : يارسول الله ! أتكلم قوماً موتى ؟ فقال لهم : لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق ، وسمع عمر رضى الله عنه ، قول النبى ﷺ ، فقال : يارسول الله ! كيف يسمعوا وأنى يجيبوا ؟ فقال النبى : والذى نفسى بيده ما انتم بأسمع لما أقول منهم !

ولما امر رسول الله ﷺ بهم أن يلقوا فى القليب أخذ عتبة بن ربيعة ، فسُحب إلى القليب ، فنظر رسول الله ﷺ ، فى وجه أبى حذيفة بن عتبة ، فإذا هو كئيب قد تغير ، فقال : ياأبا حذيفة « لعلك قد دخلك من شأن ابيك شىء » . قال : « لا والله يارسول الله ، ماشككت فى أبى ولا فى مصرعه ، ولكن كنت اعرف من ابى رأيا وحلماً وفضلاً ، فكنت ارجو ان يهديه ذلك للإسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت مامات عليه من الكفر ، بعد الذى كنت أرجو له ، أحزننى ذلك ، فدعا له رسول الله ﷺ بخير ، وقال له خيراً .

ولما فرغ رسول الله ﷺ من بدر فى آخر رمضان وأول يوم من شوال ، بعث زيد بن حارثة بشيراً فوصل المدينة ضحى ، وقد نفضوا أيديهم من تراب رقية ؛ قال اسامة ابن زيد : « فأتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله خلفنى عليها مع زوجها عثمان » . ثم اقبل رسول الله قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين وهم أربعة وأربعون ؛ وكان فى الأسارى العباس بن عبد المطلب ، فسهر النبى ﷺ ليلة ، فقال له بعض أصحابه : ما يسهرك يانبى الله ؟ فقال : أنين العباس ! فقام رجل من القوم فأرخى من وثاقه ، فقال رسول الله ﷺ : مابالى ، ما أسمع أنين العباس ؟ فقال رجل من القوم : إنى أرخيت من وثاقه شيئاً ، قال : « فافعل ذلك بالأسارى كلهم » . وكان فى الأسارى أيضاً أبو العاص ابن الربيع ختن رسول الله ﷺ ، وزوج ابنته زينب ، وكان ﷺ يثنى عليه فى صهره خيراً ، وكان من رجال مكة المعدودين مالاً وأمانة وتجارة ، وهو ابن اخت خديجة ، وخديجة سألت رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحى أن يزوجه ، وكان لا يخالفها ، فزوجه ، وكانت تعده بمنزلة ولدها ، فلما أكرم الله رسوله

غزوة بدر الكبرى

بنبوته آمنت به خديجة وبناته ، وثبت أبو العاص على شركه .

وكان الإسلام قد فرق بين زينب وبين أبى العاص ، إلا أن رسول الله ﷺ كان لا يقدر أن يفرق بينهما ، فأقامت زينب مع زوجها على إسلامها ، وهو على شركه ، فلما سارت قريش إلى بدر ، سار فيهم أبو العاص فأصيب فى الأسارى ، فلما بعث اهل مكة فى فداء أسراهم ، بعثت زينب فى فداء أبى العاص بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها ، كانت خديجة ادخلتها بها على أبى العاص حين بنى بها ، فلما رآها رسول الله رق لها رقة شديدة ، وقال : إن رايتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها ، فافعلوا . قالوا : نعم يارسول الله ! فأطلقوه وردوا عليها الذى لها .

ولما تقرر أمر الأسارى على الفداء بعد أن شاور النبى عليه السلام اصحابه ، وكان بعض أولئك الأسارى فقراء لا يحصل منهم شىء ، من عليهم واطلقهم وأخذ عليهم العهد أن لا يعودوا إلى حرب المسلمين ، وكان بعض من فقرائهم يعلمون الخط والكتابة ، فقرر عليهم ان يعلم كل واحد منهم عشرة من غلمان الانصار الخط ، فإذا حذقوا فهو فداؤه . ووضع على الأغنياء منهم الفداء بقدر قدرتهم وغنائهم ، ولا يكون فداء احد منهم أقل من الف درهم ولا أكثر من أربعة آلاف درهم .

واستشهد من المسلمين يوم بدر مع رسول الله ﷺ أربعة عشر رجلاً ؛ وأما قتلى المشركين فيقول ابن هشام : هم سبعون ، والأسرى كذلك سبعون .

اللغة والأدب والنقد

أصل العرب ولغتهم

والرافعي في شهر الصيام

الربعي وآراؤه النحوية



أصل العرب
ولغتهم بين الحقائق والأباطيل

للأستاذ الدكتور
عبد الغفار حامد هلال

رابعاً : مهاجمة الاحساس بشرف اللغة العربية :

يحبذ الدكتور لويس عوض أن يكون الساميون قد تكلموا باللغات الهندية الأوروبية حتى على افتراض المستحيل عنده وهو أن يكون الساميون نبعوا من شبه الجزيرة وهو يقصد من وراء ذلك إلى الغض من شأن مكان اللغة العربية . والقول بأنها واحدة من اللغات التى نزلت بها الكتب المقدسة من ناحية . وأن ما يقال عن إعجاز القرآن لا يعدو أن يكون فى صرف الله قلوب العرب عن محاولة الإتيان بمثله . ومن ثم هاجم الإحساس بشرف اللغة العربية وسماه تطرفاً .

ومن هنا أيضاً يشير إلى آثار اليونانية والرومانية والإيرانية فى اللغة العربية[1] ليرد على من ينظر إلى الألفاظ الأجنبية الموجودة فى القرآن الكريم نظرهم إلى شىء بخس وهو فى كل ذلك ينطلق من المبدأ السابق بأن الساميين كانوا يتحدثون لغة ميدية سيكذية ، ويناقشه الدكتور عبد الغفار فى مدعاه بأنه إذا كان هناك تشابه بين اللغات السامية والمجموعة الهندية الأوروبية فإنه أمر معترف به . ولكن مسافة الخلف تبقى كبيرة وإذا كان هناك تشابه بين الحامية المصرية[2] واللغات السامية فإن جمهرة العلماء يرجعونها إلى عائلة اللغات السامية لوجود خصائص مشتركة . وهناك فروق جوهرية بين العائلتين السامية والهندية الأوروبية توضح أن كلا منهما قسم قائم برأسه . وقد عرض الدكتور عبد الغفار هلال لهذه الفروق . وهى تمس فى الجوانب الصوتية والصرفية والاشتقاقية والنحوية .

الفصل الثانى ومفترياته :

وفيه عرض الدكتور لويس عوض لمشكلة

---

(١) المقدمة ص ٤١ ، ٤٢

(٢) للعلامة أحمد كمال باشا أمين المتحف المصرى معجم مخطوط عن أثر العربية فى المصرية القديمة ، هذا المعجم حورب حرباً شعواء لكى لا يرى النور مطبوعاً ، ولا زال على هذه الحال بغير طبع حتى الآن ، ولدى الأستاذ المستشار محمد عزت الطهطاوى الكاتب بالمجلة معرفة بتطورات هذا الأمر ... مجلة الأزهر



عـرض
الدكتور/ عبد المنعم النجار

اللغة ونظرية (اللوجـوس) وحاول أن يتسلل - من خلال عرضه لبعض النظريات الغربية التى زعم أن لها ارتباطاً بالإسلام - إلى قضية إعجاز القرآن وصلته باللغة العربية متهماً العرب وعلماءهم بالعنصريـة أو العصبية .

ولما كانت قضية إعجاز القرآن قضية رئيسية من قضايا البحث الدينى واللغوى على سواء فقد آثر الدكتور عبد الغفار أن يكون من أول المباحث التى يتناولها مبرزاً المغالطات الكبيرة التى وقع فيها الدكتور لويس عوض وموضحاً خفايا توجيهاته الملتوية فيها :-

أولاً : نشأة اللغة وخلق القرآن :

حاول الدكتور لويس عوض أن يفلسف لآراء علماء العرب فى نشأة اللغة وذهب فى هذه الفلسفة مذاهب غريبة تصور - فى زعمه - مدى التعصب الذى وقع فيه العرب الذين حملوا رسالة الإسلام . وحاول الطعن على اللغة العربية من خلال طعنه فى إعجاز القرآن الكريم .

وقد عرض لمشكلة خلق القرآن وآراء المعتزلة وأهل السنة فى ذلك وحاول - دائماً - أن يلقى التبعة على أهل السنة .

الدكتور لويس عوض نظرا لفهمه الذاتى يرى أن الكلام هو الكلام المنطوق . وأهل السنة إنما يريدون الكلام الذى هو صفة أزلية قديمة قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت منزهة عن التقدم والتأخر والإعراب والبناء ومنزهة عن السكوت النفسى بألا يدير فى نفسه الكلام مع القدرة عليه وعلى هذا فهم يقصدون المعنى النفسى ويؤيد الدكتور عبد الغفار هذا الفهم بقول ابن رشد[٣] إن الأشعرية خافوا أن تكون ذات الله محلاً للحوادث فاعتقدوا أن المتكلم هو الذى يقوم الكلام بذاته وأن الكلام بالنسبة لله سبحانه صفة قديمة كالعلم وهذا يصدق على الكلام النفسى لا اللفظى .

وعلى هذا فالقائلون بقدم القرآن لم يكونوا يقصدون الازدواجية التى تؤدى إلى وجود قديمين متداخلين على حد نظرية اللوجوس . وإنما يريدون تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الحوادث .

أما ربطه لنشأة اللغة العربية وقدمها وحداثتها بالقول بقدم القرآن وحداثته فلا يجد دليلاً عليه لأن القول بقدم القرآن خاص بالمعنى النفسى .

والقول بقدم اللغة وأنها وحى ليس أمراً خاصاً بالعرب على أن علماء العربية الذين تداولوا نشأة اللغة لا يقصدون العربية وحدها ، بل يتحدثون عن اللغات بصورة عامة ومنهم من ترك الخوض فى مسألة نشأة اللغة .



(٣) مناهج الأدلة فى عقائد الملة لابن رشد ص ١٦٤

أصل العرب ولغتهم

والعلامة ابن جنى يرجح الرأى القائل بأنها صادرة عن محاكاة الأصوات .

وقد رأى الدكتور لويس عوض أن أمر العرب قائم على العصبية وأرجع ذلك إلى عقيدة الإسلام .

والقصد من وراء ذلك الغض من شأن القرشية بخاصة والعربية بعامة والغض من أصحاب تلك اللهجة التى نزل بها القرآن الكريم .

والواقع أنه تناقض مع نفسه فالقرشية قد سادت لأمور أهلتها للريادة .. أمور دينية .. اقتصادية .. سياسية ويضاف إلى ذلك أنهم تخيروا من لهجات العرب أحسنها وأصفاها كما ذكر العلامة ابن فارس والقرآن نفسه مع ذلك لم يقف عند القرشية وحدها بل أخذ من اللهجات الأخرى . وقد ذكر ذلك الأستاذ الدكتور عبد الغفار هلال .

ثانياً : الألفاظ الأعجمية فى القرآن الكريم :

وقد تعرض الدكتور لويس لوجود الأعجمى فى القرآن الكريم واتهم الذين ينفون دخول ألفاظ أعجمية فى القرآن الكريم بالعصبية كالإمام الشافعى والواقع أن علماء العربية عندما بحثوا هذه القضية لم يكونوا متعصبين . كما ذهب الدكتور لويس ومن هنا يدحض الدكتور عبد الغفار فريته بالأمور الآتية :

(١) أن محاولة البحث فى الألفاظ ونسبتها إلى بيئة أصلية محل الزلل فى كثير من الأحيان فقد يتصور باحث أن كلمة من الكلمات أصلها انجليزى ثم يتضح فيما بعد أن لها أصلاً آخر .

(٢) أن اللفظ المقول بأعجميته قد يكون عربياً فى الأصل لا يعلم عربيته إلا بعض العرب ممن بلغهم علمه والقرآن الكريم نطق فى كثير من الآيات بما يدل على خلوه من الأعجمى .

(٣) ما جاء من الأعجمى موافقا للعربى يعد من باب توافق اللغات كما ذكر أبو عبيدة : وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه ومعناهما واحد أحدهما بالعربية والآخر بالفارسية .

ويأتى أبو عبيد القاسم بن سلام تلميذ أبى عبيدة معمر بن المثنى اللغوى السابق ذكره ليوفق بين المانعين والمثبتين فيقول : والصواب عندى مذهب فيه تصديق القولين جميعاً . وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية ، كما قال الفقهاء لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال إنها عربية فهو صادق ومن قال إنها أعجمية فهو صادق .

وابن فارس حين عرض لآراء العلماء فى قضية وقوع المعرب فى القرآن الكريم صرح بأن اختلاف الرأى أمر يرد فى كل بحث علمى وأنه لا مانع من الاختلاف فذلك شىء طبيعى[٤] وعلى هذا يبقى اتهام الدكتور لويس لفقهاء اللغة العربية بالتعصب أمراً غير موضوعى وكل النقاط التى أثارها مردودة وكنا نربأ به ألا ينزلق ولكن الحقد على العربية والإسلام قاده إلى تلك المزالق ..

---

(٤) الصاحبى فى فقه اللغة لابن فارس ص ٤١٤ وما بعدها .



٢

للدكتور/ سعد منصور عرفة *

ثانيا : رأيه فى اعراب الأسماء الستة

الأسماء الستة هى : أب . أخ . حم . فم . هن . ذو « بمعنى صاحب » .

وقد اختلف علماء النحو فى إعرابها على اثنى عشر مذهبا ، وسوف أوجز هذه المذاهب اتماما للفائدة .

الأول : وهو المشهور لقطرب والزيادى والزجاجى من البصريين ، وهشام من الكوفيين أن هذه الأسماء معربة بالواو رفعا والألف نصبا والياء جراً ، وهذه الأحرف هى نفسها علامات الإعراب وأنها نائبة عن الحركات .

وقد أيد هذا المذهب بأن الإعراب إنما جىء به لبيان مقتضى العامل ، ولا فائدة فى جعل مقدر متنازع فيه دليلاً وإلغاء ظاهر واف بالدلالة المطلوبة .

وقد أيد الرضى هذا الرأى فى شرح الكافية .

ولم يسلم هذا المذهب من الاعتراض ، فقد اعترض عليه بثبوت الواو قبل العامل وبأن الإعراب زائد على الكلمة فيؤدى إلى بقاء « فيك وذى مال » على حرف واحد وصلاً وابتداء وهما معربان وذلك لا يوجد إلا شذوذاً .

الثانى : وهو مذهب سيبويه والفارسى وجمهور البصريين ، وصححه ابن مالك وابنه وأبو حيان وابن هشام وغيرهم من المتأخرين أنها معربة بحركات مقدرة فى الحروف ، وأنها اتبع فيها ما قبل الآخر للآخر .

واستدل لهذا القول بأن أصل الإعراب أن يكون بحركات ظاهرة أو مقدرة فإذا أمكن التقدير مع وجود النظير لم يعدل عنه .

←


* الكاتب : أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية/جامعة الأزهر

الربعى وآراؤه النحوية

الثالث : وهو مذهب المازنى والزجاج أنها معربة بالحركات التى قبل الحروف ، وهذه الحروف متولدة من إشباع حركات الحروف .

وهذا المذهب مردود بأن باب الإشباع لا يكون إلا فى الشعر ، وببقاء « فيك » وذى مال على حرف واحد .

الرابع : مذهب الكسائى والفراء أنها معربة من مكانين بالحركات والحروف معاً ، ورد بأنه لا نظير له عند النحويين .

الخامس : مذهب الجرمى أنها معربة بالتغير والانقلاب حالتى النصب والجر وبعدم ذلك حالة الرفع . ورد هذا الرأى بعدم النظير أيضاً .

السادس : مذهب السهيلى والرندى أنها مقسمة فـ « فوك » و« ذومال » معربان بحركات مقدرة فى الحروف ، والباقى معرب بالحروف .

السابع : وهو عكس السادس .

الثامن : مذهب الأخفش أن الحروف دلائل إعراب ، وقد تفرع هذا المذهب إلى مذهبين :

١ ـ مذهب الزجاج والسيرافى أنها معربة بحركات مقدرة فى الحروف التى قبل حروف العلة ومنع من ظهورها كون حروف العلة تطلب حركات من جنسها .
٢ ـ مذهب ابن السراج أنها حروف إعراب ، والإعراب فيها لا ظاهر ولا مقدر فهى دلائل إعراب بهذا التقدير .

وإذا اعتبرنا كل واحد من المذهبين مذهباً مستقلاً يكون مجموع المذاهب إلى هنا عشرة .

الحادى عشر : مذهب الأعلم وابن أبى العافية أنها معربة بالحركات التى قبل الحروف ، وليست منقولة بل هى الحركات التى كانت فيها قبل أن تضاف ، فثبتت الواو فى الرفع لأجل الضمة ، وانقلبت ياء لأجل الكسرة ، وألفا لأجل الفتحة .

وهذا المذهب ضعيف ، لأن هذه الحروف إن كانت زائدة فهو المذهب الثالث ، وقد عرفنا ضعفه .

وإن كانت لامات لزم جعل الإعراب فى العين مع وجود اللام ، والإعراب لا يكون إلا فى آخر الكلمة .

الثانى عشر : وهو مذهب شيخنا العلامة الربعى أنها معربة بحركات منقولة من حروف العلة إلى ما قبلها وانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ، وألفا لانفتاحه ، كما فى « ياجل » .

وهو مذهب ضعيف كسوابقه ما عدا الأول المشهور والثانى الصحيح ، لأن شرط النقل الوقف وصحة المنقول منه .

مما تقدم يتضح لنا أن للربعى رأياً فى إعراب الأسماء الستة ، وهو ـ وإن كان رأيا ضعيفاً إلا أنه يجعل الربعى من العلماء الذين يدلون بدلوهم فى الأحكام النحوية ، ولا يفت فى عضده ضعف رأيه فى هذه المسألة ، فقد ضعف رأى سيبويه وهو من هو بين علماء العربية ، وكذا غيره كابن السراج والأخفش والفارسى وغيرهم .

ثالثاً : رأيه فى فاعل « كفى » وما عطف عليه

تزاد الباء ـ غالباً ـ فى فاعل « كفى » نحو قوله تعالى ﴿ قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ (الرعد ٤٣) وذهب الزجاج إلى أن الباء دخلت لتضمن « كفى » معنى « اكتف » وقد استحسنه ابن هشام فى المغنى .

ولا تزاد الباء فى فاعل « كفى » التى بمعنى أجزأ وأغنى ، ولا التى بمعنى وقى ، والأولى متعدية لواحد كقول الشاعر :

قليل منك يكفينى ، ولكن
قليلـك لا يقـال لـه قليـل

والثانية متعدية لاثنين كقوله تعالى ﴿ وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ (الأحزاب ٢٥) وقوله ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ ﴾ (البقرة ١٣٧) .

وقال ابن هشام : ووقع فى شعر المتنبى زيادة الباء فى فاعل « كفى » المتعدية لواحد ، قال :

كفى ثعلاً فخراً بأنك منهم
ودهر لأن أمسيت من أهله أهل[1]

ولم أر من انتقد عليه ذلك ، فهذا إما لسهو عن شرط الزيادة ، أو لجعلهم هذه الزيادة من قبيل الضرورة ، أو لتقدير الفاعل غير مجرور بالباء . واختلف فى إعراب « دهر » فذهب ابن جنى إلى أنه مرفوع بالفاعلية لفعل محذوف دل عليه ما تقدم من الكلام ، والتقدير : وليفخر دهر . وجوز ابن الشجرى فيه ثلاثة أوجه :ـ

الأول : أنه مبتدأ محذوف الخبر ، وتقديره : ودهر يفتخر بك ، وساغ الابتداء بالنكرة لأنها موصوفة بقوله « أهل » .

الثانى : أنه معطوف على فاعل « كفى » أى فخروا بكونه منهم وفخروا بزمانه لنضارة أيامه .

الثالث : أن تجره بعد أن ترفع « فخراً » على تقدير كونه فاعل « كفى » والباء متعلقة بـ « فخر » لا زائدة ، وهو مجرور بالعطف ، وتقدر « أهلاً » خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هو . وزعم المعرى أن « دهر » منصوب بالعطف على « ثعلا » والتقدير : كفى ثعلا ودهرا .

قال ابن هشام : ولا يخفى ما فيه من التعسف .[2]

أما شيخنا الربعى فقد ذهب إلى أن « دهر » منصوب بالعطف على اسم « أن » وقوله « أهل » معطوف على خبرها .

قال ابن هشام : ولا معنى للبيت على تقديره .[3]

رابعاً : رأيه فى إعراب المستثنى بخلا

« خلا » من أدوات الاستثناء التى قد تستعمل حرفاً وقد تستعمل فعلاً ، ومثلها فى الحكم عدا وحاشا .

فإذا لم تسبقها « ما » المصدرية جاز أن تستعملها حرف جر للمستثنى ، تقول : قام القوم خلا زيد ، ومنه قول الشاعر :

←

(١) اللغة : ثعل : رهط الممدوح وهم بطن من طيء .
(٢) انظر المغنى لابن هشام جـ ١ ص ١١٤ .
(٣) المرجع السابق .

خلا الله لا أرجو سواك وإنما
أعد عيالى شعبة من عيالكا

قال الأشمونى : وهذا الاستعمال جائز وإن كان قليلاً .(٤)

ثم قيل : موضعها نصب لتقدم الكلام التام الموجب عليها ، قال الأشمونى : وهو الصواب .(٥) ووافقه ابن هشام .(٦)

وقيل : تتعلق بما قبلها من فعل أو شبهه على قاعدة أحرف الجر .

والراجح ما صوبه الأشمونى وابن هشام ، لأنها لا تعدى الأفعال إلى الأسماء أى لا توصل معناها إليها كما هو الحال فى حروف الجر ، بل تزيل معناها عنها ، فأشبهت فى عدم التعدية الحروف الزائدة ، ولأنها بمنزلة « إلا » وهى غير متعلقة .

أقول إذا لم تسبق بـ «بما » المصدرية جاز أن تستعمل حرف جر للمستثنى ، وجاز أن تستعمل فعلاً ناصباً للمستثنى ، ومثال استعمالها فعلاً : قام القوم خلا زيداً ، وفاعلها إما ضمير مستتر عائد على مصدر الفعل المتقدم عليها كما يقول الكوفيون ، أو اسم فاعله أو البعض المفهوم من الاسم العام كما يقول البصريون ، فإذا قيل : قام القوم خلا زيدا فالمعنى جانب هو أى قيامهم أو القائم منهم أو بعضهم زيدا .(٧)

وقد أيد العلامة الرضى مذهب الكوفيين حيث قال : وفاعل « خلا وعدا » عند النحاة « بعضهم » وفيه نظر ، لأن المقصود فى جاءنى القوم خلا زيداً وعدا زيدا أن « زيدا » لم يكن معهم أصلاً ، ولا يلزم من مجاوزة بعض القوم إياه وخلو بعضهم منه مجاوزة الكل وخلو الكل ، فالأولى أن تضمر فيها ضميراً راجعاً إلى مصدر الفعل المتقدم ، أى جاءنى القوم خلا مجيئهم زيداً كقوله تعالى : ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾(٨) فيكون مفسر الضمير سياق الكلام .(٩)

وأيد الصبان البصريين حيث قال : والأصح أن مرجعه البعض المدلول عليه بكله السابق ، ونظر فيه الرضى بأنه لا يفيد المقصود ، لأن مجاوزة البعض لزيد فى قولك : قام القوم خلا زيداً لا يلزم منها مجاوزة الكل ، وأجيب بأن البعض مبهم ومجاوزته لا تتحقق إلا بمجاوزة الكل ، وبأن المراد بالبعض ماعدا المستثنى .

ثم قال : ولى ههنا احتمال ، وهو أن يكون مرجع الضمير فى خلا وعدا وحاشا نفس الاسم السابق لكن التزم فيه التذكير والإفراد ليكون الاستثناء بها كالاستثناء بـ « إلا » ولجريان ذلك مجرى الأمثال التى لا تغير ، كما قالوه فى « حبذا زيد » حيث التزم تذكير اسم الإشارة وإفراده لذلك ولا يرد على هذا تنظير الرضى .(١٠)

---

(٤) انظر شرح الأشمونى جـ ٢ ص ١٦٣ .
(٥) المرجع السابق .
(٦) انظر المغنى لابن هشام جـ ١ ص ١٤٢ .
(٧) انظر المغنى جـ ١ ص ١٣١ ، والهمع جـ ١ ص ٢٣٣ .
(٨) سورة المائدة آية ٨ .
(٩) انظر شرح الكافية للرضى جـ ١ ص ٢٣٠ .
(١٠) انظر حاشية الصبان على الأشمونى جـ ٢ ص ١٦٣ .

وهذا الذى ذهب إليه الصبان احتمال وجيه ، وذلك لأن عود الضمير على مذكور فى الكلام هو الأصل ، وإن كان قد التزم فيه الإفراد والتذكير لتكون « خلا » بمثابة « إلا » .

أما إذا سبقت « خلا » بـ « ما » المصدرية فإنها تتعين للفعلية ، نحو قول لبيد :

الا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل[11]

وموضع « ماخلا » نصب على الحالية عند السيرافى كما يقع المصدر الصريح فى نحو : أرسلها العراك أى معتركة .

وعند غيره على الظرفية لنيابتها عن الوقت .

فإذا قلت : قاموا ماخلا زيدا ، فالمعنى على الأول : قاموا خالين عن زيد ، وعلى الثانى : قاموا وقت خلوهم عن زيد .

وقد أيد الرضى الثانى حيث قال : فوجب النصب ، والمضاف محذوف ، أى وقت ما خلا مجيئهم زيدا أى وقت خلو مجيئهم زيدا ، وذلك لأن الحين كثيراً ما يحذف مع « ما » المصدرية .[12]

وذهب ابن خروف إلى أنها منصوبة على الاستثناء كانتصاب « غير » فى قاموا غير زيد .

وذهب الجرمى والربعى والكسائى والفارسى وابن جنى إلى جواز جر الاسم الواقع بعد « ماخلا » على تقدير « ما » زائدة .

قال ابن هشام : فإن قالوا ذلك بالقياس ففاسد ، لأن « ما » لا تزاد قبل الجار ، بل بعده ، نحو قوله تعالى ﴿ عَمَّا قَلِيلٍ ﴾[13] وقوله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴾[14] .

وإن قالوه بالسماع فهو من الشذوذ بحيث لا يقاس عليه .[15]

وأنكر سيبويه وأكثر البصريين حرفية « خلا » وقالوا إنها فعل بمعنى المفارقة .

قال فى الكتاب : وبعض العرب يقول : ما أتانى القوم خلا عبد الله « بالجر » فيجعل « خلا » بمنزلة « حاشا »[16]

سعد منصور عرفة

---

(١١) البيت فى الديوان ص ٢٥٦ .
(١٢) انظر شرح الكافية للرضى جـ ١ ص ٢٣٠ .
(١٣) سورة المؤمنون اية ٤٠ .
(١٤) سورة آل عمران اية ١٥٩ .
(١٥) انظر المغنى جـ ١ ص ١٤٢ ، وشرح الأشمونى جـ ٢ ص ١٦٤ ، والهمع جـ ١ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .
(١٦) انظر الكتاب لسيبويه جـ ٢ ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠ .

شعر المعارك الإسلامية

زمن رسول الله "صلى الله عليه وسلم"

كانت المعارك الإسلامية التي مكنت للدعوة ونشر الدين من أهم عوامل ازدهار الشعر في عصر النبوة. وقد ظهر إبان هذه المعارك الطابع الديني في الشعر الإسلامي والمتتبع لآثار هذه المعارك في ذلك الشعر يمكن أن يجدها على النسق التالي

أولا : معركة بدر :

كانت معركة بدر النصر الأول للمسلمين وبهذا النصر أعز الله الإسلام واشتد ساعد المسلمين ، وفي هذه المعركة ذاق كفار قريش طعم الذل وتجرعوا مرارة الهزيمة ورجعت قريش تاركة فرسانها مصروعين في الشعاب والرُّبَى ، وقد نشط الشعر فوصف المعركة وصفاً دقيقاً وتغنى بالنصر وهجا الأعداء وَعَيَّرَهُمْ بالهزيمة ، وإذا التمسنا الأثر الديني في الشعر الذي قيل في هذه المعركة يمكن أن نرى قصيدة حسان التي يذكر فيها أصحاب القليب ويذكر عاقبة المشركين إذ يقول :

وخبر بالذى لا عيب فيه
بصدق غير إخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر
لنا فى المشركين من النصيب
يناديهم رسول الله لما
قذفناهم كباكب فى القليب
ألم تجدوا كلامى كان صدقا
وأمر الله يأخذ بالقلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا :
صدقت وكنت ذا رأى مصيب

ويظهر هذا الأثر الإسلامى فى شعر كعب ابن مالك حين يقول :

قضى يوم بدر أن نلاقى معشراً
بغوا وسبيل البغى بالناس جائر
فلما لقيناهم وكل مجاهد
لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا رب غيره
وأن رسول الله بالحق ظاهر

فالجهاد والتوحيد وظهور النبى ﷺ معان إسلامية خالصة ، ولم يقف كعب عند ذلك بل

للدكتور غريب محمد على

أخذ يتحدث عما أصاب المشركين من ذل وهزيمة وأوضح أنهم إنما قتلوا لكفرهم بالله وإشراكهم به وأنهم سيكونون وقود النار يقول :

فكب أبو جهل صريعاً لوجهه
وعتبة قد غادرنه وهو عاثر
فأمسوا وقود النار فى مستقرها
وكل كفور فى جهنم صائر
لأمر أراد الله أن يهلكوا به
وليس لأمرٍ حمّه الله زاجر

وقد تحدث الشعر فى هذه المعركة عن فضل الله على المؤمنين وتسديد خطاهم ونصرهم على المشركين برغم قلة المسلمين وكثرة المشركين وقد صاغ حسان هذا المعنى فى أبيات له متأثرا بقول الله عز وجل ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ ﴾ إذ يقول :

فما نخشى بحول الله قوما
وإن كثروا وأجمعت الزحوف
إذا ما ألبوا جمعا علينا
كفانا حدهم رب رؤوف
لقيناهم بها لما سَمَوْنا
ونحن عصابة وهمُ الوف

ومهما يكن من أمر فإن الشعر الذى قيل فى يوم بدر كان موفقا فى تصوير المعركة ولكنه لم يبلغ به التوفيق أن يدل الدلالة الكاملة لسورة الأنفال فالمعانى التى تناولها الشعر كانت عامة ولم يتوصل الشعر إلى قمة المعانى البعيدة التى جاءت فى هذه السورة .

ثانيا : معركة أحد :

بعد موقعة بدر جاءت قريش لتثأر لنفسها ودارت المعركة عند أُحُد وكان ما كان ، فهو يوم للمشركين على المسلمين وهو يوم محنة وبلاء استشهد فيه عدد غير قليل من المسلمين منهم : حمزة بن عبد المطلب عم النبى ﷺ فذكر الشعر كل ذلك وبكى القتلى ورثى الشهداء،ورد على شعر المشركين فحينما افتخر هُبيرة بن أبى وهب بقصيدة يقول فيها :

سقنا كنانة من أطراف ذى يمن
عرض البلاد على ما كان يزجيها
قالت كنانة أنى تذهبون بنا
قلنا النخيل فأموها ومن فيها

فرد حسان عليه قائلاً :

سقتم كنانة جهلاً من سفاهتكم
إلى الرسول فجند الله مخزيها
أوردتموها حياض الموت ضاحية
فالنار موعدها والقتل لاقيها
ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلت
أهل القليب ومن القينه فيها

←

* مدرس الأدب والنقد بكلية الآداب ـ قنا

شعر المعارك الإسلامية

وتظهر المعانى الدينية عند كعب بن مالك فى قصيدة طويلة يستغرق أكثرها ذكر الحرب وحسن البلاء والصبر إذ يقول :

وقال رسول الله لما بدوا لنا :
ذروا عنكمُ هول المنيّاتِ واطمعوا

وكونوا كمن يشرى الحياة تقربا
إلى ملك يُحْيَا لديه ويُرجَع

ويأخذ كعب فى مجادلة الكافرين فى قصيدة أخرى مجادلة من كان على بينة ، وذلك حق ، فقد كان ذا عقيدة ثابتة ومذهب راسخ وأخذ يوضح لهم أن الحرب سجال ، وأن الغلبة للدين الإسلامى إذ يقول :

إن تقتلونا فدين الله فطرتنا
والقتل فى الحق عند الله تفضيل

وأن تروا أمرنا فى رأيكم سفها
فرأى من خالف الإسلام تضليل

ولم ينس الشعراء رثاء الأبطال الذين استشهدوا فى سبيل الحق،وضحوا بأنفسهم من أجل إعلاء كلمة التوحيد ، ومن هؤلاء الأبطال حمزة عم النبى ﷺ الذى يرثيه حسان قائلاً :

فلا تذكروا قَتْلَى وحمزة فيهم
قتيل ثوى لله وهو مطيعُ

فإن جنان الخلد منزلة له
وأمر الذى يقضى الأمور سريع

وقتلاكمُ فى النار أفضل رزقهم
حميمٌ ، معا فى جوفها ، وضريع

وبهذه الطريقة صور الشعراء أحداث أُحُد ، وظهرت المعانى الإسلامية فى صورة ترديد لآيات وتراكيب قرآنية عند حسان ، ثم فى ضرب من الفهم لطبيعة الدين عند كعب وقد تمثل الشعر الفخر والهجاء والمناقضة والرثاء إلى جانب ذلك .

ثالثا : الخندق وقريظة :

كان حصار الخندق سببا فى إجلاء بنى قريظة ، والقضاء على ذلك الشر المجاور للمسلمين ومعروف أن نفرا من اليهود من بنى النضير وبنى وائل قد حَزَّبوا الأحزاب وحرضوا قريشاً وغطفان على حرب الرسول ﷺ ، وكانت قريظة قد أبرمت عهداً مع النبى ﷺ ولكنها نقضته وخرجت عليه ، ولما كان نصيب الأحزاب الفشل كان نصيب بنى قريظة القتل والذل ، وقد قيل شعر كثير فى الخندق وقريظة من كلا الجانبين ، يقول ضرار بن الخطاب :

فلولا خندق كانوا لديه
لدمرنا عليهم أجمعينا

ولكن حال دونهمُ وكانوا
به من خوفنا متعوذينا

فأجابه كعب بن مالك قائلاً :

نقاتل معشرا ظلموا وعقوا
وكانوا بالعداوة مرصدينا

ويعلم أهل مكة حين ساروا
وأحزاب أتوا متحزبينا

بأن الله ليس له شريك
وأن الله مولى المؤمنينا

ولحسان قصائد ومقطوعات فى بنى قريظة يقرعهم ويعيرهم بما أصابهم ويبين لهم أنهم ضلوا وبغوا حينما فعلوا فعلتهم فكان هذا جزاءهم ، يقول فى إحدى مقطوعاته .

تفاقد معشر نصروا قريشا
وليس لهم ببلدتهم نصيرُ

هم أوتوا الكتاب فضيعوه *
فهم عُمْىٌ من التوراة بُورُ

وهكذا استطاع الشعر أن يساير المعركة ويجابه الخصوم ، ويذكر بسالة المؤمنين وإخلاصهم لرسول الله ﷺ ، ولكنه لم يتناول كل ما تناولته الآيات الكريمة فى أمر الأحزاب من سورة الأحزاب .

رابعا : فتح مكة :

نقضت قريش العهد الذى كان بينها وبين رسول الله ﷺ بما استحلت من خزاعة التى كانت فى عَقْدِه - ﷺ - ولذا خرج الرسول ﷺ ، إلى مكة بعد أن استنجد به عمرو بن سالم الخزاعى الذى قال فى شعر له :

يارب إنى ناشد محمداً
حِلْفَ أبينا وأبيه الأتلدا

همُ بيّتونا بالوتير هُجّدا
وقَتَّلُونا رُكَّعا وسُجَّدا

وكان الفتح العظيم والنصر المبين فكانت قصيدة حسان التى تعد أهم وأجود شعر قيل فى تلك المناسبة والتى يستهلها بقوله :

عفت ذات الأصابع فالجواء
إلى عذراء منزلها خلاء

وقد وفق حسان كل التوفيق فى تصوير قوة المسلمين وعزتهم ونصر الله لهم ، وذكر قومه وأبرز المحامد الإسلامية فيهم : فهم جند الله الذين لهم فى كل يوم جهاد بالسيف أو جهاد باللسان يقول :

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا
وكان الفتح وانكشف الغطاء

وإلا فاصبروا لجلاد قوم
يُعِزُّ اللهُ فيه من يشاء

وقال الله : قد سيرت قوما
هم الأنصار عرضتها اللقاء

لنا فى كل يوم من معد
سباب أو قتال أو هجاء

فنحكم بالقوافى من هجانا
ونضرب حين تختلط الدماء

والملاحظ أن الشعر الذى قيل فى الفتح قليل إذا قيس بما قيل فى المعارك السابقة ، ولعل السبب فى ذلك أن التحدى الذى كان يجده الشعراء المسلمون من شعراء قريش قد انتفى فى هذه المناسبة .

« د . غريب محمد على »



وحينما يأتي شهر رمضان المعظم ، شهر الصيام شهر الصبر والقيام يصومه المسلمون في كل بقاع الأرض ، راغبين أو كارهين كيفما كان صيامهم على اعتبار انه فرض ماعنه محيص إلا بعذر ، والأعذار يدخل فيها الاعتبار ، ويختلف التقدير من شخص إلى شخص ، كل حسب يقينه ، وطاقته ، وثباته .

وقد شاهدنا كثيراً من المسلمين يستقبلون هلال شهر رمضان بالتكبير والتهليل ، والذكر والترتيل ، والزغاريد والأناشيد ، والأضواء والزينات ، ويصبحون - مع بالغ الأسف والحزن - مفطرين مجاهرين ، وهم في أتم صحة وأكمل عافية ، بلا حياء ولا وجل ، وماأحسب ذلك إلا رقاداً بل موتاً ، أو خللاً في النشأة وقصوراً في التربية ، وفساداً في البيئة ، وجهلاً بحقيقة الصوم وآلائه على الصائم . وحينما تفسد الفطرة تختل الموازين ، وتنقلب المعايير التي شرعها الدين لضبط المسار الإنساني في الحياة الدنيا ، فتصبح شعائر العبادة كخيال الظل شبحاً بلا روح وشكلاً بغير مضمون .

ويدخل هؤلاء في شهر الصوم وموسم الخير ، ويخرجون منه كما يخرج التلميذ الغبي الفاشل من حجرة الدراسة وليس في جعبته إلا أصداء مبهمة عما دار فيها ، وركام من السأم والملل والخيبة !!

ويرهف الكاتب الإسلامي العظيم مصطفى صادق الرافعي قلمه الماضي ، لينبه المدارك الغافية إلى النفحات العلوية والنسمات الربانية التي يرسلها رب الأنام في شهر الصيام .

فهاهو الرافعي قد كتب - وماأروع ماكتب - في وحي القلم تحت عنوان (شهر الثورة ... ، فلسفة الصيام) قال - وفي قوله تذكرة وتبصرة ، وكشف عن الجوهر المطمور ، والدُّرّ المغمور مما يغرى ويثرى من كنوز الإسلام العظيم المجهولة حتى من اكثر معتنقيه . فاقرأ معي أيها القارىء الكريم ما كتب وما قال :

لم أقرأ لأحد قولاً شافياً في فلسفة الصوم وحكمته ؛ أما منفعته للجسم ، وأنه نوع من

للأستاذ/ محمد عبد الرحمن صان الدين

الطب له ، وباب من السياسة فى تدبيره ، فقد فرغ الأطباء من تحقيق القول فى ذلك ، وكأن أيام هذا الشهر المبارك إن هى إلا ثلاثون حبة تؤخذ فى كل سنة مرة لتقوية المعدة وتصفية الدم ، وحياطة أنسجة الجسم ، لكنا الآن لسنا بصدد من هذا ، وإنما نستوحى تلك الحقيقة الإسلامية الكبرى التى شَرَعَت هذا الشرع لسياسة الحقائق الأرضية الصغيرة ، عاملة على استمرار الفكرة الإنسانية فيها ، كي لا تتبدل النفس على تغير الحوادث وتبدلها ، ولكيلا تجهل الدنيا معانى الترقيع إذا أتت على هذه الدنيا معانى التمزيق .

من معجزات القرآن الكريم أنه يدَّخِر فى الألفاظ المعروفة فى كل زمن ، حقائق غير معروفة لكل زمن ، فيجليها لوقتها حين يضجُّ الزمان العلمى فى متاهته وحيرته ، فيشغب على التاريخ وأهله مستخفاً بالأديان ، ويذهب يتتبع الحقائق ، ويستقصى فى فنون المعرفة ، ليستخلص من بين كفر وإيمان ديناً طبيعياً سائغاً (فى زعم أهل ذلك الزمان)[1] ، يتناول الحياة أول ما يتناول فيضبطها بأسرار العلم ، ويوجهها بالعلم إلى غايتها الصحيحة ، ويضاعف قواها بأساليبه الطبيعية ، ليحقق فى إنسانية العالم هذه الشيئية المجهولة التى تتوهمها المذاهب الاجتماعية ولم يهتد إليها مذهب منها ولا قاربها ؛ فما برحت سعادة الاجتماع كالتجربة العلمية بين أيدى علمائها : لم يحققوها ولم ييأسوا منها ، وبقيت تلك المذاهب كعقارب الساعة فى دورتها : تبدأ من حيث تبدأ ثم لا تنتهى إلا إلى حيث تبدأ ...

●●●

يضطرب الاشتراكيون فى أوروبا وقد عجزوا عجز من يحاول تغيير الإنسان بزيادة ونقص فى أعصابه ؛ ولايزال مذهبهم فى الدنيا مذهب كتب ورسائل ؛ ولو أنهم تدبروا حكمة الصوم فى الإسلام ، لرأوا هذا الشهر نظاماً عملياً من اقوى وأبدع الأنظمة الاشتراكية الصحيحة ، فهذا الصوم فقر إجبارى تفرضه الشريعة على الناس فرضاً ليتساوى الجميع فى بواطنهم ، سواء منهم مَنْ ملك المليون من الدنانير ومَنْ ملك القرش الواحد ، ومَنْ لم يملك شيئاً ، كما يتساوى الناس جميعاً فى ذهاب كبريائهم الإنسانية بالصلاة التى يفرضها الإسلام على كل مسلم ، وفى ذهاب تفاوتهم الاجتماعى بالحج الذى يفرضه على من استطاع .

فقر إجبارى يراد به إشعار النفس الإنسانية بطريقة عملية واضحة كل الوضوح ، أن الحياة الصحيحة وراء الحياة لا فيها ، وأنها إنما تكون على أتمها حين يتساوى الناس فى الشعور لاحين يختلفون ، وحين يتعاطفون بإحساس الألم الواحد لا حين يتنازعون بإحساس الأهواء المتعددة .

←

(١) هذه العبارة مقحمة من عندى .

وللرافعى فى شهر الصيام

ولو حقَّقت رأيت الناس لا يختلفون فى الإنسانية بعقولهم ، ولا بأنسابهم ، ولا بمراتبهم ، ولا بما ملكوا ؛ وإنما يختلفون ببطونهم وأحكام هذه البطون على العقل والعاطفة ؛ فمن البطن نكبة الإنسانية ، وهو العقل العملى على الأرض ؛ وإذا اختلف البطن والدماغ فى ضرورة ، مد البطن مدَّهُ من قوى الهضم فلم يبق ولم يذر .

ومن ههنا يتناوله الصوم بالتهذيب والتأديب والتدريب ، ويجعل الناس فيه سواء : ليس لجميعهم إلا شعور واحد وحس واحد وطبيعة واحدة ؛ ويحكم الأمر فيحول بين هذا البطن وبين المادة ، ويبالغ فى إحكامه فيمسك حواشيه العصبية فى الجسم كله يمنعها تغذيتها ولذتها حتى نفثة من «دُخَيْنة » .

وبهذا يضع الإنسانية كلها فى حالة نفسية واحدة تتلبس بها النفس فى مشارق الأرض ومغاربها ، ويطلق فى هذه الإنسانية كلها صوت الروح يعلم الرحمة ويدعو إليها ، فيشبع فيها بهذا الجوع فكرة معينة هى كل مافى مذهب الاشتراكية من الحق ، وهى تلك الفكرة التى يكون عنها مساواة الغنى للفقير من طبيعته ، واطمئنان الفقير إلى الغنى بطبيعته ؛ ومن هذين (الاطمئنان والمساواة) ، يكون هدوء الحياة بهدوء النفسين اللتين هما السلب والإيجاب فى هذا الاجتماع الإنساني ، وإذا نزعت هذه الفكرة من الاشتراكية بقى هذا المذهب كله عبثاً من العبث فى محاولة جعل التاريخ الإنسانى تاريخاً لا طبيعة له .

ثم يتساءل الرافعى ـ أجزل الله أجره ـ فى انبهار بفريضة الصوم وتحد لكل النظم الاجتماعية والصحية التى خطها الإنسان ـ قائلاً :ـ

أية معجزة إصلاحية أعجب من هذه المعجزة الإسلامية التى تقضى أن يحذف من الإنسانية كلها تاريخ البطن ثلاثين يوماً فى كل سنة ، ليحل فى محله تاريخ النفس[٢] ؟ وانا مستيقن أن هناك نسبة رياضية هى الحكمة فى جعل هذا الصوم شهراً كاملاً من كل إثنى عشر شهراً ، وأن هذه النسبة متحققة فى أعمال النفس للجسم ، وأعمال الجسم للنفس ، كأنه الشهر الصحى الذى يفرضه الطب فى كل سنة للراحة والاستجمام وتغيير المعيشة ، لإحداث الترميم العصبى فى الجسم ، ولعل ذلك آتٍ من العلاقة بين دورة الدم فى الجسم الإنساني وبين القمر منذ يكون هلالاً إلى أن يدخل فى المحاق ؛ إذ تنتفخ العروق وتربو فى النصف الأول من الشهر ، كأنها (مَدّ) من نور القمر مادام هذا النور إلى زيادة ، ثم يراجعها (الجذر) فى النصف الثانى حتى كأن للدم إضاءة وظلاماً ، وإذا ثبت أن للقمر أثراً فى الأمراض العصبية ، وفى

(٢) يهمش على هذا فيقول : أفسد ضعف النفوس هذا المعنى ، فما يحقق الناس (تاريخ البطن) كما يحققونه فى شهر رمضان ، وهم يعوضون البطن فى الليل ما منعوه فى النهار حتى جعلوا الصوم تغييرا لمواعيد الأكل . ولكن الصوم على ذلك لم يحرمهم فوائده .

مد الدم وجزره[٣] ، فهذا من أعجب الحكمة فى أن يكون الصيام شهراً قمرياً دون غيره .

ويمضى كاتبنا المفكر العظيم فى الكشف عن حكم الصيام البالغة ، وآلائه الغامرة على الصائمين بما لا يتسع المجال هنا لإيراده ، إلى أن يقول مقسماً عن يقين المؤمن العارف

أما والله لو عم هذا الصوم الإسلامى أهل الأرض جميعاً ، لآل معناه أن يكون إجماعاً من الإنسانية كلها على إعلان الثورة شهراً كاملاً فى السنة ، لتطهير العالم من رذائله وفساده ، ومَحْق الأَثَرَة والبخل فيه ، وطرح المسئلة النفسية ليتدارسها أهل الأرض دراسة عملية مدة هذا الشهر بطوله ، فيهبط كل رجل وكل امرأة إلى أعماق نفسه ومكامنها ، ليختبر فى مصنع فكره معنى الحاجة ومعنى الفقر ، وليفهم فى طبيعة جسمه ـ لا فى الكتب ـ معانى الصبر والثبات والإرادة ، وليبلغ من ذلك وذلك درجات الإنسانية والمواساة والإحسان ، فيحقق بهذه وتلك معانى الإخاء والحرية والمساواة .

لقد قلت فى مقال آخر : إن الرافعى له منهجه ورؤياه فى التأويل حينما يتعرض لبعض آيات القرآن الكريم ، وأرى لزاماً على أن أنظم فى عقد هذا المقال ما كتبه فى هذا الشأن بهذه المناسبة ، لأهميته فى معرفة فكره وعطائه ، قال :

كل ماذكرته فى هذا المقال من فلسفة الصوم ؛ فإنما استخرجته من هذه الآية الكريمة ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٤] وقد فهمها العلماء جميعاً على أنها معنى « التقوى » ، اما أنا فأولتها من « الاتقاء » ؛ فبالصوم يتقى المرء على نفسه أن يكون كالحيوان الذى شريعته معدته ، وألا يُعامل الدنيا إلا بمواد هذه الشريعة ؛ ويتقى المجتمع على إنسانيته وطبيعته مثل ذلك ، فلا يكون إنسان مع إنسان كحمار مع إنسان يبيعه القوة كلها بالقليل من العلف . وبالصوم يتقى هذا وهذا ما بين يديه وما خلفه ، فإن ما بين يديه هو الحاضر من طباعه وأخلاقه ، وماخلفه هو الجيل الذى سيرث من هذه الطباع والأخلاق ، فيعمل بنفسه فى الحاضر ، ويعمل بالحاضر فى الآتى .

وكل ما شرحناه فهو اتقاء ضرر لجلب منفعة ، واتقاء رذيلة لجلب فضيلة ، وبهذا التأويل تتوجه الآية الكريمة جهة فلسفيه عالية ، لا يأتى البيان ولا العلم ولا الفلسفة بأوجز ولا أكمل من لفظها ، ويتوجه الصيام على أنه شريعة اجتماعية إنسانية عامة ، يتقى بها الاجتماع شرور نفسه ؛ ولن يتهذب العالم إلا إذا كان له مع القوانين النافذة هذا القانون العام الذى اسمه الصوم ، ومعناه « قانون البطن » ..

ثم يختم الرافعى مقاله البديع الباهر بقوله ـ معبراً عن عمق إيمانه وبالغ اعتزازه بفرائض دينه وشعائره ـ : الا ما أعظمك ياشهر رمضان ! لو عرفك العالم حق معرفتك لسماك : « مدرسة الثلاثين يوماً » .

سلام على الرافعى فى قبره ، وعند نشره ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾[٥] .

---

(٣) قال الجاحظ فى (الحيوان) : « ولزيادة القمر حتى يصير بدراً ، أثر بين فى زيادة الدماء والأدمغة وجميع (الرطوبات) .

(٤) من آية (١٨٣) من سورة البقرة .

(٥) من آية (٣٠) من سورة آل عمران .

الأدب المقارن

أزمة المنظور المتعارف عليه

٢

تحدثت في المقال السابق* عن قضية النشأة ، وبدا فيها واضحا اضطراب المسمى في اللغات الرومانية[١] (لغات مصدر التسمية في اللغة العربية)[٢] كما بدا واضحا أيضاً أن النظرة المقارنة للظواهر كان السبق فيها للعلوم الطبيعية[٣] ، ثم تبعتها العلوم الإنسانية بما فيها علم الأدب العام والمقارن .

وفي هذا المقال سأتعرض بالحديث عن قضية الإطار الثقافي الأوروبي ، الذي نشأ فيه هذا العلم ؛ وبالتالي ساهم في أزمة منظوره التقليدي .

ب ـ قضية الإطار الثقافي الأوروبي :

سأتحدث عن هذه القضية من جانبين ؛ الأول:هو ميدان علم الأدب المقارن وصلات الآداب بعضها بالبعض الآخر ، والثاني:هو علم الأدب المقارن ذاته ومنظوراته العلمية ، التي تتناول هذه الصلات بين الآداب ، بعضها بالبعض الآخر ، بالبحث والدراسة .

• لقد حصلت على المادة العلمية لمقالاتي هذه ولأعمال علمية أخرى ؛ أثناء سفري لجامعات جمهورية ألمانيا الاتحادية (الغربية) صيف عام ١٩٨٧ م في منحة علمية من هيئة التبادل العلمي الألمانية (D AAD) ؛ وافقت عليها كل من كلية اللغات والترجمة وجامعة الأزهر مشكورتين ، فتحملت الجامعة تذكرة السفر ، وتحملت الهيئة المذكورة مصاريف الإقامة . كما أن أستاذي أ . د . هاينز غروتزفيلد (Prof. Dr. H. grotzfeld) قد زكى مشروعي البحثي وأستاذي أ . . د هيلموت أرنتسين (prof . DR . H . Arntzen) قد أفادني بالحوار العلمي معه . ومكتبة جامعة مونستر (Die Universitäts bibleothek zu Münster) قدمت لي خدمات جليلة ؛ فللجميع شكري وتقديري على تعاونهم الودود .

(١) محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن ، ط ٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ م ، ص ٩ .

(٢) نفس المرجع ص ١٠ .

(٣) لقد ألف عالم الطبيعيات الانجليزي N.grew كتابه عن : The Comparative Anatomy of Truncks عام ١٦٧٥ م وتبعه الكثيرون . وكان الارتكاز الفلسفي لهذا الاتجاه ؛ هو أن وحدة العالم تتضح أكثر بالمقارنة بين ظواهره ومقابلتها ومقارنتها بعضها بالبعض الآخر .

د. عبد الله محمد أبو هشة

أولا : ميدان علم الأدب المقارن وصلات الآداب بعضها بالبعض الآخر .

١ ـ التمركز الأوروبى :

لقد ظل ميدان الأدب المقارن محصوراً فى الآداب الأوروبية ؛ فى إقامة الصلات الوثيقة بينها ، واتخاذ بعضها مثالا يحاكيه البعض الآخر منذ عصر النهضة فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر . وقد استقر فى الوعى الأدبى آنذاك ؛ أن النتاج الأدبى ـ بعد تحرره من قيم اللاهوت وقيود التجريد الغيبى ـ لابد أن ينسج على منوال الأدبين الإغريقى واللاتينى . وفهموا « المحاكاة » على أنها محاكاة أعمال (هوميروس) الذى تأثر به وحاكاه (ڤرچيل) الشاعر اللاتينى ، ومحاكاة أعمال الشاعر اليونانى (پنداروس) الذى تأثر به الشاعر اللاتينى (هوراس) ومحاكاة خطيب اليونان (ديموستين) الذى تأثر به وحاكاه خطيب الرومان (شيشرون) ؛ وفهموا المحاكاة على أنها محاكاة كل هؤلاء المشاهير بعضهم للبعض الآخر ، والنسج على منوالهم . فقد رأوا أنه لا مانع من محاكاة الأعمال الأدبية الفذة ؛ التى هى محاكاة لعالم المثل فى التصور الفلسفى الإغريقى ، أو هى محاكاة للطبيعة . والذى ساعد على التواصل بين الأدب الإغريقى والآداب الأوروبية الناشئة نزوح كثير من العارفين باللغة اليونانية إلى (روما) ، وتواصلهم مع الأدباء الرومان وغيرهم بعد فتح القسطنطينية عام (١٤٥٣ م) من جانب العثمانيين واتخاذها عاصمة الخلافة .

كما ساعد على ذلك التواصل بصورة حاسمة عثور الأوروبيين على التراث الإغريقى ـ الذى أحرقته الكنيسة ـ مصونا فى المصادر العربية التى ترجم إليها هذا التراث ؛ بما فى ذلك من إضافة العرب إليه ، وحفظه من الضياع[٤] . فقد حفظ العرب المسلمون تراث غيرهم من الأمم ، وعنوا به ، واستفادوا منه ، وأضافوا إليه[٥] .

ولقد اتجه أدباء عصر النهضة إلى الآداب التى تعنى بالإنسان ومشكلاته ؛ بعيدا عن تغريبه فى اللاهوت الكنسى للعصور الوسطى . لذلك كانت آلهة اليونان أقرب إلى هؤلاء الأدباء فى اتجاههم إلى الإنسان ؛ لما لها من صفات البشر فى قوتهم وضعفهم .

←

---

(٤) على سبيل المثال لقد ترجم Henmannus Alemannus كتاب الشعر لارسطو من أصله العربى عند ابن رشد . انظر Kindlers literaturlexikon, Bd 17, dtv, Munchen, 1974 S.7361.

(٥) ابو حيان لم ير فى المحاكاة مماثلة العمل الأدبى للطبيعة كما رأى أرسطو ؛ وإنما أضاف إلى ذلك دور الشاعر والأديب ؛ مما يعد رؤية متقدمة على عصرها فى أواخر القرن العاشر الميلادى . انظر : أبو حيان التوحيدى : المقابسات ، طبعة حسن السندوبى ، المقابسة التاسعة عشرة ، القاهرة ، ١٩٢٩ م ، ص ١٦٣ وما بعدها .

الأدب المقارن

٢ ـ الآداب الأوروبية وصلتها بالآداب الشرقية حتى بداية العصر الرومانتيكي :

إذا كان الأدب فى عصر النهضة قد اكتملت له أوروبيته ؛ فى تأسيسه على التراث الإغريقى واللاتينى ؛ فإنه بذلك قد بدأ تمركزه الجغرافى و (أَوْرَبَةَ) انتمائه القارِّىّ فى آن واحد ، وسيتبع ذلك فى المنظور العلمى المقارن مركزيته الأوروبية .

ورغم استفادة الآداب الأوروبية من الآداب الشرقية عامة ، ومن الأدب العربى بصورة خاصة ؛ سواء فى العصور الوسطى أو فى عصر النهضة ؛ إلا أن القليل جداً من أدبائهم أقر بمدى استفادته من هذه الآداب[٦] . وعلى الرغم من وضوح صلة أدباء العصور الوسطى بالأدب العربى ؛ حتى فى صورة عدائهم لهذا الأدب ولما يحمله من فكر ؛ فإنهم لم يقروا بمدى استفادتهم منه . ويمكن لمن يتقنون اللغات الأوروبية القديمة أن يتعرفوا على صور الصلات والاستفادة هذه بوضوح وسهولة ؛ سواء فى العرض القصصى لصور الفروسية ، وصور الحب العذرى ؛ أو فى تصوير العالم بصورة سحرية تطلقه من إسار الواقع الحسى إلى دنيا الخيال الكلى[٧] ؛ أو فى طريقة البناء القصصى ذاته . ولقد تحقق ذلك كله عن طريق الإشعاع العلمى والأدبى للحضارة الإسلامية العربية فى الأندلس على أوروبا ؛ وقت أن كانت غارقة فى ظلام التخلف ، ثم بعد ذلك أيضاً عن طريق الحروب الأوروبية ضد الوجود العربى الإسلامى هناك[٨] .

أما فى عصر النهضة ـ حيث الوهج الحضارى للأندلس مازال مستمرابعد هزيمة الحكم فيها ـ فإن التأثر بفكرة التسامح الدينى (وهذا شىء مختلف عن التحلل من الدين) واضح عند الكثيرين من أدباء عصر النهضة . ولعل الأديب والناقد الألمانى (ليسنج ١٧٢٩ ـ ١٧٨١ م) أوضح مثال على ذلك ؛ سواء فى فكرة مقاومة الأحكام المسبقة[٩] ، والتسامح الدينى ، ونقده للتسلط الطاغوتى لبابوات الكنيسة الكاثوليكية عامة ، وإبان الحروب الصليبية خاصة[١٠] ؛ أو فى رسمه لبعض الشخصيات التاريخية الإسلامية والشرقية[١١] . و (دانتى) فى تأثره بأبى العلاء المعرى وبضور القيامة فى القرآن الكريم يعتبر أيضاً مثالا مشهوراً .

---

(٦) انظر :
goethe : West - Ostlicher Divan. Werke, Bd 2, Aufbau- Verlag, Berlin, 1981 .

(٧) مثال ذلك : gottfried von Strassburg : Tristan und Isolde.

(٨) أود الإشارة هنا أيضاً إلى تأثر الأوروبيين فى مجال الأفكار بكل من ابن رشد وابن خلدون : مما كان له أثر كبير وحاسم على دراسات ونشأة الفلسفة وعلم الاجتماع .

(٩) مثال ذلك مسرحيات ليسنج :
Lessing : Die Juden oder Nathan, der Weise.

(١٠) مثال ذلك مسرحية ليسنج ناتان الحكيم المذكورة فى رقم ٩ .

وفى العصر الاتباعى (الكلاسيكى) كانت الأندلس ، وصقلية ، وجنوب إيطاليا مازالت مناطق اتصال بالحضارة الإسلامية ، وبالآداب الشرقية ؛ مما جعل أديباً وشاعراً كبيراً هو (جوته) ، يقوم برحلته إلى إيطاليا ؛ ليستزيد من الآداب الشرقية وبخاصة الأدبين العربى والفارسى . وينسب (جوته) إلى هذه الآداب تملكها لروح الشعر[12] التى استفاد منها .

وفى أواخر العصر الكلاسيكى ترجم الأديب والمستشرق الألمانى (ريكرت ١٧٨٨ - ١٨٦٦ م) مقامات الحريرى إلى اللغة الألمانية ترجمة أدبية راقية ؛ صارت بها معروفة فى الآداب الأوروبية الأخرى[13] .

وارى أن تأثر الآداب الأوروبية بالمقامات العربية ، وبألف ليلة وليلة فى منهج القص ؛ سواء فى القصة القصيرة أو فى الرواية مازال ميداناً واسعاً لبحوث الأدب المقارن بوجهتيه ؛ التاريخية والنقدية التحليلية . فليس من بين الأدباء الأوروبيين - فيما أعلم - من أقر بفائدته من الأدب العربى والآداب الشرقية فى هذا الجانب .

٣ - الآداب الأوروبية من العصر الاتباعى (الرومانتيكى) وما بعده وصلاتها بالمشرق العربى الإسلامى :

عندما ظهر الاتجاه الاتباعى (الرومانتيكى ١٧٩٨ - ١٨٣٠ م) فى الآداب الأوروبية ، ثم ما تلاه من اتجاهات واقعية وطبيعية وانطباعية وتجريبية ورمزية وواقعية جديدة ؛ كان التوهج الحضارى الإسلامى فى أوروبا قد خبا ضوؤه . وكان المشرق العربى الإسلامى نفسه قد دخل فى صراع مع الغزو الاستعمارى : العسكرى والاقتصادى والثقافى الأوروبى الذى وصل إلى حد الاحتلال العسكرى لهذا المشرق ، والتحكم فى شئون حياته الثقافية والفكرية ، وتكبيل حركته ، وإيقاف نمو هويته فى هذا الجانب أو تشويهها أو توجيهها وجهة اغترابية تنتزعه من جذوره ، وتلقى به فى مواجهة مع الفكر الأوروبى متلقيا له بلا هوية .

ولقد أثمرت هذه الكارثة نوعا آخر من الصلات الأدبية ، تختلف عن الصلات الثقافية الأدبية والفكرية فى العصور الوسطى وفى عصر النهضة وفى العصر الكلاسيكى . وتمثلت هذه الصلات فى اتخاذ الشرق العربى الإسلامى ذاته موضوعا لكتابات الأدباء ، سواء فى الروايات والقصص[14] ، أو فى أدب الرحلات[15] ، أو فى الكتابات المعرفية عن

←

(١١) مثال ذلك تصوير ليسنج أدبيا لشخصية القائد العظيم صلاح الدين الأيوبى ، ولشخصية الحكيم اليهودى ناتان فى المسرحية سالفة الذكر .

(١٢) جوته ، المرجع السابق فى رقم (٦) ص ٢٨ - ٢٩ ، ١٣٨ .

(١٣) انظر محمد السيد عيد : المقامات بين الحريرى وريكرت . رسالة دكتوراه فى الأدب المقارن ، مخطوطة ، مكتبة كلية اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .

(١٤) مثال ذلك كتابات الأديب الفرنسى Jean Cocteau (١٨٨٩ - ١٩٦٣ م) عن الشرق .

(١٥) مثال ذلك ثلاثية الأسكندرية للأديب الانجليزى لورانس دوريل (١٩١٢) خاصة الجزء الثالث : Alexandria- Quatett, London, 1957 - 1960.

الشرق وعن الإسلام[١٦] وهذه الكتابات تصدر فى مجملها عن منطلق واحد مهما اختلفت درجاته هو : إبراز تخلف الشرق ودونيته عن أوروبا المتفوقة . وهؤلاء الأدباء والكتاب الذين تربوا فى إطار ثقافى يرون أن أوروبا هى محور العالم بحكم تفوقها الثقافى والصناعى ؛ هم نتاج المركزية الأوروبية ؛ فى صلاتها الثقافية بالعالم غير الأوروبى على اتساعه ، وعمق حضاراته . وهذه المركزية تنطلق من فكرة المركز أو المثال (Zentrum) وتوابعه وملحقــاته ، (Peripherie) وبــالتالى فالوجود المستقل للتوابع غير قائم . وإذا كانت فكرة المركزية الأوروبية (Eurozentris-mus) تصدق ظاهريا على الميادين العسكرية والصناعية والاقتصادية ؛ فإنها لا تصدق إطلاقا ـ فى تصورى ـ لا فى النظرة الظاهرية المتعجلة ولا فى النظرة المتأملة على الميادين الفكرية والدينية والأدبية والحضارية . وهذه النظرة ليست عنصرية فقط ؛ لكنها أيضاً ليست علمية على الإطلاق ؛ وفيها من التعسف فى تضخيم الذات وإنكار الآخرين ما جعلها تفشل فى تحقيق تصوراتها . فالمركزية الأوروبية لا تصدق على الميادين الفكرية والأدبية والحضارية ؛ ذلك أن قوة هذه الميادين من قوة وجود الفرد واستخدامه للغته ـ بوجودها العميق ـ التى تحمل تصوراته عن عالمه الحضارى الذى يرى الدنيا من خلاله . يستوى فى ذلك أن يعيش الفرد فى وطن أو أمة حرة أو محتلة عسكريا أو اقتصاديا ؛ ويستوى أيضاً أن يكون هذا الفرد متعلما أو أميا ؛ إلا أن حرية إرادة الوطن والأمة ، وتعلم الفرد فيهما ؛ هى عوامل أمان وقوة متنامية دافعة إلى التطور السليم لحضارة الأمة وفكرها وآدابها . وارى أيضاً أن هذه القوة الكامنة فى المشرق العربى الإسلامى ؛ هى التى حفظت له استقلاله النفسى ، الذى غذى قوة الإرادة فيه ؛ حتى استطاع إيقاف الهجمة الاستعمارية العسكريـة وإبطال أهدافها الفكرية إلى الحد الممكن فى الكثير من أقطاره . وبالتالى استطاع أن يحفظ لقوة الدفع الحضارى فيه مساحة من النمو السليم لا بأس بها . وإن كانت قوة الدفع الحضارى هذه قد وصلت بالمشرق العربى الإسلامى إلى حدود بداية معرفته لهويته الثقافية ؛ إلا أن

(١٦) مثال ذلك مؤلفات المستشرق المجرى جولد تسيهر التى رد على أهمها فضيلة الشيخ محمد الغزالى فى كتابه « الإسلام عقيدة وشريعة » .

(١٧) القوة الكامنة لأى أمة : هى تراثها ووعيها بهذا التراث ؛ بحيث تضيف إليه بروح العصر ، ولا تقف عنده تقليدا له . ولا يخفى دور الأزهر البارز فى المحافظة على هذا التراث وإحيائه بتحقيقه ونشره .

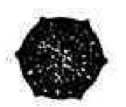
ـ نتاج المركزية الأوروبية وأمريكا تنتمى إليها ـ هو الغزو الثقافى أو الوجه الجديد الذى يواجه الغرب به المشرق العربى الإسلامى . وهذا موضوع آخر يستحق التخطيط العلمى المنظم لعشرات السنين وليس الحديث المتسرع هنا وهناك كما يحدث الآن ؛ بما يشتمل عليه ذلك من الدعوة للعزلة الثقافية كرد فعل عاطفى غاضب . إن ما ينبغى التخطيط له هو تأكيد الذات والهوية الثقافية ، بتشجيع المواهب ، وتمكين نتاجها من الانتشار ؛ مع إدارة الحوار ، وإقامة الصلات بالثقافات الأخرى ، والآداب الأخرى ، من موقع النِّدِّيَّة .

بقى أن نتأمل أثر طرح صورة المشرق العربى الإسلامى فى الأعمال الأدبية الأوروبية على القارىء والأديب الأوروبى ، وما نتج من صدورها عن روح استعلائية ؛ لا ترى إلا الظواهر ؛ التى توحى للعين الأوروبية بالتخلف ، وتؤكد هذه الروح الاستعلائية ، التى لا تخلو من نزعة عنصرية ؛ بصرف النظر عن درجتها صعوداً وهبوطاً . فالنظرة إلى المشرق العربى الإسلامى لم تعد إلا وسيلة لتأكيد تفوق "الأنَا" عند الأدباء الأوروبيين ، ومبرراً للنظرة المركزية الأوروبية . هذه النظرة التى ترى أن هذا المشرق فى حاجة إلى (أَوْرَوبَتِهِ) ليصير مثل أوروبا بأية وسيلة . فالتوابع عليها الانقياد للمركز الذى صنع التصورات الخاطئة عنها ثم بنى منطلقاته منها .

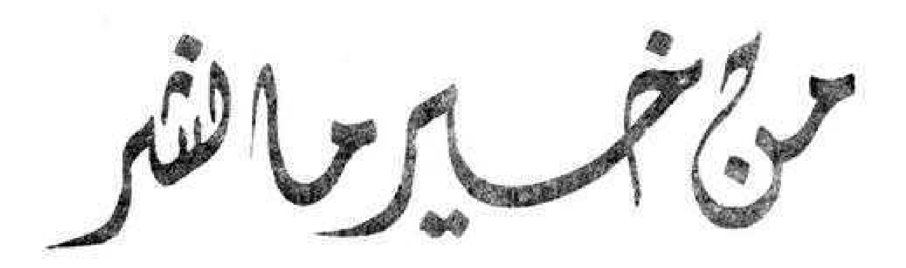
فهل تحقق بذلك ما يدعو إليه الأدب المقارن على لسان المتخصصين الأوروبيين من أهداف تعريف الشعوب بعضها بالبعض الآخر ، أو اجتياز الحاجز القومى ، أو كشف الأحكام المسبقة والتصورات الخاطئة ، أو النزعة الإنسانية ؟[١٨] وهل يمكن أن يكون علم الأدب المقارن ـ الذى بدأت نظرياته تصاغ فى ظل هذه التصورات الخاطئة عن المشرق الإسلامى العربى ـ أن يكون موضوعيا فى نظرته إلى آداب الشرق ومدى تأثيرها أو تأثرها بالآداب الأوروبية ؟ سوف أجيب عن ذلك فى المقال القادم بمشيئة الله تعالى .

يتبع

د . عبد الله محمد أبو هشة



(١٨) انظر كتب الأوروبيين وما فيها من مثل هذه المنطلقات مثل :
Peter André Bloch
فى مقدمته للترجمة الألمانية لكتاب : Pichoi u. Rousseau : Vergleichende Literaturwissenschaft, Dusseldorf, 1971, S. 11-24.



هموم اليوم والغد

الأستاذ / نجيب محفوظ

سياستنا الخارجية تتدفق بالحركة والنشاط والأمل . وتتسم بالسداد وتستحق التوفيق والنجاح . غير أن ذلك يجب ألا ينسينا مشكلاتنا العصيبة فى الداخل . بل علينا أن نركز على اثنتين منها لشدة خطورتهما وانطباقهما علينا بقبضة من حديد ، هما فى الواقع شدتان يجب أن تؤرقا الأعين وتقضا المضاجع .

الشدة الأولى : هى الغلاء المتفاقم .

والشدة الأخرى : تلك التى ينذرنا بها الجفاف .

على مجلس الشعب أن يدعو إلى طرح المشكلتين للبحث والمناقشة واقتراح القرارات ؛ بل يجب أن تعقد المؤتمرات من الخبراء على المستوى القومى من أجل ذلك .

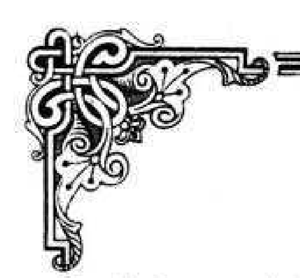
يجب أن نعى موقفنا تماما وأن نعرف أبعاد همومنا لنرسم خطانا على هدى من الوعى والمعرفة ، يجب أن نكون جميعا ـ شعبا وحكومة ـ على مستوى المسئولية .

السيجارة تنافس الرغيف

تحقيق : زينب إسماعيل

السيجارة أصبحت تنافس رغيف الخبز ، وربما تسرق منه الدعم قريبا !

يقول الدكتور شريف عمر ـ أستاذ جراحة السرطان بجامعة القاهرة ، وعضو مجموعة مستشارى منظمة الصحة العالمية : إنه أجرى بحثاً ميدانياً بالاشتراك مع الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء فاتضح من الدراسة أن نسبة المدخنين يوميا تصل إلى ستة ملايين مدخن وحجم الإنفاق على منتجات التبغ بلغ (١٦٤,٤) مليون جنيه عام ٨٦/٨٥ بالمقارنة بـ (٦٤٧,٩) مليون جنيه عام ٨٢/٨١ .



إعداد : عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعى خفاجه

يقول الدكتور أحمد عمر هاشم : إن المبلغ الذى ينفق على صناعة التبغ فى مصر يمكن تخفيضه أو إلغاؤه وتوجيهه إلى بنود أخرى كالغذاء والكساء والثقافة .

وفى النهاية يقول د . شريف عمر : إنه يجب ألا تدعم صناعة الدخان وأنه آن الأوان لكى تخرج السيجارة من سلة الخبز .

هذا ديننا

فضيلة الشيخ / محمد الغزالى

لعل المسلمين فى هذا العصر هم أكثر الناس آلاما ولعل أرضهم هى التى يستنسر بها البغاث لأنهم يدافعون عن قضاياهم بالصياح ، ويردون السلاح الفاتك باليد العزلاء .

من أجل ذلك أحسست دهشة عندما وصف المسلمون بأنهم إرهابيون ، وعندما نشرت جريدة « الموند » الفرنسية تحقيقا أبرزت فيه أن ٥٠٪ ممن أبدوا آراءهم ذكروا أن الإسلام من وراء العنف الذى يشكو العالم منه .

إن حرب إبادة تتم فى أفغانستان تزهق فيها أرواح المسلمين دونما ضجة تذكر .

وحربا أخرى تقع فى فلسطين رميت فيها ألوف الأسر العربية فى العراء واحتلت مدنها وقراها أسر يهودية قادمة من شرق أوروبا وغربها والقانون الدولى (المحترم) جعل المالك الطريد إرهابيا لا حق له ، وجعل اللص الغالب رب بيت محترما !

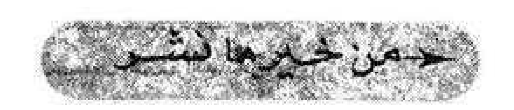
إننا فى عالم قلبت فيه الحقائق وخُوِّن فيه الأمين وأؤتمن الخائن ، وليت المسلمين فيه يملكون ما يخيف المعتدى ، ويردع الكذوب .

الانتفاضة بين الشرفاء والنصابين

الأستاذ / محمد عبد المنعم

إننا سعدنا كثيرا بالانتفاضة العربية فى الأراضى المحتلة وأحسسنا أن بطلا جديدا نزل أخيرا إلى الساحة بقوة وإصرار ودرجة هائلة من التحضر نال بها إعجاب الجميع هنا وهناك بل وفى داخل إسرائيل نفسها .. ومما زاد سعادتنا أن البطل الجديد كان قد غاب كثيرا حتى ظن الجميع أنه ذهب إلى الأبد وأغفلوه تماما من كافة الحسابات ، وفجأة وبدون توقع أو إعداد انتفض الشعب العربى

←



في الأراضي المحتلة انتفاضة الحياة ذاتها ليقول للجميع إنني هنا وإنني مصر ومصمم على الحياة الحرة الكريمة .

رجاء إلى إذاعة القرآن الكريم

لتعود إلى سيرتها الأولى

الأستاذ / عبد العليم الخضيرى

كانت إذاعة القرآن مشكورة عند إذاعتها للمصحف المرتل بصوت أحد القراء الذين أجازتهم الإذاعة للترتيل تلزمه بالتلاوة من أول فاتحة الكتاب الكريم إلى آخر سورة الناس . وبهذا كان المتتبع للتلاوة يتابع القارئ ويعلم ما انتهى إليه وظل الحال هكذا إلى وقت قريب . ولكن إذاعة القرآن الكريم أخذت تذيع المصحف المرتل بأصوات عدة قراء مختلفين ، فقارئ يرتل من سورة البقرة وآخر يرتل من آل عمران .. وهذا فيه ما فيه من التشويش على المستمع ، لذا نرجو من إذاعة القرآن الكريم العودة إلى سيرتها الأولى .

كـــل يــــوم

الأستاذ / محمد فهمى

في كل يوم تتناقص ثروتنا من المفكرين والعلماء والأدباء الذين أثروا حياتنا وتركوا لنا تراثا يعتز به كل مصرى فمن الأمور البديهية أن هؤلاء العمالقة لا يثرون الحياة بأعمالهم فقط ، وإنما باشعاعهم وتأثيرهم على العاملين معهم ، لأن كلا منهم يمثل مدرسة خاصة به . المهم أن هذه المدارس تتناقص اليوم بشكل خطير ، أدى إلى وجود جيل كامل بلا أساتذة وبلا ولاء للعمل . والسبب أننا نحيل ألمع نجومنا إلى المعاش وننفرد بذلك عن كل دول العالم ، ونرفع شعارا هو إتاحة الفرصة أمام الشباب . إن الدول الكبيرة .. كبيرة بشخصياتها البارزة ، فإذا انعدمت هذه الشخصيات وقعنا في شرك الأقزام .

دراسة ميدانية تؤكد

التليفزيون يفسد أطفالنا

في إحصائية لمركز البحوث الاجتماعية والجنائية تبين أن الجرائم التى ارتكبها الأطفال بين ٨ و ١٤ عاما بلغت ١٤٠ ألفا و ١٤٣ جريمة ، وأن نسبة كبيرة من هذه الجرائم ارتكبها الأطفال من باب التقليد للأفلام التى تمجد العنف وتحرض عليه .

أوضحت الدراسة التى قدمها الباحث محمد حسن عبد الله لقسم علم النفس بكلية آداب المنيا أن التليفزيون من أشد وأخطر وسائل الإعلام تأثيرا على الأطفال ..

من نتائج الدراسة : ضعف قدرة الطفل الذى يشاهد التليفزيون على العمل والتفكير ، والميل إلى الانفرادية ، والتحرر من الأسرة .

إلى جانب ذلك فإن التليفزيون لا يؤدى دورا ايجابيا فى اكتساب أية مهارات جديدة . انتهى الباحث إلى أن للتليفزيون أثره فى زيادة معلومات الأطفال ، كما يجد الأطفال جاذبية لما يشاهدونه من برامج تعتمد على الحجج المنطقية .

النغمة الصحيحة

للأستاذ / نبيل أباظة

لقد عانينا طويلا من شعار (أهل الثقة) حيث يختار الشخص الموثوق به ليتولى أحد المناصب دون اعتبار لخبرته وكفاءته وقد ظهر بعد ذلك فساد هذا الشعار ..... إن اختيار شخص ليتولى منصباً كبيراً ينبغى أن يخضع لصفات معينة ودقيقة .. أهمها القدرة على النجاح وخبرته السابقة فى إنجاح عمل أسند إليه .

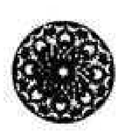
نصـــف كلمـــة

للأستاذ / أحمد رجب

أتمنى أن يبادر الدكتور راغب دويدار وزير الصحة بعمل حملة قومية مكثفة للتوعية ضد (الكوكايين) و (الهيروين) تحل محل الحملة القومية لمكافحة الجفاف ، فحملة مكافحة الجفاف استمرت سنوات طويلة ونجحت واستنفدت أغراضها .

●●●

عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعى خفاجة



أنباء وآراء

سافر فضيلة الإمام الأكبر إلى عمان فى ٢٠ من شعبان-٧/٤ للاشتراك فى افتتاح جلسات مؤتمر .(الندوة العلمية لقضايا الفقه الإسلامى) التى أقيمت بجامعة السلطان قابوس بمسقط . عمان والقى فضيلة الإمام بحثا عن « مرونة الفقه الإسلامى » .

استمر انعقاد المؤتمر فى الفترة ٢٢ ـ ٢٦ من شعبان ١٤٠٨ هـ الموافق ٩ ـ ١٣ من إبريل ١٩٨٨ م .

وفى الأربعاء ١٩ من شعبان ٨٨/٤/٦ سافر إلى الندوة فضيلة الأستاذ الدكتور/ رءوف شلبى وكيل الأزهر الذى أعد بحثاً للندوة بعنوان :

« إن الدين عند الله الإسلام ـ دراسة فى مفهوم وحدة الدين »

وسافر معه فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية للاشتراك فى مناقشة البحوث التى تلقى بالمؤتمر .

برقية المشير سوار الذهب إلى وكيل الأزهر :

عقب عودته إلى السودان الشقيق أبرق السيد المشير عبد الرحمن سوار الذهب إلى فضيلة الأستاذ الدكتور رءوف شلبى وكيل الأزهر بالبرقية التالية :

معالى الأستاذ الدكتور رءوف شلبى وكيل الأزهر الشريف ـ القاهرة ، حفظه الله ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الآن وقد عدت للسودان لا يسعنى إلا أن أبرق إليك شاكراً ومقدراً حفاوتكم وتكريمكم للوفود وإسهاماتكم الواسعة فى نجاح المؤتمر الذى نأمل بحول الله أن يكون انطلاقة لوحدة إسلامية شاملة كما أشكركم على الصعيد

إعداد الدكتور
أحمد عبد الرحيم السايح

الشخصى لما أوليتمونى من حفاوة وتقدير داعيا الله أن يجزيكم خير الجزاء ويديم عليكم نعمة الصحة والتوفيق .

مشير

عبد الرحمن سوار الذهب
رئيس مجلس أمناء منظمة
الدعوة الإسلامية

سفر عشرين من علماء الأزهر الشريف :

وافق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق على سفر عشرين عالماً من علماء الأزهر الشريف إلى أمريكا وأستراليا وقطر ومالاوي والنمسا وكوبنهاجن والسودان وسويسرا والكاميرون والمالاديف وهولندا .

وقد سافر أصحاب الفضيلة العلماء لنشر الثقافة الإسلامية خلال شهر رمضان المعظم ١٤٠٨هـ .

المفتى يطالب بالغاء مسابقة ملكة الجمال

أكد الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية : أن العودة إلى بدعة تنظيم مسابقات لاختيار ملكة للجمال أمر يحرمه الدين الإسلامى ، ويخالف نصوص الشرع الحنيف . وطالب فضيلة المفتى المسئولين فى الدولة أن يزيلوا هذا العبث الذى يعتبر وصمة عار على جبين مصر المسلمة .

قال فضيلة المفتى : إن بدعة تنظيم مسابقة لاختيار ملكة للجمال يدعو إلى مزيد من التطرف عند بعض الشباب المتحمس لدينه ويظهر الدولة بمظهر غير لائق إسلامياً .

سحب تراخيص الملاهى بالأقصر

قرر المسئولون بمدينة **الأقصر بمصر** سحب تراخيص الملاهى **الليلية بالأقصر** وإغلاق عدد من **الملاهى الليلية بالمدينة** . **وذلك استجابة لرغبة أبناء شعب الأقصر** .

الدولة تسعى الى ازالة ملاهى الهرم

أكد الدكتور محمد على محجوب وزير
←

أنبـاء وآراء

الأوقاف : أن الدولة تسعى بالفعل إلى إزالة ملاهى شارع الهرم . جاء ذلك فى الندوة التى عقدتها كلية التربية بجامعة المنوفية .

مجلة الأزهر : نرجو أن يكون فى ذلك إلغاء تام لهذه الملاهى فلا تغلق فى مكان وتفتح فى غيره،والا تقام فى أسطح الفنادق الكبرى

مصادرة مصحف البهرة

صادر مجمع البحوث الإسلامية حوالى ٢٠٠ نسخة من المصاحف التى طبعتها طائفة البهرة فى الهند ، وتحمل اسم « القرآن الحكيم » .. صرح بذلك فتح الله جزر مدير عام البحوث والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية وقال : إن طبعة طائفة البهرة من المصحف ثبت انها غير دقيقة من ناحية الضبط ، وخاصة من جهة همزات الوصل والمد .

انشاء أول معهد للتمريض الاسلامى

قام معالى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى الدكتور عبد الله عمر نصيف بزيارة للإسكندرية وقف خلالها على موقع معهد التمريض الإسلامى . كما ناقش مع المختصين هناك خطوات العمل التنفيذية الخاصة بإنشاء هذا المعهد الذى ستقوم الرابطة بتمويله . ويعتبر هذا المعهد الأول من نوعه فى العالم الإسلامى الذى يقام لإعداد المرضة المسلمة من جميع الدول الإسلامية .

تحويل بنك المهندسين الى بنك اسلامى

اصدرت الجمعية العمومية للنقابة العامة للمهندسين قراراً بالالتزام بقواعد الشريعة الإسلامية فى كل المجالات المالية والاستشارية والاقتصادية الخاصة بالنقابة مع العمل على فتح فرع للمعاملات الإسلامية ببنك المهندس تمهيداً لتحويله إلى بنك إسلامى . والجدير بالذكر ان الجمعية العمومية تضم حوالى مائة وثمانين الف مهندس .

مؤتمر الفقه الاسلامى

أصدر مجلس المجتمع الفقهى الإسلامى الذى عقد فى جدة أخيراً عدداً من القرارات

والتوصيات فى عدد من الموضوعات التى تم بحثها ومن أهمها : انتفاع الإنسان بأعضاء جسم إنسان آخر حياً أو ميتاً ـ صرف الزكاة لصالح صندوق الضمان الإسلامى ـ زكاة الأسهم والسندات ـ انتزاع الملكية للمصلحة العامة ـ سندات المقارضة وسندات الاستثمار ـ بدل الخلو ـ التأجير المنتهى بالتمليك والمرابحة للآمر بالشراء ـ البهائية وموقف الإسلام منها ـ مشروع تيسير الفقه .

فهرس لمخطوطات المكتبة الأزهرية

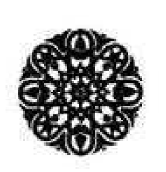
تجرى حالياً مباحثات بين جمعية إحياء التراث الإسلامى فى الكويت والأزهر الشريف تستهدف الاتفاق على إكمال طباعة فهرس مخطوطات المكتبة الأزهرية ، سبق ان اعد فضيلة الشيخ ابو الوفا المراغى نحو سبعة مجلدات مفصلة شملت الكثير من ذخائر المكتبة حين تولى الإشراف عليها ـ رحمه الله .

تعنى المباحثات الحالية بمخطوطات بعض الأروقة .

مركز اسلامى للوثائق والمعلومات

انشىء مؤخراً مركز إسلامى للوثائق والمعلومات فى الباكستان يهدف إلى تزويد الباحثين بالمعلومات والمخطوطات والوثائق الخاصة بالدراسات الإسلامية . وبدأ المركز فى تصنيف موسوعة عن الزكاة ، أموال الزكاة ، مصارف الزكاة ، مقادير الزكاة ، تحصيل الزكاة .

أحمد عبدالرحيم السايح



فهـــرس العـــدد

باب الشعر والشعراء
اشراف د. حسن جاد

باب العلوم الكونية

اللغة والأدب والنقد

القســم الانجليــزى
اشراف د. أنس مصطفى النجار

←

He is The One Who ordains, and His Will shall be done, and His Ways of Providence shall forever perpetuate.

78. The TRANSCENDENT Al Motaal المتعال

He is The Highest and Most Sublime and Exalted.

79. The BENEFICIENT Al Baar البـر

All Goodness, kindness and Charity emanate from His Beneficence.

80. The EXONERATING Al Tawwab التواب

All return to Him for relieving them from guilt and blame, thereby releasing them from the burden, and giving them remission for sins, and deliverance from punishment, over and over again through His Boundless Charity.

(Original Publication By Mr.Muhammad Abd El Meguid El Zimaity)

****



68. The SANCTUARY | Al Sammad | الصمـــد

All turn to Him at times of need. He is The Refuge and Haven of those in distress. He is The Ultimate Sanctuary.

69. The POTENT | Al Kader | القـادر

70. The OMNIPOTENT | Al Moktader | المقتدر

He has Absolute Power to do or not to do according to His Will. His Dealings are carried out in accordance with His Knowledge and His Predestination.

71. The ADVANCER | Al Moqadim | المقـدم

72. The RETARDER | Al Moakhir | المؤخـر

He advances the rank of whomsoever He wishes to honour, and He retards those who have fallen short of His Esteem.

73. The FIRST | Al Awwal | الأول

74. The LAST | Al Akher | الآخـر

He has The Precedence. From His Being, all else came to be. In the utterance, all beings shall return to Him. He disposes of their destiny.

75. The EVIDENT | Al Zaher | الظاهـر

76. The IMMANENT | Al Baten | الباطــن

He is The Evident, whose Existence and Omnipresence are established by evidence through the excercise of logic.

Yet, He is also The Immanent as His Presence may be visualized through percpetion of the senses.

77. The LORD | Al Waali | الـوالي

He predestinated the affairs and dealings of all beings and has taken charge of them righteously.

THE MOST MAGNIFICENT NAMES OF ALLAH

Collected and Reproduced By :
Mrs. Fatimah Muhammed Sirry

AND ALLAH HAS THE MOST MAGNIFICENT NAMES

SO INVOKE HIM BY THEM

64. The DOMINATING Al Qayoum القيوم

This Appellation denotes the essence of His Absolute Self-Subsistence, and all beings rely on Him for subsistence. Nothing is conceived to exist or last except through His Will. His Ruling is Autonomous, and His Existence is of necessity essential in His Entity and His Attributes. The existence of every other thing is dependent on His Will, and everything needs Him.

65. The ENTIRE Al Wagid الواجـد

He is Complete, not lacking in any trait. Every Attribute that is essentially Divine, is confined to The Deity. He is The Absolute Perfection.

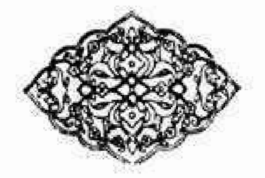
66. The ILLUSTRIOUS Al Magid الماجـــد

GOD's Glory is Splendid. He is The illustrious.

67. The ONE Al Ahad الأحـد

He is the Immutable Deity Who has no second or partner. He is The Absolute One from eternity and infinity for ever to come. Nothing is like Him in His Unique Verity, or His Divinity and His Dispensations of Providence.

In the text of the Hohly Quran: [Praise be to Allah, to Whom belongs all things in the heavens and on earth: To Him be Praise in the Hereafter, and He is All-Wise, All-Cognizant. He knows all that goes into the earth, and all that comes out thereof; all that comes down from the sky and all that ascends thereto.... who knows the unseen, from Whom is not hidden the least little atom in the heavens or on earth; nor is there anything less than that, or greater, but is in a prespicuous record. That He may reward those who believe and work deeds of righteousness; for such is forgiveness and generous sustenance". (Surat Saba, XXXIV, 1 - 4)].



values and standards; exactly similar to the physical laws that maintain the physical phenomena of nature. The method of reasoning of the Supreme Transcendent Mind which controls the whole material structure and the laws govering it is the same throughout the universe; and the human mind learns and follows the same reasoning to arrive at the Truth. The standards, values, measures of right and wrong, virtue and vice, good or evil is always exactly the same. This indicates that the human mind is guided and directed in its life by the same Truth that prevails in the universe. In other words, it is part of the Supreme Measure, and of the Truth that holds the Universe; it is part of the Unitary System of the Universe and a reflection of Allah's Light, Knowledge, Perfection, Augustness, Wisdom, Consummation, Dominance, Justice, Omnipotence and Sovereignty. The Holy Quran refers to this Truth ["The Merciful has taught the Quran; He has created man; He has taught him Bayan *. The sun and the moon follow courses exactly computed; And the stars and the trees both (alike) bow in adoration. And the skies has He raised high, and He has set up the balance (of Justic). In order that you do not transgress (due) balance. So, •establish weight with Justice and fall not short in the balance. (Surat Al-Rahman, LV, 1-9)]. * (The word Bayan in Arabic denotes: intellegent speech, power of expression, capacity to understand and interpret, ability to assimilate knowledge, faculty to differentiate).

The whole entire system of the Universe is the result of Allah's creation and is functioning according to divine Transcendent plan. This complex entirety is based on the principle of justice; from the astronomical formations down to the most primitive organism is controlled and maintained by the Law of balance and justice; without which none will exist. Mankind is given the knowledge to search in these sciences, and recognizes precisely that he is part of this collosal immense entirety. He is given the rational thought and intelligence to realize that he must operate in life with standards and values consistent with justice. Otherwise, he will be working against the entire system of the universe, and against the reality of his own nature.

The Holy Quran has described the universe and all its intricate and complex systems, and invited mankind to study and understand the wonders of Creation. Through the knowledge of these sciences and the appreciation of their infinite dimensions, mankind must seek the Truth and Reality, the Creator, His Attributes, His Perfections. Mankind must endeavour to follow the path of Truth, Reality and Justice.

the sky He has raised high and has set up the balance of everything. (Surat Al-Rahman, LV, 5 - 7)]. The Holy Quran stresses the solemnity, purpose and significance of the whole Creation. The entire infinite universe with all animate and inanimate matter in that universe is created in Truth and Justice. Allah is the Creator of the Universe, the Ultimate Reality and Truth and the Cause of all Causes. The belief in such criterion expands and gives freedom of thought to step outside the limitations of material existance, and recognizes life in its continuity and changing phases. Eternity and permanence are attributes only of Allah alone. The Holy Quran enlightens the mind of mankind by given evidence of the Majesty ana Omnipotence of Allah. This evidence is supplied by the wonders of Creation in their various manifestations. These wonders present knowledge to mankind; and make one realize that ultimate knowledge is with Allah The All-Knowing. Those who are endowed with knowledge stand firm in competent faith and complete submission to Allah. In this respect, the teachings of the Holy Quran provide the fundamental link between religious thought and scientific thought. With this understanding, no conflict exists, but total integration of both - presenting together a wholesome understanding to be conceptualized by the human faculties of contemplation, attestation and belief. As mankind advances in knowledge, he unfolds and discovers that the knowledge and bounties of Allah are infinite and beyond reach. The recognition of this equilibrium brings the human mind to the realization of the Supreme Dominating Omnipotent All-Cognizant, All-Embracing, Transcendent Mind, Who creates, controls, governs, directs and gives continuity to all the systems of the physical phenomena in the universe.

The Holy Quran indicates that the creation of mankind was for the purpose of worship and submission to the Divine Transcendent Creator. This submission and worship, comes as a result of comprehension, study, harnessing the physical phenomena of forces and relating them to the Cause of Causes - Allah. The intelligence, power of thought, rationality and innovation as faculties of the human mind, are all the creation of Allah. With these faculties, man was given the office of vicegerent of Allah on earth. In order to qualify for that office, mankind has to function according to the standards and values prescribed by Allah. The proper under-standing of these standards and values is the climax of human knowledge, strength, perception and wisdom. The Holy Quran also indicates to mankind the knowledge of yet another Reality of Allah as the Final Authority possessing the Law of Retribution and Atonement which is in constant operation. The moral balance of mankind is maintained by religious

→

not be the total indulgence in material wants, nor the deep concern for material desires. His sences should not become grounded, earthly and carnal; and his mind and mental faculty should not be confined to the bounds of matter, and blind to the energy that is inherent in its confines. The Holy Quran introduces the understanding that mankind should not be servile to matter; but should be its master; to realize the sciences of the complex forces governing the nature of that matter and relating these forces to the Great Intellectual Reality - Allah. Therefore, through research, knowledge and understanding, mankind's intellect is brought nearer and closer to Reality, Truth, Realization of the Marks and Signs of the Creator. These Marks and Signs of the Creator have an ultimate destiny that is beyond the material dimensions of this universe.

The sciences of secular materialism fails to comprehend the world beyond the borders of its material structure. The Holy Quran introduces new horizons of knowledge based on observation, thought inertia, and relationships of phenomena. By reflecting in deep fact finding thought, the human mind can visualize the complexity, grandeur, and intricacies of cosmic phenomena. All this is the work of the Creator Allah. In the Holy Quran, it is stated ["To him is due the primal origin of the Heavens and the Earth: when He decrees a matter, He says to it "Be" ! and it is " (Surat Al Baqara II, 117)] - All the processes of creation in the whole cosmos are completely under the control and direction of the Creator. From the very delicate minute mechanisms and interactions of subatomic structures to the large scale physical phenomena of nature, are completely regulated with precision. The universe with the countless stars, planets and galaxies in perfect order ordained for them is a sign of Allah's Attributes. The Holy Quran gives significance to this understanding [Blessed be He in Whose Hands is the Dominion, and He hath power over all things. He who created Death and Life that He may try which of you is best in deed. And He is the Exalted in Might, Oft-Forgiving. He who created the seven heavens one above another; no want of proportion wilt thou see in the creation of The Merciful. So turn thy vision again; seest thou any flow ? Again turn thy vision a second time; (thy) vision will come back to thee dull and discomfited, in a state worn out. (Surat Al-Mulk, LXVII, 1 - 4)].

Everything in the universe follows the law of Creator [who hath created and further given order and preparation, who hath ordained laws and granted guidance (Surat Al-Ala, LXXXVII, 2 - 3]. [The sun and the moon follow courses exactly computed, and the stars and the trees bow in ordoration. And

THE HOLY QURAN AND SCIENCE

By : Saad Moustafa Moustafa, M.D.

The mission of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), and the revelation of the Holy Quran was the most significant event in human history to enrich the human mind. This brought new dimensions to the study of the natural phenomena of the universe. The Holy Quran invites mankind to study and understand the wonders and mysteries of nature; and endeavour to interpret the forces and mechanisms that govern this infinite multistructured universe with all its various interacting component systems. Such search into the intricate fascinations of creation will bring mankind closer to the Reality of Creation. The infinite expansive cosmos is controlled with great precision and extreme exactness,and everything existant continuously flows from phase to phase in the record of time. Behind all these wonders of creation, there is a Great Intellectual Reality, Masterful, Creator, Fashioner, Dominating, Omnipotent.

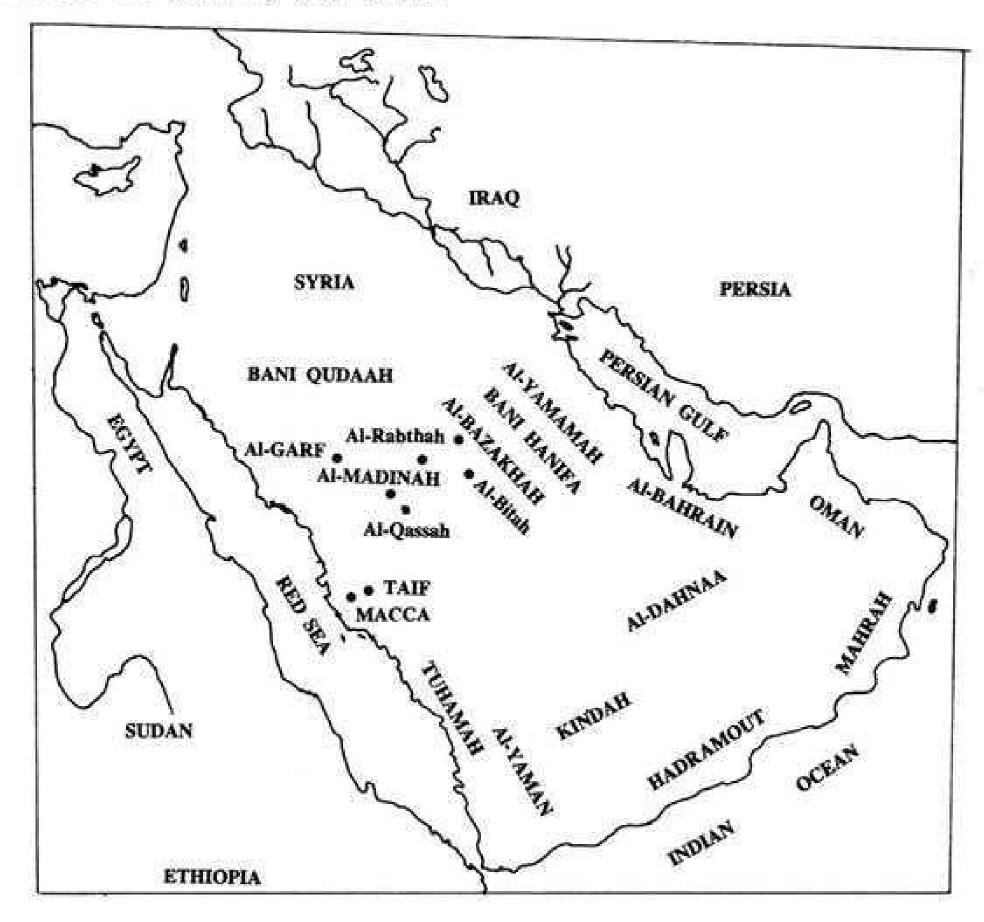
The denial of this Reality evacuates the human mind of rationality, leads to instability, confusion, anarchy and entropy. There becomes dejection of the mind, and rejection of Truth. This leads to spiritual emptiness creating a hollow void in the inner structural build up of human psyche. The whole intellect of man becomes deprived of the energy bond that links man's individual existance to universal cosmic existance. The belief in the Eternal Reality is the basic understanding of Tawhid the belief in the Oneness of Allah.

The realization of such concepts will induce mankind to become unpretentious and live according to doctrines and certain values and obligations, in order to ensure other people's rights. To grant people their rights in full fairness is pre-requiste to obtaining one's own rights. This individual sence of justice is the basic ingredient of freedom. These concepts that involve the essentials of human life are particularized in the Holy Quran. Man's life should

➛

mission, the desire for martyrdom in the cause of Allah and the thought of paradise. They marched out stamping the desert sands in many directions to confront apostate renegade enemies. They marched out with one belief and intention "To make the words of Allah supreme". Abu Bakre was the man who planned, organized and engineered the campaign against the renegades; around him were the close companions, the advisory council who shared the thoughts, the heaviness of the responsibility, the burden of patience, and the devoutness and piety in belief.

Yonder in the various localities, confrontations started. The heat and intensity of battle became evident, the strategy and manoeuvres of warefare, were necessary. The rallies, the advances, the detours, the flanking and the reinforcements were all governed and controlled by the Khalifa of Rasul-Allah, Abu Bakre Al-Siddiq. History stood still to know the outcome between the forces of Truth and the forces of inquity and evil.



summon to Islam before fighting. He who answers the summons, conforms with all rightousness of Islam; he is spared and supported. He who refutes and disavows is treated as an enemy, to be followed and killed. Nothing except the return into Islam will be accepted. Whoever complies and observes the proprieties, the conventions, and the dictates of Islam is beneficial for him; and whoever rejects will not depreciate the Augustness and Sovereignty of Allah. I have instructed my messenger to read my letter to you in all your gatherings and societies. The summons will be the "Adthan" (call for congregational prayers). Who answers it will be preserved and who denies it will be confronted with the sword; and if he conforms, he will be spared and assisted into the patronage and abetment of Islam."*

This message was announced all over the Arab Peninsula, and it was intented as an initial diplomatic skillful move, in order to give a chance for the Apostates to think of returning into Islam. Many had in fact blindly followed the impostors without giving the matter any rational thought, many were afraid to declare their Islam among the masses of renegades. The announcement of Abu Bakre gave backing and moral support to many among the renegades who were inclined to Islam. The message of Abu Bakre was also taken as a protocol of action by the army commanders commissioned by Abu-Bakre himself. Accordingly, to this announced message every commander must first summon people for Islam by calling the "adthan"; and no fighting was to be started except after a negative response had been received.

The renegades of the tribes were certain of the firm intentions and balanced resolutions of Abu Bakre. Abu Bakre was confident in his faith, strong in his belief, absolutely dependant on the Sovereignty and Supremacy of Allah. Abu Bakre was in total conviction of belief that Allah would be his Victor, Champion and Guidance. With such basic elements of deep rooted belief, Abu Bakre stood firm confronting an uproaring wave of apostasy and violence that extended to include large areas of the Arab Peninsula.

Abu Bakre and few of the Prophet's companions remained at Al-Madinah as the Muslim regiments started out from Zi Al-Qasah to their respective destinations, carring with them the announcement of Abu-Bakre to everybody. They carried with them thier orders and instructions. They carried with them the reality of their faith, and the confidence of their belief. They carried with them the purpose and intent of their

after delivering the Message. Allah had clarified that to him and to all Muslims in the Holy Quran which was the Book Revealed.

[Truly thou wilt die (one day), and truly they too will die (one day) (Surat Al-Zumur, XXXIX, 30); Allah also said [We granted not to any man before thee permanent life (here): if then thou shouldst die, would they live permanently (Surat Al-Anbiyaa, XXI, 34). Allah also addressed the believers in the Holy Quran and said [Muhammad is no more than an Apostle, many were the Apostles that passed away before him. If he died or be slain, will ye then turn back on your heels ? If any did turn back on his heels, not to the least harm will he do to Allah; but Allah will reward those who show gratitutde (Surat Al-Imran III, 144)]. Whoever had worshipped Muhammad, Muhammad has died; and who has worshipped Allah alone with no associate or partner; Allah is He, the Living, the Eternal, no slumber can seize Him nor sleep, Guardian of His words, Avenger of His enemies.

I summon you to piety and devoutness to Allah; to your share in what Allah has promised, and what the Prophet has delivered to you. I beseech you to follow his guidance, and adhere to the precepts of the Faith of Allah. Without Allah's guidance, there is loss; without Allah's support, there is defeat; without Allah's strength, there is weakness. [He whom Allah guides is rightly guided; but he whom Allah leaves to stray, for him wilt thou find no protector to lead him to the right way (Surat Al-Kahf, XVIII, 17).

I have received knowledge that some among you have reverted and denied the faith after he had accepted Islam. This deed is total ignorance and obedience of the devil iblis (Satan). In the Holy Quran, it is recorded [Behold ! We said to the angles "Bow down to Adam": they bowed down except iblis. he was one of the Jinn, and he disobeyed the Command of his Lord. Will Ye then take him and his progeny as protectors rather than Me ? and they are enemies to you. Evil would be the exchange for wrong doers. (Surat Al-Kahf, XVIII, 50)]. Allah also stated in the Holy Quran [Verily, Satan is an enemy to you, so treat him as an enemy. He only invites his adherents, that they may become companions of the blazing fire (Surat Fatir, XXXV, 6)].

I have sent to you warriors from the Muhagereen and the Ansars and others of the Muslims. Their orders are to

enemy that confronted them. They must first summon their enemy to Islam; if the summon is positively answered with conformity into Islam, no fighting should take place. The use of the sword was to be only against those who refused the call of Islam. Abu-Bakre also instructed the commanders to recruit willing Muslims from the various tribes on the way as the armies travelled to their destinations. The armies marched to their objectives at different predetermined times according to well planned strategy. Abu - Bakre also instructed the army commanders to be in continuous contact with him at Al-Madinah, and not to move from one battle to another or from one region to another except after authorization from Abu Bakre himself. This was the unification of leadership; Abu Bakre at Al-Madinah assisted and advised by the leading companions from the Muhagereen and Al Ansars was the man who essentially planned and conducted the maneuvering manipulating tactics of that widely spread war against the apostates from the differen renegade tribes.

Before the march of the armies, Abu - Abakre announced an open address to every dweller of the Arab Peninsula, individuals and tribes, conforming with Islam or refuting the faith; a communal message to all. This very famous historical address reads:

*"In the Name of Allah the Merciful the Compassionate. From Abi Bakre, the Kalifah of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), to who ever receives my address of public or specific individuals, remaining adherent to Islam or refuting it.

Greetings to those who follow the guidance, and did not revert from guidance to blind transgression. I praise Allah, there is no god but He, I witness that there is no god but Allah with no associate partner, and that Muhammad is His subject and Messenger. We conform what he has delivered, and we oppose with contention and strife those who deny.

Allah be praised sent Muhammad with the Divine Truth to Mankind, as herald and to give admonition; as announcer of the words of Allah; as a shining lantern to warn those alive, and the unbelievers will be charged with the rejection of Faith and willful transgression Allah guided those who answered the summons, and the Prophet has after Allah's will struggled for the cause until everybody came into Islam.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) died

Bahrain on the Persian Gulf. **The seventh army** was commanded by Huzayfah ibn Muhsin Al-Ghalfani to fight Zi Al-Taj Laquit ibn Malik Al-Azdii the impostor in Oman. **The Eighth army** was commanded by Arfagah ibn Harthah who was to march to Mahrah on the south coast of the Peninsula between Oman and Hadramaout.

The remaining three armies were commissioned to march north. The first under the command of Amre ibn Al-Aas was ordered to confront Bani Qudaah. The second commanded by Maan ibn Hagiz Al-Salmii to fight Bani Salim and their followers from Bani Hawazen. The third was commanded by Khalid ibn Said ibn Al-Aas to safeguard the northern frontriers with Syria.

Abu Bakre Al-Siddiq personally conducted the selection of troops for the individual armies, and also appointed their commanders. These armies included warriors from the Muhagereen as well as from the Al-Ansars, all of whom willingly volunteered for the mission of fighting against the apostates. Abu Bakre left a separate contingent including the heads of Al-Ansars to remain behind at Al-Madinah for its defence. He also kept with him at Al-Madinah the leading companions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) as Omar ibn Al-Khattab, Ali ibn Abi Taleb, Osman ibn Affan, Abdel-Rahman ibn Aof, Al-Zubair ibn Al-Awam and many others. Abu Bakre planned to hold a war-council at Al-Madinah as headquareters for the mass campaign against the apostates all over the Arab peninsula. Abu Bakre was adamant, intent with purpose, wise in action, and renitent uncompromising in the terms of Allah. These characteristics were the source of his strength, confidence, and steadfastness. The faith of Islam was completed during the lifetime of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him);it will certainly not be weakened or undermined in the reign of Abu - Bakre as Khalifah of the Prophet. From this basic belief, Abu Bakre was the master and maestro of a very assiduous war against very strong resistant stubborn Arab tribes all over the Arab peninsula, who have refuted and disavowed the faith of Islam, became atavistic and followed impostors and frauds who allegedly claimed prophethood. This war, which Abu Bakre engineered and conducted, against the renegades was the most precarious and crucial war in the history of Islam, after the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Everyman who took part in this war, directly or indirectly, sincerely hoped and prayed to gain martyardom in the field of divine honour, to die in the path of Allah.

Abu Bakre Al-Siddiq gave explicit orders to all the armies' commanders of how to conduct their battles with the



ABU BAKRE AL-SIDDIQ

WAR AGAINST APOSTATES

PART I

*By : Dr. Anas **Moustafa** El-Naggar, M.D., Ph.D*

Abu Bakre defeated the tribes of Abs, Zubian, and Bani Bakre and compelled them to evacuate their positions at Al-Abraq. Abu Bakre declared that the lands of Al-Abraq and Al-Rabathah were the property of Muslims and their grazing land. Abu Bakre returned to Al-Madinah where he remained to think and plan the strategy to defeat the renegades and impostors who claimed prophethood; and also to give time for the army of Ussamah ibn Zayd to recuperate from the assignment to the northern borders. After deciding and determining his intentions, Abu Bakre summoned all his combat forces to Zi Al-Qassah, where he arranged them into eleven different armies, each headed by an appointed commander. The number and command of each army was well-chosen for the exact commission of each particular army, and the enemy to be confronted.

The **first army** was commanded by Khalid ibn Al-Walid to meet and subdue Tulayhah ibn Khuwaylid of Bani Assad; then to march to Malik ibn Nuwayrah of Bani Tamim; both situated east of Al-Madinah at Al-Bitah, and Al-Bazakhah. Bani Assad and bani Tamim were the nearest of the renegade tribes to Al-Madinah. The **second army** was commanded by Ikrima ibn Abi Jahle, and was commissioned to fight Mussaylamah of Bani Hanifah at Al-Yamamah. The **third army** was commanded by Sherahbil ibn Hassanah with orders to assist the second army under Ikrima in the battle against Bani Hanifah. When victorious, Sherahbil and his army should move north to assist Amre ibn Al-Aas against Bani Qudaah. The **fourth army** was commanded by Al-Muhajir ibn Abi Ummayah Al-Makhzumii to fight the Al-Aswad Al-Ansii and his followers in the Yaman. After that to march to Kindah and Hadramaout in the south to fight Al-Ashaas ibn Qays and his tribes of apostates. The **fifth army** was commanded by Suwayd ibn Maqrin Al-Awsii to figth the reversionary groups in Tuhamah on the east coast of the Red Sea neighbouring Yaman. The **sixth army** was commanded by Al-Alalaa ibn Al-Hadrami to subdue the recreant tribes in



AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 60, Part IX

Ramadan, 1408, Hijrah

Editor - Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

==

CONTENTS

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammed Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION



الأزهر

مجلة شهرية

جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان

إدارة الأزهر بالقاهرة

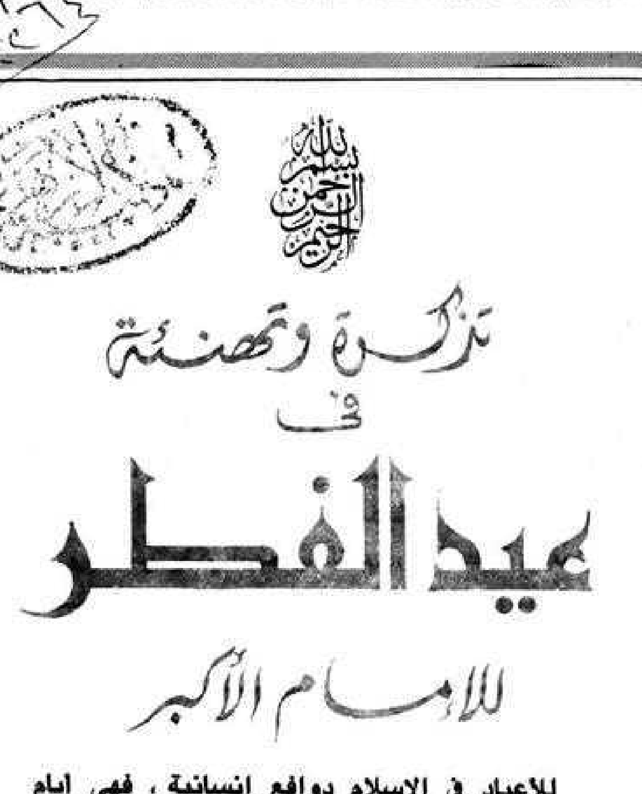
ت ٩٠٥٤٧٣/٩٠٥٥٠٦

الجزء العاشر

السنة الستون

شوال ١٤٠٨ هـ

مايو - يونية ١٩٨٨ م



للأعياد في الإسلام دوافع إنسانية ، فهى أيام ذكر وشكر .

فعيد الفطر يعقب عبادة هى صوم شهر رمضان ، ومن ثم كان يوم تهليل وتكبير ، حيث يبدأ المسلمون هذا العيد بالصلاة التى تنتظم فيها الصفوف ، وتندمج كل الطبقات من الأمة ، سمة من سمات المساواة بينهم ، وآية على وحدة العقيدة .

وصلاة عيد الفطر مع انها ذكر لله سبحانه ، فهى ايضا شكر على نعمة العون على إتمام الصوم ، وهى جوهر ومظهر .

←

تذكرة وتهنئة

فجوهر هذه الصلاة اجتماع مهم وعام لجماعة المسلمين ، شيبا وشبانا ، نساء واطفالا ، استفتحوا يوم عيدهم بإعلان : أن الله اكبر من كل شيء ، وتتجاوب قلوبهم ونفوسهم مع هذا الإعلان ، فلا كبر ، ولا حسد ، ولا تباغض ، وإنما قد وقر الإيمان فى قلوبهم فانسوا بطاعة ربهم ، وخرجوا بصومهم مغفورا لهم بوعد الله الكريم ، الذى اخبرنا به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وانا اجزى به[1]) ومظهر هذه الصلاة تلك الوحدة المجمعة للصفوف فى طاعة الله .

فى هذا العيد تاصيل وتجديد للصلات الاجتماعية بين المسلمين ، ليتواصل الإخاء ، ويتوالى التعاون والمودة والمحبة ، ويكون الصفاء والنقاء بين الافراد والجماعات .

وفى العيد يذكر أصحاب النعم ذوى الحاجة والعوز بسنة الإسلام (صدقة الفطر) .. طهرة للصائم ، ومعونة للمحتاج ، وإسعادا لأهله ، وصونا لإنسانيته عن أن تستذل فى يوم المرحمة .

فهو يوم كرم وجود ، تزكو فيه النفوس التى صامت وقامت لله ، واعتادت فعل الحسنات ، وترفعت عن دنس السيئات ، وبرئت من الشح والبخل ، ففاضت بالخير عطاء فى سبيل الله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ ..

هذا العيد تذكرة لهؤلاء الذين استجابوا لله وأنابوا ، أن يداوموا على ما استساغوا من ذكر الله ، من البذل فى سبيله : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى.فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَمَايُغْنِى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾ ..

هذا العيد دعوة لمن يذكر أو يخشى إلى مزيد من العطاء لأمته ومجتمعه فإن العمل عبادة ، كل العمل المفيد المثمر .

هذا يوم يُذَكِّر المسلمين بأن النجاح فى مجاهدة النفس وحملها على الاستقامة وحجبها عن العبث ، وتعويدها على النظام والانتظام ، فى أداء المسئوليات أمر واجب ، ومن فروض الإسلام : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ .

هذا العيد مرحلة جديدة فى حياة المسلم أيا كان موقعه فى المجتمع ، يأخذ منه الزاد لرحلة جديدة عبر أيام ومواسم عمل وطاعة مقبلة ، إنه يوم يتنادى فيه المسلمون فى بيوتهم وطرقاتهم ومساجدهم : الله اكبر .. عَلَمُهم الذى يتجمعون عنده ورباط قلوبهم إذا عز الصبر أو اهتز ، والمؤكدة لإيمانهم إذا أحاطت بهم المغريات أو احتوتهم نوازع الشر والإفك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ .

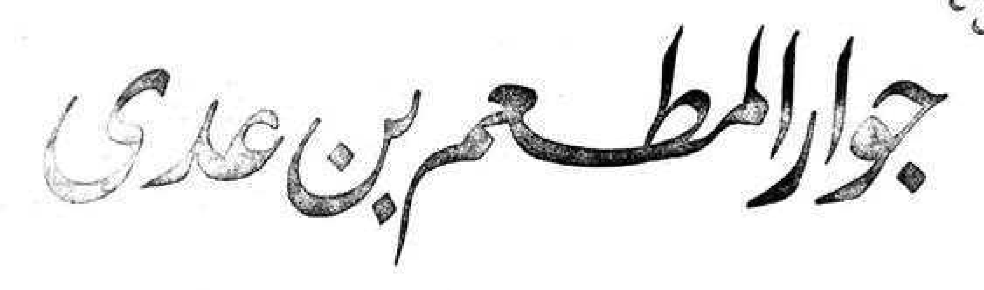
هذا العيد تذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وهو يوم سرور واستمتاع بالمباح ، وتوسعة على الأهل ، دون إسراف أو إتلاف .
وهو يوم تزاور تتقارب فيه القلوب ، وتزدهر الصلات ، وما أحوج الأمة إلى أن تأسو فيه الجراح حتى يلتئم الصف ، وتتوحد الكلمة ، ويكون عيد وفاق وتلاق ، ويزول فيه الخصام والشقاق ، فلنعقد العزم ـ أيها المسلمون ـ على أن نكون فى عيد الفطر قد استذكرنا نقائصنا فأصلحناها ، وتواصينا بالحق وبالصبر .
اقبلوا على هذا العيد بآداب الإسلام ، فتصافحوا وتناصحوا وتبادلوا التهانى وليكن حواركم شورى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ .
ولا تركنوا إلى الذين ظلموا وتتبعوا أولئك الذين يحاولون أن يفتنوا المؤمنين والمؤمنات عن دينهم الذى ارتضاه لهم ربهم فيسوغون لهم ما حرمه الله ورسوله ، ويلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب ، وما هو من الكتاب ، ذلك أن الشيطان قد زين لهم أعمالهم وأمدهم بباطل من القول وزور .
فى عيد الفطر المبارك : أهنىء الأمة الإسلامية ، وأدعو الله أن يهيىء لها من أمرها رشدا ، حتى تفىء إلى أمر الله ، وتحتكم إلى شريعته ، وتنزل عند حكمه ، فتتوقف هذه الحروب التى أهلكت الحرث والنسل ، ودمرت واستنزفت كل وارد ومدخر دون مصلحة ظاهرة ، وإنما فى مقامرة خاسرة ، وعصبية قاتلة ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .
فى عيد الفطر : أهنىء شعب مصر بمقدمه ..
وأهنىء السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ...
وأهنىء أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء المسلمين بهذا العيد المبارك باسم الأزهر الشريف ..
وأسأل الله أن يتم نعمته على هذه الأمة باتحاد الصف ووحدة الكلمة .. حتى تتغلب على هذه الشرور المحيطة بها .. إذ : ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ ﴾ .

شيخ الأزهـر
(جاد الحق على جاد الحق)

---

(١) رواه مسلم .



جوار المطعم بن عدى

دخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة مَرْجِعَهُ من الطائف فى جوار « المُطْعِمِ ابن عَدِىّ بن نوفل بن عبد مناف » . وكان جواراً كريماً غير مشروط ، وَفَى به المطعم حتى غلبتْهُ قريشٌ عليه .

وإذا قلنا ـ عن جوار المطعم ـ إنه « كان جواراً كريما غير مشروط » فإنما نحدث عن واقع يدل عليه ما فى أيدينا من مراجع ؛ فإن أحداً من قريش لم يستطع أن يؤذى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أثناء ذلك الجوار ، على الرغم من حقدهم عليه وغيظهم منه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إلا ما كان من عمه أبى لهب .

روى الإمام أحمد رضى الله عنه ـ بسنده ـ إلى أبى الزناد قال :

« أخبرنى رجل يقال له : ربيعة بن عِبَاد الدِّيل ـ وكان جاهلياً فأسلم ـ قال : رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الجاهلية فى « سوق ذى المجاز » وهو يقول : ياأيها الناس ، قولوا : « لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابىء كاذب ، يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب » .

فأما ما رواه البيهقى ـ رضى الله عنه ـ عن نفس الحادثة ، وفيها ، « فإذا هو أبو جهل » فإن دراستنا للجوار تَرُدُّ هذا النص إلا على اعتبار حدوثه من قبل إِجَارة المطعم ، فإن أبا جهل لم يكن ليغامر بإخفار جوار المطعم بهذه الجراة والحمق مثيراً لأحد بطون قريش ، فأما ما كان بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعمه فعذر المطعم فيه واضح .

ورواية الإمام أحمد تؤكدها رواية لابن إسحاق ـ رضى الله عنهما .

● ● ● ● ● ● ●

وحيث تحدثنا عن « الجوار المشروط » فإنه ينبغى ـ ونحن ندرس قضية الجوار ـ أن نلقى الضوء عليه ، وَأَكْرَمُهُ جِوارٌ حَمَلَ الشرطَ ابتداء ، لا جوار بدأ مُطلقاً ثم دخل الشرط عليه ؛ فهذا الجوار الأخير ليس فيه طابع الكريم ، ولا ذود الشريف ، وقد مر بنا مثالاً عليه « جوار » ابن الدغنة لأبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه[1] .

---

(١) راجع مجلة الأزهر ـ ربيع الآخر ١٤٠٨ ص ٤٠٥ .



للدكتور/علي أحمد الخطيب

وهو جوار لم يطلبه أبو بكر ، إنما ساقه ابن الدغنة من عند نفسه حين التقى بأبى بكر مهاجراً ، فقال : « ارجع فإنك فى جوارى » دون أن يُلْحِقَ قولَهُ هذا بشرط . فلما ضاقت قريش بصلاة أبى بكر وقراءته حملت على ابن الدغنة ، فذهب إلى أبى بكر يشترط فقال له :

يا أبا بكر ، إنى لم « أُجِرْك » لتؤذى قومك ، وقد كرهوا مكانك الذى أنت به ، وتَأَذَّوا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت .

فقال أبو بكر ـ فى شَمَمِ الكريم وعفته : أو أَرُدّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله !

فأسرع ابن الدُّغنة يتلقفها كأنما يخشى أن يتردد فيها الصديق فقال : فَارْدُدْ علىّ جوارى .

ولم يكتف ابن الدغنة بذلك فذهب يستعدى قريشاً على الصديق . يقول ـ فى نواديها :

يا معشر قريش ، إنّ ابن أبى قحافة قد رد على جوارى ، فشأنكم بصاحبكم »

أى افعلوا به ما شئتم .

وليست تلك خلة كريم .

● ● ● ● ● ●

فأما « الجوار » المشروط ابتداء ، فقد التقى به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . وهو « جوار » إذا صدر من كريم شريف فقد اعتذر به صاحبُهُ لنفسه ، وأبان عن طاقته ، وليس يلام المرء فيما فوق طاقته .

وسنجد له مثالاً فى بحثنا هذا ، وقبول الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه لعذر صاحبه .

● ● ● ● ● ●

استقبل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى جوار المطعم العمل للدعوة فكانت حينئذ :

أ ـ فى غير قريش التى منعته عن تبليغ كلام ربه فَتُرِكَتْ إلى حين .

ب ـ وهدفت إلى طلب « جوار » ينتقل به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى (أرض) تنطلق منها الدعوة حرة دون قيد ولا إكراه .

وخير ما يتمم هذا الهدف أن (يُؤْمِنَ) بالدعوة (أهلُ هذا الجوار) .

ونعود فنؤكد أن استهداف القبائل للدعوة حينئذ ليس معناه أن هذه القبائل كانت ـ من قبل ـ ساقطة من حساب الدعوة .. كلا ، بل إنها لَتُدْعَى إلى الإسلام منذ الجهر بالدعوة ، أى من قبل ذلك بسبع سنين(٢) ـ على الأقل ـ لكن الجديد ـ على وجه التحديد : هو طلب الجوار منها ، أى

(٢) إنما نقول « بسبع سنين على الأقل » نظراً لأن هذا الوضع الأخير استمر ثلاث سنين كانت نهايتها اتفاقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع الأنصار : قبيلتى « الأوس » و « الخزرج » اللتين وفقهما الله ـ سبحانه ـ إلى الإيمان وقبول هذا الجوار وتلك الكفالة . وهذه الثلاث هى ختام السنوات العشر للجهر بالدعوة انتقل بعدها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة المنورة .

دخولها طوراً جديداً تتحمل فيه كفالة الدعوة والقيام بشأنها : فإنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أخفى رسالته ثلاث سنين ، ثم أعلن بها فى الرابعة مبتدئاً طور الدعوة الجهرية التى استمرت بمكة عشر سنين لم يترك خلالها شخصيات كبيرة توافى مكة ، أو معتمرين يفدون إليها فى « رجب » أو حجيج يأتيها بموسم الحج إلا كان له عليه الصلاة والسلام فيهم دعوة بجانب دعوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقومه .

فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يتبع الحجيج فى منازلهم بـ « مِنًى » و « عرفة » وغيرهما يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة ، ويسأل عن منازلهم ويأتى إليهم فى أسواق المواسم : عُكاظ ومَجَنَّة وذى المجاز[3] : فقد كانت العرب عندما تحج تقيم بـ « عكاظ » حتى نهاية العشرين من ذى القعدة ، ثم تنتقل إلى « مجنة » عقب فض عكاظ فتقيم حتى نهاية ذى القعدة ، ثم تنطلق إلى « ذى المجاز » . ومن الطبيعى أن يكون أقربَ إلى عرفة ـ إذ بينهم وبين أن يقفوا بعرفة أيام معدودة ، فيقيمون بتلك السوق الأخيرة حتى الثامن من ذى الحجة ، وهو يوم التروية .

فى كل هذه الأماكن كان يطرقهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ داعياً عاماً بعد عام حتى إذا وقعت حادثة الطائف ـ خلص رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لدعوة القبائل . هذه القبائل التى لم يكن الحال بينها سهلاً مرضياً .

يقول الإمام الزهرى ـ رضى الله عنه ـ

« فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب فى كل موسم ، ويكلم كل شريف قوم ، لا يسألهم ـ مع ذلك ـ إلا أن يُؤْوُوه ويمنعوه ويقول : لا أُكْرِهُ أحداً منكم على شىء ، مَن رَضِىَ منكم بالذى أدعوه إليه فذلك ، ومن كَرِهَ لم أكرهه ، إنما أريد أن تُحْرِزونى فيما يراد لى من القتل حتى أبلغ رسالة ربى ، وحتى يقضى الله لى ولمن صحبنى بما شاء ..

فلم يقبله أحد منهم ، وما يأتى أحداً من تلك القبائل إلا قال :

---

(٣) عكاظ سوق كانت تقوم بأرض تعرف حالياً بـ « القانس » قال الزركلى :

« على مرحلتين من مكة للذاهب إلى الطائف فى طريق السيل ، يميل قاصدُ عكاظ نحو اليمين ، فيسير نحو نصف ساعة : فإذا هو أمام نهر فى باحة واسعة الجوانب يسمونها « القانس » وهى موضع سوق عكاظ .

فأما مِجَنَّةُ فموضع قرب مكة على أميال منها قرب جبل جنوب مكة يقال له : « الأسفل » يقع بمر الظهران . وكانت مجنة سوقاً لكنانة بأرضها .

وذو المجاز : اقرب إلى عرفة ، وهى سوق يحدها اكثر العلماء بأنها على فرسخ اى نحو (٧,٦٨٠ كم) من عرفة بناحية (كبكب) وهو جبل بعرفات ، ونقل الزبيدى قولاً أخر : انها كانت تقام بـ « مِنًى » وليس من شك ان تجمع الحجيج بهذه السوق ، وفى النهاية من موسم الحج ، من شأنه أن يمد السوق فتتسع لتمتد إلى (مِنًى) وسمى ذا المجاز لأن إجازة الحاج كانت منه » .

راجع الحلبية اول المجلد الثانى ، وانظر فى اقيسة الفرسخ المعجم الوسيط .. الكلمات : الفرسخ ، الميل ، الذراع ، وانظر لسعيد الافغانى أسواق العرب .

قَوْمُ الرجل أعلم به ، أترون أن رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه !»[٤]

وقد استقصى الإمام محمد بن عمر الواقدى الأمر فقصَّ خبر القبائل واحدة واحدة ، فذكر عرضه ـ عليه الصلاة والسلام نفسه على : بنى عامر وغسان وبنى فزارة وبنى مُرَّةَ وبنى حنيفة وبنى سُلَيم ، وبنى عبس وبنى نصر بن هوازن وبنى ثعلبة بن عُكابة ، وكِنْدَةَ وكلب وبنى الحارث ابن كعب وبنى عُذرة وقيس بن الحطيم وغيرهم .

على أن هذه الجولات ، وإن كانت فى جملتها لم تأت بطائل إلا أنها خاطبت ـ أو كادت ـ رءوس العرب جميعاً ؛ فإن هذه القبائل جمعت بين جنوب الجزيرة وشمالها وأواسطها وجيوبها جميعاً ، ورأى أشراف هذه القبائل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخاطبوه ، ونقلوا عنه وتحدثوا بأمره ، ومنهم من أُسْقِطَ فى يده حين عاد إلى موطنه من الجزيرة دون أن يُجير رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

ففى النهاية من أحد هذه المواسم الأخيرة وقد صدر الناس إلى ديارهم رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافى المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون فى ذلك الموسم فلما قدموا عليه سألهم عما كان فى موسمهم ، فقالوا :

جاءنا فتى من قريش،ثم أحدُ بنى عبد المطلب يزعم أنه نبى يدعونا إلى أن (نمنعه) ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا .

فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال :

يابنى عامر . هل لها من تلاف ؟[٥] هل لِذُناباها[٦] من مطلب ؟ والذى نفس (فلان) بيده ما تقوَّلها[٧] إسماعيلى قط ، وإنها لحق ، فأين رأيكم كان عنكم !؟

وفى الحديث الشريف بصمات لهذه الفترة ، روى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه : كُلٌّ بسنده ـ إلى جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال :

كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعرض نفسه على الناس بالموقف ؛ فيقول :

« هل من رجل يحملنى إلى قومه ؛ فإن قريشاً قد منعونى أن أبلغ كلام ربى ـ عز وجل »[٨] .

● ● ● ● ● ●

←

---

(٤) سيرة ابن كثير ١٥٨/٢ . والنص باختصار فى الحلبية ٥/٢ .

(٥) تدارك .

(٦) الذُّنابى : مَنْبِتُ ذنب الطائر .. يريد : أهذا أمر وَلَّى فلا يدركه أحد .. تحسراً منه على ما فات قومه .

٧) ما تقوَّلها : ما ادعاها .

(٨) الحديث بلفظ الإمام أحمد ـ انظر المسند ٣٩٠/٣ الميمنية ـ وانظر لأبى داود ـ كتاب السنة ـ باب فى القرآن ، وانظر مقدمة ابن ماجه ـ نهاية الباب ١٣ ـ رضى الله عنهم أجمعين .

اسفرت دعوة القبائل عن ثلاث :

١ - رافضة : وَأَسْوَأها ثقيفٌ وبنو حنيفة . أهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب . فعن عبد الله ابن كعب بن مالك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى بنى حنيفة فى منازلهم فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم نفسه فلم يك أحد من العرب أقبح ردا عليه منهم[٩] .

وقد مر بنا موقف ثقيف .[١٠] .

٢ - او مشترطة : ومنها بنو عامر ، وكِنْدة

فقد طرق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منازل كِنْدة فى الموسم ، وكانوا من اليمن من بنى عمرو بن معاوية ، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

... هل لكم إلى خير ؟ قالوا : وما هو ؟

قال : تشهدون أن لا إله إلا الله ، وتقيمون الصلاة ، وتؤمنون بما جاء من عند الله .

قالت كندة : إن ظفرتَ تجعلْ لنا المُلْكَ من بعدك ؟

فقال - عليه الصلاة والسلام : إن الملك لله يجعله حيث يشاء .

فقالوا : لا حاجة لنا فيما جئتنا به .. أجئتنا لتصدنا عن آلهتنا . وننابذ العرب،الحق بقومك فلا حاجة لنا بك .

ومثل ذلك قالت بنو عامر :

- أرايت ، إن نحن تابعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على مَنْ يخالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟

قال - عليه الصلاة والسلام : الأمر لله يضعه حيث يشاء .

قالوا : أفَنهدفُ نحورنا للعرب ، دونك ، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك .

٣ - او متانية :

واعلى أولئك ادباً بنو شيبان بن ثعلبة ، وكانوا وفدا كبيراً حضر الموسم يضم : مفروق بن عمرو ، وهانىء بن قَبيصة ، والمثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك .

حلّ بهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبصحبته أبو بكر الصديق - وعلى بن أبى طالب - رضى الله عنهما ..

قدّمَ أبو بكر النبىَّ صلى الله عليه وسلم إليهم ، فالتفت إليه مفروق فقال : إلامَ تدعو ياأخا قريش ؟

---

(٩) ابن كثير ١٥٧/٢ .

(١٠) راجع افتتاحية رمضان ١٤٠٧ .. مجلة الأزهر

فقال ـ صلى الله عليه وسلم :

أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأنى رسول الله ، وأن تُؤْوُنى وتنصرونى حتى أُوَدِىَ عن الله الذى أمرنى به ، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله ، وكذبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق . والله هو الغنى الحميد .

ثم تلا ـ عليه الصلاة والسلام ـ مختارات من الكتاب العزيز ، فتلا :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ .. إلى قوله : ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(11) .

ثم تلا قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(12) .

قال مفروق ؛ إذ انتهى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الآيات الأولى :

.... والله ، ما هذا من كلام أهل الأرض ، ولو كان من كلامهم لعرفناه فلما سمع الآية الأخيرة قال :

« دعوتَ ، والله ياأخا قريش ، إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أَفِكَ قوم كذبوك وظاهروا عليك ... » .

وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام هانىء فقال :

وهذا هانىء بن قَبيصة شيخنا وصاحب ديننا .

فقال هانىء :

قد سمعت مقالتك ياأخا قريش ، وَصَدَّقتُ قولك ، وإنى أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلسٍ جلستَهُ إلينا ليس له أول ولا آخر ، لم نتفكر فى أمرك ، وننظر فى عاقبة ما تدعو إليه ـ زلة فى الرأى وطيشة فى العقل وقلة نظر فى العاقبة ، وإن من ورائنا قوماً نكره أن نعقد عليهم عقداً ، ولكن ترجعُ ونرجع وتنظر وننظر .

وكان على ذلك رأى القوم .

● ● ● ● ● ●

رفض بنو شيبان فى تلك الجلسة اعتناق الإسلام على نحو ما رأينا دون أن يُؤْذوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد علمنا ـ مما سبق ـ أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما أمره ربه ـ عز وجل ـ أن يعرض نفسه على قبائل العرب كان يقول :

---

(11) الأنعام : 151 ـ 153 .

(12) النحل ـ 90 .

« لا أُكْرِهُ أحداً منكم على شىء ، من رضى منكم بالذى أدعوه إليه فذلك ، ومن كره لم أُكْرِهْه . إنما أريد أن تحرزونى فيما يراد لى من القتل حتى أبلغ رسالة ربى » .

فكان - طبيعياً - إذاً - أن يكون حديث بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبنى شيبان خاصاً بـ « الجوار » ... فماذا كان أمره ...؟

إنه لذو شأن ، وإنه لفى حاجة إلى دراسة تخصه ؛ فإنه من « الجوار المشروط »

قال أستاذنا الدكتور محمد محمد مصطفى النجار فى محاضراته : « تاريخ العرب قبل الإسلام » بشأن :

« تاسيس مملكتى الحِيرَةِ والغساسنة :

كانت جزيرة العرب تقع بين أعظم دولتين فى العالم : فارس شرقاً ، والرومان غرباً ، وقد حاول الفرس والروم أن يخضعوا العرب لحكمهم اتقاء لغزوهم وسلبهم . ولكنهم عدلوا عن ذلك لما يستلزمه فتح جزيرة صحراوية من ضحايا فى الأنفس والأموال لا محل لبذلها .

لهذا رأى الفرس والروم أن خير وسيلة لدفع شر العرب أن يساعدوا بعض القبائل المجاورة[١٣] على أن يقروا فى التخوم[١٤] يزرعون ويتحضرون ، ثم يُكَوِّنُون (Buffer Stare) أية مملكة حاجزة بينهم وبين قبائل البدو والعصابات المتعددة فى جزيرة العرب ، فتكونت إمارة الحِيرَة على تخوم الفرس ، وإمارة الغساسنة على تخوم الروم » .[١٥]

كان بنو شيبان من الشمال المتاخم لملكة الفرس ، وواضح أن المملكة العربية فى هذا الجزء خاضعة للنفوذ الفارسى ، وإن بدت ذات سيادة ، ولم تكن المملكة العربية - وحدها - هى الخاضعة لهذا النفوذ ، فإن من جاورها من قبائل يسرى عليهم نفس النفوذ فعليهم ما على مملكة الحيرة من التزام .. وكان من هذه القبائل .. بنو شيبان :

ففى شأن الجوار قال المثنى محدثاً رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن منازل قومه فى الشمال :

« إنَّا إنما نزلنا بين صَرَيَيْنْ :[١٦] أحدهما اليمامة ، والآخر السَّماوة .

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : وما هذان الصَّرَيان ؟

قال المثنى : أما أحدهما فطفوف[١٧] البَرّ وأرض العرب ، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار

---

(١٣) اى القبائل العربية المجاورة لحدود الدولة من جهة الجزيرة العربية .

(١٤) التُّخُم - بزنة حبك : الحد الفاصل بين ارضين - ج : تخوم .

(١٥) د/ محمد محمد مصطفى النجار - تاريخ العرب قبل الإسلام - ص ٣٧ مطبعة الازهر ١٣٧٢ - ١٩٥٢ .

(١٦) تثنية : صَرَى : كل ماء مجتمع ، وفى معجم البلدان ما يشير إلى علاقة بين السماوة وأم النعمان بن المنذر قال : السماوة مَاءَةٌ بالبادية وكانت أم النعمان سميت بها فكان اسمها ماء فسمتها العرب : ماء السماء .

(١٧) الطَّف : ما اشرف من ارض العرب على ريف العراق .. والطَّف - الجانب ايضاً .

كسرى ، وإنما نزلنا على عهد اخذه علينا كسرى : ان لا نُحْدِث حدثاً ، ولا نؤوى محدثاً .

ولعل هذا الأمر الذى تدعونا إليه مما تكرهه الملوك .

فأما ما كان مما يلى بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول .

وأما ما كان مما يلى بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور ، وعذره غير مقبول .

فإن أردتَ أن (ننصرك) و (نمنعك) مما يلى العرب فعلنا » .

فالقوم ـ هنا ـ يعرضون ابتداء جواراً لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم مشروطاً بحمايته فقط من جهة أرض العرب ، فأما من جهة أرض فارس فلا قوة لهم بها حسب ما قبلوه من شروط « كسرى » .

وإنا لنعلم مدى كراهية « كسرى » لدعوته ـ عليه الصلاة والسلام .

« فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

ما أسأتم الرَّدَّ إذ أفصحتم بالصدق ، إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه » .

وبشرهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالنصرة على فارس ، وانصرف .

قال على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه :

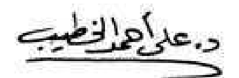
« ثم التفت إلينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال :

ياعلىّ ، اية أخلاق للعرب كانت فى الجاهلية ، ما أشرفها ! بها يتحاجزون فى الحياة الدنيا »[١٨] .

● ● ● ● ● ●

فى أثناء ذلك .. ومن بعد الطائف .. وعلىَ مدى السنوات الثلاث الأخيرة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحين كان يلتقى بالقبائل .. فى أثناء ذلك كله كان النصر يدب دبيباً تسرى نبضاته فى خفاء وصدق .

ففى موسم السنة الثامنة من الإعلان بالدعوة التقى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالعقبة بستة رجال أو ثمانية من قبيلة الخزرج سكان يثرب فأمنوا به وصدقوه ، وفى العام التالى صاروا اثنى عشر رجلاً منهم اثنان من الأوس قبلوا منه عُهْدَة الإيمان بشروطها عند العقبة أيضاً ، وفى العام العاشر ، وعند العقبة كانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامراتان ، منهم أحد عشر رجلاً من الأوس آمنوا به وعزروه ونصروه وأقاموا معه عُهْدة « جوار » تام ، هاجت لها قريش كأنما مسها شيطان فأخفرت جوار المطعم واجتمعت تتآمر على قتل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وغُلِبَ المطعم على امره حتى كان ولده جبير[١٩] بن مطعم شريكاً مع بقية من تربصوا لقتله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليلة الهجرة .



---

(١٨) انظر ابن كثير ١٦٦/٢ ـ والحلبية ٤/٢ ـ ٥ .

(١٩) جبير أسلم بعد الحديبية ـ رضى الله عنه ..

فاطمة الزهراء

"رضى الله عنها"

اسم « فاطمة » له شأن فى قريش فى الجاهلية والإسلام ، وموطن الفخار لكثير منهم وفى بنى هاشم أكثر وأشهر ، وحسبك أن سيد الخلق محمداً صلى الله عليه وسلم والد فاطمة الزهراء يقول فى حديثه عن نسبه « أنا ابن الفواطم ، والعواتك من سُلَيم »(*) .

وقال على بن أبى طالب للأشعث الكندى إذ خطب إليه : أغرك أن ابن أبى قحافة إذ زوجك أخته ؛ إنها لم تكن من الفواطم من قريش ولا العواتك من سليم ؟

والعواتك من سليم ثلاث :

عاتكة بنت هلال ، ولدت هاشماً وعبد شمس والمطلب .

وعاتكة بنت الأوقص بن هلال ، ولدت وهب ابن عبد مناف بن زهرة .

وعاتكة بنت فالج .

أما الفواطم فأذكر منهن : فاطمة المخزومية والدة عبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلى الله عليه وسلم واخوته ، وفاطمة بنت أسد أم على بن أبى طالب ، وفاطمة من عامر بن لؤى . لكن فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وسلم تجىء « واسطة العِقد » فتنير الأوليات والأخريات ، ولا تكون فاطمة إلا هى .

و(الفاطميون) أول من استعمل هذا النسب حسب قراءاتى الشاعر بشار بن برد حين تعرض لمدح العلوى[1] « إبراهيم بن عبد الله » المنازع لأبى جعفر المنصور فى الخلافة سنة ١٤٥ هـ وعرف هذا النسب فى دولة قامت فى المغرب عام ٢٩٦ هـ واستقرت فى مصر منذ سنة ٣٥٨ هـ إلى سنة ٥٦٧ هـ

(*) الأحاديث الشريفة الواردة بالمقال عن الطبقات الكبرى لابن سعد - رضى الله عنه .

(١) قال بشار :

مِنَ الفاطميين الدعاةِ إلى الهدى
جهاراً ومَنْ يهديك مثل ابن فاطم ؟

للأستاذ السيد حسن قرون

وتركت آثارا مادية وروحية مازالت إلى اليوم ، ومنها الأزهر .

أقول هذا وأنا أكرم نفسي بالحديث عنها . فهي بنت سيد الخلق خاتم الرسل محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي النبي الأمي الذي نوهت به التوراة والإنجيل صلوات الله وسلامه عليه ، وأمها خديجة بنت خويلد من بني عبد العزى بن قصي ، وقصي الجد الرابع للنبي ، وخديجة حظيت بالإسلام وبإقراء السلام من ربها عز وجل نزل به جبريل عليه الصلاة والسلام جزاء إيمانها وصدقها .

قال عفيف الكندي : جئت في الجاهلية إلى مكة وأنا أريد أن ابتاع لأهلي من ثيابها وعطرها ، فنزلت على العباس بن عبد المطلب ، فأنا عنده وأنا أنظر إلى الكعبة وقد حلقت الشمس فارتفعت إذ أقبل شاب حتى دنا من الكعبة فرفع رأسه إلى السماء فنظر ثم استقبل الكعبة قائماً مستقبلها إذ جاء غلام حتى قام على يمينه ، ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ، ثم ركع الشاب فركع الغلام وركعت المرأة ، ثم رفع الشاب رأسه ورفع الغلام رأسه ورفعت المرأة رأسها ، حتى خر الشاب ساجداً وخر الغلام ساجداً وخرت المرأة .

فقلت يا عباس ، إني أرى أمراً عظيماً .

فقال العباس : أمر عظيم ، هل تدري من هذا الشاب ؟

قلت : لا ، ما أدري .

قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي ، هل تدري من هذا الغلام ؟

قلت : لا ، ما أدري .

قال : علي بن أبي طالب ابن أخي ، هل تدري من هذه المرأة ؟

قلت : لا ، ما أدري .

قال : هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي هذا .

إن ابن أخي هذا الذي ترى حدثنا أن ربه رب السموات والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه ، فهو عليه ، ولا والله ما علمت على ظهر الأرض كلها على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة .

قال عفيف : فتمنيت بعد أني كنت رابعهم .

هؤلاء الذين يتحدث عنهم عفيف الكندي هم صفوة الخلق في ساحة بيت الله عند المسجد الحرام في مكة المشرفة حيث منزل الوحي الأول ، وقد تلا عليهم قول ربهم .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً ﴾ « ١٧٤ سورة النساء » .

إن أباها رسول الله وأمها خديجة زوجة ، وعلى بن أبى طالب زوجها فيما بعد فما أعظم عترتها ، ولقد ولدت فاطمة وقريش تبنى البيت « الكعبة » وذلك قبل النبوة بخمس سنوات ، وقد اشترك والدها العظيم في البناء ، وفى فض الخلاف بين بطون قريش حيث اختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود فى مكانه فكان هو صاحب الحل الحاسم المريح .

ولئن ساءها أن ترى والدها فى مأزق إساءة من أعداء الدعوة بمكة فلقد سرها أن ترى انتصاراته فى كل خطوة يخطوها حتى بلغ رسالات ربه ، وأدى الأمانة ، وجعل من الجزيرة العربية موئل العدالة وقدوة الرائد ومحط أنظار الشرفاء . وكان رحمة مهداة للعالمين .

وحظيت بكبار القوم يخطبونها من أبيها بعد الهجرة إلى المدينة المنورة من أمثال أبى بكر وعمر ، ولكن الله أراد لها أن تكون زوجاً لبطل الإسلام ، ومفتاح العلم ، وقاضى القضاة ، وقد اشتهر بقولهم « قضية ولا أبا حسن لها » وحسن هو ابنها وأخوه الحسين رضى الله عنهما وأختاهما زينب وأم كلثوم .. هم أبناء على منها رضى الله عنهم أجمعين .

ويذكرون عن زواج فاطمة بعلى أن نفرا من الأنصار قالوا لعلى : عندك فاطمة ، فأتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسلم عليه ، فقال : ما حاجة ابن أبى طالب ؟ قال : ذكرت فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : مرحباً وأهلاً لم يزده عليها ، فخرج علىّ إلى أولئك الرهط من الأنصار ينتظرونه . قالوا : ما وراءك ؟ قال : ما أدرى غير أنه قال لى : مرحباً وأهلاً . قالوا : يكفيك من رسول الله إحداهما ؛ أعطاك الأهل ، أعطاك المرحب ، ودفع على المهر وتم الزواج ، وباركهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا : تزوج على بن أبى طالب فاطمة بنت رسول الله فى رجب بعد مقدم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة بخمسة أشهر ، وبنى عليها مرجعه من غزوة بدر ، وسنها ثمانى عشرة سنة .

وهذا الزواج الموفق كان ينقصه المال والثراء ، ولكنهما تعبا فى أوائل حياتهما الزوجية ، فقد كان على يعمل ويجد مشقة فى العمل ، وكانت فاطمة تطحن الحب على الرحى ، وذات يوم تشاكيا ، فقال على : لقد سنوت أى تعبت حتى قد اشتكيت صدرى وقد جاء الله أباك بسبى فاذهبي فاستخدميه (اطلبي خدمة السبى)

فقالت : وأنا ، والله ، قد طحنت حتى مجلت يداى (أى تقفعت) فأتت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : ما جاء بك يا بنية ؟ قالت : جئتك لأسلم عليك ـ واستحت أن تسأل ـ ورجعت . فقال : ما فعلت ؟ قالت : استحييت أن أسأله ، فذهبا إليه معا ، وقدما إليه مطلبهما وشكواهما . فماذا كان الرد ؟ قال : والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم ـ وأهل الصفة

مهاجرون أصابتهم الفاقة ـ ولكنى أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم فرجعا .

ولكن قلب الرسول الرحيم لم يشأ أن يتركهما دون مواساة فأتاهما وقد ظهرا فى حال سيئة من الملبس والأثاث ، وحين رأياه تهيئا للقائه . فقال . مكانكما ، ألا أخبركما بخير مما سألتماني ؟ فقالا : بلى .

فقال : كلمات علمنيهن جبريل ، تسبحان فى دبر كل صلاة عشرا ، وتحمدان عشرا ، وتكبران عشرا . وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين ، واحمدا ثلاثا وثلاثين ، وكبرا أربعا وثلاثين . قال علىّ : فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ، فقال له ابن الكواء ولا ليلة صفين ؟

فقال : قاتلكم الله يا أهل العراق ، ولا ليلة صفين (صفين معركة بين على ومعاوية) .

وككل الأزواج ولا سيما الأقارب يحدث بين الزوجين ما يعكر الصفو ، وقد كان فى علىّ شدة ، ويبدو من دراسة حياتها أنها كانت رقيقة ، وضعيفة البنية ، فلما اشتد عليها قالت : والله لأشكونك إلى رسول الله فانطلقت وانطلق فى إثرها ، فقام حيث يسمع كلامهما ، وسمع الرسول شكواها ، فقال يا بنية اسمعى واستمعى واعقلى ، إنه لا إمرة بامرأة لا تأتى هوى زوجها وهو ساكت . قال على : فكففت عما كنت أصنع وقلت : والله لا آتى شيئاً تكرهينه أبدا .

ولكنه فعل فقد أراد أن يتزوج عليها بنت أبى جهل ، وجاء بنو المغيرة يشاورون الرسول فى الأمر فغضب وقال : والله لا تجتمع بنت عدو الله مع بنت رسول الله تحت سقف واحد أو كما قال ، وعندها سكت علىّ وكف عن التفكير فى الزواج .

وكان العباس بعد فتح مكة يزورهما ويشاركهما الذكريات الجميلة ، وكم لهما من ذكريات حين يرجع منصوراً فى كل غزوة وكان الأبناء زينة الحياة الدنيا وموضع رعاية جدهما المصطفى ، دخل العباس على على بن أبى طالب وفاطمة وهى تقول لعلى : أنا أسن منك . فقال العباس : أما أنت يا فاطمة فولدت وقريش تبنى الكعبة والنبي ابن خمس وثلاثين سنة . وأما أنت يا على فولدت قبل ذلك بسنوات .

كانت فاطمة بعد حجة الوداع هى الوحيدة من ذرية أبيها تعيش ، فقد مات البنون والبنات وبقيت هى ، وبقى أبناؤها وابنة لزينب أختها ، فهى التى تدخل السرور على قلب أبيها ، ولكن لكل شىء إذا ما تم نقصان .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت جالسة عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجاءت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشية رسول الله ، فقال : مرحباً يا بنتى فأجلسها عن يمينه ، فأسر إليها شيئاً فبكت ، ثم أسرَّ إليها شيئاً فضحكت . قالت عائشة : ما رأيت ضحكاً أقرب من بكاء : استخصك رسول الله بحديث ثم تبكين ؟ أى شىء أسر إليك رسول الله ؟ قالت : ما كنت لأفشى

←

سره .. فلما قبض رسول الله سألتها فقالت : قال : إن جبريل كان يأتيني كل عام فيعارضني بالقرآن مرة ، وإنه أتاني العام فعارضني مرتين ، ولا أظن أجلي إلا قد حضر ، ونعم السلف أنا لك ، وقال : أنت أسرع أهلي بي لحوقاً ، قالت : فبكيت لذلك ثم قال : أما ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء العالمين ؟ قالت : فضحكت .

وقد كان .. فبعد وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بستة أشهر على الأشهر مرضت فاطمة رضي الله عنها فلما كان اليوم الذي توفيت فيه خرج علي فقالت لرفيقتها سلمى الأنصارية هيئي لي ماء فهيأته لها فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل ، ثم لبست ثيابها الجدد ، وفرشت وسط البيت واضطجعت واستقبلت القبلة ثم قالت لسلمى : إني مقبوضة الساعة وقد اغتسلت فلا يكشفن أحد لي كتفا .. قالت : فنفذ عليّ مطلبها . قالوا : إن فاطمة أول من جعل لها النعش ، صنعته لها أسماء بنت عميس ، وكانت قد رأته يصنع بأرض الحبشة . وقد صلى عليها العباس بن عبد المطلب ، ونزل في حفرتها هو وعلي والفضل بن العباس .. ودفنت ليلا بدار عقيل مما يلي دار الجحشيين بالبقيع . وقد بلغت من العمر تسعا وعشرين سنة .

بقي أن أذكر سوء التفاهم الذي وقع بينها وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فقد طلبت إليه ميراثها مما ترك أبوها رسول الله ، ومما أفاء الله عليه ، فقال لها أبو بكر : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » فغضبت فاطمة ووافاها أجلها بعد ستة أشهر ، وقد فسّر الناس ذلك بأنها لم توافق على خلافة الصديق ، ولكن الأمر كان في الميراث ، وأنا أعتقد أن أبا بكر صالحها ومحا من صدرها ما آلمها . رضي الله عن فاطمة سيدة نساء العالمين ..

السيد حسن قرون

تصويب أخطاء وقعت بعدد رمضان ١٤٠٨ هـ

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
١١٦٠	٢٩	بذا	بدا
١١٨٢	١٣	المبدورة	المبذورة
١٢٠٩	آخر سطر	واحاسبكم	وَأَحْسِبُكُمْ

آيةُ اللهِ في سَبأ

حضارة العرب

سد مأرب - سيل العرم

للشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

قال الله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ... ﴾ الآيات ١٥ - ١٩ من سورة سبأ

البيـــان

سبأ أمة عربية عريقة المجد والحضارة ، وكان منها القائد العظيم (أفريقش) الذى فتح الأقطار ، ووصل إلى شمال أفريقيا ، فسُمّيت القارة باسمه .

ويعيش فى أرضها الآن إخواننا اليمانيون من سلالتهم ، وهؤلاء ينتسبون إلى جدهم سبأ الذى انحدرت من سلالته قبائلها وفصائلها .

جاء فى بعض الأخبار عن فروة بن مسيك قال : « أتيت إلى النبى صلى الله عليه وسلم - فقلت : يارسول الله . أخبرنى عن سبأ ! رجل هو أم امرأة ؟ فقال : هو رجل من العرب وَلَدَ عشرة . تيامن منهم ستة ، وتشاءم منهم أربعة ، فأما الذين تيامنوا فالأزد وكندة ومذحج والأشعريون والأنمار - ومنهم بَجِيلة - وأما الذين تشاءموا فعاملة وغسان ولخم وجذام » .

وفى شرح قصيدة عبد المجيد بن عبدون لعبد الملك بن عبد الله بن بَدْرونَ الحَضْرمى البستى ، إن سبأ بن يشجب بن يَعْرب بن قحطان أول ملوك اليمن .

وكانت مَأرب (بوزن مَسْجد) عاصمة لملكة سبأ ، وكانت مساكنهم فى هذه المملكة آية عظيمة على وجود الخالق - جل وعلا - وعلى ما تمتاز به مقدوراته من جمال بديع ،

آية الله في سبأ

كما أن تدمير هذه المساكن العامرة الجميلة ، وما حولها من البساتين المثمرة ، وإغراق كثير من أهلها لعصيانهم ، آية بينة على أنه سبحانه عزيز ذو انتقام .

وقد شرح الله آياته في سبأ بقوله : ﴿ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ والمراد من الجنتين جماعتان عظيمتان من البساتين ، جماعة عن يمين مساكنهم ، وجماعة أخرى عن شمالها ـ كما قاله قتادة .

•

وإطلاق الجنة على كُلٍّ جماعة منهما لتقارب جناتهما وتضامِّها كأنها جنة واحدة ، وقيل إن المعنى أن كل واحد من أهل سبأ كان له جنتان ، إحداهما عن يمين مسكنه ، والأخرى عن يساره .

وعلى أية حال فإن قراهم ومساكنهم كانت في رِيف رائع ، وخصب ممتع ، تحيط بها البساتين والجنان ، ويفوح من أزهارها العبير ، وتتدلى من أغصانها الثمار ، واستحقت لذلك أن يقول الله في شأنها ﴿ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ أي قال الله لأهل سبأ على لسان نبيه الذي بعثه إليهم : كلوا من رزق مولاكم الذي رباكم بنعمه ، وأخرج لكم من أرضه هذه النعم ، وما لأحد من خلقه يَدٌ في إنبات زرعها وشجرها ، وعليكم أن تقابلوا رزق ربكم بشكره على نعمته ، وذلك بالإيمان الصادق والعمل الصالح ، والذكر المستقيم فهذه البلدة المحوطة بالبساتين والحقول والأرزاق ، بلدة طيبة الهواء ، عذبة الماء حسنة المناخ ، وافرة النعم قليلة السقم ، وربكم الذي رزقكم هذه النعم وطلب منكم شكره عليها ، رب عظيم الغفران لذنوب الشاكرين التي تحدث منهم ، ولكن القوم لم يصغوا لدعوة نبيهم إياهم ، ﴿ فَأَعْرَضُوا ﴾ عنه واصروا على إعراضهم ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ .

قال المغيرة بن حكيم وأبو ميسرة : العَرِم جمع عَرِمة ، وهي كل ما بني ليمسك الماء ، ويقال لهذا البناء بلغة الحجاز : المسناة ، وعن ابن عباس وغيره . هو اسم للوادي الذي كان منه السَّيْلُ ، وبنى السدفية .

وقيل العرم بمعنى الصعب الشديد ، وإضافة السيل إليه من إضافة الموصوف إلى صفته ، وقول المغيرة وأبي ميسرة هو الراجح .

روى أن هذا السَّدَ بنى في عهد بلقيس ، وكانت مياه المطر تتجمع في مكان بعيد عن أرضهم ، وتأخذ سبيلها إليهم في ثلاثة أيام ، فتفيض عليهم وتغرق أرضهم ، فأمرت ببناء سَدٍّ بين جبلين ، ذي فتحات وأبواب فوقها قناطر ، وعدد هذه الفتحات اثنتا عشرة فتحة ، تصب كل فتحة منها في نهر ، أي أن تلك البلاد كان فيها اثنا عشر نهراً متفرعة من فتحات هذا السد ، ويقول المؤرخون : إنه بنى بالصخر والقار ، ولعلهم يريدون بكلمة (القار) مادة سوداء تشبه القار في لونها ، ولكنها أشد ثباتاً وقوة منه بحيث لا تنصهر بحرارة الشمس وتحتمل ضغط الماء .

وقيل : إن الذى بناه هو حمير أو القبائل اليمنية .

وقيل : الذى بناه لقمان بن عاد وغطّى أحجاره بالرصاص والحديد ، وكان طوله فرسخا ، وكان هذا السد يسمى سد مأرب ، نسبة إلى مدينة أثرية بنى بجوارها .

وقد صور هذا السد الطيار المصرى الأول (أنيس باشا) رحمه الله تعالى . وكان ذلك فى عهد الإمام يحيى بن حميد الدين - إمام اليمن - ونشرت الصحف وقتئذ صور بقاياه بجوار مدينة مأرب ، وكان منظرها ينم عن عظمة مهندسيه وعراقتهم فى فن البناء ، والعبقرية فى الهندسة فى هذا الوقت الواغل فى القدم ، حيث كان الغربيون وقتئذ يعيشون كالسوائم .

وقد دعتهم هذه المدينة إلى إقامة حياتهم على أرفع طراز من الرفاهية والسعة والنعمة . حتى كانت المرأة تخرج وعلى رأسها المكتل فارغاً ، وتعود به مليئاً بالثمار التى تساقطت فيه من الأشجار أثناء سيرها - كما قاله بعض المؤرخين ، ولما أعرض هؤلاء المترفون عن شكر الله تعالى وأصروا على هذا الإعراض بعد أن وعظهم نبيهم ، انتقم الله منهم ، فأرسل عليهم سيلاً شديداً قوياً حطم سدَّ مأرب ، وترتب على ذلك غرق بساتينهم وقراهم وموت كثير منهم ، وبدلهم الله بذلك ما قص تعالى بقوله : ﴿ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ والأكل الثمر والخمط الحامض أو الحر ، والأثل ضرب من الطرفاء والسدر قال الأزهرى فيه : سدران ، سدر لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لِلْغَسُول وله ثمرة عفصة لا تؤكل . وهو الذى يسمى الضال ، وسدر ينبت على الماء وثمره النبق ، وورقة غسول يشبه شجر العناب : أ هـ . واختلف فى المراد منه هنا ، فقيل الثانى ، ووصف بالقليل لأنه لَوْ كَثُر لكان نعمة لا نقمة ، فإن ثمره مما يطيب أكله ، وإنما أوتوه تذكيراً للنعم الزائلة .

وصف نعيمهم فى أسفارهم

بعد أن حكى الله تعالى فى الآيات السابقة ما أنعم به على أمة سبأ فى مساكنهم ومواضع إقامتهم ، وأنهم كفروا بنعمة الله تعالى فعاقبهم بإغراقهم وأبدلهم من جناتهم أشجاراً لاغذاء فيها ولا جمال إلا القليل ، وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ بعد أن حكى ذلك قال سبحانه :

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ . . ﴾ والمراد بالقرى التى بارك الله فيها قرى إقليم الشام ، فقد بارك فيها بكثرة أشجارها وثمارها والتوسعة على أهلها ، وعن ابن عباس أنها قرى بيت المقدس ، وهو قريب من المعنى السابق ، فإن بيت المقدس وإقليمه داخلان فى دائرة الشام قبل أن تقسمه الحروب ، ويعتدى عليه الغاصبون .

على أن ابن عطية الأندلسى اختار المعنى الأول وقال : إن إجماع المفسرين عليه ،

←

والمراد بالقرى الظاهرة التى كانت بين مساكنهم وبين الأرض المباركة ، القرى المتقاربة ـ كما قال قتادة ـ ومعنى ظهورها أن من كان فى إحداها تظهر له التى تليها لشدة تقاربهما وقال المبرد : القرى الظاهرة المرتفعة على الآكام والظراب ـ أى الروابى ـ وتعتبر أشرف القرى وأعلاها شأنا ، وقال غيره : ظاهرة بمعنى معروفة ، وتعرف القرية لحسنها ورعاية أهلها لمن يمر بهم ، ومعنى تقدير السير فيها أن نسبة بعضها إلى بعض على مقدار معين محسوب ، بحيث يعرف من وصل إلى قرية أنه سيصل إلى التى بعدها بقدر معين من الزمان أو من المقاييس المعروفة وقتئذ .

والمعنى الإجمالى للآية : وجعلنا بين اهل سبأ وبين قرى الشام المباركة الكثيرة الخيرات ، قرى متقاربة ، بحيث تظهر كل قرية لأهل القرية التى تليها ، وجعلنا نسبة بعضها لبعض على مقدار معين زمنـا ومقياسا ، بحيث يعلم كل مسافر بالتجربة متى يصل إلى القرية التى يقصدها ، ويعلم المقاييس التى يمر بها ، وكانت درجة التقارب بينها إلى حد انهم يسيرون فيها ليالى وأياماً آمنين ، فلا يختلف الأمن فيها باختلاف الأوقات ، فإن من يفكر فى الاعتداء يخشى وصول النجدة للمعتدى عليه من مكان قريب والأمر فى قوله تعالى ﴿ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ ﴾ إما حقيقة على لسان نبى لهم ، وإما على سبيل المجاز ، بأن ينزل تمكينهم من السير المذكور وتهيئة أسبابه بمنزلة امرهم بذلك ، وعلى كلٍّ فالأمر للإباحة ، فهو امر تمكين لا تكليف .

طلبهم المباعدة بين اسفارهم

لم يعجبهم تقارب أسفارهم فطلبوا المباعدة بينها فقالوا : ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ كما طلب قوم موسى الفوم والعدس والبصل ، بدلاً من المن والسلوى ، وهكذا ترى النفس البشرية مولعة بتغيير الواقع وإن كان خيرا لها مما تريده ، فهؤلاء لما طالت بهم مدة التنعم ، بطروا وملوا ما هم فيه ، وآثروا الذى هو أدنى على الذى هو خير فطلبوه كما قال بنو إسرائيل لموسى ﴿ لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ . فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا . قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَى بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾ .

وهؤلاء السبئيون فعلوا مثل ذلك ، حيث لم يعجبهم تقارب بلادهم فقالوا : لو كانت متاجرنا أبعد ، لكان ما نجلبه منها اشهى وأغلى ، فاجعل البلاد ياربنا متباعدة تفصلها المفاوز والقفار ، وهم فى طى هذه الرغبة ، يضمرون أن يتفاخروا فى أسفارهم بركوب الرواحل الفارهة ، والتزود بالأزواد الفاخرة ، والتكبر على الفقراء العاجزين عن ذلك ، فعجل الله لهم الإجابة بتخريب القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا مجيب .

وقولهم ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ إما أن يكون بلسان المقال ، وإما أن يكون بلسان الحال ، فإن كفرهم بنعم الله ، ينادى بتعجيل العقوبة لهم بالحرمان منها ، بتخريب العامر ، وإبعاد المقاصد فكأنهم طلبوا ذلك بألسنتهم .

والمعنى الإجمالى للآية : فقال أهل سبأ بلسان المقال أو بلسان الحال : ربنا باعد بين أماكن أسفارنا ، حتى نرتحل إليها ويطول ارتحالنا ، وقد ظلموا أنفسهم ببطرهم على نعمة الله ، وتعريض أنفسهم للحرمان منها ، فجعلناهم بما أنزلناه من عقابهم ، أحاديث يذكرها الناس على سبيل الاستغراب ، وذلك أننا مزقناهم كل تمزيق ، وفرقناهم فى الأرض كل تفريق ، إن فيما ذكر من قصصهم لآيات عظيمة لكل صبار عظيم الصبر عن الشهوات ودواعى الهوى ، فإنها عبرة لكل معتبر ، وذكرى لكل مذكر ، وعلامة على طريق الحياة يهتدى بموعظتها الصابر الشكور .

وقد حدث هذا التمزيق بإرسال سيل العرم عليهم ، وإغراق بلادهم ، فحملهم ذلك على الارتحال ، فارتحل أولاد جفنة بن عامر إلى الشام ، وأولاد قيلة « الأوس والخزرج » إلى يثرب ـ وهى المدينة ـ وأبوهما حارثة بن تعلبة ابن عمرو بن عامر ، وأزد السراة إلى السراة ، وأزدعمان إلى عمان ، وأولاد مالك بن فهم إلى العراق ، ونزل أولاد ربيعة بن حارثة بن عامر ابن عمرو ـ تهامة ـ ، وسموا خزاعة ، إلى غير ذلك من القبائل والفصائل ، وفيهم ضرب المثل : تفرقوا أيدى سبا : وذهبوا أيدى سبا ـ وروى أيادى سبا ، والمراد من الأيدى والأيادى الأولاد ، لأنهم أعضاد الرجل لتقويه بهم وفى المفصل : الأيدى الأنفس كناية أو مجازاً ـ قال فى الكشف ـ وهو حسن وفى الكشاف : لحق غسان بالشام ،وانمار بيثرب وجذام بتهامة ، والأزد بعمان .

وفى التحرير أن قضاعة نزلت بمكة ، وأسد بالبحرين ، وخزاعة بتهامة وقد تقدم فى أول هذا المقال حديث تفرقهم فى جواب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعروة بن مسيك ، وأرجو أن يكون فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] والله تعالى أعلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير

---

(١) الذاريات (٥٥)

تكذيب الرسل

قال تعالى : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ الحج من ٤٢ ـ ٤٤ والآيات مدنية .

بين الله فى الآيات السابقة على هذه الآيات أن الله قد أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ وهذا وعد منه بنصر المظلومين ممن أخرجوا من ديارهم بغير حق ثم أردف ذلك بهذه الآيات التى ساقها لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ليصبر على أذى قومه فليس هو أول رسول كذب ، بل كذبت الامم قبله كل أنبيائها حين أعلنوا إلى تلك الامم أنهم رسل الله أرسلوا لدعوة الناس إلى عبادة الله .

وذكر الله فى هذه الآيات سبعة من اقوام الأنبياء الذين كذبوا انبياءهم وهم قوم نوح ، وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين كما كذب موسى وقد بين الله فى أكثر من سورة من القرآن مواقف أقوام الأنبياء منهم ومن دعوتهم ومما جاء عن نوح فى سورة الاعراف قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ إلى ان يقول ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ ﴾

وعوقب أعداء الله وأعداء نوح بالغرق .

وجاء عن عاد وموقفهم من هود فى نفس السورة قوله تعالى :

﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ إلى ان يقول ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقطع الله دابر عاد جزاء تكذيبهم لرسوله هود .

وجاء عن ثمود وموقفهم من رسول الله صالح فى نفس السورة قوله تعالى :

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا

تفضيلة الدكتور
محمد محمد خليفة

اللَّهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ إلى ان يقول ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ .

وجاء عن إبراهيم وموقف نمروذ وقومه منه كل ما يدور حوله هذا البحث .

وجاء فى أمر لوط وقومه فى سورة الأعراف كذلك :

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَاسَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ. إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ إلى ان يقول الله ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ. وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ .

وحمل إليهم المطر عذابا لم تعرفه البشرية .

وجاء عن مدين قوم شعيب قوله فى نفس السورة : ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ إلى ان يحكى موقف قومه ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ ثم يبين ما نزل بهم فى سورة أخرى هى سورة الشعراء بعد أن طلبوا منه إنزال العذاب الذي توعدهم به فيما حكاه القرآن فى قوله : ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ. فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

وأما قصة موسى فقد جاءت فى كثير من سور القرآن بصيغ مختلفة تحكى مواقف مختلفة مع فرعون وقومه أو مع بنى إسرائيل قوم موسى . وقد كذبه هؤلاء وأولئك .

وقد انزل الله بفرعون وقومه أكثر من عقاب حين كذبوه .

ومن ذلك ما قصه القرآن فى قوله : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ .

وكثيراً ما طلبوا من موسى أن يدعو ربهم ليرفع عنهم ما نزل من العذاب فيدعو موسى ربه فيرفع العذاب ثم يعودون إلى ما كانوا عليه ، وقد ذكر القرآن أكثر من عقاب أو آفة جمع بعضها فى قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ

← تكذيب الرسل

آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ . وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ [العذاب] قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ. فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ .

وقد تغير النظم القرآنى عند موسى فقال الله : ﴿ وَكُذِّبَ مُوسَى ﴾ بالبناء للمجهول ولم يكن تكذيب موسى من جانب فرعون وقومه فحسب كغيره من الأنبياء الذين كذبهم أقوامهم وإنما كذب موسى من جانب قومه بنى إسرائيل مرات ومرات

وكثيراً ما شطوا فى مطالبهم ومن ذلك ما قالوه لموسى : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ ثم بين ما وقع بهم من عذاب . فى هذه المرة بقوله : ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ .

وكان من بين ما أخذهم الله به ما ذكره فى قوله : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ﴾ .

وبعد أن ذكر الله هؤلاء الرسل الذين قدمنا الحديث على ما نزل بأقوامهم جزاء تكذيبهم لرسل الله وقد أمهلهم الله حتى انتهت آجالهم ، ثم أخذ الله كل فريق منهم بعد انقضاء المدة التى أملى لهم فيها .

ثم ساق الاستفهام التقريرى فى قوله : فكيف كان نكير أى : إنكارى عليهم ، والنكير بمعنى الإنكار والتغيير حيث أبدلهم الله بالنعم التى تنعموا بها كوارث حصدتهم ، وهلاكا أتى عليهم وخرابا دمر ديارهم وصروحهم بل حياتهم .

وقد اكتفى فى تذييل الآية بذلك الاستفهام التقريرى ليقر كل من يرى آثارهم أن ذلك جزاء تكذيب رسل الله .

وقد ذهب هؤلاء المكذبون من الوجود بالصيحة أو الحاصب أو الإغراق وترك الكثير منهم آثارهم تعظ وتذكر من يتعظ ويعتبر .

وقد أعطى الله أنبياءه كل ما وعدهم من النصر على أعدائهم والتمكين لهم فى الأرض ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ .

فاصبر يا محمد ، وسلم الأمر لله ولن يخذلك الله أبداً .

وقد استأصل الله أقوام الرسل الذين سبقوا ، ولم يفعل بقوم محمد صلى الله عليه وسلم ما فعل بأولئك ؛ لأنه قد يخلق من أصلاب من كذبوا محمدا من يعبد الله وينصر دينه .

د . محمد محمد خليفة

رجال القراءات

الإمام الكسائى

لفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

سابع القراء العشرة الإمام الكسائى - رضى الله عنه :

هو ابو الحسن الأسدى ، مولاهم الكوفى المقرىء النحوى ، احد اعلام القراءات والنحو .

ولد فى حدود سنة عشرين ومئة ، وسمع من جعفر الصادق ، والاعمش ، وزائدة ، وسليمان بن ارقم ، وجماعة كثيرة ، رضى الله عنهم .

قرا القرآن وجوده على حمزة الزيات ، وعيسى بن عمر الهمدانى .

ونقل ابو عمرو الدانى وغيره : ان الكسائى قرا على محمد بن عبد الرحمن بن ابى ليلى ايضا ، واختار لنفسه قراءة ، ورحل إلى البصرة ، فاخذ العربية عن الخليل بن احمد استاذ سيبويه .

قال محمد بن عيسى الأصبهانى : حدثنا محمد بن سفيان قال : قال الكسائى أدركت اشياخ أهل الكوفة : أَبَان بن تغلب ، وابن ابى ليلى ، وحجاج بن أَرْطَاة ، وعيسى بن عمر الهمدانى ، وحمزة - رضى الله عنهم .

قلت : وأخذ الحروف[1] أيضا عن أبى بكر بن عياش وغيره ، وخرج إلى البوادى ، فغاب مدة طويلة ، وكتب الكثير من اللغات ، والغريب عن الإعراب بنجد وتهامة ، ثم قدم وقد أنفد خمس عشرة قِنِّينةً حبر .

قال الصولى : هو على بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز مولى بنى أسد .

(١) أى القراءات .

قلت : قرأ عليه أبو عمرو الدانى ، وأبو الحارث الليثى ، ونصير بن يوسف الرازى ، وقتيبة بن مهران الأصبهانى ، وأحمد بن أبى سريج النهشلى ، وأبو حمدون الطيب بن إسماعيل ، وعيسى بن سليمان الشَيْزَرى وأحمد بن جبير الأنطاكى ، وأبو عُبَيد القاسم ابن سلام ، ومحمد بن سفيان ، وخلق سواهم .

وحدث عنه يحيى الفراء ،وخلف البزار ، ومحمد بن المغيرة ، وإسحاق بن أبى إسرائيل ، ومحمد بن يزيد الرفاعى ، ويعقوب الدورقى ، وأحمد بن حنْبل ، ومحمد بن سعدان ، وعدد كثير . وإليه انتهت الإمامة فى القراءة والعربية .

قال ابن مجاهد : كان الناس يأخذون عنه ألفاظه بقراءته عليهم .

قال أبو عبيد فى كتاب (القراءات) : كان الكسائى يتخير القراءات فأخذ من قراءة حمزة ببعض ، وترك بعضا . وكان من أهل القراءة .

وهى كانت علمه وصناعته . ولم نجالس أحداً كان أضبط وصناعته . ولم نجالس أحدا كان أضبط ولا أقوى بها منه .

وقال أبو عمر الدورى : سمعت يحيى بن معين يقول : مارأيت بعينى أصدق لهجة من الكسائى .

وقال إسحاق بن إبراهيم : سمعت الكسائى وهو يقرأ على الناس القرآن مرتين .

وقال خلف بن هشام : كنت أحضر بين يدى الكسائى ، وهو يقرأ على الناس ، وينقطون مصاحفهم بقراءته عليهم .

قلت : لم يكن ظهر للناس الشكل بعد ، إنما كانوا يعربون بالنقط .

قال خلف : قرأ الكسائى على حمزة القرآن أربع مرات .

وقال أحمد بن رستم : حدثنا نصير بن يوسف . قال : قرأت على الكسائى . وأخبرنى أنه قرأ القرآن على حمزة . وعلى جماعة فى عصر حمـزة . منهم ابن أبى ليـلى ، والهمدانى ، وأبو بكر بن عياش .

وقال عبد الرحيم بن موسى : سألت الكسائى عن نسبته ، قال : فى كساء .

قال الإمام الشافعى رضى الله عنه ، من أراد أن يتبحر فى النحو فهو عيال على الكسائى .

وقال أبو بكر بن الانبارى : اجتمعت فى الكسائى أمور : كان أعلم الناس بالنحو . وواحِدَهم فى الغريب . وكان أوحد الناس فى القرآن . فكانوا يكثرون عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم ، فيجمعهم ويجلس على كرسى .

ويتلو القرآن من أوله إلى آخره وهم يسمعون ويضبطون عنه . حتى المقاطع والمبادى .
قلت : وكان فى الكسائى حشمة لما نال من الرياسة بإقراء محمد الأمين ولد الرشيد

وتأديبه . وتأديبه أيضاً للرشيد . فنال مالم ينله أحد من الجاه والمال والإكرام . وحصل له رياسة العلم والدنيا .

وقال طاهر بن أبى هاشم : قال محمد بن بشار : حدثنى أبى عن بعض أصحابه قال : قيل لأبى عمر الدورى : كيف صحبتم الكسائى على الدعابة التى فيه ، قال : لصدق لسانه .

وقال أحمد بن فرح : حدثنا الدورى ـ سمعت الكسائى يقول : من علامة الأستاذية ترك الهمز فى المحاريب .

أخبرنا أبو بكر العطار بسنده إلى الدورى . قال : قيل للكسائى : لما لا تهمز ـ الذيب ـ قال : أخاف أن يأكلنى .

صلابته فى الحق ولو على نفسه :

قال أبو العباس بن مسروق : حدثنا سلمة ابن عاصم . قال : قال الكسائى : صليت بهارون الرشيد فأعجبتنى قراءتى . فغلطت فى آية ما أخطأ فيها صبى قط ـ أردت أن أقول (لعلهم يرجعون) . فقلت : (لعلهم يرجعين) . فو الله ما اجترأ هارون أن يقول : أخطأت ـ ولكنه لما سلّم ـ قال : أى لغة هذه ؟ قلت : ياأمير المؤمنين قد يعثر الجواد ـ قال أما هذه فنعم .

وعن الفراء قال : ناظرت الكسائى يوما وزدت . فكأنى كنت طائراً أشرب من بحر .

قال الفراء : إنما تعلم الكسائى النحو على كبر . لأنه جاء إلى قوم وقد أعيا . فقال : قد عَيِيْتُ ـ فقالوا له : تُجالسنا وأنت تَلْحَنُ ؟

قال : كيف لحنت ؟ قالوا له : إن كنت أردت من التعب ـ فقل : أَعْيَيْتُ ـ وإن كنت أردت انقطاع الحيلة والتحير فى الأمر ـ فقل : عَيِيتُ ـ فأَنِفَ من ذلك . وقام من فوره فسأل عمَّن يعلِّم النحو . فدل على معاذ الفراء . فلزمه ثم خرج إلى البصرة ، فلقى الخليل . ثم خرج إلى بادية الحجاز .

وقال ابن الأنبارى :

حدثنا أبى قال : قال الفراء : لقيت الكسائى يوما ـ فرأيته كالباكى فقلت : مايبكيك ؟ فقال : الملك[٢] يحيى بن خالد يحضرنى فيسألنى عن الشىء ، فإن أبطأت فى الجواب لحقنى منه عتب . وإن بادرت لم آمن الزلل . فقلت : ياأبا الحسن من يعترض عليك . قل ماشئت ـ فأنت الكسائى . فأخذ لسانه بيده ـ فقال : قطعه الله إذاً إن قلت مالا أعلم .

وقال أحمد بن أبى سُرَيْج : سمعت أنا المعافى وكان عالما بالقراءات يقول :

الكسائى القاضى على أهل زمانه .

وذكر الدانى فى ترجمة الكسائى أن ابن ذكوان سمع الحروف من الكسائى .

وأما الحافظ ـ ابن عساكر ـ فلم يذكر شيئاً من ذلك . ولا ذكر الكسائى فى تاريخ دمشق أصلاً .

(٢) يبدو أنهم كانوا يلقبون البرمكى بهذا اللقب نظرا لما له من منزلة كريمة فى نفوس الناس .

لكن سَمِعَ نُصَيرُ بن يوسف الكسائيّ يقول - في مرض موته :

لقد كنت أُقرِيء الناس في مسجد دمشق ، فأغفيت في المحراب ، فرأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - داخلا من باب المسجد ، فقام إليه رجل فقال : بحرف من تقرأ ؟ فأومأ إليّ »

قال ابن الجزري - في غاية النهاية ٥٣٧/١ - عقب إيراد هذه الرواية . قلت : فهذا تصريح منه بدخوله دمشق وإقرائه بمسجدها ، ولو اطلع ابو القاسم بن عساكر الحافظ على هذا لذكره فيمن دخل دمشق . اهـ .

وللكسائي من التصانيف : كتاب (معاني القرآن) وكتاب (القراءات) وكتاب (العدد) ، وكتاب (النوادر الكبير) ، وكتاب (النوادر الأوسط) ، وكتاب (النوادر الأصغر) ،وكتاب في النحو ،وكتاب (العدد واختلافهم فيه) ،وكتاب (الهجاء) ،وكتاب (مقطوع القرآن ، وموصوله) ، وكتاب (المصادر) ، وكتاب (الحروف) ، كتاب (أشعار المعاناة)[٣] ،وكتاب (الهاءات) .

قال أبو سعيد السيرافي : رثى يحيى اليزيدي[٤] محمد بن الحسن والكسائي وكانا خرجا مع الرشيد إلى خراسان . فماتا في الطريق بقصيدة منها :

تصرمت الدنيا فليس خلود
وما قد نرى من بهجة ستبيد
لكل امرىء كأس من الموت مترع
وما إنْ لنا إلا عليه ورود
ألم نر شيبا شاملا ينذر البلى
وأن الشباب الغض ليس يعود
سيأتيك ما أفنى القرون التي مضت
فكن مستعدا فالفناء عتيد
أسِيتُ على قاضي القضاة محمد
فأذريت دمعي والفؤاد عميد
وقلت إذا ما الخطب أشكل من لنا
بإيضاحه يوما وأنت فقيد
وأقلقني موت الكسائي بعده
وكادت بي الأرض الفضاء تميد
وأذهلني عن كل عيش ولذة
وأرق عيني والعيون هجود
هما عالِمانا أوديا وتخرما
وما لهما في العالمين نديد
فحزني متى تَخْطُرْ على القلب خطرة
بذكرهما حتى الممات جديد

قال أبو عمر الدوري : توفي الكسائي بالري بقرية أرنبويه :[٥] وقال أحمد بن جبير الأنطاكي : توفي بأرنبويه سنة تسع وثمانين ومئة وقال أبو بكر بن مجاهد : « توفي بـ(رنبويه) سنة تسع وثمانين » أي ومائة .

(٣) لم يذكره ابن الجزري - رحمه الله - عند إيراده لمؤلفات الكسائي - رضي الله عنه .
(٤) هو يحيى بن المبارك اليزيدي كذا ذكره ابن الجزري في غاية النهاية ٥٤٠/١ .
(٥) كذا ذكره أيضاً ياقوت في معجم البلدان حرف الألف ، وذكر وفاة هذين العالمين بها ،وفي هي رنبويه أيضا .

رواتـــــه

أول راوييه : أبو الحارث الليث بن خالد المروزى ، وكان من أصحاب الكسائى .

وثانيهما : أبو عمر الدورى السابق تعريفه .

وقد أقرأ كلاهما خلقا كثيرا حتى تعددت طرقه وانتشرت قراءته رضى الله عنه وعنهم أجمعين .

مسنده فى القراءة

كان الكسائى رحمه الله تعالى يجهر فى أول قراءته بالتعوذ باللفظ المختار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ما اتى فى سورة النحل ، وأيضا يبسمل فى أول كل سورة ماعدا - سورة التوبة - وكذلك بين السورتين .

وكان يقرأ بالتوسط فى المَدَّيْن - المتصل ، والمنفصل . وأُثر عنه الإشباع فى المد المتصل من طريق طيبة النشر ، ونقل عنه تحقيق الهمز المبدوء به ، والمتوسط إلا فى كلمة - الذئب - فكان يبدل الهمز ياء . ولم يؤثر عنه فى الهمز المتطرف سوى التحقيق . وله إدغام فى باب (إذ) ، و(قد) ، و(تاء التأنيث) ، و(لام بل) ، و(هل): إدغامهما فى الطاء كقوله ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ ﴾ النساء ١٥٥ ، وفى الظاء كقول ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ ﴾ الفتح ١٢ ، وفى الضاد مثل ﴿ بَلْ ضَلُّوا ﴾ الأحقاف ٢٨ ، وفى النون كقوله ﴿ بَلْ نَحْنُ ﴾ الواقعة ٦٧ ، وفى الزاى كقوله ﴿ بَلْ زُيِّنَ ﴾ الرعد ٣٣ .

وروى أبو الحارث الليث بن خالد عنه - إدغام اللام الساكنة للجزم فى الذال - فى قوله : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ البقرة ٢٣١ ، وفى كل القرآن .

وروى غير أبى الحارث بالإظهار .

وفى باب الإدغام : إدغام حروف قربت مخارجها . وكان من المكثرين فى الإمالة والاضجاع .

والإمالة : أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء كثيرا ، وهى (المحضة) ويقال لها : الكبرى ، وهى « الاضجاع » و« البطح » ، ثم هى المرادة عند الإطلاق . وقليلا ، وهو بين اللفظين ، ويقال له (التقليل) ، و(بين بين) ، و(الصغرى) .

ويجتنب فى الإمالة المحضة القلب الخالص ، والإشباع المبالغ فيه ثم إن الفتح والإمالة لغتان فصيحتان صحيحتان . نزل بهما القرآن .

وقد اختص الكسائى بإمالة (هاء التأنيث) سواء رسمت تاء نحو (نعمت الله) ، أو هاء نحو (رأفة) ، وتأتى على ثلاثة أقسام .

● **الأول : متفق على إمالته عنه بلا تفصيل :**

وهو ما إذا كان قبل الهاء حرف من خمسة عشر حرفا يجمعها لفظ : « فجثت زينب لذود شمس » :

فالفاء نحو : ـ خليفة ـ ، ـ ورافة ، والجيم نحو : وليجة ، وبهجة ، والثاء نحو : ثلاثة ، مبثوثة ، والتاء نحو : ميتة ، بغتة ، والزاى نحو : أعزة ، بارزة ، والياء نحو : شية ، خشية ، والنون نحو : سنة ، جنة ، والباء نحو : حبة ، شيبة ، واللام نحو : ليلة ، ثلة ، والذال فى : لذة ، والموقوذة ـ فقط ، والواو نحو : قوة ، المروة ، والدال نحو : بلدة ، عدة ، والشين نحو : عيشة ، معيشة ، والميم نحو : رحمة ، نعمة ، والسين نحو : خمسة ، الخامسة .

فاتفقوا على إمالة ذلك كله مطلقا ، لخلوه من المانع .

والقسم الثانى يوقف عليه بالفتح :

وذلك بعد عشرة أحرف : وهى حاع ، وحروف الاستعلاء السبعة : قظ ، خص ، ضغط .

فالحاء نحو : النطيحة ، اشحة .

والألف نحو : الصلاة ، الحياة . ويلحق به ـ هيهات ، واللات ، وذات ، ولات ، كما يأتى فى مرسوم الخط ـ إن شاء الله تعالى ـ وأما ـ التورنة ، وتقاة ، ومرضاة ـ فليس من هذا الباب . بل من الباب الذى يمال الفه فى الحالين . كما تقدم .

والعين : نحو سبعة ، طاعة ، والقاف : نحو طاقة ، ناقة ، والظاء فى : غلظة ، موعظة ، حفظة ، والخاء نحو : الصاخة ، نفخة ، والصاد نحو : خالصة ، مخمصة ، والضاد نحو : بعوضة ، روضة ، والغين نحو : صبغة ، مضغة ، والطاء نحو : حطة ، بسطة .

فاتفقوا على فتحها عند الألف كما تقدم . واتفق جمهورهم على الفتح عند التسعة الباقية أيضا .

القسم الثالث : فيه تفصيل :

فيمال في حال . ويفتح فى أخرى ، وذلك عند أربعة أحرف يجمعها (اكهر) ، فإن كان قبل كل منها ياء ساكنة ، أو كسرة متصلة ، أو منفصلة بساكن أُمِيلَتْ وإلا فتحت . وهذا مذهب الجمهور أيضا عنه .

وذهب آخرون إلى إمالتها مطلقا . فالهمزة بعد الياء ـ كهيْئة ، خطيئة . وبعد الكسرة نحو : مائة ، وفئة ، وبعد غير ذلك نحو : امرأة وبراءة .

والكاف بعد الياء ـ الأيكة . وبعد الكسرة نحو الملائكة ، المؤتفكة وغير ذلك نحو : مكة ، الشوكة .

والهاء بعد الكسرة المتصلة ـ آلهة ، فاكهة . وبعد المنفصلة ـ وجهة ، وبعد غير ذلك ـ سفاهة ـ ولم تقع بعد ياء ساكنة .

والراء بعد الياء نحو : كبيرة ، صغيرة . وبعد الكسرة المتصلة نحو : الآخرة ، وكافرة . وبعد المنفصلة نحو : عبرة ، سدرة . وبعد غير ذلك نحو : حسرة ، الحجارة .

ومذهب الجمهور المتقدم هو اختيار الداني ، والشاطبي وغيرهما . وعليه عمل القراء .

هذا وما ذكرته من مذهب الكسائي من باب الأصول المضطردة قَلَّ من كَثُر .

وقد اعتمدت على الله واستخلصت ماكتبت من المصادر المبينة بعد :

١ - الإمام أبو عمرو الداني . كتاب التيسير لجمعية المستشرقين الالمانية « ط » - الدولة باسطنبول .

٢ - جامع البيان : مخطوط بدار الكتب المصرية .

٣ - تقريب النشر في القراءات العشر - ابن الجزري - (ط) الحلبي - مصر .

٤ - ابن مجاهد : كتاب السبعة : مصور عن المخطوط . جامعة الدول العربية .

٥ - أحمد البنا الدمياطي : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر . « ط » تركيا .

٦ - أحمد شهاب الدين القسطلاني : لطائف الإشارات - مصور عن مخطوط مكتبة (قَوَلَة) .

الذهبي : كتاب معرفة القراء الكبار .

ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء .

إبراهيم عطوة عوض

الدروس المستفادة من عمليات

الاستطلاع والقتال قبل غزوة بدر الكبرى

● هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة فارين بأنفسهم وعقيدتهم ، وكان من الطبيعى أن يتوقعوا أن قريشاً سوف تحاول جهدها القضاء عليهم فى موطنهم الجديد بعد أن فشلت فى القضاء عليهم فى مكة .

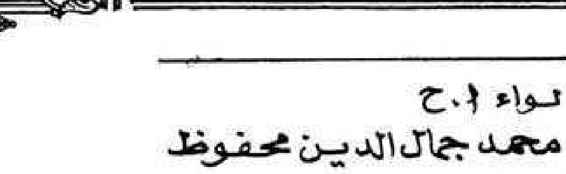
● ومنطقة المدينة وما حولها سوف تكون هى « المسرح » الذى تدور فوقه عمليات الدفاع ضد إغارات وهجمات الأعداء المتوقعة ، لكن هذا المسرح إن كانت طبيعته معلومة للأنصار أهل المدينة الأصليين ، فهو مجهول بالنسبة للمهاجرين الذين جاءوا من مكة من مسافة تصل إلى اربعمائة كيلو متر فكان من الضرورات الحيوية أن يدرس المسلمون هذا المسرح دراسة وافية ..

● ثم إنه كان على المسلمين أن يقيموا للإسلام قاعدة وطيدة لنشر الدعوة ، وفى مثل هذا الجو المشحون بالتربص ونذر الخطر وبالنوايا العدوانية ضدهم فقد اقتضى الأمر أن يكونوا على أقصى درجات اليقظة والحذر لتأمين هذه القاعدة باعتبارها حجر الأساس فى بناء القدرات الدفاعية .

● ولم يقف المسلمون مكتوفى الأيدى أمام هذه الأوضاع والأخطار ، بل قاموا بعدة أعمال إيجابية نشطة تشد من عزيمتهم وتعدهم لمواجهة تحدى القتال ، فلم تكد تمضى ثمانية اشهر فقط من مقامهم بالمدينة حتى قاموا بعدة عمليات ذات طابع خاص يتناسب مع مقتضيات الموقف الاستراتيجى الذى وصفناه ، وهذه العمليات إن كانت لم تأخذ شكل العمليات الحربية إلا أنها حققت أهدافا هامة وحفلت بعدة دروس نافعة فى مجال الإعداد لمواجهة العدوان تستحق الدراسة ، ونعرضها باختصار فيما يلى :

١ - سرية حمزة :

فى رمضان من السنة الأولى للهجرة بعث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمفرزة تتألف من ثلاثين راكبا من المهاجرين « ليس فيهم من الأنصار » أحد بقيادة حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى « العيص » على ساحل البحر على طريق تجارة قريش بين مكة والشام ، لتهديد قافلة لقريش يحميها ثلاثمائة راكب بقيادة أبى جهل بن هشام ، إلا أن



لـواء أ.ح
محمد جمال الدين محفوظ

مجدى بن عمرو الجُهنى وكان موادعا للفريقين جميعاً[1] حجز بين الطرفين فعاد المسلمون دون قتال .

٢ ـ سرية عبيدة بن الحارث :

وفى شوال من السنة الأولى للهجرة بعث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمفرزة تتألف من ستين (أو ثمانين) رجلاً من المهاجرين « ليس فيهم من الانصار أحد » بقيادة عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف للوصول إلى وادى رابغ لتهديد تجارة قريش التى كانت بحماية اكثر من مائتى رجل بقيادة ابى سفيان بن حرب (وفى رواية أخرى عكرمة بن ابى جهل) وكان بين المسلمين والمشركين مناوشة رمى فيها سعد بن ابى وقاص بأول سهم يرمى به فى الإسلام ، وعاد الطرفان دون قتال بعد أن اظهر المسلمون للمشركين قوتهم .

٣ ـ سرية سعد بن ابى وقاص :

وفى ذى القعدة من السنة الأولى للهجرة بعث عليه الصلاة والسلام بمفرزة تتألف من عشرين رجلاً « من المهاجرين » فخرج حتى بلغ الخرّار بالحجاز قرب الجحفة ، لكنهم لم يستطيعوا اللحاق بالقافلة .

٤ ـ غزوة وَدَّان (وهى غزوة الابواء) :

وهى أولى الغزوات التى قادها الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وفيها خرج عليه الصلاة والسلام فى قوة تتألف من مائتى رجَل يريد قوة من قريش ومن بنى ضمرة بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة ، ووصلت قوة المسلمين إلى ودان إلا انها لم تصطدم بقوة قريش ، ولاقت بنى ضمرة وعلى رأسهم مَخشىّ بن عمرو الضمرى وكان سيد بنى ضمرة ، فوادعه الرسول صلى الله عليه وسلم على الا يغزو بنى ضمرة ولا يغزوه ، ولا يكثروا عليه جمعا ولا يعينوا عدواً . وكتب بينه وبينهم كتاباً ، وكانت هذه الغزوة فى صفر من السنة الثانية للهجرة .

٥ ـ غزوة بُواط :

وفى ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة خرج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مائتى رجل للوصول إلى بواط من ناحية جبل رضوى على الطريق التجارية لقريش بين مكة والشام ، وكانت قافلة قريش فى حماية مائة رجل يقودهم أمية بن خلف الجُمَحى ، لكن عيون قريش علمت بخروج المسلمين فأسرعت

←

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ـ ط مصطفى الحلبى ـ ١٣٧٥ القاهرة ـ القسم الأول ص ٥٩٥ .

قافلتهم بحركتها ، وسلكت طريقا غير طريق القوافل المعبدة ، فرجع المسلمون إلى المدينة .

٦ - غزوة ذات العُشيرة :

وفى جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة ، خرج الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى مائتى رجل لاعتراض قافلة قريش بقيادة أبى سفيان وهى فى طريقها إلى الشام ، لكن القافلة افلتت ولم تمر بالعشيرة ، فوادع عليه الصلاة والسلام بنى مُدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة ثم رجع إلى المدينة بعد أن أقام بالعشيرة شهراً .

٧ - غزوة بدر الأولى :

ولم يقم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة إلا ليالى قلائل لا تبلغ العشر حتى أغار كرُز بن جابر الفهرى على سرح المدينة (أى الإبل والمواشى التى تسرح للرعى بالغداة) فخرج - صلى الله عليه وسلم - فى مائتى رجل فى طلبه حتى بلغ وادياً يقال له سفوان مُن ناحية بدر وفاته كرز بن جابر ، فرجع إلى المدينة .

٨ - سرية عبد الله بن جحش

وفى شهر رجب من السنة الثانية للهجرة بعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن جحش فى مهمة استطلاعية ومعه ثمانية (أو إثنا عشرة فى رواية أخرى) من المهاجرين وكتب له كتاباً أمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ، ولا يستكره أحداً من أصحابه على المسير معه ، فلما سار يومين فتح الكتاب ، فنظر فيه ، فإذا فيه : « إذا نظرت فى كتابى هذا ، فامض حتى تنزل نخلة (بين مكة والطائف) فترصَّد بها قريشاً وتعلَّم لنا من أخبارهم » .

فلما نظر عبد الله بن جحش فى الكتاب قال : سمعاً وطاعة . ثم قال لأصحابه : قد أمرنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أمضى إلى نخلة أرصد بها قريشا ، حتى آتيه منها بخبر ، وقد نهانى أن أستكره أحدا منكم ، فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فماض لأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد[٢] .

ولقد مضى عبد الله بن جحش ومضى معه أصحابه عدا سعد بن أبى وقاص وعُقبة بن غزوان ، إذ ضل بعير لهما يعتقبانه (يتبادلان ركوبه) فتخلفا عنه فى طلبه ، ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا وأدما (جلدا) وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو ابن الحضرمى .. وكان يومئذ آخر رجب ، وذكر عبد الله بن جحش ومن معه ما صنعت قريش بهم ، وما حجزت من أموالهم ، وتشاوروا وقال بعضهم لبعض : « والله لئن

---

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية القسم الأول (حـ ١ ، ٢) ص ٦٠١ .

تركتم القوم هذه الليلة ، ليدخلُن الحرم ، فليمتنعن منكم به ، ولئن قتلتموهم ، لتقتلنهم فى الشهر الحرام !»

وترددوا وهابوا الإقدام، ثم شجعوا انفسهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم ، ورمى أحدهم عمرو ابن الحضرمى بسهم فقتله وأسر المسلمون رجلين من قريش ، وأقبل عبد الله بن جحش بالعير والأسيرين حتى قدموا المدينة .

تحليل العمليات :

● وبتحليل هذه العمليات نستخلص ما يأتى : ـ

(١) بدأت هذه العمليات في رمضان من السنة الأولى للهجرة إلى شهر رجب من السنة الثانية للهجرة أى قبل غزوة بدر الكبرى بشهرين .

(٢) وقعت بتركيز ملحوظ في معدلها الزمنى إذ بلغ عددها ثماني عمليات في خلال عشرة أشهر فقط .

(٣) حرص الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أن يتولى بنفسه قيادة أربع من تلك العمليات (أى نصف عددها) وعين بعض أصحابه لقيادة النصف الباقى .

(٤) اتخذت العمليات شكل المفارز محدودةالقوة فقد تراوح عدد أفرادها بين الإثنى عشرة والمائتين .

(٥) معظم هذه العمليات بعيد المدى فقد تراوحت المسافات التى قطعتها إلى أهدافها بين ١٥٠ كيلو مترا إلى ٤٠٠ كيلو متر تقريباً

(٦) الغالبية العظمى منها (٧ عمليات) استهدفت تهديد قافلة قريش على طريق تجارتها إلى الشام على ساحل البحر (انظر الخريطة) .

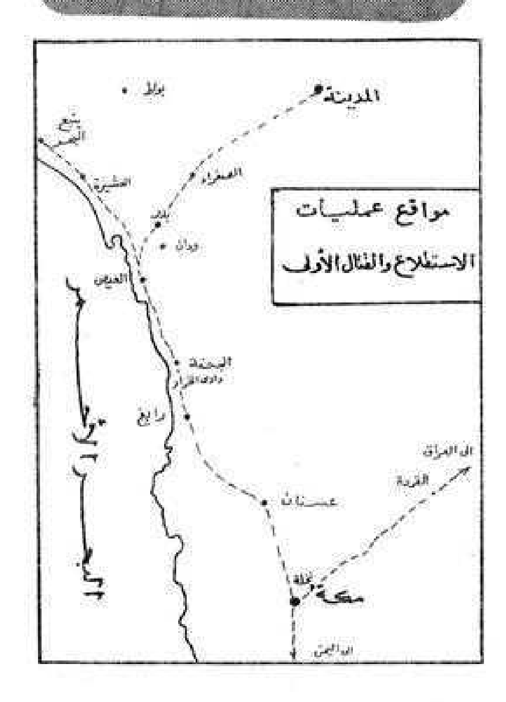
(٧) غطت هذه العمليات كل الطرق المعروفة فى اتجاه الجنوب والغرب والجنوب الغربي من المدينة ، فقد حظى طريق القوافل من مكة إلى الشام بأكبر قسط من عمليات الإغارة وفى مواضع مختلفة على امتداده من الجنوب إلى الشمال ، هذا فضلاً عن الطريق بين المدينة وبدر ، وعن وصول سرية عبد الله ابن جحش إلى نخلة بين مكة والطائف .

النتائج التى حققتها هذه العمليات :

أولاً : دراسة مسرح العمليات المتوقعه :

كانت دراسة مسرح العمليات ضرورة حيوية من الناحية الاستراتيجية لكى يستطيع المسلمون الدفاع عن قاعدة الإسلام بالمدينة ضد الغارات والهجمات المتوقعة من أعدائهم ، ولقد اتاحت هذه العمليات للمسلمين دراسة المسرح وخاصة بالنسبة للمهاجرين ، فقد ظهر لنا مثلاً أن كل السرايا ـ كما ذكرنا ـ كانت « مشكلة من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد » ، كما ظهر أيضاً اتساع المساحة التى جرت عليها تلك العمليات وتنوع اتجاهاتها ..

←



ثانياً : إعداد المسلمين للتخطيط الواقعي :

ثم إن دراسة مسرح العمليات قد أصبحت ضرورة اقتضاها ما طرأ بعد الإسلام من تغيير فى شكل الصراعات وطبيعتها ، فقبل الإسلام كانت الأعمال القتالية تتخذ شكل الإغارات ، وهى أعمال محدودة من حيث الهدف والقوة والمدى ، فكان « مسرح العمليات » محصوراً فى مساحة محدودة هى أرض الخصم التى غالباً ما تكون مطروقة ومعروفة للمهاجم بحكم الجوار أو قرب المسافة أو حركة الرعى والتجارة .

أما بعد الإسلام فقد « تطور » مسرح العمليات واتسع نطاقه بالنسبة للمسلمين حتى أصبح يشمل شبه الجزيرة العربية برمتها ، من أجل ذلك أصبحت دراسة مسرح العمليات من أهم متطلبات « التخطيط الواقعى السليم » للعمليات الحربية وهى تشمل ناحيتين فى غاية الأهمية لهذا التخطيط هما :

(١) الناحية « الطبوغرافية » وتعنى دراسة طبيعة الأرض والطرق وموارد المياه والهيئات الطبيعية وغيرها .

(٢) والناحية « الديموجرافية » وتعنى دراسة تركيب السكان وتوزيعهم ومظاهر الكثافة والتخلخل السكانى وغيرها .

ثالثاً : إظهار القوة لتأمين الدعوة :

وقد أثبت المسلمون بهذه العمليات الجريئة والنشطة والمتلاحقة (ثماني عمليات فى خلال عشرة شهور فقط) للمشركين من قريش والقبائل المجاورة وأهل المدينة واليهود ، أنهم أقوياء يستطيعون الدفاع عن أنفسهم وعن عقيدتهم عند الحاجة ، وقد أراد المسلمون من ذلك أن تترك لهم الحرية الكاملة لنشر دعوتهم دون تدخل أعدائهم .

رابعاً : معاهدة القبائل المجاورة :

وعقد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إتفاقات مع مختلف القبائل العربية المجاورة مثل بنى ضمرة (فى غزوة ودان) وبنى مدلج وحلفائهم (في غزوة ذات العشيرة) ، وكان من نتائج تلك الاتفاقات ما يلى :ـ

(١) كفالة حرية المسلمين في نشر الدعوة

مما يشكل تهديداً لحاضر المشركين ومستقبلهم .

(٢) كفالة حسن الجوار والمعاملة .

(٣) حرمان قريش من محالفة هذه القبائل والحصول على معاونتها سواء بتأمين طريق التجارة ، أو بشد أزرها بالعدوان على المسلمين بالمدينة أو تهديد طرق تحركاتهم أو مواصلاتهم .

(٤) تحييد القبائل التى بينها وبين قريش موادعة ، ومن أمثلة ذلك مجدى بن عمرو الجهنى الذى ذكرنا فى سرية حمزة أنه كان موادعاً لقريش وللمسلمين فى الوقت نفسه ، وقد ظهر من موقفه بمنع القتال بين الطرفين أنه اتخذ موقف الحياد ولم يناصر طرفاً منهما على طرف ، ولو لم يكن المسلمون قد وادعوه من قبل ، فربما ناصر قريشا على المسلمين .

(٥) حرمان قريش من « حرية العمل » وذلك بتضييق المساحة التى تستطيع التحرك فيها للعمل ضد المسلمين .

(٦) وحرمانها أيضاً من « القواعد الخارجية » التى تسمح لها بأن تقوم بعدوان غير مباشر على المسلمين .

خامساً : تطعيم المسلمين ضد المعركة :

● وقد حققت هذه العمليات نوعاً مما يسمى « بالتطعيم ضد المعركة » فكما يؤدى تطعيم الإنسان بالمصل الواقى إلى تحصينه ضد الأمراض الوبائية ، فإن اشتراك الرجال فى بعض الأعمال القتالية المحدودة من حيث طبيعتها وأهدافها والأخطار التى تنطوى عليها مثل مفارز الاستطلاع ومفارز القتال والإغارات ، يؤدى إلى تحصينهم ضد شدائد الحرب ومعاناتها القاسية على النفوس والعقول والأبدان .. هذا فضلاً عما ينطوى عليه الاحتكاك المباشر بالعدو من تمكين المسلمين من معرفته وسبر أغواره وتنمية الثقة فى نفوسهم فى قدرتهم على مواجهته فى المعركة والانتصار عليه .

سادساً : الحصار الاقتصادى لقريش :

● واستطاع المسلمون بهذه العمليات « تهديد » تجارة قريش التى تعيش عليها لكى تفهم أن من مصلحتها التفاهم مع المسلمين تفاهما يكفل لهم حرية الدعوة إلى الدين .. ولم يكن هذا التفاهم ممكنا بغير هذا التهديد ، لأنه هو الذى يشعر قريشا « بقدرة » المسلمين على الإيقاع بها ، وإيصاد طريق التجارة فى وجهها ، ولقد ظهر ذلك بوضوح حين شعرت قريش بأن طريق تجارتها إلى الشام قد أصبح محفوفاً بالمخاطر مما يؤدى إلى كساد تجارتها ، وقد عبر عن ذلك صفوان بن أمية بقوله لقريش :

« إن محمداً وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا ، فما ندرى كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل ، وأهل الساحل قد وادعهم (يشير إلى المعاهدات مع القبائل) ودخل عامتهم معه ، فما ندرى أين نسلك ؟

البقيـة ص ١٣٦٥

ديانة السيخ

هندوكية إسلامية

يدعو التناحر المستمر فى الهند بين جماعة السيخ والهندوك إلى ذكر شيء عن هذه الجماعة . وقد ظن بعض الناس أن السيخ طائفة إسلامية حورت فى عقيدة الإسلام بعض التحوير مثل الصابئة ، وهو قول لم يصب الحقيقة ولم يبعد عنها كثيرا ، فعقيدة السيخ تأخذ أطرافا من كلتا الديانتين ، وكانت نشأتها محاولة للتوفيق بينهما . وقبل أن نذكر تفاصيل هذه العقيدة وشيئا من أناشيدها وأدعيتها نذكر لمحة من تاريخها .

وبداية هذه الطائفة كانت فى القرن السادس عشر الميلادى . وكانت رد فعل للغزو الإسلامى الذى سبق هذا القرن ببضعة قرون . فالمسلمون فتحوا البنجاب وحوض السند فى عهد عبد الملك بن مروان ، فأدخلوا اللغة العربية هذه البلاد وصبغوها بصبغة إسلامية فى تقاليدها ومظاهرها الاجتماعية ، وتوقف الغزو الإسلامى مدة طويلة ، ولكن الفكرة الإسلامية ظلت باقية وظل لها نمو بوجه ما . ثم انبعثت بصورة نشيطة قوية فى عهد الدولة الغزنوية التى استمرت نحو قرنين وثلاثين عاما (٣٥١ ـ ٥٨٢)[1] هـ . وكان أزهر أيامها فى عهد محمود الغزنوى الذى تولى سلطة البلاد وقيادة جيشها أكثر من ثلاثين عاما (٣٨٨ ـ ٤٢١ هـ) ـ (٩٩٨ ـ ١٠٣٠ م) وكان محبا للجهاد . وكان أبوه سبكتكين قد مهد له سبيل الفتح بانتصاراته الباهرة ، وكان هو قد أخذ على عاتقه أن يغزو كل عام ، فغزا فعلا اثنتى عشرة غزوة ، ووسع حدود سلطنته وسماه الخليفة « يمين الدولة » لأنه رعى ركنها الأيمن من الشرق الإسلامى . وكان له إلى جانب هذه الغزوات حروب ضد المارقين ، فحارب الرافضة والقرامطة والإسماعيلية والجهمية والمشبهة وأيضا حارب المعتزلة وضيق عليهم . وكان رجلا تقيا ورعا أحزنه أن يحارب المسلمين ، كما أحزنه انحرافهم وخروجهم وأنهم اضطروه إلى هذه الحروب ، ورأى أن من كفارة آثامه أن يعمل

للأستاذ الدكتور
عبد الجليل شلبي•

على نشر الإسلام ومده فى بلاد الهند . وكان حين يفتح أرضا يبنى بها المساجد ويرسل إليها القراء والمعلمين .

وفى القرن السادس عشر الميلادى أسس الملك بابور أسرة مغولية فى الهند ، واشتهر منها الملك أكبر الذى امتاز بتسامحه ، ولم يكن مغتبطا بديانته الشامانية ، ورأى أن المسيحية والإسلام والبوذية أشهر وأوسع الديانات انتشارا فى الهند ، ورغب فى إقامة المناظرات بينها ، واغتبطت البابوية فى روما ، وظنت أنه تنصر فأرسلت إليه قسيسا . فأعلن عن مناظرة كبيرة يحضرها رجل الجامعة ورجل الشارع ، والنساء والأطفال والكبار ، لكن المناظرة لم تتم ، لأن الملك حادث القسس عن المسيحية فلم تعجبه أسسها وقواعدها فردهم .

وفى عهد هذا الملك امتد الإسلام بعيداً فى الهند ، وفى ظل التسامح الدينى العام الذى انتهجه كان الناس يتغذون بمبادىء وتقاليد من ديانات شتى . ولكن كثيرين دخلوا الإسلام وانتشرت بين الهنود تقاليد كثيرة إسلامية . فكان الذين يعرفون اللغة العربية يرتلون أبيات بردة المديح النبوى ـ التى ألفها « البوصيرى » وكان المسلمون يقرأونها للمديح وللبركة ، كذلك فشت فيهم عادة حجاب النساء ولبسهن الخمار . فكانت المرأة الهندية ـ من أى دين كانت ـ تحاكى المرأة المسلمة فى هذه العادات .

ودعا هذا التقدم الإسلامى ذوى الديانات الأخرى ـ وخصوصا الهندوكية ـ إلى مزيد من النشاط والتماسك والقوة .. ووسط هذا الاضطراب ظهر عديد من المفكرين يدعون إلى اختيار المبادىء الحسنى من الديانات ، وإلى توحيد هذه الديانات فى دين واحد . ومن هذا التيار نشأت عقيدة السيخ .

وأشهر الذين دعوا إلى هذه العقيدة الموحدة المفكر « كبير » (١٤٤٠ ـ ١٥١٨ م) وهو ليس مؤسس المذهب السيخى ولا من السيخ ، ولا كان المذهب قد نشأ عند انشغاله بهذه الفكرة ، ولكن المذهب نشأ بهدى من تفكيره وطريقته .

كان قد عرف الإسلام فى بنارس وعمل على نشره ، ثم قرأ أو درس الهندوكية فراقته أفكارها ، ولكنه ساءه جدا ما يعمله المتطرفون من هذه الديانة أو تلك ، ورأى أنها تفرق قوما يعبدون إلها واحداً وكره عبادة الأوثان وعابها ، وكره من الإسلام عادة الختان . وآمن بتناسخ الأرواح وتجدد الحياة مرة أخرى على نحو ماتقرر الهندوكية وكان له مدرسة وأتباع . فاختاروا المبادىء الرئيسية من الهندوكية ، وجاروا أستاذهم فى اختيار مبادىء من الديانتين .

• الكاتب : الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية الأسبق .

(١) من سنة ٣٥١ ـ ٥٨٢ هـ ٩٦٢ ـ ١١٨٦ م

ديانة السيخ

واكبر تلاميذ كبير هو المعلم ناناك . The guru Nanak الذى عاش بين سنتى ١٤٦٩ و١٥٣٨ م وهذا هو المؤسس لعقيدة السيخ - والذى جعل منها ديانة مستقلة . ثم تلاه تسعة معلمون آخرون ، تطور المذهب على ايديهم بعض التطور ، ولكنه لم يخرج عن الأسس التى نادى بها كبير . وقد مال ناناك إلى الإسلام أكثر مما مال إلى الهندوكية مخالفا بذلك ميل أستاذه كبير .

وكان ذا إخلاص وتقوى ، وقام برحلات واسعة فى انحاء شبه القارة الهندية مبشرا بالمذهب الذى اختاره . وكان ذا تقوى وورع واستقامة ، وترك أناشيد وأشعارا توضح مذهبه وتحمس إليه . وهى شديدة التركيز على وجوب إله واحد - وسماه أتباعه المعلم guru - وسمو أتباعه بعد ذلك المعلمين gurus

وصادف عهد هذا المعلم عهد الملك المغولى أكبر الذى ذكرناه قبل ، فوجدوا من تسامحه فرصة مهيئة لهذا الانتشار ، وكان أكبر يرى عالمية الدين ووحدة الأديان وإن تعددت انواعها ، ولكن عهده كان محدودا ، وجاء خلفه أورانجزب Aurangzeb فمال إلى الدين الإسلامى وأعاد مملكته وانشأ مسجدا عظيما ذا مئذنة شامخة ، ولا يزال هذا المسجد باقيا إلى الآن يزين سماء المدينة الكبيرة المقدسة بنارس .

وفى عهد المعلم السيخى الخامس اصطدم السيخ والمسلمون ، وسجن هذا المعلم بأيدى المسلمين ، ولكنه القى بنفسه فى النهر ومات غرقا ، وجاء بعده ابنه فكون جيشا من العصابات الفدائية ليحارب به المسلمين انتقاما لوالده ، ومن ذلك الوقت تحولت الجماعة إلى فرقة محاربة .

والمعلم العاشر والأخير من جماعة السيخ هو جوفند سنخ ، g . singh (١٦٧٥ - ١٧٠٨ م) وهو الذى أضفى على الجماعة صبغة خاصة من النظام . وحولها إلى فرقة حربية . جعل للسيخ ملابس خاصة يعرفون بها ليسهل تعارفهم واتصالهم . جعل لهم أساور فى أيديهم وأمرهم أن يطيلوا شعر رأسهم . وأن يصطحبوا الخنجر والمشط ، وأن تكون سراويلهم قصيرة ، ثم اتخذوا لهم لقبا كلمة سنخ . وهى تعنى الأسد ، ولكن أقلية منهم عارضوا هذا النظام ، واعتبروه زيادة على العقيدة التى قررها « كبير » و« ناناك » - واعتبروا هذا المظهر المستحدث سمة تميز أتباع سنخ من السيخ ، بعبارة أخرى اعتبروه بدعة فى مذهبهم .

وعدا هذا المظهر فرض على السيخ تقديس كتبهم ، وأمر أن يوضع أمام الكتب رمز لسيادتها والخضوع لها ، وبهذا تظل كتبهم المقدسة هى منبع السيادة ، ومهما تكرر القادة لهم فإن الكتب المقدسة هى مرجع الجميع .

وكتبهم المقدسة أكثرها من وضعهم وبعضها من كتب الهندوك ففيها أناشيد وأشعار مما وضعه كبير وناناك . وبعض المعلمين من بعدهم ، ويبدأ الكتاب بنشيد وضعه ناناك يوضح عقيدة السيخ وابتهالاتهم ، ويبدو أنه مأخوذ من تعاليم الإسلام وعقيدته ، ويمكن رده إلى كلمة التوحيد الإسلامية . وفى بدايته :

« لا يوجد إلا إله واحد هو الذى يدعى

الحق . الخالق البرىء من كل خوف وكراهة ، خالد موجود بنفسه ولا والد له ، وهو عظيم رحيم ، كان الحق قبل كل شىء ، كان فى ابعد مكان وهو موجود فى الحاضر وسيظل موجوداً فى المستقبل .. » .

● ● ●

اما عقيدة السيخ فهى كما سبق تجمع تعاليم من الإسلام واخرى من الهندوكية . فمن الإسلام اخذت الإيمان بوحدانية الله . وانه ليس كمثله شىء ، وانه لم يلد ولم يولد . ولا يحل فى شىء ، ولا يحل فيه شىء ، ولهذا رفضت فكرة الحلول الإلهى التى تدين بها الهندوكية نهائياً .

ومن الهندوكية أخذت العقيدة بتجدد حياة الفرد ـ فهى ـ كالهندوك والجينيين ـ ترى أن الشخص حين يموت ، لا يموت منه إلا جسده المادي اما الروح فهى باقية ، ولكنها تلبس جسداً آخر ، قد يكون إنساناً أو حيواناً ضئيلاً أو حقيراً .. كل ذلك حسب عمل الشخص قبل موته . كذلك أخذوا من الهندوكية الإيمان بتجدد الخليقة فى مواسم معينة ، وهذه عقيدة كانت شائعة فى الشرق الأوسط القديم من قبل .

ويرى الباحثون فى ديانات الهند أن الديانة السيخية كانت نتيجة ظروف اجتماعية ودينية ، فالذين عناهم شأن العقيدة أمثال كبير وناناك ، لم يكونوا مستريحين إلى الطقوس التى تفرق بين العباد ، والتى ينشأ عنها العزلة وسفك الدماء ، والتفرقة بين جماعة وأخرى ، وكلهم يعبدون إلهاً واحداً ، إذ الكون كله من صنع إله واحد هو خالق كل شىء ، ولهذا ففى نظرهم أن اختلاف رجال الدين الكبار فى العقيدتين الهندوكية والإسلامية ما كان ينبغى أن يحدث ، مادامو جميعاً يعملون لغرض واحد هو عبادة الإله الحق . ويرون أن قلب الديانتين واحد . ويبدو أن اختلاط هذين المفكرين ـ كبير وناناك ـ بالمسلمين وبالهنود فى كثير من المواقف والأعمال التجارية والأجتماعية والشئون السياسية ، جعلهم ينفذون إلى ما وراء المظاهر وأن ينفعلوا بأسس العقيدتين ، وأن ينتهوا إلى انهم جماعة واحدة لا ينبغى لها أن تتفرق وتختلف ، ولكن ـ ياللعجب ـ قضت الظروف السياسية والاجتماعية على مبادىء الوحدة التى وضعها كبار مفكريهم ، ورأى دعاة الوحدة انفسهم مضطرين أن ينعزلوا عن الطائفتين وان يكونوا فرقة جديدة ثالثة ، بل اكثر من هذا انهم لجأوا إلى السلاح والحرب ليدافعوا عن أنفسهم وعن عقيدتهم ، وهكذا انتهى الأمر بالذين نفروا من الكراهة وسفك الدماء ،أن يكونوا هم انفسهم سفاحين

ولم تكن أنديرا غاندى ـ الهندوكية ـ موفقة حين هدمت معبدهم الذهبى ـ وهو معبد ناناك ـ ولم يكونوا ـ أيضاً ـ موفقين حين اضمروا لها الغدر وقتلوها .

أنديرا هى ابنة جواهر لال نهرو ، وقد قلدها والدها اسم غاندى ـ أستاذه ـ اعجابا به وإكبارا لمبادئه ، وما دعا احد إلى التسامح الدينى كما دعا له غاندى ، فكان يجب على أنديرا أن تتحلى به . وألا تهدم معبداً يعظمه هؤلاء القوم ، وهم يضمنون مذهبهم مبادىء كثيرة من مبادىء دينها .

كذلك ما كان ينبغى لدعاة الوحدة الناهين عن الكراهة والناعين على الناس سفك الدماء وازهاق الأرواح ، ما كان ينبغى لهم أن يقدموا على سفك دم ولا أن يضمروا الحقد والكراهة لأحد . ولكن هذا الذى كان .

المسلمون في هولندا

المسلمون فى هولندا يمثلون جزءا من الأمة الإسلامية صاحبة الامتدادات اللانهائية فى الزمان والمكان .

والحديث عن الإسلام والمسلمين فى أوروبا والغرب عموماً حديث ذو شجون ، فيه من الألم بقدر ما فيه من الأمل ، والاهتمام به واجب فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

فمَنْ المسلمون فى مملكة « اورنج » أو المملكة الهولندية ؟

وما واقع الإسلام فى هولندا ؟

إن الوجود الإسلامى فى أوروبا عموماً ، وهولندا جزء منه ، يمكن اعتباره ذا مستويات عدة : فهناك أولاً جاليات اجنبية ذات اصول إسلامية وهؤلاء ضربان :

(أ) إما ابناء المستعمرات السابقة ، وهم فى هولندا من « سورينام » و« اندونيسيا » .

(ب) وإما عمال اجانب استدعتهم الحكومات الغربية إبان الازدهار الاقتصادى فى الستينيات ، وهم فى هولندا من تركيا والمغرب .

ثانياً : وبجوارهم يوجد المسيحيون او اللادينيون الذين اعتنقوا الإسلام وهؤلاء ضربان ايضاً :

(أ) الذين قرءوا فى الأديان والعقائد السماوية ووجدوا انفسهم امام نور الحق فاعتنقوا الإسلام .

(ب) والذين دخلوا الإسلام بسبب الزواج ، أو لأغراض اخرى غير عقائدية .

ثالثاً : ثم هناك الطلاب ورجال الأعمال وكثير من الأئمة غير المقيمين بشكل دائم فى البلاد .

إن كلا من الأطراف السابقة له علاقة بالآخر ، وإن تنوعت هذه العلاقة ، فهم جزء من الأمة الإسلامية له نفس المصالح المشتركة نظريا ، اما واقعياً فالوضع يختلف بعض الشيء .

يوجد فى هولندا نحو ربع مليون مسلم ، يشكل ابناء المستعمرات السابقة نحو ثلثهم وإذا بدأنا بعرض مفصل لواقع المسلمين هنا فإننى اعتقد أن أسهل طريقة وأبسطها هى التعرض لهم كجاليات منفردة ضمن واقع كلى شامل ، وسابدا بالأندونيسيين فهم الجالية الأقدم .

الأندونيسيون : المستقبل الزاهر

إن أغلبية الأندونيسيين المسلمين فى هولندا ينتمون إلى جزيرة « مولكاس » ، وهى إحدى الجزر التى تطالب بالانفصال عن الدولة المركزية ، إن الجيل القديم منهم كانوا جنوداً للامبراطورية الهولندية ، وشاركوا فى الحكم إبان الاستعمار ولما استقلت البلاد لم يجدوا لأنفسهم مكاناً فى الكيان الجديد بخاصة ولهم اتجاه انفصالى عن الدولة ،

للأستاذ: إيهاب محمد مهدلى

فهاجروا إلى هولندا التى قامت ببناء مخيمات لهم .

إن واقع « الملوكس » صعب فكونهم أتوا من جزيرة واحدة ، ولهم - أصلاً - مطالب انفصالية كل ذلك دفعهم إلى عزل أنفسهم عن مجموع المسلمين - فى هولندا - إلا قليلاً منهم ، وكون الجالية تتكون من جنود سابقين فإن الفكر الإسلامى ضحل عند الغالبية العظمى منهم ، إلا أنه فى الفترة الأخيرة بدأت أحوالهم فى التحسن وبخاصة فى النواحى الدينية . فقد قامت وزارة الثقافة ببناء مسجد لهم فى « ريدركرك » بالقرب من « روتردام » وأصبح لهم حاضر مشرق تراه فى الدروس الدينية التى يتلقونها ، وفى فصول اللغة العربية التى تعلم الصغار مبادىء لغة القرآن الكريم ، إن الإخلاص والنية الحسنة المتوافرين لدى الجالية سيتمخض عن الكثير فى المستقبل القريب إن شاء الله .

السوريناميون : حاضر بائس ومستقبل قلق

يوجد فى هولندا نحو مائة وثمانين الفا من « سورينام » تلك الدولة التى تقع فى أمريكا الجنوبية إلى الشمال من البرازيل وتطل على المحيط من جهة الشرق . ويمثل السوريناميون قمة مأساة المسلمين فى هولندا ، إن واقعهم بائس أو ردىء فى أحسن الأحوال ، ويبدو أن المستقبل لا يبشر بالخير لهم إلا إذا امتدت إليهم يد المعونة عاجلاً .

لنفهم وضع « السوريناميين » لابد من العودة قليلاً إلى الوراء . فهم قد أتوا من الهند فى القرن التاسع عشر كعمال بعقود عمل فى هذه المستعمرة النائية ، وسرعان ما استوطنوا « سورينام » وصارت لهم وطناً جديداً يفصلهم عن بلادهم الأصلية آلاف الأميال ، وفى نفس الوقت كان فى « سورينام » السود الذين عملوا كعبيد عند الهولنديين فى عصر الرق . وقد أدى تمايز المسلمين الهنود عن هؤلاء السود إلى إصابتهم بعقدة التفوق الوهمية .

وفى الخمسينيات من هذا القرن حصلوا على جنسية هولندا وبدءوا فى التقاطر على الدولة الأم . ولما حصلت « سورينام » على الاستقلال عام ١٩٧٥ خرجوا من بلادهم إلى هولندا فى أفواج وجماعات كبيرة . لأنهم هاجروا منذ أكثر من مائة عام دون خلفيات ثقافية تذكر ، فإن اللغة التى يتحدثون بها الآن مزيج من الأوردية والهولندية ولهجات أخرى ، ولأنهم كانوا بعيدين عن مراكز العلم الدينى وكون الغالبية تفتقر إلى العلم فقد تفشى فيهم « المذهب الخارجى القديانى » ، كما أصبح من يحفظ منهم بعض قصار السور القرآنية يعرف بـ « مولانا » ويقوم بالوعظ والإرشاد والإفتاء وأشياء أخرى وقد وعى بعضهم القصور فى هذا الواقع فعمل على استدعاء العلماء من الهند وباكستان لسد العجز الفكرى إلا أن حاجز اللغة ووهم التفوق حالا دون إصلاح الأمور .

المسلمون فى هولندا

علاج الوضع فيما أعتقد يكون فى إرسال بعض المبعوثين العرب المتفقهين فى أمور الدين والذين يتحدثون ولو قليلا من الأوردية إذ أنهم ينظرون إلى العربى ، وبخاصة المشرقى ، على أنه « شريف » أو« سيد » ، وإذا لم تتدارك المؤسسات الدينية هذا الأمر فقد يؤدى هذا الإهمال إلى اعتناق الجيل الثانى منهم ديناً آخر أو ينتهى إلى ما هو أسوأ من ذلك .

إن الحاجة عاجلة جداً ، لأن صلاحهم ، وهم المقيمون الدائمون فى البلاد ، فيه صلاح فى الإسلام على المدى الطويل .

نأتى إلى العمال المهاجرين وغالبيتهم من الأتراك والمغاربة ، هؤلاء وأولئك يشكلون عناصر سلبية وإيجابية فى نفس الوقت ، وإذا كنا فى مصر نقول : « جمع الشامى على المغربى » للدلالة على التعجب ، فما بالك بالمغربى والتركى وهما المختلفان لغة ومذهباً وعرقاً .

المغاربة : النشاط والخوف

يمثل المغاربة قمة العمل والنشاط الإسلامى فى هولندا ، فإذا كان هناك أكثر من مائتى مسجد فى هولندا فإن أغلبها ينتمى إلى المغاربة .

ينقسم المغاربة عرقياً إلى عرب وبربر ويتبنون مذهب الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ فى الفقه . وللبربر نظام قبلى بدائى يقسمهم يكاد يجعلهم بمثابة الأخوة الأعداء . وهم ينشطون كثيراً فى بناء المساجد .

والمغاربة ـ فى هولندا ـ يتحركون فى إطار من نشاط محدود على الرغم من كثرة مساجدهم ، وترسل إليهم بلادهم أئمة ، يبدو أن أثرهم على « المغاربة » مختلف جداً ، فإن فيهم الفقيه المعنى بعلمه ـ وحده ـ ومثله لا يكون سبباً مباشراً يعكس فى النفوس هذا الانقباض الذى يؤدى إلى نشاط محدود .

وبين أولئك المغاربة ظهرت جمعيات أهلية تهتم بجمع الصفوف .

وقد أعطى التليفزيون الهولندى للمغاربة نصف ساعة إرسال أسبوعياً ويهتم هذا البرنامج بالدين فى المناسبات ويستضيف طوال شهر رمضان أحد العلماء ، وبخاصة من مصر ، كما يرسل الأزهر عالمين أو أكثر ليقيما طوال شهر الصوم فى البلاد وللعلماء المصريين سمعة ممتازة فى صفوف المسلمين فى العالم ـ والحمد لله .

الأتراك : بين الدولة والشعب

فى العام ١٩٢٤ ألغى مصطفى كمال أتاتورك الخلافة الإسلامية وشن حرباً على الإسلام لا سابق لها فمنع الأذان وقتل العلماء ، واستبدل بالحروف[1] العربية الحروف اللاتينية . لكنه لم يستطع أن يقضى على الإسلام ، فالعقيدة الحقة لا تموت والإسلام دين حق باق بإذن الله .

إن غالبية الأتراك فى هولندا أتوا من الريف التركى فهم فلاحون يتحدثون ـ والعهدة عليهم ـ عن إقطاع فى بلادهم لا مثيل له فى العالم يقولون : إنه لا يزال هناك

(١) الباء مع (استبدل) تدخل على المتروك !

من يملك أربعين قرية بمفرده ، وإن هذا هو السبب فى وجود أكثر من ثلاثة ملايين تركى فى أوروبا الغربية .

يتبع الاتراك مذهب الإمام أبى حنيفة مثل « السوريناميين » وترسل السلطات التركية علماء من إدارة فى وزارة الثقافة متخصصة فى الشئون الإسلامية اسمها « ديانة » لها أكثر من ثلاثين مندوباً فى هولندا تقوم بعض البلدان العربية بدفع مرتباتهم ، ولم يَسْلَمُوا مع ذلك ـ من حملة شعواء شنتها عليهم الصحف العلمانية التركية .

يقوم علماء « ديانة » بنشر ثقافة إسلامية محدودة بين الأتراك هنا ، وبعضهم لا يرتاح له الأتراك وقد سمحت لهم الدولة الهولندية بإنشاء شركة للإرسال التليفزيونى يقومون من خلالها ، ولمدة نصف ساعة فى الأسبوع ببث برنامج إسلامى مصحوب بترجمة عربية وأخرى هولندية .

ويوجد من بين الأتراك فريق من أتباع حزب الخلاص الإسلامى ، كذلك ثمة فريق ثالث صوفى يتبع الطريقة النقشبندية .

المعتنقون للإسلام :

أخيراً نأتى إلى الذين اعتنقوا الإسلام عن اقتناع وبعد دراسة وعددهم يقدر بنحو الألفين ولا توجد رابطة تجمعهم ، وأبرزهم الأستاذ « عبد الواحد فان بومل » مدير المركز الإسلامى للإعلام « بلاهاى » والبروفسير « محمد سراج اليسخوت » أستاذ الاقتصاد بالجامعة وقد كتب الاثنان منفردين عددا من الكتب الإسلامية ويشارك الأثنان مع الأستاذ السيد / عادل أمين « وهو مصرى » فى إصدار المجلة الإسلامية الوحيدة بهولندا « القِبلة » .

لم أتعرض هنا للمصريين أو غيرهم من الجاليات الصغيرة فى هولندا فهذه الجاليات قلة صغيرة بجانب من ذكرت ، فيها المسلم الملتزم وفيها غير الملتزم ، وهم يعملون مع الجميع بدون تمييز عنصرى أو مذهبى ، كذلك لم أتعرض للسياسة العربية تجاه المسلمين فى هولندا فالتنافس الليبى ـ السعودى ـ على أية حال ـ كان فى صالح الجالية .

الخلاصة :

إن مستقبل الإسلام فى هولندا سيكون مشرقاً إذا ما تقدم شيئاً عن منواله الحاضر ، وإذا ما ازدادت رعاية المسلمين له ، فعلى العرب المسلمين أن يسعوا لتقوية أواصر الأخوة مع هؤلاء المسلمين المقيمين فى الخارج .

إن هولندا ليست دولة فقيرة والمسلمون فيها لا يحتاجون إلى المال وإنما هم ظامئون إلى العلم للتفقه فى دينهم ، كما أن هولندا دولة هادئة مثل قنواتها الشهيرة .

إن سياسة الدولة الهولندية تقرر عدم التدخل فى عقائد المواطنين ولا المهاجرين ، وقد سمحت الحرية الموجودة بخلق جو من التسامح وإن تسببت فى إظهار تفرق المسلمين وجعلتهم عاجزين عن إنشاء هيئة مركزية تمثلهم وتدافع عن حقوقهم .

إيهاب محمد مهدلى
روتردام ـ هولندا



الإسراء والمعراج

في السنة المطهرة ٣

رسول الله صلى الله عليه وسلم يخترق السبع الطباق :

روى مسلم فى صحيحه والإمام أحمد فى مسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه . أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير .

ثم عرج إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكرياء صلوات الله عليهما ـ فرحبا ودعوا لى بخير .

ثم عرج بى إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم قد أعطى شطر الحسن ، فرحب بى ودعا لى بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بى ودعا لى بخير .

قال الله عز وجل : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾[1] .

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بهارون صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعا لى بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بموسى صلى الله عليه وسلم فرحب ودعا لى بخير .

---

(١) مريم ٥٧ .



لفضيلة الشيخ
عبد الحميد محمد على ندا

ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم صلى الله عليه وسلم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور . وإذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون إليه . وهكذا اجتاز الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه كل مقام ، اجتاز مقام سيدنا آدم عليه السلام وهو أبوه ، كما اجتاز مقام جميع النبيين ، وكلهم يلقاه بالبشر والترحاب ويدعو له بالخير لأنه منهم وشاهد عليهم .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾[٢]

وهذه شهادة الحق ورسله إلى الخلق بنبوته وإيمان جميع النبيين برسالته ووقوفهم جميعاً صفاً واحداً لتأييده ونصرته . وقد تساءل بعض العلماء عن السر من وراء رؤية هؤلاء الأنبياء فقط دون غيرهم فى السموات وعن السر وراء ترتيبهم بهذا الترتيب .

ولعل السر فى ذلك أن هؤلاء الأنبياء الذين رآهم الحبيب المصطفى فى معراجه تنبيه للنبى صلى الله عليه وسلم وأولى العلم من فقهاء أمته إلى أنه صلى الله عليه وسلم سيحصل له مثل ما حصل لهم ، فليصبر كما صبروا ـ لا سيما ـ وقد فتح الله عز وجل عليهم فليستبشر بهم .

وكان فى رؤية آدم عليه السلام الذى أخرج من الجنة إشارة إلى خروج المصطفى من مكة ، وهى أحب بلاد الله إلى قلبه كما جاء فى بعض الآثار : « والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت » .

وكان فى رؤية عيسى ويحيى فى السماء الثانية إشارة إلى ما سيلقى النبى صلى الله عليه وسلم من عداوة اليهود فى المدينة بعد الهجرة ، كما عادوا عيسى ويحيى عليهما السلام ، ثم ماذا كانت النتيجة ؟ أنجى الله عيسى ورفعه إليه .

وفى رؤية يوسف عليه السلام فى السماء الثالثة إشارة إلى عداوة قريش لدعوته وحربهم وتأليبهم القبائل عليه كما كان من أخوة يوسف عليه السلام ، وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك السر يوم فتح مكة إذ قال لأهلها : « ما تظنون أنى فاعل بكم » ؟

قالوا خيراً . أخ كريم وابن أخ كريم .

قال : أقول كما قال أخى يوسف : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[٣] .

←

(٢) آل عمران ٨١
(٣) يوسف ٩٢

أما رؤية إدريس عليه السلام فى السماء الرابعة ففيها إشارة إلى ما أعده الله عز وجل من رفعة مكانة ومكان لمن صدق سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم . يرشدنا إلى ذلك قول الحق سبحانه :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً . وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً ﴾[4] .

وتسمية الله عز وجل على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لأبى بكر صبيحة الإسراء بالصديق وأى رفعة لبشر ما بعد أن يكون وحده الرفيق فى الغار ووزيره المختار ثم أول خليفة من بعده فرضى الله عنه .

وفى رؤية هارون عليه السلام فى السماء الخامسة بشارة بعود الصفاء والوئام بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقومه كما عادت المودة بين هارون وبنى إسرائيل ؛ بيد أنه يلوح لى أنها إشارة أيضاً إلى رفعة وزيره أبى بكر رضى الله عنه ومنزلته كما جاء فى الحديث : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى » خطاب لأبى بكر .

أما رؤية موسى عليه السلام فى السادسة فهى إشارة إلى التزام الصبر على إيذاء القوم والحلم عليهم . ومن ثم كانت كلمة الرسول صلى الله عليه وسلم عندما يلقى من القوم عنتا : « يرحم الله أخى موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر » .

وفى رؤية خليل الرحمن مسندا ظهره إلى البيت المعمور إشارة إلى تمام الأمر يوم أن تزيح يامحمد الأصنام من الكعبة وتقف عندها طائفاً ومُلَبِّياً وينزل الله عز وجل عليك خطابا للمسلمين فى حجة الوداع :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾[5] .

اشار إلى ذلك كله الإمام السهيلى ونقله عنه صاحب الفتح جـ ٧ ص ١٦٦ .

آدم وذريته :ـ

جاء فى رواية البخارى وغيره عن أبى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم . لما كان فى السماء الدنيا رأى رجلاً قاعداً على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى .

قال : مرحباً بالنبى الصالح والابن الصالح .

فقال لجبريل : من هذا ؟

قال : هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التى عن شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى .

من سنة الله عز وجل فى خلقه وفطرته التى فطر الناس عليها أن يفرح الآباء بسعادة أبنائهم وأن يشقوا ويحزنوا إذا ما أصاب بنيهم مكروه أو ألم بهم أذى .

ومن سننه أيضاً أن يستحى الابن من أبيه وأن الكثيرين من الأبناء لا يقارفون بعض القبائح والسيئات خشية أن يعلم بها آباؤهم .

ولهذا جاءت تلك الصورة مع سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام تعبيراً عن مسئولية

(٤) مريم ٥٦ ، ٥٧

(٥) المائدة ٣

الآباء تجاه أبنائهم وأنهم لابد أن يعملوا جهدهم لإسعادهم حتى لا يستاءوا بهم فى الدار الآخرة كما تعبر فى نفس الوقت عن التزام الأبناء بخلة الحياء تلك الصفة التى لا تأتى إلا بخير . والتى هى والإيمان قرينان وإذا انعدمت مراقبة الآباء للأبناء وذهب ستر الحياء فعلى الدنيا العفاء ، ومن هنا ندرك مجيىء تلك الصورة مع سيدنا آدم عليه السلام فهو أبو الآباء .

رؤية النيل والفرات والكوثر :

جاء فى رواية البخارى عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى السماء الدنيا نهرين يطردان . فقال :

« ما هذان النهران ياجبريل ؟

قال : هذان النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به فى السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر .

فقال : ما هذا ياجبريل ؟

قال : هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك » .

وجاء فى رواية ابن أبى حاتم عن أنس رضى الله عنه أن جبريل انطلق بالنبى صلى الله عليه وسلم على ظهر السماء السابعة حتى انتهى به إلى نهر عليه خيام اللؤلؤ والياقوت والزبرجد وعليه طير خضر أنعم طير راه .

فقال : ياجبريل ما هذا الطير الناعم .

قال : يا محمد أكله أنعم منه .

ثم قال يامحمد أتدرى أى نهر هذا ؟

قال :

قلت لا ..

قال : هذا الكوثر الذى أعطاك الله إياه فإذا فيه آنيه الذهب والفضة يجرى على رضراض من الياقوت والزمرد ماؤه أشد بياضاً من اللبن .

قال : فأخذت من آنيته آنية من الذهب فاغترفت من ذلك الماء فشربت فإذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك .

وجاء فى رواية الإمام أحمد عن أنس رضى الله عنه وفى رواية البخارى عن مالك بن صعصعة أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى عند سدرة المنتهى أربعة أنهار . نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت : ما هذا ياجبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ..

ويجدر بنا هنا أن نزيل عن القارىء ما قد يراه من إشكال إذ أن النيل والفرات هنا فى الأرض النيل بمصر والفرات بالعراق فكيف يراهما النبى صلى الله عليه وسلم هناك عند سدرة المنتهى ؟

وإذا علمنا أن تلك الليلة هى ليلة العجائب والغرائب ، ليلة الآيات البينات ، ليلة أزيلت فيها الحدود والسدود فالعندية لا توجب القرب المكانى ولا تستلزم أن يرفع ذلك النهران إلى هناك .. وإنما امتد بصر الحبيب حتى رآهما وكأنهما بجانبه ، وإذا كانت العدسات البصرية تقرب البعيد فهل يبعد على من أُصبح يرى بنور الله ـ عز وجل ـ أن يراهما قريبين منه هناك أو فى رؤية الأنهار الأربعة : الظاهران اللذان فى الدنيا والباطنان اللذان يَردُهَما المؤمنون فى الآخرة إن شاء الله فذلك إشارة إلى ما امتن الله عز وجل به على المسلمين من نعمة وأية نعمة . أفضل من ماء

يجرى صيفاً وشتاء نشربه ونسقى به انعامنا وزروعنا وثمارنا ، وذلك نوع من نعم الدنيا ونعيم الآخرة .

أما السر وراء رؤية هذين النهرين ـ النيل والفرات ـ بالذات فإنه الإشارة إلى امتداد نور الدعوة المحمدية إلى شاطئيهما قريباً تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطمينا لقلبه .

والحمد لله فلقد تحقق وعد الله إذ لم يمض ربع قرن من زمان حتى دخل ما بين النهرين فى دين الله .

المرحلة الخامسة

عند سدرة المنتهى .. وفريضة الصلاة

روى مسلم فى صحيحه والإمام احمد عن انس بن مالك رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى ، وإذا ورقها كآذان الفِيَلَة ، وإذا ثمرها كالقلال ، قال : فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلى ما أوحى ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة . فنزلت إلى موسى صلى الله عليه وسلم فقال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة . قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم .

قال : فرجعت إلى ربى فقلت : يارب خفف على أمتى فحط عنى خمساً . قال : فرجعت إلى موسى فقلت : حط عنى خمسا . قال : إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . قال : فلم ازل أرجع بين ربى تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال : يامحمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة . قال : فنزلت حتى انتهيت إلى موسى صلى الله عليه وسلم فأخبرته . فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه » .

تعليـــق :

أشارت تلك الصورة الفريدة التى امتازت بها الصلاة حين فرضها رب العزة سبحانه على المؤمنين من أمة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين أقلام الكاتبين من العلماء وكل منهم انتحى ناحية يبرز فيها أهمية الصلاة عن غيرها من سائر العبادات ، والحق أن جميع ما ذهبوا إليه طيب وجميل وسنوجز ما استطعنا طرفا مما قالوا آملين النفع به بإذن الله .

رسالة خاصة :

يرى بعض العلماء فى انفراد الصلاة عن غيرها من سائر العبادات بفرضيتها فى السماء واستدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى

ملك الملوك حتى يأمره بها دون واسطة أنها أمر هام وخطير ليس كبقية الأوامر الأخرى ، يفعل ذلك ملوك الدنيا إذا كان لديهم أمر خطير استدعوا المأمور المختص ليكلفوه به حتى يظل للأمر قداسته وخطورته .

ومن ثم كانت الصلاة رأس الأمر وذِرْوَة سنام الإسلام .

الصلاة معراج المؤمنين :

ويرى آخرون منهم : أن الصلاة يقف فيها المؤمن بين يدى ربه يسأله ويناجيه . كما وقف الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ليلة المعراج ، هناك عند سدرة المنتهى يكلم ربه بدون ترجمان ، وكذلك الصلاة تعرج فيها أرواح المخلصين فى معارج القرب ، ويتجلى عليها رب العزة بأنوار الود فينشرح الصدر وينفتح القلب وتحظى النفس ويعم الأنس ومن ثم كانت قرّة عين الحبيب المصطفى فى الصلاة صلوات الله وسلامه عليه وما ذاك إلا لقول مولاه : ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾ .

ولهذا اشترط لأدائها دون سواها التطهر التام من الحدثين الأصغر والأكبر . أما بقية أركان الإسلام فتصح بدون طهارة حسية بخلاف الطواف .

الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر :

خلق الله عز وجل الإنسان سوى الفطرة مستقيم الخلق والخليقة ، وشرع له من الشرائع ما به تسير فطرته فى مسارها الطبيعى لا تنحرف يمنة ولا يسرة فحرم عليه الموبقات لأنها تجرفه إلى منحدر حيوانى لا يليق به وبتكريم الله إياه ، وأباح له ما لا يترتب على فعله خطر أو ضرر وأوجب عليه ما فيه صلاحه فى معاشه ومعاده .

ولكن عيش الإنسان وسط التيارات والأعاصير قد تتعرض أحاسيسه الخيرة ومشاعره الكريمة لنوع من العطب والتلف تحتاج معه إلى الإصلاح والصقل والتهذيب ، وأى مصلح لنفس الإنسان أعلم من بارئها تعرض عليه كل يوم خمس مرات فَيُقَوِّم ما أعوج ويصح ما فسد ويجمع ما تفرق ، فتخرج من كل صلاة جديدة قويمة وكأنها بعد وليدة لم تقترف إثما ولم تجن ذنباً .

ولا تعترض أخى القارىء على بأفعال بعض المصلين النكراء فهؤلاء ليسوا من الصلاة فى شىء وصدق الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً » .(٦)

الصلاة عماد الدين :

ويقول آخرون أن ما حَظيَتْ به الصلاة واختصت به دون بقية أركان الإسلام لأنها عماد الدين من أقامها أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ، ومن ثم لم تسقط عن المسلم بحال يصلى وهو صحيح ومريض وجد الطهور أم لم يجده ، وفى أى مكان أدركته الصلاة

←

(٦) رواه الطبرانى فى الكبير والحديث فى الجامع الصغير للسيوطى ٦/٢٢١ رقم ٩٠١٤

فليصل ، أما بقية الأركان فليست بتلك المثابة . فالفقير لا تجب عليه الزكاة وغير المستطيع لا يحج . وقد يظلان كذلك إلى آخر الحياة دون أن يخل ذلك بشيء من إيمانهما ولربما كانا أفضل وأقرب عند الله من كثير من المزكين والحاجين والمعتمرين ، وكذلك الصوم يسقط عن المريض والمسافر والشيخ الهرم ، أما الصلاة فالمريض يقيمها قاعداً وعلى جنبه أو بإيماء ، والمسافر يصلي حتى في حالة التحامه في القتال مع الأعداء كما أن الصوم شهر واحد في السنة يصوم نهاره فقط ، والزكاة قد تؤدى في يوم أو في ساعة والحج مرة في العمر ، أما الصلاة فدائمة في جميع الأوقات في الليل وفي النهار وليست مرة أو مرتين ولا ركعة أو ركعتين بل هي خمس مرات وأربع ركعات في أكثر الصلوات يقف فيها المؤمن مناجياً ويركع محييا ويسجد متذللا خاشعاً قانتا لله رب العالمين .

وأن ما يستدعي التأمل والدهشة أنك ترى المؤمنين يصلون في جميع الأوقات لله رب العالمين إذ أن أوقات الصلاة ترتبط بدوران الأرض حول الشمس فالظهر يحين وقته في مكة قبل مصر ، وفي مصر قبل المغرب ، وإذا كان في جميع بلاد العالم اليوم مسلمون فمعنى ذلك أن تكبيرة الظهر يتردد صداها في كل حين وكلما انتهى المؤذن في بلد من الآذان تلاه آخر في أقرب البلدان ، وهكذا في جميع الصلوات .

الصلاة جامعة لبقية أركان الإسلام :

ويقول بعض العلماء وهو قول جد طريف : إن في الصلاة حجا إلى بيت الله الحرام ذلك لأنك تستقبله وتستحضره أمامك ، والحج قصد البيت وقد قصده المصلي بنظره وولى وجهه شطره ، وإذا ما أزيلت الحجب والسدود نظر المصلي إلى الكعبة بيت الله ، وفي الصلاة زكاة لأنها اقتطاع جزء من الوقت لله وإذا كان الزمن في عرف علماء الاقتصاد يتحول إلى ثروة فكل وقت عملت فيه أنتجت شيئاً وزادت ثروتك فإذا اقتطع المسلم جزءا من وقته للصلاة فإنه قد أدى به نوعاً من الزكاة ، وهل المقصود من الزكاة إلا تضحية المؤمن بجزء من ماله حتى لا يرتبط دائماً به ويصير له عبدا أسيراً وإلا فالله غني عن العالمين ، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة أغنياء جميعاً ، ولكن فعل ما فعل ليبلو بعضكم ببعض فناظر كيف تعملون .

كما أن في الصلاة صوما ولو لمدة يسيرة عن الطعام والشراب بل وعن الكلام والعمل ، وإذا كانت كل صلاة فيها شهادة أن لا إله إلا الله فماذا بقي من أركان الإسلام لم تحوه الصلاة ؟

تحفة الحق :

وفي ختام ما يذكره سادتنا العلماء في بيان أفضلية الصلاة يقولون : إن فرضية الصلاة كانت ليلة الإسراء تحفة من الحق لأمة سيد الخلق إذن لهم باللقاء خمسين مرة كل يوم كي يمن عليهم بنوره ويحظوا بلذة أنسه ، ولكن خوف موسى عليه الصلاة والسلام أن ينال خير أمة أخرجت للناس ما نال بنو إسرائيل من كسل وفتور وقد منحوا فرصتين فقط للصلاة في الغداة والعشي فما وافوا باب مولاهم

المفتوح ، وهو يعلم علم اليقين أن لا شيء يغضب ملك الملوك مثل إعراض العبيد وقد نودوا وفتحت لهم الأبواب فخشى موسى صلوات الله وسلامه عليه ، علينا أن نصاب بما أصيب به بنو إسرائيل ، ومن ثم استجاب لرجائه خاتم النبيين ورجع إلى ربه مرات يسأله التخفيف خشية من أن يحل على أمته غضب الجبار فتصاب بما أصيبت به بنو إسرائيل من تمزق واختلاف وقتل وتشريد .

ويستجيب رب العزة لرجاء حبيبه فيجعلها خمسا في الأداء وفي الأجر والمثوبة خمسين ، وتلك نعمة ما بعدها نعمة وتكريم دونه كل تكريم ، وهدية رب العالمين لأمة خير المرسلين ، وقد يرجع زوار الملوك بهدايا لأنفسهم أو لذويهم أما أن يرجع الزائر من عند المزور بهدية له ولجميع من تبعه من وجد منهم ومن لم يوجد بعد وأن يظل العطاء سابغا تاما إلى يوم الدين فذلك كرم خاص لزائر خاص ، وكيف لا وهي منحة أكرم الأكرمين لمن قال فيه مولاه :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .(٧)

ولقد تجلى حرص الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ورأفته ورحمته بأمته ليلة الإسراء واضحاً جلياً في تلك المراجعة بين ربه سبحانه وبين أخيه موسى عليه السلام ، فهو حريص على أن يأخذ الهدية كاملة وتامة غير منقوصة ، وموسى عليه السلام يذكره بضعف الأمم وعجزها أمام مغريات الحياة وأعبائها فيعود إلى ربه لسانه يسأله التخفيف فقط في الأعباء وقلبه كله حرص على الهدية والعطاء ولم يسأل أبداً التقليل من العطية .

ويعلم ذلك رب العزة من سؤال حبيبه التخفيف فخفف وحط منها حتى جعلها خمساً وأبقى الهدية كما هى خمسين صلاة ، وهذا هو سر حياء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ربه وقوله لأخيه موسى عليه السلام : « قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه » .

تحفـــة ثانيـــة :

نألم كثيراً إذا ما أخبرنا صديق أنه كان ينوى زيارتنا ، ولكن شغله عنا بعض ما يشغل الإنسان ، ونرى في ذلك تقصيراً في حقنا وتفضيلاً للغير عنا ، كما نجزع ونحزن وربما قطعنا ما بيننا من وشائج الود وعلائق القرب واستبدلناها بإحَن وعداوات إذا ما علمنا أن بعض الناس كان يريد لنا شراً أو ينوى لنا سوءاً ولكنه أرغم على ترك ما عزم عليه أو حالت بينه وبين إيذائنا بعض الحوائل . وهذا منطق عقلى وفطرى تقتضيه سنة العدل ومقابلة المثل بالمثل . أما في ليلة الإسراء فلقد زادت هدايا الجليل على كل ما يتصوره عقل ومنطق ، وارتفعت إلى حد لا يتناسب إلا مع أكرم الأكرمين رب العالمين ،

لقد أتحف الله عز وجل الأمة الإسلامية تكريماً لنبيها صلوات الله وسلامه عليه في تلك

---

(٧) التوبة ١٢٧ .

الليلة بأن جعل مُجَرّدِهَمُ المؤمنين منهم بفعل الخيرات حسنة يجزون عليها ويثابون بها في دنياهم وأخراهم فإذا ما أبرزوها إلى حيز الفعل والتنفيذ كتبها الله عز وجل لهم عشر حسنات الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والله يضاعف لمن يشاء ، أما من هَمَّ منهم بسيئة فإنها لا تكتب شيئاً لا تكتب ابدا في صحيفة المؤمن والله عز وجل عليم بخطرات النفوس وما تجيش به القلوب يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ولكنه الكرم الفياض من لدن رب العالمين ، ثم إذا ما بادر العبد سيده بالعصيان فإن العدل هو الحكم الآن تكتب سيئة واحدة فقط ومازال باب التوبة مفتوحاً فهو غفار الذنوب وإذا ما أتبعها العبد بحسنة محتها من صحائفه ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾[٨] بل ربما يكون ذلك العبد من أولئك الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات .

كانت تلك الهدية بعد فريضة الصلاة أوحى الله عز وجل بها إلى نبيه ضمن ما أوحى « يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة » .

المرحلة السادسة :

ما بعـــد الإســـــراء

روى الشيخان وأحمد عن جابر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « لما كذبتنى قريش حين أسرى بى إلى بيت المقدس قمت من الحجر فجلا الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » .

وروى البيهقى عن ابن شهاب أن ناسا من قريش ذهبوا إلى ابى بكر فقالوا : هل لك من صاحبك يزعم أنه جاء إلى بيت المقدس ثم رجع إلى مكة فى ليلة واحدة .

فقال أبو بكر : أو قال ذلك ؟

قالوا : نعـــم .

قال : فأنا أشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق .

قالوا : أفتصدقه من أن يأتى الشام في ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح ؟ .

قال : نعم . أنا أصدقه بأبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء .

قال أبو سلمة راوى الحديث : فبها سمى أبو بكر الصديق .

وفى رواية البيهقى وابن جرير عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن أبا جهل قال : ألا تعجبون مما قال محمد ؟ يزعم أنه أتى البارحة ببيت المقدس ثم أصبح فينا وأحدنا يضرب مطيته مصعدة شهرا ، ومقفلة

---

(٨) هود ١١٤ .

شهرا فهذه مسيرة شهرين فى ليلة واحدة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرتهم بعير لقريش كما كنت فى مصعدى رأيتها فى مكان كذا وأنها نفرت فلما رجعت وجدتها عند العقبة وأخبرهم بكل رجل وبعيره كذا ومتاعه كذا وكذا .

فقال أبو جهل : يخبرنا بأشياء . فقال رجل منهم أنا أعلم الناس ببيت المقدس وكيف بناؤه وهيئته وكيف قربه من الجبل فإن يك محمد صادقا فسأخبركم وإن يك كاذبا فسأخبركم . فجاء ذلك المشرك فقال : يامحمد أنا أعلم الناس ببيت المقدس فأخبرنى كيف بناؤه ؟ وكيف هيئته ؟ وكيف قربه من الجبل ؟

قال : فرفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس من مقعده فنظر إليه كنظر أحدنا إلى بيته . قال : بناؤه كذا وكذا وهيئته كذا وكذا .

فقال الآخر : صدقت ، فرجع إليهم فقال : صدق محمد فيما قال .

وفى رواية الترمذى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمشركين : « أن من آية ما أقول لكم أنى مررت بعير لكم فى مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان فسلمت عليهم فقال بعضهم : هذا صوت محمد .

ثم قال : إن مسيرهم ينزلون بكذا ثم بكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان سَوْداوان » فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حين كان قريباً من نصف النهار حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

خاتمـــــة

وفى ختام الحديث عن الإسراء والمعراج وما رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيهما من المرائى نقف وقفة يسيرة نحاول فيها أن نجيب على بعض ما يرد على الأذهان من أسئلة واستفسارات .

وأول تلك الأسئلة هو : لماذا امتحن الله عز وجل الناس وهم حديثو عهد بالدين الجديد جلهم وأكابرهم كفار والمؤمنون قلة مستضعفون في الأرض لا يحتملون ما يثيره ذلك الحدث العجيب من فتنة ولا قبل لهم بما يجره عليهم من أعاصير ؟ .. والحق أن الله عز وجل قد أجاب بقوله :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾[9] .

﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾[10] .

إذ أن أمر الدين أمر خطير ودائرة العقيدة لا تتسع لمنافق ولا لمداهن : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[11] .

وكأن الله عز وجل يقول للناس جميعاً من

(٩) الإسراء ٦٠ .
(١٠) الأنفال ٤٢ .
(١١) البقرة ٢٥٦ .

لدن ظهور الإسلام إلى يوم القيامة إنه يقوم في كثير من أسسه على الغيب فإما أن تقبلوه ، وإما أن ترفضوه من أول الأمر ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(١٢) فالله غنى عن العالمين لا يزيد في ملكه ومجده كثرة المؤمنين ، ولا ينقص من تعاليه وعظمته كثرة الكافرين ،

وإنما الله عز وجل يريد فقط سعادتكم ونفعكم أنتم ، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها ، وليس فى إيمان الثقلين جميعاً بما جاء به خاتم المرسلين عز له وتأييد فعزه من الله وهو وحده ناصره ومؤيده ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾(١٣) فليعتقد كل مسلم أنه بإسلامه قد أريد به هو خيراً ولا داعى أبدا لأن يمن أحد بإسلامه على الله ورسوله ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾(١٤) ومن ثم مدح الله عز وجل المؤمنين في كثير من اى كتابه بقوله : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾(١٥) وكان ابو بكر رضى الله عنه صديقاً فحين سمع خبر الإسراء من المشركين قال : « انتم تكذبون عليه » فحين عرض الأمر أولاً على عقله رآه كذبا منهم وافتراء ولما علم منهم صحة الخبر وصدقه قال : إن كان قد قال ذلك فلقد صدق ، أنا أصدقه بأبعد من ذلك أنا أصدقه بخبر السماء يأتيه .

التدرج في التشريع لا في العقيدة

ولا بد من توضيح نقطة ثانية هنا وهى أن الإسلام حين أمر الله عز وجل نبيه محمداً بتبليغه قد اخذ صورتين اثنتين :

الاولى : التشريع مرة واحدة بدون تدرج وذلك إنما يكون في أمر العقيدة لأنها لا تحتمل إلا القبول أو الرفض ولا مجال أبدا للتدرج ذلك لأنها مبنية على العقل فمن استقام عقله قبل عقيدة التوحيد ومن كان بعقله مرض أو سقم رفضها ، ولعل ذلك يفسر لنا ما صح في سبب نزول سورة (الكافرون) .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب وأمية بن خلف لقوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد ونعبد ما تعبد ونشترك نحن وأنت فى أمرنا كله فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما بيدك كنت قد شركتنا في أمرنا فأخذت بحظك منه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ .

وتعليقنا على ذلك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم أن ما عنده خير وليس بأيديهم اى خير بل هو شر كله فلماذا لم يقبل حتى تتعود قلوبهم على الإيمان فتؤمن ؟ .

إن الله عز وجل قد رفض ذلك الرفض البات لأن أمر العقيدة لا تدرج فيه ولا يقبل

---

(١٢) الكهف ٢٩ .
(١٣) التوبة ٤٠ .
(١٤) الحجرات ١٦ .
(١٥) البقرة ٣ .

إلا كلمة واحدة هي « نعم » أو « لا » لارتباطه بالعقل وحده ، أما الأمور التي ترتبط أولاً بالغرائز والطباع فإنا نرى في التدرج فيها رفقاً وهوادة حتى يتعود الناس هجر ما الفوه بعد أن صحت عقيدتهم واستقامت على النهج الصحيح خطاهم .

ويوضح لك أخي القارىء ما نقول مثل بسيط وإن لم يكن كاملاً من جميع الوجوه . الشخص المريض إذا عرضت عليه أن تحضر له طبيباً يداويه فإنه يقبل ذلك العرض ولا يرفضه اللهم إلا إذا كانت قواه العقلية مختلة وغير متزنة ثم إذا جئته بالدواء الذي وصفه الطبيب وأخذ منه أول جرعة تقزز واشمأز وربما فضل الموت على الشفاء على أن الحاذقين من الأطباء يعطونه أول الأمر جرعات خفيفة ثم تكبر شيئاً فشيئاً حتى تستقيم مع حسه وجسمه .

فمسألة العرض على الطبيب لا تحتمل المناقشة لأنها معروضة على العقل وحده ، أما تعاطي الدواء فأمر يشترك مع العقل فيه الحس والنوازع ومن ثم احتمل ان يكون على جرعات وفي فترات إذ أن جرعة واحدة منه كبيرة ربما تفتت الجسم كله وتعرضه للضياع .

أما السؤال الثاني : فهو عن موقف الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من هذا الحدث الجليل وإخبار القوم به وهو يعلم أنهم لابد مكذبوه سيما وقد أخبرته أم هانىء بذلك فقالت له : يا رسول الله لا تحدث قومك بهذا فيكذبوك ويؤذوك فيقول : والله لأحدثنهم به .

تصميم وثقة وكيف لا يكون من رسول الله الحق برسالة الحق مثل ذلك التصميم وتلك الثقة وقد أمره مولاه بالتبليغ وعدم خشية الناس ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ .(١٦)

ولو كان لخشية الناس اعتبار في أمر الدعوة ما ظهرت وما انتشرت وتكذيب العامة لكل ما غرب عن أعرافهم وغاب عن معتقداتهم أمر مشهور ومعروف ، ومن ثم رأينا رسل الله جميعاً بلغوا عن ربهم ولم يضعوا أي اعتبار لأقوامهم وقوبلوا جميعاً بمثل ما قوبل به وما أروع مقالة سيدنا هود عليه السلام لقومه حين كذبوه واتهموه بأن بعض آلهتهم قد مسه بسوء ﴿ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ . إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ .(١٧)

وما كان موقف كفار مكة بأقل من موقف من كفر من قبلهم فتلك سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا .

←

(١٦) المائدة ٦٧ .

(١٧) هود ٥٤ ـ ٥٧ .

ولعل في ذلك الموقف الشجاع من أنبياء الله جميعاً ورسله ما يحفز همم المؤمنين بدين الله أن يعلنوا دينهم في صراحة وأن يشهروا مبدأهم غير مبالين بأي عدو مهما كان عنده من عدة وعتاد ومهما قل أتباعهم وانعدم ناصرهم ، لا مجال إذن لإخفاء الحق عن مسامع الخلق حتى لا يستاءوا أو حتى لا نصاب بالأذى فتلك مقالة من لم يشرب قلبه حب الله وحب رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، أما المؤمنون فلقد كان في موقف أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه ما يعبر عنهم أكمل تعبير إن كان قاله فلقد صدق .

ولا تلتفت أخي القارىء إلى أولئك النفر الذين ارتدوا عن الإسلام فإن الله عز وجل قد أراد أن يُخلص المسلمين منهم بادىء الأمر حتى لا يكونوا مثبطين وسط جمع المسلمين ، إن الدعوة لا تحتمل في أول ظهورها أعباء مرضى النفوس من المنافقين ، ولذلك جاءت تلك الفتنة حدث الإسراء والمعراج ليذهبوا إلى غير رجعة .

أما بعد عِزِّ الإسلام ومجده وبعد تكوين دولة ذات شوكة له في المدينة فأصبح لا يخشى من وجود بعض المنافقين والمؤلفة قلوبهم وسط المؤمنين ، إذ لا ضرر يخشى منهم فالإسلام عزيز وبقاؤهم تحت حوزة المسلمين وفي متناول أيديهم تمكين لأولادهم ونسائهم واتباعهم من أن يمتد إليهم نور الإيمان ويمارسون شرائعه وعباداته في مأمن من المنافقين لو كانوا قد جوهروا بالعداء .

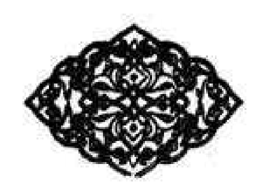
بقى لنا سؤال أخير نختم به هذا الحديث وهو أن الله عز وجل قد ذكر الإسراء صراحة في كتابه ولم يذكر المعراج إلا ضمنا في سورة النجم بيد أن السنة قد تحدثت عنهما صراحة .

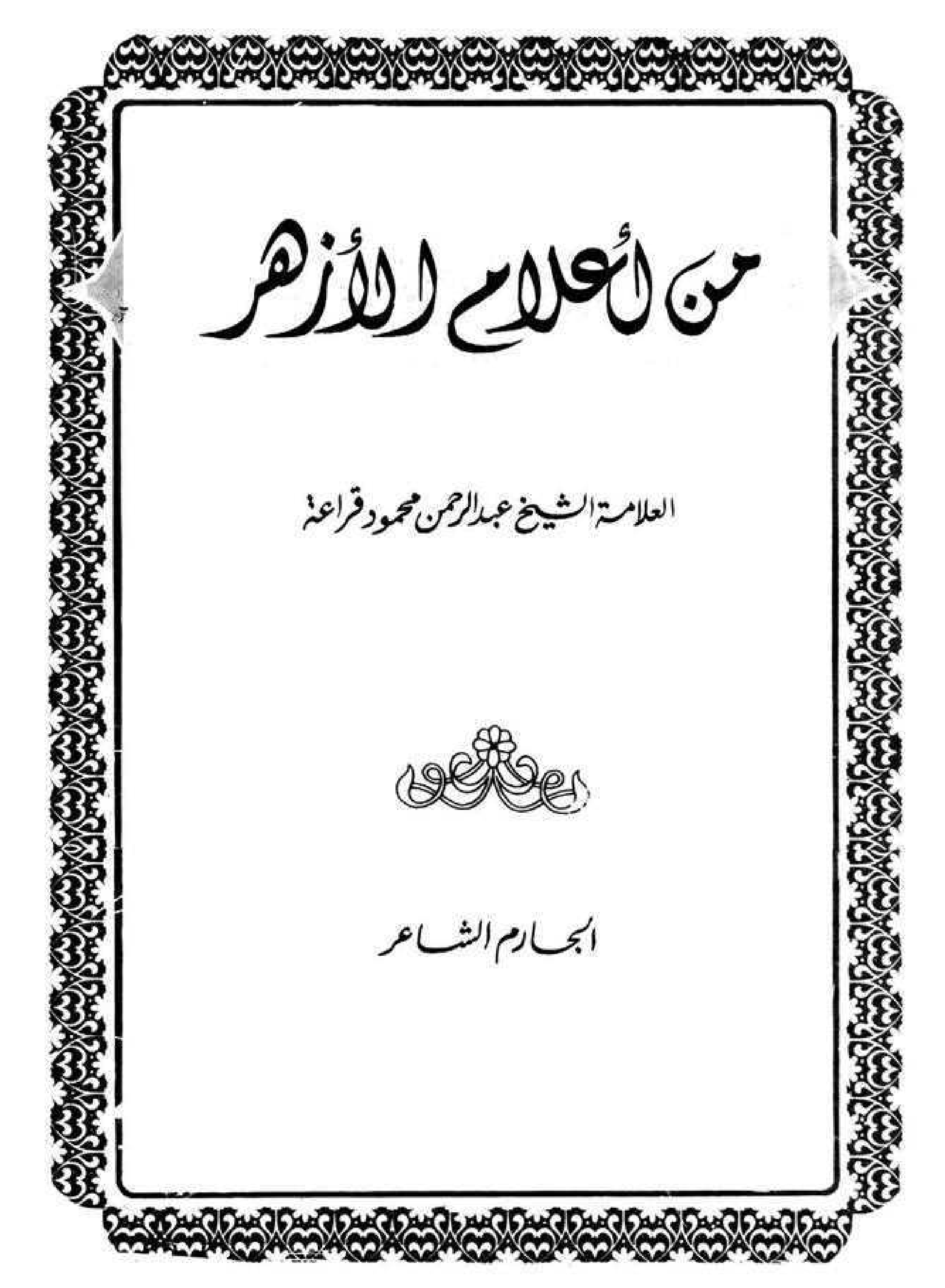
والجواب عن ذلك أنها الرحمة من الله عز وجل بخلقه فحين تتقبل العقول شيئاً ذكره لهم صراحة وكلفهم به تكليفاً لازماً والناس في عصر الدعوة لم يكونوا قد عرفوا شيئاً عن الطيران في الهواء ولا عن الصعود إلى السماء فرحمة بهم ذكر خبر المعراج بدلالة ضمنية ، ولذلك قال العلماء : إن من أنكر الإسراء فهو كافر خارج عن الملة . أما من أنكر المعراج فهو فاسق مكذب للسنة .

ويوضح لنا أن أمر الإسراء والصعود في السماء كان أمراً لا تستطيع جميع العقول تحمله ، ذلك الخلاف الكبير بين علماء المسلمين هل كان الإسراء يقظة أو مناماً ؟ بالروح أم بالروح والجسد ؟

والحق كما قررنا أنه كان يقظة بالروح والجسد معا والله يهدينا سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

عبد الحميد ندا





من أعلام الأزهر

العلامة الشيخ عبد الرحمن محمود قراعة

الجارم الشاعر

العلامة الشيخ

عبد الرحمن محمود قراعة

مفتى الديار المصرية الأسبق وعضو هيئة كبار العلماء

٢

بعد عودة فقيدنا العظيم (رحمه الله) من رحلة الحج المباركة بقليل حصل على العالمية بعد نجاحه بامتياز فى الامتحان الذى كان قد وضع نظامه « الشيخ العباسى » فى مشيخته الأولى لمن يريد التدريس بالأزهر .

وبعد حصوله على العالمية قام بالتدريس فى الجامع الأزهر ، فلما رأى طلاب الأزهر فى ذلك الوقت أن فقيدنا العظيم « رحمه الله » يمتاز بعمق فهمه للعلوم المختلفة وتضلعه فى فقه اللغة العربية وطول باعه فى الأدب . وشرحه لدروسه بجميع خلفياتها شرحاً واضحاً جليا بأسلوب سهل ممتنع بليغ اتسعت حلقة دروسه وذاعت شهرته . وكان هذا الاشتهار سبباً فى لفت أنظار القائمين بالأمر إليه فى ذلك الوقت فصدر قرار عام ١٨٩٧ ميلادية بتعيينه مفتياً بمديرية سوهاج . ولم يكن قد جاوز الرابعة والثلاثين من عمره .

كان الشيخ حسونةالنواوى (رحمه الله) ثانى اثنين يجمع بين مشيخة الأزهر ومنصب الإفتاء . وفى عام ١٣١٧ هـ وأواخر عام ١٨٩٩ م . ترك المشيخة وترك الإفتاء فصدر قرار بتعيين الإمام الشيخ محمد عبده فى هذا المنصب خلفاً له ، وكان بين فقيدنا العظيم (رحمه الله) وبين فضيلة الإمام صداقة وثيقة روحية أبوية أخوية لدرجة أن فضيلة الإمام (محمد عبده) كان يصرح فى بعض مجالسه بأن « عبد الرحمن قراعة » هو أكبر أولاده وأصغر إخوته ، وقد حضر معه بعض دروس الشيخ جمال الدين الأفغانى وحضر عليه بعض ما قرأه من الكتب . وحينما علم

● مفتش العلوم الدينية بالأزهر الشريف سابقاً .

لفضيلة الشيخ
توفيق إسلام يحيى *

فقيدنا العظيم « رحمه الله » بهذا التعيين اعتكف مدة كتب فيها قصيدة رائعة مهنئاً صديقه وأباه وأخاه ـ على حد تعبير الإمام رحمه الله ـ بمنصب الإفتاء .

تذكر منها هنا بعض ما تسمح به الظروف لبيان المكانة العالية التى بلغها فقيدنا العظيم (رحمه الله)

فى الشعر والأدب يقول فيها :

بهـديـك فى الفتـوى إلى الحق نهتـدى
ومن فيض هذا الفضل نجـدى ونجتدى
سمـت بـك للـعليـاء نفس أبيـة
وعـزمـة مـاض كـالحسـام المجرّد
ورأى رشيـد فى الخطـوب وحنكـة
وتجـربـة فى مشـهـد بـعـد مشـهـد
وعلـم كنـور الشمس لـم يـك خـافيـاً
عـلـى أحـد إلا عـلى عـيـن أرمـد
لكـل زمـان مـن بنيـه مجـدّد
لـمـا أبلـت الأهـواء مـن ديـن أحمـد
وقـد علـم الأقـوام أن (محمـداً)
مجـدّد هـذا الـدين فى اليـوم والغـد
إليـك أزف المـدح شـعـراً مُقصّـداً
عـلى بعـد عهدى بـالقـريض المقصـد
لأبلـغ نفسى بـامتـداحـك سـؤلـهـا
وأقضى حقـاً لـم يكـن بمجـدد
فجـاء عـلى قـدرى ولكـن شـافـعـى
لـدى قـدرك السـامى نبـالـة مقصـدى
وهنـأت نفسى ثـم هنـأت مـعشرى
وهنـأت أوطـانـى بمـا نـال سيـدى



الشيخ عبد الرحمن محمود قراعه

بقى العلامة الشيخ (عبد الرحمن قراعة) فى وظيفة الإفتاء بمديرية سوهاج مدة تسع سنوات يقوم بواجبها على أحسن وجه وأكمله إلى أن صدر قرار فى عام ١٩٠٦ م بترقيته إلى وظيفة قاضى مديرية أسوان . ولم يستمر المقام به فى أسوان إلا سنتين فقط حيث صدر قرار فى عام ١٩٠٨ م بترقيته إلى قاضى مديرية الدقهلية ..

تعيينه رئيساً لمحكمة بنى سويف الشرعية

اشتهر فقيدنا العظيم (رحمه الله) بالعدل فى قضائه . وإصدار أحكامه فى

القضايا التى كانت ترفع إليه مستنْبطَةً من الكتاب والسنة طبقاً للقواعد الأصولية المتفق عليها مع وضعه فى الاعتبار مواد لائحة ترتيب المحاكم الشرعية التى كانت قد صدرت . ولما اشتهر بهذا وذاع صيته فى الدوائر القضائية صدر فى عام ١٩١١ م قرار بتعيينه رئيساً لمحكمة بنى سويف الشرعية .

تعيينه عضواً بالمحكمة العليا الشرعية ثم نائباً لها

فى مدى سنوات ثلاث رقى فقيدنا العظيم (رحمه الله) إلى عضو بالمحكمة العليا الشرعية ثم إلى نائب لهذه المحكمة تقديراً لعمق تفهمه لمكانة القضاء وأمانته فيه .

تعيينه مديراً للجامع الأزهر الشريف

فى عام ١٩١٤ ميلادية صدر قرار بتعيين « فقيدنا العظيم » مديراً للجامع الأزهر الشريف . وقد بذل جهده فى النهوض بالتعليم الدينى وباللغة العربية فى المدة التى قضاها مديراً للجامع الأزهر الشريف . وتمكن من الوصول إلى مدى بعيد فى هذا الشأن .

أعاد إلى الأزهر الشريف شبابه . وكل من تخرج فى الأزهر الشريف إلى الثلث الأول تقريباً من القرن العشرين تخرج عالماً فقيهاً أديبا بصماته واضحة فى حياته العلمية والوطنية تشهد بذلك ثورة سنة ١٩ حيث كان علماء الأزهر يتولون صدارة حركاتها .

رحم الله « عز وجل » هؤلاء العلماء الذين ارتحلوا إليه بعد حياتهم الحافلة بالخدمات الدينية والعلمية والوطنية التى قدموها عن طواعية قياماً بواجبهم .

وأمد الله (سبحانه وتعالى) فى عمر من لا يزال منهم على قيد الحياة يداوم على العطاء فى مختلف جوانب الحياة .

توليه منصب الإفتاء

آخر المناصب العالية التى تولاها « فقيدنا العظيم » كان منصب مفتى الديار المصرية .

ففى ٣٠ من ربيع الآخر عام ١٣٣٩ هـ الموافق ٩ من يناير عام ١٩٢١ م صدر قرار بتعيينه مفتياً للديار المصرية . ظل يشغل هذا المنصب العالى ويقوم بأعبائه الكبيرة مدة سبع سنوات . ترك فيها بابه مفتوحاً لكل من التجأ إليه يستفتيه فى أمر من أمور دينه حتى بلغ مجموع الفتاوى التى أصدرها طوال هذه المدة حوالى ٣٠٦٥ فتوى شملت كل ما يهم المسلمين فى أمور دينهم ودنياهم ..

وياحبذا لو تكرمت دار الإفتاء بجمع هذه الفتاوى وطبعها وتوزيعها على الجماعات الدينية والهيئات العلمية والأفراد الذين يتمنون العثور على كنوز السادة علمائنا

وأساتذتنا الأجلاء لينتفعوا بما فيها من آراء وأحكام تفيد المسلمين فى حياتهم الحاضرة[1] .

إحالته إلى التقاعد

فى اليوم السابع من شعبان عام ١٣٤٦ هـ . الموافق لليوم الثلاثين من يناير سنة ١٩٢٨ م صدر قرار إحالته إلى التقاعد لبلوغه السن القانونية .

تعيينه عضواً بجماعة كبار العلماء

اعترافاً من القائمين بأمر الجامع الأزهر الشريف بأن فقيدنا العظيم « رحمه الله » كان أستاذ أساتذة عصره . ومن فطاحل علماء عهده فى مختلف العلوم الشرعية واللغوية صدر قرار بتعيينه عضواً بجماعة كبار العلماء ليجلس على الكرسى الذى أهّله علمه وفضله وعطاؤه ليجلس عليه .

اتصاله بالصفوة المختارة من علماء وأدباء ومفكرى مصر والخارج

إن غزارة علم « فقيدنا العظيم » وطلاقة لسانه ، وسرعة بديهته ، وسحر بيانه ، ونقاوة باطنه وظاهره ، وحرصه الشديد على التمسك بدينه والحفاظ عليه والدفاع عنه . وإنكاره الشديد على متهاونه ومخالفه ، كل ذلك شد إليه انتباه كبار المفكرين من العلماء والأدباء والساسة فكانوا يقصدونه فى منزله بباب الوزير حيث كانت تعقد به الندوات الدينية والعلمية كل ليلة بلا انقطاع . كان من بين الذين يترددون ويحرصون على حضور هذه اللقاءات أصحاب الفضيلة . الشيخ أبو الفضل الجيزاوى . والشيخ الأحمدى الظواهرى ، والشيخ محمد شاكر ، والشيخ الشافعى الظواهرى . والشيخ إبراهيم بصيلة ، ومحمد على علوبة باشا ، وسيد خشبة باشا ، ومحمود بسيونى باشا وغيرهم .

ولما جاوزت شهرته حدود مصر إلى العالم الإسلامى نشأ بينه وبين كثير من علمائه وأدبائه ومفكريه صداقات متينة . وكان تبادل الرسائل الأخوية والعلمية بينه وبينهم لا ينقطع ، وإذا حضروا إلى مصر قصدوا بيته لزيارته . وكان « رحمه الله » شديد الحرص على الاحتفاظ بصداقة أصدقائه فى الداخل والخارج . والعمل على توثيقها لتكون قائمة لله وفى الله . وإذا فقد أحد أصدقائه دمعت عينه وحزن قلبه ورثاه بقصيدة كلما قرأتها أحسست مدى ما أصاب « فقيدنا العظيم » من لوعة وحزن وأسى على فقد صديقه . نذكر هنا من باب المثال أبياتاً من قصيدة له رثا بها صديقاً له عزيزاً عليه ، قال فيها :

←

(١) أصدرت دار الإفتاء مجلدات عدة فاخرة تتناول مختارات الفتاوى ، فى حقبة من الزمن تزيد على الثمانين من السنين منذ ٧ من جمادى الآخرة ١٢١٣ هـ ـ ٢١ نوفمبر ١٨٢٥ ، عقد العزم على إبرازها للدارسين مفتى الديار المصرية فضيلة الشيخ « جاد الحق على جاد الحق » ، الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، الحالى وفقه الله وسدد خطاه .

كفى بى حزناً أننى صرت ناعيا
لنفسى نفساً فى فناها فنائيا
فيادمع انجدنى فما لى منجد
سواك فإنى قد فقدت اصطباريا
وياحزن لا ترحل فما لك موطن
تقيم به إلا صميم فؤاديا
وياحسرتى فى كل يوم تجددى
ويالوعتى لازدت إلا تماديا
فوا أسفى لم أُغْنِ عنه ولم أكن
بنفسى له مما قضى الله واقيا
وكنت لكأس البين أول شارب
على أننى ما زلت من بعد ظاميا
ففقد وحزن واغتراب ووحدة
ودمع يجارى الهاطلات الفواديا
فياسيدى هل أنت للشعر سامع
كما كنت إذ أتلو عليك القوافيا
يعز على العلياء أنى مسمع
ضريحك من بعد المديح المراثيا
فلا زلت جاراً (للكريم) مقرباً
لديه وفى جنات « رضوان » ثاويا
ولا زال دمعى فوق قبرك مُسْبِهاً
لجودك بين الناس ينهل جاريا

(فقيدنا العظيم) رحمه الله كما كان شديد الحرص على الاحتفاظ بصداقة أصدقائه كان شديد الحزم بالاحتفاظ بحسن علاقته مع الله (سبحانه وتعالى) والدفاع عن كتابه وسنة نبيه « صلى الله عليه وسلم » لا يخاف لومة لائم ، ويسارع بكل عزم المؤمن الصادق ـ دفاعاً عن دين الله وكرامة الإسلام والمسلمين ـ إلى أن ينكر بكل شدة على المخالف كائناً من كان ، وفى أى مكان أو محفل أو مجتمع وجد فيه .

إنكاره على رشدى باشا الفطر فى شهر رمضان

كان قانون مجلس البلاط الملكى ينص على أن يتولى رياسة رئيس مجلس الشيوخ . ويحضر جلساته أعضاء بحكم مناصبهم ، وأعضاء معينون . وفى منتصف العقد الثالث من القرن العشرين (ما بين عامى ١٩٢٤ و١٩٢٦) انعقد مجلس البلاط فى يوم من أيام شهر رمضان المبارك برياسة حسين رشدى باشا رئيس مجلس الشيوخ آنذاك . وبمحضر من أصحاب الفضيلة الأساتذة « الشيخ أبو الفضل الجيزاوى » شيخ الجامع الأزهر ، و « الشيخ محمد مصطفى المراغى » رئيس المحكمة العليا الشرعية ، وفقيدنا العظيم « الشيخ عبد الرحمن محمود قراعة » مفتى الديار المصرية وعدد من كبار المستشارين والمحامين من المسلمين والمسيحيين . وأمام هذا الجمع المحترم وفى شهر الصوم المكرم أخرج دولة الباشا رئيس المجلس سيجارة من جيبه وأشعلها منتهكاً حرمة شهر الصوم الكريم ، وكرامة أصحاب الفضيلة كبار علماء مصر وشيوخ الدين وإذ هم أصحاب الفضيلة بالاحتجاج أسرع فقيدنا العظيم العلامة « الشيخ عبد الرحمن قراعة » مفتى الديار المصرية فأنكر بكل شدة على هذا الباشا انتهاك حرمة شهر الصوم الكريم ولم يعبأ بمحاولة بعض الحاضرين الدفاع عن دولة الباشا بقوله : « لعل الباشا مريض » فرد

عليه فضيلة المفتى « رحمه الله » فأفحمه قائلاً : ينبغى عليه أن يستتر ـ لا أن يستهتر ـ احتراماً لهذا الشهر الكريم[٢] .

هكذا كان « فقيدنا العظيم » رحمه الله تعالى يقول قول الحق بكل اعتزاز بدينه وعلمه وواجبه فى كل مجتمع ، وفى أى مكان ولو كان « قصر عابدين » يقول قول الحق ولا يخاف لومة لائم .

فقيدنا العظيم « رحمه الله » كما كان معتزاً بدينه وكرامته وعلمه كان كذلك معتزاً بأزهريته وزيه . سافر إلى أوروبا لزيارة مكتباتها العلمية الزاخرة بالكتب القيمة ـ كما كان علماؤنا من السلف الصالح يقطعون الفيافى والقفار للالتقاء بعالم أو اقتناء كتاب ـ وليشترى منها ما يمكن شراؤه ليضمه إلى خزانته العلمية فكان يمشى فى أكبر شوارع فرنسا بزيه الأزهرى ـ العمامة والجبة والقفطان ـ فخوراً به ومعتزاً أيما اعتزاز ، لأنه رمز الأزهر المعمور ، فالاعتزاز به اعتزاز بالأزهر ، وفى الوقت نفسه كان يرى أن الإنسان يجب عليه أن يعتز بكل الاعتزاز بما آتاه الله « عز وجل » من علم وفضل وتقى لا بما يتزيا به من زى . وكان يرى من الصغار أن يغير الإنسان زيه ، كما كان يرى من الجهل تقدير الناس بأزيائهم[٣] .

ولقد ظل فقيدنا العظيم « رحمه الله » حتى بعد إحالته إلى التقاعد يقوم بالعطاء العلمى والفكرى والأدبى دون انقطاع وظلت داره بباب الوزير حافلة كل ليلة بالأمسيات الدينية والعلمية والأدبية التى كان يحضرها علية القوم وأصحاب الفكر والرأى ، كما سبق أن ذكرنا ذلك بالتفصيل .. ولعل انشغاله بالوظائف الكثيرة التى تولاها ، واعطاءه كل وظيفة منها كل وقته ليقوم بواجبه نحوها على الوجه الأكمل . ثم انشغاله بالندوات التى كانت تقام بمنزله العامر ليليا . كل ذلك لم يترك له فرصة للتفرغ للتأليف رغم رسوخه فى مختلف العلوم والفنون . وبعد تقاعده لم يكن من السهل على « فقيدنا العظيم » القيام بالتأليف اللائق بعالم يفخر الأزهر المعمور بتخرجه فيه . إما لكبر سنه أو لضعف صحته . والتأليف يعتمد كل الاعتماد ـ بعد التبحر فى العلوم ـ على الصحة ، إذ من غيرها لا يستطيع العالم القيام بالحركة الدائبة بحثاً عن المراجع والاطلاع عليها ومقارنة الأدلة بعضها ببعض وبيان قوة بعضها وضعف البعض الآخر ، لأن ذلك يحتاج إلى قوة وصحة وصبر وجهد قد لا يتيسر كل ذلك لمن جاوز السبعين من عمره . ولا يعرف عنه أنه ترك مؤلفات علمية اللهم إلا بحث فى « النذور وأحكامها » تم طبعه فى عام ١٣٥٥ هـ الموافق عام ١٩٣٦ م ، وكذا مجموع الفتاوى الموجودة بدار الإفتاء ، ويبلغ عددها حوالى ٣٠٦٥ فتوى .

وإذا كان فقيدنا العظيم « رحمه الله » لم يترك مؤلفات علمية سوى ما ذكرناه فإنه ترك مجموعة ضخمة من القصائد الثمينة قالها فى

---

(٢) راجع ماكتبه الأستاذ محمود على قراعة فى كتابه « ملخص الأصول القضائية » صـ ١٩ .

(٣) راجع كتاب « الشيخ عبد الرحمن قراعة » كأديب بقلم الأستاذ محمود قراعة صـ ١٣٧ .

مختلف الأغراض برهن فيها على أنه الأديب الذى يترجم بالشعر والنثر معانى دقات القلب وخفقانه ، ويصور فى أحسن الصور المعنوية كل ما يشعر به ، وكل ما يجول فى فكره ويجيش فى صدره[٤] .

وقد ساهم بشعره فى الحركات الوطنية ـ الثورة العرابية والثورة المصرية سنة ١٩١٩ قال فى قصيدة له فى الثورة العرابية :

ما المجد إلا بين أطراف القنا
وظبا السيوف فيا لها من مقتنى
إن ابعدا إن أمكنتهم فرصة
وثبوا بجمعهم فلا بلغوا المنى

وله قصيدة رائعة فى حادثة إطلاق الرصاص على سعد زغلول باشا ، مطلعها :

أيها الموقظ عين الفتن
لم تُرِقْ إلا دماء الوطن

وله قصيدة طويلة وجهها إلى الشيخ محمد الأنبابى بها أبيات رائعة فى مدحه . منها :

ملاذى وأستاذى وكهفى ومعقلى
ووالد روحى البر إن شاء أو أبى
(محمد الانبابى) أندى الورى يدا
وأقومهم فى نصرة الحق مذهبا
وأوضحهم عند الدراية حجة
وأعذبهم عند الرواية مشربا
إليه شيوخ العلم تزجى ركابها
لإدراك ما لم يدركوا زمن الصبا
به « الأزهر المعمور » أطلع كوكباً
منيراً إذا ما ضاء لم يبق كوكبا

إلى أن يقول :

ودم سالما للدين تحمى ذماره
وللمجد تورى زنده كلما خبا

وقال فى الحث على طلب العلم :

كن على العلم ما حييت حريصاً
فحياة النفوس حوز العلوم
ليس من يسلك الطريق على نو
ر كسارٍ فى جنح ليل بهيم

وقال فى قصيدة يهجو فيها الصديق الذى يحيد عن معاضدة إخوانه وقت الشدة :

وصديق سوء كان ظنى أنه
عند الخطوب معضد لرفاقه
أصفيته ودى فأضمر ضده
شتان بين صداقتى ونفاقه
أزداد إقبالاً عليه كلما
يزداد فى إعراضه وشقاقه
كالعود يحسن عَرْفه وأريجه
لما تزيد النار فى إحراقه

وله قصيدة رائعة يمدح بها صديقاً له ويعتب عليه هجرانه قال فيها :

---

(٤) راجع كتاب (عبد الرحمن قراعة) بقلم محمود قراعة صـ ١٤٦ .

صلـونـى وإن شئتـم فـاهجـروا
وأوفـوا بـعـهـدى أو فـاغـدروا
خضـعـت لأحكـامكـم صـاغـرا
ومـن ذا يـحب ولا يصـغـر ؟
وحـاولـت كتمـان وجـدى بكـم
فنمّـت دمـوعـى بمـا أضمـر
فيـاجـيرة الحـى رحمـاكـم
لمـن دمـعـه سـائـل ينـهـر
بكـم عـذت من جـوركـم فـاعـدلـوا
ولـذت بكـم منكـم فـانصروا
عسى ليـل هجـركـم ينمحـى
وصبـح وصـالكـم يسفـر

ويستمر يقول فيها :

فيـا فخـر مصر وأبنـائـهـا
ويـا مـن مـزايـاه لا تحصر
سمـوت بـعـزمـك للمكـرمـات
ومثلـك إن هـم لا يـعثـر
سـأثنـى عليـك حيـاتـى وإن
أمـت فـعظـامـى لكـم تشكـر

ولما كانت موهبة فقيدنا العظيم الشعرية طوع لسانه كان يقول الحكمة شعراً رائعاً وهو ما يصعب على كثير من الأدباء والكتاب قولها نثراً .

من قصيدة له فى الحكم نختار الأبيات التالية :

هـو المجد من يطلبـه يستعذب الصبـرا
ويستسهـل الأخطار والمركب الوعـرا
ويـرخص فى إدراكـه كـل مـا غـلا
وينفـق فى أدنـى رغـائبـه الـعمـرا

ومن حكمه قوله :

كيف نـرجـو البقـاء والـدهـر مـردى
لجميـع الأنـام شيـب ومـرد

إن فقيدنا العظيم (رحمه الله) كما كان شاعراً مفلقا كان كاتباً بارعاً . له رسائل إخوانية رائعة نذكر منها للتمثيل فقط رسالة مختصرة أرسلها إلى أحد أصدقائه ، قال فيها :

أخى : لو أردت وصف أشواقى إليك ، وما أقاسيه بعد البعد من الأسف عليك . لضاق نطاق الكلام ، وعجزت عن الوفاء به الأقلام . ولو استعنت على ذكر صفاتكم الجليلة بأسنة بيان ألسنة البلغاء ، وبدائع مصاقع الخطباء ، لصار سحبان بيانهم باقلا ، ونبيه بديعهم خاملاً .. إلخ ..

نرجو من الله تعالى أن يوفق بعض أدباء وكتاب أسرة « قراءة » فى جمع قصائد (فقيدنا العظيم) .

ورسائله الإخوانية وترتيبها وطبعها لأن فى ذلك إحياء لذكرى الفقيد وخدمة للأدب .

وفى أواخر عام ١٩٣٩ وافاه الأجل المحتوم فلقى (الله تعالى) راضياً مرضياً عنه . رحمه الله وجعل الجنة مثوى له ، ونفع الأمة الإسلامية ببركة علمه وفضله وأدبه آمين .

وإنا لله وإنا إليه راجعون .

٢٤ من صفر سنة ١٤٠٨ هـ الموافق ١٧ من أكتوبر سنة ١٩٨٧ م .

توفيق إسلام يحيى

الجارم الشاعر

العملاق .. والروافد

إذا أردنا أن ندرس الشاعر على الجارم فعلينا أن نلم أولا بالروافد التى استمد منها شاعريته، والتى كان أولها نشأته فى أسرة علم وأدب ودين فوالده الشيخ، محمد صالح الجارم، كان قاضياً شرعياً وعالماً بالدين واللغة، وكان شاعراً أيضاً وأديباً يحرص على تعليم أولاده علوم الدين واللغة.

وأسرة الجارم فى رشيد - بلد الشاعر - أسرة عريقة يرجع نسبها إلى الحسن بن على كرم الله وجهيهما، ولقد أشار الجارم إلى هذا النسب فى قصيدته « أبو الزهراء » فى مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - قائلاً:

ولى نسب ينمى لبيتك صانني
وصانته منى عزة وإباء

وفى قصيدته اللغة العربية التى قالها عام ١٩٣٤ مخاطباً (جيرة الحرم):

يا جيرةَ الحرمِ المزهوِّ ساكنه
سقى العهودَ الخوالى كلُّ مُنْسَكِبِ
لى بينكم صلةٌ عزَّت أواصرُها
لأنها صِلةُ القُرآن والنسبِ

وأما الرافد الثانى: فهو حفظه للقرآن الكريم فى طفولته وصباه، ولقد استفاد الجارم من حفظه واستيعابه المبكِّر للقرآن الكريم وقدرته على استعمال معانيه بل وألفاظه وروحه مما أفاض على شعره هذه اللمسات الدينية ..

استمع إليه يقول فى قصيدته « يوم السلام »:

ذَكَّرْتَنا جهنماً كلما أُلقى فوجٌ
صاحت تريد المزيدا

وفى هذا البيت إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾[1]. وفى نفس القصيدة يقول:

---

(١) سورة ق - ٣٠

بقلم الدكتور/ **أحمد على الجارم***

صدقت ما رأى الملائك
من قبل وما كان قولُهُم تفنيدا

يشير إلى الحديث الذى دار بين رب العزة والملائكة فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] « صدق الله العظيم » .

وفى قصيدته الحب والحرب يقول :

ليت البحارَ طغت عليك وسُجِّرت
أوأنَّ من يطوى السماء طواكا

وفى الشطر الأول من البيت اقتباس من سورة التكوير « آية ٦ » ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ . وفى الشطر الثانى إشارة إلى الآية الكريمة (سورة الأنبياء ١٠٤) ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ .

وفى قصيدته « العيد المئوى » لوزارة المعارف ـ التربية والتعليم حالياً ـ يقول :

حبة أنبتت سنابل سبعا
ثم ملء الفضاء من سنبلات

إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ﴾[3] . وفى هذا المجال يقول الأستاذ محمد سعيد محمد



على الجارم

المفتش السابق بوزارة التربية والتعليم (مجلة الرائد بعددها الثانى لعام ١٩٨٥) :

وإنك لتراه يلتقط الكلمة من القرآن كما يلتقط الغائص الدرة الثمينة ثم يضعها بمهارة في مكانها من البيت فتلفت خاطرك بروعتها وندرة استعمالها . فلنستمع إليه عندما يقول عن الحب :

والحب مالم تكتنفه شمائلٌ
غُرٌّ يعود مَعَرَّةً وأثاما

←

* الكاتب استاذ بكلية طب القاهرة

(٢) سورة البقرة ـ ٣٠

(٣) البقرة ـ ٢٦١

لنجد أنه جاء بهذه الكلمة من قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾[٤]

وأما الرافد الثالث : فكان دراسته في الأزهر لعلوم اللغة والأدب والشعر والنحو والبلاغة على أيدى أساتذة أجلاء أمثال الشيخ محمد عبده . وقد استفاد الجارم كثيراً من هذه الدراسة الأزهرية وقرأ للأقدمين شعراً ونثراً ولغة حتى أنه سيطر على هذه العلوم سيطرة تامة وفتن بها وكيف لا وهى لغة القرآن الكريم . ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[٥] . « صدق الله العظيم » .

وأما الرافد الرابع : فهو دراسته في دار العلوم وكانت في ذلك الوقت دراسة عميقة وجادة يصفها العقاد في مقدمته لديوان الجارم قائلاً : طبيعة الدراسة التى انفردت بها دار العلوم ولم يشبهها دراسة من قبيلها في لغتنا ولا في لغة أخرى من لغات الثقافة المعروفة لدينا . فالدَّرْعَمِي (خريج دار العلوم) « لغوى عربى سلفى عصرى » ولكن على منهج فريد في بابه بين مناهج المعاهد السلفية والمدارس الأفرنجية وبين مناهج المحافظة والتجديد ومناهج الابتداع والتقليد . ولا يسعك وأنت تقرأ قصيدة الشاعر من أركان المدرسة الدرعمية أن تحجب فكرة « اللغة » عن خاطرك ، وأن تنكر أن قائل هذا الشعر يثبت على القديم ، وإن أخذ بنصيبه من الجديد وحرص على انتسابه إليه حرصه على انتسابه إلى التراث القديم .

وعند نهاية هذه المرحلة كان الجارم قد حفظ أغلب شعر الأقدمين مثل المتنبي والبحترى والشريف الرضى وغيرهم من فطاحل الشعر العربي ، وكذلك أمهات الكتب مثل العقد الفريد والأغانى والبخلاء وغيرها .

وأما الرافد الخامس : فقد حصل عليه الجارم عندما اختير لبعثة تعليمية بانجلترا ومكث خلالها أربع سنوات لدراسة الفلسفة والتربية وعلم النفس فأجاد اللغة الإنجليزية إجادة تامة وقرأ آدابهم وأشعارهم وانفتحت أمامه طاقات واسعة على حضارة الغرب وثقافته لا شك أنها أثرت على أدبه وشعره بعد ذلك .

استمع إليه في قصيدته « لبنان » التى ألقاها ببيروت عام ١٩٤٤ ومطلعها :

ألقيتُ للغيدِ الملاح سلاحى ... ورجعت أغسل بالدموع جراحى

لو أستطيع لبعث عمرىَ كله ... لمنى الصبا وأريجه الفياح

أيام أو تارى تغرد وحدها ... وتكاد تسكر في الزجاجة راحى

« دوجين » لم يجد الفتى مصباحه ... وأبان أسرار الهوى مصباحى

"دوجين" هذا هو الفيلسوف اليونانى القديم الذى كان يهيم فى الطرقات حاملاً مصباحه ليبحث عن الحقيقة مما يثبت تأثر الجارم بثقافته العالمية وأنه لم يكن محصوراً أبدا في التراث العربي وحده ..

---

(٤) الفرقان ـ ٦٨

(٥) الحجر ـ ٩

وفى قصيدته « الكوليرا » التى نظمها وهو في الثالثة عشرة من العمر ـ وكان ذلك عام ١٨٩٥ ـ يقول : ـ

لست كالواو أنت كالمنجل الحصاد
إن أحسنوا لك التمثيلا
حار « بنشنج » فيك يا ابن شعوب
ونقضت المُجَربَ المعقولا
تركت الحموض تجرعها الأرض
وجَرَّعتَنا العذابَ الوبيلا

وفى هذه الأبيات السابقة من المعانى والحقائق العلمية التى لا يعرفها إلا دارسو الطب . فكيف أتيح للجارم الفتى ذى الثلاثة عشر ربيعا ، وفى عام ١٨٩٥ معرفة هذه المعلومات الدقيقة لولا تفتحه وسعيه إلى كل ما يشغل بال قومه ليعبر عنه تعبيراً شعرياً جميلا .

وللجارم مثل فريد فى ربط الشرق القديم بالغرب الحديث في ترجمته لكتاب الكاتب الانجليزي « ستانلى لين بول » وعنوانه (العرب فى أسبانيا) ولقد ورد فى هذا الكتاب شعر باللغة الانجليزية ، هذا الشعر الذى أهاج في الجارم شاعريته فترجمه شعراً عربياً رصينا لكى يتذوقه القارىء العربي ويحس فيه بانفعالات مؤلف الكتاب . استمع إلى الجارم فى ترجمته لهذا الشعر الإنجليزي قائلاً :

ومُزِّقَ جيشُ « لذريق » وخارت
بمن فيه العزائم والقلوب
وحين رأى الهزيمة فر يعدو
وحيداً مستكيناً لا يؤوب
عليه من غبار الحرب ثوب
ومن لون الدماء به لهيب
وَتَحْمِلُ كَفُّهُ سيفاً خضيبا
كمنشار أَفَلَّته الحروب
فَلاقَة صدره فيها شقوق
وخوذة رأسه فيها ثقوب
أطل بقمّةٍ فرأى دماراً
له كادت حشاشته تذوب
وأعلاماً ممزقة تبدت
وكلٌ بالدم القانى خضيب
وجال بسمعه للعرب صوت
بنصر الله ردده السهوب
رأى قُوادَه فروا وأبقَوْا
جريحاً أو قتيلاً لا يُجيب
وانىَّ عينُهُ لمحتْ مكاناً
بدا للعين فيه دم صبيب
فقال وقد بكى : قد كنت مَلْكا
وماذا ينفع الآن النحيب
ونمت الأمسَ فوقَ فِراش عِز
وفَرْشِى اليوم تَجْفوهُ الجُنوبُ
جثا الخدام أمسِ أمام عرشى
وليس اليوم لى فيهم عريب
فيوم ولادتى يوم عبوس
ويوم ولايتى يوم عصيب
فما أشقى نهارى حين أرنو
لشمس الأفق يحجبها المغيب
فعجِّل أيها الموت المرجَّى
فمالِي اليومَ في الدنيا حبيب

وأما الرافد السادس : فقد كان اختياره وهو فى الخمسين من العمر عام ١٩٣٢ م لعضوية المجمع اللغوى منذ إنشائه في أول مجموعة تضم خمسة عشر مصرياً من قمم اللغة العربية وقمم آخرين من الدول العربية

←

ومن المستشرقين بالإضافة إلى أسفاره إلى الأقطار العربية ممثلاً لمصر في هذه المؤتمرات مُعْلياً اسمها وشأنَها وقَدْرَها في مجال اللغة والأدب فكان علماً يشار إليه بالبنان .

تقرأ للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة جامعة الأزهر بمجلة الهلال عدد اكتوبر ١٩٨٦ قوله : وحين انتقل شوقى إلى دار الخلد تألق الجارم شاعراً كما تألق عالماً فصار ممثل مصر فى محافل العروبة والجارم قوى البنيان مكتمل الأداء بارع الإلقاء . كان الجارم أحد الفرسان الصائلة في ميادين الفصاحة الباهرة ، حين كانت البلاغة مهوى النفوس وحين كان الجمهور ذواقاً يلم بشذور روائع الأدب في القديم والحديث فلما مَثّل مصر بشاعريته الحافزة وديباجته العربية الناصعة جَذَبَ الأسماع لما يقول . لقد كان الحفل الجهير يضم أفذاذ الشعر من كل وطن عربى ، ولكل شاعر منزلته الرفيعة دون ريب ولكن الجارم يقف في الطليعة بين شعراء كبار فتكون قصيدته مجالَ التقدير والملاحظة ويعود إلى مصر وكأنه عاد من فتحٍ حربىٍ بعد أن سَجَّل بطولة الانتصار . وإذا كانَ المصريون قد تعودوا حينئذ سماع روائعه بالإذاعة المصرية إلقاءً وترجيعاً فإن (بغداد) و(بيروت) و(الخرطوم) عرفت الجارم الشادى المغرد حين هتف في ربوعها كَرَّةً بعد كَرّة فأوقد جذوات الحماسة وأشعل حميَّةَ العروبة وأعاد مجد السابقين من فرسان البيان وكان صادقاً حين افتخر بوحيه الشعرى فقال مخاطباً بلدته المصرية « رشيد » :

هـذا وليـدك جـاء ينشـد شِـعْـرَه ... مـا كـل مـا تحـوى الخيـوطُ نظـام

أصغى لـه الـوادى وَغَنَّتْ بـاسْمِـهِ ... بـغـدادُ واهتـزت إليـه الشـام

● ● ●

ظل على الجارم طوال حياته يدافع عن اللغة العربية وعن أصالتها وخاصة عندما كان يستشعر تهجماً عليها من بعض الأشخاص أو بعض الفئات سواء كان ذلك لمآرب مباشر أو غير مباشر فنجده في عام ١٩٤٦ ينبرى لاقتراح المرحوم عبد العزيز فهمى عضو المجمع باستعمال الحروف اللاتينية لكتابة العربية ويتقدم باقتراح مضاد يعتمد في تيسير الكتابة على الحروف العربية وسوف تجد في الكتاب الذى طبعه المجمع عن هذين المشروعين دفاعاً مجيداً للجارم عن الكتابة بلغة القرآن وليس بلغة الفرنجة . كما انبرى أيضاً للداعين باستعمال اللغة العامية واعتبر ذلك كفراً وإلحاداً باللغة التى افتتن بها ورآها أعرق وأغنى اللغات .. وأحاديثه الإذاعية بعنوان « الأخطاء الشائعة فى اللغة العربية » تثبت ذلك وكان يهدف من ورائها إلى تبصير المستمعين بأسرار لغتهم وصحتها وجمالها .

كما انبرى فى أخريات أيامه لمن ادعوا التجديد في الشعر العربي وخرجوا به عن أصوله وقواعده وحاكوا الغرب محاكاة عمياء فتركوا أوزان الشعر وبحوره وتركوا قافية القصيدة وموسيقاها وابتدعوا شيئاً آخر أسموه (الشعر الحر) أو (الشعر المنثور) وليس هو بشعر وليس هو بنثر . فواجههم

الجارم في قصيدته « خلود » عام ١٩٤٧ عندما قال :

سكت العندليب في وحشة الدوح
وَغَنَّتْ نواعق الغربان
فسمعنا من النشوز أفانين
يروعن صادح الأفنانِ
أَسْمَعُونا برغمنا فصبرنا
ثم ثرنا غيظاً على الآذانِ
جلبوا للقريض ثوبا من الغرب
ولم يجلبوا سوى الأكفان
ثم قالوا: مجددون فأهلاً
بصناديد آخريات الزمان
لا تثوروا على تراث « امرىء القيس »
وصونوا ديباجة « الذبيانى »
واتركوا هذه المعاول بالله
فإنى أخشى على البنيانِ
واحفظوا اللفظ والأساليب
والذوق وهاتوا ما شئتم من معانى
ما لسان القريض من عربىّ
كلسان القريض من "طمطماني"؟
إنما الشعر قطعةٌ منك ليست
من دماء (اللاتين) و(اليونانِ)
كل فن له مكان وأهل
إن غدا العلم ما له من مكانِ
إن رأيتم أخوة العود
« للجزيند » فابكوا سلالةَ العيدانِ
لا يهز النخيل إلا حنان الناى
فى صمت ليلة من حنان
وجهةُ الشرق غيرها وجهة الغرب
فأنَّى وكيف يلتقيان ؟

● ● ●

ومن أهم صفات الشاعر الحقيقي مقدرته على الخيال وعلى استيعابه للماضى وصدق رؤياه الحاضرة والمستقبلية وربطه بين كل هذه المراحل . وإذا رجعنا إلى شعر الجارم نجد أنه كان متمتعاً بهذه النظرة الشمولية وله شفافيته وأحاسيسه المرهفة والتى عبر عنها بكل الصدق وكل الإيمان .

استمع إليه في قصيدته « يوم السلام » التى نظمها عام ١٩٤٥ بمناسبة انتهاء الحرب العالمية الثانية قائلاً :

قُتِل العلم كيف دبَّر للفتكِ
عتادا وللدمار جنودا
فهو كالخمر تنشر الشر والإثْمَ
وإن كان أصلُها عُنقُودا
أبدعَ المهلكاتِ ثم توارى
خَلْفَها يملأ الورى تهديدا
وقلوب النجوم تَرْجُفُ أنْ
يجتاز يوماً إلى مداها الحدودا
حسرتا للحياة ماذا دهاها ؟
أصبحَ الناس قاتلا وشهيدا

وفى ذلك إشارة واضحة إلى ما نسمع عنه في هذه الأيام بعد أكثر من أربعين عاماً عما يعرف بحرب الكواكب التى نشاهد معالمها الآن .

وفى قصيدته « العروبة » التى نظمها عام ١٩٤٧ بمناسبة انعقاد المؤتمر الثقافي العربي الأول لجامعة الدول العربية بلبنان خاطب العرب بقوله :

كانوا أساتذة الآفاقِ كم نَهَلَتْ
من فيضهم أُمَمٌ ظمأى وبلدانُ
كانوا يداً ضَمَّت الدنيا أصابعُها
فَفَرقَتْها حزازات وأضغان

الجارم الشاعر

كأن الشاعر بهذا البيت الأخير كان يتوقع بعض الغيب وما ستبتلى به لبنان من حزازات وحروب ومعارك لم يعرف التاريخ لها مثيلاً من قبل ، واستمع إليه يقول في هذه القصيدة أيضاً :

تَنَمَّر الغربُ واحمرت مخالبُهُ
وأرهفت نابها للفتك ذُؤْبانُ

ثاراتُ « طَارِقٍ » الأُولَى تؤرقهم
وما لما تترك الثارات نسيانُ

قلبى وفيض دموعى كلما خطرت
ذكرى فلسطين خفَّاق وهتَّانُ

لقد أعاد بها التاريخ أندلسا
أخرى وطاف بها للشر طوفانُ

ميراثنا في فتى « حطين » أين مضى ؟
وهل نهايتنا يُتْمٌ وحرمانُ ؟

بنى فلسطين كونوا أمة ويدا
قد يختفى في ظلال الوَرْد ثعبانُ

وكيف يأمن رُغيان وان جَهِدوا
إذا تردى ثياب الشَّعْرِ سرحان

فإذا نظرنا إلى ما يجرى على أرض فلسطين ولبنان الآن وفي عام ١٩٨٧ ، ألا تجد أن ما قاله الجارم في عام ١٩٤٧ يصدق واقع الحال ؟

وفى عام ١٩٤٨ يدخل الجيش المصري إلى فلسطين لنجدة العرب محارباً الصهيونية العالمية ويدحر اليهود فى أوائل هذه الحرب فيتفاعل الجارم ويهتز لهذا الانتصار وينظم قصيدته الرائعة « فلسطين » التى يقول في مطلعها :

تألقَ النصرُ فاهتزت عوالينا
واستقبلت موكبَ البُشرى قوافينا

غَنَّى لنا السيفُ فى الأعناق أغنيةً
عَزَّت على الأيكِ إيقاعاً وتلحيناً

ثم يشير بعد ذلك إلى مأساة فلسطين قائلاً :

نفسى فداء فِلَسطين وما لقيت
وهل يناجى الهوى إلا فلسطينا

نفسى فداء لأولى القبلتين غدت
نهباً يزاحم فيه الذئب تِنّينا

فقبِّلوا تُرْبَ « حِطين » فإن به
دمُ البطولةِ من أيامٍ حطينا

أرضٌ بذلنا بها الأرواحَ غاليةً
داعين لله فيها أو مُلبينا

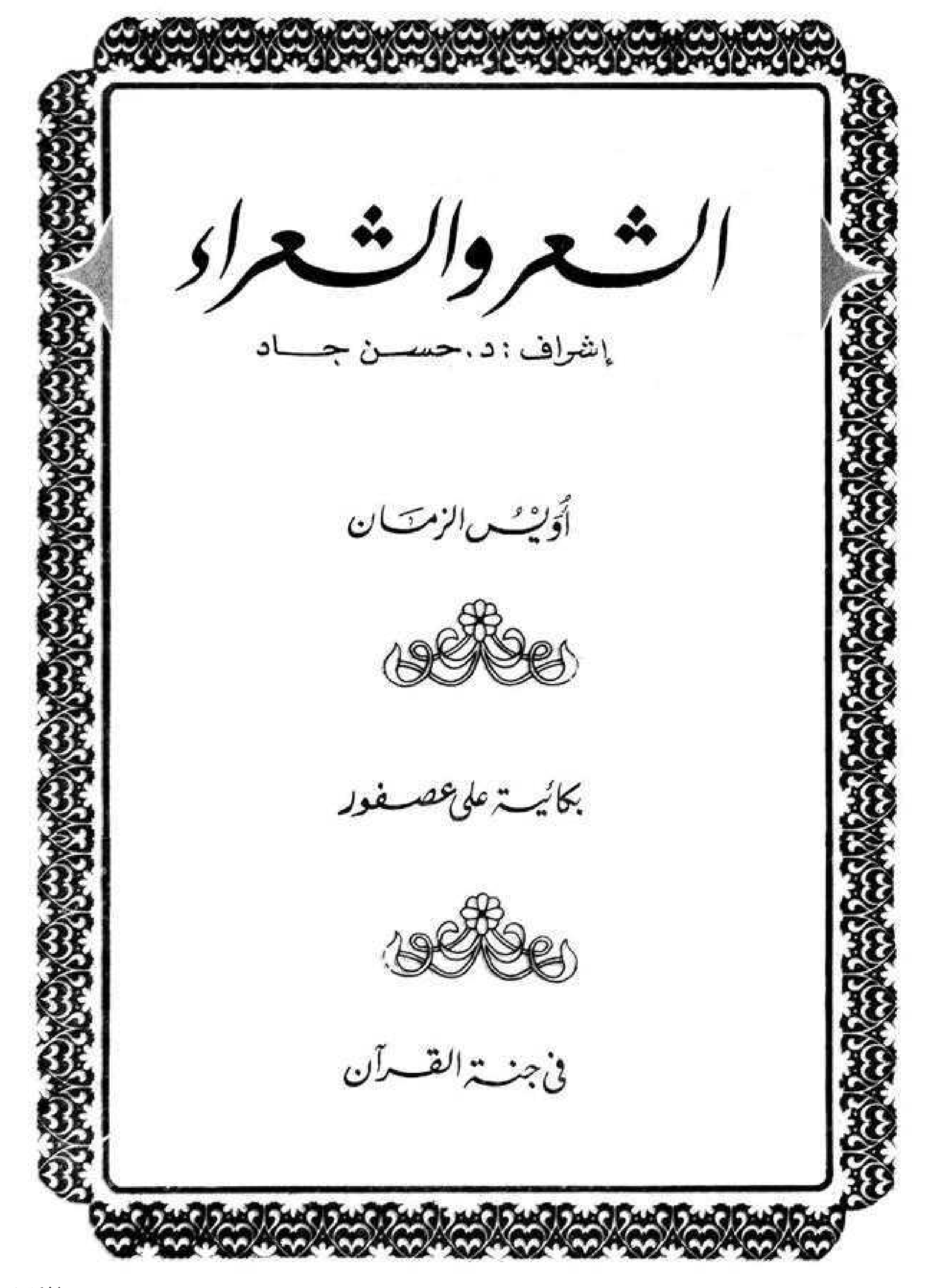
ومسجدٌ نزل المختارُ ساحته
نموت فيه ونحيا مستميتينا

أتلك أندلس أخرى ؟ فقد نبشت
من حقدِ ساداتهم ما كان مدفونا

سحقاً لسكين « فردينند » كم ذبحت
واليوم تشحذ أمريكا السكاكينا

« وفردينند » هو القائد الأسبانى الذي أجهز على كثير من المسلمين أثناء انهيار حكم العرب للأندلس ، وإشارة الشاعر للدور الأمريكي فى أول مراحل قضية فلسطين كان رؤية صادقة وواعية لا يختلف عليها أحد ، ولا شك أن إحساس الشاعر بالأحداث في عام ١٩٤٨ كان مصداقاً لما نقول .

أحمد على الجارم



الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

أويس الزمان

بكائية على عصفور

في جنة القرآن

أُوَيسُ الزمان

لفضيلة الشيخ
محمد زكي إبراهيم

ظَلِلْتُ اسائل : مارتبتى ؟ ... وذاك شبابى وذى شيبتى
لـعلّى اطامن مِنْ روعتى ... وعلىّ اخفف من لوعتى
فأُعطيتُ نفحة كنز الهدى ... واعطيت ستراً على نفحتى
وألهمتُ ان تمام العطاء ... عَمَى الناسِ بالناس عن رؤيتى
وخِفْتُ من السّلب بعد العطاء ... فبالغت فى الستر والخفية
وهِمْتُ بمستور حالى فلا ... اذِلُّ بجاه ولا شهرة
وعشْتُ (اوَيْسَ) زمانى فما ... يرانى إلا ذوو الفطنة
ادور كما دار اوفى الدُّعاة ... بداعى الكتاب او السُّنَّة
فليس الحلولُ ولا الاتحادُ ... ولا وحدةٌ السوء من دَعوتى
ورُحْتُ بحبّى أطوِّف فى ... معارج اسرار قدسيتى
شُغِلْتُ بمولاى لا بالذى ... ولا باللتيّا ولا بالتى
فكيف التفاتى إلى غيره ... وقد أوشكَت تنقضى رحلتى ؟
تجلت شموسىَ فى سكرتى ... ودارت كئوسىَ فى صحوتى
فياكم خلوتُ على جَلْوتى ... ويأكم جلوت على خلوتى
وقفت على الهامش الدُّنيوىّ ... مع الحق ، والحق امنيتى
فنيتُ به فيه عن غيره ... وأزْرَيْتُ بالإنس والجِنّة
وعشتُ غريباً ولكننى ... عشقت بانسى به غربتى
إذا الله بارك حبى فلا ... ابالى بنار ولا جنةِ

بكائية على عصفور

شعر: محمد فؤاد محمد

فى ذات يوم قلت : أذهب للتريض فى الأصــيل

وصحبت أوراقى وقلت : لعلنى أصف الحقول

أصف الغدير وماءه وجمال أهداب النخيــل

فجلست تحت شجيرة كانت على حقلى تميــل

يزدان لون فروعها من لون عصــفور جميــل

يختال فى نظراته ·· لم يشك من هــم ثقيــل

فالعش يملكه ولا يخشى عليــه من الدخيــل

والرزق مقسوم فلا يخشى من الرزق القليــل

فقذفته ــ لهوا ــ فخر بجانبى دمه يســيل

فأسفت فى نـفسى وصار الدمع فى عينى يجول

فلعله يرعى صغارا يبتغون لـــه الوصـــول

ولعلهم زغب الحواصل دون مــاء أو بقــول

أو علـــه إلف فأحزن إلفه فقد الحليــل

وجلست أقرأ فيــه نفسى يوم يطويها الذبول

لكنــه طــير برىء لا يــزل ولا يميل

وكتابه خال من الآثام ·· أو لغــو الفضول

فى جنة القرآن

للشاعرة / علية الجعار

(١)

سمُ واسْبَح فى العالم النورانى
واملأ الروح من سنا القرآن

رتل الذكر وارتفع درجات
مشرقات فى جنة الرضوان

فيه للناس منهج وطريق
يُوصِل الناس للرضا الربانى

إنه واحة النفوس إذا ما
افزعتها وساوس الشيطان

يُقنع العقل باليقين فيرقى
فى سماء التوحيد والإيمان

لم يزل شامخاً كريماً عظيماً
طاهر الحرف كامل البنيان

جاء من عالم الخلود ليبقى
كيف شاءت إرادة الرحمن

الشفاعة

(٢)

إذا شُقَّتْ عن الناس القبور
وحُصِّل كل ما تُخفى الصدور

وكلٌ جاء يقرا من كتاب
وفيه كل ماضيه سطور

فلا يُغنِيه إنكارٌ ونفى
ولا يُنجيه مال او نصير

بدا للمسلمين بشير خير
واشرق فى ظلام التيه نور

محمدٌ ساجداً لله يرجو
ويشفع للعباد ويستجير

ينادى : امتى يارب فارْحَمْ
ولولاه لساء بنا المصير

مناجاة ربانية

شعر : وفيقة عواد سلامة

لا أناجى فى جنح ليلى ســـواكا ... انت أدرى بلـــوعتى فى هـــواكا
فَلّ طـوقى عن صـوغ لفظ بليغ ... أنت عنى وعنه ٠٠ ما أغناكــــا
كنت فى الغـــيب ذرة ودعـــتنى ... لرؤى الكون والوجود ، يداكـــا
وشــــهدت الكمـــال فى كل شيء ... وتمليت من بـــــديع بهاكــــا
أنت ربى ورب كـــل البـــرايا ... ومحال أن نرتقى لذراكـــــا
لا أرى الجنـــة النعيم لـــروحى ... ليس يروى غليلهـــا ٠٠ إلاكـــا
وأرى النـــار محض عـــار وسخط ... والجحيم الجحيم : هول جفاكـــا
لم تسعك السماء والأرض لكن ... وسعتك القلوب فى علياكـــــا
هاك شعرى٠٠من فيض نورك يسرى ... لؤلؤيا يجوب افق هــــــداكا
ذا مقـام يعز فيـــه قصيدى ... لو تسامى للمحـــة من سناكـــا
فاسكب النـــور فى فؤادى مليـــا ... عله يدرك المـــدى ادراكـــا
أين منى ومـــن بيـــانى ســموق ... يبلغ القصـــد فى دروب عـــلاكا
أنت سويتنى من اللطف روحـــا ... طيب الغرس ينبذ الأشواكـــا
يـــا أمانى إن شتتتنى الأمـــانى ... أنت حسبى ٠٠ بقطرة من رضاكـــا
بك يـــارب أرفـــع اليـــوم رأسى ... لكأنى بالحب صرت "مـــلاكا"
لا أرى الـــذل بعد عـــزك ذلا ... لا أرى الموت فى لقاك ٠٠ هـــلاكا
وصـــفاء الصـــفاء يغمر ذاتى ... كى أجـوز الحـدود والأفـلاكا
فَلّ طـوقى عـن صـوغ لفظ بليغ ... أنت عنى وعنـــه مـــا أغنـــاكا

الفتاوى

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين
الأستاذ صفوت عبد الجواد

س :

انا فتاة فى السادسة عشرة من عمرى منذ فترة وجدت بعض الإفرازات البيضاء وبعض السوائل تخرج منى بصفة مستمرة يومياً وبدون إحساس منى باية رغبة فهل هذه الإفرازات تنقض الوضوء .

جـ : هذه الافرازات إن كانت غير مستديمة أفسدت الوضوء ، وعليها تجديد الوضوء فأما إن كانت مستديمة لايخلو وقت من نزولها فإنها تصير من ذوات الأعذار وتتوضأ لكل وقت وضوءاً تصلى به ما تشاء من الفرائض والنوافل حتى يدخل الوقت الجديد فينقض وضوءَها ، أما النجاسة فيجب التطهر منها عند الجمهور قَلّت أو كَثُرت وقال الحنفية: يعفى عن مقدار مقعر الكف[1] وعند المالكية قول بأن إزالة النجاسة ليست واجبة وهو رأى فى المذهب .

س : من السيدة ا . محمد على :

انا مريضة بمرض لا أستطيع الصوم معه فى شهر رمضان علماً بان سنى فوق الستين فما الحكم ؟

جـ : يرى الجمهوران كبير السن والمريض الذى لا يرجى برؤه يجوز له الإفطار ويكفر عن كل يوم بإطعام أكلتين وتقدران بجنيهين فى الوقت الحاضر ، ويرى الإمام مالك أن من عجز عن صوم رمضان وعن القضاء سقط عنه القضاء والكفارة ويفتى برأى الإمام مالك للفقراء وبرأى الجمهور للأغنياء .

س : من المحاسب ح . عثمان بالجلاوية محافظة سوهاج :

كان والدى رحمه الله قد مرض قبل وفاته فترة الزمته إفطار شهر رمضان لمدة عامين ولم يمهله الأجل لقضائهما . فهل يمكن أن أصوم عنه هذين الشهرين وهل لابد أن تكون الأيام متصلة .

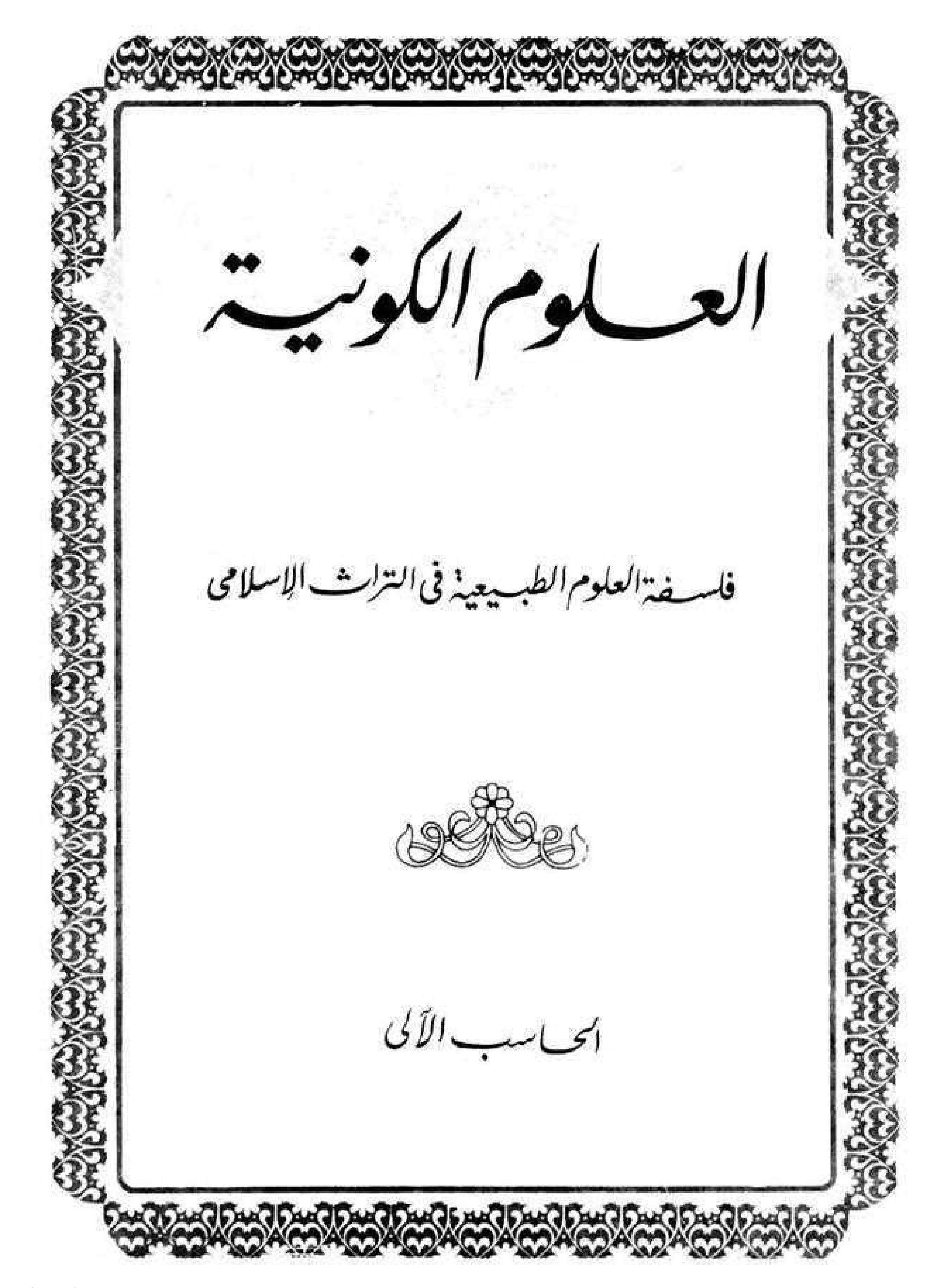
ج: يجوز ذلك عند الإمام أحمد خلافاً للجمهور ولا يشترط الترتيب فى القضاء .

عن النبى ﷺ رداً على الخثعمية فى قولها إن أختى ماتت وعليها صيام شهرين متتابعين قال « أرأيت لو كان على أختك دين أكنت تقضينه » .. قالت : بلى قال : « فحق الله احق »[2] .

---

(١) مقعر الكف دائرة قطرها نحو ٣ سم .

(٢) الحديث فى سنن ابن ماجة كتاب الصيام باب من مات وعليه صيام من نذر / حديث رقم ١٧٥٨ .



العلوم الكونية

فلسفة العلوم الطبيعية فى التراث الإسلامى

الحاسب الآلى

فلسفة العلوم الطبيعية

فى التراث الإسلامى

دراسة تحليلية مقارنة فى المنهج العلمى

٢

ننتقل الآن إلى مزيد من الدراسة التحليلية لجوانب المنهج العلمى فى التراث الإسلامى، وخاصة فيما يتعلق بمصادراته وأدواته وعناصره .

مسلمات المنهج العلمى فى التراث الإسلامى :

تميز البحث العلمى فى عصر الحضارة الإسلامية بأن الباحثين كانوا يسلمون بصحة مجموعة من القضايا الأساسية قبل شروعهم فى ممارسة البحث والتنقيب عن سر ظاهرة ما من الظواهر التى يعمدون إلى دراستها . وهذه المسلمات يمكن إجمالها فيما يلى :

١) الفكر الإسلامى التوحيدى :

لقد أخذ علماء الحضارة الإسلامية بالمنهج الإسلامى فى تفكيرهم العام، واتخذوا من عقيدة التوحيد نقطة انطلاق تشكل حجر الزاوية فى رؤية الإنسان الصائبة لحقائق الحياة والفكر والوجود . والله سبحانه وتعالى هو الحق المطلق، وهو مصدر كل الحقائق المعرفية الجزئية التى أمرنا بالبحث عنها واستقرائها فى وحدة النظام بين الظواهر الطبيعية والإنسانية باعتبارها مصدرا للثقة واليقين، وليست ظلالا أو أشباحا أو مصدرا للمعرفة الظنية كما نظرت إليها الثقافة اليونانية . وفى ظل هذا الفكر التوحيدى يصبح المفهوم الإسلامى للعلم أوسع وأشمل من المفهوم الشائع لدى فلاسفة العلم على اختلاف مذاهبهم . فهناك العلم الظاهر الذى يحققه الإنسان بحواسه وعقله وإمكاناته المادية فى المرحلة التى يعيشها من التاريخ البشرى، وهناك العلم الغيبى غير الظاهر للإنسان والذى يحتفظ به الله لنفسه ولا يطلع عليه إلا من شاء من خلقه، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (فصلت : ٥٣) .

وتكمن عظمة هذا المنهج الإسلامى التوحيدى فى أنه لا يفصل بين العلم والحكمة أو الحقيقة، بمعنى أنه يؤكد أهمية المعنى والغاية، ولا يفصل بين تحليل العلاقات التى تصل الأشياء بعضها ببعض وتساعد على القوانين التى تسوسها، وبين ربط هذه العلاقات الجزئية مع « الكل » الذى يكسبها

الأستاذ الدكتور

أحمد فؤاد باشا

« معنى » وهنا يكون العلم من وجهة النظر الإسلامية دنيويا بعلاقاته مع الأشياء ، ويكون فى نفس الوقت مقدسا لصلته بالخالق الواحد جل وعلا[1] . وتأكيد هذا المعنى فى فكر الباحث ووجدانه هو جوهر الشخصية العلمية التى تمتع بها علماء الحضارة الإسلامية وأبدعوا على أساسه فى اطمئنان وهدوء ونقاء بعيدا عن غيوم وصراعات المذاهب الفلسفية الرديئة التى تشوه كل حقيقة(*) .

وعندما انتقلت العلوم الإسلامية إلى الغرب لم تأخذ النهضة الأوروبية منها سوى الجانب المادى من منهجها التجريبى وتقنياتها ، وتركت جانبا الإيمان الذى يوجهها نحو الله تعالى ويسخرها لخدمة البشر .. ولذا فإن العلم فى الحضارة المادية الحديثة والمعاصرة ، بتخليه عن المعنى والسمو الروحى ، قد أخذ يتحول إلى « العلمية » Scientism ، كما أصبح التطور الكمى للعلم والتكنولوچيا غاية فى حد ذاته وتحولت « التكنولوچيا » إلى « تكنوقراطية » Technocracy . وتعالت صيحات التحذير من أن إطراد التقدم العلمى والتكنولوچى بدون النظر إلى صلته بمعنى الحياة الإنسانية قد ينتهى بالإنسان إلى القضاء على حضارته[2] .

وبدأت حركات عقلية جديدة فى الظهور لتناهض النزعة « العلمية » المتطرفة وتجارب الانغماس الأعمى فى ماديات الحضارة الصناعية ، مثل حركة « اللاعلمية »[3] .

من هنا تتضح أهمية الدعوة التى تنادى الآن بأسلمة العلوم وإسلامية المعرفة كأساس لصحوة إسلامية حضارية ، يتميز منهجها الآلهى الشامل بقدرته على التفسير الكامل للحقيقة المطلقة التى يسعى الإنسان إلى إدراكها من وراء بحثه فى العلوم المختلفة ، وتتسع معانيه السامية لكل أنواع القيم النبيلة التى تجعل من المعرفة غاية لخدمة المجتمع الإنسانى بأسره ، ثم إنه قبل كل هذا يقدم أجوبة شافية على المسائل التى تؤرق العقل عن الكون ومصير الإنسان ، ويهيىء الذهن المثقف لكل ما يمكن أن تسفر عنه

---

(١) روجيه جارودى ، الأمة ، العدد الخامس والثلاثون ١٩٨٣ .

(*) تظهر هذه الروح الإيمانية واضحة فى ثنايا نصوص التراث الإسلامى ، بل إنها تشكل سداه ولحمته ، فالخوارزمى يصنف كتابه فى الجبر والمقابلة لنفع الناس ولابتغاء الأجر من الله ، وابن الهيثم يسعى نحو الحقيقة مستمدا عونه من الله ، والقزوينى يدعو إلى إعادة النظر فى عجائب صنع الله من المخلوقات وغرائب الموجودات ..

(٢) رينيه ديبو ، المرجع السابق ص ٢١٢ .

(٣) أطلقت هذه التسمية على هذه الحركة خطأ ، فهى أصلا حركة مضادة للمادة وليس للعلم . انظر : وحيد الدين خان ، واقعنا ومستقبلنا فى ضوء الإسلام ، ترجمة د . سمير عبد الحميد إبراهيم ، مراجعة د . عبد الحليم عويس ، دار الصحوة ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٦ .

حضارة التكنولوجيا المعاصرة فى المستقبل القريب أو البعيد[٤] .

ب) النظام الكونى :

إن الإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى يستلزم بالضرورة العقلية أن يرد الإنسان كل شىء فى هذا الكون إلى الخالق الحكيم الذى أوجد هذا العالم بإرادته المباشرة المطلقة على أعلى درجة من الترتيب والنظام والجمال ، وأخضعه لقوانين معينة ثابتة لا يحيد عنها ، وحفظ تناسقه وتوازنه فى ترابط محكم بين عوالم الكائنات وتنسيق معجز بين آحادها ومجموعاتها . وقد شاءت إرادته تعالى أن تبين لنا من خلال نظام الكون ووحدته استمرارية المواد كأشياء وتكرر الحوادث والظاهرات كعلاقات سببية لنراقبها وندركها وننتفع بها فى الحياة الواقعية بعد أن نقف على حقيقة سلوكها ونستدل بها على قدرته ووحدانيته[٥] .

والانطلاق فى التفكير العلمى من مسلمة النظام الكونى بحثا عن قوانين الله فى الكون يضفى على النفس الاطمئنان والثقة اللازمين لمواصلة البحث والتأمل ، وينقذ العلماء من التخبط فى التيه بلا دليل ، كالإحالة على الطبيعة أو العقل أو المصادفة أو ما إلى ذلك من التصورات التى وقعت فريستها مختلف الفلسفات الوضعية المتصارعة قديما وحديثا وأصابتها بالعجز والعطب .

وفى إطار المفهوم الإيمانى لمسلمة النظام الكونى وإطراد الظاهرات الطبيعية كعلاقات علّيه يظل الطريق دائماً مفتوحا وممهداً أمام تجدد المنهج العلمى وتطوره بما يتناسب مع مراحل تطور العلوم المختلفة ، وبعيداً عن المفاهيم القاصرة التى وضعتها الفلسفة عن المسلمات الجزئية مثل الجبرية والحتمية والعلية والإطراد والضرورة والاحتمالية وغيرها[٦] فعلى سبيل المثال ، عندما لجأ فلاسفة العلم فى عصر النهضة الأوروبية إلى افتراض مبدأ الحتمية كان ذلك لمجرد أن يضمن لهم الاطمئنان فى بلوغ تعميمات أو

---

(٤) انظر الفصل الأول فى « نظرية المعرفة وأسلمة التفكير العلمى » من مؤلفنا « فلسفة العلوم بنظرة إسلامية » . انظر ايضاً دراستنا عن « الإسلام وفلسفة العلم المعاصر » فى كتاب « الثقافة الإسلامية » منشورات جامعة صنعاء ١٩٨٥ ، ص : ١٣٣ ـ ١٤٨ . لمزيد من التفصيل فى هذا الموضوع ارجع إلى سلسلة إسلامية المعرفة التى يصدرها المعهد العالمى للفكر الإسلامى .

(٥) قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر : ٤٩) . وقال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً ﴾ (الاحزاب : ٣٨) . وقال : ﴿ مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾ (الملك : ٣) لمزيد من التفصيل عن العلاقة بين مسلمة النظام وبين الجمال فى الكون وأثرها فى إزكاء روح المنهج العلمى انظر على سبيل المثال : عثمان جمعة ضميرية ، التصور الإسلامى للكون والحياة والإنسان ، دار الأرقم الكويت ١٩٨٢ ، ص ٥١ وما بعدها . محمد المبارك ، العقيدة فى القرآن ، دار الفكر ص ٦٨ وما بعدها . وأيضاً انظر آراء بوانكاريه وأينشتين فى كتاب فلسفة العلم ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .

(٦) اقرأ عن تنازع العلماء وفلاسفة العلم حول تبرير تلك المسلمات فى : فلسفة العلم ، ص ١٥٦ ـ ١٧٠ . د . محمود قاسم ، المنطق الحديث ومناهج البحث ، الأنجلو المصرية ، ١٩٥٨ . د . على سامى النشار ، مناهج البحث عند مفكرى الإسلام ، دار المعارف ١٩٦٦ . جون كيمينى ، الفيلسوف والعلم ، ترجمة د . أمين الشريف ، المؤسسة الوطنية ، بيروت ١٩٦٥ . د . محمود زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمى ، ص ٧٣ .

قوانين علمية من مجموعة محددة من الوقائع ، إذ يستحيل على رجل العلم أن يعرض لكل الوقائع القائمة فى كل زمان ومكان ، وحسبه مما يتاح له منها أو يختاره أو يصنعه لكى يصل إلى التعميم الذى يهيىء

له أداء وظائف المنهج العلمى من وصف وتفسير وتنبؤ وتحكم . ولن يتحقق له ذلك إلا إذا افترض أن العالم من حوله خاضع لحتمية تجعل صدق أحداثه مستقلة عن الزمان والمكان وعندما تطورت العلوم الذرية الخاصة بدراسة عالم اللامتناهيات فى الصغر microcosm عجزت الحتمية عن تفسيرها وظهرت اللاحتمية أو عدم اليقين لهيزنبرج ، مثلما ظهرت النسبية فى العلوم الفلكية الخاصة بعالم اللامتناهيات فى الكبر macro-cosm واضطر فلاسفة العلم أخيراً إلى أخذ جانب الحذر من مبدأ الحتمية المطلقة الذى يخالف طبيعة التقدم العلمى . فمن يدرينا بأن ما نصل إليه اليوم أو فى أى عصر قادم بفروضنا وتجاربنا هو القانون الآلهى الثابت المطلق الذى لا يتبدل ؟

وإذا كانت أى مسلمة تكتسب قيمتها من نجاح العلم فى بلوغ نتائجه على أساسها ، فإن مسلمتى التوحيد والنظام الكونى وما يترتب عليهما من مسلمات جزئية كالعلية وتوافق الحقائق وإطراد أحداث الكون تجعل نجاح المنهج التجريبى الإسلامى وسلامته فى نظرته إلى قضايا العلوم الطبيعية التجريبية على أنها قضايا إحتمالية اليقين وليست ضرورية كما اشترط لها أرسطو من زاوية منطقية تخصه[٧] أو حتمية بالمعنى الذى قام عليه المنهج البيكونى بعد ذلك فى عصر النهضة ، ثم تجاوزته مناهج البحث فى العلوم المعاصرة[٨] ويمكننا التدليل على ذلك بأمثلة كثيرة من النصوص العلمية الواردة فى تراثنا الإسلامى . فهذا الحسن بن الهيثم ، كما ذكرنا ، يؤكد موضوعيته فى البحث العلمى ويحذر فى نفس الوقت من الإفراط فى الثقة بنتائج تجاربه ، فإننا « نجتهد بقدر ما لنا من القوة الإنسانية ... لعلنا ننتهى بهذا الطريق إلى الحق الذى به يثلج الصدر » . وهذا جابر بن حيان يعوّل على التجربة فى منهجه ، لكنه أدرك عن وعى أن نتائج التجربة يجب الا تعنى اليقين المطلق ، وإلا ترتب على ذلك أن تكون نتائج العلم أيضاً نهائية ومطلقة ، وهذا مالا يتفق مع حقيقة استمرار التقدم المعرفى واتصاله فى تاريخ العلم . فهو يقول فى كتابه الخواص : « أنا نذكر فى هذه الكتب خواص ما رأيناه فقط ـ دون ما سمعناه أو قيل لنا أو



(٧) انظر على سبيل المثال : د . أميرة حلمى مطر ، دراسات فى الفلسفة اليونانية (التأمل ـ الزمان ـ الوعى الجمالى) ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٦٢ ـ ٦٣ .

(٨) لمعرفة المزيد عن العوالم الثلاثة للعلم الحديث (عالم الألكترونات متناهى الصغر ، وعالم المجرات متناهى الكبر ، وعالم المقاييس البشرية العادية) وطبيعة النظريات العلمية الحديثة وفلسفة المنهج العلمى المعاصر ، انظر على سبيل المثال : جيمس جينز ، الفيزياء والفلسفة ، الترجمة العربية ، دار المعارف ١٩٨١ ، خاصة ص ٦٤ وما بعدها .

انظر أيضاً عرض تصورنا لمفهوم السببية والحتمية واتباع طريقة الاقتران فى التغير بين الظواهر عند تحليل تطور نظرية الضوء على يد الحسن بن الهيثم فى كتابنا ، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ، ص ١٣١ ـ ١٤٣ .

قرأناه - بعد أن امتحناه وجربناه ، وما استخرجناه نحن قايسناه على أقوال هؤلاء » ويقول فى « كتاب التصريف » : « ليس لأحد أن يدعى بالحق أنه ليس فى الغائب إلا مثل ما شاهد ، أو فى الماضى والمستقبل إلا مثل ما فى الآن » . وكان أبو الريحان البيرونى يعتمد على الشك المنهجى كأحد عناصر اليقين فى تحصيل الحقيقة العلمية وتكوين الجديد فى عالم المعرفة(٩) .

وهكذا نرى أن علماء الحضارة الإسلامية قد تجاوزوا حدود الآراء الفلسفية التى تميزت بها علوم الأغريق وكانت لا تخرج عن كونها تصورات وأفكاراً ومقولات عامة تقوم على مبدأ الذاتية ، وانتقلوا إلى المختبر وإجراء التجارب بكل مقومات الباحث المدقق مدركين أن لمنهجهم الجديد شروطا وعناصر نظرية وعملية يجب الإلمام بها . يقول جابر فى كتاب التجريد : « إياك أن تجرب أو تعمل حتى تعلم ، ويحق أن تعرف الباب من أوله إلى آخره بجميع تنقيته وعلله ، ثم تقصد لتجرب فتكون فى التجربة كمال العلم » . ويؤكد جابر على أهمية المصادر التى يسلم الباحث بصحتها قبل أن يشرع فى إجراء تجاربه ، ولا يغفل ضرورتها فى بنية المنهج العلمى ، فيقول فى كتابه الخواص: « أنه ينبغى أن نعلم اولا موضوع الأوائل والثوانى فى العقل كيف هى حتى لا نشك فى شىء منها ولا نطالب فى الأوائل بدليل ونستوفى الثانى منه بدلالاته » . اى أن المسلمات لا تستنبط ويستند إليها ما يأتى بعدها فى الترتيب المنهجى(١٠) .

عناصر وادوات المنهج العلمى فى التراث الإسلامى :

يختلف الفلاسفة بدرجات متفاوتة تجاه أدوات المعرفة الإنسانية ومصادرها بين « عقليين » يرتأون أن العقل هو المصدر الأول للمعرفة ، « وحسيين » أو « تجريبيين » يعتقدون فى أن التجربة الحسية هى المصدر الأول الحقيقى للمعرفة ، وأصحاب النزعة النقدية الذين يؤمنون بالحاجة إلى العقل والحس والحدس مجتمعين كمصادر للمعرفة . وهناك من يضيف اتجاها رابعا ذا نزعة اجتماعية تؤلف بين المذهب التجريبى والمذهب العقلى فى وحدة ديناميكية تستمد الأفكار والمعانى من الحياة الاجتماعية(١١) .

(٩) د . جلال موسى ، منهج البحث العلمى عند العرب ، دار الكتاب اللبنانى . د . مدحت إسلام ، الكيمياء عند العرب . د . على سامى النشار ، مناهج البحث عند مفكرى الإسلام .

(١٠) كتابنا : التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، فصل « علم الكيمياء » .

(١١) عبد المجيد عبد الرحيم . مدخل إلى الفلسفة بنظرة اجتماعية ، القاهرة ١٩٧٦ .

ولما كانت العقيدة فى الدين الإسلامى مؤسسة على العقل أصلا ، فإن منهج الفكر الإسلامى يقوم على التأليف بين العقل والواقع ، ويدعو الإنسان إلى اكتساب المعرفة والاستفادة منها مستعينا بحواسه وعقله كأدوات أنعم الله بها عليه لكي يلاحظ ويجرب ويفكر . وفى استطاعته أن يعزز كفاءة هذه الحواس بأجهزة وأدوات يخترعها ويطور صنعتها ، مثل الميكروسكوب الضوئى والميكروسكوب الالكترونى لتعزيز حاسة البصر للأجسام الدقيقة ، ومثل التلسكوب لرصد الأجسام البعيدة والترمومتر لتقنين درجة الإحساس بالحرارة وغير ذلك من أجهزة الملاحظة والتجريب والقياس والتحاليل الدقيقة .

وقد حملنا الله سبحانه وتعالى مسئولية استخدام وسائل العلم وأدواته فى قوله : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل : ٧٨) وقوله : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء : ٣٦) ، وقوله : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد ٨ - ١٠) ، وقوله ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (الغاشية : ١٧ - ٢٠) والسؤال عن « الكيف » يتطلب طريقة منهجية لتحصيل المعرفة وتحديد الشروط أو الظروف المؤدية لوقوع الحوادث والظاهرات واستقراء القانون العلمى الذى يفسر سلوكها ، وهذه هى أكثر وظائف المنهج العلمى أهمية . وبإحلال التساؤل العلمى : كيف ؟ محل : لم ؟ أو لماذا ؟ عند القدماء يؤدى المنهج العلمى دوره الأمثل فى بلوغ التعميمات بعيداً عن الوصاية اللاهوتية والميتافيزيقية المتمثلة فى الدلالة القديمة لمعنى العلية والغائية والاقتصار في البحث على وصف الظواهر وتصنيفها

ويجمع فلاسفة العلم على أن عناصر المنهج العلمى التجريبى هى الملاحظة والتجربة والفرض العلمى ، وإن تنازعوا حول أهمية كل عنصر وفاعليته فى ترتيب خطوات المنهج العلمى . وسوف نقصر الحديث فيما يلى عن وضوح هذه العناصر فى التراث العلمى الإسلامى بما يتفق مع كثير من المسميات والمصطلحات الجديدة التى يتداولها المشتغلون بفلسفة العلم .

الحاسب الآلى



العقل البشرى إحدى آيات الله القادرة على اجتياز حدود الزمان والمكان ، فبه يذهب الإنسان إلى الماضى فى ابعد اعماقه ، وإلى المستقبل باوسع مداه .
وهذه المجموعة من الخلايا التى تستقر فى جمجمة الإنسان هل هى العقل نفسه ؟ ام هى اهم وسائله ؟

إن فى القرآن الكريم إشارات واضحة إلى القلب فيها دلالة على أنه القوة العاقلة .

قال تعالى :

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ الأعراف ١٧٩ .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ الحج ٤٦ .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ محمد ﷺ ٢٤ .

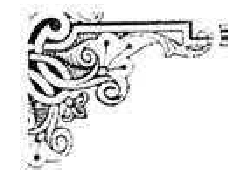
﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ الحشر ١٤

قد نقترب كثيراً من الواقع إذا اعتبرنا هذه المجموعة من الخلايا فى هذه الجمجمة هى أهم وسائل العقل بجانب السمع والبصر وغيرهما من أدوات المعرفة(١) .

هذه المجموعة من الخلايا تختزن المعلومات وتبتكر الجديد وتحل المشكلات .. ولكنها

---

(١) كتبت « الاهرام » صحيفة كاملة عن البروفيسور الدكتور « برنار » استاذ جراحة القلب بجنوب افريقيا بعد أن أعلن اعتزاله عن العمل فى « نقل قلب إنسان لآخر » بسبب مالاحظه على أحد مرضاه بعد أن تمت بنجاح عملية نقل قلب إليه .. فإذا بالرجل يتحدث بخواطر كانت عجيبة بالنسبة للدكتور برنار ومساعديه ، واتجه تفكير المجموعة إلى اعتبار هذه الأحاديث (هلوسة) .
ثم تمت عملية ناجحة ثانية لرجل آخر ، فبدت نفس الأعراض ، فطلب الدكتور من مساعديه أن يبحثوا احوال الرجل الأخير الذى أُخِذ قلبُهُ لهذا المريض الثانى ، وبجمع المعلومات تبين أن هذا المريض الأخير يردد خواطر صاحب القلب الأصلى .
كان ذلك سبباً فى ضيق الدكتور برنار وإعلانه أسفه الشديد على هذا اللون من الجراحة مستاء من حياة إنسان يعيش بعقل أو قلب غيره .. باختصار شديد : ترى : مادلالة ذلك ؟ .. مجلة الأزهر .



د. سعاد حسين البيلي

ـ أيضا ـ يمكن أن تنسى وأن تخطىء ، فهذه سمات الإنسان ، لذلك لجأ الإنسان إلى تدوين كل الحقائق التى توصل إليها وصاغ منها نظريات أو معلومات حتى لا تبيد من بين يديه ..

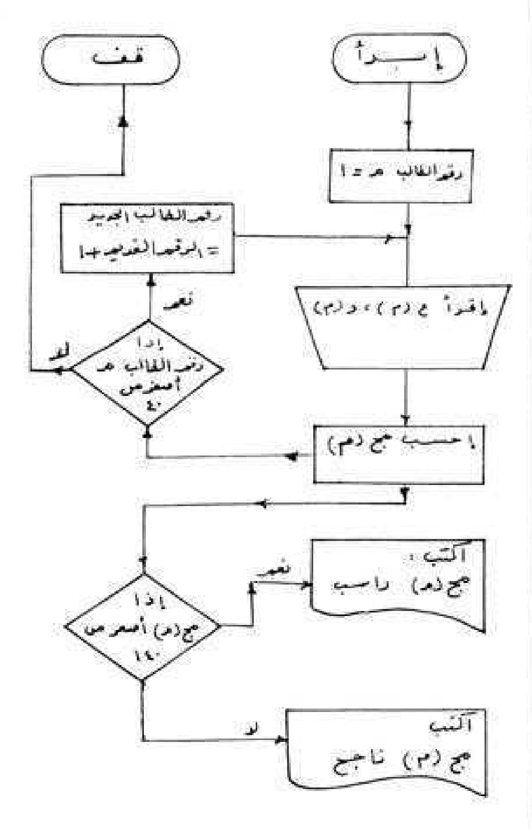
وعندما نعود بذاكرتنا إلى المقال السابق نجد أنه للتعامل مع الحاسب الآلى ـ يجب الإلمام باللغة التى يدركها .. وأن مكونات هذه اللغة أساسا هى عدة جمل أجملناها فى جمل « الإيضاح » و« الاستبدال » و« اذْهَبْ إلى » وجملة « افْعَل » و« إذًا » بالإضافة إلى جمل تحديد « المدخل » و« المخرج » من حيث رقم القناة المستخدمة لكلٍ وطريقة كتابة (بيانات المدخل) و(نتائج المخرج) .

وبالإضافة إلى ذلك ، فلابد أن تصاغ المشكلة المراد حلها عن طريق الحاسب فيما يعرف « بالرسم المتتابع » وهو يعنى الخطوات اللازمة لحل المشكلة فى صورة تخطيطية تمهيداً لإعداد البرنامج الخاص بها . والهدف الأساسى من « الرسم المتتابع » هو ضبط منطقية الخطوات ضمانا لإعطاء نتائج صحيحة .

وللرسم المتتابع مجموعة من المصطلحات نجملها فى الآتى :

١ ـ الشكل البيضاوى : ويعنى البدء أو الانتهاء .

٢ ـ شبه المنحرف : ويعنى مجموعة



الشكل رقم (١)

البيانات الداخلة أو نتائج الحسابات .

٣ ـ المستطيل : وهو يعبر عن مرحلة استخدام المعادلات الرياضية فى البرنامج لحساب النتائج المطلوبة .

٤ ـ المعين : وهو يعنى الجملة الشرطية « إذا » وهذه الجملة تحتمل إجابتين : « نعم » أو « لا » .



٥ ـ المستطيل المقطوع : ويرمز إلى النتائج التى سيتم طباعتها بعد التشغيل ـ فمن الممكن أن يطبع الحاسب بعض نتائج الحسابات وليس كلها حسب رغبة واضع البرنامج .

٦ ـ الأسهم : وهى تشير إلى خط سير العمليات والبيانات خلال الرسم المتتابع .

ولنأخذ المثال الآتى لمعرفة كيفية إعداد « الرسم المتتابع » .

لنفترض فصلاً دراسيا به أربعون تلميذاً وقد حصل هؤلاء التلاميذ على الدرجات الموضحة بالجدول التالى فى المواد الدراسية المختلفة .

المادة / اسم التلميذ	عربى عظمى ٦٠ صغرى ٢٤	مواد اجتماعية عظمى ٦٠ صغرى ٢٤	علوم عظمى ٤٠ صغرى ١٦	رياضة عظمى ٦٠ صغرى ٢٤	لغة أجنبية عظمى ٤٠ صغرى ١٦	دين عظمى ٢٠ صغرى ٨	المجموع عظمى صغرى ٢٨٠ ١٤٠
١ ـ	٥٥	٦٠	٣٨	٦٠	٣٩	١٨	
٢ ـ	٥٤	٥٠	٣٧,٥	٥٩	٣٧	١٥	
٣ ـ	٤٣	٥٤,٥	٣٢	٥٤	٣٦,٥	١٦,٥	
٤ ـ	٤٥	٥٣,٥	٣٤	٥٢,٥	٣٥	١٧	
٥ ـ	٢٨,٥	٤٢	٢٨	٤٧	٢٢	١٤	
٦ ـ							
.							
.							
.							
٤٠ ـ							

وأن المطلوب هو إعداد البرنامج للحاسب الآلى الذى يقوم بحساب مجموع التلاميذ وكذلك معرفة النتيجة من حيث النجاح والرسوب . وللوصول إلى هذا الهدف ـ لابد من السير فى سلسلة من الخطوات التمهيدية قبل مرحلة إعداد الرسم المتتابع ـ ونجمل هذه الخطوات فى الآتى :

١ ـ الرمز لكل طالب برمز معين ـ وليكن طـ(١) للطالب الأول ، طـ(٢) للطالب الثانى حسب الجدول السابق ، وهكذا حتى طـ(٤٠) .

٢ ـ الرمز لكل مادة برمز معين فاللغة العربية « ع » والرياضة « ر » والعلوم « ل » والدين « د » والمواد الاجتماعية « و » أما اللغة الأجنبية فنرمز لها بالرمز « ج » وعلى ذلك فإنه يمكن وضع درجات الطالب الأول فى الصورة .

ع (١) = ٥٥ ، و (١) = ٦٠ ، ل (١) = ٣٨

ر (١) = ٦٠ ، ج (١) = ٣٩ ، د (١) = ١٨

وعلى ذلك يُكَوِّن مجموع الطالب الأول ، ويرمز له بالرمز (مج) هكذا :

مج (١) = ع (١) + و (١) + ل (١) + ر (١) + ج (١) + د (١) .

٣ - يتم وضع درجات الطالب الثانى فى نفس الصورة الرمزية التى تمت فى الخطوة السابقة ، وكذا باقى التلاميذ حتى طـ (٤٠) . فإذا تمت هذه المرحلة فإننا نكون قد أعددنا البيانات الخاصة بالتلاميذ فى الصورة التى يمكن للحاسب الآلى أن يستخدمها . فبدلا من الجدول السابق يكون لدينا مجموعة من المعلومات فى الصورة الرمزية التى عبرنا عنها فى الخطوة السابقة لكل التلاميذ فى كل المواد الدراسية . يلى هذه المرحلة - مرحلة إعداد الرسم المتتابع وهو موضح طبقا للمصطلحات الخاصة به فى الشكل رقم (١) .

ولكتابة البرنامج المناظر لهذا الرسم المتتابع ؛ فإننا نستخدم ورقة بها ثمانون خانة أو مربعا فى كل سطر كطريقة قياسية لكتابة البرامج كما هو موضح فى الشكل (٢) .

شكل رقم (٢)

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	.....	٧٩	٨٠

والمجال المسموح به للكتابة هو من الخانة السابعة حتى الخانة الثانية والسبعين . ويكتب البرنامج فى الصورة الآتية .

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ...

درجات التلاميذ

افعل ٢٠ م = ١ ، ٤٠

إقرأ [ع (م) ، و (م) ، ل (م) ، ر (م) ، ج (م) ، د (م)]

مج (م) =

ع (م) + و (م) + ل (م) + ر (م) + ج (م) + د (م) .

إذا (مج (م) . اصغر من . ١٤٠)

اذهب إلى ٣٠

اذهب إلى ٥٠

٣٠ اكتب (مج (م) - راسب)

٥٠ اكتب (مج (م) - ناجح)

٢٠ استمر

قف

جملة هذه السطور تمثل البرنامج اللازم للحسابات أما الدرجات الخاصة بالتلاميذ فتدون فيما يعرف بـ وثيقة البيانات ، وهى تعطى بعد جملة « قف » فى نهاية البرنامج بالصورة :

←

وثيقة البيانات :

٥٥ ـ ٦٠ ـ ٣٨ ـ ٦٠ ـ ٣٩ ـ ١٨
٥٤ ـ ٥٠ ـ ٣٧,٥ ـ ٥٩ ـ ٣٧ ـ ١٥
٤٣ ـ ٥٤,٥ ـ ٣٢ ـ ٥٤ ـ ٣٦,٥ ـ ١٦,٥
٤٥ ـ ٥٣,٥ ـ ٣٤ ـ ٥٢,٥ ـ ٣٥ ـ ١٧
٢٨,٥ ـ ٤٢ ـ ٢٨ ـ ٤٧ ـ ٢٢ ـ ١٤

وهكذا حتى درجات الطالب رقم ٤٠ .

وثيقة البيانات لا تحتاج إلى مزيد من الإيضاح ، أما البرنامج الأصلى فلنا عليه عدة إيضاحات نجملها فى الآتى :

١ ـ السطر الأول : وهو اسم البرنامج ولنا الحرية فى اختياره .

٢ ـ السطر الثانى : ويعنى أننا نعطى الأمر للحاسب الآلى أن « يفعل » الجملة رقم ٢٠ لعدد من الطلبة يساوى « م » حيث « م » تتغير من « ١ » إلى « ٤٠ » .

والجملة رقم « ٢ » هذه تشمل كل سطور البرنامج حتى السطر المسجل فى بدايته الرقم « ٢٠ » وهو يوجد بالقرب من نهاية البرنامج . ويكتب بجانب الرقم « ٢٠ » كلمة (استمر) أى إن الحاسب يستمر فى الحسابات طالما أن « م » لم تصل إلى العدد « ٤٠ » فيعود مرة ثانية إلى السطر الثانى مع تغيير قيمة « م » إلى القيمة التالية مباشرة .

٣ ـ إعطاء الأمر للحاسب بقراءة البيانات حسب ترتيب معين فاللغة العربية أولا ، ثم المواد الاجتماعية وهكذا حتى « الدِّين » وذلك من وثيقة البيانات الموجودة فى نهاية البرنامج . وهذا هو معنى السطر الثالث .

٤ ـ السطر الرابع ويمثل المعادلة الرياضية التى يتم عن طريقها حساب المجموع لكل طالب .

٥ ـ السطر الخامس : ويمثل استخدام جملة « إذا » فإذا كان مجموع الطالب أقل من النهاية الصغرى وهى (١٤٠) ففى هذه الحالة نعطى الأمر أن « اذْهَبْ إلى » الجملة رقم (٣٠) أما إذا كان المجموع أكبر من (١٤٠) فإنه يستمر فيقابل الجملة « اذهب إلى ٥٠ » كما يتضح من السطر السادس .

٧ ـ السطر السابع : وهى الجملة رقم (٣٠) سالفة الذكر حيث يعطى الأمر بأن يكتب « المجموع » وبجانبه راسب .

٨ ـ السطر الثامن : وهو يشبه تماما السطر السابق باستثناء أنه خاص بالناجحين .

٩ ـ السطر التاسع : وهو نهاية الجملة « افعل » فى السطر الثانى من البرنامج .

١٠ ـ السطر العاشر : ويمثل إعطاء الأمر للبرنامج أن يتوقف إيذانا بالنهاية .

ويلاحظ هنا أن درجات كل تلميذ مسجلة على سطر مستقل فى وثيقة البيانات . فبمجرد تغيير الدرجات من شهر إلى آخر يتم التعديل

فقط فى وثيقة البيانات دون المساس بالبرنامج الأصلى .

وهذه المسألة التى تعرضنا لها فى هذا البرنامج بسيطة للغاية وقد لايحتاج الأمر فيها إلى حساب آلىٍّ لها ، ولكن عندما نتصور مشكلة التنسيق بين مجموع الطلبة فى الثانوية العامة ـ مثلا ـ ورغباتهم فى دخول الجامعة بكلياتها المختلفة ، والدرجات الصغرى التى تحددها كل كلية للطلبة الملتحقين بها لاتضح لنا أهمية استخدام الحاسب الآلى ـ فهذه واحدة من العديد من تطبيقاته وخاصة أن العمليات الحسابية التى تأخذ منا دقائق تتم فى جزء ضئيل جداً من الثانية قد يبلغ أجزاء من المليون من الثانية . هذا بالإضافة إلى أن العين البشرية قد تخطىء فى عمليات الجمع والضرب وغيرها وهذه الأخطاء لا تسجل عادة ، أما بالنسبة للحاسب فهذه الأخطاء من الممكن تسجيلها وتداركها بالتالى بدرجة عالية من الدقة .

وهكذا ... نأتى إلى الاستنتاج الهام وهو أن من الرموز البسيطة .. تتكون اللغة ـ وهذه اللغة استطاعت أن تبسط أعقد العلوم وأصعب المشكلات وكذلك كل ما أبدع العقل البشرى : عناصر بسيطة وقوانين بسيطة يسر الله لعقل الإنسان أن يعلمها فأصبحت « عقلاً » و« حاسباً » وبقى على الإنسان أن يطلق عليها بصيرته حتى يعلم يقينا قول علام الغيوب : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ .

فسبحان من ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾
صدق الله العظيم

د . سعاد البيلى

الدروس المستفادة ـ بقية ـ

وإن أقمنا فى دارنا هذه ، أكلنا رءوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء ، وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام فى الصيف وإلى الحبشة فى الشتاء » .

● فقال له الأسود بن عبد المطلب : « تنكب الطريق على الساحل ، وخذ طريق العراق » ، ثم دله على فرات بن حيان من بنى بكر بن وائل ليكون رائدهم فى هذه الرحلة ، وتجهز صفوان من الفضة والبضائع بما قيمته مائة ألف درهم ، ومالبث النبى ﷺ أن بعث زيد بن حارثة بمائة راكب يتعرضون للقافلة ، فلقيها زيد عند ماء يقال له « القردة » (وهى ماء بنجد فى الرمة لبنى نعامة) ففر المشركون مذعورين ، وأصاب المسلمون القافلة ، وأسروا دليلها فرات بن حيان ، فلما جىء به إلى المدينة دخل الإسلام .

● وهكذا حرم المشركون من طريق مكة ـ العراق ، كما حرموا من قبل من طريق مكة ـ الشام ، فأصبح الحصار الاقتصادى مطبقا عليهم من كافة الطرق المؤدية إلى الشام والعراق (انظر الخريطة) .

(للبحث صلة)



نحب ما أحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

كان سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ يفرض لأسامة بن زيد فى العطاء خمسة آلاف ، ولابنه عبد الله الفين ، فقال له عبد الله : فضلّت على أسامة وقد شهدت مالم يشهد ؟

فقال : إن أسامة كان أحب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منك ، وأباه كان أحب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أبيك .

« اليد العليا والسفلى »

أعلى الأيدى ، المنفقة ثم المتعففة عن الأخذ ، ثم الآخذة بغير سؤال ، وأسفل الأيدى : السائلة والمانعة .

« بر عميق »

كان يحيى البرمكى فى سجنه يتأذى من استعمال الماء البارد فى الشتاء ولا يقدر على تسخينه !!

فكان الفضل ابنه يأخذ الأبريق النحاسى وفيه الماء ، فيضعه على بطنه زمانا لينكسر برده بحرارة بطنه ، حتى يستطيع أبوه استعماله .

« حقـا »

أتطلب صاحبا لاعيب فيه

وأى الناس ليس له عيوب

« أحـدهم »

- المشفق أحد الوالدين .
- الدهر أحد المؤدبين .
- التدبير احد الثروتين .
- القلم احد اللسانين .

للأستاذ

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب



« شتـان »

قال الأصمعى : أدركت أقواما كان الرجل منهم لا يلقى أخاه شهرا أو شهرين ، فإذا لقيه لم يزده على : كيف أنت ؟ .

ولو سأله شطر ماله لأعطاه .

ثم أدركت أقواما ، لو كان أحدهم لا يلقى أخاه يوما (ثم لقيه لسأله) عن الصغير والكبير حتى الدجاجة فى البيت .

ولو سأله حبة من ماله لمنعه !

« الاخلاء ثلاثة »

قال أحد الحكماء : للمرء ثلاثة أخلاء :

خليل يقول له : أنا معك حيا وميتا .

وهو : عمله .

وخليل يقول له : أنا معك حتى تموت .

وهو : ماله .

وخليل يقول له : أنا معك حتى باب قبرك وهو : ولده .

« ما هو بغريب »

أنشد أعرابى قوما شعرا فاستغربوه فقال : والله ما هو بغريب ، ولكنكم فى الأدب غرباء ..

« دعـاء »

اللهم عافنا من بلائك ، ونجنا من سوء قضائك ، وهب لنا ما وهبته لأوليائك .

اللهم بك آمنا ، ولك أسلمنا فاجعلنا لآلائك ذاكرين ولنعمائك شاكرين وجنبنا من الفزع الأكبر يوم الدين .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

لغتنا بين النقد والتاريخ

تاريخ اللغة مرتبط بتاريخ الأمة ، وقد وجد كثير من العلماء والرواة يصعدون باللغة مع تاريخ العرب إلى مئات السنين غير انه وجد من المفكرين المحدثين من يحاول أن يغمز اللغة في الزمن موضع سواء في متنها أو في اختلاف الألفاظ والكلمات المفردة او ادائها للمعاني المرادة منها . فكيف يستقيم لهم هذا مع تسليمهم بأن اللغة العربية ، هي لغة القرآن . والقرآن خير شاهد على سلامة اللغة العربية . لفظاً وذوقاً وتركيباً .

قال الكاتب رحمه الله :

اللغة أصدق شاهد على تاريخ الأمة ، وأوضح دليل على تمثيل لون الحياة التي عاشت عليها ، والتي تعيش فيها ، وأقوم طريق في بيان الأطوار التي مرت بها ؛ ذلك لأن اللغة ـ سواء من ناحية متنها وأوضاعها المفردة أم من ناحية أساليبها التركيبية المختلفة ـ مرآة تنعكس على صفحتها صورة الأمة في حياتها الاجتماعية ؛ فالكلمات التي هي مادة الفهم والإفهام في طرائق أداء المعاني ، والتي تجمعها المعاجم وتضبطها الدواوين ، أو التي ندت عنها لسبب من الأسباب ، صورة لما عرفته الأمة من المدلولات والمعاني والحقائق والتصورات ؛ والأساليب الأدبية بضروبها المختلفة صورة لما وصلت إليه الأمة من قدرة على الافتنان في تأدية المعاني وطرائق التفاهم حسبما توحى به طبيعة الحياة .

هذا القانون طبيعي لا تشذ عنه لغة من اللغات ، ولا تخرج عن سلطانه أمة من الأمم ؛ فاللغة العربية ـ كغيرها من اللغات ـ صورة لحياة الأمة العربية .

ولكن أية لغة تلك التي يصدق عليها هذا القانون ؟

أهذه اللغة الممثلة في الكلمات والألفاظ التي تحويها المعاجم المعروفة ؟

أم هناك لغة أو لغات ممثلة في ألفاظ وكلمات وراء هذه الألفاظ والكلمات المتداولة نسى الناس بعضها أو تناسوها ، وجهلوا منها أشياء أو تجاهلوها ؟

لفضيلة الشيخ / صادق إبراهيم عرجون
إعداد وتقديم / عبد الفتاح حسين الزيات

وأية أمة هذه التي يجب أن تؤمن بصورتها المنتزعة من أطواء هذه المعاجم ؟

أهي ذلك الجيل العريق في القدم والذى عاصر الحياة على ظهر الجزيرة العربية مئات من السنين قبل ظهور الإسلام ، فبادت منه أمم وبقيت منه أمم ؟

أم هي هذا الجيل الذى لقيه الإسلام مترجحاً بين الشمال والجنوب لا يستقر على حال من القلق ؟

وأية أساليب تلك التي نستخلص منها صورة الحياة الاجتماعية للأمة العربية ودرجة اقتدارها على الافتنان في تأدية المعانى :

أهذه الأساليب المعروفة فيما أثر من نصوص أدبية عرفها الناس وتناقلها الرواة حتى انتهت إلينا في كتب الأدب ورسائل الأدباء ودواوين الشعراء ؟

أم هناك أساليب أخرى لم تظفر بما ظفرت به هذه الأساليب من حظ التدوين والضبط ، كان يمكن أن تؤدى إلى لون أو ألوان تغاير هذه الألوان التي عرفها التاريخ عن الأمة العربية ؟

وهل يمكن في هذا المقام أن يعتمد على القرآن الكريم كمصدر من ناحيتيه الإفرادية والأسلوبية ، وإلى أى حد من الماضى في تاريخ الأمة يكون هذا الاعتماد ؟

هذه أسئلة بدهية التعرض في طريق الباحث عن صلة اللغة العربية بحياة الأمة العربية إذا أريد التوكؤ عليها في فهم المعالم الأولى للأطوار التي مرت بتاريخ هذه الأمة ؛ وهذا بحث شاق عسر ؛ بيد أنه على مشقته وعسره عظيم الفائدة في موضوعه ، أحببت أن أثيره قصداً إلى إثارة الأفكار والأقلام لتجول في ميدانه جولات عسى أن تكشف عن بعض غوامضه .

ولم أضع هذه الأسئلة لأجيب عنها ، بل وضعتها لأوجه البحث إليها ؛ فهى قد تكون « سَناً » في مفتاح البحث ، وقد يعرض غيرها لبعض الباحثين فيلحق بها في محاولة الإجابة عنها . والحق أن هذا اللون من الأسئلة لا يوضع ليجاب عنه ، لأننا لسنا أمام حقائق مقررة ثابتة نستند عليها ، وإنما يوضع لتقريب الاتجاه إلى البحث الذى قد ينتهى فيما بعد إلى حقيقة تقرر إذا استقامت لها شرائعها واتضحت آياتها .

● ● ●

تاريخ اللغة يتبع تاريخ الأمة في الوجود وفى تصرفات الحياة ؛ والأمة العربية كغيرها من الأمم المعاصرة لها أمة قديمة التاريخ كثيرة التعرض للتقلبات وتصاريف الحياة ؛ فهل كان للغتها حظ من ذلك ؟ لقد عرض العلماء والرواة لهذا البحث ، فتكلموا على نشأة العربية كما تكلموا في نشأة العرب ، وتكلموا في حياة الحميريين وأهل الجنوب وحياة المضريين وأهل الشمال ، كما تكلموا

على فروق بين عربية حمير وعربية مضر ، وفى ذلك تروى كلمة أبى عمرو بن العلاء المشهورة « ما لسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا ، ولا عربيتهم بعربيتنا » ، وتروى قصة تقول : إن زيد بن عبد الله بن دارم وفد على بعض ملوك حمير فلقيه فى متصيد له على جبل مشرف فسلم عليه وانتسب له ؛ فقال له الملك : « ثب » أى اجلس بلغة حمير ، وظن الرجل أن الملك يأمره بالوثوب من الجبل ، فقال : ستجدنى أيها الملك مطواعاً ، ثم وثب من أعلى الجبل فهلك ! فقال الملك : ما شأنه ؟ فخبروه بقصته وغلطه فى الكلمة ، فقال : « أما إنه ليست عندنا عربية ، من دخل ظفار حمّر » يريد من دخل فى بلدنا تعلم لغتنا ليفهم عنا ما نريد . ونحن إذا نظرنا إلى ما فى عبارة أبى عمرو وجدناه سمى لسان حمير عربية ، ولكنه رآها تختلف عن عربية مضر وأهل الحجاز ، ثم هو يرى أن هذا الاختلاف خاص بأقاصى اليمن مما عسى أن يكون قد تأثر بلغات البلاد المصاقبة .

والذى فى قصة ابن دارم مع الملك الحميري ـ على فرض صحته ـ لا يصلح أن يكون دليلاً ، ولا شبه دليل على اختلاف بين اللغتين يوجب استقلال كل لغة عن صاحبتها ، وهو اختلاف معروف وموجود فيما وصل إلينا من اللغة ، وشهرةُ الكلمة في قبيل بمعنى مخالف لشهرتها بغيره فى قبيل آخر ، ووجود كلمة لمعنى عند قوم وأخرى لهذا المعنى عند آخرين ، لا يقدح فى وحدة اللغة من جهة أصولها وقواعدها ؛ وقد وقع نحو هذا الاختلاف على عهد النبي ﷺ والعصور التي تلت عصره ، فلم ير فيه العلماء والرواة دليلاً على اختلاف يخرج اللهجتين عن ساحة العربية .

روى أن أبا هريرة لما قدم من « دَوْسٍ » عام خيبر لقى رسول الله ﷺ وقد وقعت من يده السكين ، فقال له : ناولنى السكين ، فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ولم يفهم المراد ، فكرر له القول حتى قال : آلمدية تريد ؟ وأشار إليها ، فقيل له : نعم ، فقال : أو تسمى عندكم سكينا ؟

وقد ثبت أن النبي ﷺ كتب إلى قوم من عرب الجنوب بما لم تعرف ألفاظه أو بعضها عند أهل الحجاز حتى قال له على بن أبى طالب رضى الله عنه : يا رسول الله نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم العرب بما لم نفهم .

ولم يذهب أحد من العلماء فى القديم ولا فى الحديث إلى القول بأن هذا ونحوه خارج عن حد العربية المبينة ، وإنما الذى ذهبوا إليه أن هذا دليل على سعة اللغة العربية ، وأنه قد يوجد منها عند بعض الناس مالا يوجد عند غيرهم والجميع عرب أقحاح .

وقال الجاحظ في البيان : « وأهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ، ولذلك نجد الاختلاف فى ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر ؛ حدثنى أبو سعيد عبد الكريم بن روح قال : قال أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر : ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ، إنما الفصاحة لنا أهل مكة ، فقال ابن المناذر : أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن وأكثرها له موافقة ، فضعوا

القرآن حيث شئتم ؛ أنتم تسمون « القدر » « بُرمة » وتجمعون البرمة على برام ، ونحن نقول « قِدْر » ونجمعه على قدور ، وقال الله عـز وجل ﴿ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴾ ؛ وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت « عُلية » وتجمعون هذا الاسم على « علالى » ، ونحن نسميه « غرفة » ونجمعها على غرفات وغُرف ، وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾ وقال ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ ؛ وأنتم تسمون « الطلع » الكافور والأغريض ، ونحن نسميه الطلع ، وقال الله عز وجل ﴿ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾.

قال أبو سعيد : « فعد عشر كلمات لم أحفظ أنا منها إلا هذا »

والعبرة فى هذا الكلام فيما يتصل بموضوعنا من وجوه :

(أولاً) أن قبائل العرب لما نزلت أمصار الإسلام فى الفتوحات كانت تختلف لغاتها فى الألفاظ والمفردات ، فأخذ كل مصر من الأمصار بلغة القبيلة التى نزلته .

(ثانياً) أن هذا الاختلاف كان متعالماً بيناً إلى درجة أن يكون موضع تفاخر فيما بين أهل الأمصار .

(ثالثاً) أن هذا الاختلاف لم ير فيه العرب أنفسهم ، بله الرواة والعلماء من بعدهم ، بُعدا عن العربية التى انتهت إلى رباط عام بين جميع قبائل العرب ، وإنما كل ما نظروا إليه سجاحة اللفظ وفصاحته وقربه من ألفاظ القرآن الكريم . وذا هو الجاحظ يسجل ذلك فى رده على الفتح بن خاقان فى رسالته التى كتبها له فى مناقب الترك وعامة جند الخلافة ؛ قال أبو عثمان : « وزعمت أن هؤلاء وإن اختلفوا فى بعض اللغة وفارق بعضهم بعضا في بعض الصور فقد تخالفت عليا تميم وسفلى قيس وعجز هوازن وفصحاء الحجاز فى اللغة ، وهى فى أكثرها على خلاف لغة حمير وسكان مخاليف اليمن ، وكذلك الصورة والشمائل والأخلاق وكلهم مع ذلك عربى خالص غير مشوب ولا معلهج ولا مدرع ولا مزلج ، ولم يختلفوا اختلاف ما بين بنى قحطان وبنى عدنان من قبل ما طبع الله عليه تلك البرية من خصائص الغرائز وما قسم الله تعالى لأهل كل جيزة من الشكل والصورة والأخلاق واللغة » ، إلى أن قال : فإن قلت : فكيف كان أولادهما جميعاً عربا مع اختلاف الأبوة ؟ قلنا : « إن العرب لما كانت واحدة فاستووا في التربة وفى اللغة والشمائل والهمة ، وفى الأنف والحمية ، وفى الأخلاق والسجية ، فسبكوا سبكا واحداً ، وأفرغوا إفراغاً واحداً ، وكان القالب واحداً ، تشابهت الأجزاء وتناسبت الأخلاط حتى صار ذلك أشد تشابهاً في باب الأعم والأخص وفي باب الوفاق والمباينة من بعض الأرحام ، وجرى عليهم حكم الاتفاق في الحسب ، وصارت هذه الأسباب ولادة أخرى حتى تناكحوا عليها وتصاهروا من أجلها ، وامتنعت عدنان قاطبة من مناكحة بنى اسحاق وهو أخو إسماعيل ، وجادوا بذلك في جميع الدهر لبني قحطان وهو ابن عابر ؛ ففى إجماع الفريقين على التناكح والمصاهرة ومنعها من ذلك جميع الأمم كسرى فمن دونه ، دليل على أن النسب عندهم

من روائع الماضي

متفق ، وأن هذه المعانى قد قامت عندهم مقام الولادة والأرحام الماسة » .

وقد عقد أحمد بن فارس فى كتاب « الصاحبى » بابا لهذا الاختلاف ، فقال : باب القول فى اختلاف لغات العرب ، ثم ذكر ثمانية عشر وجهاً للاختلاف ، ثم قال : « وكل هذه اللغات مسماة منسوبة إلى أصحابها ...

وهى وإن كانت لقوم دون قوم فإنها لما انتشرت تعاورها كُلٌّ . » فهو ـ على ما ترى ـ يسميه اختلاف لغات العرب ، ويرى أن كل لغة منها كانت لقوم دون قوم ، ولم يخرج ذلك جميعها عن حد العربية إلى نحو العبرية والحبشية فى الاستقلال ، ولما انتشرت وتعاورها العرب أجمعون صارت لغة واحدة .

● ● ●

هذا من ناحية متن اللغة واختلاف الألفاظ والكلمات المفردة فى وضعها لمدلولاتها وأدائها لمعانيها ، والشواهد عليه أكثر من أن يحاط بها ؛ أما من ناحية التراكيب فالأمر فيها يرجع إلى جهتين :

(الأولى) النظر إلى جهة الإعراب وهيئات الكلمات عند وضعها في الموضع الذى يتطلبه اختلاف المعانى ، وهذا ما ضبطه علم النحو وكفل القيام بمعرفته .

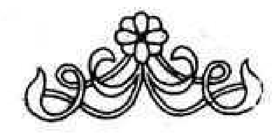
(الثانية) طريقة ابتناء التراكيب طبقاً لمقامات الكلام ومقتضيات الأحوال ، وهذا ما كان ينبغى أن يقوم على كفالته فن البلاغة ، فأما جهة الإعراب فلم أر من زعم أن اختلافاً وقع فيها غير هذا الاختلاف الذى تذكره كتب النحو فى مثل إعمال « ما » عند قوم وإهمالها عند آخرين ، وهو اختلاف منثور فى بطون الكتب معروف لدى من شدا شيئاً من أوائل النحو والإعراب .

بيد أنا وجدنا العلامة ابن خلدون ذكر فى المقدمة : أن اللسان المضرى مع اللسان الحميري كان فيما سلف بمثابة اللغة فى عصره وما كانت عليه من فساد فى الإعراب بالنسبة لما كانت عليه في عصورها المصححة لإعرابها ، وهذا عند ابن خلدون اختلاف استقلالى فى اللغة من جهة الإعراب والتصريف والأوضاع ، وإن كان لا يؤثر فى نظره فى بلاغة الكلام وبراعة البيان ؛ قال : « وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد ، ولا تلتفتن فى ذلك إلى خرفشة النحاة أهل صناعة الإعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق ، حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت ، وأن اللسان العربي فسد اعتباراً بما وقع أواخر الكلم من فساد الإعراب الذى يتدارسون قوانينه ، وهى مقالة دسها التشيع فى طباعهم ، وألقاها القصور فى أفئدتهم ، وإلا فنحن نجد اليوم الكثير من ألفاظ العرب لم تزل فى موضوعاتها الأولى والتعبير عن المقاصد والتعاون فيه بتفاوت الإبانة موجود فى كلامهم لهذا العهد ، وأساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة في مخاطباتهم ، وفيهم الخطيب المصقع فى محافلهم ومجامعهم ، والشاعر المفلق على أساليب لغتهم ؛ والذوق الصحيح

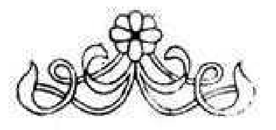
ـ البقيـة ص ١٣٧٩

اللغة والأدب والنقد

الذوق العربى وظاهرة الانسجام الصوتى



مصطفى صادق الرافعى
فى عقد قرائده



إمام النحاة
وقضية الاستشهاد بالحديث

الذوق العربي

وظاهرة الانسجام الصوتي

في ضوء معطيات علمي الصرف والأصوات

الفصل الأخير

المماثلة وأصوات العربية :

إن العلاقة الصوتية بين الصوامت والصوائت قوية ، وهي كفيلة بتحقيق المماثلة ، وليس من الضروري أن يكون المتجاوران من مجموعة واحدة ، كما أن وسائل إتمام هذه الظاهرة متنوعة ، وليست محصورة في الإبدال ، وليس أدل على قوة العلاقة بين نمطي الأصوات العربية من الأمور الآتية :

١ ـ ما أشار إليه سيبويه من الانسجام بين الصوامت والصوائت في فتح عين المضارع من الثلاثي إذا كانت عينة أو لامه حرفا حلقيا ، نحو سأل يسأل ، وبعث يبعث ، وقرأ يقرأ ، وقلع يقلع[1] ، معللاً ذلك « بأن هذه الحروف سفلت في الحلق فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف ، فجعلوا حركتها من الحرف الذي هو في حيزها ، وهو الألف » وقد علق على هذا التعليل الدكتور / عبد الصبور شاهين مقرراً أن الفتحة بحكم كونها أوسع الحركات هي أنسب ما يسبق الصوت الحلقي أو يلحقه ، كما أشاد برأي سيبويه في الانسجام بين الصوامت والحركات معلنا أنه يتفق مع أحدث التفسيرات الصوتية لأحداث الفصحى[2] .

٢ ـ ما قرره ابن جني من أن الحركة تقلق الحرف عن موضعه ، وتجتذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها ، وقد أثبتت معطيات علم الأصوات التجريبي ذلك ، فالتاء المكسورة

---

(١) الكتاب ٢/٢٥٢ .

(٢) القراءات القرآنية ٢٨٩ .

ـ مثلاً ـ تجذبها الكسرة إلى الأمام أكثر من التاء المضمومة[3].

٣ ـ من الثابت فى الدراسات الصوتية أن الحركات يعتورها التفخيم والترقيق متأثرة بالصوامت ، فالفتحة ـ مثلاً ـ لها ثلاث أحوال : التفخيم متى صاحبت حروف الإطباق ، والتوسط متى صاحبت حروف الاستعلاء ، والترقيق مع بقية الحروف[4] .

وعلى هذا يمكن القول بأن اختلاف طبيعة الصوامت عن الصوائت لا يعنى تنافى العلاقة الصوتية بينهما ، كما أن العلاقة الصوتية ليست محصورة فيما يسمى بالتقارب أو التجانس ، وليس أدل على ذلك من اعتبار التعديل فى الملامح غير التمييزية ، كالتفخيم والترقيق والإمالة والإشمام .. من مظاهر هذه العلاقة من جانب ، ووسيلة من وسائل تحقيق المماثلة من جانب آخر .

وتأسيسا على ما سبق فإنى أميل إلى ما ذهب إليه معظم الباحثين ، وأيدته القرائن من أن المماثلة تتم بين الصوامت والصوائت ، ولا غرو فى ذلك ، فالذوق العربى ينشد السهولة أنَّى وجدها ، والأمثلة على ذلك موفورة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك وسيلة أخرى لتحقيق ذلك الانسجام وهى ظاهرة المخالفة فماذا عن مفهومها ، وأسسها وصورها وجدواها ؟؟

ثالثا : الانسجام الصوتى فى ضوء المخالفة :

(أ) مفهوم المخالفة وجدواها :

بنى مفهوم المخالفة عند اللغويين على التباين بين المتجاورين ، إذ عرفوها بأنها « تعديل الصوت الموجود فى سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور تعديلا عكسيا ، يؤدى إلى زيادة الخلاف بين الصوتين »[5] .

وعلى هذا فالتخالف عكس التماثل ، غير أن هدفيهما واحد ، وهو تحقيق الانسجام الصوتى بين لبنات الكلمة . ومن نماذج هذه الظاهرة ما قرره الصرفيون[6] من قلب الواو همزة إذا تصدرت قبل واو متحركة مطلقا نحو (أواصل) فى جمع (واصل) ، والأصل (وواصل) ، فقد خالف الذوق العربى بين الواوين ، فقلب أولاهما همزة هروبا من الثقل ، وفراراً من الصعوبة التى يتوخاها منهجه العام ، ولا يخفى أن المخالفة هنا بين المتماثلين حالة الاتصال . ومن المخالفة بين المتقاربين قلب اللام نونا فى (جبرائين) والأصل (جبرائيل) للتخالف بين الراء

←

---

(٣) دراسة الصوت اللغوى ٣٢٨ .

(٤) النشر ٢/ ٩٠ (مذاهبهم فى ترقيق الراءات وتفخيمها ، التمهيد ١٢٥ ، دراسات فى التجويد والأصوات د/ عبد الحميد ابو سكين ٧٤ : ٧٨ ، ٩٨ : ١٠١ .

(٥) انظر : ابنية العربية ٦٨٧ ، معجم المصطلحات اللغوية ٣٨ ، المحيط : الأنطاكى ١/ ٢٣ .

(٦) انظر : شرح المفصل ١٠/ ١٠ ، الممتع ١/ ٢٣٢ ، سر الصناعة ١١١ .

واللام ، وإذا كانت الراء واللام والنون من مخرج واحد ، فإن لكل حرف مذهن حيزا ومدرجا خاصا به ، وإلا صرن حرفا واحدا ، ولا ريب أن المخالفة هنا بين المنفصلين .

ومما تجدر الإشارة إليه أن لظاهرة المخالفة أصولاً فى تراثنا اللغوى ، وليس أدل على ذلك من الباب الذى عقده سيبويه فى كتابه يعالج هذه الفكرة وأطلق عليه « باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف وليس بمطرد »(٧) ومن النماذج التى ذكرها « تسريت وتظنيت وأمليت .. إذ أن الأصل تسررت وتظننت وأمللت ، فكانت المخالفة بإبدال ثانى المتماثلين ياء طلبا للخفة .

ومن هذا المنطلق عقد الزجاج فى إعراب القرآن بابه « ما جاء فى التنزيل من المضاعف ، وقد أبدلت من لامه حرف لين »(٨) مستشهدا بقول الله تعالى ﴿ فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾(٩) أى تملل ، لقوله ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ ﴾(١٠) ومن الإشارات الواضحة إلى هذه الظاهرة ما قرره ابن دريد فى الجمهرة من أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت ، لأنك إذا استعملت اللسان فى حروف الحلق دون حروف الفم ، ودون حروف الزلاقة كلفته جرسا واحدا ، وحركات مختلفة »(١١) وفى ذلك ما يدعو إلى الصعوبة والثقل .

ولا يخفى أن اشتراط ابن سنان الخفاجى(١٢) لفصاحة الكلمة تأليفها من حروف متباعدة المخارج إشارة واضحة إلى ثمرة ظاهرة المخالفة وجدواها ، وقد أفصح عن ذلك مقرراً أن الحروف التى هى أصوات تجرى من السمع مجرى الألوان من البصر ، ولا شك فى أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت فى المنظر أحسن من الألوان المتقاربة .

كما أشار ابن جنى فى كتابه الخصائص إلى فكرة المخالفة فيما أسماه « باب فى تدافع الظاهر »(١٣) إذ جعل من نماذجه استثقالهم المثلين ، وقلب أحدهما ، مستشهدا بقولهم (أمليت) مشيرا إلى ثمرة المخالفة إذ أن التخفيف يتم فى ظل هذا الإبدال .

تلكم بعض الإشارات إلى أصالة هذه الظاهرة بين ثنايا تراثنا اللغوى ، وهناك كثير غيرها(١٤) ، والذى يعنينا هو دلالة تلك الإشارات على إطراد المنهج العام للذوق العربى فى تحقيق الخفة والسلاسة والانسجام الصوتى بين لبنات الكلمة .

وفى ضوء ذلك يثور على بساط البحث سؤال : أليس من التناقض أن تحقق المخالفة نفس الغرض الذى تهدف إليه المماثلة ؟؟

---

(٧) الكتاب ٤/٤٢٤ .
(٨) إعراب القرآن ٣/٨٠٠ : ٨٠٢ ، مقومات اللهجة د / إبراهيم أبو سكين ٣٥ .
(٩) الفرقان ٥ .
(١٠) البقرة ٢٨٢ .
(١١) الجمهرة ١/٩ .
(١٢) سر الفصاحة ٥٤ .
(١٣) الخصائص ٢/٢٢٧ : ٢٣٣ .
(١٤) شرح المفصل ١٠/٢٥ ، الممتع ١/٣٧٢ : ٣٧٨ ، شرح جمل الزجاجى : ابن هشام ٤٥١ .

والحقيقة أنه لا تعارض ، ولا تناقض ، فالذوق العربى يتوخى السهولة ، وينشد الخفة بشتى الوسائل ، والأمر لا يخرج فى إطاره العام عن انتقاء أيسر الطرق وأسلسها ، ففى مثل (قطّع) و (علّم) يسهل النطق فى ضوء الإدغام ، ومن ثم كانت المماثلة ، أما دون الإدغام يثقل على اللسان النطق بالمثلين ، لأن الرجوع من أحدهما بعد الانتقال عنه إلى الآخر مجلبة للصعوبة فى النطق كما فى (أمْلَلَ) على وزن (أفْعَلَ) ومن هنا كانت المخالفة تحقيقا للتخفيف ، إذ أبدلت اللام الثانية ألفا ، فقيل (أملى)[١٥] .

وقد وضّح هذه الحقيقة بعض المحدثين[١٦] مشيراً إلى أن التخالف مرحلة وسطى بين التنافر والتماثل ، وعلى هذا فالتناقض بين التنافر والتماثل ، ولا تمثل المخالفة هنا الضدية للمماثلة إذ أن « النظام اللغوى والاستعمال السياقى يحرصان على التخالف ، ويكرهان التنافر والتماثل ؛ لأن التنافر ينافى الذوق العربى ، كما أن التماثل يؤدى إلى اللبس » ، ومن ثم فإن ظاهرة التأليف تتفادى التنافر دون الوصول إلى التماثل ، وذلك بالوقوف عند حد التخالف ، ومن ثم فلا تناقض ، وإنما الرغبة فى التخفيف دون الوقوع فى دائرة التنافر مع أمن اللبس والصعوبة فى آن واحد .

وإذا كان هناك من فرق بين الظاهرتين فإنه يكمن فى كيفية معالجة الصيغة ، إذ تعتمد المماثلة على التقريب بين المتجاورين كما سبق ، وتقوم المخالفة على المفارقة بينهما ، ومن ثم تعمل المماثلة على تقليل الخلافات بين الفونيمات قدر الطاقة لدرجة فناء أحد المتماثلين فى الآخر ، بينما تلعب المخالفة دوراً كبيرا فى إبراز الفونيمات فى صورة أكثر استقلالية ، ولا يخفى أن المماثلة أكثر شيوعا واستخداما عن المخالفة .

أما من فرّق بين الظاهرتين فى ضوء اختلاف هدفيهما ففى رأيه نظر ، إذ قرر بعض الباحثين[١٧] أن المماثلة تهدف إلى تيسير اللفظ عن طريق تيسير النطق ولا تلقى بالا إلى الجانب الدلالى ، على عكس المخالفة التى تهدف إلى تيسير جانب الدلالة عن طريق المخالفة بين الأصوات ، و لاتلقى بالاً إلى العامل النطقى ، وأرى أن الأمر على خلاف ما قرر الباحث ، إذ لا يمكن الفصل بين هدفى الظاهرتين ، ومن الوضوح بمكان أنهما حققتا جانب اليسر فى النطق دون أن تهملا جانب الدلالة ، وليس أدل على ذلك من النماذج التى سقناها بين دفتى البحث ، أضف إلى هذا أن الباحث لم يسعفنا بأمثلة أو نماذج توضح الفرق الذى ارتآه .

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه ـ من أن المخالفة كالمماثلة تعنى بالجانب اللفظى قدر عنايتها بالجانب الدلالى ـ ما قرره بعض الباحثين[١٨]

←

(١٥) أبنية العربية ١٨٨ .
(١٦) اللغة العربية معناها ومبناها : د / تمام حسان ٣٦٤ : ٣٦٥ بتصرف .
(١٧) دراسة الصوت اللغوى ٣٣١ .
(١٨) الأصوات اللغوية : د / أنيس ٢١١ ط٦ سنة ١٩٨١ م .

من أنها تقع غالبا بين الحروف التى تحتاج إلى جهد عضلى كتجاور صوتين مطبقين أو رخوين ، كما تقع نادراً بين الأصوات الشديدة ، نحو قولهم فى (إجانة) (إنجانة) ، كما لاحظ أن التغيير غالبا يكون إلى صوت لين طويل ، أو شبيه بصوت اللين ، ولاسيما اللام والنون ، كقولهم فى (المح) (الماح) وهو صفرة البيض ، وفى (قرّاط) (قيراط) .

(ب) المخالفة وأصوات العربية :

تقع المخالفة بين الأصوات العربية داخل الصيغة اللغوية بغية تيسير نطقها وإضفاء مسحة من الانسجام الصوتى بين ربوعها ، ومن ثم يكثر وقوعها ـ كما سبق ـ بين الحروف التى تحتاج إلى جهد عضلى ، غير أن هذا ليس معناه الإطراد ، فقد وقعت بين الصائتين ، والصامتين ، والصامت والصائت ، ومن نماذج ذلك فى ميدان الصوائت إبدال الفتحة كسرة عند مجاورتها ألفا تجنبا للنطق بمجموعة من الحركات المتحدة الطابع ، ومن هذا القبيل نصب جمع المؤنث السالم بالكسرة بدل الفتحة ، وكذلك كسر نون المثنى[١٩] .

ومن المخالفة بين الصوامت قلب الراء الأولى ياء فى (قرّاط) فتصير (قيراط)[٢٠] أما بين الصوامت والصوائت ففى مثل (يأتمى) والأصل (يأتمم) فقلبت الميم الثانية ياء ، فى قول الشاعر :

نزور امرءا أما الاله فيتقى
وأما بفعل الصالحين فيأتمى[٢١]

وفى ضوء الأمثلة السابقة يمكننا الوقوف على صور المخالفة ، فإذا كانت بين صوتين متجاورين سميت (تجاورية) نحو (أواصل) وإن كانت بين متباعدين سميت (تباعدية) مثل قولهم (باسمك) فى (ماسمك) بقلب الميم الأولى باء كما تسمى (تقدمية) إذا كان التأثير ناجماً عن الصوت الأول نحو (لعن) فى (لعل) ، أما إذا كان التأثير ناجماً عن الصوت الثانى سميت (رجعية) نحو (أواصل) .

ومما تجدر الإشارة إليه فى نهاية المطاف أن الذّوق العربى تمكن فى ضوء هذه الألوان المتنوعة من تحقيق الانسجام الصوتى بين نسيج الكلمة مثبتا بذلك إطراد منهجه فى توخيه السهولة والتيسير والاقتصاد فى الجهد سواء عن طريق المماثلة أو المخالفة ، وإليك بعض النتائج التى تمخض عنها البحث :

---

(١٩) التطور اللغوى ٤٢ .

(٢٠) انظر فى ذلك الممتع ١/ ٣٧٠ .

(٢١) البيت من الطويل ، وقائله كثير عزة من قصيدة يمدح بها عمر بن العزيز ، انظر : الديوان ٢/ ١٢٢ طبعة الجزائر سنة ١٩٢٨ م ، اللسان مادة (أمم) ، الضرائر : ابن عصفور ٢٢٨ والرواية (رايت رجلا) شرح المفصل ١٠/ ٢٤ ، الممتع ١/ ٣٧٤ .

١ ـ طُبع الذوق العربى على الدقة والسلاسة ، وجُبل على مواكبة الخفة ومناشدة التيسير ، وليس أدل على ذلك من إطراد منهجه فى معالجة الصيغة اللغوية .

٢ ـ تمكن الذوق العربى فى ضوء ظاهرة الانسجام الصوتى من تحقيق الخفة فى النطق والسيولة فى الأداء معتمدا على وسيلتى المماثلة والمخالفة

٣ ـ ظاهرة الإنسجام الصوتى مرآة صادقة على إطراد ملامح الذوق العربى وأصالتها ، وكيفية تحققها .

٤ ـ ظاهرة الإنسجام الصوتى شاهد عدل على ثراء تراثنا اللغوى من جانب ، وريادة علماء العربية للغربيين فى علم الأصوات الفونولوجى من جانب آخر[٢٢] .

﴿ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ﴾

د / عبد المنعم عبد الله محمد

مجلة الأزهر. بقية.

والطبع السليم شاهدان بذلك ، ولم يفقد من أحوال اللسان المدون إلا حركات الإعراب فى أواخر الكلم الذى لزم فى لسان مضر طريقة واحدة ومهيعا معروفاً وهو الإعراب ، وهو بعض من أحكام اللسان ... إلى أن قال : ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد واستقرينا أحكامه نعتاض عن الحركات الإعرابية فى دلالتها بأمور أخرى موجودة فيه . فتكون لها قوانين تخصها ، ولعلها تكون فى أواخره على غير المنهاج الأول فى لغة مضر ... ولقد كان اللسان المضرى مع اللسان الحميري بهذه المثابة ، وتغيرت عن مضر كثير من موضوعات اللسان الحميري وتصريف كلماته ، تشهد بذلك الأنقال الموجودة لدينا خلافاً لمن يحمله القصور على أنهما لغة واحدة ... وليس ذلك بصحيح ، ولغة حمير لغة أخرى مغايرة للغة مضر فى كثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها كما هى لغة العرب لعهدنا مع لغة مضر » .

يتبـــع

(٢٢) مجلة الأزهر :
هذا ما وسع المجلة أن تقدمه من هذا البحث الجيد نظراً لساحتها أملين للباحث كل توفيق ، كذلك نشير إلى أن لفظ « الانسجام » يتسم مع ما يريده الباحث على ضرب من المجاز قريب ، فإن « السيولة بلا عوائق » تفهم من المادة الأصلية ..

مصطفى صادق الرافعى

فى عقد فرائده (وحى القلم)

لا ريب عندى فى أن كتاب (وحى القلم) للمرحوم مصطفى صادق الرافعى هو حديقته الغناء ، وروضته الفيحاء ، وهو عقد بيانه ، وسمط جمانه ، الذى هو كلما قلبت فى فرائده ناظريك ، بهرتك بالوانها المنبعثة من جوانبها ، وسحرتك بمعانيها المتدفقة من جداولها التى تستمد سلسالها من ينابيع العقيدة الاسلامية التى لا تنضب ، ولا تأسن ، انه باقة نادرة من زهور الفكر الثاقب اللماح ، أبدعها ، وافتن فى تنضيدها مصطفى صادق الرافعى .

والرافعى فى كتابه هذا تتجلى عبقريته ، وبراعته ، اذ ينفذ بثاقب بصيرته الى أعماق النصوص ، ويتسلل الى زوايا التاريخ ، والتراث ، منقبا كاشفا ما خفى واستتر حتى عن ذوى العقول والبصائر .

وهو حين يعرض واقعة تاريخية ، أو يلقى بموعظة ، أو يبرز معلومة ، أو يقص قصة أو يتحف بطرفة ، لا يطرحها جامدة صماء ، لا نبض فيها ، ولا حياة ، ولا يقذفها جافة خشنة ، تصك الآذان ، وتجرح الذوق والوجدان ، ولكنه يبثها الى العقول والنفوس ، فى لطف الطبيب ، ولباقة الحكيم ، ومهارة الخبير بمداخل النفوس ، فتنسلب اليها انسياب النسيم العليل المشبع بأريج الزهور ، وشذا الرياحين ، فتنبض بها القلوب ، وتخفق الأرواح ، وترتوى العقول ، لتكون فى الأعصاب والجوارح عملا دائبا ، صالحا ، يقيم صرح الحياة ، ويضع الأقدام على طريق السلامة الى الآخرة ، وتلك هى رسالة الأدب فى أرقى وأرق صوره ، وأجل مقاصده .

وهو — أى الرافعى — يلتقط الومضة أو اللمحة من آية قرآنية مقدسة ، أو حديث نبوى شريف ، أو قول مأثور ، أو موقف من مواقف الأبطال والصالحين والعلماء ، فى الغابر ، فيستخلص الرحيق والمغزى منه ، فيربيه وينميه ، ويندلح به الى حيث شاء فكره الخصب ، وخياله المشبوب ، فاذا بك أمام بحر لجى من المعانى ، قد اصطخبت أمواجه ، وتناءت شطآنه ، أو كالدوحة الهائلة العظيمة التى نبتت ، ونمت من بذرة ضئيلة ، أو فسيلة

للأستاذ / محمد عبد الرحمن صان الدين

هزيلة ، ومع ذلك كله لا يعطيك الا ثمرا شهيا ، وزهرا بهيا ، وعلما ثريا ، لا مجرد تسلية لا طائل منها .

والكاتب أو الشاعر الحقيقى المتمكن المبدع ، هو الذى يستطيع أن ينقل اليك تصوراته وخواطره ، ويبثك أحاسيسه ومشاعره ، ويملأ عقلك بما تتضمنه كتاباته المنثورة أو المنظومة على حد سواء .

والرافعى فى كتابه (وحى القلم) هو ذلك الكاتب القادر ، الساحر ، الذى يستحوذ على كل مشاعرك وحواسك ، ويحصرك فى عالمه الرحب البديع ، حتى اذا فرغت من القراءة ، شعرت بأنك قد عدت من رحلة ممتعة فى الأزمنة والأمكنة مزودا بما اكتسبت من معارف غالية ، وقيم عالية ، ومبادىء سامية ، تنير أمامك طريق الحياة الهانئة السعيدة ، كما خطها الدين بحكمته ، وكماله .

وقبل أن نرتاد هذا الكتاب ، ونجوس خلال مروجه ، أحب أن يكون فى معلوم القارىء الكريم ، أنى أردت أن أرصع مقالى هذا بفقرات ومقتطفات من الموضوعات التى أشير اليها ولكنى أحسست بأن ذلك يفقدها شيئا من روائها وبهائها ، كالذى تفقده الزهرة عندما تقطف من شجرتها ، فالمعانى فى موضوعاته متصلة ، يغذى بعضها البعض الآخر ، وتتساند أجزاؤها تساند البنيان المرصوص ، فهل يمكن أن نشاهد رونق القصر وعظمته فى لبنات أو بعض جدران منه منفصلة عنه ؟ لذلك ، فقد فضلت أن يكون مقالى عاطلا من النماذج والأمثلة ، وعلى خاطب الحسناء أن يشاهدها فى حمى دارها وهى ترفل فى الصون والجلال .

وقد آن الأوان للبدء فى الرحلة التى سبق الوعد بها فى كتاب (وحى القلم) لنمر بمعالمها مرورا عابرا ، يبدأ بقصته التاريخية (اليمامتان) التى وقعت أحداثها عند فتح مصر بقيادة (عمرو بن العاص) — رضى الله عنه — وتتلخص فى أسر (أرمانوسة) ابنة المقوقس ووصيفتها (مارية) والراهب (شطا) المرافق لهما مع الموكب والحاشية والحراس .

وفى المحاورات التى آجراها الرافعى بقلمه يرسم لنا صورة مشرقة ناطقة باهرة للاسلام وعظمته ، وسماحة المسلمين الفاتحين ، وسمو أخلاقهم ، ونبل أهدافهم ، كما يقدم وصفا دقيقا صادقا للصلاة — كما أرادها الاسلام — فى هيئتها ، وحقيقتها ، ومعانيها ، وأثرها فى أخلاق المسلمين ، وسلوكهم .

ولا بأس هنا فقط آن أورد فقرة مما كتب فى معنى الصلاة ، لتكون دليلا على عظمة الكاتب وأيضا دليلا على أن الكلام اذا اقتطف من موضوعه الكلى ، يفقد بعض روعته .

قال الرافعى : (ورجعت بنت المقوقس الى أبيها فى صحبة (قيس) ، فلما كانوا فى الطريق

وجبت الظهر ، فنزل قيس يصلى بمن معه ، والفتاتان — ارمانوسة ومارية — تنظران فلما صاحوا : « الله أكبر .. » ارتعش قلب مارية، وسألت الراهب (شطا) : ماذا يقولون ؟

قال : ان هذه كلمة يدخلون بها صلاتهم ، كأنما يخاطبون بها الزمن انهم الساعة فى وقت ليس منه ولا من دنياهم ، وكأنهم يعلنون أنهم بين يدى من هو أكبر من الوجود ، فاذا أعلنوا انصرافهم عن الوقت ونزاع الوقت وشهوات الوقت ، فذلك هو دخولهم فى الصلاة ، كأنهم يمحون الدنيا من النفس ساعة أو بعض ساعة ، ومحوها من أنفسهم هو ارتفاعهم بأنفسهم عليها ، انظرى ، ألا ترين هذه الكلمة قد سحرتهم سحرا فهم لا يلتفتون فى صلاتهم الى شىء ، وقد شملتهم السكينة ، ورجعوا غير من كانوا ، وخشعوا خشوع أعظم الفلاسفة فى تأملهم ؟ .

قالت مارية : ما أجمل هذه الفطرة الفلسفية، لقد تعبت الكتب لتجعل أهل الدنيا يستقرون ساعة فى سكينة الله عليهم فما أفلحت ، و ...

وهناك كلام وكلام ، ومقارنات ، وتنبؤات، عليك بها أيها القارىء .

ويبرز كاتبنا الكبير ما تفيض به قلوب المسلمين من الرحمة والشفقة حتى بالحيوان والطير كما يتجلى فى ابقاء فسطاط الأمير من غير هدم عند الرحيل عن المكان حتى يفرخ بيض اليمامة الذى باضته على الفسطاط .

ولا ينسى الرافعى الشاعر المرهف الحس أن يزف الى القارىء فى القصة ترجمة لطيفة لأحاسيس الفتيات ، ونبضات قلوب العذارى ، الى غير ذلك من خواطر وحكم ومواقف فى أسلوب أخاذ ، واستدراج بارع لتعميق المعانى والمعلومات فى ذهن القارىء ووجدانه .

***

والشيطان : ذلك المخلوق النارى العجيب ، والذى تعزى اليه ، والى وسوسته ألوان الشرور والآثام ، وأفظع المنكرات التى يرتكبها أفراد، وجماعات البشر ، والذى يصب عليه الصالحون والطالحون على السواء كل أنواع النقمة ، واللعنات ، ويستعيذون من كيده وشره بالله القدير جبار السموات والأرض ، فالناس يؤمنون بوجوده ، فالايمان بذلك جزء من العقيدة فى كل الأديان السماوية ، ولكنهم لا يعرفون ماهيته ، ولا هيئته الا تخيلا يختلف باختلاف العقليات ، ودرجات الثقافات ، ولا يدركون شيئا من حيله وخدعه ، لغواية الانسان ، وافساد الفطرة السليمة فيه، وأيضا لا يفطنون الى مداخله ومنافذه الى النفس البشرية ، ليتخذها مطية ذلولا الى أغراضه التى توعد بها ، ووقف نفسه عليها مدى الحياة الدنيا ، حقدا على الانسان وامعانا فى عصيان خالقه الحكيم الذى أنظره الى يوم البعث .

وقلم الرافعى العملاق الساحر يصول ويجول فى هذه القضية الشائكة ذات الأنحاء المتعددة ، والميادين الصاخبة ، فيبدع فى تصوير الشيطان أيما ابداع حتى ليجعلك تحس

بوجوده البغيض ، وتراه فى هيئاته البشعة ، وتسمعه بصوته المنكر ، وكأنما هو قد رآه رأى العين ، وخالطه أشد المخالطة .

ومن حيث لا ندرى يضع الرافعى يدك على مداخل الشيطان الى نفس الانسـان ، ويريك كيفية تسلله اليها ، وعمله فيها .

كل ذلك يملأ الكاتب القدير به نفسـك ، وفكرك ، ويقينك ، فى شكل قصص وحوار بين الشيطان نفسه ، وبين أحد الصالحين من عباد الله الذين حفظهم منه ، فلا سلطان له عليهم ، واقرأ ان شئت موضوعات (الزاهدان) ، (ابليس يعلم) ، (الدينار والدرهم) فى أحـاديث ابن مسكين ، ثم موضوع (الشيطان) .

والانتحار ـ قتل المرء نفسه ـ فعل أحمق سفيه لا يقع الا فى المجتمعات الوثنية ، أو الملحدة ، أو المادية المجدبة من النسـمات الروحانية ، والنفحات الربانيـة ، لذا فـان المجتمعات الاسلامية ، قد برئت منـه ، واستبشعته وأنكرته ، لايمانها بالله ، والقضاء والقدر ، وصبرها على البلاء فى الحياة الدنيا لتفوز بسعادة الابد فى دار الخلـود ، ولا يشذ عن ذلك الا أفراد ضعف ايمانهم ، وذهب يقينهم ، واختلت عقولهم ، فأقدموا على تلك الجريمة المنكرة الشنعاء (الانتحار) لذا فان الرافعى اليقظ الخبير ، والعالم البصير يمسك بكل أطراف هذا الموضوع الهام الحيوى دينيا ، واجتماعيا ، ويدبج فيه بقلمه الملهم ست مقالات من أبدع وأروع وأدق ما جاد به فكر ، وخطه قلم فى هذا الشأن .

وكاتبنا العظيم فى تناوله لتلك الموضوعات، وأشباهها ، أو القريبة منها ، ذات الاهميـة فى حياة الانسان ، لا يقف واعظا متشنجا ، يصم الآذان بصراخه ، ويلهب الجلـود والوجدان بسياط محفوظه ، وشواظ قوله ، ثم يذهب كل شىء أدراج الرياح ، ولكنه يتسلل فى خفة ، ورشاقة الى أعماق النفـوس ، ومراكز الاحساس والادراك بقصصه الشيقة الجذابة ، التى يسوقها قصة اثر قصة ، تنبع منها قصة ، تحمل فى أردانها البلسم الشافى ، والدواء الناجع لكل مصدور ، أو مجروح ، فلا يفرغ القارىء من قراءتها الا وقد أشرقت نفسه ، وانشرح صدره ، وانتعش وجدانه ، بما تحمله من غذاء روحى وعقلى ، واستروح بما تعبق به من عبير سماوى ، ينبعث من كتاب الله ، وسنة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، مترجما فى أعمال أولئك الصالحين الذين بعثوا الى الحياة أبطالا فى قصص الرافعى ، وقـد أجرى على ألسنتهم ما شاء له فكره الألمعى ، وعقيدته البيضاء الراسخة ، وفلسفته الصائبة للأمور ، والحياة ، والقيم الاسلامية السامية ، التى عرفها ، وذاق حلاوتها . هذا ، والبستان (وحى القلم) حافل بالخمائل الجميلـة ، والأيكات الظليلة .

فلقد تناولت ريشة الفنان : الرافعى (١) ، قضايا الحب العذرى العفيف ، وفتنة النساء ، والمال ، والسلطان ، التى تتضعضـع تحت طرقاتها ارادة الانسان ، وتنهـار مقاومته ،

←

(١) هى قلمه .

فيسلم نفسه لها ، لتستعبده ، وتهوى به فى مكان سحيق ، حيث شقاء الحياة والممات .

تحدث الرافعى فى ذلك حديثا مشرقا واعيا ، يأخذ بالألباب ، ويسيطر على المشاعر ، ويسمو بالفكر والوجدان الى آفاق الآيات القرآنية التى راح يستوحى معانيها فتتقاطر فى نفسك ، وعقلك ، ومشاعرك كأنداء الصباح فى فصل الربيع ، وذلك هو منهجه فى بسط ما يشرق فى خاطره من معانى بعض آيات القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة ، لأنه لا يهدف الى ملء الصحائف بما يكتب ، ولكن الى ملء العقول .

وحينما تطالع فى هـــذا الكتاب الجليل (قصة زواج وفلسفة مهر) أو (بنت الباشا) تجد أن الرافعى قد وضعك بقوة أمام حقائق الوجود ، والمال ، والجاه ، فتبصرهـــا فى حقيقتها ، وحجمها الصحيح ، الذى ضخمته ، وهولته فى أعين الناس الغفلة عن الحقـــائق والتهافت على مظاهر الدنيا ، فما تفرغ من القراءة ، الا وقد هانت فى عينيك الدنيـــا ، وشاهت بكل ما فيها من ذهب ونشـــب ، وسلطان ، ومتاع وملأت الحقيقة التى كانت قميئة كل آفاق نفسك ودنياك ، فهل يستطيع أى واعظ أو خطيب مفوه ان يصل الى روحك وفكرك ويفعل بك مثل ما يفعل الرافعى بقلمه فى هذا الكتاب الخالد (وحى القلم) ؟ .

***

وكاتبنا العملاق ناقد اجتماعى سياسى لماح ، يرصد المجتمع من حوله ــ بعينى صـــقر ــ ويتطرق الى جماعاته ، وأفراده ، فاحصـــا ، محللا ، ليقـــدم للقارىء نماذج من البشرية فتقف أمامها ، وأنت لا تدرى أتضحك منها ، ام تبكى عليها ، ساخرا أو مشفقا ، كما ترى فى مقالاته (المجنون) التى يصور فيها فى دقـــة ، وبراعة ذلك الذى يضع نفسه فى غير موضعه ، أو ذلك المخبول المجنون بالعظمة ، أو الذى يتطلع الى ما ليس له ، أو تأباه طبيعتـــه ومواهبه ، كما ترسم نموذجا آخر من البشرية، يحفظ ، ولا يفقه ، ويتحرك فى الحياة بتوجيه سواه ، كالسيارة ، لا تسير الا بقائد يوجهها الى حيث يريد ، وأيضا يبرز الكاتب فعل القوة الغاشمة الجاهلة من تنكيل بالقلة العاقلة من ذوى الرأى والفكر ، والمبـــادىء ، والقيم الرفيعة ، وسط أمة خانعة مستسلمة ترتضى الضيم والهوان ، كما ترى فى موضـــوعه (كفر الذبابة) الذى كتبه ، ونشره ابان سطوة الاستعمار الاجنبى وأذنابه من المواطنين ، مستخدما أسلوب الفيلسوف الهندى (بيدبا) فى كتاب (كليلة ودمنة) أبرع استخدام ، فى رشاقة ، وطرافة ــ ولذوعة أيضا .

وفى مقالتيه (حديث قطين ، وبين خروفين) بلغ غاية التهكم والسخرية بالقائمين على أمر التعليم اذ ذاك ، ويعرج على ما يوحى به الفداء ، ليتحدث عن مبتداه ومنتهاه وحكمته أو فلسفته بأفكار فى غاية العمق والادراك .

***

ويقف الرافعى الكاتب الشاعر ، المرهف الحس أمام بعض المآسى والفواجع ، التى تحل بالانسان فى رحلة الحياة ، خفاق القلب ، دامع العين ، جائش الوجدان ، فيجرى قلمه البليغ المطواع على الأوراق ، بما يستدر عصى الدمع ، ويشب لهيب الأسى والحزن ، مجسما أمامك معنى البلية ، ووقعها فى نفس المبتلى ، حتى اذا بلغ بك التأثر ، والشجى مداه ، وحال فى عينيك لون الحياة ، وصرت كأنك أنت المصاب صب عليك غيث العزاء ، فتصير النار بردا وسلاما ، وأخذ بيدك الى رحاب الرضا ، ومروج السكينة والاطمئنان ، وحول بمواعظه ، التى ليست وعظا ، النقمة الى نعمة وظلام اليأس ، الى ضياء الرجاء والأمل ، فيكون بذلك قد شخص الداء ، ووصف الدواء ، وبين فى جلاء كيف يكون الشقاء ، ولكى تلمس وتحس اقرأ موضوعات (عروس تزف الى قبرها) و (موت أم) و (قصة أب) و (رؤيا فى السماء) انها فلسفة الحياة والموت ، والأتراح والأفراح ، والابتلاء والعافية ، والمشاعر الانسانية ، وهل يجلى ذلك ويبسطه الا كاتب ألمعى ، نافذ البصيرة ، مرهف الاحساس كالرافعى . ؟

ومن أبدع ، وأروع ، وأجل ما ضمت أسفار ذلك الكتاب الذى لا يضارع ، ولا يجارى الموضوعات التى تناول فيها حقيقة الانسان ، وحقيقة النبوة والأنبياء والمرسلين من البشر ، وعن حكمة ما جاءت به الرسالة الخاتمة من تشريعات ، وفرائض ، وأحكام ، فيما دبجته براعته المؤمنة الواعية فى المناسبات كالهجرة النبوية ، والمولد الشريف ، وشهر الصيام ، والاسراء والمعراج الى غير ذلك مما يضيق به هذا البحث ، ويجعلنى أخصص له بحثا آخر ان امتد بى الأجل ، وقدر لى الله ذلك ، حتى أوفيه حقه ، وأقدره قدره ، مادمت قد تعرضت لذلك البحر الخضم .

***

والرافعى العربى الوفى لعروبته ، وأمته الاسلامية ، لا ينسى حقها عليه ، وعلى قلمه وكيف ينساها ، وهو فارس لغتها ، وترجمان فكرها ومبادئها ، وخادم كتابها الكونى العظيم: القرآن الكريم ، وسنة نبيها خاتم المرسلين الى الناس أجمعين ؟

كيف ينساها وهو الكريم ابن الكرام ، ربيب العلم والعلماء ، والصلاح والاصلاح والنضال والكفاح ؟ .

لم ينس ، ولم يتوان ويتمهل ، فها هو يكتب مخاطبا شباب العرب بكلام هو النار والنور ، هو اللهب والذهب ، هو التبصير والتحذير ، والايقاظ والاستنفار لتحذر وأنذر ، ولمح وصرح ، وتنبأ بالنتائج التى لم تكن فى عصره بظهور المقدمات التى لمحها فى الأفق ، فهل ينتظر من السحب المتراكمة الا البرق والرعد

←

والصواعق ؟ الا ، وانه قد حدث ، وقد كان ، ما نحن فيه الآن !! •

ولا أستطيع أن أترك هذه الناحية فى كتابه دون أن أورد بعض فقرات من موضـــــوع (يا شباب العرب) وان طال المقال •

قال ــ رحمه الله ــ : يقولون : ان فى شباب العرب شيخوخة الهمم والعزائم ، فالشبان يمتدون فى حياة الأمم وهم ينكمشون •

وان اللهو قد خف بهم حتى ثقلت عليهم حياة الجد ، فأهملوا الممكنـــــات ، فرجعت لهم كالمستحيلات •

ويقولون : ان الأمر العظيم عند شـــباب العرب ألا يحملوا أبدا تبعة أمر عظيـــــم • ويزعمون أن هذا الشباب قد تمت الألفة بينه وبين أغلاطه ، فحياته حياة هذه الاغلاط فيه •

وانه أبرع مقلد للغرب فى الرذائل خاصةً ، وبهذا جعله الغرب كالحيوان محصـــــورا فى طعامه وشرابه ولذاته •

ويزعمون أن الزجاجة من الخمر تعمـــل فى هذا الشرق المسكين عمل جندى أجنبى فاتح•

ثم يقول ــ طيب الله رمسه ــ :

يا شباب العرب من غيركم يكذب ما يقولون ويزعمون على هذا الشرق المسكين ؟

من غيركم يجعل النفوس قوانين صارمة ، تكون المادة الأولى فيها : قدرْنا لأننا أردنا ؟

الى أن يقول : يا شباب العرب : اجعلـــوا رسالتكم : اما أن يحيا الشرق عزيزا ، وامـــا أن تموتوا •

الى أن يقول : أيها الشرقى : ان الدينـــار الأجنبى فيه رصاصة مخبوءة ، وحقوقنا مقتولة بهذه الدنانير •

وهكذا يضع الرافعى الحقائق المرة أمام الشباب ، ويحفزهم ويستنفرهم فى حكمـــــة ولباقة •

وبعد •• فهل أحطت بهذا الكتاب الجليل ؟

ان الرافعى أبعد مدى ، وأغزر مادة ، وأعمق فلسفة من أن يحيط به وبانتاجه قلم ، ويغوص اليه ، ويلم به فى مقال أو عدة مقالات •

انه عالم حى رحب ، فيه أرض وسماء ، وبحار وأنهار وكواكب ونجوم ، وصـــــحو وغيوم ، ورياح وامطار ، وبروق ورعود ، وموت وحياة •

وقد مات الرافعى ، واختفى عن العيان ظله، ولكن بقيت آثاره وأفكاره معالم مضيئة ناطقة بأعلى وأعذب صوت تقول : هنا الفكـــــر والابداع ، هنا العطاء والامتاع ، هنا فيض الايمان واليقين بمبادىء الاسلام العظيـــم والقيم السامية الرفيعة •

حيا الله الرافعى ، وأمطره غيوث الرحمات ، وأسكنه وارف الجنات •

محمد عبد الرحمن صان الدين

من قضايا اللسان العربى

إمام النحاة وقضية الاستشهاد بالحديث

للأستاذ الدكتور
السيد رزق الطويل

تمهيد :

قضية الاستشهاد بالحديث الشريف فى الدراسات النحوية من القضايا الهامة على صعيد الدرس اللغوى ، وقد توفر عدد من الباحثين المعاصرين على دراسة هذه القضية فى محاولة لكشف جانب الحق فيها ، وسر ذلك أن الاستشهاد بالحديث ظهر بصورة واضحة ، وبرز الحديث الشريف بين الشواهد النحوية مع بداية القرن السابع مما أثار تساؤلات المحدثين ، وأوقعهم فى كثير من التناقض حول موقف نحاة القرون الستة الأولى ، وفى مقدمتهم إمام النحاة أبو بشر عمرو بن عثمان بن قُنْبر مولى بنى الحارث بن كعب ، والملقب بسيبويه ، والمتوفى ببلده فى فارس سنة ١٨٨ هـ وهو فى ريعان شبابه ؟ إذ حظيت الدراسات حول كتابه بقدر من التناقض حول موقفه من قضية الاستشهاد بالحديث الشريف .

وقبل أن أعالج موقف سيبويه من هذه القضية كما أتصور ، وحسبما هدانى إليه اجتهادى أريد أن أؤرخ بإيجاز لبداية البحث فيها ، والأوهام التى أحاطت بها ، وكيف انحلت هذه الأوهام تباعاً .

بداية البحث فى القضية .

عرضت هذه القضية على بساط البحث عندما أثارها أبو الحسن بن الضائع : على بن محمد بن على بن يوسف الكتّانى الإشبيلى ، المتوفى سنة ٦٨٦ هـ ، وأبو حيان الأندلسى صاحب البحر المحيط ، المتوفى سنة ٧٤٥ هـ وأعلنا عدم جواز الاستشهاد بالحديث ، وكان ذلك منهما بمثابة رد فعل لما أقدم عليه جماعة من النحاة أكثروا من الاستشهاد بالحديث منذ أوائل القرن السابع .

←

وهم ابن خروف الإشبيلى المتوفى سنة ٦١٠ هـ وهو أبو الحسن على بن محمد بن على الحضرمى .

ثم ابن مالك صاحب الألفية : أبو عبد الله محمد جمال الدين بن عبد الله الطائى ، المتوفى سنة ٦٧٢ هـ . الذى أكثر من الاستشهاد بالحديث حتى بلغت شواهده منه فى كتابه شرح الكافية الشافية ثمانية وسبعين حديثاً[1] وهو من المعنيين بالدراسة النحوية للحديث النبوى ، فله كتاب إعراب مشكل صحيح البخارى .

ثم ابن هشام الأنصارى المتوفى سنة ٧٦١ والذى وصفه ابن خلدون بأنه أنحى من سيبويه ، وقد أكثر من الاستشهاد بالحديث مثل ابن مالك حتى بلغت شواهده من الحديث فى كتابه مغنى اللبيب نحو ثمانية وسبعين حديثاً[2] ووقف ابن هشام هذا الموقف بالرغم من أنه سمع من أبى حيان المعارض لهذا الاتجاه ديوان زهير ، لكنه لم يلازمه ، ولم يقرأ عليه ، بل أمعن فى مخالفته ، ومعارضته ، والتعريض به أحياناً[3] ثم سار النحاة بعدهم على درب الاستشهاد حتى عصرنا الحاضر .

كيف ظهرت المعارضة ؟

حمل لواء المعارضة للاستشهاد كما أسلفنا النحوى الأندلسى ابن الضائع ، ذاكرا أسباب معارضته لهذا الاتجاه فى كتابه : شرح الجمل ، وكلام ابن الضائع نقله السيوطى فى كتابه : الاقتراح فى أصول النحو ، قال السيوطى : وقال أبو الحسن بن الضائع فى شرح الجمل : تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندى فى ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على اثبات اللغة بالحديث ، واعتمدوا فى ذلك على القرآن ، وصريح النقل عن العرب ، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى فى الحديث لكان الأولى فى إثبات فصيح اللفظ كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه أفصح العرب .. ثم يذكر السيوطى بعد ذلك قول ابن الضائع : « ابن خروف يستشهد بالحديث كثيراً ، فإن كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمروىّ فحسن ، وإن كان يرى أن من قبله قد أغفل شيئاً وجب عليه استدراكه ، فليس كما أرى » « الاقتراح للسيوطى صفحة ٥٤ » .

وأما أبو حيان تلميذ ابن الضائع الذى سار خلفه فى نهج المعارضة . فقد تعقب ابن مالك فى كتبه وقد أخذ عليه كثرة الاستشهاد بالحديث ، يقول أبو حيان : قد لهج هذا المصنف فى تصانيفه ـ يعنى ابن مالك ـ بالاستدلال بما وقع فى الحديث فى إثبات القواعد الكلية فى لسان العرب بما روى فيه ، وما رأيت أحداً من المتقدمين ، ولا المتأخرين سلك هذه الطريقة غير هذا الرجل ، على أن

(١) راجع فهارس شرح الكافية الشافية لابن مالك ـ الجزء الخامس ـ فهرس الحديث . مركز البحث العلمى بأم القرى .

(٢) مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب ـ تحقيق : مازن المبارك ـ محمد على حمد الله ـ دمشق ١٩٦٤ .

(٣) راجع فوح الشذا بمسالة كذا لابن هشام تحقيق د . أحمد مطلوب ـ بغداد سنة ١٩٦٣ وشرح شذور الذهب تحقيق محيى الدين سنة ١٩٥٧ القاهرة .

الواضعين الأولين لعلم النحو، المستقرئين الأحكام من لسان العرب، المستنبطين المقاييس كأبى عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، والخليل، وسيبويه من أئمة البصريين، وكمعاذ والكسائى، والفراء، وعلى بن المبارك الأحمر، وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك، وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين، وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس ».

ثم يقول أبو حيان معللاً معارضته لهذا الاتجاه: إنه بعد الحوار مع المتأخرين الأذكياء انتهى إلى أمرين:

أولهما: الرواة جوزوا النقل بالمعنى، وذكر عبارة سفيان الثورى: إن قلت لكم: إنى أحدثكم كما سمعت، فلا تصدقونى، إنما هو المعنى »

وآخرهما: وقع اللحن كثيراً فيما روى من الحديث؛ لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع، ولا تعلموا لسان العرب، لصناعة النحو، فوقع اللحن فى كلامهم وهم لا يعلمون ذلك.

وبعد أن بسط أبو حيان القول فى شرح السببين المشار إليهما قال: وإنما أمعنت فى الكلام فى هذه المسألة لئلا يقول مبتدىء: ما بال النحويين يستدلون بقول العرب وفيهم المسلم والكافر، ولا يستدلون بما روى فى الحديث بنقل العدول كالبخارى ومسلم وأضرابهما؟!! فقد طالع ما ذكرناه، وأدرك السبب الذى لأجله لم يستدل النحاة بالحديث »[٤]

وهنا أرى أبا حيان يختلف مع أستاذه ابن الضائع، إذ يرى الأستاذ أن بداية الإكثار كانت على يد ابن خروف بينما يرى التلميذ أن البداية كانت على يد ابن مالك

على أننى أرى أنهما كليهما لا ينفيان وقوع الاستشهاد بالحديث من نحاة القرون السابقة، لكن الذى دفعهما للمعارضة والتصدى لهذا الاتجاه هو إكثار ابن خروف منه، كما قال ابن الضائع، أو ابن مالك، كما قال أبو حيان.

والذى نستطيع أن نخلص إليه هو أن الاستشهاد بالحديث فى الدراسة النحوية تحول إلى قضية خلافية تباينت فيها وجهات النظر فى القرن السابع للهجرة، وقبل ذلك لم يكن أمر الاستشهاد بالحديث قضية مطروحة على صعيد الخلاف النحوى.

وبرغم أن الباحثين المعاصرين أثاروا القضية، وألقوا بوجهات نظر متعددة، لكن أهم هذه البحوث فى تقديرى هو بحث العلامة الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر الأسبق: « الاستشهاد بالحديث فى اللغة ». وذلك لأنه انتهى فيه إلى نتائج بناءة فيها حل حاسم وعادل للقضية، وعلى أساسه اتخذ مجمع اللغة العربية بالقاهرة قراراته فى

(٤) التذييل والتكميل فى شرح التسهيل مخطوط جـ ٥ صـ ١٦٩، وينظر الاقتراح صـ ٥٢ وما بعدها، والخزانة جـ ١ صـ ٤ ـ ٦.

الأحاديث التي يصح الاحتجاج بها فى علوم اللغة العربية .

ولى ملاحظتان على بحوث المعاصرين فى حديثهم عن القضية قبل القرن السادس الهجرى .

أولاهما : أن أى باحث يتصدى لدراسة شخصية فى هذه الفترة يحاول أن يثبت أسبقيتها لابن خروف فى الاستشهاد بالحديث، هذا إذا كان متأنياً . وقد يسرف فيعطى صاحبُ الأولوية المطلقة إن كان متعجلاً ، واصبحت هذه سمة الكثرة من الباحثين المعاصرين ..

والأخرى : هذا الوهم الذى وقعوا فيه ؛ إذ تصوروا أن الخلاف فى موضوع الاستشهاد بالحديث كان قضية مطروحة قبل القرن الخامس ، وأن هناك من العلماء من أجاز ، ومنهم من منع .

يقول الدكتور مهدى المخزومى : أما الحديث فلم يجوز اللغويون ، والنحاة الأولون كأبى عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر ، والخليل بن أحمد من البصريين ، والكسائى وهشام والفراء وغيرهم من الكوفيين الاستشهاد به فى النحو ، وحاكاهم المتأخرون من بغداد والأندلس إلا جماعة منهم فى مقدمتهم ابن مالك وأبو حيان »[٥]

وملاحظتى على هذا الكلام أن إقحام اللغويين غير دقيق ؛ لأن الاستشهاد بالحديث فى اللغة لم يكن موضع خلاف ، بل إن الدراسات اللغوية حول الحديث وغريبه كانت نشطة خصبة على امتداد القرون الأولى .

وأمر آخر بالغ العجب وهو وضع أبى حيان مع ابن مالك فى اتجاه الاستشهاد مع أنه من أشد من رفعوا لواء المعارضة ، وتعقب ابن مالك فى ذلك .

وأمر أخير ، وهو الأهم عبارة « لم يُجَوِّز » ، إذ الخلاف لم يكن قائماً حتى يقال بالإجازة ، أو المنع . ويأتى الدكتور عبد المنعم أحمد فى دراسته لابن الشجرى ومنهجه فى النحو ، ويتصور الخلاف فى هذه الفترة قائماً على قدم وساق حول الاستشهاد ، وأن هناك من يجيز ، وهناك من يرفض ؛ إذ قال : « أما فى مجال النحو فقد رفض النحاة الأولون الاحتجاج بالحديث »[٦].

مع أن فكرة الاستشهاد بالحديث لم يقل بها أحد من المتقدمين ، لكن التجاوز فى التعبير قد يأتى على لسان الباحث أو قلمه دون قصد .

والذين أثاروا القضية من نحاة القرن السابع أو القرن الثامن مثل ابن الضائع وأبى حيان لم يتحدثوا عن نحاة القرون الأولى إلا بأنهم « انصرفوا » عن الاستشهاد بالحديث ، أو « تركوا » ولم يقولوا : رفضوا ، أو منعوا ، أو لم يجيزوا مما يدل على دقتهم فى التعبير عما يريدون .

ولكى نبين حقيقة هذه القضية فى القرون الستة الأولى تخيرت شخصية إمام النحاة ،

---

(٥) مدرسة الكوفة ـ د . مهدى المخزومى صـ ٧٢ .

(٦) ابن الشجرى ومنهجه فى النحو . د . عبد المنعم أحمد التكريتى مطبعة الجامعة ـ بغداد صـ ٢١٦ .

دارسا موقفه منها على أسس علمية قويمة ، تبرز موقف النحاة الأوائل بعامة ، كما تكشف عما ينبغي أن يكون عليه التصور الإسلامى المعاصر لها .

هل احتج سيبويه بالحديث النبوى ؟

هناك وهم بدا فى كتابات بعض القدماء ، كما ظهر تبعا لذلك فى كتابات الباحثين المعاصرين ، وهو أن سيبويه لم يستشهد بالحديث النبوى !!!

ففى كلمات ابن الضائع وأبى حيان ما يفيد أن الأوائل لم يحتجوا بالحديث .

وأما المعاصرون :

فيقول الأستاذ على النجدى ناصف ـ رحمه الله ـ فى كتابه : سيبويه إمام النحاة « وأما شواهد الكتاب فقدر ضخم من القرآن الكريم وأشعار العرب ، وأرجازها ، يروى المؤلف بعضها ، وينسب الوجه فيها إلى أشياخه ، ويزجى بعضها الآخر من حفظه » .

[صـ ١٤١ من الكتاب المذكور]

ولم يشر المؤلف إلى الحديث الشريف من قريب أو من بعيد .

ويقول الشيخ محمد الطنطاوى ـ رحمه الله ـ وهو من الرواد الأوائل المعاصرين الذين كتبوا فى تاريخ النحو ، يقول فى كتابه : نشأة النحو ، وتاريخ أشهر النحاة : عُنِى سيبويه فى كتابه بالشواهد لتثبيت الأحكام والإذعان بها من القرآن الكريم ، ونثر العرب ، والشعر ، ولم يجنح إلى الاستدلال بالحديث الشريف شأن أسلافه ومعاصريه ، وذلك لانعدام الثقة فى نقل الحديث بلفظه الوارد عنه صلى الله عليه وسلم لتصريح العلماء بجواز الرواية بالمعنى » [صـ ٨٤ من الكتاب المذكور .]

والدكتور أحمد أحمد بدوى ـ رحمه الله ـ فى كتابه : سيبويه حياته وكتابه ، حدد الشواهد فى نوعين ، فقال : للكتاب مصدران من الشواهد ، هما : القرآن الكريم ، وكلام العرب ، وأشعارهم ، وأمثالهم ، وحِكَمُهم »

[صـ ٣٩ من الكتاب المذكور]

ولم يشر إلى استشهاده إلى الحديث الشريف بشىء .

ويقول الدكتور حسن عون ـ رحمه الله ـ فى كتابه : تطور الدرس النحوى : ليس فى الكتاب كله حديث من أحاديث الرسول .. هكذا بعبارة قاطعة لا ريب فيها . [راجع صـ ٤٥ من الكتاب المذكور .]

لكن الدكتور شوقى ضيف قرر أن سيبويه قد استن بمدرسته فى عدم الاستشهاد بالحديث ، فهو على ذلك متابِع (بكسر الباء) لا متابَع (بفتح الباء) [المدارس النحوية صـ ٨٠ .]

وأما الدكتور محمد عيد فيخالف الدكتور ضيف فى رأيه ، ويرى أن سيبويه فيما اتجه إليه من عدم الاستشهاد بالحديث صاحب قانون مطرد ، التزم به النحاة من بعده من غير مناقشة ولا نظر » .

[الرواية والاستشهاد فى اللغة صـ ٣٠]

بقى أن نقول : أهذه الأحكام والتصورات التى ذكرها القدماء والمحدثون تكشف بدقة عن موقف إمام النحاة من الاستشهاد بالحديث ؟ وإلى أى مدى ؟ وما وجه الحق فى هذه القضية ؟ وكيف دخل الوهم على هؤلاء الأعلام جميعاً .

الحديث موصول فى المقالات القادمة للإجابة عن هذه التساؤلات ، والله الموفق .

دكتور السيد رزق الطويل

الأدب المقارن

أزمة المنظور المتعارف عليه

٣

بعد أن أوجزت الحديث فى المقال السابق عن علاقات الآداب الأوروبية ؛ بعضها بالبعض الآخر ، وعلاقاتها بالآداب الشرقية ، وتكوين صورة للشرق بعيدة عن صورة الشرق الحقيقية فى آدابه إيجاباً أو سلباً ، نتجه الآن إلى (مَنْهَجَة) النظرة إلى هذه العلاقات ؛ التى اصطلح على تسميتها بـ « علم الأدب المقارن » . وسأتناول من ذلك بدايات العلم ، ثم نضجه .

ثانياً : علم الأدب المقارن !

المقصود بعلم الأدب المقارن هنا - بدقة - هو المنظور المنهجى ، (العلمى) ؛ أى الذى يبحث عن الحقيقة فى تأثر الآداب بعضها بالبعض الآخر ، أو تأثيرها فى هذا البعض .

فصفة (العلم) المقصود بها : التوجه الخالص إلى الحقيقة بحثاً عنها بمنهج مَعْرُوفَةٌ منطلقاتُه وتتابعاته المنطقية التى تؤدى إلى الحقيقة ، والتى هى نتيجة البحث ذاتها .

والمقصود بالعلم أيضاً : الصفة الطاردة للغرض ، كأن يكون تغاير الإطار الثقافى والدينى لموضوع المقارنة مانعاً من الوصول إلى الحقيقة ، بانحياز الباحث لثقافته وعقيدته ، وتعصبه ضد الثقافة والعقيدة المغايرة التى ينتمى إليها أحد طرفى المقارنة .

١ - بداية الدراسات المقارنة فى أوروبا ومنطلقاتها حتى خمسينيات القرن العشرين ..

بدأت الدراسات المقارنة فى أوروبا بهدف بيان تأثر الأدب اللاتينى بالأدب الإغريقى (اليونانى القديم) ، وكيف أن اللاتينية كانت طيلة خمسة قرون لغة فقيرة ، محدودة القدرة ؛ حتى إذا عرفت الأدب الإغريقى وقلدته بدأت تتحول إلى لغة ناهضة ، استطاعت أن تعبر عن الحياة فى صورة أدب ذى قيمة عالية كما يقرر الشاعر الناقد الفرنسى « دورا »[١] (١٥٠٨ - ١٥٨٨ م) .

---

(١) انظر : Henri Chumand : Histoire de la Pleiade, Vol . I,PP. 103 .

وشأن كل علم من العلوم كانت بداية علم الأدب المقارن فقيرة المنهج و « دورا » يريد أن يضرب هنا مثلاً على نهوض اللغات، باتصالها بلغات سبقتها في الثراء اللغوى، والقدرة التعبيرية، والتنوع الأدبى؛ وذلك حتى يحذو الفرنسيون في بداية نهضتهم اللغوية الحديثة حذو اللاتينيين؛ ولأن اللغة الإيطالية كانت أسبق اللغات الأوروبية الحديثة اكتمالاً لأدواتها، فإن الناقد الفرنسى « دى بلى » (١٥٢٢ - ١٥٦٠ م) في حماسه للغة الفرنسية يرى ضرورة إضافة الأدباء الإيطاليين المحدثين إلى من يجب قراءتهم في أصولهم اللغوية. ثم ينص على أن الترجمات لا تكفى وإنما يجب الاطلاع على هذه الآداب في أصولها اللغوية، لأن الترجمة لا تنقل الخصائص الأدبية كما هى في الأصل[٢].

ويعد هذا أول إشارة إلى الشروط العلمية للمقارنة في الأوساط العلمية الأوروبية. وبرغم معارضة « فيرى پلتييه » لهذا المنظور في الترجمة، حيث يرى أن الترجمة الموفقة خير من الابتكار غير الموفق[٣]؛ إلا أن قضية ضرورة معرفة الأصل اللغوى كشرط للمقارنة ما زالت أحد أسس علم الأدب المقارن الحديث..

ولقد استمر حال الدراسات المقارنة في القرن السادس عشر في إطار النشأة التى تخلو من البداية القوية، وتركز ذلك في كيفية محاكاة الآداب الأوروبية بعضها للبعض الآخر.

وفى القرن الثامن عشر اتجه العصر الكلاسيكى إلى التقنين ووضع القواعد للأدب ولأجناسه، ووضع حكمه على قيمة العمل الأدبى من خلال مدى اتباعه لتلك القواعد من عدمه، ولم يضيفوا كثيراً إلى الدراسات المقارنة. وبرغم اتساع مجال العلاقات الأدبية في أوروبا في القرن الثامن عشر، ووجود العوامل المهيئة لتأصل الدراسات المقارنة، إلا أن ذلك لم يحقق المرجو منه[٤]؛ فأكثر مؤرخى الأدب لم تتجاوز دراساتهم سرد حياة الأدباء، وعرض نصوص من مؤلفاتهم مع شرح الغامض من كلماتها، وبعض معانيها البلاغية[٥].

←

(٢) انظر: Du Bellay : Defense et Illustra tion de la Langue Francaise, I, V.

(٣) انظر المرجع السابق جـ ٢ صـ ١٠٥ وما بعدها.

(٤) انظر: Paul Van Tieghem : La Litt . Comp., P. 22

(٥) للاستزادة راجع: محمد غنيمى هلال: الأدب المقارن، ط ٣، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٢ م، صـ ٢٨ - ٣٠

الأدب المقارن

وفى القرن التاسع عشر كان الاتجاه* الرومانتيكى ثورة فى كل مناحى الفكر والأدب ؛ كنتيجة للتقدم الملحوظ فى النواحى الاجتماعية والبحوث المعملية لعلوم الطبيعة . وقد أثمر كل ذلك ميلاد « تاريخ الأدب الحديث » و « النقد الحديث » كعلمين هامين من علوم الأدب ؛ مما أثر فى نشأة « علم الأدب المقارن » وفى استكماله لأدواته المنهجية .

وقد مهدت دراسات النقاد الابتداعيين (الرومانتيكيين) - وأهمهم « ڤيلهلم شليجل » (١٧٤٦ ـ ١٨٤٥ م) ، ومدام دى ستال (١٧٦٦ ـ ١٨١٧ م) التى تأثرت بالفلاسفة وبالنقاد الألمان ـ الطريق لنهضة الأدب المقارن ، وذلك باهتمامهم بالتيارات الفكرية التى يرتكز عليها الأدب ، وهذه التيارات الفكرية والفلسفية من أهم فروع علم الأدب المقارن الحديث . ولقد ظهرت دراسات كثيرة ساعدت على ذيوع فكرة « علم الأدب المقارن » فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ؛ إلا أن هذا العلم لم تكتمل أدواته إلا على يدى العالم الفرنسى « جوزيف تكست » فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وهو « يعد حقاً أباً للأدب المقارن الحديث »[٦] كما يرى غنيمى هلال . وتبع ذلك مجموعة من العلماء الذين أسسوا ما يسمى الآن « بالمدرسة الفرنسية فى الأدب المقارن » منهم « فردينان بالدنسبيرچيه » و « بول فان تيجم » و « جون مارى كاديه » المتوفى عام (١٩٥٤ م) وهو أستاذ الدكتور محمد غنيمى هلال الذى أعطى علم الأدب المقارن مكانته بين علوم الأدب العربى الأخرى .

وبجهود هؤلاء العلماء استكمل علم الأدب المقارن أدواته المنهجية ، واستقل بذلك عن كل من « تاريخ الأدب » و « النقد الأدبى » ، ولكنه بقى يستفيد من نتائجهما ويستفيدان من نتائجه .

بقى أن أقرر أن جهود العلماء الفرسيين وإن كانت أشهر من جهود غيرهم فى هذا الميدان ؛ لكنها ليست الجهود الوحيدة فالعلماء الألمان والأمريكان وغيرهم من أمثال « يوليوس بيترسون » و « ڤرتز شتريخ » و « رينيه ويلك » و « ماكس ڤيرلى » أسهموا بجهود مشكورة فى نشأة هذا العلم ، وفى نضوجه فى الخمسينيات من هذا القرن العشرين . وحتى تشعبه إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية .

---

* نقصد به الاتجاه الابتداعى (الرومانتيكى)
وقد سبق ـ فى العدد الماضى ـ رمضان ١٤٠٨ ص (١٢٤٥)
أن وردت العبارة « عندما ظهر الاتجاه الاتباعى الرومانتيكى »
وصحة العبارة .. الاتجاه الابتداعى الرومانتيكى .. الكاتب .

(٦) المرجع السابق صـ ٧٥ .

٢ ـ نضج علم الأدب المقارن وتشعب منهجه إلى ثلاثة اتجاهات علمية :

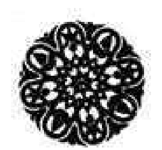
أ ـ المدرسة الفرنسية : يرى العلماء الفرنسيون أن مقارنة أدب بأدب آخر مع شرط وجود الصلة التاريخية الثابتة وثائقياً هى ميدان الأدب المقارن .

أما مقارنة أكثر من أدبين ، أو عدم ثبوت الصلة وثائقياً لموضوع المقارنة ، فلا يدخلون مثل هذه البحوث فى الأدب المقارن ، وإنما فى ميدان « الأدب العام » . ويتشدد « كارييه » فى أن البحث فى الأدب المقارن يجب أن يبتعد حتى عن تناول التأثيرات المتبادلة ، كما يشكون فى نتائج بحوث أوجه التشابه أو التوافق بين أدبين(٧) .

وقد نتج عن ذلك أن العلماء الفرنسيين فى إطار تطبيق المنهج قد انشغلوا بالحقائق الثابتة وثائقياً ، والتى لم تكن أكثر من سيرة حياة الأدباء ، وما يدور حولها من وثائق ، وتركوا الأعمال الأدبية موضوع البحث جانباً .

ولقد دفعهم إلى ذلك ـ فى تصورى ـ خوفهم من انفلات ضوابط العلم الناشىء ، وضرورة الابتعاد به عن الموضوعات السطحية ، وعن خطورة الموضوعات السهلة ، والموضوعات الغيبية (الميتافيزيقيا) وما يحيط بها من عدم الدقة لديهم ولذلك ابتعدوا عن القضية التوفيقية لموضوعات الآداب الأوروبية دون حاجة إلى توثيق باستثناء « فان تيجم »(٨) .

(يتبــع)



(٧) انظر : Carre, J. Marie : La Lit. Comp. d . in :. Annales du Centre Universi taire Mediterraneen 3 (1951), P. 69-77.

(٨) انظر : Ruediger, H : Komparatistik. 1973,S. 12 .



فضيلة الشيخ/ عبدالله المشد

الغش العلنى لماذا ينتشر؟

إن سبب مايحدث هو أن القوانين الموجودة غير كافية لردع المجرمين ، ولو كانت هذه القوانين موضوعة بما يتفق مع الإسلام لما أقدم أحد على مثل هذه الجرائم .. والدعوة والعظة وحدها لا تكفى مالم تكن مقترنة بسلطة وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .. فالدعوة والعظة وحدها مجردة من القوانين العادلة . وتنفيذ تلك القوانين لا يؤدى إلى حفظ أرواح وصحة الناس .

الدكتور/ عبد الصبور مرزوق

مسابقات ملكات الجمال مفسدة للمرأة

إن من ينظم مثل هذه المهرجانات خائن لبلاده لأنه يعمل على أن تفقد المرأة حياءها .. ومن ناحية أخرى لا يمكن لامرأة عاقلة أن تعرض نفسها على رجال يفحصون أجزاء جسمها وبطريقة علنية أمام جمهور غفير .

للأستاذ: على كوهيه

الحرب ضد التصحر والنحر

حين تزحف الصحراء لتهاجم المناطق الخضراء وتقضى عليها ، وحين تزحف مياه البحر إلى اليابسة وشيئا فشيئا تقضى عليها .. إنهما ظاهرتان ... عرفتا بـ« التصحر » للأولى و« النحر » للثانية وقد نجح كثير من البلاد فى معالجة هاتين الظاهرتين الخطيرتين ، ومن التجارب الناجحة : التجربة الجزائرية ، حيث جُنِّدَ الشباب فى السبعينيات فقاموا بزراعة حزام أخضر يمتد على طول مايزيد على ألف كيلو متر على مشارف الصحراء وعلى أطراف هضبة الأطلس لوقاية المناطق الخضراء من زحف الصحراء . هذه الحرب شنها شباب الخدمة الوطنية لحماية بلادهم من خطرى التصحر والنحر .

ومما لاشك فيه أننا بحاجة إلى خوض مثل هذه التجربة الناجحة فى الشاطىء الشمالى الذى يمتد من (رفح) حتى (السلوم) ، وعلى ضفتى الوادى من (بحيرة ناصر) حتى أقصى الشمال .



إعداد: عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعى خفاجه

للأستاذ/ جمال بدوى

قطايف

لأمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه نصيحة غالية لو تدبرها (المتزلفون) لحفظوا ماء وجوههم ، ولترفعوا عن إهانة أنفسهم مهما كانت المنافع المادية التى يتطلعون إليها ، يقول الإمام علىّ كرم الله وجهه : « لاتَشَعَ بقدمك إلى من يراك دونه فتصغر فى عينه ، واجعل انقطاعك عنه فى مقابلة كبريائه .. فإن عزة النفس تضاهى حياة الملوك » .

دم احتياطى للاستخدام الشخصى

فى دراسة طبية بريطانية أعلن عنها مؤخراً يشجع المسئولون الطبيون المرضى الذين ستجرى لهم عمليات جراحية أن يتبرع لنفسه بالدم قبل إجراء العملية بخمسة أسابيع حتى يمكن أن ينقل إليه دمه شخصيا إذا احتاج الأمر إلى ذلك بعد العملية وذلك بعد أن اكتشفت سلالة أخرى من (فيروس الإيدز) لا تظهر فى صورة الدم وقد تم استعمال هذا الأسلوب فى (١٣٧) حالة ببريطانيا احتاج فيها المرضى إلى حوالى ٣ (جالونات) من الدم بعد إجراء الجراحات .

وبالإضافة إلى الأمان الذى توفره هذه الطريقة ضد مرض (الإيدز) فإنها تقلل من نفقات الجراحة بتوفير ثمن الدم الذى يحتاجه المريض .

للأستاذ/ جمال بدوى

قاب قوسين

بم نفسر إقبال الناس على (إخراج الزكاة) وإحجامهم عن دفع (أموال الضرائب) ؟

إن المواطن فى حال (الزكاة) يعرف أين تذهب أمواله، أما فى (حال الضرائب) فهو لايعرف ، وإذا عرف فهو لا يملك القدرة على إبداء الرأى .... لذلك يتهرب الناس من الضرائب ، ويقبلون طواعية على إخراج زكاة أموالهم ...

للأستاذ/ مصطفى شردى

عتاب إلى الأشقاء فى المملكة المغربية

رأيت فى التليفزيون الأمريكى واحداً من تلك الأفلام الخبيثة التى تسىء إلى العرب أبلغ إساءة وقد آلمنى كثيراً أن اسم (الفيلم) هو



من غير ما نشر

« جوهرة فى النيل » ، وأن مشاهده الرديئة صورت فى المغرب .

ولو أن الأمر اقتصر على اتهام أبناء النيل بالبلاهة والغباء لقلنا:إن عديداً من الأفلام الرديئة المماثلة تم تصويرها وإخراجها من قبل وفى المملكة العربية المغربية . غير أن الإساءة هذه المرة امتدت إلى العقيدة الإسلامية،وإلى مدى عمق الإيمان بالله لدى أبناء وادى النيل ، فإذا بنا نرى شعبا يغير ويبدل من دينه ومعتقداته ، حتى أنه يعبد كل من يقول عن نفسه إنه (إله) ...

إن تدين الفلاح المصرى البسيط وأصالة تمسكه بالإسلام كان الصخرة التى تحطمت عليها موجات المد الشيوعى .

إن صدق إيمان المصريين والسودانيين ، منع المبادىء التى تنكر وجود الله تعالى من اجتياح نصف أبناء الأمة العربية ، وبالتالى حمى النصف الآخر من ذلك الخطر .

السفير / بهى الدين الرشيدى

المفهوم المصرى .. الاسرائيلى للسلام

يخطىء حكام إسرائيل وهم يظنون أن صوتهم هو الأعلى دائماً ، وأن كلمتهم هى النافذة دون نقض أو إبرام ، الزمن يمضى والأفكار والأوضاع تتطور ولكنهم يتصورون دائما أن اليد الطولى بالمنطقة لهم دون غيرهم ، معتمدين على حليفتهم الكبرى ..

ولكن لكل شىء حدودا ولا يقبل الأب أن يتمادى طفله المدلل فيما يجلب عليه الضرر والمشكلات كل حين .

والحق أن مفهوم إسرائيل لـ« كامب ديفيد » وممارستها المتكررة يوماً بعد يوم تبرز من جديد ما أعلنته مصر أكثر من مرة على لسان مسئوليها من أن (كامب ديفيد) مرحلة انتهت وقد حجمتها مصر منذ بداية حكم الرئيس مبارك وتجاوزتها حاليا .

للأستاذ / مصطفى أمين

فكـــرة

ليست هذه مصر التى نعرفها ، التى كانت تمشى وكأنها تجرى . لم نكن نجد مصريا واحدا يريد أن يهاجر ، أما اليوم فقد أصبحت الهجرة حلم أغلب الشباب . حتى الفلاح المصرى أرغمناه على الهروب عندما تركناه فريسة للجمعيات التعاونية وعندما اشترينا محصوله بأبخس الأثمان وعندما حولناه من (منتج) إلى (مستهلك) .

وغرقنا لآذاننا فى الحفلات والاستقبالات ننفق عليها الملايين ونحن فى حاجة إلى ثمن الرغيف . كل هذا فى حاجة إلى تغيير وإلى نوبة (صحيـان) يتحول فيهـا الشعب من (متفرج) إلى (شريك) ويخرج من هذا الإضراب الصامت الذى لا ذنب له فيه .

أنباء وآراء

إعداد : د. عبد الرحيم السايح

شيخ الأزهر يدعو الى اعادة تحقيق كتب السيرة

دعا فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الدارسين بالأزهر إلى إعادة تحقيق كتب السيرة والسنة والتراجم لتنقيتها من الإسرائيليات التى دخلت عليها . جاء ذلك خلال الاحتفال الذى أقامه قسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية مؤخراً بمناسبة عيده الخمسين .

وأكد شيخ الأزهر على ضرورة الاهتمام بعظماء الإسلام ، وتسجيل مواقفهم الرشيدة ، وتاريخهم العظيم . كما دعا المؤرخين إلى دراسة ومعالجة التاريخ من منظور إسلامى .

الأزهر ينظم دورة تدريبية للدعاة والأئمة الوافدين

تنظم اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر فى أول سبتمبر القادم الدورة التدريبية التاسعة والعاشرة لتدريب الدعاة والأئمة الوافدين من العالم الإسلامى .

يشارك فى الدورة التى تستمر ثلاثة اشهر ما يقرب من مائة داعية من اربع عشرة دولة إسلامية منها : الجزائر ، واليمن ، ونيجيريا ، ومالاوى ، وسيراليون ، وتنزانيا ، وچيبوتى ، وموريشيوس ، واندونسيا ، وسنغافورة ، وافغانستان ، وماليزيا ، وزيمبابوى .

صرح فضيلة الدكتور عبد الودود شلبى الأمين العام للدعوة الإسلامية بالأزهر ان الأزهر يعقد هذه الدورة انطلاقاً من دوره الرائد فى نشر الوعى الإسلامى فى البلاد الإسلامية وتبصيرهم بالتحديات التى تواجه العالم الإسلامى .

تطوير مناهج التعليم الأزهري

بناء على توجيهات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى اللقاء الموسع مع مديرى مناطق التعليم بالأزهر . أصدر فضيلة الدكتور رءوف

أنبـاء وآراء

شلبى وكيل الأزهر قراراً بتشكيل لجنة عامة للنظر فى تطوير مناهج التعليم الأزهري بما يحقق للأزهر ذاتيته ، حفاظاً على القرآن الكريم والتراث ، وتتكون اللجنة من المسئولين عن التعليم بالأزهر فى مراحله المختلفة ، وخبراء من كليات التربية .

وينبثق عن اللجنة العامة أربع لجان فرعية : لجنة للتعليم الابتدائى ، ولجنة للإعدادى ، ولجنة للثانوى ، ولجنة للقبول بمعاهد القراءات والمعلمين .

فهرس المخطوطات بمكتبة الأزهر

لا صحة لما نشرته بعض الصحف والمجلات عن مباحثات بين الأزهر وإحدى جمعيات إحياء التراث الإسلامى بصدد إكمال طباعة فهرس المكتبة الأزهرية .

تشكيل مجلس للافتاء بالسودان

أعلن مصدر سودانى مسئول : إن مجلس رأس الدولة السودانى قرر تشكيل مجلس للإفتاء بالسودان .

وذكرت وكالة الأنباء السودانية التى أذاعت النبأ : أن مجلس الإفتاء الجديد مكون من خمسة أعضاء من كبار العلماء . ومهمة المجلس الجديد إصدار الفتاوى التى تنظم حياة وشئون المسلمين فى السودان ، والبت فى القضايا الإسلامية المثيرة للجدل فى الوقت الراهن .

شرطة (بروكلين) تشيد بتعاون أبناء الجالية الاسلامية

ذكرت مجلة نيوزويك الأمريكية أن شرطة مقاطعة بروكلين التابعة لولاية نيويورك ، أشادت بالدور الذى قام به أبناء الجالية الإسلامية فى المقاطعة بالتعاون مع أجهزة الأمن لمجابهة نشاط عصابات المخدرات . وقالت المجلة : إن شرطة بروكلين أهابت بالمواطنين الأمريكيين أن يحذوا حذو أبناء الجالية الإسلامية فى القيام بدور إيجابى لمساعدة البوليس فى القضاء على نشاط هذه العصابات الإجرامية التى تهدد مئات المدن فى مختلف الولايات المتحدة . وأوضحت مجلة « نيوزويك » أن أبناء الجالية الإسلامية الذين يعيشون بالقرب من (مسجد التقوى) قد نجحوا فى تكوين دوريات أمنية لحفظ الأمن داخل بروكلين بالتعاون مع أجهزة الشرطة المحلية . وقالت المجلة : إن دوريات شباب الجالية الإسلامية تقوم أولاً بإسداء النصح إلى أفراد عصابات المخدرات والمواطنين الذين يتعاملون معها .

مؤتمر اسلامى عن الدعوة

عقد فى العاصمة الباكستانية بإسلام أباد فى النصف الأول من شعبان ١٤٠٨ هـ مؤتمر إسلامى ضخم تحت عنوان : الإسلام والحاجة إلى التعبئة الدولية من أجل السلام » الذى أعدته منظمة المؤتمر الإسلامى . وافتتحه الرئيس الباكستانى محمد ضياء

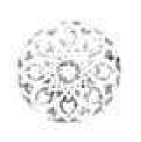
الحق وحضره عدد كبير من سفراء الدول الإسلامية فى باكستان . وذكرت مصادر المؤتمر الذى شارك فيه حشد كبير من علماء الأمة الإسلامية : أنه بحث القضايا الإسلامية المعاصرة التى تمثل تحديات للعالم الإسلامى ، وتحد من قدرته على النهوض والرقى ، وسبل حل هذه القضايا ، وأكد المشاركون فى المؤتمر على أن السلام من مطالب الإسلام وأصل من أصوله ، لأن هذا الدين قام على إحقاق الحق ، وتطبيق العدل ، ونبذ الباطل وتجنب الظلم والعدوان فى جميع صوره وأشكاله . وأشاروا إلى أن من خصائص الرسالة الإسلامية أنها تدعو إلى التضامن والتعاون والمحبة . كما اهتم الإسلام بتحقيق السلام بين بنى الإنسان باعتباره خليفة الله على أرضه ، وأوجب الله على الأمة الإسلامية الدعوة إلى السلام والنهى عن الظلم والعدوان .

أول رواية عن المسلمين تصدر فى الصين

صدرت عن الدار الشعبية لنشر الأدب فى الصين ، أول رواية قصصية فى الصين ، تتناول عادات ، وتقاليد حياة المسلمين الصينيين .. تضم الرواية التى كتبها الروائى المسلم « تشاشون » تحت عنوان : « أبناء المسلمين وبناتهم » معلومات عن تاريخ المسلمين فى الصين ، وتقاليد المسلمين فى الزواج والتربية ، ومختلف النواحى الاجتماعية الأخرى . كما تتعرض الرواية للمشاكل التى يواجهها الشباب المسلم فى الصين .

الاسلام دين الدولة الرسمى

يستعرض البرلمان البنجلاديشى قانوناً يجعل الإسلام دين الدولة الرسمى . كما تقرر أن يناقش البرلمان قوانين تم تعديلها لتتمشى مع أحكام الشريعة الإسلامية .



الفهـــرس

84. The OWNER OF SOVEREIGNTY **Malik Al Mulk** مالك الملك

All are His subjects, and His is the Kingdom of Heavens and Earth and what exists in between. He executes His Will on all beings. He gives them life or takes it away as He disposes. His Sovereignty inspires His Supremacy and His Omnipotence over all.

85. The AUGUST AND LIBERAL Zi Al Gallal Wa Al Ikram
ذو الجلال والاكرام

Augustness and Perfection are to Him Alone; Charity and Liberality are radiant over all only by virtue of His Own Grace. Augustness is His due, and Liberality is effused freely on His beings.

86. The EQUITABLE Al Mouqset المقسط

He vindicates the oppressed against the unjust. He exacts Equity in His judgements.

87. The CONGREGATOR Al Gamai الجامع

His creations show matching as well as contrasting characteristics, but nevertheless congruous to His Divine Dispensations of an infallible, integral and coherent order prevading His Kingdom.

88. The ABSOLUTE Al Ghanii الغني

No relation whatsoever exists between His Entity and other creatures or beings, and between His Attributes and other ungodly traits. He is Concecrated, not to have any wantage for needs and necessities.

****

(Original Publication by Mr. Muhammad Abd El Meguid El Zimaity)



THE MOST MAGNIFICENT NAMES OF ALLAH

Collected and Reproduced By :
Mrs. Fatimah Muhammed Sirry

AND ALLAH HAS THE MOST MAGNIFICENT NAMES

SO INVOKE HIM BY THEM

81. The AVENGER **Al Montaqim** المنتقــم

He avenges Himself upon those who do not heed His Repeated Warnings and Redemptions. His Vengeance can be great, but is intended only against the unjust, the despotic and the oppressive after offering reprieve and grace several times.

82. The OFT-PARDONING **Al Ghafour** الغفـــور

He not only remits sins, but also pardons many times over. In Arabic etymology, the root word implies "expunction", which in this sense carries more meaning than the act of "covering" or "shielding".

83. The RUTHFUL **Al Raouf** الـــرؤوف

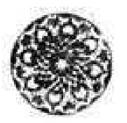
He disposes to confer Benefaction to everybody, and grants Mercifulness to its most extreme.

In comparison with (3 - The Compassionate), this Latter Attribute tends to ward off the harm in its disposition to show Tender Pity coupled with Mercy or Charity and a design to aid or to spare.

→




The author's suggestion that "free closed-door sessions should be held between senior Islamic scholars to discuss and debate this matter of very great concern to Muslims" is well taken. If he wishes to be one of those "Islamic scholars" he is welcome not only to a closed-door debate but also to an open-door discussion.



hadith can lead ultimately to the rejectión of the Qur'an." He must know how many times the Qur'an commands obedience of the Messenger of Allah, and sates : "Whoever obeys the Messenger obeys Allah." 4 : 80. The Qur'an also orders; "Whatever the Messenger gives you, take it and follow it, and whatever he forbids you to do, you must avoid." 59 : 7. So, to deny the authority of the hadith is obviously a challenge to the Qur'anic commands and a rejection of Al-Qur'an's own authority. It also amounts to accusing the Prophet of failure to undertake his obligation to explain the Qur'an as it is stated in 16 : 44.

The author is at his best when he finally concedes to the existence of the Prophetic hadith, contrary to his earlier ardent denial, making a distinction between "two types of hadith or message: The divine and the human hadith. "Hadith is human, since its words belong to the Prophet, but the source of its content, its teaching and wisdom is WAHY, "Revelation", 53 : 3-4. But, the author misinterprets the Qur'anic use of the word hadith in its ordinary sense "speech", claiming: "On the authority of the Qur'an, the divine hadith is (only) the Qur'an,"giving the references to verses in which the word supposedly occurs, causing much confusion (The term used to denote speech is qawl not hadith). This is an arbitrary and unjustifiable limitation. The Qur'anic use of a word in its general sense does not prevent its adoption as a special term denoting something else, like the word hadith which was coined and used to mean the heritage of the Prophet's wisdom. There are many such Qur'anic words used as special terms in several sciences such as fiqh a kin derivative of which occurs in the Qur'anic verse 17 : 44 denoting "understanding", but is used elsewhere as a term meaning "The Study of the Shari'a Law". Similarly, there are Arabic grammatical terms meaning: verb, subject, direct object and a particle, used in their ordinary meaning in the Qur'anic verses: 21 : 73, 21 : 17, 4 : 47 and 22 : 11 respectively. The word hadith is employed in the Qur'anic verse 31 : 6 denoting "idle" speech. How can we claim that the Qur'anic use of the term hadith refers to the Qur'an only ?

It is up to the author to evaluate his mentor's translation .of the Qur'an which is in fact faulty and blasphemous. He may read, if he wishes, its criticism in: "An Appraisal of False, Misleading and Mimical Interpretation of the Qur'an, Islamic Research Institute, Islamabad. Before asserting that it is : "the most accurate translation of the scripture in English so far"•one has to make sure that his knowledge of the language of the original is really adequate.

→

←

mentioned, knew the hadith better than we do, because they learned them from the Prophet at first hand. The author may be reminded of the well-known argument between Abu Bakr and Omar when the former, as Caliph and Head of State, decided to put down the rebellion of the Arabs who refused to pay the Zakat on the pretext that its payment was only to be made to the Prophet who had just died. Omar quoted the Prophet's following words to Abu Bakr:

> "I am commanded to fight people till they submit to the word of shahadah. If they do, they protect their blood and property".

To which, Abu Bakr retorted:

> "Do you not recall that the Prophet added: "Except for the duties and obligations arising from commitment to it"

Omar then yielded to the Caliph's decision, and the rebellion known as the Riddah Movement was put down in six months, after which the hero of these wars, Khalid Ibn Al-Walid, was directed towards Mesopotamia and Syria to defend the boundaries of Islam against Persian and Roman incursions. The outcome of these hostilities was an amazing expansion of the State.

The argument between Abu Bakr and Omar was based on some of the Prophet' words, which is an instance of the hadith. Many similar cases demonstrating the knowledge and use of the hadith by those Caliphs could be easily quoted. All these events are historical truths. Yet, some may wish to arbitrarily create their own imaginary fictions like the author's and his mentor's daring lies that those Caliphs and early Muslims who died, as he says, 250 years before "Sunni hadith were collected knew practically nothing about hadith, much less followed it, "......" The good Muhammad was, of course, totally unaware and innonent of the voluminous hadith that was credit to him by his late followers."

In doing away with the need for the hadith in explaining details not given in the Qur'an, such as those connected with prayer, fasting, etc., the author, following his mischievious mentor's childish attempt to escape, says: "..... this was a practice handed down since the time of Ibrahim, according to the evidence of the Qur'an itself !" Where does the Qur'an, say that Ibrahim taught all these detail ? Unless you wish to violently misinterpret the words of the Qur'an and impose your mentor's fabricated claims.

The erudite author wonders: "How a rejection of the

increase the degree of the hadiths authenticity by repeating a hadith as many times as chains of authorities reaching the Prophet as they could find for it. Hence, a hadith can be repeated in various compilations and even within one compilation.

True history, even common sense, affirms that hadith existed simultaneously with the Qur'an throughout the 23-year era of the mission of the Prophet, peace blessings be upon him. To deny the existence of hadith till his death, is to deny that the Prophet, aside from transmitting the Qur'an, talked, walked, worked, travelled, stayed, worshipped and invited his contemporaries to accept Islam. He also argued with his adversaries, endured their persecution with dignity and patience, and prayed for their guidance. He led his followers in prayer, answered their questions, settled their disputes, and organized them in the defense of the Ummah. The records of all these and other activities of the Prophet - be they in words or in deeds - we call the Hadith.

To deny the existence of hadith at the time of the death of the Prophet, on the ground that there was then no written compilations of the hadith in circulation, even if we conceded this was so, denies the existence of the Qur'an itself, because until the death of the Prophet there was no single copy of the Qur'an at hand. It was only during the reign of the first Caliph, Abu Bakr, that the scattered pieces of the Qur'an were collected and put together, and it was only during the reign of the third Caliph, that this copy wad duplicated for circulation. Up until then Muslims depended largely on their memories, and the text of the Holy Qur'an. Like those of the hadith were kept in the breasts of men and circulated and taught by parents and teachers through the oral tradition. Even until quite recently, transmission of these sacred texts had to be authenticated orally in spite of the widespared copies of the Holy Qur'an and the huge compilations of Al-Hadith already in existence.

The author's conclusion that "Islam as God's approved religion for mankind, was completed at that point (the time of the Prophet's death), is true but used deceptively to conclude that if the authority of the hadith was an inherent part of the faith, "Muslims such as Abu Bakr, Khadijah, Omar, Uthman, Ali and thousands of others who knew practically nothing about the hadith, much less followed them, as outside the pale of Islam.

The author should learn that Abu Bakr and all those he

the Holy Quran. The Honourable Sunnah remains to be an indispensible source of authentic knowledge next to the Holy Quran; explaining, interpreting and rendering the Holy Revelation of the Quran practically applicable to human life.

On the grounds of such understanding, the following letter was sent to the Editor of Al-Azhar Magazine, who takes pride in publishing it. The article is published in its original text, with the ommission of the name of the author to whom the letter originally refers in reply to the serious and confusing errors published by that author. The original letter was sent to the Editor of the New Straits Times, Jalan Riong, Kuala Lampur with a copy to the Editor of Al-Azhar Magazine. The letter was written by Dr. Muhammad Abdul Rauf, Rector, International Islamic University, Kuala Lumpur - Malaysia.

The Editor

Dear Sir,

An article was published in your esteemed paper, March 10, 1988, in which the author responded to the call of a Muslim Theologian for banning certain heretical works. This article contains serious and confusing errors which have to be corrected.

The author outrageously claims that "at that time of the Prophet Muhammad's death only the Qur'an existed". He obviously implies that until that point hadith did not exist. Insinuating the claim that hadith was invented long afterwards. The author adds: "the so-called Six Sahih collections of hadith..... did not exist until more than 200 years later". He thus ignores scores of earlier hadith collections well-known even to modest scholars of Islam. These include the Sahifah of Abd Allah b. "Amr b. al-'as, a Companion of the Prophet, (d. 73 A.H.;) the sahifah of Hammam b. Munabbih, a second Muslim generation author born in 40 A.H.; the Majmu' of Imam Zaid, (d. 121 A.H.;) the Muwatta of Imam Malik, (d. 179 A.H.;) the Musannaf of Imam Abd Al-Razzak, (d. 211 A.H.;) and the Musnad of Imam b. Hanbal, (d. 253 A.H.) The last was among the teachers of Imam al-Bukhari, (d. 253 A.H.;) author of the first of the popular six collections mentioned alone by the author to imply that they were the earliest hadith complications. Imam Shafi'i described the Muwatta of Malik, a third Muslim generation famous jurist and founder of the Maliki School of Law, as the most authentic book after the Holy Qur'an.

It is to be borne in mind that these authors sought to

STATUS OF THE HONOURABLE SUNNAH

"LETTER TO THE EDITOR"

Recently, several Muslim Theologians have called on the authorities to prohibit certain publications that reject the honourable Hadith; on the grounds that such books could threaten the faith of some Muslims. Also, that the rejection of the honourable Hadith would ultimately lead to the rejection of the Holy Quran; as the Revelation from Allah to the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him).

In response to the wise cognizance on the part of Muslim Theologians to counteract such heretic trends, some unauthorized authors resorted to the launching of specious deceptive illusory body of publications, erroneously attacking the honourable Sunnah, and advocating its refutation.

It is very clear and fundamental without any shadow of doubt or vagueness in the mind of every Muslim that the honourable Sunnah is precisely optimized, and profoundly justified as a fundamental source of Islamic doctrines, Shariah, and teachings; next to the Holy Quran. Such an understanding does not originate from Muslim thought; such a doctrine originates from the text of the Holy Quran in several statements that amount to at least thrity five. In one Quranic statement ["He who obeys the Apostle, obeys Allah..." (Surat Al-Nissa, IV, 80)]. In another Quranic statement ["O ye who believe, obey Allah and His Apostle, and turn not away from him when ye hear (him speak)". (Surat Al-Anfal VIII, 20)].

The life of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) is taken by Muslims as an exact schooling and teachings of the doctrines, principles and legislations of

sharpness of animosity among the tribes and masses of these tribes from the east and north east of the peninsula returned willingly to Islam, complying with all doctrinal requirements and practicing the teachings of the faith. However, other masses remained repudiative and hostile to the Muslim authority at Al-Madinah; inspite of the defeat of Tulayhah and the sagacious pardon of Abu Bakre to everybody who returned into Islam. These masses from various tribes, Ghatafan, Sulaym, Hawazen, Fazarah and others shared a deep seated common hatred to Muslims and Muslim rule. They cannot tolerate to be under Muslim authority possibly because of old grudges, envy, or revenge in blood.

These militant apostate masses from Ghatafan, Sulaym, and Hawazen gathered around a woman of a strong personality called Um Zimle, Salma bint Malik. They took oath to support her, protect her, follow her and fight by her side against Muslims. That woman had sworn to avenge her mother whom the Muslims on some previous occasion had killed. The mother Um Qurfah had a camel which the daughter Um Zimle used. She was austere, of noble birth, authoritative and determined to fight Khalid ibn Al-Walid, to kill Muslims in revenge of her mother. She was joined by the lost, the destitute, and the stray; and was followed by the defeated tailings of the followers of Tulayhah. Her feminine courage motivated her followers to become more fierce in battle. She drove them against the forces of Khalid ibn Al Walid, not fearing death. For sometime, Khalid found strong and fierce resistance from his enemy. Khalid gave orders to slay the camel which she mounted as an emblem of leadership and strength. One hundred of her followers are said to have been killed before the camel was finally slain. She was also killed in the battle. Her followers diserted and escaped in various directions. By the end of this battle, the apostates and renegades in the north east of the peninsula had been subdued by the force of battle and the edge of the sword. The sword and military strategy and superiority was that of Khalid ibn Al-Walid on the battle ground. The mind and master planner was Abu Bakre at Al-Madinah.

Khalid ibn Al-Walid was to move from Al-Buzakhah to Al-Butah to be involved in yet another encounter on the path of Allah, and what is inscribed on the pages of fate, in Allah's knowledge is most certain to be witnessed.

they were leaving to support their people of Tayii against the Muslim forces. This was favourable to Tulayhah. Adii was the instrument by which the tribe of Tayii and their kins from Gadilah returned to the arena of Islam, and accepted the authority of Abu Bakre at Al-Madinah. Their withdrawal from the forces of Tulayhah certainly weakened these forces; but the adamant stuborn attitude of the tribal leaders around Tulayhah and the obstinacy of Uyainah ibn Hisn prevented any regression in mind of Tulayhah in the light of the new situation. Tulayhah and his forces were determined to fight the Muslim forces commanded by Khalid ibn Al-Walid.

Khalid ibn Al-Walid with his forces moved towards Al-Buzakhah to subdue the apostate tribes around Tulayhah the impostor. On his march towards Al-Buzakhah, groups from Bani Tayii joined the troops of Khalid, which added to the strength and determination of the Muslims. Khalid ibn Al-Walid attacked the consortium of tribes supporting Tulayhah; and as the heat of battle intensified, the tide of battle became in favour of Muslims. Uyainah ibn Hisn discovered that Tulayhah was an impostor and a fake fabricating what he claimed was a revelation. Uyainah called to his tribe of Bani Fazarah to depart, for Tulayhah was an impostor. Everyone ran away to save himself, and the followers of Tulayhah lost their ground, retreated and dispersed. Tulayhah himself mounted a horse, took his wife Al-Nawar and fled to Syria. There, he resided, and was guided back to Islam. Later, he joined Muslim troops striving in the path of Allah and fighting Persian forces.

Khalid ibn Al-Walid remained at Al-Buzakhah for one month to establish law and order, and to follow the residues of these tribes who remained apostates. Khalid subjected those who killed Muslims from their own tribes, to severe punishment and death. This policy was approved by Abu Bakre and wrote to Khalid to be very severe with those who killed the Muslims from amongst their own tribes. Abu Bakre, however, practiced more linient and moderate treatment of some renegade chieftains who were sent to Abu Bakre at Al-Madinah by Khalid.These chieftains included Uyainah ibn Hisn, Qurrah ibn Hubyrah, Alqamah ibn Ulathah, Abi Shajarah ibn Abd Al-Uzza and others. Only Al-Fajaah Ias ibn Abd Ya-Lil was ordered by Abu Bakre to be put to death and was thrown into a fire to burn; as punishment for his betrayal of Abu Bakre, and his deliberate killing and massacre of Muslims in the various tribes in violence and hatred.

Abu Bakre pardoned everybody who returned into Islam, a policy that was publicly declared. This policy blunted the

remained in Islam, and those who apostated and followed Tulayhah. The Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) ordered Dirar ibn Al-Azwar to confront the reverters from Bani Assad and subdue the thorn of false claims of the prophecy of Tulayhah. Before that happened, the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) died. This caused much dispute and uncertainty, and many of Bani Assad disclaimed Islam and blindly followed the false path of Tulayhah. They gathered around Tulayhah as a prophet from Bani Assad, in apposition to Abu Bakre representing the Islamic state at Al-Madinah. Tulayhah and his followers moved from Samirra to Al-Buzakhah as a better strategic position.

After Abu Bakre had defeated the tribes of Abs, Zubian and Bani Bakre at Zi Al-Qassah, the defeated tailings and run away groups from these tribes joined Bani Assad, and gathered around Tulayhah to support him against Abu Bakre and the Muslims. The wave of insurrection against the Muslim authority at Al-Madinah included also the tribes of Ghatafan, Tayii, Sulaym, and Bani Fazarah. Uyainah ibn Hisn of Bani Fazarah supported Tulayhah. The forces around Tulayhah were massive, supporting him as a prophet, and killing the Muslims among them who retained their Islam inspite of that crescendo of apostasy.

This consortium of tribes gathered around Tulayhah ready for armed confrontation with Muslim forces. They were supported by the sporadic groups of nomad bedouins living in the territory east of Al-Madinah and to the north east. They all repeated the words of Uyainah ibn Hisn "a prophet from Bani Assad is better for us than a prophet from Quraysh, and Muhammmad is dead but Tulayhah is alive". That territory was the nearest to Al-Madinah that declared insubordination, insurgence and even defiance to the Muslim authority. Abu Bakre had appointed Khalid ibn Al-Walid to command the Muslim army that was to confront and subdue Bani Assad and the tribes with them, and to put an end to the false deceptive claims of Tulayhah.

In a clever maneuver of strategy, Abu Bakre declared his intention of marching out at the head of an army to help Khalid ibn Al-Walid to confront the massive consortium of renegade tribes around Tulayhah at Al-Buzakhah. At the same time, Abu Bakre told Adii ibn Hatem Al-Tayii, who was present at Al-Madinah at the time, to go to his people of Bani Tayii and convince them to withdraw from the consortium of forces following Tulayhah. Adii ibn Hatem succeeded in convincing his people of Bani Tayii to resign from the support of Tulayhah and separate from his forces, under the pretext that




ABU BAKRE EL-SIDDIQ WAR AGAINST APOSTATES

PART II

TULAYHAH IBN KHUWAYLID AL-ASSADI

By : Dr. Anas Moustafa El Naggar, M.D., Ph.D.

The Muslim legions and worriors in the cause of Allah marched out of Zi Al-Qassah to their appointed destinations. They carried with them the referendum of Abu-Bakre to every man, woman and child that inhabited the Arab Peninsula. They carried with them the code of conduct, not to plunder, not to despoil, not to abuse; only to fight a war against imposters and apostates who disavowed the belief in Allah, and allegedly claimed prophethood. The worriors marched out dredging through the vastness of the desert, carrying within their hearts the reality of their faith, and within their minds the purpose and understanding of their mission, and within their souls the desire for martyrdom in the cause of Allah.

At Al-Madinah, Abu Bakre remained, the Khalifah of Rasul Allah, the head of state, the man upon whose shoulders was the burden, the load and the responsibility of the outcome of this massive campaign. Abu Bakre was the man who planned, organized, engineered, selected and put down in great detail the strategy of this widely spread policy of operations against very stubborn and strong enemy of the apostate tribes. These tribes denounced Islam as a faith and also rejected the authority of Al-Madinah. These tribes knew beyond doubt that Abu Bakre was to fight them, and for that particular cause they made every preparation. It was to be a conflict and confrontation between the forces of truth and the forces of iniquity.

Tulayhah ibn Khuwaylid Al-Assadii of Bani Assad was an impostor who alleged prophecy before the death of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him). Tulayhah claimed to receive a revelation from the heavens and composed sentences which were certainly unintelligent idiotic and obtuse. The tribe of Assad was divided into those who

→

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 60, Part X

Shawal, 1408, Hijrah

Editor - Dr. Anas Moustafa El - Naggar, M.D., Ph.D

CONTENTS

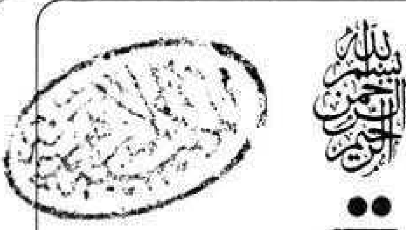
Preparation of the Prints by : Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION





بسم الله الرحمن الرحيم

ندوة وأحكام

فاما « الندوة » فقد جمعت لفيفا من العلماء يتقدمهم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وقد سجلها واذاعها بـ « صوت العرب » الأستاذ حلمى البلك فى نهاية الأسبوع الثانى من رمضان فى الواحدة وخمس وأربعين دقيقة من صباح الجمعة .

واما « الاحكام » فقد تعلقت بما اثير فى الندوة من موضوعات بدأت بمناقشة فى مضمون الإسراف وشُعَبِهِ ثم تطرقت إلى موضوعات شتى تناولت : حجم الترفيه فى العالم الثالث ، والترفيه والدين ، والرياضة الضائعة ، والفن والاغنية ، و« النكتة » يزج فيها باسم « الله » جل وعز ، والأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ، إلى سلبيات المجتمع ... وهل الأزهر الشريف مسئول عنها .

وتلك امور تدفع ـ بما فيها من احكام ـ خارج التقيد بالزمن لذا رات « مجلة الازهر » ان تقدمها على حلقتين آملة ان يجد فيها القارىء رؤية الازهر للأحداث ، وما لها من أحكام ، وإليكم الندوة ، وبالله التوفيق .

←



الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

الجزء الحادى عشر
السنة الستون
ذو القعدة ١٤٠٨ هـ
يونية ـ يولية ١٩٨٨



الأستاذ حلمى : أيها الأخوة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. مضيفنا اليوم هو فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق حيث نقضى هذه السهرة مع فضيلته وفى بيته ، وفضيلة الإمام الأكبر يستضيف فى هذه السهرة مجموعة من العلماء الأفاضل ، وبداية نرحب ، أو من المفترض أن يُرحب بنا ، لكننا كإذاعيين ، نرحب بفضيلة الإمام الأكبر وضيوفه فى هذه السهرة وندعو فضيلة الإمام الأكبر فى البداية إلى تقديم ضيوفه إلى المستمعين .

الإمام الأكبر : أهلا بكم وشكراً لكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، يسرنى أن يشارك فى هذا اللقاء فضيلة الشيخ « إبراهيم الدسوقى » وزير الأوقاف الأسبق ، وفضيلة الأستاذ الدكتور « رءوف شلبى » وكيل الأزهر ، وفضيلة الأستاذ الدكتور « عبد الفتاح بركة » الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، وفضيلة الدكتور الشيخ « على الخطيب » رئيس تحرير مجلة الأزهر .

الأستاذ حلمى : فضيلة الإمام الأكبر ، من طبيعة هذه السهرة أنها سهرة مفتوحة ، وفى خلال شهر رمضان ... شهر العبادة وشهر القرآن الكريم ، تحلو « الدردشة » والحديث فى الأمور الدينية ، وحبذا لو ربطنا أمور الدين بأمور الدنيا وكمنطلق لهذه السهرة - ونحن فى شهر رمضان المبارك - لى ملاحظة ، وأرجو من فضيلتكم الشرح والتعقيب :

اعتدنا فى شهر رمضان المبارك أن نسرف فى المآكل والمشرب وظاهرة الإسراف إذا كانت تبدو واضحة فى شهر رمضان هى أيضا ظاهرة ربما تعانى منها المجتمعات الإسلامية ، وبداية نود من فضيلة الإمام الأكبر أن يعلق على ظاهرة الإسراف فى المآكل والمشرب فى شهر رمضان المبارك .

الإمام الأكبر : بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد .. فإن الإسراف كعادة أمر ممقوت فى الإسلام والله - سبحانه - يقول فى خصوص الطعام والشراب ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾[1] وقال فى خصوص الاعتدال فى كل شىء ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[2] من هاتين الآيتين نأخذ أن الإسراف والإمساك كلاهما أمر غير مرغوب فيه ، بل هو أمر منهى عنه ، وإذا كنا صياما فإن الصوم بطبيعته يدعو إلى الاعتدال فهو من حيث واقعه : إمساك عن الطعام والشراب من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.وهذا العمل الواقعى يدعو ألا تثقل المعدة فيما بعد هذه الفترة ... فترة الصيام بالإكثار من الطعام أو من الشراب ؛ لأن المقصود من الصيام والهدف منه : تقوى الله كما قال سبحانه ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[3] وأعتقد أن هذا الهدف الذى تَغَيَّاهُ فرضُ الصوم لا يتحقق بانصراف الصائمين بعد غروب الشمس إلى تحصيل قدر أكبر مما كانوا يأكلونه لو لم يكونوا صائمين ، إنهم يعدون صنوفاً متنوعة من المطعم والمشرب يتناولونه فى الفترة الليلية ، أى من الغروب إلى السحور ، وليس الأمر مقصوراً على فرد أو على بيئة من المسلمين ، وإنما هذا أمر سائد يجعله عادة مرذولة لا تتناسب مع شرعية الصيام ، ولا مع هدفه إذ أن « البطنة تذهب

الفطنة ، فمتى امتلأ البطن لم يعد فى قدرة الصائم أن يعبد الله ... أن يقوم الليل ... أن يتلوَ القرآن ... أن يستذكر علماً ... أن يفعل أى شىء مرتبط بهذه الفريضة ... فريضة الصوم ، بينما ينبغى أن نتعامل مع الفرائض التى أوجبها الله علينا ، وأن نهيىء لها البيئة والجو الذى تقام فيه ، فكما نؤدى الصلاة فى المسجد باعتباره خصص للعبادة وباعتبار أن الصلاة فى المسجد تجعل المسلم متفرغا للوقوف بين يدى الله فكذلك الصوم ، حين نكون فى شهر رمضان ينبغى أن نجعل كل المحيط بنا فى شهر رمضان ملائما ومناسبا للصوم .

الشيخ الدسوقى : بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وبعد : فمن منطلق ماذكره فضيلة مولانا الإمام نرى أن الصيام أساساً لون من التربية للإنسان على الخُلُق الإسلامى الذى لا يكون إلا حين يتحرر الإنسان من كل سلطان إلا من سلطان الله عز وجل ، وإذا كان الصيام هو ما فرضه الله علينا وغايته التقوى فإن أول ما تستهدفه هذه الغاية هو التحرر من سلطان المادة فى هذا الشهر ، هذا التحرر كما يشمل الا يكون للإنسان على الإنسان سلطان فى تناول الطعام والشراب ، يشمل كذلك الكثير من العادات فحينما نصوم ينبغى أن نتخلى عنها أو نُحِدَّ من سلطانها علينا ؛ فإذا كانت عادة الطعام والشراب التى يحرم منها نهاراً تدفعه إلى الاستزادة من كل ماتشتهيه نفسه ؛ فكذلك للإنسان غايات يتغياها وهو مفطر فأولئك الذين يدخنون أو يتناولون الشاى أو القهوة مسرفين فى ذلك ، أو تكون لهم بعض العادات التى لا تتفق وتعاليم الدين ، هذه الألوان حينما يصوم الإنسان يجد نفسه بوازع من دينه وضميره فى حرج من أن يفعلها ، وقد يكون هذا الحرج هو الذى يدفع بالإنسان أن يثوب إلى رشده ، وأن يفكر فى أمره فيمضى فى طريق المعتدلين فى كل تصرفاتهم سواء فى مأكله ، أو فى مشربه ، أو فيما تعوده فى حياته . وخاصة أن من ثمار الصوم الصبر ، والصبر كما يكون على المكاره يكون فى الطاعات حتى يؤديها الإنسان ، ويكون أيضاً صبرا عن المعاصى .

كل هذه حينما يكون المرء ، وهو الصائم ، لايستطيع أن يكون فى حرج من أن يظهر بمظهر غير الصائمين . وربما كان ذلك هو مانلمسه فى كثير من المترددين على بيوت الله فى رمضان وحده ، وفى غير رمضان قد لا يرتادون بيوت الله ـ عز وجل ـ ذلك لأنهم يرون فى رمضان : شهر الطاعة والعبادة ، وشهرا طويلاً يقضيه الإنسان صابراً على طاعة الله ، صابرا عن معاصى الله ، صابراً على مايكرهه فى هذه الحياة ، وقد يكون لذلك أثره فى حياته المستقبلة .

إن الصوم يخلق فى الإنسان الوازع الدينى ، وكم نحن محتاجون إلى الضمير الحى الذى يفيق بين يدى مايغضب الله ـ عز وجل ـ .. إلى القلب الصافى الذى يكون دائماً الرقيب على الإنسان فى جميع تصرفاته ... فى رمضان ... وغير رمضان ؛ فيعيش المرء مراقبا لربه على كل أحيانه ، وفى كل تصرفاته صابراً على مايلقى وعلى ما يواجه فى الحياة متخليا عن سلطان العادة الذى قد يأسره فى كثير من أحيانه ، يوم يكون الإنسان كذلك يكون هو المسلم الذى استضاء بنور دينه ومضى على الطريق السوى المستقيم .

←

الأستاذ حلمى : فضيلة الإمام الأكبر،أنا لن أتدخل فى عرض الموضوعات ، وفضيلتكم موجود ، ففضيلتكم تعطى الكلمة لمن تريد من ضيوفك فى هذه الندوة .

الإمام الأكبر : شكراً وأحب أن أضيف إلى ما قاله فضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم الدسوقى أن المأمول من الصوم ومن الصائم أن تتغير فى رمضان عاداته غير الشرعية بحيث نعود إلى الشرع ، فإذا كان الإسراف عادة اعتدناها فإن الصوم فى ذاته كفيل بتغيير هذا العادة لو التزمنا ... ، ليست عادة الإسراف فقط ، وإنما شهر رمضان يجب أن يعتبره المسلمون فرصة يلتزمون فيها بأحكام الإسلام ككل ، وليس هذا مطلوبا من الدولة كدولة وإنما هو على مسئولية الفرد كفرد أولاً ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾[٤] هذه المسئولية مُوَجَّهَةٌ : للأفراد جميعاً بما فيهم الدولة ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ ، إذاً كل الأفراد ... كل الهيئات ... كل المجتمعات مطالبة بالانضباط فى الصوم ، وهذا الانضباط كفيل بتغيير كل العادات السيئة ، وهذه المدة ... مدة الشهر لعلنا نأخذ من تحديدها ما يمكن أن يُكَوِّن لنا نظاماً فى حياتنا بأن نحاول أن نغير العادات الخارجة عن نطاق الشرع ونستبدل بها عادات توافق الشرع . لو التزمنا شهراً كاملاً بترك العادات السيئة ، ورمضان كفيل بهذا لو أدينا حقه ، وأعتقد أن الكلمة للدكتور رءوف شلبى لعل له إضافات أخرى .

د . رءوف شلبى : شكراً لفضيلة مولانا الإمام الأكبر ، واستكمالاً لحديث مولانا الإمام فيما يتعلق بالأثر الذى يترتب على الصوم ، هناك فى سورة الفرقان ، والله سبحانه يتحدث عن صفات عباد الرحمن يقول ـ عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾[٥] .

هناك غايات فى التشريع الإسلامى فهو يجعل دائما لتشريعه مجالات للتدريب فإذا كان الالتزام فى النفقة والتوسط بين البخل والتقتير وبين الإسراف هو الاعتدال ... فهو الأصل ، فإن الله سبحانه وتعالى شرع فريضة الصوم فى شهر رمضان حتى يتعلم المسلم الاتزان فى النفقة ، والسنة النبوية اتبعت هذا بما شرعته من صوم مسنون ، وهذا دليل على أن الشريعة الإسلامية ليست مقابلة للدنيا فيما يقال ـ دائما : « أمور الدنيا وأمور الدين » فهذا التعبير لا ينسجم مع حقيقة الشريعة ومع حقيقة العبادة ؛ لأن الدين جاء ليضبط الحياة الدنيا من أجل حياة أفضل فى الآخرة ، فالدين ليس منفصلا عن الدنيا وليست الدنيا فى مقابل الدين، لكن الدنيا فى مقابل الآخرة ، والدين هو الذى يحدد نهاية هذه الدنيا بالنسبة للآخرة ، فأما فيما يتعلق بالإسراف ، فيما يتعلق بالتقتير فإن الإسلام لا يحب التقتير ولا يحب الإسراف وإنما يحب الوسطية ونحن أمة وسط ، وكذلك النفقة ينبغى أن تكون وسطاً حتى مع الفقراء ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ﴾ إذا كانوا أغنياء ﴿ وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ إذا كانوا فقراء ، فالاتزان هو الشىء المطلوب فى التصرف حتى فيما يتعلق بالنفقة وفيما يتعلق بالأخلاقيات وشكراً .

الأستاذ حلمي : فضيلة الإمام الأكبر : أشَرْتَ إلى موضوع الانضباط بصفة عامة ويعنى هذا أننا انطلقنا من الإسراف فى شهر رمضان وقادنا الحديث إلى الانضباط بصفة عامة فى شهر رمضان وفى غير رمضان ، هذه فقط إشارة قبل أن يتحدث الدكتور عبد الفتاح بركة .

د . بركة : من الملاحظ أن فكرة الدين والدنيا أيضاً لاحظتها كما لاحظها الدكتور رءوف شلبى عندما أشار إلى الربط بين أمور الدين والدنيا ، والحقيقة أنه لا انفصال بينهما ، فإن الدين كما قال الدكتور رءوف : إنما هو لتنظيم أمور الدنيا فيما يصلح الفرد والمجتمع ويهيئه للحياة الأخرى ، هذه أيضاً ملاحظة نؤكد عليها ، وبالتالى فالصيام وغير الصيام كله مرتبط ارتباطا وثيقا لا ينفصل بتربية الإنسان تربية نفسية وروحية بحيث يكون هو الإنسان الذى اختاره الله ليكون خليفة فى الأرض ، ويلاحظ بالنسبة لما يحدث فى شهر رمضان أن المؤثرات هنا مؤثرات عادات اجتماعية أصبحت متوارثة وللميراث أو للتوارث تأثيره العميق فى استمرار العادة ، يعنى كلما كانت العادة متأصلة فى المواريث الإنسانية كلما كان توقع استمرارها أكبر وأكثر ، ومن هنا نجد أن الشعوب الإسلامية توارثت على مر الأجيال ، بالنسبة لقدوم شهر رمضان ، خلط الفرحة النفسية والروحية بقدوم هذا الشهر بأمور مادية بالزينات والأنوار والإضاءة من جانب ، ومن جانب آخر بالإسراف فى تناول الطعام والشراب ، وكأنهم يقولون : إن مافاتنا تناوله بالنهار نستطيع أن نعوضه بالليل ، وفاتهم موضوع الحكمة من الصيام والتدريب الذى أراده الله سبحانه وتعالى للمسلم على تحمل الشدائد ، وتحمل المصاعب ، وصلابة الإنسان فى مواجهة الظروف والأحوال المتغيرة ؛ فإنه ليست ظروف الإنسان كلها ميسورة كما أنها ليست كلها صعبة ، ولذلك ينبغى على الإنسان أن يعيش الحياة التى تمكنه من أن يقابل كلا الوجهين من أمور الدنيا فيوم عسر ويوم يسر ، فى اليوم اليسر نستعد فيه لليوم العسر ، وفى يوم العسر ننتظر فيه يوم اليسر ، وهكذا نجد أن الإسلام يعود الإنسان على ذلك ومن هنا كان الصيام فى حكمة من حكمه العديدة يدرب الإنسان على مثل هذه المواقف التى يجد فيها بعض الشظف أو بعض الخشونة فى العيش ولذلك لا ينبغى للمسلم أن يضيع الحكمة فى ذلك بأن يعوض مافاته نهاراً بالليل طعاماً وشراباً ولهواً ومرحاً ؛ بل ينبغى أن يتناول من الطعام مايزيد على حاجته ومايثقل به معدته ؛ لأنه فى ذلك يضر نفسه مرتين أو يتحمل المشقة مرتين : المشقة الأولى مشقة الجوع والعطش بالنهار ، والمشقة الثانية : إثقال المعدة بالطعام والشراب ليلا بمختلف أنواعه التى قد لا تكون متلائمة أو متوافقة بعضها مع بعض .

هذه المواريث الاجتماعية التى ورثناها لم نتوقف فى فترة من فترات حياتنا لنراجعها ، وينبغى على الأمم والشعوب أن تقف فى كل فترة من فترات حياتها لتراجع تلك الفترة الماضية حتى تستخلص منها العبرة والحكمة ، فما كان من هذه العادات وهذه المواريث مفيداً ونافعاً ودافعاً للأمام استبقيناه وثبتناه وأضفنا إليه ، وما كان من هذه المواريث مثبطاً واضعاً للعقبات أو العراقيل فى حياة المجتمع أو مضراً به فى أية ناحية من نواحيه فإنه ينبغى علينا أن نراجعه ونتوقف عنه ونستعيض عنه بالعادات الأخرى بالطرق التى تستبدل بها العادات ومن هذا ما

أشار إليه فضيلة مولانا الإمام الأكبر فرمضان فى الحقيقة هو شهر التدريب على استبدال العادات الطيبة بالعادات الرديئة ، ذلك أنه يقلب كل الموازين فى حياة الإنسان ، فهو إذا كان قد تعود النوم ففيه القيام ، وإذا كان قد تعود الشبع باستمرار ففيه الجوع ، وإذا كان قد تعود الراحة والكسل ففى شهر رمضان النصب والتعب فى العبادة والإقبال عليها ، وهكذا نجد أن رمضان يقلب نظام الحياة كلها ويجعل الإنسان يبدل منها كل وجوهها : فاستيقاظه يتغير ، ونومه يتغير ، وطعامه يتغير ، وعمله يتغير ، وفكره يتغير ، وإقباله على العبادة أيضاً له صورة جديدة أخرى ومن هنا يجد الإنسان ـ بعد مرور يوم أو يومين أو ثلاثة من رمضان ـ ماكان صعباً فى الحياة العادية مستسهلاً حتى إذا جاء آخر الشهر تمنى لو أن الأيام كلها أصبحت رمضان ، فإذا انصرف من رمضان وعاش الحياة العادية مرة أخرى نسى ماكان قد تعوده وتعلمه فى شهر رمضان من هذه العادات الطيبة ، إذاً رمضان يغير لنا كثيرا من العادات التى توارثناها اجتماعيا بدون أن يكون لها سند شرعى ، أو سند دينى ومن هنا نقول : إن جميع العادات التى توارثناها ينبغى أن نخضعها مرة أخرى للمقاييس الشرعية والمقاييس الدينية ونعيد النظر فيها ، ورمضان هو الفرصة المناسبة لكل هذه المراجعات وبالله التوفيق .

د . بركة : الأخ الدكتور على لعل لديه إضافة .

د . الخطيب : لدىّ القليل فى هذا الموضوع إن شاء الله تتمة لكلام أخى الدكتور عبد الفتاح ، بالنسبة لميراث العادة ... عادة الإسراف ـ وجدنا الإمام الغزالى ـ رضى الله عنه ـ يتحدث عن هذه العادة فى عصره والواقع عندما ننظر إلى الإسراف هل يمكن أن نستعلى به ، كما هى العادة فى الإسلام فنوجه هذا السرف إلى وجه يجعله محموداً ، ففى المجتمع من هم فى حاجة إلى مايُسرِفُ فيه البعض فليتحول هذا السرف إلى ذوى الحاجة فيستفيدون منه ـ وفى الدولة والحمد لله ـ ملاجىء ومستشفيات والدولة تدعو ـ على لسان الرئيس فى خطبة قريبة جداً ـ إلى التبرع لمنشآت تنفع الدولة فلم لا ننتفع بوجه الإسراف هذا فنحوله ـ بدل أن نبعثره فيما لايفيد ـ إلى ذوى الحاجة فيجدون فيه حاجاتهم .. والله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الموفق .

الإمام الأكبر : هل الإسراف مقصور على الطعام والشراب، أو أن له وجوها أخرى فى حياتنا ؟

أعتقد ـ بنظرة ، كما يقال ، على (رول) رمضان سواء كان فى الأسرة أو فى الشارع أو فى المؤسسات ، لاسيما تلك التى تقوم على « الترفيه » و« الاعلام » و« الإعلان » وغيرها ، ألسنا نرى وجوها للإسراف ينبغى أن تتحول إلى طاقة أخرى ، أو على الأقل أن تكف عن إسرافها حتى يتفرغ الناس لما هو مطلوب فى رمضان .. ؟ لعلى أسأل الشيخ إبراهيم .

الشيخ إبراهيم : ونحن نتحدث عن الإسراف نرى أن الاعتدال إذا كان مطلوبا فى الطعام والشراب والإنفاق فإنه واجب فى كل شىء ، وحسبنا مثلا حينما نتوضأ بالماء ، والماء نهر جار يحرم علينا الإسراف فى ماء الوضوء بما يزيد عن الحاجة إلى الوضوء .

الأستاذ حلمى : يعنى لو فتحنا (الحنفية) وقعدنا نتوضأ و(الحنفية) مفتوحة على آخرها .

الشيخ إبراهيم : هذا إسراف .. ويخالف الدين .

الإمام الأكبر : كان النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ يتوضأ بحفنة . وهل الإسراف فى الوضوء فقط ياشيخ إبراهيم ؟

الشيخ إبراهيم : فى الوضوء وفى غيره .

الإمام الأكبر : اتفضل ، قل للفلاح لا يترك المياه فى الزراعة منطلقة .

الشيخ إبراهيم : هنا ربما كان لمفهوم الانضباط والالتزام أثر كبير فى أن يقف كل امرىء فيما يطالب به عند حد معين ، وهذا اللون بالذات ـ فى حياة المسلم ـ له وسائله المتعددة .

فنحن مثلاً فى صلاتنا نصلى الأوقات فى مواقيت محددة ، ونؤدى الصلاة بهيئة محددة ، وإذا كنا مع الإمام فإن واجب المأموم المتابعة لا يسبقه لا فى ركوع ولا فى سجود ، وإذا سبقه فى تكبيرة الإحرام ـ مثلاً ـ بطلت صلاته .

إذاً نحن نرى وسائل الالتزام ـ والاعتدال الذى يقضى على الإسراف ـ موجودة على مدار العام بين المسلمين ، ونحن مطالبون بأن نستخدمها فى حياتنا .

عندما تدخل أحد المكاتب ظهراً تجد الشبابيك كلها مفتحة وتجد الأنوار مضاءة ، أو تمضى فى الطريق تجد الشمس ساطعة والأنوار مضاءة أليس هذا لوناً من الإسراف ؟

نعم ، هو لون من الإسراف . بل هو إتلاف ، مثل هذه الأمور وغيرها كثير وكثير وليست بخافية على إنسان .

أيضاً لو أن المرء ، وهو الإنسان المسلم ، يلتزم بتعاليم دينه ، ويقف عند حدوده ، ويستخدم ما يفيده فى إصلاح حياته ، لكان الإنسان الذى تصلح له دنياه كما صلح له دينه ..

هكذا نرى الصلاة .. هكذا نرى الزكاة .. هكذا نرى النفقة ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾[٦] .

إن موارد المال الطيبات من الرزق ، والإسلام يحذر من المال الحرام ويطالبنا بأن يكون (المورد) الذى يأتى المال منه نقيا طاهراً و(المصرف) مباحاً ، وبعد كل هذا قال : المال إذا ما كان لك حذار أن تكتنزه ولا تستخدمه فى مصلحة المجتمع أو فى مصلحة الناس ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ﴾ : « لم يسرفوا » لم ينفقوا المال فيما أحل الله ، وفيما حرم الله بلا فائدة ومن غير هدف مفيد « ولم يقتروا » لم يبخلوا ولم يكتنزوا المال ؛ فإن المال له وظيفة اجتماعية فى يد الإنسان يستفيد منها ويُفيد منها الآخرين . ومن هنا نرى الإسلام وهو الذى طالبنا بالاعتدال جعل لنا التدريب يومياً فى صلواتنا ، فى العام فى صيامنا ، فى المال فى زكاتنا : كيف ننفق ؟ وماذا نستبقى ؟ وماذا نقدم ؟ وماذا نبقى لأنفسنا ؟ وفى الحج ـ وهو على المستطيع ـ إذا أراد الإنسان أن يحج قال تعالى : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾[٧] .

كل ذلك لون من التربية للإنسان على الالتزام والانضباط فى كل ما يأتى وما يذر .

←

الإمام الأكبر : إذا كان الحديث قد تطرق بنا إلى الكهرباء والماء فى كلمة الشيخ إبراهيم ، فقد يقول إنسان : أنا أدفع قيمة ما أستهلك فماذا يضر الناس فى هذا ؟

الشيخ إبراهيم : إنه إذا كان يدفع فإن الدولة تدفع وكل إنسان له حق فى مال الدولة فهو يغتصب حق غيره فيما يسرف فيه ، الأمر الذى يجعله عرضة للمساءلة أمام الله قبل الناس .

الإمام الأكبر : يعنى كأنه ينتقص من قدرة استعمال الآخرين فى هذه المرافق العامة . وإذا كانت هذه المرافق مجهدة كما نرى فإن هناك انقطاعا أو جفافا فى الموارد المائية منذ سنوات ، إن مناسيب المياه قد قلت ، وبالتالى تأثر إنتاج الكهرباء .. وبالتالى .. وبالتالى هناك أشياء مترتبة على كل هذا ..! فهل نسرف ؟ أو نلاحظ القوة ، أو الطاقة الميسورة فنحتفظ بالرصيد ؟

الشيخ إبراهيم : أظن أن هذا أمر (واضح) .. كل إنسان عاقل يقول : يجب على كل إنسان ـ مهما كانت طاقاته وإمكاناته ـ ألا ينسى إخوانه ، وينظر إلى نفسه فحسب بل عليه أن ينظر إلى إخوانه فى الإنسانية ، بل إلى غيرهم من المخلوقات التى تعيش ، والماء سبيل حياتها . وخير الناس أنفعهم للناس وشر الناس أولئك الذين لا يبالون بما يحيق بالمجتمع أو بالأفراد بالنسبة لما يقدمون أو يأتون أو يفعلون .

الإمام الأكبر : لعلى آخذ من كلام الزميل فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى أن الإسراف فى مثل هذه الأمور المشتركة لا يقتصر ضرره على المسرف فقط ، وإنما يتناول المنتفعين بهذه المرافق . فالذى يسرف فى استعمال المياه يضر الآخرين ، والذى يسرف فى استعمال الكهرباء ، ولو أنه يدفع قيمتها ، لكنه يضر الآخرين أيضاً ، كما يضر المصادر التى تعطى هذه المرافق أو هذه الخدمات ، فهل للإسلام حكم فى هذا أم لا ؟

د . رءوف شلبى : فضيلة الإمام الأكبر ، ولا ينبغى أن نفتى فى حضرة فضيلتك ولكن إيذن لى

الإمام الأكبر : اتفضل .

د ./ رءوف شلبى : يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[8] الأصرة بين المسلمين هى أصرة الأخوة ، وهى ليست أخوة جوفاء ، ولكن أخوة يترتب عليها تكاليف شرعية فلا ينبغى للمسلم أن يتجاوز الحد إذا كان فى ذلك التجاوز ما يضر أخاه المسلم ، وبالتالى فإن الإسراف فى أى شىء والتجاوز فيه حتى فى العلم .. التجاوز حتى فى العلم ..

الأستاذ حلمى : ... لكن الاستزادة فى العلم مطلوبة ؟

د . رءوف شلبى : لكن التجاوز فيه بغير حق ليس على وجهه الصحيح ؟

ففى الحديث الشريف عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« .. لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن : عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيم فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه .»[٩]

فالحديث الشريف جامع للانضباط .

انضباط العمر ، والانضباط فى الشباب والانضباط فى المال والانضباط فى العلم فأى تجاوز فى ذلك يترتب عليه ضياع حق مسلم ففيه حرمة حتى لو كان فى العلم .. حتى لو كان فى المال .. حتى لو كان فى الرزق . ومن هنا حرم الله الخمر ، وحرم القمار ، وحرم الميسر لأنها كلها تجاوزات تضر بالآخرين . إمَّا أن تُتْلِفَ العقل وإما أن تضيع الوقت وإما أن تتلف العلم . وإما أن تكون مضيعة للأخلاق فكل ما فيه تجاوز يضر بالأمة الإسلامية .. فى أمنها .. فى مالها .. فى شخصيتها .. فى أرزاقها فهو حرام أن يأتيه المسلم والله أعلم .

الإمام الأكبر : وإذا كنا قد تحدثنا عن الإسراف فيما هو مباح أصلاً فما رأى الدكتور بركة فى الإسراف فيما هو منهى عنه شرعاً ؟

د . **بركة** : ما هو منهى عنه شرعاً منهى عنه قل أو كثر ، والإسراف فى المنهيات معناها ..

الإمام الأكبر : يعنى يمكن تسمح لى أوضح . الذى أريد أن أتساءل عنه هو : إذا كان قد سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام رمضان فهل نقوم رمضان الآن فى بيوتنا ، أو فى سهراتنا ، أو أن هناك دواعى أخرى تشدنا للقيام إلى جهات أخرى وحينئذ هل يكون قيامنا مشروعاً ..؟

د . **بركة** : فى الحقيقة كما يقول السادة الصوفية لكل وقت أدب ، ولكل حال أدب ، ومن ضيع آداب الأوقات لم يبلغ مبلغ الرجال ، فإذا حفظنا هذا وهو يدخل معنا فى صميم موضوع الإسراف إذا حفظنا : أن لكل وقت عملاً يشغله فإنفاق هذا الوقت فى عمل آخر غير عمله الأصلى يعتبر تبديداً لهذا الوقت فى غير ما شرع فيه العمل . ومن هنا نجد أن رمضان مثلاً جُعَل نهاره للصيام وليله جعل للقيام والراحة فإنفاق أى أوقاته فى غير ما خصص له يعتبر تبديداً لهذا الوقت فى غير الأمور المشروعة فيه ، ثم إنه لا يمكن استرجاع هذا الوقت على الإطلاق لأنه أُنْفِقَ ، وبالتالى فهناك خسارة كبيرة خسرها الإنسان ، وضيعها من حياته فى غير محلها أو فى غير وجهها ، وإذا كان لكل وقت عمل . فإذا فرضنا أن الأعمال تعارضت فى الوقت الواحد فهناك أولويات ؛ لأن الأوقات ضيقة والأعمال كثيرة .. عمر الإنسان صغير ووقته قليل ، والأعمال المنوطة به ـ أو التى يكلف بها ـ كثيرة سواء كلف بها فرضاً ، أو كلف بها نفلاً ، أو كلف بها آداباً اجتماعية ، أو آداباً أخلاقية ، أو كسباً للرزق كل ذلك من ضمن تكاليفه ، وكسب الرزق فرض

نقول : إن تضييع هذا الوقت الذى خصص لهذا العمل فى عمل آخر أقل منه جدوى ، أو أقل منه منفعة يعتبر إسرافاً وتضييعاً لما كان يمكن تحصيله من منفعة أكثر ، فما بالنا إذا ضيعنا هذا الوقت فيما لا جدوى فيه أو لا منفعة منه عندئذ تكون الخسارة كبيرة جداً ، أو تكون الخسارة مضاعفة ونحن نشاهد حقيقة أننا تفننا غاية التفنن فى تضييع الوقت .

الإمام الأكبر : يلاحظ أنك تنقلنا إلى الفن .

الأستاذ حلمى : الفن أيضاً موضوع من موضوعات السهرة .

د . بركة : تضييع الوقت فن أيضاً وليست كل الفنون مقبولة ، هنالك فنون مرذولة ، منها فن تضييع الوقت فيما لا طائل وراءه . فالحقيقة نحن تفننا فى ذلك تفنُناً كبيراً جداً ، وابتدعنا أموراً لا نزال نستزيد فيها عاماً بعد عام بحيث نصرف كثيراً من أوقات الرجال والنساء فى البيوت ، بل وأوقات الشباب والناشئة وهؤلاء هم الذين نخشى عليهم وخصوصاً ونحن فى أيام الامتحان ، فما بالنا إذا كانت هنالك أولويات وقلنا : إن الطالب عليه أن يؤدى واجبه أولاً فى مذاكرته فإذا تعارض الأمر بين أداء النفل وبين أداء المذاكرة كانت المذاكرة أولى ، فما بالنا إذا ضيعنا على هذا الطالب وقت مذاكرته فأضعنا نفله ومذاكرته مطلقاً .

الإمام الأكبر : نفله وفرضه ..

د . بركة : وهذا الذى نخشاه ، إذا وصل الأمر إلى الفرض فماذا بقى بالنسبة للشباب والناشئة ، وهذا سبب ذكرى للشباب والناشئة بالذات لأنهم الذين عليهم المعول فى المستقبل وهم الذين ننقل إليهم أمانة ديننا ليتحملوه من بعدنا . فإذا نحن فرطنا فى تحميلهم هذه الأمانة ، ولم نعودهم على تقاليد العبادات المعروفة لنا ، وتقاليد الصيام كما ينبغى أن يكون ، ثم بعد ذلك تحملوا هم أمر مستقبل هذه الأمة بعدنا ، ماذا يكون أمر الدين فى حياتهم وهم الذين لم يتعودوه ، ولم يتعلموه ، ولم يتلقنوه ؟ وإنما تعودوا وتعلموا ما يشاهدونه كل ليلة أو كل نهار سواء فى أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة أو فى أجهزة الإعلام المقروءة فهنالك من وسائل الإغراء فى هذه الآلات ما يجعل الشباب ينصرف ـ وقد يكون غير قاصد ـ لكن الإغراء شديد جداً أكثر من طاقة الشاب وإرادته قد لا تتحمله ، لأنه لا زال (غَضّ) الجلد لم يصلب ، ولم يتلقن من المعارف ، والمعلومات ما يجعله يميز بين الغث والسمين ، فإذا نحن خلطنا له الأمور خلطاً ومزجناها مزجاً بحيث لم يعد يعرف الصالح من الطالح ثم انطلقت عليه الأمور كلها ، استحسن منها ما هو مغر ، ونسى منها ما يصلح به أمره ، ويصلح به دينه ، ويصلح به شأنه . عند ذلك نقول : إن هذه الفنون التى ابتدعناها وتمرسنا بها أصبحت تقاليد مرعية .. وأصبحت فى حقل الفن ـ كما يقول مولانا الإمام الأكبر ـ تقاليد مرعية بحيث لا يكون هنالك موسم لرمضان إلا إذا كان فيه مثل هذه

الأمور ، ولا نريد أن نصرح بألوانها فهى معلومة للجميع سواء فى أجهزة (التليفزيون) أو فى أجهزة (الراديو) وقد زادت وربت . كانت فى البداية برنامجاً أو برنامجين فأخذت تزيد برنامجاً جديداً كل عام حتى أصبحت الليلة كلها برامج فى برامج من هذه المغريات . ماذا تركوا إذن للإنسان لكى يفرغ لنفسه ، ويفرغ لربه ، ويفرغ لعبادته ؟ وماذا تركوا للشباب لكى يفكر ويتأمل ..؟

إنهم لم يتركوا لعقول الشباب فرجة لينصرفوا فيها إلى التأمل والتدبر ومعرفة الدين .

الإمام الأكبر : يعنى مطلوب القيام فما نوعية القيام فى رمضان . هل هو القيام لله فى الصلاة ، أو فى تلاوة القرآن ، أو فى الذكر ، أو القيام لمتابعة كل هذه الأنهر المتدفقة فى ألوان مختلفة ـ كما قلت فضيلتك ـ تشد الشباب وتشد الكبار والصغار وتخلط عليهم الأمور . فأيها القيام المشروع ؟ تفضل يادكتور .

د . رءوف شلبى : ملاحظة : ففى دول العالم الثالث أو العالم النامى . نجد حجم الترفيه ليس متساوياً مع حجم التعليم والعسكرية ، فكل العالم الثالث متخلف تربوياً ومتخلف عسكرياً لكنه متقدم تماماً فى نواحى الرقص والغناء والموسيقى ومعاهد الموسيقى ومعاهد الرقص ، المفروض أن المسألة تنعكس ، المخططون لسياسة الدول النامية ـ بالإطلاق العام ـ ينبغى أن يعكسوا القضايا . فالشعوب تحتاج إلى استقرار فى الإدارة ، وتحتاج إلى استقرار فى أساليب السعى على المعيشة ـ أو كما تسمى التنمية ـ وتحتاج إلى استقرار فى الأنماط الخلقية والسلوكية ، ثم إذا ما شبعنا وكان عندنا فائض جاء التفكه ، وجاءت مرحلة الترفيه ، لكن نحن عكسنا كل القضايا : أسلحتنا كلها نشتريها من خارج البلاد ، وأكلنا وشربنا وكهرباؤنا حتى السيارات التى نركبها ، حتى التليفون الذى نستخدمه من خارج بلادنا ، لكن وسائل الترفيه اكبر واكثر !!! فكيف تتم تنمية فى مجتمع لا يستطيع أن ينسق بين الضرورات الأساسية وهى لقمة العيش وبين وسائل الترفيه ؟!

الإمام الأكبر : ولعل الدكتور رءوف شلبى فتح لنا بابا نسأل فيه الدكتور على ، ما الترفيه هل الترفيه ممنوع فى الإسلام ؟!

د . الخطيب : والله ـ يافضيلة مولانا ليس الترفيه ممنوعاً فى الإسلام ، ولكن يجب أن يكون بقدر معين ، وفى نفس الوقت يجب أن يكون فى إطار معين ، فهو لا يدعو ، ولا يدفع إلى شهوة ، ولا ينسى الإنسان فرضاً ، ولا يقتل منه الوقت ، ولا يضع أمامه نماذج من صور وتمثيل وما إلى ذلك ..

الإمام الأكبر : كل هذه .. يادكتور على ـ تضعها حول الترفيه ؟ لم يبق ترفيه إذن ، ما رأيك اريد إيضاحاً اكثر ؟

←

د . الخطيب :

ـ كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقاً ، وفى الرحلة التى كنت فيها بصحبة فضيلتكم سمعتُ رئيس وزراء ماليزيا يقول إن وجود الأراضى البور فى دولة من الإسراف .

الأستاذ حلمى : حدث هذا ؟

الإمام الأكبر : نعم ، إسراف فى البطالة .

د . الخطيب : إن وسائل الإعلام وجهت كثيرا من الشباب إلى فكرة أن الدين ليس فيه ترفيه أبداً .

الإمام الأكبر : أسأل سؤالاً واضحاً ، أو كما يقولون : مباشرا ، نحن سمعنا : دنيا ودين ، هل الدين ـ والموضوع هذا تكلم عنه د . رءوف شلبى ـ هل الدين يحارب الدنيا ؟

د . الخطيب : الدين يصلح الدنيا ولا يحاربها .

الإمام الأكبر : وكيف يصلحها ؟!

ـ نعم يصلحها بالعمل الجاد فهناك ساعة وساعة لكل إنسان منا واجبه يؤديه ثم له الحق بعد ذلك فى الترفيه فى حدود ما شرع الله سبحانه وتعالى ، وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك للنكتة ، ولكن إذا بحثنا فى إطار ما قيل أمام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نجد فيه قبحاً ولا تناولاً لعرض ولا اى شىء يخدش الحياء أو يخدش الدين من قريب أو من بعيد . فإذن نحن يجب أن يكون أمامنا منهج معين يضع الترفيه ويخطط له حتى يستقيم مع ديننا .

الأستاذ حلمى : يعنى قضية الفنون التى آثارها السادة العلماء الأفاضل .

الإمام الأكبر : أريد ـ قبل قضية الفنون ، ياأخى العزيز ـ أن أستوضح الدكتور على ، فأقول له : هل هناك إسراف فى الترفيه الممنوع ؟

د . الخطيب : نعم ، يامولانا ، هناك إسراف فى الترفيه الممنوع ، ويكفى أن نعمل شكلاً بيانياً لإعلانات ..

الإمام الأكبر : أريد أن أفتح عليك بعض الشىء ، ونقرأ إعلانات الصحف يومياً لنرى الدعوة إلى الكباريهات وإلى .. وإلى .. وإلى .. ونقرأ مثلاً ..

د . الخطيب : إعلان مجلة الأزهر ٢ سم × ٣ سم . ولست أبالغ يافضيلة الإمام .

الإمام الأكبر : يعنى فضيلتك تتكلم عن حجم الإعلان عن مجلة الأزهر والإعلانات الأخرى . لأنك تدفع ملاليم ولا تدفع ما يدفعه الآخرون .

الإمام الأكبر : لا زلنا لم نضع النقط على الحروف ..

د . الخطيب : اتفضل يامولانا .

الإمام الأكبر : ما الذى نراه فى الترفيه فى مجتمعنا . هل فيه إسراف .. إسراف يصل إلى حد إتلاف العقول والدين ؟

د . الخطيب : نعم أولاً الإعلام طبعاً قطاعات مختلفة فى الصحافة كما أشرت فضيلتكم إلى الإعلانات عن الكباريهات وغيرها وهى منتشرة كثيراً وتأخذ عديداً من المساحات بحيث لا يبقى للقارىء ما يفيده إلا أسطر لا تزيد .

د . بركة : ويعلنون عنها بمناسبة رمضان أيضاً .

الإمام الأكبر : تكثر الإعلانات عن هذه الأمور فى رمضان ، وتعد لرمضان ، هل هذا من تبعيات رمضان هذا هو السؤال ؟!

د . الخطيب : أبدا هذا حرام .

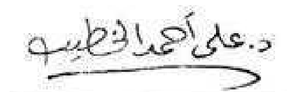
د . عبد الفتاح : مجال الترفيه ـ بصرف النظر عن شهر رمضان عموماً ـ هذا المجال الذى يشغلون به أذهان الناس ويعتبر إسرافاً ، منه : الإغراق فى تضخيم ما يتعلق بنواحى الرياضة وجعلها وسيلة للتحزب والتحيز والتشيع والتعصب ، وما شاكل من هذه الأمور ، وبالتالى الاستغراق فيها بحيث تلهى عن العبادة ، وتلهى عن أداء الصلوات ، وبعد ذلك ، وبرغم أنها بذاتها مغرية فإنهم يضيفون إليها من المغريات المختلفة ما يشغل به أذهان الشباب ، وياليتهم حين يشغلون الشباب يجعلون الشباب يتريض فى ذاته ، وفى بدنه .

الإمام الأكبر: يتخلق بأخلاق الرياضة ..

د . بركة : يتخلق بأخلاق الرياضة ، ويتريض بدنياً أيضاً ، وإنما الشباب (وقت المباراة) مجرد مستهلك لا منتج رياضة ، وإنما مستهلك يشاهد هذه الرياضة ، وينفق فيها وقته فيما لا طائل وراءه .

فهذا نوع من أنواع الإسراف غير الملحوظ وغير المحسوس ؟

التتمة فى العدد القادم



(١) سورة الأعراف : آية ٣١ .
(٢)سورة الإسراء : آية ٢٩ .
(٣) سورة البقرة : آية ١٨٣ .
(٤) سورة التحريم : آية ٦ .
(٥) (٦) سورة الفرقان : آية ٦٧ .
(٧) سورة آل عمران : آية ٩٧ .
(٨) الحديث الشريف رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى والنسائى وابن ماجة عن أنس رضى الله تعالى عنهم .
(٩) الحديث رواه الترمذى ـ فى باب القيامة ـ وقال : حديث حسن صحيح وفى الباب نفسه ، وقبله مباشرة حديث بنفس المعنى ، وفيه : حتى يسأل عن خمس ..

مقدمة لصحافة إسلامية

بداية لابد منها .. تتمثل فى البحث عن جذور ونشأة الصحافة ، كوسيلة إعلامية جماهيرية فى العالم كله بصفة عامة ، وفى بلاد المسلمين بصفة خاصة .. ولعل البحث فى الجذور والنشأة يفسر لنا بعض المواقف القريبة لصحافتنا اليومية وغير اليومية تجاه قضايا الإنسان المسلم فى العالم ؛ ولعله يوضح لنا بعض الغموض الذى يلف الاتجاهات الفكرية للصحافة فى بلادنا .

ولذلك أرانى مضطراً إلى تناول صحافتنا من خلال قراءة عجلى فى نشأة صحافتنا وتطورها ، خاصة تلك الصحف الصادرة فى بلاد المسلمين على وجه التحديد ، ولسوف نمضى ـ إن شاء الله ـ فى هذه الدراسة على النحو التالى :ـ

١ ـ مدخل لغوى إلى صحافتنا .

٢ ـ تصويب لبعض المفاهيم حول الصحافة الدينية والصحافة الإسلامية .

٣ ـ مدخل تاريخى إلى نشأة الصحافة فى العالم بعامة ، وفى بلاد المسلمين بخاصة .

وإنما أردت أن أقدم مدخلاً لغوياً للدراسة لكى أدون تحديداً للمصطلحات بين يدى المقال ، وذلك أمر بالغ الأهمية ، حتى يعرف القارىء حدود استخدام المصطلحات ، وحتى لا يقع فى تيه ألفاظ واسعة فضفاضة تخرج بنا عن القصد ، وتؤدى إلى الغموض أو اللبس ..

اولا : مدخل لغوى إلى علم الصحافة :

● قال الزمخشرى[1] : صحيفة ، وصُحُف ، وصحائف .. هى قطعة من جلد أو قرطاس يكتب فيه ، وهو (صَحَفىٌ) ؛ وصحُاف .

وفى الصحاح : (الصَحْفَةُ) كالقطعة والجمع صحَاف ؛ وقال الكسائى : (الصحيفة) ، الكتاب والجمع (صحف) و (صحائف) .

وفى المعجم الوسيط : (الصحافة) ـ بكسر الصاد : مهنة من يجمع الأخبار والآراء وينشرها فى صحيفة أو مجلة (محدثة) والنسبة إليها : صِحافى . ١ هـ . وبدهى أن

● الكاتب : مذيع بالبرنامج العام .

(١) انظر مادة : صحف فى أساس البلاغة ، الصحاح ، المصباح المنير ، المعجم الوسيط .

بقلم: حسن على العنيبى

النسبة إلى صحيفة : صَحَفِىّ ، كما أن النسبة إلى صحافة : صحافى .. وفيه أيضاً « الصحيفة : ما يكتب فيه من ورق ونحوه ، ويطلق على المكتوب فيه ج : صُحفُ ، وفى التنزيل العزيز ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [آخر سورة الأعلى] .

والصحيفة : إضمامة من الصفحات تصدر يومياً أو فى مواعيد منتظمة بأخبار السياسة والاجتماع والثقافة ، وما يتصل بذلك (محدثة) ج : صحف وصحائف اهـ .

● فـ « الصحيفة » ـ إذاً ـ قرطاس مطبوع فيه أخبار ومعلومات وآراء وإعلانات ، وصور مختلف شكله ، ومختلف حجمه باختلاف سياسته ومواعيد صدوره ، ورؤية القائم عليه ، يعرض على الجمهور لاقتنائه عن طريق الشراء أو الاشتراك فى فترة من فترات صدوره .

● **اما التعريف القانونى للصحيفة فهو فى النص التالى :**

يقصد بالصحيفة أو الجريدة [كل مطبوع يصدر باسم واحد بصفة دورية فى مواعيد منتظمة] .

ولقد أخذ المشرع المصرى[2] فى قانونى المطبوعات والعقوبات بتسمية الدوريات والمجلات والصحف باسم (الجريدة) طبقاً للمادة (١١) من القانون الصادر فى سنة ١٨٨١ ثم قانون المطبوعات الصادر فى سنة ١٩٣١ ، ثم القانون الصادر فى سنة ١٩٣٦ الفقرة الثالثة من المادة الأولى منه حيث لم يفرق المشرع فى تعريفه بين الصحيفة والمجلة .

وفى محاضرات الدكتور جمال العطيفى وزير الإعلام الأسبق لطلبة الإعلام بجامعة القاهرة ، يذكر تعريفاً قانونياً أكثر دقة لمفهوم الصحيفة فيقول : « الصحيفة هى كل مطبوع دورى يصدر بصفة منتظمة من مؤسسة معروفة تلتزم بوقت إصدار محدد ، وتنشر أخباراً وأحاديث ومقالات .. الخ فنون العمل الصحفى .

ثانياً : صحافة دينية .. وصحافة إسلامية ومفاهيم تحتاج إلى تصويب

من هذه المفاهيم كلمتا : « الإعلام الدينى »[3] و « الإعلام الإسلامى » ؛ وحتى لا يقع خلط بين الإعلامين ابتداء نحدد مفهوم كل منهما فيتحدد ـ فى ضوء ذلك ـ مفهوم كل من « الصحافة الدينية » و « الصحافة الإسلامية » وإن ارتبط ـ فى النهاية ـ مصدر التوجيه لكل منهما .

(٢) راجع قانون المطبوعات المادة ١١ لسنة ١٨٨١ ، سنة ١٩٣١ .
(٣) راجع ذلك باستفاضة فى مقالنا الإعلام الإسلامى ، الأسس والمبادىء بمجلة الأزهر ١٤٠٤ هـ .

مقدمة لصحافة إسلامية

نقصد « بالإعلام الديني » كل ما ارتبط بتبيان حقائق الدين وتوضيحه للناس والدعوة إلى الحق، وتوضيح الفرائض والعبادات .. الخ ؛ أما « الإعلام الإسلامي » فنقصد به كل ما ارتبط بحياة الإنسان المسلم ومعاشه وامور حياته من أخبار وأحاديث وتحقيقات في إطار المنهج الإسلامي وأخلاق الإسلام ، أي اننا نرى أن الإعلام الإسلامي أشمل من الإعلام الديني

ونقصد بالصحافة الدينية - في المجال الإسلامي : تلك الصحافة التي تعنى بكل ما ارتبط بتبيان حقائق الدين ، وترغيب الناس فيه ، والحث على التمسك بآدابه . وفي الميدان من ذلك كثير .

● ونقصد بالصحافة الإسلامية امراً أخر يحدده الدكتور / عبد الحميد يونس في قوله[4] :

الصحافة الإسلامية ، هي تلك الجريدة أو المجلة ، أو الدورية التي تضع شارة الإسلام اسما لها ، وتلتزم بالمنهج الإسلامي في عملها وأهدافها .

● فالصحافة الإسلامية - كما نراها - تتناول الأخبار السياسية والاجتماعية والثقافية ، وتتابع أحوال العالم من حولنا ، وتضع بين يدي القارىء المسلم تقريراً يومياً صادقاً عن العالم ، ملتزمة في ذلك بآداب الإسلام ، فلا تنشر أخباراً كاذبة لاختبار النوايا ، أو لقياس ردود الأفعال ، أو للتجني أو للتشهير .. !! ولا تعنى بأخبار الفضائح الشخصية ، ولا تعطي الجريمة الواناً جنسية مثيرة طلباً لإقبال القراء ، ولا يسمح - في إطارها - بهتك الحرمات طلباً لسبق صحفي .. الخ .

● هي - باختصار - الصحيفة اليومية .. لكن داخل هذا الإطار الهادف الذي يحفظها من الانحراف أو الانحياز ، ويحترم عقل قارئها وآدميته .. وهي صحافة يفتقر إليها الميدان في عالمنا الإسلامي فقراً شديداً ، بل أكاد ان أقول إنه لا وجود لها ..

● فإذا كانت « الصحافة الدينية » تخص القارىء بموضوعات دينية مباشرة « فالصحافة الإسلامية »[5] تمده بذخيرة المعارف العالمية : خبراً .. وعلماً .. وثقافة وهي تعنى - في ذلك كله - بتقديم الكلمة العلمية الصادقة حتى لأولئك الذين يهاجمون - من حين إلى آخر - هذا الدين السمح : الإسلام ، ويعدون من حين إلى آخر - مفاجأة للمسلم بالطعن في دينه بأقلام منحرفة .

● « فالصحافة الدينية » أقرب إلى مجال « الدعوة » منها إلى « الإعلام » لارتباطها بأمور الدين وتبيان الفرائض والعبادات والأخلاق ؛ بينما الصحافة الإسلامية تمثل انطلاقاً لمتابعة شئون الحياة ، ومناقشة المشكلات اليومية و « الحياتية » للإنسان المسلم في إطار من الالتزام بآداب الإسلام وأركانه .

---

(٤) د . عبد الحميد يونس ، الصحافة حاضرا ومستقبلاً ، مجلة الفيصل ، العدد ١٩ لسنة ١٩٧٨ ، ص ١٠٥ .

(٥) راجع دراستنا : نحو إعلام إسلامي ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، ١٩٨١ م .

ثالثا : نشأة الصحافة :

١ ـ نشأة الصحافة فى العالم بصفة عامة :

ليست هذه السطور تأريخاً للصحافة من حيث نشأتها وتطورها ، بل هى قراءة عجلى للبدايات التى يمكن فى ضوئها أن نعرف المعطيات والنتائج التى تضمنتها هذه الدراسة .

يذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن المصريين القدماء أول من عرف الصحافة باعتبار ان ما ينقش على الحجر أو يكتب على ورق البردى .. صحافة .. !! ولسنا نعتقد أن ما نقشه القدماء على الأحجار أو ما كتبوه على ورق البردى « صحافة » بالمعنى المفهوم حديثاً لافتقاره إلى عنصر الدورية والالتزام بوقت صدور إلى جانب التداول على نطاق واسع .

وفى الحق ، أن الصحافة لم تظهر إلا فى القرن الخامس عشر الميلادى بعد اختراع « يوحنا جوتنبرج » للمطبعة بالحروف المعدنية المنفصلة .(٦)

ويلاحظ أن البدايات الأولى للصحافة نشأت فى أحضان غير المسلمين ، وأن الطباعة بالحروف المنفصلة اخترعها قَسّ ليدون بها الكتاب المقدس .

والصحافة ـ بالمعنى الحديث ـ الصحافة المنتظمة بدأت فى إيطاليا معقل الفاتيكان ـ وقد ظهرت أواخر القرن السادس عشر الميلادى ، ثم أعقب ذلك ظهورها فى فرنسا فانجلترا عام ١٦٣٠ م .

ولعل أول صحيفة ظهرت فى العالم العربى أصدرها نابليون اثناء حملته على مصر سنة ١٧٩٩ م .

إذاً ـ ميلاد وطفولة الصحافة ، وكذلك العمل الصحفى كُلٌ كان فى أرض غير إسلامية .. وعلى أيد غير إسلامية ، وكذلك كانت « التقنية »(٧) الفنية للصحافة غير إسلامية .. !!

ومعنى ذلك ـ تلقائيا ـ أن تحمل طابعاً وجزءاً من ثقافة مبدعها ، ولهذا كانت ـ فى واقعها ـ بدايات للغزو الفكرى ـ مصدرة إلينا فى هذه التقنية ، كانت فرنسا أول دولة تصدر صحيفة رسمية ؛ وفى عام ١٦٣١ م تأسست صحيفة « جازيت دى فرانس » « Gazeté de France »(٨) ؛ بينما ظهرت أول صحيفة انجليزية يومية فى سنة ١٧٠٢ م اسماها صاحبها « ديلى كارانت » « daily cur- rent » وظهر أول « جورنال » يومى فى فرنسا سنة ١٧٧٧ م باسم « جورنال دى بارى » « Journal de paris » ؛ ثم ظهرت الطابعات الميكانيكية التى تدار بالبخار على يدى « كونج » الألمانى الذى قدم اختراعه فى سنة ١٨١٤ م إلى البشرية واستخدمته جريدة « التايمز » اللندنية فكانت أول جريدة تستفيد من هذا الاختراع .

وعلى اية حال يمكن القول بأن الصحافة

(٦) د . خليل صابات : نشأة وسائل الإعلام وتطورها ، الانجلو المصرية ، ١٩٧٦ ، ص ٣٥ .

(٧) تعريب لكلمة « تكنولوجيا » .

(٨) خليل صابات ، مصدر سابق ، ص ٣٨ .

مقدمة لصحافة إسلامية

الحديثة ولدت فى منتصف القرن التاسع عشر بعد تطور البريد ووسائل المواصلات وادخال الآلة فى مجالات الطباعة والنشر .

وإلى الولايات المتحدة يعود الفضل فى تقدم طباعة الصحافة ، فقد تمكن مخترع يدعى « هو » « Huo » من صنع (طابعة) دوارة « روتـاتيف » استخدمت لأول مـرة فى « فيلادلفيا » سنة ١٩٤٧ م ، ثم ظهرت « اللينوتايب » التى تصب حروفها وتنفذها فى أسطر مسبوكة متماسكة فكانت صحيفة « نيويورك تايمز » أول من اقتنى هذه الآلة فى العمل الصحفى .

ويعتبر الأمريكان أول من أدخل الصورة والرسم فى عالم الصحافة إلى جانب اسهامهم فى تطور الطباعة والعمل الصحفى[٩] .

حقيقة هامة نضعها فى البداية قبل ان ننتقل لنشهد بدايات العمل الصحفى فى البلاد الإسلامية ، هذه الحقيقة الواضحة هى ان الصحافة نشات وترعرعت فى تربة غير إسلامية وطور فنونها غير مسلمين وذلك امر يجب ان نضعه فى الاعتبار ونحن نتحدث عن الصحافة فى بلاد المسلمين عامة والصحافة الإسلامية خاصة ولقد اشار إلى ذلك الكونت دى طرازى فى قوله[١٠] « لقد تنبه المسلمون المصريون إلى هذا الأمر الجلل فنشروا فى آخر الحقبة الأولى ثلاث صحف فى القاهرة فى سنة ١٨٦٥ م ثم فى سنة ١٨٦٦ ثم فى سنة ١٨٦٩ » .

ولعل الصحيفة الوحيدة التى يمكن القول إنها تستقى عملها من منابع إسلامية وبأن يحررها مسلمون ، هى صحيفة « العروة الوثقى » التى أصدرها فى باريس سنة ١٠٨٤ المغفور لهما جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده ، ولقد منعت هذه الصحيفة من التداول فى مصر مرات عديدة .. ومن عجب أن تصدر مثل هذه الصحيفة فى أية دولة إسلامية وإنما تصدر فى باريس .. !!

وهنا يمكن للقارىء أن يدرك عمق المأساة التى أُلمت بالمسلمين وأن يدرك عمق وبعد سياسة مطاردة الصحافة الإسلامية من قديم .

غير أن (الشيخ على يوسف) يواسينا فى مأساة « العروة الوثقى » ، ويقدم لنا فى تاريخ الصحافة العربية نقطة مضيئة ، وصفحات مشرقة ، حين يصدر هذا العالم الأزهرى الجليل جريدة « المؤيد » فى نهاية عام ١٨٨٩ م ، ولقد كانت هذه الجريدة من أوسع الصحافة العربية انتشاراً ، بل كـانت الصحيفة العربية الوحيدة التى لها مراسلون فى معظم عواصم دول العالم ، والصحيفة العربية الوحيدة التى لها اشتراك فى وكالة « رويتر » للأنباء .. !! وإنه لواجب علينا أن نشير بكل الفخر والعرفان إلى جهاد ذلك العالم الأزهرى الجليل فى ميدان الصحافة .. فقد اقتحم المجال فكان أول عربى مسلم يقدم

---

(٩) راجع فى ذلك خليل صابات ، أحمد المغازى الخبر ومصادره .

(١٠) فيليب دى طرازى : تاريخ الصحافة العربية ، مصدر سابق ، ص ٤٥ .

للناس فناً صحفياً راقياً ، حارب الاحتلال ، وحارب الأمية ، نشر الوعى ، وبث روح الانتماء ، ورد على خصوم الإسلام .. ولهذا لم يكن مستغرباً أن يقتلوا الصحيفة ويحاربوا صاحبها وكانت مؤامرة حاكها أعداء الإسلام فى الظلام فصودرت جريدة « المؤيد » مرات عديدة حتى تعرضت للإفلاس ومَرّ صاحبها بأزمة مالية وخسارة فادحة جعلته يعتزل الميدان نهائياً ، ونجحت مساعى أعداء المسلمين فى قتل الصحيفة المسلمة التى لم يفرط صاحبها فى دينه ووطنه ، وجاهد بشرف يجعلنا نشعر بالخجل إذ لا تعرف الأجيال الحالية مَنْ هو (الشيخ على يوسف) ذلك الأزهرى العملاق .. ولعلّ أسجل هنا ما لهذا الرجل من فضل على صحافتنا الإسلامية وتلك ملاحظة عابرة نسجلها فى هذا الموضع لنعرف كيف نشأت صحافتنا !!

ثم نسوق ملاحظة أخرى على نشأة صحافتنا وتتمثل فى الآتى :-

فى الوقت الذى صودرت فيه « العروة الوثقى » ، وفى الوقت الذى صودرت فيه « جريدة المؤيد » وتعرضت للاغلاق والتعطيل ، وحوربت فيه جميع الصحف الوطنية خادمة الإسلامية منها .. فى ذلك الوقت بقيت فى الميدان صحف عديدة مثل « المقطم » لسان حال الاحتلال الانجليزى فى مصر وصحف أخرى على شاكلتها !!

فى حين أخذ قانون المطبوعات المصرى على عاتقه آنذاك مصادرة بعض الصحف مثل « الأستاذ » للأستاذ عبد الله النديم فى سنة ١٨٩٢ م و « اللواء » لمصطفى كامل فى سنة ١٩٠٠ م ، ثم « الجريدة » التى أشرف عليها لطفى السيد فى سنة ١٩٠٧ م .

لقد كانت نهاية صحيفة « المؤيد » التى يصدرها الأستاذ الشيخ على يوسف فى سنة ١٩١٦ م على يد قانون المطبوعات الذى أصدرته حكومة الاحتلال آنذاك .. !!

ب - نشأة الصحافة فى بلاد المسلمين :-

إذا كانت الصحافة قد رأت النور فى الدول غير الإسلامية مع بداية القرن السابع عشر ثم تطورت على أيدى غير المسلمين فى أوروبا وأمريكا ، فإن الصحافة فى بلاد المسلمين لم تكن معروفة بالمعنى المفهوم لدى الناس إلا فى نهاية القرن الثامن عشر .. أى بعد قرنين من ظهورها فى أوروبا .

كما دخلت الصحافة بلاد المسلمين فى ظل الاحتلال الأجنبى المباشر مثل الاحتلال الانجليزى لمصر والفرنسى للشام .. أى أن نشأة الصحافة فى بلاد المسلمين كانت فى ظروف مختلفة عن نشأتها فى العالم الغربى حينئذ .

ولعل الثابت لدى الباحثين فى الإعلام أن مصر أول دولة عربية عرفت الصحافة ، مع بداية الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ ، فكان أول عمل قام به (بونابرت) أن أحضر معه مطبعة ، وفور وصوله إلى مصر إصدر صحيفة « كوربيه وليجبت »[١١] باللغة الفرنسية ، ثم إصدر بعد ذلك « لاديكاد ايجبسيان » وذلك

←

(١١) د . خليل صابات ، نشأة وسائل الإعلام وتطورها ، مصدر سابق .

مقدمة لصحافة إسلامية

لتحسين صورة الاحتلال الفرنسى لمصر وللدعاية للحضارة الفرنسية وأهميتها للشرق العربى - على حد زعمهم - ثم فكر (بونابرت) فى إصدار صحيفة باللغة العربية باسم (التنبيه) ولكن سوء موقفه فى الحرب مع انجلترا وروسيا حال دون إصدار هذه الجريدة ، وبعد جلاء الحملة عن مصر أخذ المحتلون مطابعهم إلى بلادهم وتوقفت الصحيفتان عن الصدور ..

ولعلنا نسوق ملاحظة ثالثة على نشأة الصحافة فى بلاد المسلمين خاصة فى مصر حيث نلاحظ أن أول صحيفة تصدر فى بلدنا لم تكن مصرية ، ولم تصدر باللغة العربية ، ولم تكن تخدم أهداف المصريين فى الدين والحرية والاستقلال ولم تناقش مشكلات المصريين ، ولم تكن ثقافتها ملائمة للثقافة الإسلامية أو الأدبيات العربية .. هذه الملاحظة جديرة أن يأخذها بعين الاعتبار مؤرخو ودارسو الصحافة فى بلادنا الإسلامية .

ثم تولى محمد على باشا حكم مصر ، وبعد أن أنشأ مطبعة - وهو الأمى - عام ١٨١٩ أصدر صحيفة « الوقائع المصرية »[١٢] التى يمكن القول بشأنها : إنها أول صحيفة مصرية عربية ، وإن كان محمد على باشا قد أنشأها لتكون بوقاً للدعاية له ولتحسين صورته .

فأما أول صحيفة يملكها فرد، فى مصر فقد كانت صحيفة غير عربية وصاحبها غير مسلم وغير مصرى .. كانت صحيفة: « لومونيتور ايجيبسيان » امتلكها فرنسى وأصدرها باللغة الفرنسية بتشجيع من الوالى ، لتكون دعاية له مع الجاليات الأجنبية ولتكون جهازاً من أجهزة حكمه .

ولهذا فإننا نؤكد مرة ثانية على ملاحظة سقناها - آنفا - وهى : « أن الصحافة - فى الوطن العربى - جاءت مع الاحتلال وتفاعلت معه فى ظروف بالغة القسوة مر بها شعب مصر المسلم » .

كذلك نلاحظ أن هذه الصحافة نشأت فى أحضان السلطة أو بأمر من الحاكم ، ولم تكن من بينها صحيفة واحدة لنشر الدعوة الإسلامية وإحاطة المسلمين بشئون دينهم ، أو مراعاة آداب الإسلام وأخلاقه فى عملها الصحفى .. !!

ثم كانت أول صحيفة مصرية يصدرها مصرى « صحيفة وادى النيل » فى عام ١٨٦٧ م أنشأها الأستاذ / عبد الله أبو السعود ، وقد كانت أقرب إلى همزة الوصل بين الصحافة الرسمية والصحافة الشعبية ثم بعدها صدرت (روضة الأخبار) فى سنة ١٨٧٥ م .

وفيما ذكرت مدخل كافٍ لإحاطة القارىء بظروف الصحافة فى العالم الإسلامى ، وهو مدخل يسجل فى وضوح مدى الفراغ الرهيب

(١٢) ماتزال الوقائع المصرية تصدر حتى الآن بانتظام ..

الخالى تماماً من **صحيفة إسلامية عربية يومية** . منذ أن عرفت مصر والعالم الإسلامى الصحافة وحتى يومنا هذا .

ولعل ما سقناه من ملاحظات عامة على نشأة الصحافة والصحيفة فى بلاد المسلمين لازال يصاحب ـ فى جلاء ـ صحفاً عاشت تمد المجتمع ـ حتى اليوم ـ بمادتها فى ضوء منظور ثقافتها وسياستها ؛ تلك السياسة التى كثيراً ما تفسح صدرها للكلمة المضادة للإسلام الملتاثة بفكر غربى حاقد[١٣] أو شرقى ملحد ، وتضيق الضيق كله بالكلمة الإسلامية التى ترد على ما نَشَرَتْ ، مع أن ذلك الرد حقها القانونى ، ولن يعدم القارىء لذلك أكثر من مثال بين يديه من الصحف المنتشرة فى بلادنا اليوم .

فإذا ما تخطينا إلى مجال ما طرأ على المجتمع المصرى المسلم منذ الاستقلال وما صحبه من إطار غربى فى نظام الأحزاب ، ظهرت الصحيفة المتحدثة بلسان الحزب .... وكانت صحفاً ـ بحكم النشأة والانتماء ـ خاضعة لتيار العلمانية أو للتعصب الحزبى وهى فى كل ذلك ، فى إطار العلمانية تئوب وتثوب .

فلازلنا ـ إذاً ـ حتى الآن كالبداية والنشأة ، نفتقر إلى « الصحافة الإسلامية » .. !!

وهنا نتجه إلى **الأزهر الشريف** .. إنه المؤسسة الوحيدة التى تلوذ بها آمالنا وتتعلق بها أفئدتنا فى صدق وإخلاص ليحقق لنا الرجاء المنشود .

إن **لجامعة الأزهر** قسماً للصحافة يتبع كلية اللغة العربية يختص بدراسة شئون الصحافة كلها ، وتتخرج منه أجيال من الصحفيين لها طابعها الخاص ودراستها الملتزمة وأسلوبها المتميز ..

وإن **لجامعة الأزهر** بجانب تلك الكلية ـ كلية أخرى تهتم باللغات والترجمة ، تخرج لنا مئات من المهتمين بالأدب والفكر الغربى .. هم نواة لمترجمين صالحين فى ميدان العمل الصحفى نفيد بهم فى الترجمة والتحرير وهم الأقدر على فهم رسالة الصحافة الإسلامية .. فهم أبناء الأزهر ..

وللأزهر الشريف من هذه وتلك جنود لصحافة إسلامية ينتظرها الميدان ويحتاج إليها حيث الثغرة متسعة وخطرة ، وما يأوى إلى المسلمين مما تبثه الصحافة المنتشرة حولنا معروفٌ خطرُهُ ، ملموس ضرره .

وينفرد الأزهر الشريف بعد ذلك كله بأنه الملاذ الأمين المستقل عن الشرق والغرب المضاد للعلمانية والشيوعية ، القائم على رسالة الإسلام ، وإذا لم تكن الصحافة الإسلامية من الأزهر فمم تكون !!!؟

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد

حسن على

---

(١٣) راجع دراستنا الدوائر الدعائية المعادية للإسلام بين عهدين سنة ١٩٨٨ م ، المطبعة المصرية الحديثة .

دور المصارف الإسلامية

في الحد من التضخم

أصبح التضخم مشكلة تعانى منها كافة النظم الاقتصادية الوضعية ، وقد دلت التجارب على ان العالم اجمع . بما فيه الاتحاد السوفييتى ، يشترك فى الخضوع لآثار ذلك التضخم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . دون تفرقة فى ذلك بين النظم الاقتصادية والسياسات القومية . وفى اليابان ـ وهى دولة متقدمة ـ زاد ارتفاع الأسعار خلال السنوات الثلاث الأخيرة بمعدل ٣٠٪ اما عن الدول النامية فإن التضخم يعد ظاهرة مَرَضِيَة تلازم هذه الدول اثناء تنفيذ برامجها الإنمائية ، ولقد كانت اضرار التضخم بالغة حتى أصبح التضخم بالنسبة لدول العالم بمثابة كارثة اقتصادية يجب تفادى وقوعها باى ثمن ، وقد اتفق اكثر من باحث على ان النظام المصرفى الربوى يعد احد الأسباب الرئيسية للتضخم[١] .

ماهية التضخم :

على الرغم من الأهمية الكبيرة التى أولاها ويوليها الفكر الاقتصادى المعاصر لمشكلة التضخم ،فإنه لا يبدو أن هناك إجماعا من جانب الاقتصاديين على تعريف محدد لهذا الاصطلاح ، فهو اصطلاح يصعب تعريفه[٢] . ومع التسليم بأن محاولة الوصول إلى تعريف جامع مانع للتضخم أمر يعوزه المعنى والفائدة ، إلا اننا نفضل استخدام تعريف للتضخم لنتخذه أداة للتحليل مستندين فى ذلك إلى محورين .

المحور الأول : هو قياس التغيرات التى تحدث فى مستوى الأسعار .

المحور الثانى : هو تطبيق أنسب الصيغ والمعايير التى توصل إليها الفكر الاقتصادى لقياس التضخم :

---

(١) انظر : د . على عبد الرسول ، المبادىء الاقتصادية فى الإسلام (القاهرة : دار الفكر العربى ١٩٨٠) ص ١٥٥ .
ايضا د . غريب الجمال المصارف وبيوت التمويل الإسلامية (جدة ، دار الشروق ، بدون تاريخ) ص ٧٠ .
(٢) د . أحمد عبده محمود ، الموجه فى النقود والبنوك (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩) ص ٥٢ .

بقلم: مجدى عبد الفتاح سليمان

ونرجح التعريف الذى قدمه «إميل جيمس» «EMELE GAMES» عن التضخم بأنه «حركة صعودية للأسعار، تتصف بالاستمرار الذاتى، تنتج عن فائض الطلب الزائد عن قدرة العرض»[٣].

وبناء على هذا التعريف، فإنه يجب توافر شرط أساسى حتى يمكن القول بأن هناك حالة تضخم وهو ارتفاع الأسعار، وعلى ذلك يكون ارتفاع الأسعار أثرا للتضخم.

مدى مسئولية النظام المصرفى الربوى عن التضخم؟

فى ظل النظام القائم على الربا، نجد أن للبنوك التجارية سلطة واسعة فى خلق النقود أو خلق الائتمان، ويتم ذلك عن طريق فتح اعتمادات لعملاء المصرف بما يسمح لهؤلاء بسحب مبالغ فى حدود الحد الأقصى لهذه الاعتمادات، ويتم ذلك بموجب «شيكات» لا يستخدمها المستفيدون خاصة للحصول على مبالغ نقدية. وإنما يجيزون بموجبها تسويات لدى نفس المصرف أو لدى غيره من المصارف، وبذلك يتمكن البنك التجارى من أن يستغل أضعاف المبالغ المودعة لديه، وبالتكامل فيما بين المصارف التجارية، تتضاعف كمية النقود بما يسمى نقود الائتمان[٤]. والبنوك الربوية تحقق عن طريق هذه الوظيفة كسبا ماديا. باحتسابها فوائد على المبالغ المسحوب فيها، برغم أنها تخلق شيئا من لا شيء، وهذا الشيء يرتقى إلى مرتبة النقود[٥].

فهى إذن تصنع نقوداً وهمية لا تتعدى القيد الدفترى، ذلك أنه لدى حصر رأس مال هذه البنوك وجملة الودائع لديها، ومقارنتها بالأوراق المصرفية التى تتعامل بها من كمبيالات وخطابات ضمان ونحوهما، نجد أن

---

(٣) Inflation edited D. C. Hugue. M .A. C. Loudon 1962 P. 3

(٤) ويمكن ان نضرب المثال الآتى لمزيد من الإيضاح:
نفترض ان شخصا اودع مبلغ ١٠٠٠٠ (عشرة الاف من الجنيهات) فى احد البنوك (حساب جارى) وان نسبة الاحتياطى المقررة (٢٠٪) فإن البنك سيقوم باحتجاز مبلغ ٢٠٠٠ جنيه لسحب العميل، وفى حينه يمكنه التصرف فى مبلغ ٨٠٠٠ جنيه الاخرى، فإذا ما اقرضه إلى احد عملائه، والذى قام بايداعه لدى بنك آخر، فإن هذا البنك الثانى سوف يحتجز مبلغ ١٦٠٠ لسحب عميله وبالتالى يمكنه إقراض مبلغ ٦٤٠٠ جنيه والتى بدورها ستودع كحساب جارى فى بنك ثالث يحتجز فيها مبلغ ١٢٨٠ جنيها لمواجهة سحب العميل، ويقرض مبلغ ٥١٢٠ جنيها الباقية لتظهر كوديعة جديدة فى بنك رابع، وعند هذا الحد بلغت قيمة الودائع.
١٠٠٠٠ + ٨٠٠٠ + ٦٤٠٠ + ٥١٢٠ = ٢٩٥٢٠ جنيها اى ما يقرب ثلاث مرات من قيمة الوديعة الاصلية، وبلغت قيمة القروض او الودائع المشتقة (نقود الودائع) ١٩٥٢٠ جنيها اى ما يقرب من ضعف الوديعة الاصلية.

(٥) د. محمد زكى شافعى، مقدمة فى النقود والبنوك (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٤) ص ١٨٧.

دور المصارف الإسلامية

هذه الأوراق المصرفية تزيد كثيراً وكثيراً جداً على الرصيد الفعلى الرأسمالى للبنك وودائعه[٦] ، وقد بين احد الاقتصاديين مسئولية النظام المصرفى القائم عن الأزمة الحاضرة فقال الاقتصادى الأمريكى هنرى سيمونز : « لسنا نبالغ إذا قلنا إن أكبر عامل فى الأزمة الحاضرة هو النشاط المصرفى التجارى ، بما يعمد إليه من إسراف خبيث أو تقتير مذموم فى تهيئة وسائل التداول النقدى »[٧] .

ومن المشاهد عمليا أن الزيادة فى عرض النقود عن طريق خلق الائتمان لا تؤدى بالضرورة إلى الزيادة فى عرض السلع والخدمات ، حيث إنها لم تنشأ لهذا الغرض فى المقام الأول ، بالإضافة إلى أن أرباح المصرف الناجمة عن خلق الائتمان لا تتوقف على استخدام المنتج لهذه الأموال ، وبالرغم من هذا فإنها تستثمر - حتى إذا لم تكن دراسات الجدوى دقيقة - ويمكن أن تأتى بأرباح ولكن تأتى من حالة الارتفاع فى الأسعار فقط ، وهذا فى حد ذاته يخلق مصلحة راسخة فى التضخم[٨] .

ومن وجهة نظرنا أن الطريق الذى تسير عليه البنوك التجارية نحو خلق النقود « خلق الائتمان » يؤدى فى محصلته النهائية إلى زيادة كمية النقود ، إلا أنها فى الواقع تخلق فى يد عملائها قوة شرائية كبيرة . ومن الممكن أن تستخدم فى سحب شيكات فكأنما هى نقود حقيقية تعطى أصحابها الحق فى الحصول على السلع والخدمات .

ومما لاشك فيه أن هذا المسلك سيؤثر على آلية التوقعات السعرية حيث إنه من المسلم به اقتصاديا أن التوسع النقدى له آثار تضخمية ، وقد ذكر الدكتور أحمد النجار أن التوسع النقدى أى زيادة كمية النقود نتيجة حجم الائتمان - تؤدى إلى ظهور التضخم[٩] .

المصارف الإسلامية ودورها فى الحد من التضخم

فلسفة النظام المصرفى الإسلامى ، تختلف اختلافا جذريا عن فلسفة النظام المصرفى

---

(٦) بين أحد الاقتصاديين ان للبنوك التجارية حدودا معينة لقدرتها على خلق الائتمان الحد الأول يوجب عليها الا تخلق نقودا إلا حوالى عشرة أمثال احتياطها النقدى ، والثانى أن المصرف لا يخلق نقودا إلا بضمان أو شبه ضمان ، انظر : د . عبد المنعم البيه . النقود والمصارف مع دراسة تطبيقيه لهما فى ليبيا . ص ١٤٨ .

(٧) د . محمد عبد الله العربى ، الاقتصاد الإسلامى فى تطبيقه على المجتمع المعاصر ، محاضر ألقيت بقاعة المحاضرات بالأزهر ١٩٦٢ .

(٨) لبيان ذلك نضرب المثال الآتى : فى عام ١٩٤٠ وصل مجموع ودائع المصارف البريطانية إلى ما يقرب من ٢٤٠٠ مليون من الجنيهات ، ولكن مجموع العملة النقدية (أى النقود ما عدا ودائع النقود) فى بريطانيا كلها فى نفس الوقت وصل ٦٠٠ مليون جنيه اى نسبة (١٠,٤ ٪) من الودائع . ولعل هذا ما يؤكد أن البنوك التجارية تساهم فى زيادة النقود ، انظر : د . عبد المنعم البيه ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ .

(٩) د . أحمد عبد العزيز النجار ، طريقنا إلى نظرة متميزة فى الاقتصاد الإسلامى ، من بحوث المؤتمر الأول للاقتصاد الإسلامى .

الربوى ، فالمصارف الإسلامية هى فى الأصل مصارف استثمارية ، والاستثمار فى المصارف الإسلامية يتخذ أشكالا وأساليب متنوعة تؤدى كلها إلى الربح الحلال الخالى من أكل أموال الناس بالباطل ، والخالى من الربا الذى نهى عنه القرآن الكريم ، ومن أهم أشكال وأساليب الاستثمار فى المصارف الإسلامية .

- المضاربة .
- المشاركة .
- المشاركة المتناقصة .
- بيع المرابحة .

وسوف نتناول كل وسيلة من هذه الوسائل بالشرح الموجز .

أولا : المضاربة[10] :

المضاربة عند الفقهاء : عقد بين اثنين على الشركة فى الربح - بمال من أحد الجانبين وعمل من الجانب الآخر - ومايرزق الله به من ربح ، يكون بينهما حسب اتفاقهما من ربع أو ثلث أو غير ذلك من الأجزاء المعلومة .

وقد حدد الفقهاء أركان وشروط المضاربة فاشترط الفقهاء فى العَاقِدَيْنِ أن يكون كل منهما له أهلية التوكيل والوكالة ، أما فيما يتعلق بالشروط الخاصة برأس المال فهى :

١ - أن يكون رأس المال من النقود المضروبة ، ذهبا أو فضة مضروبين أو نقدا رائجا على الأصح . فلا تصح المضاربة على العروض من عقار أو منقول ، وقد أورد صاحب « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » حجة من قالوا بعدم جواز المضاربة بالعروض على أساس اعتبار ذلك من قبيل الغرر ، لأن المضارب يقبض العرض وهو يساوى قيمة غيرها ، فيكون رأس المال والربح مجهولا .

٢ - الا يكون رأس المال دينا فى ذمة المضارب ، وفى هذا يقول الإمام الكاسانى « إذا قال صاحب الدين للمدين أعمل بدينى الذى فى ذمتك مضاربة بالنصف فإن المضاربة فاسدة بلا خلاف » .

٣ - أن يكون رأس المال معلوما ، فلا يصح على مجهول القدر والمقصود من ذلك تحديد المال المضارب به ، باعتبار أن هذا المال المدفوع سوف تجرى إعادته عند تصفية المضاربة ، فإذا لمَ يكن معلوما فإن ذلك يؤدى إلى المنازعة .

٤ - أن يكون رأس المال مسلما للعامل ، ليتمكن من العمل فيه والمراد بالتسليم إما الدفع بالمناولة أو تمكين المضارب من أخذه وذلك لأنه أمانة فى يده ، ولا تصح المضاربة إلا بالتسليم والتخلية بين المضارب والمال فلو شرط بقاء يد المالك على المال فسدت المضاربة .

أما فيما يتعلق بالشروط الخاصة بالربح فهى :

١ - أن يكون نصيب كل من الطرفين - مما يرزق الله به من ربح - معلوما حينَ العقد ، أى بيان مقدار حصة المضارب من الربح على

←

---

(١٠) لمزيد من التوسع فى أحكام المضاربة ، انظر مقالنا : أضواء على المضاربة والبنوك الإسلامية ، مجلة الوعى الإسلامى العدد رقم ١٩٨ .

الأقل لأن ذلك يعتبر كافيا لإزالة الجهالة المفضية إلى النزاع ، فلو قال مالك المال للمضارب : إن لك ثلث الربح فإن هذا يعنى بداهة أن للدافع الثلثين ، فإذا لم يعلم قدر الربح فإن الجهالة ـ كما يقول السمرقندى ـ توجب فساد العقد لأن كل شرط يؤدى إلى جهالة الربح يفسد المضاربة .

٢ ـ أن يكون لكل من المضارب ورب المال حصة شائعة من الربح كالثلث أو النصف وليس مقداراً محدداً (كألف جنيه مثلا) وفى هذا يقول الزيلعى : أما إذا شرط لأحدهما دراهم مسماة فإن المضاربة تبطل لأنه يؤدى إلى قطع الشركة على تقدير أن لا يزيد من الربح المسمى[١١] .

المضاربة المطلقة والمضاربة المقيدة :

المضاربة المطلقة هى المضاربة التى لم تقيد بزمان ولا مكان ولا عمل ، ولا مايتاجَرُ فيه المضارب ولا من يتعامل معه ولا أى قيد من القيود .

أما المضاربة المقيدة فهى التى قيدت بشىء من تلك القيود .

ويقوم البنك الإسلامى بكلا النوعين إلا أن النوع الأول ـ المضاربة المطلقة أكثر ملاءمة لمعاملات البنك الإسلامى وهى الأصل فى التعامل بين البنك وأصحاب الودائع .

ثانيا : المشاركة أو شركة العنان :

يقصد الفقهاء بشركة العنان أن يشترك اثنان أو أكثر فى رأس المال أو فى عمل على أن يكون الربح الناتج مشتركا بينهما[١٢] .

وتنعقد شركة العنان عند جميع الفقهاء على الوكالة والأمانة ، فكل شريك يعد وكيلا عن صاحبه فيما يباشره من تصرف فى رأس مالها مما يعد من أعمال التجارة لا فيما يخرج عن ذلك ، وذلك فى حدود ما تضمنه عقدها من شروط وما قيدت من قيود تم الاتفاق عليها بين الشركاء ولا تتضمن كفالة أحدهم عن الآخر[١٣] .

ثالثا : المشاركة المتناقصة (المشاركة المنتهية بالتمليك) :

وهذا النوع من المشاركة قد يميل إليه كثير من المضاربين الذين لا يرغبون فى استمرار مشاركة البنك لهم ، وفى هذا النوع من المشاركة يعطى البنك الحق للشريك من الحلول محله فى الملكية دفعة واحدة أو على دفعات حسبما تقتضيه الشروط المتفق عليها وطبيعة العملية ، على أساس إجراء ترتيب

(١١) فخر الدين عثمان الزيلعى ، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق جـ ٥ (بيروت ، دار المعرفة ، بدون) ص ٥٤ .
(١٢) انظر : الشيخ على الخفيف ، أحكام المعاملات الشرعية . (القاهرة ، السنة المحمدية ، بدون تاريخ) ص ٣٥٦ .
(١٣) الشيخ على الخفيف ، الشركات فى الفقه الإسلامى (القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٨) ص ٤٩ .

منظم لتجنب جزء من الدخل المتحصل كقسط لسداد قيمة الحصة ، ومن المجالات المناسبة لهذا النوع قطاع المواصلات والمبانى[١٤] .

رابعا : بيع المرابحة :

ينقسم البيع بالنظر إلى الثمن الذى يتفق عليه المتبايعان إلى أربعة أقسام :

بيع المساومة .

وبيع المرابحة .

وبيع الوضيعة .

وبيع التولية .

وذلك لأن الإنسان إذا باع ما يملك بما تصل إليه مساومته مع المشترى من الثمن دون نظر إلى ما قام به المبيع عليه من مال فذلك بيع مساومة وهو البيع العادى ، وإذا باع الشيء بما قام به عليه من مال وهو كذا فذلك بيع التولية ، ومثاله أن تشترى داراً بألف جنيه فتبيعها بما قامت عليك من ثمن ونفقات أنفقتها عليها فى سبيل شرائها وإصلاحها وغير ذلك من كل ما يجرى العرف بضمه إلى الثمن وجملة ذلك ١٢٠٠ جنيه مثلا ، وإذا باعه بأقل مما قام به عليه من مال بمقدار كذا وإنه قام عليه بكذا فهذا بيع الوضيعة ، أما إذا باعه بما قام به عليه من مال وهو كذا مضافا إليه ربح مقداره كذا فهذا بيع المرابحة[١٥] .

تلك باختصار شديد أشكال وأساليب الاستثمار فى المصارف الإسلامية **ونستخلص منها أن المصارف الإسلامية لا تقدم قروضا مقابل سعر فائدة بل تدخل كشريك بطريق أو بآخر فى استثمار الحسابات الاستثمارية لديها وبناء على هذا فإن المشاركات التى يشارك بها البنك الإسلامى لا تنتقل كودائع لدى بنك آخر . بل ترصد لدى البنك الإسلامى لحساب المشاركة يتم الصرف فيها وفقا للاتفاق المبرم مع العميل ، من هنا فإن الموجات التضخمية لا تظهر كاثر لوظائف المصرف الإسلامى لأن أعماله تتكيف عفويا مع تطورات الاقتصاد القومى بحكم المشاركة الفعلية فى الإنتاج**[١٦] .

فالمصارف الإسلامية لا تلجأ إلى خلق النقود عن طريق التوسع فى « الائتمان» وإنما حل ـ محل هذه الوظيفة ـ الطرق والأساليب الشرعية للاستثمار هذا من ناحية المصارف الإسلامية .

إما بالنسبة لعرض النقود فإن لفقهاء المسلمين آراء فى تنظيم عرض النقود ، ويقوم هذا التنظيم على الصلة الوثيقة للسلطات النقدية فى المجتمع بجهاز التمويل ، وعدم إصدار نقود إلا بأسباب اقتصادية فعلية لا تؤدى إلى الإضرار بالقيم أو لمكاسب البعض على حساب الآخرين . ومن ثم فلا يكون هناك مجال لتوسع نقدى يفوق متطلبات التوسع فى الاقتصاد ، وبناء على ما تقدم فإن التضخم الذى يصاحب زيادة كمية النقود نتيجة للتوسع فى الائتمان من ناحية والتوسع فى الإصدار من ناحية أخرى لا وجود له فى ظل النظام المصرفى الإسلامى ، وذلك لتقيد الإصدار النقدى بالاحتياجات النقدية الاقتصادية

---

(١٤) انظر : مقالنا المشار إليه سابقا بمجلة الوعى الإسلامى ، العدد ١٩٨ .

(١٥) الشيخ على الخفيف ، أحكام المعاملات الشرعية ، مرجع سابق ، ص ٢٧٨ .

(١٦) د . على عبد الرسول ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

رجال القراءات

الإمام أبو جعفر المدنى

ثامن الأئمة القراء الإمام ابو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومى المدنى التابعى إمام المدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام .

مدنى مشهور ، رفيع الذكر . توفى سنة ثلاثين ومائة على الأصح .

قرأ القرآن على مولاه عبد الله بن عياش بن ابى ربيعة المخزومى وفاقاً ، وقال غير واحد : قرأ ايضاً على ابى هريرة ، وابن عباس رضى الله عنهم ، عن قراءتهم على أبىّ ابن كعب وصلّى بابن عمر ، وحدّث عن ابى هريرة ، وابن عباس رضى الله تعالى عنهم - اجمعين ، وكان قليل الحديث .

تصدى لإقراء القرآن دهراً ، فورد انه اقرأ الناس من قبل وقعة الحرّة [1] ، حتى قيل : إنه قرأ على زيد بن ثابت ولم يصح .

قرأ عليه نافع بن أبى نعيم ، وسليمان بن مسلم بن جماز ، وعيسى بن وردان الحذاء ، وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم ، وحدّث عنه مالك الإمام ، وعبد العزيز الدراوردى ، وعبد العزيز بن ابى حازم - رضوان الله عليهم .

وقد وثقه - فى الحديث الشريف - يحيى بن معين والنسائى .

قال أبو عبيد فى كتاب القراءات : كان أبو جعفر يقرىء الناس قبل وقعة الحرة ، حدثنا بذلك عنه إسماعيل بن جعفر . أخبرنا عمر الطائى أخبرنا زيد الكندى إجازة ، أخبرنا أبو الحسن بن توبة ، أخبرنا ابن هزار مرد ، أخبرنا عمر الكتانى ، كذلك أخبرنا ابن مجاهد . حدثنا محمد بن الجهم ، حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا إسماعيل بن جعفر . قال : قال لى سليمان بن مسلم : اخبرنى ابو جعفر أنه كان يقرىء في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل الحرة . وكانت الحرة سنة ثلاث وستين .

---

(١) موضع بظاهر المدينة تحت واقم ، وكانت وقعة الحرة به أيام يزيد بن معاوية

فضيلة الأستاذ الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

وأخبرنى أنه كان يمسك المصحف على مولاه عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة . وكان من أقرىء الناس قال : وكنت أرى كل ما يقرأ . وأخذت عنه قراءته . وأخبرنى أبو جعفر أنه اتى به إلى أم سلمة - رضى الله تعالى عنها - وهو صغير السن . فمسحت على رأسه ، ودعت له بالبركة .

وعن ابن أبى الزناد قال : كان أبو جعفر يقدم فى زمانه على معاوية .

وعن سليمان بن عباد : سألت أبا جعفر متى علمت القرآن ؟

قال : زمن معاوية .

وروى مُطرِّف بن عبد الله عن مالك عن أبى جعفر القارىء قال : رأيت ابن عمر إذا أهوى ليسجد يمسح الحصا لموضع جبهته مسحاً خفيفاً .

وروى محمد بن اسحاق المسيبي عن أبيه عن نافع قال : كان أبو جعفر يقوم الليل ، فإذا أصبح جلس يقرىء الناس فيقع عليه النوم - فيقول لهم : خذوا الحصا ، فضعوه بين أصابعى - ثم ضموها - فكانوا يفعلون ذلك .

وعن زيد بن أسلم ، قال : قال رجل لأبى جعفر مولى ابن عياش ، وكان في دينه فقيهاً ، وفى دنياه أبله[٢] : هنيئا لك ما أتاك من القرآن . فقال : ذاك إذا أحللتُ حلاله وحرمت حرامه وعملت بما فيه .

ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال : كان أبو جعفر يصلى خلف القراء فى رمضان يلقنهم ، يؤمر بذلك ، وكان بعده شيبة جعلوه كذلك .

وعن مالك بن انس قال : كان أبو جعفر القارىء إذا مَرَّ سائل وهو يصلى بالليل دعاه فيستتر منه - ثم يلقى إليه إزاره .

أحمد بن عبد الرحمن بن وهب عن عمه قال : قال لى مالك : كان أبو جعفر القارىء رجلاً صالحاً يفتى الناس بالمدينة .

وقال يونس بن حبيب : حدثنا قتيبة بن مهران ، حدثنا سليمان بن مسلم بن جماز : سمعت أبا جعفر يحكي لنا قراءة أبى هريرة فى ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ « التكوير » - ١ - يحزنها شبه الرثاء .[٣]

قراءة أبى جعفر رضى الله عنه :

فأما قراءة أبى جعفر فدارت على أحمد بن زيد الحلوانى : عن قالون ، عن عيسى بن وردان الحذاء ، عن أبى جعفر قرأ بها الفضل ابن شاذان الدارى ، وجعفر بن الهيثم عن الحلوانى ، وقرأ بها الزبير بن محمد العمرى ، عن قراءته على قالون بإسناده ، وأقرأها سليمان بن داود الهاشمى ، عن

(٢) يريد : لا يلتفت لدنيا فتكون اكثر همه .

(٣) أى يتلوها فى خشية وخوف .

الإمام أبو جعفر المدنى

سليمان بن مسلم بن جماز عن أبى جعفر. واقرأها الدورى عن إسماعيل بن جعفر، عن أبى جعفر. أو عن رجل عنه، وأقرأه أبو جعفر طُرُقاً عدة. قال ابن وهب: حدثنى ابن زيد بن أسلم - عن سليمان بن مسلم قال: رأيت أبا جعفر القارىء على الكعبة. فقلت أبا جعفر؟ قال: نعم، أقرىء إخوانى السلام. وخبرهم أن الله تعالى جعلنى من الشهداء الأحياء المرزوقين، وأقرىء أبا حازم السلام. وقل له: يقول لك أبو جعفر: الكَيْسَ. الكَيْسَ. فإن الله تعالى وملائكته يتراءون مجلسك بالعشيات.

وروى محمد بن اسحاق المسيبى: حدثنى أبى عن نافع قال: لما غُسل أبو جعفر القارىء - نظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف. فما شك من حضره أنه نور القرآن - رحمه الله.

رواته وطرقه:

روى عنه القراءة ابن وردان وابن جماز، فأما ابن وردان فمن طريقين:

الأولى: طريق أبى العباس الفضل بن شاذان بن عيسى الرازى. وكان إماماً كبيراً، ثقة عالماً، وقال الدانى: لم يكن فى دهره مثله فى علمه، وفهمه، وعدالته، وحسن اطلاعه. وتوفى فى حدود سنة تسعين ومائتين.

الثانية: طريق أبى القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد بن الهيثم البغدادى، وكان مقرئا حاذقا مشهوراً بالاتقان والعدالة، وتوفى فى حدود سنة خمسين وثلثمائة.

وأما ابن جماز فمن طريقين:

الأولى: طريق أبى أيوب سليمان بن داود ابن على بن عبد الله بن عباس الهاشمى البغدادى. وكان ثقة صدوقاً ضابطاً مشهوراً.

قال الخطيب البغدادى:

مات داود بن على وابنه حمل. فلما ولد سموه باسمه (داود). وتوفى سليمان سنة تسع عشرة ومائتين.

الثانية: طريق الدورى السابق فى قراءة أبى عمرو بن العلاء.

وعن هذين الراويين تعددت طرق الإمام أبى جعفر حتى قاربت المائة وانتشرت وذاعت.

سند أبى جعفر:

قرأ أبو جعفر على مولاه عبد الله بن عياش ابن أبى ربيعة المخزومى، وعلى الحبر البحر عبد الله بن عباس الهاشمى، وعلى أبى هريرة، وقرأ هؤلاء الثلاثة على أبى المنذر: أبى بن كعب.

وقرأ أبو هريرة وابن عباس أيضاً على زيد ابن ثابت، وقيل: إن أبا جعفر قرأ على زيد نفسه. وذلك محتمل، فإنه صح أنه أتى به إلى أم سلمة زوج النبى - صلى الله عليه وسلم - فمسحت على رأسه ودعت له. وأنه

صلى بابن عمر بن الخطاب ، وأنه أقرأ الناس قبل الحرة . وكانت الحرة سنة ثلاث وستين .

وقرأ زيد وأبى على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

مذهب ابى جعفر فى القراءة

كان رضى الله عنه يجهر فى أول القراءة بالتعوذ ، و(بسمل) فى أول كل سورة ، وبين السورتين سوى ، سورة التوبة ، فلا يبسمل أولها ، وفاقا لجماعة ؛ فقد أجاز الأئمة من رجال الأداء ـ(مكى بن أبى طالب) فى كتابه : التبصرة، والإمام الشاطبى فى (حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع) والإمام ابن الجزرى فى (طيبة النشر فى القراءات العشر) وغيرهم كثير ـ أجازوا جميعاً البسملة فى وسط سورة براءة ، وأجزائها ، ولو بعد آية منها . قال الإمام الشاطبى ـ رضوان الله تعالى ـ عليه :

ولابد منها فى ابتدائك سورة
سواها ، وفى الأجزاء خُيِّرَ مَنْ تَلا

وقال ابن الجزرى ـ فى طيبته :

. . . .

وفى ابتدا السورة كُلٌّ بسملا
سوى براءة فلا ، ولو وُصِل
وَوَسَطاً خَيِّرْ وفيها يحتمل

والمعنى لدى الإمامين:
أنه لابد من الإتيان بالبسملة فى أول كل سورة سوى (براءة) فلا بسملة فى أولها اتفاقاً ، فأما فى أجزاء السور جميعاً ـ بما فيها براءة ـ فالقارىء مخير بين قراءتها وتركها .

وكان أبو جعفر ـ رحمه الله ـ يسكت ـ بدون تنفس ـ على كل حرف من حروف التهجى فى جميع سور القرآن التى بدأت بحروف تهج مثل (الم) فيقرأ (ا) ويسكت ثم (ل) ويسكت و(م) ويسكت . قراءة جيدة متواترة من الأحرف السبعة .

وأما مذهبه فى الهمز فإنه كان يبدل كل همزة ساكنة من جنس حركة ما قبلها نحو يؤمن ، وبئس ، ويأتى ، واقرأ ، ونَبِّىءْ ، وإن نشأ ، وتسؤهم ، وتؤوى[4] ورئياً ، ولم يستثن من ذلك شيئاً سوى أنبئهم ، ونبئهم لا غير .

فأما (رؤيا) و(الرؤيا) كيف جاءت . فإنه إذا أبدل الهمز قلب الواو ياء لوقوع الياء بعدها ، ثم يدغم الياء فى الياء .

وأما قوله تعالى : ﴿ مَن يَشَأْ اللهُ يُضْلِلْهُ ﴾ ، ﴿ فَإِن يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ ﴾ ، فإنه إذا (وقف) أبدل الهمزة منه ألفاً . ولا يبدلها (وصلاً) لوجود الكسرة .

ويبدل من الهمزة المتحركة أصلاً مطردا ، وهو إذا وقعت الهمزة مفتوحة بعد ضم وكانت فاء من الفعل نحو : يؤخر ، ويؤلف ، ومؤجلاً .

---

(٤) إذا أبدل همزة (وتُؤْوى) لأحزاب ، و(تُؤْويه) بالمعارج ، فإنه لا يدغم الواو فيما بعدها . بل يقرأ بواوين مظهرتين . الأولى ساكنة والثانية مكسورة . وأما ـ (رِئيا) ـ فى (مريم) فإنه إذا أبدل هَمْزةُ ياء ادغمه فى الياء الثانية .

الإمام أبو جعفر المدنى

واستثنى ابن وردان من ذلك حرفاً واحداً وهو (يؤيد) لا غير فإنه يقرؤها بالهمز .

وكذلك يبدل الهمزة المفتوحة بعد كسر ياء ـ من (ليبطئن) ، و(رئاء) ، و(قرىء) ، و(لقد استهزىء) ، و(لنبوئنهم) ، و(فئة) و(مئة) كيف وقعا ، و(ملئت) ، و(خاطئة) ، و(الخاطئة) ، و(شانئك) و(خاسئا) . وصح عنه الوجهان فى (ملئت) ، و(خاطئة) ، و(الخاطئة) ، و(ناشئة) ، و(شانئك) ، و(خاسئا) ، كذلك قرىء بالوجهين عنه فى (موطئا) .

وكذلك يحذف الهمزة المضمومة إذا وقعت بعد كسرة ، وكان بعدها واو . نحو يستهزئون ، وانبئونى وليطفئوا .

وقد استثنى لابن وردان حرف واحد . وهو (المنشئون) بالواقعة على وجهين بين أهل الأداء . وإذا حذف الهمزة من ذلك ضم ما قبل الواو . وكذلك يحذف الهمز من (يطئون) ، (تطئوهم) ، و(لم تطئوها) حيث وقع . كذلك يبدل الهمزة من (كهيئة) ياء ، ويدغم الياء الأولى فيها[٥] . وهذا اللفظ فى آل عمران ، والمائدة . وكذلك يحذف الهمزة إذا وقعت مكسورة وبعدها ياء من ـ (متكئين) ـ حيث وقع ، وخاطئين ، ومستهزئين . هذه الثلاثة أحرف لا غير . وكذلك يحذفها من قوله تعالى : (متكئاً) . وهو فى سورة يوسف . وسهل الهمزة بين بين من (إسرائيل) حيث وقع . وكأين[٦] لا غير .

ابو جعفر والنحاة :

سبق أن بينا أكثر من مرة أن القراءة سُنَّةٌ متبعة يأخذها الآخر عن الأول متصلة برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سلسلا . متواترة ، ولا مدخل للرأى أو القياس فيها وما استنبطه النحاة من قواعد لا يجوز إذا تخالفت والكتاب العزيز أن نحكمها فى الكتاب ، وذلك لما سبق أن بيناه فى مقالاتنا فى القراء العشرة أن هذه القواعد لم تستنبط بعد حصر تام لأقوال العرب ، ومسنا ذلك فى أكثر من مثال سابق حيث يعترض بعض النحاة على قراءة فيقوم أمامه من يجد لها أكثر من شاهد تركه المعترض .

والأمر كان ذلك مع لإمام أبى جعفر رضى الله عنه فى قراءته : ﴿لِيُجْزَى قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الآية ١٤ من سورة الجاثية . حيث اعتبر بعض لنحاة نصب (قوماً) قراءة شاذة .

وقد بسط ابن هشام القضية ورد هذا القول فى كتابه قطر الندى فى باب نائب الفاعل وبين عدم الشذوذ ، وقد سبقه الإمام

---

(٥) وكذلك يفعل فى جزء ، وجزءاً . فيبدل الهمزة زايا ، ويدغم الزاى قبلها فيها . وأيضاً يبدل همزة ، النسيء ، فى التوبة ياء ، ويدغم الياء قبلها فيها .

(٦) وكذلك يسهل همزة فى باب ـ أرأيتم ـ وفى ـ هأنتم اللائى . حيث وقع ,كذلك يبدل الهمز ياء فى النبى وبابه .

أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى المتوفى سنة ٦١٦ هجرية إلى بيان جوازها حيث قال :

قوله تعالى : ﴿لِيَجْزِىَ قَوْماً﴾ بالياء والنون[٧] على تسمية الفاعل ، وهو ظاهر . ويقرأ على ترك التسمية [أى بالبناء للمفعول] ونصب (قوم) وفيه وجهان :

أحدهما ـ وهو الجيد : أن يكون التقدير : ليُجزَى الخيرُ قوماً على أن الخير مفعول به فى الأصل كقولك : جزاك الله خيراً ، وإقامة المفعول الثانى مقام الفاعل جائزة .

والثانى أن يكون القائم مقام الفاعل : المصدر ، أى ليجزى الجزاء ، وهو بعيد[٨] .
والوجه الثانى هذا هو اختيار العلامة ابن قتيبة حيث قال ـ بعد ذكر الآية : أى ليُجْزَى الجزاءُ قوماً ، وأنشدنى بعض النحويين :

وَلَوْ وَلَدَتْ قُفَيْرَةُ جَرْوَ كَلْبٍ
لَسُبَّ بِذَلِكَ الْجَرْوِ الكلابَا[٩]

وابن قتيبة ـ رحمه الله ـ متقدم على أبى البقاء فقد كانت وفاته عام ٢٧٦ هـ

ولم يذكر أحد الإمامين شذوذاً فى القراءة .
قال ابن هشام ـ فى باب نائب الفاعل ـ عند ذكره للشرط الثالث : ألا يكون المفعول به موجودا ، قال :

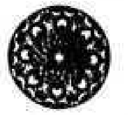
فلا تقول : ضُرِبَ اليومُ زيداً خلافاً للأخفش والكوفيين .... واحتج المجيز بقراءة ابى جعفر ﴿لِيُجْزَى قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وبقول الشاعر :

وإنما يرضى المنيب ربه
مادام معنيا بذكر قلبه

فأقيم (بما) و(بذكر) مع وجود (قوما) و(قلبه) . وأجيب عن البيت بأنه ضرورة[١٠] وعن القراءة بأنها شاذة .

قال ابن هشام :
ويحتمل أن يكون القائم مقام الفاعل ضميراً مستترا فى الفعل عائداً على الغفران المفهوم من قوله تعالى : ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾[١١] أى : لِيُجْزِىَ الغفران قوماً ، وإنما اقيم المفعول به ، غاية ما فيه أنه المفعول الثانى . وذلك جائز . أ . هـ

إبراهيم عطوة عوض



(٧) اى ليجزى ، ولنجزى .
(٨) انظر التبيان فى إعراب القرآن القسم الثانى ص ١١٥٢ ط عيسى البابى الحلبى .
(٩) انظر تأويل مشكل القرآن ص ٤٠ ط عيسى البابى الحلبى وتحقيق سيد صقر .
(١٠) سبق للعلامة ابن قتيبة استشهاد ببيت آخر فليس الأمر ضرورة .
(١١) الآية ١٤ من الجاثية .



● روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :

(جاءت امراة إلى النبي ﷺ فقالت يارسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً ناتيك فيه تعلمنا مما علمك الله فقال:اجتمعن فى يوم كذا وكذا فاجتمعن فاتاهن فعلمهن مما علمه الله) .

ولايخفى ما فى هذا الأمر المؤكد من تكريم المراة والعناية برفع مستواها وحثها على التثقيف بالثقافة الإسلامية .

واي خير اعظم من الدعوة إلى الله ، واية ثقافة انفع من ثقافة الإسلام .. إنها ثقافة تكسب الإنسان معرفة الخالق والخلق . واصول الحياة وسننها واحكامها الصحيحة .

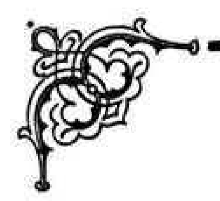
ومن هنا نجد للمرأة فى تاريخ الإسلام مالانجده للمرأة فى العالم الحديث فعلى الرغم من الدعوة العريضة لتحرير المرأة ورفع مستواها فى أمريكا وأوربا ، وعلى الرغم من وجود مدرسات وطبيبات ، لم ينبغ فيهن المرأة التى تكون لكبار الرجال إماماً يأخذون عنها .

بينما نجد فى مختلف عصور الإسلام نساء لهن أثر بالغ يخلده التاريخ حيث كن للرجال والنساء قدوة .

هناك السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ كانت شاعرة وأديبة وعالمة بالطب .. وفقيهة مجتهدة يُؤْخذ عنها الدين والقرآن والسنن والفتوى .

وفى أتْبَاع الصحابة (كانت حفصة بنت سرين) و (أم الدرداء) فى علوم الدين وكانت (عائشة بنت عبد الرحمن) وغيرها فى الشعر والأدب ، وهكذا برز فى العهد العباسى فى الشرق ، وفى ظل الأمويين فى الأندلس الكثير من النساء اللواتى اشتهرن بمعارفهن العلمية والأدبية حتى كان ذلك ، كما قال (لوبون) :

من الأدلة على أهمية النساء أيام نضارة



للأستاذ/ محمود السباعي

حضارة العرب (حضارة العرب جوستاف لوبون ص ٤٨٩) .

وفي الحديث النبوي الشريف ساهمت المرأة في هذا المجال بنصيب طيب بدأ بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي مكنتها صلتها بالنبي ﷺ من إثراء هذا العلم .

وبرزت نساء أخريات في فترات متتالية في هذا العلم ومن أشهرهن (أم الكرام بنت أحمد المروزية) التي انتهى إليها علو إسناد صحيح الإمام البخاري في القرن الخامس الهجري والتي كانت عالمة عصرها في الحديث ومقصد علماء زمانها حيث كانوا يحضرون مجالسها العامرة في مكة المكرمة للأخذ عنها والدراسة عليها والرواية عنها في إطار من أدب إسلامي ملتزم .

ومع كل ماقدمته كريمة للحديث النبوي إلا أنها لم تحظ في العصور المتأخرة بما يلائم مكانتها الفذة من الدراسة .

وفي هذا المقال محاولة لإلقاء بعض الضوء على حياة (كريمة) ودورها في خدمة الحديث النبوي الشريف .

نشـــــأتها :

ولدت كريمة في عام ٣٦٥ هجرية على وجه التقريب في قرية (كشميهن) إحدى قرى خراسان الواقعة في أقصى الشرق الإسلامي المعروف في ذلك الوقت .

والدها : هو أحمد بن محمد بن أبي حاتم الذي تغفل المصادر أمره مكتفية بذكر اسمه فقط مما يدلل على أنه لم يكن له دور يذكر في ميدان العلم ، ولكنه فيما يبدو عكف على تربية ابنته تربية حسنة مستغلاً ما لمحه فيها من ذكاء والمعية في مخايلها ليدفع بها نحو التحصيل والدرس ، موفراً لها كافة الظروف الملائمة مقدماً لها كل عون مطلوب ، ويساعده ارتفاع المستوى الثقافي والفكر لقرية (كشمهين) التي ينسب إليها جمع من الفضلاء منهم :

الحافظ أبو الهيثم محمد بن مكي بن زارع الكشميهني الذي كان أول أساتذتها والذي أدركته صغيرة في السن فتلقت عنه مباشرة ، ودرست صحيح البخاري عليه دراسة متقنة حتى أن جل المصادر تجعله همزة الوصل بينها . فنجد الذهبي يقول « روت الصحيح عن الكشميهني » ويقول ابن خطيب الدهشة (سَمِعَتْ جامع البخاري عن الكشميهني) ، ويقول ابن كثير : (سمعت صحيح البخاري عن الكشميهني) ويقول ابن الجوزي (سمعت أبا الهيثم وغيره) وإلى ذلك يشير كثير من العلماء[1] كالعاملية وكحالة .

وكانت كريمة في حوالي الرابعة والعشرين من عمرها عند موت أبي الهيثم ولانعرف على التأكيد إذا كان لقاؤها به قد تم في

←

* الكاتب : أستاذ المواد الشرعية بمعهد السويس الديني الأزهري .

١ ـ انظر أيضاً لابن العماد الحنبلي شذرات الذهب ٣ / ٢١٤ دار الآفاق ببيروت وهي في هذا المرجع : كريمة بنت احمد بن محمد بن حاتم أم الكرام المروزية ١٠ هـ .. مجلة الأزهر .

(كشميهن) موطنها الأصلى ، أو فى مدينة مرو الشاهجان التى هاجرت أسرتها إليها فيما بعد حسبما تذكر المصادر العديدة .

وإذا كنا قد عرفنا علاقتها بأبى الهيثم ؛ فإن علاقتها بالحميدى غير معروفة فلعلها لم تلتق به .

أما أستاذ (كريمة) الثانى فهو العلامة الإمام زاهر بن أحمد السرخسى الذى كان من أئمة الحديث فى عصره . حظى باحترام معاصريه وتقدير الأجيال من بعدهم إلى ماشاء الله تعالى ، وكان معاصراً لأبى الهيثم ، ومات فى نفس العام الذى مات فيه أبو الهيثم وهو عام ٣٨٩ هجرية .

وقد درست عليه (كريمة) الحديث أيضاً ، ولعل ذلك كان فى مدينة (مرو الشاهجان) ولاتشير المصادر إلى علماء أخرين درست عليهم كريمة ولاتتحدث عن أساتذتها ، أو من أخذت عنهم فى مجالات المعرفة الأخرى كالقرآن الكريم وعلومه والنحو والصرف واللغة والبلاغة والأدب وهى علوم لانشك فى أنها قد اتقنتها وألمت بها على أيدى أساتذة متخصصين ، وهذه بدهية لاتحتاج إلى تدليل ، ولعل المراجع الإسلامية المنتشرة فى خزائن العالم فيها ما نود من تفصيل .

مجلسهـا العلمــى :

وقد تفرغت لدراسة الحديث وتخصصت فى الصحيح للإمام البخاري حيث ركزت كل جهدها على دراسته وحفظه وروايته وضبطه ، حتى أصبحت حجة خلال عصرها ، ودفعها الشغف بالحديث الشريف ودراسته إلى الهجرة من (مرو الشاهجان) إلى (مكة المكرمة) ، فرحلت تقطع الفيافى والقفار من أقصى الشرق الإسلامى حتى حطت رحالها بالأرض الحرام مهاجرة لله تعالى طالبة مجاورة بيته العتيق ، وكانت تشارف الثلاثين من عمرها حين ذاك .

وفى مكة المكرمة ملتقى افئدة المسلمين ، اشتهر أمر (كريمة) وذاع صيتها فى الآفاق الإسلامية عبر الحجيج ، فقصدها العلماء والفضلاء للأخذ عنها .

وتدل الأسماء الكبيرة المنتمية إلى اقاليم إسلامية متفرقة فى الشرق والغرب على أنها بلغت شأواً بعيداً فى العلم وهى فى مكة حيث كان لها مجلس علم يحضره العلماء والطلاب وهى تلقى على كُلٍّ مايطلبه بعبارة فصيحة المأخذ دقيقة المعنى لاتنقصها الطلاوة ، ولاتعوزها السلاسة .

وكان مجلس (كريمة) هذا مجلساً حافلاً حضره جملة من أعلام القرن الخامس ، ومشاهير علمائه من بينهم العالم المؤرخ

---

٢ ـ أحد الرواة للبخارى عن الفربرى وروى عن ابن عباس الدغوالى توفى سنة ٣٨٩ هجرية .

٣ ـ أحد الأئمة الرواة تفقه بأبى محمد الجوينى وسمع القفال والمروزى وغيره .

٤ ـ اكبر مدن خراسان واشهرها .

(أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى) صاحب التاريخ المشهور والذى قرأ عليها صحيح البخاري فى خمسة أيام ، وكذلك (العلامة السمعانى) صاحب (كتاب الأنساب) ، و (أبو عبد الله محمد بن بركات ابن هلال السعيدى) النحوى الذى يروى الصحيح عنها .

علماء يشهدون بمكانتها :

ومما يجعلنا ندرك عظمة مكانة (كريمة) فى ذلك العصر تلك المكانة التى نَوَّهَ بها ، وأثنى عليها كل من تحدث عنها فنجد ابن الجوزى يشير إلى أنها كانت عالمة صالحة .

ويقول اليافعى : إنها كانت ذات ضبط وفهم ونباهة .

ويصفها ابن الأثير بقوله : (وهى التى تروى صحيح البخارى وإليها انتهى علو الإسناد للصحيح) .

وعدها ابن الأهدل من الحفاظ ، كما نقل عن أبى زر الهروى وكان من علماء مكة انه قال عند موته : (عليكم بكريمة فإنها تحمل كتاب البخارى عن طريق أبى الهيثم) يقصد ترويه بإسناد عالٍ وتقول عنها العاملية : وروايتها من أصح الروايات للبخارى : (وكانت تضبط كتبها وتقابل بنسخها وكان اكثر ميلها للحديث حتى بلغت فيه حداً لم يبلغه غيرها فكانت محدثة فاضلة ذات فهم ونباهة .

والواقع أن مكانة (كريمة) الرفيعة فى مجال الحديث النبوى الشريف لم تحظ بمثلها امراة أخرى .

وبلا مراء فإن الشهرة التى حصلت عليها فاقت بها عشرات من العلماء الأفاضل الذين ظهروا فى عصرها وبزت بها أساتذة من الرجال مما دفع بعالمٍ كبير وهو الخطيب البغدادي أن يحضر مجلسها ويسمع منها ويقف بين يديها موقف التلميذ من الأستاذ .

وإذا كان الجانب الشخصى من حياة كريمة لم يدون عنه مايوضحه ، فإن الجانب العلمى من حياتها كتبت عنه شذرات لم تستوف حاجة الدارسين .

فنحن لانملك أدلة كافية عن مشاركة علمية لها ظهرت فى شكل كتاب مستقل ، والمصادر التى نملكها لاتشير إلى هذه القضية ، إشارة واضحة إذ كل الذى قيل عنها أنها جمعت الصحيح بروايتها .

ويبدو أن قول العاملية : إنها كانت تصنف كتبها وتقابل بنسخها ، لايعنى أنها وضعت مؤلفات خاصة بل هى نص صريح فى إتقانها وجمعها لصحيح البخارى فقط ، ولكن على الرغم من ذلك فإن المرء لايستبعد أن تكون لها مؤلفاتها الخاصة بها فى الحديث وعلومه غير أن الجزم بذلك صعب لفقدان الدليل المادى الذى يؤيده .

العالمـة الصـالحة :

ولم يكن الجانب العلمى هو كل ماتصفت به كريمة بل يضاف إلى ذلك الصلاح والتقوى والكرم والجود ووصفت (بالعالمة الصالحة) .

←

كريمة المروزية فقيهة مكة

هذا إلى جانب تمتعها بشخصية قوية تتضح من تفرغها التام للعلم والتدريس حتى أنها عاشت حياتها عازفة عن الزواج وماتت بكراً وهى تشارف حوالى المائة عام ٤٦٣ هجرية أو ٤٦٥ هجرية فى مكة المكرمة ، التى عاشت فيها الجانب الأكبر من حياتها مجاورة لبيت الله الحرام .

والمؤسف أن يتناسى ذكر (كريمة) فى العصر الحديث ، مع أنها تمثل عظمة المرأة المسلمة ومشاركتها الفعالة فى الحركة الفكرية الإسلامية ، انطلاقاً من قيم الإسلام الخالدة التى أعطت المرأة كل الحق فى العمل الجاد والبناء والمشاركة المثمرة فى إطار من أدب الإسلام وأحكامه العامرة .

محمود السباعى

المصـــادر :

١ ـ ابن الأثير عز الدين أبو الحسن على ابن أبى الكرم (٥٥٥ ـ ٦٣٠) الكامل القاهرة ١٢٩٠ هـ .

٢ ـ الجاسر الحمد .. اثر الحج فى نشر الثقافة جريدة المدينة المنورة عدد ٢٣٧٥ ٧ ذو الحجة ١٣٩١ هـ .

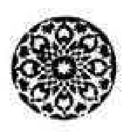
٣ ـ اللباب فى تهذيب الأنساب . مكتبة القدس ١٣٥٧ هـ .

٤ ـ ابن الجوزى (المنتظم فى تاريخ الملـوك والأمم) دائرة المعـارف العثمانية ١٣٥٩ هـ .

٥ ـ ابن الخطيب الدهشة تحفة الأرب فى شكل الأسماء والنسب .

٦ ـ العاملية (زينب بنت على بن حسين فى طبقات ربات الخدور . القاهرة المطبعة الأميرية ١٣١٢ هـ .

٧ ـ ابن كثير عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشى ت ٧٧٤ هـ البداية والنهاية فى التاريخ . القاهرة مطبعة السعادة ١٣٥٨ هـ .



الدروس المستفادة من عمليات الاستطلاع والقتال

قبل غزوة بدر الكبرى



لــواء أ.ح
محمد جمال الدين محفوظ

« فى خلال الفترة من رمضان من السنة الأولى للهجرة إلى رجب من السنة الثانية للهجرة وقعت اربع غزوات هى غزوة ودان ـ بواط ـ ذات العشيرة ـ بدر الأولى، واربع سرايا هى سرية حمزة ـ سرية عبيدة بن الحارث ـ سرية سعد بن ابى وقاص ـ سرية عبد الله بن جحش ، وكان لهذه العمليات طابع خاص يتناسب مع الموقف الاستراتيجى بعد الهجرة إلى المدينة وقد حفلت بعدة دروس نافعة فى مجال الإعداد لمواجهة العدوان .

سابعا : مولد النظرية الإسلامية فى الاستطلاع الحربى :

● ويستطيع الباحث المدقق أن يستخلص من وقائع سرية عبد الله بن جحش فى رجب من السنة الثانية للهجرة مبادىء نظرية محكمة للاستطلاع الحربى كما يلى :

١ ـ الاستطلاع ضرورة حيوية :

● الاستطلاع فى العلم العسكرى هو : « مجموع التدابير المتخذة لجمع المعلومات الدقيقة عن تحركات العدو واكتشاف مواقعه المتقدمة والخلفية بغية مساعدة القائد على اتخاذ قرار سليم بناء على معلومات دقيقة ما أمكن ، وتعريض القوات الصديقة للحد الأدنى من المفاجآت »(١)

● ولقد أثبتت الغزوات والسرايا عامة وسرية عبد الله بن جحش بخاصة عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بالاستطلاع وعلمه بمزاياه وضرورته الحيوية للتخطيط فى جميع مستوياته الاستراتيجية والتكتيكية أو لإدارة المعارك . وقد قرر عليه الصلاة والسلام ـ وهو

←

(١) الموسوعة العسكرية ـ ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ حـ ١ ص ٧٠ .

الدروس المستفادة من عمليات الاستطلاع

يعطى المثل بنفسه ـ أن « على القائد أن يسعى إلى معرفة أكبر قدر من المعلومات عن عدوه من حيث كفاءته القتالية وأسلحته وأساليب قتاله، وعن مصادر قوته من النواحى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وعن أهدافه ونواياه، هذا فضلا عن استطلاع طبيعة الأرض من الناحية الطبوغرافية والسكان.

● ثم إن النشاط الاستطلاعى الواضح فى هذه العمليات وخاصة سرية عبد الله بن جحش التى تعد كما هو معروف فى العلم العسكرى « استطلاعا بعيد المدى وفى عمق أراضى العدو » يبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقرر أن ضرورة الاستطلاع وحيويته « تزداد » إذا لم يكن هناك اتصال أو « تماس » بالعدو بسبب بعد المسافة بين مواقع الطرفين كما كان الحال بين المسلمين فى المدينة وبين قريش فى مكة على مسافة ٤٠٠ كيلو متر .. وذلك ما يؤكده العلم العسكرى حيث يقرر مايلى : « وتصل أهمية الاستطلاع إلى الدرجة القصوى فى حالة انقطاع التماس مع العدو أو عندما يكون الوضع عائما غير واضح[٢].

● ويقول الأستاذ عباس العقاد فى كتابه (عبقرية محمد) « كان النبى عليه السلام عليما بمزايا الاستطلاع ومعنيا به غاية العناية، يحسب العدو المجهول، كالعدو المستتر بأسوار الحصون، فى حمى من الجهل به، قد يحول دون الاستعداد له بالعدة الضرورية فى الوقت الضرورى، ويحول من ثم دون الانتصار عليه ».

● وهكذا تقرر النظرية الإسلامية فى الاستطلاع أن الاستطلاع ضرورة حيوية وأن له صلة وثيقة بأمن الأمة وسلامتها وبالنصر على أعدائها، والله تعالى يقول : ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .(الملك ٢٢)

٢ ـ الاستطلاع ترصد وتعلم :

● وأول مايسترعى الانتباه فى التعليمات التى تلقاها عبد الله بن جحش أن الرسول صلى الله عليه وسلم استخدم أبلغ وأدق وأحكم الألفاظ التى تعبر عن مفهوم الاستطلاع وطبيعته فى نظر الإسلام وترشد إلى ما يجب أن يكون عليه : « ... فامض حتى تنزل نخلة فترصد بها قريشا، وتعلم لنا من أخبارهم »[٣]

١ ـ فكلمة « ترصد » : أقوى بكثير جداً من كلمة « ارصد » فهى تنطوى أكثر منها على معانى « المبالغة » فى اليقظة والتحفز واستمرار النظر والإيجابية والحذر من انكشاف أمره للأعداء.

٢ ـ وكلمة « تعلم » : تنطوى أكثر من غيرها من ألفاظ المعرفة على معانى الدقة والإتقان والإحاطة الشاملة، فضلا عن أنها

(٢) الموسوعة العسكرية المرجع السابق ص ٧١ .
(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ـ القسم الأول .

« تضمن » حصول القيادة على المعلومات كاملة وبكل تفاصيلها .

● وذلك مانعرفه من المعنى اللغوى لهذين اللفظين :

- رَصَدَه رصْداً ورصَدا : قعد له على الطريق يرقبه .. وترصَّده وترصَّد له : ترقَّبه . وهو له بالمرصاد : يراقبه ولا يفوته .
- علم الشيء وعلم به : شعر به ودرى ، وتعلَّم الأمر : اتقنه وعرفه[4] .

٣ - ضرورة مراعاة السرية فى الاستطلاع :

ويقرر الرسول صلى الله عليه وسلم ضرورة مراعاة السرية فى الاستطلاع ، وقد استخدم لذلك أسلوب « الرسائل المكتومة » لأول مرة فى تاريخ الإسلام ، فحقق بذلك أعلى درجات السرية .

١ - فالمهمة نفسها كانت مجهولة لمفرزة الاستطلاع قائدا وأفراداً ، لأنها كانت فى طى الرسالة المغلقة التى قضت التعليمات بعدم فتحها إلا بعد مسيرة يومين .
٢ - والمهمة بالتالى كانت مجهولة لجميع أهل المدينة مسلمين وغير مسلمين ، وقد أراد الرسول ﷺ بذلك ألا يتسرب شىء من أخبارها إلى العدو .

● وفى ذلك تطبيق لسنته صلوات الله وسلامه عليه : « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان »[5]

٣ - أضف إلى ذلك ما ينطوى عليه « منطوق » التعليمات من مراعاة السرية كلفظ « ترصد » كما بينا - والحرص على ألا يكشف العدو أمر المفرزة .

● وللرسول القائد صلى الله عليه وسلم حكمة فى كتمان أمر تلك السرية عمن يحيطون به :

١ - فليس ببعيد أن يكون منهم جاسوس من قبل قريش يسارع بإبلاغها خبر السرية .
٢ - وليس ببعيد أن يكون منهم من يبوح بالخبر عن سذاجة ، لايريد به السوء ، أو لا يدرك مافى البوح به من الخطر المنظور .
٣ - ولا يبعد أيضا أن يكون فيهم ضعيف النفس يفشى السر بتأثير مال أو ضغط .

● وهكذا يقرر الرسول صلى الله عليه وسلم أن استطلاع أحوال العدو يجب أن يحاط بالسرية التامة ، وهذا حق ، لأن العدو إذا أحيط علما بذلك ، فسوف يستعد استعدادا تاما لحرمان من يقومون بالاستطلاع من الحصول على المعلومات التى يريدونها ، وبذلك لا يتحقق الغرض من الاستطلاع ، فضلا عما ينتظر حدوثه من خسائر مؤكدة فى أرواح رجال الاستطلاع أو من وقوعهم فى الأسر فيكشف العدو من استجوابهم الخطط والنوايا .

←

---

(٤) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية .
(٥) أخرجه ابن عدى فى الكامل ، والطبرانى فى الكبير ، وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الإيمان .

الدروس المستفادة من عمليات الاســـتطلاع

● وفى الحرب الحديثة يحاط الاستطلاع بكل أسباب السرية ، فمفارز (دوريات) الاستطلاع مثلا تقوم بعملها فى جنح الليل غالبا ، فإذا اضطرتها ظروف المعركة إلى العمل نهارا ، نراها تتخذ كل أساليب الإخفاء والتمويه والحذر .

٤ - أسس اختيار أفراد الاستطلاع :

● ويقرر الرسول ﷺ عدة أسس يقوم عليها اختيار الذين تناط بهم مهام الاستطلاع نذكر منها مايلى :

١ - التطوع :

● لقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش الا يكره أحداً من المسلمين على السير معه ، فامتثل للأمر وقال لأصحابه ، « وقد نهانى أن استكره أحداً منكم ، فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع » .

ويستحق هذا الأمر أن نتدبره لما ينطوى عليه من عمق وحكمة : فإن هناك فرقا كبيرا بين الخروج « للقتال » والخروج « للاستطلاع » .. فالرجل إذا خرج مكرها على القتال ، فقد يقاتل لأنه مهدد بالموت المؤكد سواء فى القتال أو إذا حاول الفرار ، ولكن إذا خرج الرجل للاستطلاع مكرها ، فلا يمكن أن يكون إيجابيا أو نافعا ، وسوف يكون خروجه بلا جدوى ، بل ربما يحرف الأخبار عمداً ، أو يتلقاها بغير عناية ، وقد يؤدى عدم اكتراثه إلى أن يكشف العدو أمر أصحابه وهم عنه غافلون » .

● ثم إن مهمة هذه السرية هى الاستطلاع « العميق » ، فقد كان عليها أن تصل إلى نخلة وهى بين مكة والطائف على بعد ٤٠٠ كيلو متر من المدينة ، وهذه المسافة الكبيرة من قاعدة الانطلاق « تضاعف » من خطورة المهمة ومن الأخطار التى يتعرض لها القائمون بها ، فيكون أساس « التطوع » للقيام بها مطلبا أشد حيوية منه فى أية مهمة أخرى .

● والجيوش الحديثة تطبق هذا المبدأ فى كل عمل من الأعمال القتالية التى تنفرد بطابع خاص مثل عمليات الفدائيين (المغاوير) والصاعقة الذين يكلفون بمهام شاقة وخطيرة كالعمل فى عمق خطوط العدو ، تتطلب قدرا كبيراً من الشجاعة والفدائية ، فهل يمكن لمن يخرج لمثل تلك الأعمال « مكرها » أن يحقق شيئا من الأهداف المرجوة ؟ .. وهكذا تتجلى حكمة الرسول القائد صلى الله عليه وسلم فى قوله : « ولا تكرهن أحداً من أصحابك على السير معك » [٦] .

٢ - الشجاعة وقوة التحمل :

● روى أبو القاسم البغوى عن سعد بن أبى وقاص قال : « بعثنا ﷺ فى سرية ، قال : « لأبعثن عليكم رجلا أصبركم على الجوع

---

(٦) السيرة النبوية لابن هشام .

والعطش » فبعث علينا عبد الله بن جحش رضى الله عنه »[7] .

● وروى إسحاق بن سعد بن أبى وقاص عن ابيه أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد : الا تأتى ندعو الله ؟ فخليا فى ناحية ، فدعا سعد فقال : اللهم إذا لقيت العدو غدا فَلَقِّنى رجلا شديداً بأسه ، شديدا حرده (غضبه) فاقتله فيك وآخذ سلبه . فأمَّن عبد الله بن جحش ، ثم قال عبد الله : اللهم ارزقنى غدا رجلا شديداً بأسه ، شديدا حرده ، أقاتله فيك ويقاتلنى ، ثم يقتلنى ويأخذنى فيجدع أنفى وأذنىّ ، فإذا لقيتك قلت : يا عبد الله ، فيم جُدع أنفك وأذناك ؟ فأقول : فيك وفى رسولك . فيقول : صدقت .. قال سعد : كانت دعوة عبد الله خيرا من دعوتى ، فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنيه معلقان فى خيط !!

● هذا عن قائد السرية عبد الله بن جحش وصفة الشجاعة وقوة التحمل فيه ، أما عن أفراد السرية فيكفى تعبيرا عن تلك الصفات قول عبد الله لهم وهو يعرض عليهم الأمر : « فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق » .

● وهكذا كان عبد الله بن جحش جديرا بأن يتولى مهمة من أخطر المهام الاستطلاعية فاستطاع أن يتغلغل بسريته المؤلفة من افراد قلائل (٨ أو ١٢ رجلا) إلى طريق مكة الطائف بعيداً جداً عن قاعدة الإسلام بالمدينة وخاصة فى مثل ذلك الوقت المبكر من جهاد المسلمين .

● أما عن أفراد سريته فقد كانوا من أشجع شجعان المهاجرين ، فهم مغاوير المهاجرين دون منازع ، وقد سجل التاريخ لكل فرد منهم فيما بعد صفحات مشرقة فى الفتوح وفى الشجاعة والإقدام .

٥ ـ صغر حجم مفرزة الاستطلاع :

وقررت النظرية الإسلامية كما ظهر فى سرية عبد الله بن جحش وغيرها من مهام الاستطلاع بعد ذلك أن يكون حجم مفارز الاستطلاع صغيرا ، وقد شكل الرسول صلى الله عليه وسلم بعض المفارز من رجلين أو ثلاثة أو مما لا يزيد على عدد أصابع اليدين . والحق أن مفرزةَ الاستطلاع يجب أن تكون قليلة العدد ، لأن ذلك يتفق مع دواعى الكتمان والسرية ويقلل من فرص اكتشاف العدو لها ، ولذلك تنص كتب العلم العسكرى على أن « تكون مفارز الاستطلاع صغيرة ما أمكن » .

٦ ـ مفارز الاستطلاع تتجنب القتال :

● كان واضحا من تعليمات الرسول صلى الله عليه وسلم أن مهمة عبد الله بن جحش هى « الاستطـلاع » وليس « القتـال » « فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم » .. والذى حدث أن المفرزة قاتلت قافلة قريش وعادت بالعير والأسيرين إلى

←

(٧) ابن حجر : الإصابة فى تمييز الصحابة .

الدروس المستفادة من عمليات الاستطلاع

المدينة ، فلما رآهم الرسول صلى الله عليه وسلم قال لهم :

« ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام[8] ووقف العير والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا » .

● وأسقط فى يد عبد الله بن جحش وأصحابه ، وعنفهم إخوانهم من المسلمين بما صنعوا ، وانتهزت قريش الفرصة فأثارت ثائرة الدعاية بأن محمدا وأصحابه قد استحلوا الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال ، ودخلت اليهود تريد إشعال نار الفتنة فقالت : عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله ، عمرو ، عمرت الحرب ، والحضرمى ، حضرت الحرب ، وواقد بن عبد الله ، وقدت الحرب .

● فلما أكثر الناس فى ذلك أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ (البقرة ٢١٧) .

فلما نزل القرآن بهذا الأمر ، وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق (الخوف) قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين ، وبعثت إليه قريش فى فداء عثمان ابن عبد الله ، والحكم بن كيسان (اللذين أسرهما المسلمون) فقال رسول الله ﷺ : « لانفديكموهما حتى يقدم صاحبانا » (يعنى سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان اللذين ضل بعيرهما فأسرتهما قريش) فإنا نخشاكم عليهما فإن تقتلوهما ، نقتل صاحبيكم »[9] فقدم سعد وعتبة ، فأفداهما رسول الله ﷺ منهم (أى تم تبادل الأسرى) .

● وخلاصة الأمر أن مبدأ أن تتجنب مفارز الاستطلاع القتال ظهر واضحا كما يلى :

١ ـ وضوح المهمة بصورة محددة فى أنها الاستطلاع وليس القتال (فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم) .

٢ ـ صغر حجم المفرزة ، ولو كان القتال من أهدافها لزاد عدد أفرادها كثيرا .

٣ ـ عمق المهمة ، فهى تعتبر من أعمال « الاستطلاع العميق » على مسافة كبيرة جداً من المدينة ، والذى هدفه القتال لا يبعث ببضعة أفراد .

٤ ـ بعث السرية فى شهر رجب وهو من الأشهر الحرام التى يحرم فيها القتال .

٥ ـ استنكاره عليه الصلاة والسلام لما حدث من قتال حين قال : « ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام »[10]

---

(٨) ابن هشام ـ القسم الأول .

(٩) المرجع السابق .

(١٠) ابن هشام ـ القسم الأول .

٧ ـ الانضباط والمحافظة على الغرض :

ومن الدروس التى أبرزتها هذه السرية أهمية الالتزام بالأوامر والتعليمات وتطبيق مبدأ « المحافظة على الغرض » وعلاقتهما الوثيقة بالنجاح فى تنفيذ المهام وتحقيق الأهداف التى قررت من أجلها ، فقد أدى « اندفاع » المفرزة إلى القتال « فى غير دفاع عن النفس » إلى مايلى :

أولا : إعاقة المفرزة عن أداء المهمة التى كلفت بها وهى الحصول على المعلومات عن قريش .

ثانيا : استغلال قريش واليهود للموقف فى شن حملات الدعاية ضد المسلمين بأنهم قد انتهكوا حرمة الشهر الحرام ويسعون إلى إشعال نار الحرب .

٨ ـ تكريم رجال الاستطلاع :

● روى أن الرسول القائد صلى الله عليه وسلم سمى عبد الله بن جحش « أمير المؤمنين » ، وعندما اختاره لقيادة مفرزة الاستطلاع قال : «لأبعثن عليكم رجلا أصبركم على الجوع والعطش » .

● كل ذلك ينطوى على مبدأ هام من مبادىء النظرية الإسلامية فى الاستطلاع الحربى هو تكريم رجال الاستطلاع بالنظر إلى خطورة المهمة التى يضطلعون بها وصلتها الوثيقة بأمن الأمة وسلامتها .

● ونرى ذلك أيضا فى حديث حذيفة بن اليمان حين كلفه الرسول صلى الله عليه وسلم باستطلاع أخبار العدو ، يقول حذيفة : رأيتنى ليلة الأحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على أن يكون رفيقى فى الجنة » ؟[١١]

● وفى غزوة الخندق بعث عليه الصلاة والسلام الزبير بن العوام ليأتيه بخبر يهود بنى قريظة ، قال جابر بن عبد الله رضى الله عنه : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من يأتينى بخبر القوم ؟ » (أى يهود بنى قريظة) يوم الأحزاب ، قال الزبير : أنا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن لكل نبى حوارياً وحواريى الزبير » (رواه الشيخان ، والحوارى يعنى الناصر وقيل الخاصة) .

وروى أن الزبير رضى الله عنه قال عن هذه الواقعة عند عودته : « فلما رجعت جمع لى رسول الله ﷺ أبويه فقال : فداك أبى وأمى » (رواه الشيخان) وذلك قمة التكريم لرجال الاستطلاع وإعلاء قدرهم فى نظر الإسلام لأن الإنسان لا يفدى إلا من يعظمه فيبذل نفسه له .

محمد جمال الدين محفوظ

---

(١١) المرجع السابق ـ القسم الثانى .

ضمانات الحقوق والحريات
في الدولة الإسلامية

الحريات والحقوق فى الإسلام ليست سوى واجبات وتكاليف شرعية وهذا فى ذاته يعتبر خير ضمان وأفضل حماية للحريات ، تساعد الإنسان على تحقيق ذاته المتميزة عن غيره ، وتحقيق الذات يولد الشعور بالسعادة .

ولما كان الإسلام دين الفطرة ، فإن أحكامه تتصف بأنها عملية ، ونظرته للأمور واقعية ، فقد قرر من الضمانات القانونية والسياسية ما يحفظ التوازن فى المجتمع بحفظ حقوق الأفراد ، ودرء العدوان عنها ، وإلزام كل فرد ، حاكما كان أو محكوما ، حدودا لايتعداها .

أولا : الضمـانات القـانونيـة للحقـوق والحريات :

تعد « الحماية القانونية » من أهم الضمانات التى عرفتها البشرية لضمان ممارسة الحريات الشخصية بما تقدمه من جزاءات جنائية ، أو عقوبات تنال شخص المعتدى ، وتكفى لردع غيره . وثمة تلازم حتمى بين مدى تمتع الفرد بحقوقه وحرياته ، واتساع نطاق هذه الحماية واتصافها بالحسم والتحديد .

وقد قررت الشريعة الإسلامية « حدوداً » مقدرة بتقدير الله عز وجل ، لحماية الحقوق البدنية أو المالية والحريات التى يعد الاعتداء عليها اعتداء على نظام المجتمع وهدما لقيمه ، فليس لحاكم أن يزيد فيها أو ينقص منها ، كالقصاص حماية للنفس وأعضاء الجسم ، فضلا عن العقوبات التعزيرية التى توقع عند عدم وجود حد شرعى .

وقد ترك الإسلام أمر تحديد أركان العقوبات التعزيرية وبيان مقدارها للسلطة العامة فى الدولة الإسلامية فيما لانص فيه لتتواءم مع اختلاف الزمان وتغير المكان ، ومدى تأثير الانتهاك الذى أصاب الحقوق والحريات على سلامة وأمن المجتمع وتماسكه .

١ ـ حماية حق الفرد فى سلامة جسمه (القصاص) :

جعل الله تعالى للاعتداء على حق الحياة جزاء أخرويا عظيما إذ يقول سبحانه :

عميد أ.ح
فوزى محمد طايل

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ (النساء ٩٣) .

وفضلا عن الجزاء الأخروى فهناك جزاء دنيوى يتمثل فى « القَوَدِ » أو « القصاص » ، قال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ .. ﴾ (المائدة ٤٥)

ولا يفرق الإسلام بين أن يكون القاتل واحداً أو جماعة ، فلو قتل جماعة واحداً يقتلون به قصاصا بالغا ما بلغ عددهم . وقد قتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ جماعة فى واحد ، وقال فى ذلك قولته المشهورة : « لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به » ، وأجمعت الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك .

وقد بلغ حرص الإسلام على صيانة حق الإنسان فى الحياة مبلغا لم تبلغه شريعة وضعية حينما قرر القاعدة الشرعية « لايطل دم فى الإسلام » : أى لا يذهب دم أحد هدراً . فإذا وجد قتيل فى بلدة ، أو حى ولم يعلم قاتله حتى يقتص منه ، استحلف خمسون رجلا من أهل المكان ، يتخيرهم ولى الدم ، فيقسم كل واحد منهم « بالله ما قتلته ولا علمت له قاتلا » ، فإذا حلفوا سقط القصاص ، وقضى على أهل البلدة أو الحى بالدية متضامنين ، وهذا ما يعرف فى الفقه الإسلامى « بالقَسَامَة » .

بتقرير الإسلام للقسامة منع الاعتداءات المتتالية على حق الحياة ، تلك التى تعرف حاليا بظاهرة « الثأر » فإذا ما كان الاعتداء على مادون الروح من أعضاء الجسم ففى ذلك « قصاص » يقول الله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المائدة ٤٥) .

حماية عرض الفرد الذى هو كرامة الإنسان

إن صيانة عرض الفرد وكرامته تمثل قمة ضمانات الحرية الشخصية ، فالعرض والكرامة هما دعامتا الأسرة والمجتمع ، فلا يجوز التساهل مع من يمسهما بسوء بل يوقع عليه الجزاء الرادع المناسب :

١ ـ حد الزنا :

تختلف العقوبة الجنائية فى الزنا تبعا لكون الجانى مُحْصَنًا[1] أو غير محصن فلكل منهما حد مخصوص : فعقوبة غير المحصن الجلد

(١) المحصن . هو من تزوج فكان له مايعفه .

مائة جلدة ، والتغريب عاما عملا بقوله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ . الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النور ٢ - ٣) .

أما المحصن فعقوبته إن زنى أن يرجم حتى الموت . وفى هذا ردع كاف لمن لا يرعى حرمات الآخـرين وحريـاتهم الشخصية وأعراضهم . والدليل على هذا ماروى فى الصحيحين : أن أعرابيين أتيا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال أحدهما : « يارسول الله إن ابنى هذا كان عسيفا - يعنى أجيرا - على هذا فزنا بامرأته فافتديت ابنى منه بمائة شاة ووليدة ، فسألت أهل العلم فأخبرونى أن على ابنى جلد مائة وتغريب عام ، وأن على امرأة هذا « الرجم » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى ، الوليدة والغنم رد عليك ، وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام . واغد ياأنيس - لرجل من أسلم - إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها » « فغدا عليها فاعترفت فرجمها » .

كما روى الإمام أحمد والترمذى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم » .

ذلك ، وقد قررت الشريعة الإسلامية شروطا دقيقة لإثبات الزنا وإقامة الحد ، ومن يتهم آخر بالزنا أو الطعن فى نسبه دون البينة الشرعية يُعَدُّ قاذفا له ، ويقام عليه حد القذف .

٢ - حد القذف :

من رمى رجلا مؤمنا ، أو امرأة مؤمنة بالزنا دون دليل شرعى يعتبر فى نظر الشرع معتديا يستحق العقاب لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النور ١٩) ويقول جل شأنه : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب ٥٨) .

وقد قررت الشريعة الإسلامية للقاذف عقوبة أصلية هى الجلد ثمانين جلدة ، وعقوبة تبعية هى عدم قبول شهادته[٢] ، وفى ذلك يقول الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور) .

٢ - من العلماء من يقبل شهادته إذا تاب وحسنت توبته ، ومنهم من يرفضها أبداً .. مجلة الأزهر .

٣ ـ الملكية « حد السرقة » :

حق الملكية ثابت بقوله تعالى ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (البقرة ـ ٢٩) وقوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ (الحديد ٧) وقوله ـ صلى الله عليه وسلم : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » رواه مسلم ، ودلالة الملكية فى ذلك صريحة واضحة .

وقد قرر الإسلام حماية رادعة للاعتداء على هذا الحق تتمثل فى قول الله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (المائدة ٣٨) .

٤ ـ حماية حق الإنسان فى الأمن وحريته

فى التنقل (حد الحرابة) :

ضمن الإسلام للإنسان حق التنقل وهو أمن على نفسه وماله وعرضه بأن قرر جزاء رادعاً لأى فرد أو مجموعة من الأفراد يعتدون على أمن المواطنين وحرياتهم فى التنقل ، بقطع الطريق ، وإخافة المارة ، وبث الفزع فى نفوس الآمنين ، وإحداث الفوضى ، وسفك الدماء ، وهتك الأعراض ، وسلب الأموال . وقد أطلق الفقهاء على هذه الأفعال اسم « الحرابة » .

ويدخل فى هذا المفهوم فى عصرنا الحالى عصابات الخطف ، والسطو المسلح على البيوت والبنوك ، وإشعال الفتنة فى المجتمع[٣]

وتعد الحرابة من كبريات الجرائم ، ومن ثم أطلق الإسلام على المتورطين فى ارتكابها أقصى عبارة تجريمية وذلك بوصفهم (محاربين لله ورسوله) ، فغلظ العقوبة عليهم تغليظا لم يجعله لجريمة أخرى ، إذ يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة ٣٣) .

٥ ـ حرية العقيدة (حد الردة) :

كرم الله الإنسان ومنحه العقل وحرية الاختيار ، وأبان له طريق الهداية وطريق الغواية يقول الله تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد ١٠) ثم أعطاه حرية الاعتقاد وحرم الإكراه فى الدين ، فيقول جل شأنه : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة ٢٥٦) .

←

٣ ـ وإذا كانت علة تجريم هذا الفعل هى الافساد فى الأرض افلا يمكن ان ينسحب هذا التجريم إلى عصابات جلب المخدرات التى تؤدى بطريقة مباشرة إلى تدمير اجسام وعقول شباب ورجال الأمة الإسلامية .. اليس هذا إفسادا فى الأرض ؟!

ويقول سبحانه : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ .. ﴾ (الكهف ٢٩) .

وحتى تتزن الأمور وتصلح ، فإنه على قدر حرية الإنسان تكون مسئوليته . من أجل ذلك تكون عقوبة الردة قاسية حماية للدين من عبث العابثين ، وحماية لحرية العقيدة ذاتها من أن تتخذ هزوا ولعبا .

فحرية العقيدة تعنى دخول الفرد فيها مختارا راضيا مدركا لأبعاد تصرفه ، فلا يدخل مكرها ، أو لتحقيق غرض فى نفسه ، فإذا ماناله ارتد ، فليس له بعد إسلامه حرية الرجوع إلى أى دين آخر .

ويعنى ذلك :
أنه يحرم على إنسان ـ مهما كان ـ أن يجبر غير مسلم على اعتناق الإسلام ، وإنما المرء ـ بكامل حريته يتولى شأن نفسه ، ويقرر إن كان يسلم أو لا ـ هنا حريته التامة ـ فإن أسلم فلا رجعة له إلى دين آخر . فإن فعل فقد ارتد ، وكان مستهتراً بالدين .

وجزاء من يرتد أن يقتل بعد أن يستتاب فلا يتوب ، لقول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ **(البقرة ٢١٧) .**

وحد الردة ثابت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى : « من بدل دينه فاقتلوه وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » (متفق عليه) .

٦ ـ أما عن باقى الحقوق والحريات الفردية فقد قررها الإسلام ورفعها إلى مرتبة الحرمات التى لا يجوز الاعتداء عليها ، بيد أنه ترك أمر تحديد العقوبة المناسبة لانتهاك أى منها موكولا إلى السلطة العامة فى الدولة الإسلامية بالتعازير المناسبة .

٧ ـ الرقابة القضائية :

أصبح الربط بين (رقابة القضاء) و « كفالة الحريات » من مسلمات العصر ، فمبدأ الرقابة القضائية بما يتوافر للقضاء من حيدة واستقلال ، يعد ضمانة أكيدة لحماية الحريات والحقوق الفردية منها والاجتماعية

ولقد تمتع القضاء الإسلامى - على مر العصور - بحيدة واستقلال ونزاهة لم يشهد لها التاريخ مثيلا .

ومن مظاهر « حيدة واستقلال القضاء فى الإسلام » عدم عزل القاضى إلا بارتكابه ما يخالف ما أنيط به ككفر أو فسق وغيرهما مما نص عليه الفقهاء .

ثانيا : الضمانات السياسية :

لم يكتف الإسلام بتقرير ضمانات قانونية قوية لحفظ حقوق الأفراد وكراماتهم وحرياتهم ولإقرار السلام الاجتماعى بين أرجاء الدولة ، وإنما قرر ضمانات سياسية تمنع الحكام والولاة ، ومن بيدهم السلطة العامة ، أن يظلموا وأن يعتدوا على حقوق الأفراد وحرياتهم مخالفين بذلك شرع الله ومتجاوزين حدوده .

وتتدرج الضمانات السياسية من حيث زمن ممارستها : إذ تشمل التدقيق فى اختيار من يلى أمرا من أمور المسلمين ابتداء من رئيس الدولة إلى أصغر عامل فيها ، فإذا ما تم الاختيار وتولى صاحب السلطة مسئوليته فإن للمواطنين حق الرقابة على أعماله ، بل إن عليهم واجب الرقابة هذا .

وبعد .. فإن ما عرضناه على طول ست حلقات من تدارس للدولة الإسلامية بأوجهها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ليوضح لنا ، بما لايدع مجالاً للشك ، كذب مزاعم من يدعى ، من المستشرقين والمستغربين ، أن الإسلام قد جاء بمبادىء عامة ولم يفصل نظام الحكم الإسلامى ، أو أن الإسلام دين فحسب ، وأن ما جاء به من أحكام فى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لا يتمشى مع ما وصلت إليه البشرية من تقدم ، ولا يحل مشكلاتها .

لقد جاء الإسلام بكل ما يحقق القوة الاجتماعية ، من بناء للفرد وتماسك للمجتمع - والقوة الاقتصادية ، بإقامتها على أسس من الأخلاق وبعد عن الجشع والشره ، واعتبار للحافز الفردى ، وصيانة لحق الملكية الفردية - والقوة السياسية بالتزام الحاكم والمحكوم لشرع الله ، واحترام وحماية الحقوق والحريات الشخصية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، وقيام الشعب برقابة السلطة العامة وتقويمها ومشاركتها فى اتخاذ القرارات التى لا تخرج عن حدود شرع الله تعالى .

د . فوزى محمد طايل



(بات يور) صهيونية تقيم فى سويسرا ونعلم من كتابها أنها يهودية مصرية الأصل ، وأن جدها « أصلان ليفي عوريبى » قد حصل على رتبة البكوية عام ١٩١٣ ، وسبق لها أن نشرت كتاباً عن اليهود فى مصر .

صدرت الطبعة الأولى من كتابها « الذمى » باللغة الفرنسية عام ١٩٨٠ ، ثم أعادت إصداره باللغة الانجليزية عام ١٩٨٥ .

تختلف الطبعة الانجليزية عن الطبعة الفرنسية اختلافاً يسيراً . فالعنوان الفرنسى هو « الذمى : صورة جانبية عن المضطهد فى الشرق وشمال أفريقيا من الغزو العربى » ، أما العنوان الانجليزى فهو « الذمى : اليهود والمسيحيون تحت الإسلام » .

حينما تتوجه المؤلفة إلى القارىء الفرنسى تقرر أن الذمى « مضطهد » ، وأن الكتاب سيعرض صوراً عن هذا الاضطهاد .

أما مع القارىء الانجليزي فاللغة إخبارية مباشرة بلا فذلكة أو زخرفة .

وتزيد الطبعة الانجليزية ، وهى ترجمة ، عن الطبعة الفرنسية بحوالى مائة صفحة .

نشر الكتاب بعد بروز ما اتفق على تسميته (الصحوة الإسلامية) وهو موجه للجمهور الغربى الذى يريد أن يعرف وضع المسيحيين واليهود فى الدول الإسلامية والعربية على وجه الخصوص . ويعطى العنوان انطباعاً عن استمرارية الاضطهاد وهو المعنى الذى تريد الكاتبة أن تؤكده فى ذهن الغربى بكل سبيل ، لا سيما ونحن ـ العرب المسلمين ـ أمضينا القرون لم نحاول خلالها بسط الحقائق ، وكشف الزور الذى ألصق بالإسلام والمسلمين فى تلك القضية .. قضية الاضطهاد المزعوم ، حتى بات القارىء الغربى ـ وهو الذى يعيش فى مجتمع حرّ لا يرفض نشر شىء ـ لايجد إلا الكتابات الصهيونية وما يدور فى فلكها ، وهى كتابات تغذيه بكل مايشين الإسلام والمسلمين ... فهل نلومه إذا اعتقد صحة ما قرأ ؟!

للأستاذ: إيهاب محمد مهدلي[1]

هل تقدمنا بكتابات مضادة قامت على الصدق ونشرت الحق فرفضت هذه المجتمعات استقبالها ؟ اللهم ... لا .. !! .

ولنعد إلى كتاب (بات يور) الذى كتب (چاك إيلول) وهو أستاذ قانون فرنسى تصديراً له ، يعمل هذا الأستاذ بالمعهد البروتستنتى الفرنسى . وهو يجادل فى التصدير ، مستخدماً لغة القانون . ليؤكد أن وضع اليهود والمسيحيين فى العالم الإسلامى يماثل وضع العبيد فى الامبراطورية الرومانية .

إن تعصب البروفسير أيلول فى تصديره يصبح مفهوماً إذا علمنا أن الفرنسيين البروتستنت فى فرنسا ، وهم أقلية صغيرة تبلغ نحو المليونين ، عانوا من اضطهاد مستمر حتى طردوا من البلاد فى القرن السادس عشر ، وفى استطلاع نشرته مجلة (النوفيل أبزرفاتير) عام ١٩٨٦ ، يتبين أن ٧٨٪ من الفرنسيين قالوا : إن البروتستنتينية تشير فى ذهنهم إلى إنجلترا وامريكا أى إلى الاستعمار ، ولذلك فالأغلبية الساحقة من الفرنسيين تعتقد أن البروتستنت ليسوا فرنسيين وهم لا يتبوءون أى منصب عال فى فرنسا ، ولذلك فإنهم يسعون (مثل السيد أيلول) ليكونوا ملكيين أكثر من الملك ، فربما قبلهم المجتمع الكاثوليكى فى فرنسا .

ينقسم كتاب (بات) إلى جزءين ، الجزء الأول صغير نسبياً به مائة صفحة كتبتها المؤلفة ، والجزء الثانى به (٢٤٦) صفحة ، يضم ماتسميه المؤلفة وثائق .

تعطى (بات) تعريفاً خاطئاً للذمى فهو ـ عندها : « غير العربى وغير المسلم الخاضع للحكم العربى » ونلاحظ أن التعريف ـ علميا ـ ينبغى أن يستمد هنا من مصادره الإسلامية ، وهى مصادر تجاوزتها المؤلفة عن عمد لتعطى القارىء الغربى ماتريده هى من فكر مشوه ، وفى الحق أن « الذمة » هى العهد ، فالذمى هو المعاهد الذى أُمِّنَ على ماله وعرضه ودمه ، وقام المسلمون بالدفاع عنه .
ثم مامعنى « الخاضع للحكم العربى » .. وهو تعبير ـ كما نراه ـ لا يعنى « الحكم الإسلامى » أو لعل المؤلفة تعنيه فى غموض تريد به اللبس فى ذهن القارىء الذى لا يمكنه إدراك الفارق بين الأمرين .

ثم نراها تعطى تعريفا للجهاد ـ بنفس الطريقة ـ أى من نسج خيالها دون العودة إلى المصادر ذات الشأن ، فكتبت عن الجهاد أنه « حالة حرب تلغى احتمال قيام السلام » وتبنى (بات) على التعريفين نسيج الكتاب كله .

←

(١) الكاتب مصرى يتلقى دراسة متخصصة فى روتردام ـ هولندا .

قراءة فى كتاب « الذمى »

تخبرنا (بات) فى الفصل الأول أن (نظام الذمى) قد ولد مع الدعوة الإسلامية فى المدينة المنورة ، وأن أول من طبق عليه هذا النظام هم اليهود بعد وقعة خيبر ، و(بات) مثل كل اليهود الذين يقولون إن اليهودى معصوم من الخطأ ، تتهم المسلمين بمحاربة اليهود بدون سبب ، فاليهود أبرياء حتى لو قُتِلُوا ، وضحية ولو ذَبَحُوا الآخرين !

والحقيقة أنها من القلائل الذين لا يفخرون بأن أحبار اليهود قد رفضوا الإسلام من اليوم الأول ، ولا تلبث بات بعد اتهام الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين بالعدوانية أن تقول : إن نظام الذمى قد نشأ فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ، ولا تستطيع أن تعرف من كتابها كلمة حاسمة فى هذا الموضوع فإنها لا تلبث أن تعطى بداية ثالثة ترى فيها : أن نظام الذمى بدأ من عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ثم تعود فى الجزء الثانى من الكتاب فتعتبر (نظام الذمى) مأخوذا عن الكنيسة الأرثوذكسية التى طبقت قوانين صارمة ضد اليهود والموارنة وغيرهم من الأقليات .

ولم تستطع (بات) فى هذا العرض أن تتخلص من حقدها على المسلمين والنصارى معا ، ثم هى فيما تكتب تعلم مسبقا أنها وحدها فى الميدان ، ولا تهتم بتوثيق مادتها من مصدرى الدين الحنيف : القرآن الكريم ، والحديث الشريف .

نستمر فى القراءة لنجد فكرة جديدة مفادها أن تعريب الدول العربية تَمَّ عن طريقى : (نظام الذمى) و(مبدأ الجهاد) والفكرة كسوابقها غير صحيحة ، وتبين أن الكاتبة لم تدرس تاريخ الفتوح ، ولم تتدرج مع أحداث زمنها ، ثم إن العرب لم يمثلوا فى أى وقت أغلبية المسلمين ، وحاليا نجد الناطقين بالعربية أقل من خمس المسلمين فى العالم ، ولو فقهت الكاتبة حق الفقه فى تلك القضية لعلمت أن المسلمين أقبلوا على العربية حبا فى هذا الدين وكتابه الخالد . وياليتها ألقت نظرة على الانتشار الإسلامى المعاصر الذى لا تؤيده قوة سياسية ما ثم تساءلت : كيف انتشر هنالك الإسلام وعكف المسلمون ثمة على العربية .

نتابع القراءة لنجد أن المؤلفة تخصص فصلاً للدفاع عن الحماية الأجنبية التى فرضتها الدول الأوروبية على بعض الأقليات المسيحية واليهودية فى الدول الخاضعة للحكم العثمانى ، فتذكر أن هدف الأوروبيين من فرض هذه الحماية كان إيجاد ذريعة للتدخل فى الشئون الداخلية للدول العربية ثم ذريعة يستخدمونها للتوغل الاقتصادى والسياسى ومن ثَمَّ إلى احتلال الدول العربية .

وفى رأيها : هكذا كان مسار التاريخ ، وهكذا تسعى الحركة الصهيونية إلى فرض حمايتها على اليهود وغيرهم من الأقليات فى الدول العربية من أجل تحقيق أهدافهم الحقيقية ألا وهى تقسيم الوطن العربى إلى دويلات عرقية ودينية .

إن الصهاينة لا يفرقون بين مسلم ومسيحى وبات يور لا تفرق بينهما فعندها أنه « قد عانى اليهود من النفى والتشرد ، لأن بلادهم كانت محتلة ، ودفعوا ثمنا غالياً نتيجة للصراع بين المسلمين والمسيحيين » .

إنها تعتبر الوجود المسيحى الرومانى فى فلسطين احتلالا لأرضهم ، كذلك الوجود العربى فى القدس احتلال كذلك .

إن التاريخ الصحيح عند (بات يور) لا قيمة له ، والوجود الفلسطينى المستقر بتلك الأرض قبل نزوح اليهود إلى فلسطين ـ وهو حقيقة يقررها حتى كتابها المقدس (العهد القديم) ـ هذا الوجود بدوره لا قيمة له . فعندها أن أصحاب الأرض (العرب) محتلون .

وأما اليهود الصهاينة القادمون من روسيا وبولندا الذين لا صلة لهم بها ، فهم أصحابها الأصليون ، فلتدمر فلسطين لتبقى إسرائيل .

وفى (انطلاقة) لا تهتم بعقلية البشر تتهم بات المسلمين بمسئولية ماحدث لليهود فى عهد هتلر هكذا ... ، فتبعا لها ، كان هناك ضباط ألمان فى تركيا فى بداية القرن وشاهدوا مافعله الأتراك المسلمون بالأرمن وكيف كانوا يقتلونهم بدماء باردة ـ على حد تعبيرها ـ فتعلم الألمان من الترك درسا عن تدمير شعب من الشعوب ....

أما القومية العربية فهى عند بات إنما جاءت نتيجة لعاملين هما : سياسة الاستعمار الفرنسى ، وثانيهما رغبة المسيحيين الشرقيين فى التحرر من ربقة الحكم الإسلامى .

وتعتبر أكبر أكذوبة فى الكتاب قولها : إن ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية ينص على أن اليهود يجب أن يختاروا إما القتل ، أو الفرار ، أو الخضوع للحكم العربى .

وهذا القول لـ(بات) إنما هو فتوى حكماء اليهود فى مصير غير اليهود ولم يقلها أى عربى ، ولا يوجد فى ميثاق منظمة التحرير (بند) يحمل هذا النص . إن مصدر معلومات الكاتبة كتاب ألفه رئيس المخابرات الإسرائيلية السابق (الجنرال هاركابى) وهو معروف بأنه من أكبر المزيفين فى العالم .

ترى مما قدمنا أن الكتاب مكتوب بروح معادية ويهدف إلى التزوير والمبالغة فى كل شىء ويتضح تزويرها أيضا فى الجزء الذى تسميه بالوثائق ، فأغلبية هذه الوثائق عبارة عن فقرات من كتب الرحالة الأوروبيين إلى العالم العربى[٢] ويبدو فى عرضها لبعض ماتسميه الوثائق ـ عدم مقدرتها ، أو تعمدها ـ إقصاء تحقيق النصوص قبل نشرها ؛ فإذا أخذت عن العالم الجليل ابن خلدون ـ مثلاً ـ تسوق ما

←

(٢) معروف ـ علميا ـ أن كتب الرحالة المحدثين لا تمثل مصدراً علميا لما فيها من المبالغة والخيال وإثارة الغموض والتشويق فى تاريخ الشرق .. وهى أمور فى جملتها لا تمثل واقع العلم فى شىء ـ مجلة الأزهر ـ .

قراءة فى كتاب « الذمى »

اقحم على نصوصه مما اثبت البحث براءة ابن خلدون منه لتثير بذلك ـ كشأن كثير من المتعصبين ضد الإسلام ـ حفيظة القارىء الغربى وتترك فى نفسيته استعداداً لكراهية الإسلام والمسلمين ، ولنأخذ مثلاً لذلك ما اقتطفته من فصل « شرح اسم البابا والبطرك فى الملة النصرانية » .. تقول : (ما اقتطفته) .. ؛ لأنها لم تُعْن بتناول النص عنايتها بالقفز بين سطوره ليخرج القارىء الغربى فى النهاية بفكرة عن ابن خلدون :

● إنه شخص يمقت النصارى إلى درجة أنه لا يريد تشويه صفحات كتابه بالحديث عن مذاهبهم .

● وأن ما يسميه العرب أعظم عالم اجتماع إنما هو شخص متعصب ضيق الأفق مع أن ابن خلدون ـ رحمه الله ـ تكلم بالتفصيل فى الجزء الثانى من تاريخه على مذهب كل طائفة من طوائف النصارى ، وماذهبت إليه الكاتبة من عداوة المسلمين للنصارى هو الغرض من تشويهها الملحوظ[٣] .

تسير الكاتبة على هذا المنوال فى عرض ماتسميه وثائق ، جملة من هنا ، وجملة من هناك ، وفقرة من هذا وفقرة من ذاك ولا نعرف لماذا أضافت ماقاله ياسر عرفات من أنه يحمل التراث اليهودى والمسيحى والإسلامى دون أن تتحدث عن مقصده من ذلك .

حينما صدر كتاب بات يور بالفرنسية تصدى لها بعض المستشرقين مثل (مكسيم ردونسون) الذى وصف الكتاب بأنه « مجادلة » Polémique ونصح الكاتبة بالاطلاع على مؤلفات (برنارد لويس) و(جيتون) . والاثنان من اليهود ، لم يقل رودنسون : إن المؤلفة جاهلة مباشرة وإنما استخدم لغة مهذبة غير مباشرة . أما بعد صدور الطبعة الانجليزية فقد نقدتها بعض الصحف من منطلق سياسى وهو أن الكاتبة لا تشير إلى مايحدث للفلسطينيين فى الأراضى المحتلة .

إن موضوع الأقليات ، جدير بالدراسة وقد استغله كثير من المستشرقين للطعن فى الإسلام وإذا كانت إسرائيل تسعى إلى ضرب العرب عن طريق الادعاء بحقها فى حماية الأقليات ، وكان هناك من استجاب لدعوتها ، وبخاصة فى لبنان ، فإن علينا أن نفتح الباب أمام دراسة قيمة تتحدث بنفسها وتضع الأمور فى نصابها .

إيهاب محمد مهدلى
روتردام ـ هولندا

---

(٣) راجع تحقيق د . على عبد الواحد وافى لمقدمة ابن خلدون .

الوصايا

لفضيلة الشيخ
السيد عبد المقصود عسكر

الوصية إذا صدرت عن حكيم يخشى الله تعالى فهى : توجيه رشيد وتعليم سديد يقوم به الكبير لمصلحة الصغير ، أو يتقدم به الأب إلى الابن رغبة فى إسعاده وقياماً بحقه .

وقد تكون الوصية خلاصة تجربة تهديها الأم إلى ابنتها حتى توفق فى حياتها وتثبت على طريق السعادة اقدامها .

وقد تكون الوصية من نبى إلى قومه ، وقد تكون اعلى من كل ذلك شاناً وارفع مقاماً حيث تصدر من الله تبارك وتعالى رافة بعباده . ومن هذا النوع قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيّاً حَمِيداً ﴾[1] .

ونسوق هنا عدداً من الوصايا المتنوعة التى ينتفع بها كل من وعاها وتدبرها وعمل بها فليست السعادة مجرد امنية يتعلق بها إنسان . وإنما هى غاية نبيلة لكى تتحقق لابد من اتخاذ الوسائل إليها .

« الوصية الأولى »

هذه وصية والد لولده حكاها لنا القرآن الكريم بأسلوبه المعجز وتصويره البديع . والوالد الحكيم هو هنا لقمان ، والوصية ترسم للولد طريقه فى الحياة على بينة ونور . فتحدد له أسس العلاقة بينه وبين الله تعالى ، وكذلك بينه وبين والديه وخاصة الأم ، وحدود هذه العلاقة الطاعة التامة للوالدين ما لم

● الكاتب : مفتش وعظ الغربية .

(١) سورة النساء ١٣١

الوصايا

يأمرا بمعصية الله تعالى . ثم بينه وبين الناس لتكون المودة بين المؤمنين مستعيناً بالله على ما يلقى من الناس ، متطهراً من الكبر والغرور . ولنقرأ معاً الوصية .

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ . وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ . وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ . يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[٢] .

« الوصية الثانية »

هذه وصية من معلم الخير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وصية جمعت فأوعت جاءت رداً على سؤال معاذ بن جبل - رضى الله عنه - لرسول الله - صلى الله عليه وسلم : رواها الترمذى - بسنده قال :

« عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار . قال قد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه . تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت . ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة[٣] والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار وصلاة الرجل فى جوف الليل . ثم تلا ﴿ تَتَجَافَىٰ[٤] جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ[٥] جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٦]

ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت بلى يارسول الله . قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد . ثم قال ألا أخبرك بملاك[٧] ذلك كله ؟ قلت بلى يارسول الله . فأخذ بلسانى ثم قال . كف عليك هذا . قلت يارسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال : ثكلتك أمك . وهل يكب الناس فى النار على وجوههم - أو قال - على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم ؟!

(٢) سورة لقمان (١٣ - ١٩)
(٣) جنة : وقاية من المعاصى ومن العذاب .
(٤) تتجافى جنوبهم : تترك النوم للعبادة .
(٥) قرة اعين : ثواباً تطمئن به العيون فلا تقلق .
(٦) سورة السجدة (١٦ ، ١٧) .
(٧) ملاك الأمر : ما يقوم به ويحفظه .

« الوصية الثالثة »

الشيطان أعدى أعداء الإنسان وأكثرهم لؤماً وأشدهم مكراً ، وأوسعهم وسيلة فى الإغراء والإغواء . وإنه ليتربص للإنسان بكل سبيل ويقعد له بكل طريق . وقد أعلن عن هذه العداوة السافرة وتوعد آدم وذريته بمداومة الكيد لهم . وكان من رحمة الله بنا أن حذرنا كيده وعلمنا ما نرد به سهمه فقال تعالى :

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾(٨) .

وهذه وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشدنا فيها إلى سلاح من أسلحة الذكر نطرد به الشيطان من بيوتنا .

عن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لأصحابه : لا مبيت لكم ولا عشاء . وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء .(٩)

وأخذا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم نقول : إن الإنسان قد يعتريه هَمٌ أو حزن لا يدرى له سبباً ولا يعرف كيف يزيله .. وذلك إنما يكون من الشيطان . وزواله يكون بذكر الله ، والذكر الذى ورد فى ذلك هو « اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك . ماض فىَّ حكمك . عدل فىَّ قضاؤك . أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء غمى وذهاب حزنى وهمى »(١٠) اللهم آمين .

« الوصية الرابعة »

هذه الوصيـة من وصايـا الأمهات العاقلات . فيها ترسم الأم لابنتها سبيل السعادة واضحة المعالم ، بينة القسمات محددة الخطوات . وقد احتوت على أمور كثيرة منها ما يتصل بأمر الطعام والشراب . ومنها ما يتصل بكيفية تصرف الزوجة مع زوجها . تقول « أي بنية . إنك فارقت بيتك الذى منه خرجت ، وعشك الذى فيه درجت إلى رجل لم تعرفيه ، وقرين لم تالفيه . فكونى له أَمَةً يكن لك عبداً ، واحفظى له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً .

أما الأولى والثانيـة : فالخشـوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لموضع عينه

←

(٨) الأعراف : آية ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٩) الحديث رواه مسلم .

(١٠) انظر للإمام أحمد ـ المسند ٣٩١/١ الميمنية .. مجلة الأزهر .

الوصايا

وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب الريح .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت طعامه ومنامه ، فإن تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله والاسترعاء على حشمه وعياله .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصين له أمراً ولا تفشين له سراً . فإنك إن عصيت أمره أوغرت صدره[11] وإن أفشيت سره لم تأمني غدره ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهتماً - والكآبة بين يديه إن كان فرحاً » والوصية وردت في الأدب الجاهلي .

« الوصية الخامسة »

أحياناً تأتي بعض التوجيهات من الزوج نفسه ، والزوجة العاقلة تسمع وتطيع وعليها أن تعرف ماذا يريد بما عرفته بتجربتها ولا تنتظر حتى يقول .

من هذه الوصايا قول شاعر لزوجته :

خذي العفو مني تستديمي مودتي
ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

ولا تنقريني نقرك الدف مرة
فإنك لا تدرين كيف المغيب

ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى
ويأباك قلبي والقلوب تقلب

فإني رأيت الحب في القلب والأذى
إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

والمتأمل للوصايا السابقة يجد أنها تحض على تقوى الله وبر الوالدين والبعد عن سبل الشيطان .. وهي ضمانات تؤدي إلى بيت إسلامي سعيد ..

ومما يلفت النظر ويسترعي الانتباه أن الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي نظمت العلاقة بين الزوجين لم تخل من الأمر بتقوى الله والتحذير من عقابه . وأحياناً يأتي هذا الأمر مقروناً بما يترتب على تنفيذه من آثار وما يعود على فاعله من خير . وهذا يعني أن الزوج المؤمن الذي يتقي الله ويخشى عقابه سيرعى حقوق زوجه ولا يظلمها وسيرفق بها ويرحمها . ويعاملها بالإحسان طمعاً في رحمة الله وخوفاً من عذابه . وكذلك فإن الزوجة المؤمنة التي تتقي الله وتخشى عقابه سترعى حقوق زوجها وتحفظ عرضه وماله وولده طمعاً في رضا الله وخوفاً من غضبه ..

إن كل زوجين التزما حدود الله التي حدها ونفذا أوامر الله التي أمر بها يستحقان كل الخير والسعادة والتيسير الذي وعد الله به عباده المتقين ..

ومن هنا ندرك أن تقوى الله هي التي تدفع كلا من الزوجين إلى أداء حق الآخر ، وأن التقوى أيضاً هي التي يترتب عليها تحقيق السعادة بفضل الله وكرمه ..

السيد عبد المقصود عسكر .

---

(11) دفعته إلى الغيظ والحنق .

مجلة الأزهر : هذا الجزء من بحث قيم بعنوان « نحو بيت سعيد » تقدم به كاتبه إلى مجلة الأزهر ، التي سبق أن نشرت جزءاً منه في عدد جمادى الأولى عام ١٤٠٨ هـ .

عادل رفاعي خفاجة

مسئوليتنا نحو أبنائنا

بقلم الأستاذ :
محمد عبد السميع شبانة

مسئوليتنا نحو أبنائنا أمانة فى أعناقنا ، وإذا أحسنا فى تحملنا لتبعاتها وأداء واجباتها ، يكون العطاء عظيما للحاضر والمستقبل ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »(١) .
والأبناء فى مهد حياتهم خامات بريئة كلها خير فهم كاللبن المصفى ، والآباء والأمهات يشكلونهم من خلال التربية التى يسلكونها والتوجيه الذى يتبعونه .

ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وأبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه(٢) .

وما أصدق قول الشاعر العربى :

وينشأ ناشىء الفتيان منا
على ماكان عوده أبوه

وقد حرص الإسلام على قيام الأسرة على أسس متينة وحمايتها من النزوات العارضة والنظرة العاجلة . فالأسرة تنشأ فى الإسلام على السكينة والطمأنينة والمودة والرحمة قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾(٣) لينشأ الأبناء فى ظلال ظليلة من التراحم والتعاطف بعيداً عن الكراهية والتنافر ويستطيع المرء أن يدرك مدى اهتمام الإسلام بتهيئة الأجواء المناسبة الصالحة لرعاية الأبناء وذلك فى توجيهات الرسول صلى

←

● الكاتب أستاذ بالمعاهد الأزهرية .
(١) متفق عليه رواه البخارى ومسلم .
(٢) متفق عليه .
(٣) الروم (٢١) .

مسئوليتنا نحو أبنائنا

الله عليه وسلم للشباب وهم يتهيأون لبناء أسرهم ، أن يدققوا فى اختيار شريكات حياتهم وأن يكون أساس المفاضلة صاحبة الدين التى تخلقت بأخلاقه وتأدبت بآدابه لتعطى الزوج حقه وترعى حرمته وتراقب الله فى أبنائها يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك »[٤] ويقول عليه الصلاة والسلام : « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة إن نظر إليها سرته وإن أمرها أطاعته وإن غاب عنها حفظته »[٥] .

فالزوجة الصالحة أساس كل خير فى البيت وهى أعظم نعمة ينعم الله بها على الإنسان وما أحسن قول العربى لأولاده : لقد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا فقالوا له : أما إحسانك إلينا صغاراً وكباراً فنعرفه كل المعرفة فكيف بإحسانك إلينا قبل أن نولد ؟! فقال لهم : لقد اخترت لكم أماً لا تسبون بها . هكذا أحسن العربى اختياره لزوجته وأم أولاده لينعكس ذلك عليهم مروءة وقوة وصلاحا .

وكما وجه الرسول صلى الله عليه وسلم الشباب ليحسنوا اختيارهم لزوجاتهم ، كذلك وجه الآباء أن يختاروا لبناتهم من له خلق ودين لأن دينه وخلقه يمنعانه من الظلم والقسوة والعدوان ويظل رحيما مع أهله ودودا لهم حريصاً على أولاده يسعى لتحقيق الرخاء لهم ولا يبالى أن يقطع الصخر من أجل سعادتهم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه[٦] إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ويضرب الرسول عليه السلام اروع الصور فى علاقته بأهله ليتأسى به المسلمون ويقتدوا به ، يقول عليه السلام : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى »[٧] .

ويقول : « أن يضع الرجل اللقمة فى فم امرأته فهى صدقة له »[٨] وتقول أم المؤمنين عائشة : كان الرسول يقوم على مئنة أهله[٩] .

كم فى ذلك من معانٍ عظيمة تهدف إلى تثبيت دعائم الأسرة وخلق العواطف الدافقة فى ربوعها والحنان الغامر بين الزوج وزوجته ، وفى هذه الأجواء المفعمة بالحب تستقبل الأسرة أبناءها ويتدرج نموهم بعيداً عن العقد التى تصنع الأحقاد والأضغان .

والأطفال الذين ينشأون على هذا الطراز من الحب والصفاء ، يشبون أصحاء أقوياء تمتلىء نفوسهم بالثقة وتفيض قلوبهم بالآمال . ويكبرون على حبهم لدينهم والامتثال لأوامره والانتهاء عما نهى الله عنه .. ويصعب على الشيطان أن يجرهم إلى الخطايا فلا يغشون وهم رجال ولا يرتشون ولا يخونون .. يكونون أعظم انتماء لوطنهم

---

(٤) متفق عليه .
(٥) رواه مسلم والنسائى .
(٦) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم حديث حسن .
(٧) رواه ابن حبان فى صحيحه .
(٨) متفق عليه .
(٩) رواه البخارى .

والحرص على نهضته ورفعته لا يبالون أن يقدموا أرواحهم فى سبيل الله والوطن .. يقدرون على تحمل المسئولية .. يعطون لأهليهم ومواطنيهم حصادا تثرى به الحياة وتزدهر به الأمة فتظل متصلة الحضارة من غير انقطاع .

أما الأسر التى تقوم على دعائم هاوية وتسيطر عليها نزعات التعصب والأنانية ولا تسودها الرحمة والمودة فما أكثر مشاكلها ؛ لا يحس أفرادها بالسكن والطمأنينة وتتوالى عليها الاضطرابات فتجد الكراهية مرتعاً خصبا فيها ، ويهرب الاحترام المتبادل منها ويتراجع الحنان ويضيع صوت العقل فى صخب البغضاء وضجيج الأصوات الهادرة بالغضب ، فينعكس ذلك كله على الأبناء ويرسب فى نفوسهم وتنشأ العقد التى تبرز فى المستقبل فى أخلاقهم وعلاقاتهم بالمجتمع ، غضبا وتهوراً واستجابة لإخوان السوء .

والحق أنهم ضحايا بيت كان متصدعا اثقل عليهم فى طفولتهم فلم يروا الحنان فى ظلاله فخرجوا تائهين ضائعين .. لا يثقون فى أحد يحقدون على المجتمع ؛ فيتحولون إلى معاول هدم . وكان يمكن للآباء أن يقوا أبناءهم هذه العواقب السيئة لو راعوا الله فيهم وجنبوهم المشاكل . وأحسنوا فى تربيتهم وكانوا أمناء عليهم .

فما أعظم دور البيت فى صنع رجال المستقبل . وأمل الأمة وعمادها وما أصدق قول القائل : من أدب ابنه صغيراً قرت عينه به كبيراً .

تتضافر عوامل كثيرة للتأثير على الأبناء والوصول بهم إلى مرحلة الرجولة التى يبدأون فيها حياتهم العملية .

والبيت ـ كما ذكرنا ـ هو المسئول الأول عما يكون عليه الأبناء فى قابل حياتهم ؛ فهو يشكلهم من خلال أسلوب التربية التى ينهجها الآباء والأمهات نحو أولادهم . لأن الأبناء أكثر ارتباطاً بالأسرة فى مراحل حياتهم الأولى ، فيتأثرون بكل الظروف التى حولهم وتترك بصماتها عليهم !

ولذلك يحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من الأمور الخاطئة الصغيرة التى تصدر من الآباء والأمهات من غير قصد ، حتى لا ينعكس هذا الموقف على سلوكهم ، فينهى الرجل أن يعد ابنه بشىء وهو عازم ألا يفى بوعده هذا[١٠] . فهذا الموقف مع بساطته يترك انطباعاً فى نفس الطفل بكذب أبيه فيصبح الكذب أمراً عادياً عنده .. يكبر معه وكثيراً ما تنتقل عادة التدخين من الآباء إلى الأبناء . وتكون الجناية على فلذات الأكباد قاسية مريرة ، وتظل لهباً يحرقهم . ولو تجنب الآباء هذا السلوك الضار ؛ لكان أبناؤهم فى منجاة من هذه العادة القبيحة . كما أن الآباء والأمهات الذين يتشاغلون عن أبنائهم ويتركونهم من غير مراقبة ، تكون النتيجة

←

(١٠) رواه احمد

مسئوليتنا نحو أبنائنا

فشل الأبناء ووقوعهم فريسة سهلة لأصدقاء السوء . وكم من أبناء ضاعوا بسبب إهمال الآباء .

وما يتعرض له اليوم مجتمعنا : من هجمة شرسة ضارية على أبنائنا لإغراقهم فى المخدرات السوداء والبيضاء ليس إلا لانعدام رقابة البيت على أبنائه .. ففى غيبة اليقظة من الأب والأم يسقط الأبناء بسهولة فى بؤر الفساد والخطر الذى يتعرض له الأبناء يصيب الأمة ؛ لأنه يستهدف مستقبلها وقدراتها التى تتمثل فى شبابها .

فهل تفيق الأمهات اللاتى تشغَلُهُن وظائفهن وأمورهن الخاصة عن رعاية أولادهن رعاية كاملة ؟

وهل يتدارك الآباء اللاهون عن أبنائهم الموقف قبل أن يستفحل الشر ويكبر وتتحول زهرات حياتهم إلى أشواك قاتلة وتنهزم الأمة فى أبنائها ! والله تعالى يقول : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[11] .

يجب أن يخصص الآباء وقتاً كافياً يشرفون فيه على أبنائهم كل يوم .. يطمئنون فيه على قيامهم بواجباتهم المدرسية ، ومذاكرة دروسهم وأن يحاولوا التعرف على مشاكلهم ومساعدتهم على حلها وتحسيسهم بالمسئولية الملقاة عليهم نحو أنفسهم وأهليهم وأمتهم . كما يجب أن يتأكدوا من نقاء وطهارة زملاء أبنائهم وأصدقائهم ؛ نظرا لقوة التأثير بين الأصدقاء بعضهم لبعض والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « المرء مرآة أخيه »[12] ويقول : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه أو تجد منه رائحة طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أو تجد رائحة منتنة[13] .

ما أشد حاجة الابن إلى رعاية أبيه ، إنها تعطيه قدرة على تجنب الأخطاء والسير فى الطريق الصحيح ، وتحفظه من قرناء السوء .

مطلوب من كل أب وأم أن يراقبوا خُطَا أولادهم وأن ينشئوهم على تعاليم الإسلام وأن يغرسوا فيهم قوة الإيمان التى تملأ نفوسهم بالقيم النبيلة وتضىء قلوبهم بالخير والعدل والرحمة والسلام .

واجب على الآباء والأمهات أن يُعَوِّدُا أبناءهم على أداء الصلوات فى أوقاتها والتشديد عليهم إذا تهاونوا فيها . فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر »[14] فالصلاة تعصمهم من السوء وتربطهم بأخلاق الإسلام والتأدب بآدابه .. فتطهر نفوسهم وتسمو بغرائزهم نحو الخير والفلاح ، يقول الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ

---

(١١) التحريم (٦) .
(١٢) رواه أبو داود باسناد حسن
(١٣) متفق عليه رواه البخارى ومسلم .
(١٤) حديث حسن رواه أبو داود والترمذى .

عَلَيْهَا﴾[١٥] ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾[١٦] .

ينبغى على كل أب وأم أن يجذبوا أولادهم إلى قراءة الكتب النافعة التى تنمى أفكارهم وتفتح آفاقهم على العلم والمعرفة وبذلك يشغلون فراغهم بما يعود عليهم بفوائد جليلة والإنسان عندما يتعود على القراءة فى صغره تصبح عادة عنده وما أعظمها من عادة ننشىء عليها أطفالنا .

وما أشق الخلافات التى تنشأ بين الأب والأم على الأبناء : كم تترك من مرارة فى نفوسهم صغاراً وكباراً .. إنها تخلق فجوة عميقة فى حياة الأسرة وتثير النكد والكآبة فى جو البيت فيهرب الابن منها وكثيراً ما يقع فى يد لا ترحم ويكون الضياع الذى لا رجعة منه ، ونسب كبيرة من أسباب التشرد مصدرها الخلافات الأسرية فيجب على الآباء والأمهات أن يجنبوا أبناءهم ما يقع بينهم من خلافات رحمة بهم وحماية لهم من مواقف لا تؤمن عواقبها .

ينبغى عليهم أن يكونوا قدوة حسنة فى سلوكهم وتصرفاتهم أمام أولادهم فالأولاد يحاكون آباءهم وأمهاتهم يقتدون بأعمالهم وتنتقل إليهم أخلاقهم وكثيراً ما يبقى سلوك الآباء ماثلاً فى عقول أبنائهم ومؤثراً فى سلوكهم طيلة حياتهم .

إن تربية الأبناء تحتاج إلى حكمة كبيرة فتتوازن الرحمة مع الحزم واللين مع القسوة وقبلة حانية على جبين الطفل تسكب فى قلبه الدفء والحنان فيحس بأنس الأبوة وعطفها وكثيراً ما فعل الحنان الأعاجيب فحول الضعف إلى قوة والتردد إلى إقبال والفشل إلى نجاح ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة . فقد كان يأخذ أطفال أصحابه بين ذراعيه ويطرب لذلك . وكان إذا مر بصبية يقرئهم السلام[١٧] . قالت عائشة : جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : أتقبلون أولادكم فما نقبلهم . فقال النبى عليه الصلاة والسلام له : أو أملك لك شيئاً أن نزع الله من قلبك الرحمة[١٨] .

وكما أن الأبناء فى حاجة إلى الرحمة والحنان فهم كذلك يحتاجون إلى وقفات حازمة تقوم أعوادهم وتصحح مسارهم وتنبههم من غفلاتهم والشاعر العربى يقول :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً
فليقسُ أحياناً على من يرحم

وبهذه التربية الرشيدة الحكيمة تصل السفينة إلى مرفأ الأمان ويتسلم الأبناء مسئولياتهم فى بناء الأمة واستمراريتها متطورة ناهضة شامخة فى العالمين .

محمد عبد السميع شبانة

---

(١٥) طه (١٣٢) .
(١٦) العنكبوت (٤٥) .
(١٧) رواه الترمذى
(١٨) رواه البخارى .

الفتاوى

س : من السيد م . أبو العلا .

شاب يريد الزواج من بنت خاله وهو لم يرضع من أمها وكذلك الفتاة لم ترضع من أمه ولم يجتمعا على ثدى واحد ولكن يوجد للشاب أخت رضعت من أم الفتاة فما الحكم ؟

جـ : مادام الشاب لم يرضع من أم الفتاة وكذلك الفتاة لم ترضع من أم الشاب ولم يجتمعا على ثدى واحد فيجوز لهما الزواج ولا عبرة برضاع أخت الشاب من أم الفتاة .

س : من السيد ع . على .

شاب خطب فتاة وقدم لها شبكة ذهبية وبعد مدة قصيرة فسخ الخطبة فما الحكم فى الشبكة ؟

جـ : الشبكة جزء من المهر والمهر لا تستحقه المخطوبة إلا بالعقد عليها ومادام فسخ الخطبة ولم يعقد عليها فإن الشبكة ترد إلى الخاطب وليس للمخطوبة حق فيها لأنها أجنبية .

س : من السيد س . خيرى .

هل يجوز للرجل أن يتزوج من بنت ابن زوج أمه سابقا من زوجة أخرى علما بأنه لم يكن بينهما رضاعة وما الحكم ؟

جـ : يجوز للرجل أن يتزوج من بنت ابن زوج أمه سابقا من زوجة أخرى مادام لم يكن بينهما رضاع لأنها ليست من المحرمات .

س : من السيد م . شمس الدين

ما جزاء الزوجة التى تمتنع على زوجها فتحرمه من حقوقه الجنسية وما الحكم ؟

جـ : لا يجوز للمرأة أن تحرم نفسها على زوجها وتمنعه من حقوقه الجنسية فهى بهذا العمل آثمة فالحديث يقول « إذا دعا الرجل

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين
الأستاذ صفوت عبد الجواد

امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح » متفق عليه واللفظ للبخارى .

وعلى الزوجة كفارة التحريم على نفسها لما أحله الله لها وهى إطعام عشرة مساكين .

س : من السيدة أ . محمود المصرى

طلقنى زوجى أكثر من ثلاث طلقات متجزءات متفرقات بقوله لى فى أول مرة : أنت طالق ، وذلك من حوالى سبع سنوات وراجعنى إلى عصمته ، وفى المرة الثانية قال لى : على الطلاق أنت مطلقة حوالى تسع مرات وراجعنى على عصمته . وفى المرة الثالثة قال لى : على الطلاق أنت مطلقة حوالى عشر مرات وفى مرة رابعة قال انت طالق إن لم تأخذى اجازة بدون مرتب وفى المرة الخامسة قال لى على الطلاق أنت مطلقة وقد توجهت أنا وزوجى إلى لجنة الفتوى بالأزهر وأفتى فضيلة رئيس اللجنة بأننى طلقت من زوجى طلقة بائنة بينونة كبرى لا احل له إلا بزواجى من أجنبى زواجا شرعيا ثم يطلقنى أو يموت عنى فيمكن بعد انتهاء العدة أن أعود إلى زوجى الأول بعقد ومهر جديدين وشهود وحينما طالبته بكتابة ذلك لنأخذ من فضيلة رئيس لجنة الفتوى الرد كتابة بذلك رفض زوجى وأصر على أن يعاشرنى معاشرة غير مشروعة أرجو إعطائى ما يفيد ذلك .

جـ : نفيد أن كل ما ذكرته السائلة من الطلقات التى قالها لها زوجها خلال الحياة الزوجية صحيحة حيث أن الزوج حضر أمام اللجنة ، واقر بذلك كما اقر انه طلقها اكثر من ثلاث مرات متفرقات بقوله لها انت طالق وأن اللجنة افتته بأن زوجته المذكورة أصبحت محرمة عليه وبانت منه بينونة كبرى لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ويدخل بها دخولا حقيقيا فإذا طلقها أو مات عنها وانقضت عدتها منه حلت للأول بعقد ومهر جديدين وحينما طالبته اللجنة بتحرير الألفاظ كتابيا رفض .

ومن أجل ذلك ننصح السائلة برفع الأمر إلى القضاء مع عدم تمكين المذكور من معاشرتها جنسيا حيث أنها أصبحت أجنبية عنه

من أعلام الأزهر

الإمام الأكبر فضيلة الدكتور مصطفى عبد الرازق

لا شك أن الإنسانية فقيرة إلى جبابرة العقول ، والطبيعة يندر فيها العباقرة ، ومن أولئك الأفذاذ العباقرة إمامنا الأسبق الأستاذ الدكتور مصطفى عبد الرازق (باشا) الذى شرف دنيانا عام ١٨٨٢م ثم فارقها ـ بعد أن أورثها ذخيرة من علمه وأدبه عام ١٩٤٧م(١) .

يصل منبت هذا العالم الجليل بعائلة ترقى أرومتها إلى منابت المجد الأثيل تنميها أم سرية الخلق ، مفرطة الحساسية ، ووالد تربى فى الأزهر الشريف على رجولة فذة ، ونعمة فائقة . لا تعدم فيه رقة الطبع ، ولين الجانب فوالده حسن باشا عبد الرازق الكبير ، لقب بهذا اللقب للتمييز بينه وبين ابنه حسن باشا عبد الرازق الصغير ، شقيق فضيلة الأستاذ الأكبر ، كان رضوان الله على أبيه العالم من أفاضل علماء الأزهر ونبهائهم ، وكان فقيها أديبا نظم الشعر ولكن لم ينشره كعادة بعض العلماء وقتئذ وظهر علمه بالفقه فى مجلس شورى القوانين ، فلقد أعانه فقهه على فهم القوانين ، ودقة النظر فى انتقادها ، حتى كان من رجالات المجلس ، يشار إليه بالبنان . وجّه حسن باشا أبناءه توجيها حسناً يشهد له بالعلم والفضل ، فوجّه حسناً وحسيناً إلى مدرسة الحقوق ، فكان الأول محامياً أهلياً ، ومدرساً بمدرسة (البوليس) ، والزم الثانى بعد أن قُبِل محاميا فى المحكمة المختلطة بأن يكون عمدة فى بلده (أبو جرج) بمحافظة المنيا ، ووجّه محمود باشا إلى الإدارة ، وإبراهيم وإسماعيل إلى مدرسة الزراعة ووجه أستاذنا الأكبر ، والشيخ على بك عبد الرازق إلى التعليم الدينى ، فحفظ الأستاذ الأكبر القرآن الكريم ، وتعلّم التعليم الأولى فى أحد

(*) الكاتب : أستاذ بالمعاهد الأزهرية .

(١) يذكر كتاب « شيوخ الأزهر » الذى أخرجه الأزهر فى مناسبة العيد الألفى ـ أن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق من مواليد ١٨٨٥ بقرية (أبى جرج) التابعة لبنى مزار بمحافظة المنيا ، ونلحق بآخر المقال الترجمة الواردة بالكتاب ... مجلة الأزهر

للأستاذ

محمود عبد الرازق عقباوى

المكاتب ، ثم التحق بالأزهر ، وتتلمذ على الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، فكان طالبا مجداً نجيبا ، وأخذ فضيلته الشهادة العالية سنة ١٩٠٩ فكان أول فرقته ترتيبا ، وأصغر زملائه سنا وسافر إلى فرنسا ، والتحق بالسوربون فى باريس لدراسة الفلسفة وعنى من فروعها بالأخلاق وعلم الاجتماع ، ثم استدعاه الأستاذ (لمبرت) الذى كان من قبل ناظراً لمدرسة الحقوق المصرية إلى (ليون) ليساعده فى درس القانون المقارن ، وعهد إليه بتدريس الشريعة الإسلامية فى (كلية ليون) ، كما عهد إليه أيضا بتدريس اللغة العربية فى (ليون) نفسها ، وعمل فى فرنسا رسالة عن الإمام الشافعى بالفرنسية بالاشتراك مع أحد المستشرقين ، وله أيضا بالفرنسية دراسة عن الوحى ، وأخرى عن الإسلام ، وله عدة محاضرات ألقاها فضيلته فى جامعة بيروت عن الدين ، وهذه الأبحاث (الدين والوحى والإسلام) نشرتها الجمعية الفلسفية المصرية فى مؤلف خاص سنة ١٩٤٥ . وقد كانت كتبه فيض عقل كبير وله أيضاً كتاب عن فيلسوف العرب والمعلم الثانى نشرته الجمعية وله دراسات عن البهاء زهير ، والتمهيد فى تاريخ الفلسفة ، وكتاب عن الشافعى نشر فى مجموعة أعلام الإسلام ، وكتاب عن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، ولفضيلته زيادة على ذلك مؤلفات لم تنشر فى المنطق والتصوف والأدب العربى ، ولما عاد من فرنسا ، اشتغل سكرتيراً عاماً



للأزهر والمعاهد الدينية ثم نقل إلى وزارة الحقانية مفتشا للمحاكم الشرعية ، ثم عين سنة ١٩٢٧ أستاذاً للفلسفة الإسلامية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول .

وفى سنة ١٩٣٨ اختير وزيراً للأوقاف فى وزارة محمد باشا محمود ، ولم تنقطع صلته بالجامعة فى البحث والدرس طيلة السنين التى تولى فيها الوزارة ، بل كان يلقى المحاضرات ، ويشترك فى مناقشة الرسائل . وتقلد الوزارة

←

من أعلام الأزهر

مرتين فى وزارة محمد محمود باشا ، ومرة فى وزارة حسن صبرى باشا ، وحسين سرى باشا ، وأحمد ماهر باشا ، والنقراشى باشا ، إلى أن عين شيخاً للأزهر سنة ١٩٤٥ . ولما صدر الأمر الملكى بتعيينه شيخاً للأزهر ، طلب فضيلته من فاروق الأول ملك مصر يومئذ إعفاءه من لقب (باشا) ، فأجابه إلى طلبه .

الأستاذ الشيخ منصور رجب يحدثنا عن فضيلة الأستاذ الأكبر فيقول :

من حسن الحظ أن أعطيت دفة سفينة الأزهر إلى رجل مصلح بطبعه ، جامعى بفطرته خبر النظام الجامعى فى أوربا وفى غيرها ، ومثقف فى الناحيتين الشرقية والغربية ، فهو قدير على السير به مع قافلة الزمن بما يناسب روح العصر ، ويتمشى مع ماورثنا من عرف صحيح ، ذلك هو فضيلة الأستاذ الأكبر ، الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وفضيلته علم من أعلام الفكر ، ومؤمن من كبار المؤمنين المخلصين للأزهر ، الغيورين عليه ، المهتمين بشئونه ، فأملنا كبير فيه .

ويقول الأستاذ منصور رجب : لو أن الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق أعطى فى الأصل أن يختار نفسه ، لما تمنى أكثر مما منّ الله عليه به ، فهو أصيل الجدود ، عريق النسب ، من أسرة مشهورة بالعلم والفضل شب فضيلته من حداثته ، يشعر بمالم يشعر به الكبار من قومه وليس أدل على ذلك من شهادة الإمام الشيخ محمد عبده نفسه فى خطاب أرسله إليه ، قال :

ولدنا الأديب : خير الكلام ماوافق حالا ، وحوى من النفس مثالا تلك أبياتك العشرة ، رأيتنى والحمد لله متربعاً فى سبعة منها ، كأنها الكواكب تسكنها الملائكة ، ومابقى كأنه الشهب نور للأحياء ، ورجوم للأشقياء ، ما سررت بشىء سرورى بأنك شعرت من عام حداثتك بما لم يشعر به الكبار من قومك ، فلله أنت ، ولله أبوك ، ولو أذن لوالد أن يقابل وجه ولده بالمدح لسقت إليك من الثناء مايملأ عليك الفضاء ، ولكنى اكتفى بالإخلاص فى الدعاء أن يمتعنى الله من نهايتك بما تفرسته فى بدايتك ، وأن يخلص للحق سرك ، ويقدرك على الهداية إليه ، وينشط بنفسك لجمع قومك عليه ، والسلام .

ويقول الشيخ منصور : (كان الأزهر فى أول عهده يتولى شئونه رجل يسمى مشرفا ، ومعه أربعة ، وفى عهد المماليك كان يتولى أمره رجل من كبار الموظفين يسمى ناظراً ، منهم الأمير (الطواشى بهادر) المقدم على المماليك السلطانية ، وَلِىَ نظره سنة ٧٨٤هـ وهو الذى نجز مرسوم السلطان الملك الظاهر برقوق الخاص بجعل أبناء الأزهر أسرة واحدة يرث بعضهم بعضا ، إذا مات أحدهم ولم يكن له وارث شرعى . ومنهم الأمير صودوب القاضى حاجب الحجاب ، وَلِىَ نظره سنة ٨١٨هـ .

وفى خطط المقريزى جـ٤ ص ٥٤ وما بعدها :

استمر النظام على هذه الحال فى الأزهر ، يتولى شئونه ناظر ينتخب من كبار الموظفين ، ولم يكن له رئيس علمى من أبنائه إلا فى العهد التركى ابتداء من عام ١١٠٠هـ يسمى شيخ

الأزهر ولا أريد أن أطيل ، فتولى مشيخة الأزهر قبل الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق واحد وثلاثون شيخاً ، أولهم الشيخ عبد الله الخرشى المالكى ، والواحد والثلاثون هو الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى الذى تولى مشيخة الأزهر مرتين ، ثم تلاه إمامنا الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق الذى نقتطف له هذه المقدمة التى كتبها فضيلته تقديما لكتاب فضيلة الشيخ محمد يوسف موسى ، قال : منذ أكثر من عشرين عاما كنت سكرتير مجلس الأزهر الأعلى والسكرتير العام للمعاهد الدينية ، وكنت بحكم منصبى متصلا بمناهج التعليم فى الأزهر ، ومايقرر تدريسه من الكتب ، وأذكر أنه فى ذلك العهد كان قرر تدريس كتاب « تهذيب الأخلاق » لابن مسكويه فى بعض السنين الدراسية ، وسرنى ذلك لأننى كنت أحب أن تجد كتب الفلاسفة الإسلاميين منفذا إلى المعهد الإسلامى الأكبر ، ولم يمض زمن طويل حتى علمت أن المدرسين والطلاب شكوا من تدريس رسالة ابن مسكويه وقد اطلعت أخيراً على كتاب الأستاذ الفاضل الشيخ محمد يوسف موسى اسمه (تاريخ الأخلاق) ، والكتاب عرض طيب لتاريخ الأخلاق فى الشعر القديم ، وعند الإغريق فى العصور المختلفة ، وفى القرون الوسطى وفى الفلسفة الحديثة ، وفى الإسلام عند الفلاسفة وغيرهم ، عادت بى الذاكرة حين راجعت فصول هذا الكتاب الذى يؤلفه مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين إلى ما كان من حديث ابن مسكويه فأدركت ما حدث من التغيير فى الجو العلمى الأزهرى فى أقل من ربع قرن من الزمان ، ورجوت أن يكون ذلك آية من آيات الحرية الفكرية فى البحث العلمى التى التمس المصلحون شيئاً منها للأزهر الشريف منذ زمان ، ووجدوا فى سبيل مسعاهم أذى كثيراً .. اهـ انتهى الكلام .

اهتمت مجلة (العربى) بإحياء ذكرى الأستاذ الأكبر فى عددها الرابع والسبعين عام ١٩٦٥ ، والمتحدث فى هذا العدد تلميذه الدكتور عثمان أمين أستاذ الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة ، يقول : « وكان تعيينه شيخا للأزهر خلفا للشيخ المراغى تتويجا لحياته العلمية الحافلة ، وفى هذا المنصب الرفيع وهو منصب شيخ الإسلام ، كان مصطفى عبد الرازق مجدداً ، واسع افق النظر ، عمل بجد وحصافة طوال الفترة التى تقلد فيها هذا المنصب رغم قصرها ، فبدأ بإدخال اللغات الأجنبية بالأزهر وشجع البعثات العلمية إلى الخارج ، فأرسل بعثات أزهرية إلى انجلترا وفرنسا ؛ لدراسة اللغة الانجليزية واللغة الفرنسية بقصد تدريس هاتين اللغتين فى الجامعة الإسلامية ، وأرسل مبشرين مسلمين إلى أوغنده . كما أرسل أخيراً بعثة من المدرسين إلى الأقطار الحجازية لدراسة العقيدة الإسلامية هناك .

ومضى يتحدث عن وفائه لأستاذه محمد عبده :

كان مصطفى عبد الرازق من خاصة تلاميذ الإمام محمد عبده وأقربهم إليه بروحه وعقليته ... ، وظل الرجل وفيا لأستاذه ، حريصاً على تطبيق مبادئه وتعاليمه فلم تفته فرصة إلا انتهزها للكتابة فى الصحف عن سيرة الإمام وآرائه ووجهته فى الإصلاح ، بل

←

ذهب إلى أبعد من ذلك ، فألقى عنه سلسلة من المحاضرات فى جامعة الشعب ، كما ترجم إلى الفرنسية رسالة التوحيد ، وفوق هذا كله جاهد مصطفى عبد الرازق بقلمه ولسانه وحياته العلمية لخدمة الدعوة الإصلاحية .

ويقول : « كان أستاذنا ـ رحمه الله ـ يعتقد أن هناك شيئا فوق العلم ، وفوق الفن ، وهذا الشيء هو مايطلق عليه اسم « الأخلاق » وقد كان الفلاسفة الرواقيون يسمونه (فن الحياة) وهو أغلى الفنون ؛ لأن موضوعه هو الجمال بمعناه الصحيح ؛ أى جمال الروح ، وكان الأستاذ يرى أن الأخلاق ينبغى أن تكون فنا للحياة ، أى أن ترسم قاعدة ثابتة لسلوك الشخص مع نفسه ، وبإزاء الله والناس بمعنى أن يكون للإنسان فى حياته موقف مقرر ، وخطة مرسومة حتى لا تتجاذبه الأهواء والانفعالات ، فإن بلغ الإنسان هذه المرتبة كان حكيما ، وآية الحكمة هى مايلزم سلوك الإنسان من ثبات واستقرار ، ولكن هذا الثبات فيما يرى الأستاذ يجب أن يكون فى فعل الخير ، وليس الخير هو مايطلبه الجمهور عادة من اللذات أو المال أو الصيت ، إنما الخير الذى هو عنده جمال الروح ... هو الحب والسماحة والجود » .

وللإمام الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق تعليق خطه بيده على تصدير الإمام جلال الدين السيوطى الذى ألقاه لما باشر التدريس فى جامع شيخون بحضرة شيخه البلقينى .

هذا التصدير عثر عليه الأستاذ الإمام فى دار الكتب الأزهرية تحت رقم ٢٠٤ وورد فى هذه المجموعة التى تحتوى على هذا التصدير أنها بخط المؤلف ـ رحمه الله ـ فالنص أعلى الصفحة للإمام السيوطى ، والحاشية أسفلها للأستاذ الإمام مصطفى عبد الرازق وجعل الإمام هذا التصدير موضوع الدرس الذى ألقاه فضيلته أمام الملك فاروق الأول ، والملك عبد العزيز آل سعود قبل صلاة الجمعة بالأزهر الشريف الموافق ١١ من يناير سنة ١٩٤٦

وهو تصدير يحوى خطبة للإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ[٣] .

أستاذنا الشيخ مصطفى فى الصحافة

لقد عمل الشيخ الفزارى مذكرات عن الإمام مصطفى عبد الرازق وهى مذكرات طريفة لا بأس بذكرها ونشرت هذه المذكرات بـ(مجلتى) ـ التى كان يرأس تحريرها أحمد الصاوى محمد ـ فى الخامس من ذى القعدة سنة ١٣٢٣هـ ـ أغسطس ١٩٣٥م ، وهى من الأدب الوصفى وعنوان الموضوع (بلاد العجائب) . كان الشيخ أحمد أبو خطوة يدرس (رسالة الجامى) فى داره لجماعة من خاصته ، فلما فرغ منها أخذ يطالع معهم كتاب طوالع البيضاوى ثم شاع الأمر بين الأزهريين لاسيما طلاب المرحوم الشيخ عبده فأحاطوا بالشيخ (أبو خطوة) واضطروه أن يجعل الدرس عاما ، كان الشيخ يقرأ دروسه فى (الحوش) الفسيحة لداره الجديدة بناحية الدرب الأحمر وجعلت حلقته تزدحم بأذكياء الطلاب حتى صارت

(٣) ... مجلة الأزهر ترجو أن تتمكن من نشره .

صورة طبق الأصل لحلقة الشيخ المفتى فى الرواق العباسى ، وكان الكثيرون من تلاميذ دار العلوم يواظبون على تلقى هذه الدروس اغتناما لفائدتها على ماكان يكلفنا ذلك من العناء لبعد مساكننا عن منزل الشيخ واضطررنا للسير مع أننا ننتبه من نومنا مبكرين ، انقطع الشيخ أبو خطوة عن هذه الدروس الليلة فجأة من غير سبب معروف وترك تلاميذه فى حيرة وأسف ، وقد أحاطت بهذه الحادثة شائعات وسارت سمر المجالس فى الأزهر ورنّ لها صدى فى المجامع ، ويظهر أن الخبر اليقين هو ماوراه لى زميلى الشيخ ع . ع الذى هو من أخص تلاميذ الشيخ أحمد (أبو خطوة) وأدناهم إليه ولأبيه صلة رُدّ بالأستاذ ، وقال سألت الشيخ عن سبب مماطلته فى العودة إلى دروسه من يريد أن يصرف الإلحاح عنه من غير نيته فى الإنجاز فأجاب : إن التفاف طلاب المرحوم الشيخ عبده حولى واجتماعهم فى دارى واشتغالنا بقراءة كتب عزيزة بين الأزهريين أخذ يقلق أهل الحول والطول ... ، وإن الذين وجدوا سبيلاً إلى رمى المرحوم الشيخ عبده بالإلحاد والتفلسف وهو يتلو كتاب الله ويفسره لا يعجزهم أن يتسقطوا الشيخ (أبو خطوة) وهو يدرس كتاب الطوالع ويزيد الأمر هرجا أنى صديق لـ ... وهم عصابة المرحوم المفتى قلت : مالِلعلم وهذه الاعتبارات ؟ قال : نحن يابنى فى بلاد العجائب ، ثم قال زميلى : وصادفت بعد ذلك ع .. باشا فقلت له أتعجب ياباشا للشيخ (أبو خطوة) يظن أن قراءة كتاب توحيد فى داره لجماعة من الطلبة أصبح مخوف العاقبة ؟ ، فوضع الباشا يمينه على كتفى ، وقال : تلك هى سنوك الثمانية عشرة التى تتكلم ، لا موضع للعجب فيما يقول شيخك ، وستخاف مثلنا متى حنكتك التجارب وأدركتك رزانة السن وعرفت من أمر بلادنا مانعرف . زاد صاحبى ، وعندئذ قلت فى نفسى : « اللهم إن كانت خطواتى فى سبيل الحياة تقربنى من الحذر وتجعلنى أخاف بشرا فى حريتى فاقبضنى إليك ! ، ولا افتأ أجعل هذه الكلمة وردى منذ سمعتها » .

ولتلك المذكرات بقية لا تتسع المجلة لذكرها .

الإمام الأكبر فضيلة الشيخ مصطفى عبد الرازق عن كتاب "شيوخ الأزهر"

ولد سنة ١٨٨٥م (أبى جرج) تابعة لبنى مزار بمحافظة المنيا من أسرة عريقة فى الجاه والعلم والثراء ، وكان جده صديقا (لسعيد باشا) وصحبه إلى (استانبول) .

وأبوه كان رفيقا للشيخ محمد عبده واشترك معه فى إنشاء (الجمعية الخيرية الإسلامية) وحفظ القرآن وشغف بالعلم وأحب الصحافة من صغره فأنشأ مع أخوته وأقاربه صحيفة كان يطبعها (بالبالوظة) وأنشأ جمعية (غرس الفضائل) سنة ١٩٠٠م .

ثم نشرت له الصحف العامة مقالات وبحوثا وقصائد وتأثر بفكر الشيخ محمد عبده .

ولما مات الإمام اتفق مع تلاميذه على أن يواصلوا سياسته الإصلاحية وألفوا (الجمعية الأزهرية) ورأسها ونال العالمية سنة ١٩٠٨م وانتدب للتدريس بمدرسة

من أعلام الأزهر

القضاء الشرعى واشترك فى (جمعية تضامن العلماء) التى تطالب بالإصلاح ، وغضب الخديوى وأوعز إلى مدرسى مدرسة القضاء أن يستقيلوا منها فاستقال الشيخ مصطفى من المدرسة وظل بالجمعية وسافر إلى باريس سنة ١٩٠٩م وصحبه (أحمد لطفى السيد) حيث درس بالسربون تاريخ الفلسفة وترجم كتاب (العقيدة الإسلامية) للشيخ محمد عبده إلى الفرنسية وعاد سنة ١٩١٤م .

وفى سنة ١٩١٥م عين موظفا فى مجلس الأزهر الأعلى وكان (السلطان حسين) معجبا بعلمه وأدبه وحسن لغته وترجم لبنت السلطان العثمانى كتابا بالفرنسية إلى العربية (طيف خيال ملكى) .

فى سنة ١٩١٦م عين سكرتيرا لمجلس الأزهر الأعلى واستطاع أن يتعرف على كبار العلماء وأصبح بيته ندوة يومية يؤمها الأدباء والشعراء .

وفى سنة ١٩١٧م أنشأ رجل سويدى ماسمى (بـجامعة الشعب) والقى فيها الشيخ مصطفى عدة محاضرات ثم انضم إلى حزب (الأحرار الدستوريين) ثم صدر قرار بتعيينه مفتشا بالمحاكم الشرعيـة سنة ١٩٢٠م .

وفى سنة ١٩٢٧م نقل أستاذاً مساعداً فى الجامعة ولما خلا كرسى الفلسفة شغله عن جدارة وأعطى طلابه علما متجدداً متفتحا ثم اختير وزيراً للأوقاف سنة ١٩٣٨م .

كما عين عضوا بالمجمع اللغوى سنة ١٩٤٠ ونال رتبة الباشوية سنة ١٩٤١م .

وشغل منصب وزير الأوقاف (سبع مرات) وهو مالم يحدث لأحد وكان أول أزهرى يتولى هذا المنصب .

وصدر قانون خاص له ليتولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٤٥م ومات سنة ١٩٤٧م .

ـ وكان الشيخ مصطفى عبد الرازق أول من وضع مصنفا فى العلوم الدينية على منهج علمى بتصنيفه (أصول الفقه) .

ومن مصنفاته :

١ ـ ترجمة فرنسية لرسالة التوحيد للشيخ محمد عبده .

٢ ـ رسائل موجزة بالفرنسية عن الأثرى الكبير بهجت بك .

٣ ـ رسائل موجزة بالفرنسية عن معنى الإسلام ومعنى الدين .

٤ ـ التمهيد لتاريخ الفلسفة .

٥ ـ فيلسوف العرب والمعلم الشاق .

٦ ـ الدين والوحى فى الإسلام .

٧ ـ الإمام الشافعى .

٨ ـ الإمام الشيخ محمد عبده .

٩ ـ مذكرات مسافر ومذكرات مقيم .

١٠ ـ بحث فى دراسة حياة البهاء زهير وشعره .

١١ ـ من آثار مصطفى عبد الرازق (مجموعة مقالات وأحاديث) .

١٢ ـ مؤلف كبير فى المنطق .

١٣ ـ مؤلف كبير فى التصوف .

١٤ ـ فصول فى الأدب .

١٥ ـ مذكراته اليومية .

وبعد : فهذا هو « المصلح الخطير الذى سبق عصره وسبق معاصريه » الإمام الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق ـ رحمه الله ـ

محمود عبد الرازق عقباوى

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

هنا المؤمنون

إلى الكلمة

عاقبة الطغيان

هنا المؤمنون

أيا سائلي من هم المؤمنون ؟ ... وكيف تُرى يُعرف المسلمون ؟

هم الأذكياء هم الصادقون ... هم الانقياء هم الطاهرون

تضيء البصائر في قلبهم ... إذا اطبقت ظلمة بالعيون

رفاق إذا ما الدجى زارهم ... بجوف محاريبهم يسجدون

لهم همة كشموخ الجبال ... وعند النزال هم الصَّامدون

لهم في الوغى عزمات الأسود ... إلى النصر أو للردى يسبقون

فما الروح إلا عطاء الإله ... وهم للإله بها يبذلون

•••

قساة على الكفر لا يرحمون ... أباة على الضيم لا يصبرون

هداة إلى البر والمكرمات ... دعاة إلى الخير لا يساْمون

أمان إذا أرجف المرجفون ... سلام إذا خاطب الجاهلون

وبالعفو تزكو أحاسيسهم ... وللغيظ والشر هم كاظمون

عن اللغو والزيف هم معرضون ... وبالطيبات هم الناطقون

شعر: رشاد محمد يوسف

إذا صكت الريح سمع الزمان ... فأصداء تكبيرهم يسمعون

يلبون عند النداء النداء ... وللصلوات هم الحافظون

وفى رمضان هم الصائمون ... وعند العطاء هم السابقون

وللحج والبيت هم يسرعون ... وعند الطواف هم القائمون

تلاقت على الله أرواحهم ... إلى ربهم بالتقى يرجعون

إذا ضجت الأرض بالظالمين ... فليس سوى عدلهم يعرفون

وإن مال ميزان حكامهم ... هم المقسطون هم العادلون

يحبون فى الله إخوانهم ... على غيرهم دائما يؤثرون

وكم شيدوا من صروح العلوم ... ومن فلسفات بها يعرفون

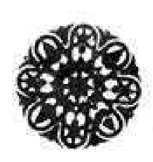
وقامت على أرضهم للحياة ... حياة بها يشهد الشاهدون

أعادوا إلى الكون روح الأمان ... بما ينطقون وما يفعلون

فيا سائلى أننا هاهنا ... هنا المسلمون هنا المؤمنون

وبالحق قد ساد أجدادنا ... ونحن على دربهم سائرون

سنُرجع ما كان من مجدهم ... سنُرجع ما كان أو لا نكون



إلى الكلمة

انطلقى من جوف الظلمهْ

ياجسد الفكرة ياكلمه

هيّا ... هزّى .. هزّى قلمى

وانتفضى فى ثورة الملى

ياأصبع عملاق يفرد أجنحة الفن المنهزمهْ

قولى شيئاً ... شيئاً يصعد ... يتواثب . يعلو للقمهْ ..

ياجسد الفكرة ... ياكلمهْ . !

* * *

أيتها الكلمة كم يحمل معناك شقاءً وسعاده !

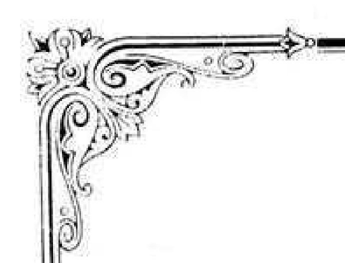
شَطّاك أرضٌ وسماءٌ وحروفك كفرٌ وعباده

وإذا استعصيت على شفتى . لن يبلغ فنى أمجاده

فانطلقى أيتها الكلمة .. انطلقى عزماً وإراده ..

وخذى عمرى أجْرَ نشيدٍ عُذْرِيٍ أشهدُ ميلادَهْ

* * *



للشاعرة: جليلة رضا

كم صورٍ أثَرْتْ في ذهني ، نقلتها الشفتان فقيره ..

ولحون غردها قلبي .. فانسابت بكماء ضريره

وحروبٍ في داخل نفسي . خرجت للعالم مقهوره

فانطلقي ايتها الكلمة .. انطلقي أصلًا .. لا صوره

وخذي عمري أجر نشيدٍ عذريّ أحسن تعبيره ...

* * *

كم ليلٍ تنساب الذكرى ، صوراً وحقائق وظنونا

فتغوص الكلمة في حلقي ، كمحيطٍ يبتلع سفينا

ويموج فراغ في قلبي . كالمسجد دون مصلينا

وعلى باب الكلمة اهتف : انطلقي شوقاً وحنينا

وخذي عمري أجر نشيدٍ . يتلوه العالم مفتونا ..

* * *

ايتها الكلمة صوغيني فنًّا يرتفع بدنياه

صوغي من إيماني مرسى للهائم في بحر أساه

لمّ اعماقي المحطومة ورداً اتنفس بشذاه

فالالم هو الفنّ الخالد .. هاتيه فكم اتمناه

وخذي عمري أجر نشيدٍ قدسيّ باركه الله

عاقبة الطغيان

شعر: أحمد محمود مبارك

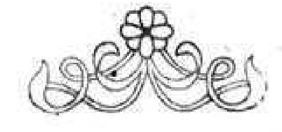
راح يمضى فى خطاه الدنيويَّةْ — صابغاً بالسوءِ افعالاً ونيَّةْ
يطفىء النورَ الذى يجذبهُ — لحديث الرُشْدِ والروح النقيَّةْ
يسمع الهمسَ الذى يدفعهُ — للعلا فوق عظامٍ بشريَّةْ
خنجرُ البطشِ الذى فى يدهِ — قدَّمَ العقل لإبليسَ هديَّةْ
راح يعلو فى غرور رافعاً — بيرقَ الزور وراياتِ الخطيَّةْ
لا يبالى بدماءٍ حُرِّمَتْ — لم تبدِّدْ سنواتُ العمر غيَّةْ
بل مضى يزهو بما يفعلهُ — ويغنِّى فوق اشلاءِ الضحيَّةْ

• •

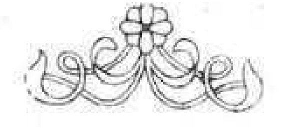
ثم دارت دورةُ الايام إذ — بالذُرى سفحٌ وبالاضواءِ ظُلْمَةْ
وجنى الماضى اكتئاباً ساحقاً — كل غرْسٍ غرستْهُ اليدُ نِقْمَةْ
كلُّ طيفٍ حولهُ اشباحُ مَنْ — كان يسقيهم مدى الايام جُرْمَةْ
وتولَّى كلُّ جمعٍ حولَهُ — مَنْ يواسيهِ ومَنْ يحمل هَمَّةْ
والذى بارك يوماً فعلَهُ — قد غدا يُلقى عليهِ كلَّ تُهْمَةْ
وتمنَّى الموتَ لو يُنقذهُ — ويوارى اللحدُ بِلواهُ وسُقْمَةْ
حالةٌ تمشى على الارض لمن — لم يزل يحتاج تذكاراً وحِكْمَةْ

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم



خصائص المنهج العلمي



النمو والتطور في الطفل

الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

العمق الرابع والعشرون

التقاويم

تقديم :

فى أية لحظة أثناء اليوم تضىء الشمس نصف الأرض المواجه لها ، بينما يخيم الظلام على النصف الآخر . وهناك ظواهر ضوئية تحدث فى جو الأرض السفلى فى النصف المضىء وعلى طول الحزام الفاصل بين النصفين المظلم والمضىء ، مثل ضوء النهار ، والشفق والغسق ..

وضوء النهار سببه تناثر أو تشتت ضوء الشمس فى طبقة الهواء القريبة من سطح الأرض والممتدة إلى ارتفاع نحو ٢٠٠ كيلو متر فقط بسبب تكدس الهواء فيها ، ومن ثم عظمت كثافته بالنسبة إلى الهواء الذى يعلوه إلى قمة الجو على ارتفاع نحو ألف كيلو متر وبسبب التشتت هذا يقبل ضوء النهار من كل الاتجاهات ، وهذه من نعم الله تعالى علينا .

وعندما ينتصف النهار (الظهر) فى مكان ما على الأرض يكون المكان المقابل له على الجانب الآخر من الأرض فى منتصف الليل . ومعنى ذلك أننا إذا اعتبرنا الظهر منتصف النهار يكون لكل خط من خطوط الطول (الزوال) ، ومن ثم أى مكان عليه ، زمنه الخاص .

وليس من السهل أن نعمد إلى تغيير الزمن كما تشير إليه ساعاتنا كلما اتجهنا شرقاً أو غرباً ، ولهذا قسم سطح الأرض إلى ٢٤ منطقة [بعدد ساعات اليوم] كما تحددها خطوط الزوال ، وأطلق عليها اسم (المناطق الزمنية) . و (الزمن الرئيسى) لأية منطقة هو الزمن الذى يتبع الشمس عند خط زوال عاصمة تلك المنطقة . وهذا هو السر فى عدم توافق المزاول الشمسية وأوقات الصلاة والصيام ونحوها فى مختلف بلاد القطر الواحد مع ساعاتنا المضبوطة على الزمن الرئيسى للمنطقة .

وبقسمة ٣٦٠ درجة على ٢٤ منطقة تخص كل منطقة ١٥ درجة من خطوط الطول . ومعنى ذلك أن هناك إزاحة قدرها ساعة لكل ١٥ درجة . وقد تم اتخاذ [مدينة جرينتش

للدكتور :
محمد جمال الدين الفندى

ومرصدها] مكاناً يمر به خط الزوال الدولى [أو خط طول صفر درجة] وذلك منذ أواخر القرن التاسع عشر . ويعرف وقت جرينتش هذا باسم (الوقت العالمى) . وعلى المسافر غرباً تأخير ساعته بمقدار ساعة واحدة لكل ١٥ درجة من خطوط الطول ، أما المسافر شرقاً فيلزمه تقديم ساعته . ويسبق زمن القاهرة مثلاً الزمن العالمى بمقدار ساعتين .

تعاريف فلكية :

يعرف يوم الشمس المتوسط بأنه الزمن بين عبورين متتاليين للشمس المتوسطة على زوال الراصد ، ويساوى ٢٤ ساعة شمسية متوسطة ؛ وكما نعرف الأسبوع سبعة أيام ، والسنة ١٢ شهراً :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ . . ﴾ التوبة (٣٦) - أى فى حكم الله وتقديره منذ بدء الخليقة ، وهو عين ما يشاهد من حركة القمر حول الأرض .

أما [النسىء] وهو زيادة عدد شهور السنة ، فيضاف شهر آخر لأغراض شتى ، فقد نهى عنه القرآن الكريم وحرمه :

﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً . . . ﴾ التوبة (٣٧) أما عدد أيام الشهر فهى إنما تختلف باختلاف التقاويم واختلاف الشهور .

وجدير بالذكر أن الشهر القمرى هو وحده دون سائر شهور التقاويم الأخرى (مثل التقويم الشمسى أو التقويم النجمى) الذى يمكن تتبعه بالرصد والمشاهدة كل ليلة فى السماء عن طريق رصد أوجه أو منازل القمر :

﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ يس (٣٩) -
﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ . . ﴾ يونس (٥) .

وبينما نجد أن عدد أيام الشهور فى التقاويم الأخرى مسألة اختيارية فإن طول الشهر القمرى ٢٩,٥٥٠٣٣٩ يوم متوسط كما تحدده دورة القمر .

وفى التقويم الشمسى تعادل السنة الشمسية ٣٦٥,٢٤٢٢ يوم شمسى متوسط . أما فى التقويم النجمى فإن السنة النجمية تساوى ٣٦٥,٢٥٦٣٦٤ يوم شمسى متوسط ، بينما السنة القمرية فيها :
١٢ × ٢٩,٥٥٠٣٣٩ = ٣٥٤,٦٠٤٠٦٨ .

ولما كان العمق الرابع والعشرون من أعماق الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم يتعلق

←

الإعجاز العلمى

بالآيات الكريمة التى تعرضت للتقويم وحساب الزمن وتحديد عدد شهور السنة .. فإنه من العجيب والمعجز علمياً أن يقودنا الحساب الدقيق فى هذا العصر إلى أن عدد أيام ٣٠٠ سنة شمسية هو نفسه عدد أيام ٣٠٩ سنة قمرية مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴾ الكهف (٢٥) . فعدد الأيام فى ٣٠٠ سنة شمسية هو :

٣٠٠ × ٣٦٥,٢٤٢٢ = ١٠٩٥٧٢,٦٦

وعدد الأيام فى ٣٠٩ سنة قمرية هو :

٣٠٩ × ٣٥٤,٦٠٤٠٦٨ = ١٠٩٥٧٢,٦٦

وليس هذا التطابق هو عجب العجب ؟!

مجمل التقاويم :

١ ـ **التقويم الشمسى** : يقوم على أساس السنة الشمسية ، ومن أجل توحيد هذا التقويم اعتبرت السنة تساوى ٣٦٥,٢٥٠ يوماً بدلاً من ٣٦٥,٢٤٢٢ يوماً ، أى بزيادة ١١ دقيقة فى السنة .. وهذا هو سبب الخلاف الفلكى بين كنائس الشرق والغرب فى تحديد أعياد الميلاد . ففى عام ١٥٨٢ ميلادية ، فى عهد البابا جريجور الثالث عشر ، كانت قد تراكمت بسبب هذا الفرق فترة زمنية قدرها عشرة أيام ، فأصدر البابا قراراً بجعل يوم ٥ أكتوبر عام ١٥٨٢ هو يوم ١٥ أكتوبر وهذا هو أساس التقويم الجريجورى .

٢ ـ **التقويم النجمى** : هو أساس التقويم المصرى القديم ، وقوامه السنة النجمية . وقد رصد قدماء المصريين نجم الشعرى اليمانية (سيدت) وبالاغريقية (سيريوس) ، ألمع نجوم كوكبة الجبار ، وأشد نجوم السماء بريقاً . وهى تشرق قبل شروق الشمس فوق الأفق الشرقى يوم وصول ماء الفيضان إلى (منف) عاصمة مصر آنئذ ، حيث يكون الصيف قد بلغ الذروة .

وكانت قريش تتعرف بالشعرى على الطريق فى رحلة الشتاء إلى اليمن :

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ .

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ﴾ .

٣ ـ **التقويم الهجرى** : تقويم قمرى تقول عنه المراجع الأصيلة إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال : [نؤرخ لمهاجر رسول الله فإن مهاجره فرق بين الحق والباطل] ولم تكن الهجرة فى المحرم ولكن تمت الهجرة فى ٨ من ربيع الأول حسب تقويم العرب . وقد وافق ذلك التاريخ مساء الخميس ١٩ من يوليو عام ٦٢٢ م . وبذلك يكون أول أيام التقويم الهجرى هو الجمعة ٢٠ من يوليو ٦٢٢ م . ولما أجمع المسلمون أمرهم على أن يجعلوا المحرم هو ابتداء التقويم الهجرى رجعوا القهقرى ٦٨ يوماً هى أيام محرم وصفر و٨ أيام من ربيع الأول . وهكذا ولد التقويم الهجرى .

وهناك فرق كبير وبون شاسع بين مولد الهلال فى أول كل شهر وإمكان مشاهدة الهلال الوليد فوق الأفق الغربى بعد غروب

الشمس بطبيعة الحال . فالهلال يولد فى السماء فى لحظة معينة بالنسبة لكل سطح الأرض . وهذه ظاهرة كونية يمكن تحديدها بكل دقة بالحساب الفلكى .

أما مشاهدة الهلال الوليد فى أى مكان على الأرض ، تمشياً مع الآية :
﴿ . . . فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ . . ﴾ البقرة (١٨٥) فتلك ظاهرة محلية بحتة تعتمد على العديد من العوامل مثل :

١ ـ ما من شك أنه عندما يولد الهلال فى السماء يكمن نصف سطح الأرض المواجه للشمس فى النهار والنصف الآخر فى الليل . ومعنى الميلاد أن القمر يكون قد تزحزح قليلاً عن موضعه وهو فى حالة المحاق وبدأ خيط رفيع من نصفه المضىء الذى يواجه الشمس فى الظهور أمام سطح الأرض .

٢ ـ بطبيعة الحال فى تلك اللحظة لا يواجه نصف سطح الأرض الذى فى الليل كلا من الشمس والقمر ، ومن ثم لا يشاهد أهله الهلال الوليد .

٣ ـ يحول ضوء الشمس أثناء النهار دون مشاهدة الشهر الوليد من على نصف الأرض المضىء بضوء النهار والذى يواجه كلا من الشمس والقمر .

٤ ـ تتوفر فرصة المشاهدة بعد غروب الشمس بمدة كافية حيثما يبقى الهلال الوليد فوق الأفق خلال تلك المدة الكافية .
٥ ـ تتوقف تلك المدة الكافية على عدة عوامل فلكية وأخرى جوية .

٦ ـ هناك عوامل تلعب دورها فى عملية الرصد وتؤثر على الراصد نفسه ، منها عوامل بصرية ، وأخرى نفسية ، وقد يلعب الخيال دوراً هاماً .

٧ ـ يمكن أن يكون هلال آخر الشهر مصدراً لخطأ الراصد الذى تنقصه الخبرة . فمن منازل القمر هلال آخر الشهر الذى كثيراً ما يظهر فى آخر الشهر القمرى على الأفق الشرقى قبيل شروق الشمس ، فيظن الناظر إليه أنه هلال أول الشهر ، رغم أن الفرق بين الهلالين كبير ، خصوصاً اتجاه الهلال فى كل من الحالتين .

الحقيقة العلمية :

قلنا إن الهلال يولد فى سماء دنيانا فى لحظة واحدة بالنسبة لكل سطح الأرض وأن مولده ظاهرة كونية ، أو عالمية ، أما مشاهدة الهلال الوليد فهى ظاهرة محلية ، وأن لكل بقعة من سطح الأرض ظروفها الخاصة بها فى مشاهدة الهلال الوليد . وهذه حقيقة علمية وتفسر لنا هذه الحقيقة قول الله عز وجل :
﴿ . . . . يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ . . . ﴾ البقرة (١٨٩) .

وإذاً فإن الآية الكريمة ليست مجرد وصف للواقع ولكنها تقرر حقيقة علمية عالمية ، بأن الأهلة مواقيت للناس فى مختلف مواقعهم وللحج بالذات فى موقع مكة المكرمة ! وهكذا نلمس كيف تؤلف آيات التقويم فى حد

الإعجاز العلمي

ذاتها عمقاً من أعماق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .

المشاهدة بالرؤية وبالحساب :

تتوقف المشاهدة بالرؤية على عوامل عديدة منها :

أ ـ ما يتصل بالمكان مثل :

١ ـ الارتفاع عن سطح البحر وخط الطول وخط العرض .

٢ ـ نقاء الجو وصفاء السماء وبعد المكان عن الأضواء الصناعية . ويمكن التغلب على ذلك بالصعود إلى أعلى والرصد من الطائرات .

ب ـ ما يتصل بالراصد نفسه مثل :

١ ـ عدم الخبرة .

٢ ـ الهلوسة البصرية المعروفة طبياً ، مما يتطلب ان يكون الراصد سليماً تماماً نفسياً وبصرياً وبدنياً .

جـ ـ ما يتصل بالوضع فلكياً مثل :

١ ـ أن يكون الهلال مرتفعاً فوق الأفق وقت الغروب بحيث يمكث وقتاً يكفي لمشاهدته .

٢ ـ أن يكون البعد الزاوي عن الشمس ٨ درجات أو اكثر لكي لا يطغى عليه ضوء الشمس .

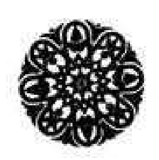
وتعترض مثل هذه العقبات سبيل التمسك بضرورة المشاهدة بالبصر ، وتجعل احتمالات الخطأ قائمة . وما من شك أنه إذا لم يكن الهلال قد ولد فلكياً (يعني أثبت الحساب عدم ولادته بعد) يكون من العبث والخطأ الأخذ بإمكان مشاهدته بصرياً في أي مكان على الأرض . ويصدق مجمع البحوث الإسلامية على ذلك فيقول : [إن الرؤية هي الأصل في معرفة دخول أي شهر قمري كما يدل على ذلك الحديث . لكن لا يعتمد عليها إذا تمكنت منها التهم تمكناً قوياً كمخالفتها للحساب الفلكي الموثوق به] .

اما توحيد الأهلة الذي ينادي به البعض فيقول عنه المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة : [لا حاجة إلى الدعوة إلى توحيد الأهلة والأعياد في العالم الإسلامي ، لأن توحيدها لا يكفل وحدتهم كما يتوهمه كثير من المقترحين لتوحيد الأهلة ..] ..

والله أعلم

للحديث بقية

محمد جمال الدين الفندي



خصائص المنهج العلمى

فى التراث الإسلامى



للأستاذ الدكتور : أحمد فؤاد باشا

(١) الملاحظة العلمية :

تكشف قراءاتنا لعلوم التراث الإسلامى عن ممارسة العلماء لمستويات مختلفة من الملاحظة العلمية فهناك الملاحظات الحسية التى تقوم على الحواس المجردة مباشرة والملاحظات المسلحة التى تتم باستخدام الأجهزة والأدوات المختلفة . وقد اكتسب كلا النوعين اهمية كبيرة فى العلوم التى لا يستطيع الباحث فيها أن يتدخل بإرادته ليغير من ظروفها كما يريد[١] ، مثل رصد الأجرام السماوية ، وتصنيف النباتات والحيوانات بحسب أوصافها وسلوكها ، وتسجيل حالات المرضى تبعاً لأعراض امراضهم ، ومتابعة نتائج التجارب فى المختبرات . وقد احرزت هذه العلوم تقدماً كبيراً بفضل الكثير من النتائج الهامة التى توصل إليها علماء الحضارة الإسلامية ودونوها فى أزياج (جداول فلكية) أو رسوم وصور أو مؤلفات ورسائل اعترف بفضلها المنصفون من مؤرخى العلم والحضارة[٢] .

وهذا الاعتراف الواضح يجعل ملاحظات علمائنا من نوع الملاحظات الجيدة التى اشترط « أدنجتون » لحدوثها أن يكون الملاحظ بارعاً شديد العناية بالتفاصيل ، ومن نوع الملاحظات العلمية الدقيقة التى عرفها « هيبن » بأنها تعنى « تركيز الانتباه لغرض البحث ، وبصيرة ذات تمييز ، وإدراك عقلى لأوجه الشبه والاختلاف ، وحدة الذهن

● الكاتب : أستاذ الفيزياء بعلوم القاهرة .

(١) انظر آراء فلاسفة العلم فى هذا الشأن بالرجوع إلى : د . صلاح قنصوه فلسفة العلم ص ١٤٧ ـ ١٥٠ . د . محمود زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمى ، ص ١٤٢ وما بعدها .

(٢) انظر على سبيل المثال : سيجريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، الترجمة العربية ، دار الآفاق بيروت ١٩٨١ .

خصائص المنهج العلمي

وقدرته على التمييز والفهم العميق ، لننفذ إلى أعماق ما يبدو على السطح ، وهى أيضاً فهم للملامح الأساسية لموضوع الإدراك[٣] .

(ب) التجربة العلمية :

بالنسبة للتجربة العلمية ومنزلتها من الملاحظة فقد أوصى الحسن بن الهيثم بألا يقنع الباحث باستخدام الملاحظة فى تصفح الظواهر الحسية الجزئية وتحديد خصائصها وصفاتها ، فقد تتطلب دراستها تهيئة ظروف خاصة تقتنص فيها ، ويقتضى هذا إجراء تغيير فى أحوالها وتحوير فى ظروفها وملابساتها باستخدام التجربة التى أطلق عليها اسم « الاعتبار »[٤] . ونراه قد بلغ من حرصه على الاحتكام إلى التجربة أن أعاد إجراء التجارب على عدد من القواعد التى توصل إليها الأقدمون[٥] ، إدراكاً منه لعجز المنطق الصورى الذى اتبعوه فى الوصول إلى هذه القواعد .

وهذا التعريف لطبيعة العلاقة بين الملاحظة والتجربة لا يختلف كثيراً عن رأى ريد Read بأن التجربة ما هى إلا ملاحظة نقوم بها تحت شروط معلومة[٦] ، وقول زيمرمان Zimmermann بأن التجربة تسجيل ظواهر يحددها المجرب ، والملاحظة تسجيل ظواهر بحالتها ، وقول كوفييه Cuvier بأن من يلاحظ ينصت للطبيعة ، ومن يجرب يستجوبها ويضطرها إلى الكشف عن نفسها[٧] ، وقول (بفردج) : إن التجربة تتضمن عادة إحداث واقعة تحت ظروف معروفة ، يستبعد فيها أكبر قدر ممكن من المؤثرات الخارجية ، ويمكن إجراء ملاحظة دقيقة ، وبذلك يمكن التوصل إلى ما بين الظواهر من ارتباطات[٨] . وتنطوى هذه الآراء جميعها على ضرورة إضفاء مقولات العقل على الملاحظة المشاهدة ، أو التجارب والاسترشاد بالحدس فى طريقة التفكير[٨] .

وتجدر الإشارة إلى أن شروط التجربة العلمية عند ابن الهيثم ، وغيره من علماء الحضارة الإسلامية ، تنطوى على إدراكهم الواعى لمحاذير استخدام العقل فى البحث على الطريقة اليونانية . وهذا يساعد على الإقلال من الافتراضات غير المحددة إلى أدنى حد ممكن تحقيقاً لما عرف بمبدأ « الاقتصاد فى التفكير » . أو قانون أوكام Occam's Razor

(٣) لمعرفة المزيد عن فلسفة الملاحظة العلمية انظر على سبيل المثال : بفردج ، فن البحث العلمى ، الترجمة العربية ، اقرأ ١٩٨٣ . وأيضاً د . ماهر عبد القادر محمد ، فلسفة العلوم ، ص ٣٥ ـ ٤٧ .

(٤) د . محمد عبد الرحمن مرحباً ، الموجز فى تاريخ العلوم عند العرب ، ص ١١٧ ، دار الكتاب اللبنانى ١٩٧٠ .

(٥) عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٣٦٩ .

(٦) د . ماهر عبد القادر محمد ، فلسفة العلوم ، الجزء الأول ، ص ٥٢ .

(٧) د . صلاح قنصوه ، فلسفة العلوم ، ص ٢٠٨ .

(٨) بفردج ، فن البحث العلمى ، ص ٣٣ ، ص ١٤١ .

الذى نادى به الفيلسوف الإنجليزى وليم الأكامى فى القرن الرابع عشر[٩] .

واتفاق الحسن بن الهيثم والبيرونى وجابر ابن حيان وغيرهم على الاحتكام إلى التجربة والاستقلال بالرأى والتجرد من الذاتية واعتبار الموضوعية أساساً للبحث إنما أرسى مبدأ هاماً فى المنهج العلمى يقضى بعدم الاستسلام إلى أية فكرة سائدة على أنها فوق مستوى الشك . فقد تمت الكشوف العظيمة ، ومن بينها (نظرية الإبصار) لابن الهيثم ، عن طريق تجارب وضعت وأجريت دون أى اعتبار للمعتقدات المسلم بها آنذاك . وقد ردد برنار هذا المعنى حديثاً بقوله : « إذا طرأت علينا فكرة فلا ينبغى نبذها لمجرد أنها لا تتفق مع الاستنباطات المنطقية لنظرية سائدة »[١٠] .

والجمع بين (الملاحظة) و (التجربة) و (الحدس العقلى) فى التراث الإسلامى على نحو ما ذكرنا يشير بجلاء إلى أن علماء الحضارة الإسلامية قد استشعروا أهمية هذه العناصر فى (عملية الاستقراء) ، من ملاحظة الأمور الجزئية وإجراء التجارب عليها دون فصل قاطع بين الملاحظة والتجربة . ذلك لأن الخط الفاصل بين الملاحظة والتجربة لا وجود له فى حقيقة الأمر ، وإن كان بعض فلاسفة العلم ينشغلون أكثر مما ينبغى بوضع شروط وقواعد للتمييز بينهما . فالاختلاف بينهما ، كما يصفه برنار ، ليس إلا اختلافاً بين نوعين من التجارب هما : التجارب الفعالة Active التى يقصد إليها الباحث لإحضار ظاهرة ما وتحقيق فكرة معينة ، والتجارب المنفعلة Passive التى يقوم فيها المجرب بتسجيل الظاهرة ولا يقوم بجهد من جانبه ليغير منها[١١] . فعالم الفلك الذى يرصد بأجهزته نجماً ما يقوم بإجراء تجارب منفعلة ، وعالم الكيمياء الذى يجرب تفاعلاً كيميائياً ما فى معمله يسجل ملاحظاته من خلال الأجهزة ويقوم فى نفس الوقت بتجربة فاعلة .

وقد عرف علماء الحضارة الإسلامية أنواعاً أو مستويات مختلفة من التجارب العلمية . فكان الرازى على سبيل المثال أول من جرب تأثير العقاقير الجديدة على الحيوان ، وخاصة القردة ، لاستخلاص النتائج التى يَسْتَصْوِبُهَا قبل أن يصف العلاج للإنسان . وهذا ما يعرف الآن باسم « التجربة التمهيدية » أو « الاستطلاعية »[١٢] Pilot experiment

---

(٩) عن هذا المبدأ وعلاقته بالتفكير انظر : بيفردج ، فن البحث العلمى ، ص ١٤٢ ، وأيضاً جيمس جينز ، الفيزياء والفلسفة ، تعليق المترجم ص ٢٩١ .

(١٠) بيفردج ، فن البحث العلمى ، ص ١٤٧ .

(١١) كلود برنار ، مدخل إلى دراسة الطب التجريبى ، ترجمة يوسف مراد ، حمد الله سلطان ، القاهرة ١٩٤٤ ، ص : ١٦٠ .

(١٢) بفردج ، المرجع السابق ص ٣٥ .

خصائص المنهج العلمي

التى تجرى بصورة محدودة فى المعمل لمعرفة جدوى تطبيقها على نطاق واسع فى تجربة ميدانية . ولا يزال هذا الاتجاه مطلوباً فى مجال العلوم الطبيعية ، وبخاصة العلوم البيولوجية . كذلك ابتكر الرازى ما يعرف اليوم باسم « التجربة الضابطة » Control-led experiment وفيها يجرى العلاج على نصف المرضى ويترك النصف الآخر عامداً دون علاج ، ويقارن بين أثر العلاج فى الفريقين . وقد أصبحت « التجربة الضابطة » بعد ذلك من أهم خطوات المنهج التجريبى فى العلوم البيولوجية ، وتتضمن مجموعتين متشابهتين قدر الإمكان من جميع الوجوه ، فيما عدا العامل المتغير الوحيد المراد دراسته . ولا تزال هذه القاعدة متبعة على نطاق واسع ، ولكن طرق الإحصاء الحديثة تتيح الآن تخطيط تجارب لاختبار عدد من المتغيرات فى وقت واحد(١٣) .

بل إن علماء الحضارة الإسلامية توصلوا إلى ما يعرف ـ الآن ـ باسم « التجربة الحاسمة » Crucial experiment عملاً وتنظيراً ، وهى التجربة التى ينبنى على صحتها التحقق من سلامة أحد الفروض التفسيرية للظاهرة موضوع الدراسة . فقد أكد عليها جابر بن حيان وهو يصف منهجه بقوله : « وقد علمته بيدى وعقلى من قبل ، وبحثت عنه حتى صح ، وامتحنته فما كذب »(١٤) وحث أبو عبد الله القزوينى على الصبر والمثابرة فى اختبار صحة الفروض وصولاً إلى التجربة الحاسمة التى تؤكد صحة الفرض الرئيسى المراد بحثه ، فقال : « إياك أن تفتر أو تعتل ، إذا لم تصب فى مرة أو مرتين فإن ذلك قد يكون لفقد شروط أو حدوث مانع ، فإذا رأيت مغناطيساً لا يجذب الحديد فلا تنكر خاصيته واصرف عنايتك إلى البحث عن أحواله حتى يتضح لك أمره(١٥) وخير مثال على التجربة الحاسمة بمفهومها الحديث نجده عند الحسن بن الهيثم عندما أراد أن يختبر صحة نظريته فى الإبصار بالمقارنة بفروض أفلاطون وأرسطو وأبيقور(١٦) .

وقد حذر علماء الحضارة الإسلامية من خطورة التجارب المضللة التى يجريها الباحث دون علم أو دراية تامة بأبعاد الطرق التجريبية التى يستخدمها من جميع جوانبها النظرية والعملية . فكان (الرازى) أسبق

(١٣) بفردج ، نفس المرجع ، ص ٣٣ ـ ٣٤ .
(١٤) د . مدحت إسلام ، الكيمياء عند العرب ، ص ٤٥ ـ ٤٦ .
(١٥) كتابنا : التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، ص ٤٤ .
(١٦) انظر تفصيل ذلك فى تحليلنا لتطور نظرية الضوء ص ١٣٢ ـ ١٣٥ بكتابنا « فلسفة العلوم بنظرة إسلامية » . ومما يؤسف له أن الاستشهاد بنصوص وتجارب من تراثنا العلمى يكاد يكون غائباً فى كتب فلسفة العلم العربية ، ونحن نرى أن تجربة ابن الهيثم كمثال على التجربة الحاسمة أكثر توفيقاً من تجربة (فوكو) لتقرير قبول أحد تصورين عن طبيعة الضوء التى وردت فى كتاب فلسفة العلوم الطبيعية لكارل همبل ، الترجمة العربية ص ٣٧ ـ ٣٨ ، دار الكتاب المصرى واللبنانى ١٩٧٦ ، والتى نقلها عنه د . ماهر عبد القادر محمد فى كتابه « فلسفة العلوم » المنطق الاستقرائى ص ١٩٦ .

من (بيكون) إلى نقد « الاستقراء بالإحصاء البسيط » مع عدم التهوين من شأنه كما رأى (جون مل)[١٧] ومثال ذلك ما قاله الرازى فى رسالة إلى أحد تلاميذه عن سوء فهم الجهال من الأطباء لفلسفة المنهج التجريبى ، محذراً من الإفراط فى الثقة الزائدة بالنتيجة الحاسمة التى يتوصل إليها الباحثون إذا ما أرادوا توسيع النطاق الذى تنطبق عليه ، نظراً لأنهم حصلوا عليها فى ظروف كانت محددة بالضرورة . ذكر الرازى عن هؤلاء أنهم « ينظرون فى الكتب فيستعملون منها العلاجات ، وليسوا يعلمون أن الأشياء الموجودة فيها ليست هى أشياء تستعمل بأعيانها ، بل هى مثالات جعلت لتحتذى عليها وتعلم الصناعة منها »[١٨] .

(جـ) الفرض العلمى :

لاشك أن عصر الحضارة الإسلامية يمثل مرحلة مبكرة فى تاريخ العلوم الطبيعية التى تتطلب فى البدء التركيز على مراقبة الظواهر واستثارتها عن طريق (الملاحظة) و (التجربة) لجمع قدر كبير من النتائج يكفى لطرح فرض تفسيرى أو نظرية عامة . **ومن هنا كانت طبيعة علوم التراث الإسلامى يغلب عليها الجانب الوصفى أكثر من التعبير الكمى الذى يميز العلم عادة فى مرحلة متقدمة من تطوره كما فى علوم الفيزياء والكيمياء الحديثة والمعاصرة .**

ولهذا فإن « الفرض العلمى » فى تراث الحضارة الإسلامية لم يصل إلى مرتبة (التعميم) أو (التجريد) فى صيغة (قانون شامل) أو (نظرية عامة) . والقول بعكس ذلك لا يتفق وخصائص المستوى المعرفى للعلوم الطبيعية آنذاك . **لكن الاستدلال التحليلى ، من ناحية أخرى ، يؤكد ثراء الفكر العلمى الإسلامى بأهم مقومات الفرض العلمى متمثلة فى إضفاء مقولات العقل على نتائج الملاحظة والتجربة ، واستخدام الخيال العلمى فى المماثلة بين الظواهر المختلفة والكشف عن الوحدة التى تربط بين وقائع متناثرة ، وابتكار المفاهيم العلمية المطابقة للواقع والخبرة .**

فعلى سبيل المثال ، لجأ ابن الهيثم فى شرحه لظاهرة انعكاس الضوء وانعطافه وانتشاره فى خطوط مستقيمة إلى التمثيل بحركة كرة صغيرة من الحديد أو الصلب تسقط على سطح مستو أملس فترتد عنه ، وأدخل لأول مرة طريقة تحليل (المتجه) إلى قسطين متعامدين . ووصل بخياله العلمى إلى استنتاج أن القسط الموازى لسطح المصادمة من سرعة الكرة يبقى على حاله بينما يتغير القسط العمودى بحسب ممانعة سطح المصادمة . وذكر أن الضوء يختلف عن الكرة فى « أنه ليس فيه قوة تحركه إلى جهة مخصوصة ، بل إن خاصته أن يتحرك على

←

---

(١٧) لمزيد من التفصيل عن الاستقراء بالإحصاء البسيط وموقف بيكون ومل منه انظر : د . محمود زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمى ، ص ٣٣ ـ ٣٤ .

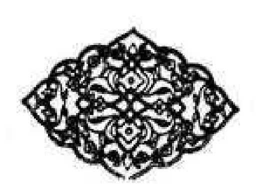
(١٨) مؤلفنا : التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، ص ١٧٥ .

خصائص المنهج العلمى

الاستقامة فى جميع الجهات التى يجد السبيل إليها إذا كانت ممتدة فى جسم مشف . فإذا انعكس وصار على سمت الاستقامة التى أوجبها الانعكاس امتد على ذلك السمت .. واستمر حتى يعترضه مانع[19] .

والخيال العلمى على هذا النحو كان قوام التفكير العلمى الإسلامى ، وهو يختلف عن الخيال الميتافيزيقى فى أنه يبدأ من ملاحظة الظواهر فى الواقع لتفسيرها ويرتد إليها ملقياً عليها الضوء ، كما أنه مما يمكن التحقق من صدقه إذا ما توافرت إمكانات التجربة . ولو أنصف (أينشتين) لنسب فضل البداية الحقيقية للعلوم الطبيعية إلى علماء الحضارة الإسلامية مثلما نسب هذا الفضل فى علم الفيزياء إلى قانون القصور الذاتى لـ (نيوتن) لما رآه من أهمية للخيال العلمى الناضج المرتبط بالواقع باعتباره أحد أدوات المنهج العلمى الاستقرائى القائم على الملاحظة[20] لكن سقف مكتبة الكونجرس الأمريكى يشهد بهذه الحقيقة فى عبارة منقوشة بماء الذهب ، نصها يقول : « مصر الفرعونية هى الينبوع الأول لجميع الحضارات ، وأما الينبوع الأول للحضارة فى العلوم الطبيعية إنما هى العصر العربى الإسلامى »[21] .

أحمد فؤاد باشا



(١٩) انظر تفصيل ذلك فى : مصطفى نظيف ، الحسن بن الهيثم ، عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب . د . جلال شوقى ، تراث العرب فى الميكانيكا ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٣ .

(٢٠) اينشتين وانفلد ، تطور علم الطبيعة ، الترجمة العربية ، القاهرة/١٩٥٩ .

(٢١) د . عبد الحليم منتصر ، دعوة إلى تصحيح تاريخ العلم ، مجلة الفيصل العدد ٨١ عام ١٩٨٣ .

النمو والتطور في الطفل

للدكتورة : سحر النجار

هناك فرق بين النمو والتطور ، فالنمو معناه زيادة فى الحجم أو المقاييس وليس بالضرورة أن يصاحبها نضوج فى وظيفة العضو .. أما التطور فمعناه نضوج فى وظيفة العضو .

ويصاحب الزيادة فى حجم الأعضاء والأنسجة فى الإنسان السليم تطور فى وظيفة هذه الأعضاء . بمعنى أن النمو والتطور يسيران معاً فى خط متوازٍ .

ويمر الإنسان منذ تكوينه فى رحم أمه بمراحل نمو وتطور عديدة يمكن تقسيمها إلى :

١ ـ مراحل ما قبل الولادة داخل رحم الأم .

٢ ـ مراحل ما بعد الولادة خارج رحم الأم .

فالأولى : تبدأ بتلقيح البويضة بالحيوان المنوى ، وتنتهى بالولادة وهذه المدة تستغرق أربعين أسبوعاً ، وفى هذه الرحلة يستمد الجنين الحرارة والأوكسجين والغذاء من الأم ، والجنين أثناءها فى حماية تامة من العدوى لوجود حائل المشيمة ، كذلك هو فى حماية تامة ضد أية صدمة خارجية ، إذ هو محاط بجدار بطن الأم يليه الرحم ، فكيس المياه (الكيس الأمنيوسى) والسائل الذى بداخله (السائل الأمنيوسى) ، فثمة حواجز ثلاثة تقوم بحمايته . فأما مراحل النمو خارج الرحم فإنها تبدأ بالولادة وتنتهى عندما يكتمل نمو الإنسان . وتتميز مراحل ما بعد الولادة بحاجة الغذاء إلى هضم وامتصاص وتمثيل غذائى ، ويصير ثبوت حرارة الجسم عملية معقدة إذ لابد أن يتوازن الثبوت بين

←

* الكاتبة طبيبة بقسم التحاليل الطبية ـ مستشفيات جامعة القاهرة .

← النمو والتطور فى الطفل

الحرارة المكتسبة والحرارة المفقودة ، وينظم هذه العملية مركز توازن الحرارة فى مخ الإنسان .

تبدأ فى هذه المرحلة أجهزة المناعة فى جسم الإنسان بالدفاع عن نفسها ضد العدوى بتكوين الأجسام المضادة .

مراحل نمو الطفل بعد الولادة :

تبدأ هذه المراحل بالتطور فى الوزن . فعندما يولد الطفل يتراوح وزنه من ثلاثة إلى ثلاثة ونصف كيلو جرامات ، ويتأثر وزن الطفل بعدة أشياء منها : نوع الجنين ، والحالة الصحية للأم أثناء الحمل إلى عوامل أخرى ، وليس يعنى ذلك أن الزيادة متوقعة دائما فمن المحتمل ـ فى الأسبوع الأول للطفل ـ أن يفقد من ٦ إلى ١٠٪ من وزنه نتيجة أسباب أخرى مثل :

- نقص فى اللبن الذى يتناوله .
- أو فقدان طبيعى لسوائل الجسم فى « البول » و « البراز » .

وسرعان مايسترد الطفل حالته الطبيعية ويبدأ فى زيادة الوزن بالمعدل الطبيعى بدءاً من الأسبوع الثانى ، وإذا استمرت حالة نقص الوزن أكثر من أسبوعين تعتبر حالة مرضية .

يزن الطفل فى الشهر الرابع نحو ٦ كيلو جرامات وفى الشهر الثامن يزن نحو ٨ كيلو جرامات . وعندما يتم سنته الأولى يزن نحو ٩ كيلو جرامات ، وأما بعد سنة فإننا نستطيع أن نحسب وزن الطفل بهذه المعادلة البسيطة . (سن الطفل بالسنين × ٢) + ٨ = وزن الطفل بالكيلو جرام .

طول الطفل :

أما حساب طول الطفل فيتم قياسه وهو مستلق على ظهره إذا كان أقل من خمس سنوات ، فإذا تجاوز الخمس يتم قياسه واقفا .

وهذه معدلات أطوال الطفل فى الأعمار المختلفة :

٥٠ سم فى الطفل حديث الولادة ، فإذا بلغ سنة يكون طوله ٧٥ سم وعند سنتين = ٨٧ سم ، فإذا بلغ أربعا يكون طوله ١٠٠ سم وبعد أربع سنوات نستطيع حساب طول الطفل بهذه المعادلة .

(سن الطفل بالسنوات × ٥) + ٨٠ = طول الطفل بالسنتيمتر ويتم القياس من أعلى نقطة فى الرأس حتى العقب .

ظواهر أُخَرُ :

عندما يتم الطفل شهره الرابع يستطيع أن يصلب رأسه وأن يجلس بمساعدة الأم ، وفى الشهر السادس يستطيع الجلوس بمفرده ويبدأ الحبو ، وفى الشهر التاسع يحبو بطلاقة ويبدأ فى محاولات الوقوف بمساعدة الأم ،

فإذا أتم سنته الأولى يستطيع أن يقف بمفرده ، وبمساعدة الأم يستطيع أن يمشى خطواته الأولى فإذا بلغ سنة ونصفا فإنه يمشى بطلاقة .

أسنان الطفل :

وبعد ذلك نستطيع أن نتكلم عن أسنان الطفل ونحن نقول عنها فى البداية ـ الأسنان اللبنية وعددها عشرون ، عشر فى كل فك على جانبيه خمس فى كل ناحية . وتظهر ابتداء من الشهر السادس إلى الشهر التاسع ، وخلال هذه المدة تظهر القواطع الأمامية ، وعددها أربع ، ومن الشهر التاسع إلى الشهر الثانى عشر تظهر القواطع الجانبية وعددها أربع كذلك .

فإذا أتم سنة ونصفا ظهر الضرس الأول فى كل ناحية فكان له منها أربعة .

وتظهر الأنياب بدءاً من سن سنة ونصف إلى سنتين وعددها أربع . فإذا بلغ سنتين ظهر الضرس الثانى من كل ناحية فيكون عددها أربعة .

وتبدأ هذه الأسنان اللبنية فى السقوط عند سن ست سنوات فتحل محلها الأسنان المستديمة التى تبدأ فى الظهور عقيب ذلك حتى سن الثانية عشرة وعندها تكتمل ويكون عددها ثنتين وثلاثين سناً ، فأما ما نطلق عليه ضرس العقل فيظهر من سن السابعة عشرة إلى الخامسة والعشرين .

جمجمة الطفل :

التطور الطبيعى لحجم رأس الطفل يدل على تطور نسيج المخ وحجم السائل الشوكى .

عندما يولد الطفل يكون محيط جمجمته (٣٥ سم) فإذا بلغ سنة وصل محيطها إلى (٤٥ سم) وعند خمس سنوات (٥٠ سم) فإذا أتم اثنتى عشرة سنة وصل محيطها إلى (٥٥ سم) ، ويتم القياس من أبعد نقطة خلف الرأس حتى أبعد نقطة فى الجبهة ماراً فوق الأذن مباشرة .

وتوجد فى جمجمة الطفل فتحات طبيعية خالية من العظم تماماً ومن أكثر هذه الفتحات أهمية فتحة أمامية وفتحة خلفية ، ويكسو العظم الفتحة الخلفية عند الولادة أو خلال الأسبوع الأول منها :

فأما الفتحة الأمامية وهى الأكثر أهمية وتبلغ مساحتها عرض أصابع ثلاثة ، فإن العظم يكسوها تدريجيا بمرور السن حتى تغلق تماما عند سن تتراوح بين تسعة أشهر إلى سنتين .

كلام الطفل :

أما عن الكلام بالنسبة للطفل فإنه يمر بعدة مراحل ، ففى الشهر الأول أو الثانى للطفل يصدر منه أصوات ليس لها معنى أو غرض وتدل هذه الأصوات كما يدل بكاء الطفل على أن الحبال الصوتية سليمة ، فإذا

←

النمو والتطور فى الطفل

جاوز الشهرين إلى ستة أشهر بدأ فى إصدار أصوات غير مركبة مثل (با) أو (ما) ليست بذات معنى أيضاً ، فإذا تعدى هذه المرحلة بدأ فى التعبير عن نفسه عن طريق الأصوات التى يصدرها . وتبدأ كلماته فى ازدياد تدريجى حتى يستطيع التحدث بطلاقة عند بلوغه سنتين ونصفا .

سمع الطفل :

أما عن السمع لدى الطفل فنستطيع أن نقول : إن السمع يكاد يكون منعدماً عند الولادة ، فإن تجويف الأذن الملىء بالسائل الأمنيوسى الذى يحيط الطفل داخل رحم أمه يحول بينه وبين السمع . وفى الشهر الأول والثانى يستجيب الطفل للأصوات المرتفعة والضوضاء بالبكاء وحركات سريعة من الأيدى والأرجل . .

وليس يختلف الشهر الثالث والرابع عن سابقيه فإن استجابة الطفل للأصوات المرتفعة والضوضاء تستمر أيضا ولكن بسكون إذا كان يتحرك أو بالصمت إذا كان يبكى . وفى الشهر الخامس والسادس يدير الطفل رأسه تجاه الصوت . وعندما يتم الطفل سنته الأولى يستطيع أن يدرك الأصوات جيداً .

رؤية الطفل :

منذ يولد الطفل وحتى أسبوعين تكون عيناه مغلقتين معظم الوقت ولا يستطيع مواجهة الضوء . فإذا تجاوز هذه الفترة إلى الشهر الأول والثانى فتح عينيه دون أن يرى صورة واضحة ، وفى الشهر الثالث والرابع يرى أشياء ثابتة مثل الضوء ، وفى الشهر الخامس والسادس يستطيع الطفل أن يتابع الأشياء المتحركة .

وبعد أن يتجاوز الشهر الثامن يستطيع أن يفرق بين ألوان الضوء المختلفة .

طرد المخلفات :

وعن تحكم الطفل فى طرد الإفرازات فإنه من سن ١ ـ ٤ سنوات يستطيع أن يتحكم فى عمليات الإخراج بما فى ذلك البول أو البراز ومما سبق يتضح أن الطفل فى نموه يمر بمراحل عديدة ، وكل ماذكرناه من نمو للطفل وتطور فإن لذلك تغيرات طبيعية طبقاً لما يعيش فيه الطفل من بيئة ومناخ وهى تغيرات محدودة إذا تجاوزها الطفل ينبغى أن ينظر له بعين الرعاية .

وإن فى الإلمام بهذه المراحل فى تلك السن ما يساعد الأم على حسن أداء وظيفتها ، نسأل الله سبحانه أن يبارك لنا فى أطفالنا وأن يقيهم كل سوء .

سحر النجار

من روائع الماضي بمجلة الأزهر



لفضيلة الشيخ / صادق إبراهيم عرجون
إعداد وتقديم / عبد الفتاح حسين الزيات

وهذا الكلام[1] يستوقف النظر من وجوه :

(أولا) يقرر ابن خلدون أن فساد الإعراب لا يؤثر فى بلاغة الكلام .

ويستند فى ذلك على أن أساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة فى مخاطبات أهل عصره مع فساد الإعراب والتحلل من قوانينه ، وفهم الخطيب المصقع والشاعر المفلق على أساليب لغتهم من عدم مراعاة الإعراب . وهذا كلام مدخول مردود ، لأن البلاغة العربية التى اعتبرت فنا يقوم عليه تفاضل الكلام ويظهر به إعجاز القرآن ، مدارها على صحة النظم الذى هو توخى معانى النحو ، كما يقول الإمام عبد القاهر فى دلائل الإعجاز .

وقال أحمد بن فارس فى « الصاحبى » :

من العلوم الجليلة التى خصت بها العرب الإعراب الذى هو الفارق بين المعانى المتكافئة فى اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذى هو أصل الكلام ، ولولاه ما ميز (فاعل) من (مفعول) ، ولا (مضاف) من (منعوت) ، ولا (تعجب) من (استفهام) ، ولا (صدر) من (مصدر) ، ولا (نعت) من (تأكيد) ... وقال فى موضع آخر : فإن الإعراب هو الفارق بين المعانى ، ألا ترى أن القائل إذا قال « ما أحسن زيد » لم يفرق بين التعجب والاستفهام والذم إلا بالإعراب ، وكذلك إذا قال « ضرب أخوك أخانا » و « وجهك وجهُ حرٍّ » و « وجهك وجهَ حرٍّ » وما أشبه ذلك من الكلام المشتبه ، وقال فى

(١) أى الكلام الذى أورده فى المقال السابق .

موضع ثالث : فأما الإعراب فبه تميز المعانى ويوقف على أغراض المتكلمين ، وذلك أن قائلا لو قال « ما أحسنْ زيدْ » غير معرب أو « ضرب عمرْ زيد » غير معرب ، لم يوقف على مراده ؟ فإذا قال « ما أحسنَ زيداً » أو « ماأحسنُ زيدٍ » أو « ماأحسن زيدُ » أبان الإعراب عن المعنى الذى أراده .

والذى ينظر فى قصة وضع علم النحو وأسبابه يعلم أن جميع رواياتها يدور على وقوع أخطاء معنوية كان منشؤها خطأ فى الإعراب انحرف به الكلام عن جادة الصواب ، فكيف تبقى بلاغة الكلام سليمة مع إهدار ميزان السلامة فى أول درجاتها ؟

واستناد ابن خلدون على وجود أساليب اللسان ووجود خطباء وشعراء لا ينهض بدعواه ، لأنه إن عنى الخطباء والشعراء ممن هم على شاكلته فى أسلوبه الرصين ، فالحجة عليه لا له ، وإن عنى هذا النحو من الكلام المرصوف ملحونا مهجنا وعنى أصحابه فى عداد الخطباء والشعراء فهذا ما لم يجد ابن خلدون موافقا عليه إلا ممن يضم بين جنبيه قلبا شعوبيا يبغض العرب والعربية ، ونعيذ العلامة ابن خلدون من هذه النزعة رغم ما سجله من آراء عن العرب .

(ثانيا) يذهب ابن خلدون إلى أن لغة حمير لغة أخرى تغاير لغة مضر فى الكثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها ، ويستشهد على ذلك بما لديه من الأنقال ؛ وهذه قضية جد خطيرة كان من حق العلم والبحث على هذا الإمام الجليل أن يذكر من هذه الأنقال مثلا وشواهد يؤيد بها دعواه ، أما الاكتفاء بأن هذه الأنقال الشاهدة موجودة لديه فهذا ما لم يمكن أن يكون شيئاً فى باب البحث ، بل إن الذى وصل إلينا من الأنقال عن طريق الثقات يرد دعوى العلامة ابن خلدون ويؤيد وحدة اللغة الحميرية والمضرية فى الكثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها . ورأس الأمر فى ذلك ما كتب به النبى صلى الله عليه وسلم (لوائل بن حجر) وأقيال اليمن ، ومخاطباته لوفودهم ، وهذا ثابت فى كتب السيرة والحديث ؛ وقد نستروح له بنحو وفود عبد المطلب بن هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم على ابن ذى يزن الحميرى ، إذا صحت هذه الوفادة ، فلا يسوغ فى شرعة العقل والمنطق أن نترك امرا ثابتا بين أيدينا إلى أمر لم نطلع عليه ولم ندر ما وجه الأمر فيه .

(ثالثا) يرى ابن خلدون انه يمكن الاعتياض عن الحركات الإعرابية فى دلالتها بأمور أخرى ، وهذه فيما نعتقد وثبة من وثبات العلامة التى لم يصاحبه فيها التوفيق ، وإلا فأين حظه من المحاولة فى هذا وهو إمام جليل القدر فى كثير من الفنون ؟ ولكن يظهر أن الإمكان شىء والوقوع شىء آخر . وليت ابن خلدون صنع شيئاً فى هذا المضمار ، إذن لأراح أفكارا لازالت تدور حول فكرته هذه التى رصد لها مجمعنا اللغوى - وهو أعظم مؤسسة علمية لغوية فى الشرق العربى برجالاته ومفكريه - الجوائز وعقد لها

البحوث ، وكتب فيها الكاتبون وألف فيها المؤلفون فلم نظفر منهم إلى يومهم هذا بوليد سوى ، ولا اعتبار هنا لنظرية الكتابة بالحروف اللاتينية التى نهض بها أحد كبار مفكرى أعضاء المجمع ، فإنها ـ فى الحق ـ لا تتصل بالعربية من قريب أو بعيد .

(رابعا) لو تمت فكرة ابن خلدون ومن يلف لفه من أهل التفكير الحديث فماذا يكون شأن القرآن الكريم والحديث النبوى ، وهما أصل الملة والدين ؟

أيدخلهما هذا التجديد فتتغير ألفاظهما حسبما يكون مما اعتضنا به من حركات الإعراب ؟

أم يبقيان على حالهما بعيدين عن لغة الناس وتبقى لهما خاصة أصول النحو وقوانينه المعروفة ؟

وحينئذ يكون هناك لغتان : لغة دينية هى لغة القرآن والحديث فى المحاريب ودراسات الدين ، ولغة العامة ، وهى ذات التجديد فى الضبط بالتحليل من قواعد النحو إلى ما لا ندرى ما هو ؟ وفى كلا الأمرين خطر لا يحتاج إلى تنبيه .

وأما جهة الأسلوب وطريق أداء المعانى التركيبية طبقا لمقامات الكلام ، فالاعتماد فى ذلك على المأثور من فنى الكلام نظمه ونثره ؛ والذى وصل إلينا من الشعر المنسوب إلى العصور التى تقوم الحجة بلغتها شىء كثير فى ذاته ، ومن المنثور شىء قليل جداً ، ولكن الرواة يقولون إن الذى انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل ، ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير .

يقول جلال الدين السيوطى فى المزهر : وقد أجمع الناس على أن المنثور فى كلامهم أكثر وأقل جيداً محفوظا ، وأن الشعر أقل وأكثر جيداً محفوظا .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير .

ويروى محمد بن سلام فى الطبقات أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر فلم يئلوا إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت أو القتل فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم أكثره » .

ومع ذلك كله فإن هذا التراث الأدبى كان محلا للطعن فى صحة الكثير منه ، فلم يسلم منه إلا أقل القليل . وموضع العجب فى هذا المقام أن الرواة يكادون أن يجمعوا على أن تاريخ هذا الأدب الذى تقوم به الحجة فى اللغة لا يرتفع مع الماضى لأكثر من قرنين قبل الإسلام .

فأين العرب قبل هذين القرنين ؟ وأين لغتهم وآدابها ؟

جواب هذا فى تاريخ الأمة العربية المدفون



بين أحضان الزمن ، وجوابه أيضاً فى كلمة عمر بن الخطاب التى نقلناها آنفا .

وإذا رجع الباحث إلى تاريخ اللغة المرتبط بتاريخ الأمة العام ، وجد الرواة والعلماء يصعدون باللغة مع تاريخ العرب إلى مئات السنين على ما فى ذلك من اختلاف لا يقلل من شأن امتداد اللغة فى القدم بامتداد عهد الأمة بالحياة .

قال الزركشى : وقد روى عن ابن عباس « أول من تكلم بالعربية المحضة إسماعيل » وأراد به عربية قريش التى نزل بها القرآن . تأمل فى هذا الكلام وانظر كم بين إسماعيل والزمن الذى تزعم الرواة أنه أول لتقصيد القصيد على عهد مهلهل بن ربيعة أخى كليب صاحب حرب البسوس ، وخال امرىء القيس ، كما يقولون ؛ ومهلهل هذا فى العصر القريب من الإسلام ، وقد غبر على العرب أعصر ودهور قبله ووقعت لهم حروب قبل حربه التى سببها أخوه كليب فكانت محضاء لشاعريته ، فهل كان العرب قبل مهلهل خُرْساً بُكْماً لا ينطقون ، وفاقدى الإحساس لا يشعرون ؟ فإذا كانت عربية قريش التى نزل بها القرآن نشأت منذ عهد إسماعيل وبينه وبين مهلهل قرون فغير معقول أن يكون تاريخ الأدب قبل الإسلام ينتهى إلى قرنين كما يقول الرواة ، بل المعقول أن يمتد صاعدا مع الماضى إلى أضعاف ذلك حسبما مر فى تضاعيف الحياة من أجيال وتقلبات وأحداث .

وقال الزركشى أيضاً : وأما عربية حمير وقحطان فكانت قبل إسماعيل عليه السلام . وإذا تأمل الباحث فى حديث البخارى المتعلق بهجرة إبراهيم عليه السلام بولده إسماعيل وأمه إلى بطحاء مكة علم أن إسماعيل نشأ فى المهد بين قبيلة جرهم وهى قبيلة قحطانية يمنية حميرية ، وشب فيها وساكنها وصاهرها ، فعنها أخذ لغته وعربيته المبينة ، ولا نمنع أن يكون قد لقن من لغة أمه شيئاً ، ولكن كثرة جرهم الغامرة لا تبقى على لغة فرد فيما بينها .

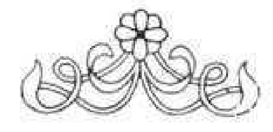
وقال ابن دحية : العرب أقسام : (الأول) عاربة وعرباء وهم الخلص ، ثم عد قبائلهم البائدة حتى قال : ومنهم جرهم ووبار ، ومنهم

البقية ص ١٥٢٣

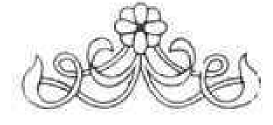


اللغة والأدب والنقد

إمام النحاة وقضية الاستشهاد بالحديث



شخصية عالم الدين في الرواية العربية



الأدب المقارن



في المقال السابق قدمت نقولا عن بعض الباحثين المعاصرين تشير إلى ان سيبويه لم يستشهد بالحديث ، وختمته بعدة تساؤلات حول هذه النقول ، وهل تعبر بدقة عن موقف إمام النحاة من هذه القضية ؟ وإلى اى مدى ؟ وإذا كانت غير معبرة تعبيرا صحيحا عن موقفه فكيف دخل الوهم على هؤلاء الاعلام ؟

وبادىء ذى بدء أقول : إنى ألتمس العذر لهؤلاء الباحثين ، وذلك لأسباب منها :

ان كتاب سيبويه بحر متلاطم الأمواج ، حافل بشتى الدراسات اللغوية بكل مستوياتها من صوتية وتصريفية ، ونحوية ، وبلاغية ، وأن الشواهد القليلة من الحديث الموجودة فى أنحاء متفرقة من كتابه ، كما سأذكرها بعد ، ضاعت ملامحها بهذه الصورة التى عرضها بها إمام النحاة ؛ إذ كان يستشهد بالحديث ، بحيث لا ترى إشارة دوما تهدى القارىء إلى أن هذا الشاهد حديث شريف بل يكتفى بأن يقول : وأما قولهم ، أو : ومن العرب من يرفع فيقول : كذا ، ويذكر الحديث .

لكن ، كيف اكتشف وجود الحديث فى الكتاب ؟!

ومَنْ من الباحثين هُدِىَ إلى وجوده ؟!

إن البحث لم يكشف عن الاستشهاد بالحديث فى كتاب سيبويه فحسب ، بل استشهد به عمرو بن العلاء ، فى ثلاثة مواضع ، والخليل بن أحمد فى أربعة مواضع[١] .

وهذه الشواهد عثر عليها الباحثون فى كتب نحاة جاءوا بعدهما ، وتحدثت عنهما مثل : اشتقاق أسماء الله الحسنى للزجاجى ، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن

---

(١) راجع موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث ـ د . خديجة الحديثى .

للدكتور: السيد رزق الطويل

خالويه ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ، وما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج ، وهى بهذه الصورة ليست بقاطعة فى الاحتجاج ، كما لو أخذنا هذه المعلومات من كتب لهذين العلمين نفسيهما .

ونعود للإجابة عن السؤال المشار إليه آنفا :

تؤكد الدكتورة خديجة الحديثى أن عثمان فكى من الباحثين المحدثين أول من تنبه إلى احتجاج سيبويه بالحديث النبوى ، فى بحثه « الاستشهاد فى النحو العربى » حيث عثر على ثلاثة أحاديث فى « الكتاب » فَعَدَّهُ أول من احتج بالحديث من النحاة .

ولما وضع الأستاذ أحمد راتب النفاح كتابه « فهرس شواهد سيبويه » عثر على حديثين آخرين فصارت خمسة .. خديجة الحديثى ـ موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث .

وهذا الحكم الذى أصدرته الدكتورة خديجة بأن عثمان فكى أول من تنبه لوجود الحديث الشريف فى كتاب سيبويه لا أطمئن إليه تماما ، ذلك لأن هناك بحوثا جادة كتبها معاصرون ، ولم تتح لها أسباب الظهور ، ولا تزال حبيسة رفوف المكتبات فى الكليات التى قدمت لها هذه البحوث ، وستتحول بعد حين إلى تراث يضم إلى آلاف الكتب التراثية التى تحتويها عشرات المكتبات فى أنحاء العالم .

ومن هنا فليس فى صالح البحث العلمى إصدار الأحكام العامة القاطعة ؛ إذ قد يهيأ للإنسان فى غمرة البحث انه وصل إلى نتيجة هى الحق ، أو ما هو قريب منه ، ثم لا تلبث الأيام حتى تقدم جديدا يحول ألنتيجة إلى فرض مطروح للمناقشة .

وأيا ما كان الأمر فإن سيبويه استشهد فى كتابه بعدد من الأحاديث تعد على أصابع اليدين ، أو تزيد قليلا ، وقد تنقص ، وكان هذا حسب اجتهاد من استخرجوا هذه الأحاديث من الكتاب ، حتى إن أحدهم يرى العبارة فيظنها حديثا فيثبتها .

وآخر يرى عبارة « ما » تتردد فى بعض الأحاديث ، قد استشهد بها سيبويه ، فيعدها حديثا مع أنها من الكلمات التى تتردد على لسان كل مسلم ، وبالتالى يحسبها الباحث من بين الأحاديث التى احتج بها سيبويه ، مع أن العبارة بالصورة التى ذكرت بها لا تعد من باب الاحتجاج بالحديث .

←

(●) الكاتب عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية ـ جامعة الأزهر .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الدكتور محمد ضاوى حمادى فى بحثه الذى نال به درجة الماجستير « الحديث النبوى الشريف فى الدراسات اللغوية والنحوية »[٢] إذ تصفح كتاب سيبويه ، وأضاف عبارات ظنها أحاديث ، ومنها ما أورده سيبويه فى باب مالا تُغَيِّر فيه « لا » الأسماء عن حالها التى كانت عليها قبل أن تدخل « لا » ، وذلك فى قوله : وتقول : قضية ولا أبا حسن لها ، تجعله نكرة ، قلت : فكيف يكون هذا وإنما أراد عليا عليه السلام[٣] .

على أن هذه العبارة من كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وسارت مسير المثل فى كل موقف يغيب عنه المناسب له وهى إن دلت على شىء فإنما تدل على استشهاد سيبويه بكلام الصحابة ، وهذه قضية أخرى لا أظنها محل خلاف ؛ إذ هم من أفصح العرب ، وعاشوا زمن الاحتجاج .

ومن ذلك ما أثبته الدكتور ضاوى أيضاً من استشهاد سيبويه بهاتين العبارتين .

« نهاره قائم ، وليله صائم »[٤] .

« الله أكبر دعوة الحق »[٥] .

ولا أثر لهاتين العبارتين فى كتب الحديث .

والأمر كما ذكرت ، وهو أن الباحث فى الكتاب له عذره ؛ إذ يجد عبارات كثيرة يغلب على الظن ورودها فى أحاديث شتى ، وسيبويه فى كلامه لا يشير عند ذكر العبارة إلى أنها حديث أو لا ، ومن هنا يضطرب اجتهاد الباحثين المحدثين .

على أننا لكى نثبت استشهاد إمام النحاة بالحديث لابد أن نُخَرِّج هذه الأحاديث ، ونبين مكانها فى الصحاح ، ولنا بعد ذلك ملاحظات على أسلوب الرجل فى تناول هذه الشواهد من الحديث ، وما وراء ذلك من بواعث .

وسأعرض الأحاديث التى استشهد بها سيبويه متبعا كل حديث بتخريجه ، مع مناقشة لظروف هذا الاستشهاد وملابساته .

الحديث الأول :

فى « باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذى يفعل به وما كان نحو ذلك » ... يقول : « وإنما كان الذى يليه أولى لقرب جواره ، وأنه لا ينقص معنى » ثم يواصل حديثه فى باب التنازع فيقول : « وهو قولك : ضربت وضربنى زيد ، وضربنى ، وضربت زيدا ، تحمل الاسم على الفعل الذى يليه ، فالعامل فى اللفظ أحد الفعلين ، وأما المعنى فقد يعلم أن الأول قد وقع إلا أنه لا يعمل فى اسم واحد نصبا

---

(٢) هذه الرسالة المشار إليها لم تطبع بعد ، والمعلومات نقلا عن كتاب د . خديجة الحديثى ص ٧٠ .

(٣) الكتاب حـ ١ ص ٣٥٥ بولاق .

(٤) الكتاب حـ ١ ص ١٦٠ بولاق .

(٥) الكتاب حـ ١ ص ٢٨١ بولاق .

ورفعا ، وإنما كان الذى يليه أولى لقرب جواره ، وأنه لا ينقص معنى ، وأن المخاطب قد عرف أن الأول قد وقع بزيد ، ومما يقوى ترك هذا لعلم المخاطب قوله عز وجل : ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ﴾ فلم يعمل الآخر فيما أعمل فيه الأول استغناء عنه ، ومثل ذلك : « ونخلع ونترك من يفجرك »[6] .

التعليق

فى هذا النص من كتاب سيبويه ورد فى عبارته جزء من حديث شريف وهو قوله صلى الله عليه وسلم « ونخلع ونترك من يفجرك » وهى قطعة من دعاء القنوت الذى ورد فى عدة أحاديث وقد ساقه سيبويه شاهدا لتنازع عاملين معمولا واحدا .

« وقد جاء هذا الحديث فى كتب السنة مطابقا للفظ الذى ذكره سيبويه ، وليس فيه ما يرد عليه ، أو يطعن به ، ولا يمنع أن يكون فى عداد الأحاديث التى احتج بها سيبويه »[7] .

وقد ورد هذا الحديث فى كتاب فتح القدير للكمال بن الهمام جـ ١ ص ٤٣٠ .

كما أخرجه أبو داود فى المراسيل .

وهذا الحديث لم يستدل به أحد من البصريين الأوائل فى باب التنازع أو غيره غير أن أبا البركات الأنبارى المتوفى سنة ٥٧٧ هـ استدل به فى الإنصاف فى عرض خلاف البصريين والكوفيين حول : أى العاملين أولى بالعمل ؟ وقد صرح بأنه حديث[8] .

الحديث الثانى :

النص فى الكتاب .

قال سيبويه فى « باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره من المصادر فى غير الدعاء » « وأما سبوحا وقدوسا ، رب الملائكة والروح فليس بمنزلة سبحان الله ؛ لأن السبوح ، والقدوس اسم ، ولكنه على قوله : أذكر سبوحا وقدوسا . وذلك أنه خطر على باله أمر ذكره ذاكر ، فقال : سبوحا ، أى ذكرت سبوحا ، كما تقول : أهل ذاك ، إذا سمعت الرجل ذكر الرجل بثناء ، أو بذم ، كأنه قال : ذكرت أهل ذاك ، ومن العرب من يرفع فيقول : سبوح قدوس [رب الملائكة والروح] كما قال : أهلُ ذاك ، وصادق والله ، وكل هذا على ما سمعنا العرب تتكلم به رفعا ونصبا »[9] .

التعليق

ورد فى هذا النص حديث شريف هو « سبوح قدوس ، رب الملائكة والروح » .



(٦) الكتاب جـ ١ ص ٧٤ هارون ، جـ ١ ص ٣٧ ، ص ٣٨ بولاق .

(٧) احتجاج النحويين بالحديث ـ مجلة المجمع العلمى الأردنى ـ العددان ٣ ، ٤ السنة الثانية ص ٥٢ .

(٨) الإنصاف جـ ١ ص ٦٢ ، ص ٦٣ .

(٩) الكتاب جـ ١ ص ٣٢٧ هارون ص ١٦٢ بولاق .

وهو بهذه الصورة جاء فى صحيح مسلم .. كتاب الصلاة ، وفى سنن أبى داود جـ ١ ص ٤١٩ عن عائشة ، كما رواه أحمد فى مسنده جـ ٦ ص ١٤٨ .

لكن العبارة وردت منصوبة فى نص سيبويه ، فهل تعد حديثا ؟!

والجواب أننا لا نعدها حديثا إلا إذا ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم نطق بها منصوبة ، وهذا أمر لم يثبته أى كتاب من الصحاح غير أن صاحب كتاب عون المعبود شرح سنن أبى داود نقل عن القاضى قوله :

قيل فيه : سبوحا قدوسا ، على تقدير : أسبح سبوحا ، وأقدس قدوسا ، أو أذكر ، أو أعظم ، أو أعبد »[١٠] ومن هنا فالتصور السليم فى تقديرى أن سيبويه لم يضع فى حسابه فى هذا الاستشهاد أنه أمام حديث شريف يلتزم فى معالجته بنصه ، ولكنها عبارة هى أمامه متواترة فصيحة ، دارت على ألسنة فصحاء فعالج بها هذه القضية النحوية التى كان بصدد الاستشهاد لها ، وسيبويه غير بعيد عن الحديث الشريف فله خبرة سابقة فيه .

وموقف القاضى عياض ، المشار إليه من عبارة النصب ، لا يراد به عرض رواية أخرى للحديث ، وإلا لقدمها مسندة ، وإنما يريد عرض وجه نحوى آخر للعبارة ، كما يفيده سياق الكلام .

ومما نلاحظه أن أحدا من النحاة الذين أتوا بعد سيبويه لم يستشهد بهذا الحديث الذى استشهد به سيبويه حتى ابن مالك الذى استكثر من الحديث فى شواهده لا نرى من بينها هذا الحديث .

ومن الغريب أن الدكتور محمود حسنى يعلق على هذا الحديث بما يفيد رفضه اعتبار هذا الحديث شاهدا من شواهد سيبويه ؛ إذ يقول : ويرد رواية الرفع فى نص سيبويه فيما بعد بأنه لم يورده على أنه حديث إنما أورده عرضا ؛ لأنه قدم له بعبارة : ومن العرب من يرفع فيقول : ومادام كذلك فلا يجوز أن يعد من بين الأحاديث التى احتج بها سيبويه »[١١] .

وسر الغرابة أن ما لاحظه د . محمود حسنى غير مقصور على هذا الحديث وحده ، وإنما هو ظاهرة فى كل المواطن التى عثرنا فيها على حديث ، أو بعض حديث فى كتاب سيبويه ، وهذا الأمر فى تقديرى له مغزى نشير إليه بعد .

والحديث موصول .

دكتور السيد رزق الطويل

(١٠) فهرس شواهد سيبويه (القرآن ـ الحديث ـ الشعر) أحمد راتب النفاخ ـ دار الإرشاد ببيروت سنة ١٩٧٠ جـ ٢ ص ٥٧ .

(١١) مجلة المجمع الأردنى ـ العدد المشار إليه مع رقم ٧ فى هذه الهوامش ص ٥٥ ، ص ٥٦ .

بقيـــة

تعلم إسماعيل عليه السلام العربية . وهذا قول حرى بالقبول لأن رواية إنزال إسماعيل فى وادى مكة رضيعا كما هو صريح صحيح البخارى ، وحسبك به ، تؤيده أصدق التأييد ، ويرشحه ما رواه الحاكم فى المستدرك وصححه والبيهقى فى شعب الإيمان عن بريدة رضى الله عنه فى قوله تعالى ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ قال بلسان جرهم . وهذا لا يقال فى مثله بالرأى ، فلابد أن يكون مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو صريح فى ان لسان جرهم ، وهى بإجماع المؤرخين قبيلة يمانية قحطانية ، كان عربيا مبينا ، وهو الذى أخذه عنها إسماعيل وانحدر منه إلى ذريته فى جرهم حتى استقلت به مضر ، ثم قامت به قريش ونزل به القرآن الكريم ؛ وغير معقول أن يكون هذا اللسان نزل على جرهم بعد مجيئها الحجاز مهاجرة من اليمن موطنها الأول ونسيت كلها قضها بقضيضها لسانها الذى كان بين قومها قبل هجرتها ، بل المعقول أن هذا اللسان الذى أخذه منها إسماعيل هو لسانها منذ عهدها بالتفاهم ، وهو لسان أخواتها من سائر القبائل القحطانية هاجر معها حيث هاجرت . وإلى هذا يميل ابن دريد فى الجمهرة حيث يقول : وسمى يعرب واسمه مهزم بن قحطان لأنه أول من انعدل لسانه من السريانية إلى العربية ؛ وكذلك إسماعيل بن حماد الجوهرى حيث يقول فى الصحاح : أول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان .

ومن هنا يمكن أن نقول : إن الدليل التاريخى يؤيد أشد التأييد وحدة اللغة العربية منذ نشأة العرب ، وكانت لهم لغة صالحة للتفاهم وتصوير الأفكار إلى أن نزل بها القرآن الكريم ، وليس فيها إلا هذا الاختلاف فى اللهجات بين القبائل الذى لا ينتهى إلى استقلال لغة الجنوب عن لغة الشمال فى أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها استقلالا يجعل إحداهما كالحبشية للعبرية مثلا ونحن لا نزعم أن هذه اللغة التى نزل بها القرآن الكريم والتى دونت ألفاظها المعاجم والتى نقلها لنا الرواة فى نصوص الأدب ، والتى نقرؤها اليوم فى الكتب والمؤلفات ، كانت كذلك منذ أول عهدها كاملة ، فهذا ما لايمكن أن يقال ، ولكن الذى نقوله : إن اللغة العربية لغة أمة قديمة فى الحياة جداً ، وهى متشابكة الأواصر متشابهة السمات ، جرى عليها من الأطوار ما جرى على الأمة التى نطقت بها وما يجرى على كل كائن حى فى الوجود حتى انتهت إلينا بحالها الذى رأيناه .

عبد الفتاح الزيات



فائدة الاستعاذة بالله ـ تعالى ـ

حكى عن بعض السلف أنه قال لتلميذه : ما تصنع بالشيطان إذا سوَّل لك الخطايا ؟

قال : أجاهده .

قال : فإن عاد ؟

قال : أجاهده .

قال : فإن عاد ؟

قال : أجاهده .

قال : إن هذا يطول ، أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ، ومنعك من العبور ماذا تصنع ؟

قال : أكابده ، وأرده جهدى !!

قال : هذا يطول عليك ، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك .

فعلى العبد أن يستعن بمالك الملك رب السموات والأرض إذا سَوّلَ له الشيطان يوماً ، فهذه فائدة الاستعاذة .

« الشكوى لغير الله »

قال الأحنف بن قيس : شكوت إلى عمى وجعاً فى بطنى فنهرنى ثم قال : يا ابن أخى لا تشكُ إلى أحد ما نزل بك ، فإنما الناس رجلان : صديق تسوؤه ، أو عدو تسره .

يا ابن أخى : لا تشكُ إلى مخلوق مثلك لا يقدر على دفع مثله عن نفسه ، ولكن اشكُ إلى من ابتلاك به فهو قادر على أن يفرج عليك .

ياابن أخى : إحدى عينى هاتين ، ما أبصرت بها سهلاً ولا جبلاً من أربعين سنة ، وما أطلعت على ذلك امرأتى أو أحد من أهلى « إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله » .

« من الذوق »

قال سعيد بن العاص : لجليسى علىَّ ثلاث :

إذا دنا رحُبت به .

وإذا جَلس وسَّعْتُ له .

وإذا حدث أقبلت عليه .

وقال : ما مددت رجلى قط بين يدى جليسى ، ولا قمت حتى يقوم .

« مكور وأمكر »

استأجر رجل حمالاً ليحمل له قفصاً فيه قوارير على أن يعلمه ثلاث خصال ينتفع بها ،



ورضي الحمال بذلك ، وقال فى نفسه : العلم خير من المال ، فلما بلغ ثلث الطريق ، قال الحمال : هات الخصلة الأولى فقال له : من قال لك : « إن الجوع خير من الشبع فلا تصدقه » ، قال : نعم ، ولما بلغ نصف الطريق قال : هات الثانية ، فقال : « من قال لك إن المشى خير من الركوب فلا تصدقه » ، قال : نعم ، فلما انتهى إلى باب الدار ، قال : هات الثالثة ، فقال : « من قال لك إنه وجد حمالاً أجهل منك فلا تصدقه .. فرمى الحمال القفص وضرب به الأرض فكسر القوارير جميعاً .

وقال : « من قال لك إنه بقى فى القفص قارورة فلا تصدقه أبدا » .

« الضيف الضجر الممل »

أضاف رجل رجلاً فأطال المقام حتى كرهه فقال الرجل لامرأته : كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه .

فقالت له : ألق بيننا شراً حتى نتحاكم إليه .. ففعل .

فقالت المرأة للضيف : بالذى يبارك لك فى غُدُوِّك غدا أينا أظلم ؟

فقال : والذى يبارك فى قيامى عندكم شهراً ما أعلم .

« كراهة الوقوف على الأبواب »

كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، إذا قرأ عليه الطالب بابا انتهى به الدرس .

يقول : اقرأ سطراً من الباب الذى يليه ، فإنى لا أحب الوقوف على الأبواب .

« حقيقــة »

تؤمل فى الدنيا بقاء ولا تدرى
إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة
وكم من مريض عاش دهراً إلى دهر
وكم من فتى يمسى ويصبح آمناً
وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى

« دعــاء »

اللهم أغننى بالعلم ، وزينى بالحلم ، وأكرمنى بالتقوى ، وجملنى بالعافية .



يعتبر عنصر رسم الشخصية الإنسانية من أبرز العناصر التى يعتمد عليها العمل الروائى . فكلما أحاط الكاتب وتعمق فى رسم هذه الشخصية جاءت منسجمة مع السياق العام فى الرواية ، وبلغت فى نفس متلقيها النهاية من حيث تجاوبه معها ، وتأثره بسلوكها ، وتفسيره لحركتها فى الواقع

وقد رسم روائيونا منذ رواية (زينب) لمحمد حسين هيكل مئات الشخصيات الإنسانية من مختلف الطبقات الاجتماعية ، وقد حالفهم التوفيق فى الأعم الأغلب ، مما جعل هذا الفن الروائى الجديد ـ القديم فى أدبنا العربى ينمو ويطرد ، ويصبح واحداً من أبرز الفنون الأدبية فى أدبنا الحديث . غير أن هناك شخصية واحدة نالها الحيف والعسف حين تناولها الروائيون وصوروا حركتها الاجتماعية وتعاملها مع الناس ، ولم يكن هذا الحيف والعسف مقصورين على كاتب واحد أو اثنين ، بل نجدهما يشملان معظم ما كتب الروائيون حول هذه الشخصية ، ألا وهى شخصية (عالم الدين) ، أو رجل الدين كما يسمونه .

ترى لماذا يكون قصاصونا واقعيين وموضوعيين ويتحرون الدقة فى رسم أغلب الشخصيات التى يرسمونها ، بينما يغالون ويزورون شخصية العالم الدينى فى رواياتهم ، فيظهرونها فى أبشع صورة للدجل والجشع والأنانية والكذب والرياء وحتى العمالة للأجانب ؟! ترى لماذا ؟

هذا التساؤل هو الذى دعانا إلى كتابة هذا البحث الموجز .

الحق أن وراء الأكمة ماوراءها ، وأن القضية ليست قضية فنية محضة ، بل هى قضية فكرية ترجع بجذورها إلى الصراع الحضارى بين الإسلام والغرب إذا تحرينا الدقة فى الملاحظة ؛ ففى الفترة التى بدأت الرواية العربية تظهر بشكلها الفنى المتكامل فى العشرينيات من هذا القرن ، كان العالم الإسلامى قد وقع تماماً فى (كماشة) الاستعمار الأوروبى ، إذ مرت فترة كافية على الوجود البريطانى بمصر والخليج والجزيرة العربية ، والاستعمار الفرنسى فى الشمال الأفريقى وفى سوريا ولبنان خاصة . وفى هذه

للأستاذ الدكتور
شلتاغ عبود شراد

الفترة كان الصراع دامياً ومريراً ، وغير متكافىء القوى والأساليب ، وكان أن استطاع الاستعمار بوسائله المتعددة أن يخلق جيلاً متغربا تماماً عن عقيدته وأرضه وأهله ، ابتداء من الجيل الشامى المسيحى المتعاطف أصلاً مع (الأم الحنون) فرنسا ، ومروراً بالمجتمع المصرى الذى استطاع الاحتلال الانجليزى أن يغير كثيراً من مظاهر الحياة الإسلامية فيه . فنشأت نتيجة لهذا عقول وقلوب وعيون ، لا تفكر ولا تحس ولا ترى إلا كما يفكر ويحس ويرى الغربيون ؛ لأنها درجت على ألفة الحياة الغربية إما بالمعايشة أثناء الدراسة بأوروبا ، أو من خلال التتلمذ على أيدى وسائل الإعلام ، أو الجامعات التى أنشأوها فى العالم العربى والإسلامى .

وحين نرصد الصورة التى رسمت لعالم الدين فى الرواية العربية الحديثة ، تقفز إلى أذهاننا ـ بناءً على ماقدمنا ـ صورة رجل الكنيسة الأوروبى فى الروايات الغربية . ونحن نعلم كيف انتهى الصراع بين الكنيسة وقساوستها وبين العلم ورجاله ، مما أفسح المجال للروائيين الغربيين أن يرسموا شخصية رجل الكنيسة بأبشع صورة مقززة تثير الحقد لا على الشخصية ذاتها بل على كل قيمها وسلوكاتها الدينية* . هذه الشخصية هى المصدر الذى استقى منه القاص العربى مادته ، ذلك لأن هذا القاص تتلمذ فنياً على نماذج الرواية الغربية ، ومن المعلوم أن تراثنا الروائى لم يكن حاضراً فى ذهنه لحظة التخطيط لهيكل وبناء روايته . وبالإضافة إلى التلمذة الفنية تلمذة فكرية كذلك ، فهو يشارك الأوروبيين مقتهم لهذه الشخصية وسوء ظنهم بها ، بل إنه فاقهم فى كثير من الأحيان ، وقال مالم يقله الأوروبيون أنفسهم !!

ولكى لا أبعد بك فى الحديث النظرى أحيلك إلى رواية « عرس الزين » للقاص السودانى الطيب صالح ، وهو من الروائيين المشهورين الذين كتبت عنهم الدراسات النقدية الكثيرة ، وربما تشاطرنى الإحساس إزاء هذا الاهتمام بالكاتب لدى الكتاب الذين يشاركونه فى الاتجاه الفكرى ، ولدى وسائل الإعلام الغربية والانجليزية خاصة !

أقرأ معى هذا التصوير لشخصية إمام المسجد فى (عرس الزين) : « كان رجلاً ملحاحاً متزمتاً كثير الكلام فى رأى أهل البلد . كانوا فى دخيلتهم يحتقرونه ، لأنه الوحيد بينهم الذى لا يعمل عملاً واضحاً ـ فى زعمهم ـ لم يكن له حقل يزرعه ، ولا تجارة

←

• الباحث : عضو هيئة التدريس بجامعة بايرو ـ كنو ـ نيجيريا .

* هذا كان فيما مضى لأكثر من قرن ، فأما رجل الكنيسة ـ حاليا ـ فى الرواية الغربية ، فقد صار شخصية شبه مقدسة لا تمس بسوء وتحاط بكل إجلال ، وليس يستطيع روائى ـ فى منطقة الشرق الأدنى ـ أن يتناولها بحال ... مجلة الأزهر .

شخصية عالم الدين

يهتم بها ، ولكنه كان يعيش من تعليم الصبيان ، له فى كل بيت ضريبة مفروضة يدفعها الناس عن غير طيب خاطر ، وكان يرتبط فى أذهانهم بأمور يحلو لهم أحياناً أن ينسوها : الموت ، الآخرة ، الصلاة . فعلق على شخصه فى أذهانهم شىء قديم كئيب مثل نسيج العنكبوت » .(١)

هل الواقع يعكس لنا أن قرية ما فى العالم الإسلامى تنظر إلى إمام المسجد بهذه النظرة ؟ مع علمنا أن أهل القرى أشد الناس ارتباطاً بالدين وممثليه . فهذه الصورة التى رسمها الطيب صالح لا تعكس فى الواقع إلا تصوره هو عن (عالم الدين) وتصور أمثاله ممن عاشوا فى لندن أو باريس أو تأثروا بأنماط الحضارة الغازية الذين اعتادوا ممارسة الوان من حياة الغرب ، فكان طبيعياً أن يناصبوا إمام المسجد العداء . ولكن الملفت للنظر أن الكاتب يصور هؤلاء على أنهم ممثلو الحياة العملية ، وأنهم محترمون من لدن أهل القرية أكثر من الشيخ الإمام .

وانظر معى إلى فلسفة القاص ونظرته إلى الحياة والدين كيف يزوقها خلال كتابته ، ويجريها على ألسنة أبطاله بطريقة ظاهرة التحيز والتزوير : « .. ولكنهم إن لم يحبوه ، فقد كانوا يعترفون بحاجتهم إليه . يعترفون مثلا بعلمه . فقد قضى عشر سنوات فى الأزهر ، يقول الواحد منهم : الإمام ماعنده شغلة .. لكن الحق لله لسانه فصيح الكلام كان يلهب ظهورهم فى خطبه كأنه ينتقم لنفسه منهم بكلام متدفق فصيح عن الحساب والعقاب والجنة والنار ومعصية الله والتوبة إليه . كلام ينزل فى حلوقهم كالسم ، يخرج الرجل من المسجد بعد صلاة الجمعة زائغ العينين ، ويحس وهلة وكأن سير الحياة قد توقف ، ينظر إلى حقله بما فيه من نخل وزروع وشجر ، فلا يحس بأى غبطة فى نفسه ، يحس أنها جميعاً عرض زائل ، وأن الحياة التى يحياها بما فيها من فرح وحزن ماهى إلا جسر إلى عالم آخر** »(٢)

هذه وظيفة الدين فى نظر الطيب صالح :

صد الناس عن الإقبال على الحياة والتمتع بما فيها من نعم ، وأن الإيمان بالآخرة يكون عقبة أمام الإحساس بما فى الدنيا من مباهج ، وكأن (عالم الدين) لم يكن ليتحدث إلا عن الآخرة فى خطبه وأحاديثه . ارأيت كيف صور القاص هذه الشخصية بعبارات تثير فى نفس المتلقى (القرف) والاشمئزاز فهو شىء قديم كئيب مثل نسيج العنكبوت ، وأية دلالة يوحى بها نسيج العنكبوت غير الوهن والخراب والوحشة ؟! ويقول عنه فى موضع آخر « كأنه مثل الضريح الكبير وسط المقبرة »(٣) ذلك هو شيخ المسجد كما يراه كاتب مسلم من أبوين مسلمين !!

---

(١) ص ٧٣ من الرواية (عرس الزين)

** إن النص ليس حملة على عالم الدين فحسب ، بل هو حملة على الدين نفسه .. مجلة الأزهر .

(٢) ص ٧٤

(٣) ص ٧٥

وبعد هذا التحيز الواضح ، والتوجه غير الموضوعى للكاتب ، يعمد إلى شخصية البطل الرئيسى فى القصة « الزين » فيفرغ عليها الصفات الإنسانية النبيلة ، ويستجلب منا العطف والحنو عليها ، ثم بعد أن يطمئن إلى ذلك يقول : « ولعل الإمام كان الشخص الوحيد الذى يكرهه الزين »[٤] ، وكان قد اقنعنا من قبل أن (الزين) كان طيب القلب لا يكره أحداً ، فأى شر أكثر من هذا الشر الذى يمثله عالم الدين بحيث يكرهه حتى الزين ، وبالتالى فنحن أولى بأن نكره هذا الشيخ ونمقت سلوكه ونرفض توجيهاته الدينية !

واغرب من هذا أن القاص وضع الإمام فى مشهد مزور آخر . ينظر إلى المغنية فى العرس ، وتقع عينه على أجزاء مكشوفة من جسمها ، فينشغل عن الذكر والقرآن الذى يردده جماعته من « الطلبة » : « وكان الإمام جالساً مع جماعة فى ديوان حاج إبراهيم الذى يشرف على فناء الدار ، فحانت منه التفاتة ، ووقعت عينه على « سلامة » وهى منهمكة فى رقصها ، ورأى صدرها البارز ، ورأى كفلها الكبير ، حين تضرب برجلها يهتز ويترجرج إلخ .[٥] .

نحن لا ندافع عن هذه الشخصية ، فهى شخصية آدمية بلحمها ودمها ، قد تصيب وقد تخطىء ، وتسمو وتسفل ، ولكننا نرفض هذه النظرة الأحادية المتحيزة التى لا تنظر إلى هذه الشخصية إلا من حيث أنها ممثلة للخمول والخداع والنفاق والابتزاز ، إن الغالب على سلوك علماء الدين وأكثرهم هو الاستقامة انطلاقا من القيم الخيرة التى يبثها الدين ، والدين الإسلامى خاصة هذا نموذج واحد فقط من الروايات « التقدمية » التى تعج بها السوق الأدبية فى عالمنا العربى والإسلامى ، وإذا أردت أن تتعرف على الصورة الكاملة لشخصية العالم الدينى فى الرواية العربية فما عليك إلا أن تعود إلى « أيام » طه حسين الذى أعطى أبشع صورة لـ (سيدنا) معلم القرآن فى القرية الذى كان لا يتورع عن الكذب والحلف بالطلاق ثلاثا على أن الولد قد حفظ سورة ياسين بينما لم يكن الصبى قد استكمل السورة ، وحين يجوع الناس يشبع الشيخ ، وحين يفتقرون يغنى . ولعلك تكون أكثر قرباً من هذا التصوير للعالم الدينى إذا اطلعت على الرواية الجزائرية الحديثة ، حيث يتخصص « الطاهر وطار » ببراعة فى استجلاب كل دوافع السوء فى رسم (طلبة القرآن) و (أئمة المساجد) و (خطباء الجمعة) ويجعلهم يتصرفون كما لو كانوا قادمين من عوالم الشياطين وليس من عوالم الإنس ، وينسب إليهم كل صورة من صور الجهل والغفلة والدجل والحيلة ، تجد هذا فى روايات (اللاز) و(الزلزال) وفى قصة (الشهداء يعودون هذا الأسبوع) وهى قصة قصيرة تشبه الرواية فى سردها ، حيث يصر الشيخ إمام المسجد على ضرورة طلاق المرأة على الرغم من أن زوجها قد استشهد منذ سنوات

(٤) ص ٨٧

(٥) ص ٩٩

← شخصية عالم الدين

طويلة ، ويتهم زوجها الجديد بأنه زانٍ وكافر !! فى حين أنه تزوج زواجاً شرعياً أمام قاضى المحكمة[٦] .. أما الرواية اللبنانية فأنت تدرك معى البيئة الفكرية والاجتماعية التى ترعرع فيها كتاب القصة ، وباستطاعتك أن تعود إلى روايات (ليلى بعلبكى) و(غادة السمان) لترى مقدار الهواة بين هؤلاء القصاص وبين القيم التى تؤمن بها مجتمعاتهم .

ولا نريد أن ننهى هذا البحث دون الوقوف عند نموذج واحد أيضاً يمثل النظرة الإيجابية فى تصويره شخصية العالم الدينى ، لكى نستكمل الصورة ، ولكى لا نظن أن العالم الروائى يخلو ممن نظر بموضوعية وإنصاف لهذه الشخصية . هذا النموذج هو رواية « عمالقة الشمال » لنجيب الكيلانى الكاتب والروائى المصرى المعروف . وفى المعلوم أن أحداث الرواية تجرى فى نيجيريا . فالشيخ (عبد الله) فى الرواية شيخ للطريقة القادرية ، يتجاوز فى سلوكه ماهو معهود عن الطرق الصوفية من بعد عن الحياة ، وانزواء فى أجواء الذكر والعبادة ، فهو ينغمس فى الحياة بكل تفاصيلها ، ويتفهم أبعاد الصراع بين قوى الحق والباطل فى إطارها الإنسانى العام ، وفى بلده (نيجيريا) خاصة ، إذ يرجع تأجج هذا الصراع إلى الدوافع التى تحدو بالأوروبيين إلى غزو العالم الإسلامى ، وبث الفتن فيه وإراقة الدماء على أرضه .[٧] .

لقد رصدت هذه الرواية الأبعاد الإيجابية فى هذه الشخصية ، فهى تزرع فى روح مريديها القوة والصلابة والإخلاص ، وتدعوهم إلى التوكل على الله وحده دون خوف أو وجل « ... حى قيوم .. علام الغيوب .. إذا نزلت يا عثمان أحراش (اليوربا) وظلمات (الأيبو) فابعث بكلمات الله فى كل مكان .. وادع البشر هناك إلى عبادة الواحد .. وقل لهم : كونوا أخوة .. وحطموا الأصنام الجديدة .. أطلق كلماتك فى الصحراء . فى الغابات . فى المناجم .. فى المصانع .. ولا تخش إلا الله .. وليس من المكتوب هروب . ولو اجتمع أهل السماء والأرض على أن يضروك بشىء لن يضروك إلا بشىء كتبه الله لك »[٨] .

بهذا الزاد الذى تلقاه من شيخه ينطلق (عثمان أمينو) ويجوب غابات الجنوب النيجيرى تاجراً وداعية ، والمكتوب الذى فهمناه لدى بعض المتصوفة ربما كان يحمل من معنى الاستسلام يتحول إلى قوة دافعة مغيِّرة لا تعرف الملل والكلل ولا الخوف ولا الرهبة ، بل يصبح هذا « المكتوب » دافعا إلى العمل بصلابة لأنه لن يصيبك إلا ماكتب الله لك .

---

(٦) والمجموعة القصصية تحمل عنوان القصة الأولى « الشهداء يعودون هذا الأسبوع » المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط ٣ ، ١٩٨٤ الجزائر ، ص ١٨٢ إلى ١٨٥ ويشارك الطاهر وطار فى هذا الاتجاه عبد الحميد بن هدوقة ، خاصة فى روايتيه (ريح الجنوب) و(نهاية الأمس) .

(٧) عمالقة الشمال ، دار النفائس ، بيروت ، ط ٦ ، ١٩٧٩ ، ص ٢٣ .

(٨) ص ٢٤ .

« ألا تعلم ياعثمان أن الله قال لمريم ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا . فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾ .[9] ، وهو يريد أن يقول له إن التوفيق الإلهى لا يكون إلا بعمل وحركة ، وإلا كيف تستطيع مريم وحدها أن تهز النخلة بثقلها ورسوخها ؟ إنه العمل ولو بصورته الرمزية هذه .

وفى كل مرة يلتقى الشيخ عبد الله بعثمان أو بقية مريديه ينفخ فيهم روح الأمل ، ويزخهم برشاش الحب والتفاؤل : « انظرو إلى السماء .. نحن فى آخر الشهر العربى .. والظلام دامس ، والنجوم تقاوم الظلمة .. لكن لا تنسوا القمر .. سوف يسطع عما قريب .. واذكروا أن بعد الليل نهاراً .. هكذا الدنيا .. ولكنكم قوم تستعجلون »[10] .

ابعد هذه الكلمات كلمات أكثر تأثيراً فى النفوس التى تعيش فى جنبات السجن الداكنة وتكتوى بسياط جلاديه ؟ ثم إنه لا يكتفى بهذه الكلمات الخضراء وحدها بل يعيش مع السجناء ، ويبعث الحركة والأمل فى نفوسهم كما يروى عنه تلميذه عثمان أمينو « .. وطال بنا المقام فى السجن ، وقد حرص شيخنا على أن يرغب السجناء فى حفظ القرآن الكريم وقراءة تفاسيره ، كما دعاهم إلى القراءة المستمرة ، وتثقيف أنفسهم ، واستغلال بعض الوقت فى ممارسة الألعاب الرياضية من جرى ووثب وحفلات للسمر البرىء ، وكنا نتحلق حوله فى الأمسيات الطويلة .. يحدثنا من تاريخ قبائل الفولانى والهوسا وملوك المسلمين ، وكيف انتشر الإسلام فى بلادنا ، وكيف تسلل المستعمرون إلى ديارنا ، وأحالوها إلى سوق للعبيد .. وكنا نستمع إلى حكاياته القديمة والحديثة ، وكأننا أطفال تسحرهم حكايات الجدات والجدود .. نقبل عليها فى نهم فنروى بها ظمأنا إلى العدل والحب والحرية والمثل العليا »[11]

ولقد كان الناس يجدون فى الشيخ عبد الله الملاذ والأمن والسرور حين تعتورهم حالات الضيق والضجر ، فيعودون منه ، وقد انقشع من قلوبهم ضباب اليأس والحزن ، وأصبحوا ملؤهم الحيوية والعمل . « ... عدت إلى شيخى عبد الله .. إننى بجوار هذا الرجل أشعر براحة عجيبة .. لكأنما يتدفق نبع اطمئنان مقدس من قلبه ، فيملأ فؤادى باليقين »[12] . أين هذا التصوير لرجل يملى عليه دينه أن يكون كذلك من الصورة التى مرت عليك للطيب صالح حين قال : إن الإمام ما عنده شغلة ، وإنه مثل الضريح الكبير وسط المقبرة !

إنك عندما تقرأ رواية « عمالقة الشمال » تشعر أن قوى البناء الداخلى للإنسان تشرئب فى أعماقك ، وتتفجر لبناء الحياة ، وذلك كله مدين إلى المواقف الإيجابية لبطل الرواية (عثمان) ولشيخه الصوفى الذى لقنه قيم

←

(٩) ص ١٣٧ .
(١٠) ص ١١٢ .
(١١) ص ١١٣ .
(١٢) ص ٢٧ .

شخصية عالم الدين

الحب والصبر والعمل . وقد تضافرت فى الرواية عدة عناصر ساهمت فى قدرتها على إثارة المتلقى وتشويقه ، منها ذلك السياق العاطفى الذى يربط البطل بحبيبته من جهة وبدينه ووطنه من جهة أخرى ، حتى امتزجت الذات بالموضوع ، وأصبحت المحبوبة هى الوطن ، والوطن هو المحبوبة .

ورواية نجيب الكيلانى تكاد تكون من الروايات النادرة التى أعطت هذا البعد الإيجابى لشخصية (عالم الدين) بالإضافة إلى رواية عطية الأبراشى (إصلاح) وروايات (بنت الهدى) الهادفة ، أما الروايات الأخرى فقد اتخذت موقفاً عدائياً مسبقاً فى هذه الشخصية وخططت كى تجعل منها موضع هزء وسخرية لدى القراء .

هذا فيما يتعلق بالروايات ذاتها ، أما الدراسات النقدية الكثيرة لهذه الروايات فقلما وجدنا من نبه إلى هذا الغبن وسوء القصد والأثر الغربى فى تصوير هذه الشخصية ، بل وجدنا النقاد يجارون الروائيين فى تحليل شخصياتهم ويثنون على عمقهم فى سبر أغوار هذه الشخصية . نستثنى من ذلك القاص والكاتب (مصطفى فاس) فى دراسته للبطل فى القصة التونسية ، حيث أشار إلى البطل فيما أسماه (القصة الإصلاحية) فتحدث عن إيجابية هذا البطل فى قصة (شاب وشيخ) للقاص نور الدين بن محمود وفى غيرها ولكنه جعل هذا وقفاً على مرحلة معينة فى تاريخ تونس .[١٣]

ننتهى من هذا كله إلى القول أنه إذا كان فى سلوك قلة من علماء الدين ماساعد على ظهورهم فى مثل هذه الكتابات الروائية ، فإن واقع الصحوة الإسلامية المعاصرة والعودة إلى النبع الصافى ، القرآن والسنة ، بعد غفوة طويلة كادت تودى بنا إلى النسيان ، قد أعطى أروع النماذج لشخصية العالم الدينى ، أليست هذه الشخصية هى التى قادت الصراع ضد المستعمر الغازى فى الأصقاع

(١٣) البطل فى القصة التونسية حتى الاستقلال ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط ١ ، ١٩٨٥ ، ص ١٣٥ وما بعدها .

الإسلامية كلها ، وأصلت للفكر الإسلامى ، وأزالت الشبهات ، ووقفت أمام التغريب الثقافى والمسخ الفكرى الجارف* ، أمثال (الشيخ شامل) الذى قاوم الاحتلال الروسى للأراضى الإسلامية ، و (الأمير عبد القادر الجزائرى) و (جمال الدين الأفغانى) و (المهدى السودانى) و (السنوسي) و (عمر المختار) والشيخ (عثمان بن فوديو) و (الثعالبى) و (عز الدين القسام) و(محمد تقى الشيرازى) و (عبد الحميد ابن باديس) ، و (محمد باقر الصدر) و (عبد العزيز البدرى) . و (عارف البصرى) ؟ !

هذه الشخصيات البطلة وعشرات غيرها فى ميدان الجهاد والفكر والسلوك الإنسانى الشامخ ، لم تستهو الكتاب الروائيين العرب

..... العلماء الذين يبعثون الحياة ويدافعون عن كرامة الأمة ومجدها لا يستحقون أن يذكروا حتى بمشهد واحد فى روايات « الواقعية الاشتراكية » العربية إننى أعتبر هذا التوجه من القصاص نوعاً من سرقة الرموز الإسلامية وإبدالها برموز باهتة دالة على الموت والفناء ، إنه نوع من الحرب ، ولكن داخل الحصون !

وإذا كانت النخب المتغربة مازالت تكتب عن الدراويش ، وتتغاضى عن تصوير الشخصيات الإسلامية المغيِّرة ، فإن على كتاب الرواية الإسلاميين أن يسدوا هذا النقص ويزيلوا هذا الوهم والتجديف ، ويعكفوا على إغناء التجارب الإنسانية بحيوات هذه الشخصيات السامية النبيلة .

ومهما يكن فالموضوع بحاجة إلى دراسة أكاديمية متخصصة تعود إلى عشرات الروايات لكبار الروائيين العرب والمسلمين ، للتوصل إلى رصد كامل لظاهرة أو شخصية « عالم الدين » ومن أية زاوية أو فلسفة صورت .

شلتاغ عبود شراد

● وهذا هو السبب المباشر فى العمل على مسخ صورة عالم الدين من الغرب وأتباعه ... مجلة الأزهر .

الأدب المقارن

أزمة المنظور المتعارف عليه

٤

(أ) المدرسة الفرنسية :

(...) لم يبتعد (باول فان تيجم) عن القضية التوفيقية لموضوعات الآداب الأوروبية ، والتى تتم بدراسة العرض الأدبى لموضوع واحد بواسطة أدباء أوروبيين من قوميات ولغات مختلفة[١] ، لم يبتعد عن ذلك احترازا من انفلات ضوابط العلم الناشىء ، وإنما رأى أن مقارنة أكثر من أدبين لا يعد من « الأدب المقارن »؛ سواء أمكن توثيق العلاقة والصلة بينهم أو لم يتحقق ذلك[٢] ، وقد أضاف هذا النوع من النشاط العلمى إلى نظام علمى آخر سماه « الأدب العام »[٣] . وبذلك يكون « فان تيجم » قد زاد منظور « علم الأدب المقارن » تعقيداً بعزله مقارنة أكثر من أدبين عن هذا العلم تحت مسمى آخر .

وهنا يتضح لنا أن « فان تيجم » نفسه ـ برغم قدراته العلمية التنظيرية الفائقة ـ كان يحس بأزمة منهج « علم الأدب المقارن » وهذا الإحساس ـ إن لم يعبر عنه ـ هو الذى قاده وقاد كل المقارنين الفرنسيين إلى هذا الارتباك المنهجى التناقضى بين الهدف المبهر لهذا العلم ، والقيود النظرية المكبلة لحركته ، والتى عطلت بالتالى نمو مناهجه البحثية فى وقت مبكر .

وقد أدى كل ذلك إلى أن صارت بحوث « علم الأدب المقارن » هامشية القيمة ؛ لاقتصارها على الجوانب التاريخية للأعمال الأدبية وعلى السيرة الذاتية للأدباء .

وقد ظل الاتجاه الفرنسى متأثرا بمنطلقه التاريخى التوثيقى من بدايته وحتى « جون مارى كارييه » و « ماريو ـ فرانكو جويار » .

---

١ ـ المقصود بذلك إرجاع موضوعات الآداب الأوروبية إلى أصول واحدة ، ومحرك هذه الفكرة سياسى ، يعبر عن نفسه الآن فكريا بمفهوم « الثقافة الأوروبية الواحدة » وسياسياً بمفهوم « الوحدة الأوروبية » ، التى أقامت بالفعل برلمانها الموحد .

٢ ـ انظر : Ruediger,Horst : Komparatistik, Koeln 1973,S.22

٣ ـ المقصود بـ « الأدب العام » العلم الذى يدرس العلاقات بين أكثر من أدبين من لغات مختلفة . وهذا التقسيم النظرى التعسفى لم يصمد فى إطار التطبيق العلمى .

فقد أصدر « جويار » عام (١٩٥١ م) كتابا تعليميا فى الأدب المقارن[٤] صدَّره بمقدمة كتبها « كارييه » يعتبر آخر ما صدر ممثلا للاتجاه الفرنسى التاريخى ، الذى وصل إلى مرحلة الشيخوخة العلمية[٥] .

وقد كان الاتجاه الأمريكى فى « الأدب المقارن » قد بدأ يكتسب مكانته فى الدوائر العلمية ممثلا فى كتابات « رينيه ويلك » .

(ب) المدرسة الأمريكية :

أول عمل علمى حدد معالم ما يسمى بالمدرسة الأمريكية فى « الأدب المقارن » كتبه « رينيه ويلك » ونشر عام (١٩٥٣ م) تحت عنوان « تصور الأدب المقارن »[٦] ؛ يتناول فيه الاتجاه الفرنسى بالنقد ويفند أوجه قصوره .

فهو يرى أن المفهوم الفرنسى للأدب المقارن قد عزل « النقد الأدبى » عن « الأدب المقارن » ، وافتقد التحديد الواضح لميدان بحوث « الأدب المقارن » . ومناهجه العلمية ، وارتكز هذا المفهوم - بالإضافة إلى ذلك - على نزعات قومية ؛ قللت كثيرا من المفهوم العالمى للأدب المقارن .

ويقصد « ويلك » بالنزعة القومية قضية إثبات الفضل لأمة بتأثيرها أكثر من غيرها فى ادب أمة أخرى ، او أن أمة ما قد فهمت كاتباً كبيراً ما ، وتمثلت أعماله أكثر من غيرها من الأمم . ولقد كان يعنى بذلك كتابات أقطاب المدرسة الفرنسية عموماً و« كارييه » و« جويار » خصوصاً ، ذلك أن « جويار » اثبت فى نهاية كتابه قائمة لدراسات لم تتم ؛ عن أدباء أسبان وإيطاليين وهولانديين يتضح منها الميل إلى وصاية المدرسة الفرنسية فى « الأدب المقارن » من ناحية ، وبيان فضل تأثير الأمة الفرنسية فى غيرها من امم أوروبا أدبيا من ناحية أخرى .

وقد بدأ هذا المفهوم الأمريكى يتعمق نظريا ، ويحاول أن يحدد معالمه ، زاعما أنه سينجز مالم يستطعه المقارنون الفرنسيون من

---

٤ - اسم الكتاب :
Guyard, Marius - Francois : La Litterature com-raree, Paris, 1951 .

والكتاب يدور فى إطار منظورات « فان تيجم » العلمية ، وقد صدرت طبعته الخامسة عام « ١٩٦٩ م » خالية من مقدمة « كارييه »؛ إلا ان الكتاب ظل موالياً لأفكاره .

٥ - المقصود بالاتجاه التاريخى هو الاتجاه الذى يعنى بالجوانب التاريخية للعمل الأدبى ولمؤلفه وثائقيا ، وهذا الاتجاه متأثر بما ساد فى القرن التاسع عشر : من ولع بالتاريخ وتفاصيله ، ومن نشأة الفلسفة الوضعية ، التى تتخذ منهج تفسير الظواهر من خلال علاقة بعضها بالبعض الآخر ، وعلاقاتها بحقائق اعم واشمل . وفرنسا هى مهد كل من الاتجاه التاريخى والفلسفة الوضعية .

٦ - انظر : Wellek, Reneg Concept of Comparati ve Literature .

الأدب المقارن

تحديد كل من ميدان « الأدب المقارن » ومناهجه بدقة من خلال تعريف هذا العلم . وها هو تعريف أحد أقطاب هذا الاتجاه « هنرى ريماك » للأدب المقارن بأنه : « دراسة الأدب بمنظور يربط بينه وبين ما وراء حدود بلد معين ، ودراسة العلاقات بين الآداب ، وبين المجالات الأخرى للمعرفة كالفنون (الرسم والنحت والمعمار والموسيقى مثلا) والفلسفة والتاريخ والعلوم الاجتماعية (كالسياسة والاقتصاد والاجتماع والدين .. إلخ) من ناحية أخرى ، بإيجاز هو مقارنة أدب بأدب آخر أو بآداب أخرى ، ومقارنة الأدب بمجالات التعبير الإنسانى الأخرى »[٧] . ويعتبر هذا التعريف سائداً لدى كل المقارنين الأمريكيين[٨] . ويلاحظ « عبد الحكيم حسان » بحق « أن المفهوم الأمريكى للأدب المقارن يستمد سبب وجوده من كونه فكرة إصلاحية لمفهوم (يقصد المدرسة الفرنسية : المؤلف) يدعى أنه قد تأخر به الزمن وأصبح أساسه الفكرى جزءاً من الماضى . ومن ثم فإن من حقنا أن نتوقع أن يكون هذا المفهوم بمنجاة من العيوب التى أنكرها . فهل حقق المفهوم الأمريكى هذا الهدف ؟ »[٩] .

إذا كانت المدرسة الأمريكية قد أنقذت « الأدب المقارن » من جفاف المنهج التوثيقى للمدرسة الفرنسية ، التى جعلت « الأدب المقارن » جزءاً من « تاريخ الأدب » ، وحركت مفهومه من إسار الوضعية التاريخية للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، إلا أنها من ناحية أخرى أدخلت فى « الأدب المقارن » مالا يمت بأدنى صلة لهذا العلم مثل مقارنة الآداب بالفنون والعلوم الاجتماعية والدين . ذلك أن للفنون وللعلوم الاجتماعية مناهجها البحثية المستقلة من ناحية ، ومن ناحية ثانية لا يمكن علميا الخلط بين « الدين » بثباته الاعتقادى وبين « علم الأدب المقارن » الذى لا يمكن أن يصل منهجه إلى اليقين ؛ كما هو واضح من خلال هذه الدراسة ؛ إذ أن أقصى ما يمكن أن يصل إليه هو التحديد النظرى الاحتمالى . أما الثقافة الدينية التى تنساب فى أدب كل أمة من خلال عرض الواقع والشخصيات الأدبية ، فهذا ليس « الدين » ؛ وإنما هو تصور للواقع الأدبى[١٠] فى عصر معين ، ومكان معين ، وبمستوى إدراكى معرفى معين للدين ، وهذا ما يمكننا تسميته بالثقافة الدينية ، التى هى أيضا احتمالية من زاوية أن خطأ التصور فيها وارد ، وتحكم الكم والنوع التعليمى والثقافى فى هذا التصور وفى بنائه مؤكد .

---

٧ ـ انظر : Remak, Henry, Comparatire Literature - Methode and Perspective, P. 1 .

٨ ـ انظر على سبيل المثال تعريف « أوفين ألدريج » الذى يكاد يتطابق مع هذا التعريف الذى ذكرناه :
Aldridge, A. Owen, Comparatire Literature : Matter and Methode, Urbana 1969 . P. 1 - 2 .

٩ ـ عبد الحكيم حسان : الأدب المقارن بين المفهومين الفرنسى والأمريكى . فى فصول ، المجلد الثالث ، العدد الثالث . القاهرة . ١٩٨٣ م ، ص ١٦ .

١٠ ـ أقصد هنا بالواقع الأدبى مجموع العوامل التى تصنع عملاً أدبياً ، وهى المؤلف واللغة والعصر ، مكاناً وزماناً ، والموضوع واختيار الشخصيات .

كل هذا أدى إلى انفلات المنهج الأمريكى بحيث أصبح « الأدب المقارن » مقارنة كل نشاط إنسانى فكرى بالأدب كما أن التعصب للأدب الأوروبى الغربى أصبح عندهم المظهر الجديد للنزعة القومية الفرنسية - التى هاجموها - وصاروا جزءاً هاما من المركزية الأوروبية ، التى لا تتناسب : بل تدمر منهج « علم الأدب المقارن » ، إذا كان المقارنون الأمريكيون يقصدون ما يقولونه عن عالميته ، ويريدون منا تصديقهم فى ذلك .

(حـ) ما بعد المدرستين الفرنسية والأمريكية :

إذا كان « علم الأدب المقارن » قد عاش هذه القسمة النظرية ما بين مفهوم فرنسى ومفهوم أمريكى حتى بداية الستينيات من هذا القرن ؛ فإن مرحلة الستينيات قد شهدت تقدما فى مناهج هذا العلم تعدى به هذا الانقسام المنهجى . صحيح أن هناك من يقيم مناهج بحثه على المفهوم الفرنسى حتى الآن ، والذى مازال المنهج التوثيقى الرائد ، كما أن اتساع المفهوم الأمريكى لمقارنة كل نشاط إنسانى معرفى مازال له أتباعه . لكن الذى جد على مناهج البحث هو محاولة لفرز المنهج ؛ بغض النظر عن أى مسمى جديد لعملية الفرز هذه !

ويعتبر العالم الألمانى الغربى « أولرش فايستشتاين » واحداً من اهم الباحثين الذين أسهموا فى مرحلة الستينيات فى نهضة« علم الأدب المقارن » ، ومحاولة إعادته إلى دائرة العلوم الأدبية[١١] . فهو قد اكد على انه واحد من العلوم الأدبية ، وتحرز كثيرا من مقارنة ظاهرة أدبية بظاهرة ما فى ميدان العلوم الاجتماعية أو الفنون .. إلخ ، كما يفعل المقارنون الأمريكيون . لكن أهم ما أضافه هو مناقشته لقضية « التأثير والتقليد » فى باب مستقل[١٢] ، فند فيه المفهوم الفرنسى ذا النزعة التاريخية والقومية ، ثم ناقش فيه أراء المقارنين الأمريكيين مستحسنا آراء العالم المصرى - الأمريكى الجنسية - « إيهاب حسن »[١٣] .

ومـا يهمنى هنا هـو أن « أولـرش فايسـشتاين » قد خلص دراسات التأثير والتقليد من منزعها القومى فى تقرير فضل مطلق لأمة على أمة أخرى ، وبين تشابكاتها المعقدة ، التى لا تسمح بأية هيمنة أدبية زائفة من أمة على أمة أخرى ، أو من ثقافة على ثقافة أخرى ؛ معتمداً فى الكثير من

←

١١ - ألف كتابه فى نهاية الستينيات :

Weisstein, Ulrich : Einfuehrung in die vergleichende Literatur Wissenschaft, Stuttgart 1968 .

وهو يعتبر أول كتاب بهذا القدر من الأهمية صدر بالألمانية فى « علم الأدب المقارن » .

١٢ - قام « مصطفى ماهر » - عميد الدراسات الجرمانية فى الوطن العربى - بترجمة هذا الباب الثالث من الكتاب إلى اللغة العربية ، وهو منشور فى : فصول ، المجلد الثالث ، العدد الثالث ، القاهرة ، ١٩٨٣ م ، ص ١٨ - ٢٥ .

١٣ - دراسة « إيهاب حسن هى :

Ihab Hassan, The Prblem of In fluence in Literary History : Notes Towards a Def initon,in: American Journal of Aesthetics and Art Criticism 14 « 1955 » .

مقدمات نتائجه على تحليل « إيهاب حسن » للظاهرة[١٤] .

ولقد ظهر فى فرنسا اتجاه يعالج جوانب القصور فى المفهوم الفرنسى للأدب المقارن فى الستينيات ؛ أهم معالمه تتضح فى الدراسة التى كتبها « بيشوا » و « روسو »[١٥] ، والتى احتلت فى المفهوم الفرنسى مكانة كتابات « فان تيجم » و« كاربيه » عندما تعدت مفاهيمهم بجدية علمية وحيوية فائقتين .

ولقد أنهت دراسات الستينيات ـ فى تصورى ـ الفصل بين مفهومين فى الأدب المقارن ، وأبرزت المنهج المنفتح على كلا الاتجاهين ؛ لا ليوفق بينهما ؛ وإنما ليضيف إتجاها جديداً . ينظر إلى « الأدب المقارن » نظرة علمية اكثر نضجا منهجيا من نظرة المقارنين فيما قبل الستينيات . لكن ذلك لم ينه أزمة المنظور المتعارف عليه ـ فى تصورى ـ لأنها هى ازمة المنهج ؛ ليس فقط فى إطاره الثقافى الأوروبى ـ وأمريكا جزء من هذا الإطار ـ؛ وإنما أيضا لأن هذا المنهج يتخذ من تمحوره الأوروبى منطلقا يقيس عليه تصورات كل الأطر الثقافية الأخرى فى هذا العالم ، ويرى سلامة هذه التصورات فى مدى تطابقها مع هذا المفهوم الأوروبى المأزوم فى اتجاهاته الثلاثة .

ولا أقصد هنا بالأزمة قضية البحث الدائم الدءوب فى تحديد مناهج بحث « علم الأدب المقارن » فقط ، والتى تعتبر بالنظر المتعمق أزمة الدراسات الأوروبية جملة فى قلقها المنهجى الدائم ، والذى هو علامة صحة فى كثير من وجوهه ، وإنما أقصد بالأزمة قضية المنهج نظريا وتطبيقيا فى نظرته إلى الآداب غير الأوروبية ، وابتعاده ـ فى خضم النظريات ـ عن تحليل الأعمال الأدبية ذاتها موضوع المقارنة وهدفها .

ثالثاً : ازمة تطبيق المنهج فى « علم الأدب المقارن » :

إذا كانت محاكاة الأدباء الأوروبيين للأدبين الإغريقى « اليونانى » واللاتينى[١٦] هدفا دعا إليه علماء اللغة والأدب فى كل أمة

---

١٤ ـ اوليريش فايسشتاين : التأثير والتقليد .
ترجمة مصطفى ماهر فى : فصول ، المجلد الثالث ، العدد الثالث ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ٢٥ .

١٥ ـ انظر اسم الكتاب :
Pichois, Claude / Rousseau, Andre - Marie, La Litterature comparee, Paris 1967 .

١٦ ـ اللغة الإغريقية اقدم من اللغة اللاتينية ، خلافا للانطباع السائد .
يرجع وجود أول دليل خطى على وجود اللغة الإغريقية إلى حوالى عام « ١٥٠٠ ق . م » ؛ فى حين يرجع وجود أول دليل خطى على وجود اللغة اللاتينية إلى حوالى عام ٦٠٠ ق . م ، إذن فاللغة الإغريقية أقدم وجودا من اللغة اللاتينية بحوالى « ٩٠٠ » تسعمائة عام .
ويرجع نضج اللغة الإغريقية ، ووصولها إلى لغة يكتب بها الأدب إلى حوالى عام « ٩٠٠ / ٨٠٠ ق . م » من خلال أعمال « هومير » ، فى حين لم تصل اللغة اللاتينية إلى لغة يكتب بها الأدب إلا فى عام « ٢٤٠ ق . م » من خلال كتابات « ليفيوس اندرو نيكوس » .
إذن فاللغة الإغريقية كلغة للأدب اقدم أيضاً من اللاتينية من هذا المنظور بحوالى « ٦٥٠ » ستمائة وخمسين عاماً .

أوروبية ، ثم بينوا فضل هذه المحاكاة فى عصور التنوير والنهضة على ما تلاهم من عصور « الكلاسيكية » والعاصفة والاندفاع - فى ألمانيا - و« الرومانتيكية » ، إلا أن فضل الآداب غير الأوروبية ، سواء فى العصور الوسطى ، أو فى عصور التنوير والنهضة وما تلاهم من عصور ، ظل - برغم وضوحه التام - منكورا فى ميدان بحوث الأدب المقارن .

وما نال الأدب العربى خاصة ، وآداب المشرق الإسلامى عامة من تنكر الأوروبيين لها فى ميدان بحوث « علم الأدب المقارن » على اختلاف درجات هذا التنكر فى كل أمة أوروبية - شيء فريد فى نوعه . فآداب المشرق العربى الإسلامى هى أقرب مناطق التماس الثقافى - العقلى - الأدبى لأوروبا بحكم عوامل الجغرافيا والتاريخ ، وبحكم مناطق الإشعاع الحضارى فى بلاد المشرق والتى امتدت حتى الأندلس وكامل شبه الجزيرة الأيبيرية « أسبانيا والبرتغال الآن » ، ثم فى القرن الخامس عشر ، كان كل شرق أوروبا واقعاً فى ظل الهيمنة العثمانية المطلقة ، ولقد تحدثت عن الصلات بين الآداب الأوروبية وآداب المشرق العربى الإسلامى فى هذه الدراسة[17] عندما تحدثت عن ميدان « علم الأدب المقارن » .

والآن سنرى كيف نظر « علم الأدب المقارن » فى أوروبا[18] إلى هذه الصلات علمياً ، وكيف ينظر علماء الأدب فى أوروبا إلى آداب المشرق العربى الإسلامى الآن .

[يتبع]

د . عبد الله محمد أبو هشة

---

١٧ - انظر : عبد الله محمد أبو هشة : الأدب المقارن - أزمة المنظور المتعارف عليه فى : مجلة الأزهر ، الجزء التاسع ، السنة الستون ، رمضان ١٤٠٨ هـ / مايو ١٩٨٨ م ، ص ١٢٤٤ - ١٢٤٧ .

١٨ - أصدرت مجلة « عالم الفكر » عدداً خاصاً عن الأدب المقارن « المجلد الحادى عشر ، العدد الثالث ، ١٩٨٠ » ، يشتمل على بحوث جادة ومفيدة ، لكنها كلها تدور فى فلك المنظور الأوروبى لعلم الأدب المقارن ، معتمدة تقسيماته التقليدية ، دون بناء منظور مستقل .

ولقد أصدرت مجلة « فصول » عددين خاصين عن الأدب المقارن « المجلد الثالث ، العددين الثالث والرابع ، ١٩٨٣ » فيهما بحوث قيمة ، ولكن أغلبها يدور أيضاً فى إطار المفهوم الأوروبى - ربما لأن هدف المجلتين هو التعريف - باستثناء بحث « أمينة رشيد » عن « الأدب المقارن والدراسات المعاصرة لنظرية الأدب » ، « فصول ، المجلد الثالث ، العدد الثالث ١٩٨٣ م ص ٤٨ - ٥٨ » والذى يتضح فيه فهم المؤلفة لمنطلقات المناهج الأوروبية ، وفى نفس الوقت قدرتها على مناقشتها وطرح تصور مستقل عنها . لكن المؤلفة تتخذ من الدعوة إلى ربط « علم الأدب المقارن » بـ « نظرية الأدب » وسيلة لاستقلال المنهج المقارن وإنقاذه ، وبالتالى تختلف فى المنطق والهدف مع منطلق دراستى وهدفها . كما أن دعوة المؤلفة إلى استقلال مناهج العالم الثالث فى الدراسات المقارنة عن المركزية الأوروبية وهيمنتها ، قد تناقضت مع تناولها للنظرية الأدبية مرتبطة بالأدب المقارن ، إذ أن « نظرية الأدب » ذاتها مرتبطة بالمركزية الأوروبية وهيمنة الثقافة الغربية فى منطلقاتها ونتائجها .

من خير ما نشر

« فى هذا الباب تتخير « مجلة الازهر » خير ما نشرته الصحافة من « كلمات جادة » او « راى سليم » او « لمحة تاريخية » او « نقد هادف » على مدى شهر سابق من صدور العدد ، وإذا كانت « المنحة » من هذا اللون قليلة ؛ فإننا نرجو ان نعثر على المزيد بتوفيقه تعالى » .. مجلــــة الأزهــــر .

الأستاذ/ عبد اللطيف فايد :

الثقافة الدينية بين الواقع والأمل

إذا كان الاتجاه إلى الثقافة الدينية غالباً وهو الاتجاه الصحيح . فإن الواجب أن يتسع هذا الاتجاه وتكثر المصابيح على جانبيه وأن تتهيأ لها حراسة قوية حتى تظل مضيئة دون أن يعمد أعداء الثقافة الدينية إلى قذفها بالحجارة لينطفىء ضوؤها ، ويتبدد شعاعها ويحرم الناس من هدايتها ، وفى ذلك كسب كبير لحركة المجتمع الرشيدة لأنه من شأنه القضاء على الخلايا التى تعمل فى الظلام باسم الإسلام وعلى المحاولات التى تجرى فى أجهزة الإعلام لجذب الناس إلى السطحية فى الثقافة وإلى التافه من برامج الترفيه مما يجر إلى الخطأ فى تقييم التاريخ والمظاهر الاجتماعية الإسلامية .

د . كمال أحمد مصطفى

كتاتيب زمان ومدارس اللغات

زمان .. كان لدينا شىء عظيم اسمه (الكتاتيب) ، فى هذه الكتاتيب تخرجت أجيال لمعت وتميزت وأجادت شتى العلوم .. على رأسها علوم اللغة العربية وفنونها .. كتابة ونطقاً وقواعد ، ومع كل هذا حفظ مشرف « للقرآن الكريم » أو لمعظم سوره .

لكننا ألغينا (الكتاتيب) .. حتى فوجئنا بتدهور العملية التعليمية مع انتشار المدارس الأجنبية ومدارس اللغات .. ورأينا كم هبط مستوى اللغة العربية ، حتى وصل ذلك لبعض مذيعى ومذيعات (التليفزيون) . وعقدنا المؤتمرات والندوات لمناقشة أسباب التدهور . ولم نثر مرة واحدة قضية (الكتاتيب) ، التى يمكننا أن نعيدها ونعيد معها أجيال العمالقة بإذن الله ..

فمتى نبــدأ ؟!

الأستاذ : جمال بدوى

قلب قوسين :

هل يستطيع مفكر منصف ـ تحت أى مقياس للنقد الفنى ـ أن يزعم بأن الخلاعة والهيافة والمجون والتهريج فن ؟؟

إعداد: عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعى خفاجه

هل يستطيع ناقد مثقف يفهم رسالة الفن أن يخلع صفة الفن على ما نسمعه من عواء ونباح تنطلق به حناجر مريضة تردد كلمات هابطة سقيمة ؟

والسؤال الذى نطرحه هو : هل يجوز إشاعة الإسفاف والفساد باسم الفن ؟

الأستاذ : سليمان قناوى :

مسئول أمريكى يبرىء الإسلام من تهمة الإرهاب

دحض (بول بريمر) السفير الأمريكى المتجول لشئون مكافحة الإرهاب بوزارة الخارجية الأمريكية فكرة أن الأصولية الإسلامية مسئولة عن الإرهاب الدولى ، ذلك أن العالم يضم نماذج كثيرة جداً للإرهابيين ملحدين أصلاً . ويدعم آراء (بريمر) خبير امريكى آخر فى مكافحة الإرهاب يقول : إن ٦٨٪ من أعمال الإرهاب التى وقعت فى العام قبل الماضى كانت خارج العالم الإسلامى . ويقول (وليام فـاف) المعلق السياسى بصحيفة « هيرالد تريبيون » الأمريكية أنه حتى ما يحدث فى إيران يجب التعايش معه . لأن ما شهدته أوروبا والولايات المتحدة من حركات إحياء دينية خلال القرن التاسع عشر فاق فى تجاوزاته الثورة الإيرانية . والغريب أن هناك تطرفاً دينياً مقيتاً فى إسرائيل كتدمير الأوتوبيسات التى تسير فى يوم السبت ولم تحظ من الإعلام الغربى أو حتى العربى بأى تركيز .

متحف لكنوز الكعبة الشريفة .. فى استانبول

توجد كنوز من حلى الكعبة فى متحف طوبكابى سارايى Topkapi Sarayi المشهور باستانبول . ولعل من أروع كنوز حلى الكعبة الأقفال والمفاتيح المصرية فى أيام دولة سلاطين المماليك .

وغير مفاتيح الكعبة يوجد (طبلها)[1] ، مثل (طبلة) عليها كتابات كثيرة من أيام الملك السلطان الناصر فرج . مطعمة بالذهب .

ويوجد غطاء للحجر الأسود أشبه بكسوة له ، من الذهب الخالص .

كما توجد أغطية أخرى له من الفضة . وهو الحجر الذى تجد له عند تقبيله لدونة ورطوبة ينعم بها الفم .

وإجمالاً للقول : توجد فى هذا المتحف حلى الكعبة الشريفة وغيرها من الآثار النبوية التى أخذت من مصر .

الأستاذ / صلاح منتصر .

مجـــرد رأى

إذا كان صعباً على علمائنا واطبائنا

←

١ ـ المقصود بـ « الطبلة » فى العامية المصرية آلة تغلق بها الأبواب ولها مفاتيح .

من خير ما نشر

وباحثينا أن يضعوا أيديهم على علاج يقضى على البلهارسيا ، فليحاول التليفزيون أن يخوض بقوة وإصرار مجال الوقاية وهو فى كثير من الأحيان خير من العلاج ![2] .

الأستاذ : أحمد طه النقر :

كل يوم :

نحن نتكلم كثيراً عن أزمة المياه وندق نواقيس الخطر ومع ذلك نترك عشرات الآلاف من الحنفيات مفتوحة ليل نهار فى دورات المياه بالمساجد والمدارس والمصالح الحكومية والحدائق العامة . ولا أفهم الحكمة فى أن نصر على رى الحدائق العامة ورش الشوارع بمياه صالحة للشرب ؟

إن واجبنا جميعاً أن نتحرك لمواجهة الخطر عن طريق حملة قومية تشارك فيها مختلف أجهزة الإعلام لترشيد استهلاك المياه قبل أن يداهمنا الخطر ، ونندم حيث لا يجدى الندم .

الأستاذ/ أحمد نصر الدين .

علماء الزراعة يعلنون :

عادم السيارات والمصانع يهدد ٦ آلاف فدان بالتلوث !

حذرت رسالة علمية هامة خرجت من كلية زراعة القاهرة من السموم التى تتعرض لها الزراعات وطالبت بسرعة اتخاذ الإجراءات الكفيلة بحماية المواطنين من (تسميم) الزراعات المحيطة بالطرق الزراعية نظرا لتسرب عادم السيارات التى تتحرك فوقها .

وأكدت الرسالة أن الصناعات المعدنية واحتراق الوقود هما أهم مصادر التلوث هناك بتلك العناصر التى يمتصها النبات من البيئة الملوثة عن طريق امتصاصه بالجذور والأجزاء الهوائية للنبات .

الأستاذة : مجيدة إبراهيم :

كل يوم :

أثيرت فى الأونة الأخيرة قضية اقتصادية هامة ملخصها أن العديد من الذين أودعوا أموالهم بالبنوك قد أخذوا فى سحبها وسحب الجزء الأكبر منها عندما يتقدمون فى السن بعد أن تأكد لهم أن ضريبة التركات ورسم الأيلولة تصل إلى نحو ٦٥٪ من الإيداعات التى تزيد على خمسة آلاف جنيه بحيث لا يبقى لأولادهم إلا القليل .

وتؤكد الدراسات أن إلغاءهما يحقق زيادة المدخرات وزيادة الإيداعات بالبنوك .

يجب علينا أن ننظر إلى هذه القضية نظرة اقتصادية شاملة لا من زاوية الجباية للأموال ، بل نظرة توصلنا فى النهاية إلى إنعاش الاقتصاد المصرى .

---

٢ ـ مجلة الأزهر :
فى أحد المؤتمرات العلمية قال الدكتور أنس مصطفى النجار أستاذ الدراسات العليا للأشعة التشخيصية بـ (عين شمس) لو أن (المتبول) اتخذ وضع (خُلْفَادُرْ) فلا يتبول فى الماء ، وإنما يتبول فوق اليابس يقضى بذلك على البلهارسيا .
مهداة إلى التليفزيون المصرى .

أنباء وآراء

إعداد : د . عبد الرحيم السايح

الأزهر يعد مشروع المجلس الاسلامى العالمى

تم الاتفاق بين فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وسماحة الشيخ يوسف الحجى رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية بالكويت والدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى على أن يتولى الأزهر إعداد مشروع بالنظام الأساسى واللائحة التنفيذية للمجلس الإسلامى العالمى الذى أوصى بإنشائه المؤتمر العالمى للدعوة الإسلامية الذى نظمه الأزهر مؤخرا .

وتقرر ان يضم المجلس خمس لجان هى : اللجنة التنفيذية .. ولجنة تمويل الدعوة والإغاثة ، ولجنة التعليم والدعوة ، ولجنة الإغاثة العامة ، ولجنة المعلومات والمتابعة .

وصرح فضيلة الإمام الأكبر بأن المشروع الذى يعده الأزهر سيعرض فى اجتماع الهيئة التاسيسية لإقراره وذلك خلال شهر محرم القادم ، ويضم الاجتماع الأزهر ورابطة العالم الإسلامى ومنظمة المؤتمر الإسلامى الشعبى بالعراق ، والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت ، ومنظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم ، ولجنة مسلمى أفريقيا بالكويت ، ورابطة الجامعات الإسلامية بالمغرب ، ورابطة علماء المغرب ، والسنغال بالرباط ، واتحاد البنوك الإسلامية بالقاهرة وممثلى وزارات الأوقاف فى الدول الإسلامية والعربية .

مشروع قانون لاعلان الاسلام الدين الرسمى فى بنجلاديش

قدم مودود احمد رئيس وزراء بنجلاديش مشروع قانون للبرلمان مؤخرا

←

أنباء وآراء

يتم بمقتضاه إعلان الإسلام دينا رسميا لجمهورية بنجلاديش .

ويقضى المشروع المقترح بتعديل دستور بنجلاديش ليصبح الإسلام هو الدين الرسمى للدولة التى يبلغ عدد سكانها اكثر من ١٠٥ ملايين نسمة ٩٠٪ منهم من المسلمين .

ومن المقرر أن يجرى البرلمان مناقشات مكثفة لمشروع القانون قبل التصويت عليه من جانب اعضاء البرلمان البالغ عددهم ٣٠٠ عضو .

ويتعين لإقرار مشروع القانون الحصول على موافقة ثلثى اعضاء البرلمان على الاقل ، وهو امر يبدو مرجحا للغاية فى ظل تمتع حزب جاتيا الحاكم باكثر من ثلاثة ارباع مقاعد البرلمان .

وكان الرئيس البنغالى حسين محمد إرشاد قد اكد عزمه على المضى قدما لجعل الإسلام هو الدين الرسمى للدولة باعتبار ان ذلك يتفق ورغبات اغلبية الشعب البنغالى .

اتحاد إسلامى دولى

كشفت الدراسات المقدمة إلى اجتماع خبراء الاغذية والزراعة بمنظمة المؤتمر الإسلامى الذى انهى اعماله مؤخرا ان هناك فجوة كبيرة فى إنتاج الغذاء واستهلاكه فى الدول الإسلامية ـ وان العالم الإسلامى يعتمد فى غذائه على العالم الخارجى .

أكدت الدراسات أن هناك ٩٥٨ الف مليون هكتار فى العالم الإسلامى من الاراضى القابلة للزراعة لا تجد من يستثمرها .. بالرغم من كل الإمكانات المادية الكبيرة التى يمتلكها العالم الإسلامى .

وقد قرر المؤتمر إنشاء شبكة للمعلومات لتحقيق التعاون بين الدول الإسلامية فى مجال تبادل المعلومات الزراعية لتحقيق الاكتفاء الذاتى من الغذاء شارك فى المؤتمر ممثلون من ١٢ دولة إسلامية من آسيا وافريقيا كما شهده ممثلون عن المنظمات الدولية المهتمة بالزراعة والغذاء .

وصرح الدكتور عادل بلتاجى وكيل وزارة الزراعة ومقرر الاجتماع ان توصيات ونتائج هذه الاجتماعات سوف تعرض على مؤتمر وزراء الزراعة فى الدول الإسلامية الذى سينعقد فى إسلام آباد فى شهر اكتوبر القادم .

الإسلام سيصبح الدين الثانى فى أمريكا الشمالية

ابرزت صحيفة يوجوسلافية تزايد اعتناق الأوروبيين وخاصة الأمريكيين للدين الإسلامى ، وأكدت أن المسلمين سوف يشكلون أغلبية تزيد على عدد اليهود فى الولايات المتحدة فى غضون قرن واحد ليصبح

الإسلام هو الدين الثانى فى أمريكا الشمالية .

وأشارت صحيفة « الاكسبريس » فى مقال لها عن الإسلام : أن أول مسلم امريكى سوف يدخل أعتاب الكونجرس الأمريكى خلال العامين أو الثلاثة المقبلة مما يشكل بداية منافسة كبرى بين اللوبى الصهيونى المؤيد لإسرائيل واللوبى الإسلامى الجديد الآخذ فى الصعود .

وأضافت الصحيفة اليوجوسلافية أن المسلمين الأمريكيين والأوروبيين بدأوا فى تأقلم دينهم مع واقع الحياة اليومية وخاصة ضمن متناقضات هذا الواقع .

وأشارت الصحيفة إلى أن الإسلام استطاع التغلب على الحواجز العنصرية داخل المجتمع الأمريكى المسلم إذ أصبح من خلال الدين الحنيف يتعاون الأبيض والأسود فى حياة واحدة ونظم مشتركة .

إعادة العمل بقوانين الشريعة

أعلن الصادق المهدى رئيس وزراء السودان ، عزم بلاده على إعادة العمل بقوانين الشريعة الإسلامية فى السودان .

وكان قد توقف العمل بها بعد الانتخابات الأخيرة هناك . وأكد أن هذا يأتى تلبية لرغبة وتطلعات الأغلبية المسلمة للشعب السودانى . وأن من حق هذه الأغلبية أن تختار القوانين التى تراها ، وأن معارضة البعض لن تحول دون تطبيق الشريعة لأنها رغبة الأغلبية وعلى الأقلية أن تحترم إرادة الأغلبية وأن حقوق الأقليات مكفولة فى ظل قوانين الشريعة .

هل يذبح المسلمون أضحياتهم فى انجلترا .. ؟

نشرت صحيفة الرائد الهندية الخبر التالى :

« قررت الحكومة البريطانية عدم فرض حظر على طريقة ذبح المواشى طبقا للطريقة الإسلامية » .

كانت بعض الجمعيات فى بريطانيا تعارض بشدة ذبح الحيوان على الطريقة الإسلامية .. هذا مع رضاها التام عن ضرب الحيوان بمطرقة حديدية باعلى جبهته تصرعه قبل ذبحه .

إذا صحت نية بريطانيا فى هذا الاتجاه فإنما دفعها إلى ذلك الربح المادى الذى يدر عليها بسبب إصرار المسلمين من مواطنى الشرق الأدنى (الأوسط) على استيراد اللحوم مذبوحة على الطريقة الإسلامية ، ويؤيدون موقفهم هذا بوجود مندوب عنهم يشرف على عملية الذبح هذه .

والذى نلفت النظر إليه أن حكومة بريطانيا لم تعترض إطلاقا على طريقة الذبح الإسرائيلية على ما فيها من تشدد إطلاقا .

←

أنباء وآراء

أول معهد للاقتصاد الاسلامى

وافق مجلس كلية الحقوق بجامعة الاسكندرية على اقتراح قسم الشريعة الإسلامية بالكلية على إنشاء معهد الدراسات الاقتصادية الإسلامية ، سيعمل هذا المعهد على دراسة المشاكل الاقتصادية من الوجهة الإسلامية ووضع الحلول لتلك المشاكل .

مساجد جديدة فى بولندا

افتتح المسلمون فى بولندا ثلاثة مساجد جديدة فى العاصمة « وارسو » ومدينة « جدانسك » .

وذكرت المصادر الإسلامية فى بولندا أن المسلمين فى بولندا ساهموا فى تمويل المساجد الثلاثة بالإضافة إلى المساعدات من الدول الإسلامية ، وعلى رأسها مصر والسعودية والكويت والإمارات والعراق .

وأشارت المصادر إلى أن المساجد الثلاثة تكلف إنشاؤها نحو ١٢٥ مليون دولار . وأنها تضم مكتبات إسلامية ، وقاعات لإقامة المناسبات الاجتماعية الخاصة بالمسلمين .

وضع (٣٥) ألف مسلم ألبانى

اكد الشيخ وهبه إسماعيل مدير المركز الإسلامى الألبانى بولاية (ديترويت) الأمريكية : أن الشيوعيين الذين سيطروا على الحكم فى ألبانيا اضطهدوا المسلمين وأذاقوهم مختلف صنوف العذاب فاضطر اكثر من ٣٥ الفا من المسلمين الألبان إلى الهرب من جحيم الشيوعية ،وجاءوا إلى ولاية ديترويت الأمريكية وكونوا الجالية الألبانية الإسلامية .. وقال الشيخ وهبة : إن عالمية الإسلام حقيقة واقعة ولكن لابد ان ينهض المسلمون باعباء الدعوة ، ويواجهوا المؤامرات التى تستهدفهم فى كل مكان من العالم .

٢٠ قسيسا اعتنقوا الاسلام

اعتنق عشرون قسيسا فلبينيا الدين الإسلامى وهم يعملون الآن فى مجال الدعوة الإسلامية بمختلف مناطق الفلبين .

أعلن هذا العالم الفلبينى الدكتور « أحمد بوموكاو أنيتو » الداعية الإسلامى والزعيم السياسى الفلبينى .

وقد أضاف : أن الأرقام والإحصائيات تشير إلى إسلام (٣٠٠) الف شخص خلال السنوات العشر الأخيرة .

الفهـــرس

الشعـــر والشعـــراء
اشـراف د . حسن جاد

العلـــوم الكونيـــة

اللغـــة والأدب والنقـــد

القســـم الانجليـــزى
اشراف د . أنس النجار

Him. He guided the rest of mankind to contemplate His other Creations and to evidence His Existence. He guided all creatures to the essential means to maintain their subsistence.

95. The SUPERB Al Baddie البديع

He is unparalleled. His Entity, His Attributes and His Dealings are unmatched. Everything is preordained and everything returns to Him.

The Acme of His Grandeur transcends the reach of the mind. He is The Absolute Superb throughout eternity and infinity.

96. The SEMPITERNAL Al Baqqi الباقي

He is The Eternal, The Infinite. His Existence is, by essence, perdurable, everlasting and unending.

97. The HEIR Al Warith الوارث

To Him shall all ownerships revert when all possessors have ceased to exist. And to Him, everything and its destiny return.

98. The ALL-SAGE Al Rasheed الرشيد

His Dispensations are exacted to their foreordained destiny by Divine Decree, in impeccable order and serving their inevitable purpose.

99. The LONGANIMOUS Al Saboor الصبور

No urgency is exigent to call for action before its elected time. All things happen as predestinated.

Only He can ascribe to each affair an allotted order of timely occurrence according to His Design.

****

(Original Publication by Mr. Muhammad Abd El Meguid El Zimaity)

THE MOST MAGNIFICENT NAMES OF ALLAH

Collected and Reproduced By :
Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

"AND ALLAH HAS THE MOST MAGNIFICENT NAMES SO INVOKE HIM BY THEM"

89. The ENDOWER — Al Moghni — المغنــــى

His Endowment is indicative of His Grace upon His beings.

90. The AVERTER — Al Manie — المانــع

He averts causes of doom, derogation and calamity to the body and to the soul.

91. The HARMING — Al Darr — الضــار

92. The BENEFACTOR — Al Nafie — النافـع

He decrees Good and Evil, Benefaction and Harm.

93. The SPLENDID — Al Noor — النــور

He is The Light by Which all is elucidated.
He is also Self-Evident, and hence His Splendour.

94. The GUIDANCE — Al Haddy — الهـادى

He guided an elected few to comprehend The Divine Deity and use this knowledge as a faculty to gain recognition of

and preseved by mankind has ever made this claim and none will possess that privilage of the multi millions of books written throughout time, religious, scientific, literature, historical, encyclopoedic, or otherwise, can ever at all claim what the Holy Quran extorts for itself "the Book that stands no doubt, no uncertainty and no confusion". The Holy Quran is endowed with absolute respect, reverence, and sanctity.

The Holy Quran is not meant as a book of science, rather as a doctrinal moral code, providing within its context the fundamentals of the sciences of creation in a manner consistant with perpetual universality. It is an unaltered unchanged text, precisely to the letter since the Holy Revelation to the Prophet Muhammad (Prayers and peace from Allah upon him), fourteen centuries ago. The Holy Quran is the Divine Words of Allah, the ultimate final detailed scripture to mankind. To Allah is due the primal origin of all creation; The Ever-Living, The Sustainer of the universe. There is no god but Allah, The All-Knowing, The Dominating, The Absolute, The Transcendent. From the Holy Quran, mankind through the ages can derive benificial knowledge, codes of individual and social conduct, material legislations, scientific truth of creation, mercy and blessing, enlightment and guidance.

The gain of scientific facts from the Holy Quran by mankind is not in reality the prime importance. What is really important are the conclusions drawn in the mind of man from his knowledge of these sciences. Mankind is singled out of all creation to be possessed with the power of thought, learning, differentiation, perception, accumulation, innovation, and freedom of action. The use of these faculties in proper fuction will guide the thinking observant mind to the Light and Reality; will lead to the true love of submission to Allah, The creater, The Omnipotent, The Eternal. The degree and purity of man's love and submission to Allah is a function of his comprehensive understanding of the Reality of Creation. In this path of attaining the recognition of Reality, the pool of knowledge and enlightment will intensify, and man's perception will ever promote to realize more advanced realms of knowledge. This is the sequential growth of knowledge, the origin, the substance and the fruit.

Islam concedes as the central single dictum, the true pillar of light, the ultimate element of Reality, the seed of true knowledge, that Allah is One, His guidance is one in purpose, His creation is one in pattern, and that mankind as the highest and most complex creation is the only one to be the vicegerent of Allah on earth.

soil structure; geological formations and the origin of creation; all these sciences of what mankind has some knowledge of, and much more of what mankind is as yet ignorant of; are well documented and possess a place of inference in the Holy Quran. There is no book of scripture, or man written that constitutes within its domain the extensiveness and vastness of the Holy Quran. The Holy Quran is the supreme unequalled, unparalleled, unequivocal text in the entire history of mankind, from the birth of creation to eternity. The Holy Quran is the splendor of knowledge, the master lantern of enlightment, mercy and cure of the human race.

In the text of the Holy Quran " .. Nothing have we omitted from the book ..." (Surat Al-Anaam, V. 138). Also in the text of the Holy Quran "... they will say, Ah woe to us what a book is this; it leaves out nothing small or great, but takes account thereof .." surat Al-Kahf XVIII, 49). While the Holy Quran professes that it is the exactness and ultimate truth with no doubt about it, secular science claims to be probabilistic, to be non-deterministic, to be viod of the exact real ultimate Truth. The situation is one of truth versus non-truth, of ultimate reality versus theory conjecture postulation speculation and probability.

This indicates the fundamental truth, the Unity of the Law controlling and organizing the universe in all its expansive dimensions, the Oneness of the Creator, the basic ingredient of Al-Tawhid. The style of teaching throughout the text of the Holy Quran is admonitory and suggestive instruction inviting mankind to observe, learn understand conclude believe, and finally submit in obedience to the eternal system of Divine worship. The unity of the Holy Quran as an integrated Divine Revelation from Allah to mankind is multidisciplinary, multifaculty, multipurpose scripture. However, it flows with precise cohesiveness, purposeful designed sequence and interted projected calculated repetition, exactness of expression and supremeness of literary elegance. Throughout its entirety it embodies perpetual riches of benificial knowledge for the ultimate guidance of mankind. The Holy Quran is also considered as the master teacher of the Arabic language in all its forms of grammar and language science. The ultimate evidence and complete reassurance comes from the Holy Quran itself in the opening statement that it is the Book that stands no doubt, no uncertainty, and no confusion, it is the true guidance for those who comprehend Reality, resonate with truth, and submit in faith to Allah. No other book written

The study of physics, chemistry, and properties of matter, the phenomena of electromagnetism, the dimensions of time and space, and the alternations of night and day are distinctly mentioned in the text of the Holy Quran. The text comes in a manner that is rational, interrelated, comprehensive, stimulant to the thought, enlightening to the mind, and portraying the sublime magnificence of Divine Mastery and power. Mathematics as the science of numbers is mentioned with frank distinction in the text of the Holy Quran as the root of quantitation of all knowledge. No knowledge is complete and well understood untill it is quantized. Mathematics in this sense is the integer of knowledge, the element of wisdom and the pillar of meaning. Essentially, it is the origin of understanding the meaning and attaining the belief in the axiom of reality, that the creator is One. The original concept of Mathematics in Islam is intimate to the doctrine of Al-Tawhid, the Oness of Allah as the central dictum of the Faith. The study of mathematics introduces order, balance, and harmony to every branch of knowledge; and Muslim mathematicians have made several fundamental contributions to mathematical sciences for nearly a millenium. The Holy Quran mentions numbers in many different contexts, that are beyond the scope of this article to be enumerated. However, numbers are mentioned as specific integers of precision, constants, multiplicity factors, time periods, pattern of design, perfection of creation, exactiness of dimension, abundance, expression of finite limitation and of infinite boundlessness. They are also mentioned as numericals for worship rituals, as portions of legacies and inheritance, and in several other aspects of Islamic legislations and teachings, in reward and punishment, fasting of the month of Ramadan, payment of the Zakat, performance of Salat, as measures and weights of justice and human rights. One of the most important and crucial concept in Islam is the concept of "Al-Mizan" meaning the balance of utmost precision. Such diverse and very popular application of mathematics in the Holy Quran has stimulated research and precision of mathematical knowledge. Such work deepened and maintained firmness of belief in the fundamental doctrine of Al-Tawhid, the Oneness of Allah.

The sciences of psychology, sociology, economy, sexology, obstetrics, hygiene and mental health; the biological basis of embryology and fetal development, the process of ageing and senility, child care and family planning; the disciplines of individual liberty and social freedom, human rights, consumption and distribution and exchange, agriculture and related sciences, the knowledge of

This fundamental truth, leads the mind of man to recognize and embrace the reality of Belief. Allah, the creator of the universe and what is beyond in the realm of the unknown, with all its intricate complexity, riches; has subjected all to the service, use and exploitation by mankind. As mankind continues to search, to learn, to gain knowledge, to discover the potentialities, to harness nature, to cultivate; mankind should with his rational thinking in true honesty of scientific conclusion become cognizant and comprehensive of the true Axiom of Reality. "There is no diety by Allah, the Fashioner, the Creator, the Eternal, the All-Knowing.

The study of cosmology, Astronomy, and Astrology in the text of the Holy Quran presents a concise synopsis on celestial creation, its purpose of facts, and its relationships with time and space. The Quran does not provide lecture notes on these subjects, but reflects on the glory of organization, grandeur of creation, precision of equilibrium, control of harmony, supreme cohesion of purpose, and a proof of Divine power and intellegence.

> "Allah is He who raised the heavens without any pillars that ye can see; is firmly established on the throne of Authority; he has subjected the sun and the moon, each one runs its course for a term appointed".
>
> (Surat Al-Raad, X111,2)

> "We have made the Night and the Day as two (of our) signs. The sign of the Night have we obscured; while the sign of the day, we have made to enlighten you; that ye may seek bounty from your God; and that ye may know the number and count of the years: all things have we explained in detail.
>
> (Surat Al-Israa "Bani Israil, XVII, 12).

> "It is He who made the sun to be a shining glory and the moon to be a light (of beauty), and measured out stages for her; that ye might know the number of years and the count of time. Nowise did Allah create this but in Truth and righteousness. Thus doth He explain his signs in detail for those who understand
>
> (Surat Yunis, X,5).

THE HOLY QURAN AND SCIENCE

Part II

By. Dr. Saad Moustafa Moustafa (M.D)

The revelation of the Holy Quran is the source and original basic reference of all beneficial scientific knowledge in its fundamental foundation. The traditions of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) constitute detailed annotations, interpretations, clarifications and illustrative demonstrations. His life, conduct, actions, examples, and words are in their totality conducive and implemental to the proper understanding of the doctrines of the Holy Revelation. The central basic themes of benificial scientific knowledge are inherent in the text of the Holy Quran. The fundamental essentials of all scientific phenomena as established by the most recent knowledge have been precisely indicated in the Holy Quran, for the purpose of human enlightment. The enlightened mind will think, and honest thinking with rational thought must eventually lead the mind to the realization of the Reality of creation.

Scientific data based on the observations of the natural phenomena, points clearly to the existance of a unitary system fundamentally present in all the disciplines of creation. The same physical laws govern both calestial bodies and sub-atomic particles. The physical chemistry of material formation of solids, liquids and gases; the laws of hydrodynamics; the principlas of heat regulation and transfer; the phenomena of pairs that is constantly observed in both animate and inaniamte creation; the complex structure of the human body and the secrects of the soul; the broad links in the domains of scientific entities; and the precise quantitations and precision involved; all this and the exactness of the slow or rapid changing pattern of cosmic equilibrium are examples of universality and unification in the root of origin of creation. The infinite vastness and sequential hierarchic constitution of the cosmos indicate implicity and beyond doubt the unity of creation, the Oneness of a creatar, the Oness of Allah.

→

widow before the lapse of time that a widow should remain without marriage after her husband's death, according to Islamic law? Such conduct was a breach of the Islamic Shariah that necessitated questioning and punishment. Confronted with such rational criteria of objection and the determined insistance of Omar, Abu Bakre summoned Khalid to Al-Madinah.

Khalid ibn Al-Walid arrived at Al-Madineh in his battle dress with two arrows in his turbin. As he entered the Mosque, Omar met him, pulled the arrows, broke them, and addressed him in severe words of criticism. Khalid did not answer but continued on his way to meet Abu Bakre. In the presence of Abu Bakre, Khalid tried to justify his actions by presenting his point of view to Abu Bakre. Abu Bakre finally pardoned Khalid after seriously intimidating him for his confuted behaviour, and ordered him back to his command.

The differences in opinion between Abu Bake Al-Siddiq and Omar ibn Al-Khattab regarding the erroneous conduct of Khalid ibn Al-Walid was actually a difference of political standpoint and circumstantial judgement. Omar ibn Al-Khattab was a highly rigid conservative justified thinker. He was of the opinion that Khalid committed a grave injustice by killing Malik, and a breach to Islamic law by marrying his Widow before her term ended. Such conduct must be confronted with exactness of discipline and punishment even with Khalid ibn Al-Walid, the reputed victorious commander that he was. Such matters do not differentiate between a layman, and a man of rank. Any tolerant leniency in such matters, inspite of all circumstances, would lossen the respect of Muslims to the teachings of Islam, and give allowance to the furtherance of similar actions. Abu Bakre Al-Siddiq considered the matter with a different light of understanding. He conceived that the extreme criticality of the prevailing circumstances at that time cannot allow exactness in such comparatively trivial matters. What was the killing of one man wrongly or rightfully compared to the ranging war that was on, the hundreds that were being killed, the magnitude of danger that was certainly encircling the Muslim nation and Islam. And that man Khalid, who was accused of fault and misconduct, was that very man raising his sword and banner and proceeding in Peninsula under the domain of Islam. Abu Bakre saw that nothing was equal to the seriousness of the situation as it were, it was by far of top priority over anything else. He summoned Khalid ibn Al-Walid to Al-Madinah, intimidated him; and sent him back to his command with orders to prepare his army to march to Al-Yamamah the dwellings of Bani Hanifah the strongest consortium of renagades against Islam.

Bani Tamim; Khalid ibn Al-Walid and the Muslim worriers had subdued the forces of Tulayhah ibn Khuwaylid at Al-Buzakhah, and were making preparations to move to Al-Bitah to confront those apostates from Bani Tamim. Malik ibn Nuwayrah remained till that time inconsistant in his decision to return to Islam, or to remain an apostate. Finally Malik decided to return to Islam, and advised his people to disperse and declare their return to islam. When Khalid ibn Al-Walid arrived at Al-Bitah, he found no body to resist him, and he ordered his men to scan the territory and bring anyone who refused Islam. Malik ibn Nuwayrah and some men of Bani Yarboo were brought forth to Khalid, and Khalid after a brief discussion with Malik, ordered his men to kill Malik, which they did. Several versions of the details of the death of Malik ibn Nuwayrah and the brief discussion he had with Khalid ibn Al-Walid are recorded in the documentaries on the subject. The final conclusions that may be drown from the various versions indicate that Khalid ibn Al-Walid was not exactly rightful in killing Malik, and that Khalid's decision to kill Malik was certainly taken with some haste and without proper deliberation. What added to the magnitude of the event and the complexity of the matter was that Khalid ibn Al-Walid married Um Tamim "Lyla" Malik's widow, very soon after Malik's death; a conduct highly disgraced according to Arab traditions. Again, this incidence is related with much commentary by the various authors. What is certain, however, is that Khalid was infatuated by Um Tamim, married her at the most inappropriate time and circumstances, and kept her as wife inspite of the severe criticism and immense troubles that incident brought him.

The matter did not end at that, one of the men in Khalid's army, Abu Qitadah Al-Ansary revolted against what he considered was a very unorthodox disgraceful conduct on the part of Khalid. Abu Qitadah left the army, refused to be under the command of Khalid and returned to Al-Madinah to meet with Abu Bakre to declare his intense disapproval. Abu Bakre listened to the words of Abu Qitadah, however, his response to these words did not satisfy or quench the rage of objection against Khalid . Abu Qitadah found support in the resolute response of Omar ibn Al-Khattab against Khalid's conduct. Omar could not remain silent and indifferent, he approached Abu Bakre and pressed him to take action against Khalid, who in Omar's opinion, killed Malik without being certain that Malik remained an apostate, and the fact was that Malik had returned to Islam. Moreover, how could Khalid marry Malik's

←

the Muslim situation as they confronted the wave of atavism that spread against Abu Bakre, after the Prophet's death. Sagah was the only woman at the time who falsly claimed prophecy and practiced magic and witchcraft. It was natural that Sagah would go to the tribe of her father Bani Tamin as she and her followers come south from Iraq with the intention to attack Al-Madinah, defeat the Muslim forces and overthrow the authority of Abu Bakre. When Sagah and her followers arrived; Bani Tamim were at the peak of their difference in opinin regarding their relationship with Abu Bakre and the Muslims. Sagah and her followers determined the issue; to confront and defeat the Muslims should be the attitude taken by Bani Tamim. Sagah declared herself a prophet with spiritual abilities of an alleged revelation, and approached Bani Tamim to believe in her, follow her in her prospective battle against Abu Bakre.

Sagah convened with Malik ibn Nuwayrah to discuss the matter of their alliance and to attack Al-Madinah. Malik convinced Sagah to give up attacking Al-Madinah, and to help him subdue his opponents of Bani Tamim. The woman accepted, and fighting started between the followers and the opponents of Malik. However, hostilities soon ended, and Bani Tamim criticized and condemend the conduct of their leader Malik ibn Nuwayrah, and demanded that Bani Tamim should terminate all relationships with Sagah and her followers. Sagah withdrew with her followers and again entertained the idea of marching against Abu Bakre at Al-Madinah. She arrived at Al-Nibag where she was met by Aws ibn khuzaymah who defeated her and then arranged a truce on condition that Sagah and her followers would not cross Al-Nibag to go to Al-Madinah. Sagah and her followers finally decided to go to Al-Yamamah and join forces with Mussaylimah "the impostor" of bani Hanifah, the strongest consortium of apostates. At Al-Yamamah, Sagah married Mussaylimah, a strange marriage that lasted few days, after which she went back to her people in Taghlib where she remained among her clan.

This is the story of Sagah bent Al-Harith, a peculiar story of an eccentric woman. It is reasonable to believe that Sagah's venture in the north east of the Arab Peninsula was planned by Persian influence and political intrigue to intensify the problematic situation that the Muslim regime under Abu Bakre was facing after the death of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him).

During the time those events were taking place in

ABU BAKRE AL-SIDDIQ
WAR AGAINST APOSTATES

PART III

SAGAH AND MALIK IBN NUWAYRAH

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar (M.D.,Ph D.)

The dwellings of bani Tamim neighours Al-Madinah from the east and extends eastward towards the Persian Gulf, and north east to Iraq. The tribes of Bani Tamim were reputed for bravery, chivalry and poetry. At the time of the death of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him), Bani Tamim were Muslims, obeying the Prophet and performing all requirements of Islam. Malik ibn Nuwayrah from the tribe of Bani Yarboo, a branch of Bani Tamim, was an agent for the Prophet in Bani Tamim. When the Prophet died, Malik ibn Nuwayrah was of the opinion that the Zakat should not be given to Abu Bakre as Khalifa of Rasul-Allah, and that Al-Madinah had no furthrer authority on the Arab tribes. This declaration placed Malik and those that followed him from Bani Tamin in a position of definite hostility with the authority of Abu Bakre. Bani Tamin with Malik ibn Nuwayrah at their head were considered apostates. However, some groups of Bani Tamim retained their Islam and ackowledged the rightful authority of Abu Bakre. This difference in the attituddes of Bani Tamim resulted in disruption of opinion and weakening of consolidation and strength of Bani Tamim.

As Bani Tamim were in this condition of dispute, a woman called Sagah bent Al-Harith arrived from Iraq followed by people from Taghlib and worriers from the tribes of Rabia, Iyad and Shayban. Sagah's father was from bani Tamim and her mother from Taghlib in Iraq. She was antagonistic to Muslims, known for her cleverness and intelligence. When the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) died, Sagah entertained the idea of attacking Al-Madinah to subdue Abu Bakre and the Muslims. Some authors believe that Sagah was entreated to such an impulsive adventure by the Persian policy in Iraq with the aim to intensifv the criticality of

→




AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Zu Al-Qidah, 1408, Hijrah

Editor - Dr. Anas Moustafa El-Naggar (M.D., Ph.D)

CONTENTS

Preparation of Prints By: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

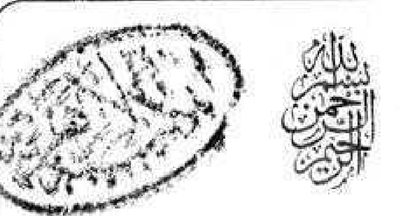



AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION







الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

الجزء الثانى عشر
السنة الستون
ذو الحجة ١٤٠٨ هـ
يولية - اغسطس ١٩٨٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

ندوة وأحكام



فى هذا الجزء تشعب الحديث فتطرق إلى موضوعات : الفن ، دليل التحريم لبعض أنواعه فى إطاره المعروض ، حفلات الجامعة ، مرجع الأحكام الشرعية ، الانضباط فى البلاد الإسلامية وغيرها ، سلبيات المجتمع ليس الأزهر مشجبا لها ، ضعف المستوى ، جامعة الأزهر الجديدة .. الخ .

←

قال الأستاذ البلك : بمناسبة الفنون والحديث عن الفنون ـ والكلام موجه إلى أجهزة الإعلام لأنها هى التى تبث المنوعات والبرامج المختلفة ـ أريد أن أقول : إن أجهزة الإعلام تخاطب أذواقا مختلفة وطباعاً مختلفة ، ونحن فى أجهزة الإعلام ـ بدليل هذه السهرة التى نقدمها ـ نقدم العلم ، ونقدم الدين كذلك نقدم الترفيه أيضاً ، والترفيه مطلوب ، ربما النقطة التى أريد أن أصل إليها هى أن كل شىء لابد أن يكون محسوبا ، أى يتم بقدر معين بحيث لا يطغى جانب على آخر ، هذا الموضوع أيضاً يشدنى إلى ما أثير فى الفترة الأخيرة من بعض الاعتراضات على ألوان من الفنون كالموسيقى مثلاً،والحفلات الموسيقية التى أقيمت فى بعض الجامعات ؟

الإمام الأكبر : هذا أمر غير منضبط بمعنى أن حصر جزئياته أمر غير وارد .

الأستاذ حلمى : بدليل أننا سمينا إضاعة الوقت فن (فن إضاعة الوقت) .

الإمام الأكبر : نعم أمر غير وارد ، هناك باستمرار أمور متجددة ، لكن من حيث الحكم بالحل أو الحرمة ، فقواعد الإسلام تبين أن المحرم : إما محرم لذاته ، أو محرم لغيره ، وبهذا الاعتبار نستطيع الحكم على كل ما يجد أمامنا ، المحرم لذاته ذُكِرَ بالنص : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ ﴾[1] ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ . . . ﴾[2] إلى آخر المحرمات التى نص عليها القرآن لذاتها .

هناك محرمات لغيرها نجدها فيما يقوله الأصوليون : « باب سد الذرائع » مثلا ، عندما ننظر إلى الفنون وما أثاره الأستاذ حلمى من حيث الحفلات الموسيقية أو الغناء : هل نجد فى نصوصنا ـ فى القرآن أو فى السنة ـ تحريما مباشراً ؟

لا نجد نصاً ظاهراً واضحاً فى هذا ، لكن حينما قال الله سبحانه : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[3] .

والرجل يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه .

هذا هو « سد الذرائع » فقد نمنع شيئاً مباحا لأنه سيؤدى إلى مفسدة ومضرة أكبر ، لذلك أعتقد أن الحكم على ما أثاره الأستاذ حلمى يأتى فى نطاق هذا .

هل تصورنا مثلا « واقع الغناء » فى عصرنا ، أو « واقع الموسيقى » فى عصرنا ما هو ؟ هل الحفلات العامة التى تقام للأغانى وللموسيقى : هل هى مقصورة على مجرد استماع الموسيقى والغناء ، ولن نتحدث هنا عن مادة الموسيقى نفسها ، ثم هذه الأغانى التى سنستمعها ما مادتها ؟

---

(١) المائدة ـ ٣ .
(٢) المائدة ـ ٩٠ .
(٣) الأنعام (١٠٨) .

ماذا يحدث فى هذه الحفلات ، فى هذا الاجتماع المختلط ، والذى تتباين فيه الأخلاق والأذواق والطباع ، وما قدرة أى إنسان فى هذا الجمع على السيطرة على نفسه وعلى الالتزام بما يجب من آداب ؟

أعتقد اننا إذا تكلمنا فى نطاق هذا الذى قلته ربما نصل إلى نتيجة .

الشيخ إبراهيم : إذا كانت الوسيلة ستؤدى بنا إلى محرم ، فالوسيلة حرام طبقاً لما تؤدى إليه ، أما إذا كان هذا العمل لا يجرنا إلى محرم ولا ينطوى على محرم فالإسلام لا يحرمه .

الأستاذ حلمى : أنا افترض ان هذا العمل ، أو هذه الموسيقى ، أو هذا اللون من ألوان الفنون لون محرم : هل يبيح الإسلام لكل إنسان الاعتراض لمنع هذا العمل ؟

الإمام الأكبر : أنا أرجو أن يرجأ هذا التساؤل بعض الشىء حتى نقول أولا : هل الموسيقى فى ذاتها حرام ؟ الغناء فى ذاته حرام ؟ أريد البيان على نطاق ما بدأت به الحديث : من (الحد) بين الحرام لذاته ، والحرام لغيره، فهل الغناء فى ذاته محرم ؟

الشيخ إبراهيم : حينما ننظر إلى الموسيقى والغناء نقول : إن كان هذا العمل الذى يقدم سواء كان غناء أم موسيقى ليس فيه شائبة مما يثير ..

الإمام الأكبر : أنا أفترض يافضيلة الشيخ إبراهيم أن الذى يغنى ، أو التى تغنى تقول : وُلد الهدى .

الشيخ إبراهيم : سأتكلم فى هذه ، إذا كان بحيث يثير ، ما يقال أو ما يسمع ، فى الإنسان غريزة ، أو يثير فيه لونا من الألوان المحرمة ، أو يدفعه إلى محرم فهو حرام . أيا كان : سواء كان هو بذاته أو كان وسيلة إلى الوقوع فى محرم ، الوسيلة للحرام محرمة ، والوسيلة فى الغناء إما أن تكون بذاتها فى نفس الكلمات ، أو نفس الإلقاء ، أو نفس الصوت .. كل هذه إذا كانت بحيث تثير تكون محرمة .

الأستاذ البلك : وإذا كانت ـ كما قال فضيلة الإمام الأكبر ـ تغنى أغنية فيها مديح للرسول عليه الصلاة والسلام .

الشيخ إبراهيم : إذا كان الصوت بحيث يثير فهو حرام .

الأستاذ البلك : حتى ولو كان مديحاً ؟

الشيخ إبراهيم : ولو كان مديحاً .

الإمام الأكبر : يعنى يافضيلة الشيخ إبراهيم كما قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾(4) قد يكون المغنى سيدة تقول : « الله » ، وهو ذكر لله ، ولكنها تقول ذلك بطريقة فيها إثارة ، إذاً نأخذ من كلام فضيلة الشيخ إبراهيم ، أنه إذا كانت نفس الأغنيات تحوى كلاماً عفا ناصحاً ليس فيه دعوة إلى إثم أو شىء من هذا ، ثم فى الوقت ذاته ، يكون الذى

←

---

(4) الأحزاب ٣٢ .

يلقى هذا الكلام ملتزماً بلا تكسر .. بلا (دعوة) .. إن الصوت نفسه قد يدعو كما قال القرآن ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾(٥) وأعتقد أن خلو الأغنية من هذا أمر فيه استحالة .

لأن المغنية أو المغنى لا يمكنه، وإلا سيلقى خطبة .

الأستاذ حلمى : لا ، طبعا .

الإمام الأكبر : لابد إذاً من أن يكون هناك تجاوز ، لابد أن يكون هناك تجاوز .

الأستاذ البلك : فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى كان يتهامس مع الدكتور رءوف شلبى عن صوت المرأة، وحرمة صوت المرأة .

الإمام الأكبر : هذه مسألة تأخر الحديث عنها ، هذا فضيلة الدكتور رءوف أرى أنه يريد أن يعقب على كلام الشيخ إبراهيم فى هذا الموضوع .

الدكتور رءوف : الإمام الغزالى رضى الله عنه ـ فى كتاب إحياء علوم الدين ـ تحدث عن هذا الموضوع : الحرمة وعدم الحرمة. أمر متعلق بالصوت والكلمة وآلة الموسيقى .

الإمام الأكبر : الناس الصوفية أصلهم منشدون ، يعنى فيهم إنشاد يعنى يغنون ، لكن الاستدلال بالغزالى لأن الغزالى « أصولى » .

د / رءوف شلبى :

ـ يامولانا ، فى مقام فضيلتك ، أنا أسف لمقام الفتوى : اللفظ نفسه إذا كان يحمل على الفحش فهو حرام مطلقا : ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾(٦) الآية جامعة ، وإذا كانت الألحان للحرب وللوطنية فلا بأس بها ، وإذا كان المغنى رجلا يترنم بكلام ليس فيه دفع للإثارة فلا بأس به، أما إذا كانت امرأة ففى شأن المرأة .. غناء المرأة مرفوض .

الأستاذ حلمى : مرفوض أصلاً ، مهما كان موضوع أو مضمون الأغنية .

د/رءوف شلبى : مرفوض .

الإمام الأكبر : سنقول إنها تقول (ولد الهدى)

الآية الكريمة واضحة ، طبيعة الصوت الأنثوى أنثوى .

ـ قضية الصوت موضوع آخر ، يعنى كون الصوت عورة ؟ الكلام غير عورة ؟ هذا كلام سنتكلم فيه ، ونتناول الآن الغناء والموسيقى .

د / رءوف شلبى :

ـ إذا كان اللفظ فاحشة فهو حرام ، إذا كان اللفظ فيه تكسر ولو من رجل أيضاً فهو حرام ،

---

(٥) الأحزاب ٣٢ .

(٦) المؤمنون والمعارج .

لأنه يدفع للإثارة ، فأما عن الجامعة فأحب أن أقول شيئا مهما جداً ـ نحن جميعا نشتكى من ضعف المستوى فى الجامعة ، الضعف العلمى،فكيف تهيىء الجامعة حفلات موسيقى وتعنى بها ، ويعنى بها اتحاد الطلاب ولا يعتنى برفع المستوى العلمى ، وليس هناك فى أى جامعة فى العالم موسيقى غير الجامعات المصرية؟ أنا كنت أستاذا فى الخارج ..

الأستاذ البلك : أعتقد أنه يمكن يافضيلة الدكتور فى الجامعات الأوروبية .

د / رءوف شلبى :

ـ الجامعات الأوروبية ، ليس فى داخل الجامعة ؛ حفلات تقام باسم الجامعة ، فى خارج الجامعة ، لكن داخل حرم الجامعة أو داخل الكلية ما رأيت فى العالم كله إلا فى مصر وتلك بدعة ابتدعها العلمانيون لإفساد الحياة العلمية فى مصر والله أعلم .

الإمام الأكبر : الدكتور على ، تفضل .

د . الخطيب : فضيلة أخى الدكتور رءوف تحدث عن (الكلمة) هل يجوز لنا ، يافضيلة الإمام ، أن نُمرر أغنية تقول : قدر أحمق الخُطا .

الإمام الأكبر :

ـ لا .. نحن نعترض على الصيغة .. هذه الكلمات لا تأتى إلينا بمجمع البحوث .

د/ الخطيب :

ـ بالنسبة لكلمة الأغنية ليس عليها رقابة يامولانا إطلاقا ، فهى فاسدة من جهتين من جهة مافيها من خلاعة وما فيها مما يضاد الإسلام .

الإمام الأكبر : المقصود أن نقول للناس : متى تكون الأغنية صالحة لأن تكون أغنية ، ومتى لا تكون ؟ وهل الغناء حرام ؟ الغناء لذاته ؟ والموسيقى ، هل حرمها الإسلام لذاتها ؟ هذا ما نزيد أن نقوله للناس ، أن نعرف : أهذا حلال ، أو هذا حرام ؟

وإذا كنا نريد معرفة الحلال والحرام فى الموسيقى والغناء ، هل أذهب إلى كتاب الأغانى للأصفهانى لأرى الأحكام فيه ، وآخذ حديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو تفسيرات القرآن من هذا الكتاب وأشباهه ، أم هناك مصادر أخرى موثوقة أو مخصصة لبيان الحلال والحرام ، هذا الذى أسألك فيه يادكتور على ..؟

د . الخطيب : الفقهاء يامولانا هم المرجع الأصلى فى هذا ، هم الذين يقولون لنا : ما هو حلال وما هو حرام .

الإمام الأكبر : يعنى إذن لا ألجأ إلى ديوان شعر لآخذ منه الحلال والحرام ، ولا ألجأ إلى كتاب « الأغانى » للأصفهانى كى آخذ منه الأحاديث الصحيحة وغير الصحيحة ؟!

د . الخطيب : ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾[7] .

←

---

(٧) البقرة ـ ١٨٩

الإمام الأكبر : يعنى لابد من الرجوع إلى المصادر العلمية الخاصة .

د . عبد الفتاح بركة : يخيل إلىّ أن المسألة بهذه الصورة طيبة جداً ، ولكن لكى تكون على طيبها ينبغى أن يتلقاها إنسان طيب لأن المسألة يقع فيها تدليس كبير جداً وتلبيس . فنحن نقول لهم : الأغانى ليس فيها حرمة وليس فيها نص يحرم . والموسيقى كذلك ، فهم يأخذونها ويأتون بعد ذلك بالأغانى بما فيها من خلاعة ومجون وما فيها من إثارة شهوات الشباب وأفكاره وتغيير اتجاهاته ، فإذا تكلمنا قالوا : ليس هناك حرام ، وهذا حلال ، وأنتم تتدخلون فيما لا يعنيكم ، هذا فن ، وباسم الفن ، وباسم أن الدين لا يحرم ، وباسم أن الدين فيه ترفيه ، وباسم ما فى الدين من قضايا صحيحة .. باسم هذه القضايا الصحيحة يرتكبون المنكرات : يرتكبونها فى أزيائهم وهم يؤدون ألفاظهم ... فى حركاتهم وهم يؤدون ... فى التصويرات والتهاويل .. فى الديكورات المحيطة بالأداء ، وفى نفس نظام القاعات التى يحضرها المستمعون أو المشاهدون بدون احترام للآداب المرعية والتقاليد الصحيحة ، كل ذلك يجعلنا نقول - رغم أنها كلمة حق - إنهم يقلبونها إلى إرادة الباطل ، وهذا الذى نخشاه نحن نقول الحق لكنهم يأخذونه ويؤولونه ويحرفونه عن مواضعه .

الإمام الأكبر : يعنى حين يقال من الناحية الشرعية : إن المحرم إما محرم لذاته ، أو محرم لغيره . فهذا كلام له سنده وله أصله ، وإذا قلنا إن المحرم لذاته وارد بالنص ، وإن المحرم لغيره يتسع مداه نظراً إلى وسيلته ، أو ما يحدث منه ، وطبقنا هذا على ما أثاره الأستاذ حلمى من حيث الغناء والموسيقى ، نجد أن الغناء والموسيقى من باب المحرمات لغيرها متى أحاط بها ما تحدثنا عنه .

فإذا قيل : إنه يمكن أن تكون نقية من هذا ، فذلك أمر يقع وزره على من يزاوله ، فإذا كان مما يدخل فى الحرام فهو الذى ارتكب الحرام إنما الإفتاء يكون بهذه القيود .

د . على الخطيب : من باب السؤال يافضيلة مولانا إضافة بسيطة جداً ، نسمع بعض الممثلين فى تمثيلهم يقصد إلى نكتة معينة ونجده يحشر فيها اسماً من أسماء الله الحسنى .

الإمام الأكبر : وأسماء الأنبياء ، وبالأخص محمد عليه الصلاة والسلام ، نعم هذا أمر مرفوض ، وأمر منكر أن يذكر اسم الله فى مكان فيه هزل ، وإذا كنا ننزه ذكر اسم الله سبحانه وتعالى إلا فى أمكنة محددة ، وأن يكون الإنسان على طهارة ... إلخ ..

هل تصلى بدون طهارة ؟ إنه لابد من الوضوء ، فذكر اسم الله بطريق السخرية والاستهزاء أمر منكر وأمر مرفوض وأمر يجب ألا يقره أحد إطلاقاً ، كذلك ذكر أسماء الأنبياء لا ينبغى إطلاقاً ، صحيح هناك فى العالم بين المسلمين من اسمه (محمد) وهو كثير ، لكن بالذات اختيار

هذا الاسم للتنكيت أو للسخرية ، أمر يجب أن يرفضه الناس ، وأن يعيبوا على من يحذو حذوه يجب أن ينصرفوا عنه مهما كانت صناعته أو مهنته .

الأستاذ البلك : فضيلة الإمام الأكبر لو أذنت لى هناك موضوع يشغل البال ، أو يشغل ذهنى أنا شخصياً ، ونحن فى حضرة فضيلتكم ومجموعة العلماء ، نتطلع إلى أن نتلقى إجابة عنه ، هذا الموضوع هو نحن نعلم أن الإسلام هو دين الانضباط ودين الخلق ودين السماحة ودين كل شىء جميل فى حياتنا ، لكننا مع الأسف الشديد نجد الانضباط فى البلاد غير المسلمة أكثر من البلاد المسلمة فهل هذا عيب فى الإسلام، أم هو عيب فى المسلمين ؟

الإمام الأكبر : أعتقد أن الإسلام ـ وهو فى كل ما شرع ـ محدد ، الصلاة بمواقيت ، الصوم بميقات ، الزكاة بميقات ، الحج بميقات ، الصدق .. الوفاء بالوعد .. الوفاء بالعقد .. كل هذه أمور انضباط ، كل أحكام الإسلام التى فرضها على المسلمين تؤدى إلى الانضباط الكامل فى كل شىء ، لكن المسلمين هم الذين بَعُدُوا عن الإسلام ، وقد يلتمس لهم العذر فيما مضى ، فإن بلاد المسلمين احُتُلَّت وتعرضت لحروب ومآس كثيرة ، لكن وقد خلصت بلادهم من الاستعمار ، ولو عسكرياً ، فإن عليهم أن يعودوا إلى الأخذ بأحكام الإسلام والالتزام بها ، ولا يكون غيرنا كما تفضلت ، أفضل منا فى طرق التعامل الصحيحة التى هى من الإسلام ، ونكون نحن بعيدين عن هذه الطرق الملتزمة ، فليست لدينا الجدية فى العمل، وليست لدينا الدوافع التى تجعلنا نجود فيما نعمل . لدينا التراخى والتكاسل ، لدينا الإهمال ، لدينا عيوب كثيرة رسخت ورسبت فى مجال حياتنا ، وهى السبب فى تأخرنا ، وهى السبب فى أن كل مرافق حياتنا تحتاج دائماً إلى الصيانة العاجلة وإلى الاستبدال .. وإلى .. وإلى .. لأننا لا نؤدى العمل بالذمة والصدق وليس هذا من الإسلام .

تفضل يادكتور رءوف .

د . رءوف شلبى : تتابعاً لكلام مولانا الإمام الأكبر، هذه قضية استعمارية: أن المسلمين هم سبب هذا الفشل الذى يعيشون فيه كما وضح مولانا : الاستعمار .. إلخ ، لكن القضية محلولة من قديم الزمان ، قال عمر بن الخطاب : « من لم يسرع به عمله لم يسعفه نسبه ، والله لو جاءت الأعاجم يوم القيامة بأعمال وجئنا بلا أعمال لكانوا أحق بمحمد منا » .

تخلفنا عن تطبيق الإسلام .. الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء والسحر أوقات نظمها الإسلام فى اليوم والليلة للمسلم .. فهل المسلمون نظموا حياتهم على هذه الأوقات ؟ مواقيت الحج .. مواقيت الصيام .. مواقيت الصلاة ... كل حياة المسلمين . مواقيت فهل أقام المسلمون مواقيتهم ؟

يوم أقاموها فتحوا أسبانيا وفتحوا قبرص وذهبوا إلى جنوب فرنسا ، وفتحوا أفريقيا يوم أن أقاموا هذه الحياة الإسلامية فى حياتهم فتحوا هذه البلاد .

خاف الاستعمار من هذه اليقظة الدائمة فحطم حياة المسلمين ثم يأتى اليوم فينعى عليهم ويقول : إن المسلمين متخلفون . نحن لسنا متخلفين ، هو أبعدنا عن الإسلام باستعماره ، وبما

تركه فينا من جذور ، نحن بعدنا عن الإسلام . نحن الذين ننتسب إلى الإسلام فلو أننا رجعنا إلى الإسلام ما تخلفنا وشكراً ..

الأستاذ البلك : يعنى خصوصاً مثلاً فضيلتكم عشت أو انتقلت إلى بلاد أوروبية ، وعشت فيها .

د / رءوف شلبى : وغير أوروبية .. بوذية اليس مؤلماً أن يكون عند البوذيين نظام أكثر . نظافة أكثر ، قلوبنا تبكى دماً ، لكن - مثلاً - ماليزيا - التى قال عنها الدكتور على الخطيب - لأنها تنظم حياتها بالإسلام .. رئيس وزراء ماليزيا الذى تكلم عنه هو من كبار المسلمين شخصية مسلمة من الدرجة الأولى .. يطبقون الإسلام فى حياتهم .

إن النظام الأوروبى الحاضر هو نظام إسلامى لكن بغير فطرة الإسلام ، فلو رجعنا إلى إسلامنا فى مواقيتنا ، لكنا تصور الإسلام الطبيعى ولتقدمنا فى هذه الحياة كلها ولكننا المارد الذى تخاف منه أوروبا .

الإمام الأكبر : لعلى أعقب بكلمة بسيطة . يعنى النظام الأوروبى أو الحياة الأوروبية ليست إسلامية فى كل أمورها ، وإنما الأوروبيون فى أعمالهم تنطبق عليهم أحكام الإسلام فى العمل .. الانضباط .. الإنتاج .. التجويد ، الأداء الكامل للعمل ، وهذا إنما أُرْجِعُهُ إلى التصاقهم بالمادة فهم منتجون لأنهم تجار « شطار » ولأنهم يريدون أن ينتجوا وأن يبيعوا ، وأن يكسبوا .. إلخ .

ما وراء هذا إلا المادة ، وهذا ما يدفعهم إلى الاستمرار فى هذا السلوك ، أما نحن - وقد مضى علينا وقت كثير - نركن إلى غيرنا فى كل شىء فقد نسينا الإنتاج،ونسينا أن نكتفى بأنفسنا لأنفسنا ، ولجأنا إلى الاستدانة حتى فى الغذاء ، وأسرفنا حتى فى « الاستدانة » .. هذا الأمر الذى أخرنا ويؤخرنا وسيظل وسنظل فى تأخرنا وفى أزماتنا الاجتماعية والاقتصادية مادمنا لم نحاول العلاج من الداخل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[8] لابد أن نواجه هذه الأزمات التى نتعرض لها من الداخل ، فإذا كان الطعام لدينا قليلاً فلا نسرف فيه ، وإذا كان الماء لدينا قليلاً فلا نسرف فى استعماله ، إذا كانت مصادر الكهرباء شاقة ، أو تحتاج إلى تكاليف ليست لدينا ، أو مصادرها غير متوافرة فيجب أن نقلل فى استخدامها .

لا ينبغى أن تسهر المسارح ويسهر « التليفزيون » طوال الليل فى رمضان ، رمضان الذى أعد للقيام ، وللطاعة نقضيه فى السهر .. فى الملاهى ، وفى الحانات .. إلى آخر ما هو معروف ومشاهد .

ينبغى أن نعالج أنفسنا بأنفسنا ، لا يقال : إن هذا تضييق على الناس ، لايقال باسم الفن وباسم العلم: أننا نعمل ، ينبغى أن نفرق بين ما هو ضار وما هو نافع ، لا ينبغى أن نندفع فى الدفاع عن المضار بوصفها منافع بالصوت العالى ، أو بامتلاك وسائل الإعلام ، فإن هذا هو الأمر الذى يضرنا فى سير حركتنا الإصلاحية .

---

(٨) الرعد - ١١

الأستاذ البلك : فضيلة الإمام الأكبر يعنى ، هنا أيضاً نقول : ينبغى وينبغى ، ويجب علينا أن نفعل كذا ، وأن نغير من سلوكنا ، هذا يقود إلى التساؤل : أين دور الأزهر فى هذا المطلوب ؟

الإمام الأكبر : فى تقديرى ، وهذه الكلمة أسمعها وأقراها كثيراً ، فى تقديرى أن دور الأزهر دور إرشادى ، دور الناصح ، إنه ليس له سلطان على أحد ، إنه يعمل وكما قال الله لرسوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[9] ومع هذا قال له : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾[10] عليك البلاغ ، فالأزهر لا يتوقف عن البلاغ ، وعن الإبلاغ ، إن علماء الأزهر ، فى كل مكان فى مصر ، بل فى كل مكان فى العالم الإسلامى ، يقومون برسالتهم ولكن ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ إنهم يريدون من يستمعون ، ومن يفكرون ، ومن يجيبون يريدون لتتصلح الأمور ؛ ألا يبنى الأزهر فى جانب وهناك معاول أخرى تهدم ، لا ينبغى أن يقال : أين الأزهر؟كما يقال عند وقوع حوادث هنا وهناك ـ دون أن ننظر إلى مصدر هذه الحوادث ، وإلى الدوافع لهذه الحوادث ، إن الأزهر لا يعرف أين هى الجماعات المتطرفة التى يقال عنها ، إن الأزهر مكانه المساجد والأندية والأماكن التى تفتح ليلقى فيها العلماء محاضراتهم ، ولكنه لا يعرف جيوباً سرية ولا أماكن سرية ، لا يعرفْ هذه الأماكن ، إنما إذا كان هناك من مشكلات « كالمشكلة التى اثيرت » واثيرت الآن فى حوادث الجامعات من أجل الموسيقى ومن أجل الغناء ، « لم لا تعقد لقاءات فى الجامعة نفسها لمناقشة هذه الأمور فى حضور العلماء ، وحتى يسمع هؤلاء الذين اعتدوا على زملائهم رأى الدين فى هذا ؟ ولِمَ يتصدى ؛للفتوى والتجريح للإسلام فى الصحف وفى غيرها من يتصدون لهذا دون علم ودون دراية ؟ لِمَ يكون هذا ؟ الأولى أن الجامعة أو الجامعات التى حدث أو يحدث فيها مثل هذه الحوادث أن يلتقى العلماء بهؤلاء الطلاب ، وفى الجامعة وفى مؤتمر عام ليصلحوا لهم أفهامهم إن كان خطأ فى الفهم ، هذا هو ما يجب أن يكون أما الأزهر فبحمد الله موجود ، علماؤه فى كل مكان فى مصر يؤدون واجبهم قد لا يعرفهم الإعلام،وقد لا يتحدث عنهم،لأنهم ليس لهم وسائل إعلام يتحدثون فيها .

الأستاذ البلك : هنا أيضاً فضيلة الإمام الأكبر أقول لم لا يتحرك الأزهر من تلقاء نفسه دون الانتظار لدعوة ليعقد ندوة للمحاورة فى الجامعة التى حدث فيها هذا الموضوع ؟

الإمام الأكبر : الأستاذ حلمى يعرف أن الجامعات غير مسموح بدخولها إلا لتنظيم الجامعات أنفسها ، لا يمكن أن يطرق عالم ليلقى محاضرة فى جامعة ، بل فى مدرسة من المدارس لابد من الاستئذان ، حتى فى الإسلام : ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ .

الأستاذ البلك : نستأذن كأزهر ونطلب ونتحرك ؟

←

---

(٩) القصص ـ ٥٦

(١٠) المائدة ـ ٦٧ .

الإمام الأكبر : هل ياأخى العزيز نحن العلماء الذين نرسل إلى الجامعة ونقول : نأتى نلقى محاضرة عندك .؟ أمر غير جائز .

فى المؤسسات العامة تذهب إدارة الوعظ وتتبنى هذا ، وتذهب إلى السجون .. الملاجىء .. المؤسسات الاجتماعية .. النوادى ، وعلماء الوعظ يذهبون حتى إلى النوادى الرياضية ، نذهب بطلب من هذه الجهات ، نرسل إليهم ويرسلون إلينا ، هذا هو النظام القائم فى الدولة ، الجامعة لا يحاضر فيها أحد بدون إذن الجامعة ، المدرسة لا يدخلها أحد إلا بإذن ناظر المدرسة ، لابد إذن أن نلجأ إلى الحلول العملية ، قبل أن تقع الواقعة لِمَ لا تكون هناك المواسم الثقافية التى تتعرض لهذه الأمور ؟ فى الجامعات ؟ فى المدارس ؟ يغشاها العلماء وغير العلماء ممن يحسنون الكلام فى هذه الموضوعات .

الدكتور عبد الفتاح لديه تعقيب

- تفضل يادكتور عبد الفتاح

د . عبد الفتاح بركة : كلام فضيلة مولانا الإمام الأكبر فيه الكفاية ، وأحاط بالموضوع وبين أن مهمة الأزهر مهمة علمية ، وليست مهمة تنفيذية ، وأن تحرك الأزهر مستمر لا يتوقف ، ولست أريد أن أضيف ، ولكنى أريد أن أشرح هذه الكلمة ، فمثلا كلما ثارت فى الأمة أو فى الشعب اتجاه .

الإمام الأكبر : على فكرة "الدعوة" من اختصاص الدكتور عبد الفتاح وهى تابعة للمجمع وهو يرأس جهاز الدعوة فى الأزهر .

الأستاذ حلمى : تتحدث فى مجالك الآن .

د . عبد الفتاح بركة : نعم .. وهو ليس إضافة لما قاله مولانا ، لكنه مجرد توضيح لنقطة مجملة ، فكلما ظهر فى الأمة أو فى الشعب اتجاه فكرى قد يكون فيه شىء من المخالفة أو الانحراف أو ماشاكل ، فإن جهاز الوعظ فى الأزهر كله يتحرك لمواجهة هذه الناحية ، ويُوجَّه إلى الحديث فى هذا الموضوع ، وكذلك فى المواسم المعينة مثل مواسم رمضان ، أو فى مواسم الإسراء والمعراج أو فى مواسم المولد النبوى أو فى غير ذلك يوجه الوعظ ويعبأ كله تعبئة شاملة لاستغلال فرصة المناسبة الدينية التى تكون فيها النفوس مستعدة لتقبل النصائح والإرشادات لتوجيه هذه الدعوات ومعالجة المشاكل الاجتماعية والمشاكل الفكرية التى تسود فى المجتمع فى تلك الفترة التى يعبأ فيها الوعظ لذلك ، من ذلك مثلاً : شهر رمضان .

هذا الشهر، هنالك حملة كاملة شاملة عَبَّأ الوعظَ زيادة عن الجداول العامة والعادية التى تكون فى أيام (العام) جداولَ إضافية بحيث لا يُترك مسجد من المساجد الكبرى ، لا فى المدن الرئيسية ، ولا فى المدن الفرعية ، ولا فى القرى الكبيرة ، لا يترك مسجد من هذه المساجد إلا وفيه محاضرة .

المشكلة حقيقة :ان هنالك اجهزة الإعلام تلتف حول أشخاص بارزين فقط فتظهر بعض هذه الجهود اما جهود الوعاظ فلأنهم عدد كبير هائل-هنالك اكثر من الف وخمسمائة واعظ منتشرين فى سائر أنحاء الجمهورية كل هؤلاء يعملون ويدرسون ويقومون بالوعظ والإرشاد-لا يحس بهم أحد لأنهم يقومون فى وسط الجماهير .

الإعلام لا يشعر بهم ولا يوجه إليهم (الكاميرا) ولا يوجه إليهم الأضواء ، لأنه سيوجه لمن .. أو .. لمن... ؟

الإمام الأكبر : ولا تتابعهم الصحافة أيضا .

د . عبد الفتاح بركة : ثم بعد ذلك يأتون للأزهر .. أين الأزهر .. أين الأزهر ، الأزهر منبث فى كل شريان من شرايين مصر ، فى جميع عروق مصر ، فى جميع قراها ونجوعها وكفورها حتى فى خارج مصر وفى العالم الإسلامى كله دون استثناء ، بل وفى خارج العالم الإسلامى أيضا .

إذن الوعاظ فى الحقيقة يقومون بدور هام جداً إلا أن المسألة أن جهدهم غير معلوم إلا فى محيطهم الخاص بهم ، كل واعظ فى المحيط الذى يقوم فيه بوعظه وإرشاده ، يتوجهون إلى النوادى ، ويتوجهون إلى المدارس ، ويتوجهون إلى الجامعات عندما يُدعَوْن لذلك ، ولكن محلهم الأصلى والأساسى هو المساجد ، وهم ينتشرون فى هذه المساجد بدون توقف يوميا فى رمضان ، فى رمضان يومياً يوجد جدول فى جميع المساجد الكبرى فى المدن الكبرى ، وفى القرى الكبرى أيضا ، ومن هنا فإن الأزهر يقوم بدوره .

الإمام الأكبر : أريد أن أضيف كلمة إلى ما قاله الأستاذ الدكتور عبد الفتاح ، هى : من يذهب إلى المساجد ؟

من هم الذين يذهبون إلى المساجد ؟ إن الذين يذهبون إلى المساجد ليسوا هؤلاء الذين يجب أن يُقْصَدوا بالنصح والإرشاد ، فهؤلاء الذين يَعتدون فى الجامعات أو فى غيرها هل يذهبون إلى المساجد التى يرتادها الوعاظ من علماء الأزهر ؟

الأستاذ البلك : اسمح لى فضيلتك ؛ فيه خصومة يمكن بينهم وبين علماء الأزهر .

الإمام الأكبر : هذه الخصومة ليست من جانب الأزهر وليست من جانب علماء الأزهر إنما هى كما قلت : إذا كان هناك من يعتدون فى الجامعات أو فى المدارس على زملائهم فيجب على هذه الجهات أن تعقد فورا ، وإثر وقوع الحادث أو قبله أو بعده ، اللقاء المباشر بين العلماء وبين هؤلاء لقاءً عاماً ، لأن العلماء لا يعرفونهم بأشخاصهم ولا يعرفون أماكنهم ، وعندئذ يكون الحوار المفيد ، ووضع الأمور فى نصابها بين المتخصصين فى العلوم الإسلامية ، وهؤلاء الذين يدعون فكرا ، أو عملاً آخر ، عن الإسلام .

هذا ما ينبغى أن يكون !

فضيلة الشيخ إبراهيم ، تفضل :

الشيخ إبراهيم : بعد هذا الإيضاح الذى استمعنا إليه ، دائما يؤلمنى جداً أن كل سلبيات هذا المجتمع تعلق على مشجب علماء الأزهر .

علماء الأزهر كما تفضل الأخوة فى كل مكان:دخلوا فى القرى فى المساجد ، دخلوا فى النجوع قامت منهم قوافل من وعاظ الأزهر ومن السادة علماء المساجد .

هذه القوافل على مدار العام لا تتوقف إطلاقاً يذهبون إلى كل مكان : جميع المجتمعات . فى مراكز الشباب فى الأندية ، جمعيات الشبان المسلمين ، فى كل موطن يذهبون إلى هذه الأماكن حتى ذهبوا إلى الواحات ، وإلى الوادى الجديد ، وإلى السجون ، هم فى كل مكان الآن .

هؤلاء العلماء موجودون ، يعنى السادة الوعاظ مع إخوانهم العلماء فى الأوقاف ، مع إخوانهم الذين يعظون فى السجون ، مع إخوانهم الذين هم . فى الجيش ، مع الشباب فى الجيش ، مع الجنود فى الجيش كل هؤلاء علماء الأزهر .

فماذا يريدون من الأزهر ؟

صوت الأزهر يدوى عن طريق السادة العلماء فى كل مكان .

ماذا يراد منا ؟

هذه الاجتماعات التى يدعى إليها العلماء يدعى إليها أحد رجلين : إنسان جىء به ليسمع وهو لا يريد أن يسمع ، وإنسان جاءت به الرغبة فى أن يتفقه فى دينه ، أيا كان سنخرج من هذه التجمعات بفائدة . وفى المساجد ، فى كل أسبوع خطبة جمعة تعالج مشاكل معينة ، أيا كانت هذه المشاكل عامة أو خاصة .

أين هؤلاء الذين نشكو منهم فى محيط الموجودين بالمساجد:أين هم ؟ أين هم ؟

المهم نريد أن تنضم الجهود جميعها سواء منها الذي يقوم على التثقيف من إعلام وصحافة وغيره ، أم جهود المسئولين عن أمر هذه الأمة ، والله عز وجل سائلنا جميعاً والرسول القائل ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله سائل كل راع عما استرعاه » . ليس الأكل والشرب فقط ، فالأكل والشرب آخر ما يمكن أن يحتاج إليه الإنسان ، إنما يحتاج الإنسان إلى الغذاء الروحى أولاً ، من الذي يقدم له الغذاء الروحى

هؤلاء الذين عاشوا على مائدة العلم فى الأزهر الشريف أيا كانوا فى مسجد ، أو وعاظاً ، أو كانوا في الجيش ، أو فى السجون ، أو فى أى موقع من المواقع في مصر ، أو خارج مصر .

عالم الأزهر فى أى مكان له وزنه وله قيمته : له وزنه حتى عند أعداء هذا الدين . عندما يرون عالم الأزهر ، وفوق رأسه العمامة ، ينظرون إليه نظرة الإكبار والتكريم والاحترام لأنهم يعرفون أنه الرجل الذى يدعو إلى الإسلام .

إنما نريد عندما نُسْأَل:اين الأزهر ؟ أن يكون السؤال : أين نحن من الأزهر ؟ أين نحن من الأزهر ؟ .

الذي يسألنا هذا السؤال نقول له : اسألوا أنفسكم أين أنتم من الأزهر ؟

فإذا قالوا نحن مع الأزهر ، قلنا : يدنا فى يدكم حيث تريدون ، ولن يتأخر عالم يدعى لأى

موقع من المواقع أن يستجيب للدعوة ، لن يتأخر عن أى مكان ، وهنا عندما نقول : الأزهر ؟
نقول : من المسئول عن تمكين هؤلاء من أداء الكلمة،حيث تطلب الكلمة،ونخشى خطرها على مجتمعنا شباباً وكباراً وصغاراً ؟ والله الموفق .

الإمام الأكبر : أريد تعقيباً على كلمة الشيخ إبراهيم لقد كنت بالأمس فى المنصورة،وفى افتتاح (توجيه قوافل الدعوة) من أساتذة كلية أصول الدين بالمنصورة للعمل خلال شهر رمضان فى دائرة المحافظة ، تحدثتُ إلى هؤلاء العلماء بما يجب عليهم ، وبما يجب أن يتناولوه فى أحاديثهم ، مَن يعرف : أين ذهب هؤلاء العلماء ؟ لا يعرف عنهم أحد شيئاً إطلاقاً ، لقد كان يحضر الحفل محافظ الإقليم ، ومدير أمن الإقليم .
لكن أين الوسائل التى تنقلهم إلى أماكنهم ؟
من جهودهم الخاصة أدوا واجبهم ، فلا توجد وسائل لنقلهم ، ويذكر فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى،ووزير الأوقاف أن هناك (قراراً لرئيس مجلس الوزراء) بـ (إنشاء لجان التوعية) على مستوى المحافظات وأن هذه اللجان تضم كافة الجهات الثقافية في المحافظة وبرئاسة المحافظ لتتضامن هذه الجهات وتتعاون على إيصال الكلمة النافعة إلى الناس .
أين عمل هذه اللجان ؟
إنها لا شيء .لا أحد يذكرها،ولا أحد ينميها أو يحركها .
هؤلاء الذين خرجوا بالأمس من كلية أصول الدين ليجوبوا محافظة الدقهلية على نفقتهم ، ومن جيوبهم الخاصة ، حينما طلبوا منى سيارة قلت : لا أجد ما أحملكم عليه ، كما قال الله سبحانه ، قلت لهم : لا أجد ما أحملكم عليه ، عليكم أن تقوموا بواجبكم ، وقاموا بواجبهم ، من يدرى بهم ؟ لا أحد .
هذا هو الأزهـر .
الأستاذ البلك : نعم ، فضيلة الإمام الأكبر وأنا أتكلم مكاشفة .. أنقل ما يقال .
— **الإمام الأكبر** : نعم هذا أمر واجب ، ويجب أن نسمع ، وأن نعمل على أن نتجاوز ما يكون هناك من قصور ، فهذا أمر واجب .
الأستاذ البلك : نعم يقال أيضاً هناك ضعف فى مستوى الواعظ أيضاً.وذلك من المآخذ التى تؤخذ على علماء الأزهر !

الإمام الأكبر : هذا أمر أتحدث إليكم فيه ، كل كائن حى تطرأ عليه عوامل الحياة ... والأزهر مر بمرحلة فى الستينيات كان يدرس فيه غير طلاب الأزهر ، فتحت أبوابه (للمطرودين) من كافة جهات التعليم (الرواسب)، لكن الأزهر الآن غلقت أبوابه على طلابه الذين يبدأون فيه من المرحلة الابتدائية ، ونأمل أن يعود المستوى المنشود . والمستوى قد عاد فعلاً وهو عائد ، ثم ما ضعف العالم ؟ العالم ، الذي يتصدى أو يقوم بإمامة الناس مهما كان ضعفه ، لديه المعلومات والثقافة التى تمكنه من هذه المهمة ، لكن حينما يحتاج الأمر إلى بحوث علمية أو فكرية فالأزهر

بحمد الله ملء بمن يقوم بهذا ، لكن على هؤلاء الذين يريدون .... أن يبحثوا عن هذا المعدن الجيد ، إنه لا يوجد إطلاقاً فئة من الفئات كلها متساوية فى العلم ولا حتى فى الجهل .

الأستاذ البلك : تمام .

الإمام الأكبر : ولابد أن يكون هناك التفاوت ، ففى علماء الأزهر المجيد ، ومن هو أدنى منه ، ومن هو فوقه .... الممتاز فَلِمَ نذكر الخطأ ولا نذكر الصواب ؟ لم نذكر السيئة ولا نذكر الحسنات ؟

هذا ما ينبغى أن يكون واضحاً فيقال للمحسن : أحسنت ، مثلما يقال للمسيء : أسأت .

الأستاذ البلك : اسمح لى فضيلتكم وأصحاب الفضيلة العلماء أيضاً أن أطرح ما يقال : إن عملية إنشاء الكليات التابعة للأزهر التى هى كليات علمية وعملية ، خرجت أنصاف علماء دين ، وأنصاف علماء فى العلم ؛ لأنها لا تمكن الدارس أن يتبحر فى علوم الدين ، وإذا درس شيئاً من علوم الدين شغله ذلك عن تلقى العلوم العلمية .

الإمام الأكبر : ليكن واضحاً لنا جميعاً أن الدراسة العملية أو المعملية كما يطلق عليها ليست جديدة على الأزهر ؛ فالأزهر كان هو الجامع ، والجامعة ، والمدرسة الوحيدة ـ ليس فى مصر ـ بل فى العالم الإسلامي كله . درس الطبَّ وقت أن لم تكن هناك كليات طب ، درس الهندسة ، درس الرياضيات ، درس الفلك ، درس كل ما كان فى عصوره المتعاقبة على مدى أكثر من ألف عام ، درس كل العلوم التى كانت قائمة فى هذه العصور ؛ فإذا جاء وقت وانحسرت عنه هذه الدراسة كدراسة نظامية فقد عادت إليه كدراسة نظامية ، وفى صورة كليات .

لقد أنشىء فى الأزهر منذ سنة ١٩٣٠ كليات للشريعة ولأصول الدين واللغة ، ولم يكن فيه كليات قبل هذا ..... تطور ، هذا تطويره ، ثم بمقتضى القانون ١٠٣ سنة ١٩٦١ أنشئت الكليات العملية أو المعملية ، والمفروض أن يلتحق بها الطلاب الحاصلون على شهادة الثانوية الأزهرية أى أنهم درسوا العلوم العربية والشرعية ، فيما قبل مرحلة الجامعة ، فلديهم أساس كافٍ ، وكانت الدراسة العالية بعد ذلك للتخصص فى علوم أخرى كالطب والهندسة والصيدلة والعلوم وغيرها من الكليات القائمة في جامعة الأزهر الآن ، فإن هذا يوجد لدينا أطباء لهم أساس عربي شرعى ، يستطيع أن يتصدى الطبيب الذي تخرج على هذا النحو لإمامة المسجد ، يستطيع أن يتصدى للفتوى ، يستطيع أن يقوم بكل الأعباء الدينية لغيره كما يقوم بها لنفسه ، وعلى أساس علمى وهذا ما نبتغيه ، لدينا فى بلادنا أماكن نائية قد يكون من الإسراف الذي نتحدث عنه أن نعين إماماً وطبيباً ومهندساً إلخ ، لم لا يجمع الطبيب بين عمل الطب وبين إمامة المسجد ؟ لِمَ لا يجمع المهندس الزراعى بين عمله في الحقل وإمامة المسجد ؟ لِمَ لا يقوم مدرس العلوم بعمله في المدرسة ، أو فى المعهد ، ومعه أيضاً إمامة المسجد أو الدعوة أو الإفتاء للناس ؟

هذا هو الهدف من وجود هذه الكليات ، وهذا النوع من الخريجين .

هذا النوع من الخريجين يحتاجه العالم الإسلامي لأنهم فى حاجة إلى التثقيف الشامل .... إلى أن يكون العالم ليس مجرد عالم بأمور محدودة من أمور الدين فقط ؛ بل يمتد نشاطه إلى الخدمة العامة في البيئة التى يعمل بها ، ليس هذا بدعاً إذاً .

ليس وجود هذه الكليات بدعة فى الأزهر فقد قلت : إن هذه التخصصات التى أدخلت نظامياً فى الدراسة الآن كانت تدرس فى الأزهر قبل ، وإذا راجعنا مكتبة الأزهر سنجد فيها مؤلفات الكثيرين من شيوخه الذين ألفوا فى هذه الأمور :

فى الصيدلة ، وفى الطب ، وفي الهندسة ، وفى الرياضيات ، أقول : وفق المعلومات والعلوم التى كانت فى عصورهم ، ولا تقاس بما طرأ على الناس الآن من علم تقدموا به .

إذاً ليس جديداً ولا بدعة أن يكون فى الأزهر كليات الطب والعلوم والصيدلة وطب الأسنان والزراعة إلى آخر هذه الكليات ، بل هى إضافة نحن في حاجة إليها ، إن لم تظهر الآن فستأتى الحاجة إليها قريباً ، إن خريجى هذه الكليات يُطلَبون من العالم الإسلامى وبكثرة ، ولكننا لا نجد فعلاً الصنف الذي نريد أن نرسله الآن ، لأنه جاءت فترة التحق فيها بهذه الكليات الطلاب غير المؤهلين أصلاً من الأزهر ، وهؤلاء ليسوا هم الذين كان يرجوهم الأزهر من هذا النوع من التعليم .

إذن هذه الكليات إضافة نحن فى حاجة إليها إن لم يكن الآن وفى داخل بلادنا فالعالم الإسلامي فى حاجة إليها .

الأستاذ البلك : فضيلة الإمام الأكبر الحقيقة أن الجلسة شيقة ، والسهرة ممتعة ، ونخشى إن تأخرنا عن ذلك أن نتناول السحور عند فضيلتكم فيكون فى ذلك إسراف [ضحك] نقول لكم فى ختام هذه السهرة : كل عام وأنتم بخير ونشكركم على استضافتكم لنا لقضاء هذه السهرة ونشكر السادة العلماء الأفاضل الذين تفضلتم باستضافتهم. وأترك لفضيلتكم توجيه الشكر لهم على حضورهم هذه الندوة .

ــ شكراً للأخ الأستاذ حلمى البلك على هذه الزيارة الطيبة الرمضانية ، وشكراً للإخوة الأساتذة الشيخ إبراهيم الدسوقى وزير الأوقاف الأسبق ، والأستاذ الدكتور رءوف شلبي وكيل الأزهر ، والأستاذ الدكتور عبد الفتاح بركة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، والدكتور على الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر ، وأشكرهم على هذا الوقت الطيب الذى قضيناه في هذا الحوار الذى أعتقد أنه سيكون مفيداً ونافعاً للناس إن شاء الله وشكراً لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ــ وعليكم السلام وكل عام وأنتم بخير .

د. على أحمد الخطيب

بيان من الأزهر الشريف في شأن المخدرات

لقد خلق الله الإنسان ، وأنعم عليه بنعمة التكريم والتشريف ، وأنزل فى شأنه قرآنا يتلى .. حيث قال رب العالمين جل جلاله : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ .

ويرجع هذا التكريم وذلك التفضيل إلى أعظم نعم الله على الإنسان .. ألا وهى العقل إذ العقل بالنسبة للإنسان هو سر تشريفه ومناط تكليفه .. ومن هنا كان المحرومون من نعمة العقل فى حل من التكليف .. ولا يؤاخذون على ما يقولون أو يفعلون ، لأن القلم مرفوع عنهم : لا يسجل لهم حسنات ، ولا يقيد عليهم هفوات .. ذلك مفهوم قول رسول الله ﷺ : « رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ وعن المبتلى حتى يبرأ ، وعن الصبى حتى يكبر »[1] .

وإن من أكبر الذنب أن يتنكر الإنسان لنعمة العقل فيه ، فيعطلها عن أداء رسالتها أو يعرضها للتلف أو الضياع .

ومن هنا حرم الإسلام الخمر وكل ما هو مسكر ، وجاء فى الذكر الحكيم قول رب العالمين سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[2] .

كما جاء فى الهدى النبوى الشريف ما رواه الشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى أن رسول الله ﷺ قال : (كل مسكر خمر وكل مسكر حرام) .

كما أخرج الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ قال : (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن) .

وجاء فى سنن أبى داود أن النبى ـ ﷺ ـ قال : (لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه) .. وزاد ابن ماجه فى روايته « وآكل ثمنها » .

وما يجرى على الخمر من التحريم يجرى على كل ما يفتر من حشيش وأفيون ، وما جد

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائى والحاكم عن عائشة .. كما روى بألفاظ مختلفة وروايات متعددة .
انظر للعلامة المناوى ـ فيض القدير ، وفيه : (عن ثلاثة) .. كذا .
وانظر الجامع الصغير . الحديث رقم ٤٤٦٢ .

(٢) المائدة ٩٠ ، ٩١ .

على المجتمعات من مشمومات ، لأن الهدى النبوى الشريف جمع ذلك كله تحت لواء نهى واحد . حيث روى الإمام أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه بسند صحيح عن أم سلمة ـ رضى الله تبارك وتعالى عنها ـ قالت : (نهى رسول الله ﷺ ـ عن كل مسكر ومفتر) .

ومن هنا كانت المحافظة على العقل واحدة من الضرورات الخمس التى حث الإسلام على المحافظة عليها وصيانتها ، بل وتنميتها ، فالعقل تنميته العلم والتعلم ، والتفكر والتدبر ، فيما تعمر به الحياة

وجعل الإسلام العقل منارا ونورا للإنسان ، كما جعل إتلافه خطيئة وكبيرة من الكبائر وحرم تعاطى أى شيء يؤدى إلى إتلاف العقل أو فتوره ، لأن الإقدام على هذا بمثابة الانتحار الذى نهى الله عنه فى قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾(٣) .

والمخدرات والمشمومات المخلقة والطبيعية كلها من المحرمات ، لأنها تقضى على عقل الإنسان ، بل وعلى صحته بوجه عام ، بل وعلى مقومات إنسانيته ، وتجعله ذليلا فى المجتمع ، بغيضا عند الله والناس ، لأنه قد تنكر لدينه ودنياه ، وفرط فى عقله الذى هو نوره فى هذه الحياة ..

فإلى هؤلاء الذين وقعوا تحت تأثير هذا الشر المستطير ، وإلى من تسول له نفسه أن يسلك دربهم يبين الأزهر الشريف حكم هذه المخدرات والمشمومات ، وأنها من المحرمات التى يجب على المسلم بل على كل إنسان اجتناب التعامل معها بأى صورة من صور التعامل : زراعة ، أو صناعة ، أو تجارة ، أو استعمالا ، أو تهريبا فإن كل من تعامل معها على أى صفة يعتبر قد ارتكب كبيرة من الكبائر التى حرمها الإسلام وأوجب على أولى الأمر إنزال العقاب الرادع فى الدنيا على المتعاملين معها ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم إذا لم يبرأوا منها ولم يتوبوا عنها .

ويدعو الأزهر الشريف كل الناس ، أن يقدروا خطر المخدرات والمشمومات والمسكرات وأن يباعدوا بينها وبين ذات أنفسهم وذويهم ، وأن يبلغوا المسئولين عن كل من يتعامل معها حتى تبرأ ذمتهم وحتى يقوم هؤلاء بواجبهم نحو حماية المجتمع من هذا الخطر الموجه إلى الأمة فى مجموعها ، وفى اقتصادها ، وفى مستقبلها .

هذا : ولقد أصبحنا نرى بأعيننا الضياع الذى يلحق بالمدمنين .. والدمار الذى يحل بأسرهم ، الأمر الذى يقتضينا أن نزن مواقفنا ، وأن نعيد حساباتنا ، وأن نعود إلى ديننا مستجيبين لأمره ، ومجتنبين لكل ما نهى عنه ، ولنتذكر قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾(٤) . . صدق الله العظيم .

شيخ الأزهر
(جاد الحق على جاد الحق)

---

(٣) النساء ٢٩ .
(٤) الأنفال ٢٤

الحج والعمرة

دعوة الله المتجددة للإنسانية

الحج أحد أركان الإسلام ، وعمده ، ومبانيه : عبادة العمر ، وختام الأمر ، وتمام الإسلام ، وكمال الدين فيه أنزل الله عزوجل :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[1] .

فاعظم بعبادة بادائها يتم الكمال ، ويساوى تاركها ـ تهاونا ـ اهل الغى والضلال لحديث على رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت إن شاء يهوديا ، وإن شاء نصرانيا »[2] ولأن الله تعالى يقول :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٩٧ ـ آل عمران)

والحج لغة : القصـــد .

واصطلاحا : قصد التوجه إلى بيت الله الحرام بالأعمال المشروعة فرضاً وسنة .

مكانته فى القرآن والسنة : للحج مكانة عظيمة فى القرآن الكريم فقد ورد ذكره فى اكثر من موضع منها : أمر الله لإبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ :

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ (الحج : ٢٧ ، ٢٨) .

أماالسنة فقد عنيت بهذا الركن والحث على ادائه ، روى البخارى ومسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وان محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا »[3] .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : اى العمل أفضل ؟ قال : « إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور »[4] .

(١) سورة المائدة : الآية ٣ .

(٢) رواه الترمذى .

(٣) متفق عليه .

(٤) متفق عليه ، والحج المبرور : الذي لا يخالطه إثم .

للدكتور محمود محمد رسلان

ونلاحظ أيضاً مكانة الحج وأهميته من قوله سبحانه : ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾[5] وفى هذا اليوم قال ابن عمر رضى الله عنهما :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وقف يوم النحر فى حجة الوداع فقال :

« أى يوم هذا ؟ » فقالوا : يوم النحر ، فقال : « هذا يوم الحج الأكبر » أخرجه أبو داود وخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

بعثنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه فيمن يؤذن يوم النحر بمنى : لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان .

إذن يوم الحج الأكبر هو : يوم النحر ، قال ابن أبى أوفى : يوم النحر يوم الحج الأكبر : يهراق فيه الدم ، ويوضع فيه الشعر ، ويلقى فيه التفث ، وتحل فيه الحرم ، وهذا مذهب الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ لأن يوم النحر فيه الحج كله ، لأن الوقوف إنما هو فى ليلته ، والرمى ، والنحر ، والحلق ، والطواف فى صبيحته .

وقال ابن سيرين : يوم الحج الأكبر العام الذى حج فيه النبى صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وحجت معه فيه الأمم[6] .

فوائد الحج :

يعد الحج إحدى الوسائل التى تتحقق فيها الفوائد الروحية ، والأدبية ، والاجتماعية والاقتصادية ، نفهم هذا من قول الله تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ. لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ (الحج : ٢٧ ، ٢٨) .

الدين والدنيا يلتقيان فى الحج :

تأمل قوله تعالى : ﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ . . . ﴾ دينية ، ودنيوية معا ، فالدين والدنيا فى نظر القرآن مترابطان ترابط الروح بالجسد ، فإن كان الدين يمد الروح بالإيمان الصحيح والآداب ، فإن أمور الدنيا تمده بأسباب البقاء ودواعى الارتقاء . فلو أردنا أن نستقصى مايمكن أن يثمره الحج للمسلمين كافة من وجوه المنافع الأدبية والمادية لضاق بنا المجال[7] .

←

(*) الكاتب عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين ـ المنصورة ـ الأزهر .

(٥) سورة التوبة : الآية ٣ .

(٦) راجع تفسير القرطبى عند شرحه لهذه الآية الكريمة الثالثة من سورة التوبة ، وكذلك تفسير ابن كثير .

(٧) عفيف طبارة : روح الدين الإسلامى ص ٢٦٠ .

الحج دعوة الله

« وإذا كان الإسلام دينا يدعو الناس كافة إلى عبادة رب العالمين ، فالحج هو الفريضة التى تتمثل فيها هذه الأخوة الإنسانية على تباعد الديار ، واختلاف الشعوب والأجناس وهو فى اصطلاح العرف الشائع بين الناس بمثابة صلة الرحم ، وتبادل الزيارة بين أبناء الأسرة الواحدة يجمعها الملتقى فى المكان الذى صدرت منه الدعوة إليها ، وهو أجدر مكان فى بقاع الأرض أن يتم فيه هذا اللقاء »[8]

وفى الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة : ١٤٩ ، ١٥٠) .

ومن ثم فقد شاءت حكمة الله « أن يوجه الأمة جمعاء إلى قبلة واحدة ترتبط فيها مساجد القارات الخمس بأول مسجد ظهر على الأرض !! وترتبط فيها الأمة الإسلامية بأبيها الأول إبراهيم ـ عليه السلام ـ لتعلن أنها بهذا الارتباط لا تشذ عن قواعد النبوات القديمة . وإنما الذى شذ هو الذى أشرك ، وأفسد من المغضوب عليهم والضالين »[9] .

فمن أجل هذه « الصلات التاريخية والروحية أوجب الله على الأمة الإسلامية أن ينبعث منها كل مستطيع كى يزور المسجد الحرام مرة واحدة فى عمره .. وفى حجة الوداع كان الخطاب الإنسانى الذى ألقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الوفود الكثيفة التى اجتمعت معه ، وهو خطاب لم تع مسامع الوجود أرقى من مبادئه ، ولا أشرف من مقاصده .. وهو السجل الصادق لحقوق الإنسان وحريات الأمم .. وينبغى أن يبقى الحج ملتقى المسلمين الأكبر ، ومثابتهم العظمى ، وأن يبقى زمانه ومكانه الموعد المضروب لاجتماع الموحدين القادمين من المشارق والمغارب يذكرون الله ، ويرجمون الشيطان »[10] .

ويظل الحج دعوة الله المتجددة لكل بنى الإنسان .

من أسرار الحج :

من أهم أسرار الحج : الفهم أى فهم موقع الحج من الدين ، ثم الشوق إليه ، ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ، ثم شراء ثوب الإحرام ، ثم شراء الزاد ، ثم اكتراء الراحلة ، ثم الخروج ثم المسير ، ثم الإحرام من الميقات بالتلبية ، ثم دخول مكة ، فإذا تمت هذه الأفعال على الوجه الشرعى انكشف لكل حاج من أسرار الحج مايقتضيه صفاء قلبه ، وطهارة باطنه ، وغزارة فهمه ، واستقامة جوارحه .

وجلاء هذه الأمور كما قال الإمام الغزالى أن :

الفهم : لا يتأتى إلا بالتنزه عن

---

(٨) العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ١١٢ .

(٩) محمد الغزالى : هذا ... ديننا ص ١٣٥ .

(١٠) هذا ... ديننا ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

الشهوات ، والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها ، ولأجل هذا انفرد الرهبانيون فى الملل السالفة عن الخلق ، وانحازوا إلى قُلل الجبال ... ، والزموا أنفسهم بالمجاهدات الشاقة طمعاً فى الآخرة فأثنى الله عليهم فى قوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ فلما اندرس هذا الصنف من الخلق أرسل الله محمداً (صلى الله عليه وسلم) لإحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين ، فجعل الحق سبحانه : الحج جهاداً ورهبانية لهم ، فشرف البيت العتيق بإضافته إلى الله تعالى .. يقصده الزوار من كل فج عميق .. شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ... ولما كانت حكمة الله تقتضى ربط نجاة الخلق ، جعل أعمالهم على خلاف هوى طباعهم ، وأن يكون زمامهم بيد الشرع فتكون أعمالهم على سنن الانقياد .. فإن الله سخر ما فى الكون للإنسان وجعل الله الإنسان لعبادته ، ومن ثم أمره بمجموعة من العبادات تزكية لنفسه .

الشوق : يأتى بعد الفهم بأن البيت بيت الله عز وجل .. فقاصده قاصد الله عز وجل وزائر له فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يُشَوِّقه أسباب اللقاء لا محالة .

العزم : على أنه قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ، ومهاجرة الشهوات واللذات متوجهاً إلى زيارة بيت الله عز وجل .. فليصحح مع نفسه العزم .. والإخلاص .

قطع العلائق :

أى رد المظالم إلى أصحابها ، والتوبة النصوح ، فكل مظلمة تتعلق بتلابيبه تناديه قائلة : إلى أين تتجه ؟ أتقصد بيت ملك الملوك ، وأنت مضيع أمره فى منزلك هذا ؟ إن قبول زيارتك مرتبط برد المظالم ، والتوبة من جميع المعاصى .

الزاد :

يجب أن يكون من حلال فلا يحرص على استكثاره ويظن أن طول السفر يؤدى إلى الإقلال منه وعليه أن يتذكر زاده إلى الآخرة ، وأن الذي يحرص عليه زاد التقوى لقوله سبحانه :

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ (البقرة : ١٩٧) .

الراحلة :

ينبغى أن تكون من حلال ، فإذا استوى عليها وجب شكر الله .. حيث سخرها له لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه المشقة ، وليتذكر المركب الذى يركبه إلى دار الآخرة ، وهو ركوب غير مشكوك فيه .

ثوبى الإحرام :

وهما : الإزار والرداء ، يفيدان معنى التجرد ، وفيهما تذكر لما سَيُلف فيه بعد الموت ، فنحن إذاً أمام هيئتين مختلفتين : هيئة الحاج بملابسه وهى مغايرة لملابس الحياة العادية ، وهيئة الإنسان بعد مفارقة هذه الحياة بزيه المختلف كلية .

الخروج من البلد :

هجرة الأهل والوطن ومفارقتهما أمر ثقيل على النفس ، فإذا توجه إلى الله فليكن حاضر القلب ؛ لأنه متوجه إلى ملك الملوك فى زمرة الزائرين له .. فليكن راجيا القبول والرضا منه لقوله سبحانه :

﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (النساء : ١٠٠) .

الحج دعوة الله

ميقات الإحرام والتلبية :

فيهما تذكر بنداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور ، وازدحامهم فى عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه ، ومنقسمين إلى : مقربين وممقوتين ، مقبولين ، ومردودين ، مترددين فى أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج فى الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا ؟

دخول مكة :

عندها يكون قد انتهى عند الحرم الآمن ، فإذا وقع نظره على البيت استحضر عظمته فى قلبه ، راجيا أن يرزقه الله النظر إلى وجهه الكريم كما رزقه النظر إلى بيته العظيم ..

الطواف بالبيت :

صلاة فيلزم استحضار القلب بالتعظيم ، والخوف والرجاء والمحبة .. وأشرف الطواف طواف القلب بحضرة الربوبية ، وكما أن الملائكة يطوفون حول البيت المعمور فى السماء كذلك الإنس يطوفون حول بيت الله فى الأرض ، إنها إشارة إلى طاعة من فى السماوات ومن فى الأرض لله الواحد القهار .

الاستلام :

أى استلام الحجر الأسود ، فإذا وصلت إليه فاعلم أنك ممن يجدد بيعته مع الله عز وجل على طاعته ، فلتكن عزيمتك مصرة على الوفاء ببيعتك .

السعى بين الصفا والمروة :

فيه إشارة لمن يتردد فى دار الملك جائيا وذاهبا غاديا ورائحا مرة بعد أخرى .. وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتى الميزان فى عرصات القيامة ، وليمثل الصفا بكفة الميزان ، والمروة بكفة السيئات ، معلقا الفؤاد بين العذاب والغفران .

الوقوف بعرفة :

ركن الحج الأكبر ، هنا يتم الحج ، وعلى المسلم أن يتذكر فى هذا الزحام ، واختلاط الأصوات ، واختلاط الأجناس واللغات ، واتباع الفرق والأئمة بالوقفة العامة للبشرية فى عرصات القيامة ، واجتماع الأمم مع أنبيائهم ، واقتفاء كل أمة نبيها .. فإذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة ، والابتهال إلى الله عز وجل فتحشر فى زمرة الفائزين المرحومين .. فمن أعظم الذنوب أن يحضر الإنسان عرفات ويظن أن الله تعالى لم يغفر له .

رمى الجمار :

مظهر من مظاهر الانقياد والطاعة والعبودية لله رب العالمين ، وتشبها بأبى الأنبياء إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والتسليم ، قد يخطر لك خاطر هو أن الشيطان عرض له ، ولم يعرض لك ، إذا أحسست بهذا الشعور فاعلم أنه الشيطان ، فهو يريد أن تفتر همتك بأن ما تقوم به لا فائدة فيه ، فإذا أردت طرده فعليك بتنفيذ شعيرة الرمى[11] .

(١١) راجع للإمام الغزالى : إحياء علوم الدين جـ١ ص ٤٩١ بتصرف واختصار .

واما العمرة لغة : فهى الزيارة .
واصطلاحها : زيارة مخصوصة لأفعال مخصوصة .

مكانتها : تظهر مكانة العمرة وأهميتها فى القرآن والسنة أما القرآن فقوله سبحانه :
﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ (البقرة : ١٩٦) .

اما فى السنة فقوله صلى الله عليه وسلم للسيدة أم هانى رضى الله عنها :
« عُمـرة فى رمضـان تعـدل حجـة معى » (١٢) .

ولقد اعتمر صلى الله عليه وسلم أربع عمر : وهذه هى :
عمرة الحديبية وكانت فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة .
عمرة القضاء وكانت فى ذى القعدة سنة سبع من الهجرة .
عمرة الجعرانة وكانت فى ذى القعدة سنة ثمان من الهجرة .
وعمرته (صلى الله عليه وسلم) مع حجته التى أحرم بهما فى ذى القعدة سنة عشر من الهجرة . (١٣) .

زيارة المدينة :

على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم ، والمقصود زيارته صلى الله عليه وسلم ، فمن فاتته رؤيته فى الدنيا ، فلايبخل أن يزوره فى مقامه صلى الله عليه وسلم .

ومن أدب الزيارة : الخشوع ، وعدم رفع الصوت فى مسجده والسلام عليه ، وليعلم أن الصلاة والتسليم يصلان إليه صلى الله عليه وسلم فى أى مكان يقالأن ويتلفظ بهما لقوله صلى الله عليه وسلم :

« إن الله تعالى وَكَّل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته » (١٤) .

وحديث : « من صلى علىّ مرة واحدة صلى الله عليه عشراً » (١٥) .

وبعد : فهذا الركن دعوة ، وتربية عملية ، فإن منهج الإسلام فى التربية أنه لا يكتفى أن يقول للمسلم كن صالحا بل يقول له هذا ، ويضع له مناهج عملية يتدرب عليها ويسلكها فيكون صالحا حقيقة لا ادعاء .

والحج من هذه المناهج العملية ، إذ فيه إظهار لعبودية المسلم لله بصورة عملية ، وبشكل معين ، واضح يجتث جذور الطغيان وجراثيمه من نفس المسلم ، فإن فى الإنسان نزوعا إلى الطغيان (١٦) .. قال سبحانه :

---

(١٢) راجع تفسير ابن كثير جـ١ ص ٣٨٥ ط الحلبى .
(١٣) المصدر نفسه .
(١٤) اخرجه النسائى وابن حبان والحاكم من حديث ابن مسعود بلفظ إن لله ملائكة سياحين فى الارض يبلغونى عن امتى الإسلام راجع الإحياء جـ١ ص ٤٩١ هامش ١ .
(١٥) اخرجه الإمام مسلم من حديث أبى هريرة ، وعبد الله ابن عمرو .
(١٦) راجع لعبد الكريم زيدان : أصول الدعوة ص ٤١ .

الحج دعوة الله

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ . أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ (العلق : ٦ ، ٧) .

إن هذا الركن بالإضافة إلى أركان الإسلام الأخرى التى بينتها السنة الشريفة له تأثير واضح فى إصلاح الفرد والمجتمع ، فيظهر سلوك الفرد الذى زكى نفسه ، وزادت مراقبته لله سبحانه ، كما يظهر سلوك المجتمع بتقرب أفراده إلى الله ، وتمسكهم برسوله صلى الله عليه وسلم ، فيكثر الخير ويقل الشر ، وعندما تتسع دائرة هذه العبادات فتنتقل من مجتمع إلى مجتمع حتى تشمل العالم كله ، يبرز هدف دعوة الإسلام فى عمومها الشامل ، وشمولها العام .

ومن ثم يظل الحج والعمرة دعوة الله المتجددة إلى البشرية فى شتى بقاع الأرض ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

د . محمود محمد رسلان

تصويب ما طبع خطأ
من مقال « كريمة المروزية »
فى العدد الماضى ص ١٤٥١

والدها : هو أحمد بن محمد بن أبى حاتم الذى تغفل المصادر أمره مكتفية بذكر اسمه فقط مما يدلل على انه لم يكن له دور يذكر فى ميدان العلم ، ولكنه فيما يبدو عكف على تربية ابنته تربية حسنة مستغلاً ما لمحه فيها من ذكاء وألمعية فى مخايلها ليدفع بها نحو التحصيل والدرس ، موفراً لها كافة الظروف الملائمة مقدماً لها كل عون مطلوب ، ويساعده ارتفاع المستوى الثقافى والفكرى لقرية (كشميهن) التى ينسب إليها جمع من الفضلاء منهم :

الحافظ أبو الهيثم محمد بن مكى بن زارع الكشميهنى الذى كان أول أساتذتها والذى ادركته صغيرة فى السن فتلقت عنه مباشرة ، ودرست صحيح البخارى عليه دراسة متقنة حتى ان جل المصادر تجعله همزة الوصل بينهما . فنجد الذهبى يقول « روت الصحيح عن الكشميهنى » ويقول ابن خطيب الدهشة (سَمِعَتْ جامع البخارى عن الكشميهنى) ، ويقول ابن كثير : (سمعت صحيح البخارى عن الكشميهنى) ويقول ابن الجوزى (سمعت أبا الهيثم وغيره) وإلى ذلك يشير كثير من العلماء[1] كالعاملية وكحالة .

وكانت كريمة فى حوالى الرابعة والعشرين من عمرها عند موت أبى الهيثم ولانعرف على التأكيد إذا كان لقاؤها به قد تم فى (كشميهن) موطنها الأصلى ، او فى مدينة مرو الشاهجان التى هاجرت أسرتها إليها فيما بعد حسبما تذكر المصادر العديدة .

فرحة العيد وسنة الأضحية

للأستاذ
محمد صابر البرديسى

عن البراء (رضى الله عنه) قال: قال النبىّ (صلى الله عليه وسلم) «إنَّ أوَّلَ ما نَبْدَأُ بِهِ فى يَوْمِنا هَذا نُصَلِّى ثُمَّ نَرْجِعُ فَنَنْحَر، مَنْ فَعَلَهُ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنا، وَمَنْ ذَبَحَ قَبْلُ، فإنَّما هُوَ لَحمٌ قدَّمَهُ لأهْلِه، لَيْسَ مِنَ النُّسُكِ فى شَىْءٍ». رواه البخارى.

أولاً: اللغة:

١ ـ من ذبح قبلُ: أى قبل الصلاة.
٢ ـ ليس من النُّسُك: أي العبادة.

ثانياً: ما يشتمل عليه الحديث:

١ ـ عيد الأضحى عيد أكبر.
٢ ـ أول ما يبدأ به فى يوم العيد.
٣ ـ جعل الله شكره فى هذا اليوم بتقديم الضحايا.
٤ ـ المقصود من النحر.

١ ـ عيد الأضحى عيد أكبر:

جاء الإسلام بموازينه السمحة العادلة ليجعل الأعياد ترويحاً للنفوس، ومرحاً عفاً للقلوب وانتصاراً روحياً كريماً، واتصالاً بالله تبارك وتعالى. والأعياد مظهر من مظاهر شخصية الأمة، وإعلان لما يسرها.

وللأعياد فى الإسلام تقديرها وعظمتها فى نفوس المسلمين لأنها تدل على وحدتهم وتعاطفهم وتراحمهم.

←

● الكاتب: مدير مكتب امين مجمع البحوث سابقاً.

فرحة العيد

فى العيد ، يفتح الله أبواب رحمته ، ويشمل عباده بالرضى ويمن عليهم بالقبول ، ويجمعهم على محبته ، ويغدق عليهم من جلائل نعمه .

وعيد الأضحى عيد أكبر تتجلى عظمته الكبرى يوم الحج الأكبر حيث يجتمع المسلمون فيه من جميع بقاع العالم فى أشرف بقعة فى الأرض ، فى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ، التى أوجبها الله على كل مسلم قادر .

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ سورة آل عمران آية ٩٧

٢ - اول ما يبدأ به فى يوم العيد :

وأول ما يطالعك فى صباح يوم العيد ، ذلك النشيد الإسلامى من التكبير والتهليل الذى يدوى فى الطرقات ويملأ الأجواء . يردده المسلمون أفراداً وجماعات حين خروجهم إلى الصلاة ، وفى المساجد وعقب صلواتهم المكتوبة ، معلنين تكبير الله وحمده وفرحتهم بهذه الصلة « الله أكبر ولله الحمد » ، فيتجلى الله عليهم ، وتحفهم الملائكة ، ويسمع الله نشيدهم فى ذلك اليوم العظيم .

لهذا شرع الجهر بالتكبير فى ليلة العيد وعند الخروج إليه ، إشهاراً لشرفه ، وإكباراً لأمره . ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ سورة البقرة آية ١٨٥ وقال تعالى ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾[1] سورة البقرة ٢٠٣ .

يروى أصحاب السنن عن أنس (رضى الله عنه) قال :

« قدم النبى (صلى الله عليه وسلم) المدينة ، ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية ، فقال : قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما ، يوم الأضحى ويوم الفطر .

وعن عائشة (رضى الله عنها) قالت : « دخل علىَّ النبى ﷺ فى يوم عيد ، وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث فلم يقل شيئاً ، ولكنه اضطجع على الفراش ، وحول وجهه ، ثم دخل أبو بكر فانتهرنى ، وقال : مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ ؟ فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال : « دعهما » وفى رواية : « ياأبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا » رواه مسلم .

وعن عروة بن الزبير قال : قالت عائشة : « والله لقد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقوم على باب حجرتى ، والحبشة يلعبون بحرابهم فى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يسترنى بردائه لكى أنظر إلى لعبهم ، ثم يقوم من أجلى حتى أكون أنا التى أنصرف ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن ، الحريصة على اللهو » رواه مسلم .

(١) هى أيام التشريق ، قاله ابن عباس ورواه البخارى .

٣ ـ جعل الله شكره في هذا اليوم بتقديم الضحايا :

وقد جعل الله شكره في هذا اليوم الأغر بتقديم الضحايا قربانا لله بعد صلاة العيد . قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ .إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ سورة الكوثر .

وهذه الضحايا التي يتقدم بها المسلمون إلى الله سبحانه وتعالى ، ثوابها لهم ، وهو ثواب عظيم : قال تعالى : ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ ﴾ سورة الحج ٣٧ .

والأضحية : اسم لكل ما ينحر ويذبح من الإبل أو البقر أو الغنم يوم النحر ، وأيام التشاريق الثلاثة .

وهذه الأضاحي إنما هي تذكير بموقف خالد من مواقف النبوة ، موقف إبراهيم عليه السلام وقد أوحى الله إليه في المنام أن يذبح ابنه .

بعث الله خليل الرحمن إبراهيم « عليه السلام » والأمم من حوله غارقة في الوثنية عاكفة على عبادة الأصنام متخذة منها آلهة وأرباباً .

وكان مظهر إخلاصهم في عبادة هذه الآلهة ينحصر في تقديم القرابين إليها ، ونحر الضحايا من بني البشر بين يديها ، وكانت هذه الضحايا تختار غالباً من أعز الأبناء ، وأجمل الفتيان والفتيات ، لعل تلك الآلهة ترضى .

وباسم تلك الآلهة وهذه الأصنام التي لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً ، كانت تزهق أرواح المئات من البشر ، والعديد من بني الإنسان ، فكانت الغاية الأولى التي أرادها الله في رسالة أبي الأنبياء ، هي : تحرير بني الإنسان من عبودية الإذعان للأصنام ، ثم تحرير رقابهم من شرائع الوثنية التي جعلت المدى الحادة تهوي عليهم في غير شفقة ولا رحمة ، فكان أن دعا إلى تحطيم الأصنام ، ثم كان أن شرع للناس شريعة الفداء بياناً منه سبحانه بما يتقبله ـ عز وجل ـ وما يرفضه ، فما شرع الله ـ تعالى ـ للبشرية أبداً تقديم أبنائها قربانا لله ، وإنما هي تشريعات أحدثها البشر واكتسبتها الكهنة ، وفي كتاب الله العزيز .

﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ الأنعام ١٣٧ .

ومضت تلك السنة إلى يوم الدين ، وأداها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن نفسه وأهل بيته ، وعمن لم يضح من أمته .

روى الترمذي وأبو داود ، وأحمد والبزاز ـ أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ اتى بكبشين أملحين ، وقال في ذبح أحدهما : [هذا عن محمد وأهل بيته ، وفي ذبح الآخر : هذا عمن لم يضحِّ من أمتي] .

فلا تحزن أيها الفقير ، فقد ضحى عنك سيد المرسلين .

فرحة العيد

والمقصود من النحر هو التقرب إلى الله بإراقة الدماء ، والله سبحانه يتعبد عباده بما يشاء ... بما يدركون حكمته ، وبما لا يدركون ، والاستعاضة عن الذبح بالنقود لا يجوز ، لأن المقصود في هذه العبادات إراقة الدماء وليس النفع المادى فحسب ، قال تعالى : ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ ﴾ سورة الحج ٣٧ .

والأضحية سنة مؤكدة ووقتها بعد صلاة العيد وبعد ذبح الإمام ـ أو التقدير لذبحه ، جاء في الحديث « أول ما نبدأ به في يومنا هذا نصلى ثم نرجع فننحر . من فعله . فقد أصاب سنتنا . ومن ذبح قبل ، فإنما هو لحم قدمه لأهله ، ليس من النسك في شيء » . وأيام النحر هي الأيام المعلومات ، يوم النحر وثلاثة أيام بعده .

روى ذلك عن على وابن عباس (البخارى) جـ ١٧ صـ ٢٦٩ ش العينى . ويشترط في الأضحية أن تكون كاملة الأعضاء ، ممتلئة الجسم سليمة من العيوب والأدواء . وإنما تجزى الأضحية من الضأن إذا ما أوفت سنة ، ومن المعز ما دخل في الثانية ، ومن الإبل ما استكمل خمسا ومن البقر ما أوفى سنتين .

● وتجزى عن سبع كل من البدنة والبقرة .

روى ابن ماجه بسنده إلى عكرمة عن ابن عباس قال : كنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سفر ؛ فحضر الأضحى فاشتركنا في الجزور عن عشرة والبقرة عن سبعة[٢] .

ويستحب أن يجمع بين الأكل منها والصدقة ، وإطعام الأصدقاء من غير تحديد .

ويستحب للمضحى الا يأكل يوم عيد الأضحى حتى يفطر على كبد أضحيته .

والأضحية تسن على الحر غير الحاج وعلى المستطيع ، وهى أفضل من الصدقة لأنها سنة وشعيرة من شعائر الإسلام .

وعلى المسلمين أن يشعروا الناس بفرحة العيد ، وأن يعطفوا على ذوى الرحم والأقارب والفقراء ، وأن يتزاوروا وأن يتحدوا ، وأن يحيوا عيدهم بالأخوة الإسلامية ، فإن الله يجزى عن ذلك أحسن الجزاء .

إن شريعة الإسلام هى السبيل إلى كل خير ، وطريق السعادة ، ولا تصلح الحياة إلا بشرع الله ، والله الموفق .

محمد صابر البرديسي

---

(٢) ابن ماجه ٢/١٤٢ .

أوائل الشهور العربية

إعداد .. المهندس
حمدى وهبة شعراوى

قال تعالى :
﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ . (سورة يونس الآية ٥)
من دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى وكمال رحمته بالعباد أن جعل الشمس مضيئة ساطعة بالنهار ، وجعل القمر منيراً بالليل ، وسيره فى منازل لنعلم حساب الزمن . فبالشمس نعرف الأيام وبالقمر نعرف الشهور والأعوام . وفى هذه الآية الكريمة إشارة من الله سبحانه وتعالى أن نتعلم حساب السنين ودراسة حركة الشمس والقمر .

ومن الأمور الهامة لكل مسلم تعيين أوائل الشهور العربية ، فإن ذلك يرتبط بالعبادة وخاصة أوائل شهور : رمضان وشوال وذى القعدة وبداية العام الهجرى .

ومما يأسف له كل مسلم غيور أن تختلف الحكومات الإسلامية فى تحديد أوائل الشهور العربية ، ويصبح المسلمون فى حيرة من أمرهم بل وقد نجد من بعض الشباب من يطالب بالاقتداء بدولة إسلامية أخرى .

لذلك كان التفكير فى كتابة هذه السطور لتوضيح بعض الأمور العلمية التى قد تخفى عن بعض غير المتخصصين فى علوم الفلك والحساب ، وبيان مدى ارتباط ذلك بالعلوم الشرعية راجين بذلك وجه الله الكريم ثم ابتغاء الفائدة المنشودة من نشر الوعى الفلكى الشرعى ولتوحيد كلمة المسلمين .

قال تعالى :
﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ (سورة البقرة آية ١٨٩)

من أهم الأمور أن تعرف الأوقات الشرعية معرفة يقينية مؤكدة لكى تؤدى العبادات فى

←

* الكاتب : مدير عام المساحة بهيئة المساحة .

أوائل الشهور العربية

مواعيدها المحددة فلا نقدم يوماً أو نؤخر يوماً .

فمن الأحكام الفقهية أنه من لم يقف يوم عرفة لم يحج ، وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« لا تقدموا صوم رمضان بيوم ولا يومين إلا ان يكون صوم يصومه رجل ، فليصم ذلك اليوم » رواه الجماعة .

● كما أجمعت الأمة على تحريم صوم أول شوال وقال عليه الصلاة والسلام : « أما يوم الفطر ففطركم من صومكم » رواه أحمد والأربعة .

● وبمثل ما حرمت زيادة أيام الصوم ، سواء من بداية رمضان أو فى نهايته ، فقد حرم أيضاً إنقاص أيام الصوم . فقال رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام .

« من افطر يوماً من رمضان فى غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر كله وإن صامه » رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى .

لذلك كان لابد من دراسة الأهلة : شروقها وغروبها ، وكان لابد من تحديد دقيق لأوائل الشهور العربية عن يقين لا يشوبه أى شك . وإن كان الشرع يأمرنا بإثبات أول الشهر بقبول شهادة رجل واحد عدل ، أو اثنين عند بعض الفقهاء . إلا أن العقل يأمرنا أيضاً أن نناقش الشاهد ونتأكد إن كانت رؤيته صحيحة ويقينية .

قال تعالى :

﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ (سورة يس آية ٣٩)

يبدو القمر متحركاً يسير فى السماء من الشرق إلى الغرب ويتأخر فى إشراقه كل يوم حوالى ٥٠,٥ دقيقة عن اليوم السابق . ويدور القمر دورة كاملة حول الأرض فى مدى شهر ، يأخذ فيها القمر المنازل المختلفة الآتية :

١ ـ **المحاق** : وهو لحظة اجتماع الشمس والقمر ، وفيها تتساوى زاويتا الطول السماوى للقمر والشمس « أى بعدهما عن نقطة الاعتدال الربيعى » وتكون الشمس والقمر والأرض على استقامة واحدة . وعند هذه اللحظة يكون وجه القمر المظلم مواجهاً للأرض وتسمى هذه اللحظة **بميلاد القمر** .

٢ ـ **هلال الشهر** : ويكون هلالا لحظة ما بعد المحاق مباشرة أى بعد مولد القمر ، وذلك عندما يخرج القمر عن الخط الواصل بين الأرض والشمس ، ويظهر القمر كقوس من نور رفيع وتقدر أقل مدة ما بين مولد القمر وظهور الهلال بحوالى خمس دقائق ثم تتزايد بعد ذلك مع مرور الوقت زاوية قوس النور .

٣ ـ **التربيع الأول** : وهو لحظة أن يكون نصف وجه القمر مضيئاً وتحدث فى اليوم السابع من الشهر العربى تقريباً ويكون الفرق بين زاويتى الطول السماوى للقمر والشمس ٩٠ درجة .

٤ ـ **الأحدب** : ويحدث بعد التربيع الأول حيث يتزايد شكل القمر عن نصف دائرة .

٥ ـ **البدر** : وهو لحظة أن يكون وجه القمر المضىء مواجها للأرض ، وتحدث فى منتصف الشهر العربى ، ويكون الفرق بين زاويتى الطول السماوى للقمر والشمس ١٨٠ درجة .

٦ ـ **الأحدب الأخير** : ويحدث بعد البدر حيث

يتناقص شكل القمر عن دائرة مكتملة .

٧ ـ التربيع الثانى : وهو لحظة أن يكون نصف وجه القمر مضيئاً ، ويحدث فى اليوم الثانى والعشرين من الشهر العربى تقريباً ، ويكون الفرق بين زاويتى الطول السماوى للقمر والشمس ٢٧٠ درجة .

٨ ـ الهلال الأخير : ويحدث بعد التربيع الثانى حيث يتناقص شكل القمر عن نصف دائرة ، ويصبح هلالا لنهاية الشهر حتى يصل إلى المحاق مرة أخرى وتتكرر الدورة الشهرية للقمر . انظر الشكل .

« دورة القمر الشهرية »

وسرعة دوران القمر حول الأرض ليست منتظمة .

أولاً : بسبب الحركة المركبة للقمر حول الأرض ، ثم حركته مع الأرض حول الشمس .

ثانياً : لأن مدار القمر بيضاوى تقع الأرض فى إحدى بؤرتيه .

ثالثاً : لأن مدار القمر يميل بزاوية قدرها خمس درجات عن دائرة البروج .

الشهر القمرى الفلكى : وهو المدة الزمنية لدورة القمر دورة كاملة من لحظة الميلاد إلى لحظة ميلاد القمر التالية ، أو من لحظة البدر الكامل إلى لحظة البدر التالية ، ومتوسط هذه الفترة ٢٩,٥٣٠٥٩ يوماً[1] ، ويمكن حساب لحظة ميلاد القمر بدقة كبيرة ، وهى لحظة عالمية واحدة بالنسبة للكرة الأرضية ، ويصدر بها التقاويم الفلكية من كافة مراصد العالم ، وبدقة فائقة لا تخطىء .

الشهر القمرى الشرعى :

قال الرسول ﷺ :

« صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً »

« رواه البخارى ومسلم »

وفى رواية أخرى :

« فإن غم عليكم فاقدروا له » .

كما قال عليه أفضل الصلاة والسلام :

« إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وأشار ـ بكفيه : مرة تسعة وعشرون ومرة ثلاثون » .

●● ●● ●●

يبدأ الشهر القمرى الشرعى بعد ميلاد القمر .. والشهر القمرى هو المدة الزمنية من ليلة رؤية الهلال بعد غروب الشمس إلى الرؤية التالية بعد الميلاد التالى ويظهر هلال الشهر متأخراً فى غروبه عن غروب الشمس بمدة

(١) أو ٢٩ يوماً ، و٤٤ دقيقة ، و٢,٨٦ ثانية .

أوائل الشهور العربية

تسمى مدة المكث وهذا الشهر مدته : إما ٢٩ يوماً ، أو ٣٠ يوماً .

ولقد وضع بعض الفلكيين الشرعيين قاعدة للشهر القمرى الشرعى تسمى بحساب « العلامة » وقد بنيت على أساس دورة القمر كل ثلاثين عاماً متتالية . ولكنها قاعدة تقريبية ، ولا تحدد بداية الشهر بالضبط فقد تختلف يوماً أو يومين ، غير أن بعض الدول الإسلامية تضع تقاويمها على أساس هذه القاعدة مثل تقويم « أم القرى » ولكن هذا التقويم لا يؤخذ به فى الأحكام الشرعية ومناسك العبادة والصوم والحج .

ولتحديد بداية الشهر القمرى الشرعى بالرؤية فذلك يخضع لحالات ثلاث :

١ - استحالة الرؤية . ٢ - جواز الرؤية . ٣ - القطع بها .

الحالة الأولى : تستحيل الرؤية بسبب عدم ميلاد القمر قبل غروب الشمس ، وهو ما يعتبر شرط بداية الشهر العربى ، وعليه فإنه لا يوجد هلال الشهر الجديد .

وأية رؤية فى هذه الحالة تعتبر رؤية مشكوكاً فيها ، أو قد تكون رؤية لهلال قبل الميلاد ، أى لهلال نهاية الشهر وليس لبداية شهر جديد .

والرؤية فى هذه الحالة مرفوضة ، ولا يعتد بها[٢] . ويمكن إثبات خطأ الرؤية بمناقشة شهود الرؤية عن شكل الهلال ، واتجاه قرنيه ، هل يتجهان شمالاً أو جنوباً ؟ وعن زاوية انحراف الهلال عن الشمس هل يمين غروب الشمس أو على يسارها ؟

الحالة الثانية : هى حدوث ميلاد القمر قبل غروب الشمس بقليل ، وتكون مدة مكث الهلال بعد غروب الشمس مدة قصيرة « أقل من ١٢ دقيقة » ، وهنا يمكن جواز الرؤية ، شريطة الا يمنع وجود الشفق الأحمر أو وجود غمام أو سحاب الرؤية ، ويترك الأمر للشهود الشرعيين ذوى العدل . كما أنه إذا ثبتت الرؤية فى أى بلد إسلامى ، واقرته حكومة هذا البلد ، وكان هذا البلد يشترك معنا فى جزء من الليل ، فإنه يمكن الاقتداء بهذا البلد ويترك القرار لصاحب الأمر مفتى الديار وعادة لا يرى الهلال إذا كانت مدة المكث أقل من خمس دقائق ، وفى هذه الحالة يستكمل الشهر ثلاثون يوماً .

الحالة الثالثة : القطع بالرؤية وهى عند حدوث ميلاد القمر قبل غروب الشمس بوقت كبير بحيث تزيد مدة المكث على ١٢ دقيقة بعد غروب الشمس وقد تصل إلى ساعة وخمسين دقيقة ، إذا كان ميلاد القمر بعد غروب شمس اليوم السابق بقليل . كما أن زاوية « قوس النور » تكون كبيرة إلى حد ما بحيث تجعل الرؤية سهلة وميسورة من أى مكان ، وفى هذه الحالة تعتمد رؤية اى بلد إسلامى يشترك مع هذا البلد فى جزء من الليل وذلك دون شك .

من هذا المنطلق فإن الحساب الفلكى يساند الرؤية الشرعية ويؤكدها ، كما أن الحساب الفلكى لا يغنى عن الرؤية الشرعية ولا يمكن الاعتماد على الحساب الفلكى وحده فى تحديد أول الشهر القمرى الشرعى .

---

(٢) شرعاً وفلكاً .

رجال القراءات

الإمام يعقوب البصري

للأستاذ
إبراهيم عطوة عوض

تاسع الأئمة الكبار أصحاب القراءات العشر المتواترة من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن على قلب النبى - ﷺ .

هو إمام البصرة أبو محمد : يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن إسحاق الحضرمى مولاهم ، البصرى - وكان إماما كبيرا - انتهت إليه رياسة القراءة بعد أبى عمرو - أَمَّ بجامع البصرة سنين .

روى الإمام أبو عمرو : عثمان بن سعيد الدانى - المتوفى سنة أربع وأربعين وأربع مائة هجرية - عن الخاقانى عن محمد بن محمدين عبد الله الأصبهانى : أن أئمة المسجد الجامع بالبصرة إلى هذا الوقت(١) على قراءة يعقوب قال : وكذلك أدركناهم .

ووصفه أبو حاتم السجستانى : بأنه أعلم من رآه بالحروف(٢) ، وقراءة وجوه القرآن وعللها ، ومذاهب النحو ، وأروى الناس لحروف القرآن ، وحديث الفقهاء .

مولده : ولد سنة مائة وسبع عشرة .

وفاته : توفى سنة خمس ومائتين ، وله ثمان وثمانون سنة .

كان - رضى الله عنه - من أهل بيت العلم بالقرآن والعربية ، وكلام العرب ، والرواية الكثيرة للحروف ، والفقه .

وكان من أقرأ القراء . وأُخِذَ عنه عامة حروف القرآن مسندا ، وغير مسند . من قراءة الحرميين ، والعراقيين ، والشام وغيرهم .

وله كتاب سماه « الجامع » جمع فيه عامة اختلاف وجوه القراءات . ونسب كل حرف إلى من قرأ به .

حياته العلمية

قرأ القرآن على أبى المنذر . سلامُ بن سليم ، وعلى أبى الأشهب العطاردى ، ←

(١) .... وقت الراوى .

(٢) أي القراءات .

ومهدى بن ميمون ، وشهاب بن شرنقة .

وسمع من حمزة الزيات ، وشعبة ، وهارون بن موسى النحوى ، وسليم بن حيان ، وهمام بن يحيى ، وزائدة ، وأبى عقيل الدورى . والأسود بن شيبان . وبرع فى الإقراء .

تلاميــذه

قرأ عليه روح بن عبد المؤمن ، ومحمد بن المتوكل رويس ، والوليد بن حسان التوزى ، وأحمد بن عبد الخالق المكفوف ، وأبو حاتم السجستانى ، وأبو عمر الدورى ، وخلق سواهم .

وحدث عنه أبو عمر الفلاسى ، وأبو قلابة الرقاشى ، وإسحاق بن إبراهيم شاذان ، ومحمد بن يونس الكديمى وغيرهم .

منزلتــه

قال الإمام أحمد بن حنبل : هو صدوق .

ولبعضهم شعراً :

أبوه من القراء كان وجَدُه
ويعقوب فى القراء كالكوكب الدرى
تفرُّده محض الصواب ووجهه
فمن مثله فى وقته وإلى الحشر

قال طاهر بن غلبون : وإمام أهل البصرة بالجامع . لا يقرأ إلا بقراءة يعقوب ـ رحمه الله تعالى ـ يعنى فى الصلوات .

وقال على بن جعفر السعيدى : كان يعقوب أقرأ أهل زمانه ـ وكان لا يلحن فى كلامه . وكان أبو حاتم من بعض تلامذته .

وقال أبو القاسم الهذلى : لم ير فى زمن يعقوب مثله .

كان عالما بالعربية ووجوهها . والقرآن واختلافه . فاضلا تقيا ، ورعا زاهدا . بلغ من زهده أنه سرق رداؤه عن كتفه فى الصلاة ـ ولم يشعر ـ ورد إليه ولم يشعر . لشغله بالصلاة .

وبلغ من جاهه بالبصرة أنه كان يَحْبِس ويُطْلِق .

راويــاه

وله راويان : أخذا القراءة عنه ـ ووصلت إلينا بالأسانيد عذبة مسلسلة : الأول رويس ، والثانى روح .

فأما رويس : فهو محمد بن المتوكل . أبو عبد الله اللؤلؤى . رويس المقرىء : قرأ على يعقوب ـ وتصدر للإقراء .. وقرأ عليه محمد بن هارون التمار ، وأبو عبد الله الزبيرى الفقيه الشافعى .

وتوفى بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين .

وأما روح : فهو روح بن عبد المؤمن . أبو الحسن البصرى المقرىء . صاحب يعقوب الحضرمى . كان متقنا مجوداً .

روى أيضا عن أبى عوانة ، وحماد بن زيد ، وجعفر بن سليمان الضبعى .

قرأ عليه أحمد بن يزيد الحلوانى ، وأبو الطيب بن حمدان وأبو بكر محمد بن وهب الثقفى ، وأحمد بن يحيى الوكيل .

وروى عنه البخارى فى (صحيحه) وعبد الله ابن أحمد ، ومطين ، وأبو خليفة ، وإبراهيم ابن محمد بن نائلة الأصبهانى وأبو يعلى الموصلى .

وذكره ابن حبان فى الثقات . وقال :

توفى سنة ثلاث وثلاثين أى : ومائتين - قبلها أو بعدها - وقال غيره سنة : أربع أو خمس وثلاثين ومائتين .

الطــرق

طرق رواية رويس عن يعقوب وهى أربع طرق :

الأولى : طريق أبى القاسم عبد الله بن الحسين بن سليمان النخاس .. البغدادى . وكان ثقة مشهورا ، ماهرا فى القراءة قيما بها من أصحاب « التمار » .

وتوفى سنة : ثمان وستين وثلاثمائة .

ومولده : سنة تسعين ومائتين .

الثانية : طريق أبى الطيب محمد بن أحمد بن يوسف البغدادى وهو غلام ابن شنبوذ . وكان مقرئا مشهورا - ضابطا ناقلا رَحَّالا - حدث عنه الحافظ أبو نعيم الأصبهانى وغيره .

وتوفى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة .

والثالثة : طريق أبى الحسن أحمد بن أبى بكر محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم العطار البغدادى . وهو والد أبى بكر بن مقسم السابق فى رواته خلف عن حمزة ، وكان أبو الحسن هذا قيما بالقراءة . ثقة فيها ، ذا صلاح ونسك . توفى سنة : ثمانين وثلاثمائة .

والرابعة : طريق أبى الحسن على بن عثمان بن حبشان الجوهرى . وكان معروفا بالإتقان .

وتوفى فى حدود : الأربعين وثلاثمائة أو بعدها .

وقرأ هؤلاء الأربعة على أبى بكر محمد بن هارون بن نافع بن أبى قريش بن سلامة التمار البغدادى . وكان مقرىء البصرة ، وشيخها فى القراءة . من أجل أصحاب رويس وأضبطهم .. قرأ عليه سبعا وأربعين ختمة .

وتوفى بعيد سنة ثلاثمائة . وقال الذهبى : بعد سنة عشر .

طرق رواية روح عن يعقوب

وأما روح فمن طريقين :

الأولى : طريق أبى بكر بن محمد بن وهب بن يحيى بن العلاء بن عبد الحكم بن هلال بن تميم الثقفى البغدادى . وكان إماما ثقة عارفا ضابطا . سمع الحروف من يعقوب . ثم قرأ على روح ، ولازمه حتى صار أجل أصحابه وأعرفهم بروايته .

وتوفى : فى حدود سنة سبعين ومائتين ، أو بُعَيْدَها .

الثانية : طريق الفقيه أبى عبد الله الزبير بن أحمد بن سليمان بن عبد الله بن عاصم بن المنذر بن الزبير بن العوام الأسدى الزبيرى - البصرى الشافعى الضرير . وكان إماما مقرئا . ثقة كبيرا . وهو صاحب كتاب - (الكافى) - فى فقه الشافعى .

وتوفى : سنة سبع عشرة وثلاثمائة .. أو عشرين وعن هؤلاء وهؤلاء ثبتت قراءة الإمام يعقوب - رضى الله عنه - وانتشرت وبقيت فى العالمين بمسانيد عالية قوية موثقة .

سنـــده

قرأ يعقوب على أبى المنذر سلام بن أبى سليمان المزنى مولاهم الطويل ، وعلى شهاب بن شرنفة ، وعلى أبى يحيى ؟ مهدى بن ميمون المعولى ، وعلى أبى الأشهب جعفر بن حيان العطاردى .

←

وقرأ سلام على عاصم الكوفى ، وعلى أبى عمرو بسنده وقرأ سلام أيضا على أبى المجسر : عاصم بن الفجاج الجحدرى البصرى ، وعلى أبى عبد الله يونس بن عبيد بن دينار العقبى مولاهم ـ البصرى ـ وقرأ على الحسن بن أبى الحسن البصرى . بسنده .

وقرأ الجحدرى أيضا على سليمان بن قتة التيمى مولاهم ، البصرى . وقرأ على ابن عباس . رضى الله عنهم .

وقرأ شهاب على أبى عبد الله هارون بن موسى العتكى الأعور . النحوى . وعلى المعلى بن عيسى .

وقرأ هارون على عاصم الجحدرى ، وأبى عمرو ـ بسندهما .

وقرأ هارون أيضا على عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى وهو أبو جد يعقوب .

وقرأ على يحيى بن يعمر ، ونصر بن عاصم وقرأ المعلى على عاصم الجحدرى بسنده .

وقرأ مهدى على شعيب بن الحبحاب ، وقرأ على أبى العالية الرياحى ـ بسنده .

وقرأ أبو الأشهب على أبى رجاء عمران بن ملحان العطاردى .

وقرأ أبو رجاء على أبى موسى الأشعرى .

وقرأ أبو موسى على رسول الله ـ ﷺ .

مذهبه فى القراءة

كان رضى الله عنه يأخذ بالتعوذ فى أول القراءة بالصيغة المختارة عن النبى ﷺ ـ على ما ثبت فى سورة النحل (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) جهراً .

وكان (يبسمل) فى أول كل سورة ، سوى سورة (التوبة) كما كان (يبسمل) بين السورتين . وكان يقرأ بالمرتبة الوسطى فى (المد المتصل) أما (المد المنفصل) فله فيه مرتبتان : القصر قدر حركتين ، والمد المتوسط قدر أربع حركات . فمن نقص أو زاد اعتدادا برأيه فقد أفحش وأساء ـ فالله يقول ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (سورة فصلت ٤١، ٤٢) .

وكان يقرأ بالإدغام الكبير : وهو ما كان الأول من المثلين والمتجانسين أو المتقاربين متحركا .

ونعنى بالمتماثلين : ما اتفقا مخرجا وصفة ، وبالمتجانسين : ما اتفقا مخرجا واختلفا صفة ، وبالمتقاربين : ما تقاربا مخرجا وصفة .

(فأما المدغم من المتماثلين) فوقع فى سبعة عشر حرفا وهى : الباء ، والتاء ، والثاء ، والحاء ، والراء ، والسين ، والعين ، والغين ، والفاء ، والقاف ، والكاف ، واللام ، والميم ، والنون ، والواو ، والهاء ، والياء ، نحو : « الكتاب بالحق » ، و « الموت تحبسونهما » و« حيث ثقفتموهم » ـ و« النكاح حتى » ، « شهر رمضان » ـ و« الناس سكارى » ـ ، و « يشفع عنده » ، و« من يبتغ غير الإسلام » ـ و« ما اختلف فيه » ، و« أفاق قال » ـ « ونحن نسبح » ، و « هو وليهم » ، و« فيه هدى » ، و« يأتى يوم » .

و« **شرط الإدغام** » أن يلتقى المثلان خطا فيدغم نحو ـ « إنه هو » ولا يمنع الصلة ،

وكان يظهر نحو ـ « أنا نذير » ـ من أجل وجود الألف خطا .

« **وان يكون من كلمتين** » فإن التقيا من كلمة فلا يدغم إلا فى حرفين وهما « مناسككم » ـ فى البقرة ـ و « ماسلككم » فى المدثر .

« **وموانع الإدغام** » أن يكون الأول تاء ضمير . سواء كان ضمير متكلم أو مخاطب نحو « كنت ترابا » ، « فأنت تسمع » ، و« فأنت تكره » . **وان يكون مشددا نحو** ـ « رب بما » ـ و « مس سقر » ـ **وأن يكون منونا نحو** : « غفور رحيم » ، « سميع عليم » .

واختلف الآخذون : بوجه الإدغام فيما إذا كان الأول مجزوما وذلك فى قوله : « ومن يبتغ غير الإسلام » ، و« يخل لكم » و « وإن يك كاذبا » .

وكذلك اختلفوا فى آل لوط : وهو فى الحجر ، والنمل ، والقمر .

وفى الواو : إذا وقع قبلها ضمة نحو : « هو والذين » ، و« هو والملائكة » . ووقع فى ثلاثة عشر موضعا .

واتفقوا على إظهار ـ « يحزنك كفره » من أجل الإخفاء قبل .

واختلف الأصحاب فى إدغام ـ « واللائى يئسن » فى الطلاق ـ على وجه إبدال الهمزة ياء ساكنة . فذهب الشاطبى ، والدانى ، والصفراوى وغيرهم إلى الإظهار . وذهب الآخرون إلى الإدغام . وقرأنا بالوجهين والله أعلم .

أما المدغم من المتجانسين فهو ستة عشر حرفا وهى :

الباء ، والتاء ، والثاء ، والجيم ، والحاء ، والدال ، والذال ، والراء ، والسين ، والشين ، والصاد ، والقاف ، والكاف ، واللام ، والميم ، والنون .

وذلك الا يكون الأول مشددا نحو : « أشد ذكرا » ، و « الحق كمن » ولا منونا نحو « ظلمات ثلاث » ، « شديد تحسبهم » . ولا تاء ضمير نحو : « خلقت طينا » ـ و« جئت شيئا إمرا » . فالباء تدغم فى الميم فى قوله : « يعذب من يشاء » فقط . والتاء تدغم فى عشرة أحرف هى : الثاء ، والجيم ، والذال ، والزاى ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء .

ففى الثاء نحو : « البينات ثم » وقد اختلف المدغمون فى : « الزكاة ثم » ـ فى البقرة ـ و « التوراة ثم » فى الجمعة .

وفى الجيم نحو : « الصالحات جناح » .

وفى الذال نحو : و« السيئات ذلك » ، واختلف المدغمون فى : « وآت ذا القربى » فى الموضعين .

وفى الزاى نحو : « إلى الجنة زبرا » .

وفى السين نحو : « الصالحات سندخلهم » . ولم تدغم ـ « لم يؤت سعة » . من أجل الجزم مع خفة الفتحة .

وفى الشين نحو : « بأربعة شهداء » ، واختلف المدغمون فى « جئت » والظاء ، إلا أن تكون الذال مفتوحة وقبلها ساكن ، فإنها لا تدغم إلا أن يكون فى التاء لقوة المتجانس . ففى التاء « المساجد تلك » و « بعد توكيدها » .

وفى الثاء نحو : « يريد ثواب » .

وفى الجيم : « داود جالوت » .

وفى الذال ـ و « القلائد ذلك » .

وفى الزاى : « يكاد زيتها » . ←

وفى السين نحو : « الأصفاد سرابيلهم » .
وفى الشين : و« شهد شاهد » .
وفى الصاد نحو : « نفقد صواع » .
وفى الضاد : « من بعد ضراء » .
وفى الظاء نحو : « يريد ظلما » .
والذال تدغم فى السين فى قوله تعالى : ﴿ فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ ﴾
وفى الصاد نحو : « ما اتخذ صاحبة » .
والراء تدغم فى اللام نحو : « هن أطهر لكم » « المصير لا يكلف الله » ، و« النهار لآيات » . فإن فتحت وسكن ماقبلها لم تدغم نحو : و « الحمير لتركبوها » .
والسين تدغم فى الزاى من قوله : « وإذا النفوس زوجت » .
وفى الشين : « واشتعل الرأس شيبا » ، وأجمعوا على إظهار : « لا يظلم الناس شيئا » لخفة الفتحة بعد السكون ، **والشين تدغم فى حرف واحد فى السين فى قوله** « إلى ذى العرش سبيلا » .
والضاد تدغم فى موضع « لبعض شأنهم » فى النور « شيئا فريا » ـ فى مريم .
وفى الصاد نحو : « والملائكة صفا » .
وفى الضاد نحو : « و العاديات ضبحا » .
وفى الطاء نحو : « واقم الصلاة طرفى النهار » . واختلف المدغمون فى :"ولتأت طائفة أخرى".
وفى الظاء نحو : و « الملائكة ظالمى » .
والثاء فتدغم فى خمسة أحرف وهى : التاء ، والذال ، والسين ، والشين ، والضاد .
ففى التاء نحو : « حيث تؤمرون » ، وفى الذال ـ « الحرث ذلك » ، وفى السين نحو : « وورث سليمان » .. وفى الشين نحو : « حيث شئتما » وفى الضاد : « حديث ضيف » .
وفى الجيم فى موضعين : أحدهما فى الشين نحو : « أخرج شَطْأَهُ » . والثانى فى التاء نحو : « ذى المعارج تعرج » .
والحاء تدغم فى العين فى حرف : وهو « زحزح عن النار » .
والدال تدغم فى عشرة أحرف : التاء ، والثاء ، والجيم ، والذال ، والزاى ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد .
هذا ويلتحق بهذا المقصد خمسة فصول ، يطلق عليها : « الادغام الصغير » وتنحصر فى : « ذال ـ إذ » ، و(دال ـ قد) ، و(تاء التأنيث) ، و(هل) و(بل) ـ وحروف قربت مخارجها .
ومن أراد العلم بمذهب يعقوب فى الوقف على أواخر الكلم ، والوقف على مرسوم خطوط المصاحف العثمانية من حذف وإثبات وإلحاق كالوقف بهاء السكت على ـ « ما » الاستفهامية فى نحو ـ « فيم » ، و« بم » و« لم » و « مم » ، و« عم » وجمع المذكر السالم وما ألحق به فى نحو ـ المتقين ـ والعالمين ـ، والموفون ـ ومعرفة مذهبه فى « ياءات الإضافة » و« ياءات الزوائد » فعليه بأمهات كتب القراءات .

المراجع

١ ـ ابو شامة : إبراز المعانى من حرز الأمانى .
٢ ـ جمال الدين القفطى : انباه الرواة على انباه النحاة .
٣ ـ شهاب الدين القسطلانى : لطائف الإشارات . نسخة عن مخطوطة مكتبة الظاهرية بدمشق .
٤ ـ السخاوى : جمال القراء وكمال الإقراء ـ نسخة مصورة معهد المخطوطات ـ جامعة الدول العربية .
٥ ـ مكى بن ابى طالب : الكشف عن علل القراءات وتوجيهها طباعة مجمع اللغة العربية بدمشق .



للأستاذ :

عبد الحفيظ فرغلى القرني

● كان السيوطي – رحمه الله – قد استشف حجب الغيب بتأليف هذا الكتاب ، وكأنه رأى ما ظهر فى أيامنا هذه من جماعة ترفض السنة وتقول : لا شيء سوى القرآن ..

وكتاب السيوطى هذا صغير الحجم ولكنه كبير الفائدة عظيم الأثر ، يدور حول الحديث الشريف الذى أخرجه البيهقى عن أبى رافع قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : لا أُلْفِيَنَّ أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه يقول : لا أدرى ،ما وجدنا في كتاب الله اتبعنا . وأخرجه أبو داود والحاكم .

ولا ينكر مُنكِرٌ السنة إلا وقد أنكر القرآن قبل أن ينكر السنة ، ذلك أن القرآن أمر بطاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – كأمره بطاعة الله – تعالى – ودعا إلى اتباع النبي – صلى الله عليه وسلم – فى كل ما يأمر وينهى ، قال – تعالى – : ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾ – النساء ٨٠ – وقال : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ – الحشر ٧ وقال : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ.. ﴾ آل عمران ٣١ – .

ولا يجهل مؤمن منزلة السنة من الدين ، وهى تبليغ النبي – صلى الله عليه وسلم – الذى بلغ به رسالة ربه استجابة لقوله – تعالى – : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ... ﴾ المائدة ٦٧ –

والسنة فيها بيان للقرآن ﴿ وَأَنزَلْنَا

←

مع الحافظ السيوطي

إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ـ النحل ٤٤ ـ ومهمة الرسول تدور حول هذه الغاية فلم يكن ليقصر فيها ، ولو اقتصر الدين على القرآن لما كان هناك معنى لبعث الرسول وجهاده وبيانه وأحكامه واخلاقه التى امرنا ان نقتدى بها في قوله ـ تعالى ـ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً ﴾ ـ الاحزاب ٢١ ـ فكيف نتاسى به ونهمل سنته ؟ وقد قال ـ تعالى ـ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ـ النساء ٦٥ ـ .

ولا يقال إن ذلك كان خاصاً بالقضايا التى فصل فيها فى حياته فإن هناك من القضايا المشابهة التى جدت بعد ، والتى سوف تجد لها فى السنة أحكام فاصلة وأقوال صادقة .. وهذا هو ما شغل به الصحابة انفسهم حتى لقد التزم أبو بكر منهجاً خلاصته هذه العبارة : « إنما أنا متبع ولست بمبتدع » .

من موضوعات الكتاب :

على غير عادة الكتب دخل السيوطى فى كتابه مباشرة دون مقدمة ، واكتفى فى ذلك بالبسملة والتحميد والصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ثم وجه خطابه للمسلمين محذرا لهم من الافتتان بأقوال الرافضة والزنادقة الذين ظهرت منهم بدعة عدم الاحتجاج بالسنة .

وتحدث في كتابه عن نقاط متعددة نشير إلى بعضها فيما يأتى : ـ

١ ـ رأى الزنادقة والرافضة في السنة : احتجوا بحديث طعن المختصون في صحته وهو : « ما جاءكم عنى من حديث فاعرضوه على القرآن فإن وجدتم له أصلاً فخذوه وإلا فردوه » ، وهذا الحديث عقد البيهقى بابا فى بطلانه ، وقال الشافعي : ما روى هذا الحديث أحد يثبت حديثه فى شىء صغير ولا كبير ، وإنما هى رواية منقطعة عن رجل مجهول .

وقال البيهقى : روى هذا الحديث بطرق مختلفة من أوجه كلها ضعيفة ، وأمثل إسناد روى فى هذا المعنى مارواه ربيعة عن عبد الملك ابن سعيد بن سويد عن أبى حميد أو أبى أسيد قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إذا سمعتم الحديث عنى تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به ، وإذا سمعتم الحديث عنى تنكره قلوبكم وتنفر منه اشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه » .

ذلك أن حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخاطب الفطرة الصافية الصادقة ويلتقى معها ، وهو قريب من العقول موافق للأصول لا ينكره عقل من عقل عن الله الموضع الذى وضع به الرسول من دينه ، وما افترض على الناس من طاعته ، ولا ينفر

منه قلب من اعتقد تصديقه فيما قال واتباعه فيما حكم به ، وكما هو جميل حسن من حيث الشرع جميل فى الأخلاق حسن عند أولى الألباب .

٢ ـ **دفاع الأئمة عن السنة** : نقل السيوطى قول الشافعى الذي يحتج فيه للسنة ، ويبين مكانة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند ربه ، وكيف وضع الله رسوله من دينه وفروضه وكتابه الموضع العظيم ، حيث جعله عَلَماً لدينه بما افترض من طاعته وحرم من معصيته وأبان من فضيلته وقرن بينه وبينه فى الإيمان به ، وذكر السيوطى آيات متعددة في ذلك استشهد بها الشافعى رضى الله عنه ، وذكر السيوطى كلام البيهقي في حجية السنة ، ومنه قوله : ولولا ثبوت الحجة بالسنة لما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى خطبته بعد تعليم من شهده أمر دينهم : ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع .

وفى ذلك يقول الشافعى : فلما ندب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها دل على أنه لا يأمر أن يؤدى عنه إلا من تقوم به الحجة على من أدى إليه ، لأنه إنما يؤدى عنه حلال يُؤتى وحرام يُجتنب وحَدٌّ يقام ومال يؤخذ ويعطى ونصيحة في دين ودنيا .

٣ ـ **مناقشة المبتدعين** : وناقش السيوطي المبتدعين الذين يزعمون أن القرآن لم يترك شيئاً ، واستشهد بحديث البيهقى بسنده عن شبيب بن أبى فضالة أن عمران بن الحصين ـ رضى الله عنه ـ ذكر الشفاعة ، فقال رجل من القوم : ياأبا نجيد إنكم تحدثونا بأحاديث لم نجد لها أصلاً فى القرآن ، فغضب عمران ، وقال للرجل : قرأت القرآن ؟ قال : نعم ، قال : فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعا ، ووجدت المغرب ثلاثا ، والغداة ركعتين ، والظهر أربعا والعصر أربعا ؟ قال : لا ، قال : فعمن أخذتم ذلك ؟ ألستم عنا أخذتموه وأخذناه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ .... أما سمعتم الله قال في كتابه : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ؟ قال عمران : فقد أخذنا عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشياء ليس لكم علم بها .

وأثبت السيوطي بطلان الحديث الذي احتج به المنكرون للسنة بنفس حجتهم ، فليس فى القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن ، مع أن القرآن يأمر بأن يتعلم المسلمون من النبي الحكمة ، والحكمة هى السنة ، وذكر من الأحاديث التى رواها البيهقى ما يدل على أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوتى القرآن ومثله معه ، وغيرها مما رواه أبو داود والحاكم وابن ماجه ، ومن ذلك ما أخرج عن العرباض بن سارية قال : صلى بنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذات يوم ثم اقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال القائل : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً ،

فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

٤ ـ **وجوه السنة** : وللسنة وجوه ثلاثة ، أحدها ما أنزل الله فيه نص كتاب فسَنَّ الرسول بمثل نص الكتاب .

وثانيها ما أنزل الله فيه جملة كتاب فبين عن الله معنى ما أراد بالجملة .

ثالثها : ما سَنَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما ليس فيه نص كتاب . وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقضى أحياناً بقضاء ينزل القرآن بغيره فلا يرد القضاء الأول ، وقد حكم مرة على زان بالجلد والتغريب ، وليس فى كتاب الله التغريب [1] .

والسنة كان يتلقاها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يتلقى القرآن ، أخرج البيهقى بسنده : كان جبريل ـ عليه السلام ـ ينزل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن ، يعلمه إياها كما يعلمه القرآن . وأخرج ذلك الدارمى أيضاً .

وحين طلب الصحابة منه مرة أن يسعر لهم فى عام مجدب قال : لا يسألنى الله عن سنة أحدثتها فيكم لم يأمرنى بها ، ولكن اسألوا الله من فضله ـ أخرجه الترمذى عن أنس ، وكذلك الإمام أحمد عن أنس أيضاً ـ المسند ٣ / ١٥٦ .

وفى ذلك دلالة على أنه كان لا يفعل شيئاً من تلقاء نفسه ، وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ ـ النجم ٣ ، ٤ ـ .

وفسر السيوطى ـ استناداً إلى البيهقي معنى قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ـ النساء ٥٩ ـ قال : الرد إلى الله إلى كتابه ، والرد إلى الرسول بعد قبضه إلى سنته .

٥ ـ **عناية الصحابة بالسنة** : وكان الصحابة يرجعون إلى السنة فيما لا نص من القرآن فيه ، وكانوا يهتمون بالسنة وتتبعها وتحريها ، وكان ابن عمر يهتم بتتبع آثار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اهتماماً كبيراً ، وكانوا يرون من الفروض تبليغ السنة امتثالاً لأمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عنى ولا تكذبوا علىّ) ـ أخرجه البخارى .

وكان المسلمون الأولون يتكبدون المشاق الطوال فى طلب الحديث وسماعه ، وقد سأل رجل الشافعى يوماً عن الحجة فى دين الله ، فقال له : كتاب الله وسنة رسوله واتفاق الأمة ، فسأله عن اتفاق الأمة من أين يؤخذ في كتاب الله ؟ قال الشافعى : فقرأت القرآن ثلاثة أيام بلياليهن حتى وجدت قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ

(١) رواه ابن جريج ومالك ومعمر وابن عيينة والليث عن الزهرى ـ اسد الغابة ٢/٢٨٥ فى الترجمة رقم ١٨٣٢ .

الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ ـ النساء ١١٥ ـ .

قال السيوطى : « والقرآن محتاج إلى السنة ولا عكس ، أخرج البيهقي عن مكحول قال : القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن ، ومعنى ذلك أن السنة جاءت مبينة للقرآن ومفصلة لمجملاته ، وأخرج عن مجاهد قال : ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك من قوله إلا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ . » .

٦ ـ سبب اختلاف الأمة : واستشهد السيوطي على اختلاف الأمة بخبر نراه ماثلاً في واقعنا الآن . قال : أخرج البيهقي عن إبراهيم التيمي قال : أرسل عمر بن الخطاب إلى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فقال : كيف تختلف هذه الأمة وكتابها واحد ونبيها واحد وقبلتها واحدة ؟ فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيم نزل ، وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرءون القرآن ولا يعرفون فيم نزل ، فيكون لكل قوم فيه رأى ، فإذا كان لكل قوم فيه رأى اختلفوا فإذا اختلفوا اقتتلوا .. وأخرجه سعيد بن منصور في سننه .

قال السيوطى : فعرف من هذا وجوب احتياج الناظر في القرآن إلى معرفة أسباب نزوله ، وأسباب نزوله إنما تؤخذ من الأحاديث ومن هنا وجب الالتزام بالسنة .

٧ ـ وتارك السنة ملعون : ورد ذلك في حديث أخرجه الطبرانى في الكبير قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **سبعة لعنتهم وكل نبي مجاب : الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمستحل حرمة الله ، والمستحل من عترتى ما حرم الله ، والتارك لسنتي ، والمستأثر بالفىء ، والمتجبر بسلطانه ليعز ما أذل الله ويذل ما أعز الله .**

وإن أول أمر يحل من عُرَا الدين هو ترك السنة ، أخرج الدارمى في مسنده قال : بلغنى أن أول الدين تركا : السنة .

ليت الذين يفرطون في أمر السنة يحكمون عقولهم ليدركوا أن التمسك بالسنة فيه جمع لشمل الأمة ، وتقوية لرابطة الدين ، وإحياء للمثل العليا التى جاء بها الإسلام . وقد كان الصحابة والتابعون يستنكفون أن يذكر مع مقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقال آخر .

حدث ابن سيرين رجلاً بحديث فقال رجل : قال فلان كذا وكذا ، فقال ابن سيرين : أحدثك عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتقول قال فلان ، والله لا أكلمك أبدا .

وكان الرجل منهم يغضب على تارك السنة فيعجل الله بعقوبته إكراماً لغضبته لله .

جاء رجل إلى سعيد بن المسيب يودعه لحج أو عمرة . فقال له : لا تخرج حتى تصلى ، فإن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : لا يخرج بعد النداء من المسجد إلا منافق ، فقال : إن أصحابي بالحرة ، فخرج فلم يزل سعيد مولعا بذكره حتى أخبر أنه وقع من راحلته فانكسرت فخذه .

مع الحافظ السيوطي

٨ ـ أهل السنة هم حفظة الدين : قال السيوطي : لابد من الاستسلام للسنة وعدم معارضتها وإن أهل السنة هم حفظة الدين .
قال سفيان الثورى : الملائكة حراس السماء وأهل الحديث حراس الأرض ـ ولا يعارض السنة إلا الرافضة والزنادقة .

ودافع عن محققى الصوفية فقال : أما الصوفية المحققون فهم محافظون على السنة ، وأورد طائفة طيبة من أقوالهم . من ذلك :
قول أحمد بن الحوارى : من عمل عملاً بلا اتباع سنة فباطل عمله .

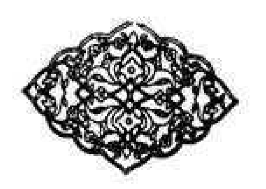
وقول الجنيد : الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وقول أبى العباس الأدمى : من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب فى أوامره وأفعاله وأخلاقه .

وأخرج أبو نعيم عن سهل بن عبد الله وهو من أئمة الصوفية قال : أصولنا ستة أشياء ، التمسك بكتاب الله والاقتداء بسنة رسوله ، وأكل الحلال وكف الأذى واجتناب الآثام وأداء الحقوق .

وبعد : فقد أحسنت المطبعة السلفية صنعاً بنشر هذا الكتاب الذى يقع في ست وأربعين صفحة ـ وهذه إحدى طبعاته المتعددة ، فقدمت لجماهير الأمة الإسلامية خيراً كثيراً في هذه الآونة التى ظهرت فيها نعرة نبذ السنة ، ولكن الغيورين على دين الله فطنوا إلى ما تحمله هذه النعرة من آثار سيئة فتصدوا لها بكل ما أوتوا من قوة ، ونحن ندعو الله لهم بالتوفيق في جهادهم ، ونرجوه تجنيب الأمة الإسلامية مخاطر الفرقة والشقاق ، حتى يعود لها مجدها وأمنها وسلامها . والله من وراء القصد خير معين ؟

عبد الحفيظ فرغلى على القرني



من الحقوق العامة للإنسان فى الإسلام

حق التعليم

للمستشار/ محمد عزت الطهطاوى

مما لا جدال فيه أن المرء لا يولد عالما ، بل يبرز إلى الحياة غفل الصحيفة ، عديم التجربة ثم يستعمل حواسه فى الاتصال بمن حوله وكذا عقله للإفادة من تجاربهم وتجارب السابقين ،ثم هو محتاج إلى أقساط منتظمة من المعرفة حتى يتفتق ذهنه وتتسع مداركه ويبصر حقيقة ما يحيط به من الأشخاص والأشياء ويعى ما يطلب ويطالب به وما يجب عليه .

القرآن الكريم يشير إلى قيمة العلم :

فالعلم هو الذى جعل كفة آدم ترجح على الملائكة وتشعر بتفوقه ، ويصور القرآن الكريم قيمته عندما أجاب عن السؤال الذى عجزت الملائكة عنه ، إذ عرف بالعلم أسماء كل شىء وبعقله أدرك ما حوله من مخلوقات ،

قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ البقرة - ٣١ - ٣٢ .

العلم والدين متلازمان فى نظر الإسلام :

بل إن أحدهما فى منطق القرآن الكريم سبب ونتيجة للآخر فالمجتمع الذى يلده الإسلام أو يولد فيه الإسلام هو المجتمع الذى يسوده جو الدراسات العلمية الأصيلة الحرة ينمو فيها العقل الإنسانى وتتوطد الصداقة

←

الحقوق العامة للإنسان

بينه وبين ما فى العالم من عناصر وقوانين[1] ، وهذا وحده هو الطريق الذى أوجده الإسلام للتعرف على الله ثم يأتى اليقين بما جاء من عنده على لسان رسله وأنبيائه ، فسلم الارتقاء الإنسانى العلم والدين ، وموقف الإسلام من العلم هو الموقف الذى يراه فيه ضرورة إنسانية ودينية واجبة[2] .

آيات الكون طريقها العلم :

فالوعى بآيات الكون الذى نعيش فيه ، وهو كتاب الله المنظور طريقه العلم وهو الذى يجعل العلماء مؤمنين برب هذه الآيات ، بل إن ذلك كافل لأن يكونوا على حد الخشية لرب هذه الآيات قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ. وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[3] ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[4] فالله الخالق هو الذى جعل الحب والنوى فى تربة الأرض تنفلق عن هذا الخير المكنون .

ويقول جل جلاله : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[5] فالله سبحانه هو صاحب القدرة التى تجعل الليل يلد الفجر .

إذاً ما العلم الذى يقصده الإسلام ؟

إن ما يعنيه العلم فى نظر الإسلام ويوجب الإقبال عليه ويستفتح أبوابه بقوة ويرحل لطلبه من أقصى المشارق والمغارب ليس علما معينا محدود البداية والنهاية ، بل هو كل ما يوسع منادح النظر ويزيح السدود أمام العقل إلى المزيد من العرفان وكل ما يوثق صلة الإنسان بالوجود ويفتح له آمادا أبعد من الكشف والإدراك وكل ما يتيح له السيادة فى العالم والتحكم فى قواه والإفادة من ذخائر الكون ومكنوناته وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[6] وقد أشار القرآن الكريم ضمن ما أشار به من علم إلى تعليم الصنائع الدنيوية ، وذكر مثالاً له نبى الله داود ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام قال

---

(١) « حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ، تأليف الشيخ محمد الغزالى طبعة سنة ١٩٨٣ دار الكتب الإسلامية بعابدين بالقاهرة .

(٢) المرجع السابق .

(٣) سورة فاطر ٢٧ ، ٢٨ .

(٤) سورة الأنعام ٩٥ .

(٥) سورة الأنعام ٩٦ .

(٦) سورة الزمر ٩ .

تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾[٧] وهذه الصنعة هى صنع لباس الحرب ودروعها ، وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ . أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٨] ففى صنعته التى تعلمها ألين له الحديد فى عمل دروع الحرب حتى وصل إلى احكام نسجها بحيث تدخل الحلق بعضها فى بعض[٩] .

كما أشار القرآن الكريم إلى أعمال بناء السدود وفن إقامتها وذلك فى قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا . قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا . آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا . فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾[١٠] .

فقد قام ذو القرنين بوضع ردم بين جبلين ثم جيء له بقطع الحديد فجعل يضع بعضها على بعض بطريقة تقتضى التماسك والارتفاع بالبناء حتى إذا ساوى ما بين جانبى الجبلين بما بناه من السد ، امر عماله أن ينفخوا بالكيران فى الوقود الموضوع بين قطع الحديد ، بعد إشعال النار فيه ليصبح الحديد مثل النار فيلتصق بعضه ببعض ثم أمر بإحضار النحاس المنصهر المذاب فأفرغه على السد فسدت به الثغرات التى كانت بين قطع الحديد بعد أن تم احتراق الوقود الذى بينهما فالتصق بعضها ببعض أشد التصاق[١١]

العلم والتعليم هو جماع مهمة رسول الإسلام :

فقد روى أن رسول الله ﷺ مر بمجلسين فى مسجده فقال : « كلاهما خير ، وأحدهما افضل من صاحبه ، أما هؤلاء (أهل مجلس العبادة والذكر) فيدعون الله ويرغبون إليه فإن شاء الله اعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء (أهل مجلس العلم) فيتعلمون الفقه والعلم ويعلمون الجاهل فهم افضل وإنما بعثت معلماً ، ثم جلس بينهم »[١٢] .

كذلك فالقرآن الكريم كتاب العلم كما هو كتاب الدين :

فلرفعة مقام العلم فى الإسلام انتشرت فى القرآن الكريم الآيات التى تشير إلى أن

←

(٧) سورة الأنبياء ٨٠ .

(٨) سورة سبأ ١٠ ، ١١ .

(٩) عن « صفوة البيان لمعانى القرآن » لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف .

(١٠) سورة الكهف ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ .

(١١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم الحزب الحادى والثلاثون طبعة مجمع البحوث الإسلامية الأولى سنة ١٤٠٣ هـ سنة ١٩٨٣ م

(١٢) أخرجه ابن ماجه وأبو داود الطيالسى والدارمى وابن عبد البر .

العلماء هم المؤهلون أصلاً لفهمه وفقهه وعقل الآيات التى تحدث عنها والأمثال التى ساقها ، أما غير العلماء فلهم مرتبة التقليد للعلماء والفقهاء ، ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى :

١ ـ ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (فصلت ـ ٣) .

٢ ـ ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (العنكبوت ـ ٤٣) .

٣ ـ ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ (العنكبوت ـ ٤٩) .

٤ ـ ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ (الروم ـ ٢٢) .

٥ ـ ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ـ ٢٣٠) .

٦ ـ ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف ـ ٣٢) .

٧ ـ ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا . يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر ـ ٩) .

مدى ضرورة العلم للأفراد والأمم

فهو نور البصر والبصيرة ، وإذا كان العلم كذلك كان الجهل هو الظلمة بل والعمى ، قال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (الرعد ١٩) .

ويقول رسول الله ﷺ : « إن مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم فى السماء يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة »[١٣]

بل إن العلم فى وجوبه وفى ضرورته يتعدى ضرورة الضوء والنور إلى حيث يراه الإسلام قوام الحياة ، يقول الحسن بن صالح : « إن الناس يحتاجون إلى هذا العلم فى دينهم كما يحتاجون إلى الطعام والشراب فى دنياهم »[١٤]

وإن فى فقد العلم هلاك الأمم : فهو يتعدى مرتبة الضرورة اللازمة للحياة ليصبح هو الحياة نفسها ، وليصبح فى تخلفه هلاك الحياة بضلال الأحياء ، ويشير إلى ذلك ماروى أن هلال ابن خباب سأل سعيد بن جبير عن علامة هلاك الناس فأجابه بقوله : « إذا هلك علماؤهم »[١٥]

العلم فريضة إلهية فى الإسلام

ولضرورة العلم للأفراد والأمم تجاوز الإسلام بالعلم نطاق الحق إلى حيث جعله

---

(١٣) رواه الإمام أحمد هكذا جاء فى الجامع الكبير . العدد العشرون من الجزء الأول فى السنن القولية طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سنة ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .

(١٤) الإسلام وحقوق الإنسان تأليف دكتور محمد عمارة مطبوعات عالم المعرفة ـ المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، شعبان سنة ١٤٠٥ هـ ـ مايو « أيار » سنة ١٩٨٥ م .

(١٥) المرجع السابق .

فريضة إلهية لحاجة الإنسانية الماسة إليه . يقول رسول الله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[16] فهو ضرورة وفرض عين على كل مسلم وليس مجرد حق من الحقوق يباح لصاحبه التنازل عنه بالاختيار دون إثم أو حرج أو تثريب ، والأمر كذلك عندما يكون « تخصصاً » يعز تحصيله على الكافة والجمهور . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[17] .

حتى على من يريد تولى السلطة على الناس واجب التفقه قبل ولايته لها

ويشير إلى ذلك الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب فى قوله المأثور « تفقهوا قبل أن تسودوا ، إنه لا إسلام إلا بجماعة ، ولا جماعة إلا بإمارة ، ولا إمارة إلا بطاعة ، فمن سوده قومه على الفقه كان حياة له ولهم ، ومن سوده قومه على غير فقه كان هلاكاً له ولهم » .

ولقد كادت تيارات الإسلام الفقهية عامة تجمع على أن يكون الإمام عالما لا يقل عن مبلغ المجتهدين فى الأصول والفروع فى الحلال والحرام وسائر الأحكام ذا رأى ومعرفة بالأمور سائسا مهتديا إلى وجوه التدبير فى السلم والحرب صاحب عقل يضمن صلاح التصرفات ، فإذا تخلف هذا الشرط فلا شرعية للدولة والولاية والإمامة ، وإنما هى ولاية تغلب واغتصاب واستبداد .

الإسلام لايرى الإنسان إلا بصلته الوثيقة بالعلم .

ذلك أن الإسلام بوصفه جاء لهداية الإنسان ونجاته بين له أن العلم هو سبيل هذه الهداية وهذه النجاة ومن هنا تأتى مضامين المأثورات الإسلامية الكثيرة ومثاله :

١ ـ ما يقوله الصحابى الجليل عبد الله ابن مسعود (اغد عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك) .

٢ ـ وما يقوله الصحابى خالد بن معدان (الناس عالم ومتعلم وما بين ذلك همج لا خير فيه) .

مدى مكانة العلماء فى نظر الإسلام

تمشيا مع طبيعة الإسلام وموقفه المتناسق مع العلم كثرت الآيات القرآنية ومأثورات السنة النبوية التى أحلت العلماء أرفع الدرجات .



(١٦) رواه ابن ماجه والبيهقى هكذا ورد فى الجامع الكبير للسيوطى العدد ٢٣من الجزء الثانى من السنن القولية مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤ م .

(١٧) سورة التوبة ١٢٢ .

الحقوق العامة للإنسان

ففي القرآن الكريم مثاله قول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(١٨) وقد جاء في تفسير ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية أن الله يرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا درجات .(١٩) **أما السنة النبوية فإنها تفيض في ذكر الأحاديث** التي ترفع مكانة العلماء ومن أمثلة ذلك قول رسول الله ﷺ :

١ - « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم »(٢٠) .

٢ - « من سلك طريقا يطلب به علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم فمن أخذه أخذه بحظ وافر »(٢١) .

٣ - « **إن الله وملائكته وأهل السموات** والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في جوف البحر ليصلون على معلم الناس الخير »(٢٢) .

٤ - « ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى ، وما استقام دينه حتى يستقيم عقله »(٢٣) .

وفي مأثورات السلف الصالح الكثير عن فضل العلم ومن امثلتها :

١ - ما قاله ابن عباس رضى الله عنهما (تدارس العلم ساعة من الليل خير من إحيائها) .

٢ - وقال قتادة (باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه وصلاح من بعده أفضل من عبادة حول) .

٣ - وقال الحسن (من طلب العلم يريد به ما عند الله كان خيرا له مما طلعت عليه الشمس) .

٤ - وقال سفيان الثوري (ليس عمل بعد الفرائض أفضل من طلب العلم) .

٥ - وقال الشافعي (طلب العلم أفضل من صلاة النافلة) .

---

(١٨) سورة المجادلة ١١ .
(١٩) نقلا عن كتاب الإسلام وحقوق الإنسان تأليف دكتور محمد عمارة .
(٢٠) أخرجه الترمذي .
(٢١) أخرجه أبو داود وهذا لفظه والترمذي .
(٢٢) رواه الطبراني في الكبير والضياء المقدسي في المختار الإسلامية بالأزهر سنة ١٣٩٣ هـ سنة ١٩٧٣ م .
(٢٣) رواه المنذري

٦ ـ وقال البخارى (العلم قبل القول والعمل لقول الله عز وجل ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾[٢٤] فبدأ بالعلم[٢٥] **الإسلام لا ينظر إلى العلماء هذه النظرة السامية إذا هم لم ينفعوا الناس بعلمهم** فالشريعة تتوجه للجمهور ، ومصلحة مجموع الأمة هى معيار الحل والحرمة والنفع والضرر والصواب والخطأ ولذلك فإن المأثورات الإسلامية لا تضفى الشرف إلا على العلم الذى ينفع الناس وفى هذا المعنى قال رسول الله ﷺ .

« إن مثل علم لا ينفع كمثل كنز لا ينفق فى سبيل الله »[٢٦] ويقول أبو الدرداء رضى الله عنه : (إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه)[٢٧] وكتب سلمان الفارسى رضى الله عنه إلى أبى الدرداء يقول له : (إن العلم كالينابيع يغشاها الناس فيختلجه هذا وهذا ، فينفع الله به غير واحد ، وإن حكمة لا يتكلم بها كجسد لا روح فيه ، وأن علما لا يخرج ككنز لا ينفق منه ، وإنما مثل العلماء كمثل رجل حمل سراجا فى طريق مظلم يستضىء به من مر به وكل يدعو له بالخير)[٢٨]

التاريخ يشهد بأن علماء المسلمين فى عصورهم الزاهية لم يخصوا بالعلم أنفسهم من دون الناس .

فهم نشروه وبثوا المعرفة فى كل مكان طرقوه دون تمييز عنصرى أو عقائدى بين البشر .

١ ـ يقول (المستردرابير) المدرس فى جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية فى كتابه بين العلم والدين (إننا لندهش حين نرى فى مؤلفات المسلمين من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر ، وإن جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الأوروبيين الذين نزحوا إليها من بلادهم لطلب العلم وكان ملوك أوروبا وأمراؤها يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها) .

٢ ـ ويقول (سديو) فى كتابه تاريخ العرب : (كان المسلمون فى القرون الوسطى منفردين فى العلم والفلسفة والفنون وقد نشروها أينما حلت أقدامهم وتسربت عنهم إلى أوروبا فكانوا هم سبباً لنهضتها وارتقائها .

٣ ـ وشهد العلامة (بريفولت) فيقول : (إن الأوروبيين درسوا عن العرب طريق البحث العلمى التجريبى وأنه لم يسبقهم إليها باحث أو مفكر)[٢٩] .

٤ ـ أما العالم الفرنسى جوستاف لوبون فيقول : (لا يمكن إدراك أهمية شأن العرب فى الغرب إلا بتصور حال أوروبا حين أدخل العرب الحضارة إليها ، إذا رجعنا إلى القرن

←

---

(٢٤) سورة محمد ١٩ .

(٢٥) كتاب شرح السنة لأبى محمد الحسينى البغوى السابق الإشارة إليه وقد وردت به هذه المأثورات .

(٢٦) اخرجه الإمام احمد فى مسنده ـ مسند ابى هريرة جـ ٢ ص ٤٩٩ .

(٢٧) (الإسلام وحقوق الإنسان) السابق الإشارة إليه .

(٢٨) المرجع السابق .

(٢٩) مستقبل الحضارة الإسلامية تاليف الأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح ملحق بمجلة الأزهر الجزء الخامس فى جمادى الأولى سنة ١٤٠٥ هجرية .

التاسع والقرن العاشر من الميلاد حين كانت الحضارة الإسلامية شاطعة ، رأينا أن مراكز الثقافة فى الغرب كانت أبراجا يسكنها سنيورات متوحشون يفخرون بأنهم لا يقرأون ، وإن أكثر رجال النصرانية معرفة كانوا من الرهبان المساكين الجاهلين ، ودامت همجية أوروبا البالغة زمنا طويلا من غير أن تشعر بها . ولم يبد فى أوروبا بعض الميل إلى العلم إلا فى القرن الحادى عشر وفى القرن الثانى عشر من الميلاد ، وذلك حين ظهر فيها أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل الثقيل عنهم فولوا وجوههم ، شطر العرب الذين كانوا أئمة وحدهم)[٣٠] .

ويقول فى موضع آخر عن عناية المسلمين بكتب اليونان ودراستها : (والحق أن القرون الوسطى لم تعرف كتب العالم اليونانى القديم إلا من ترجمتها إلى لغة أتباع محمد (ﷺ) وبفضل هذه الترجمة اطلعنا على محتويات كتب اليونان التى ضاع أصلها ، وأنه إذا كانت هناك أمة نقر بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم ، فالعرب هم تلك الأمة لا رهبان القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون اسم اليونان ، فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعهم فى إنقاذ تلك الكنوز الثمينة اعترافا أبديا)[٣١] ويقصد بالعرب المسلمين وقتئذ .

فإن الإسلام رسالة فريدة فى رحابتها العلمية والثقافية لاتشبهها رسالة أخرى من رسالات السماء أو الأرض ، فإن نصوص القرآن الكريم والسنن المأثورة عن نبى الإسلام ﷺ تشكل مادة علمية تتصل بفروع الثقافة الإنسانية كلها من أخلاق ومعاملات ونظام الأسرة والمجتمع وسياسة الدولة المالية والقانونية والسياسية وعلاقاتها الخارجية ، وذلك عدا ما تميزت به علوم العقائد والعبادات التى ليس لها مصدر يوثق به غير الوحى ، وهذه المادة العلمية الإسلامية لا يزيدها مر الزمان إلا ثباتا وتألقا وفى دلالة الاستهلال الذى بدأ به وحى الله الأعلى رسالة الإسلام إلى رسوله الأمين ﷺ بكلمة (اقرأ) بصيغة الأمر والوجوب ما يعبر عن آلاء الله سبحانه وتعالى إلى البشر بنعمة العلم والتعليم .

وإذا كانت حضارات أخرى غير الحضارة الإسلامية وشرائع أخرى غير شريعة الإسلام قد نظرت إلى العلم بريبة وحذر ، ورأت فيه سبيلا إلى (الهرطقة والتجديف) أى الإلحاد والكفر فإن حضارة الإسلام وشريعته قد أبصرت فى العلم منذ أربعة عشر قرنا السبيل إلى صحيح الإيمان ، أى الإيمان المؤسس على الدليل دون حاجة إلى إعلان أو وثيقة من

البقية ص ١٦٢٧

---

(٣٠) أثر المدنية الإسلامية فى الحضارة الغربية تأليف الدكتور مختار القاضى مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية طبعة سنة ١٩٧٢ .

(٣١) المرجع السابق .

محركات الصراع ضد الإسلام

للدكتور
عبد الله نجيب محمد

إن ما يحدث الآن على الساحة العربية الإسلامية ، يمكن النظر إليه من وجهتين ، أولاهما : موقف القوى الخارجية من العروبة والإسلام .

وثانيتهما : موقفنا نحن بالنسبة لقضايانا ونظرتنا إليها وتصرفنا حيالها .

ولن اخوض كثيرا فيما يتعلق بالأمر الثانى إلا بالقدر الذى يفسر الأمر الأول ويجلو غوامضه ، ذلك لأن اى تدخل خارجى لا يمكن ان يتم إلا من خلال الثغرات والفجوات التى تتخلل عملنا ، ونجهلها او نتجاهلها .

بالرغم من وجود الركائز الموضوعية لقيام نظام إسلامى إقليمى وعالمى ، إلا أن المسلمين منقسمون على أنفسهم ، موزعون فى اقاليم فرعية مفتتة تابعة ، مما يشكل أفضل الظروف للتحرك والتدخل الخارجى ضدنا .

وهناك الآن فجوة لا شك فيها بين الاسلام بمبادئه وأسسه التى تسمو على كل فكر بشرى ، وبين المسلمين الذين تخلفوا عن تطبيق هذه المبادىء وتلك الأسس ، وانشغل أكثرهم بصغائر الأمور وتركوا عظائمها دون عناية كافية ، مما كان سبباً فى تمزقنا وتخلفنا .

وعلينا الآن ان نتصور كيف أمكن للقوى الخارجية أن تتحرك بحرية ، وأن تنفذ فى هذا الفراغ لتعمل على قهرنا وإضعافنا بشتى الوسائل .

وإذا كانت الثقافة توصف بأنها واحدة وعديدة فى أن واحد ، فإنها أيضا قد أصبحت سريعة التغير ، وأصبحت الإرادة البشرية أقدر على هذا التغيير ، ولم يسلم - حتى الإنسان نفسه - من محاولة صنعه (بيولوجيا

←

● الكاتب : عضو هيئة التدريس بمعهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة .

بالتأثيرات الكيماوية والهندسة الوراثية وغيرها ،وسلوكيا ،بالتأثيرات النفسية على الذكاء والشخصية وغير ذلك) .

وسط هذه المتغيرات ، نجد اختلاف النظرة بين المفكرين من المسلمين حول ما يسمى بالقومية ، يؤيدها البعض بشدة إلى درجة اتهام من يخالفونهم بالخيانة ، وينفيها البعض متنبئين باندثار القوميات ، ويرون أن التقدم فى وسائل الاتصال ، سوف يساعد على زيادة الروابط بين الأمم ويعمل فى نفس الوقت على تفتيت القوميات ، واتجاه السياسات العالمية إلى تعاون أكبر وأكثر تداخلا ، وسوف يقوم بذلك الجيل الجديد الذى هو أكثر اتجاها نحو العالمية من الأجيال التى سبقته ، لأنه لم يعرف العالم عن طريق الكلمة لغة القوميات ، بل عرفه بالصورة وهى لغة عالمية [٢] .

والواقع أننى أميل إلى التوفيق بين الرأيين ، فالإنسانية ـ من وجهة نظرى ـ تميل إلى التوحد والتفرق فى آن واحد ، تنزع إلى التفرق والانغلاق فى صورة القوميات ، كلما تعرض شعب إلى ما يمس ذاته وكيانه ويهدد شخصيته وهويته الخاصة ، وينزع إلى التوحد ، كلما تهيأت للشعوب عوامل التعاون وأسباب العدالة ، والاعتراف المتبادل بحقها فى حياتها الخاصة وحدود وطنها وأرضها وثقافتها ونظرتها المتفردة للحياة .

ومن وجهة نظرى الخاصة أيضاً أقول :

إنه لا يمكن بناء أساس عالمى دون بناء الوحدات القومية ، أو على الأقل الاعتراف لهذه الوحدات بكياناتها المستقلة الراغبة فى التفرد ، والنزاعة إلى التميز ، وكلما تحددت القومية وتأكدت ذاتيتها ، كلما أمكنها النظر فيما حولها ، أعنى إلى انتمائها الإنسانى الأكبر على المستوى العالمى .

ولقد أدت النظرة الأخيرة الداعية إلى إنكار القوميات فى مواجهة العالمية أو الأمة ، إلى محاولات إذابة بعض الشعوب فى كيانات أكبر أو كيانات أخرى بغير إرادتها ، مما ترتب عليه فى أغلب الأحيان صراعات دموية وتنافرات محمومة ، وتقدم أفريقية نماذج من هذا الصراع ، فى القرن الأفريقى ، حيث تحاول اثيوبيا فرض ثقافة واحدة على شعوب مختلفة الثقافات ، وفى جنوب أفريقيا ، حيث يحاول البيض فرض إرادتهم وثقافتهم بالقوة القاهرة على السود من أهل البلاد الأصليين وأولئك الذين يأخذون بالنمط الأوروبى فى محاولات التوحد ، ينسون أن القوميات الأوروبية قد كونت شخصياتها وابتنتها منذ سنين ، فلما استكملت هذا البناء نظرت حولها ، إلى انتمائها الأكبر والأعلى ، إلى الأوروبية أو الأوروبية الأمريكية الشاملة ، وحتى هذه النظرة الأوروبية أو الأوروبية الأمريكية الشاملة لا تدعو إلى إنكار القوميات أو حربها والقضاء عليها أو حتى إقامة وحدة شاملة تختفى فيها الكيانات والقوميات ، بل مازالت هذه النظرة أسيرة الفكرة القومية والنظرة العرقية (وإن وسعت مجالها) تحقيقا لمصالح مادية فى مقابل كيانات أخرى كالعالم

(٢) ترجمة وتقديم محجوب عمر ١٩٧٠ . New york : Between tow ages : Zbigniew Brezinsk -

الثالث أو المعسكر الشرقى أو غيرهما .

لا تناقض إذاً بين التمسك بالقومية ، شريطة العمل فى نفس الوقت على التعاون والتكاثف والتوحد ، من أجل العالمية والإنسانية الشاملة من منظور العدالة الشاملة ووحدة الجنس البشرى أمام الله الواحد الأحد ، وهو منظور الإسلام الذى يسمو على كل فكر ، ويتجاوز كل اجتهاد .

ولقد اعترف دعاة العالمية أنفسهم سواء فى الشرق أو الغرب بأن العالم سوف يجد نفسه أكثر وحدة وأكثر تفتتا فى نفس الوقت ، ومع زيادة الاتجاه نحو « العالم الواحد » نتيجة الثورة فى وسائل الاتصال ، ستزداد الجماعات العرقية والدينية انغلاقا على نفسها بسبب رغبة الأفراد فى الحصول على الانتماء والحماية(٣) .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : لماذا تتدخل القوى الخارجية ضد العروبة والإسلام ؟

الواقع أن مرد ذلك من وجهة نظرى هو استمرارية الظلال التاريخية القديمة فى الصراع بين الشرق والغرب ، واستمرارية النظرة الإمبريالية والعنصرية فى الغرب الذى مازال أسير فكراته فى التفوق والاستعلاء ، والرغبة فى السيطرة على مقدرات العالم ، ويبدو واضحا لكل ذى عينين أن الغرب مازال مصرا على أهدافه الإمبريالية كما هى دون تغيير ، وإنما هو قد غير أسلوبه وخططه فحسب ، يقدمها لنا فى صور جديدة تتفق ومقتضيات العصر ومتغيراته .

وقد يستخدم فى ذلك دعوى القومية ضد الأمة الإسلامية الشاملة ، فإذا علت القومية وأوشكت على النضوج استخدم ضدها فكرة الوحدة الإسلامية أو حتى العالمية ، وعلى أية حال فهى فى النهاية عالمية من وجهة نظرهم يقودها الغرب ويُسَيِرُ دفتها ، وتصبح شعوب العالم تبعا له ، خاضعة ومسترقة على طراز جديد من الاسترقاق .

يقول مسئول أمريكى : « سوف يكون هناك شرق أوسط مكون من جماعات عرقية ودينية مختلفة على أساس مبدأ الدولة / الأمة تتحول إلى كانتونات طائفية وعرقية ، يجمعها إطار إقليمى (كونفدرالى) وهذا سيسمح للكانتون الإسرائيلى أن يعيش فى المنطقة بعد أن تصفى فكرة القومية(٤)

وتقع المنطقة الإسلامية فى مجموعها ضمن محاور الاستراتيجية العالمية بلا جدال ، فبها أهم الممرات إلى قلب أوراسيا وأفريقيا ، بكل ما يمثله ذلك من أهمية متعددة الجوانب والأبعاد ، والإسلام يمتد على رقعة فسيحة من العالم هى فى موقع القلب منه ، يضم نحوا من مليار نسمة .

من أجل هذا يعتبر العالم الإسلامى من حيث الاستراتيجية أهم الكتل على الصعيدين الجغرافى والسكانى ، فهو علاوة على أنه قلب العالم وتخترقه خطوط الملاحة العالمية ، فهو

←

---

(٣) الموجة الثالثة The Third wave : Alvin Toffler -
(٤) راجع السابق ص ١١٤ .

محددات الصراع

أيضاً مركز المواصلات العالمية ، ومنطقة التقاء ووصل الشرق بالغرب ، مما يمثل أهم الانعكاسات الاقتصادية ، ويشكل العمق الاستراتيجي لكل من حلفى وارسو والأطلنطى ، وطريق الوصول إلى جنوب أفريقيا والهند واستراليا وغيرها .

وإذا كانت الكتلة الإسلامية تشكل كتلة استراتيجية حيوية ، فإن الكتلة العربية تعتبر قلب هذه الكتلة ، ولذلك يركز الغرب هجومه المتوالى على الشعوب العربية ، لا للأسباب السياسية والاقتصادية والاستراتيجية التى ذكرناها فحسب ، بل خوفا وفرقا من هذه الشعوب ما تمثله من ثقافة قاهرة قادرة على المنافسة ، وهو ما اعترف به الغرب وصرح به مرارا .

وقد اتخذ الغرب لنفسه خطة ذات أبعاد متشعبة تهدف إلى قهر العالم الإسلامى سياسيا واقتصاديا وثقافيا ، وحرمانه من موارده وقدراته على التواصل والتوحد ، ومجمل هذه السياسة يكمن فيما يلى :

أولا : سياسة التغريب :

لكى يتمكن الغرب من اقتلاع جذور الحضارة الإسلامية ، قام بتركيز جهوده الاقتصادية والسياسية وغيرها لخدمة هذا الهدف ، فى محاولة لفرض سيطرة الحضارة الغربية على شعوب الشرق الإسلامى خاصة تحت هذا الخوف من الإسلام ، والرغبة فى القضاء على الثقافة الإسلامية انطلق الغرب يوجه جهوده ، ليس فقط إلى ظواهر الحياة العربية ، بل إلى جوهرها ، فى محاولات مستمرة ودائمة إلى فرض أيدلوجية الحضارة الأوروبية ، ودفع طبقة من المفكرين والقادة الذين تربوا على أيدى الغرب وفى مؤسساته العلمية إلى مقدم الصفوف والقيادة باعتبارهم مجددين (مثل حركة أحمد خان فى الهند وحركة ميرزا غلام القاديانى والبابية والبهائية وحركة سليمان العلوى فى سورية) بهدف إضعاف روح وحدة المسلمين وقوتهم وإشاعة الاستسلام والبعد عن الإسلام .

يعتمد الغرب فى ذلك أيضاً على الحركات المشبوهة مثل الماسونية وتشجيع الهجرة الأجنبية إلى الأقطار الإسلامية وتكوين جاليات أجنبية يظهرونها فى مظهر اجتماعى وثقافى واقتصادى جذاب ، يقلده ضعاف النفوس من المسلمين ، وكذلك استغلال هذه الجاليات والأقليات لإضعاف البناء العام للمجتمعات الإسلامية ، ومنها أيضاً نشر المدارس الأجنبية فى كل البلاد الإسلامية ، واستغلال التعليم بها كأداة لتفكيك الروابط الاجتماعية والقومية ، بل ومحاولات السيطرة على البناء التعليمى جملة .

أما الإرساليات التبشيرية ، فدورها معروف فى خدمة أهداف الغرب وبث أفكاره وخلق التخاذل الروحى بين الجماهير ، وحملها على قبول الخضوع للثقافة الأوروبية .

ثانيا : سياسة التفتيت :

تفتيت وحدة الشعوب الإسلامية هدف استراتيجى للغرب ، ومعروف تاريخيا أنهم قسموا العالم العربى إلى دول متعددة وقسموا السودان إلى شمال وجنوب ، والهند إلى الهند وباكستان وبينهما مشكلة كشمير والصومال

إلى صومالات ، وخلقوا مشكلة « الأوجادين » بين الصومال وأثيوبيا وغير ذلك مما لا يتسع المجال إلى تفصيله .

ويحاول الغرب فى الوقت الراهن أن يركز على إبراز التناقض بين العرب والأفريقيين ، أملا فى التفريق بينهما (مما جعل زعيما كنكروما يحزن لقيام الوحدة بين مصر وسورية) ومنعا للثقافة العربية الإسلامية من الانتشار جنوبا ، بل يحاول الغرب أيضاً الايقاع بيننا وبين الأفريقيين ، كما حدث بالنسبة لأسعار النفط ، حيث يدعى أن هذه الزيادة قد تسببت فى تأخير نمو الدول الأفريقية ، وأثرت على جهود التنمية بها ، وينسى الغرب محاولاته المستمرة فى تحديد أسعار المواد الخام التى يستوردها من أفريقيا ، والديون التى يثقل بها كاهل هذه الدول ، والتفرقة العنصرية والاستعمار الجديد الذى تنوء به دول القارة .

يستغل الغرب أيضاً الخلافات الضاربة بجذورها فى أعماق التاريخ ، فيعيد إحياءها ، كما يستغل التنافس بين الدول والزعماء ، وقد تكون له مواجهة مع الزعامات الصالحة وفى أفريقيا على سبيل المثال أثيرت مشكلة الصحراء بين المغرب والجزائر ، ومشاكل أخرى عديدة فى نيجيريا وزائير وشرق أفريقيا وغربها ، إلى غير ذلك مما يدور فى عالم اليوم ، تشجعه وتدعمه دول الغرب كلما أتيح لها ذلك .

ثالثا : سياسة الحصار والإفقار :

يحرص الغرب على نهب الموارد الاقتصادية وتقليصها فى الأوطان الإسلامية ، مستخدما فى ذلك سيطرة رأس المال الدولى المتحكم فى الأسواق العالمية ، وعلى أسعار السلع بيعا وشراء بمعنى أن الغرب هو الذى يحدد أسعار المواد التى يستوردها من البلاد الإسلامية ، وهى فى جملتها مواد أولية يشتريها بأرخص الأثمان ويعود فيبيع لنا المواد المصنعة بأغلاها ، وهو ما يسمى سياسة « إعادة تدوير رأس المال » .

ومما يتبعه الغرب فى ذلك أيضاً خلق أنماط استهلاكية فى بلاد المسلمين تخدم مصالحه الإنتاجية ومصانعه وشركاته ، هذا علاوة على فوائد الديون المرتفعة التى تقتص جزءا هائلاً من دخول الدول الإسلامية ، وجذب الأموال العربية والإسلامية لإعادة استثمارها فى الغرب ، وحرمان البلاد العربية والإسلامية الأخرى منها .

ومنها أيضاً التدخل فى الشئون المالية الداخلية ، وتحديد أسعار النقد الأجنبى والسياسة الجمركية ، والشروط المجحفة فى استخدامات المعونات المقدمة من الغرب ، للتحكم فى توجيه حركتها بما يخدم مصالح الغرب نفسه ، وهو ما يسمى سياسة الاقتراب غير المباشر Indirect Approch التى تهدف إلى استمرار الاحتفاظ بالسيطرة الاقتصادية بوسائل أكثر سيولة وليونة وخفاء ، هذا بالإضافة إلى استخدام العمالة الأفريقية وغيرها استخداما غير إنسانى كما يحدث فى جنوب أفريقيا .

ويستخدم الغرب أيضاً نظرية « وجوب الحرب المحدودة » التى يخلقها فى كثير من المناطق بهدف إجهاض التنمية بها ، وإضعاف قوتها وقدرتها على المقاومة ، وجعلها أكثر قبولا ولَيَاناً لتحقيق أهداف الغرب ،

محددات الصراع

وهذه الحرب المحدودة يخطط لها بحيث لا تهدد السلام العالمى ، وبحيث يتمكنون من السيطرة عليها وقتما يشاءون عن طريق منع السلاح أو غيره .

وعلى صعيد الحصار ومنع التأثيرات الثقافية أو تحديدها عمدت الدول الأوروبية إلى قطع شرايين الاتصال فى أفريقيا ، ولم تسمح بإنشاء خطوط مواصلات برية أو جوية أو بحرية تصل بين أجزاء القارة إلا عن طريق أوروبا .

(وفى ندوة حوض النيل التى انعقدت بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية التابع لجامعة القاهرة فى الفترة من ١ إلى ٧ مارس سنة ١٩٨٧ اشتكى بعض الأعضاء من الأفريقيين من صعوبة الاتصال بجيرانهم أو الوصول إليهم رغم الحدود المشتركة إلا عن طريق عاصمة أوروبية) .

وفى جامعة « ماكريرى » بأوغندا ، وضع الأوروبيون لوحة تمثل الإرساليات التبشيرية وقد جاءت لتخليص الأفارقة من الأغلال التى قيدهم بها العرب ، ونفس اللوحة معلقة بعرض الحائط فى متحف ليفنجستون بزامبيا ، حيث يحاولون بهذه الوسائل وغيرها تصوير العرب بأنهم تجار رقيق ، وأن الأوروبيين هم الذين خلصوهم من العبودية .

وهذه الدعاية عنصر ثابت فى كل مخططات المبشرين ومدارسهم فى شرق أفريقيا ووسطها خاصة ، حتى بلغ الأمر مبلغا خطيرا أدى إلى النفور من المسلمين والثقافة الإسلامية ردحا طويلا من الزمان ، وما تزال تلك الدعاية السوداء تعمل عملها فى كثير من المناطق .

نسأل المولى ـ سبحانه ـ أن يوفق حكام المسلمين وعلماءهم إلى اختراق حاجز المؤامرات وحاجز الانجذاب نحو التجزئة والصراعات المحلية ، من أجل تحقيق الأهداف العامة وعلينا أن نلجأ إلى تخطيط شامل فى أسلوب عملنا تخطيطا تُرَشِّدُهُ عقيدتنا ، فإن من لديهم عقيدة محددة عميقة الجذور ، هم دائما فى أفضل وضع لمعالجة التغيرات والمشكلات ، وهل هناك ما هو أفضل من عقيدة الإسلام وشريعة الرحمن ؟

د . عبد الله نجيب محمد

اهم المراجع العربية :

١ ـ د . إبراهيم شحاتة حسن : ريجنالد ويجنت فى الصومال ـ من مطبوعات جامعة القاهرة .
٢ ـ إدريس كوكس : سقوط الامبراطورية : ترجمة محمد رشاد خميس . الألف كتاب .
٣ ـ الإسلام والتجديد : تعريب عباس محمود . القاهرة ٣٢ .
٤ ـ أرنولد : العودة إلى الإسلام ط ٢ . القاهرة ٥٧ .
٥ ـ أحمد عزت عبد الكريم : العلاقات بين الشرق العربى وأوروبا بين القرنين ١٦/١٧ .
٦ ـ د . حسن محمود : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا .
٧ ـ دونالد ويدنر : تاريخ افريقيا : جنوب الصحراء : ترجمة راشد البراوى ٦٢ .
٨ ـ محمد عمر بشير : جنوب السودان : ترجمة أسعد حليم : الهيئة المصرية ٧١ .

الفتاوى

إعداد
عبد الحميد السيد شاهين
صفوت عبد الجواد

سؤال : من « ع . عبد الكريم » .

يضع اخى اكثر ماله بل كله إلا راتبه فى احد البنوك ، وحينما علمت بذلك أصبحت اتردد فى تناول شىء فى بيته من طعام أو شراب إلا الماء ، وقد طلبت إليه ان يسترد ماله من البنك فلم يفعل وقال لى :

إن الأرباح التى آخذها استخرج منها زكاة المال .

(ا) فهل لى ان اطعم من ماله مع علمى بهذا الوضع ؟

(ب) وهل الزكاة التى يؤديها من أرباح هذا المال نافعة ؟

ارجو إجابتكم وفقنى الله وإياكم .

الجواب :

نفيد بان وضع المال فى البنك ليؤخذ عنه فائدة سنوية مشروطة إنما هو « ربا » لان فيه زيادة لأحد العوضين عن الآخر ، والربا قد حرمه الله فى الكتاب والسنة ، واجمع العلماء على ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِىَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ .

وما توعد الله على معصية بالحرب كما توعد على الربا ويقول الرسول ﷺ[1] « لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه » .

وما دامت الفائدة المذكورة « ربا » ومحرمة فلا يحل للإنسان امتلاكها ، ولا التصرف فيها ، ولا إخراج الزكاة منها وإنما يجب عليه أن يخرج الزكاة مما يملكه من مال تحت يده

أما أكلك عند أخيك فإنما تأكل من مال مشبوه لا تعرف حلاله من حرامه ولا إثم فى ذلك لأنك لا تأكل من مال محرم قطعاً بل تأكل من مال اختلط فيه الحرام بالحلال ، والأفضل البعد عما فيه الشبهات ما استطاع الإنسان

سؤال من « ص . ابراهيم - اسكندرية »

لم اكن منتظماً فى صلاتى ولا صيامى وكنت أحلف كذباً ، والآن اصوم واصلى ولا اكذب فهل يقبل الله توبتى ؟

الجواب :

نفيد بأنه من رحمة الله تبارك وتعالى أن الله

---

١ - اخرجه أحمد وابو داود والترمذى وابن ماجه .

الفتـــــاوى

فتح باب التوبة للخطائين المذنبين يقول الله عز وجل : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

ويقول الرسول ﷺ[٢] « كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » .

فعلى العبد المذنب أن يرجع إلى الله وأن يتوب إليه التوبة النصوح ،والتوبة النصوح : إنما تتحقق بتوافر أركانها الأربعة .

الركن الأول : الإقلاع عن الذنب فلا تكون توبة مع الإصرار عليه .

الركن الثانى : العزم على عدم الرجوع إليه .

الركن الثالث : الندم على ما فات ، والحسرة عند تذكر ما فات من الذنب ، والندم دلالة على صدق التوبة .

الركن الرابع : رد الحقوق إلى أربابها سواء أكانت لله أو للعبد ، فعليك ياأخى أن تواظب على صلاتك وصيامك وأن تقضى ما فاتك منها جهد استطاعتك ، وعليك الا تحلف كاذباً ، وأن تؤدى كفارة عن الإيمان الكاذبة السابقة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ، ولتكثر من الاستغفار ، فإن الرسول ﷺ يقول[٣] : « توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب إلى الله وأستغفره فى اليوم مائة مرة » .

وأبشر ياأخى فقد عرفت بالتوبة طريق الله ورحمته وهدايته ولا تنس أن تؤدى حقوق العباد لهم ما دمت مستطيعاً .

سؤال :

من « ا . سليمان هدهد ـ بسوهاج » .

ما حكم الشرع فى اكل اللحوم المستوردة ؟ مع عدم علمنا او تاكدنا من طريقة الذبح ؟

الجواب :

نفيد بأن واجب المسلمين الا يكونوا عالة على أعدائهم أبداً ، وأن يكون لهم عملهم واجتهادهم وحدهم حتى يكونوا فى مركز القوة أمام الأعداء ، وحتى لا يتحكم فيهم هذا العدو اعتماداً على حاجتنا إليهم ، وكذلك الحال أمام هذه اللحوم المستوردة ، فالواجب الا نستوردها لمجرد الاستيراد والتجارة وإنما الاستيراد يكون للحاجة إليها فقط ، وواجب ولى الأمر وهو الأمين على الأمة أن يكون له المراقبون الأمناء الذين يراقبون الذبح للحيوانات فى مظانه الشرعية .

والله تبارك وتعالى قد احل لنا ذبائح أهل الكتاب مما هو حلال لنا على أن يكون الذبح بالطريقة الشرعية ، والا يذكر عند الذبح اسم غير اسم الله ، كأن يذكر اسم الله أو لا يذكر اسم عند الذبح اطلاقاً .

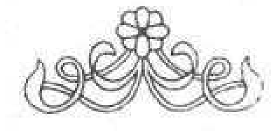
فإذا تيقن الإنسان أن هذه اللحوم المستوردة من بلاد أهل الكتاب لم تذبح ذبحاً شرعياً أو ذبحت مع ذكر اسم غير اسم الله فإنه يحرم عليه أن يأكل منها لأنها ميتة ، كما يحرم عليه أن يأكل من اللحوم المستوردة من بلاد ليس أهلها من أهل الكتاب فهى ميتة كذلك .

٢ ـ اخرجه احمد والترمذى وابن ماجه والحاكم .

٣ ـ البخارى فى الأدب المفرد مع اختلاف فى اللفظ .

من أعلام الأزهر

الدكتور محمد عبد الرحمن الكردي



الشيخ محمد أحمد عبد الله "شمس الدين"



٢٢/١/٣٣ - ٥/٦/١٩٨٨

رحل الدكتور محمد عبد الرحمن الكردى إلى جوار ربّه ، فأورث عارفيه ومريديه حزناً أليماً ، إذ افتقدوا شمائله النبيلة وسجاياه الحميدة ، أمّا زملاؤه بالجامعة فكان حزنهم أشد وأعمق ؛ لأنهم يعرفون ما حباه الله به من صفات إسلامية يتوجها التواضع والوفاء وسعة الصدر ، والدفع بالتى هى أحسن ، والتماس العذر لمن يزل حتى لو تعذرت أسبابه ، فإن الرجل السمح كان يتلمس الوسائل للصفح ليحفظ مكانة من ألم بالهفوات ، وقد كان مسجده بعد رحيله غاصاً بآلاف المعزين ولكن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ، وكل يفيض فى ذكريات ندية عاطرة ، أخذت تهب على السامعين كما يهب النسيم مضمخا بالعبير ، وأذكر أن صديقي الأستاذ الدكتور عبد اللطيف خليف ، وهو أخلص خلصاء الراحل الكريم ورفيق جهاده العلمى والإدارى قال لى باكياً : لقد كان عبد الرحمن أخاً وأباً وابناً فى وقت واحد ، فهو أخ يقدم المشورة الصادقة ، ويرعى الود الطاهر ، وهو أب يبذل لصديقه من ذات نفسه ويده ما يبذله الوالد لولده رعاية وإيثاراً وسخاء ، وهو ابن يستمع ويذعن ويطيع عن حب ومروءة وتفدية ، وتلك معانٍ تحتاج إلى شرح مؤيد بالشواهد ، وليس هذا مجالها .

أسرة صوفية

نشأ الزميل الصديق نشأة صوفية فى بيئة تتشرب المثل الإسلامية ، وتدعو إلى الارتقاء الروحى ، مستمدة العون من الله ذكراً فى التسابيح ، وتأليفاً فى الكتب ودرساً بالمسجد ، ورحلةً إلى القرى والمدن تأليفاً للقلوب وإرشاداً للنفوس وتطهيراً للأرواح ، إذ كان جده الصوفى الكبير الشيخ محمد أمين الكردى ممن أخلص قلبه لله ، فأمده بروح من عنده ، وقد درس بالأزهر الشريف على كبار شيوخه ، وفى مقدمتهم شيخ الأزهر العلامة الكبير سليم البشرى ، إذ سمع منه دروس الصحيحين ، وموطأ مالك ، وتفسير

البيضاوى ، ثم انتقل إلى الإمامة والخطابة بالمساجد ، فكانت دروسه وخطبه نمطاً جديداً من الوعظ الروحى ، لأن الشيخ الكردى الكبير قد نَهَجَ نَهْجَ الإمام الغزالى حين جمع بين علوم الشريعة وعلوم الحقيقة ، فلم يكن المتصوف النظري الذى يدرس المسائل الفلسفية فى منطق عقلى جاف ، ولم يكن (الدرويش) السطحى الذي يظن التصوف حلقات ذكر ، ومواكب وبيارق وشارات ، ولكنه العالم الفقيه الذي درس كتب الشريعة وألف فيها عن كفاءة ونبوغ ، والصوفي الذى داوم الذكر ، وارتقى بأشواقه إلى نفحات السماء ففاضت عليه بالسعادة والإقبال ، ثم جمع حوله من مريديه من هداهم إلى حقائق الشريعة لتكون معراجاً إلى أفق التصوف الرائق المستنير ، ولعل كتاب (تنوير القلوب فى معاملة علام الغيوب) أصدق معبر عن اتجاه مؤلفه الكبير ، إذ ضم الحقائق الصادقة فى علوم التوحيد والفقه والتصوف ، ثم كتب بلغة سهلة لم تكن معهودة فى الدراسات الفقهية في حينها ، فأكب عليه الخواص والعوام معاً ، يتلمس الأولون سبحات الروح الصافية فيما ألهمه المؤلف من اتجاهات انفرد بها ، كما يقتصر غيرهم على الحقائق الواضحة فى أبواب الصلاة والزكاة ، وسائر العبادات والمعاملات ، وقد تعددت طبعات الكتاب حتى بلغت العشرين ، وذلك دليل التوفيق ، وأنا أعرف فى القرى المتفرقة فى مصر أناساً



د . محمد عبد الرحمن الكردى

يحفظون صفحات من (تنوير القلوب) كما يحفظون نصوص الأحاديث ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ..

ثم أعقب الشيخ أمين بعد رحيله علماء من الأزهر قاموا بنشر طريقته كالشيخ محمد يوسف السقا ، والشيخ سلامة العزامى ، وولده[1] الشيخ نجم الدين الكردى والد الصديق الراحل ، وقد كان أساتذتنا بكلية اللغة العربية أصدقاء مخلصين للشيخ نجم الدين ، يقدرون علمه ويحمدون زهده وتواضعه ، ومنهم الشيخ عبد السميع شبانة

(١) ولده : ولد الشيخ محمد أمين الكردى .

الدكتور محمد الكردي

والشيخ محيى الدين عبد الحميد والشيخ عبد الله الشربيني والشيخ محمد الطنطاوى والشيخ أحمد شفيع السيد، رحمهم الله جميعاً، وقد حدثنى الشيخ أحمد شفيع بأن الأستاذ نجم الدين يفيض فى تفسير ايات من كتاب الله بما لم يسبق إليه، وإنما اهتدى إليه فيضاً وفتحاً : وهو فى تواضعه لا يحرص على تدوين ما يعن له تورعاً وتقية وتحرزاً.

فى هذه البيئة نشأ الدكتور محمد عبد الرحمن الكردى، ودرس بالأزهر حتى نال أعلى درجاته العلمية متخصصاً فى البلاغة، وقد ذكر لى أن والده أشار عليه باتجاهه البياني ليدرس إعجاز القرآن الكريم بلاغياً، إذ أن علوم البلاغة هى ميزان النص الأدبى، وهى فى أكثر المتداول من كتب التراث تدور حول النص القرآنى تحليلاً وتوجيهاً، إذ القرآن هو النموذج المحتذى لأرفع أساليب البيان.

نظرات فى البيان

وللدكتور عبد الرحمن مؤلفات عن ابن الأثير، والزملكانى ومحاضرات فى «تاريخ البلاغة»، ولكن كتاب (نظرات فى البيان) يدل دلالة طيبة على شخصيته العلمية، فقد قرأ أكثر الشروح والحواشي والتقريرات المتداولة فى المحيط الأزهرى وهى فى دراستها المستأنية تتطلب جهداً حفيلاً، لأنها فى صميمها العلمي لا تقتصر على فنون البلاغة من معان وبيان وبديع ولكنها تستطرد إلى دقائق غامضة فى علوم المنطق والأصول والفلسفة، فوق ما هو معروف «من علوم اللغة والنحو والاشتقاق، إذ كان أصحاب الحواشي ممن لا يعترفون بالتخصص الدقيق، بل ممن لا يرون أن مسائل البلاغة تقف عند حد مرسوم، فتعبوا وأتعبوا، وتطلبوا قارئاً من طراز قل نظيره الآن : لقد قرأ عبد الرحمن أكثر هذه الشروح، وتطلع إلى غيرها مما سبق عصر الحواشي والتقريرات، وجمع من ذلك كله خلاصة وافية فى كتاب (نظرات فى البيان) وبعض القراء يظن أن التأليف يقف عند الجمع وحده، فيصم المؤلف بأنه فيض من النقول، وقد يكون كذلك عند الدارس السطحى، ولكن الدكتور عبد الرحمن قد عانى رهقاً فى جمع ما قدم، لأنه كان يستوعب ثم يلخص، ثم ينتخل ويختار، واختيار النصوص العلمية إذا تزاحمت فى موضوع واحد يتطلب جهداً عقلياً فى الترجيح والانتخاب، بل يتضمن نقداً صامتاً فى التجاوز والإهمال، لأنك حين ترفض نقل النص، وتؤثر غيره عليه، إنما تقوم بنقد حقيقي يتضح للمؤلف دون أن يعلم عنه القارىء شيئاً، وقد جاء كتاب النظرات تركيزاً دقيقاً لأهم فنون البيان، على حين يصور منحى الدكتور الكردى فى التأليف، وهو منحى انتقل إلى تلاميذه، فقد لاحظت أن الرسائل الجامعية التى أشرف عليها تدل على استيعاب دقيق لفروع كثيرة من مسائل البلاغة، وترجع إلى مصادر ومراجع، قد لا تجد الترحيب ممن يتنقص بلاغة المتون والشروح، ولكنها غذاء دسم لمن رزق الأسنان القوية، والمعدة الهاضمة، والتمثيل الكاشف لكل ما يطالع من جزئيات دقيقة تعتمد على

اللمح والإيماء أكثر مما تعتمد على البسط والإسهاب .

مع تلاميذه

وأوضح ما كنت أشاهده فى علاقة الدكتور الكردى بتلاميذه الدارسين فى المراحل العليا ، أنه ينهج معهم نهجه مع مريديه الذين يعتبرونه شيخهم الروحى ، إذ كان من ديدن الشيخ الكردى ألا يقرأ رسالة الماجستير أو الدكتوراه منفرداً عن كاتبها الطالب ، بل كان يحدد له موعداً بمنزله ، ليقرأ عليه الطالب ماكتب قراءة أزهرية ، والقراءة الأزهرية بمعناها المتعارف لدى الشيوخ تقف عند كل تعبير ، وتناقش المنطوق والمفهوم ، وتبحث عن المرجع ، وتعارض النص المنقول بما يشبهه من النصوص الأخرى فى الموضوع الواحد ، وقد تستغرق قراءة الصفحة الواحدة جلسة ممتدة ، وهذا مالا يقدر عليه غير أناس عاشوا فى هذا الجو العلمى ، ورزقوا سعة الصدر ، وهدوء الأعصاب .

للدكتور الكردى بمنزله مكتبة آهلة بكل رائع فى القديم والحديث ، فإذا اختلف مع الدارس فى نصٍّ سارع باستشارة المراجع ، وطلب من تلميذه أن يحضر الكتاب بنفسه ، وأن يقرأ موضع الخلاف ، وأن يدون وجهة النظر المعارضة ، وقد يطول أمد الدراسة حتى يضيق الطالب ، ولكنه من جهة أخرى ينظر إلى مايجنى من الثمر الشهى ، فيعد نفسه غانما ظافرا ، لقد حدثنى الدكتور محمد إبراهيم شادى المدرس بكلية اللغة العربية بالمنصورة ، أنه حين أعد رسالته عن « الحوار فى القرآن الكريم » بإشراف الدكتور الكردى ذهب إلى منزله ليقرأ عليه بعض الفصول ، وكان فى ظنه أنه سيقضى ساعة أو ساعتين ، ولكن النقاش امتد ، وتطلب الأمر مراجعة المصادر من مكتبة الأستاذ المشرف ، حتى استبان وجه الحق ، واحتاج الفصل إلى كتابة جديدة ، فانتظر الباحث مدى ثلاثة أيام بمكتبة الأستاذ يراجع وينقل ويدوّن ، حتى كتب الفصل على وجهه المختار دون أن يغادر المنزل ، إذ اعتبره أستاذه ضيفا على المكتبة قارئا ودارساً ، وعلى المنزل زائراً يجد حقوق الضيافة عن سماحة وإيناس ، ولعل امتداد الصلة على هذا النحو بين الدارس والمشرف مما يجعل صلة العلم كصلة الرحم ، فالأستاذ والد والتلميذ نجل ، وليس بعد الأبوة والبنوة من قربى تُعَدّ .

ومادُمنا نتحدث عن مكتبة الأستاذ ، فأنا أذكر أن طلاب الكلية من ذوى الدراسات العليا يعدُّونها أقرب المكتبات إلى أيديهم فيسارعون باستعارة مايفيدهم دون عائق ما ، وقد عرف الدكتور عبد الرحمن رسالة مكتبته العلمية فكان يحرص على اقتناء مايجد من الكتب النافعة ، وبخاصة ماينشر من كتب التراث ، أذكر أنه كان يبحث عن ترجمة الشيخ (محمد على علان البكرى الصديقى) لأن أحد طلابه كان يدرس النكات البلاغية فى شرحه لكتاب « الأذكار » للنووى ولابد من التعريف بالمؤلف على وجهٍ مبسوط ، فاجتهد الكردى دون أن يهتدى إلى غير سطور لا تغنى ، ثم راسلنى متسائلاً : فقلت له إن للشيخ محمد بن علان ترجمةً مبسوطةً فى كتاب (المختصر من كتاب نشر النور والزهر) تأليف الشيخ عبد الله بن مرداد ، وهو من

مطبوعات جدة ، وقد نشره الأستاذ محمد سعيد العامودى والأستاذ أحمد على ، وما كاد خطابى يصل إليه ، حتى أبرق لبعض أصدقائه بجده راجيا أن يرسل له الكتاب فى أسرع طائرة تأتى ، وقد قابلنى بعد ثلاثة أيام فأرانى الكتاب ، وهو فى غاية البشر والابتهاج ، وكأنما وقع على كنز ثمين ! تلك حادثة تصور احتفاله بالآثار العلمية وابتهاجه بامتلاكها وتقديمها للدارسين .

منازل الفضل

يقول الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٢) .

وهذا النص الكريم ، وجد تطبيقه العملى فيمن تلا الذين تبوءوا الدار والإيمان ممن نهجوا منهج السلف الصالح على كر العصور ، وقد كان الريف فى أيام طفولتنا قبل أن يعم بلاء « السينما والتليفزيون » مصدراً من مصادر السماحة الإسلامية والمروءة العربية ، مأهول الرحاب بالقاصدين ، يستقبلون ببشاشة ، ويحظون بما أعد دون تكلف أو افتعال ، وبقيت هذه المروءة فى منازل الفضل لدى كثير ممن عرفتهم من علماء الأزهر الذين انتحوا منحى التصوف العملى ، ذى السلوك المحمدى الكريم ، فأنا أعرف من هذه المنازل الآهلة بالوافدين ، الدافقة بالكرم والمروءة ، منزل الشيخ « حسن القاياتى » بالسكرية فى القاهرة ، ومنزل الشيخ « محمود هاشم » ببنى عامر فى الشرقية ومنزل الدكتور « عبد الرحمن الكردى » بشبرا بالقاهرة ، حيث رحبت هذه المنازل فى ساحاتها الممتدة بمئات الزائرين ممن تتسع الصدور قبل الأرض لاستقبالهم ، وقد حدثنى أخى الأستاذ طاهر أبو فاشا أن منزل « القاياتى » لعهده فى دار العلوم بأواخر الثلاثينيات كان محط الطلبة بالأزهر والجامعة إذ تنسال الوفود إليه انسيالاً ، ولا يكتفى البعض بالطعام بل يطلب من الشيخ حسن القاياتى مايحتاج من النقد المالى فيسعفه دون إبطاء ، أما منزل الشيخ محمود هاشم فحديثه اشهر من أن يطلب ، وقد حدثنى الدكتور عبد الحميد الطنطاوى أنه كان يحس بركة الطعام فى ساحة أبى هاشم حين يشبع بعد لقيمات تملأ نفسه وكأنه استمر ساعة طويلة ، وكذلك منزل الدكتور الكردى الذى لا تكاد تنقطع عنه الوفود راغبة آملة ، وقد تعود الناس أن يغفلوا هذه المآثر فلا يعلنوها للناس ، وهذا غير الصواب ؛ لأن فى إذاعة المحامد تأكيداً لها ، ودعوةً للقادرين إلى مجاراتها والاقتداء برجالها ، وقد تأصل هذا السلوك الكريم بوحى الإسلام ، وأمر القرآن ، على حين انخدع بعض الأغرار فأخذوا يطلقون كلمة الاشتراكية الزائفة على من يبذلون الخير ممن دعوا إلى الله عن إيمان ،

(٢) سورة الحشر : آية ٩ .

وكأنه ليس لدينا قرآن يأمر وينهى ، وحديث نبوى يذاع ويتردد ، بل أعجب العجب يملأ النفس حين تجد من يصف الصحابى الزاهد أبا ذر الغفارى بالاشتراكى المكافح ، وكأن الزمن قد تأخر به حتى استقى من نبع ماركس ولينين ، وهى ضعة وضيعة لحقت نفراً لا يعرفون دينهم ، ولا يؤمنون بمثلهم ، فظلوا يتباهون بالباطل الخادع حتى انكشف عوارهم ، فهم عراة أمام العيون

إن منازل الفضل ستبقى ببقاء الاسلام ، وإننا حين نترحم على أصحابها إنما ندعو إلى احتذائهم ، فهم علماء عاملون ، وقادة مخلصون ، إمامهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكتابهم القرآن الكريم ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً . وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَايُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَايُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾(٣) .

د . محمد رجب البيومى

من الحقوق العامة للانسان . بقية .

هيئات عامة أو جمعيات دولية كما حدث بالنسبة للإعلان العالمى الذى أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ديسمبر سنة ١٩٤٨ ودعت فيه أعضاءها من دول العالم إلى ترويجه وإلى العمل على نشره وتوزيعه وقراءته ومناقشته فى المدارس والمعاهد العلمية .

لذلك لم يكن غريبا أن يكون موقف الإسلام منذ أقدم عصوره اتساقا مع ذاته فى نشر العلم الذى رآه ضرورة إنسانية وشرعية فرضها الله لإحياء الإنسان ولصلاح الدين ولعمران الدنيا جميعا على حد سواء ، ولم يكتف بذلك بل حث على المزيد من طلب الثقافة والتنقيب عن مجالى المعرفة ، وهذا الطلب لا تزال له الصلاحية اليوم وغداً ، لينتقل بالأمة من التخلف إلى التقدم ومن الركود إلى النهضة ومن الكسل العقلى إلى التوقد العقلانى والروح العلمية المستمرة تطبيقا لقول الله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾(٣٢)

محمد عزت الطهطاوى

(٣٢) سورة طه ١١٤ .

(٣) سورة فصلت : الآيات ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .



فى قرية من اعمال مركز طهطا محافظة سوهاج (مديرية جرجا حينذاك) هى قرية « بنى عمار » ولد محمد أحمد عبد الله سنة ١٣٥٤ هـ التى توافق سنة ١٩٠٩ م ولكن الاسم الذى ظل معروفا به طوال حياته هو لقبه (شمس الدين) .

نشأ فى بيت تظلله تقاليد الصعيد الصارمة التى تجعل كل فرد فى البيئة يشعر بأن أضواء البيئة مسلطة عليه ليل نهار ، وكل ما يصدر عنه من سلوك فهو مرصود أمام أعين الجميع ، وتحت أذانهم ، فلا يستطيع أن ينحرف يمنة أو يسرة ، وإن فعل فالويل له كل الويل ، وفى هذا البيت أحس هذا الطفل الناشىء بالنزعة الدينية تغمره وتحيط به ، فبعض إخوته فى الأزهر الشريف ، وبعضهم مازال يحاول حفظ القرآن الكريم ، والكل فى رعاية أبوين صالحين ، كل أمالهما أن يريا أولادهما ينهلون من الدين وعلومه .

وفى الحق أن هذه النزعة فى البيئة ليست فى قرية أو منطقة معينة فحسب ، فإن إقليم سوهاج ، أو بمعنى أدق إقليم جرجا (سابقا) عرف بنزعته الشديدة العريقة إلى الأزهر وعلومه ، وحين كانوا يتناقلون فى الأجيال الماضية أوصافا تقترن بالبلاد والأقاليم كانت صفة جرجا أنها بلد العلم ، ولم يكن هناك حينئذ علم إلا علوم الأزهر ، وحتى قبل أن ينشىء الأزهر معاهده الرسمية فى الأقاليم وينظمها كانت فى مديرية جرجا عدة معاهد دينية أهلية ، حرص الأهالى بجهودهم على إنشائها وتمويلها ، وحرص علماء الإقليم على إفراغ كل جهودهم العلمية فيها ، وبينما كانت المعاهد الدينية ـ قبل إنشاء المعاهد الرسمية ـ فى مصر كلها لا تتجاوز بضعة معاهد ، كان فى إقليم جرجا وحده ثلاثة معاهد من أعرق المعاهد وأنشطها علما ، وأكثرها عدداً من الطلاب : أحدها فى مدينة جرجا ، والثانى فى مدينة طهطا ، والثالث فى قرية ، (بلصفورة) ، التى يرتبط

● الكاتب : استاذ باللغة العربية ـ جامعة الأزهر .

بقلم د. عبد الحليم حفني

اسمها بالشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد ، ومع كونه فى قرية فقد كان من أشهر معاهد الأزهر وأنشطها ، ولازالت هذه المعاهد - وقد أصبحت رسمية - من أكبر معاهد الأزهر وأنجحها .

ولم تكن هذه المعاهد الأهلية وحدها هى مراكز الإشعاع العلمى والدينى فى البيئة ، بل إن كثيرا من المساجد فى كل المدن والقرى كانت تعد مراكز علمية ثابتة ، واضحة التأثير الثقافى والدينى ، ومن المعروف فى محيط الأزهر حتى اليوم أن محافظة سوهاج بالقياس إلى حجمها وعدد سكانها تفوق كل محافظات الجمهورية على الإطلاق فى عدد المعاهد الأزهرية فى كل مراحلها الابتدائية والإعدادية والثانوية

وقد أثمرت هذه النزعة فى إقليم سوهاج فأنجبت أفذاذاً من علماء الأزهر كالشيخ رفاعة الطهطاوى الذى ترتبط نهضة مصر العلمية الحديثة باسمه ، والشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأشهر .

وفى هذه البيئة نشأ الشيخ شمس الدين أحمد عبد الله .

حياته العلمية :

من شروط قبول الطلاب فى معاهد الأزهر أن يكون الطالب حافظا للقرآن الكريم ، وكانت « الكتاتيب » هى قاعدة التعليم الأولى فى كل أنحاء البلاد وخصوصا فى الريف ، ومهمة الكتاب تحفيظ القرآن الكريم وتعليم



الشيخ محمد أحمد عبد الله

القراءة والكتابة ، وقد أدت الكتاتيب دوراً تاريخيا بالغ الأهمية فى المجال الدينى والثقافى ، فقد كانت المكان الوحيد لبدء التعليم ، وبالتالى فهى المكان الوحيد المؤهل للالتحاق بالجامع الأزهر ، وحتى بعد انتشار مدارس المرحلة الأولى الحكومية منذ مطلع هذا القرن فقد ظلت الكتاتيب موضع الاهتمام والثقة وخصوصا فى الريف ، وظلت هى المكان الوحيد المؤهل لدخول معاهد الأزهر ، ولم يتقلص دورها إلا بعد أن تناقص عدد محفظى القرآن الكريم ، وبالتالى تناقص عدد الكتاتيب حتى أوشكت على الانقراض ، مما اضطر الأزهر إلى إنشاء معاهد للمرحلة الابتدائية فى تعليمه ضمن خطة تطويره سنة ١٩٦١ م .

الشيخ شمس الدين

وكل ماتمتاز به هذه المعاهد الابتدائية عن المدارس الابتدائية فى التعليم العام هو تحفيظ القرآن الكريم إضافة إلى مواد التعليم العام .

وفى كتاب قرية (بنى عمار) كان التلميذ شمس الدين أحمد عبد الله من ألمع التلاميذ وأشدهم انكبابا على الحفظ والاستيعاب ، حتى حفظ القرآن الكريم فى سن مبكرة ، وألم بالقدر المؤهل لدخوله الأزهر من المواد الثقافية كالحساب، والإملاء .

وحتى سنة ١٩٣٦ م لم يكن فى الوجه القبلى كله إلا معهد أزهرى رسمى واحد ، هو معهد أسيوط ، وفى هذه السنة أنشىء معهد قنا ، وظلا المعهدين الوحيدين الرسميين فى الوجه القبلى حتى سنة ١٩٤٦ م حين أنشىء معهدا سوهاج والمنيا .

وحين أنشىء معهد قنا سنة ١٩٣٦م حدد الأزهر المنطقة التى يخدمها ، وهى محافظتا قنا وأسوان ، ومركزا جرجا والبلينا من محافظة سوهاج ، أى من جنوب مدينة سوهاج إلى نهاية الصعيد جنوبا .

وحيث كان الطالب شمس الدين محمد أحمد عبد الله من شمال مدينة سوهاج فقد كان عليه أن يتوجه إلى معهد أسيوط ، فالتحق به وأصبح ضمن طلابه فى المذهب الحنفى ، وكان يحمل ميزتين أعانتاه على التفوق فى دراسته ، وعلى المحافظة على هذا التفوق طوال مراحل الدراسة ، هما الذكاء ، والمقدرة على التفرغ للمذاكرة تفرغا كاملا إلى درجة تكاد تشبه العزلة ، وقد يضاف إلى ذلك عامل لا يخلو من طرافة ، هو دراسة المذهب الحنفى الذى التحق به الشيخ شمس الدين ، فإن كل مسائل المذهب الحنفى تقوم على الأدلة العقلية ، وعلى الصراع العقلى الممتع بين أئمة المذهب فى خلافاتهم ، ولذلك يسمى مذهب أهل الرأى ، وكان لهذا الطابع صدى فى إيقاظ الاستعداد العقلى لدى الطلاب ، ولم يكن غريبا ونحن طلاب فى المعاهد الأزهرية أن نرى طالبا يتحدى زملاءه حين يرى طالبا يتحدث فيؤكد أن هذا الطالب لابد أن يكون حنفى المذهب ، مستنتجا هذا من يقظته العقلية ، أو مقدرته فى الجدل العقلى .

وكل هذا أتاح له أن يلتزم التفوق فى كل مراحل دراسته ، حتى حصل على الشهادة الثانوية من معهد أسيوط ، ثم الشهادة العالية من كلية اللغة العربية سنة ١٩٣٥ م وكان ترتيبه فيها السادس بين الناجحين ، وعين حينئذ مدرسا فى معهد أسيوط الدينى وصمم الشيخ شمس الدين على مواصلة الدراسة ، وكانت الدراسات العليا فى الأزهر حينئذ تنحصر فى مجال واحد هو « تخصص المادة » حيث يتجه الدارس للبحث والدراسة فى مادة علمية واحدة يتخصص فيها ، وقد اتجه الشيخ شمس الدين للتخصص فى اللغة العربية فى مادة النحو .

وفى تخصص المادة كان على الطالب أن يجتاز قبل قبوله امتحانا تمهيديا عسيراً أمام نخبة من كبار العلماء ، ولم ينجح فى هذا الامتحان من كل المتقدمين سوى شخصين ، كان أحدهما الشيخ شمس الدين ، والآخر هو الشيخ أحمد أبو طالب .

وحين أتما رسالتيهما العلميتين شكلت لهما لجنة من كبار العلماء المتخصصين لمناقشتهما ، فلم تقبل إلا رسالة الشيخ شمس

الدين أحمد عبد الله ، ورفضت الأخرى ، وقد حضر المناقشة الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر وأبدى إعجابه بالمستوى العلمى للشيخ شمس الدين ، وبطريقته فى المناقشة ..

وصدر القرار بمنحه العالمية من درجة أستاذ فى النحو سنة ١٩٤٢ م وكان أول من تخرج فى تخصص المادة من قسم النحو ، وهذه الدرجة جعلتها كلية دار العلوم رسميا « دكتوراه » حين باشر فضيلة الشيخ المدنى العمل بها استاذا للشريعة .

وتلا ذلك مباشرة تعيينه ضمن هيئة تدريس كلية اللغة العربية لمادة النحو ومنذ أصبح الشيخ شمس الدين عضوا فى هيئة تدريس كلية اللغة العربية ، كان منهلا علميا زاخرا لطلابه ، وفى الحق أنه كان ضمن نخبة من صفوة العلماء الذين يكاد الواحد منهم يكون حجة فى مادة تخصصه ، من أمثال الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، والشيخ محمد علي النجار ، والشيخ عبد الخالق عضيمة وغيرهم من هذا الجيل الفذ فى عمق علمه واحاطته بكل دقائق مادته .

وكان صدر الشيخ شمس الدين دائما مفتوحا لطلابه فى الكلية ، يشرح لهم ويحاورهم ، ويتبسط معهم حتى يطمئن إلى استيعابهم مادته ، وكان بيته مفتوحا لمن يريد منهم الاستزادة من علمه ، أو الراغبين فى توجيهه وإرشاده من طلاب الدراسات العليا ، وكان من أهم ما يميزه فى تدريسه وحواره الإقناع وقوة الحجة فى الحوار ، ولعله لم يكن عفوا أن يسمى كتابه (المقنع فى النحو والصرف) فقد كان هذا الكتاب اثرا واضحا من آثار أسلوبه فى الإقناع وقوة الحجة ، وكان مع ذلك يتمتع بأسلوب أدبى واضح فى كتابته ، لا يعمد فيه إلى رنين الألفاظ ، وإنما إلى السلاسة وترتيب الفكر ، فمع أن النحو فى طبيعته قواعد لغوية ، إلا أن أسلوبه يحول هذه القواعد إلى سرد فكرى متتابع ، سهل العبارة ، منظم التراكيب ، وكأن القارىء يستمتع بمقال أدبى ، وليس بقواعد علمية ، ومن أمثلة ذلك فى تعريفه التعجب (التعجب هو انفعال يحدث فى النفس عند الشعور بأمر يجهل سببه ، وإن شئت فقل هو حالة قلبية منشؤها استعظام فعل ظاهر المزية بزيادة فيه خفى سببها ، فإذا زاد أى أمر من الأمور فى صفة من الصفات وتفوق على أمثاله ، وجهل سبب تفوقه فى تلك الصفة ساغ عند ذلك التعجب من صفة الموصوف بهذه الصفة ، فتقول فى التعجب مثلا من جمال السماء الذى فاق كل جمال وتنسيق ، ومن نشاط الغربيين الذى بهر العقول ، ومن عظمة قدماء المصريين التى فاقت كل عظمة : ما أجمل السماء ، وما أنشط الغربيين ، وما أعظم قدماء المصريين : فمنشأ التعجب الزيادة فى الصفة مع خفاء سبب الزيادة ..)

وهو بهذه العبارة الأخيرة يبرز معنى قلما يبرزه غيره فى حديثه عن التعجب ، وهو مضمون قولهم (إذا عرف السبب بطل العجب) ومن حرصه على التوضيح والإقناع فى هذا الكتاب أنه التزم فى نهاية كل باب وضع أسئلة ونماذج تشمل كل قواعد الباب ، ثم يجيب عنها .

وكان علماء الأزهر قبل قوانين تطوير الأزهر يعتمدون غالبا على نقل علومهم من

←

الشيخ شمس الدين

أفواههم إلى صدور طلابهم ، وليس تدوينها فى مؤلفات ، وخصوصا فى علوم التراث ، كالفقه والنحو والتفسير ، وبعد قانون التطوير أصبح على العلماء الموجودين فعلا فى هيئة التدريس أن يقدموا بحوثا فى تخصصاتهم حتى يتسنى لهم الترقى فى وظائف هيئة تدريس الجامعة .

تقدم الشيخ شمس الدين حينئذ بكتابه (المقنع فى النحو والصرف) فرقى به إلى درجة أستاذ مساعد ، وهو موشك على نهاية خدمته .

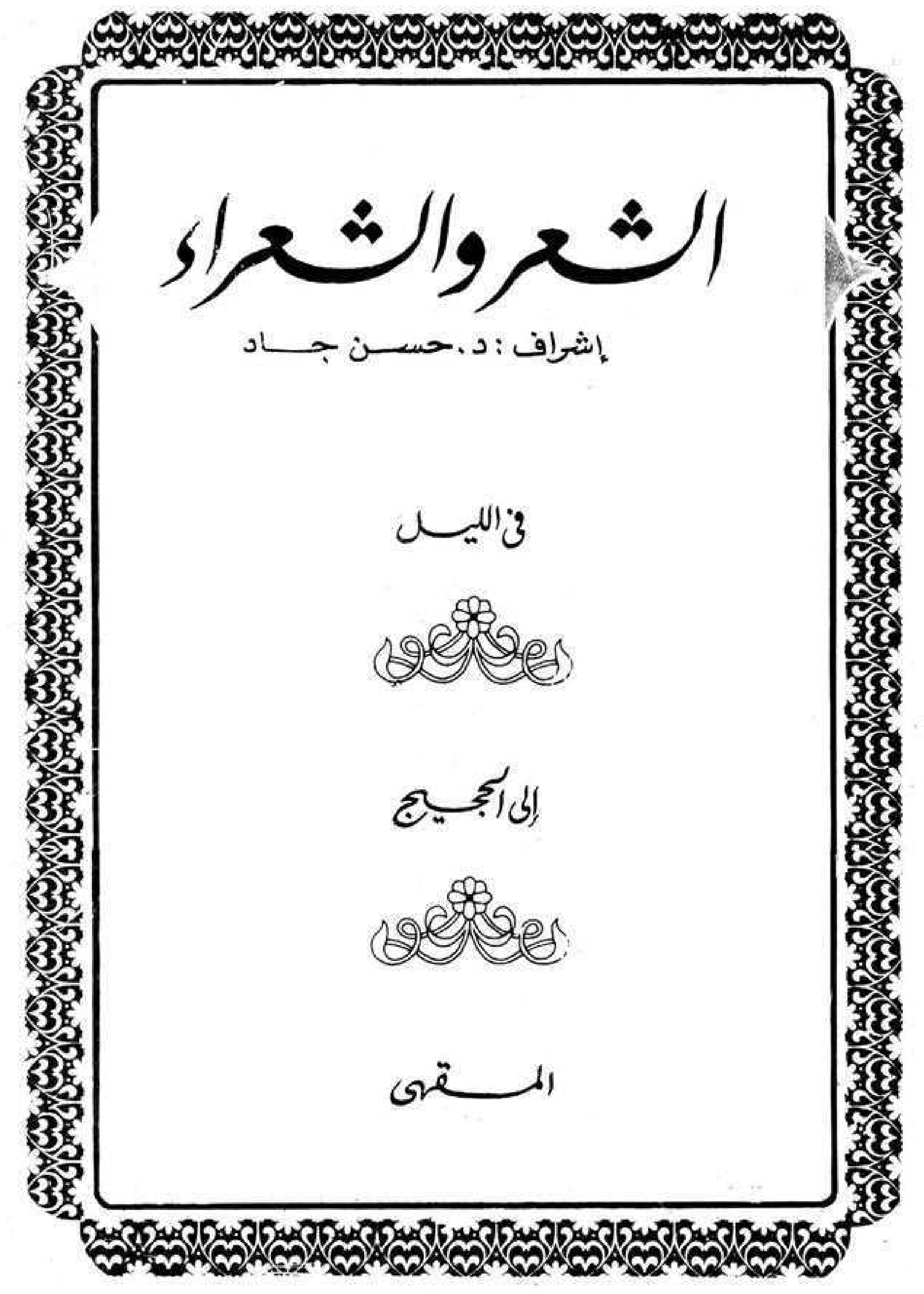
وفى خلال عمله فى الكلية أعير مرتين : إحداهما إلى السودان ، والأخرى إلى الرياض فى المملكة العربية السعودية .

وفى أخريات أيامه أصيب بمرض عضال ، أعانته على تحمله نزعته الدينية الأصيلة ، وظل بروح المؤمن العالم صابرا راضيا ، لم تفارقه سماحته ، ولم تغض فيه روح المودة ورقة الجانب ، حتى لقى ربه فى أول المحرم سنة تسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة الموافق للتاسع من مارس سنة سبعين وتسعمائة وألف من الميلاد .

صفاته الشخصية :

ظلت نشأة الشيخ شمس الدين وتربيته ملازمة له مدى حياته ، وفضلا عن وضعه الاجتماعى بوصفه عالما أزهريا ، وأستاذا فى الجامعة ، فقد كان التقيد الصارم بالتقاليد ، واستقامة السلوك فى صورتيهما المثالية التى تلائم وضعه الاجتماعى ، ونشأته الريفية معا ، كل ذلك كان شعارا واضحا يأخذ به نفسه ، ويأخذ به أسرته ، وكما يقول علماء الاجتماع (تستطيع أن تنتزع شخصا من الريف ، ولكنك لا تستطيع أن تنتزع الريف من شخص) فكذلك ظل طابع نشأة الشيخ شمس الدين ملازما له طوال حياته ، فحياته ملؤها الجد والحزم ، ولا يكاد يتخللها شىء من لهو أو مرح ، بل ولا من تسلية ، وأذكر أننى ذهبت إليه ذات يوم أهنئه بنجاح ابنيه فى الثانوية العامة بمجموع كبير يؤهل كلا منهما لدخول أية كلية يريد ، فوجدته بادى المرح والسرور إلى درجة لم آلفها قط منه ، فأخذ يحدثنى عن سعادته الغامرة حينئذ قائلاً : إن مثلنا لم يتمتع فى حياته كما يتمتع الآخرون ، فيجعل الله متعتنا فى أولادنا ، وكان يأخذ أولاده بنين وبنات بهذا الجد والحزم ، ويستشيط غضبا حين يرى أحد أبنائه يخرج عن هذا الجد بشىء يتوجس منه أن يكون مدعاة إلى خروجه عما يراه الأسلوب الأمثل فى السلوك والاستقامة ، كأن يصادق شبانا لا يعرفهم ، أو يتأخر فى العودة إلى البيت ، ومع ذلك فقد كان رحمه الله يتمتع بروح الفكاهة وخفة الظل ، فكم كان يضحك حين يكون غاضبا من أحد أبنائه ، فأحاول أن أسرى عنه وأداعبه بالإشارة إلى الفوارق بين الأجيال فى السلوك ، وأن الشباب الناشىء يتصور من هم أكبر منه سنا وكأنهم من أزمان غابرة ، وأجيال بائدة ، واضرب له مثلا بأخى الذى يصغرنى ببضع سنوات قليلة كأنه يرانى من أحد القرون الموغلة فى الزمان .

البقية ص ١٦٥٤



الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

في الليل

إلى الحجيج

المقهى



في الليل

للشاعر
محمد عبد الرحمن صان الدين

الليل ساج ، والكواكب خاشعة *** والكون ارهف للسكون مسامعه

تتطاير الاحلام في سبحاتها *** حول المضاجع والعيون الهاجعه

فَتَرُوع مؤتنسا ، وتؤنس خائفا *** وتنيل محروم المتاع مطامعه

في رهبة الصمت المُدَثَّرِ بالدجى *** والليل يودع في الحياة طبائعه

سَبَحَتْ على موج الاثير وطوَّفَتْ *** روحي بآفاق الوجود الشاسعه

بَسَطَ الجمالُ عليه من آلائه *** واباح للسارى البصير منابعه

فادرتُ فيه نواظرى ومشاعرى *** وطفقتُ ارصد كالرقيب وقائعه

فرايت احياء الظلام تجوس بيـ *** ـن غياهب جياشةٍ متدافعه

كلٌّ بفطرته يدبِّر شانه *** ويروم في كنف الحياة مراتعه

وكانما الليل البهيم نهاره *** يغدو به في ضوء شمس ساطعه

ورايت ان الكائنات جميعَها *** تسعى بقانون يهيمن ، طائعه

في الجو ، تحت الارض ، او من فوقها *** كلٌّ يلازم دربه ومواقعه

ولكل وَجهٍ حُسْنُهُ ، حتى الدجى *** في الليل يُسدِلُ ستره وبراقعه

فوقفت مبهور المشاعر اجْتَلي *** في ذلك الكون العجيب بدائعه

وتداعت الافكار تَزْحَمُ خاطرى *** مَجْلُوَّةً عُذْرِيَّةً متتابعه

اكبرت في هذا الوجود جماله *** وجلاله ، وسجدت اعبد صانعه

وجعلته في كل حال قبلتي *** ومضيت انشد في الحياة شرائعه

لا انثني عنها إلى براقة *** كالآل تبدو لِلْمُغَرَّرِ خادعه

هل في عطاء الفكر روضة مُبْدِعٍ *** كالوحي تزخر بالبدائع ، يانعه ؟

هيهات .. لن يجد ابن آدم شرعةً *** في الارض جامعة سواها مانعه

إلى الحجيج

للشاعر
محمود محمد بكر هلال

لاحت كنور الفجر في الظلمات ⁂ وتضوعت كالعطر في الزهرات
وغدت تغرد في جلال خاشع ⁂ كالطهر والإيمان في الصلوات
وسمعتها تدعو وتهتف في الضحا ⁂ قدسية الدعوات والنغمات
ورقاء ساحرة الصدى صداحة ⁂ تختال في سحر وفي هالات
حجاج بيت الله طابت رحلة ⁂ نلتم بها ما طاب من جنات
غادرتمو الوطن الحبيب لتسعدوا ⁂ بالأجر والرضوان في عرفات
وخلعتمو الدنيا وزخرفها الذى ⁂ يغرى الورى باللهو واللذات
وهناك في عرفات صرتم امة ⁂ مجموعة التهليل والدعوات
لا فرق بين الواقفين فكلهم ⁂ قلب يناجى الله بالدعوات
وعلى مِنًى نلتم من الله المنى ⁂ وقتلتمو الشيطان بالجمرات !
ولزمتمو البيت الحرام وطفتمو ⁂ سبعاً ببيت الله ذى الرحمات
بشراكمو فلقد عَمَرْتم بيته ⁂ وهو الكريم يضاعف الحسنات
ثم انثنيتم نحو قبر محمد ⁂ فحظيتمو بالخير والبركات
صلى عليه الله ما طلع الضحا ⁂ ودعا الموحد بارىء النسمات
ولكم من الله المثوبة والرضا ⁂ في اسعد الأيام والاوقات
والتهنئات ازفها منضورة ⁂ كالزهر في أرَجٍ وفي بسمات



المقهى

للشيخ محمد زكى إبراهيم

شعبٌ مضى امس مأمولا ومقدورا … حَدِّثْ به اليومَ مخذولا ومدحورا

من يَبْنِ باللهو داراً فى بلاد جوى … فقد بنى خيبة جُلّى وتقصيرا

ومن يرى الليل نورا يستضاء به … فإنما هو اعمى يَدَّعِى زورا

من ما نحى دِرَّةِ الفاروق أُعْمِلها … فيمن اعاصر مفتونا ومغرورا

يرجو على عجزه الغالى مصاولة … ويطلب المجد عند الله تقديرا

ما ضَرَّ مصرَ سوى المقهى بها وسوى … قوم كسالى تناسوا عندها الدورا

تنكروا لى كما شئتم وراق لكم … واوسعوا مذهبى هدما وتدميرا

ما اسمح الناسَ فى المقهى أَمَرَّ بهم … يطوون اعمارهم فى إثمها بورا

من كل مضطجع لاه ومصطنع … مما يطيب له كبرا وتخسيرا

يظل يعبث لا يلوى على مدد … ومصر تسأله جدا وتدبيرا

لم التق الدهر فى المقهى بنافعة … من العلوم ترد العسر تيسيرا

ولم اصب عندها للجد مأثرة … ولم انل عندها اللعجز تدبيرا

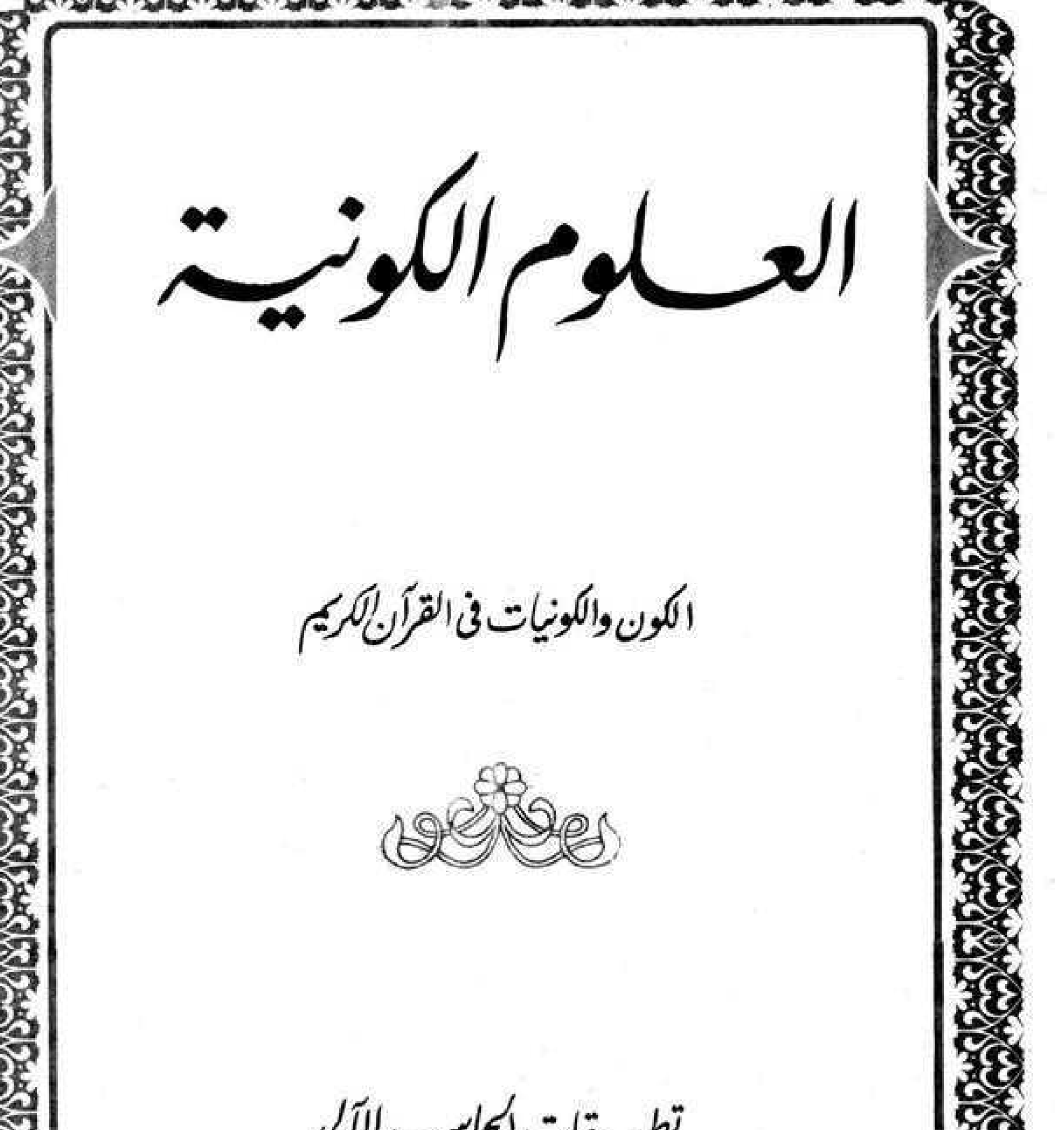
فأين تمضى ترى عيدا ومصطحبا … ومهرجانا وتضليلا وتغريدا

كان اتانا الذى قد ضاع من يدنا … ونحن لم نؤت مما ضاع قطميرا

من ارخص العمر يا هذا فتهدره ؟ … وانت واحد قوم امرهم شورى

وانت واحد قوم بعد عزتهم … ترددوا الذل مطويا ومنشورا

فمن لأهلك من زوج ومن ولد ؟ … من يفسد الآن منهم بات معذورا



العلوم الكونية

الكون والكونيات فى القرآن الكريم

تطبيقات الحاسب الآلى

الكون والكونيات

فى القرآن الكريم

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن ليكون خاتماً لكتبه المنزلة للبشر وليكون هداية لحياتهم ومحققاً لخير آخرتهم ، أنزله سبحانه على قلب رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بنص القول الحكيم :

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ الشعراء ١٩٢ - ١٩٥ .

وأنزل الله هذا الكتاب الجامع للناس كافة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف ١٥٨ ، وقال تعالى : ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ (الأنعام ١٩) ، كما أن هذا القرآن محفوظ الله لا يعتريه تحريف أو تبديل وذلك بالنص الإلهى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر ٩ ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت ٤٢)

ومن ثم كان القرآن - ولم يزل - معجزا فى كل ما أتى به وكل ما احتواه ، معجزا فى بلاغة أسلوبه وسمو معانيه وجوامع كلمه ، معجزاً بما قصّه من سير الأنبياء والمرسلين السابقين ، معجزاً بما تضمن من تشريعات حكيمة ومثل عليا تتفق مع طبائع البشر فى كل مكان وزمان ، تكميلاً لفطرتهم وضماناً لسعادتهم ، معجزاً بما حوى من آيات العلم والمعرفة الصحيحة عن الجانب المادى من الكون مما لم يكن للناس علم به قبل نزوله أو بعده حتى جاء العلم الحديث بوسائله البحثية المتقدمة التى أساسها الخبرة والتجربة والمشاهدة فكشف عن كثير منها وأماط اللثام عن حقائقها ، ولم تتعارض حقائقه معها فى شىء ما .

الآيات الكونية فى القرآن الكريم :

إذا كان القرآن الكريم منزلاً لهداية البشر وبيان عرى ارتباطهم بخالقهم فى كل شئون حياتهم وأمور آخرتهم فيخرجون فى الدنيا من ظلمات الجهالة والبغى وعبادة الأوثان - قديماً وحديثاً - إلى نور الإيمان واليقين ﴿ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم/١) وإذا كان يدعو الناس إلى تدبر آياته وتفهم معانيه ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ص /٢٩) ، فإنه جاء يدعو

د. كارم السيد غنيم

الناس إلى التدبر والتأمل فى بديع صنع الله وعظيم خلقه ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ . إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء ٧ و ٨) . ﴿ أَوَ لَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ (الأعراف / ١٨٥) ، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر / ٢١) .

كانت دعوته هذه إلى استعراض آفاق الحياة الكونية والتفكر فيها بقصد التعرف على آلاء الله وسننه فى كونه الفسيح وعندئذ تهتدى النفوس إلى الله الواحد الخالق الواهب ، أو تزداد هذه النفوس إيماناً على إيمانها وتزداد من خشية الله فى أعماقها .

وإن نظرة فى الآيات القرآنية الآتية لتوضح بجلاء أن كل ماخلقه الله فى هذا الكون ماهو إلا مقدمات لنتيجة مطلوبة هى معرفة الله والعلم به ، فهو سبحانه حينما يوجّه نظر الإنسان فى هذه الآيات ، فإنما يوجهه إلى مقدمات ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ . فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام / ٩٥ ، ٩٩)] هذه هى المقدمات فما النتائج ؟ .

إنها مايلى : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الأنعام / ١٠٢) ودعوة القرآن إلى دراسة الظواهر الكونية دعوة صريحة واضحة ، أفاض العلماء قديماً وحديثاً فى عرض خصائصها وأبعادها ولكنا نورد للاختصار قولاً واحداً لأحد الأئمة الأعلام هو الإمام الغزالى فى كتابه (جواهر القرآن) حيث يقول : (القرآن مصدر كامل لعلوم الروح والدين والطبيعيات والفلكيات والنباتات وعلوم الآلات بسائر أنواعها ، فإذا قال القرآن : « والشمس والقمر بحسبان » ، وقال : « قدّره ـ أي القمر ـ منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » ، وقال : « وخسف القمر . وجمع الشمس والقمر » ، وقال : « والشمس تجرى لمستقر لها » ، فلا يعرف حقيقة الشمس وسيرها وأبراجها ، ومنازل القمر ودورانه ، وخسوفهما ، وولوج الليل فى النهار ، وكيفية تكوّر أحدهما على الآخر إلّا

←

مَنْ عرف هيئات تركيب السموات والأرض ، وهو علْم تتفرّع منه علوم) .

الكون والكونيات فى القرآن الكريم

مفهوم الكون ومصطلحاته :

حينما نتكلم عن الآيات الكونية التى وردت فى القرآن الكريم وضرورة فهمها واستنباط أهدافها ودور ذلك فى النهضة الإسلامية الشاملة ، فإنه لَحَرِيٌّ بنا أن نتعرف على بعض المصطلحات كالكون والطبيعة والبيئة ، وإن كانت كلها مرادفات لبعضها ، فالكون (Ecosystem) هو المحتوى لكل كائن فى الحياة الدنيا من أرض وسماء ونبات وحيوان وماء وهواء وجماد وكبير ودقيق إلى غير ذلك مما لم تصل إليه حواسنا وآلاتنا الحديثة من موجودات كثيرة ، ويطلق علماء الغرب على هذا الكون لفظ « الطبيعة » (Nature) كما استعمله اليونان قديماً فى كتبهم وفلسفتهم ، كما أن لفظ « البيئة » (Environment) يستخدم أحياناً ليدلَّ على مايدلّ عليه كلا اللفظين « الكون »[1] ، « الطبيعة » إلّا انه من الأفضل أن نسمى ذلك فى اصطلاحنا الإسلامى (عالم الشهادة) ذلك لأنه يوجد عالمَيْن أحدهما مشاهد ـ بكل وسائل الحس والقياس ـ وهو « عالم الشهادة » ، والآخر مغيب عنا وهو « عالم الغيب » وهذا لايلغى استخدام لفظ « الكون » الذى ورد فى الكتب القديمة ، كما أن فى القرآن إشارة إليه فى قول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ . (النحل / ٤٠) .

فالكون هو ماكوّنه الله وخلقه وقدر أموره وهو قائم على شئونه إلى يوم القيامة . والكون ـ فى اصطلاح علماء التوحيد : « ماعدا الله تعالى » ، أي جميع المخلوقات .

طبيعة ورود الآيات الكونية فى القرآن الكريم :

تأتى الآيات الكونية فى أوائل السور القرآنية ، وقد تأتى فى أواسطها أو فى اواخرها ، أو بين هذا وذاك ، فعن خلق الإنسان ومنحه ملكة الإدراك والعلم تبدأ سورة العلق ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق/ ١ ـ ٥) ، بينما نراها تأتى فى وسط سورة نوح ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً . أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً . وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً . وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً . وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً . ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً . وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً . لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً ﴾ (نوح/ ١٣ ـ ٢٠) ، ونراها واردة فى أواخر سورة الطلاق ﴿ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْماً ﴾ (الطلاق/ ١٢) ، ثم قد ترد السورة القرآنية كلها أو جلها فى الآيات الكونية ، كسورة الفيل وسورة الزلزلة ، وسورة القارعة وسورة الواقعة ، وسورة يس ، ومعظم سور جزء (عمّ) وجزء (تبارك) .

---

(١) غير أن لفظ البيئة كثيرا ما يستخدم مضافا إلى شيء مما يجعل لفظ بيئة ذا مفهوم جزئى بالنسبة للكون .

وشاء الله العلي الحكيم أن تشيع الآيات الكونية فى كل القرآن ولم يحصرها فى سورة خاصة دون غيرها ، وذلك لحكم عديدة . أرجو أن أكون وفقت إلى بيان بعضها فيما يلى :

(١) الأسلوب المتبع فى القرآن فى بيان الأصول أو الفروع هو إيرادها فى آيات متفرقة فى السور مع غيرها من أنواع المسائل دون رصدها فى مكان واحد .

(٢) لما كانت هذه الظواهر الكونية أدلة على وحدانية الخالق ومطلق قدراته فى خلقه ، والاستدلال على إمكانية البعث بعد الموت ، كان من المناسب إيراد هذه الآيات مع سياق آيات التوحيد والبعث فى مواضعها .

(٣) إذا جمعت الآيات الكونية كلها فى موضع واحد شرحاً لجميع أطوار التكوين والخلق والإيجاد ، لتعذر فهمها قبل تحصيل مقدمات موضوعها بالبحوث العلمية والاستقصاءات العقلية .

خصائص العرض القرآنى للظواهر الكونية :

هى كثيرة وعديدة أبرزها ما يلى :

(١) **الشمول والإحاطة** : حينما يتناول القرآن كلاما عن الكون فإنه يتناوله بالشمول والإحاطة كثيراً ، فإذا تحدث عن النباتات فإنه يضم أنواع النباتات كلها أو الحيوانات فإنه يضم أنواع الحيوانات كلها . والأمر كذلك فى البحار وأنواع الظواهر الفلكية وأنواع الأشكال الجيولوجية والأرضية كلها ، وفى ذلك ما وصلنا إليه وفيه ما لم نصل إليه : ففى عالم النبات والمزروعات يقول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ . يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل/ ١٠ ، ١١) فمن « كل الثمرات » تشمل كل ما يعرفه الناس فى منطقة جغرافية ما ، وكل ما غاب عنهم ووجده غيرهم فى منطقة أخرى ، وهكذا حتى تشمل كل ما خلقه الله فى أرجاء الأرض .

وفى عالم الحيوان نرى النص القرآنى ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل/ ٨) وذلك يشمل كل ما يجد اكتشافه من مخلوقات على ظهر الأرض وبطنها .

(٢) **الديناميكية الدائبة** : يمكن أن نفهم عن القرآن الكريم أن كل شىء فى هذا الكون الفسيح دائب الحركة متواصل « الديناميكية » ، فالأفلاك تدور وتتحرك ﴿ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (الأنبياء/٣٣) والأرض (التربة Soil) فى حركة واهتزاز واضطراب ، ويلمح ذلك من قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ (الحج/ ٥) .
﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ . (النمل/٨٨) ، والإشارة إلى الديناميكية امتدت إلى كل شىء فى الكون حتى الكهارب فى الذرة أو حتى الموجودات فى أدق الوحدات البنائيه التى اكتشفت حديثاً وتنفى أن الذرة هى أصغر ما فى الوجود أو أدق وحداته .

(٣) **نظام السببية** : يشير القرآن إلى توالى حوادث الكون بانتظام دقيق تبعاً لنواميس وضعها الخالق سبحانه وتعالى لتسير

عليها ظواهر الوجود وأغيار الدنيا . ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس) ، ولقد أوضح القرآن نظام الترتيب ، فكل شىء يترتب على شىء سابق له فى الحدوث ومؤثر فى ظهوره ، فحينما يقول الله فى القرآن ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ (الروم/٤٨) ، ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ ﴾ (البقرة/٢٢) (إبراهيم/٣٢) كل حادثة تتلوها أخرى ، وهكذا تكون أجزاء الكون مترابطة ، صنع الله الذى أتقن كل شىء وسنن الله الكونية التى أرادها أن تعمل فى كونه الفسيح ، وكل شىء فيه يجرى تبعاً لهذه السنن ـ أو القوانين ـ قد تشاء حكمته ـ سبحانه ـ أن تخرق هذه النواميس لأمور يريد الله إبداءها فتحدث معجزات الأنبياء والرسل وقد تحدث فى عالمنا الحالى إرهاصاً أو استدراكاً لعل الإنسان يتنبه من غفوته المادية وخلوده إلى دنيا الترف والمتع ويعود إلى ربه العظيم .

(٤) ترشيد النظرة الإنسانية إلى الكون : وذلك بإقصاء الخرافات والخزعبلات عن نظرة الإنسان المسلم لظواهر الكون وحوادثه لذلك حرم الإسلام ضروب الكهانة والعرافة والتنجيم ، وعدها من أبواب الشرك ، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من أتى عرافاً فسأله عن شىء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)[٢] ، وحيث نفى الإسلام النظرة الخانعة الكسولة إلى الكون ، فإنه دعانا إلى التعامل مع نواميسه ونظمه على أساس من العلم والبحث والتقصى بعيداً عن الحدس والجهل والضلال . وعلينا أن نعلم جيداً أن الإسلام حينما دعانا إلى ذلك فإنه حدد العالم الذى دفعنا إلى البحث فى جوانبه ألا وهو عالم الشهادة ، فلا نقلب القول فى عالم الغيب ذلك الذى لا نشهده مهما أوتينا من أجهزة وآلات حديثة فى البحوث والدراسات ، فلا شأن لبحوثنا بعالم الجن أو عالم الروح أو عالم الملائكة أو غيرها من المغيبات عنا .

وختاماً فإن الله سبحانه حينما يقول ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر/٢٨) فإنه يحصر الخشية فى العلماء ، العالمين بأسرار الوجود وعجائب الخلق كما قال بذلك ابن رشد لأن هذه الآية لم ترد فى سياق الكلام عن أمر يتعلق بالعبادات وإنما وردت فى سياق الدلالة على قدرة الله وحكمته فى إنزال المطر وخلق النباتات والحيوانات على اختلاف أنواعها . فلننظر ولنتدبر ولنتأمل ولنفكر حتى نعد من أولى الألباب ، ونكتب من العالمين بجوانب عظمة الخالق فى خلقه وحكمته فى كائناته وجلاله فى موجوداته ، وعلى الله قصد السبيل .

(د . كارم السيد غنيم)

---

(٢) رواه مسلم .

تطبيقات الحاسب الآلى

٤

د. سعاد حسين البيلى

تناولنا فى سلسلة المقالات السابقة عن الحاسب الآلى تركيب هذا الجهاز وطريقة استخدامه واللغات التى تمكن الإنسان من التعامل معه وكذلك اوضحنا بعض النماذج البسيطة لطريقة كتابة برنامج لتشغيله على الحاسب الآلى .

ولنا الآن أن نلقى نظرة شاملة على كيفية تغلغل هذا « العقل » فى حياتنا العملية ، وكيف ساعد على تنظيم وحل عدد كبير من مشكلاتها التى جدت وتطورت وتعقدت مع تطور حياة الإنسان الحالية ، وكيف كون مع العقل البشرى ـ بتوفيق الله ـ أبدع دائرة رحبة من العبقرية الفذة والذكاء اللماح .

وفى الواقع ، فإن المجالات التى تغلغل فيها الحاسب الآلى فى حياة الإنسان قد لا يأتى عليها الحصر ـ لأنها تشمل كل جوانب الحياة العلمية والعملية : فى مجال النقل بالسكك الحديدية ، ولتنظيم إشارات المرور بالمدن ، وفى مجال الصناعات المعدنية مثل تشغيل « الأفران » العالية ، كذلك فى عمليات قطع وتشغيل المعادن ، وفى مجال الصناعات الكيميائية والبترولية ، وحسابات الصيانة والظروف المثلى للتشغيل فى محطات القوى .

ومن التطبيقات الحيوية لاستخدام الحاسب الآلى . . . استخدامُهُ فى مجال الطب ، فالأجهزة الطبية الحديثة سواء المستخدمة فى التشخيص أو العلاج تعتمد اعتماداً رئيسياً على دقة القياس ودقة الأداء . لذلك فإن استخدام الحاسب ، وإلحاقه بدائرة (تحكم آلى) فى جهاز الكُلْية الصناعية مثلا يُمَكِّن مراكز غسل الدم لمرضى الفشل الكلوى من افضل استخدام لهذا الجهاز .

وهناك عدة مجالات أخرى لاستخدام الحاسب الآلى مثل البحث العلمى والتخطيط

←

تطبيقات الحاسب الآلى

بصفة عامة ، وفى الشركات ، و(البنوك) ، وفى المجالات التعليمية بل والترفيهية أيضا .

وبعد : فلننظر بعض هذه المجالات بشىء من التفصيل .

تطبيقات الحاسب فى مجال النقل بالسكك الحديدية !

تحتاج إدارة السكك الحديدية إلى عديد من الأنظمة والقياسات الفنية المتشابكة والمعقدة . وللحصول على صورة هادئة وسليمة لوحدات السكك الحديدية المختلفة من بضائع مخزونة ، وقطارات ، وطرق حديدية متاحة ،فإن ذلك يستلزم درجة عالية للتنسيق الحركى والتوفيق الملائم لهذه الوحدات .

ومن هنا تبرز المشكلة الهندسية والاقتصادية المعقدة ، والتى لا يمكن حلها إلا عن طريق إجراء سلسلة طويلة من الحسابات المتداخلة ، مثال ذلك كيفية رسم جدول زمنى لاختيار أمثل سرعة للقطارات، ولتوفير أكبر كمية من الوقود ، وكذلك لتخطيط حركة مرور القطارات بحيث لا تقع أية مصادمة بين الوحدات المتحركة ، وكذلك لإجراء الحسابات المختلفة للمبانى والمنشآت الخاصة بالسكك الحديدية مثل مراكز الصيانة والإدارات وأماكن انتشارها الأمثل بين خطوط الشبكة المختلفة .. ولذلك . فإن الحل السليم لهذه المشكلات المتداخلة يحتاج إلى استخدام وسائل الحساب الحديثة ، أو أجهزة الحساب الآلى ضمانا لدقة النتائج وسرعة الحصول على الحلول الصحيحة فى نفس الوقت .

لذلك ، اقتحم الحاسب الآلى هذا المجال ، معلنا أنه لابد من الاعتماد عليه بلا منافس فى هذا المجال وفى واقع الأمر ، فإن هناك نوعين من الحاسبات الآلية المستخدمة فى إدارة السكك الحديدية .

النوع الأول : وهو عام وذلك لإجراء الحسابات اللازمة التى أعطينا لها أمثلة من قبل .

والثانى خاص : وهو عبارة عن حاسب آلى مزود بدائرة (تحكم آلى) لتنظيم حركة السكك الحديدية وأوضح مثال على هذا النوع الخاص من الحاسبات هو ذلك المستخدم فى (مترو) الأنفاق أو القطارات الكهربية التى تسير تحت الأرض . حيث يتم إلحاق القطار بجهاز حساب آلى مزود بدائرة تحكم . تقوم بناء على جدول أو برنامج خاص بتشغيل القطار بسرعة معينة لزمن معين ، ثم يعطى الأمر من هذا البرنامج بالإيقاف حيث توجد المحطة التالية ، ثم يفتح الباب آليا لمدة معينة ـ دقيقة مثلا ، ثم يغلق الباب آليا . بناء على البرنامج المزود به الحاسب الآلى ، والذى تضبطه وتنفذه دائرة التحكم ، ثم يبدأ المسير وإكمال دورة الحركة .

ومن الميزات الواضحة لاستخدام نظام التحكم الآلى عن طريق الحاسب أنه فى حالة (عَطَلِ) إحدى عربات القطار فإن نظام التحكم يقوم بسرعة فائقة بتحميل هذا العبء على العربة اللاحقة ـ والتى تكون بدورها مجهزة لمثل هذه الظروف الطارئة . وبذلك يمكن تدارك الموقف وتقل الأعطال المفاجئة حتى يتم إصلاح هذا العطل فى ظروف مناسبة .

استخدام الحاسب الآلى فى الصناعات المعدنية :

يشتمل هذا النوع من الصناعات على عدد كبير من الصناعات المختلفة ، تشترك جميعها فى ظروف التشغيل الصعبة بالنسبة للعمال ، ودرجة الدقة العالية جداً فى مواصفات المنتج ، لذلك فإن إدخال أجهزة التحكم والحاسبات الآلية فى هذا المجال يعد ضرورة بالغة الأهمية لتحسين ظروف العمال وتسهيل مهامهم ، وكذلك تحسين مواصفات المعدن المطلوب إنتاجه وبالتالى تحسين هدف المصنع نفسه وسلامته .

ولنأخذ الأفران الكهربية المستخدمة فى إنتاج سبائك الصلب مثالا لذلك :

الفرن الكهربى عبارة عن إناء كبير الحجم على شكل إسطوانة مبطنة من الداخل بطوب حرارى بهدف العزل الحرارى الخارجى والاحتفاظ الداخلى بدرجة الحرارة المطلوبة لهذه العملية ويغذى هذا الفرن بـ (خردة[1]) المعدن ثم يتم إغلاق الفرن ويمرر التيار الكهربى ذو الضغط العالى فى الفرن فيتحول سطح المعدن إلى سائل منصهر ، ثم يتم خفض أقطاب التغذية الكهربية بالتدريج حتى تتحول الشحنة بالكامل إلى سائل منصهر ، فترفع أقطاب التغذية الكهربية إلى سطح الكتلة المنصهرة فيحترق الخبث الطافى على السطح ، والذى يكون مركبات غير مرغوب فيها ، ثم يضاف العنصر الآخر إلى الحديد المنصهر والداخل فى تركيب السبيكة المراد إعدادها .

وكانت هذه العملية تتم فى إطار الخبرة العملية والمعلومات الملموسة من ممارستها ، ثم بدأت هذه الصناعات مرحلة أخرى عندما بدأ الباحثون فى مرحلة التعبير الرياضى عن كل من جزئيات هذه العملية .

هنا أخذت الأمور نظرة أخرى فلابد من حسابِ أَقَلِّ استهلاكٍ ممكن للطاقة وذلك بدراسة صورة التوزيع الحرارى داخل الفرن والظروف التشغيلية التى تجعلها فى حالة من التجانس زيادة لكفاءة عملية الصهر . كذلك الاستفادة من الطاقة الحرارية الناتجة من التفاعلات الكيميائية المختلفة والتى تتم فى داخل الفرن وتوفير ما يناظرها من الطاقة الكهربية المستخدمة فى عملية الصهر .

ونظراً لاحتياج هذا النوع من الصناعات إلى مزيج من المتغيرات الحرارية والكيميائية والكهربية ، ولأن من الصعوبة بمكان التحكم فى المتغيرات الحرارية والكيميائية فإن فكرة (التحكم الآلى) تنبع أساسا من التعامل مع كهربية النظام عن طريق استخدام الأجهزة المتطورة اللازمة لقياس المتغيرات المختلفة والتحكم فى صورة تغيرها خلال فترة التشغيل عن طريق دوائر التحكم الآلى الملحقة بالحاسب ، وهذا بدوره يكون قد تم تزويده بالبرامج الملائمة التى تحدد خط سير العملية من بدايتها وحتى النهاية .

وبعد ...

فهذه بعض تطبيقات استخدام الحاسب الآلى فى مجالات الحياة المختلفة التى صارت مرتبطة به غير مستغنية عنه . تم

د . سعاد البيلى

(١) الخردة : ماصغر وتفرق من شىء ففقد ما له من قيمة فى تكامله ، واللفظ فارسى والمراد هنا : قطع المعدن الصغيرة المتبقية من تجهيز شىء .



لا ملك فوق الحساب

روى أن أبا زرعة دخل على الوليد بن عبد الملك فقال له الوليد : أخبرنى أيحاسب الخليفة ، فإنك قد قرأت القرآن وفقهت ؟

فقال : ياأمير المؤمنين ، هل أقول وأنا آمن ؟

قال : قل فى أمان الله .

قال : ياأمير المؤمنين أأنت أكرم على الله أم داود ـ عليه السلام ـ ؟

إن الله ـ تعالى ـ جمع له بين الخلافة والنبوة ثم توعده فى كتابه ، فقال : ﴿ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ فكانت موعظة بليغة .

« مكارم الأخلاق عشرة »

مكارم الأخلاق عشرة : تكون فى الرجل ولا تكون فى ابنه ، وتكون فى الابن ولا تكون فى أبيه ، وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده ، يقسمها الله لمن أراد به السعادة :

صدق الحديث ، وصدق البأس .

وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان .

وإعطاء السائل والمكافأة بالصانع .

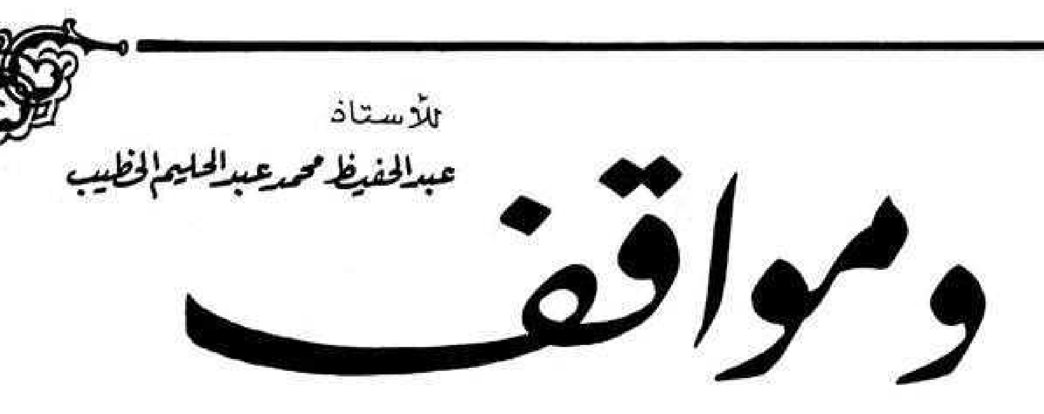
وحفظ الأمانة وصلة الرحم .

والتذمم للصاحب واقراء الضيف

وراسهن الحياء .

« خــوف .. وأمن »

فزع الناس وخاف سليمان بن عبد الملك لنزول مطر شديد ، وهم فى الطريق إلى الحج ، وضحك عمر بن عبد العزيز مما رأى .



فسأله سليمان : أمثل هذا يضحك الناس ؟

فقال عمر : ياأمير المؤمنين ، هذا فى حين رحمته ، فكيف فى حين غضبه .

قالــــوا ..

- من أحب الله أبغض نفسه .
- العديم من احتاج إلى لئيم .
- الإعطاء من الخلق حرمان ، والمنع من الله إحسان .
- القارىء والسامع شريكان فى الأجر ، والمغتاب والسامع شريكان فى الإثم .
- لكل شىء شىء ومودة الكاذب لا شىء .
- من شغل مشغولاً فقد أظهر ثقله .
- لا ترغب فيمن يزهد فيك .

« قبح الله هذا الفم »

وقف أعرابى بباب يسأل :

فقال له صغير من باب الدار : بورك فيك .

فقال الأعرابى : قبح الله هذا الفم لقد تعلم الشر صغيراً .

« احــذر من »

يعطيك من طرف اللسان حلاوة
ويروغ منك كما يروغ الثعلب

« دعـــــاء »

اللهم إنى أعوذ بك من مال يكون على فتنة ، ومن ولد يكون علىَّ وبالا ، ومن جار ترانى عيناه وترعانى أذناه ، إن رأى خيراً دَفَنَهُ ، وإن سمع شراً طار به .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر



الحج

للأستاذ طه حبيب

قال الله تعالى ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ الحج (الآية ٢٧) .

فإذا كان التفكير الصحيح يهدى إلى الرشد ، وإلى الإيمان بواجب الوجود . وأنه الخالق الرازق . والواهب ، المعطى ، فهو ايضاً يهدى المتأمل إلى ان ذلك الخالق البارىء يستوجب الشكر على نعمه الظاهرة والباطنة .

ومن مظاهر الشكر الواجبة لله « الحج » .

قال الأستاذ رحمه الله :

الحج لغة : القصد إلى مُعَظَّم ، وهو فى الشريعة : قصد البيت الحرام (الكعبة) لأداء ركن من أركان الدين هو الطواف والوقوف بعرفة بما يلابسهما من إحرام وسعى وما إلى ذلك من بقية الأعمال المكملة للحج وكانت العرب تحج إلى الكعبة قبل الإسلام لاعتقادهم أنها بيت الله ، ولقد كانوا يعظمونها لذلك فلم يعبدها منهم أحد ، كما أن أحدا منهم لم يعبد الحجر الأسود مع اشتهار الوثنية وكثرة عبادة الأصنام قبل البعثة ، بل كان تعظيمهم للحجر لأنه منسوب لله ، حتى اعتقد كثير منهم أنه نزل من السماء .

وقد أوجب الله الحج على المسلمين الأحرار العقلاء البالغين الأصحاء القادرين على الزاد والراحلة ، متى كانت تلك المقدرة بعد أداء ما لابد لهم منه لنفقة عيالهم ومساكنهم ، وكان الطريق إلى البيت مأموناً . وقد فرضه الله على كل مسلم على الوصف الذي سبق فى العمر مرة . وفرضيته ثابتة بالكتاب العزيز ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[1] وثبتت الفرضية بقول النبي ﷺ : « بنى الإسلام على خمس »

---

(1) سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

الحديث . وقد حج ﷺ . أما أن الحج فرض مرة واحدة فلما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده والدارقطنى فى سننه والحاكم فى المستدرك عن ابن عباس ، ولفظه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : ياأيها الناس إن الله قد كتب عليكم الحج . فقام الأقرع بن حابس فقال : أفى كل عام يارسول الله ؟ قال : لو قلتها لوجبت ولم تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة فمن زاد فتطوع .

الحكمة فى وضع البيت واتخاذه قبلة ـ نفى الشرك والزور والبهتان والإلحاد :

وإذا كان التفكير الصحيح يهدى إلى الرشد وإلى الإيمان بواجب الوجود وإلى أنه الخالق الرازق المعطى الوهاب المنعم بجلائل النعم ودقائقها ، فهو أيضاً يهدى المتأمل إلى أن ذلك الخالق البارىء يستوجب الشكر ، وأن على الإنسان أن يعبده شكراً له على تلك النعم الباطنة والظاهرة ، غير أن العقل إذا اهتدى إلى ذلك يحار فى كيفية عبادة الرحيم الرحمن ، إذ لايستطيع أن يدرك مايليق به من تعظيم ، إذ كيف يستطيع العبد الضعيف إدراك مايناسب ذلك المنعم من خشوع وخضوع ، وإلى مايناسب العظمة التى لانهاية لها من تعظيم وثناء ، إلى مايصح فى حقه من توسل ومناجاة ، كيف يستطيع أن يصل إلى شىء من هذا والمولى ـ جل وعلا ـ وجوده مطلق لايتقيد بمكان ولاينحصر فى جهة ولايحده زمان ، فإلى أي جهة يتوجه فى عبادته لاشك تعتور الإنسان الحيرة فى أداء ماهو واجب عليه نحو الذى خلقه فسواه وأنشأه وعلمه وهداه وأرشده ، ولا يخفى مع هذا أن الإنسان عاجز عن التوجه إلى موجود لايستطيع إدراكه .

فخروجاً من تلك الحيرة منَّ الله على عباده فعين لهم مكاناً سماه بيته وأضافه إلى نفسه ، تتنزل فيه رحمته ويتجلى فيه رضاه ، وجعل التوجه إليه كافياً في عبادته ، بعد أن طهر مكانه من الرجس والأوثان ، وطلب إليهم التوجه فى عبادتهم إليه ، وأن يقصده من استطاع إليه سبيلاً فى العمر مرة ، وكان ذلك منه سبحانه دفعاً للحرج عن الخلق لأنه لو كلفهم بعبادته ، وقد دلهم بالعقل والشرع على أنه ليس كمثله شىء دون أن يجعل لهم مكاناً يكون توجههم إليه كتوجههم إلى ذاته ، لتحيروا كيف يتجهون .

وإذا كان من أول تعاليم الرسل (صلى الله عليهم وسلم) ومن تعاليم ديننا الحسن أن الله تنزه عن المكان والجهة ، فلا خوف بعد ذلك على المؤمن من توهم حلول ذات الله فى مكان لأن ذلك محال عنده ، فنسبة البيت إليه وطلب التوجه إلى ذلك البيت المعظم لم يكن إلا لما قدمناه : إخراجاً للناس من الحيرة ، وجمعاً

لقلوبهم فى التوجه إلى جهة واحدة ، توحيداً للقصد وإفراداً للغاية وإرشاداً لهم إلى أن المراد التوجه إلى الله لا إلى ذات المكان . وإذا كان الايحاء إلى إبراهيم عليه السلام باتخاذ البيت كان مقيداً بنفي الشرك قال تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾[٢] وكان أول ماطلب إليه هو تطهيره ليكون معبداً يعبد الله فيه عبادة صحيحة ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[٣] كان توهم الحلول أو تعظيم غير الله بعيداً كل البعد لايخطر ببال ، وكيف يتوهم هذا والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾[٤] اي معبداً تعبدون فيه ربكم ورب البيت .

عظمـــة البيـــت :

حسب المرء فى عظمة البيت قول الله سبحانه وتعالى فى شأنه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[٥] فأضافه سبحانه إلى نفسه ، والتابع يشرف بشرف المتبوع ، والمضاف يشرف بشرف المضاف إليه ، وقد جعله الله مثابة للناس وامناً ، وذلك بأن خلق فى قلوب الناس ميلاً إلى حجه والتوجه إليه أونة بعد أخرى ، وبث فى نفوسهم من احترامه وتعظيمه وعدم سفك الدماء فيه ماكان به أمناً لهم من المخاوف التى يتخطف الناس فيها من كل جانب ، وحسب المرء ايضاً فى تعظيمه أن الله أمر رسولين من رسله برفع القواعد ، وماذاك إلا تشريفاً لهذا البيت الذى بنياه لعبادة الرحيم الرحمن فى هذه البلاد التى كانت الوثنية منتشرة فيها .

وقد تجاوزت مكانة البيت جزيرة العرب إلى بلاد الهند حتى اعتقد بعضهم تقديس الحجر الأسود ، وكانت الصابئة (عباد الكواكب) يعتقدون أن الكعبة من البيوت السبعة المعظمة عندهم . ومما يدل على عظمتها فى نفوسهم انهم جميعاً يعتقدون انها بيت الله المقدس ويحترمونها لهذه النسبة ، وكانوا يحجون إليها من جميع أنحاء البلاد العربية وغيرها فى أشهر الحج وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة ، وكانوا يحرمون الشهر الذى فيه الحج وهو ذو الحجة ، والذى قبله لأنه وسيلة إليه ، والذى بعده لأنه تابع له ، ولم يرد أن أحداً من العرب عبدَ الكعبة أو عبدَ الحجر الأسود مع انهم عبدوا النجوم فى أشخاص أصنام .

ومن دلائل عظمة البيت (الكعبة) اهتمام الملوك من قبل البعثة بقرون بكسوته ، وكستها والدة العباس بن المطلب ، وقد كساها أشرف الخلق على الله محمد بن عبد الله ﷺ بالثياب

---

(٢) سورة الحج : الآية ٢٦ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٢٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٢٥ .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٢٥ .

اليمانية ، ثم كساها عمر وعثمان وابن الزبير وعبد الملك بن مروان ، والخلفاء العباسيون كانوا يبالغون فى كسوتها ، وكساها ملوك اليمن كما كساها ملوك مصر .

حكمة مشروعية الحج :

وقد فرض الله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا فى العمر مرة واحدة ، وهذه الفرضية لحكم عدة ترجع للحاج من أول الشروع فيه إلى أن ينتهى منه - منها السفر ، ولا يخفى مافيه من الفوائد الجمة ، ومايترتب عليه من المعارف ، ومايصحبه من الربح والكسب الماديين والأدبيين ، فقد يكسب مريد الحج إذا هو اتجر مكاسب لا يحصل عليها فى وطنه ومحل إقامته ، ولم يحظر الشارع الإتجار مادام القصد الحج وقد جاء هو تبعا وقد يكون مريضا فيشفى بتغير المناخ وما يحصل له من الأنس والانشراح بما يقع نظره عليه من بلدان وبحار وخلجان ، ويكون السفر سببا فى ذهاب وحشة لحقته بموت قريب أو زوج أو ولد ، وناهيك بما يستفيده من يقصد الاستفادة العلمية ، فقد يلقى من يفيده علما وأدبا فينزل له عصم العلوم ويبين له ماشرد عنه من منطوق أو مفهوم ، وما السفر للحج إلا سياحة وضرب فى أرض معينة يستفيد السائح فيها مايستفيده السياح ، وفوائد السياحة أظهر من أن تذكر .

أما الفوائد الدينية فإليك بعضا منها ، وسنذكرها مرتبة على الأفعال التى رأى الشارع أنه لابد منها فى الحج :

الإحـــــرام :

قال بعض المؤرخين : إن سليمان عليه السلام لما بنى هيكل بيت المقدس أحاطه بحرم ، وقضى بألاّ يدخله أحد غير قوم معينين ، وقال أيضا : إن الناس فيما تقدم من الزمن كانوا يحيطون معابدهم بحرم لا يطؤه الغرباء ، وكانت العرب تضرب الحمى لمراعيها وتجعل له حدودا لا تتعداها القبائل الأخرى ، وكان العزيز منهم يتخذ له متسعا من الأرض يجعله حمى له ، إلى أن جاء الإسلام فأبطل عليه الصلاة والسلام كل حمى إلا حمى الله ورسوله . ولقد علمت مما سبق شرحه أن الله سبحانه وتعالى قد جعل لبيته حرما ومواقيت لا يتعداها من يريد الدخول إلى الحرم إلا إذا كان على وصف معين وهو أن يلبى ناويا الحج ، والتلبية أن يقول : لبيك اللهم لبيك ، إلى آخر الذكر المعروف ، ويأتى بالأفعال التى تكفلت كتب الفقه ببيانها .

أما حكمة مشروعية الإحرام فتظهر مما يلى ، ذلك أن الحج عبادة ؛ الغرض منها القرب إلى الله والوصول إلى ما أعده سبحانه وتعالى للنفس المحسنة من حسن الجزاء ، ولا يكون ذلك عادة إلا بتجريد النفس من شهواتها ، وخروجها عن مألوفاتها ، وكفها عن لذائذها ، وقطع علائقها بالأغيار ، وابتغائها حمى مولاها الواحد القهار . ومظهر هذا الاقتصار على الضروريات للحياة والتجرد لله سبحانه وتعالى فى جميع الحركات والسكنات . ولا يخفى أن الشأن فى كل من

من روائع الماضي

أراد الإقدام على ملك من الملوك أن يجتهد فيما يوصله إلى مقصده من الوصول إلى حضرة الملك والمثول بين يديه ، فمن أراد الوصول إلى علام الغيوب بزيارة بيته ودخول حرمه ، وجب عليه أن يتجرد عما سواه من نعيم الحياة إلا بالقدر الذى يستطيع به مواصلة العمل الذى قصده ، فينخلع مدة الزيارة عن كل أنواع الزينة ، ويندرج فى سلك المنقطعين لله انقطاعاً تاماً ، فيترك الجدل والخصومة ، وينتهى عن كل مانهى الله عنه ، مجتنباً كل ما من شأنه أن يبعده عن الحظيرة القدسية ، مؤاتياً كل عمل يقربه من الحضرة الإلهية .

وبدهى أن من قصد شيئاً قصده من الطريق الموصل إليه ، وبما أن قصد الحاج زيارة بيت الله فعليه أن يأتى البيت من بابه ، ولا يتأتى له ذلك إلا بعكوفه على ماشرطه الله لزيارة بيته ، وذلك بموالاة التلبية والدعاء والخضوع لمولاه الذى يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء عمن قصده .

الطواف - السعى - رمى الجمار :

لا يخفى أن نيل الدرجات لدى الملوك والحصول على عطفهم إنما يكون بامتثال أوامرهم فمن امتثل وأطاع استحق الرضا التام ومن أعرض ونأى استحق السخط .

وأكثر أفعال الحج كالطواف والسعى ورمى الجمار ، شرعها الله ولم نقف على حكمة مشروعيتها ، ابتلاء لعباده واختباراً . فمن جد فى القيام بما أمر به وعمل صالحاً كانت له حظوة قبول ضيافته على مولاه بدخول بيته ، وجوزى الجزاء الحسن وأكرمت وفادته ، ومن قصر أو توانى عن العمل لم يك فى عداد المحظوظين ولم ينل رضاء رب البيت وشيع باللعنة والسخط (وهذا معنى معروف لدى البشر أنفسهم فى معاملة ملوكهم وكبرائهم ، فأحرى بالجميع أن يكون هذا حالهم مع سيد الجميع وملك الملوك ، العزيز القدير ، عالم الغيب والشهادة ؛ القاهر فوق عباده ، الذى من عرفه حق معرفته ، أيقن بأن كل فعل من أفعاله - جل وعلا - للحكمة ، وأن العجز عن إدراكها لا ينافى ثباتها وتقررها ، ومن فطن لهذا فقد فطن للخير أجمع ولم يجعل للشيطان عليه سبيلا .

شرع الله الكثير من أفعال الحج ، وأمر الناس بها أمراً تعبدياً لحكمة علمها جل شأنه ، وقد جهد الناس فى تلمس حكم لهذه العبادات فقالوا عن الطواف ، وقد سماه رسول الله صلاة غير أنه أباح الكلام فيه : إن السر فيه التشبه بالملائكة الحافين حول العرش ، وكانت الأشواط سبعا لما فى السبع من الحكم التى لا يحيط بها إلا علام الغيوب ، فقد جعل الله الأيام سبعاً ، والأفلاك سبعاً ، والسموات سبعاً ، والأرضين سبعاً ، كما التمسوا حكماً لغير ذلك من أفعال الحج تعلم من مراجعة كتب الفقه .

الهدى - القربان :

التقرب إلى الله بقربان القرابين أمر معروف لدى البشر من وقت بزوغ فجر التاريخ ، فقديما قرّب ولدا أبى البشر عليه السلام

قربانا فتُقبِّل من أحدهما ولم يُتَقَبَّلْ من الآخر ، وكان ما كان بينهما بما قصه الله علينا ، وقد جرى الناس على أثرهما فقربوا القرابين إلى الله فى معابدهم . وقد قص علينا القرآن ماكان من أمر الله لخليله بذبح ولده وفدا به إياه بعدُ بذبح عظيم ، وقد عرضت الديانات المعروفة جميعها للقربان واستقر فيها ، وجاء الإسلام فأقر أمره وأبان أنه مشروع ، قال تعالى : ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللهِ ﴾[6] أى من أعلام دينه ، وبين أن من يعظم شعائر الله كان له أجر كبير ، لأن منشأ تعظيمها ومصدره تقوى القلوب . وقد أرشد الإسلام إلى أن الغرض من الهدايا ما يترتب على نحرها وذبحها من نفع الفقراء البائسين . فتسد خلتهم ، ويكفون حاجتهم ، ويشاركون أولى النعمة فيما أنعم الله عليهم .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾[7] وقال تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾[8] وفى الآية الأخرى : ﴿ لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا . وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ ﴾[9] .

ولقد أهدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الحرم مائة من الإبل نحر بعضها بنفسه وأناب عليا ـ كرم الله وجهه ـ فى نحر الباقى ، كما أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضحى بكبشين ذبحهما بنفسه .

الوقوف بعرفة :

الركن الثانى من أركان الحج هو الوقوف بعرفة فى التاسع من ذى الحجة ، وحدث عن مزايا هذا الوقوف ماشئت أن تحدث .

فهو المؤتمر العام لجميع المسلمين من أى مكان فيقفون فى صعيد واحد كأنهم بنيان مرصوص يدعون الله ويجأرون بالتلبية ، هذه الطوائف من الخلق مع اختلاف مشاربهم وتباين لغاتهم واختلاف أجناسهم اتحدت وجهتهم ، فوقفوا يسألون الواحد التواب غفران الذنوب وستر الخطايا والعيوب . هذا الموقف الذى يتساوى فيه العظيم مع الحقير والكبير مع الصغير ، كلٌ يسأل الرحمة ويطلب المعونة .

تقف فيه الوفود خاضعة خاشعة ذليلة تستدر الرحمة وتستندى البركة فى لباس أقرب إلى لباس الأموات منه إلى لباس الأحياء ، خرجوا وقد جردوا نفوسهم من أردية الباطل وثياب التمويه وأخلصوا النية لربهم ، قوم هذا شأنهم وذلك وصفهم جديرون بأن الله يتقبل دعاءهم وينيلهم مبتغاهم .

وحسبك هذه الفضائل فى مشروعية الحج



(٦) سورة الحج : الآية ٣٦ .
(٧) سورة الحج : الآية ٣٢ .
(٨) سورة الحج : الآية ٢٨ .
(٩) سورة الحج : الآية ٣٧ .

وفائدته ، فإذا أضفت إلى هذا أن اجتماع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها فى مكان واحد أمر فيه المصلحة كل المصلحة لهم لأن التفافهم ببعضهم يقربهم من بعضهم ، وبه يتعرف كل منهم حاجيات صاحبه وماهو عليه فإن كان خيراً استزادوا منه وإن كان الثانى عملوا على إزالته وفكروا فى الخروج منه .

وبهذا تصلح الأمم الإسلامية وتتوحد كلمة المسلمين فى العمل للخير ولخير العمل ، وتلك فضيلة كبرى من فضائل الحج لو لم يكن إلا إياها لكفت فى حكمة مشروعيته . وحسبنا هذا ، فإن هذه العجلة لم تتسع لأكثر منه ، والله أعلم .

المجلد الثالث

طه حبيب

الشيخ محمد أحمد عبد الله
الشهير بالشيخ شمس الدين ـ بقية ـ

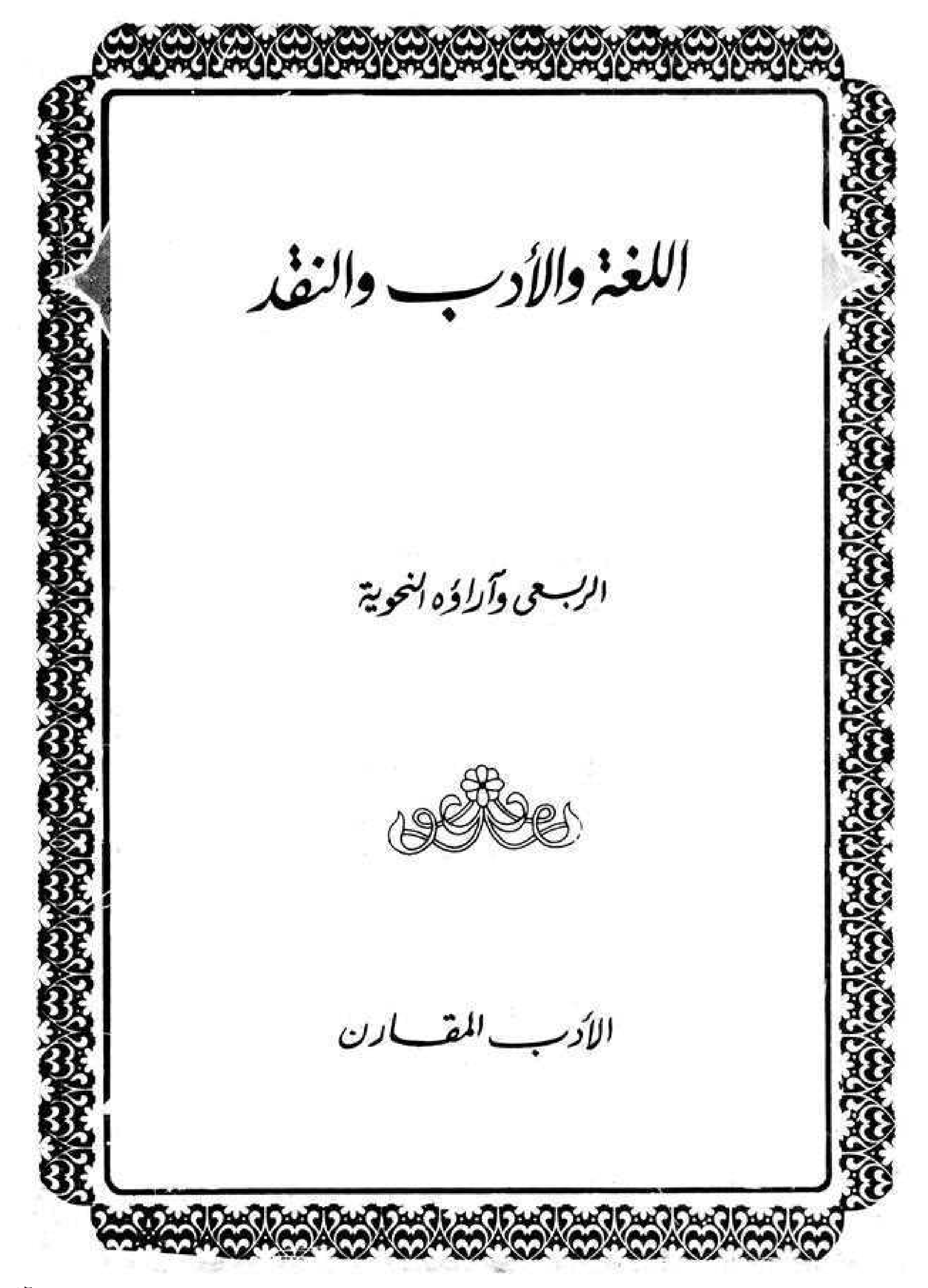
وكان رحمه الله قويا شديد الصلابة فى الحق ، لا يلين ولا يجامل ، ولا يأبه للومة لائم ، وله فى ذلك مواقف مشرفة يعرفها زملاؤه وطلابه ، وحين كان يعرض فى الكلية موقف يحتاج إلى صلابة فى الحق كان الشيخ شمس الدين أول من تتجه إليه الأنظار .

وكان رحمه الله فى كل صلاته دمث الخلق ، ممتع الحديث ، وفيا شديد الإخلاص ، يتمتع بحب من عاشره أو اتصلت بينه وبينه الأسباب .

وقد ترك رحمه الله أولاده فى التعليم ثلاثة أبناء وابنتين ، أتموا تعليمهم بعد وفاته ، أحدهم حصل على الدكتوراه فى العلوم ، والآخر طبيب ، والثالث مهندس ، وإحدى ابنتيه طبيبة ، والأخرى خريجة كلية الآداب وتعمل مدرسة ، وكلهم يسير على نهجه ، ويحمل طابعه فى الخلق والاستقامة والإخلاص .

رحمه الله بحرا من بحور العلم ، ومصباحا من مصابيح الهدى والفضيلة .

د . عبد الحليم حفنى



اللغة والأدب والنقد

الربعي وآراؤه النحوية

الأدب المقارن

الربعى

وآراؤه النحوية

٣

خامساً : رأيه فى الواو العاطفة

الواو المفردة لها خمسة عشر معنى سأقوم بعدها على سبيل الحصر مفصلاً القول فى الواو العاطفة التى هى مجال بحثنا :

١ ـ الواو العاطفة ، وسنبسط الكلام فيها عقب حصر معانى الواو .

٢ ـ الواو الاستئنافية ، كقول أبى اللحام التغلبى :

على الحكم المأتى يوماً إذا قضى
قضيتـه أن لا يجـور ويقصـد[1]

وكون الواو للاستئناف هنا واجب ، لأنها لو كانت لغيره فسد المعنى .

٣ ـ الواو الحالية الداخلة على الجملة الاسمية ، نحو : جاء زيد والشمس طالعة ، وعلى الجملة الفعلية نحو قول الفرزدق :ـ

بأيدى رجال لم يشيموا سيوفهم
ولم تكثر القتلى بها حين سلت[2]

أى حالة عدم كثرة القتلى .

٤ ـ واو المعية ، نحو قولهم : سرت والنيل .

٥ ـ الواو الداخلة على المضارع المنصوب لعطفه على اسم صريح ، كقول زوجة معاوية ابن أبى سفيان :ـ[3]

ولبس عبـاءة وتقـر عينـى
أحب إلى من لبس الشفوف[4]

٦ ـ واو القسم نحو قوله تعالى ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾[5] وهذا كثير فى القرآن الكريم .

● الكاتب عضو هيئة التدريس
بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

(١) انظر خزانة الأدب للبغدادى جـ ٣ ص ٦١٣ طبعة مطبعة بولاق .

(٢) انظر ديوان الفرزدق ص ١٣٩ .

(٣) اسمها : ميسون بنت مجدل الكلبية وقبل البيت :

لبيـت تخفـق الأريـاح فيـه
أحـب إلى مـن قصر منيـف

(٤) انظر البيت فى المغنى جـ ١ ص ٢٩٩ ، شرح الأشمونى جـ ٣ ص ٣١٣ برواية « للبس عباءة .. إلخ » والخزانة جـ ٣ ص ٥٩٢ .

(٥) سورة الفجر آية (١) .

للدكتور: سعد منصور عرفة

٧ ـ واو « رب » كقول امرىء القيس فى معلقته :ـ

وليل كموج البحر ارخى سدوله
على بأنواع الهموم ليبتلى[٦]

٨ ـ الواو الزائدة كما فى قول الشاعر :ـ[٧]

فما بال من أسعى لأجبر عظمه
حفاظاً وينوى من سفاهته كسرى[٨]

٩ ـ واو الثمانية ، ذكرها جماعة من النحويين والمفسرين والأدباء ، وعرفوها بأنها ما تلحق لفظ « ثمانية » فى العد ، وذلك نحو قوله تعالى ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾[٩] .

١٠ ـ الواو الداخلة على الجملة الموصوف بها لتاكيد لصوقها بموصوفها ، وقد أثبتها الزمخشرى ومن قلده ، وجعلوا منها قوله تعالى ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[١٠]

١١ ـ واو ضمير الذكور عند من عدها حرفا كالأخفش والمازنى ، نحو قوله تعالى على رايهم :
﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾[١١]
والفاعل حينئذ ضمير مستتر[١٢] .

١٢ ـ واو علامة المذكرين عند طىء وأزد شنوءة ، وهى اللاحقة للفعل عند إسناده لجماعة الذكور نحو الحديث الشريف « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » .

١٣ ـ واو الإنكار . نحو آلرجلوه بعد قول القائل : قام الرجل ، قال ابن هشام : والصواب الا تعد هذه الواو لأنها إشباع لحركة .

ومثلها الواو فى « منو » فى الحكاية ، وفى « أنظور » فى قول الشاعر :ـ

وإننى حيثما يثنى الهوى بصرى
من حوثما سلكوا أدنوا فأنظور[١٣] .

١٤ ـ واو التذكر ، وهى التى تتولد من الصوت عند نسيان الكلمة التى بعدها ، كأن يريد شخص أن يقول : يقوم محمد ، فينسى القائم فيقول : يقومو حتى يتذكر القائم .

١٥ ـ الواو المبدلة من همزة الاستفهام المضموم ما قبلها ، نحو قراءة قنبل ﴿ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ . ءَأَمِنتُم ﴾[١٤] .

←

(٦) الديوان ص ١٥١ .
(٧) قيل هو ابن الذئبة ربيعة بن عبد ياليل ، وقيل لوعلة ابن الحارث .
(٨) انظر شرح شواهد المغنى للسيوطى ، مطبعة البهية ص ٢٦٤ .
(٩) سورة الكهف آية ٢٢ .
(١٠) سورة البقرة آية ٢١٦ .
(١١) سورة النمل آية ١٨ .
(١٢) انظر المغنى جـ ١ ص ٤٠٤ .
(١٣) انظر المغنى جـ ١ ص ٤٠٧ ، والخزانة جـ ١ ص ٥٨ ، وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٢٦٦ .
(١٤) سورة الملك آية ١٥ ، ١٦ .

الربعي وآراؤه النحوية

هذه هى المعانى التى ذكرها النحاة للواو المفردة ، وقد أوجزت الحديث عنها إتماما للفائدة ، وأريد الآن أن أفصل القول فى الواو العاطفة التى نحن بصدد الحديث عنها فأقول وبالله التوفيق :ـ

الواو العاطفة أكثر الواوات استعمالاً ، وأوسعها انتشاراً فى كلام العرب ، بل لا أكون مبالغاً إذا قلت إنها أكثر حروف العطف استعمالاً فى كلام العرب ، ويرجع ذلك إلى أنها تنفرد عن غيرها من حروف العطف بأمور كثيرة عدها ابن هشام فى كتابه المغنى خمسة عشر حكماً ، ولكن الذى أريد بيانه وتفصيله هو معنى الواو العاطفة التى أدلى فيها الربعى بدلوه .

ذهب جمهور النحويين إلى أنها لمطلق الجمع ، أى الاجتماع فى الفعل من غير تقييد بحصوله من كليهما فى زمان ، أو سبق أحدهما ، فقولنا : جاء زيد وعمرو يحتمل على السواء أنهما جاءا معاً ، أو زيد أولاً أو آخراً .

قال ابن مالك فى ألفيته :

فاعطف بواو لاحقا أو سابقاً
فى الحكم أو مصاحباً موافقاً

ويدل على ذلك القرآن الكريم ، فمن مجيئها عاطفة الشىء على مصاحبه قوله تعالى ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ ﴾[15] لأنه سبحانه وتعالى أنجى نوحا وأصحاب السفينة معا ، فليس شىء من المعطوف والمعطوف عليه سابقا على الآخر .

ومن مجيئها عاطفة الشىء على سابقه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾[16] فنوح عليه السلام سابق بالزمان على إبراهيم عليه السلام .

ومن مجيئها عاطفة الشىء على لاحقه قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾[17] فالوحى لنبينا صلى الله عليه وسلم متأخر فى الزمان عن الوحى لجميع الرسل ، لأنه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين .

قال العلامة ابن مالك[18] ومن عطف السابق قول أبى الصلت :

سدت عثمان يافعاً ووليداً
ثم سدت الملوك قبل المشيب

وقول جميل بثينة :ـ

وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى
أواخره لا نلتقى وأوائله

وقول الآخر :

وما نحن إلا مثلهم غير أننا
أقمنا قليلاً بعدهم وتقدموا .

قال السيوطى : واستدل لمجيئها للثلاثة جوازاً بأن التثنية مختصرة من العطف بالواو فكما تحتمل ثلاثة معان ـ ولا دلالة فى لفظها

---

(١٥) سورة العنكبوت آية ١٥ .
(١٦) سورة الحديد آية ٢٦ .
(١٧) سورة الشورى آية ٣ .

(١٨) انظر شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك ـ تحقيق الأستاذ عدنان عبد الرحمن الدورى مطبعة العانى ببغداد ـ ص ٦٠٩ ـ ٦١٠ .

على تقديم ولا تأخير - فكذلك العطف بها .[19] .

قال ابن هشام : فعلى هذا إذا قيل : قام زيد وعمرو احتمل ثلاثة معان[20] .

قال ابن مالك : وكونها للمعية راجح ، وللترتيب كثير ، ولعكسه قليل .

وليس هناك مانع فى أن يكون بين متعاطفيها تقارب أو تراخ ، واستدل لذلك بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[21] فإن الرد أولاً وكان عقب إلقائه فى اليم والإرسال ثانياً وكان على رأس الأربعين .

وقول بعض النحويين إن معناها الجمع المطلق غير سديد .

قال السيوطى فى الهمع : والتعبير بمطلق الجمع أحسن - كما قاله ابن هشام - لتقييد الجمع بقيد الإطلاق ، وإنما هى للجمع بلا قيد[22] .

وذهب الشيخ خالد الأزهرى إلى أنه لا فرق بين المعنيين ، واعترض على من فرق بينهما فقال : « والتعبير بمطلق الجمع مساو للتعبير بالجمع المطلق من حيث المعنى ولا التفات لمن غاير بينهما بالإطلاق والتقييد »[23] وذهب السيرافى إلى أن النحويين واللغويين أجمعوا على أنها لا تفيد الترتيب وصححه الشيخ خالد الأزهرى[24] .

وذهب قطرب والفراء وثعلب وأبو عمرو الزاهد وهشام والشافعى إلى أنها تفيد الترتيب وهو مذهب شيخنا الربعى[25] ، قالوا لأن الترتيب فى اللفظ يستدعى سبباً والترتيب فى الوجود صالح له فوجب الحمل عليه ، ونقل الرضى هذا الرأى عن الكسائى وابن درستويه أيضاً .

ورد هذا الرأى بلزوم التناقض فى قوله تعالى : ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾[26] مع قوله فى موضع آخر : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً ﴾[27] والقصة واحدة .

وقال ابن كيسان : هى للمعية حقيقة ، واستعمالها فى غيرها مجاز ، قال : لأنها لما احتملت الوجوه الثلاثة - ولم يكن فيها أكثر من جمع الأشياء - كان أغلب أحوالها أن تكون للجمع فى كل حال حتى يكون فى الكلام ما يدل على التفرق .

وذهب الرضى إلى عكس ذلك[28] .

وقال ابن مالك : المعية فيها أرجح من غيرها والترتيب كثير وعكسه قليل .

قال أبو حيان : وهو قول مخترع مخالف لمذهب الأكثرين .[29] .

د . سعد منصور عرفة

(التتمة فى العدد المقبل إن شاء الله)

---

(19) انظر الهمع جـ ٢ ص ١٢٩ .

(20) المغنى لابن هشام جـ ١ ص ٣٩١ .

(21) سورة القصص آية ٧ .

(22) انظر المغنى والهمع فى المواضع السابقة .

(23) انظر التصريح للشيخ خالد - طبعة البابى الحلبى - جـ ٢ ص ١٣٥ .

(24) انظر المغنى جـ ١ ص ٣٩٢ ، والتصريح جـ ٢ ص ١٣٥ .

(25) انظر شرح الكافية للرضى جـ ٢ ص ٣٦٤ ، والهمع جـ ٢ ص ١٢٩ ، والمغنى جـ ١ ص ٣٩٢ .

(26) سورة البقرة آية ٥٨ .

(27) سورة الأعراف آية ١٦١ .

(28) انظر شرح الكافية جـ ٢ ص ٣٦٤ .

(29) انظر الهمع جـ ٢ ص ١٢٩ .

الأدب المقارن

أزمة المنظور المتعارف عليه

٥

ثالثا : أزمة تطبيق المنهج :

أقصد بذلك الدراسات العلمية التى طبقت أيا من « المنهج التاريخى التوثيقى الفرنسى » و« المنهج الأمريكى » الثائر عليه . ولقد بينت فى المقال السابق[١] طبيعة المنهجين ، وأوجه قصورهما من الناحية : العلمية ، عندما يكون ميدانهما البحثى الآداب الأوروبية ؛ وهنا سوف أعرض لوجه آخر من أوجه قصور هذين المنهجين ، وذلك عندما يكون ميدان بحوثهما هو الآداب الشرقية عامة ، والأدب العربى بصورة خاصة . وسوف أركز على طريقة تناولهما للأدب العربى ومدى تأثر الآداب الأوروبية به :

١ ـ أزمة المنهج فى دراسته للآداب الشرقية على الطريقة التوثيقية الفرنسية .

الأقصوصة (الحكايات الشعبية) :

ـ نوع أدبى انتقل بالمشافهة من جيل إلى جيل ، وكل جيل أضاف إليه أو إلى بعضه تصورات عصره . ولقد اهتم به جميع الابتداعيون (الرومانتيكيون) الأوروبيون على اختلاف لغاتهم وآدابهم وثقافاتهم جمعاً وتسجيلاً ونشراً . . لكن وجود هذا النوع الأدبى يرجع فى ألمانيا إلى حوالى القرن الحادى عشر ، وانتشر هذا النوع الأدبى فى ألمانيا وفرنسا فى منتصف القرن الثانى عشر ، **وهو نوع أدبى ليس له مؤلف فى أغلب الأحيان ، وإن كان له راو ، ثم أصبح له جامع وناشر ، بعد اكتشاف الطباعة ، وبعد أن اهتم الابتداعيون (الرومانتيكيون) بإحياء التراث الأدبى الشعبى[٢] قراءة واستيعاباً ونشراً ، بدأ الاهتمام بدراسته .**

وما يهمنا هنا هو أن العناية بالأدب

---

(١) انظر : عبد الله محمد أبو هشة : الأدب المقارن ـ أزمة المنظور المتعارف عليه[٤] ، مجلة الأزهر ـ عدد ذى القعدة ١٤٠٨ هـ ، الجزء الحادى عشر ، السنة الستون ، ص ١٥٤ ـ ١٥٣٩ .

(٢) Die Bruder Grimm

فى حين أن العناية بالقصة على لسان الحيوان وغيرها قد بدأت فى الأدب العربى منذ عصر النهضة العباسى . (الجاحظ الخ) . لكن العصر الحديث ينتظر الكثير فى هذا الجانب ، ولعل جمع السيرة الهلالية (عمل تاريخى قام به عبد الرحمن الأبنودى) يكون فاتحة لأعمال أخرى فى هذا المجال .

للدكتور: عبد الله محمد أبو هشة

الشعبى هذا ودراسته كشفت عن أوجه شبه أحياناً وتطابق فى أحايين أخرى بين بعض الأقصوصات التى تم جمعها ونشرها، وبين الأقصوصات الشائعة فى المشرق العربى الإسلامى، سواء المدون منها أوالمروى مشافهة.

ورغم التطابق الواضح الذى يغرى بالدراسة المقارنة بأسبابه، إلا أن القضية الواضحة ابتداء، والتى لا يحكم على أسبابها إلا تناولها بالبحث، أصبحت محل شك عند النقاد الفرنسيين. منهم من يرى ضرورة دراسة الظاهرة مثل «جاستون بارى» (١٨٣٩ - ١٩٠٣) ومنهم من ينكر أى صلة بين هذا النوع الأدبى وبين ما يتطابق معه من مثيله الشرقى، مثل «جوزيف بيدييه» (١٨٦٤ - ١٩٣٨م).

يرى «جاستون بارى» أن هذا النوع الأدبى قد استمد وجوده وأغلب عناصر تكوينه من الآداب الشرقية[٣]، ولا ينكر «بارى» على الأدب الفرنسى والآداب الأوروبية الأصالة الفنية فى الصياغة وشيوع روح التقاليد وصور العادات الخاصة بالشعوب الأوروبية، كل مايريد أن يتعرض له ظاهرة التشابه والتطابق التى يتحتم دراستها العلمية. ولقد انبرى له كثير من علماء الأدب الفرنسيين معارضاً، واهتم تلميذه «جوزيف بيدييه» الذى درس صلة ذلك الجنس الأدبى بالآداب الشرقية فى مجلدين، لأن مايهمنا ملاحظته هو انه **يرفض وينكر التاثير الواضح للآداب الشرقية لهذا الجنس الأدبى، برغم وضوح التطابق فى الكثير من هذه الأقصوصات.**

وحجة «بيدييه» هى أن هذه القصص الصغيرة تدخل فى إطار الأدب الشعبى (الفلكلور)، والذى تتلاقى فيه قصص كل الشعوب دون تأثر أو تأثير لسذاجتها وفطريتها[٤] وليس هنا مجال مناقشة «بارى» فى إقراره لهذا التأثر والتأثير، ولا «بيدييه» فى رفضه لذلك، والدراسة دراسة مقارنة[٥]، **لأن ما يعنينى إبرازه هنا هو أن المنهج المقارن الذى يدعى العلماء الأوروبيون حياديته العلمية، يفقد عند**

←

---

(٣) انظر:
G.Paris: La poesie du Moyem - Age, Paris 1895, chap. 3PP. 75- 108, et Passim.

(٤) انظر
Josef Bediev: les Fabliaux, 1893, 2 Vols. PP.245-250.

(٥) للاستزادة: انظر: محمد غنيمى هلال: الأدب المقارن صـ ٦٣ - ٧٠

البعض حياديته بمجرد ورود اسم الأدب العربى خاصة ، والآداب الشرقية الإسلامية عامة ، كأحد جوانب الدراسة المقارنة ، وهنا تستخدم كل نظريات العلوم الإنسانية ، وماتوصلت إليه من نتائج لإبعاد الآداب غير الأوروبية وخاصة الآداب الشرقية الإسلامية عن دائرة البحوث المقارنة .

أما الثابت تاريخيا من صلات أدبية وثقافية سواء عن طريق الأندلس أو عن طريق الحروب الصليبية ، أو عن طريق نقاط التماس الحضارى الأخرى فى جزر المتوسط ، وجنوب أوروبا ، فما أسهل إبعاده عن دائرة البحث ، وحجة الفطرية تارة ، وبحجة التغاير تارة أخرى ، وقدأغرى موقف « بيدييه » هذا الكثير من علماء الأدب المقارن عامة وبعض المستشرقين بصفة خاصة بجحود التأثير الشرقى فى الآداب الأوروبية رغبة فى إثبات الأصالة لهذه الآداب[٦]

ولقد انتشرت هذه الأفكار حتى فى ميدان دراسات الآداب الأوروبية فى العصور الوسطى ، حيث الصلة التاريخية أيضا ثابتة وثمارها الأدبية أكثر وضوحاً ، مما يلزم المقارنين بدراستها . فالقارىء للآداب الأوروبية فى العصور الوسطى خاصة شعر الغزل[٧] (Minnesang) - ينظر ترجمتها - وشعر الفروسية ، وروايات الفروسية والبطولة[٨] ، سوف يدرك - لأول وهلة - التشابه الكبير بين هذا الشعر الأوروبى وشعر العذريين العرب خاصة ، وشعر الغزل عامة وكذلك شعر الفرسان العرب ، كعنترة بن شداد والشعراء الهلاليين ، وما صاغه الناس من قصص عنهم وعن بطولاتهم الخارقة وشجاعتهم ونبلهم وكرمهم وعدالة نظرتهم إلى أعدائهم .

ولقد دار حوار طويل حول الإقرار بتأثر هذا النوع من الشعر الأوروبى بنظيره العربى الإسلامى من عدمه . وقد امتد هذا الحوار حتى يومنا هذا منذ أن تناول « جيوفانى مارى باريرى » هذا الموضوع فى القرن السادس عشر ، مقراً بفضل العرب حتى على قافية الشعر الأوروبى وأوزانه[٩] ، التى استعاروها من عرب الأندلس . ويعتمد « باريرى » - مثل كل المدافعين عن التأثير العربى فى الأدب الأوروبى - على القس القرطبى الأسبانى « الفارو كوردوفيس[١٠] » الذى كتب فى القرن التاسع ينعى على أبناء عقيدته

---

(٦) قضية الأصالة لا يمكن أن تتخذ مطية للتعصب على الحقائق التاريخية ، خاصة من يدعون حيادية المنهج العلمى - ومن ناحية ثانية فإن الأصالة ليست نقيض التأثر فيما نرى - وسوف أتطرق إليها بالبحث فى المقبل من أيام بعون الله تعالى .

(٧) انظر : مثلاً فى الأدب الألمانى فى العصور الوسطى : Gottfried Von Stra -3 Bburg : Tristan U.Isolde .

(٨) انظر : Woefram von Eschenbach : Parizival

(٩) توفى عام (١٥٧٤ م) وتناول ذلك فى كتابه : Dell origine della Poesia Rimata لكن هذا الكتاب لم ينشر الا عام (١٧٩٠ م) .

(١٠) اسمه (ALfaro Cordovese) وكتب ذلك فى قرطبة عام (١٨٥٩) .

قراءتهم للشعر العربى وقصصهم ودراستهم لكتابات العلماء والفلاسفة المسلمين ، ليس بهدف معارضتها ونقضها ، وإنما ليتعلموا كيف ينطقون اللغة العربية بأسلوب سليم أنيق التعبير . (الخ)[11] .

وشكوى القس القرطبى هذه تعتبر أول تأكيد خطى على التأثير الأدبى للعرب على مسيحيى أسبانيا . ولقد اصطلح علماء الأدب على إطلاق اسم (النظرية العربية) على الحوار الدائم حول تأثير الأدب العربى فى الآداب الأوروبية .

وفى القرن الثامن عشر وجدت النظرية العربية[12] مؤيدين . كما وجدت معارضين للإقرار بالتأثير الأدبى العربى فى الآداب الأوروبية ، ولقد كان من أهم مؤيدى النظرية العربية فى القرن الثامن عشر « توماس فارتون)[13] فى انجلترا و «دينيه وشاتوباريان »[14] فى فرنسا و« جوتفرد هيردر »[15] فى ألمانيا . وفى القرن التاسع عشر كان أهم معارضى النظرية العربية « فيلهلم شليجل » فى ألمانيا الذى يرفض النظرية بسبب احترام الشخصيات النسائية ، واختلاف مكانة المرأة عند (الفوربادور) كواسطة للتأثير العربى المؤثر[16] . ولا يخفى على العارف بالأدب العربى والآداب الأوروبية سطحية وجهة نظر « شليجل » الذى انساق مع الوهم والادعاء الأوروبى القديم الحديث بأن الشرق الإسلامى لا يقدر المرأة . ذلك أن « شليجل » بنظرة سريعة غير متعصبة ـ سيرى أن مكانة المرأة فى أدبه الألمانى فى العصور الوسطى ، وفى عصره ذاته أقل بكثير جداً من مكانة المرأة المسلمة وغير المسلمة فى الأدب العربى وفى آداب الشرق الإسلامى عامة ـ ويبدو أن وجهة نظر من وَهْمٍ شيء دائم عند الأوروبيين من أمثال « شليجل » حتى فى أيامنا هذه ، ذلك أن المسلم العربى إما أن يكون أحد شيوخ البترول ولهم فيهم تصور غير كريم ، أو يكون إرهابياً . وبالطبع لا أحد من هذه العينة من البشر يريد أن

←

(١١) انظر : V- Schack, Adolf Friedrich: Poesie und kunst der Araber in Spanien und Sizilien. 2. Bd. Berlin 1865 . S. 96 F.

(١٢) فى عام ١٩٦٦ م انهى عالم الأدب المقارن العراقى « على يحيى منصور » بحثه لنيل درجة الدكتوراه من جامعة « هايدل برج » بألمانيا الغربية بعنوان : « النظرية العربية ـ دراسات حول التطور التاريخى لشعر الحب الأوروبى » انظر الأصل الألمانى :
Ali Yahya Mansoor : Die arabischa Theorie - Studien Zur Entwicklungsgeschichte des abendlandischen Minnesangs, Heidelberg, 1966 .

(١٣) انظر كتابه : Warton, thomas : History of English Poetry . London, 1928

(١٤) انظر كتابه : Chateaubriand, Ren'e : Etudes et discours Historiques - 3. Bd . Bruxelle. 1831 .

(١٥) انظر كتابه :
Herder, J. Gottfried : Werke, hrsgg. von Bern hard Suphan. Bd. 18, Berlin 1883 .

(١٦) انظر كتابه :
Schlegel, A.w. : Observation sur la Langue et la Litterature Bro Vencale . Paris 1818 .

(١٧) انظر كتابه :
Burdach, Konrad : über den Ursprung des Mittelalterlichen Minnesangs, diebesromans und Frauenliенstes . Sitzungsberichte der Preuss . Akad . der Wissenschaften, tg . 1918 —

يتريث ليرى أن العربى المسلم واقع تحت نيران الإرهاب الذى صنعوه وصدروه لنا .

وفى القرن العشرين نجد بحثين هامين : احدهما لعالم الأدب الألمانى « كونراد بورداخ »[17] يؤيد فيه النظرية العربية ،

والثانى لعالم أدبى آخر هو « الفريد بيليت »[18] ينكر فيه مدى التأثير ويهاجم النظرية العربية جملة وتفصيلاً . ويعتمد « بورداخ » فى تأكيده للنظرية العربية على ظاهرتين جديدتين فى شعر العصور الوسطى الأوروبى .

أولاهما : المكانة الجديدة للشاعر الأوروبى كشاعر للقصر أو للأمير وماتبع ذلك من موضوعات جديدة .

وثانيتهما : التصور الجديد للحب كقوة طبيعية أخلاقية المنزع ، يخضع لها الإنسان خضوعا قوياً ويعالجها على هذا الأساس[19] .

ويرد « بيليت » على النظرية العربية متهماً إياها بالتناقض ، ويرى ـ مهملاً للظواهر الأدبية الواضحة ـ أن اختلاف الجنس البشرى وغرابة الأنواع الأدبية وموضوعاتها كانت دائما حاجزاً بين البشر[20] .

و « بيليت » يتحدث عن تصور تاريخى عام ـ لو صح ـ لما عرف شعب أى شعب آخر فى هذا الكون ، ووقائع التاريخ والظواهر الأدبية الواضحة والعلاقات بين شعوب الأرض وأممها والتأثر والتأثير خير دليل على فساد حجة « بيليت » التى اعتمد عليها فى رفضه للنظرية العربية . وأغرب ما فى الأمر أن قضية غرابة اللغة العربية والأدب العربى مازالت قضية مطروحة فى الدوائر العلمية الأوربية حتى يومنا هذا[21] .

وبرغم إقرار الكثيرين من علماء الأدب الأوروبيين بتأثر آدابهم بالأدب العربى ، إلا أن الصوت الرافض مازال هو الأكثر صخباً ، وهو الذى يجد له صدى فى الدوائر الإعلامية . ومايهمنا تقريره هنا هو أن إعلان الحيادية العلمية من منظور المقارن المتعارف عليه إنما هو ادعاء فقط . والدليل على ذلك رفض الكثيرين للإقرار بظاهرة واضحة للعيان من خلال القراءة السريعة للآداب الأوروبية ، ناهيك عن دراستها علمياً ، وهى دراسة

(١٨) انظر كتابه :
Pillet, Alfred : zum Ursprung der altprovensalischen Lyrik . Schriften der Konigsberger Gelehrten Geellschaft . tg 5, Heft4 , Halle 1928 .

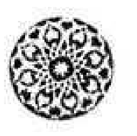
(١٩) انظر : المرجع المذكور صـ ٢٨٧ Burdach , Konrad :

(٢٠) انظر : المرجع المزكور صـ ٣٦٠ : Pillet, Alfred

ستثبت - كما فعل الكثيرون من أمثال (بورداخ) - حقيقة تأثير الأدب العربى فى الآداب الأوربية و(كيفية) هذا التأثير ووسائله ووسائطه ، وأوجه المغايرة أيضا بين المؤثر والمتأثر به .

لقد حاولت فى رسالتى للحصول على الدكتوراه وضع منظور جديد فى الأدب المقارن من خلال دراسة تطبيقية مقارنة لروايات الخمسينيات عند الأديب الألمانى « هاينريش بول » وعند « نجيب محفوظ » من خلال العرض الأدبى للبيئة كوسيلة للنقد الاجتماعى[٢١] . وركزت على مقارنة الظواهر الأدبية من خلال مغزاها ، الذى تعرضه الروايات من خلال تعانق البناء الروائى مع الظاهرة الأدبية اللغوية . وأتصور أننى بذلك قد حاولت تعدى « أزمة المنظور المتعارف عليه » بالاقتراب من الأعمال الأدبية والنظرة المتساوية لطرفى المقارنة بحيادية علمية كانت لها نتائجها الدامغة .

عبد الله أبو هشة



---

(٢١) الرسالة صدرت فى كتاب هو :
Abn Hasha, Abd - Allah : Gesllsechaft skritik in dem Romanen de Funfziger Tahre - Untersuchungen zur literischen Darstellung des Milieus bei Heinrich Boll und Nagib Mahfuz . VSG Verlag, Munsteer 1986 .

من خير ما أقرأ

الأستاذ الدكتور رءوف شلبي وكيل الأزهر

عرض سريع لحياة الأوروبيين .. والمسلمين

بعد تنازل نابليون عن العرش بلا قيد ولا شرط فى أبريل ١٨١٤ تجمعت دول أوروبا لتسوية شئونها ثم أعقب ذلك مؤتمرات تسوية ونشأ مايسمى بالاتحاد الأوروبى ، وراحت أوروبا تنظم صفوفها واقتصادها ، وأخذت فى ذلك شوطاً كبيراً من حركات إصلاح نيابية واقتصادية وسياسية وقانونية ودستورية ، وظهر من نتاج ذلك نجاح الوحدة الإيطالية والألمانية ، وظهرت فى الأفق الأوروبى فكرة تحويل كل صراع أوروبى إلى الشرق فلتتحد أوروبا ولتتوجه نحو الشرق فظهر فى الآفاق مايسمى بالمسألة الشرقية ... واستطاعت أوروبا أن تقسم البلاد الإسلامية ، وأن تتوحد فى القرن العشرين فلديها السوق الأوروبية المشتركة اقتصادياً .

ــ والبرلمان الأوروبى سياسياً .

ــ وتملك زمام الصناعة والتجارة دولياً .

والأمة الإسلامية فى هذا القرن تعيش على نشاط أوروبا الاقتصادى والصناعى .

فهل تاريخنا وإسلامنا يسمح لنا بهذا التمزق والتفرق والله قد قال لنا منذ ١٤ قرناً :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾

(البقرة ١٤٣) .

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

(آل عمران ١١٠) .

وقال لنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »[1] .

« سَدِّدُوا وقاربوا وكونوا عباد الله إخوانا »

إن ذلك مايجب أن ننظر إليه فى هذا الجيل فكل أسباب الخلاف القديمة قد مات رجالها وانتهى عصرها والأفق الإسلامى أرحب فى الأخوة الإسلامية والتعاون على البر والتقوى أرحب من كل جدل ومراء يفرق ولا يوحد ويضعف ولايقوى ويفسد ولا يصلح فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون .. والمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .

البريطانيون يحذرون
الخمر ضارة جداً وقاتلة

تتصاعد الدعوة لفرض قيود على تعاطى

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي .

إعداد : عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعى خفاجه

الخمور ودعوة الأفراد إلى التخلى عن هذه العادة السيئة فى أنحاء العالم ، وبخاصة دول الغرب بعد أن تحولت مشكلة إدمان الخمور إلى أخطر مشكلة صحية واجتماعية واقتصادية تطغى على ماعداها من مشكلات فى عشرات الدول .

الأستاذ أحمد بهجت :

تقدر المصادر الإسرائيلية خسائر إسرائيل من الإنتفاضة بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار .. إلى جوار ٤٠ مليون دولار شهريا هى خسائر التجارة الإسرائيلية بسبب مقاطعة الثوار الفلسطينيين لهذه البضائع .

الأستاذ صلاح منتصر :

قرار شجاع

نحن نحيى المهندس سليمان متولى وزير النقل والمواصلات على قراره الشجاع بتخصيص عربات فى قطارات السكة الحديد لغير المدخنين وإلزام من يدخن بإطفاء سيجارته وسداد عشرة جنيهات غرامة فورية لمخالفة قانون الصحة والذوق والأخلاق . هذا القرار نصفق له ونشجعه ونطالب باحترامه وباستمراره فمن عادتنا أن نبدأ متحمسين للشىء ثم بعد فترة نفقد حماسنا له .

وقد انتشرت قرارات عدم التدخين فى كل العالم وفى مقدمتها الدول التى تقدس حرية الفرد وتعتبر هذه الحرية ركنا من أركان الحياة .

مجلة الأزهر :

جميل إنشاء هذا القرار ، وخير منه متابعة تنفيذه .

الأستاذ / نجيب محفوظ :

بين الفناء والبقاء

نحن على درجة من التخلف لا يجوز أن يقبلها شعب كريم . هذه حقيقة تتجلى مثل نور الشمس المحرقة فى يوم قائظ لدى أية مقارنة مع العالم المتقدم فى شتى جوانب الحضارة ولو مضت الفجوة بين العالمين تتسع بنفس المعدل فلا يبعد أن يقضى علينا بالفناء ، أو بأن نعمل فى خدمة المتفوقين كما يعمل الحيوان فى خدمة الإنسان . إنهم يقتحمون الفضاء ويتغلغلون فى جوف الذرة ويتطلعون إلى التحكم فى الوراثة ومازلنا نتعثر فى بناء هياكلنا الأساسية ونجاهد بشق النفس لنيل حقوق الإنسان ومقاومة التهرؤ والانحلال . إن كثيراً من أحلامنا الذهبية لم تعد بالقياس إليهم إلا أشباح أساطير لعصور مظلمة مضت وانقضت . فلنلحق بركب التقدم قبل أن نصير مثلاً من أمثلة التاريخ المأساوية .

الأستاذ / حافظ محمود :

مشكلات التعليم

إن شعار (هذه بلدك) لا يكفى لمعالجة مشكلاتنا . بل لابد أن تعطى للمشارك فى الخدمات مايشعره بأن بلده يعطيه كما يأخذ منه . فلنقرن الجهود الذاتية بمنفعة ذاتية تضمن نجاح المشاريع .

أنباء وآراء

حفل تكريم الفائزين من علماء الدعوة بالأزهر

اقامت الإدارة العامة للدعوة والإعلام الديني بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف مسابقتين عامتين بين السادة الوعاظ بالأزهر الشريف فى « إتقان حفظ القرآن الكريم وترتيله » وفى « العلوم الإسلامية » .

وقد اقيم حفل خاص برياسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر لتكريم الفائزين فى كل من المسابقتين ـ بمبنى مجمع المعاهد الأزهرية بمدينة نصر يوم الاثنين ٦ من ذى القعدة ١٤٠٨ هـ الموافق ٢٠ من يونية ١٩٨٨ م ، حيث وزعت على الفائزين جوائز سخية وستعقب هذه المسابقة إن شاء الله تعالى مسابقات أخرى .

باكستان : قرار فورى بتطبيق الشريعة الإسلامية

أعلن الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق تطبيق الشريعة الإسلامية كاملة فى باكستان ابتداء من أول ذى القعدة ١٤٠٨ هـ ، وقد اعتمد المكتب المسئول عن الشئون الجارية القوانين المستمدة من الشريعة الإسلامية التى أعدها عدد من علماء الإسلام منذ أمد طويل . وصدر الأمر إلى كافة الأجهزة التنفيذية بتنفيذ القوانين الإسلامية الجديدة فوراً .

مجلة الأزهر :

قامت مشيخة الأزهر بتزويد الجهات الإسلامية المختلفة بما أعدته من قوانين فى هذا الشأن عقب طلبها ، وقد اهتم فضيلة الإمام الأكبر نفسه بهذه المطالب وباشر متابعتها بنفسه . والله نسأل أن يحفظ باكستان من كل سوء يراد بالإسلام والمسلمين وأن يوفقها فيما أقبلت عليه . إنه أكرم مسئول .

مؤتمر الغذاء الإسلامي

كشفت الدراسات المقدمة إلى اجتماع خبراء الأغذية والزراعة بمنظمة المؤتمر الإسلامي الذى أنهى أعماله مؤخراً : أن هناك فجوة كبيرة بين إنتاج الغذاء واستهلاكه فى الدول الإسلامية ، وأن العالم الإسلامي يعتمد فى غذائه على العالم الخارجى .

أكدت الدراسات أن هناك (٩٥٨) الف مليون هكتار فى العالم الإسلامى من الأراضى القابلة للزراعة لا تجد من يستثمرها ، بالرغم من كل الإمكانات التى يمتلكها العالم الإسلامي .

إعداد: د. أحمد عبد الرحيم السايح

وطالبت إحدى الدراسات المقدمة للمؤتمر بإنشاء اتحاد إسلامي دولي لحماية المستهلكين بالدول الإسلامية، وقد قرر المؤتمر إنشاء شبكة للمعلومات لتحقيق التعاون بين الدول الإسلامية في مجال الاكتفاء الذاتي من الغذاء.

وصرح الدكتور عادل بلتاجي وكيل وزارة الزراعة ومقرر الاجتماع أن توصيات ونتائج هذه الاجتماعات سوف تعرض على مؤتمر وزراء الزراعة في الدول الإسلامية الذى سينعقد في إسلام آباد في شهر ربيع الأول، أكتوبر القادم.

ماليزيا: مؤتمر عن الجامعات الإسلامية

يعقد بماليزيا في صفر سبتمبر القادم مؤتمر للجامعات الإسلامية. يناقش المؤتمر دور الجامعات الإسلامية في الحفاظ على التراث الإسلامي وتخريج جيل جديد من الدعاة الإسلاميين. والمشاكل التى تواجه هذه الجامعات، والأسلوب الأمثل لنشر الفكر الإسلامي الصحيح.

مجلة الأزهر:

أهم مشكلة تعترض أكثر الدعاة في هذه البلدان مشكلة تواجه الدعاة من أبناء الأقليات الإسلامية. حيث يحصل الداعية على شهادة تقرر تخصصه في ميدان الدعوة الإسلامية، وهى شهادة لا تتيح له العمل في هذه المجتمعات فيبقى كَلًّا عاطلاً .. نسأل الله - العزيز الكريم - أن يواجه هذا المؤتمر هذه المشكلة بعلاج جذرى حاسم يوفر لهذا الداعية كرامته الإنسانية في عمل لائق به متخصص فيه إلى جانب عمله في الحقل الإسلامي.

مركز البحوث الإسلامية العربية في أمريكا وكندا يواجه تحديات المستشرقين

يواجه مركز البحوث الإسلامية العربية في أمريكا وكندا مجموعة من التحديات ومن أخطرها مواجهة المستشرقين، ويواصل المركز جهوده في هذا المضمار بإنشاء مركز علمى يحاول انتشال الباحثين الكنديين والأمريكيين من براثن المستشرقين المغرضين الذين سمموا أجواء الدراسات الإسلامية والعربية بما كتبوا وما لفقوا، ويحاول المركز ألا تكون سمومهم المصادر التى يرجع إليها الدارسون في حقول المعرفة الإسلامية والعربية من الغربيين.

كما يقوم مركز البحوث الإسلامية العربية بإعداد الدراسات والبحوث التى تعالج قضايا الفكر الإسلامية في مجالات القرآن الكريم والسنة المطهرة واللغة العربية وآدابها والتاريخ والحضارة الإسلامية.

وكذا تيسير وسائل وأدوات الدراسات والبحوث الإسلامية التى يقوم بها الباحثون في شمال أمريكا ومساعدتهم على توفير المصادر

←

أنبــــاء وآراء

والمراجع المتعلقة ببحوثهم ، والعمل على توثيق الـروابط الثقـافيـة والعلميـة بـاللقـاءات والمحاضرات والندوات والنشرات .

المسلمـون يتزايـدون

أكدت صحيفة الاكسبريس اليوغسلافية على التقرير الذى يشير إلى تزايد اعتناق الأوروبيين والأمريكيين للدين الإسلامي ، وأكدت أن المسلمين سوف يشكلون بعد ثلاثة قرون فى الولايات المتحدة أغلبية تزيد على عدد اليهود هناك ليصبح الدين الإسلامي الدين الثاني فى أمريكا الشمالية ..

مجلـة الأزهــر :

مثل هذه الأخبار تعد إنذاراً وتنبيهاً لأعداء الإســلام ليستعـدوا لـمواجهـة الإســلام والمسلمين ، كل فى دائرة سياسة عامة لا تريد إسلاماً ولا مسلمين . وقد نشرت مجلـة الكريستيان ساينس مونيتور التوصية التالية لقس نصرانى استعرض أعمال المبشرين في أفريقيا ، وقد هاله اعتناق الكثير للإسلام فقال :

« واخشى ان نظل هكذا ننفق الأموال الطائلة . ونبعث بأبنائنا إلى مجاهل افريقيا فى الوقت الذى تسلم فيه قلاع المسيحية فى افريقيا للإسلام . إن علينا ان نتخذ قراراً حـاسماً وعمليـاً » .... اليس فى ذلـك الكفاية ؟ !

انظر للأستاذ عبد الواحد الإمبـابى ـ الإسلام فى أفريقيا ص ٦٢ العدد ١٣ سلسلة كتب إسلامية ـ وزارة الأوقاف ..

تايلانـد : كلية للدراسـات الاسـلامية

تقرر إنشاء كلية الدراسات الإسلامية بمعهد نهضة العلوم بولاية جالا جنوب تايلاند وهذا المشروع يشتمل على أربعة مبان منها مبنى لحجرات الدراسة ويتكون من ثلاثة طوابق بها ٢٤ حجرة ومبنى لسكن الطلبة ويتكون من ثلاثة طوابق ومبنى مخصص لسكن هيئة التدريس ومكتبة وقاعة للمحاضرات .

ويأتى هذا المعهد لخدمة أبناء ولاية جالا التايلاندية حيث يبلغ عدد المسلمين ٨٥٪ من إجمالى تعداد سكانها .

هذا وتتضمن برامج الكلية برنامج دراسة جامعية فى الشريعة الإسلامية واللغة العربية وبرنامج تدريب مهنى وفنى فى عدد من المجالات مثل الهندسة والكمبيوتر .

وكان البنك الإسلامي للتنمية قد قدم منحة قدرها مليون و٢٠٠ الف دولار أمريكى لتغطية تكاليف مشروع إنشاء كلية الدراسات الإسلامية .

تنقية المناهج الدراسية

●● أكد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبد الله عمر نصيف على ضرورة تنقية المناهج الدراسية

الحالية في العالم الإسلامي من كل ما يخالف الدين الحنيف .

وقال الدكتور نصيف : إنه من اللازم أن يعنى بتقديم تلك المناهج إلى الشباب على أســس إسلامية رشيدة بحيث تكون سهلة ميسورة لا يجد فيها ما ينفره منها أو يبعده عنها .

ومن الضرورى أيضاً أن يتعلم أبناء المسلمين العلوم الشرعية بجوار العلوم الحديثة ، وأن يتخصصوا فيها بحيث يجد الطبيب والمهندس ورجل الاقتصاد من علوم الدين ما يؤهلهم لحمل راية الإسلام فى المجتمعات التى يعملون بها .. فالإسلام دين علم ، وعصرنا هذا يحتاج إلى قوة تؤثر فيه ، ولن يكون للمسلمين أثر فى عصرهم الحالى ما لم يتزودوا بقوة الإسلام وعلومه وعلوم العصر .

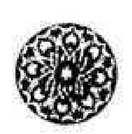
جامعة عليگرة : ندوة علمية

عقدت ندوة علمية فى جامعة عليگرة الإسلامية تحت رئاسة فضيلة الشيخ محمد تقى الأميني رئيس القسم الديني السابق ، قدم فيها رئيس القسم الديني الحالى سعود عالم القاسمى مقالته : (دراسة لخدمات المحدث الكبير الشيخ ولى الله الدهلوى » .

وذكر أن الشيخ ولى الله قد خلف ٥٢ كتاباً وقام بنشر علوم القرآن . وقدم الشيخ ولى الله الإسلام للناس بالدلائل العقلية ، وله بحث تفصيلي على النظريات فى كتابه « الخير الكثير » ، ولم يرض فى التصوف أية بدعة ومحدثة ، وأنكر أشد الإنكار على أن تكتسب الدنيا باسم التصوف .

هيئة للفتوى بالاتحاد الدولى للبنوك الاسلامية

قرر الاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية تشكيل هيئة عليا موحدة للفتوى والرقابة الشرعية . شمل تشكيل الهيئة رؤساء هيئات الرقابة الشرعيـة فى البنوك الأعضاء ، بالإضافة إلى تسعة أعضاء يمثلون المذاهب الشرعية المختلفة وتضم الهيئة ثلاثة من كبار الفقهاء بالمجمع الفقهى التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي وهم : الشيخ محمد الحبيب بلخوجة أمين عام المجمع الفقهى والدكتور عبد الله أبو زيد وكيل وزارة العدل السعودية والشيخ محمد المختار السلامى مفتى تونس . كما تضم ستة أعضاء يمثلون المناطق الجغرافية للبنوك الإسلامية وهم : الشيخ محمد خاطر مفتى مصر الأسبق ، والشيخ محمد تقى عثمان عن باكستان وبنجلاديش والشيخ خليل صبيح عن تركيا ، والشيخ أحمد على عبد الله عن السودان ، والشيخ مالك سى عن غرب أفريقيا ، والشيخ عبد الله بن منيع عن منطقة الخليج العربي .



الفهرس السنوى للمجلد الستين ١٤٠٨ هجرية
مرتبا حسب الحروف الهجائية (١)

(المقالات)

حرف الألـف

(١) جرى الترتيب على نظم الحروف الهجائية بدون اعتبار (ال) فى اسم المقال . فعلى الباحث فى هذا الفهرس أن يسقط (ال) من اسم المقال وينظر مايليه . وإذا كان (ال) فى علم فإنه يعتد به ويدرج فى باب الألف .

اعداد : أبو القاسم عبد الكريم عبد الموجود
كمال الدين عبد اللطيف السيد

حرف الثـاء

حرف الجيم

حرف الحـاء

حرف الخـاء

حرف الدال

فهرس الكتاب

مرتبا حسب الحروف الهجائية

حرف الألف

إعداد : حسن سليم حسن صالح
محمد عبد اللطيف عثمان

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

الهدايا الصادرة عن مجلة الأزهر عام ١٤٠٨ هـ

اسم الهدية	اسم المؤلف	الشهر
١ ـ الحسن البصرى	للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن على الشهير بابن الجوزى	المحرم
٢ ـ التطرف الدينى وأبعاده أمنياً وسياسياً واجتماعياً .	للإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق .	صفر
٣ ـ السيرة النبوية	للشيخ محمود أبو العيون / محمد الحسينى رخا	ربيع أول
٤ ـ مختارات فى أحكام العصاة	لأئمة السلف	ربيع الآخر
٥ ـ التطرف المنسوب إلى الإسلام مظاهره وتفسير ظهوره وعلاجه .	د . هاشم حسن فرغل	جمادى الأولى
٦ ـ حاجة العصر إلى حياة روحية	د . عبد الفتاح عبد الله بركة	جمادى الآخرة
٧ ـ إن الدين عند الله الإسلام .. دراسة فى مفهوم وحدة الدين .	د . رءوف شلبى	رجب
٨ ـ قدسية الحرمين الشريفين	للإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق	شعبان
٩ ـ القنوت بين الشرعة والبدعة	للإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق	رمضان
١٠ ـ الأزهر فى ندوة الفقه الإسلامى بعُمان	إعداد:د . على أحمد الخطيب	شوال
١١ ـ مناسك الحج .. تأليف الإمام محمد الخطيب الشربينى الشافعى	تحقيق د . حلمى السيد أبو حسن	ذى القعدة
١٢ ـ أوضاع الأقليات المسلمة فى القارة الأفريقية	إعداد السيد المشير عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب	ذى الحجة

الفهـــرس

مـن أعـلام الأزهـر

الشعـر والشعـراء
اشراف د . حسن جاد

العلـوم الكونيـة

اللغة والأدب والنقد

القسم الانجليزى
اشراف د . أنس النجار

===============

→

Rajab, 1408, Vol. 60, Part VII

1. Abu Bakre Al-Siddiq, The First Triumph.
   Anas M. El-Naggar.

2. Man and Woman in Islam (part III)
   Saad M. Moustafa.

3. Unlawful Haram Earnings in Islam.
   Tawfik M. Shahin.

4. The Most Magnificent Names of Allah.
   Fatimah M. Sirry.

Shabaan, 1408, Vol. 60, Part VIII

An Overview of the International Conference of Islamic Dawah. Held in Cairo, 15th Rajab, 1408 - March 4th, 1988.

Anas M. El Naggar

Ramadan, 1408, Vol. 60, Part IX.

1) Abu Bakre Al-Siddiq - War Against Apostates (part I).
   Anas M. El Naggar.

2) The Holy Quran and Science (part I).
   Saad M. Moustafa.

3) The Most Magnificent Names of Allah.
   Fatimah M. Sirry.

Shawal, 1408, Vol. 60, Part X.

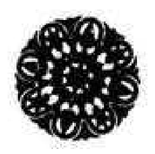
1) Abu Bakre Al-Siddiq.
   War Against Apostates (part II),

Jummada Al-Ula, 1408, Vol. 60, Part V.

Jummada Al-Akhira, 1408, Vol. 60, Part VI.

INDEX TO VOL. 60, 1408 HIJRAH

problems, or difficult issues that we may face. We should take from it only the dimensions it allows for us, and not according to our caprices and inclinations. The Holy Quran has not been sent for a specific age of time or people; and the treasures of its infinite inexhaustible dimensions are continuously realized and appreciated through the ages in perpetual reality, truth, freshness and vitality. The Holy Quran is not static, finite, or momentous; it will preserve its unique quality of infinite knowledge as the eternal message to mankind. The Holy Quran has been revealed for all ages and all human beings. It overpowers and surpases all learning and knowledge of all ages. It encompasses mysteries and intricacies beyond the comprehension of the reader of any age of time; yet it presents a feast of meanings and dimensions that are realized and can satiate the needs of every age of time according with the capacity, capability, piety of that particular age.



within the verses of the Holy Quran - the firm verses "Al-Ayat Al-Muhkamat", and the ambiguous verses "Al-Ayat Al-Mutashabihat". The Holy Quran states "He, Who has sent down to thee the Book, in it are verses of established meaning; they are the foundation of the Book. Others are allegorical... " (Surat Al-Imran, III, 7).

Thereby, the Holy Quran means that there are certain verses with firm meanings that are the "mother of the Book" - Umm al - Kitab. These verses have clear specific meaning with no ambiguity, bearing dimensions of categorical foundation in the Doctrines of Allah's Message. These verses are precise dogmas that cannot be subject to human intellectual comprehension or indívidual ingenuity. Other verses in the Holy Quran are ambiguous, figurative, metaphoric, allegoric, and implicative. With these, the mind can exercise ingenuity, correlation, similarity, indication and analogy about their meaning. However, one should not be dogmatic in interpreting their meaning; these verses are illustrative portrayals and characterizations, whose best interpretations are achieved in relation with other verses of the Holy Quran. Any extended inference drawn from these verses without the help of the "mother verses" would be very incorrect and unrelaible. It is a grave error and deviation from true faith to interpret Quranic verses in a manner favourable to selfish interests, and wrongfully attribute certain ideas to the Quranic text that are not in agreement with the spirit of the Holy Quran. It should be fully realized that the exact esoteric, occult and theosophic meanings of the Holy Quran remain the knowledge of Allah. Therefore, any deviate interpretations of the Holy Quran based upon personal or sectarian bias and interests is basically an act of heresy. In this connection, the Prophet (prayers and peace be upon him) said "He who interprets the Quran according to his wish, should be certain of his place in hell."

The Holy Quran repeatedly expresses that its meaning and implications should be approached with unbias, sincerity, unprejudice and meditative contemplation. "Here is a Book which We have sent down unto thee, full of blessings, that they may meditate on its Signs, and that men of understanding may receive admonition" (Surat Sad, XXXVIII, 29). Even the unbelievers are invited in the Holy Quran to appraoch and comtemplate over its verses. Why do they avoid to contemplate over the Quran, are their hearts locked and sealed. "Do they not then earnestly seek to understand the Quran, or are their hearts locked up by them ?" (Surat Muhammad, XLVII, 24). If we make the effort to comprehend the Holy Quran in an honest unprejudiced approach, it is not at all necessary to solve, realize, or understand all the

Muhammad from a Source that transcends his thought and mind, and the Prophet was only the recipient of this Divine Revelation. Acquiring sufficient understanding of Quranic teachings, brings us to acknowledge the absolute Divine nature of the Holy Quran, and its quality of being an eternal Divine miracle of the Prophet Muhammad (prayers and peace be upon him). It has been revealed to the Messenger Muhammad in a wholesomeness that is compatible with human mental capabilities.

The scholarly study of the Holy Quran essentially necessitates proper knowledge of the Arabic Language, the language of the Holy Quran. Another essentiality is knowledge of Islamic history and the history of mankind, since the Book was revealed over a long period of twenty-three years of the Prophet's very rich life. A third requirement for the proper study of the Holy Quran, is the correct mastery of the Hadith "Sayings" of the Prophet Muhammad (prayers and peace be upon him). The Prophet was, according to the Holy Quran itself, the interpreter of the Holy Quran, par excellence. The Holy Quran states "As we have sent down unto thee the Message that thou mayest explain clearly to men what is sent for them and that they may give thought" (Surat Al-Nahl, XVI, 44). The Holy Quran also states "It is He who has sent among the unlettered a Messenger from among themselves, to recite to them His signs, and to purify them, and to teach them the Book, and the wisdom" (Surat Al-Jumaa, LXII, 2). In this connection, it is mandatory for every Muslim to recognize and acknowledge that whatever has reached us from the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) from Hadith, or tradition, or riwayat (narrations) fundamentally aims to expand, elaborate and facilitate our understnading of the Holy Quran. It is a grave error, one that undermines the essentials of Islamic faith; for any Muslim to interpret independently the Holy Quran without following closely and intimately the Sunnah and Hadith of the Prophet Muhammad. In fact, the Holy Quran explains itself within itself, because the verses of the Holy Quran constitute a completely unified integral whole, a coherent interwoven structure. The widest totality of the meaning and purpose of every verse is realized and encompassed only within the inter-related matrix of the Holy Quran as whole. The meaning of every verse standing alone does not go beyond what is understood from the literal meaning of the words. Indeed, the Holy Quran has its own unique mode of discussing various problems. There are instances where if a solitary verse is studied without placing it in its proper context, it gives an incomplete sense than when it is viewed in connection with the other verses dealing with the same subject or a similar subject. The Holy Quran itself specifically points out a distinction

For a Muslim, the Holy Quran is the foundation of religous teachings, doctrines, and thought; whatever gives meaning, purpose, justification and equilibrium to human existance is found in the Holy Quran.

The processes of Quranic documentation from the time of the Revelation through forteen hundred years has guaranteed the unaltered exactness and authenticity of the Book. The Holy Quran is the only Holy Book which remained fully intact from the time of its revelation until the present time. Not only is the full text of the Holy Quran available, but is also available in the full and exact form as uttered by Prophet Muhammad at the time of its revelation and in the original Arabic Language, in which it was revealed. No addition, deletion, or interpolation found its way into the text of the Holy Quran. It is the sole authoritative authentic revelation available to mankind. It is authoritative because an objective study of the Holy Quran clearly shows its divine origin and the wholesomeness of its constitution and intigration as a divine scripture to mankind. It is authentic because of the conclusive evidence that it remained intact through the process of its transmission along the generations from the time of its revelation, without being mixed with human and philosophical ideas and doctrines.

The very early Muslims, companions of the Propohet Muhammad believed that the Holy Revelation of the Quran were the Words of Allah. These Words were congenial to their sensibilities and their natural propensities and inclinations, which made the Words of Allah become effectively imprinted in their hearts like inscription on stone. These were the "Scribes of the Holy Revelation" whom the Prophet had personally selected. The extraordinary supreme and supernatural literary elegance and fluence, the artistic rhetoric dimensions of the Holy Quran, was an extra reason that promoted these early Muslims to memorize, scribe and intimately preserve the text of the Holy Quran. Accordingly, there is no justification for any discussion about the Holy Quran from the point of view of its authenticity.

An analytical study of the Holy Quran reveals that it constitutes an exactness of purpose, a message of guidance to mankind, knowledge of the atributes of the Creator, matters of life and death; it considers reason and the rationality of the mind as supporters of faith and belief. Its contents are genuinely original which have not been adopted or imitated from any other source. It bears a specific divine identity, its teachings and doctrines were delivered to the Prophet

THE INTEGRITY OF THE HOLY QURAN

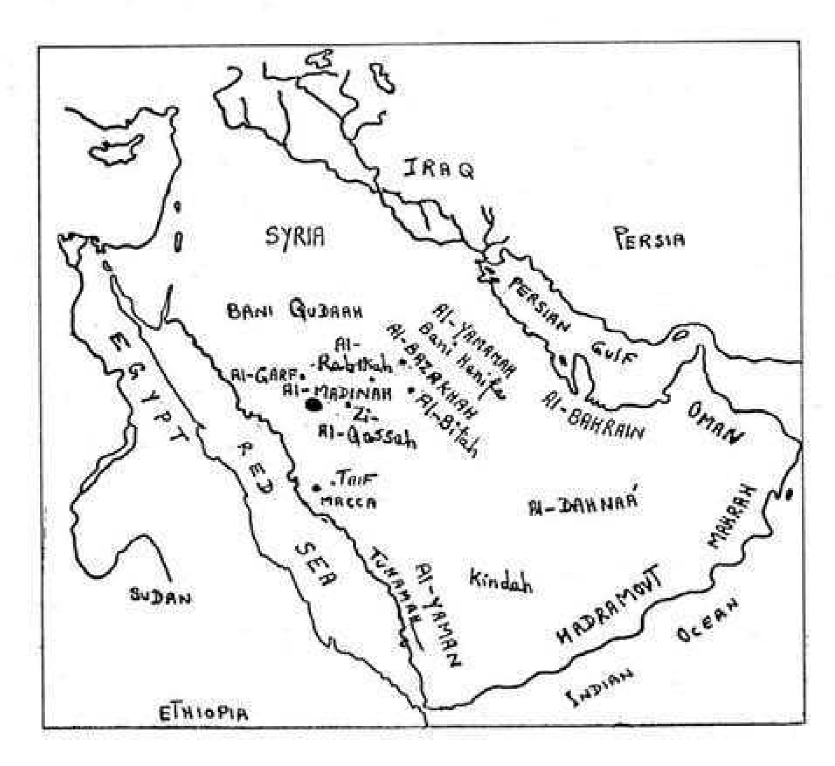
By : Saad Moustafa Moustafa, M.D.

In the previous two articles, the relationship of the Holy Quran and science has been discussed. It is very evident that the context of the Quran includes mention of the various phenomena of nature and exhorts mankind to contemplate, understand and research in these phenomena of creation. Since the Quran is the eternal message of Allah to mankind for guidance, it therefore emphasizes that our studies in science should not be a means of understanding the material universe, but also a means of recognizing the Creator of the universe, and deepening our submission and obedience to Allah. Every endeavour, every study, every research, every investigation should be essentially aimed at exploring Allah's infinite creation, in order to increase and manifest our remembrance of Allah. The Holy Quran teaches us to supplicate to Allah, to teach us and increase our knowledge. One of the most manifest, outstanding and repeated advice given to mankind in the Holy Quran is to think, observe, contemplate, ponder, relate, associate and draw prespectives. Such process of mental excercise if performed with earnest honesty, must bring man to full realization of the Creator. This is the Message and this is the guidance. The Holy Quran and the meanings it carries within its letters is a perpetual eternal Message to mankind for all ages of time and for all peoples of mankind.

Knowledge of the Holy Quran is most essential for all believers in the Islamic Faith, and also for learned scholars who study the development of human society and human behaviour. This statement is based on the fact that the Holy Quran has been effectively instrumental not only in moulding of Islamic societies, but also in the shaping of the human race as a whole. There has been no book in the history of mankind that has infuenced human societies to the magnitude of the Holy Quran. For such reason, the Holy Quran automatically steps into the precincts of all serious discussions or research in the sociology of the human race.

affairs of the Muslim nation. It was estimated that more than fifteen thousand of Bani Hanifah died in battle, and approximately fifteen hundred from among the Muslims. The numbers of the dead were very great for that era of history. Many among the Muslims who died were bearers of the Holy Quran, the loss was great and the grief among those in Makkah and Al-Madiniah was very deep and intense.

When all was over and everything settled down, Khalid ibn Al-Walid whom Allah had brought victory and triumph to Muslims on his hands; summoned Mugaah, and in a very composed intent statement, requested marriage to Mugaah's daughter. Mugaah hesitated, but on the insistance and determination of Khalid, Mugaah accepted to marry his daughter to Khalid. When the news reahed Abu Bakre, he was in rage inspite of his patience. Abu Bakre wrote to Khalid "You, the son of Um Khalid, you are really vain, empty and conceited braggart. You marry women and in your courtyard the blood of fifteen hundred Muslims has not yet dried". Khalid remained to live with his two wives Lyla Um Tamim, and the daughter of Mugaah in one of the valleys of Al-Yamamah, for sometime. He was later summoned (in the reign of Abu Bakre) to command another military campaign.



garden and attack Bani Hanifah inside. He wanted to attain final victory and undisputed triumph in that battle of destiny. The Muslim troops tried to search for means of entry through the walls of the garden, but failed to find any gaps. The Muslim worriors climbed the walls of the garden nearest the gates; they were headed by Al-Baraa ibn Malik. They jumped to the inside, fighting very severely, untill Al-Baraa managed to open the gates from the inside. The Muslims from the top of the walls worked their arrows on those of Bani Hanifah inside. When the gates were open, the Muslim troops rushed to the inside of the garden pursuing the defeated escaping Bani Hanifah, who at that stage could offer no resistance. Finally, Mussaylimah was killed by the spear of Wahshii (who had killed Hamzah during the battle of Uhud, and later became a Muslim). A man from the Ansar joined in the killing of Mussaylimah with his sword. It is not known for certain who really killed Mussaylimah. However, after the death of Mussaylimah, there was total collapse of Bani Hanifah who willingly surrendered and accepted utter defeat. The causalities from the Muslims and Bani Hanifah were great more so from Bani Hanifah. The garden became notorious bearing the name the "garden of death". The Muslims gained the honour and glory of a great triumph. The forces of virtue and faith once again dominated and defeated the forces of evil and apostasy. When the battle was over, Mugaah was brought to recognize Mussaylimah from among the dead.

Khalid ibn Al-Walid could not consider the victory of the "garden" as final. He sent his horsemen to pursue all members of Bani Hanifah in their dwellings and in the valleys. Khalid then gathered his troops to attack those remaining in the fortresses of Bani Hanifah. Mugaah came to Khalid and told him that the fortresses were well protected with great numbers of men, and that Khalid should consider negotiating conditions of armistice with Mugaah. Khalid accepted to negotiate realizing that his men were exhausted and more fighting may have had an adverse result. He was then in position of triumph, and negotiations could very well be in favour of Muslims. Both Khalid ibn Al-Walid and Mugaah ibn Murarah negotiated conditions of armistice and agreed. Mugaah tricked Khalid, for there were only women and children in the fortresses. When Khalid discovered Mugaah's trick, he still agreed to the terms of the armistice. All the tribe of Bani Hanifah assembled to proclaim loyalty and obedience to Abu Bakre, allegiance to Muslims, and their return into the faith of Islam. A delegation from Bani Hanifah went to meet Abu Bakre at Al-Madinah to declare their return into Islam, witnessing that Allah is One with no associate partner, that Muhammad was the Messenger and final Prophet of Allah, and that Abu bakre was Khalifa of Rasul Allah to minister the

dependence on each other. He shouted to the men his orders to excell, to give the example, to race for martyrdom, to follow the gleam of the sword, and the aroma of paradise. Each man for himself, press on the enemy, you are the valiant, gallant, undaunted worriors of Islam, the holders of the Holy Quran, the daring vigilantes of truth and honour, the shield of righteousness. With these words injected into the ears of the Muslims in the heat of battle, the Muslim forces stood their ground in firmness, and the casulaities of Bani Hanifah increased in number as the Muslims pressed on their lines and attacked their formations. The spirit of faith filled the hearts above the carnal desire of life, they fought seeking martyrdom, the road to eternal paradise, they fought for truth and for reality. Their leaders gave the example and cried for excellence in combat. They advanced into enemy positions followed by their men. People like Thabet ibn Qays, Al-Baraa ibn Malik, ayed ibn Al-Khattab, Abu Huzaifa ibn Al-Yammam and others fought the enemy with intense valour and unchallenged courage, followed by masses of Muslims pressing tightly on the enemy from Bani Hanifah, compelling them to withdraw to behind the original lines of combat. These men of courage and valour died on the battle ground of honour and martyrdom. The men from Bani Hanifah fought with fierce intention, and in distress for survival, they fought to defend a sick diseased cause, they had no roots except their tribal connections, they had followed a false path of fakery and ignorant stupidness. The Muslims were gaining ground, and Bani Hanifah were retreating.

Khalid ibn Al-Walid recognized that the strength of Bani Hanifa at that stage resided in Mussaylimah as a central personality. Khalid and his men pressed bitterly on Mussaylimah and the men around him came forward to meet their death by the swords of Muslims. Mussaylimah was afraid to engage in actual combat, he hesitated, became bewildered with fear, retreated and ran away. Bani Hanifah seeing Mussaylimah running away, they also followed. A man from Bani Hanifah, Muhkam ibn Al-Tufayl, saw the massive retreat of Bani Hanifah after Mussaylimah, followed by Muslims working their swords into them, he shouted "Bani Hanifah, the garden". This garden belonged to Mussaylimah and was in the neighbourhood of the battle ground. It was a large enclosure within high walls and a strong gate. Muhkam ibn Al-Tufayl and his men covered the retreat of Bani Hanifah into the garden in defence of the Muslim assault.

Now, the Muslims were outside the walls of the garden and Bani Hanifah were well sheltered behind the walls of the garden. Khalid ibn Al-Walid decided to storm the walls of the

from Islam. They answered "A prophet from us and a prophet from you". They were all killed except one "Muggah ibn Murarah" whom Khalid kept as hostage because of his high rank in Bani Hanifah. Mussaylimah marched with his forces to Aqraba on the boundaries of Al-Yamamah where he positioned his troops to face the Muslims. It was the day of Al-Yamamah, one of the most important dates in Islamic history. The militant forces of rejection and apostasy against the forces of faith and belief. All the tribes in the Arab Peninsula in the east and south awaited the outcome; the Persian Empire across the Persian Gulf and in Iraq, and the Roman Empire across the northern borders in Syria and Palestine, all waited the result of that crucial confrontation. The air was still with suspense, the hearts were throbbing with apprehension solitude and perturbation. Abu Bakre at Al-Madinah with few men remained silent. He had engineered the whole campaign, supplied it with all his capabilities of men, knowledge, wisdom, strategy, and foresight. Deep in his insight, piety and strong faith, he was calm and confident that Allah was his victor. The day of Al-Yamamah was the optimal challenge between inquity and virtue, between infamy and righteousness.

The forces of Mussaylimah advanced under the command of his son Shurahbil ibn Mussaylamah. He invoked Bani Hanifah with words that excited their manhood, jeolousy, and chauvinism. They pressed severely on the Muslims who had to retreat partially at the defeated flank. The headquarters and tents of Khalid ibn Al-Walid were attacked, occupied and torn to shreds. Muggaah was kept prisoner there with Khalid's wife "Lyla, Um Tamim" as guard. When the tents of Khalid were overrun, one of the men from Bani Hanifah wanted to kill Um Tamim, but Muggaah prevented that action, ordered the man to follow the men on the battlefield. Inspite of the Muslim retreat, the masses of Bani Hanifah had suffered many casualities amongst those was Nahar Alraggal, the man of vicious deciet frandulant moral corrpution and human degredation. The man whose infamy and sin brought Bani Hanifah to this pitiful condition of following the path of falsehood and deception. Knowing that Mussaylimah was a debased impostor, yet he supported him with fakery and untruth, to a stage that Mussaylimah believed his own lies. Nahar Alraggal was killed in battle by Zayd ibn Al-Khattab. The Muslims partially withdrew but the battle continued fierce and intense.

Khalid ibn Al-Walid remained composed after his tents were overrun. With his shrewd mind as an excellent experienced commander, he diagnosed why the Muslims were making no progress in battle. They were slackening due to over confidence, they were not sharp due to the attitude of

Mussaylimah without reservation on the grounds of what Nahar had told them.

When Abu Bakre was deputizing the armies to fight the apostates, he commisioned Ikrima ibn Abi Jahle to confront Bani Hanifah. Ikrima was to be assisted by Shurahbil ibn Hassanah. When Ikrima marched to Bani Hanifah, he did not wait for Shurahbil ibn Hassanah to support him, but hurried to meet Mussaylimah alone, wanting to achieve the honour of victory over Bani Hanifah alone. Ikrima was bitterly defeated, and wrote to Abu Bakre of the defeat. Abu Bakre wrote back to Ikrima severely critisizing his action, and ordered him to march with his men to Uman and Mahrah to support the Muslim armies in those districts.

Abu Bakre ordered Khalid ibn Al-Walid to march to Al-Yamamah, and sent reinforcements to support the Muslim army. These reinforcements included the most solid men of the Muhagereen and Ansar, companions of the Prophet, people like Thabet ibn Qays, Al-Baraa ibn Malik from the Ansar; Abu Huzayfah ibn Al-Yaman and Zayd ibn Al-Khattab from the Muhagereen. Abu Bakre also sent people of Badre, the veterans of the first battle of Islam; and the learners and recitors of the Holy Quran. Abu Bakre supported the army of Khalid ibn Al-Walid with the highest quality of men in courage, experience, wisdom, honour and piety; the selected cream of the Muslim community. The confrontation with Bani Hanifah was the backbone of the war against the apostates, the most crucial event at the time. Abu Bakre was fully aware of the strength of Bani Hanifah, their intractable renitent support to Mussaylimah, their tribal chauvinism as Bani Hanifah in the east of the peninsula as opposed to Quraysh in the west. The situation was really very grave indeed, and the Muslim worriors were marching towards Al-Yamamah under the command of Khalid ibn Al-Walid, fully understanding, confident with faith, high spirited with purpose, sincerely desiring martydom in the cause of Allah. For these men, it was the path to eternal glory, to paradise, to the maxim grade of human achievement - The strive in the cause of Allah, to establish the words of Allah as supreme.

As the army of Khalid ibn Al-Walid was marching towards Al-Yamamah, the people of Bani Hanifah were making preparations to confront them. The vanguard troops encountered Shurahbil ibn Hassanah who safely retreated from his position to meet Khalid ibn Al-Walid and join forces with him. Muggaah ibn Murarah from Bani Hanifah went out in a small group to scout. At a place called Thaniyat Al-Yamamah, the group was met by Khalid and his forces. Knowing them to be from Bani Hanifah, they were asked about their position




ABU BAKRE AL-SIDDIQ WAR AGAINST APOSTATES

PART IV

THE BATTLE OF AL- Yamamah

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D.,Ph.D

Abu Bakre Al-Siddiq had summoned Khalid ibn Al-Walid to Al-Madinah to initimidate him for his unorthodox conduct of killing Malik ibn Nuwayrah and marrying his widow. Abu Bakre sent Khalid back to his command with orders to move to Al-Yamamah the dwellings of Bani Hanifah, who were by far the strongest consortium of apostates against Islam. The leader of that consortium was Mussaylimah ibn Habib "The impostor" of Bani Hanifah, who at the time commanded more than fourty thousand worriors in battle dress. These men denied the true prophethood of Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) and accepted the false alleged specious prophecy of Mussaylimah "the liar". They believed that if Muhammad was the Prophet from Quraysh, Mussaylimah was the phrophet from Bani Hanifah. They were consolidated, with no disputes or differences among them.

Musaylimah as described by chroniclers, was of short stumpy built, undignified in appearance or stature. However, he was clever at conversation, dialogue and the use of words to serve his purpose. A man from Bani Hanifah named Nahar Alraggal ibn Unfuwah was a Muslim, learned the Quran and the teachings of Islam at Al-Madinah at the time of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him). He was sent to bani Hanifah to educate them after some of them had accepted Islam and their delegates came to Al-Madinah to meet with the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him), and proclaim their Islam. Nahar was a man of political intrigue, and announced to the people of Bani Hanifa that the false claim of Mussaylimah as a prophet, was true, and supported Musaylimah in his pretext. Bani Hanifa followed

→




AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

ZU AL-HIJJAH, 1408, HIJRAH

Editor: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph. D.

CONT "TS

Preparation of the Prints by Mrs. Fatimah Mohammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION